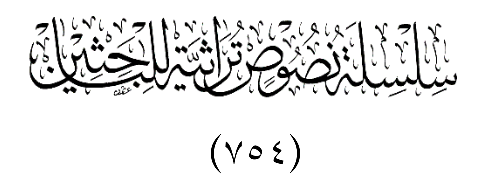


(٧٥٤)

التذييل

مصطلح التذييل في مصنفات التفسير
قديما وحديثا

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٤هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة
ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

" صفحة رقم ٣٨١ قال بعض الطلبة (لابن عرفة) : اعتزل الزمخشري فقال : إذا كانت عداوة الأنبياء كفرا فما بالك بعداوة الملائكة وهم أشرف فجعله أشرف من بني آدم ولا ينبني عليه كفر ولا إيمان ؟ قال ابن عرفة : فقوله على هذا) من كان عدوا لله (تدل ، وهو من باب **التذييل** لما قبله ، ومعناه أن يكون اللفظ بزيادة قوله تعالى : (وما يكفر بهآ إلا الفاسقون (فيه دليل على أن الاستثناء من النفي إثبات.قيل لابن عرفة : من (عاداك) فقد عاديته فما أفاد قوله :) فإن الله عدو للكافرين (فقال (العداوة) ليست متعاكسة النسبة بدليل قول الله) يأيها الذين ءامنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم (مع أن الآباء ليسوا أعداء لأولادهم.قيل له : هي متعاكسة ؟ فقال : (من) خارج بالدليل العقلي لا من جهة اللفظ والمادة.قوله تعالى : (ولقد أنزلنآ إليك ءايات بينات...(قيل لابن عرفة : إن أريد المعجزات فظاهر ، وإن أريد آيات القرآن فيؤخذ منه امتناع تخصيص السنة بالقرآن ، والقرآن بالسنة لأنه كله بين ؟." [(١)]

" ما في الارض جميعا تقرير للإنكار وتأكيد له من الحيثيتين المذكورتين غير سبكه عن سبك ما قبله مع اتحادهما في المقصود إبانة لما بينهما من التفاوت فإن ما يتعلق بذواتهم من الإحياء والإمانة والحشر أدخل في الحث على الإيمان والكف عن الكفر مما يتعلق بمعايشهم وما يجرى مجراها وفي الضمير مبتدأ والموصول خبرا من الدلالة على الجلالة مالا يخفى وتقديم الظرف على المفعول الصريح لتعجيل المسرة ببيان كونه نافعا للمخاطبين وللتشويق إليه كما سلف أي خلق لأجلكم جميع ما في الارض من الموجودات لتنتفعوا بها في امور دنياكم بالذات او بالواسطة وامور دينكم بالاستدلال بها على شئون الصانع تعالى شأنه والاستشهاد بكل واحد منها على ما يلائمه من لذات الآخرة وآلامها وما يعم جميع ما في الارض لا نفسها الا ان يراد بها جهة السفل كما يراد بالسماء جهة العلو نعم يعم كل جزء من اجزائها فإنه من جملة ما فيها ضرورة وجود الجزء في الكل وجميعا حال من الموصول الثاني مؤكدة لما فيه من العموم فإن كل فرد من افراد ما في الارض بل كل جزء من اجزاء العالم له مدخل في استمراره على ما هو عليه من النظام اللائق الذي عليه يدور انتظام مصالح الناس اما من جهة المعاش فظاهر واما من جهة الدين فلما انه ليس في العالم شئ مما يتعلق به النظر وما لا يتعلق به الا وهو دليل على القادر الحكيم جل جلاله كما مر في تفسير قوله تعالى رب العالمين وإن لم يستدل به احد بالفعل

ثم استوى الى السماء أي قصد اليها بإرادته ومشيئته قصدا سويا بلا صارف يلويه ولا عاطف يثنيه من ارادة خلق شئ آخر في تضاعيف خلقها او غير ذلك مأخوذ من قولهم استوى اليه كالسهم المرسل وتخصيصه بالذكر ههنا إما لعدم تحققه في خلق السفليات لما روى من تخلل خلق السموات بين خلق الارض ودحوها عن الحسن رضي الله عنه خلق الله تعالى الأرض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان يلتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك الفهر في موضعها وبسط منها الأرضين وذلك قوله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما وإما لإظهار كمال العناية بإبداع العلويات وقيل استوى استولى وملك والاول هو الظاهر وكلمة ثم للإيذان بما فيه من المزية والفضل على خلق السفليات لا للتراخى الزماني فإن تقدمه على خلق ما في الارض المتأخر عن دحوها مما لا مرية فيه لقوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها ولما روى عن الحسن والمراد بالسماء إما الأجرام العلوية فإن القصداليها بالإرادة لا يستدعي سابقة الوجود وإما جهات العلو

---

(١) تفسير ابن عرفة ، ٣٨١/١

فسواهن أي اتمهن وقومهن وخلقهن ابتداء مصونة عن العوج والفطور لا انه تعالى سواهن بعد ان لم يكن كذلك ولا يخفى ما في مقارنة التسويه والاستواء من حسن الموقع وفيه اشارة الى ان لا تغيير فيهن بالنمو والذبول كما في السفليات والضمير على الوجه الاول للسماء فإنها في معنى الجنس وقيل هي جمع سماءة او سماوة وعلى الوجه الثاني منهم يفسره قوله تعالى

سبع سموات كما في قولهم ربه رجلا وهو على الوجه الاول بدل من الضمير وتأخير ذكر هذا الصنع البديع عن ذكر خلق ما في الارض مع كونه اقوى منه في الدلالة على كمال القدرة القاهرة كما نبه عليه لما ان المنافع المنوطة بما في الارض اكثر وتعلق مصالح الناس بذلك اظهر وان كان في ابداع العلويات ايضا من المنافع الدينية والدنيوية مالا يحصى هذا ما قالوا وسيأتي في حم السجدة مزيد تحقيق وتفصيل بإذن الله تعالى

وهو بكل شئ عليم اعتراض **تذييلى** مقرر لما قبله ." (١)

" البقرة ٤٧ – ٤٥

ولا تهتدى ... ألا إن ذلك لا ينفع ... فيا حجر الشحذ حتى متى ... تسن الحديد ولا تقطع فلما سمعه الواعظ شهق شهقة فخر من فرسه مفشيا عليه فحلموه إلى بيته فتوفي إلى رحمة الله سبحانه

واستعينوا بالصبر والصلاة متصل بما قبله كأنهم لما كلفوا ما فيه من ترك الرياسه والإعراض عن المال عولجوا بذلك والمعنى استعينوا على حوائجكم بانتظار النجح والفرج توكلا على الله تعالى او بالصوم الذي هو الصبر عن المفطرات لما فيه من كسر الشهوة وتصفية النفس والتوسل في الصلاة والالتجاء إليها فإنها جامعة لأنواع العبادات النفسانية والبدنية من الطهارة وستر العورة وصرف المال فيهما والتوجه الى الكعبة والعكوف على العبادة واظهار الخشوع بالجوارح واخلاص النية بالقلب ومجاهدة الشيطان ومناجاة الحق وقراءة القرآن والتكلم بالشهادة وكف النفس عن الأطيبين حتى تجابوا الى تحصيل المآرب وجبر المصائب روى أنه عليه السلام كان إذا حزبه امر فزع الى الصلاة ويجوز أن يراد بها الدعاء

وإنها أي الاستعانة بهما أو الصلاة وتخصيصها برد الضمير اليها لعظم شأنها واشتمالها على ضروب من الصبر كما في قوله تعالى وإذا روا تجارة أو لهوا انفضوا اليها أو جملة ما أمروا بها ونهوا عنها

لكبيرة لثقيلة شاقة كقوله تعالى كبر على المشركين ما تدعوهم اليه

إلا على الخاشعين الخشوع الإخبات ومنه الخشعة للرملة المتطامنة والخضوع اللين والإنقياد ولذلك يقال الخشوع بالجوارح والخضوع بالقلب وإنما لم تثقل عليهم لأنهم يتوقعون ما أعد لهم بمقابلتها فتهون عليهم ولأنهم يستغرقون في مناجاة ربهم فلا يدركون ما يجري عليهم من المشاق والمتاعب ولذلك قال عليه السلام وقرة عيني في الصلاة والجملة حالية أو اعتراض **تذييلي**

الذين يظنون إنهم ملاقوا ربهم وإنهم اليه راجعون أي يتوقعون لقاءه تعالى ونيل ما عنده من المثوبات والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إليهم للإيذان بفيضان احسانه اليهم أو يتيقنون أنهم يحشرون اليه للجزاء فيعملون على حسب ذلك

---

(١) تفسير أبي السعود، ٧٨/١

رغبة ورهبة وأما الذين لا يوقنون بالجزاء ولا يرجون الثواب ولا يخافون العقاب كانت عليهم مشقة خالصة فتثقل عليهم كالمنافقين والمرائين فالتعرض للعنوان المذكور للإشعار بعلية الربوبية والمالكية للحكم ويؤيده ان في مصحف ابن مسعود رضي الله عنه يعملون وكان الظن لما شابه العلم في الرجحان اطلق عليه لتضمين معنى التوقع قال ... فأرسلته مستيقن الظن إنه ... مخالط ما بين الشراسيف جائف ...

وجعل خبر أن في الموضعين اسما للدلالة على تحقيق اللقاء والرجوع وتقررهما عندهم

يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم كرر التذكير للتأكيد ولربط ما بعده من الوعيد الشديد به

وأني فضلتكم عطف على نعمتي عطف الخاص على العام لكماله أي فضلت آباءكم

على العالمين أي عالمي زمانهم بما منحتهم من العلم والإيمان والعمل الصالح وجعلتهم أنبياء وملوكا مقسطين وهم آباءهم ." (١)

" البقرة ٥٢ – ٥١

بالتشديد للتكثير لأن المسالك كانت اثنى عشر بعدد الأسباط

فأنجيناكم أي من الغرق بإخراجكم إلى الساحل كما يلوح به العدول إلى صيغة الأفعال بعد إيراد التخليص من فرعون بصيغة التفعيل وكذا قوله تعالى

وأغرقنا آل فرعون أريد فرعون وقومه وإنما اقتصر على ذكرهم للعلم بأنه أولى به منهم وقيل شخصه كما روى أن الحسن رضى الله عنه كان يقول اللهم صل على آل محمد أي شخصه واستغنى بذكره عن ذكر قومه

وأنتم تنظرون ذلك أوغرقهم وإطباق البحر عليهم أو انفلاق البحر عن طرق يابسة مذللة أوجثثهم التي قذفها البحر إلى الساحل أو ينظر بعضكم بعضا روى أنه تعالى أمر موسى عليه السلام أن يسرى ببني إسرائيل فخرج بهم فصبحهم فرعون وجنوده وصادفوهم على شاطئ البحر فأوحى الله تعالى إليه أن اضرب بعصاك البحر فضربه بها فظهر فيه اثنا عشر طريقا يابسا فسلكوها فقالوا نخاف أن يغرق بعض أصحابنا فلا نعلم ففتح الله تعالى فيها كوى فتراءوا وتسامعوا حتى عبروا البحر فلما وصل إليه فرعون فرآه منفلقا اقتحمه هو وجنوده فغشيهم ما غشيهم واعلم أن هذه الواقعة كما أنها لموسى معجزة عظيمة تخر لها أطم الجبال ونعمة عظيمة لأوائل بني إسرائيل موجبة عليهم شكرها كذلك اقصاصها على ماهي عليه من رسول الله معجزة جليلة تطمئن بها القلوب الأبية وتنقاد لها النفوس الغبية موجبة لأعقابهم أن يتلقوها بالإذعان فلا تأثرت أوائلهم بمشاهدتها ورؤيتها ولا تذكرت أو اخرهم بتذكيرهاوروايتها فيالها من عصابة ما أعصاها وطائفة ما أطغاها

وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة لما عادوا إلى مصر بعد مهلك فرعون وعد الله موسى عليه السلام أن يعطيه التوراة وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة وقيل وعد عليه السلام بنى إسرائيل وهو بمصر إن أهلك الله عدوهم أتاهم بكتاب من عند الله تعالى فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما هلك فرعون سأل موسى ربه الكتاب فامره بصوم ثلاثين وهو شهر ذي القعدة ثم زاد عشرا من ذي الحجة وعبر عنها بالليالي لأنها غرر الشهور وصيغة المفاعلة بمعنى الثلاثي وقيل على

---

(١) تفسير أبي السعود، ٩٨/١

أصلها تنزيلا لقبول موسى عليه السلام منزلة الوعد وأربعين ليلة مفعول ثان لواعدنا على حذف المضاف أي بمقام أربعين ليلة وقرئ وعدنا

ثم اتخذتم العجل بتسويل السامري الها ومعبودا وثم للتراخي الرتبي

من بعده أي من بعد مضية الى الميقات على حذف المضاف

وانتم ظالمون بإشراككم ووضعكم للشئ في غير موضعه وهو حال من ضمير اتخذتم او اعتراض **تذييلي** أي وانتم قوم عادتكم الظلم

ثم عفونا عنكم حين تبتم والعفو محو الجريمة من عفاة درسه وقد يجيء لازما قال ... عرفت المنزل الخالي ... عفا من بعد احوال ... عفاه كل هتان ... كثير الوبل هطال ...

وقوله تعالى

من بعد ذلك أي من بعد الاتخاذ الذي هو متناه في القبح للإيذان بكمال بعد العفو بعد تلك المرتبة من الظلم

لعلكم تشكرون لكي تشكروا نعمة العفو وتستمروا بعد ذلك على الطاعة ." (١)

" البقرة ٧٢

من افعال المقاربة وضع لدنو الخبر من الحصول والجملة حال من ضمير ذبحوا أي فذبحوها والحال انهم كانوا قبل ذلك بمعزل منه او اعتراض **تذييلي** ومآله استثقال استعصائهم واستبطاء لهم وانهم لفرط تطويلهم وكثرة مراجعاتهم ما كاد ينتهي خيط اسهابهم فيها قيل مضى من اول الامر الى الامتثال اربعون سنة وقيل وما كادوا يفعلون ذلك لغلاء ثمنها روى انه كان في بني اسرائيل شيخ صالح له عجلة فأتي بها الغيضة وقال اللهم اني استودعتكها لا بني حتى يكبر وكان برا بوالديه فتوفي الشيخ وشبت العجلة فكانت من احسن البقر وأسمنها فساوموها اليتيم وامه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا لما كانت وحيدة بالصفات المذكورة وكانت البقرة اذ ذاك بثلاثة دنانير واعلم انه لا خلاف في ان مدلول ظاهر النظم الكريم بقرة مطلقة مبهمة وأن الامتثال في آخر الأمر إنما وقع بذبح بقرة معينة حتى لو ذبحوا غيرها ما خرجوا عن عهدة الأمر لكن اختلف في أن المراد المأمور به اثر ذي اثير هل هي المعينة وقد أخر البيان عن وقت الخطاب او المبهمة ثم لحقها التغيير الى المعينة بسبب تثاقلهم في الامتثال وتماديهم في التعمق والاستكشاف فذهب بعضهم الى الاول تمسكا بأن الضمائر في الأجوبة اعنى انها بقرة الى آخر للمعينة قطعا ومن قضيته ان يكون في السؤال ايضا كذلك ولا ريب في ان السؤال إنما هو عن البقرة المأمور بذبحها فتكون هي المعينة وهو مدفوع بأنهم لما تعجبوا من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيا ظنوها معينة خارجه عما عليه الجنس من الصفات والخواص فسألوا عنها فرجعت الضمائر الى المعينة في زعمهم واعتقادهم فعينها الله تعالى تشديدا عليهم وإن لم يكن المراد من اول الامر هي المعينة والحق انها كانت في اول الامر مبهمة بحيث لوذبحوا أية بقرة كانت لحصل الامتثال بدلالة ظاهر النظم الكريم وتكرير الأمر قبل بيان اللون وما بعده من كونها مسلمة الخ وقد قال صلى الله عليه و سلم لو اعترضوا أدنى بقرة فذبحوها لكفتهم وروى مثله عن رئيس المفسرين عبد الله بن عباس رضي الله

---

(١) تفسير أبي السعود، ١٠١/١

عنهما ثم رجع الحكم الأول منسوخا بالثاني والثاني بالثالث تشديدا عليهم لكن لا على وجه ارتفاع حكم المطلق بالكلية وانتقاله إلى المعين بل على طريقة تقييده وتخصصه به شيئا فشيئا كيف لا ولو لم يكن كذلك لما عدت مراجعاتهم المحكية من قبيل الجنايات بل من قبيل العبادة فإن الامتثال بالأمر بدون الوقوف على المأمور به مما لا يكاد يتسنى فتكون سؤالاتهم من باب الاهتمام بالامتثال

واذ قتلتم نفسا منصوب بمضمر كما مرت نظائره والخطاب لليهود المعاصرين لرسول الله وإسناد القتل والتدارؤ اليهم لما مر من نسبة جنايات الاسلاف الى الأخلاف توبيخا وتقريعا وتخصيصهما بالإسناد دون ما مر من هناتهم لظهور قبح القتل وإسناده إلى الغير أي اذكروا وقت قتلكم نفسا محرمة فادر أتم فيها أي تخاصمتم في شأنها إذ كل واحد من الخصماء يدافع الآخر او تدافعتم بأن طرح كل واحد قتلها الى آخر وأصله ئداراتم فأدغمت التاء في الدال واجتلبت لها همزة الوصل

والله مخرج ما كنتم تكتمون أي مظهر لما تكتمونه لا محالة والجمع ." (١)

" البقرة ٨٤

في تعداد بعض آخر من قبائح أسلاف اليهود مما ينادى بعدم إيمان أخلافهم وكلمة إذ نصب بإضمار فعل خوطب به النبي والمؤمنون ليؤديهم التأمل في أحوالهم إلى قطع الطمع عن إيمانهم أو اليهود الموجودون في عهد النبوة توبيخا لهم بسوء صنيع أسلافهم أي أذكروا إذ أخذنا ميثاقهم

لا تعبدون إلا الله على إرادة القول أي قلنا أو قائلين لا تعبدون الخ وهو إخبار في معنى النهى كقوله تعالى ولا يضار كاتب ولا شهيد وكما يقول تذهب إلى فلان وتقول كيت وكيت وهو أبلغ من صريح النهى لما فيه من إيهام أن المنهى حقه أن يسارع الى الانتهاء عما نهى عنه فكأنه انتهى عنه فيخبر به الناهي ويؤيده قراءة لا تعبدوا وعطف قولوا عليه وقيل تقديره أن لا تعبدوا الخ فحذف الناصب ورفع الفعل كما في قوله ... الا ايهذا الزاجري أحضر الوغى ... وأن اشهد اللذات هل أنت مخلدي ... ويعضده قراءة أن لا تعبدوا فيكون بدلا من الميثاق أو معمولا له بحذف الجار وقيل أنه جواب قسم دل عليه المعنى كأنه قيل وحلفناهم لا تعبدون الا الله وقرئ بالياء لأنهم غيب

وبالوالدين احسانا متعلق بمضمر أي وتحسنون او احسنوا

وذي القربي واليتامى والمساكين عطف على الوالدين ويتامى جمع يتيم كندمي جمع نديم وهو قليل ومسكين مفعيل من السكون كأن الفقر اسكنه من الحراك واثخنه عن التقلب

وقولوا للناس حسنا أي قولا حسنا سماه حسنا مبالغة وقرئ كذلك وحسنا بضمتين وهي لغة أهل الحجاز وحسني كبشرى والمراد به ما فيه تخلق وارشاد

واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة هما ما فرض عليهم في شريعتهم

ثم توليتم أن جعل ناصب الظرف خطابا للنبي والمؤمنين فهذا التفات إلى خطاب بنى أسرائيل جميعا بتغليب أخلافهم على أسلافهم لجريان ذكرى كلهم حينئذ على نهج الغيبة فإن الخطابات السابقة لأسلافهم محكية داخلة في حيز القول

---

(١) تفسير أبي السعود، ١١٣/١

المقدر قبل لاتعبدون كأنهم استحضروا عند ذكر جناياتهم منعيت هي عليهم وأن جعل خطابا لليهود المعاصرين للرسول الله والمؤمنين فهذا تعميم للخطاب بتنزيل الاسلاف منزلة الأخلاف كما أنه تعميم للتولى بتنزيل الأخلاف منزلة الأسلاف للتشديد في التوبيخ أي اعرضتم عن المضى على مقتضي الميثاق ورفضتموه

إلا قليلا منكم وهم من الأسلاف من أقام اليهودية على وجهها قبل النسخ ومن الأخلاف من أسلم كعبد الله بن سلام وأضرابه

وأنتم معرضون جملة **تذييليه** أي وأنتم قوم عادتكم الاعراض عن الطاعة ومراعاة حقوق الميثاق أصل الأعراض الذهاب عن المواجهة والأقبال إلى جانب العرض

وإذ أخذنا ميثاقكم منصوب بفعل مضمر خوطب به اليهود قاطبة على ما ذكر من التغليب ونعى عليهم أخلالهم بمواجب الميثاق المأخوذ منهم في حقوق العباد على طريقة النهى أثر بيان ما فعلوا بالميثاق المأخوذ منهم في حقوق الله سبحانه وما يجرى مجراها على سبيل الأمر فإن المقصود الأصلي من النهي عن عبادة غير الله تعالى هو الأمر بتخصيص العبادة به تعالى أي وأذكروا وقت أخذنا ميثاقكم ." (١)

" البقرة ٩٦ – ٩٥

الآخرة

عند الله خالصة أي سالمة لكم خاصة بكم كما تدعون أنه لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى ونصبها على الحالية من الدار وعند ظرف للاستقرار في الخبر أعنى لكم وقوله تعالى

من دون الناس في محل النصب بخالصة يقال خلص لي كذا من كذا واللام للجنس أي الناس كافة أو للعهد أي المسلمين

فتمنوا الموت فإن من أيقن بدخول الجنة اشتاق إلى التخلص إليها من دار البوار وقرارة الأكدار لاسيما إذا كانت خالصة له كما قال على كرم الله وجهه لا ابالي أسقطت على الموت او سقط الموت على وقال عمار بن ياسر بصفين ... الآن ألاقي الأحبة ... محمدا وحزبه ... وقال حذيفة بن اليمان حين احتصر وقد كان يتمنى الموت قبل ... جاء حبيب على فاقة ... فلا أفلح اليوم من قد ندم ... أي على التمنى وقوله تعالى

إن كنتم صادقين تكرير للكلام لتشديد الإلزام وللتنبيه على أن ترتب الجواب ليس على تحقق الشرط في نفس الأمر فقط بل في اعتقادهم أيضا وأنهم قدادعوا ذلك والجواب محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه أي أن كنتم صادقين فتمنوه وقوله تعالى

ولن يتمنوه أبدا كلام مستأنف غير داخل تحت الأمر سيق من جهته سبحانه لبيان ما يكون منهم من الإحجام عما دعوا إليه الدال على كذبهم في دعواهم

---

(١) تفسير أبي السعود، ١٢٣/١

بما قدمت أيديهم بسبب ما عملوا من المعاصي الموجبة لدخول النار كالكفر بالنبي عليه السلام والقرآن وتحريف التوراة ولما كانت اليد من بين جوارح الإنسان مناط عامة صنائعة ومدار أكثر منافعة عبر بها تارة عن النفس وأخرى عن القدرة

والله عليم بالظالمين أي بهم وإيثار الإظهار على الإضمار لذمهم والتسجيل عليهم بأنهم ظالمون في جميع الأمور التي من جملتها ادعاء ما ليس لهم ونفيه من عيرهم والجملة **تذييل** لما قبلها مقررة لمضمونه أي عليم بهم وبما صدر عنهم من فنون الظلم والمعاصي المفضية إلى أفانين العذاب وبما سيكون منهم من الاحتراز عما يؤدى إلى ذلك فوقع الأمر كما ذكر فلم يتمن منهم موته أحد إذ لو وقع ذلك لنقل واشتهر وعن النبي لو تمنوا الموت لغص كل إنسان بريقه فمات مكانه وما بقى يهودى على وجه الأرض

ولتجدنهم أحرص الناس من الوجدان العقلي وهو جار مجرى العلم خلا أنه مختص بما يقع بعد التجربة ونحوهما ومفعولاه الضمير وأحرص والتنكير في قوله تعالى

على حياة للإيذان بان مرادهم نوع خاص منها وهي الحياة المتطاولة وقرئ بالتعريف

ومن الذين أشركوا عطف على ما قبله بحسب المعنى كأنه قيل أحرص من الناس ومن الذين أشركوا وإفرادهم بالذكر مع دخولهم في الناس للإيذان بامتيازهم من بينهم بشدة الحرص للمبالغة في توبيخ اليهود فإن حرصهم وهم معترفون بالجزاء لما كان أشد من حرص المشركين المنكرين له دل ذلك على جزمهم بمصيرهم إلى النار ويجوز أن يحمل على حذف المعطوف ثقة بأنباء المعطوف عليه عنه أي وأحرص من الذين أشركوا فقوله تعالى ." (١)

" البقرة ١٠٥ - ١٠٤

الجملة الابتدائة جوابا للوغير معهود في كلام العرب وقيل لو للتمنى ومعناه أنهم من فظاعه الحال بحيث يتمنى العارف إيمانهم واتقاءهم تلهفا عليهم وقرئ لمثوبة وإنما سمى الجزاء ثوابا ومثوبة لأن المحسن يثوب إليه

لو كانوا يعلمون ان ثواب الله خير نسبوا إلى الجهل لعدم العمل بموجب العلم

يأيها الذين آمنوا خطاب للمؤمنين فيه إرشاد لهم إلى الخير وإشارة إلى بعض آخر من جنايات اليهود

لا تقولوا راعنا المراعاة المبالغة في الرعى وهو حفظ الغير وتدبير أموره وتدارك مصالحة وكان المسلمون إذا ألقى عليهم رسول الله شيئا من العلم يقولون راعنا يارسول الله أي راقبنا وانتظرنا وتأن بنا حتى نفهم كلامك ونحفظه وكانت لليهود كلمة عبرانية أو سريانية يتسابون بها فيما بينهم وهي راعينا قيل معناها اسمع لا سمعت فلما سمعوا بقول المؤمنين ذلك افترضوه واتخذوه ذريعة إلى مقصدهم فجعلوا يخاطبون به النبي يعنون به تلك المسبة أو نسبته إلى الرعن وهو الحمق والهوج روى أن سعد بن عبادة رضي الله عنه سمعها منهم فقال يا أعداء الله عليكم لعنة الله والذي نفسى بيده لئن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله لأضربن عنقه قالوا أو لستم تقولونها فنزلت الآية ونهى فيها المؤمنون عن ذلك قطعا لألسنة اليهود عن التدليس وأمروا بما في معناها ولا يقبل التلبيس فقيل

---

(١) تفسير أبي السعود، ١٣٢/١

وقولوا انظرنا أي انظر إلينا بالحذف والإيصال او انتظرنا على أنه من نظرة إذا انتظره وقرئ أنظرنا من النظرة أي أمهلنا حتى نحفظ وقرئ راعونا على صيغة الجمع للتوقير وراعنا على صيغة الفاعل أي قولا ذا رعن كدارع ولابن لأنه لما أشبه قولهم راعينا وكان سببا للسبب بالرعن اتصف به

واسمعوا وأحسنوا سماع ما يكلمكم رسول الله ويلقى عليكم من لمسائل بآذان واعية وأذهان حاضرة حتى لاتحتاجوا إلى الاستعاذة وطلب المراعاة أو واسمعوا ما كلفتموه من النهى والأمر بجد واعتناء حتى لا ترجعوا إلى ما نهيتم عنه أو واسمعوا سماع طاعة وقبول ولا يكن سماعكم مثل سماع اليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا

وللكافرين أي اليهود الذين توسلوا بقولكم المذكور إلى كفرياتهم وجعلوه سببا للتهاون برسول الله وقالوا له ما قالوا

عذاب اليم لما اجترءوا عليه من العظيمة وهو تذييل لما سبق فيه وعيد شديد لهم ونوع تحذير للنخاطبين عما نهوا عنه ما يود الذين كفروا الود حب الشئ مع تمنيه ولذلك يستعمل في كل منهما ونفيه كناية عن الكراهة ووضع الموصول موضع الضمير للإشعار بعلية ما في حيز الصلة لعدم ودهم ولعل تعلقه بما قبله من حيث أن القول المنهى عنه كثيرا ما كان يقع عند تنزيل الوحى المعبر عنه في هذه الآية بالخير فكأنه أشير إلى أن سبب تحريفهم له إلى ما حكى عنهم لوقوعه في أثناء حصول ما يكرهونه من تنزيل الخير وقيل كان فريق من اليهود يظهرون للمؤمنين محبة ويزعمون أنهم يودون لهم الخير فنزلت تكذيبا لهم في ذلك ومن في ." (١)

" البقرة ١٠٦

قوله تعالى

من أهل الكتاب ولا المشركين للتبيين كما في قوله عز وعلا لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين ولا مزيدة لما ستعرفه

أن ينزل عليكم في حيز النصب على أنه مفعول يود وبناء الفعل للمفعول للثقة بتعين الفاعل والتصريح الآتي في قوله تعالى

من خير هو القائم مقام فاعلة ومن مزيدة للاستغراق والنفي وإن لم يباشره ظاهرا لكنه منسحب عليه معنى والخير الوحى وحمله على ما يعمه وغيره من العلم والنصرة كما قيل يأباه وصفة فيما سيأتي بالاختصاص وتقديم الظرف عليه مع أن حقه التأخير عنه لآظهار كمال العناية به لأنه المدار لعدم ودهم ومن في قوله تعالى

من ربكم ابتدائية والتعرض لعنوان الربوبية للإشعار بعليته لتنزيل الخير والإضافة إلى ضمير المخاطبين لتشريفهم وليست كراهتهم لتنزيله على المخاطبين من حيث تعبدهم بما قبله وتعرضهم بذلك لسعادة الدارين كيف لا وهم من تلك الحيثية من جملة من نزل عليهم الخير بل من حيث وقوع ذلك التنزيل على النبي وصيغة الجمع للإيذان بان مدار كراهتهم ليس معنى خاصا بالنبى بل وصف مشترك بين الكل وهو الخلو عن الدراسة عند اليهود وعن الرياسة عند المشركين والمعنى أنهم يرون أنفسهم أحق بأن يوحى إليهم ويكرهون فيحسدونكم أن ينزل عليكم شئ من الوحى أما اليهود فبناء على أنهم

---

(١) تفسير أبي السعود، ١٤١/١

أهل الكتاب وأبناء الأنبياء الناشئون في مهابط الوحى وأنتم اميون وأما المشركون فإدلالا بما كان لهم من الجاه والمال زعما منهم أن رياسة الرسالة كسائر الرياسات الدنيوية منوطة بالأسباب الظاهرة ولذلك قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ولما كانت اليهود بهذا الداء أشهر لاسيما في أثناء ذكر ابتلائهم به لم يلزم من نفي ودادتهم لما ذكر نفى ودادة المشركين له فزيدت كلمة لا لتأكيد النفى

والله يختص برحمته جملة ابتدائية سيقت لتقرير ما سبق من تنزيل الخير والتنبيه على حكمته وإرغام الكارهين له والمراد برحمته الوحى كما في قوله سبحانه أهم يقسمون رحمة ربك عبر عنه باعتبار نزوله على المؤمنين بالخير وباعتبار إضافته إليه تعالى بالرحمة قال علي رضي الله عنه بنبوته خص بها محمدا فالفعل متعد وصيغته الافتعال للإنباء عن الاصطفاء وإيثاره على التنزيل المناسب للسياق الموافق لقوله تعالى أن ينزل الله من فضله على من يشاء لزيادة تشريفه وإقناطهم مما علقوا به أطماعهم الفارغة والباء داخلة على المقصود أي يؤتى رحمته

من يشاء من عباده ويجعلها مقصورة عليه لاستحقاقه الذاتي الفائض عليه بحسب إرادته عز وعلا تفضلا لا تتعداه إلى غيره وقيل الفعل لازم ومن فاعله والضمير العائد إلى من محذوف على التقديرين وقوله تعالى

والله ذو الفضل العظيم **تذييل** لما سبق مقرر لمضمونه وفيه إيذان بأن إيتاء النبوة من فضله العظيم كقوله تعالى إن فضله كان عليك كبيرا وإن حرمان من حرم ذلك ليس لضيق ساحة فضله بل لمشيئته الجارية على سنن الحكمة البالغة وتصدير الجملتين بالاسم الجليل للإيذان بفخامة مضمونيهما وكون كل منهما مستقلة بشأنها فإن الإضمار في الثانية منبئ عن توقفها على الأولى

ما ننسخ من آية او ننسها كلام مستأنف مسوق لبيان سر النسخ الذي هو فرد من أفراد تنزيل الوحى وإبطال مقالة الطاعنين فيه أثر تحقيق ." (١)

" البقرة ١٣٩ - ١٣٨

النضير وتلوين الخطاب بتجريده للنبي مع أن ذلك كفاية منه سبحانه للكل لما أنه الأصل والعمدة في ذلك وللإيذان بأن القيام بامور الحروب وتحمل المؤن والمشاق ومقاساة الشدائد في مناهضة الأعداد من وظائف الرؤساء فنعمته تعالى في الكفاية والنصر في حقة عليه السلام أتم وأكمل

وهو السميع العليم **تذييل** لما سبق من الوعد وتأكيد له والمعنى أنه تعالى يسمع ما تدعون به ويعلم ما في نيتك من إظهار الدين فيستجيب لك ويوصلك إلى مرادك أو وعيد للكفرة أي يسمع ما ينطقون به ويعلم ما يضمرونه في قلوبهم مما لا خير فيه وهو معاقبهم عليه ولا يخفى ما فيه من تأكيد الوعد السابق فإن وعيد الكفرة وعد للمؤمنين

صبغة الله الصبغة من الصبغ كالجلسة من الجلوس وهي الحالة التي يقع عليها الصبغ عبر بها عن الإيمان بما ذكر على الوجه الذي فصل لكونه تطهيرا للمؤمنين من أوضار الكفر وحلية تزينهم بآثاره الجميلة ومتداخلا في قلوبهم كما أن شأن الصبغ بالنسبة إلى الثوب كذلك وقيل للمشاركة التقديرية فإن النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر يسمونه

---

(١) تفسير أبي السعود، ١٤٢/١

المعمودية ويزعمون أنه تطهير لهم وبه يحق نصرانيتهم وإضافته إلى الله عز و جل مع استناده فيما سلف إلى ضمير المتكلمين للتشريف والإيذان بأنها عطية منه سبحانه لا يستقل العبد بتحصيلها فهى إذن مؤكد لقوله تعالى آمنا داخل معه في حيز قولوا منتصب عنه انتصاب وعد الله عما تقدمه لكونه بمثابة فعله كأنه قيل صبغة الله صبغة وقيل هي منصوبة بفعل الإغراء أي ألزموا صبغة الله وإنما وسط بينهما الشرطيتانوما بعدهما اعتناء ببيان أنه الإيمان الحق وبه الاهتداء ومسارعة إلى تسليته عليه الصلاة و السلام

ومن أحسن من الله مبتدأ أو خبر والإستفهام للإنكار والنفى وقوله تعالى

صبغة نصب على تمييز من أحسن منقول من المبتدأ والتقدير ومن صبغته أحسن من صبغته تعالى فالتفضيل جار بين الصبغتين لابين فاعليهما أي لا صبغة أحسن من صبغته تعالى على معنى أنها أحسن من كل صبغة على ما أشير إليه في قوله تعالى ومن أظلم ممن منع الخ وحيث كان مدار التفضيل على تعميم الحسن الحقيقي والفرضي المبنى على زعم الكفرة لم يلزم منه أن يكون في صبغة غيره تعالى حسن في الجملة والجملة اعتراضية مقررة لما في صبغة الله من معنى التبجح والابتهاج

ونحن له أي لله الذي أولانا تلك النعمة الجليلة

عابدون شكرا لها ولسائر نعمة وتقدير الظرف للاهتمام ورعاية الفواصل وهو عطف على آمنا داخل معه تحت الأمر وإيثار الاسمية للإشعار بدوام العبادة أو على فعل الإغراء بتقدير القول أي الزموا صبغة الله وقولوا نحن له عابدون فقوله تعالى ومن أحسن من الله صبغة حينئذ يجرى مجرى التعليل للاغراء

قل أتحاجوننا تجريد الخطاب للنبي عقيب الكلام الداخل تحت الأمر الوارد بالخطاب العام لما أن المامور به من الوظائف الخاصة به عليه الصلاة و السلام وقرئ بإدغام النون والهمزة للإنكار أي اتجادلوننا

في الله أي في دينه وتدعون أن دينه الحق هو اليهودية ." (١)

" البقرة ١٦٣ - ١٦١

وحيث كانت هذه التوبة المقرونة بالإصلاح والتبيين مستلزمة للتوبة عن الكفر مبنية عليها لم يصرح بالإيمان وقوله تعالى

أولئك إشارة إلى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة للإشعار بعليته للحكم والفاء لتأكيد ذلك

اتوب عليهم أي بالقبول وإفاضة المغفرة والرحمة وقوله تعالى

وأنا التواب الرحيم أي المبالغ في قبول التوب ونشر الرحمة اعتراض **تذييلي** محقق لمضمون ما قبله والالتفات إلى التكلم للافتنان في النظم الكريم مع ما فيه من التلويح والرمز إلى ما مر من أختلاف المبدأ في فعليه تعالى السابق واللاحق

إن الذين كفروا جملة مستانفة سيقت لتحقيق بقاء اللعن فيما وراء الأستثناء وتأكيد دوامه واستمراره على غير التائبين حسبما يفيده الكلام والأقتصار على ذكر الكفر في الصلة من غير تعرض لعدم التوبه والإصلاح والتبيين مبني على

(١) تفسير أبي السعود، ١٦٨/١

ما اشير إليه فكما أن وجود تلك الأمور الثلاثة مستلزم للأيمان الموجب لعدم الكفر كذلك وجود الكفر مستلزم لعدمها جميعا أي إن ذلك استمرار على الكفر المستتبع للكتمان وعدم التوبة

وماتوا وهم كفار لا يرعوون عن حالتهم الأولى

أولئك الكلام فيه كما فيما قبله

عليهم أي مستقر عليهم

لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ممن يعتد بلعنتهم وهذا بيان لدوامها الثبوتي بعد بيان دوامها التجددي وقيل الأول لعنتهم أحياء وهذا لعنتهم أمواتا وقرئ والملائكة والناس أجمعون عطفا على محل اسم الله لأنه فاعل في المعنى كقولك أعجبني ضرب زيد وعمرو تريد من أن ضرب زيد وعمر وكأنه قيل أولئك عليهم أن لعنهم الله والملائكة الخ وقيل هو فاعل لفعل مقدر أي ويلعنهم الملائكة

خالدين فيها أي في اللعنه أو في النار على انها أضمرت من غير ذكر تفخيما لشأنها وتهويلا لأمرها

لا يخفف عنهم العذاب إما مستأنف لبيان كثرة عذابهم من حيث الكيف إثر بيان كثرته من حيث الكم أو حال من الضمير في خالدين على وجه التداخل أو من الضمير في عليهم على طريقة الترادف

ولا هم ينظرون عطف على ما قبله جار فيه ما جرى فيه وإيثار الجملة الاسمية لإفادة دوام النفى واستمراره أي لا يمهلون ولا يؤجلون أو لا ينتظرون ليعتذروا أو لا ينظر إليهم نظر رحمة

وإلهكم خطاب عام لكافة الناس أي المستحق منكم للعبادة

إله واحد أي فرد في الإلهيه لاصحة لتسمية غيره إلها أصلا

لا إله إلا هو خبر ثان للمبتدأ أو صفة أخرى للخبر أو اعتراض وأياما كان فهو مقرر للوحدانية ومزيح لما عسى يتوهم أن في الوجود إلها لكن لا يستحق العبادة

الرحمن الرحيم خبران آخران لمبتدأ محذوف وهو تقرير للتوحيد فإنه تعالى حيث كان موليا لجميع النعم أصولها وفروعها جليلها ودقيقها وكان ما سواه كائنا ما كان مفتقرا إليه في وجوده وما تتفرع عليه من كمالاته تحققت وحدانيته بلا ريب وانحصر استحقاق العبادة فيه تعالى قطعا قيل كان للمشركين ." (١)

" ٢٠٥٢٠٦٢٠٧ - ٧ البقرة وفصاحته لافي الآخرة لما أنه يظهر هناك كذبه وقبحه وقيل لما يرهقه من الحبسة واللكنه وأنت خبير بأنه لا مبالغة حينئذ في سوء حاله فإن مآلة بيان حسن كلامه في الدنيا وقبحه في الاخرة وقيل معنى في الحياة الدنيا مدة الحياة الدنيا أي لا يصدر منه فيها إلا القول الحسن

ويشهد الله على ما في قلبه أي بحسب إدعائه حيث يقول الله يعلم أن ما في قلبي موافق لما في لساني وهو عطف على يعجبك وقرئ ويشهد الله فالمراد بما في قلبه ما فيه حقيقة ويؤيده قراءة ابن عباس رضي الله عنهما والله يشهد على ما في قلبه على أن كلمة على لكون المشهود به مضرا له فالجملة اعتراضية وقرئ ويستشهد الله

---

(١) تفسير أبي السعود، ١٨٣/١

وهو ألد الخصام أي شديد العدواه والخصومة للمسلمين على أن الخصام مصدر وإضافة ألد اليه بمعنى في كقولهم ثبت العذر أو أشد الخصوم لهم خصومة على أنه جمع خصم كصعب وصعاب قيل نزلت في الأخنس بن شريق الثقفي وكان حسن المنظر حلو المنطق يوالى رسول الله ويدعى الإسلام والمحبة وقيل في المنافقين والجملة حال من الضمير المجرور في قوله أو من المستكن في يشهد وعطف على ما قبلها على القراءتين المتوسطتين

وإذا تولى أي من مجلسك وقيل إذا صار واليا

سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل كما فعله الأخنس بثقيف حيث بيتهم وأحرق زروعهم وأهلك مواشيهم أو كما يفعله ولاة السوء بالقتل والإتلاف أو بالظلم حتى يمنع الله تعالى بشؤمه القطر فيهلك الحرث والنسل وقرئ ويهلك الحرث والنسل على إسناد الهلاك إليهما عطفا على سعى وقرئ بفتح اللام وهي لغة وقرئ على البناء للمفعول من الإهلاك

والله لا يحب الفساد أي لا يرتضيه ويبعضه ويغضب على من يتعاطاه وهو اعتراض **تذييلي**

وإذا قيل له على نهج العظة والنصيحة

اتق الله واترك ما تباشره من الفساد أو النفاق واحذر سوء مغبته

أخذته العزة بالإثم أي حملته الأنفة وحمية الجاهلية على الإثم الذي نهى عنه لجاجا وعنادا من قولك أخذته بكذا إذا حملته عليه أوألزمته أياه

فحسبه جهنم مبتدأ وخبر أي كافيه جهنم وقيل جهنم فاعل لحسبه ساد مسد خبره وهو مصدر بمعنى الفاعل وقوى لاعتماده على الفاء الرابطة للجملة بما قبلها وقيل حسب اسم فعل ماض أي كفته جهنم

ولبئس المهاد جواب قسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف لظهورة وتعينه والمهاد الفراش وقيل ما يوطأ للجنب والجملة اعتراض

ومن الناس من يشرى نفسه مبتدأ وخبر كما مر أي يبيعها ببذلها في الجهاد ومشاق الطاعات وتعريضها للمهالك في الحروب أو يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وإن ترتب عليه القتل

ابتغاء مرضات الله أي طالبا لرضاه وهذا كمال التقوى وإيراده قسيما للأول من حيث أن ذلك يأنف من الأمر بالتقوى وهذا يأمر بذلك وإن أدى إلى الهلاك وقيل نزلت في صهيب بن سنان الرومي أخذه المشركون وعذبوه ليرتد فقال إني شيخ كبير ." (١)

" ٢٠٨٢٠٩٢١٠ - ٠ البقرة لاأنفعكم إن كنت معكم ولا أضركم إن كنت عليكم فخلوني وما أنا عليه وخذوا مالى فقبلوا منه ماله فأتى المدينة فيشرى حينئذ بمعني يشترى لجريان الحال على صورة الشرى

والله رءوف بالعباد ولذلك يكلفهم التقوى ويعرضهم للثواب والجملة اعتراض **تذييلى**

---

(١) تفسير أبي السعود، ٢١١/١

يأيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم أي الاستسلام والطاعة وقيل الإسلام وقرئ بفتح السين وهي لغة فيه بفتح اللام أيضا وقوله تعالى

كافة حال من الضمير في ادخلو ا أو من السلم او منهما معا كما في قوله ... خرجت بها تمشى تجر وراءنا ... على أثرينا ذيل مرط مرجل ... وهي في الأصل اسم لجماعة تكف مخالفها ثم استعملت في معنى جميعا وتاؤها ليست للتأنيث حتى يحتاج إلى جعل السلم مؤنثا مثل الحرب كما في قوله عز و جل وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وفي قوله ... السلم تأخذ منها مارضيت به ... والحرب يكفيك من أنفاسها جرع ...

وإنما هي للنقل كما في عامة وخاصة وقاطبة والمعنى استسلموا لله تعالى وأطيعوه جملة ظاهرا وباطنا والخطاب للمنافقين أو ادخلوا في الإسلام بكليته ولا تخلطوا به غيره والخطاب لمؤمنى أهل الكتاب فإنهم كانوا يراعون بعض أحكام دينهم القديم بعد إسلامهم أو شرائع الله تعالى كلها بالإيمان بالأنبياء عليهم السلام والكتب جيعا والخطاب لأهل الكتاب كلهم ووصفهم بالإيمان إما على طريقة التغليب وإما بالنظر إلى إيمانهم القديم أو في شعب الإسلام واحكامه كلها فلا يخلوا بشئ منها والخطاب للمسلمين وإنما خوطب أهل الكتاب بعنوان الإيمان مع أنه لا يصح الإيمان إلا بما كلفوه الآن إيذانا بأن ما يدعونه لا يتم بدونه

ولا تتبعوا خطوات الشيطان بالتفرق والتفريق أو بمخالفة ما أمرتم به

إنه لكم عدو مبين ظاهر العداوة أو مظهر لها وهو تعليل للنهى أو الانتهاء

فإن زللتم أي عن الدخول في السلم وقرئ بكسر اللام وهي لغة فيه

من بعد ما جاءتكم الايات

البينات والحجج القطعية الدالة على حقيقته الموجبة للدخول فيه

فاعلموا أن الله عزيز غالب على أمره لا يعجزه الانتقام منكم

حكيم لايترك ما تقتضيه الحكمة من مؤاخذة المجرمين المستعصين على أوامره

هل ينظرون استفهام إنكاري في معنى النفى أي ما ينتظرون بما يفعلون من العناد والمخالفة في الامتثال بما أمروا به والانتهاء عما نهوا عنه

إلا أن يأتيهم الله أي أمره و بأسه أو يأتيهم الله بامره و بأسه فحذف المأتى به لدلالة الحال عليه والالتفات إلى الغيبة للإيذان بأن سوء صنيعهم موجب للإعراض عنهم وحكاية جنايتهم لمن عداهم من أهل الإنصاف على طريقة المباثة وإيراد الانتظار للإشعار بأنهم لانهماكهم فيما هم فيه من موجبات العقوبة ." (١)

" ٢٤٧ - البقرة وأربعين نفسا وضربوا عليهم الجزية وأخذوا توراتهم

فلما كتب عليهم القتال بعد سؤال النبي ذلك وبعث الملك

---

(١) تفسير أبي السعود، ٢١٢/١

تولوا أي اعرضوا وتخلفوا لكن لا في ابتداء الأمر بل بعد مشاهدة كثرة العدو وشوكته كما سيجئ تفصيله وإنما ذكر ههنا مآل أمرهم إجمالا إظهار لما بين قولهم وفعلهم من التنافي والتباين

إلا قليلا منهم وهم الذين اكتفوا بالغرفة من النهر وجاوزوه وهم ثلثمائة وثلاثة عشر بعدد اهل بدر

والله عليم بالظالمين وعيد لهم على ظلمهم بالتولي عن القتال وترك الجهاد وتنافي أقوالهم وأفعالهم والجملة اعتراض تذييلي

وقال لهم نبيهم شروع في تفصيل ما جرى بينه عليه السلام وبينهم من الأقوال والأفعال إثر الإشارة الإجمالية إلى مصير حالهم أي قال لهم بعد ما أوحى إليه مأأوحى

أن الله قد بعث لكم طالوت ملكا طالوت علم عبرى كداود وجعله فعلوتا من الطول يأباه منع صرفه وملكا حال منه روى أنه عليه السلام لما دعا ربه أن يجعل لهم ملكا أتى بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها إلا طالوت

قالوا استئناف كما مر

أني يكون له الملك علينا أي من أين يكون أو كيف يكون ذلك

ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال الواو الأولى حالية والثانية عاطفة جامعة للجملتين في الحكم أي كيف يتملك علينا والحال أنه لا يستحق التملك لوجود من هو أحق منه ولعدم ما يتوقف عليه الملك من المال وسبب هذا الاستبعاد ان النبوة كانت مخصوصة بسبط معين من أسباط بنى إسرائيل وهو سبط لاوى بن يعقوب عليه السلام وسبط المملكة بسبط يهودا ومنه داود وسليمان عليهما السلام ولم يكن طالوت من أحد هذين السبطين بل من ولد بنيامين قيل كان راعيا وقيل دباغا وقيل سقاء

قال إن الله اصطفاه عليكم لما استبعدوا تملكة بسقوط نسبه وبفقره رد عليهم ذلك أولا ملاك الأمر هو اصطفاء الله تعالى وقد اختاره عليكم وهو أعلم بالمصالح منكم وثانيا بان العمدة فيه وفور العلم ليتمكن به من معرفة أمور السياسة وجسامة البدن ليعظم خطره في القلوب ويقدر على مقاومة الأعداء ومكابدة الحروب وقد خصه الله تعالى منهما بحظ وافر وذلك قوله عز و جل

وزاده بسطة في العلم أي العلم المتعلق بالملك أو به وبالديانات أيضا وقيل قد اوحى إليه ونبئ

والجسم قيل بطول القامة فإنه كان أطول من غيره برأسه ومنكبيه حتى أن الرجل القائم كان يمديده فينال رأسه وقيل بالجمال وقيل بالقوة

والله يؤتى ملكه من يشاء لما انه مالك الملك والملكوت فعال لما يريد فله أن يؤتيه من يشاء من عبادة

والله واسع يوسع على الفقير ويغنيه

عليم بمن يليق بالملك ممن لا يليق به وأظهار الاسم الجليل لتربية المهابة ." (١)

" تكفي الرجل لشربه وادواته ودوابه واما الذين شربوا منه فقد اسودت شفاههم وغلبهم العطش

---

(١) تفسير أبي السعود، ١/٢٤٠

فشربوا منه عطف على مقدر يقتضيه المقام أي فابتلوا به فشربوا منه

إلا قليلا منهم وهو المشار إليهم فيما سلف بالاستثناء من تولى وقرئ إلا قليل منهم ميلا إلى جانب المعنى وضربا عن عدوة اللفظ جانبا فإن قوله تعالى فشربوا منه في قوة أن يقال فلم يطيعوه فحق أن يرد المستثني مرفوعا كما في قول الفرزدق ... وعض الزمان ياابن مروان لم يدع ... من المال إلا مسحت او مجلف ... فإن قوله لم يدع في حكم لم يبق

فلما جاوزه أي النهر

هو أي طالوت

والذين آمنوا معه عطف على الضمير المتصل المؤكد بالمنفصل والظرف متعلق بجاوز لا بآمنوا وقيل الواو حالية والظرف متعلق بمحذوف وقع خبرا من الموصول كأنه قيل فلما جاوزه والحال أن الذين آمنوا كائنون معه وهم أولئك القليل وفيه إشارة إلى أن من عداهم بمعزل من الإيمان

قالوا أي بعض من معه من المؤمنين لبعض

لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده أي بمحاربتهم ومقاومتهم فضلا عن أن يكون لنا غلبة عليهم لما شاهدوا منهم من الكثرة والشدة قيل كانوا مائة ألف مقاتل شاكي السلاح

قال استئناف مبنى على السؤال كأنه قيل فماذا قال مخاطبهم فقيل قال

الذين يظنون أنهم ملاقوا الله قيل أي الخلص منهم الذين يتيقنون لقاء الله تعالى بالبعث ويتوقعون ثوابه وإفرادهم بذلك الوصف لا ينافى إيمان الباقين فإن درجات المؤمنين في التيقن والتوقع متفاوتة أو الذين يعلمون أنهم يستشهدون عما قريب فيلقون الله تعالى وقيل الموصول عبارة عن المؤمنين كافة والضمير في قالوا للمنخذلين عنهم كأنهم قالوه اعتذارا عن التخلف والنهر بينهما

كم من فئة أي فرقة وجماعة من الناس من فأوت رأسه إذا شققتها أو من فاء إليه إذا رجع فوزنها على الأول فعه وعلى الثاني فلة

قليليلة غلبت فئة كثيرة وكم خبرية كانت أواستفهامية مفيدة للتكثير وهي في حيز الرفع بالابتداء خبرها غلبت أي كثير من الفئات القليلة غلبت الفئات الكثيرة

بإذن الله أي بحكمه وتيسيره فإن دوران كافة الأمور على مشيئته تعالى فلا يذل من نصره وإن قل عدده ولا يعز من خذله وإن كثر أسبابه وعدده وقد روعى في الجواب نكتة بديعة حيث لم يقل أطاقت بفئة كثيرة حسبما وقع في كلام أصحابهم مبالغة في رد مقالتهم وتسكين قلوبهم وهذا كما ترى جواب ناشئ من كمال ثقتهم بنصر الله تعالى وتوفيقه ولا دخل في ذلك لظن لقاء الله تعالى بالبعث لاسيما بالاستشهاد فإن العلم به ربما يورث اليأس من الغلبة ولا لتوقع ثوابه تعالى ولاريب في أن ما ذكر في حيز الصلة ينبغى ان يكون مدارا للحكم الوارد على الموصول فلا أقل من أن يكون وصفا ملائما له فلعل المراد بلقائه تعالى لقاء نصره وتأييده عبر عنه بذلك مبالغة كما عبر عن مقارنة نصره تعالى بمقارنته سبحانه حيث قيل

والله مع الصابرين فإن المراد به معية نصره وتوفيقه حتما وحملها على المعية بالإثابة كما فعل يأباه أنهم إنما قالوه تتميا لجوابهم وتأكيدا له بطريق الاعتراض **التذييلي** تشجيعا لأصحابهم وتثبيتا لهم على الصبر المؤدى إلى الغلبة ولا تعلق له بما ذكر من المعية بالإثابة قطعا وكذا الحال إذا جعل ذلك ابتداء كلام من جهة الله تعالى جئ به تقريرا لكلامهم والمعنى قال الذين يظنون أو يعلمون من جهة النبي أو من جهة التابوت والسكينة أنهم ملاقو نصر العزيز كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله تعالى فنحن نغلب جالوت وجنوده وإيراد خبر أن اسما مع أن اللقاء ." (١)

" ٢٥٧ – البقرة بالطاغوت هو بناء مبالغة من الطغيان كالملكوت والجبروت قلب مكان عينه ولامه فقيل هو في الأصل مصدر وإليه ذهب الفارسي وقيل اسم جنس مفرد مذكر وإنما الجمع والتأنيث لإرادة الآلهة وهو رأي سيبوية وقيل هو جمع وهو مذهب المبرد وقيل يستوى فيه المفرد والجمع والتذكير والتأنيث أي فمن يعمل أثر ما تميز الحق من الباطل بموجب الحجج الواضحة والآيات البينة ويكفر بالشيطان أو بالأصنام أو بكل ماعبد من دون الله تعالى أو صد عن عبادته تعالى لما تبين له كونه بمعزل من استحقاق العبادة

ويؤمن بالله وحدة لما شاهد من نعونة الجليلة المقتضية لاختصاص الألوهية به عز و جل الموجبة للإيمان والتوحيد وتقديم الكفر بالطاغوت على الإيمان به تعالى لتوقفه عليه فإن التخلية متقدمة على التحلية

فقد استمسك بالعروة الوثقى أي بالغ في التمسك بها كأنه وهو ملتبس به يطلب من نفسه الزيادة فيه والثبات عليه

لاانفصام لها الفصم الكسر بغير إبانة كما ان القصم هو الكسر بإبانة ونفىالأول يدل على انتفاء الثاني بالأولوية والجملة إما استئناف مقرر لما قبلها من وثاقة العروة وإما حال من العروة والعامل استمسك أو من الضمير المستتر في الوثقى ولها في حيز الخبر أي كائن لها والكلام تمثيل مبنى على تشبيه الهيئة العقلية المنتزعة من ملازمة الاعتقاد الحق الذي لا يحتمل النقيض أصلا لثبوته بالبراهين النيرة القطعية بالهيئة الحسية المنتزعة من التمسك بالحبل المحكم المأمون انقطاعه فلا استعارة في المفردات ويجوز أن تكون العروة الوثقى مستعارة للاعتقاد الحق الذي هو الإيمان والتوحيد لا للنظر الصحيح المؤدى إليه كما قيل فإنه غير مذكور في حيز الشرط والاستمساك بها مستعارا لما ذكر من الملازمة أو ترشيحا للاستعارة الأولى

والله سميع بالأقوال

عليم بالعزائم والعقائد والجملة اعتراض **تذييلي** حامل على الإيمان رادع عن الكفر والنفاق بما فيه من الوعد والوعيد

الله ولى الذين آمنوا أي معينهم او متولى أمورهم والمراد بهم الذين ثبت في علمه تعالى إيمانهم في الجملة مالأو حالا يخرجهم تفسير للولاية أو خبر ثان عند من يجوز كونه جملة أو حال من الضمير في ولى

من الظلمات التي هي أعم من ظلمات الكفر والمعاصى وظلمات الشبة بل مما في بعض مراتب العلوم الاستدلالية من نوع ضعف وخفاء بالقياس إلى مراتبها القوية الجلية بل مما في جميع مراتبها بالنظر إلى مرتبة العيان كما ستعرفه

---

(١) تفسير أبي السعود، ٢٤٣/١

إلى النور الذي يعم نور الإيمان ونور الإيقان بمراتبه ونور العيان أي يخرج بهدايته وتوفيقه كل واحد منهم من الظلمة التي وقع فيها إلى ما يقابلها من النور وإفراد النور لوحده الحق كما أن جمع الظلمات لتعدد فنون الضلال

والذين كفروا أي الذين ثبت في علمه تعالى كفرهم

أولياؤهم أي الشياطين وسائر المضلين عن طريق الحق فالموصول مبتدأ وأولياؤهم مبتدأ ثان والطاغوت خبره والجملة خبر للأول والجملة معطوفة على ماقبلها ولعل تغيير السبك للأحتراز عن وضع الطاغوت في ." (١)

" ٢٦٣٢٦٤ - البقرة لايتبعون ما أنفقوا أي ما أنفقوه أو إنفاقهم

منا ولا أذى المن أن يعتد على من أحسن إلية بإحسانه ويريه أنه اوجب بذلك عليه حقا والأذى أن يتطاول عليه بسبب إنعامه عليه وإنما قدم المن لكثرة وقوعه وتوسيط كلمة لا للدلالة على شمول النفي لاتباع كل واحد منهما و ثم لإظهار علو رتبة المعطوف قيل نزلت في عثمان رضي الله عنه حين جهز جيش العسرة بألف بعير بأقتابها وأحلاسها وعبد الرحمن ابن عوف رضي الله عنه حين اتى النبي باربعة آلاف درهم صدقة ولم يكد يخطر ببالهما شئ من المن والأذى

لهم اجرهم اى حسبما وعد لهم فى ضمن التمثيل وهو جملة مبتدأ وخبر وقعت خبرا عن الموصول وفي تكرير الاسناد وتقييد الأجر بقوله عند ربهم من التأكيد والتشريف ما لا يخفى وتخلية الخبر عن الفاء المفيدة لسببية ما قبلها لما بعدها للإيذان بأن ترتب الأجر على ما ذكر من الإنفاق وترك اتباع المن والأذى أمر بين لا يحتاج إلى التصريح بالسببية وأما إيهام أنهم أهل لذلك وإن لم يفعلوا فكيف بهم إذا فعلوا فيأباه مقام الترغيب في الفعل والحث عليه

ولا خوف عليهم في الدارين من لحوق مكروه من المكاره

ولا هم يحزنون لفوات مطلوب من المطالب قل أو جل أي لا يعتريهم ما يوجبه لا أنه يعتريهم ذلك لكنهم لا يخافون ولا يحزنون ولا أنه لا يعتريهم خوف وحزن أصلا بل يستمرون على النشاط والسرور كيف لا واستشعار الخوف والخشية استعظاما لجلال الله و هيبته واستقصارا للجد والسعى في إقامة حقوق العبودية من خواص الخواص والمقربين والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما ان النفى وإن دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام

قول معروف أي كلام جميل تقبله القلوب ولا تنكره يرد به السائل من غير إعطاء شئ

ومغفرة أي ستر لما وقع من السائل من الإلحاف في المسألة وغيره مما يثقل على المسئول وصفح عنه وإنما صح الابتداء بالنكرة في الأول لاختصاصها بالوصف وفي الثاني بالعطف أو بالصفة المقدرة أي ومغفرة كائنة من المسئول

خير أي للسائل

من صدقة يتبعها أذى لكونها مشوبة بضرر ما يتبعها وخلوص الأولين من الضرر والجملة مستأنفة مقررة لاعتبار ترك اتباع المن والأذي وتفسير المغفرة بنيل مغفرة من الله تعالى بسبب الرد الجميل أو بعفو السائل بناء على اعتبار الخيرية بالنسبة إلى المسئول يؤدى إلى أن يكون في الصدقة الموصوفة بالنسبة إليه خير في الجملة مع بطلانها بالمرة

---

(١) تفسير أبي السعود، ٢٥٠/١

والله غنى لا يحوج الفقراء إلى تحمل مؤنة المن والأذى ويرزقهم من جهة أخرى

حليم لا يعاجل أصحاب المن والأذى بالعقوبة لا أنهم لا يستحقونها بسببهما والجملة **تذييل** لما قبلها مشتمل على الوعد والوعيد مقرر لاعتبار الخيرية بالنسبة إلى السائل قطعا

يأيها الذين آمنوا ." (١)

" ٢٦٥ – البقرة أقبل عليهم بالخطاب إثر بيان ما بين بطريق الغيبة مبالغة في إيجاب العمل بموجب النهى

لاتبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى أي لاتحبطوا أجرها بواحد منهما

كالذي في محل النصب إما على أنه نعت لمصدر محذوف أي لاتبطلوها إبطالا كإبطال الذي

ينفق ماله رئاء الناس وإما على أنه حال من فاعل لاتبطلوا أي لا تبطلوها مشابهين الذي ينفق أي الذي يبطل إنفاقه بالرياء وقيل من ضمير المصدر المقدر على ما هو رأى سيبوبه وانتصاب رئاء إما على أنه علة لينفق أي لأجل رئائهم أو على أنه حال من فاعله أي ينفق ماله مرائيا والمراد به المنافق لقوله تعالى

ولا يؤمن بالله واليوم الآخر حتى يرجوا ثوابا أو يخشى عقابا

فمثله الفاء لربط ما بعدها بما قبلها أي فمثل المرائي في الإنفاق وحالته العجيبة

كمثل صفوان أي حجر أملس

عليه تراب أي شئ يسير منه

فأصابه وابل أي مطر عظيم القطر

فتركه صلدا ليس عليه شئ من الغبار أصلا

لا يقدرون على شئ مما كسبوا لا ينتفعون بما فعلوا رئاء ولا يجدون له ثوابا قطعا كقوله تعالى فجعلناه هباء منثورا والجملة استئناف مبنى على السؤال كأنه قيل فماذا يكون حالهم حينئذ فقيل لا يقدرون الخ ومن ضرورة كون مثلهم كما ذكر كون مثل من يشبههم وهم أصحاب المن والأذى كذلك والضميران الأخيران للموصول باعتبار المعنى كما في قوله عز و جل وخضتم كالذي خاضوا لما أن المراد به الجنس أو الجمع أو الفريق كما أن الضمائر الأربعة السابقة له باعتبار اللفظ

والله لا يهدى القوم الكافرين إلى الخير والرشاد والجملة **تذييل** مقرر لمضمون ما قبله وفيه تعريض بأن كلا من الرياء والمن والأذى من خصائص الكفار ولا بد للمؤمنين أن يجتنبوها

ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله أي لطلب رضاه

وتثبيتا من أنفسهم أي ولتثبيت بعض أنفسهم على الإيمان فمن تبعيضيه كما في قولهم هز من عطفه وحرك من نشاطه فإن المال شقيق الروح فمن بذل ماله لوجه الله تعالى فقد ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه فقد ثبتها كلها أو وتصديقا للإسلام وتحقيقا للجزاء من أصل أنفسهم فمن ابتدائية كما في قوله تعالى حسدا من عند أنفسهم ويحتمل أن

---

(١) تفسير أبي السعود، ١/٢٥٨

يكون المعنى وتثبيتا من أنفسهم عند المؤمنين أنها صادقة الإيمان مخلصة فيه ويعضده قراءة من قرأ وتبيينا من أنفسهم وفيه تنبيه على أن حكمة الإنفاق للمنفق تزكية النفس عن البخل وحب المال الذي هو رأس كل خطيئة

كمثل جنة بربوة الربوة بالحركات الثلاث وقد قرئت بها المكان المرتفع أي مثل نفقتهم في الزكاة كمثل بستان كائن بمكان مرتفع مأمون من أن يصطلمه البرد للطافة هوائه بهبوب الرياح الملطفة له فإن أشجار الربا تكون أحسن منظرا وأزكى ثمرا وأما الأراضي المنخفضة فقلما تسلم ثمارها من البرد لكثافة هوائها بركود الرياح وقرئ كمثل حبة

أصابها وابل مطر عظيم القطر

فآتت أكلها ثمرتها وقرئ بسكون الكاف تخفيفا

ضعفين أي مثلى ما كانت تثمر في سائر الأوقات بسبب ما أصابها من ." (١)

" ٢٦٩ – البقرة على شئ من زمان أو غيره يستعمل في الشر استعماله في الخير قال تعالى النار وعدها الله الذين كفروا أي يعدكم في الإنفاق الفقر ويقول إن عاقبة إنفاقكم ان تفتقروا وإنما عبر عن ذلك بالوعد مع أن الشيطان لم يضف مجئ الفقر إلى جهته للإيذان بمبالغته في الإخبار بتحقق مجيئة كأنه نزوله في تقرر الوقوع منزلة أفعاله الواقعة بحسب إرادته أو لوقوعه في مقابلة وعده تعالى على طريقة المشاكلة وقرئ بضم الفاء والسكون وبضمتين وبفتحتين

ويامركم بالفحشاء أي بالخصلة الفحشاء أي ويغريكم على البخل ومنع الصدقات إغراء الآمر للمأمور على فعل المأمور به والعرب تسمى البخيل فاحشا قال طرفة بن العبد ... أرى الموت يعتام الكرام ويصطفى ... عقيلة مال الفاحش المتشدد ...

وقيل بالمعاصي والسيئات

والله يعدكم أي في الإنفاق

مغفرة لذنوبكم والجار في قوله تعالى

منه متعلق بمحذوف هو صفة لمغفرة مؤكدة لفخامتها التي أفادها تنكيرها أي مغفرة أي مغفرة كائنة منه عز و جل

وفضلا صفة محذوفة لدلالة المذكور عليها كما في قوله تعالى فانقلبوا بنعمة من الله وفضل ونظائره أي وفضلا كائنا منه تعالى أي خلفا مما أنفقتم زائدا عليه في الدنيا وفيه تكذيب للشيطان وقيل ثوابا في الآخرة

والله واسع قدرة وفضلا فيحقق ما وعدكم به من المغفرة وإخلاف ما تنفقونه

عليم مبالغ في العلم فيعلم إنفاقكم فلا يكاد يضيع أجركم أو يعلم ما سيكون من المغفرة والفضل فلا احتمال للخلف في الوعد والجملة **تذييل** مقرر لمضمون ما قبله

يؤتى الحكمة قال مجاهد الحكمة هي القرآن والعلم والفقة روى عن ابن نجيح أنها الإصابة في القول والعمل وعن إبراهيم النخعي انها معرفة معاني الأشياء وفهمها وقيل هي معرفة حقائق الأشياء وقيل هي الإقدام على الأفعال الحسنة

(١) تفسير أبي السعود، ٢٥٩/١

الصائبة وعن مقاتل أنها تفسر في القرآن بأربعة أوجه فتارة بمواعظ القرآن وأخرى بما فيه من عجائب الأسرار ومرة بالعلم والفهم وأخرى بالنبوة ولعل الأنسب بالمقام ما ينتظم الأحكام المبينة في تضاعيف الايات الكريمة من أحد الوجهين الأولين ومعنى أيتائها تبيينها والتوفيق للعلم والعمل بها أي بينها ويوفق للعلم والعمل بها

من يشاء من عبادة ان يؤتيها إياه بموجب سعة فضله وإحاطة علمه كما آتاكم ما بينه في ضمن الآى من الحكم البالغة التي يدور عليها فلك منافعكم فاغتنموها وسارعوا إلى العمل بها والموصول مفعول أول ليؤتى قدم عليه الثاني للعناية به والجملة مستأنفة مقررة لمضمون ما قبلها

ومن يؤت الحكمة على بناء المفعول وقرئ على البناء للفاعل أي ومن يؤته الله الحكمة واظهار في مقام الإضمار لإظهار الاعتناء بشأنها وللإشعار بعلة الحكم

فقد أوتى خيرا كثيرا أي أي خير كثير فإنه قد خير له خير الدارين

وما يذكر أي وما يتعظ بما أوتى من الحكمة أو وما يتفكر فيها

إلا أولوا الألباب أي العقول الخالصة عن شوائب الوهم والركون الى مشايعة الهوى وفيه من الترغيب في المحافظة على الأحكام الواردة في شأن الإنفاق مالا يخفى والجملة إما حال أو اعتراض **تذييلي** ." (١)

" ٢٨٥ – البقرة كيف لا وعلمه سبحانه بمعلوماته متعال عن أن يكون بطريق حصول الصور بل وجود كل شئ في نفسه في أي طور كان علم بالنسبة إليه تعالى وهذا لا يختلف الحال بين الأشياء البارزة والكامنة خلا أن مرتبه الإخفاء متقدمة على مرتبة الإبداء إذ ما من شئ يبدى إلا وهو او مباديه قبل ذلك مضمر في النفس فتعلق علمه تعالى بحالته الأولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية وقد مر في تفسير قوله تعالى أولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون

فيغفر بالرفع على الاستئناف أي فهو يغفر بفضله

لمن يشاء أن يغفر له

ويعذب بعدله

من يشاء أن يعذبه حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح وتقديم المغفرة على التعذيب لتقدم رحمته على غضبه وقرئ بجزم الفعلين عطفا على جواب الشرط وقرئ بالجزم من غير فاء على أنهما بدل من الجواب بدل البعض أو الاشتمال ونظيره الجزم على البدلية من الشرط في قوله ... متى تأتنا تلمم بنافي ديارنا ... تجد حطبا جزلا ونارا تأججا ... وإدغام الراء في اللام لحن

والله على كل شئ قدير **تذييل** مقرر لمضمون ما قبله فإن كمال قدرته تعالى على جميع الأشياء موجب لقدرته سبحانه على ما ذكر من المحاسبة وما فرع عليه من المغفرة والتعذيب

آمن الرسول لما ذكر في فاتحة السورة الكريمة أن ما انزل إلى الرسول من الكتاب العظيم الشان هدى للمتصفين بما فصل هناك من الصفات الفا ضلة التي من جملتها الإيمان به وبما انزل قبله من الكتب الإلهية وأنهم حائزون لإثرتى الهدى

---

(١) تفسير أبي السعود، ٢٦٢/١

والفلاح من غير تعيين لهم بخصوصهم ولا تصريح بتحقيق اتصافهم بها إذ ليس فيما يذكر في حيز الصلة حكم بالفعل وعقب ذلك ببيان حال من كفر به من المجاهرين والمنافقين ثم شرح في تضاعيفها من فنون الشرائع والأحكام والمواعظ والحكم وأخبار سوالف الأمم وغير ذلك ما تقتضى الحكمة شرحة عين في خاتمتها المتصفون بها وحكم باتصافهم بها على طريق الشهادة لهم من جهته عز و جل بكمال الإيمان وحسن الطاعة وذكر بطريق الغيبة مع ذكر هناك بطريق الخطاب لما أن حق الشهادة الباقية على مر الدهور أن لا يخاطب بها المشهود له ولم يتعرض ههنا لبيان فوزهم بمطالبهم التي من جملتها ما حكى عنهم من الدعوات الآتية إيذانا بانه أمر محقق غنى عن التصريح به لاسيما بعد ما نص عليه فيما سلف وإيراده بعنوان الرسالة المنبئة عن كونه صاحب كتاب مجيد وشرع جديد تمهيد لما يعقبه من قوله تعالى

بما أنزل أليه ومزيد توضيح لاندراجه في الرسل المؤمن بهم عليهم السلام والمراد بما انزل إليه ما يعم كله وكل جزء من أجزائه ففيه تحقيق لكيفية إيمانه وتعيين لعنوانه أي آمن عليه السلام بكل ماأنزل إليه

من ربه والكتب وغير ذلك من حيث أنه منزل منه تعالى وإما الإيمان بحقية أحكامه وصدق أخباره ونحو ذلك فمن فروع الإيمان به من الحيثية المذكورة وفي هذا الإجمال إجلال لمحله وإشعار بأن تعلق إيمانه بتفاصيل ما أنزل إليه وإحاطته بجميع ما أنطوى ." (١)

" ٢٨٦ - البقرة إيمانهم

سمعنا أى فهمنا ما جاءنا من الحق وتيقنا بصحته

وأطعنا ما فيه من الأ وامر والنواهى وقيل سمعنا أجبنا دعوتك وأطعنا أمرك

غفرانك ربنا أى اغفر لنا غفرانك أو نسألك غفرانك ذنوبنا المتقدمة او مالا يخلو عنه البشر من التقصير فى مراعاة حقوقك وتقديم ذكر السمع والطاعة على طلب الغفران لما أن تقديم الوسيلة على المسئول أدعى إلى الإجابة والقبول والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة اليهم للمبالغة في التضرع والجؤار

واليك المصير أى الرجوع بالموت والبعث لا إلى غيرك وهو تذييل لما قبلة مقرر للحاجة إلى المغفرة لما أن الرجوع للحساب والجزاء وقولة تعالى

لايكلف اللة نفسا إلاوسعها جملة مستقلة جىء بها إثر حكاية تلقيهم لتكاليفه تعالى بحسن الطاعة إظهارا لما لة تعالعليهم فى ضمن التكليف من محاسن آثار الفضل والرحمة ابتداء لا بعد السؤال كما سيجئ هذا وقد روى أنه لما نزل قوله تعالى وإن تبدوا ما فى انفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله الآية اشتد ذلك على أصحاب رسول الله فأتوه علية السلام ثم بركوا على الركب فقا لوا أى رسول اللة كلفنا من الأعمال ما نطيق الصلاة والصوم والحج والجهاد وقد انزل اليك هذه الآية ولا نطيقها فقال أى رسول اللة أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فقرأها القوم فأنزل اللة عز و جل آمن الرسول بما انزل الية من ربة الى قولة تعالى ربنا واليك المصيرفمسئولهم الغفران المعلق بمشئتة عز و جل في قولة فيغفر لمن يشاء ثم انزل اللة تعالى لا يكلف اللة نفساإلا

---

(١) تفسير أبي السعود، ٢٧٣/١

وسعها تهوينا للخطب عليهم بيان ان المراد بما في انفسهم ما عزموا علية من السوء خاصة لا ما يعم الخواطر ا لتى لا يستطاع الأحتراز عنها والتكليف إلزام ما فية كلفة ومشقة والوسع ما يسع الانسان ولا يضيق علية أى سنتة تعا لى انة لا بكلف نفسا من النفوس الا ما يتسع فية طوقها ويتيسر عليها دون مدى الطاقة والمجهود منة رحمة لهذة الامة كقولة تعالى يريد اللة بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقرىء وسعها بالفتح وهذا يدل على عدم وقوع التكليف بالمحال لا على امتناعة وقولة تعالى

لها ما كسبت وعليها ما أكتسبت للترغيب فى المحافظة علىمواجب التكليف والتحذير عن الإخلال بها بيان إن تكليف كل نفس مع مقارنتة لنعمة التخفيف والتيسير تتضمن مراعاتة منفعة زائدةوانها تعود اليها لاألى غيرها وبستتبع الإخلال بة مضرة تحيق بها لا بغيرها فأن ذفأن اختصاص منفعة الفعل بفاعلة من اقوىالدواعى إلى تحصيلة وإقتصار مضرتة علية من اشد الزواجر عن مباشرتة أى لها ثواب ما كسبت من الخير والذي كلفت فعلة لا لغيرها استقلالا أواشتراكا ضرورة شمول كلمة ما لكل جزء من اجزاء مكسوبها وعليها لا على غيرها بأحد الطريقين المذكورين عقاب ما اكتسبت من الشر الذى كلفت تركة وايراد ." (١)

" أي أنزلهما من قبل تنزيل الكتاب والتصريح به مع ظهور الأمر للمبالغة في البيان

هدى للناس في حيز النصب على أنه علة للإنزال أي أنزلهما لهداية الناس أو على أنه حال منهما أي أنزلهما حال كونهما هدى لهم والإفراد لما أنه مصدر جعلا نفس الهدى مبالغة أو حذف منه المضاف أي ذوى هدى ثم إن أريد هدايتهما بجميع ما فيهما من حيث هو جميع فالمراد بالناس الأمم الماضية من حين نزولهما إلى زمان نسخهما وأن أريد هدايتهما على الإطلاق وهو الأنسب بالمقام فالناس على عمومه لما أن هدايتهما بما عد الشرائع المنسوخة من الأمور التي يصدقهما القرآن فيها ومن جملتها البشارة بنزوله وبمبعث النبي تعم الناس قاطبة

وأنزل الفرقان الفرقان في الأصل مصدر كالغفران أطلق على الفاعل مبالغة والمراد به ههنا أما جنس الكتب إلهية عبر عنها بوصف شامل لما ذكر منها ومالم يذكر على طريق التتميم بالتعميم إثر تخصيص بعض مشاهيرها بالذكر كما في قوله عز و جل فأنبتنا فيها حبا وعنبا إلى قوله تعالى وفاكهة وإما نفس الكتب المذكورة أعيد ذكرها بوصف خاص لم يذكر فيما سبق على طريقة العطف بتكرير لفظ الإنزال تنزيلا للتغاير الوصفى منزلة التغاير الذاتي كما في قوله سبحانه ولما جاء أمرنا نجينا هودا والذين آمنو معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ وإما الزبور فإنه مشتمل على المواعظ الفارقة بين الحق والباطل الداعية إلى الخير والرشاد الزاجرة عن الشر والفساد وتقديم الإنجيل عليه مع تأخره عنه نزولا لقوة مناسبته للتوراة في الإشتمال على الأحكام والشرائع وشيوع اقترانهما في الذكر وإما القرآن نفسه ذكر بنعت مادح له بعد ما ذكر باسم الجنس تعظيما لشأنه ورفعا لمكانة وقد بين أولا تنزيله التدريجي إلى الأرض وثانيا إنزاله الدفعى إلى السماء الدنيا أو أريد بإنزال القدر المشترك العارى عن قيد التدريج وعدمه وإما المعجزات المقرونة بغنزال الكتب المذكورة الفارقة بين المحق والمبطل

---

(١) تفسير أبي السعود، ١/٢٧٦

إن الذين كفروا بآيات الله وضع موضع الضمير العائد إلى ما فصل من الكتب المنزلة أو منها ومن المعجزات وآيات مضافة إلى الاسم الجليل تعيينا لحيثية كفرهم وتهويلا لأمرهم وتأكيدا لاستحقاقهم العذاب الشديد وإيذانا بأن ذلك الاستحقاق لا يشترط فيه الكفر بالكل بل يكفى فيه الكفر ببعض منها والمراد بالموصول إما أهل الكتابين وهو الأنسب بمقام المحاجة معهم أو جنس الكفرة وهم داخلون فيه دخولا أوليا أي ان الذين كفروا بما ذكر من آيات الله الناطقة بالحق لاسيما بتوحيده تعالى وتنزيهه عما لا يليق بشأنه الجليل كلا أوبعضا مع ما بها من النعوت الموجبة للإيمان بها بأن كذبوا بالقرآن أصالة وبسائر الكتب الإلهية تبعا لما ان تكذيب المصدق موجب لتكذيب ما يصدقه حتما وأصالة أيضا بأن كذبوا بآياتها الناطقة بالتوحيد والتنزيه وآياتها المبشرة بنزول القرآن ومبعث النبي وغيروها

لهم بسبب كفرهم بها

عذاب مرتفع إما على الفاعلية من الجار والمجرور أو على الابتداء والجملة خبر أن والتنوين للتفخيم أي أي عذاب شديد لا يقادر قدره وهو وعيد جئ به إثر تقرير أمرالتوحيد الذاتي والوصفى والإشارة إلى ما ينطق بذلك من الكتب الإلهية حملا على القبول والإذعان وزجرا عن الكفر والعصيان

والله عزيز لا يغالب يفعل ما يشاء ويحكم ما يرد

ذو انتقام عظيم خارج عن أفراد جنسه وهو افتعال من النقمة وهي السطورة والتسلط يقال انتقم منه إذا عاقبه بجنايته والجملة اعتراض تذييلى مقرر للوعيد ." (١)

"كما أن المشكل في الأصل ما دخل في أشكاله وأمثاله ولم يعلم بعينه ثم أطلق على كل غامض وإن لم يكن غموضه من تلك الجهة وإنما جعل ذلك كذلك ليظهر فضل العلماء ويزداد حرصهم على الاجتهاد في تدبرها وتحصيل العلوم التي نيط بها استنباط ما أريد بها من الأحكام الحقة فينالوا بها وبإتعاب القرائح في استخراج مقاصدها الرائقة ومعانيها اللائقة المدارج العالية ويعرجوا بالتوفيق بينها وبين المحكمات من اليقين والاطمئنان إلى المعارج القاصية وأما قوله عز و جل الر كتاب أحكمت آياته فمعناه أنها حفظت من اعتراء الخلل أو من النسخ أو أيدت بالحجج القاطعة الدالة على حقيتها أو جعلت حكيمة لانطوائها على جلائل الحكم البالغة ودقائقها وقوله تعالى كتابا متشابها مثاني معناه متشابه الأجزاء أي يشبه بعضها بعضا في صحة المعنى وجزالة النظم وحقية المدلول

فأما الذين في قلوبهم زيغ أي ميل عن الحق إلى الأهواء الباطلة قال الراغب الزيغ الميل عن الاستقامة إلى أحد الجانبين وفي جعل قلوبهم مقرا للزيغ مبالغة في عدولهم عن سنن الرشاد وإصرارهم على الشر والفساد

فيتبعون ما تشابه منه معرضين عن المحكمات أي يتعلقون بظاهر المتشابه من الكتاب أو بتأويل باطل لا تحريا للحق بعد الإيمان بكونه من عند الله تعالى بل

ابتغاء الفتنة أي طلب أن يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك والتلبيس ومناقضة المحكم بالمتشابه كما نقل عن الوفد

---

(١) تفسير أبي السعود، ٥/٢

وابتغاء تأويله أي وطلب أن يؤلوه حسبما يشتهونه من التأويلات الزائغة والحال أنهم بمعزل من تلك الرتبة وذلك قوله عز و جل

وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم فإنه حال من ضمير فيتبعون باعتبار العلة الأخيرة أي يتبعون المتشابه لابتغاء تأويله والحال أنه مخصوص به تعالى وبمن وفقه له من عباده الراسخين في العلم أي الذين ثبتوا وتمكنوا فيه ولم يتزلزلوا في مزال الأقدام في تعليل الاتباع بابتغاء تأويله دون نفس تأويله وتجريد التأويل عن الوصف بالصحة او الحقية أيذان بأنهم ليسوا من التأويل في شئ وأن ما يبتغونه ليس بتأويل أصلا لا أنه تأويل غير صحيح قد يعذر صاحبة ومن وقف على الا الله فسر المتشابه بما استأثر الله عز وعلا بعلمه كمده بقاء الدنيا ووقت قيام الساعة وخواص الاعداد كعدد الزبانية أو بما دل القاطع على عدم إرادة ظاهرة ولم يدل على ما هو المراد به

يقولون آمنا به أي بالمتشابه وعدم التعرض لإيمانهم بالمحكم لظهورة أو بالكتاب والجملة على الأول استئناف موضح لحال الراسخين أو حال منه وعلى الثاني خبر لقوله تعالى والراسخون وقوله تعالى

كل من عند ربنا من تمام المقول مقرر لما قبله ومؤكد له أي كل واحد منه ومن المحكم أو كل واحد من متشابهه ومحكمه منزل من عنده تعالى لا مخالفة بينهما أو آمنا به وبحقيته على مراده تعالى

وما يذكر حق التذكر

إلا أولو الألباب أي العقول الخالصة عن الركون إلى الأهواء الزائغة وهو تذييل سيق من جهته تعالى مدحا للراسخين بجودة الذهن وحسن النظر وإشارة إلى ما به استعدوا للاهتداء إلى تأويله من تجرد العقل عن غواشي الحس وتعلق الآية الكريمة بما قبلها من حيث إنها جواب عما تشبث به النصارى من نحو قوله تعالى وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه على وجه الإجمال وسيجئ الجواب المفصل بقوله تعالى إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ". (١)

" ١٢ - آل عمران

الظاهر على أنه يلزم الفصل بين العامل والمعمول بالأجنبي على تقدير النصب بلن تغني وهو قوله تعالى وأولئك هم وقود النار إلا أن يجعل استئنافا معطوفا على خبر إن فالوجه هو الرفع على الخبرية أي دأب هؤلاء في الكفر وعدم النجاة من أخذ الله تعالى وعذابه كدأب آل فرعون

والذين من قبلهم أي من قبل آل فرعون من الأمم الكافرة فالموصول في محل الجر عطفا على ما قبله وقوله تعالى

كذبوا بآياتنا بيان وتفسير لدأبهم الذي فعلوا على طريق الأستئناف المبني على السؤال كأنه قيل كيف كان دأبهم فقيل كذبوا بآياتنا وقوله تعالى

فأخذهم الله تفسير لدأبهم الذي فعل بهم أي فأخذهم الله وعاقبهم ولم يجدوا من بأس الله تعالى محيصا فدأب هؤلاء الكفرة أيضا كدأبهم وقيل كذبوا الخ حال من آل فرعون والذين من قبلهم على إضمار قد أي دأب هؤلاء كدأب أولئك

---

(١) تفسير أبي السعود، ٢/٨

وقد كذبوا الخ وأما كونه خبر عن الموصول كما قيل فمما يذهب برونق النظم الكريم والإلتفات إلى التكلم أولا للجري على سنن الكبرياء وإلى الغيبة ثانيا بإظهار الجلالة لتربية المهابة وإدخال الروعة

بذنوبهم إن اريد بها تكذيبهم بالآيات فالباء للسببية جئ بها تأكيدا لما تفيده الفاء من سببية ما قبلها لما بعدها وإن أريد بها سائر ذنوبهم فالباء للملابسة جيء بها للدلالة على أن لهم ذنوبا أخر أي فأخذهم ملتبسين بذنوبهم غير تائبين عنها كما في قوله تعالى وتزهق أنفسهم وهم كافرون والذنب في الأصل التلو والتابع وسمي الجريمة ذنبا لأنها تتلو أي تتبع عقابها فاعلها

والله شديد العقاب **تذييل** مقرر لمضمون ما قبله من الأخذ وتكملة له

قل للذين كفروا المراد بهم اليهود لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن يهود المدينة لما شاهدوا غلبة رسول الله على المشركين يوم بدر قالوا والله إنه النبي الأمي الذي بشرنا به موسى وفي التوراة نعته وهموا باتباعه فقال بعضهم لا تعجلوا حتى ننظر إلى واقعة له أخرى فلما كان يوم أحد شكوا وقد كان بينهم وبين رسول الله عهد إلى مدة فنقضوه وانطلق كعب بن الأشرف في ستين راكبا إلى أهل مكة فأجمعوا أمرهم على قتال رسول الله فنزلت وعن سعيد بن جبير وعكرمة وعن ابن عباس رضي الله عنهم أن النبي لما أصاب قريشا ببدر ورجع إلى المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع فحذرهم ان ينزل بهم ما نزل بقريش فقالوا لا يغرنك أنك لقيت قوما أغمارا لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة لئن قاتلتنا لعلمت أنا نحن الناس فنزلت أي قل لهم

ستغلبون البتة عن قريب في الدنيا وقد صدق الله عز و جل وعده بقتل بني قريظة وإجلاء بني النضير وفتح خيبر وضرب الجزية على من عداهم وهو من أوضح شواهد النبوة واما ما روى عن مقاتل من أنها نزلت قبل بدر وأن الموصول عبارة عن مشركي مكة ولذلك قال لهم النبي يوم بدر إن الله غالبكم وحاشركم إلى جهنم وبئس المهاد فيؤدي إلى انقطاع الآية الكريمة عما بعدها لنزوله بعد وقعة بدر

وتحشرون أي في الآخرة

إلى جهنم وقرئ الفعلان بالياء على أنه عليه السلام أمر بأن يحكي لهم ماأخبر الله تعالى به من وعيدهم بعبارته كأنه قيل أد إليهم هذا القول

وبئس المهاد إما من تمام ما يقال لهم أو استئناف لتهويل جهنم وتفظيع حال أهلها والمخصوص بالذم ." (١)

" ١٤ - آل عمران

الخطاب فظاهرها وإن اقتضى توجيه الخطاب الثاني الى المشركين لكنه ليس بنص في ذلك لأنه وإن اندفع به المحذور الأخير فالأول باق بحاله فلعل رؤية المشركين نزلت منزلة رؤية اليهود لما بينهم من الإتحاد في الكفر والأتفاق في الكلمة لاسيما بعد ما وقع بينهم بواسطة كعب بن الأشرف من العهد والميثاق فأسندت الرؤية إليهم مبالغة في البيان وتحقيقا

(١) تفسير أبي السعود، ١١/٢

لعروض مثل تلك الحالة لهم فتدبر وقيل المراد جميع الكفرة ولا ريب في صحته وسداده وقرئ يرونهم وترونهم على البناء للمفعول من الأرادة أي يريهم أو يريكم الله تعالى كذلك

رأي العين مصدر مؤكد ليرونهم إن كانت الرؤية بصرية أو مصدر تشبيهى إن كانت قلبية أي رؤية ظاهرة مكشوفة جارية مجرى رؤية العين

والله يؤيد أي يقوى

بنصره من يشاء أن يؤيده من غير توسيط الأسباب العادية كما أيد الفئة المقاتلة في سبيله بما ذكر من النصر وهو من تمام القول المأمور به

إن في ذلك إشارة إلى ما ذكر من رؤية القليل كثيرا المستتبعة لغلبة القليل العديم العدة على الكثير الشاكي السلاح وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد منزلة المشار إليه في الفضل

لعبرة العبرة فعلة من العبور كالركبة من الركوب والجلسة من الجلوس والمراد بها الاتعاظ فإنه نوع من العبور أي لعبرة عظيمة كائنة

لأولى الأبصار لذوي العقول والبصائر وقيل لمن أبصرهم وهو إما من تمام الكلام الداخل تحت القول مقرر لما قبله بطريق **التذييل** وإما وارد من جهته تعالى تصديقا لمقالته عليه الصلاة و السلام

زين للناس كلام مستأنف سيق لبيان حقارة شأن الحظوظ الدنيوية بأصنافها وتزهيد للناس فيها وتوجيه رغباتهم إلى ما عنده تعالى إثر بيان عدم نفعها للكفرة الذين كانوا يتعززون بها والمراد بالناس الجنس

حب الشهوات الشهوة نزوع النفس إلى ما تريده والمراد ههنا المشتهيات عبر عنها بالشهوات مبالغة في كونها مشتهاة مرغوبا فيها كأنها نفس الشهوات أو أيذانا بانهما كهم في حبها بحيث أحبوا شهواتها كما في قوله تعالى إني أحببت حب الخير أو استرذالا لها فإن الشهوة مسترذلة مذمومة من صفات البهائم والمزين هو الباري سبحانه وتعالى إذ هو الخالق لجميع الأفعال والدواعي والحكمة في ذلك ابتلاؤهم قال تعالى إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم الآية فإنها ذريعة لنيل سعادة الدارين عند كون تعاطيها على نهج الشريعة الشريفة وسيلة إلى بقاء النوع وإيثار صيغة المبنى للمفعول للجرى على سنن الكبرياء وقرئ على البناء للفاعل وقيل المزين هو الشيطان لما أن مساق الاية الكريمة على ذمها وفرق الجبائى بين المباحات فأسند تزيينها إليه تعالى وبين المحرمات فنسب تزيينها إلى الشيطان

من النساء والبنين في محل النصب على أنه حال من الشهوات وهي مفسرة لها في المعنى وقيل من لبيان الجنس وتقديم النساء على البنين لعراقتهن في معنى الشهوة فإنهن حبائل الشيطان وعدم التعرض للبنات لعدم الاطراد في حبهن

والقناطير المقنطرة جمع قنطار وهو المال الكثير وقيل مائة الف دينار وقيل ملء مسك ثور وقيل ." (١)

" ٢١ - آل عمران

مجرى التاكيد بالمنفصل أى وأسلم من اتبعنى أو مفعول معة

---

(١) تفسير أبي السعود، ١٤/٢

وقل للذين أوتوا الكتاب أى من اليهود والنصارى وضع الموصول موضع الضمير لرعاية التقابل بين وصفى المتعاطفين والأميين أى الذين لا كتاب لهم من مشركى العرب

أأسلمتم متبعين لى كما فعل المؤمنون فإنة قد أتاكم من البينات ما يوجبه ويقتضيه لا محالة فهل أسلمتم وعملتم بقضيتها أو انتم على كفركم بعد كما يقول من لخص لصاحبه المسأله ولم يدع من طرق التوضيح والبيان مسلكا ألاسلكه فهل فهمتها على منهاج قولة تعالى فهل أنتم منتهون إثر تفصيل الصوارف عن تعاطى الخمر والميسر وفيه من استقصارهم وتعييرهم بالمعاندة وقلة ألإنصاف وتوبيخهم بالبلادة وكلة القريحة مالا يخفى

فإن أسلموا أى كما أسلمتم وأنما لم يصرح بة كما فى قولة تعالى فأن آمنوا بمثل ما أمنتم بة حسما لباب أطلاق اسم الإسلام على شئ آخر بالكلية

فقد أهتدوا أى فازوا بالحظ الأوفر ونجوا عن مهاوى الضلال

وأن تولوا أى اعرضوا عن الاتباع و قبول الإسلام

فإنما عليك البلاغ قائم مقام الجواب أى لم يضروك شيئا إذ ما عليك إلا البلاغ وقد فعلت على أبلغ وجه روى أن رسول الله لما قرأ هذة الآية على أهل الكتاب قالوا أسلمنا فقال علية السلام لليهود أتشهدون أن عيسى كلمة الله وعبده و رسوله فقالوا معاذ الله وقال عليه الصلاة و السلام للنصارى أتشهدون أن عيسى عبد الله ورسوله فقالوا معاذ الله أن يكون عيسى عبدا وذلك قوله عز و جل وأن تولوا

والله بصير بالعباد عالم بجميع أحوالهم وهو **تذييل** فيه وعد ووعيد

إن الذين يكفرون بآيات الله أى آية كانت فيدخل فيهم الكافرون بالآيات الناطقة بحقية الإسلام على الوجه الذى مر تفصيله دخولا أوليا

ويقتلون النبيين بغير حق هم أهل الكتاب قتل أولوهم الانبياء عليهم السلام وقتلو أتباعهم وهم راضون بما فعلوا وكانوا قاتلهم الله تعالى حائمين حول قتل النبى لولا أن عصم الله تعالى ساحتة المنيعة وقد أشير أليه بصيغة ألاستقبال وقرئ بالتشديد للتكثير والتقييد بغير حق للإيذان بأنه كان عندهم أيضا بغير حق

ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس أى بالعدل ولعل تكرير الفعل للإشعار بما بين القتلين من التفاوت أو باختلافها في الوقت عن إبى عبيدة بن الجراح قلت يا رسول الله أى الناس أشد عذابا يوم القيامة قال رجل قتل نبيا او رجلا امر بمعروف ونهى عن المنكر ثم قرأها ثم قال يا ابا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلاثة واربعين نبي من أول النهار فى ساعة واحدة فقام مائة وأثنا عشر رجلا من عباد بنى إسرائيل فأمروا قتلتهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا من آخر النهار وقرئ ويقاتلون الذين

فبشرهم بعذاب أليم خبر أن والفاء لتضمن اسمها معنى الشرط فإنها بالنسخ لاتغير معنى ألابتداء بل تزيدة تأكيدا وكذا الحال فى النسخ بأن المفتوحة كما فى قوله تعالى واعلموا إنما غنمتم من شئ فأن لله خمسه وكذا النسخ بلكن كما فى

قوله تعالى واعلموا انما غنمتم من شيء فأن لله خمسة وكذا النسخ بلكن كما في قوله فو الله ما فارقتكم عن ملالة ... ولكن ما يقضى فسوف يكون ... وأنما يتغير معنى الابتداء ." (١)

" ٢٨٢٩ – آل عمران

تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا إلى أعطفهم عليكم وهو معنى قوله عليه السلام كما تكونوا يول عليكم

لايتخذ المؤمنون الكافرين أولياء نهوا عن موالاتهم لقرابة أو صداقة جاهلية ونحوهما من أسباب المصادقة والمعاشرة كما في قوله سبحانه يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء وقوله تعالى لاتتخذوا اليهود والنصارى اولياء حتى لا يكون حبهم ولابغضهم إلا لله تعالى أو عن الاستعانة بهم في الغزو وسائر الأمور الدينية

من دون المؤمنين في موضع الحال أي متجاوزين المؤمنين إليهم استقلالا او اشتراكا وفيه إشارة إلى أنهم الأحقاء بالموالاة وأن في موالاتهم مندوحة عن موالاة الكفرة

ومن يفعل ذلك أي اتخاذهم أولياء والتعبير عنه بالفعل للاختصار أو لإيهام الاستهجان بذكره

فليس من الله أي من ولايته تعالى

في شئ يصح أن يطلق عليه اسم الولاية فإن موالاة المتعاديين مما لا يكاد يدخل تحت الوقوع قال ... تود عدوى ثم تزعم أنني ... صديقك ليس النوك عنك بعازب ...

والجملة اعتراضية وقوله تعالى

إلا أن تتقوا على صيغة الخطاب بطريق الالتفات استثناء مفرغ من أعم الأحوال والعامل فعل النهى معتبرا فيه الخطاب كأنه قيل لا تتخذوهم أولياء ظاهرا أو باطنا في حال من الأحوال إلا حال اتقائكم

منهم أي من جهتهم

تقاة أي انقاء أو شيئا يجب اتقاؤه على أن المصدر واقع موقع المفعول فإنه يجوز إظهار الموالاة حينئذ مع اطمئنان النفس بالعدواة والبغضاء وانتظار زوال المانع من قشر العصا وإظهار ما في الضمير كما قال عيسى عليه السلام كن وسطا وامش جانبا وأصل تقاة وقيه ثم أبدلت الواو تاء كتخمة وتهمة وقلبت إلياء ألفا وقرئ تقية

ويحذركم الله نفسه أي ذاته المقدسة فإن جواز إطلاق لفظ النفس مرادا به الذات عليه سبحانه بلا مشاكلة مما لا كلام فيه عند المتقدمين وقد صرح بعض محققى المتأخرين بعدم الجواز وإن أريد به الذات إلا مشاكلة وفيه من التهديد ما لا يخفى عظمه وذكر النفس للإيذان بأن له عقابا هائلا لا يؤبه دونه بما يحذر من الكفرة

وإلى الله المصير تذييل مقرر لمضمون ما قبله ومحقق لوقوعه حتما

قل إن تخفوا ما في صدوركم من الضمائر التي من جملتها ولاية الكفرة

أو تبدوه فيما بينكم

---

(١) تفسير أبي السعود، ١٩/٢

يعلمه الله فيؤاخذكم بذلك عند مصيركم إليه وتقديم الإخفاء على الإبداء قد مر سره في تفسير قوله تعالى وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه وقوله تعالى يعلم ما يسرون وما يعلنون

ويعلم ما في السموات والأرض كلام مستأنف غير معطوف على جواب الشرط وهو من باب إيراد العام بعد الخاص تأكيدا له وتقريرا

والله على كل شئ قدير فيقدر على عقوبتكم بما لا مزيد عليه إن لم تنتهوا عما نهيتم عنه وإظهار الاسم الجليل في موضع الإضمار لتربية المهابة وتهويل ." (١)

" ٣٠٣١ - آل عمران

الخطب وهو تذييل لما قبله مبين لقوله تعالى ويحذركم الله نفسه بأن ذاته المقدسة المتميزة عن سائر الذوات المتصفة بما لا يتصف به شئ منها من العلم الذاتي المتعلق بجميع المعلومات متصفة بالقدرة الذاتية الشاملة لجميع المقدورات بحيث لا يخرج من ملكوته شئ قط

يوم تجد كل نفس أي من النفوس المكلفة

وما عملت من خير محضرا عندها بأمر الله تعالى وفيه من التهويل ما ليس في حاضرا

وما عملت من سوء عطف على ما عملت والإحضار معتبر فيه أيضا إلا أنه خص بالذكر في الخير للإشعار بكون الخير مرادا بالذات وكون إحضار الشر من مقتضيات الحكمة التشريعية

تود عامل في الظرف والمعنى تود وتتمنى يوم تجد صحائف أعمالها من الخير والشر أو أجزيتها محضرة

لو أن بينها وبينه أي بين ذلك اليوم

أمدا بعيدا لغاية هولة وفي إسناد الودادة إلى كل نفس سواء كان لها عمل سئ أو لا بل كانت متمحضة في الخير من الدلالة على كمال فظاعة ذلك اليوم وهول مطلعه مالا يخفى اللهم إنا نعوذ بك من ذلك ويجوز أن يكون انتصاب يوم على المفعولية بإضمار اذكروا وتود أما حال من كل نفس أو استئناف مبنى على السؤال أي اذكروا يوم تجد كل نفس ما عملت من خير شر محضرا وادة أن بينها وبينه أمدا بعيدا أو كأن سائلا قال حين أمروا بذكر ذلك اليوم فماذا يكون إذ ذاك فقيل تود لو أن بينها الخ أو تجد مقصور على ما عملت من خير وتود خبر ما عملت من سوء ولا تكون ما شرطية لارتفاع تود وقرئ ودت فحينئذ يجوز كونها شرطية لكن الحمل على الخبر أوقع معنى لأنها حكاية حال ماضية وأوفق للقراءة المشهورة

ويحذركم الله نفسه تكرير لما سبق واعادة له لكن لا للتأكد فقط بل لإفادة ما يفيده قوله عز و جل

والله رءوف بالعباد من أن تحذيره تعالى من رأفته بهم ورحمته الواسعة أو أن رأفته بهم لا تمنع تحقيق ما حذر هموه من عقابه وأن تحذيره ليس مبنيا على تناسى صفة الرأفة بل هو متحقق مع تحققها أيضا كما في قوله تعالى يأيها الإنسان ما غرك بربك الكريم فالجملة على الأول اعتراض وعلى الثاني حال وتكرير الاسم الجليل لتربية المهابة

---

(١) تفسير أبي السعود، ٢٣/٢

قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني المحبة ميل النفس إلى الشئ لكمال أدركته فيه بحيث يحملها على ما يقر بها إليه والعبد إذا علم أن الكمال الحقيقي ليس إلا لله عز و جل وأن كل ما يراه كما لا من نفسه أو من غيره فهو من الله وبالله وإلى الله لم يكن حبة إلا لله وفي الله وذلك مقتضى إرادة طاعته والرغبة فيما يقربه إليه فلذلك فسرت المحبة بإرادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول في عبادته والحرص على مطاوعته

يحببكم الله أي يرض عنكم

ويغفر لكم ذنوبكم أي يكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم فيقربكم من جناب عزة ويبوئكم في جوار قدسة عبر عنه بالمحبة بطريق الاستعارة أو المشاكلة

والله غفور رحيم أي لمن يتحبب إليه بطاعته ويتقرب إليه ." (١)

" ٣٢٣٣ - آل عمران

باتباع نبيه عليه الصلاة و السلام فهو **تذييل** مقرر لما قبله مع زيادة وعد الرحمة ووضع الاسم الجليل موضع الضمير للإشعار باستتباع وصف الألوهية للمغفرة والرحمة روى أنها نزلت لما قالت اليهود نحن أبناء الله وأحباؤه وقيل نزلت في وفد نجران لما قالوا إنا نعبد المسيح حبا لله تعالى وقيل في أقوام زعموا على عهده عليه الصلاة و السلام أنهم يحبون الله تعالى فأمروا أن يجعلوا لقولهم مصداقا من العمل وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي وقف على قريش وهم في المسجد الحرام يسجدون للأصنام وقد علقوا عليها بيض النعام وجعلوا في آذانها الشنوف فقال رسول الله يا معشر قريش لقد خالفتم ملة إبراهيم وإسمعيل عليهما الصلاة والسلام فقالت قريش إنما نعبدها حبا لله تعالى ليقربونا إلى الله زلفى فقال الله تعالى لنبيه عليه الصلاة و السلام قل إن كنتم تحبون الله تعالى وتعبدون الأصنام لتقربكم إليه فاتبعوني أي اتبعوا اشريعتي وسنتي يحببكم الله فأنا رسوله إليكم وحجته عليكم

قل أطيعوا الله والرسول اي في جميع الأوامر والنواهي فيدخل في ذلك الطاعة في اتباعه عليه الصلاة و السلام دخولا أوليا وإيثار الإظهار على الإضمار بطريق الالتفات لتعيين حيثية الإطاعة والإشعار بعلتها فإن الإطاعة المأمور بها إطاعته عليه الصلاة و السلام من حيث أنه رسول الله لا من حيث ذاته ولا ريب في أن عنوان الرسالة من موجبات الإطاعة ودواعيها

فإن تولوا إما من تمام مقول القول فهي صيغة المضارع المخاطب بحذف إحدى التاءين أي تتولوا وإما كلام متفرع عليه مسوق من جهته تعالى فهي صيغة الماضي الغائب وفي ترك ذكر احتمال الإطاعة كما في قوله تعالى فإن أسلموا تلويح إلى أنه غير محتمل منهم

فإن الله لا يحب الكافرين نفي المحبة كناية عن بغضه تعالى لهم وسخطه عليهم أي لا يرضى عنهم ولا يثني عليهم وإيثار الإظهار على الإضمار لتعميم الحكم لكل الكفرة والإشعار بعلته فإن سخطه تعالى عليهم بسبب كفرهم والإيذان بأن التولي عن الطاعة كفر وبأن محبته عز و جل مخصوصة بالمؤمنين

---

(١) تفسير أبي السعود، ٢/٢٤

أن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين لما بين الله تعالى أن الدين المرضى عنده هو الإسلام والتوحيد وأن اختلاف أهل الكتابين فيه إنما هو للبغى والحسد وأن الفوز برضوانه ومغفرته ورحمته منوط باتباع الرسول وطاعته شرع في تحقيق رسالته وكونه من أهل بيت النبوة القديمة فبدأ ببيان جلالة أقدار الرسل عليهم الصلاة والسلام كافة وأتبعه ذكر مبدأ أمر عيسى عليه الصلاة و السلام وأمة وكيفية دعوته للناس إلى التوحيد والإسلام تحقيقا للحق وإبطالا لما عليه أهل الكتابين في شأنهما من الإفراط والتفريط ثم بين بطلان محاجتهم في أبراهيم عليه الصلاة و السلام وادعائهم الانتماء إلى ملته ونزة ساحته العلية عما هم عليه من اليهودية والنصرانية ثم نص على أن جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام دعاة إلى عبادة الله عز و جل وحده وطاعته منزهون عن احتمال الدعوة إلى عبادة ." (١)

" ٣٥ - آل عمران

تعالى

بعضها من بعض في محل النصب على أنه صفة لذرية أي اصطفى الآلين حال كونهم ذرية متسلسلة متشعبة البعض من البعض في النسب كما ينبئ عنه التعرض لكونه ذرية وقيل بعضها من بعض في الدين فالاستمالة على الوجه الاول تقريبيه وعلى الثاني برهانية

والله سميع لأقوال العباد

عليم بأعمالهم البادية والخافية فيصطفى من بينهم لخدمته من تظهر استقامته قولا وفعلا على نهج قوله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالته والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها

إذ قالت امرأة عمران في حيز النصب على المفعولية بفعل مقدر على طريقة الاستئناف لتقرير اصطفاء آل عمران وبيان كيفيته أي اذكر لهم وقت قولها و مر مرارا وجه توجيه التذكير الى الاوقات مع أن المقصود تذكير ما وقع فيها من الحوادث وقيل هو منصوب على الظرفية لما قبله أي سميع لقولها المحكى عليم بضميرها المنوى وقيل هو ظرف لمعنى الاصطفاء المدلول عليه باصطفى المذكور كأنه قيل واصطفى آل عمران إذ قالت الخ فكان من عطف الجمل على الجمل دون عطف المفردات على المفردات ليلزم كون اصطفاء الكل في ذلك الوقت وامرأة عمران هي حنة بنت فاقوذا جدة عيسى عليه الصلاة و السلام وكانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم اكبر من موسى وهرون عليهما الصلاة والسلام فظن ان المراد زوجته وليس بذاك فإن قضية كفالة زكريا عليه الصلاة و السلام قاضية بأنها زوجة عمران بن ماثان لأنه عليه الصلاة و السلام كان معاصرا له وقد تزوج إيشاع أخت حنة أم يحيى علية الصلاة والسلام وأما قوله عليه الصلاة و السلام في شأن يحيى وعيسى عليهما الصلاة والسلام هما ابنا خالة فقيل تأويله أن الأخت كثيرا ما تطلق على بنت الأخت وبهذا الاعتبار جعلهما عليهما الصلاة والسلام ابنى خالة وقيل كانت إيشاع أخت حنة من الأم وأخت مريم من الأب على ان عمران نكح أولا أم حنة فولدت له أيشاع ثم نكح حنة بناء على حل نكاح الربائب في شريعتهم فولدت مريم فكانت أيشاع أخت مريم من الأب وخالتها من الأم لأنها أخت حنة من الأم روى أنها كانت عجوزا عاقرا فبينما هي ذات يوم في ظل شجرة

---

(١) تفسير أبي السعود، ٢/٢٥

أذ رأت طائرا يطعم فرخة خنت إلى الولد وتمنته وقالت اللهم أن لك على نذر أن رزقتنى ولدا ان أتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وكان هذا النذر مشروعا عندهم في الغلمان ثم هلك عمران وهي حامل وحينئذ فقولها

رب إني نذرت لك ما في بطنى لا بد من حملة على التكرير لتأكيد نذرها وإخراجه عن صورة التعليق إلى هيئة التنجيز والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن إفاضة ما فيه صلاح المربوب مع الإضافة إلى ضميرها لتحريك سلسلة الإجابة ولذلك قيل إذا أراد العبد أن يستجاب له دعاؤه فليدع الله بما يناسبه من أسمائه وصفاته وتأكيدا الجملة لإبراز وفور الرغبة في مضمونها وتقديم الجار والمجرور لكمال الاعتناء به وإنما عبر عن الولد بما لإبهام أمره وقصوره عن درجة العقلاء

محررا أي معتقا لخدمة بيت المقدس لايشغله شأن آخر أو مخلصا للعبادة ونصبه ." (١)

" ٥٥ - آل عمران

له ثلاثين درهما فأخذها ودلهم عليه فألقى الله عز و جل عليه شبه عيسى عليه الصلاة و السلام ورفعه إلى السماء فأخذوا المنافق وهو يقول أنا دليلكم فلم يلتفتوا إلى قوله وصلبوه ثم قالوا وجهه يشبه وجه عيسى وبدنه يشبه بدن صاحبنا فإن كان هذا عيسى فأين صاحبنا وإن كان صاحبنا فأين عيسى فوقع بينهم قتال عظيم وقيل لما صلب المصلوب جاءت مريم ومعها أمرأة أبرأها الله تعالى من الجنون بدعاء عيسى عليه الصلاة و السلام وجعلتا تبكيان على المصلوب فأنزل الله تعالى عيسى عليه الصلاة و السلام فجاءهما فقال علام تبكيان فقالتا عليك فقال إن الله تعالى رفعنى ولم يصبنى إلا خير وإن هذا شئ شبه لهم قال محمد بن إسحق إن اليهود عذبوا الحواريين بعد رفع عيسى عليه الصلاة و السلام ولقوا منهم الجهد فبلغ ذلك ملك الروم وكان ملك اليهود من رعيته فقيل له إن رجلا من بنى إسرائيل ممن تحت أمرك كان يخبرهم أنه رسول الله وأراهم إحياء الموتى وإبراء الأكمة والأبرص وفعل وفعل فقال لو علمت ذلك ما خليت بينهم وبينه ثم بعث إلى الحواريين فانتزعهم من أيديهم وسألهم عن عيسى عليه الصلاة و السلام فأخبروه فبايعهم على دينهم وأنزل المصلوب فغيبه وأخذ الخشبة فأكرمها ثم غزا بنى إسرائيل وقتل منهم خلقا عظيما ومنه ظهر أصل النصرانية في الروم ثم جاء بعده ملك آخر يقال له ططيوس وغزا بيت المقدس بعد رفع عيسى عليه الصلاة و السلام بنحو من أربعين سنة فقتل وسبى ولم يترك في مدينة بيت المقدس حجرا على حجر فخرج عند ذلك قريظة والنضير إلى الحجاز قال أهل التواريخ حملت مريم بعيسى عليه الصلاة و السلام وهي بنت ثلاث عشرة سنة وولدته ببيت لحم من أرض أورشليم لمضى خمس وستين سنة من غلبة ألإسكندر على أرض بابل وأوحى ألله تعالى إليه على رأس ثلاثين سنة ورفعه إليه من بيت المقدس ليلة القدر من شهر رمضان وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وعاشت أمه بعد رفعه ست سنين

والله خير الماكرين أقواهم مكرا وأنفذهم كيدا وأقدرهم على إيصال الضرر من حيث لا يحتسب وإظهار الجلالة في موقع الإضمار لتربية المهابة والجملة **تذييل** مقرر لمضمون ما قبله

إذ قال الله ظرف لمكر الله أو لمضمر نحو وقع ذلك

---

(١) تفسير أبي السعود، ٢/٢٧

يا عيسى إني متوفيك أي مستوفي أجلك ومؤخرك إلى أجلك المسمى عاصما لك من قتلهم أو قابضك من الأرض من توفيت مالي أومتوفيك نائما إذ روى أنه رفع وهو نائم وقيل مميتك في وقتك بعد النزول من السماء ورافعك الآن أو مميتك من الشهوات العائقة عن العروج الى عالم الملكوت وقيل أماته الله تعالى سبع ساعات ثم رفعه الى السماء وإليه ذهبت النصارى قال القرطبي والصحيح أن الله تعالى رفعه من غير وفاة ولا نوم كما قال الحسن وابن زيد وهو اختيار الطبري وهو الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما وأصل القصة أن اليهود لما عزموا على قتله عليه الصلاة و السلام اجتمع الحواريون وهم إثنا عشر رجلا في غرفة فدخل عليهم المسيح من مشكاة الغرفة فأخبر بهم إبليس جميع اليهود فركب ." (١)

" ٥٧٥٨٥٩٦٠ - ٦٠ آل عمران

ليس لواحد منهم ناصر واحد

وأما الذين آمنوا بما أرسلت به

وعملوا الصالحات كما هو ديدن المؤمنين

فيو فيهم أجورهم أي يعطيهم إياها كاملة ولعلاألتفات إلى الغيبة للإيذان بما بين مصدري التعذيب و الإثابة من الأختلاف من حيث الجلال والجمال وقرئ فنو فيهم جريا على سنن العظمة والكبرياء

والله لا يحب الظالمين أي يبغضهم فإن هذه الكناية فاشية في جميع اللغات جارية مجرى الحقيقة وإيراد الضلم للإشعار بأنهم بكفرهم متعدون متجاوزون على الحدود واضعون للكفر مكان الشكر والإيمان والجملة تذييل لما قبله مقرر لمضمونه

ذلك إشارة إلى ما سلف من نبأ عيسى عليه الصلاة و السلام وما فيه من معنى البعد للدلالة على عظم شأن المشار إليه وبعد منزلته في الشرف وعلى كونه في ظهور الامر ونباهة الشأن بمنزلة المشاهد المعاين وهو مبتدأ و قوله عز و جل

نتلوه خبره وقوله تعالى

عليك متعلق بنتلوه وقوله تعالى

من الآيات حال من الضمير المنصوب أو خبر بعد خبر أو هو الخبر وما بينهما حال من أسم الأشارة أو ذلك خبر لمبتدأ مضمر أي الأمر ذلك ونتلوه حال كما مر وصيغة الاستقبال إما لا ستحضار الصورة أو على معناها إذ التلاوة لم تتم بعد

والذكر الحكيم أي المشتمل على الحكم أو المحكم الممنوع من تطرق الخلل إليه والمراد به القرآن فمن تبعيضيه أو بعض مخصوص منه فمن بيانيه وقيل هو اللوح المحفوظ فمن أبتدائية

إن مثل عيسى أي شأنه البديع المنتظم لغرابته في سلك الأمثال

عند الله أي في تقديره وحكمه

كمثل آدم أي كحاله العجيبة التي لا يرتاب فيها مرتاب ولا ينازع فيها منازع

---

(١) تفسير أبي السعود، ٢/٤٣

خلقه من تراب تفسير لما أبهم في المثل وتفصيل لما أجمل فيه وتوضيح للتمثيل ببيان وجه الشبه بينهما وحسم لمادة شبه الخصوم فإن إنكار خلق عيسى عليه الصلاة و السلام بلا أب من أعترف بخلق آدم عليه الصلاة و السلام بغير أب وأم مما لا يكاد يصح والمعنى خلق قالبه من تراب

ثم قال له كن أي أنشأه بشرا كما في قوله تعالى ثم أنشأناه خلقا آخر أو قدر تكوينه من التراب ثم كونه و يجوز كون ثم لتراخي الإخبار لا لتراخي المخبر به

فيكون حكاية حال ماضيه روى أن وفد نجران قالوا لرسول الله مالك تشتم صاحبنا قال وما اقول قالوا تقول إنه عبد قال أجل هو عبد الله و رسوله وكلمته ألقاها إلى العذراء البتول فغضبوا وقالوا هل رأيت أنسانا من غير أب فحيث سلمت أنه لا أب له من البشر وجب أن يكون أبوه هو الله فقال عليه الصلاة و السلام إن آدم عليه الصلاة و السلام ما كان له أب ولا أم ولم يلزم من ذلك كونه أبنا لله سبحانه وتعالى فكذا حال عيسى عليه الصلاة و السلام

الحق من ربك خبر مبتدأ محذوف أي هو الحق أي ما قصصنا عليك من نبأ عيسى من عليه الصلاة و السلام ." (١)

" ٧٤٧٥ - آل عمران

دبرتم ذلك وقلتم لأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو بلا تؤمنوا أي ولا تظهروا إيمانكم بأن يؤتى احد مثل ما أوتيتم إلا لأشياعكم ولا تفشوه إلى المسلمين لئلا يزيد ثباتهم ولا إلى المشركين لئلا يدعوهم إلى الإسلام وقوله تعالى قل إن الهدى هدى الله أعتراض مفيد لكون كيدهم غير مجد لطائل أو خبر إن على أن هدى الله بدل من الهدى وقرئ أأن يؤتي على الأستفهام التقريعي وهو مؤيد للوجه الأول أي ألأن يؤتي أحد الخ دبرتم وقرئ أن على أنها نافية فيكون من كلام الطائفة أي ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتي أحد مثل ما أوتيتم

أو يحاجوكم عند ربكم عطف على أن يؤتي على الوجهين الأولين وعلى الثالث معناه حتى يحاجوكم عند ربكم فيدحضوا حجتكم والواو ضمير أحد لأنه في معنى الجمع إذ المراد به غير أتباعهم

قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم رد لهم وإبطال لما زعموه بالحجة الباهرة

يختص بحرمته أي يجعل رحمته مقصورة على

من يشاء والله ذو الفضل العظيم كلاهما **تذييل** لما قبله مقرر لمضمونه

ومن أهل الكتاب شروع في بيان خيانتهم في المال بعد بيان خيانتهم في الدين والجار والمجرور في محل الرفع على الأبتداء حسبما مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى ومن الناس من يقول الخ خبره قوله تعالى

من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك على ان المقصود بيان أتصافهم بمضمون الجملة الشرطية لا كونهم ذوات المذكورين كأنه قيل بعض أهل الكتاب بحيث إن تأمنه بقنطار أي بمال كثير يؤده إليك كعبد الله بن سلام استودعه قرشي ألفا ومائتي أو قية ذهبا فأداه إليه

---

(١) تفسير أبي السعود، ٢/٤٥

ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك كفنحاص بن عازوراء أستودعه قرشي آخر دينارا فجحده وقيل المأمونون على الكثير النصارى إذ الغالب فيهم الأمانة والخائنون في القليل اليهود إذ الغالب فيهم الخيانة

إلا ما دمت عليه قائما أستثناء مفرغ من أعم الأحوال أو الأوقات أي لا يؤده إليك في حال من الأحوال أو في وقت من الأوقات إلا في حال دوام قيامك أو في وقت دوام قيامك على رأسه مبالغا في مطالبته بالتقاضي وإقامة البينة

ذلك إشارة إلى ترك الأداء المدلول عليه بقوله تعالى لا يؤده وما فيه من معنى البعد للإيذان بكمال غلوهم في الشر والفساد

بأنهم أي بسبب انهم

قالوا ليس علينا بالأميين اى في شأن من ليس من اهل الكتاب

سبيل اى عتاب ومؤاخذة

ويقولون على الله الكذب بأدعائهم ذلك

وهم يعلمون أنهم كاذبون مفترون على الله تعالى وذلك لأنه أستحلوا أظلم من خالفهم وقالوا لم يجعل في التوراة في حقهم حرمة وقيل عامل اليهود رجالا من قريش فلما أسلموا تقاضوهم فقالوا سقط حقكم حيث تركتم دينكم وزعموا أنه كذلك في كتابهم وعن النبي أنه قال عند نزولها كذب أعداء الله ." (١)

" ٩٤٩٥٩٦ - ٦ آل عمران

فاتلوها أمر عليه السلام بأن يحاجهم بكتابهم الناطق بأن تحريم ما حرم عليهم تحريم حادث مترتب على ظلمهم وبغيهم كلما ارتكبوا معصية من المعاصي التي اقترفوها حرم عليهم نوع من الطيبات عقوبة لهم ويكلفهم إخراجه وتلاوته ليبكتهم ويلقمهم الحجر ويظهر كذبهم وإظهار اسم التوراة لكون الجملة كلاما مع اليهود منقطعا عما قبله وقوله تعالى

إن كنتم صادقين أي في دعواكم أنه تحريم قديم وجواب الشرط محذوف لدلالة المذكور عليه أي إن كنتم صادقين فأتوا بالتوراة فاتلوها فإن صدقكم مما يدعوكم الى ذلك البتة روى أنهم لم يجسروا على إخراج التوراة فبهتوا وانقلبوا صاغرين وفي ذلك من الحجة النيرة على صدق النبي وجواز النسخ الذي يجحدونه مالا يخفى والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها

فمن افترى على الله الكذب أي اختلقه عليه سبحانه بزعمه أنه حرم ما ذكر قبل نزول التوراة على بني اسرائيل ومن تقدمهم من الأمم

من بعد ذلك من بعد ما ذكر من أمرهم بإحضار التوراة وتلاوتها وما ترتب عليه من التبكيت والإلزام والتقييد به للدلالة على كمال القبح

فأولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة والجمع باعتبار معناه كما أن الإفراد في الصلة باعتبار لفظه وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد منزلتهم في الضلال والطغيان أي فأولئك المصرون على الافتراء بعد ما ظهرت حقيقة الحال وضاقت عليهم حلبة المحاجة والجدال

---

(١) تفسير أبي السعود، ٢/٥٠

هم الظالمون المفرطون في الظلم والعدوان المبعدون فيهما والجملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب مسوقة من جهته تعالى لبيان كمال عتوهم وقيل هي في محل النصب داخلة تحت القول عطفا على قوله تعالى فأتوا بالتوراة

قل صدق الله أي ظهر وثبت صدقه تعالى فيما أنزل في شان التحريم وقيل في قوله تعالى ما كان إبراهيم يهوديا الخ أو صدق في كل شأن من الشئون وهو داخل في ذلك دخولا أوليا وفيه تعريض بكذبهم الصريح

فاتبعوا ملة إبراهيم أي ملة الإسلام التى هي في الأصل ملة إبراهيم عليه السلام فإنكم ما كنتم متبعين لملته كما تزعمون أو فاتبعوا مثل ملته حتى تتخلصوا من اليهودية التى أضطرتكم إلى التحريف والمكابرة وتلفيق الأكاذيب لتسوية الأغراض الدنيئة الدنيوية وألزمتكم تحريم طيبات محللة لإبراهيم عليه السلام ومن تبعه والفاء للدلالة على أن ظهور صدقة تعالى موجب للاتباع وترك ما كانوا عليه

حنيفا أي مائلا عن الأديان الزائغة كلها

وما كان من المشركين أي في أمر من أمور دينه أصلا وفرعا وفيه تعريض بإشراك اليهود وتصريح بأنه عليه السلام ليس بينه وبينهم علاقة دينية قطعا والغرض بيان أن النبي على دين إبراهيم عليه السلام في الأصول لأنه لا يدعو إلا إلى التوحيد والبراءة عن كل معبود سواه سبحانه وتعالى والجملة تذييل لما قبلها

إن أول بيت وضع للناس شروع في بيان كفرهم ببعض آخر ." (١)

" ١٠٠ - آل عمران وعظائم الأمور

وما الله بغافل عما تعملون اعتراض تذييلي فيه تهديد ووعيد شديد قيل لما كان صدهم للمؤمنين بطريق الخفية ختمت الآية الكريمة بما يحسم مادة حيلتهم من إحاطة علمه تعالى بأعمالهم كما ان كفرهم بآيات الله تعالى لما كان بطريق العلانية ختمت الآية السابقة بشهادته تعالى على ما يعملون

يأيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين تلوين للخطاب وتوجيه له إلى المؤمنين تحذيرا لهم عن طاعة أهل الكتاب والافتتان بفتنتهم إثر توبيخهم بالإغواء والإضلال ردعا لهم عن ذلك وتعليق الرد بطاعة فريق منهم للمبالغة في التحذير عن طاعتهم وإيجاب الاجتناب عن مصاحبتهم بالكلية فإنه في قوة ان يقال لا تطيعوا فريقا الخ كما أن تعميم التوبيخ فيما قبله للمبالغة في الزجر أو للمحافظة على سبب النزول فإنه روى أن نفرا من الأوس والخزرج كانوا جلوسا يتحدثون فمر بهم شاس بن قيس اليهودي وكان عظيم الكفر شديد الحسد للمسلمين فغاظة ما راى منهم من تألف القلوب واتحاد الكلمة واجتماع الرأى بعد ما كان بينهم من العداوة والشنآن فأمر شابا يهوديا كان معه بأن يجلس إليهم ويذكرهم يوم بعاث وكان ذلك يوما عظيما اقتتل فيه الحيان وكان الظفر فيه للأوس وينشدهم ما قيل فيه من الأشعار ففعل فتفاخر القوم وتغاضبوا حتى تواثبوا وقالوا السلاح السلاح فاجتمع من القبيلتين خلق عظيم فعند ذلك جاءهم النبي وأصحابه فقال أتدعون الجاهلية وأنا بين اظهركم بعد ان أكرمكم الله تعالى بالإسلام وقطع به عنكم أمر الجاهلية وألف بينكم فعلموا انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فألقوا السلاح واستغفروا وعانق بعضهم بعضا وانصرفوا

---

(١) تفسير أبي السعود، ٢/٥٩

مع رسول الله قال الإمام الواحدى اصطفوا للقتال فنزلت الاية إلى قوله تعالى لعلكم تهتدون فجاء النبي حتى قام بين الصفين فقرأهن ورفع صوته فلما سمعوا صوت رسول الله أنصتوا له وجعلوا يستمعون له فلما فرغ ألقوا السلاح وعانق بعضهم بعضا وجعلوا يبكون وقوله تعالى كافرين إما مفعول ثان ليردوكم على تضمين الرد معنى التصيير كما في قوله ... رمى الحدثان نسوة آل سعد ... بمقدار سمدن له سمودا ... فرد شعورهن السود بيضا ورد وجوههن البيض سودا ...

أو حال من مفعول والأول أدخل في تنزيه المؤمنين عن نسبتهم إلى الكفر لما فيه من التصريح بكون الكفر المفروض بطريق القسر وإيراد الظرف مع عدم الحاجة إليه ضرورة سبق الخطاب بعنوان المؤمنين واستحالة تحقق الرد إلى الكفر بدون سبق الإيمان مع توسيطه بين المفعولين لإظهار كمال شناعة الكفر وغاية بعده من الوقوع إما لزيادة قبحه الصارف العاقل عن مباشرته أو لممانعة الإيمان له كأنه قيل بعد إيمانكم الراسخ وفيه من تثبيت المؤمنين مالا يخفى ." (١)

" ١٠٩١١٠ – آل عمران

بنون العظمة مع كون التلاوة على لسان جبريل عليه السلام لإبراز كمال العناية بالتلاوة وقرئ يتلوها على إسناد الفعل إلى ضميره تعالى وقوله تعالى

عليك متعلق بنتلوها وقوله تعالى

بالحق حال مؤكدة من فاعل نتلوها أو من مفعوله أي ملتبسين أو ملتبسة بالحق والعدل ليس في حكمها شائبة جور بنقص ثواب المحسن أو بزيادة عقاب المسيئ أو بالعقاب من غير جرم بل كل ذلك موفى لهم حسب استحقاقهم بأعمالهم بموجب الوعد والوعيد وقوله تعالى

وما الله يريد ظلما للعالمين **تذييل** مقرر لمضمون ما قبله على أبلغ وجه وآكده فإن تنكير الظلم وتوجيه النفى إلى إرادته بصيغة المضارع دون نفسه وتعليق الحكم بآحاد الجمع المعرف والالتفات إلى الاسم الجليل إشعارا بعلة الحكم بيان لكمال نزاهتة عز و جل عن الظلم بما لا مزيد عليه أي ما يريد فردا من افراد الظلم لفرد من أفراد العالمين في وقت من الأوقات فضلا عن أن يظلمهم فإن المضارع كما يفيد الاستمرار في الإثبات يفيده في النفى بحسب المقام كما أن الجملة الاسمية تدل بمعونة المقام على دوام الثبوت وعند دخول حرف النفى تدل على دوام الانتفاء لا على انتفاء الدوام وفي سبك الجملة نوع إيماء إلى التعريض بأن الكفرة هم الظالمون ظلموا أنفسهم بتعريضها للعذاب الخالد كما في قوله تعالى إن الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون

ولله ما في السموات وما في الأرض أي له تعالى وحده من غير شركة أصلا ما فيهما من المخلوقات الفائتة للحصر ملكا وخلقا إحياء وإماتة وإثابة وتعذيبا وإيراد كلمة ما أما لتغليب غير العقلاء على العقلاء وإما لتنزيلهم منزلة غيرهم إظهارا لحقارتهم في مقام بيان عظمته تعالى

وإلى الله أي إلى حكمه وقضائه لا إلى غيره شركة أو استقلالا

---

(١) تفسير أبي السعود، ٦٤/٢

ترجع الأمور أي أمورهم فيجازى كلا منهم بما وعد له وأوعده من غير دخل في ذلك لأحد قط فالجملة مقررة لمضمون ما ورد في جزاء الفريقين وقيل هي معطوفة على ما قبلها مقررة لمضمونه فإن كون العالمين عبيده تعالى ومخلوقه ومرزوقه يستدعى إرادة الخير بهم

كنتم خير أمة كلام مستأنف سيق لتثبيت المؤمنين على ما هم عليه من الاتفاق على الحق والدعوة إلى الخير وكنتم من كان الناقصة التى تدل على تحقق شئ بصفة في الزمان الماضي من غير دلالة على عدم سابق أو لاحق كما في قوله تعالى وكان الله غفورا رحيما وقيل كنتم كذلك في علم الله أو في اللوح أو فيما بين الأمم السالفة وقيل معناه أنتم خير أمة

أخرجت للناس صفة لأمة واللام متعلقة بأخرجت أي أظهرت لهم وقيل بخير أمة أي كنتم خير الناس فهو صريح في أن الخيرية بمعنى النفع للناس وإن فهم ذلك من الإخراج لهم أيضا أي أخرجت لأجلهم ومصلحتهم قال أبو هريرة رضي الله عنه معناه كنتم خير الناس تأتون بهم في السلاسل فتدخلونهم في الإسلام وقال قتادة هم أمة محمد لم يؤمر نبي ." (١)

" ١١٤١١٥ - آل عمران

يؤمنون بالله واليوم الآخر صفة أخرى لأمة مبينة لمباينتهم اليهود من جهة أخرى أي يؤمنون بها على الوجه الذي نطق به الشرع والإطلاق للإيذان بالغنى عن التقييد لظهور أنه الذي يطلق عليه الإيمان بهما لا يذهب الوهم إلى غيره وللتعريض بان إيمان اليهود بهما مع قولهم عزير ابن الله وكفرهم ببعض الكتب والرسل ووصفهم اليوم الآخر بخلاف صفته ليس من الإيمان بهما في شئ أصلا ولو قيد بما ذكر لربما توهم أن المنتفى عنهم هو القيد المذكور مع جواز إطلاق الإيمان على إيمانهم بالأصل وهيهات

ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر صفتان أخريان لأمة أجريتا عليهم تحقيقا لمخالفتهم اليهود في الفضائل المتعلقة بتكميل الغير إثر بيان مباينتهم لهم في الخصائص المتعلقة بتكميل النفس وتعريضا بمداهنتهم في الاحتساب بل بتعكيسهم في الأمر بإضلال الناس وصدهم عن سبيل الله فإنه أمر بالمنكر ونهى عن بالمعروف

ويسارعون في الخيرات صفة أخرى لأمة جامعة لفنون المحاسن المتعلقة بالنفس وبالغير والمسارعة في الخير فرط الرغبة فيه لأن من رغب في الأمر سارع في توليته والقيام به وآثر الفور على التراخي اى يبادرون مع كمال الرغبة في فعل أصناف الخيرات اللازمة والمتعدية وفيه تعريض بتباطؤ اليهود فيها بل بمبادتهم إلى الشرور وإيثار كلمة في على ما وقع في قوله تعالى وسارعوا إلى مغفرة الخ للإيذان بأنهم مستقرون في أصل الخير متقلبون في فنونه المترتبة في طبقات الفضل لا أنهم خارجون عنها منتهون إليها

وأولئك إشارة إلى الأمة باعتبار اتصافهم بما فصل من النعوت الجليلة وما فيه من معنى البعد للإيذان بعلو درجتهم وسمو طبقتهم في الفضل وإيثاره على الضمير للإشعار بعلة الحكم والمدح أي أولئك المنعوتون بتلك الصفات الفاضلة بسبب أتصافهم بها

من الصالحين أي من جملة من صلحت أحوالهم عند الله عز و جل واستحقوا رضاه وثناءه

---

(١) تفسير أبي السعود، ٧٠/٢

وما يفعلوا من خير كائنا ما كان مما ذكر أو لم يذكر

فلن يكفروه أي لن يعدموا ثوابه البتة عبر عنه بذلك كما عبر عن توفية الثواب بالشكر اظهارا لكمال تنزهه سبحانه وتعالى عن ترك اثابتهم بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى من القبائح وتعديته الى مفعولين بتضمين معنى الحرمان وايثار صيغة البناء للمفعول للجرى على سنن الكبرياء وقرئ الفعلان على صيغة الخطاب

والله عليم بالمتقين **تذييل** مقرر لمضمون ما قبله فإن علمه تعالى بأحوالهم يستدعي توفية أجورهم لا محالة والمراد بالمتقين اما الأمة المعهودة وضع موضع الضمير العائد اليهم مدحا لهم وتعيينا لعنوان تعلق العلم بهم واشعارا بمناط اثابتهم وهو التقوى المنطوي على الخصائص السالفة واما جنس المتقين عموما وهم مندرجون تحت حكمه اندارجا أوليا ." [(١)]

" ١٢٩١٣٠١٣١ - ١ آل عمران

بصدد بيان انتفائه مما لم يعهد في كلام الناس فضلا عن الكلام المجيد فالحق الذي لا محيد عنه أن قوله تعالى إذ تقول ظرف لنصركم وأن ما حكى في أثنائه إلى قوله تعالى خائبين متعلق بيوم بدر قطعا وما بعده محتمل الوجهين المذكورين وقوله تعالى

فإنهم ظالمون تعليل على كل حال لقوله تعالى أو يعذبهم مبين لكون ذلك من جهتهم وجزاء لظلمهم

ولله ما في السموات وما في الأرض كلام مستأنف سيق لبيان اختصاص ملكوت كل الكائنات به عز و جل إثر بيان اختصاص طرف من ذلك به سبحانه تقريرا لما سبق وتكمله له وتقديم الجار للقصر وكلمة ما شاملة للعقلاء أيضا تغليبا أي له ما فيهما من الموجودات خلقا وملكا لا مدخل فيه لأحد أصلا فله الأمر كله

يغفر لمن يشاء أن يغفر له مشيئة مبنية على الحكم والمصالح

ويعذب من يشاء أن يعذبه بعمله مشيئة كذلك وإيثار كلمة من في الموضعين لاختصاص المغفرة والتعذيب بالعقلاء وتقديم المغفرة على التعذيب للإيذان بسبق رحمته تعالى غضبه و بأنها من مقتضيات الذات دونه فإنه من مقتضيات سيئات العصاة وهذا صريح في نفي وجوب التعذيب والتقييد بالتوبة وعدمها كالمنافي له

والله غفور رحيم **تذييل** مقرر لمضمون قوله تعالى يغفر لمن يشاء مع زيادة وفي تخصيص **التذييل** به دون قرينة من الأعتناء بشأن المغفرة والرحمة ما لا يخفى

يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا كلام مبتدأ مشتمل على ما هو ملاك الأمر في كل باب لا سيما في باب الجهاد من التقوى والطاعة وما بعدهما من الأمور المذكورة على نهج الترغيب والترهيب جيء به في تضاعيف القصة مسارعة إلى إرشاد المخاطبين إلى ما فيه وإيذانا بكمال وجوب المحافظة عليه فيما هم فيه من الجهاد فإن الأمور المذكورة فيه مع كونها مناطا للفوز في الدارين على الإطلاق عمدة في أمر الجهاد عليها يدور فلك النصرة والغلبة كيف لا و لو حافظوا على الصبر والتقوى وطاعة الرسول لما لقوا ما لقوا ولعل إيراد النهي عن الربا في أثنائها لما ان الترغيب في الإنفاق في السراء والضراء الذي عمدته الإنفاق في سبيل الجهاد متضمن للترغيب في تحصيل المال فكان مظنة مبادرة الناس إلى طرق الأكتساب ومن

(١) تفسير أبي السعود، ٧٤/٢

جملتها الربا فنهوا عن ذلك والمراد بأكله أخذه وإنما عبر عنه بالأكل لما أنه معظم ما يقصد بالأخذ ولشيوعه في المأكولات مع ما فيه من زيادة تشنيع وقوله عز و جل

أضعافا مضاعفة ليس لتقييد النهي به بل لمراعاة ما كانوا عليه من العادة توبيخا لهم بذلك إذ كان الرجل يربي إلى أجل فإذا حل قال للمدين زدني في المال حتى أزيدك في الأجل فيفعل وهكذا عند محل كل أجل فيستغرق بالشيء الطفيف ماله بالكلية ومحله النصب على الحالية من الربا وقرئ مضعفة

واتقوا الله فيما نهيتم عنه من الأمور التي من جملتها الربا

لعلكم تفلحون راجين للفلاح

واتقوا النار التي أعدت ." (١)

" ١٣٥ - آل عمران

أي التاركين عقوبة من استحق مؤاخذته روى انه ينادي مناد يوم القيامة أين الذين كانت اجورهم على الله تعالى فلا يقوم إلا من عفا وعن النبي إن هؤلاء في امتي قليل إلا من عصم الله وقد كانوا كثيرا في الأمم التي مضت وفي هذين الوصفين إشعار بكمال حسن موقع عفوه عليه الصلاة و السلام عن الرماة وترك مؤاخذتهم بما فعلوا مخالفة أمره عليه السلام وندب له عليه السلام إلى ترك ما عزم عليه من مجازاة المشركين بما فعلوا بحمزة رضي الله عنه حيث قال حين رآه قد مثل به لأمثلن بسبعين مكانك

والله يحب المحسنين اللام إما للجنس وهم داخلون فيه دخولا إوليا وإما للعهد عبر عنهم بالمحسنين إيذانا بأن النعوت المعدودة من باب الإحسان الذي هو الإتيان بالأعمال على الوجه اللائق الذي هو حسنها الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي وقد فسره عليه السلام بقوله أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك والجملة **تذييل** مقرر لمضمون ما قبلها

والذين مرفوع على الإبتداء وقيل مجرور معطوف على ما قبله من صفات المتقين وقوله تعالى والله يحب المحسنين اعتراض بينهما مشير إلى ما بينهما من التفاوت فإن درجة الأولين من التقوى أعلى من درجة هؤلاء وحظهم اوفى من حظهم أو على نفس المتقين فيكون التفاوت أكثر وأظهر

إذا فعلوا فاحشة أي فعلة بالغة في القبح كالزنا

أو ظلموا انفسهم بأن أتوا ذنبا أي ذنب كان وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة أو الفاحشة ما يتعدى إلى الغير وظلم النفس ما ليس كذلك قيل قال المؤمنون يا رسول الله كانت بنو إسرائيل أكرم على الله تعالى منا كان احدهم إذا أذنب أصبحت كفارة ذنبه مكتوبة على عتبة داره افعل كذا فأنزل الله تعالى هذه الآية وقيل إن نبهان التمار أتته امرأة حسناء تطلب منه تمرا فقال لها هذا التمر ليس بجيد وفي البيت أجود منه فذهب بها إلى بيته فضمها إلى نفسه وقبلها فقالت له إتق الله فتركها وندم على ذلك وأتى النبي وذكر له ذلك فنزلت وقيل جرى مثل هذا بين أنصاري وإمرأة ورجل ثقفي كان

---

(١) تفسير أبي السعود، ٢/٨٤

بينهما مؤاخاة فندم الأنصاري وحثا على رأسه التراب وهام على وجهه وجعل يسيح في الجبال تائبا مستغفرا ثم أتى النبي فنزلت وأيا ما كان فإطلاق اللفظ ينتظم ما فعله الزناة انتظاما اوليا

ذكروا الله تذكروا حقه العظيم وجلاله الموجب للخشية والحياء أو وعيده أو حكمه وعقابه

فاستغفروا لذنوبهم بالتوبة والندم والفاء للدلالة على أن ذكره تعالى مستتبع للإستغفار لا محالة

ومن يغفر الذنوب استفهام إنكاري والمراد بالذنوب جنسها كما في قولك فلان يلبس الثياب ويركب الخيل لا كلها حتى يخل بما هو المقصود من استحالة صدور مغفرة فرد منها عن غيره تعالى وقوله تعالى

إلا الله بدل من الضمير المستكن في يغفر أي لا يغفر جنس الذنوب أحد إلا الله خلا أن دلالة الإستفهام على الإنتفاء أقوى وأبلغ لإيذانه بأن كل أحد ممن له حظ من الخطاب يعرف ذلك الإنتفاء فيسارع إلى الجواب به والمراد به وصفه سبحانه بغاية سعة الرحمة وعموم المغفرة والجملة معترضة بين المعطوفين أو ." (١)

" ١٣٦١٣٧ - آل عمران

بين الحال وصاحبها لتقرير الإستغفار والحث عليه والإشعار بالوعد بالقبول

ولم يصروا عطف على فاستغفروا وتأخيره عنه مع تقدم عدم الإصرار على الإستغفار رتبة لإظهار الإعتناء بشأن الإستغفار واستحقاقه للمسارعة إليه عقيب ذكره تعالى أو حال من فاعله أي ولم يقيموا أو غير مقيمين

على ما فعلوا أي ما فعلوه من الذنوب فاحشة كانت او ظلما أو على فعلهم روى عن النبي انه قال ما أصر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة وأنه لا كبيرة مع الإستغفار ولا صغيرة مع الإصرار

وهم يعلمون حال من فاعل يصروا أي لم يصيروا على ما فعلوا وهم عالمون بقبحه والنهي عنه والوعيد عليه والتقييد بذلك لما أنه قد يعذر من لا يعلم ذلك إذا لم يكن عن تقصير في تحصيل العلم به

أولئك إشارة إلى المذكورين آخرا باعتبار أتصافهم بما مر من الصفات الحميدة وما فيه من معنى البعد للإشعار ببعد منزلتهم وعلو طبقتهم في الفضل وهو مبتدأ وقوله تعالى

جزاؤهم بدل إشتمال منه وقوله تعالى

مغفرة خبر له أو جزاؤهم مبتدأ ثان ومغفرة خبر له والجمله خبر لأولئك وهذه الجملة خبر لقوله تعالى والذين إذا فعلوا الخ على الوجه الأول و هو الأظهر الأنسب بنظم المغفرة المنبئة عن سابقة الذنب في سلك الجزاء إذ على الوجهين الأخريين يكون قوله تعالى أولئك الخ جملة مستأنفة مبينة لما قبلها كاشفة عن حال كلا الفريقين المحسنين والتائبين ولم يذكر من اوصاف الأولين ما فيه شائبة الذنب حتى يذكر في مطلع الجزاء الشامل لها المغفرة و تخصيص الإشارة بالآخرين مع أشتراكهما في حكم إعداد الجنة لهما تعسف ظاهر

من ربهم متعلق بمحذوف وقع صفة لمغفرة مؤكدة لما إفادة التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية أي كائنة من جهته تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميرهم للإشعار بعلة الحكم والتشريف

---

(١) تفسير أبي السعود، ٨٦/٢

وجنات تجري من تحتها الأنهار عطف على مغفرة والتنكر المشعر بكونها أدنى من الجنة مما يؤيد رجحان الوجه الاول

خالدين فيها حال مقدرة من الضمير في جزاؤهم لأنه مفعول به في المعنى لأنه في قوة يجزيهم الله جنات خالدين فيها ولا مساغ لأن يكون حالا من جنات في اللفظ وهي لأصحابها في المعنى إذ لو كان كذلك لبرز الضمير

ونعم أجر العاملين المخصوص بالمدح محذوف أي ونعم أجر العاملين ذلك أي ما ذكر من المغفرة و الجنات والتعبير عنهما بالأجر المشعر بأنهما يستحقان بمقابلة العمل وإن كان بطريق التفضل لمزيد الترغيب في الطاعات والزجر عن المعاصي والجملة تذييل مختص بالتائبين حسب أختصاص التذييل السابق بالأولين وناهيك مضمونها دليلا على مابين الفريقين من التفاوت النير والتبايبن البين شتان بين المحسنين الفائزين بمحبة الله عز و جل وبين العاملين الحائزين لأجرتهم وعمالتهم

قد خلت من قبلكم سنن رجوع إلى تفصيل بقية القصة بعد تمهيد مبادئ الرشد و الصلاح وترتيب مقدمات الفوز والفلاح ." (١)

" ١٤٧ - آل عمران

للكل وإن جعلا للبعض الباقين بعد ما قتل الآخرون كما هو الأنسب بمقام توبيخ المنخذلين بعد ما استشهد الشهداء فهي عبارة عما ذكر مع ما اعتراهم من قتل إخوانهم من الخوف والحزن وغير ذلك هذا على القراءة المشهورة وأما على القراءتين الأخيرتين فإن أسند الفعل إلى الربيين فالضميران للباقين منهم حتما وإن أسند إلى ضمير النبي كما هو النسب بالتوبيخ على الإنخذال بسبب الإرجاف بقتله عليه الصلاة و السلام فهما للباقين أيضا إن اعتبر كون الربيين مع النبي في القتل وللجميع إن اعتبر كونهم معه في القتال

وما ضعفوا عن العدو وقيل عن الجهاد وقيل في الدين

وما استكانوا أي وما خضعوا للعدو وأصله استكن من السكون لأن الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريده والألف من إشباع الفتحة أو استكون من الكون لأنه يطلب ان يكون لمن يخضع له وهذا تعريض بما أصابهم من الوهن والإنكسار عند استيلاء الكفرة عليهم والإرجاف بقتل النبي وبضعفهم عند ذلك عن مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم حين أرادوا أن يعتضدوا بابن أبي المنافق في طلب الأمان من أبي سفيان

والله يحب الصابرين أي على مقاساة الشدائد ومعاناة المكاره في سبيل الله فينصرهم ويعظهم قدرهم والمراد بالصابرين إما المعهودون والإظهار في موضع الإضمار للثناء عليهم بحسن الصبر والإشعار بعلة الحكم وإما الجنس وهم داخلون فيه دخولا أوليا والجملة تذييل لما قبلها

وماكان قولهم كلام مبين لمحاسنهم القولية معطوف على ما قبله من الجمل المبينة لمحاسنهم الفعلية وقولهم بالنصب خبر لكان واسمها أن وما بعدها في قوله تعالى

إلا أن قالوا والاستثناء مفرغ من أعم الأشياء ما كان قولا لهم عند أي لقاء للعدو واقتحام مضايق الحرب وإصابة ما أصابهم من فنون الشدائد والأهوال شئ من الأشياء إلا ان قالوا

---

(١) تفسير أبي السعود، ٨٧/٢

ربنا اغفر لنا ذنوبنا أي صغائرنا

وإسرافنا في أمرنا أي تجاوزنا الحد في ركوب الكبائر أضافوا الذنوب والإسراف إلى أنفسهم مع كونهم ربانيين برءاء من التفريط في جنب الله تعالى هضما لها واستقصارا لهممهم وإسنادا لما أصابهم إلى أعمالهم وقدموا الدعاء بمغفرتها على ما هو الأهم بحسب الحال من الدعاء بقولهم

وثبت أقدامنا أي في مواطن الحرب بالتقوية والتأييد من عندك او ثبتنا على دينك الحق

وانصرنا على القوم الكافرين تقريبا له إلى حيز القبول فإن الدعاء المقرون بالخضوع الصادر عن زكاء وطهارة أقرب إلى الاستجابة والمعنى لم يزالوا مواظبين على هذا الدعاء من غير أن يصدر عنهم قول يوهم شائبة الجزع والخور والتزلزل في مواقف الحرب ومراصد الدين وفيه من التعريض بالمهزمين مالا يخفى وقرا ابن كثير وعاصم في رواية عنهما برفع قولهم على أنه الاسم والخبر أن وما في حيزها أي ما كان قولهم حينئذ شيئا من الأشياء الا هذا القول المنبيء عن أحاسن المحاسن وهذا كما ترى أقعد بحسب المعني وأوفق بمقتضي المقام لما ان الإخبار بكون قولهم المطلق خصوصية قولهم المحكى عنهم مفصلا كما تفيده قراءتهما اكثر إفادة للسامع ." (١)

" ١٤٨١٤٩ - آل عمران

من الأخبار بكون خصوصية قولهم المذكور قولهم لما أن مصب الفائدة وموقع البيان في الجمل الخبرية هو الخبر فالأحق بالخبرية ما هو أكثر إفادة وأظهر دلالة على الحدث وأوفر اشتمالا على نسب خاصة بعيدة من الوقوع في الخارج وفي ذهن السامع ولا يخفى أن ذلك ههنا في أن مع ما في حيزها أتم وأكمل وأما ما تفيده الاضافة من لنسبة المطلقة الإجمالية فحيث كانت سهلة الحصول خارجا و ذهنا كان حقها أن تلاحظ ملاحظة جمالية وتجعل عنوانا للموضوع لا مقصودا بالذات في باب البيان وإنما اختار الجمهور ما اختاره لقاعدة صناعية هي أنه إذا اجتمع معرفتان فالأعراف منهما أحق بالاسمية ولاريب في أعرفيه أن قالوا لدلالته على جهة النسبة وزمان الحدث ولأنه يشبه المضمر من حيث أنه لايوصف ولا يوصف به وقولهم مضاف إلى مضمر فهو بمنزلة العلم فتأمل

فآتاهم الله بسبب دعائهم ذلك

ثواب الدنيا أي النصر والغنيمة والعز والذكر الجميل

وحسن ثواب الآخرة أي وثواب الاخرة الحسن وهو الجنة والنعيم المخلد وتخصيص وصف الحسن به للإيذان بفضله ومزيته وإنه المعتد به عنده تعالى

والله يحب المحسنين **تذييل** مقرر لمضمون ما قبله فإن محبة الله تعالى للعبد عبارة عن رضاه عنه وإرادة الخير به فهى مبدأ لكل سعادة واللام إما للعهد وإنما وضع المظهر موضع ضمير المعهودين للإشعار بان ما حكى عنهم من الأفعال والأقوال من باب الإحسان وإما للجنس وهم داخلون فيه دخولا أوليا وهذا أنسب بمقام ترغيب المؤمنين في تحصيل ما حكى عنهم من المناقب الجليلة

---

(١) تفسير أبي السعود، ٢/٩٦

يأيها الذين آمنوا شروع في زجرهم عن متابعة الكفار ببيان استتباعها لخسران الدنيا والآخرة أثر ترغيبهم في الاقتداء بأنصار الأنبياء عليهم السلام ببيان إفضائه إلى فوزهم بسعادة الدارين وتصدير الخطاب بالنداء والتنبيه لإظهار الاعتناء بما في حيزة ووصفهم بالإيمان لتذكير حالهم وتثبيتهم عليها بإظهار مباينتها لحال أعدائهم كما أن وصف المنافقين بالكفر في قوله تعالى

إن تطيعوا الذين كفروا لذلك قصدا إلى مزيد التنفير عنهم والتحذير عن طاعتهم قال على رضي الله عنه نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا إلى إخوانكم وادخلوا في دينهم فوقوع قوله تعالى

يردوكم على أعقابكم جوابا للشرط مع كونه في قوة أن يقال إن تطيعوهم في قولهم ارجعوا إلى إخوانكم وادخلوا في دينهم يدخلوكم في دينهم باعتبار كونه تمهيدا لقوله تعالى

فتنقلبوا خاسرين أي للدنيا والآخرة غير فائزين بشئ منهما واقعين في العذاب الخالد على أن الارتداد على العقب علم في انتكاس الأمر ومثل في الحور بعد الكور وقيل المراد بهم اليهود والنصارى حيث كانوا يستغوونهم ويوقعون لهم الشبة في الدين ويقولون لو كان نبيا حقا لما غلب ولما أصابه واصحابه ما أصابهم وإنما هو رجل حاله كحال غيره من الناس يوما عليه ويوما له وقيل أبو سفيان وأصحابه والمراد بطاعتهم استئمانهم والاستكانة لهم وقيل الموصول على عمومه والمعنى نهى المؤمنين عن طاعتهم في أمر من الأمور حتى لا يستجروهم إلى الإرتداد عن الدين ." (١)

" فلن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم وفي رواية أخرى لا تبرحوا عن هذا المكان فإنا لا نزال غالبين ما دمتم في هذا المكان وقد كان كذلك فإن المشركين لما أقبلوا جعل الرماة يرشقونهم والباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمين على آثارهم يقتلونهم قتلا ذريعا وذلك قوله تعالى

إذ تحسونهم أي تقتلونهم قتلا كثيرا فاشيا من حسه إذا أبطل حسه وهو ظرف لصدقكم وقوله تعالى

بإذنه أي بتيسيره وتوفيقه لتحقيق أن قتلهم بما وعدهم الله تعالى من النصر وقيل هو ما وعدهم بقوله تعالى إن تصبروا وتتقوا الآية وقد مر تحقيق أن ذلك كان يوم بدر كيف لا والموعود بما ذكر إمداده عز و جل بإنزال الملائكة عليهم السلام وتقييد صدق وعده تعالى بوقت قتلهم بإذنه تعالى صريح في أن الموعود هو النصر المعنوى والتيسير لا الإمداد بالملائكة وقيل هو ما وعده تعالى بقوله سنلقى الخ وأنت خبير بإن ألقاء الرعب كان عند تركهم القتال ورجوعهم من غير سبب أو بعد ذلك في الطريق على اختلاف الروايتين وأيا ما كان فلا سبيل إلى كونه مغيا بقوله تعالى

حتى إذا فشلتم أي جبنتم وضعف رأيكم أو ملتم إلى الغنيمة فإن الحرص من ضعف القلب

وتنازعتم في الأمر فقال بعض الرماة حين انهزم المشركون وولوا هاربين والمسلمون على أعقابهم قتلا وضربا فما موقفنا ههنا بعد هذا وقال أميرهم عبد الله بن جبير رضي الله عنه لا نخالف أمر الرسول فثبت مكانه في نفر دون العشرة من أصحابه ونفر الباقون للنهب وذلك قوله تعالى

---

(١) تفسير أبي السعود، ٩٧/٢

وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون أي من الظفر والغنيمة وانهزام العدو فلما رأى المشركون ذلك حملوا عليهم من قبل الشعب وقتلوا أمير الرماة ومن معه من أصحابه حسبما فصل في تفسير قوله تعالى أفان مات أو قتل أنقلبتم على أعقابكم وجواب إذا محذوف وهو منعكم نصره وقيل هو امتحنكم ويرده جعل الابتداء غاية للصرف المترتب على منع النصر وقيل هو انقسمتم إلى قسمين كما ينبئ عنه قوله تعالى

منكم من يريد الدنيا وهم الذين تركوا المركز وأقبلوا على النهب

ومنكم من يريد الآخرة وهم الذين ثبتوا مكانهم حتى نالوا شرف الشهادة هذا على تقدير كون إذا شرطية وحتى ابتدائية داخلة على الجملة الشرطية وقيل إذا اسم كما في قولهم إذا يقوم زيد يقوم عمرو وحتى حرف جر بمعنى إلى متعلقة بقوله تعالى صدقكم باعتبار تضمنه لمعنى النصر كأنه قيل لقد نصركم الله إلى وقت فشلكم وتنازعكم الخ وعلى هذا فقوله تعالى

ثم صرفكم عنهم عطف على ذلك وعلى الأول عطف على الجواب المحذوف كما أشير إليه والجملتان الظرفيتان اعتراض بين المتعاطفين أي كفكم عنهم حتى حالت الحال ودالت الدولة وفيه من اللطف بالمسلمين مالا يخفى

ليبتليكم أي يعاملكم معاملة من يمتحنكم بالمصائب ليظهر ثباتكم على الإيمان عندها

ولقد عفا عنكم تفضلا ولما علم من ندمكم على المخالفة

والله ذو فضل على المؤمنين **تذييل** مقرر لمضمون ما قبله ومؤذن بأن ذلك العفو بطريق التفضل والإحسان لا بطريق الوجوب عليه أي شأنه أن يتفضل عليهم بالعفو أو هو متفضل عليهم في جميع الأحوال أديل لهم أو اديل عليهم إذ الابتلاء أيضا رحمة والتنكير للتفخيم والمراد بالمؤمنين إما المخاطبون والإظهار في موقع الإضمار للتشريف والإشعار بعلة الحكم وإما الجنس وهم داخلون في الحكم دخولا أوليا ." (١)

" ١٦٢١٦٣١٦٤ - ٤ آل عمران

بما احتمل من اثمه ووباله

ثم توفى كل نفس ما كسبت أي تعطى وافيا جزاء ما كسبت خيرا أو شرا كثيرا أو يسيرا ووضع المكسوب موضع جزائه تحقيقا للعدل ببيان ما بينهما من تمام التناسب كما وكيفا كأنهما شيء واحد وفي اسناد التوفية الى كل كاسب وتعليقها بكل مكسوب مع أن المقصود بيان حال الغال عند اتيانه بما غله يوم القيامة من الدلالة على فخامة شأن اليوم وهول مطلعه والمبالغة في بيان فظاعة حال الغال مالا يخفى فإنه حيث وفى كل كاسب جزاء ما كسبه ولم ينقص منه شيء وان كان جرمه في غاية القلة والحقارة فلأن لا ينقص من جزاء الغال شيء وجرمه من أعظم الجرائم وأظهر وأجلى

وهم أي كل الناس المدلول عليهم بكل نفس

لا يظلمون بزيادة عقاب أو بنقص ثواب

---

(١) تفسير أبي السعود، ٢/٩٩

أفمن اتبع رضوان الله أي سعى في تحصيله وانتحى نحوه حيثما كان بفعل الطاعات وترك المنكرات كالنبي ومن يسير بسيرته

كمن باء أي رجع

بسخط عظيم لا يقادر قدره كائن

من الله تعالى بسبب معاصيه كالغال ومن يدين بدينه والمراد تأكيد نفي الغلول عن النبي عليه الصلاة و السلام وتقريره بتحقيق المباينة الكلية بينه وبين الغال حيث وصف كل منهما ما وصف به الآخر فقوبل رضوانه تعالى بسخطه والاتباع بالبوء والجمع بين الهمزة والفاء لتوجيه الانكار الى ترتب توهم المماثلة بينهما والحكم بها على ما ذكر من حال الغال كأنه قيل أبعد ظهور حاله يكون من ترقي الى أعلى عليين كمن تردى الى اسفل سافلين واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لإدخال الروعة وتربية المهابة

ومأواه جهنم اما كلام مستأنف مسوق لبيان مآل أمر من باء بسخطه تعالى واما معطوف على قوله تعالى باء بسخط عطف الصلة الاسمية على الفعلية وايا ما كان فلا محل له من الاعراب

وبئس المصير اعتراض تذييلي والمخصوص بالذم محذوف أي وبئس المصير جهنم والفرق بينه وبين المرجع أن الأول يعتبر فيه الرجوع على خلاف الحالة الأولى بخلاف الثاني

هم راجع الى الموصولين باعتبار المعنى

درجات عند الله أي طبقات متفاوتة في علمه تعالى وحكمه شبهوا في تفاوت الأحوال وتباينها بالدرجات مبالغة وايذانا بأن بينهم تفاوتا ذاتيا كالدرجات أو ذوو درجات

والله بصير بما يعملون من الأعمال ودرجاتها فيجازيهم بحسبها

لقد من الله جواب قسم محذوف أي والله لقد من أي أنعم

على المؤمنين أي من قومه عليه السلام

اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم أي من نسبهم أو من جنسهم عربيا مثلهم ليفقهوا كلامه بسهولة ويكونوا واقفين على حاله في الصدق والامانة مفتخرين به وفي ذلك شرف لهم عظيم قال الله تعالى وانه لذكر لك ولقومك وقرئ من أنفسهم أي أشرفهم فإنه عليه السلام ." (١)

" ١٦٦١٦٧ – آل عمران

ذلك الوقت خاصة بناء على عدم كونه مظنة له داعيا إليه بل على كونه داعيا إلى عدمه فإن كون مصيبة عدوهم ضعف مصيبتهم مما يهون الخطب ويورث السلوة أو أفعلتم ما فعلتم ولما أصابتكم غائلته أنى هذا على توجيه الإنكار إلى استبعادهم الحادثة مع مباشرتهم لسببها وتذكير اسم الإشارة في أنى هذا مع كونه إشارة إلى المصيبة ليس لكونها عبارة عن

---

(١) تفسير أبي السعود، ١٠٧/٢

القتل ونحوه بل لما أن إشارتهم ليست إلا إلى ما شاهدوه في المعركة من حيث هو هو من غير أن يخطر ببالهم تسميته باسم ما فضلا عن تسميته باسم المصيبة وإنما هي عند الحكاية وقوله عز و جل

قل هو من عند أنفسكم أمر لرسول الله بأن يجيب عن سؤالهم الفاسد إثر تحقيق فساد بالإنكار والتقريع ويبكتهم أن ما نالهم إنما نالهم من جهتهم بتركهم المركز وحرصهم على الغنيمة وقيل باختيارهم الخروج من المدينة ويأباه أن الوعد بالنصر كان بعد ذلك كما ذكر عند قوله تعالى ولقد صدقكم الله وعده الآية وأن عمل النبي بموجبه قد رفع الخطر عنه وخفف جنايتهم فيه على أن اختيار الخروج والإصرار عليه كان ممن أكرمهم الله تعالى بالشهادة يومئذ وأين هم من التفوه بمثل هذه الكلمة وقيل بأخذهم الفداء يوم بدر قبل أن يؤذن لهم والأول هو الأظهر الأقوى وإنما يعضده توسيط خطاب الرسول بين الخطابين المتوجهين إلى المؤمنين وتفويض التبكيت إليه عليه السلام فإن توبيخ الفاعل على الفعل إذا كان ممن نهاه عنه كان أشد تأثيرا

إن الله على كل شئ قدير ومن جملته النصر عند الطاعة والخذلان عند المخالفة وحيث خرجتم عن الطاعة أصابكم منه تعالى ما أصابكم والجملة تذييل والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها داخل تحت الأمر

وما أصابكم رجوع إلى خطاب المؤمنين إثر خطابه عليه السلام بسر يقتضيه وإرشاد لهم إلى طريق الحق فيما سألوا عنه وبيان لبعض ما فيه من الحكم والمصالح ودفع لما عسى أن يتوهم من قوله تعالى هو من عند أنفسكم من استقلالهم في وقوع الحادثة والعدول عن الإضمار إلى ما ذكر للتهويل وزيادة التقرير ببيان وقته بقوله تعالى

يوم التقى الجمعان أي جمعكم وجمع المشركين

فبإذن الله أي فهو كائن بقضائه وتخليته الكفار سمى ذلك إذنا لكونها من لوازمه

وليعلم المؤمنين عطف على قوله تعالى فبإذن الله عطف المسبب على السبب والمراد بالعلم التمييز والإظهار فيما بين الناس

وليعلم الذين نافقوا عطف على ما قبله من مثله وإعادة الفعل لتشريف المؤمنين وتنزيههم عن الانتظام في قرن المنافقين وللإيذان باختلاف حال العلم بحسب التعلق بالفريقين فإنه متعلق بالمؤمنين على نهج تعلقه السابق وبالمنافقين على وجه جديد وهو السر في إيراد الأولين بصيغة اسم الفاعل المنبئة عن الاستمرار والآخرين بموصول صلته فعل دال على الحدث والمعنى وما ." (١)

" ١٨١١٨٢ – آل عمران لتربية المهابة والالتفات للمبالغة في الوعيد والإشعار باشتداد غضب الرحمن الناشئ من ذكر قبائحهم وقرئ بالياء على الظاهر

لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء قالته اليهود لما سمعوا قوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا وروى انه عليه السلام كتب مع أبي بكر رضي الله عنه إلى يهود بنى قينقاع يدعوهم إلى الإسلام وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وأن يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص إن الله فقير حتى سألنا القرض فلطمه أبو بكر رضي الله عنه في وجهه

(١) تفسير أبي السعود، ١٠٩/٢

وقال لولا الذي بيننا وبينكم من العهد لضربت عنقك فشكاه إلى رسول الله وجحد ما قاله فنزلت والجمع حينئذ مع كون القائل واحدا لرضا الباقين بذلك والمعنى أنه لم يخف عليه تعالى واعد له من العذاب كفأه والتعبير عنه بالسماع للإيذان بأنه من الشناعة والسماحة بحيث لا يرضى قائله بأن يسمعه سامع والتوكيد القسمى للتشديد في التهديد والمبالغة في الوعيد

سنكتب ما قالوا أي سنكتب ما قالوه من العظيمة الشنعاء في صحائف الحفظة أو سنحفظه ونثبته في علمنا لاننساه ولا نهمله كما يثبت المكتوب والسين للتأكيد أي لن يفوتنا أبدا تدوينه وإثباته لكونه في غاية العظم والهول كيف لا وهو كفر بالله تعالى واستهزاء بالقرآن العظيم والرسول الكريم ولذلك عطف عليه قوله تعالى

وقتلهم الأنبياء إيذانا بأنهما في العظم أخوان وتنبيها على أنه ليس بأول جريمة ارتكبوها بل لهم فيه سوابق وأن من اجترأ على قتل الأنبياء لم يستبعد منه أمثال هذه العظائم والمراد بقتلهم الأنبياء رضاهم بفعل أسلافهم وقوله تعالى

بغير حق متعلق بمحذوف وقع حالا من قتلهم أي كائنا بغير حق في اعتقادهم أيضا كما هو في نفس الأمر وقرئ سيكتب على البناء للفاعل وسيكتب على البناء للمفعول وقتلهم بالرفع

ونقول ذوقوا عذاب الحريق أي وننتقم منهم بعد الكتبة بأن نقول لهم ذوقوا العذاب المحرق كما أذقتم المسلمين الغصص وفيه من المبالغات مالا يخفى وقرئ ويقول بالياء ويقال على البناء للمفعول

ذلك إشارة إلى العذاب المذكور وما فيه من معنى البعد للدلالة على عظم شأنه وبعد منزلته في الهول والفظاعة وهو مبتدأ خبره قوله تعالى

بما قدمت أيديكم أي بسبب ما اقترفتموه من قتل الأنبياء والتفوه بمثل تلك العظيمة وغيرها من المعاصي والتعبير عن الأنفس بالأيدى لما ان عامة أفاعيلها تزاول بهن ومحل أن في قوله تعالى

وأن الله ليس بظلام للعبيد الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف والجملة اعتراض **تذييلى** مقرر لمضمون ما قبلها أي والأمر أنه تعالى ليس بمعذب لعبيده بغير ذنب من قبلهم والتعبير عن ذلك بنفى الظلم مع ان تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم ما تقرر من قاعدة أهل السنة فضلا عن كونه ظلما بالغا لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه سبحانه من الظلم كما يعبر عن ترك الإثابة على الأعمال على الأعمال بإضاعتها مع ان الأعمال غير موجبة للثواب حتى يلزم من تخلفه عنها صياغها وصيغة ." (١)

" ١٩٢١٩٣ - آل عمران الحكم الذي أجرى على الموصول ودواعى ثبوته له كذكرهم الله عز و جل في عامة أوقاتهم وتفكرهم في خلق السموات والأرض فإنهما مما يؤدى إلى اجتلاء تلك الايات والاستدلال بها على المطلوب ولا ريب في أن قولهم ذلك ليس من مبادى الاستدلال المذكور بل من نتائجه المترتبة عليه فاعتباره قيدا لما في حيز الصلة مما لا يليق بشأن التنزيل الجليل نعم هو حال من ذلك على تقدير كون الموصول مرفوعا أو منصوبا على المدح أو مرفوعا على أنه خبر لمبتدأ محذوف إذ لااشتباه في أن قولهم ذلك من مبادى مدحهم ومحاسن مناقبهم وفي إبراز هذا القول في معرض الحال دون الخبر إشعار بمقارنته لتفكرهم من غير تلعثم وتردد في ذلك وقوله تعالى

---

(١) تفسير أبي السعود، ١٢١/٢

سبحانك أي تنزيها لك عما لا يليق بك من الأمور التي من جملتها خلق مالا حكمة فيه اعتراض مؤكدة لمضمون ما قبله وممهد لما بعده من قوله تعالى

فقنا عذاب النار فإن معرفة سر خلق العالم وما فيه من الحكمة البالغة والغاية الحميدة والقيام بما تقتضيه من الأعمال الصالحة وتنزيه الصانع تعالى عن العبث من دواعى الاستعاذة مما يحيق بالمخلين بذلك من وجهين أحدهما الوقوف على تحقق العذاب فالفاء لترتيب الدعاء على ما ذكر والثاني الاستعداد لقبول الدعاء فالفاء لترتيب المدعو أعنى الوقاية على ذلك كأنه قيل وإذ قد عرفنا سرك وأطعنا أمرك ونزهناك عما لا ينبغى فقنا عذاب النار الذي هو جزاء الذين لا يعرفون ذلك

ربنا أنك من تدخل النار فقد اخزيته مبالغة في استدعاء الوقاية وبيان لسببه وتصدير الجملة بالنداء للمبالغة في التضرع والجؤار وتأكيدها لإظهار كمال اليقين بمضمونها والإيذان بشدة الخوف وإظهار النار في موضع الإضمار لتهويل أمرها وذكر الإدخال في مورد العذاب لتعيين كيفيته وتبيين غاية فظاعته قال الواحدى للإخزاء معان متقاربة يقال أخزاه الله أي أبعده وقيل أهانة وقيل أهلكه وقيل فضحة قال ابن الأنبارى الخزى لغة الهلاك بتلف أو بانقطاع حجة أو بوقوع في بلاء والمعنى فقد أخزيته خزيا لا غاية وراءه كقولهم من أدرك مرعى الضمان فقد أدرك أى المرعى الذي لا مرى على بعده وفيه من الإشعار بفظاعة العذاب الروحاني مالا يخفى وقوله تعالى

وما للظالمين من أنصار **تذييل** لإظهار نهاية فظاعة حالهم ببيان خلود عذابهم بفقدان من ينصرهم ويقوم بتخليصهم وغرضهم تأكيد الاستدعاء ووضع الظالمين موضع ضمير المدخلين لذمهم والإشعار بتعليل دخولهم النار بظلمهم ووضعهم الأشياء في غير مواضعها وجمع الأنصار بالنظر إلى جمع الظالمين أي ما لظالم من الظالمين نصير من الأنصار والمراد به من ينصر بالمدافعة والقهر فليس في الاية دلالة على نفى الشفاعة على أن المراد بالظالمين هم الكفار

ربنا إننا سمعنا مناديا ينادى للإيمان حكاية لدعاء آخر لهم مبنى على تأملهم في الدليل السمعى بعد حكاية دعائهم السابق البمنى على التفكر في الإدلة العقلية وتصدير مقدمة الدعاء بالنداء لإظهار كمال الضراعة والابتهال ." (١)

" عنها ضياعها لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه من القبائح وإبراز الإثابة في معرض الأمور الواجبة عليه وقرئ بكسرالهمزة على إرادة القول أي قائلا أنى الخ فلا التفات حينئذ وقرئ لا أضيع بالتشديد ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لعامل أي عامل كائن منكم وقوله تعالى

من ذكر أو أنثى بيان لعامل وتأكيد لعمومه وقوله تعالى

بعضكم من بعض جملة معترضة مبينة لسبب انتظام النساء في سلك الرجال في الوعد فإن كون كل منهما من الآخر لتشعبهما من أصل واحد أو لفرط الإتصال بينهما أو لإتفاقهما في الدين والعمل مما يستدعي الشركة والإتحاد في ذلك روى أن أم سلمة رضي الله عنها قالت لرسول الله إني أسمع الله تعالى يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت وقوله تعالى

---

(١) تفسير أبي السعود، ١٣١/٢

فالذين هاجروا ضرب تفصيل لما أجمل في العمل وتعداد لبعض أحاسن أفراده على وجه المدح والتعظيم أي فالذين هاجروا الشرك أو الأوطان والعشائر للدين وقوله تعالى

وأخرجوا من ديارهم على الأول عبارة عن نفس الهجرة وعلى الثاني عن كيفيتها وكونها بالقسر والإضطرار

وأوذوا في سبيلي أي بسبب إيمانهم بالله ومن أجله وهو متناول لكل أذية نالتهم من قبل المشركين

وقاتلوا أي الكفار في سبيل الله تعالى

وقتلوا استشهدوا في القتال وقرئ بالعكس لما أن الواو لا تستدعي الترتيب أو لأن المراد قتل بعضهم وقتال آخرين إذ ليس المعنى على اتصاف كل فرد من أفراد الموصول المذكور بكل واحد مما ذكر في حيز الصلة بل على اتصاف الكل بالكل في الجملة سواء كان ذلك باتصاف كل فرد من الموصول بواحد من الأوصاف المذكورة أو باثنين منها أو بأكثر إما بطريق التوزيع أو بطريق حذف بعض الموصولات من البين كما هو رأي الكوفيين كيف لا ولو أدير الحكم على اتصاف كل فرد بالكل لكان قد أضيع عمل من اتصف بالبعض وقرئ وقتلوا بالتشديد

لأكفرن عنهم سيئاتهم جواب قسم محذوف أي والله لأكفرن والجملة القسمية خبر للمبتدأ الذي هو الموصول وهذا تصريح بوعد ما سأله الداعون بخصوصه بعد ما وعد ذلك عموما وقوله تعالى

ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار إشارة إلى ما عبر عنه الداعون فيما قبل بقولهم وآتنا ما وعدتنا على رسلك وتفسير له

ثوابا مصدر مؤكد لما قبله فإن تكفير السيئات وإدخال الجنة في معنى الإثابة وقوله تعالى

من عند الله متعلق بمحذوف هو صفة له مبينة لشرفه أي لأثيبنهم إثابة كائنة أو تثويبا كائنا من عنده تعالى بالغا إلى المرتبة القاصية من الشرف وقوله تعالى

والله عنده حسن الثواب اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله والإسم الجليل مبتدأ خبره عنده وحسن الثواب مرتفع بالظرف على الفاعلية لاعتماده على المبتدأ وهو مبتدأ ثان والظرف خبره والجملة خبر للمبتدأ الأول والعندية عبارة عن الأختصاص به تعالى مثل كونه بقدرته تعالى وفضله بحيث لا يقدر عليه غيره بحال شيء يكون بحضرة أحد لا يد عليه لغيره فالإختصاص مستفاد من التمثيل سواء جعل عنده خبرا مقدما لحسن الثواب أولا وفي تصدير الوعد الكريم بعدم إضاعة العمل ثم تعقيبه بمثل هذا الإحسان الذي لا يقادر قدره من لطف المسلك المنبئ عن عظم شان المحسن ما لا يخفى (١) ".

" ١٩٦١٩٧١٩٨ - ٨ آل عمران

لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد بيان لقبح ما أوتي الكفرة من حظوظ الدنيا وكشف عن حقارة شأنها وسوء مغبتها إثر بيان حسن ما أوتي المؤمنون من الثواب والخطاب للنبي على أن المراد تثبيته على ما هو عليه كقوله تعالى فلا تطع المكذبين أو على أن المراد نهي المؤمنين كما يوجه الخطاب إلى مداره القوم ورؤسائهم والمراد أفناؤهم أو لكل أحد ممن يصلح

---

(١) تفسير أبي السعود، ١٣٤/٢

للخطاب من المؤمنين والنهي للمخاطب وإنما جعل للتقلب مبالغة أي لا تنظر إلى ما عليه الكفرة من السعة ووفور الحظ ولا تغتر بظاهر ما ترى منهم من التبسط في المكاسب والمتاجر والمزارع روى أن بعض المؤمنين كانوا يرون المشركين في رخاء ولين عيش فيقولون إن أعداء الله تعالى فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت وقرئ ولا غرنك بالنون الخفيفة

متاع قليل خبر لمبتدأ محذوف أي هو متاع قليل لا قدر له في جنب ما ذكر من ثواب الله تعالى قال عليه السلام ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر بم يرجع فإذن لا يجدي وجوده لواجديه ولا يضر فقدانه لفاقديه

ثم مأواهم أي مصيرهم الذي يأوون إليه لا يبرحونه

جهنم التي لا يوصف عذابها وقوله تعالى

وبئس المهاد ذم لها وإيذان بأن مصيرهم إليها مما جنته انفسهم وكسبته أيديهم والمخصوص بالذم محذوف أي بئس ما مهدوا لأنفسهم جهنم

لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها بيان لكمال حسن حال المؤمنين غب بيان وتكرير له إثر قرير مع زيادة خلودهم في الجنات ليتم بذلك سرورهم ويزداد تبجحهم ويتكامل به سوء حال الكفرة وإيراد التقوى في حيز الصلة للإشعار بكون الخصال المذكورة من باب التقوى والمراد به الإتقاء من الشرك والمعاصي فالموصول مبتدأ والظرف خبره وجنات مرتفع به على الفاعلية لاعتماده على المبتدأ أو الظرف خبر لجنات والجملة خبر للموصول وخالدين فيها أي في الجنات حال مقدرة من الضمير أو من جنات لتخصصها بالوصف والعامل ما في الظرف من معنى الاستقرار

نزلا من عند الله وقرئ بسكون الزاي وهو ما يعد للنازل من طعام وشراب وغيرهما قال أبو الشعر الضبي ... وكنا إذا الجبار بالجيش ضافنا ... جعلنا القنا والمرهفات له نزلا ...

وانتصابه على الحالية من جنات لتخصصها بالوصف والعامل فيه ما في الظرف من معنى الإستقرار وقيل هو مصدر مؤكد كأنه قيل رزقا أو عطاء من عند الله

وما عند الله خير مبتدأ وخبر وقوله تعالى

للأبرار متعلق بمحذوف هو صفة لخير أي ما عنده تعالى من الأمور المذكورة الدائمة خير كائن للأبرار أي مما يتقلب فيه الفجار من المتاع القليل الزائل والتعبير عنهم بالأبرار للإشعار بأن الصفات المعدودة من أعمال البر كما أنها من قبيل التقوى والجملة **تذييل** لما قبلها ." (١)

" ٢٧٢٨٢٩ - ٩ النساء ما شرع لكم من الأحكام

حكيم مراع في جميع أفعالة الحكمة والمصلحة

---

(١) تفسير أبي السعود، ١٣٥/٢

والله يريد أن يتوب عليكم جملة مبتدأة مسوقة لبيان كمال منفعة ما أراده الله تعالى وكمال مضرة مايريد الفجرة لا لبيان إراداته تعالى لتوبته عليهم حتى يكون من باب التكرير للتقرير ولذلك غير الأسلوب إلى الجملة الاسمية دلالة على دوام الإرادة ولم يفعل ذلك في قوله تعالى

ويريد الذين يتبعون الشهوات للإشارة إلى الحدوث وللإيماء إلى كمال المباينة مضموني الجملتين كما مر في قوله تعالى الله ولى الذين آمنوا الآية والمراد بمبتعي الشهوات الفجرة فإن اتباعها الائتمار بها وأما المتعاطى لما سوغه الشرع من المشهيات دون غيره فهو متبع له لا لها وقيل هم اليهود والنصارى وقيل هم المجوس حيث كانوا يحلون الأخوات من الأب وبنات الخ وبنات الأخت فلما حرمهن الله تعالى قالوا فإنكم تحلون بنت الخالة وبنت العمة مع أن العمة والخالة عليكم حرام فانكحوا بنات الأخ والأخت فنزلت

أن تميلوا عن الحق بموافقتهم على اتباع الشهوات واستحلال المحرمات وتكونوا زناة مثلهم وقرئ بالياء التحتانية والضمير للذين يتبعون الشهوات

ميلا عظيما أى بالنسبة إلى ميل من اقترف خطيئة على ندرة بلا استحلال

يريد الله أن يخفف عنكم بما مر من الرخص ما في عهدتكم من مشاق التكاليف والجملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب

وخلق الإنسان ضعيفا عاجزا عن مخالفة هواه غير قادر على مقابلة دواعيه وقواه حيث لا يصبر عن اتباع الشهوات ولا يستخدم قواه في مشاق الطاعات وعن الحسن أن المراد ضعف الخلقة ولا يساعده المقام فإن الجلمة اعتراض **تذييلى** مسوق لتقرير ما قبله من التخفيف بالرخصة في نكاح الإماء وليس لضعف البنية مدخل في ذلك وإنما الذى يتعلق به التخفيف في العبادات الشاقة وقيل المراد به ضعفه في أمر النساء خاصة حيث لا يصبر عنهن وعن سعيد بن المسيب ما أيس الشيطان من بنى آدم قط إلا أتاهم من قبل النساء فقد اتى على ثمانون سنة وذهبت إحدى عينى وانا أعشوا بالأخرى وإن أخوف ما أخاف على فتنة النساء وقرأ ابن عباس رضى الله عنهما وخلق الإنسان على البناء للفاعل والضمير له عز و جل وعنه رضى الله عنه ثمانى آيات في سورة النساء هن خير لهذه الأمة مما طلعت عليه الشمس وغربت يريد الله ليبين لكم والله يريد أن يتوب عليكم يريد الله أن يخفف عنكم إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ومن يعمل سوء أو يظلم نفسه ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم

يأيها الذين أمنوا لاتأكلوا أموالكم ." (١)

" ٣٠ - النساء بينكم بالباطل شروع في بيان بعض الحرمات المتعلقة بالأموال والأنفس إثر بيان الحرمات المتعلقة بالأبضاع وتصدير الخطاب بالنداء والتنبيه لإظهار كمال العناية بمضمونه والمراد بالباطل ما يخالف الشرع كالغصب والسرقة والخيانة والقمار وعقود الربا وغير ذلك مما لم يبحة الشرع أى لا يأكل بعضكم اموال بعض بغير طريق شرعى

---

(١) تفسير أبي السعود، ٢/١٦٩

إلا ان تكون تجارة عن تراض منكم استثناء منقطع وعن متعلقة بمحذوف وقع صفة لتجارة أى إلا ان تكون التجارة تجارة صادرة عن تراض كما في قوله ... إذا كان يوما ذا كواكب اشنعا ... أي إذا كان اليوم يوما الخ أو الاأن تكون الأموال أموال تجارة وقرئ تجارة بالرفع على أن كان تامة أى ولكن اقصدوا كون تجارة عن تراض أى وقوعها أو ولكن وجود تجارة عن تراض غير منهى عنه وتخصيصها بالذكر من بيان سائر أسباب الملك لكونها معظمها وأغلبها وقوعا وأوافقها لذوى المروءات والمراد بالتراضى مراضاة المتبايعين فيما تعاقدا عليه في حال المبايعة وقت الإيجاب والقبول عندنا وعند الشافعى رحمه الله حالة الافتراق عن مجلس العقد

ولا تقتلوا أنفسكم أى من كان من جنسكم من المؤمنين فإن كلهم كنفس واحدة وعن الحسن لاتقتلوا إخوانكم والتعبير عنهم بالأنفس للمبالغة في الزجر عن قتلهم بتصويره بصورة ما لا يكاد يفعله عاقل أولا تهلكوا أنفسكم بتعريضها للعقاب باقتراف ما يفضى إليه فإنه القتل الحقيقى لها كما يشعر به إيراده عقيب النهى عن أكل الحرام فيكون مقررا للنهى السابق وقيل لاتقتلوا أنفسكم بالبخع كما يفعله بعض الجهلة أو بارتكاب ما يؤدى إلى القتل من الجنايات وقيل بإلقائها في التهلكة وايد بما روى عن عمر بن العاص انه تأوله بالتيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه النبى وقرئ ولا تقتلوا بالتشديد للتكثير وقد جمع في التوصية بين حفظ النفس وحفظ المال لما أنه شقيقها من حيث أنه سبب لقوامها وتحصيل كمالاته واستيفاء فضائلها وتقديم النهى عن التعرض له لكثرة وقوعه

إن الله كان بكم رحيما تعليل للنهى بطريق الاستئناف أى مبالغا في الرحمة والرأفة ولذلك نهاكم عما نهى فإن ذلك رحمة عظيمة لكم بالزجر عن المعاصى وللذين هم في معرض التعرض لهم بحفظ أموالهم وانفسهم وقيل معناه إنه كان بكم يا أمة محمد رحيما حيث امر بنى إسرائيل بقتلهم أنفسهم ليكون توبة لهم وتمحيصا لخطاياهم ولم يكلفكم تلك التكاليف الشاقة

ومن يفعل ذلك إشارة إلى القتل خاصة أو لما قبله من أكل الأموال وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد منزلتهما في الفساد

عدوانا وظلما أى إفراطا في التجاوز عن الحد وإتيانا بما لا يستحقه وقيل أريد بالعدوان التعدى على الغير بالظلم الظلم على النفس بتعريضها للعقاب ومحلها النصب على الحالية أو على العلية أى معتديا وظالما أوللعدوان والظلم وقرئ عدوانا بكسر العين

فسوف نصليه جواب للشرط أى ندخله وقرئ بالتشديد من صلى وبفتح النون من صلاة يصليه ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء والضمير لله تعالى أو لذلك من حيث غنه سبب للصلى

نارا أى نارا مخصوصة هائلة شديدة العذاب

وكان ذلك أى إصلاؤه النار

على الله يسيرا لتحقق الداعي وعدم الصارف وإظهار الاسم الجليل بطريق الالتفات لتربية المهابة وتأكيد استقلال الاعتراض التذييلى ." (١)

" ٣٧٣٨ – النساء

وبذى القربى أى بصاحب القرابة من أخ أو عم أو خال أو نحو ذلك

واليتامى والمساكين من الأجانب

والجار ذى القربى أى الذي قرب جواره وقيل الذي له مع الجوار قرب واتصال بنسب أودين وقرئ بالنصب على الاختصاص تعظيما لحق الجار ذى القربى

والجار الجنب أى البعيد أو الذى لا قرابة له وعنه عليه الصلاة و السلام الجيران ثلاثة فجار له ثلاثة حقوق حق الجوار وحق القرابة وحق الإسلام وجار له حقان حق الجوار وحق الإسلام وجار له حق واحد وهو حق الجوار وهو الجار من أهل الكتاب وقرئ والجار الجنب

والصاحب بالجنب أى الرفيق في امر حسن كتعلم وتصرف وصناعة وسفر فإنه صحبك وحصل بجانبك ومنهم من قعد بجنبك في مسجد أو مجلس او غير ذلك من ادنى صحبة التأمت بينك وبينه وقيل هى المرأة

وابن السبيل هو المسافر المنقطع به أو الضيف

وما ملكت إيمانكم من العبيد والإماء

أن الله لا يحب من كان مختالا أى متكبرا يانف عن أقاربه وجيرانه وأصحابه ولايلتفت إليهم

فخورا يتفاخر عليهم والجملة تعليل للآمر السابق

الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل بضم الباء وسكون الخاء وقرئ بفتح الأول وبفتحهما وبضمهما والموصول بدل من قوله تعالى من كان أونصب على الذم أو رفع عليه أى هم الذين أو مبتدأ خبره محذوف تقديره الذين يبخلون ويفعلون ويصنعون احقاء بكل ملامة

يكتمون ما آتاهم الله من فضله أى من المال والغنى أو من نعوته عليه السلام التى بينها لهم في التوراة وهو أنسب بأمرهم للناس بالبخل فإن أحبارهم كانوا يكتمونها ويأمرون أعقابهم بكتمها

وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا وضع الظاهر موضع المضمر إشعارا بأن من هذا شأنه فهو كافر بنعمة الله تعالى ومن كان كافرا بنعمة الله تعالى فله عذاب يهينه كما أهان النعمة بالبخل والإخفاء والاية نزلت في طائفة من اليهود وكانوا يقولون للأنصار بطريق النصيحة لاتنفقوا أموالكم فإنا نخشى عليكم الفقر وقيل في الذين كتموا نعت رسول الله والجملة اعتراض تذييلى مقرر لما قبلها

والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس اى للفخار وليقال ما أسخاهم وما اجودهم لا لابتغاء وجه الله تعالى وهو عطف على الذين يبخلون أو على الكافرين وإنما شاركوهم في الذم والوعيد لأن البخل والسرف الذي هو الإنفاق فيما لا ينبغى

---

(١) تفسير أبي السعود، ٢/١٧٠

من حيث أنهما طرفا تفريط وإفراط سواء في القبح واستتباع اللائمة والذم ويجوز أن يكون العطف بناء على إجراء التغاير الوصفي مجرى التغاير الذاتي كما في قوله ... إلى الملك القرم وابن الهمام ... وليث الكتائب في المزدحم ...

اومبتدأ خبره محذوف يدل عليه قوله تعالى ومن يكن الخ كأنه قيل والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس

ولايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ." (١)

" ٤٨٤٩ - النساء دخولا أوليا فالجملة اعتراض تذييلي مقرر لما سبق ووضع الإسم الجليل موضع الضمير بطريق الإلتفات لتربية المهابة وتعليل الحكم وتقوية ما في الإعتراض من الإستقلال

إن الله لا يغفر أن يشرك به كلام مستأنف مسوق لتقرير ما قبله من الوعيد و تأكيد وجوب الامتثال بالأمر بالإيمان ببيان استحالة المغفرة بدونه فإنهم كانوا يفعلون ما يفعلون من التحريف و يطمعون في المغفرة كما في قوله تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى أي على التحريف و يقولون سيغفر لنا و المراد بالشرك مطلق الكفر المنتظم لكفر اليهود انتظاما أوليا فإن الشرع قد نص على إشراك أهل الكتاب قاطبة و قضى بخلود أصناف الكفرة في النار و نزوله في حق اليهود كما قال مقاتل و هو الأنسب بسياق النظم الكريم و سياقه لا يقتضي اختصاصه بكفرهم بل يكفي اندراجه فيه قطعا بل لا وجه له أصلا لاقتضائه جواز مغفرة ما دون كفرهم في الشدة من أنواع الكفر أي لا يغفر الكفر لمن اتصف به بلا توبة و إيمان لأن الحكمة التشريعية مقتضية لسد باب الكفر و جواز مغفرته بلا إيمان مما يؤدي إلى فتحه و لأن ظلمات الكفر و المعاصي إنما يسترها نور الإيمان فمن لم يكن له إيمان لم يغفر له شيء من الكفر و المعاصي

ويغفر ما دون ذلك عطف على خبر إن و ذلك إشارة إلى الشرك وما فيه من معنى البعد مع قربه في الذكر للإيذان ببعد درجته و كونه في أقصى مراتب القبح أي ويغفر ما دونه في القبح من المعاصي صغيرة كانت أو كبيرة تفضلا من لدنه و إحسانا من غير توبة عنها لكن لا لكل أحد بل

لمن يشاء أي لمن يشاء أن يغفر له ممن اتصف به فقط لا بما فوقه فإن مغفرتهما لمن اتصف بهما سواء في استحالة الدخول تحت المشيئة المبنية على الحكمة التشريعية فإن اختصاص مغفرة المعاصي من غير توبة بأهل الإيمان من الترغيب فيه و الزجر عن الكفر ومن علق المشيئة بكلا الفعلين و جعل الموصول الأول عبارة عمن لم يتب و الثاني عمن تاب فقد ضل سواء الصواب كيف لا و أن مساق النظم الكريم لإظهار كمال عظم جريمة الكفر و امتيازه عن سائر المعاصي ببيان استحالة مغفرته و جواز مغفرتها فلو كان الجواز على تقدير التوبة لم يظهر بينهما فرق للإجماع على مغفرتهما بالتوبة و لم يحصل ما هو المقصود من الزجر البليغ عن الكفر و الطغيان و الحمل على التوبة و الإيمان

ومن يشرك بالله إظهار الاسم الجليل في موضع الإضمار لزيادة تقبيح الإشراك و تفظيع حال من يتصف به

فقد افترى إثما عظيما أي افترى و اختلق مرتكبا إثما لا يقادر قدره و يستحقر دونه جميع الآثام فلا تتعلق به المغفرة قطعا

---

(١) تفسير أبي السعود، ٢/١٧٦

ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم تعجيب من حالهم المنافية لما هم عليه من الكفر و الطغيان و المراد بهم اليهود الذين يقولون نحن أبناء الله و أحباؤه و قيل ناس من اليهود جاءوا بأطفالهم إلى رسول الله فقالوا هل على هؤلاء ذنب فقال لا قالوا ما نحن إلا كهيئتهم ما عملنا بالنهار كفر ." (١)

" ٥٦ – النساء هؤلاء الحاسدين وآبائهم من آمن بما اوتى آل إبراهيم ومنهم من أعرض عنه وأما جعل الضميرين لما ذكر من حديث آل إبراهيم فيستدعى تراخى الاية الكريمة عما قبلها نزولا كيف لا وحكاية إيمانهم بالحديث المذكور وإعراضهم عنه بصيفة الماضى إنما يتصور بعد وقوع الإيمان والإعراض المتأخرين عن سماع الحديث المتأخر عن نزوله وكذا جعلهما رسول الله إذ الظاهر بيان حالهم بعد هذا الإلزام وحملة على حكاية حاهلم السابقة لاتساعده الفاء المرتبة لما بعدها على ما قبلها ولا يبعد كل البعد ان تكون الهمزة لتقرير حسدهم وتوبيخهم بذلك ويكون قوله تعالة فقد آتينا الاية تعليلا له بدلالته على إعراضهم عما أوتى آل إبراهيم وإن لم يذكر كونه بطريق الحسد كأنه قيل بل أيحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ولا يؤمنون به وذلك ديدنهم المستمر فإنا قد آتينا آل إبراهيم ما آتينا فمنهم أى من جنسهم من آمن بما آتيناهم ومنهم من أعرض عنه ولم يؤمن به والله سبحانه أعلم وفيه تسلية لرسول الله

وكفى بجهنم سعيرا نارا مسعرة يعذبون بها والجملة تذييل لما قبلها

إن الذين كفروا بآياتنا إن أريد بهم الذين كفروا برسول الله فالمراد بالايات إما القرآن أوما يعم كله وبعضه او ما يعم سائر معجزاته أيضا وان أريد بهم الجنس المتناول لهم تناولا أوليا فالمراد بالايات ما يعم المذكورات وسائر الشواهد التى أوتيها الأنبياء عليهم السلام

سوف نصليهم نارا قال سيبويه سوف كلمة تذكر للتهديد والوعيد وينوب عنها السين وقد يذكران في الوعد فيفيدان التأكيد اى ندخلهم نارا عظيمة هائلة

كلما نضجت جلودهم أى احترقت وكلما ظرف زمان والعامل فيه

بدلناهم جلودا غيرها من قبيل بدله بخوفه أمنا لا من قبيل يبدل الله سئاتهم حسنات أى أعطيناهم مكان كل جلد محترق عند احتراقه جلدا جديدا مغايرا للمحترق صورة وإن كان عينه مادة بأن يزال عنه الاحتراق ليعود إحساسه للعذاب والجملة في محل النصب على أنها حال من ضمير نصليهم وقد جوز كونها لنارا على حذف العائد أى كلما نضجت فيها جلودهم فمعنى قوله تعالى

ليذوقوا العذاب ليدوم ذوقه ولا ينقطع كقولك للعزيز أعزك الله وقيل يخلق مكانه جلدا آخر والعذاب للنفس العاصية لا لآلة إدراكها قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يبدلون جلودا بيضاء كأمثال القراطيس وروى أن هذه الاية قرئت عند عمر رضى الله تعالى عنه فقال للقارئ أعدها فأعادها وكان عنده معاذ بن جبل فقال معاذ عندى تفسيرها يبدل في ساعة مائة مرة فقال عمر رضى الله عنه هكذا سمعت رسول الله يقول وقال الحسن تأكلهم النار كل يوم سبعين ألف مرة كلما أكلتهم قيل لهم عودوا فيعودون كما كانوا وروى أبو هريرة عن النبى إن بين منكبى الكافر مسيرة ثلاثة أيام للراكب

(١) تفسير أبي السعود، ١٨٧/٢

المسرع وعن أبي هريرة أنه قال قال رسول الله ضرس الكافر أو ناب الكافرمثل احد وغلظ جلده مسيرة ثلاثة أيام والتعبير عن إدراك العذاب بالذوق ليس لبيان قلته بل ." (١)

" ٧٠ – النساء سبب النزول مع ما فيه من الإشارة إلى أن طاعته متضمنة لطاعتهم لاشتمال شريعته على شرائعهم التي لا تتغير بتغير الأعصار روى أن نفرا من أصحاب رسول الله قالوا يا نبي الله إن صرنا إلى الجنة تفضلنا بدرجات النبوة فلا نراك وقال الشعبي جاء رجل من الأنصار إلى رسول الله وهو يبكي فقال ما يبكيك يا فلان فقال يا رسول الله بالله الذي لا إله إلا هو لأنت أحب إلي من نفسي وأهلي ومالي وولدي وإني لأذكرك وأنا في أهلي فيأخذني مثل الجنون حتى أراك وذكرت موتي وإنك ترفع مع النبيين وإني إن أدخلت الجنة كنت في منزلة أدنى من منزلتك فلم يرد النبي فنزلت وروى أن ثوبان مولى رسول الله كان شديد الحب له عليه الصلاة و السلام قليل الصبر عنه فأتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه وعرف الحزن في وجهه فسأله رسول الله عن حاله فقال يا رسول الله ما بي من وجع غير أني إذا لم أراك اشتقت إليك واستوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك فذكرت الآخرة فخفت أن لا اراك هناك لأني عرفت انك ترفع مع النبيين وإن أدخلت الجنة كنت في منزلة دون منزلك وإن لم أدخل فذاك حين لا أراك أبدا فنزلت فقال عليه الصلاة و السلام والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه وأبويه وأهله وولده والناس أجمعين وحكى ذلك عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم وروى أن أنسا قال يا رسول الله الرجل يحب قوما ولما يلحق بهم قال عليه الصلاة و السلام المرء مع من أحب

والصديقين أي المتقدمين في تصديقهم المبالغين في الصدق والإخلاص في الأقوال والأفعال وهم أفاضل أصحاب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأماثل خواصهم المقربين كأبي بكر الصديق رضي الله عنه

والشهداء الذين بذلوا أرواحهم في طاعة الله تعالى وإعلاء كلمته

والصالحين الصارفين اعمارهم في طاعته واموالهم في مرضاته وليس المراد بالمعية الإتحاد في الدرجة ولا مطلق الإشتراك في دخول الجنة بل كونهم فيها بحيث يتمكن كل واحد منهم من رؤية الآخر وزيارته متى أراد وإن بعد ما بينهما من المسافة

وحسن أولئك رفيقا الرفيق الصاحب مأخوذ من الرفق وهو لين الجانب واللطافة في المعاشرة قولا وفعلا فإن جعل أولئك إشارة إلى النبين ومن بعدهم على أن ما فيه من معنى البعد لما مر مرارا فرفيقا إما تمييز أو حال على معنى أنهم وصفوا بالحسن من وجهة كونهم رفقاء للمطيعين أو حال كونهم رفقاء لهم وإفراده لما أنه كالصديق والخليط والرسول يستوي فيه الواحد والمتعدد أو لأنه إريد حسن كل واحد منهم رفيقا وإن جعل إشارة إلى المطيعين فهو تمييز على معنى إنهم وصفوا بحسن الرفيق من النبيين ومن بعدهم لا بنفس الحسن فلا يجوز دخول من عليه كما يجوز في الوجه الأول والجملة **تذييل** مقرر لما قبله مؤكد للترغيب والتشويق قيل فيه معنى التعجب كأنه قيل وما أحسن أولئك رفيقا ولاستقلاله بمعنى التعجب قرئ وحسن بسكون السين

(١) تفسير أبي السعود، ٢/١٩١

ذلك إشارة إلى ما للمطيعين من عظيم الأجر ومزيد الهداية ومرافقة هؤلاء المنعم عليهم أو إلى فضلهم ومزيتههم وما فيه من معنى البعد للإشعار بعلو رتبته وبعد منزلته في الشرف وهو مبتدأ وقوله تعالى

الفضل صفته وقوله تعالى

من الله خبره أي ذلك الفضل العظيم من الله ." (١)

" ٨٠ – النساء على لسان النبي ثم سوق البيان من جهته عز و جل بطريق تلوين الخطاب وتوجيهه إلى كل واحد من الناس والالتفات لمزيد الاعتناء به والاهتمام برد مقالتهم الباطلة والإيذان بأن مضمونه مبنى على حكمة دقيقة حقيقية بأن يتولى بيانها علام الغيوب وتوجيه الخطاب إلى كل واحد منهم دون كلهم كما في قوله تعالى وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم للمبالغة في التحقيق بقطع احتمال سببية معصية بعضهم لعقوبة الآخرين أى ما أصابك من نعمة من النعم

فمن الله أى فهي منه تعالى بالذات تفصيلا وإحسانا من غير استيجاب لها من قبلك كيف لا وأن كل ما يفعله المرء من الطاعات التي يفرض كونها ذريعة إلى إصابة نعمة ما فهي بحيث لا تكاد تكافئ نعمة حياته المقارنه لأدائها ولا نعمة إقداره تعالى إياه على أدائها فضلا عن استيجابها لنعمة أخرى ولذلك قال ما أحد يدخل الجنة إلا برحمة الله تعالى قيل ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا

وما أصابك من سيئة أى بلية من البلايا

فمن نفسك أى فهي منها بسبب اقترافها المعاصي الموجبة لها وإن كانت من حيث الإيجاد منتسبة إليه تعالى نازلة من عنده عقوبة كقوله تعالى وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير وعن عائشة رضي الله عنها ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله إلا بذنب وما يعفو الله عنه أكثر وقيل الخطاب لرسول الله كما قبله وما بعده لكن لا لبيان حاله بل لبيان حال الكفرة بطريق التصوير ولعل ذلك لإظهار كمال السخط والغضب عليهم والإشعار بأنهم لفرط جهلهم وبلادتهم بمعزل من استقاق الخطاب لا سيما بمثل هذه الحكمة الأنيقة

وأرسلناك للناس رسولا بيان لجلالة منصبه ومكانته عند الله عز و جل بعد بيان بطلان زعمهم الفاسد في حقه بناء على جهلهم بشأنه الجليل وتعريف الناس للاستغراق والجار إما متعلق برسولا قدم عليه للاختصاص الناظر إلى قيد العموم اى مرسلا لكل الناس لا لبعضهم فقط كما في قوله تعالى وما أرسلناك إلا كافة للناس وإما بالفعل فرسولا حال مؤكدة وقد جوز أن يكون مصدرا مؤكدا كما في قوله ... لقد كذب الواشون ما فهت عندهم ... بسر ولا أرسلتهم برسول ...

أى بإرسال بمعنى رسالة

وكفى بالله شهيدا أى على رسالتك بنصب المعجزات التي من جملتها هذا النص الناطق والوحي الصادق والالتفات لتربية المهابة وتقوية الشهادة والجملة اعتراض تذييلى

---

(١) تفسير أبي السعود، ٢/١٩٩

من يطع الرسول فقد أطاع الله بيان لأحكام رسالته إثر بيان تحققها وثبوتها وإنما كان كذلك لأن الآمر والناهي في الحقيقة هو الله تعالى وإنما هو مبلغ لأمره ونهيه فمرجع الطاعة وعدمها هو الله سبحانه روى أنه قال من أحبني فقد أحب الله ومن أطاعني فقد أطاع الله فقال المنافقون ألا تسمعون إلى ما يقول هذا الرجل لقد قارف الشرك وهو ينهي أن يعبد غير الله ما يريد إلا أن نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى فنزلت والتعبير عنه بالرسول دون الخطاب للإيذان بأن مناط كون طاعته طاعة له تعالى ليس خصوصية ذاته بل من حيثية رسالته وإظهار الجلالة لتربية المهابة وتأكيد وجوب الطاعة بذكر عنوان الألوهية وحمل الرسول على الجنس المنتظم له انتظاما أوليا يأباه تخصيص الخطاب ." (١)

" ٨٥٨٦ – النساء حكى سبب للأمر بالقتال وحده وبتحريض خلص المؤمنين التحريض على الشئ الحث عليه والترغيب فيه قال الراغب كأنه في الأصل إزالة الحرض وهو مالا خير فيه ولا يعتد به أي رغبهم في القتال ولا تعنف بهم وإنما لم يذكر المحرض عليه لغاية ظهوره وقوله تعالى

عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا عدة منه سبحانه وتعالى محققة الإنجاز بكف شدة الكفرة ومكرهم فإن ما صدر بلعل وعسى مقرر الوقوع من جهته عز و جل وقد كان كذلك حيث روى أن رسول الله وأعد ابا سفيان بعد حرب أحد موسم بدر الصغرى في ذي القعدة فلما بلغ الميعاد دعا الناس إلى الخروج فكرهه بعضهم فنزلت فخرج رسول الله في سبعين راكبا ووافوا الموعد وألقى الله تعالى في قلوب الذين كفروا الرعب فرجعوا من مر الظهران وروى أن رسول الله وافى بجيشه بدرا وأقام بها ثماني ليال وكانت معهم تجارات فباعوها وأصابوا خيرا كثيرا وقد مر في سورة آل عمران

والله أشد بأسا أي من قريش

وأشد تنكيلا أي تعذيبا وعقوبة تنكل من يشاهدها عن مباشرة ما يؤدي إليها والجملة اعتراض **تذييلي** مقرر لما قبلها وإظهار الإسم الجليل لتربية المهابة وتعليل الحكم وتقوية استقلال الجملة وتكرير الخبر لتأكيد التشديد وقوله تعالى

من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها أي من ثوابها جملة مستأنفة سيقت لبيان أن له فيما أمر به من تحريض المؤمنين حظا موفورا فإن الشفاعة هي التوسط بالقول في وصول شخص إلى منفعة من المنافع الدنيوية أو الأخروية أو خلاصه من مضرة ما كذلك من الشفع كأن المشفوع له كان فردا فجعله الشفيع شفعا والحسنة منها ما كانت في أمر مشروع روعي بها حق مسلم ابتغاء لوجه الله تعالى من غير أن يتضمن غرضا من الأغراض الدنيوية وأي منفعة أجل مما قد حصل للمؤمنين بتحريضه على الجهاد من المنافع الدنيوية والأخروية وأي مضرة أعظم مما تخلصوا منه بذلك منه بذلك من التثبط عنه ويندرج فيها الدعاء للمسلم فإنه شفاعة إلى الله سبحانه وعليه مساق آية التحية الآتية روى أنه قال من دعا لأخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك وهذا بيان لمقدار النصيب الموعود

ومن يشفع شفاعة سيئة وهي ما كانت بخلاف الحسنة

يكن له كفل منها أي نصيب من وزرها مساو لها في المقدار من غير أن ينقص منه شئ

---

(١) تفسير أبي السعود، ٢/٢٠٦

وكان الله على كل شيئ مقيتا أي مقتدرا من أقات على الشيء إذا اقتدر عليه أو شهيدا حفيظا واشتقاقه من القوت فإنه يقوى البدن ويحفظه والجملة تذييل مقرر لما قبلها على كلا المعنيين

وإذا حييتم بتحية ترغيب في فرد شائع من أفراد الشفاعة الحسنة إثر ما رغب فيها على الإطلاق وحذر عما يقابلها من الشفاعة السيئة وإرشاد إلى توفية حق الشفيع وكيفية أدائه فإن تحية الإسلام من المسلم شفاعة منه لأخيه إلى الله تعالى والتحية مصدر حيي أصلها تحيية كتسمية من سمى ." (١)

" ٨٩٩٠ – النساء وتأكي استحالة الهداية بما ذكر في حيز الصلة وتوجيه الإنكار إلى الإرادة لا إلى متعلقها بأن يقال أتهدون الخ للمبالغة في إنكاره ببيان أنه مما لا يمكن إرادته فضلا عن إمكان نفسه وحمل الهداية والإضلال على الحكم بهما يأباه قوله تعالى

ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا أى ومن يخلق فيه الضلال كائنا من كان فلن تجد له سبيلا من السبل فضلا عن أن تهديه إليه وفيه من الإفصاح عن كمال الاستحالة ما ليس في قوله تعالى ومن يضلل الله فما له من هاد ونظائره وحمل إضلاله تعالى على حكمه وقضائه بالضلال مخل بحسن المقابلة بين الشرط والجزاء وتوجيه الخطاب إلى كل واحد من المخاطبين للإشعار بشمول عدم الوجدان للكل على طريق التفصيل والجملة إما حال من فاعل تريدون او تهتدوا والرابط هو الواو أو اعتراض تذييلى مقرر للإنكار السابق ومؤكده لاستحالة الهداية فحينئذ يجوز أن يكون الخطاب لكل أحد ممن يصلح له من المخاطبين أولا ومن غيرهم

ودوا لو تكفرون كلام مستأنف مسوق لبيان غلوهم وتماديهم في الكفر وتصديهم لإضلال غيرهم إثر بيان كفرهم وضلالهم في أنفسهم وكلمة لو مصدرية غنية عن الجواب وهى مع ما بعدها نصب على المفعولية أى ودوا أن تكفروا وقوله تعالى

كما كفروا نصب على أنه نعت لمصدر محذوف أى كفر مثل كفرهم أو حال من ضمير ذلك المصدر كما هو رأى سيبويه وقوله تعالى

فتكونون سواء عطف على تكفرون داخل في حكمه أى ودوا أن تكفروا فتكونوا سواء مستوين في الكفر والضلال وقيل كلمة لو على بابها وجوابها محذوف كمفعول ودوا لتقدير ودوا كفركم لو تكفرون كما كفروا لسروا بذلك

فلا تتخذوا منهم أولياء الفاء جواب شرط محذوف وجمع أولياء لمراعاة جمع المخاطبين فإن المراد نهى ان يتخذ واحد من المخاطبين وليا واحدا منهم أى إذا كان حالهم ما ذكر من ودادة كفركم فلا توالوهم

حتى يهاجروا في سبيل الله أى حتى يؤمنوا ويحققوا إيمانهم بهجرة كائنة لله تعالى ورسوله لالغرض من أغراض الدنيا

فإن تولوا أى عن الإيمان المظاهر بالهجرة الصحيحية المستقيمة

فخذوهم أى إذأ قدرتم عليهم

واقتلوهم حيث وجدتموهم من الحل والحرم فإن حكمهم حكم سائر المشركين أسرا وقتلا

---

(١) تفسير أبي السعود، ٢/٢١٠

ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا أى جانبوهم مجانبة كلية ولا تقبلوا منهم ولاية ولا نصرة أبدا

إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق استثناء من قوله تعالى فخذوهم واقتلوهم أى إلا الذين يتصلون وينتهون إلى قوم عاهدوكم ولم يحاربوكم وهم الأسلميون كان رسول الله وقت ." (١)

" ١٠٠١٠١ – النساء إشارة إلى المستضعفين الموصوفين بما ذكر من صفات العجز

عسى الله أن يعفو عنهم جئ بكلمة الإطماع ولفظ العفو إيذانا بأن الهجرة من تأكد الوجوب بحيث ينبغى أن يعد تركها ممن تحقق عدم وجوبها عليه ذنبا يجب طلب العفو رجاء وطمعا لا جزما وقطعا

وكان الله عفوا غفورا **تذييل** مقرر لما قبله

ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا ترغيب في المهاجرة وتأنيس لها أى يجد فيها متحولا ومهاجرا وإنما عبر عنه بذلك تأكيد للترغيب لما فيه من الإشعار بكون ذلك المتجول بحيث يصل فيه المهاجر من الخير والنعمة إلى ما يكون سببا لرغم آنف قومه الذين هاجروهم والرغم الذل والهوان وأصله لصوق الآنف بالرغام وهو التراب وقيل يجد فيها طريقا يراغم بسلوكه قومه أى يفارقهم على رغم أنوفهم

وسعة أى من الرزق

ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت أى قبل أن يصل إلى المقصد وإن كان ذلك خارج بابه كما ينبئ عنه إيثار الخروج من بيته على المهاجرة وهو عطف على فعل الشرط وقرئ بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف وقيل هو حركة الهاء نقلت إلى الكاف على نية الوقف كما في قوله ... من عنزى سبنى لم أضربه عجيب والدهر كثير عجبه وقرى بالنصب على إضمار أن كما في قوله وألحق بالحجاز فأستريحا ...

فقد وقع أجره على الله أى ثبت ذلك عنده تعالى ثبوت الأمر الواجب روى أن رسول الله لما بعث بالايات المتقدمة إلى مسلمى مكة قال جندب بن ضمرة لبنيه وكان شيخا كبيرا احملونى فإنى لست من المستضعفين وإنى لأهتدى الطريق والله لا أبيت الليلة بمكة فحملوه على سرير متوجها إلى المدينة فلما بلغ التنعيم أشرف على الموت فصفق بيمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك أبايعك على ما بايعك رسولك فمات حميدا فبلغ خبره أصحاب رسول الله فقالوا لو توفى بالمدينة لكان أتم أجرا فنزلت قالوا كل هجرة في غرض دينى من طلب علم أو حج أو جهاد أونحو ذلك فهى هجرة إلى الله عز و جل وإلى رسوله

وكان الله غفورا مبالغا في المغفرة فيغفر له ما فرط منه من الذنوب التى من جملتها القعود عن الهجرة إلى وقت الخروج

رحيما مبالغا في الرحمة فيرحمه بإكمال ثواب هجرته

وإذا ضربتم في الأرض شروع في بيان كيفية الصلاة عند الضرورات من السفر ولقاء العدو والمرض والمطر وفيه تأكيد لعزيمة المهاجر على المهاجرة وترغيب له فيها لما فيه من تخفيف أونه أى إذا سافرتم أى مسافرة كانت ولذلك لم يقيد بما قيد به المهاجرة

---

(١) تفسير أبي السعود، ٢/٢١٣

فليس عليكم جناح أى حرج أو اثم

أن تقصروا أى في أن تقصروا والقصر خلاف المد يقال قصرت الشئ اى جعلته قصيرا بحذف بعض أجزائه أو أوصافه فمتعلق القصر حقيقة إنما هو ذلك الشئ لا بعضه فإنه متعلق الحذف دون القصرو على هذا فقوله تعالى ." (١)

" ١٢٦١٢٧ – النساء

بمعنى الخصلة فإنهما يتوافقان في الخصال وفائدة الاعتراض جملة من جملتها الترغيب في اتباع ملته عليه السلام فإن من بلغ من الزلفى عند الله تعالى مبلغا مصححا لتسميته خليلا حقيق بان يكون اتباع طريقته أهم مايمتد إليه أعناق الهمم وأشرف ما يرمق نحوه أحداق الأمم قيل إنه عليه الصلاة و السلام بعث إلى خليل له بمصر في ازمة أصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان إبراهيم يطلب الميرة لنفسه لفعلت ولكنه يريدها للأضياف وقد أصابنا ما أصاب الناس من الشدة فرجع غلمانه عليه الصلاة و السلام فاجتازوا ببطحاء لينة فملئوا منها الغرائر حياء من الناس وجاؤا بها إلى منزل إبراهيم عليه الصلاة و السلام وألقوها فيه وتفرقوا وجاء أحدهم فأخبر إبراهيم بالقصة فاغتم لذلك غما شديدا لاسيما لاجتماع الناس ببابه رجاء الطعام فغلبه عيناه وعمدت سارة إلى الغرائر فإذا فيها أجود ما يكون من الحوارى فاختبزت وفي رواية فأطعمت الناس وانتبه إبراهيم عليه السلام فاشتم رائحة الخبز فقال من أين لكم قالت سارة من خليلك المصرى فقال بل من عند خليلى الله عز و جل فسماه الله تعالى خليلا

ولله ما في السموات وما في الأرض جملة مبتدأة سيقت لتقرير وجوب طاعة الله تعالى على أهل السموات والأرض ببين أن جميع ما فيهما من الموجودات له تعالى خلقا وملكا لايخرج عن ملكوته شئ منها فيجازى كلا بموجب أعماله خيرا وشرا وقيل لبيان أن اتخاذه عز و جل لإبراهيم عليه السلام خليلا ليس لاحتياجه سبحانه إلى ذلك في شأن من شئونه كما هو دأب الآدميين فإن مدار خلتهم افتقار بعضهم إلى بعض في مصالحهم بل لمجرد تكرمته وتشريفه عليه السلام وقيل لبيان أن الخلة لا تخرجه عن رتبة العبودية وقيل لبيان أن اصطفاءه عليه السلام للخلة بمحض مشيئته تعالى أى تعالى ما فيهما جميعا يختار منهما ما يشاء وقوله عز و جل

وكان الله بكل شئ محيطا **تذييل** مقرر لمضمون ماقبله على الوجوه المذكورة فإن إحاطته تعالى علما وقدرة بجميع الأشياء التى من جملتها ما فيهما من المكلفين وأعمالهم مما يقرر ذلك اكمل تقرير

ويستفتونك في النساء أى في حقهن على الإطلاق كما ينبئ عنه الأحكام الآتية لا في حق ميراثهن خاصة فإنه قد سئل عن أحوال كثيرة مما يتعلق بهن فما بين حكمة فيما سلف أحيل بيانه على ماورد في ذلك من الكتاب ومالم يبين حكمه بعد ههنا وذلك قوله تعالى

---

(١) تفسير أبي السعود، ٢/٢٢٤

قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب بإسناد الإفتاء الذى هو تبيين المبهم وتوضيح المشكل إليه تعالى وإلى ما تلى من الكتاب فيما سبق باعتبارين على طريقة قولك أغنانى زيد وعطاؤه بعطف ما على المبتدأ أو ضميره في الخبر لمكان الفصل بالمفعول والجار ." (١)

" ١٤٩١٥٠١٥١ – النساء ظلم أى إلا جهر من ظلم بأن يدعو على ظالمه أو يتظلم منه ويذكره بما فيه من السوء فإن ذلك غير مسخوط عنده سبحانه وقيل هو أن يبدأ بالشتيمة فيرد على الشاتم ولمن انتصر بعد ظلمه الآية وقيل ضاف رجلا قوما فلم يطعموه فاشتكاهم فعوتب على الشكاية فنزلت وقرئ إلا من ظلم على البناء للفاعل فالاستثناء منقطع أى ولكن الظالم يرتكب مالا يحبه الله تعالى فيجهر بالسوء

وكان الله سميعا لجميع المسموعات فيندرج فيها كلام المظلوم والظالم

عليما بجميع المعلومات التى من جملتها حال المظلوم والظالم فالجملة **تذييل** مقرر لما يفيده الاستثناء

إن تبدوا خيرا أى خير كان من القوال والأفعال

أو تخفوه أو تعفوا عن سوء مع ما سوغ لكم من مؤاخذة المسئ والتنصيص عليه مع اندراجه في إبداء الخير وإخفائه لما انه الحقيق بالبيان وإنما ذكر إبداء الخير وإخفاؤه بطريق التسبيب له كما ينبئ عنه قوله عز و جل

فإن الله كان عفوا قديرا فإن إيراده في معرض جواب الشرط يدل على أن العمدة هو العفو مع القدرة أى كان مبالغا في العفو مع كمال قدرته على المؤاخذة وقال الحسن يعفو عن الجانين مع قدرته على الإنتقام فعليكم أن تقتدوا بسنة الله تعالى وقال الكلبى هو اقدر على عفو ذنوبكم منكم على عفو ذنوب من ظلمكم وقيل عفوا عمن عفا قديرا على إيصال الثواب إليه

إن الذين يكفرون بالله ورسله أى يؤدى إليه مذهبهم ويقتضيه رأيهم لانهم يصرحون بذلك كما ينبئ عنه قوله تعالى

ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله أى بأن يؤمنوا به تعالى ويكفروا بهم لكن لا بان يصرحوا بالإيمان به تعالى وبالكفر بهم قاطبة بل بطريق الاستلزام كما يحكيه قوله تعالى

ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض أى نؤمن ببعض الأنبياء ونكفر ببعضهم كما قالت اليهود نؤمن بموسى والتوراة وعزير ونكفر بما وراء ذلك وما ذاك إلا كفر بالله تعالى ورسله وتفريق بين الله تعالى ورسله في الإيمان لأنه تعالى قد أمرهم بالإيمان بجميع الأنبياء عليهم السلام وما من نبى من الأنبياء إلا وقد أخبر قومه بحقية دين نبينا محمد وعليهم أجعين فمن كفر بواحد منهم فقد كفر بالكل وبالله تعالى ايضا من حيث لايحتسب

ويريدون بقولهم ذلك

أن يتخذوا بين ذلك أى بين الإيمان والكفر

سبيلا يسلكونه مع انه لا واسطة بينهما قطعا إذ الحق لا يختلف وماذا بعد الحق إلا الضلال

أولئك الموصوفون بالصفات القبيحة

---

(١) تفسير أبي السعود، ٢/٢٣٧

هم الكافرون الكاملون في الكفر لا عبرة بمايدعونه ويسمونه إيمانا أصلا

حقا مصدر مؤكد لمضمون الجملة أى حق ذلك أى كونهم كاملين في الكفر حقا أو صفة لمصدر الكافرين اى هم الذين كفروا حقا أى ." (١)

" سورة المائدة اية ٨ سورة المائدة اية ٩ سورة المائدة اية ١٠ الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقال مجاهد هو الميثاق الذي اخذه الله تعالى على عباده حين اخرجهم من صلب ادم عليه السلام واتقوا الله أي في نسيان نعمته ونقض ميثاقه او في كل ما تاتون وما تذرون فيدخل فيه ما ذكر دخولا اولياء ان الله عليم بذات الصدور أي بخفياتها الملابسة لها ملابسة تامة مصححة لاطلاق الصاحب عليها فيجازيكم عليها فما ظنكم بحليات الاعمال والجملة اعتراض تذييلي وتعليل الامر بالاتقاء واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتربيه المهابة وتعليل الحكم وتقوية استقلال الجملة يا ايها الذي امنوا شروع في بيان الشرائع المتعلقة بما يجري بينهم وبين غيرهم اثر بيان ما يتعلق بانفسهم كونوا قوامين لله مقيمين لاوامره ممتثلين بها معظمين لها مراعين لحقوقها شهداء بالقسط أي بالعدل ولا يجز منكم أي لا يحملنكم شنان قوم أي شدة بغضكم لهم على ان لا تعدلوا فلا تشهدوا في حقوقهم بالعدل او فتعتلوا عليهم بارتكاب ما لا يحل كمثله وقذف وقتل نساء وصبية ونقض عهد تشفيا وغير ذلك اعدلوا هو اي العدل اقرب للتقوى الذي امرتم به صرح لهم بالامر بالعدل وبين انه بمكان من التقوى بعد ما نهاهم عن الجور وبين انه مقتضى الهوى واذا كان وجوب العدل في حق الكفار في هذه المثابة فما ظنك بوجوبه في حق المسلمين واتقوا الله امر بالتقوى اثر ما بين ان العدل اقرب له اعتناء بشانه وتنبيها على انه ملاك الامر ان الله خبير بما تعلمون من الاعمال فيجازيكم بذلك وتكرير هذا الحكم اما لاختلاف السبب كما قيل ان الاول نزل في المشركين وهذا في اليهود او لمزيد الاهتمام بالعدل والمبالغة في اطفاء فائدة الغيظ والجملة تعليل لما قبلها واظهار الجلالة لما مر مرات وحيث كانت مضمونها منبئا عن الوعد والوعيد عقب بالوعد لمن يحافظ على طاعته تعالى وبالوعيد لمن يخل بها فقيل وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات التي من جملتها العدل والتقوى لهم مغفرة واجر عظيم حذف ثاني مفعولا وعد استغناء عنه بهذه الجملة فانه استئناف مبين له وقيل الجملة في موقع المفعول فان الوعد ضرب من القول فكانه قيل وعدهم هذا القول والذين كفروا وكذبوا باياتنا التي من جملتها ما تليت من النصوص الناطقة بالامر والعدل والتقوى اولئك الموصوفون بما ذكر من الكفر وتكذيب الايات اصحاب الجحيم ملابسوها ملابسة مؤبدة من السنة السنية القرانية شفع الوعد بالوعيد والجمع بين الترغيب والترهيب ايفاء لحق الدعوى بالتبشير والانذار ." (٢)

" سورة المائدة اية ١١ يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم تذكير لنعمة الانجاء من الشرائر تذكير نعمة ايصال الخير الذي هو نعمة الاسلام وما يتبعها من الميثاق وعليكم متعلق بنعمة الله او بمحذوف وقع حالا منها وقوله تعالى اذ هم قوم على الاول ظرف لنفس النعمة وعلى الثاني لما تعلق به عليكم ولا سبيل الى كونه ظرفا لا ذكروا التنافي زمانيهما أي اذكروا انعامه تعالى عليكم او اذكروا نعمته كائنه عليكم في وقت همهم ان يبسطوا اليكم ايديهم أي بان يبطشوا بكنم بالقتل

---

(١) تفسير أبي السعود، ٢/٢٤٨

(٢) تفسير أبي السعود، ٣/١٢

والاهلات يقال بسط اليه يده اذا بطش به وبسط اليه لسانه اذا شتمته وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح للمسارعة الى بيان رجوع ضرر البسط وغائلته اليهم حملا لهم من اول الامر على الاعتداد بنعمة دفعة كما ان تقديم لكم في قوله عز و جل هو الذي خلق لكم ما في الارض للمبادرة الى بيان كون المخلوق من منافعهم تعجيلا للمسرة فكف ايديهم عنكم عطف على هم وهو النعمة التي اريد تذكيرها وذكرا لهم للايذان بوقوعها عند مزيدا لحاجة اليها والفاء للتعقيب المفيد لتمام النعمة وكما لها واظهار ايديهم في موقع الاضمار لزيادة التقرير أي منع ايديهم ان تمد اليكم عقيب هممهم بذلك لا انه كفها عنكم بعد ما مدوها اليكم وفيه من الدلالة على كمال النعمة من حيث انها لم تكن مشوبة بضرر الخوف والانزعاج الذي قلما يعرى عنه الكف بعد المد ما لا يخفى مكانه وذلك ما روى ان المشركين راوا ارسول الله صلى الله عليه و سلم واصحابه بعسفان في غزوة ذي انما روها غزوة ذات الرقاع وهي السابعة من مغازيه عليه الصلاة و السلام قاموا الى الظهر معا فلما صلوا ندم المشركون الا كانوا قد اكبوا عليهم فقالوا ان لهم بعدها صلاة هي احب اليهم من ابائهم وابنائهم يعنون صلاة العصر وهموا ان يوقعوا بهم اذ قاموا اليها فرد الله تعالى كيدهم بان انزل صلاة الخوف وقيل هو ما روى ان رسول الله صلى الله عليه و سلم اتى بني قريظة ومعه الشيخان وعلي رضي الله تعالى عنهم يستقرضهم لديه مسلمين قتلهما عمرو بن امية الضمري خطا يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا ابا القاسم اجلس حتى نطعمك ونعطيك ما سالت فاجلسوه في صفه وهموا بالفتك به وعمد عمروا بن جحاش الى رحا عظيمة يطرحها عليه فامسك الله تعالى يده ونزل جبريل عليه السلام فاخبره فخرج عليه الصلاة و السلام وقيل هو ما روى انه صلى الله عليه و سلم نزل منزلا وتفرق اصحابه في العظاء يستظلون بها فعلق رسول الله صلى الله عليه و سلم سيفه بشجرة فجاء اعرابي فاخذها وسله فقال من يمنعك مني فقال صلى الله عليه و سلم الله تعالى فاسقطع جبريل عليه السلام من يده فاخذه الرسول صلى الله عليه و سلم فقال من يمنعك مني فقال لا احد اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واتقوا الله عطف على اذكروا أي اتقوه في رعاية حقوق نعمته ولا تخلوا بشكرها او في كل ما تاتون وما تذرون فيدخل فيه ما ذكر دخول اولياء وعلى الله أي عليه تعالى خاصة دون غيره استقلال واشتراكا فليتوكل المؤمنون فانه يكفيهم في ايصال كل خير ودفع كل شر والجملة **تذييل** مقرر لما قبله وايثار صيغة امر الغائب واسنادها الى المؤمنين لايجاب التوكل على ." (١)

" سورة المائدة اية ١٢ المخاطبين بالطريق البرهاني ولايذان بان ما وصفوا به عند الخطاب من وصف الايمان داع الى ما امروا به من التوكل والتقوى وازع عن الاخلال بهما واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتعليل الحكم وتقوية استقلال الجملة **التذييلية** ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل كلام مستانف مشتمل على ذكر بعض ما صدر عن بني اسرائيل من الخيانة ونقض الميثاق وما ادى اليه ذلك من التبعات مسوق لتقرير المؤمنين على ذكر نعمة الله تعالى ومراعاة حق الميثاق الذي اوثقهم به وتحذيرهم من نقضه او لتقرير ما ذكر من الهم بالبطش وتحقيقه على تقدير كون ذلك من بني قريظة حسبما مر من الرواية ببيان ان الغدر والخيانة عادة لهم قديمة توار ثوها من اسلافهم واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وتفخيم الميثاق وتهويل الخطب في نقضه مع ما فيه من رعاية حق الاستئناف المستدعى لانقطاع عما قبله ولالتفات في قوله تعالى وبعثنا

---

(١) تفسير أبي السعود، ١٣/٣

منهم اثنى عشر نقيبا للجرى على سنن الكبرياء او لان البعث كان بواسطة موسى عليه السلام كما سياتي وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مرا مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر والنقيب فعيل بمعنى فاعل مشتق من النقب وهو التفتيش ومنه قوله تعالى فنقبوا في البلاد سمى بذلك لتفتيشه عن احوال القوم واسرارهم قال الزجاج واصله من النقب وهو الثقب الواسع روى ان بني اسرائيل لما استقروا بمصر بعهد مهلك فرعون امرهم الله عز و جل بالمسير الى اريحا ارض الشام وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون وقال لهم اني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها واني ناصركم وامر موسى عليه السلام ان ياخذ من كل سبط نقيبا امينا يكون كفيلا على قومه بالوفاء بما امروا به توثقة عليهم فاختار النقباء واخذ الميثاق على بني اسرائيل وتكفل اليهم النقباء وسار بهم فلما دنا من ارض كنعان بعث النقباء يتجسسون فرءوا اجراما عظيمة وقوة وشوكة فهابوا ورجعوا وحدثوا قومهم بما رؤوا وقد نهاهم موسى عن ذلك فنكثوا الميثاق الا كالب بن يوقنا نقيب سبط يهاذا ويوشع بن نون نقيب سبط افراييم بن يوسف الصديق عليه الصلاة و السلام قيل لما توجه النقباء الى ارضهم للتجسس لقيهم عوج بن عنق وكان طوله ثلاثة الاف وثلاثمائة وثلاثة وثلاثين ذراعا وقد عاش ثلاثة الاف سنة وكان على راسه حزمة حطب فاخذهم وجعلهم في الحزمة وانطلق بهم الى امراته وقال انظري الى هؤلاء الذين يزعمون انهم يريدون قتالنا فطرحهم بين يديها وقال الا اطحنهم برجلي فقالت لا بل خلي عنهم حتى يخبروا قومهم بما رؤوا ففعل فجعلوا يتعرفون احوالهم وكان لا يحمل عنقود عنبهم الا خمسة رجال او اربعة فلما خرج النقباء قال بعضهم لبعض ان اخبرتم بني اسرائيل بخبر القوم ارتدوا عن نبي الله ولكن اكتموه ." (١)

" سورة المائدة اية ١٨ اراد ان يهلك المسيح لتهويل الخطب واظهار كمال العجز بيان ان الكل تحت قهره تعالى وملكوته لا يقدر احد على دفع ما اريد به فضلا عن دفه ما اريد بغيره وايذان لان المسيح اسوة لسائر المخلوقات في كونه عرضة للهلاك كما انه اسوة لها فيما ذكر من العجز وعد استحقاق الالوهية وتخصيص امه بالذكر مع اندراجها في ضمن من في الارض بزيادة تاكيد عجز المسيح ولعل نظمها في سلك من فرض ارادة اهلاكهم مع تحقيق هلاكها قبل ذلك لتاكيد التبكيت وزيادة ترير مضمون الكلام يجعل حالها انموذجا لحال بقية من فرض اهلاكه كانه قيل قل فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح وامه ومن في الارض وقد اهلك امه فهل مانعه احد فكذا حال من عداها من الموجودين وقوله تعالى ولله ملك السموات والارض وما بينهما أي ما بين قطري العالم الجسماني لا بين وجه الارض ومقعر فلك القمر فقط فيتناول ما في السموات من الملائكة عليهم السلام وما في اعماق الارض والبحار من المخلوقات تنصيص على كون الكل تحت قهره تعالى وملكوته اثر الاشارة الى كون البعض أي من في الارض كذلك أي له تعالى وحده ملك جميع الموجودات والتصرف المطلق فيها ايجادا واعداما واحياء واماتة لا لاحد سواه استقلالا ولا اشتراكا فهو تحقيق لاختصاص الالوهية به تعالى اثر بيان انتفائها عن كل ما سواه وقوله تعالى يخلق ما يشاء جملة مستانفة مسوقة لبيان بعض احكام الملك والالوهية على وجه يزيح معتراهم من الشبهة في امر المسيح لولادته من غير اب وخلق الطير واحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص أي يخلق ما يشاء من انواع الخلق والايجاد على ان ما نكره وصوفة محلها النصب على المصدر به لا على المفعولية كانه قيل

---

(١) تفسير أبي السعود، ١٤/٣

يخلق أي خلق يشاء فتارة يخلق من غير اصل كخلق السموات والارض واخرى من اصل كخلق ما بينهما فينشيء من اصل ليس من جنسه كخلق ادم وكثير من الحيوانات من اصل يجانسه اما من ذكر وحده كخلق حواء او انثى وحدها كخلق عيسى عليه السلام او منهما كخلق سائر الناس ويخلق بلا توسط شيء من المخلوقات كخلق عامة المخلوقات وقد يخلق بتوسط مخلوق اخر كخلق الطير على يد عيسى عليه السلام معجزة له واحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وغير ذلك فيجب ان ينسب كله اليه تعالى لا الى من اجرى ذلك على يده والله على كل شيء قدير اعتراض **تذييلي** مقرر لمضمون ما قبله واظهار الاسم الجليل للتعليل وتقوية استقلال الجملة وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباءه حكاية لما صدر عن الفريقين من الدعوى الباطلة وبيان لبطلانها بعد ذكر ما صدر عن احدهما وبيان بطلانه أي قالت اليهود نحن اشياع ابنة عزير وقالت النصارى نحن اشياع ابه المسيح كما قيل لاشياع ابي خبيب وهو عبد الله بن الزبير الخبيبيون وكما يقول اقارب الملوك عند المفاخرة نحن الملوك وقال ابن ." (١)

" سورة المائدة ايه ٣٠ سورة الماءده ايه ٣١ العقوبة النارية يرده قوله تعالى وذلك جزاء الظالمين فانه صريح في ان كونه من اصحاب النار تمام العقوبة وكمالها والجملة **تذييل** مقرر لمضمون ما قبلها ولقد سلك في صرفه عما نواه من الشر كل مسلك من العظة والتذكير بالترغيب تارة والترهيب اخرى فما اورثه ذلك الا الاصرار على الغي والانهماك في الفساد فطوعت له نفسه قتل اخيه أي وسعته وسهلته من طاع له المرتع اذا اتسع وترتيب التطويع على ما حكى من مقالات هابيل مع تحققه قبلها ايضا كما يفصح عنه قوله لاقتلنك لما ان بقاء الفعل بعد تقرر ما يزيله من الدواعي القوية وان كان استمرار عليه بحسب الظاهر لكنه في الحيقيقة امر حادث وصنع جديد كما في قولك وعظته فلم يتعظ او لان هذه المرتبة من التطويع لم تكن حاصلة قبل ذلك بناء على تردده في قدرته على القتل لما انه كان اقوى منه وانما حصلت بعد وقوفه على استسلام هابيل وعدم معارضته له والتصريح باخوته لكمال تقبيح ما سولته نفسه وقرىء فطاوعت على انه فاعل بمعنى فعل او على ان قتل اخيه كلانه دعا نفسه الى الاقدام عليه فطاوعته ولم تمتنع وله لزيادة الربط كقولك حفظت لزيد ماله فقتله قيل لم يدر قابيل كيف يقتل هابيل فتمثل ابليس واخذ طائرا ووضع راسه على حجر ثم شدخها بحجر اخر فتعلم منه فرضخ راس هابيل بين حجرين وهو مستسلم لا يستعصى عليه وقيل اغتاله وهو نائم وكان لهابيل يوم قتل عشرون سنة واختلف في موضع قتله فقيل عند عقبة حراء وقيل بالبصرة في موضع المسجد الاعظم وقيل في جبل بود ولما قتله تركه بالعراء لا يدري ما يصنع به فخاف عليه السباع فحمله في جراب على ظهره اربعين يوما وقيل سنة حتى اروح وعكفت عليه الطيور والسباع تنظر متى يرمى به فتاكله فاصبح من الخاسرين دينا ودنيا فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يوارى سواة اخيه روى انه تعالى بعث غرابين فاقتتلى فقتل احدهما الاخر فحفر له بمنقاره ورجليه حفرة فالقاه فيها والمستكن في يريه الله تعالى او للغراب والالام على الاول متعلقة ببعث حتما وعلى الثاني يبحث ويجوز تعلقها ببعث ايضا وكيف حال من ضمير يوارى والجمله ثاني مفعولى يرى والمراد بسواة اخيه جسده الميت قال استئناف مبني على سؤال نشا من سوق الكلام كانه قيل فماذا قال عند مشاهدة حال الغراب فقيل قال يا ويلتي هي كلمة جزع وتحسر والالاف بدل من ياء

---

(١) تفسير أبي السعود، ٣/٢٠

المتكلم والمعنى يا ويلتي احضرا فهذا اوانك والويل والويلة الهلكة اعجزت ان اكون أي عن ان اكون مثل هذا الغراب فاوارى سواة اخيه تعجب من عدم اهتدائه الى ما اهتدى اليه الغراب وقوله تعالى فاوارى بالنصب عطف على ان اكون وقرا بالرفع أي فانا اوارى فاصبح من النادمين أي على قتله لما كابد فيه من التحير في امره وحمله على رقبته مدة طويله روى انه لما قتله اسود جسده وكان ابيض فساله ادم عن اخيه فقال ." (١)

" المائدة آية ٤٣ ٤٤

وكيف يحكمونك وعندهم التوارة فيها حكم الله تعجيب من تحكيمهم لمن لا يؤمنون به وبكتابه والحال أن الحكم منصوص عليه في كتابهم الذي يدعون الإيمان به وتنبيه على أنهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق وإقامة الشرع وإنما طلبوا به ما هو أهون عليهم وإن لم يكن ذلك حكم الله على زعمهم فقوله تعالى وعندهم التواراة حال من فاعل يحكمونك وقوله تعالى فيها حكم الله حال من التوراة إن جعلت مرتفعة بالظرف وإن جعلت مبتدأ فهو حال من ضميرها المستكن في الخبر وقيل استئناف مسوق لبيان أن عندهم ما يغنيهم عن التحكيم وتأنيثهالكونها نظيرة المؤنث في كلامهم كموماة ودوداة ثم يتلون عطف على يحكمونك داخل في حكم التعجيب وثم للتراخي في الرتبة وقوله تعالى من بعد ذلك أي بعدما حكموك تصريح بما علم قطعا لتأكيد الاستبعاد والتعجيب أي ثم يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم من بعد ما رضوا بحكمك وقوله تعالى وما أولئك بالمؤمنين تذييل مقرر لفحوى ما قبله ووضع اسم الإشارة موضع ضميرهم للقصد إلى إحضارهم في الذهن بما وصفوا به من القبائح إيماء إلى علة الحكم وإلى أنهم قد تميزوا بذلك عن غيرهمن أكمل تمييز حتى انتظموا في سلك الأمور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد درجتهم في العتو والمكابرة أي وما أولئك الموصوفون بما ذكر بالمؤمنين أي بكتابهم لإعراضهم عنه أولا وعن حكمك الموافق له ثانيا أو بهما وقيل وما أولئك بالكاملين في الإيمان تهكما بهم إنا أنزلنا التوراة كلام مستأنف سيق لبيان علو شأن التوراة ووجوب مراعاة أحكامها وأنها لم تزل مرعية فيما بين الأنبياء ومن يقتدى بهم كابرا عن كابر مقبولة لكل أحد من الحكام والمتحاكمين محفوظة عن المخالفة والتبديل تحقيقا لما وصف به المحرفون من عدم إيمانهم بها وتقريرا لكفرهم وظلمهم وقوله تعالى فيها هدى ونور حال من التوراة فإن ما فيها من الشرائع والأحكام من حيث إرشادها للناس إلى الحق الذي لا محيد عنه هدى ومن حيث إظهارها وكشفها ما استبهم من الأحكام مي حيث إرشادها للناس إلى الحق الذي لا محيد عنه هدى ومن حيث إظهارها وكشفها ما استبهم من الأحكام وما يتعلق بها من الأمور المستورة بظلمات الجهل نور وقوله تعالى يحكم بها النبيون أي أنبياء بني إسرائل وقيل موسى ومن بعده من الأنبياء جملة مستأنفة مبينة لرفعة رتبتها وسمو طبقتها وقد جوز كونه حالا من التوراة فيكون حالا مقدرة أي يحكمون بأحكامها ويحملون الناس عليها وبه تمسك من ذهب إلى أن شريعة من قبلنا شريعة لنا ما لم تنسخ وتقديم الجار والمجرور على الفاعل لما مر مرارا من الاعتناء بشأن المقدم والتشويق إلى المؤخر ولأن في المؤخر وما يتعلق به نوع طول ربما يخل تقديمه بتجاوب أطراف النظم الكريم وقوله ." (٢)

---

(١) تفسير أبي السعود، ٢٨/٣

(٢) تفسير أبي السعود، ٤٠/٣

" المائدة آية ٤٥

قوله تعالى بها بإعادة العامل وهو بعيد وكذا تجويز كون الضمير في استحفظوا للأنبياء والربانيين والأحبار جميعا على أن الاستحفاظ من جناب الله عز و جل أي كلفهم الله تعالى أن يحفظوه ويكونوا عليه شهداء وقوله تعالى وتقدس فلا تخشوا الناس خطاب لرؤساء اليهود وعلمائهم بطريق الالتفات وأما حكام المسلمين فيتناولهم النهي بطريق الدلالة دون العبارة والفاء لترتيب النهي على ما فصل من حال التوراة وكونها معنى بشانها فيما بين الأنبياء عليهم السلام ومن يقتدى بهم من الربانيين والأحبار المتقدمين عملا وحفظا فإن ذلك مما يوجب الاجتناب عن الإخلال بوظائف مراعاتها والمحافظة عليها بأي وجه كان فضلا عن التحريف والتغيير ولما كان مدار جراءتهم على ذلك خشية ذي سلطان أو رفبة في الحظوظ الدنيوية نهوا عن كل منهما صريحا أي إذا كان شأنها كما ذكر فلا تخشوا الناس كائنا من كان واقتدوا في مراعاة أحكامها بالتعرض لها بسوء ولا تشتروا بآياتي الاشتراء استبدال السلعة بالثمن أي أخذها بدلا منه لا بذل الثمن لتحصيلها كما قيل ثم استعير لأخذ شيء بدلا مما كان له عينا كان أو معنى أخذا منوطا بالرغبة فيما أخذ والإعراض عما أعطى ونبذكما فصل في تفسير قوله تعالى أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فالمعنى لا تستبدلوا بآياتي التي فيها بأن تخرجوها منها أو تتركوا العمل بها وتأخذوا لأنفسكم بدلا منها ثمنا قليلا من الرشوة والجاه وسائر الحظوظ الدنيوية فإنها وإن جلت قليلة مسترذلة في نفسها لا سيما بالنسبة إلى ما فات عنهم بترك العمل بها وإنما عبر عن المشتري الذي هو العمدة في عقود المعاوضة والمقصد الأصلي بالثمن الذي شأنه أن يكون وسيلة إلى تحصيله وأبرزت الآيات التي حقها أن يتنافس فيها المتنافسون في معرض الآلات والوسايط حيث قرنت بالباء التي تصحب الوسائل ايذنا بمبالغتهم في التعكيس بأ جعلوا المقصد الأقصى وسيلة والوسيلة الأدنى مقصدا ومن لم يحكم بما أنزل الله كائنا من كان دون المخاطبين خاصة فانهم مندرجون فيه اندراجا أوليا أي من لم يحكم بذلك مستهينا به منكرا له كما يقتضيه ما فعلوه من تحريف آيات الله تعالى اقتضاء بينا فأؤلئك إشارة إلى من والجمع باعتبار معناها كما أن الإفراد فيما سبق باعتبار لفظها هم الكافرون لاستهانتهم به وهم إما ضمير الفصل أو مبتدأ وما بعده خبره والجملة خبر لأولئك وقد مر تفصيله في مطلع سورة البقرة والجملة **تذييل** مقرر لمضمون ما قبلها ابلغ تقرير وتحذير عن الإخلال به اشد تحذير حيث علق فيه الحكم بالكفر بمجرد ترك الحكم بما أنزل الله تعالى فكيف وقد انضم إليه الحكم بخلافه لا سيما مع مباشرة ما نهوا عنه من تحريفه ووضع غيره موضعه وادعاء أنه من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا وكتبنا عطف على أنزلنا ." (١)

" المائدة آية ٤٦ ٤٧

التوارة عليهم أي على الذين هادوا وقرىء وأنزل الله على بني إسرائل فيها أي في التوراة أن النفس بالنفس أن تقاد بها ذا قتلها بغير حق والعين تفقأ بالعي إذا فقئت بغير حق والأنف يجدع بالأنف المقطوع بغير حق والأذن تصلم بالأذن المقطوعة ظلما والسن تقلع بالسن المقلوعة بغير حق والجروح قصاص أي ذات قصاص إذا كانت بحيث تعرف المساواة وعن ابن عباس رضي تعالى عنهما أنهم كانوا لا يقتلون الرجل بالمرأة فنزلت وقرىء وإن الجروح قصاص وقرىء العين إلى آخره

---

(١) تفسير أبي السعود، ٤٢/٣

بالرفع عطفا على محل أن النفس لأن المعنى كتبنا عليهم النفس بالنفس إما لإجراء كتبنا مجرى قلنا وإما لأن معنى الجملة التي هي قولك النفس بالنفس مما يقع عليه الكتب كما يقع عليه القراءة تقول كتبت الحمد لله وقرأت سورة أنزلناها فمن تصدق أي من المستحقين به أي بالقصاص أي فما عفا عنه والتعبير عنه بالتصدق للمبالغة في الترغيب فيه فهو أي التصدق كفارة له أي للمتصدق يكفر الله تعالى بها ذنوبه وقيل للجاني إذا تجاوزت عنه صاحب الحق سقط عنه ما لزمه وقرىء فهو كفارته له أي فالمتصدق كفارته التي يستحقها بالتصدق له لا ينقص منها شيء وهو تعظيم لكما فعل كقوله تعالى فأجره على الله ومن لم يحكم كائنا من كان فيتناول من لا يرى قتل الرجل بالمرأة من اليهود تناولا بينا بما أنزل الله من الأحكام والشرائع كائنا ماكان فيدخل فيها الأحكام المحكية دخولا أوليا فأولئك هم الظالمون المبالغون في الظلم المتعدون لحدوده تعالى الواضعون للشيء في غير موضعه والجملة تذييل مقرر لإيجاب العمل بالأحكام المذكورة وقفينا على آثارهم شروع في بيان أحكام الإنجيل إثر بيان أحكام التوراة وهو عطف على أنزلنا التوراة أي آثار البيين المذكورين يقال قفيته بفلان إذا أتبعته إياه فحذف المفعول لدلالة الجار والمجرور عليه أي قفيناهم بعيسى ابن مريم أي أرسلناه عقبهم مصدقا لما بين يديه من التوراة حال من عيسى عليه السلام وآتيناه الإنجيل عطف على قفينا وقرىء بفتح الهمزة فيه هدى ونور كما في التوراة وهو في محل النصب على أنه حال من الإنجيل أي كائنا فيه ذلك كأنه قيل مشتملا على هجى ونور وتنوين هدى ونور للتفخيم ويندرج في ذلك شواهد نبوته عليه السلام ومصدقا لما بين يديه من التوراة عطف عليه داخل في حكم الحالية وتكرير ما بين يديه من التوراة لزيادة التقرير وهدى وموعظة للمتقين عطف على مصدقا منتظم معه في سلك الحالية جعل كله هدى بعد ما جعل مشتملا عليه حيث قيل هدى وتخصيص كونه هدى وموعظة بالمتقين لأنهم المهتدون بهداه والمنتفعون بجدواه وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه أمر مبتدأ لهم بأن يحكموا ويعملوا بما فيه من الأمور التي من جملتها دلائل رسالته عليه الصلاة ". (١)

" المائدة آية ٤٨

والسلام وشواهد نبوته وما قررته الشريعة الشريفة من أحكامه وما أحكامه المنسوخة فليس الحكم بها حكما بما أنزل الله فيه بل هو إبطال وتعطيل له إذ هو شاهد بنسخها وانتهاء وقت العمل بها لأن شهادته بصحة ما ينسخها من الشريعة شهادة ينسخها وبأن احكامه ما قررته تلك الشريعة التي شهد بصحتها كما سيأتي في قوله تعالى يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل الآية وقيل هو حكاية للأمر الوارد عليهم بتقدير فعل معطوف على آتيناه أي وقلنا ليحكم أهل الإنجيل الخ وقرىء وأن ليحكم على أن أن موصولة بالأمر كما في قولك أمرته بأن قم كأنه قيل وآتيناه الإنجيل وأمرنا بأن يحكم أهل الإنجيل الخ وقرىء على صيغة المضارع ولام التعليل على أنها متعلقة بمقدر كأنه قيل وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه آتيناه وإياه وقد عطف على هجى وموعظة على أنهما مفعول لهما كأنه قيل وللهدى والموعظة آتيناه إياه وللحكم بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله منكرا له مستهينا به فأولئك هم الفاسقون المتمردون الخارجون عن الإيمان والجملة تذييل مقرر لمضمون الجملة السابقة ومؤكد لوجوب الامتثال بالآمر وفيه دلالة على أن الإنجيل مشتمل على

(١) تفسير أبي السعود، ٤٣/٣

الأحكام وأن عيسى عليه السلام كان مستقلا بالشرع مأمورا بالعمل بما فيه من الأحكام قلت أو كثرت لا بما في التوراة خاصة وحمله على معنى وليحكم بما أنزل الله فيه من إيجاب العمل بأحكام التوراة خلاف الظاهر وأنزلنا إليك الكتاب أي الفرد الكامل الحقيقي بأن يسمى كتابا على الإطلاق لحيازته جميع الأوصاف الكمالية لجنس الكتاب السماوي وتفوقه على بقية أفراده وهو القرآن الكريم فاللام للعهد والجملة عطف على أنزلنا وما عطف عليه وقوله تعالى بالحق متعلق بمحذوف وقع حالا مؤكدة من الكتاب أي ملتبسا بالحق والصدق وقيل من فاعل أنزلنا وقيل من الكاف في إليك وقوله تعالى مصدقا لما بين يديه حال من الكتاب أي حال كونه مصدقا لما تقدمه إما من حيث إنه نازل حسبما نعت فيه أو من حيث أنه موافق له في القصص والمواعيد والدعوة إلى الحق والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش وأما ما يتراءى من مخالفته له في بعض جزئيات الأحكام المتغيرة بسبب تغير الأعصار فليست بمخالفة في الحقيقة بل هي موافقة لها من حيث إن كلا من تلك الأحكام حق بالإضافة إلى عصره متضمن للحكمة التي عليها يدور أمر الشريعة وليس في المتقدم دلالة على ابدية أحكامه المنسوخة حتى يخالفه الناسخ المتأخرون وإنما يدل على مشروعيتها مطلقا من غير تعرض لبقائها وزوالها بل نقول هو ناطق بزوالها لما أن النطق بصحة ما ينسخها نطق بنسخها وزوالها وقوله تعالى من الكتاب بيان لما واللام للجنس إذ المراد هو الكتاب السماوي وهو ." [1]

" المائدة آية ٥٠ ٥١

احذرهم مخافة أن يفتنوك وإعادة ما أنزل الله لتأكيد التحذير بتهويل الخطب روي أن أحبار اليهود قالوا اذهبوا بنا إلى محمد فلعلنا نفتنه عن دينه فذهبوا إليه وقالوا يا ابا القاسم قد عرفت أنا احبار اليهود وأنا من اتبعناك اتبعنا البهود كلهم وأن بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم إليك فتقضي لنا عليهم ونحن نؤمن بط ونصدقك فأبى ذلك رسول الله فنزلت فإن تولوا أي أعرضوا عن الحكم بما أنزل الله تعالى وأرادوا غيره فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم أي بذنب توليهم عن حكم الله عز و جل وإنما عبر عنه بذلك إيذانا بأن لهم ذنوبا كثيرة هذا مع كمال عظمه واحد من جملتها وفي هذا الإبهام تعظيم للتولي كما في قول لبيد أو يرتبط بعض النفوس حمامها يريد به نفسه أي نفسا كبيرة ونفسا أي نفس وإن كثيرا من الناس لفاسقون أي متمردين في الكفر مصرون عليه خارجون عن الحدود المعهودة وهو اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قوله أفحكم الجاهلية يبغون إنكار وتعجيب من حالهم وتوبيخ لهم والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي يتولون عن حكمك فيبغون حكم الجاهلية وتقديم المفعول للتخصيص المفيد لتأكيد الإنكار والتعجيب لأن التولي عن حكمه وطلب حكم آخر منكر عجيب وطلب حكم الجاهلية اقبح وأعجب والمراد بالجاهلية إما الملة الجاهلية التي هي متابعو الهوى الموجبة للميل والمداهنة في الأحكام فيكون تعييرا لليهود بأنهم مع كونهم أهل كتاب وعلم يبغون حكم الجاهلية التي هي هوى وجهل لا يصدر عن كتاب ولا يرجع إلى وحي وإما أهل الجاهلية وحكمهم ما كانوا عليه من التفاضل فيما بين القتلى حيث روى أن بني النضير لما تحاكموا إلى رسول الله في خصومه قتل وقعت بينهم وبين بني قريظة طلبوا إليه أن يحكم بينهم بما كان عليه أهل الجاهلية من التفاضل فقال القتلى سواء فقال بنو النضير نحن لا نرضى بذلك فنزلت وقرىء

---

(١) تفسير أبي السعود، ٤٤/٣

برفع الحكم على أنه مبتدأ ويبغون خبره والراجع محذوف حذفه في قوله تعالى أهذا الذي بعث الله رسولا وقد استضعف ذلك في غير الشعر وقرىء بقاء الخطاب إما بالالتفات لتشديد التوبيخ وإما بتقدير القول أي قل لهم أفحكم الخ وقرىء بفتح الحاء والكاف أي أفحاكما كحكام الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما إنكار لأن يكون أحد حكمه أحسن من حكمه تعالى أو مساوله وإن كان ظاهر السبك غير متعرض لنفي المساواة وإنكارها وقد مر تفصيله في تفسير قوله تعالى ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله لقوم يوقنون أي عندهم واللام كما في هيت لك أي هذا الاستفهام لهم فإنهم الذين يتدبرون الأمور بانظارهم فيعلمون يقينا ان حكم الله عز و جل أحسن الأحكام وأعد لها يأيها الذين آمنوا خطاب يعم حكمه كافة المؤمنين من المخلصين وغيرهم وإن كان سبب وروده بعضا منهم كما سيأتي ." (١)

" المائدة آية ٥٥ ٥٦

ما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث وما ذهب إليه من لا يجوزه من أن قوله تعالى يحبهم ويحبونه كلام معترض وأن مبارك خبر بعد خبر أو خبر لمبتدأ محذوف وأن من ربهم ومن الرحمن حالان مقدمتان من ضمير محدث تكلف ولا يخفى وقرىء أذلة أعزة بالنصب على الحالية من قوم لتخصصه بالصفة يجاهدون في سبيل الله صفة أخرى لقو مترتبة على ما قبلها مبنية مع ما بعدها لكيفية عزتهم أو حال من الضمير في أعزة ولا يخافون لومة لائم عطف على يجاهدون بمعنى أنهم جامعون بين المجاهدة في سبيل الله وبين التصلب في الدين وفيه تعريض بالمنافقين فإنهم كانوا إذا خردوا في جيش المسلمين خافوا أولياءهم اليهود فلا يكادون يعملون شيئا يلحقهم فيه لوم من جهتهم وقيل هو حال من فاعل يجاهدون بمعنى أنهم يجاهدون وحالهم خلاف حال المنافقين واعتراض عليه بأنهم نصوا على أن المضارع المنفي بلا أو كالمثبت في عدم جواز مباشرة واو الحال له واللومة المرة من اللوم وفيها وفي تنكير لائم مبالغة لا تخفي ذلك إشارة إلى ما تقدم من الأوصاف الجليلة وما فيه من معنى البعد للإيذان بعد منزلتها في الفضل فضل الله أي لطفه وإحسانه لا إنهم مستقلون في الاتصاف بها يؤتيه من يشاء إيتاءه إياه ويوقفه لكسبه وتحصيله حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة والله واسع كثير الفواضل والألطاف عليم مبالغ في العلم بجميع الأشياء التي من جملتها من هو أهل للفضل والتوفيق والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله وإظهار الاسم الجليل للإشعار بالعلة وتأكيد استقلال الجملة الاعتراضية ايما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا لما نهاهم الله عز و جل عن موالاة الكفرة وعلله بأن بعضهم أولياء بعض لا يتصور ولايتهم للمؤمنين وبين أن من يتولاهم يكون من جملتهم بين ههنا من هو وليهم بطريق قصر الولاية عليه كأنه قيل لا تتخذوهم أولياء لأن بعضهم أولياء بعض وليسوا بأوليائكم إنما أوليائكم الله ورسوله والمؤمنون فاختصوهم بالموالاة ولا تتخطوهم إلى غيرعم وإنما أفرد الولي مع تعدده للإيذان بأن الولاية أصالة لله تعالى وولايته عليه السلام وكذا ولاية المؤمنين بطريق التبعية لولايته عز و جل الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة صفة للذين آمنوا لجريانه مجرى الاسم أو بدل منه أو نصب على المدح أو رفع عليه وهم راكعون حال مع فاعل الفعلين أي يعملون ما ذكر من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وهم خاشعون ومتواضعون لله تعالى وقيل هو حال مخصوصة بإيتاء الزكاة والركوع ركوع الصلاة والمراد بيان كمال رغبتهم في الإحسان ومسارعتهم إليه وروي أنها نزلت في علي رضي الله عنه حين سأله سائل وهو

(١) تفسير أبي السعود، ٤٧/٣

راكع فطرح غليه خاتمه كأنه كان مرجا في خنصر غير محتاج في إخراجه إلى كثير عمل يؤدي إلى فساد الصلاة ولفظ الجمع حينئذ لترغيب الناس في مثل فعله رضي الله عنه وفيه دلالة على أن صدقه التطوع تسمى زكاة ومن يتول ." (١)

" المائدة آية ٧٢

الجنايات الصادرة عنهم لا تكاد تتناهى خلا أن انحصار ما حكي عنهم ههنا في المرتين وترتبه على حكاية ما فعلوا بالرسل عليهم السلام يقضي بأن المراد ما ذكرناه والله عنده علم الكتاب وقرىء عموا وصموا بالضم على تقدير عماهم الله وصمهم أي رماهم وضربهم بالعمى والصمم كما يقال نزكته إذا ضربته بالنيزك وركبته إذا ضربته بركبتك وقوله تعالى كثير منهم بدل من الضمير في الفعلين وقيل خبر مبتدأ محذوف أي أولئك كثير منهم والله بصير بما يعملون اي بما عملوا وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية استحضارا لصورتها الفظيعة ورعاية للفواصل والجملة **تذييل** اشير به إلى بطلان حسبانهم المذكور ووقوع العذاب من حيث لم يحتسبوا إشارة إجمالية اكتفى بها تعويلا على ما فصل نوع تفصيل في سورة بني إسرائيل والمعنى حسبوا أن لا يصيبهم عذاب ففعلوا ما فعلوا من الجنايات العظيمة المستوجبة لأشد العقوبات والله بصير بتفاصيلها فكيف لا يؤاخذهم بها ومن اين لهم ذلك الحسبان الباطل ولقد وقع ذلك في المرة الأولى حيث سلط الله تعالى بخت نصر عامل لهراسب على بابل وقيل جالوت الجزري وقيل سنجاريب من أهل نينوى والأول هو الأظهر فاستولى على بيت المقدس فقتل من أهله أربعين ألفا ممن يقرأ التوراة وذهب بالبقية إلى أرضه فبقوا هناك على أقصى ما يكون من الذل والنكد إلى أن أحدثوا توبة صحيحة فردهم الله عز و جل إلى ما حكي عنهم من حسن الحال ثم عادوا إلى المرة الآخرة من الإفساد فبعث الله تعالى عليهم الفرس فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه خيدرود وقيل خيدروس ففعل بهم ما فعل قيل دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه دما يغلي فسألهم فقالوا دم قربان لم يقبل منا فقال ما صدقوني فقتل عليه ألوفا منهم ثم قال إن لم تصدقوني ما تركت منكم أحدا فقالوا إنه دم يحيى عليه السلام فقال بمثل هذا ينتقم الله تعالى منكم ثم قال يحيى قد علم ربي وربك ما اصاب قومك من أجلك فاهدأ باذن الله تعالى قبل أن لا أبقي أحدا منهم فهدأ لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم شروع في تفصيل قبائح النصارى وإبطال اقوالهم الفاسدة بعد تفصيل قبائح اليهود وهؤلاء هم الذين قالوا إن مريم ولدت غلها قيل هم الملكانية والمار يعقوبية منهم وقيل هم اليعقوبية خاصة قالوا ومعنى هذا أن الله تعالى حل في ذات عيسى واتحد بذاته تعالى عن ذلك علوا كبيرا وقال المسيح حال من فاعل قالوا بتقدير قد مفيده لمزيد تقبيح حالهم ببيان تكذيبهم للمسيح وعدم انزجارهم عما اصروا عليه بما أوعدهم به أي قالوا ذلك وقد قال المسيح مخاطبا لهم يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم فإني عبد مربوب مثلكم فاعبدوا خالقي وخالقكم إنه اي الشأن من يشرك بالله اي شيئا في عبادته أو فيما يختص به من صفات الألوهية فقد حرم الله عليه الجنة فلن يدخلها أبدا كما لا يصل المحرم عليه إلى ." (٢)

" المائدة آية ٧٣

---

(١) تفسير أبي السعود، ٥٢/٣

(٢) تفسير أبي السعود، ٦٥/٣

المحرم فإنها دار الموحدين وإظهار الاسم الجليل في موضع الإضمار لتهويل الأمر وتربية المهابة ومأواه النار فإنها هي المعدة للمشركين وهذا بيان لابتلائهم بالعقاب غثر بيان حرمانهم الثواب وما للظالمين من أنصار اي مالهم من أحد ينصرهم بإنقاذهم من النار إما بطريق المغالبة أو بطريق الشفاعة والجمع لمراعاة المقابلة بالظالمين واللام إما للعهد والجمع باعتبار معنى من كما أن الإفراد في الضمائر الثلاثة باعتبار لفظهار وإما للجنس وهم داخلون فيه دخولا أوليا ووضعه على الأول موضع الضمير للتسجيل عليهم بأنهم ظلموا بالإشراك وعدلوا عن طريق الحق والجملة **تذييل** مقرر لما قبله وهو إما من تمام كلام عيسى عليه السلام وإما وارد من جهته تعالى لمقالته عليه السلام وتقريرا لمضمونها وقد قيل إنه من كلامه عز و جل على معنى أنهم ظلموا وعجلوا عن سبيل الحق فيما تقولوا على عيسى عليه السلام فلذلك لم يساعدهم عليه ولم ينصر قولهم ورده أنكره وإن كانوا معظمين له بذلك ورافعين من مقداره أو من قول عيسى عليه السلام على معنى لا ينصركم أحد فيما تقولون ولا يساعدكم عليه لاستحالته وبعده عن المعقول وأنت خبير بأن التعبير عما حكي عنه عليه السلام من مقابلته لقولهم الباطل بصريح الرد والإنكار والوعيد بحرمان الجنة ودخول النار بمجرد عدم مساعدته على ذلك ونفى نصرته له مع خلوه عن الفائدة تصوير للقوي ل – بصورة الضعيف وتهوين للخطب من مقام تهويله بل ربما يوهم ذلك بحسب الظاهر ما لا يليق بشانه عليه السلام من توهم المساعدة والنصرة لا سيما مع ملاحظة قوله وإن كانوا معظمين له الخ إلا أن يحمل الكلام على التهكم بهم كذا وكذا الحال على تقدير كونه من تمام كلامه عليه السلام فإن زجره عليه السلام إياهم عن قولهم الفاسد بما ذكره من عدم الناصر والمساعد بعد زجره إياهم بما مر من الرد الأكيد والوعيد الشديد بمعزل من الإفادة والتأثير ولا سبيل ههنا إلا الاعتذار بالتهكم لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة شروع في بيان كفر طائفة أخرة منهم ومعنى قوله ثالث ثلاثة ورابع أربعة ونحو ذلك أحد هذه الأعداد مطلقا لا الثالث والرابع خاصة ولذلك منع الجمهور أن ينصب ما بعده بأن يقال ثالث ثلاثة ورابع أربعة وغنما ينصبه إذا كان ما بعده دونه بمرتبة كما في قولك عشر تسعة وتاسع ثمانية قيل إنهم يقولون إن الإلهية مشتركة بين الله سبحانه وتعالى وعيسى ومريم وكل واحد من هؤلاء إله ويؤكده قوله تعالى للمسيح أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله فقوله تعالى ثالث ثلاثة أي أحد ثلاثة آلهة وهو المتبادر من ظاهر قوله تعالى وما من إله إلا إله واحد أي والحال أنه ليس في الوجود ذات واجب مستحق للعبادةمن حيث إنه مبدأ جميع الموجودات إلا إله موصوف بالوحدانية متعال عن قبول الشركة ومن مزيدة للاستغراق وقيل إنهم يقولون الله جوهر واحد ثلاثة اقانيم اقنوم الأب واقنوم الابن وأقنوم روح القدس وإنهم يريدون بالأول الذات وقيل ." (١)

" المائدة آية ٩٤

اتقاء الكبائر وبالثالث اتقاء الصغائر ولا ريب في أنه لا تعلق لهذه الاعتبارات بالمقام فأحسن التأمل والله يحب المحسنين **تذييل** مقرر لمضمون ما قبله أبلغ تقرير يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله جواب قسم محذوف أي والله ليعاملنكم معاملة من يختبركم لبتعرف أحوالكم بشيء من الصيد أي من صيد البر مأكولا أو غير مأكول ما عجا المستثنيات من الفواسق فاللام للعهد نزلت عام الحديبية ابتلاهم الله تعالى بالصيد وهم محرمون كانت الوحوش تغشاهم في رحالهم بحيث

(١) تفسير أبي السعود، ٦٦/٣

كانوا متمكنين من صيدها أخذا بأيديهم وطعنا برماحهم وذلك قوله تعالى تناله أيديكم ورماحكم فهموا بأخذها فنزلت وروي أنه عن لهم حمار وحش فحمل عليه أبو اليسر بن عمرو فطعنه برمحه وقتله فقيل له قتلته وأنت محرم فأتى رسول الله وسأله عن ذلك فأنزل الله تعالى الآية فالتأكيد القسمي في ليبلونكم إنما هو لتحقيق أن ما وقع من عدم توحش الصيد عنهم ليس إلا لابتلائهم لا لتحقيق وقوع المبتلى به كما لو كان النزول قبل الابتلاء وتنكير شيء للتحقير المؤذن بأن ذلك ليس من الفتن الهائلة التي تزل فيها اقدام الراسخين كالابتلاء بقتل الأنفس وإتلاف الأموال وإنما هو من قبيل ما باتلي به أهل أيلة من صيد البحر وفائدته التنبيه على أن من لم يتثبت في مثل هذا كيف يتثبت عند شدائد المحن فمن في قوله تعالى من الصيد بيانية قطعا أي بشيء حقير هو الصيد وجعلها تبعيضية يقتضي اعتبار قلته وحقارته بالنسبة إلى كل الصيد لا بالنسبة إلى عظائم البلايا فيعرى الكلام عن التنبيه المذكور ليعلم الله من يخافه بالغيب أي ليتميز الخائف من عقابه الأخروي وهو غائب مترقب لقوة إيمانه فلا يتعرض للصيد ممن لا يخافه كذلك لضعف إيمانه فيقدم عليه وإنما عبر عن ذلك بعلم الله تعالى اللازم له إيذانا بمدار الجزاء ثوابا وعقابا فإنه أدخل في حملهم على الخوف وقيل المعنى ليتعلق علمه تعالى بمن يخافه بالفعل فإن علمه تعالى بأنه سيخافه وإن كان متعلقا به قبل خوفه لكن تعلقه بأنه خائف بالفعل وهو الذي يدور عليه أمر الجزاء إنما يكون عند تحقق الخوف بالفعل وقيل هناك مضاف محذوف والتقدير ليعلم أولياء الله وقرىء ليعلم من الإعلام على حذف المفعول الأول أي ليعلم الله عباده الخ والعلم على القراءتين متعد إلى واحد وإظهار الاسم الجليل في موقع الإضمار لتربية المهابة وإدخال الروعة فمن اعتدى بعد ذلك أي بعد بيان أن ما وقع ابتلاء من جهته تعالى لما ذكر من الحكمة لا بعد تحريمه أو النهي عنه كما قاله بعضهم إذ النهي والتحريم ليس أمرا حادثا يترتب عليه الشرطية بالفاء ولا بعد الابتلاء كما اختاره آخرون لأن نفس الابتلاء لا يصلح مدارا لتشديد العذاب بل ربما يتوهم كونه عذرا مسوغا لتخفيفه وإنما الموجب للتشديد بيان كونه ابتلاء لأن الاعتداء بعد ذلك مكابرة صريحة وعدم مبالاة بتدبير الله تعالى وخروج عن طاعته وانخلاع عن خوفه وخشيته بالكلية أي فمن تعرض للصيد بعد ما بينا أن ما وقع من كثرة الصيد وعدم توحشه منهم ابتلاء مؤد إلى تمييز المطيع من العاصي فلع عذاب ." (١)

" المائدة ١٠٢ ١٠٣

للمساءة الواقعة في نفس الأمر قبل السؤال كسؤال من قال اين أبي لا عما يعمها وغيرهما مما ليس بواقع لكنه محتمل للوقوع عند المكلفين حتى يلزم التخلف في صورة عدم الوقوع وجملة الكلام أن مدلول النظم الكريم بطريق العبارة إنما هو النهي عن السؤال عن الأشياء التي يوجب إبداؤها المساءة البتنة إما بأن تكون تلك الأشياء بعرضية الوقوع فتبدى عند السؤال بطريق الإنشاء عقوبة وتشديدا كما في صورة كونها من قبيل التكاليف الشافة وإما بأن تكون تلك الأشياء بعرضية الوقوع فتبدي عند السؤال بطريق الإنشاء عقوبة وتشديداكما في صورة كونها من قبيل التكاليف الشافة وإما بأن تكون واقعة في نفس الأمر قبل السؤال فتبدى عنده بطريق الإخبار بها فالتخلف ممتنع في الصورتين معا ومنشأ توهمه عدم الفرق بين المنهي عنه وبين غيره بناء على عدم امتياز ما هو موجود أو بعرضية الوجود من تلك الأشياء في نفس الأمر وما ليس

---

(١) تفسير أبي السعود، ٧٨/٣

كذلك عند المكلفين وملاحظتهم للكل باحتمال الوجود والعدم وفائدة هذا الإبهام الانتهاء عن السؤال عن تلك الأشياء على الإطلاق حذار إبداء المكروه والله غفور حليم اعتراض تذييلي مقرر لعفوه تعالى أي مبالغ في مغفرة الذنوب والإغضاء عن المعاصي ولذلك عفا عنكم ولم يؤاخذكم بعقوبة ما فرط منكم قد سألها قوم أي سألوا هذه المسألة لكن لا عينها بل مثلها في كونها محظورة ومستتبعة للوبال وعدم التصريح بالمثل للمبالغة في التحذير من قبلكم متعلق بسألها ثم أصبحوا بها أي بسببها أو بمرجوعها كافرين فإن بني إسرائيل كانوا يستفتون أنبياءهم في أشياء فإذا أمروا بها تركوها فهلكوا ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام رد وإبطال لما ابتدعه أهل الجاهلية حيث كانوا إذا نتجت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر بحروا أذنها أي شقوها وحرموا ركوبها ودرها ولا تطرد عن ماء ولا عن مرعى وكان يقول الرجل إذا قدمت من سفري أو برئت من مرضي فناقتي سائبة وجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها وقيل كان الرجل إذا أعتق عبدا قال هو سائبة فلا عقل بينهما ولا ميراث وإذا ولدت الشاة أنثى فهي لهم وإن ولدت ذكرا فهو لآلهتهم وإن ولدت ذكرا وأنثى قالوا وصلت أخاها فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم وإذا نتجت من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى ومعنى ما جعل ما شرع وما وضع ولذلك عدى إلى مفعول واحد هو بحيرة وما عطف عليها ومن مزيد لتأكيد النفي فإن الجعل التكويني كما يجيء تارة متعديا إلى مفعولين وأخرى إلى واحد كذلك الجعل التشريعي يجيء مرة متعديا إلى مفعولين كما في قوله تعالى جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس وأخرى إلى واحد كما في الآية الكريمة ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب حيث يفعلون ما يفعلون ويقولون الله أمرنا بهذا وإمامهم عمرو بن لحى فإنه أول من فعل هذه الأفاعيل الباطلة هذا شأن رؤسائهم وكبرائهم وأكثرهم وهم أراذلهم الذين يتبعونهم من ." (١)

" المائدة ١١٤ ١١٥

إن جعلت موصولة كأنه قيل على أي شهيد يشهدون فقيل عليها فإن ما يتعلق بالصلة لا يتقدم على الموصول أو هو حال من اسم كان أو هو متعلق بمحذوف يفسره من الشاهدين قال عيسى ابن مريم لما راى عليه السلام أن لهم غرضا صحيحا في ذلك وأنهم لا يقلعون عنه أزمع على استدعائها واستنزالها وأراد أن يلزمهم الحجة بكمالها روي أنه اغتسل ولبس المسح وصلى ركعتين فطأطأ رأسه وغض بصره ثم قال اللهم ربنا ناداه سبحانه وتعالى مرتين مرة بوصف الألوهية الجامعة لجميع الكمالات ومرة بوصف الربوبية المنبئة عن التربية إظهارا لغاية التضرع ومبالغة في الاستدعاء أنزل علينا تقديم الظرف على قوله مائدة لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق إلى المؤخر وقوله من السماء متعلق بأنزل أو بمحذوف هو صفة لمائدة أي كائنة من السماء نازلة منها وقوله تكون لنا عيدا في محل النصب على أنه صفة لمائدة واسم تكون ضمير المائدة وخبرها إما عيدا ولنا حال منه أو من ضمير تكون عند من يجوز إعمالها في الحال وإما لنا وعيدا حال من الضمير في لنا لأنه وقع خبرا فيحمل ضميرا أو من ضمير تكون عند من يرى ذلك أن يكون يوم نزولها عيدا نعظمه وإنما أسند ذلك إلى المائدة لأن شرف اليوم مستعار من شرفها وقيل العيد السرور العائد ولذلك سمي يوم العيد عيدا وقرىء تكن بالجزم على جواب الأمر كما في قوله تعالى فهب لي من لدنك وليا يرثني خلا أن قراءة الجزم هناك متواترة وههنا من الشواذ لأولنا

---

(١) تفسير أبي السعود، ٣/٨٦

وآخرنا بدل من لنا بإعادة العامل أي عيدا لمتقدمينا ومتأخرينا روي أنها نزلت يوم الأحد ولذلك اتخذ النصارى عيدا وقيل للرؤساء منا والأتباع وقيل يأكل منها أولنا وآخرنا وقرىء لأولانا واخرانا بمعنى الأمة والطائفة وآية عطف على عيجا منك متعلق بمحذوف هو صفة لآية أي كائنة منك دالة على كمال قدرتك وصحة نبوتي وارزقنا أي المائدة أو الشكرعليها وأنت خير الرازقين **تذييل** جار مجرى التعليل أي خير من يرزق لأنه خالق الأرزاق ومعطيها بلا عوض وفي إقباله عليه السلام على الدعاء بتكرير النداء المنبيء عن كمال الضراعة والابتهال وزيادته مالم يخطر ببال السائلين من الأمور الداعية إلى الإجابة والقبول دلالة واضحة على أنهم كانوا مؤمنين وأن سؤالهم كان لتحصيل الطمأنينة كما في قول إبراهيم عليه السلام رب أرني كيف تحيي الموتى وإلا لما قبل اعتذارهم بما ذكروه ولما اضاف غليه من عنده ما يؤكده ويقربه إلى القبول قال الله استئناف كما سبق إني منزلها عليكم وورود الإجابة منه تعالى بصيغة التفعيل المنبئة عن التكثير مع كون الدعاء منه عليه السلام بصيغة الإفعال لإظهار كمال ." (١)

" المائدة آية ١١٨ ١١٩

متعلق به أي أنت كنت الحافظ لأعمالهم والمراقب فمنعت من أدرت عصمته عن المخالفة بالإرشاد إلى الدلائل والتنبيه عليها بإرسال الرسل وإنزال الايات وخذلت من خذلت من الضالين قال ما قالوا وأنت على كل شيء شهيد اعتراض **تذييلي** مقرر لما قبله وفيه إيذان بأنه تعالى كان هو الشهيد على الكل حين كونه عليه السلام فيما بينهم وعلى متعلقه بشهيد والتقديم لمراعاة الفاصلة إن تعذبهم فإنهم عباد وقد استحقوا ذلك حيث عبدوا غيرك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز اي القوي القادر على جميع المقدورات ومن جملتهات الثواب والعقاب الحكيم الذي لا يريد ولا يفعل إلا ما فيه حكمة ومصلحة فإن المغفرة مستحسنة لكل مجرم فإن عذبت فعدل وإن غفرت ففضل وعدم غفران الشرك إنما هو بمقتضى الوعيد فلا امتناع فيه لذاته ليمنع الترديد وقيل الترديد بالنسبة إلى فرقتين والمعنى إن تعذبهم أي من كفر منهم وإن تغفر لهم أي من آمن منهم قال الله كلام مستأنف ختم به حكاية ما حكي مما يقع يوم يجمع الله الرسل عليهم الصلاة والسلام وأشير إلى نتيجته ومآله أي يقول الله تعالى يومئذ عقيب جواب عيسى عليه السلام مشيرا إلى صدقه في ضمن بيان حال الصادقين الذين هو في زمرتهم وصيغة الماضي لما مر في نظائره مرارا وقوله تعالى هذا غشارة إلى ذلك اليوم وهو مبتدأ خبره ما بعده أي هذا اليوم الذي حكى بعض ما يقع فيه إجمالا وبعضه تفصيلا يوم ينفع الصادقين بالرفع والإضافة والمراد بالصادقين كما ينبيء عنه الاسم المستمرون في الدارين على الصدق في الأمور الدينية التي معظمها التوحيد الذي نحن بصدده والشرائع والأحكام المتعلقة به من الرسل الناطقين بالحق والصدق الداعين إلى ذلك وبه تحصل الشهادة بصدق عيسى عليه السلام ومن المم المصدقين لهم المقتدين بهم عقدا وعملا به يتحقق المقصود بالحكاية من ترغيب السامعين في الإيمان برسول الله لا كل من صدق في أي شيء كان ضرورة أن الجاني المعترف في الدنيا بجنايته لا ينفعه يومئذ واعتبار استمراره في الدارين مع أنه لا حاجة إليه كما عرفت ولا دخل له في استتباع النفع والجزاء مما لا وجه له وهذه القراءة هي التي أطبق عليها الجمهور وهي الأليق بسياق النظم الكريم وسياقه وقد قرىء يوم بالنصب إما على أنه ظرف لقال فهذا

---

(١) تفسير أبي السعود، ٩٨/٣

حينئذ إشارة إلى قوله تعالى أأنت قلت الخ وأما على أنه خبر لهذا فهو حينئذ إشارة إلى جواب عيسى عليه السلام أي هذا الجواب منه عليه السلام واقع يوم ينفع الخ أو إلى السؤال والجواب معا وقيل هو خبر ولكنه بني على الفتح وليس بصحيح عند البصريين لأنه مضاف إلى متمكن وقرىء يوم بالرفع والتنوين كقوله تعالى واتقوا يوما لا تجزى الآية لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ابدا استئناف مسوق لبيان النفع المذكور كأنه قيل ." (١)

" الأنعامآيه ١٠ ١١ ١٢

والتبكيت لمن ما في السموات والأرض من العقلاء وغيرهم أي لمن الكائنات جميعا خالقا وملكا وتصرفا وقوله تعالى قل لله تقرير لهم وتنبيه على أنه المتعين للجواب بالاتفاق بحيث لا يتأتى لأحد أن يجيب بغيره كما نطق به قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله وقوله تعالى كتب على نفسه الرحمة جملة مستقلة داخلة تحت الأمر ناطقة بشمول رحمته الواسعة لجميع الخلق شمول ملكه وقدرته للكل مسوقة لبيان أنه تعالى رءوف بعباده لا يعدل عليهم بالعقوبة ويقبل منهم التوبة وافنابة وأن ما سبق ذكره وما لحق من أحكام الغضب ليس من مقتضيات ذاته تعالى بل من جهة الخلق كيف لا ومن رحمته أن خلقهم على الفطرة السليمة وهداهم إلى معرفته وتوحيده بنصب الآيات الأنفسية والآفاقية وإرسال الرسل وإنزال الكتب المشحونة بالدعوة إلى موجبات رضوانه والتحذير عن مقتضيان سخطه وقد بدلوا فطرة الله تبديلا وأعرضوا عن الآيات بالمرة وكذبوا بالكتب واستهزءوا بالرسل وما ظلمهم الله ولكن كانوا هم الظالمين ولولا شمول رحمته لسلك بهؤلاء أيضا مسلك الغابرين ومعنى كتب الرحمة على نفسه أنه تعالى قضاها وأوجبها بطريق التفضل والإحسان على ذاته المقدسة بالذات لا بتوسط شيء أصلا وقيل ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله قال لما قضى الله تعالى الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش إن رحمتي سبقت غضبي وعنه في رواية أنه قال لما قضى الله تعالى الخلق كتب كتابا فهو عنده فوق العرش إن رحمتي غلبت غضبي وعن عمر رضي الله عنه أن رسول الله قال لكعب ما أول شيء ابتدأه الله تعالى من خلقه فقال كعب كتب الله كتابا لم يكتبه بقلم ولا مداد كتابة الزبرجد واللؤلؤ والياقوت إني أنا الله لا إله إلا أنا سبقت رحمتي غضبي ومعنى سبق الرحمة وغلبتها أنها أقدم تعلقا بالخلق وأكثر وصولا إليهم مع أنها من مقتضيات الذات المفيضة للخير وفي التعبير عن الذات بالنفس حجة على من ادعى أن لفظ النفس لا يطلق على الله تعالى وأن أريد به الذات إلا مشاكلة لما ترى من انتفاء المشاكلة ههنا بنوعيها وقوله تعالى ليجعلنكم إلى يوم القيامة جواب قسم محذوف والجملة استئناف مسوق للوعيد على إشراكهم وإغفالهم النظر أي والله ليجمعنكم في القبور مبعوثين أو محشورين إلى يوم القيامة فيجازيكم على شركك وسائر معاصيكم وإن أمهلكم بموجب رحمته ولم يعاجلكم بالعقوبة الدنيوية وقيل إلى بمعنى اللام أي ليجمعنك ليوم القيامة كقوله تعالى إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه وقيل هي بمعنى في أي ليجمعنكم يوم القيامة لا ريب فيه أي في اليوم أو في الجمع وقوله تعالى الذين خسروا أنفسهم أي بتضييع رأس مالهم وهو الفطرة الأصلية والعقل السليم والاستعداد القريب الحاصل من مشاهدة الرسول واستماع الوحي وغير ذلك من آثار الرحمة في موضع النصب أو الرفع على الذم أي أعني الذين الخ وهم مبتدأ والخبر قوله تعالى فهو لا يؤمنون والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط والإشعار

(١) تفسير أبي السعود، ١٠٢/٣

بأن عدم إيمانهم بسبب خسرانهم فإن إبطال العقل باتباع الحواس والوهم والانهماك في تلقليد وإغفال النظر أدى بهم إلى الإصرار على الكفر والامتناع من الإيمان والجملة تذييل مسوق من جهته تعالى لهم لتقبيح حا غير داخل ." (١)

" الأنعام ٣١ ٣٢

بكل ما يجب الإيمان به فيدخل كفرهم به دخولا أوليا ولعل هذا التوبيخ والتقريع وإنما يقع بعد ما وقفوا على النار فقالوا ما قالوا إذ الظاهر أنه لا يبقى بعد هذا الأمر إلا العذاب قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله هم الذين حكيت أحوالهم لكن وضع الموصول موضع الضمير للإيذان بتسبب خسرانهم بما في حيز الصلة من التكذيب بلقائه تعالى بقيام الساعة وما يترتب عليه من البعث وأحكامه المتفرعة عليه واستمرارهم على ذلك فإن كلمة حتى في قوله تعالى حتى إذا جاءتهم الساعة غاية لتكذيبهم لا لخسرانهم فإنه أبدى لا حد له بغعته البغت والبغت مفاجأة للشيء بسرعة من ير شعور به يقال بغة بغتا وبغتة أي فجأة وانتصابها إما على أنها مصدر واقع موقع الحال من فاعل جاءتهم أي مباغتة أو من مفعول أي مبغوتين وإما على أنها مصدر مؤكد على غير الصدر فإن جاءتهم في معنى بغتتهم كقولهم أتيته ركضا أو مصدر مؤكد لفعل محذوف وقع حالا من فاعل جاءتهم أي جاءتهم الساعة تبغتهم بغتة قالوا جواب إذا يا حسرتنا تعالى فهذا أوانك والحسرة شدة الندم وهذا التحسر وإن كان يعتريهم عند الموت لكن لما كان ذلك من مبادىء الساعة يمي باسمها ولذلك قال عليه الصلاة و السلام من مات فقد قامت قيامته أو جعل مجيء الساعة بعد الموت كالواقع بغير فترة لسرعته على ما فرطنا فيها أي على تفريطنا في شأن الساعة وتقصيرنا في مراعاة حقها والاستعداد لها بالإيمان بها واكتساب الأعمال الصالحة كما في قوله تعالى على ما فرطت في جنب الله وقيل الضمير للحياة الدنيا وإن لم يجر لها ذكر لكونها معلومة والتفريط التقصير في الشيء مع القدرة على ما فعله وقيل هو التضييع وقيل الفرط السبق ومنه الفارط أي السابق ومعنى فرطلى السبق لغيره فالتضعيف فيه للسلب كما في جلدت البعير وقوله تعالى وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم حال من فاعل قالوا فائدته الإيذان بأن عذابهم ليس مقصورا على ما ذكر من الحسرة على ما فات وزال بل يقاسون مع ذلك تحمل الأوزار الثقال والإيماء إلى أن تلك الحسرة من الشدة بحيث لا تزول ولا تنسى بما يكابدونه من فنون العقوبات والسر في ذلك أن العذاب الروحاني أشد من الجسماني نعوذ برحمة الله عز و جل منهما والوزر في الأصل الحمل الثقيل سمى به الإثم والذنب لغاية ثقله على صاحبه وذكر الظهور كذكر الأيدي في قوله تعالى فبما كسبت ايديكم فإن المعتاد حمل الأثقال على الظهور كما أن المألوف هو الكسب بالأيدي والمعنى أنهم يتحسرون على ما لم يعملوا من الحسنات والحال أنعهم يحملون أوزار ما عملوا من السيئات ألا ساء ما يزرون تذييل مقرر لما قبله وتكملة له أي بئس شيئا يزرونه وزرهم وما الحيوة الدنيا إلا لعب ولهو لما حقق فيما سبق أن وراء الحياة الدنيا حياة أخرى يلقون فيها من الخطوب ما يلقون بين بعده حال تينك الحياتين في أنفسهما واللعب ." (٢)

" ٢ – الأنعام آية ٥٨

---

(١) تفسير أبي السعود، ٣/١١٥

(٢) تفسير أبي السعود، ٣/١٢٥

اتباعه والبينة الحجة الواضحة التي تفصل بين الحق والباطل والمراد بها القرآن والوحي وقيل هو الحجج العقلية أو ما يعمها ولا يساعده المقام والتنوين للتفخيم وقوله تعالى من ربي متعلق بمحذوف هو صفة لبينة مؤكدة لما أفاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره من التشريف ورفع المنزلة ما لا يخفى وقوله تعالى وكذبتم به إما جملة مستأنفة أو حالية بتقدير قد أو بدونه جيء بها الاستقباح مضمونها واستيعاد وقوعه مع تحقق ما يقتضي عدمه من غاية وضوح البينة والضمير المجرور اللبينة والتذكير باعتبار المعنى لمراد والمعنى إني على بينة عظيمة كائنة من ربي وكذبتم بها وبما فيها من الأخبار التي من جملتها الوعيد بمجيء العذاب وقوله تعالى ما عندي ما تستعجلون به استئناف مبين لخطئهم في شأن ما جعلوه منشأ لتكذيبهم بها وهو عدم مجيء ما وعد فيها من العذاب الذي كانوا يستعجلونه بقولهم متى هذا الوعد إن كنتم صادقين بطريق الاستهزاء أو بطريق الألزام على زعمهم أي ليس ما تستعجلونه من العذاب الموعود في القرآن وتجعلون تأخره ذريعة إلى تكذيبه في حكمي وقدرتي حتى أجيء به وأظهر لكم صدقه أو ليس أمره بمفوض إلى إن الحكم أي ما الحكم في ذلك تعجيلا وتأخيرا أو ما الحكم في جميع الأشياء فيدخل فيه ما ذكر دخولا أوليا إلا لله وحده من غير أن يكون لغيره دخل ما فيه بوجه من الوجوه وقوله تعالى يقص الحق أي يتبعه بيان لشئونه تعالى في حكم المعهود أو في جميع أحكامه المنتظمة له انتظاما أوليا أي لا يحكم إلا بما هو حق فيثبت حقيقة التأخير وقرىء يقضي فانتصاب الحق حينئذ على المصدية أي يقضي القضاء الحق أو على المفعولية أي يصنع الحق ويدبره من قولهم قضى الدرع إذا صنعها وأصل القضاء الفصل بتمام الأمر واصل الحكم المنع فكأنه يمنع الباطل عن معارضة الحق أو الخصم عن التعدي على صاحبه وهو خير الفاصلين اعتراض **تذييلي** مقرر لمضمون ما قبله مشير إلى أن قص الحق ههنا بطريق خاص هو الفصل بين الحق والباطل هذا هو الذي تستدعيه جزالة التنزيل وقد قيل إن المعنى إني من معرفة ربي وأنه لا معبود سواه على حجة واضحة وشاهد صدق وكذبتم به أنتم حيث أشركتم به تعالى غيره وأنت خبير بأن مساق النظم الكرين فيما سبق وما لحق على وصفهم بتكذيب آيات الله تعالى بسبب عدم مجيء العذاب الموعود فيها فتكذيبهم به سبحانه في أمر التوحيد مما لا تعلق له بالمقام أصلا قل لو أن عندي أي في قدرتي ومكنتي ما تستعجلون به من العذاب الذي ورد به الوعيد بأن يكون أمره مفوضا إلى من جهته تعالى لقضي الأمر بيني وبينكم أي بأن ينزل ذلك عليكم إثر استعجالكم بقولكم متى هذا الوعد ونظائره وفي بناء الفعل للمفعول من الإيذان بتعين الفاعل الذي هو الله تعالى وتهويل الأمر ومراعاة حسن الأدب ما لا يخفى فما قيل في تفسيره لأهلكتكم عاجلا غضبا لربي ولتخلصت منكم سريعا بمعزل من توفية المقام حقه وقوله تعالى والله أعلم بالظالمين اعتراض مقرر لما أفادته الجملة الامتناعية من انتفاء كون أمر العذاب مفوضا إليه المستتبع لانتفاء قضاء الأمر وتعليل له والمعنى ." (١)

" الأعراف آية ٤

من ربكم متعلق بأنزل على أن من لابتداء الغاية مجازا أو بمحذوف وقع حالا من الموصول او من ضميره في الصلة وفي التعرض لوصف الربوبية مع الإضافة إلى ضمير المخاطبين مزيد لطف بهم وترغيب لهم في الامتثال بما أمروا به وتأكيد

---

(١) تفسير أبي السعود، ١٤٢/٣

لوجوبه وجعل ما أنزل ههنا عاما للسنة الوقلية والفعلية بعيد نعم يعمهما حكمه بطريق الدلالة لا بطريق العبارة ولما كان اتباع ما أنزله الله تعالى اتباعا له تعالى عقب الأمر بذلك بالنهي عن اتباع غيره تعالى فقيل ولا تتبعوا من دونه أي من دونه أي من دون ربكم الذي أنزل إليكم ما يهديكم إلى الحق ومحله النصب على أنه حال من فافعل فعل النهي أي لا تتبعوا متجاوزين الله تعالى أولياء من الجن والإنس بأن تقبلوا منهم ما يلقونه إليكم بطريق الوسوسة والإغواء من الأباطيل ليضلوكم عن الحق ويحملوكم على البدع والأهواء الزائغة أو من أولياء قدم عليه لكونه نكرة إذ لو أخر عنه لكان صفة له أي أولياء كائنة غيره تعالى وقيل الضمير للموصول على حذف المضاف في أولياء أي ولا تتبعوا من دون ما أنزل أباطيل أولياء كأنه قيل ولا تتبعوا من دون دين ربكم دين أولياء وقرىء ولا تبتغوا كما في قوله تعالى ومن يبتغ غير الإسلام دينا وقوله تعالى قليلا ما تذكرون بحذف إحدى التاءين وتخفيف الذال وقرىء بتشديدها على إدغام التاء لمهموسة في الذال المجهورة وقرىء يتذكرون على صيغة الغيبة وقليلا نصب إما بما بعده على أنه نعت لمصدر محذوف مقدم للقصر أو لزمان كذلك محذوف ومكا مزيدة لتأكيد القلة أي تذكرا قليلا أو زمانا قليلا تذكرون لا كثيرا حيث لا تتأثرون بذلك ولا تعملون بموجبه وتتركون دين الله تعالى وتتبعون غيره ويجوز أن يراد بالقلة العدم كما قيل في قوله تعالى فقليلا ما يؤمنون والجملة اعتراض **تذييلي** مسوق لتقبيح حال المخاطبين والالتفات على القراءة الأخيرة للإيذان باقتضاء سوء حالهم في عدم الامتثال بالأمر والنهي صرف الخطاب عنهم وحكاية جناياتهم لغيرهم بطريق المبالة وإما نصب على أنه حال من فاعل لا تتبعوا وما مصدرية مرتفعة به أي لا تتبعوا من دونه أولياء قليلا تذكركم لكن لا على توجيه النهي إلى المقيد فقط كما في قوله تعالى لا تقربوا الصلوة وأنتم سكارى بل إلى المقيد والقيد جميعا وتخصيصه بالذكر لكمزيد تقبيح حالهم بجمعهم بين المنكرين وكم من قرية أهلكناها شروع في إنذارهم بما جرى على الأمم الماضية بسبب إعراضهم عن اتباع الله تعالى وإصرارهم على اتباع دين أوليائهم وكم خبرية للتكثير في موضع رفع على الابتداء كما في قولك زيد ضربته والخبر هو الجملة بعدها ومن قرية تمييز والضمير في أهلكناها راجع إلى معنى كم أي كثير من القرى أهلكناها أو في موضع نصب بأهلكناها كما في قوله تعالى إنا كل شيء خلقناه بقدر والمراد بإهلاكها إرادة إهلاكها كما في قوله تعالى إذا قمتم إلى الصلوة أي أردنا إهلاكها فجاءها أي فجاء أهلها بأسنا أي عذابنا بياتا مصدر بمعنى الفاعل واقع موقع الحال أي بائتين كقوم لوط أو هم قائلون عطف عليه أي أو قائلين من القيلولة نصف النهار كقوم شعيب وإنما حذفت الواو من الحال المعطوفة على أختها استثقالا لاجتماع العاطفين فإن واو الحال حرف عطف قد استعيرت للوصل لا اكتفاء بالضمير كما في جاءني زيد هو فارس ." (١)

" الأعراف آية ٥ ٨

فإنه غير فصيح وتخصيص الحالتين بالعذاب لما أن نزول المكروه عند الغفلة والدعة أفظع وحكايته للسامعين أزجر وأردع عن الاغترار بأسباب الأمن والراحة ووصف الكل بوصفي البيات والقيلولة مع أن بعض المهلكين بمعزل منهما لا سيما القيلولة للإيذان بكمال غفلتهم وأمنهم غما كان دعواهم أي دعاؤهم واستغاثتهم ربهم أو ما كانوا يدعونه من دينهم وينتحلونه من مذهبهم إذ جاءهم بأسنا عذابنا وعاينوا أمارته إلا أن قالوا جميعا إنا كنا ظالمين أي إلا اعترافهم بظلمهم فيما

(١) تفسير أبي السعود، ٢١١/٣

كانوا عليه وشهادتهم ببطلانه تحسرا عليه وندامة وطمعا في الخلاص وهيهات ولات حين نجاة فلنسألن الذين أرسل إليهم بيان لعذابهم الأخروي إثر بيان عذابهم الدنيوي خلا أنه قد تعرض لبيان مبادي أحوال المكلفين جميعا لكونه أدخل في التهويل والفاء لترتيب الأحوال الأخروية على الدنيوية ذكرا حسب ترتبها عليها وجودا أي لنسألن الأمم قاطبة قائلين ماذا أجبتم المرسلين ولنسألن المرسلين عما أجيبوا قال تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم والمراد بالسؤال توبيخ الكفرة وتقريعهم والذي نفى بقوله تعالى ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون سؤال الاستعلام أو الأول في موقف الحساب والثاني في موقف العقاب فلنقصن عليهم أي على الرسل حين يقولن لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب أو عليهم وعلى المرسل إليهم جميعا ما كانوا عليه بعلم أي عالمين بظواهرهم وبواطنهم أو بمعلومنا منهم وما كنا غائبين عنهم في حال من الأحوال فيخفى علينا شيء من أعمالهم وأحوالهم والجملة **تذييل** مقرر لما قبلها والوزن أي وزن الأعمال والتمييز بين راجحها وخفيفها وجيدها ورديئها ورفعه على الابتداء وقوله تعالى يومئذ خبره وقوله تعالى الحق صفته أي والوزن الحق ثابت يوم إذ يكون السؤال والقص وقيل خبر مبتدأ محذوف كأنه قيل ما ذلك الوزن فقيل الحق أي العدل السوي وقرىء القسط واختلف في كيفية الوزن والجمهور على أن صحائف الأعمال هي التي توزن بميزان له لسان وكفتان ينظر إليه الخلائق إظهار للمعادلة وقطعا للمعذرة كما يسألهم عن أعمالهم فتعترف بها ألسنتهم وجوارحهم ويشهد عليهم الأنبياء والملائكة والأشهاد وكما يثبت في صحائفهم فيقرءونها في موقف الحساب ويؤيده ما روي أن الرجل يؤتى به الميزان فينشر له تسعة وتسعون سجلا مدج البصر فيخرج له بطاقة فيها كلمتا الشهادة فتوضع السجلات في في كفة والبطاقة في كفة فتطيش السجلات وتثقل البطاقة وقيل يوزن الأشخاص لما روي عنه عليه الصلاة و السلام إنه ليأتي العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة وقيل ." (١)

" الأعراف ١٠ ١١

الذين خسروا أنفسهم أي ضيعوا الفطرة السليمة التي فطروا عليها وقد أيدت بالآيات البينة وقوله تعالى بما كانوا بآياتنا يظلمون متعلق بخسر وما مصدرية وبآياتنا متعلق بيظلمون على تضمين معنى التكذيب قد عليه لمراعاة الفواصل والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على استمرار الظلم في الدنيا أي فأولئك الموصوفون بخفة الموازين الذين خسروا أنفسهم بسبب تكذيبهم المستمر بآياتنا ظالمين ولقد مكناكم في الأرض لما أمر الله سبحانه أهل مكة باتباع ما أنزل إليهم ونهاهم عن اتباع غيره وبين لهم وخامة عاقبته بالإهلاك في الدنيا والعذاب المخلد في الآخرة ذكرهم ما أفاض عليهم من فنون النعم الموجبة للشكر ترغيبا في الامتثال بالأمر والنهي إثر ترهيب أي جعلنا لكم فيها مكانا وقرارا أو ملكناكم فيها وأقدرناكم على التصرف فيها وجعلنا لكم فيها معايش المعايش جمع معيشة وهي ما يعاش به من المطاعم والمشارب وغيرها أو ما يتوصل به إلى ذلك والوجه في قراءته إخلاص الياء وعن ابن عامر أنه همزة تسبيها له بصحائف ومدائن والجعل بمعنى الإنشاء والإبداع أي أنشأنا وأبدعنا لمصالحكم ومنافعكم فيها اسبابا تعيشون بها وكل واحد من الظرفين متعلق به أو بمحذوف وقع حالا من مفعوله المنكر إذلو تأخر لكان صفة له وتقديمها على المفعول مع أن حقهما التأخير عنه لما مر غير مرة من

---

(١) تفسير أبي السعود، ٢١٢/٣

الاعتناء بشأ المقدم والتشويق إلى المؤخر فإن النفس عند تأخير ماحقه التقديم لا سيما عند كون المقدم منبئا عن منفعة للسامع تبقى مترقبة لورود المؤخر فيتمكن فيها عند الورود فضل تمكن وأمات تقديم اللام على في فلما أنه المنبيء عما ذكر من المنفعة فالاعتناء بشأنه أتم والمسارعة إلى ذكره أهم هذا وقد قيل إن الجعل متعد إلى مفعولين ثانيهما أحد الظرفين على أنه مستقر قدم على الأول والظرف الآخر إما لغو متعلق بالجعل أو بالمحذوف الواقع حالا من المفعول الأول كما مر وأنت خبير بأنه لا فائدة معتد بها في الإخبار بجعل المعايش حاصلة لهم أو حاصلة في الأرض وقوله تعالى قليلا ما تشكرون أي تلك النعمة تذييل مسوق لبيان سوء حال المخاطبين وتحذيرهم وبقية الكلام فيه عين ما مر في تفسير قوله تعالى قليلا ما تذكرون ولقد خلقناكم ثو صورناكم تذكير لنعمة عظيمة فائضة على آدم عليه السلام سارية إلى ذريته موجبة لشكرهم وتأخيره عن تذكير ما وقع قبله من نعمة التمكين فقي الأرض إما لأنها فائضة على المخاطبين بالذات وهذه بالواسطة وإما للإيذان بأن كلا منها نعمة مستقلة مستوجبة للشكر على حيالها فإن رعاية الترتيب الوقوعي ربما تؤدي إلى توهم عد الكل نعمة واحدة كما ذكر في قصة البقرة وتصدير الجملتين بالقسم وحرف التحقيق لإظهار كمال العناية بمضمونهما وإنما نسب الخلق والتصوير إلى المخاطبين مع أن المراد بهما خلق آدم عليه السلام وتصويره حتما توفية لمقام الامتنان حقه وتأكيدا لوجوب الشكر عليهم ." (١)

" الأعراف آية ٩٠ على الله كذبا أي كذبا عظيما لا يقادر قدره إن عدنا في ملتكم التي هي الشرك وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه أي إن عجنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها فقد افترينا على الله كذبا عظيما حيث نزعم حينئذ أن الله تعالى ندا وليس كمثله شيء وأنه قد تبين لنا أن ما كنا عليه من الإسلام باطل وأن ما كنتم عليه من الكفر حق وأي افتراء أعظم من ذلك وقيل إنه جواب قسم محذوف حذف عنه اللام تقديره والله لقد افترينا الخ وما يكون لنا أي وما يصح وما يستقيم لنا أن نعود فيها في حالمن الأحوال أو في وقت من الأوقات إلا أن يشاء الله أي إلا حال مشيئة الله تعالى أو وقت مشيئته تعالى لعودنا فيها وذلك مما لا يكاد يكون كما ينبيء عنه قوله تعالى ربنا فإن التعرض لعنوان لاربوبيته تعالى لهم مما ينبيء عن استحالة مشيئته تعالى لارتدادهم قطعا وكذا قوله تعالى بع إذ نجانا الله منها فإن تنجيته تعالى لهم منها من دلائل عدم مشيئته لعودهم فيها وقيل معناه إلا أن يشاء الله خذلاننا وقيل فيه دليل على أن الكفر بمشيئته تعالى وأيا ما كان فليس المراد بذلك بيان أن العود فيها في حيز الإمكان وخطر الوقوع بناء على كون مشيئته تعالى كذلك بل بيان استحالة وقوعها كأنه قيل وما كان لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا وهيهات ذلك بدليل ما ذكر من موجبات عدم مشيئته تعالى له وسع ربنا كل شيء علما فهو محيط بكل ما كان وما يكون من الأشياء التي من جملتها أحوال عباده وعزائمهم ونياتهم وما هو اللائق بكل واحد منهم فمحال من لطفه أن يشاء عودنا فيها بعد ما نجانا منها مع اعتصامنا به خاصة حسبما ينطق به قوله تعالى على الله توكلنا أي في أن يثبتنا على ما نحن عليه من الإيمان ويتم علينا نعمته بإنجائنا من الإشراك بالكلية وإظهار الاسم الجليل في موقع الإضمار للمبالغة في التضرع والجؤار وقوله تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق إعراض عن مقاولتهم إثر ما ظهر له عليه الصلاة و السلام أنهم من العتو والعناد بحيث لا يتصور منهم الإيمان

(١) تفسير أبي السعود، ٢١٤/٣

أصلا وإقبال على الله تعالى بالدعاء لفصل ما بينه وبينهم بما يليق بحال كل من الفريقين أي احكم بيننا بالحق والفتاحة الحكومة أو أظهر أمرنا حتى ينكشف ما بيننا وبينهم ويتميز المحق من المبطل من فتح المشكل إذا بينه وأنت خير الفاتحين **تذييل** مقررلمضمون ما قبله على المعنيين وقال الملأ الذين كفروا من قومه عطف على قال الملأ الذين الخ ولعل هؤلاء غير أولئك المستكبرين ودونهم في الرتبة شأنهم الوساطة بينهم وبين العامة والقيام بأمورهم حسبما يراه المستكبرون ويجوز أن يكون عين الأولين وتغيير الصلة لما أن مدار قولهم هذا هو الكفر كما أن مناط قولهم السابق هو الاستكبار أي قال أشرافهم الذين أصروا على الكفر لأعقابهم بعد ما شاهدوا صلابة شعيب عليه السلام ومن معه من المؤمنين في الإيمان وخافوا أن يستتبوا قومهم تثبيطا لهم عن الإيمان به وتنفيرا لهم عنه على طريقة التوكيد القسمي والله لئن اتبعتم شعيبا ودخلتم في دينه وتركتم جين آبائكم إنكم إذا لخاسرون أي في الدين لاشترائكم الضلالة بهداكم أو في الدنيا لفوات ما يحصل لكم بالخس والتطفيف وإذن حرف جواب وجزاء معترض بين اسم إن وخبرها والجملة سادة مسد ." (١)

" العراف آية ١٤٩

والثاني للتبعيض أو للبيان أو الثاني متعلق بمحذوف وقع حالا مما بعده إذ لو تأخر لكان صفة له وإضافة الحلي إليهم مع أنها كانت للقبط لأدنى الملابسة حيث كانوا استعاروها من أربابها قبيل الغرق فبقيت في أيديهم وأما أنهم ملكوها بعد الغرق فذلك منوط بتملك بني إسرائيل غنائم القبط وهم مستأمنون فيما بينهم فلا يساعده قولهم حملنا أوزارا من زينة القوم والحلي بضم الحاء وكسر اللام جمع حلي كثدي وثدي وقرىء بكسر الحاء بالاتباع كدلى وقرىء حليهم على الإفراد وقوله تعالى عجلا مفعول اتخذ أخر عن المجرور لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق إلى المؤخر مع ما فيه من نوع طول يخل تقديمه بتجاوب أطراف النظم الكريم وقيل هو متعد إلى اثنين بمعنى التصيير والمفعول الثاني محذوف أي إلها وقوله تعالى جسدا بدل من عجلا أو جثة ذا دم ولحم أو جسدا من ذهب لا روح معه وقوله تعالى له خوار أي صوت بقر وقرىء بالجيم والهمزة وهو الصياح نعت لعجلا روي أن السامري لما صاغ العجل ألقى في فمه ترابا من أثر فرس جبريل عليه الصلاة و السلام وقد كان أخذه عند فلق البحر أو عند توجهه إلى الطور فصار حيا وقيل صاغه بنوع من الحيل فيدخل الريح في جوفه فيصوت والأنسب بما في سورة طه هو الأول وإنما نسب اتخاذه إليهم وهو فعله إما لأنه واحد منهم وإما لأنهم رضوا به فكأنهم فعلوه وإما لأن المراد بالاتخاذ اتخاذهم إياه إلها لا صنعه وإحداثه ألم يروا أنه لا يكلمهم استئناف مسوق لتقريعهم وتشنيعهم وتركيك عقولهم وتسفيههم فيما اقدموا عليه من المنكر الذي هو اتخاذه إلها أي ألم يروا أنه ليس فيه شيء من أحكام الألوهية حيث لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا بوجه من الوجوه فكيف اتخذوه إلها وقوله تعالى اتخذوه أي فعلوا ذلك وكانوا ظالمين أي واضعين للأشياء في غير موضعها فلم يكن هذا أول منكر فعلوه والجملة اعتراض **تذييلي** وتكرير اتخذوه لتثنية التشنيع وترتيب الاعتراض عليه ولما سقط في أيديهم أي ندموا غاية الندم فإن ذلك كناية عنه لأن النادم المتحسر يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها وقرىء سقط على البناء للفاعل بمعنى وقع العض فيها فاليد حقيقة وقال الزجاج معناه سقط الندم في أنفسهم إما بطريق الاستعارة بالكناية أو بطريق التمثيل ورأو أنهم قد ضلوا باتخاذ العجل أي تبينوا

(١) تفسير أبي السعود، ٣/٢٥١

بحيث تيقنوا بذلك حتى كأنهم رأوه بأعينهم وتقديم ذكر ندمهم على هذه الرؤية مع كونه متأخرا عنها للمساعرة إلى بيانه والإشعار بغاية سرعته كأنه سابق على الرؤية قالوا والله لئن لم يرحمنا ربنا بإنزال التوبة المكفرة ويغفر لنا ذنوبنا بالتجاوز عن خطيئتنا وتقديم الرحمة على المغفرة مع أن التخلية حقها أن تقدم على التحلية إما للمسارعة إلى ما هو المقصود الأصلي وإما لأن المراد بالرحمة مطلق إرادة الخير بهم وهو مبدأ لإنزال التوبة المكفرة لذنوبهم واللام في لئن موطئة للقسم كما اشير إليه وفي قوله تعالى لنكونن من الخاسرين لجواب القسم وما حكي عنهم من الندامة والرؤية والقول وإن كان بعد ." (١)

" الأعراف آية ١٥١ ١٥٢

قال استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية اعتذار هرون عليه السلام كأنه قيل فماذا قال موسى عند ذلك فقيل قال رب اغفر لي أي ما فعلت بأخي من غير ذنب مقرر من قبله ولأخي إن فرط منه تقصير ما في كفهم عما فعلوه من العظيمة استغفر عليه السلام لنفسه ليرضي أخاه ويظهر للشامتين رضاه لئلا تتم شماتتهم به ولأخيه للإيذان بأنه محتاج إلى الاستغفار حيث كان يجب عليه أن يقاتلهم وأدخلنا في رحمتك بمزيد الإنعام بعد غفران ما سلف منا وأنت أرحم الراحمين فلا غرو في انتظامنا في سلك رحمتك الواسعة في الدنيا والآخرة والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله إن الذين اتخذوا العجل أي تموا على اتخاذه واستمروا على عبادته كالسامري وأشياعه من الذين أشربوه في قلوبهم كما يفصح عنه كون الموصول الثاني عبارة عن التائبين فإن ذلك صريح في أن الموصول الأول عبارة عن المصرين سينالهم أي في الآخرة غضب أي عظيم لا يقادر قدره مستتبع لفنون العقوبات لما أن جريمتهم أعظم الجرائم وأقبح الجرائر وقوله تعالى من ربهم اي مالكهم متعلق بينا لهم أو بمحذوف هو نعت لغضب مؤكد لما أفاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية أي كائن من ربهم وذلة في الحياة الدنيا هي ذلة الاغتراب التي تضرب بها الأمثال والمسكنة المتنظمة لهم ولأولادهم جميعا والذلة التي اختص بها السامري من الانفراد عن الناس والابتلاء بلا مساس يروى أن بقاياهم اليوم يقولون ذلك وإذا مس أحدهم أحد غيرهم حما جميعا في الوقت وإيراد ما نالهم في حيز السين مع مضيه بطريق تغليب حال الأخلاف على حال الأسلاف وقيل المراد بهم التائبون وبالغضب ما أمروا به من قتل أنفسهم واعتذر عن السين بان ذلك حكاية عما أخبر الله تعالى به موسى عليه السلام حين اخبره بافتتان قومه واتخاذهم العجل بأنه سينالهم غضب من ربهم وذلة فيكون سابقا على الغضب وأنت خبير بأن سباق النظم الكريم وسياقه نأبيان عن ذلك نبوا ظاهرا كيف لا وقوله تعالى وكذلك نجزي المفترين ينادي على خلافه فإنهم شهداء تائبون فكيف يمكن وصفهم بعج ذلك بالافتراء وأيضا ليس يجزي الله تعالى كل المفترين بهذا الجزاء الذي ظاهره قهر وباطنه لطف ورحمة وقيل المراد بهم أبناؤهم المعاصرون لرسول الله فإن تعيير الأبناء بأفاعيل الآباء مشهور معروف منه قوله تعالى وإذ قتلتم نفسا الآية وقوله تعالى وإذ قلتم يا موسى الآية والمراد بالغضب الغضب الأخروي وبالذلة ما اصابهم من القتل والإجلاء وضرب الجزية عليهم وقيل المراد بالموصول المتخذون حقيقة وبالضمير في ينالهم أخلافهم ولا ريب في أن

(١) تفسير أبي السعود، ٢٧٣/٣

توسيط حال هؤلاء في تضاعيف بيان حال المتخذين من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه والذين عملوا السيئات أي سيئة كانت ." (١)

" الأعراف آية ١٥٥

قبل ذلك كما قيل قال السدي أمره الله تعالى بأن يأتيه في ناس من بني إسرائيل يعتذرون إليه تعالى من عبادة العجل ووعدهم موعدا فاختار عليه السلام من قومه سبعين رجلا وقال محمد بن إسحق اختارهم ليتوبوا إليه تعالى مما صنعوه ويسألوه التوبة على من ترطكوهم وراءهم من قومهم قالوا اختار عليه الصلاة و السلام من كل سبط ستة فزاد اثنان فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال عليه الصلاة و السلام إن لمن قعد مثل أجر من خرج فقعد كالب ويوشع وذهب مع الباقين وأمرهم أن يصوموا ويتطهروا ويطهروا ثيابهم فخرج بهم إلى طور سيناء فلما دنوا من الجبل غشية غمائم فدخل موسى بهم الغمام وخروا سجدا فسمعوه تعالى يكلم موسى يأمره وينهاه حسبما يشاء وهو الأمر بقتل أنفسهم توبة فلما أخذتهم الرجفة مما اجترءوا عليه من طلب الرؤية فإنه يروي أنه لما انكشف الغمام أقبلوا إلى موسى عليه السلام وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الرجفة أي الصاعقة أو رجفة الجبل فصعقوا منها أي ماتوا ولعلهم أرادوا بقولهم لن نؤمن لك لن نصدقك في أن الآمر بما سمعنا من الأمر بقتل أنفسهم هو الله تعالى حتى نراه حيث قاسوا رؤيته تعالى على سماع كلامه قياسا فاسدا فحين شاهد موسى تلك الحالة الهائلة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل أي حين فرطوا في النهي عن عبادة العجل وما فارقوا عبدته حين شاهدوا إصرارهم عليها وإياي أيضا حين طلبت منك الرؤية أي لو شئت إهلاكنا بذنوبنا لأهلكتنا حينئذ أراد به عليه السلام تذكير العفو السابق لاستجلاب العفو اللاحق فإن الاعتراف باتلذنب والشكر على النعمة مما يربط العتيد ويستجلب المزيد يعني إنا كنا مستحقين للإهلاك ولم يكن من موانعه إلا عدم مشيئتك إياه فحيث لطفت بنا وعفوت عنا تلك الجرائم فلا غرو في أن تعفو عنا هذه الجريمة أيضا وحمل الكلام على التمني يأباه قوله تعالى أتهلكنا بما فعل السفهاء منا أي الذين لا يعلمون تفاصيل شئونك ولا يتثبتون في المداحض والهمزة إما لإنكار وقوع الإهلاك ثقة بلطف الله عز و جل كما قاله ابن الأنباري أو للاستعطاف كما قاله المبرد أي لا تهلكنا إن هي إلا فتنتك استئناف مقرر لما قبله واعتذار عما صنعوا ببيان منشأ غلطهم أي ما الفتنة التي وقع فيها السفهاء وقالوا بسببها ما قالوا من العظيمة إلا فتنتك أي محنتك وابتلاؤك حيث أسمعتهم كلامك فاتتنوا بذلك ولم يتثبتوا فطمعوا فيما فوق ذلك تابعين للقياس الفاسد وقوله تعالى تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء إما استئناف مبين لحكم الفتنة أو حال من فتنتك أي حال كونها مضلا بها الخ أي تضل بسلببها من تشاء إضلاله فلا يهتدي إلى التثبت وتهدي من تشاء هدايته إلى الحق فلا يتزلزل في أمثالها فيقوى بها غيمانه أنت ولينا أي القائم بأمورنا الدنيوية والأخروية وناصرنا وحافظنا لا غيرك فاغفر لنا ما قارفناه من المعاصي والفاء لترتيب الدعاء على مكا قبله من الولاية كأنه قيل فمن شاء الولي المغفرة والرحمة وقيل إن إقدامه عليه الصلاة و السلام على أن يقول إن هي إلا فتنتك الخ جراءة عظيمة فطلب من الله تعالى غفرانها والتجاوز عنهات وارحمنا بإفاضة آثار الحمة

---

(١) تفسير أبي السعود، ٢٧٥/٣

الدنيوية والأخروية علينا وأنت خير الغافرين اعتراض **تذييلي** مقرر لما قبله من الدعاء وتخصيص المغفرة بالذكر لأنها الأهم بحسب المقام ." (١)

" الأعراف آية ١٧٩

طرق الضلال ولقد ذرأنا كلام مستأنف مقرر لمضمون ما قبله بطريق **التذييل** أ يخلقنا لجهنم أي لدخولها والتعذيب بها وتقديمه على قوله تعالى كثيرا أي خلقا كثيرا مع كونه مفعولا به لما في توابعه من نوع طول يؤدي توسيطه بينهما وتأخيره وعنها إلى الاخلال بجزالة النظم الكريم وقوله تعالى من الجن والإنس متعلق بمحذوف هو صفة لكثيرا أي كائنا منهما وتقديم الجن لأنهما أعرف من الأنس في الاتصاف بما نحن فيه من الصفات وأكثر عددا وأقدم خلقا والمراد بهم الذين حقت عليهم الكلمة الأزلية بالشقاوة ولكن لا بطريق الجبر من غير أن يكون من قبلهم ما يؤدي إلى ذلك بل لعلمه تعالى بأنهم لا يصرفون اختيارهم نحو الحق ابدا بل يصرون على الباطل من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم من الآيات والنذر فبهذا الاعتبار جعل خلقهم مغيابها كما أن جميع الفريقين باعتبار استعدادهم الكامل الفطري للعبادة وتمكنهم التام منها جعل خلقهم مغيابها كما نطق به قوله تعالى وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون وقوله تعالى بهم قلوب في محل النصب على أنه صفة أخرى لكثيرا وقوله تعالى لايفقهون بها في محل الرفع على أنه صفة لقلوب مؤكدة لما يفيده تنكيرها وإبهامها من كونها غير معهودة مخالفة لسائر أفراد الجنس فاقدة لكماله بالكلية لكن لا بحسب الفطرة حقيقة بل بسبب امتناعهم عن صرفها إلى تحصيله وهذا وصف لها بكمال الإغراق في القساوة فإنها حيث لم يتأت منها الفقه بحال فكأنها خلقت غير قابلة له رأسا وكذا الحال في أعينهم وآذانهم وحذف المفعول للتعميم أي لهم قلوب ليس من شأنها أن يفقهوا بها شيئا مما من شأنه أن يفقه فيدخل فيه ما يليق بالمقام من الحق ودلائله دخولا أوليا وتخصيصه بذلك مخل بالإفصاح عن كنه حالهم ولهم أعين لا يبصرون بها الكلام فيه كما فيما عطف هو عليه والمراد بالإبصار والسمع المنفيين ما يختص بالعقلاء من الإدراك على ما هو وظيفة الثقلين لا ما يتناول مجرد الإحساس بالشبح والصوت كما هو وظيفة الإنعام أي لا يبصرون بها شيئا من المبصرا فيندرج فيه الشواهد التكوينية الدالة على الحق اندراجا أوليا ولهم آذان لا يسمعون لها أي شيئا من المسموعات فيتناول الآيات التنزيلية تناولا أوليا وإعادة الخبر في الجملتين المعطوفتين مع انتظام الكلام بأن يقال وأعين لا يبصرون بها وآذان لا يسمعون بها لتقرير سوء حالهم وفي إثبات المشاعر الثلاثة لهم ثم وصفها بعدم الشعور دون سلبها عنهم ابتداء بأن يقال ليس لهم قلوب يفقهون بها ولا أعين يبصرون بها ولا آذان يسمعون بها من الشهادة بكمال رسوخهم في الجهل والغواية ما لا يخفى أولئك إشارة إلى المذكورين باعتبار اتصافهم بما ذكر من الصفات وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد منزلتهم في الضلال أي أولئك الموصوفون بالأوصاف المذكورة كالأنعام أي في انتفاء الشعور على الوجه المذكور أو في أن مشاعرهم متوجهة إلى أسباب التعيش مقصورة عليها بل هم أضل فإنها تدرك ما من شأنها أن تدركه من المنافع والمضار فتجتهد في جلبها وسلبها غاية جهدها مع كونها بمعزل من الخلود وهؤلاء ليسوا ." (٢)

---

(١) تفسير أبي السعود، ٣/٢٧٧

(٢) تفسير أبي السعود، ٣/٢٩٥

" الأعراف آية ١٩٦ ١٩٨

مع أن الكل سواء في أنها من أحوالهم بالنسبة إلى الغير فلمراعاة المقابلة بين الأيدي والأرجل ولأن انتفاء المشي والبطش أظهر والتبكيت بذلك أقوى وأما تقديم الأعين فلما أنها أشهر من الآذان وأظهر عينا وأثرا هذا وقد قرىء إن الذين تدعون من دونه الله عبادا أمثالكم على إعمال إن النافية عمل ما الحجازية أي ما الذين تدعون من دونه تعالى عبادا أمثالكم بل أدنى منكم فيكون قوله تعالى ألهم الخ تقريرا لنفي المماثلة بإثبات القصور والنقصان قل ادعوا شركاءكم بعد ما بين أن شركاءهم لا يقدرون على شيء ما أصلا أمر رسول الله بأن يناصبهم للمحاجة ويكرر عليهم التبكيت وإلقام الحجر أي ادعوا شركاءهم واستعينوا بهم على ثم كيدون جميعا أنتم وشركاؤكم وبالغوا في ترتيب ما تقدرون عليه من مبادى الكيد والمكر فلا تنظرون أي فلا تمهلوني ساعة بعد ترتيب مقدمات الكيد فإني لا ابالي بكم أصلا إن وليي الله الذي نزل الكتاب تعليل لعدم المبالاة المنفهم من السوق انفهاما جليا ووصفه تعالى بتنزيل الكتاب للإشعار بدليل الولاية والإشارة إلى علة أخرى لعدم المبالاة كأنه قيل لا أبالي بكم وبشركائكم لأن وليي هو الله الذي أنزل الكتاب الناطق بأنه وليي وناصري وبأن شركاءكم لا يستطيعون نصر أنفسهم فضلا عن نصركم وقوله تعالى وهو يتولى الصالحين **تذييل** مقرر لمضمون ما قبله أي ومن عادته أن يتولى الصالحين من عباده وينصرهم ولا يخذلهم والذين تدعون أي تعبدونهم من دونه تعالى أو تدعونهم للاستعانة بهم على حسبما أمرتكم به لا يستطيعون نصركم أي في أمر من الأمور أو في خصوص الأمر المذكور ولا أنفسهم ينصرون إذا نابتهم نائبة وإن تدعوهم إلى الهدى إلى أن يهدوكم إلى ما تحصلون به مقاصدكم على الإطلاق أو في خصوص الكيد المعهود لا يسمعوا أي دعاءكم فضلا عن المساعدة والإمداد وهذا أبلغ من نفي الاتباع وقوله تعالى وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون بيان لعجزهم عن الإبصار بعد بيان عجزهم عن السمع وبه يتم التعليل فلا تكرار أصلا والرؤية بصرية وقوله تعالى ينظرون إليك حال من المفعول والجملة الإسمية حال من فاعل ينظرون أي وترى الأصنام رأي العين يشبهون الناظرين إلأيك ويخيل إليك أنهم يبصرونك لما أنه صنعوا لها أعينا مركبة بالجواهر المضيئة المتلألئة وصوروها صورة من قلب حدقته إلى الشيء ينظر إليه والحال أنهم غير قادرين على الإبصار وتوحيد الضمير في تراهم مع رجوعه إلى المشركين لتوجيه الخطاب إلى كل واحد واحد منهم لا إلى الكل من حيث هو كل الخطابات السابقة تنبيها على أن رؤية الأصنام على الهيئة المذكورة لا تتسنى للكل معا بل ." (١)

" عنه بحال السماع كما في قوله تعالى لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى أي لا تتولوا عنه والحال أنكم تسمعون القرآن الناطق بوجوب طاعته والمواعظ الزاجرة عن مخالفته سماع فهم وإذعان

سورة الأنفال من الآيات ٢١ ٢٣

ولا تكونوا تقرير للنهي السابق وتحذير عن مخالفته بالتنبيه على أنها مؤدية إلى انتظامهم في سلك الكفرة بكون سماعهم كلا سماع أي لا تكونوا بمخالفة الأمر والنهي

كالذين قالوا سمعنا بمجرد الادعاء من غير فهم وإذعان كالكفرة والمنافقين الذين يدعون السماع

---

(١) تفسير أبي السعود، ٣٠٧/٣

وهم لا يسمعون حال من ضمير قالوا أي قالوا ذلك والحال أنهم لا يسمعون حيث لا يصدقون ما سمعوه ولا يفهمونه حق فهمه فكأنهم لا يسمعونه رأسا

إن شر الدواب استئناف مسوق لبيان كمال سوء حال المشبه بهم مبالغة في التحذير وتقريرا للنهي إثر تقرير أي إن شر ما يدب على الأرض أو شر البهائم

عند الله أي في حكمه وقضائه

الصم الذين لا يسمعون الحق

البكم الذي لا ينطقون به وصفوا بالصمم والبكم لأن ما خلق له الأذن واللسان سماع الحق والنطق به وحيث لم يوجد فيهم شيء من ذلك صاروا كأنهم فاقدون للجارحتين رأسا وتقديم الصم على البكم لما أن صممهم متقدم على بكمهم فإن السكوت عن النطق بالحق من فروع عدم سماعهم له كما أن النطق به من فروع سماعه ثم وصفوا بعدم التعقل فقيل

الذين لا يعقلون تحقيقا لكمال سوء حالهم فإن الأصم الأبكم إذا كان له عقل ربما يفهم بعض الأمور ويفهمه غيره بالإشارة ويهتدي بذلك إلى بعض مطالبه وأما إذا كان فاقدا للعقل أيضا فهو الغاية في الشرية وسوء الحال وبذلك يظهر كونهم شرا من البهائم حيث أبطلوا ما به يمتازون عنها وبه يفضلون على كثير من خلق الله عز و جل فصاروا أخس من كل خسيس

ولو علم الله فيهم خيرا شيئا من جنس الخير الذي من جملته صرف قواهم إلى تحري الحق واتباع الهدى

لأسمعهم سماع تفهم وتدبر ولو قفوا على حقية الرسول وأطاعوه وآمنوا به ولكن لم يعلم فيهم شيئا من ذلك لخلوهم عنه بالمرة فلم يسمعهم كذلك لخلوه عن الفائدة وخروجه عن الحكمة وإليه أشير بقوله تعالى

ولو أسمعهم لتولوا أي لو أسمعهم سماع تفهم وهم على هذه الحالة العارية عن الخير بالكلية لتولوا عما سمعوه من الحق ولم ينتفعوا به قط أو ارتدوا بعد ما صدقوه وصاروا كأن لم يسمعوه أصلا وقوله تعالى

وهم معرضون إما حال من ضمير تولوا أي لتولوا على أدبارهم والحال أنهم معرضون عما سمعوه بقلوبهم وإما اعتراض **تذييلي** أي وهم قوم عادتهم الإعراض وقيل كانوا يقولون لرسول الله أحى قصيا فإنه كان شيخا مباركا حتى يشهد لك ونؤمن بك فالمعنى ولو أسمعهم كلام قصى الخ وقيل هم بنو عبد الدار بن قصي لم يسلم منهم إلا مصعب بن عمير وسويد بن حرملة كانوا يقولون نحن صم بكم ." (١)

" عليه واستجار به وإن قل

حكيم يفعل بحكمته البالغة ما تستبعده العقول وتحار في فهمه ألباب الفحول وجواب الشرط محذوف لدلالة المذكور عليه

سورة الأنفال من الآيات ٥٠ ٥٢

(١) تفسير أبي السعود، ٤/١٥

ولو ترى أي ولو رأيت فإن لو الامتناعية ترد المضارع ماضيا كما أن إن ترد الماضي مضارعا والخطاب إما لرسول الله أو لكل أحد ممن له حظ من الخطاب وقد مر تحقيقه في قوله تعالى ولو ترى إذ وقفوا على النار وكلمة إذ في قوله تعالى

إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة ظرف لترى والمفعول محذوف أي ولو ترى الكفرة أو حال الكفرة حين يتوفاهم الملائكة ببدر وتقديم المفعول للاهتمام به وقيل الفاعل ضمير عائد إلى الله عز و جل والملائكة مبتدأ وقوله تعالى

يضربون وجوههم خبره والجملة حال من الموصول قد استغنى فيها بالضمير عن الواو وهو على الأول حال منه أو من الملائكة أو منهما لاشتماله على ضميريهما

وأدبارهم أي وأستاههم أو ما أقبل منهم وما أدبر من الأعضاء

وذوقوا عذاب الحريق على إرادة القول معطوفا على يضربون أو حالا من فاعله أي ويقولون أو قائلين ذوقوا بشارة لهم بعذاب الآخرة وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا التهبت النار منها وجواب لو محذوف للإيذان بخروجه عن حدود البيان أي لرأيت أمرا فظيعا لا يكاد يوصف

ذلك إشارة إلى ما ذكر من الضرب والعذاب وما فيه من معنى البعد للإشعار بكونهما في الغاية القاصية من الهول والفظاعة وهو مبتدأ خبره

بما قدمت أيديكم أي ذلك الضرب والعذاب واقع بسبب ما كسبتم من الكفر والمعاصي ومحل أن في قوله

وأن الله ليس بظلام للعبيد الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي والأمر أنه تعالى ليس بمعذب لعبيده بغير ذنب من قبلهم والتعبير عن ذلك بنفي الظلم مع أن تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم قطعا على ما تقرر من قاعدة أهل السنة فضلا عن كونه ظلما بالغا قد مر تحقيقه في سورة آل عمران والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبلها وأما ما قيل من أنها معطوفة على ما للدلالة على أن سببيته مقيدة بانضمامه إليه إذ لولاه لأمكن أن يعذبهم بغير ذنوبهم فليس بسديد لما أن إمكان تعذيبه تعالى لعبيده بغير ذنب بل وقوعه لا ينافي كون تعذيب هؤلاء الكفرة المعينة بسبب ذنوبهم حتى يحتاج إلى اعتبار عدمه معه نعم لو كان المدعي كون جميع تعذيباته تعالى بسبب ذنوب المعذبين لاحتيج إلى ذلك

كدأب آل فرعون في محل الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف والجملة استئناف مسوق لبيان أن ما حل بهم من العذاب بسبب كفرهم لا بشيء آخر من جهة غيرهم بتشبيه حالهم بحال ." (١)

" سورة الأنفال من الآيات ٦٦ ٦٧

الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا لما كان الوعد السابق متضمنا لإيجاب مقاومة الواحد للعشرة وثباته لهم كما نقل عن ابن جريج أنه كان عليهم أن لا يفروا ويثبت الواحد للعشرة وقد بعث رسول الله حمزة في ثلاثين راكبا فلقى أبا جهل في ثلثمائة راكب فهزمهم ثقل عليهم ذلك وضجوا منه بعد مدة فنسخ وخفف عنهم بمقاومة الواحد للاثنين وقيل كان فيهم قلة في الابتداء ثم لما كثروا نزل التخفيف والمراد بالضعف ضعف البدن وقيل ضعف البصيرة وكانوا متفاوتين في الاهتداء إلى القتال لا الضعف في الدين كما قيل وقرئ ضعفا بضم الضاد وهي لغة فيه كالفقر والفقر والمكث

---

(١) تفسير أبي السعود، ٤/٢٧

وقيل الضعف بالفتح ما في الرأي والعقل وبالضم ما في البدن وقرئ ضعفاء جمع ضعيف والمراد بعلمه تعالى بضعفهم علمه تعالى به من حيث هو متحقق بالفعل لا علمه تعالى به مطلقا كيف لا وهو ثابت في الأزل وقوله تعالى

فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين تفسير للتخفيف وبيان لكيفيته وقرئ تكن ههنا وفيما سبق بالتاء الفوقانية

وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله أي بتيسيره وتسهيله وهذا القيد معتبر فيما سبق من غلبة المائة المائتين والألف وغلبة العشرين المائتين كما أن قيد الصبر معتبر ههنا وإنما ترك ذكره ثقة بما مر وبقوله تعالى

والله مع الصابرين فإنه اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله والمراد بالمعية معية نصره وتأييده ولم يتعرض ههنا لحال الكفرة من الخذلان كما لم يتعرض هناك لحال المؤمنين مع أن مدار الغلبة في الصورتين مجموع الأمرين أعني نصر المؤمنين وخذلان الكفرة اكتفاء بما ذكر في كل مقام عما ترك في المقام الآخر وما تشعر به كلمة مع من متبوعية مدخولها لأصالتهم من حيث إنهم المباشرون للصبر كما مر مرارا

ما كان لنبي وقرئ للنبي على العهد والأول أبلغ لما فيه من بيان أن ما يذكر سنة مطردة فيما بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أي ما صح وما استقام لنبي من الأنبياء عليهم السلام

أن يكون له أسرى وقرئ بتأنيث الفعل وأسارى أيضا

حتى يثخن في الأرض أي يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفرة ويقل حزبه ويعز الإسلام ويستولي أهله من أثخنه المرض والجرح إذا أثقله وجعله بحيث لا حراك به ولا براح وأصله الثخانة التي هي الغلظ والكثافة وقرئ بالتشديد للمبالغة

تريدون عرض الدنيا استئناف مسوق للعتاب أي تريدون حطامها بأخذكم الفداء وقرئ يريدون بالياء

والله يريد الآخرة أي يريد لكم ثواب الآخرة الذي لا مقدار عنده الدنيا وما فيها أو يريد سبب نيل الآخرة من إعزاز دينه وقمع اعدائه وقرئ بجر الآخرة على إضمار المضاف كما في ." (١)

" سورة الأنفال من الآيات ٧١ ٧٢ وقرئ من الأسارى

إن يعلم الله في قلوبكم خيرا خلوص إيمان وصحة نية

يؤتكم خيرا مما أخذ منكم من الفداء وقرئ أخذ على البناء للفاعل

روى أنها نزلت في العباس كلفه رسول الله أن يفدي ابني أخيه عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحرث فقال يا محمد تركتني أتكفف قريشا ما بقيت فقال له فأين الذهب الذي دفعته إلى أم الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها ما أدري ما يصيبني في وجهي هذا فإن حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل فقال العباس ما يدريك فقال أخبرني به ربي قال العباس فأنا أشهد أنك صادق وأن لا إله إلا الله وأنك عبده ورسوله والله لم يطلع عليه أحد إلا الله ولقد دفعته إليها في سواد الليل ولقد كنت مرتابا في أمرك فأما إذا أخبرتني بذلك فلا ريب قال العباس بعد حين فأبدلني الله خيرا من ذلك لي الآن عشرون عبدا وإن أدناهم ليضرب في عشرين ألفا وأعطاني زمزم ما أحب أن لي بها جميع أموال أهل مكة وأنا أنتظر المغفرة من ربي يتأول به ما في قوله تعالى

---

(١) تفسير أبي السعود، ٣٥/٤

ويغفر لكم والله غفور رحيم فإنه وعد بالمغفر مؤكد بما بعده من الاعتراض **التذييلي**

وإن يريدوا خيانتك أي نكث ما بايعوك عليه من الإسلام وهذا كلام مسوق من جهته تعالى لتسليته بطريق الوعد له والوعيد لهم

فقد خانوا الله من قبل بكفرهم ونقض ما أخذ على كل عاقل من ميثاقه

فأمكن منهم أي أقدرك عليهم حسبما رأيت يوم بدر فإن أعادوا الخيانة فاعلم أنه سيمكنك منهم أيضا وقيل المراد بالخيانة منع ما ضمنوا من الفداء وهو بعيد

والله عليم فيعلم ما في نياتهم وما يستحقونه من العقاب

حكيم يفعل كل يفعله حسبما تقتضيه حكمته البالغة

إن الذين آمنوا وهاجروا هم المهاجرون هاجروا أوطانهم حبا لله تعالى ولرسوله

وجاهدوا بأموالهم بأن صرفوها إلى الكراع والسلاح وأنفقوها على المحاويج

وأنفسهم بمباشرة القتال واقتحام المعارك والخوض في المهالك

في سبيل الله متعلق بجاهدوا قيد لنوعي الجهاد ولعل تقديم الأموال على الأنفس لما أن المجاهدة بالأموال أكثر وقوعا وأتم دفعا للحاجة حيث لا يتصور المجاهدة بالنفس بلا مجاهدة بالمال

والذين آووا ونصروا هم الأنصار آووا المهاجرين وأنزلوهم منازلهم وبذلوا إليهم أموالهم وآثروهم على أنفسهم ولو كانت بهم خصاصة ونصروهم على أعدائهم

أولئك إشارة إلى الموصوفين بما ذكر من النعوت الفاضلة وما فيه من معنى البعد للإيذان بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم في الفضيلة وهو مبتدأ وقوله تعالى

بعضهم إما بدل منه وقوله تعالى

أولياء بعض خبره ." (١)

" ٩ - سورة براءة الآية ١٧ الصلة أو حال من فاعله أي جاهدوا حال كونهم غير متخذين

من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة أي بطانة وصاحب سر وهو الذي تطلعه على ما في ضميرك من الأسرار الخفية من الولوج وهو الدخول ومن دون الله متعلق بالاتخاذ إن أبق على حاله أو مفعول ثان له إن جعل بمعنى التسيير

والله خبير بما تعلمون أي بجميع أعمالكم وقرئ على الغيبة وهو **تذييل** يزيح ما يتوهم من ظاهر قوله تعالى ولما يعلم الخ أو حال متداخلة من فاعله أو من مفعوله والمعنى ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم والحال أنه يعلم جميع أعمالكم لا يخفى عليه شيء منها

ما كان للمشركين أي ما صح وما استقام لهم على معنى نفى الوجود والتحقق لا نفي الجواز كما في قوله تعالى أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين أي ما وقع وما تحقق لهم

---

(١) تفسير أبي السعود، ٣٧/٤

أن يعمروا عمارة معتدا بها

مساجد الله أي المسجد الحرام وإنما جمع لأنه قبلة المساجد وإمامها فعامره كعامرها او لأن كل ناحية من نواحيه المختلفة الجهات مسجد على حياله بخلاف سائر المساجد إذ ليس في نواحيها اختلاف الجهة ويؤيده القراءة بالتوحيد وقيل ما كان لهم أن يعمروا شيئا من المساجد فضلا عن المسجد الحرام الذي هو صدر الجنس ويأباه أنهم لا يتصدون لتعمير سائر المساجد ولا يفتخرون بذلك على أنه مبنى على كون النفي بمعنى نفي الجواز واللياقة دون نفي الوجود

شاهدين على أنفسهم بالكفر أي بإظهار آثار الشرك من نصب الأوثان حول البيت والعبادة لها فإن ذلك شهادة صريحة على أنفسهم بالكفر وإن أبوا أن يقولوا نحن كفار كما نقل عن الحسن رضي الله عنه وهو حال من الضمير في يعمروا أي محال أن يكون ما سموه عمارة عمارة بيت الله مع ملابستهم لما ينافيها ويحبطها من عبادة غيره تعالى فإنها ليست من العمارة في شيء وأما ما قيل من أن المعنى ما استقام لهم أن يجمعوا بين أمرين متنافيين عمارة بيت الله تعالى وعبادة غيره تعالى فليس بمعرب عن كنه المرام فإن عدم استقامة الجمع بين المتنافيين إنما يستدعي انتفاء أحدهما لا بعينه لا انتفاء العمارة الذي هو المقصود

روى أن المهاجرين والأنصار أقبلوا على أساري بدر يعيرونهم بالشرك وطفق علي رضي الله تعالى عنه يوبخ العباس بقتال النبي وقطيعة الرحم وأغلظ له في القول فقال العباس تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا فقال ولكم محاسن قالوا نعم إنا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقى الحجيج ونفك العاني فنزلت

أولئك الذين يدعون عمارة المسجد وما يضاهيها من أعمال البر مع ما بهم من الكفر

حبطت أعمالهم التي يفتخرون بها بما قارنها من الكفر فصارت هباء منثورا

وفي النار هم خالدون لكفرهم ومعاصيهم وإيراد الجملة الأسمية للمبالغة في الدلالة على الخلود والظرف متعلق بالخبر قدم عليه للاهتمام به ومراعاة الفاصلة وكلتا الجملتين مستأنفة لتقرير النفي السابق

الأولى من جهة نفي استتباع الثواب والثانية من جهة نفي استدفاع العذاب ." (١)

" فله وأن تكرير للأولى تأكيدا لطول العهد لا من باب التأكيد اللفظي المانع للأولى من العمل ودخول الفاء كما في قول من قال ... لقد علم الحي اليمانون أنني ... إذا قلت أما بعد أني خطيبها ...

وقد جوز أن يكون فأن له معطوفا على أنه وجواب الشرط محذوف تقديره ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله يهلك فأن له الخ ورد بأن ذلك إنما يجوز عند كون فعل الشرط ماضيا أو مضارعا مجزوما بلم

خالدا فيها حال مقدرة من الضمير المجرور إن اعتبر في الظرف ابتداء الاستقرار وحدوثه وإن اعتبر مطلق الاستقرار فالأمر ظاهر

ذلك أشير إلى ما ذكر من العذاب الخالد بذلك إيذانا ببعد درجته في الهول والفظاعة

---

(١) تفسير أبي السعود، ٥٠/٤

الخزي العظيم الخزي الذل والهو أن المقارن للفضيحة والندامة وهي ثمرات نفاقهم حيث يفتضحون على رءوس الأشهاد بظهورها ولحوق العذاب الخالد بهم والجملة تذييل لما سبق

سورة براءة آية ٦٤ ٦٥

يحذر المنافقون أن تنزل عليهم في شأنهم فإن ما نزل في حقهم نازل عليهم

سورة تنبئهم بما في قلوبهم من الأسرار الخفية فضلا عما كانوا يظهرونه فيما بينهم من أقاويل الكفر والنفاق ومعنى تنبئتها إياهم بما في قلوبهم مع أنه معلوم لهم وأن المحذور عندهم إطلاع المؤمنين على أسرارهم لا إطلاع أنفسهم عليها أنها تذيع ما كانوا يخفونه من أسرارهم فتنتشر فيما بين الناس فيسمعونها من أفواه الرجال مذاعة فكأنها تخبرهم بها أو المراد بالتنبئة المبالغة في كون السورة مشتملة على أسرارهم كأنها تعلم من أحوالهم الباطنة ما لا يعلمونه فتنبئهم بها وتنعى عليهم قبائحهم وقيل معنى يحذر ليحذر وقيل الضمير أن الأولان للمؤمنين والثالث للمنافقين ولا يبالي بالتفكيك عند ظهور الأمر بعود المعنى إليه أي يحذر المنافقون أن تنزل على المؤمنين سورة تخبرهم بما في قلوب المنافقين وتهتك عليهم أستارهم قال أبو مسلم كان إظهار الحذر منهم بطريق الاستهزاء فإنهم كانوا إذا سمعوا رسول الله صلى الله عليه و سلم يذكر كل شيء ويقول إنه بطريق الوحي يكذبونه ويستهزئون به ولذلك قيل

قل استهزءوا أي افعلوا الاستهزاء وهو أمر تهديد

إن الله مخرج أي من القوة إلى الفعل أو من الكمون إلى البروز

ما تحذرون أي ما تحذرونه من إنزال السورة ومن مخازيكم ومثالبكم المستكنة في قلوبكم الفاضحة لكم على ملأ الناس والتأكيد لرد إنكارهم بذلك لا لدفع ترددهم في وقوع المحذور إذ ليس حذرهم بطريق الحقيقة

ولئن سألتهم عما قالوا

ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب روى أنه صلى الله عليه و سلم كان يسير في غزوة تبوك وبين يديه ركب من المنافقين يستهزئون بالقرآن وبالرسول صلى الله عليه و سلم ويقولون انظروا إلى هذا الرجل يريد أن يفتتح حصون الشام وقصورها هيهات هيهات فأطلع الله تعالى نبيه على ذلك فقال احبسوا على الركب فأتاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبي الله لا والله ما كنا في شيء من أمرك ولا من أمر أصحابك ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر

قل غير ملتفت إلى اعتذارهم ناعيا ." (١)

" بالنسبة إلى أدنى شيء من نعيم الآخرة بمثابة جناح البعوض قال رسول الله صلى الله عليه و سلم لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء ونعما قال من قال ... تالله لو كانت الدنيا بأجمعها ... تبقى علينا ويأتي رزقها رغدا ... ما كان من حق حر أن يدل بها فكيف وهي متاع يضمحل غدا ...

سورة براءة آية ٧٣ ٧٤

---

(١) تفسير أبي السعود، ٧٩/٤

يأيها النبي جاهد الكفار أي المجاهرين منهم بالسيف

والمنافقين بالحجة وإقامة الحدود

واغلظ عليهم في ذلك ولا تأخذك بهم رأفة قال عطاء نسخت هذه الآية كل شيء من العفو والصفح

ومأواهم جهنم جملة مستأنفة لبيان آجل أمرهم إثر بيان عاجله وقيل حالية

وبئس المصير تذييل لما قبله والمخصوص بالذم محذوف

يحلفون بالله ما قالوا استئناف لبيان ما صدر عنهم من الجرائم الموجبة لما مر من الأمر بالجهاد والغلظة عليهم ودخول جهنم روي أن رسول الله صلى الله عليه و سلم أقام في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المنافقين المتخلفين فيسمعه من كان منهم معه صلى الله عليه و سلم فقال الجلاس بن سويد منهم لئن كان ما يقول محمد حقا لإخواننا الذين خلفناهم وهم ساداتنا وأشرافنا فنحن شر من الحمير فقال عامر بن قيس الأنصاري للجلاس أجل والله إن محمدا لصادق وأنت شر من الحمار فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه و سلم فاستحضر فحلف بالله ما قال فرفع عامر يده فقال اللهم أنزل على عبدك ونبيك تصديق الكاذب وتكذيب الصادق فنزل وإيثار صيغة الاستقبال في يحلفون لاستحضار الصورة أو للدلالة على تكرير الحلف وصيغة الجمع في قالوا مع أن القائل هو الجلاس للإيذان بأن بقيتهم برضاهم بقوله صاروا بمنزلة القائل

ولقد قالوا كلمة الكفر هي ما حكى آنفا والجملة مع ما عطف عليها اعتراض

وكفروا بعد إسلامهم أي وأظهروا ما في قلوبهم من الكفر بعد إظهارهم الإسلام

وهموا بما لم ينالوا هو الفنك برسول الله صلى الله عليه و سلم وذلك أنه توافق خمسة عشر منهم على أن يدفعوه صلى الله عليه و سلم عن راحلته إذا تسنم العقبة بالليل وكان عمار بن ياسر آخذا بخطام راحلته يقودها وحذيفة بن اليمان خلفها يسوقها فبينما هما كذلك إذ سمع حذيفة بوقع أخفاف الإبل وبقعقعة السلاح فالتفت فإذا قوم متلثمون فقال إليكم إليكم يا أعداء الله فهربوا وقيل هم المنافقون هموا بقتل عامر لرده على الجلاس وقيل أرادوا أن يتوجوا عبد الله بن أبي بن سلول وإن لم يرض به رسول الله صلى الله عليه و سلم

وما نقموا أي وما أنكروا وما عابوا أو وما وجدوا ما يورث نقمتهم

إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله سبحانه وتعالى وذلك أنهم كانوا حين قدم رسول الله صلى الله عليه و سلم المدينة في غاية ما يكون من ضنك العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة فأثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى فأمر رسول الله صلى الله عليه و سلم بديته اثنى عشر ألف درهم فاستغنى والاستثناء مفرغ من أعم المفاعيل أو من أعم العلل أي وما ". (١)

" الذين لا يجدون إلا طاقتهم وقرئ بفتح الجيم وهو مصدر جهد في الأمر إذا بالغ فيه وقيل هو بالضم الطاقة وبالفتح المشقة

---

(١) تفسير أبي السعود، ٨٤/٤

فيسخرون منهم عطف على يلمزون أي يهزءون بهم والمراد بهم الفريق الأخير

سخر الله منهم إخبار بمجازاته تعالى إياهم على ما فعلوا من السخرية والتعبير عنها بذلك للمشاكلة

ولهم أي ثابت لهم

عذاب أليم التنوين للتهويل والتفخيم وإيراد الجملة اسمية للدلالة على الاستمرار

سورة براءة آية ٨٠

استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إخبار باستواء الأمرين الاستغفار لهم وتركه في استحالة المغفرة وتصويره بصورة الأمر للمبالغة في بيان استوائهما كأنه صلى الله عليه و سلم أمر بامتحان الحال بأن يستغفر تارة ويترك أخرى ليظهر له جلية الأمر كما مر في قوله عز و جل قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم

إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم بيان لاستحالة المغفرة بعد المبالغة في الاستغفار إثر بيان الاستواء بينه وبين عدمه روي أن عبد الله بن عبد الله بن أبي وكان من المخلصين سأل رسول الله صلى الله عليه و سلم في مرض أبيه أن يستغفر له ففعل صلى الله عليه و سلم فنزلت فقال صلى الله عليه و سلم محافظة على ما هو الأصل من أن مراتب الأعداد حدود معينة يخالف حكم كل منها حكم ما فوقها إن الله قد رخص لي فسأزيد على السبعين فنزلت سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبعمائة في مطلق التكثير لاشتمال السبعة على جملة أقسام العدد فكأنها العدد بأسره وقيل هي أكمل الأعداد لجمعها معانيها ولأن الستة أول عدد تام لتعادل أجزائها الصحيحة إذ نصفها ثلاثة وثلثها اثنان وسدسها واحد وجملتها ستة وهي مع الواحد سبعة فكانت كاملة إذ لا مرتبة بعد التمام إلا الكمال ثم السبعون غاية الكمال إذ الآحاد غايتها العشرات والسبعمائة غاية الغايات

ذلك إشارة إلى امتناع المغفرة لهم ولو بعد المبالغة في الاستغفار أي ذلك الامتناع ليس لعدم الاعتداد باستغفارك بل بأنهم أي بسبب أنهم

كفروا بالله ورسوله كفرا متجاوزا عن الحد كما يلوح به وصفهم بالفسق في قوله عز و جل

والله لا يهدي القوم الفاسقين فإن الفسق في كل شيء عبارة عن التمرد والتجاوز عن حدوده أي لا يهديهم هداية موصلة إلى المقصد البتة لمخالفة ذلك للحكمة التي عليها يدور فلك التكوين والتشريع وأما الهداية بمعنى الدلالة على ما يوصل إليه فهي متحققة لا محالة ولكنهم بسوء اختيارهم لم يقبلوها فوقعوا فيما وقعوا وهو **تذييل** مؤكد لما قبله من الحكم فإن مغفرة الكافر إنما هي بالإقلاع عن الكفر والإقبال إلى الحق والمتهمك فيه المطبوع عليه بمعزل من ذلك وفيه تنبيه على عذر النبي صلى الله عليه و سلم في استغفاره لهم وهو عدم يأسه من إيمانهم حيث لم يعلم أنهم مطبوعون على الغي والضلال إذ الممنوع هو الاستغفار لهم بعد تبين حالهم كما سيتلى من قوله عز و جل ما كان للنبي الآية ." (١)

" سورة براءة آية ٨١ ٨٢

---

(١) تفسير أبي السعود، ٨٧/٤

فرح المخلفون أي الذين خلفهم النبي صلى الله عليه و سلم بالإذن لهم في القعود عند استئذانهم أو خلفهم الله بتثبيطه إياهم لما علم في ذلك من الحكمة الخفية أو خلفهم كسلهم أو نفاقهم

بمقعدهم متعلق بفرح أي بقعودهم وتخلفهم عن الغزو

خلاف رسول الله أي خلفه وبعد خروجه حيث خرج ولم يخرجوا يقال أقام خلاف الحي أي بعدهم ظعنوا ولم يظعن ويؤيده قراءة من قرأ خلف رسول الله فانتصابه على أنه ظرف لمقعدهم إذ لا فائدة في تقييد فرحهم بذلك وقيل هو بمعنى المخالفة ويعضده قراءة من قرأ خلف رسول الله بضم الخاء فانتصابه على أنه مفعول له والعامل إما فرح أي فرحوا لأجل مخالفته صلى الله عليه و سلم بالقعود وإما مقعدهم أي فرحوا بقعودهم لأجل مخالفته صلى الله عليه و سلم أو على أنه حال والعامل أحد المذكورين أي فرحوا مخالفين له صلى الله عليه و سلم أو فرحوا بالقعود مخالفين له صلى الله عليه و سلم

وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله لا إيثار للدعة والخفض على طاعة الله تعالى فقط بل مع ما في قلوبهم من الكفر والنفاق فإن إيثار أحد الأمرين قد يتحقق بأدنى رجحان منه من غير أن يبلغ الآخر مرتبة الكراهية وإنما أوثر ما عليه النظم الكريم على أن يقال وكرهوا أن يخرجوا إلى الغزو إيذانا بأن الجهاد في سبيل الله مع كونه من أجل الرغائب وأشرف المطالب التي يجب أن يتنافس فيها المتنافسون قد كرهوه كما فرحوا بأقبح القبائح الذي هو القعود خلاف رسول الله صلى الله عليه و سلم

وقالوا أي لإخوانهم تثبيتا لهم على التخلف والقعود وتواصيا فيما بينهم بالشر والفساد أو للمؤمنين تثبيطا لهم عن الجهاد ونهيا عن المعروف وإظهارا لبعض العلل الداعية لهم إلى ما فرحوا به من القعود فقد جمعوا ثلاث خلال من خصال الكفر والضلال الفرح بالقعود وكراهية الجهاد ونهي الغير عن ذلك

لا تنفروا في الحر فإنه لا يستطاع شدته

قل ردا عليهم وتجهيلا لهم

نار جهنم التي ستدخلونها بما فعلتم

أشد حرا مما تحذرون من الحر المعهود وتحذرون الناس منه فما لكم لا تحذرونها وتعرضون أنفسكم لها بإيثار القعود على النفير

لو كانوا يفقهون اعتراض **تذييلي** من جهته سبحانه وتعالى غير داخل تحت القول المأمور به مؤكد لمضمونه وجواب لو إما مقدر أي لو كانوا يفقهون أنها كذلك أو كيف هي أو أن مآلهم إليها لما فعلوا ما فعلوا أو لتأثروا بهذا الإلزام وإما غير منوي على أن لو لمجرد التمني المنبئ عن امتناع تحقق مدخولها أي لو كانوا من أهل الفطانة والفقه كما في قوله عز و جل قل انظروا ماذا في السموات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون

فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا إخبار عن عاجل أمرهم وآجله من الضحك القليل والبكاء الطويل المؤدي إليه أعمالهم السيئة التي من جملتها ما ذكر من الفرح والفاء لسببية ما سبق للإخبار بما ذكر من الضحك والبكاء لا لنفسهما إذ لا يتصور السببية في الأول أصلا وقليلا وكثيرا منصوبان على المصدرية ." (١)

" سيغنيني الله تعالى عنكم وعن مجاهد نفر من غفار اعتذروا فلم يعذرهم الله سبحانه وعن قتادة اعتذروا بالكذب وقرئ المعذرون بتشديد العين والذال من تعذر بمعنى اعتذر وهو لحن إذ التاء لا تدغم في العين إدغامها في الطاء والزاء والصاد في المطوعين وأزكى وأصدق وقيل أريد بهم المعتذرون بالصحة وبه فسر المعذرون والمعذرون أي الذين لم يفرطوا في العذر

وقعد الذين كذبوا الله ورسوله وهم منافقو الأعراب الذين لم يجيئوا ولم يعتذروا فظهر أنهم كذبوا الله ورسوله في ادعاء الإيمان والطاعة

سيصيب الذين كفروا منهم أي من الأعراب أو من المعذرين فإن منهم من اعتذر لكسله لا لكفره

عذاب أليم بالقتل والأسر في الدنيا والنار في الآخرة

سورة براءة آية ٩١ ٩٢

ليس على الضعفاء ولا على المرضى كالهرمى والزمني

ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون لفقرهم كمزينة وجهينة وبني عذرة

حرج إثم في التخلف

إذا نصحوا لله ورسوله وهو عبارة عن الإيمان بهما والطاعة لهما في السر والعلن وتوليهما في السراء والضراء والحب فيهما والبغض فيهما كما يفعل المولى الناصح بصاحبه

ما على المحسنين من سبيل استئناف مقرر لمضمون ما سبق أي ليس عليهم جناح ولا إلى معاتبتهم سبيل ومن مزيدة للتأكيد ووضع المحسنين موضع الضمير للدلالة على انتظامهم بنصحهم لله ورسوله في سلك المحسنين أو تعليل لنفي الحرج عنهم أي ما على جنس المحسنين من سبيل وهم من جملتهم

والله غفور رحيم **تذييل** مؤيد لمضمون ما ذكر مشير إلى أن بهم حاجة إلى المغفرة وإن كان تخلفهم بعذر

ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم عطف على المحسنين كما يؤذن به قوله عز و جل فيما سيأتي إنما السبيل الآية وقيل عطف على الضعفاء وهم البكاءون سبعة من الأنصار معقل بن يسار وصخر ابن خنساء وعبد الله بن كعب وسالم بن عمير وثعلبة بن غنمة وعبد الله بن معقل وعلبة بن زيد أتوا رسول الله صلى الله عليه و سلم فقالوا نذرنا الخروج فاحملنا على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة نغز معك فقال صلى الله عليه و سلم لا أجد فتولوا وهم يبكون وقيل هم بنو مقر معقل وسويد ونعمان وقيل أبو موسى الأشعري وأصحابه رضي الله تعالى عنهم

---

(١) تفسير أبي السعود، ٨٨/٤

قلت لا أجد ما أحملكم عليه حال من الكاف في أتوك بإضمار قد وما عامة لما سألوه صلى الله عليه و سلم وغيره مما يحمل عليه عادة وفي إيثار لا أجد على ليس عندي من تلطيف الكلام وتطييب قلوب السائلين ما لا يخفي كأنه صلى الله عليه و سلم يطلب ما يسألونه على الاستمرار فلا يجده

تولوا جواب إذا

وأعينهم تفيض أي تسيل بشدة

من الدمع أي دمعا فإن من البيانية مع مجرورها في حيز النصب على التمييز وهو أبلغ من يفيض دمعها لإفادتها أن العين بعينها صارت دمعا فياضا والجملة حالية وقوله عز اسمه

حزنا نصب على العلية أو الحالية أو المصدرية لفعل دل عليه ما قبله أي تفيض للحزن فإن الحزن يسند إلى العين مجازا ." (١)

" الاعتراف بذنوبهم في التخلف عن هذه المرة وتذممهم وندامتهم على ذلك وتخصيصه بالاعتراف لا يناسب الخلط لا سيما على وجه يؤذن بتوارد المختلطين وكون كل منهما مخلوطا ومخلوطا به كما يؤذن به تبديل الواو بالباء في قوله تعالى

وآخر سيئا فإن قولك خلطت الماء باللبن يقتضي إيراد الماء على اللبن دون العكس وقولك خلطت الماء واللبن معناه إيقاع الخلط بينهما من غير دلالة على اختصاص أحدهما بكونه مخلوطا به وترك تلك الدلالة للدلالة على جعل كل منهما متصفا بالوصفين جميعا وذلك فيما نحن فيه بورود كل من العملين على الآخر مرة بعد أخرى والمراد بالعمل السيء ما صدر عنهم من الأعمال السيئة أولا وآخرا وعن الكلبي التوبة والإثم وقيل الواو بمعنى الباء كما في قولهم بعت الشاء شاة ودهما بمعنى شاة بدرهم

عسى أن يتوب عليهم أي يقبل توبتهم المفهومة من اعترافهم بذنوبهم

إن الله غفور رحيم يتجاوز عن سيئات التائب ويتفضل عليه وهو تعليل لما تفيده كلمة عسى من وجوب القبول فإنها للأطماع الذي هو من أكرم الأكرمين إيجاب وأي إيجاب

سورة براءة آية ١٠٣

خذ من أموالهم صدقة روي أنهم لما أطلقوا قالوا يا رسول الله هذه أموالنا التي خلفتنا عنك فتصدق بها وطهرنا فقال صلى الله عليه و سلم ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئا فنزلت فليست هي الصدقة المفروضة لكونها مأمورا بها ولما روى أنه صلى الله عليه و سلم أخذ منهم الثلث وترك لهم الثلثين فوقع ذلك بيانا لما في صدقة من الإجمال وإنما هي كفارة لذنوبهم حسبما ينبيء عنه قوله عز و جل

تطهرهم أي عما تلطخوا به من أوضار التخلف والتاء للخطاب والفعل مجزوم على أنه جواب للأمر وقريء بالرفع على أنه حال من ضمير المخاطب في خذ أو صفة لصدقة والتاء للخطاب أو للصدقة والعائد على الأول محذوف ثقة بما بعده وقريء تطهرهم من أطهره بمعنى طهره

---

(١) تفسير أبي السعود، ٩٢/٤

وتزكيهم بها بإثبات الياء وهو خبر لمبتدأ محذوف والجملة حال من الضمير في الأمر أو في جوابه أي وأنت تزكيهم بها أي تنمي بتلك الصدقة حسناتهم إلى مراتب المخلصين أو أموالهم أو تبالغ في تطهيرهم هذا على قراءة الجزم في تطهرهم وأما على قراءة الرفع فسواء جعلت التاء للخطاب أو للصدقة وكذا إذا جعلت الجملة الأولى حالا من ضمير المخاطب أو صفة للصدقة على الوجهين فالثانية عطف على الأولى حالا وصفة من غير حاجة إلى تقدير المبتدأ لتوجيه دخول الواو في الجملة الحالية

وصل عليهم أي واعطف عليهم بالدعاء والاستغفار لهم

إن صلاتك وقريء صلواتك مراعاة لتعدد المدعو لهم

سكن لهم تسكن نفوسهم إليها وتطمئن قلوبهم بها ويثقون بأنه سبحانه قبل توبتهم والجملة تعليل للأمر بالصلاة عليهم

والله سميع يسمع ما صدر عنهم من الاعتراف بالذنب والتوبة والدعاء

عليم بما في ضمائرهم من الندم والغم لما فرط منهم ومن الإخلاص في التوبة والدعاء أو سميع يجيب دعاءك لهم عليم بما تقتضيه الحكمة والجملة حينئذ تذييل للتعليل مقرر لمضمونه وعلى الأول تذييل لما سبق من الآيتين محقق لما فيهما ." (١)

" فإن إخلاف الميعاد مما لا يكاد يصدر عن كرام الخلق مع إمكان صدوره عنهم فكيف بجناب الخلاق الغني عن العالمين جل جلاله وسبك التركيب وإن كان على إنكار أن يكون أحد أوفى بالعهد منه تعالى من غير تعرض لإنكار المساواة ونفيها لكن المقصود به قصدا مطردا إنكار المساواة ونفيها قطعا فإذا قيل من أكرم من فلان أو لا أفضل منه فالمراد به حتما أنه أكرم من كل كريم وأفضل من كل فاضل

فاستبشروا التفات إلى الخطاب تشريفا لهم على تشريف وزيادة لسرورهم على سرور والاستبشار إظهار السرور والسين فيه ليس للطلب كاستوقد وأوقد والفاء لترتيب الاستبشار أو الأمر به على ما قبله أي فإذا كان كذلك فسروا نهاية السرور وافرحوا غاية الفرح بما فزتم به من الجنة وإنما قيل

ببيعكم مع أن الابتهاج به باعتبار أدائه إلى الجنة لأن المراد ترغيبهم في الجهاد الذي عبر عنه بالبيع وإنما لم يذكر العقد بعنوان الشراء لأن ذلك من قبل الله سبحانه لا من قبلهم والترغيب إنما يكون فيما يتم من قبلهم وقوله تعالى

الذي بايعتم به لزيادة تقرير بيعهم وللإشعار بكونه مغايرا لسائر البياعات فإنه بيع للفاني بالباقي ولأن كلا البدلين له سبحانه وتعالى عن الحسن رضي الله عنه أنفسا هو خلقها وأموالا هو رزقها روي أن الأنصار لما بايعوه صلى الله عليه و سلم على العقبة قال عبد الله بن رواحة رضي الله تعالى عنه اشترط لربك ولنفسك ما شئت قال صلى الله عليه و سلم أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم قال فإذا فعلنا ذلك فما لنا

(١) تفسير أبي السعود، ٤/٩٩

قال لكم الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيله ومر برسول الله صلى الله عليه و سلم أعرابي وهو يقرؤها قال كلام من قال كلام الله عز و جل قال بيع والله مربح لا نقيله ولا نستقيله فخرج إلى الغزو واستشهد

وذلك أي الجنة التي جعلت ثمنا بمقابلة ما بذلوا من أنفسهم وأموالهم

هو الفوز العظيم الذي لا فوز أعظم منه وما في ذلك من معنى البعد إشارة إلى بعد منزلة المشار إليه وسمو رتبته في الكمال ويجوز أن يكون ذلك إشارة إلى البيع الذي أمروا بالاستبشار به ويجعل ذلك كأنه نفس الفوز العظيم أو يجعل فوزا في نفسه فالجملة على الأول **تذييل** للآية الكريمة وعلى الثاني لقوله تعالى فاستبشروا مقرر لمضمونه

سورة براءة آية ١١٢

التائبون رفع على المدح أي هم التائبون يعني المؤمنين المذكورين كما يدل عليه القراءة بالياء نصبا على المدح ويجوز أن يكون مجرورا على أنه صفة للمؤمنين وقد جوز الرفع على الابتداء والخبر محذوف أي التائبون من أهل الجنة أيضا وإن لم يجاهدوا كقوله تعالى وكلا وعد الله الحسنى ويجوز أن يكون خبره قوله تعالى

العابدون وما بعده خبر بعد خبر أي التائبون من الكفر على الحقيقة هم الجامعون لهذه النعوت الفاضلة أي المخلصون في عبادة الله تعالى

الحامدون لنعمائه أو لما نابهم من السراء والضراء

السائحون الصائمون لقوله صلى الله عليه و سلم سياحة أمتي الصوم شبه بها لأنه عائق عن الشهوات أو لأنه رياضة نفسانية يتوسل بها إلى العثور على خفايا الملك والملكوت وقيل هم السائحون في الجهاد وطلب ." (١)

" فعينوا لذلك الروح صنما معينا من الأصنام واشتغلوا بعبادته ومقصودهم ذلك الروح ثم اعتقدوا أن ذلك الروح يكون عند الإله الأعظم مشتغلا بعبوديته وقيل إنهم كانوا يعبدون الكواكب فوضعوا لها أصناما معينة واشتغلوا بعبادتها قصدا إلى عبادة الكواكب وقيل إنهم وضعوا طلسمات معينة على تلك الأصنام ثم تقربوا إليها وقيل إنهم وضعوا هذه الأصنام على صور أنبيائهم وأكابرهم وزعموا أنهم متى اشتغلوا بعبادة هذه التماثيل فإن أولئك الأكابر يشفعون لهم عند الله تعالى

قل تبكيتا لهم

أتنبئون الله بما لا يعلم أى أتخبرونه بما لا وجود له أصلا وهو كون الأصنام شفعاءهم عند الله تعالى إذ لولاه لعلمه علام الغيوب وفيه تقريع لهم وتهكم بهم وبما يدعونه من المحال الذى لا يكاد يدخل تحت الصحة والإمكان وقرىء أتنبيون بالتخفيف وقوله تعالى

فى السموات ولا فى الأرض حال من العائد المحذوف فى يعلم مؤكدة للنفى لأن ما لا يوجد فيهما فهو منتف عادة سبحانه وتعالى عما يشركون عن إشراكهم المستلزم لتلك المقالة الباطلة أو عن شركائهم الذين يعتقدونهم شفعاءهم عند الله تعالى وقرىء تشركون بتاء الخطاب على أنه من جملة القول المأمور به وعلى الأول هو اعتراض **تذييلى** من جهته سبحانه وتعالى

---

(١) تفسير أبي السعود، ١٠٦/٤

سورة يونس ١٩ وما كان الناس إلا أمة واحدة بيان لأن التوحيد والإسلام ملة قديمة أجمعت عليها الناس قاطبة فطرة وتشريعا وأن الشرك وفروعه جهالات ابتدعها الغواة خلافا للجمهور وشقا لعصا الجماعة وأما حمل اتخاذهم على الاتفاق على الضلال عند الفترة واختلافهم على ما كان منهم من الاتباع والإصرار فمما لا احتمال له أى وما كان الناس كافة من أول الأمر إلا متفقين على الحق والتوحيد من غير اختلاف وذلك من عهد آدم عليه الصلاة و السلام إلى أن قتل قابيل هابيل وقيل إلى زمن إدريس عليه السلام وقيل إلى زمن نوح عليه السلام وقيل من حين الطوفان حين لم يذر الله من الكافرين ديارا إلى أن ظهر فيما بينهم الكفر وقيل من لدن إبراهيم عليه الصلاة و السلام إلى أن أظهر عمرو بن لحى عبادة الأصنام فالمراد بالناس العرب خاصة وهو الأنسب بإيراد الآية الكريمة إثر حكاية ما حكى عنهم من الهنات وتنزيه ساحة الكبرياء عن ذلك

فاختلفوا بأن كفر بعضهم وثبت آخرون على ما هم عليه فخالف كل من الفريقين الآخر لا أن كلا منهما أحدث ملة على حدة من ملل الكفر مخالفة لملة الآخر فإن الكلام ليس فى ذلك الاختلاف إذ كل منهما مبطل حينئذ فلا يتصور أن يقضى بينهما بإبقاء المحق وإهلاك المبطل والفاء التعقيبية لا تنافى امتداد زمان الاتفاق إذ المراد بيان وقوع الاختلاف عقيب انصرام مدة الاتفاق لا عقيب حدوث الاتفاق

ولولا كلمة سبقت من ربك بتأخير القضاء بينهم أو بتأخير العذاب الفاصل بينهم إلى يوم القيامة فإنه يوم الفصل لقضى بينهم عاجلا

فيما فيه يختلفون بتمييز الحق من الباطل بإبقاء المحق وإهلاك المبطل وصيغة الاستقبال لحكاية الحال الماضية وللدلالة على الاستمرار ." (١)

" سورة يونس ٤٥ ٤٦ المستمرة للسيئات الموجبة للتعذيب عين ظلمهم لأنفسهم وعلى الوجهين فالآية الكريمة **تذييل** لما سبق

ويوم يحشرهم منصوب بمضمر وقرئ بالنون على الالتفات أى اذكر لهم أو أنذرهم يوم يحشرهم

كأن لم يلبثوا أى كأنهم لم يلبثوا

إلا ساعة من النهار أى شيئا قليلا منه فإنها مثل فى غاية القلة وتخصيصها بالنهار لأن ساعاته أعرف حالا من ساعات الليل والجملة فى موقع الحال من ضمير المفعول أى يحشرهم مشبهين فى أحوالهم الظاهرة للناس بمن لم يلبث فى الدنيا ولم يتقلب فى نعيمها إلا ذلك القدر اليسير فإن من أقام بها دهرا وتمتع بمتاعها لا يخلو عن بعض آثار نعمة وأحكام بهجة منافية لما بهم من رثاثة الهيئة وسوء الحال أو بمن لم يلبث فى البرزخ إلا ذلك المقدار ففائدة التقييد بيان كمال يسر الحشر بالنسبة إلى قدرته تعالى ولو بعد دهر طويل وإظهار بطلان استبعادهم وإنكارهم بقولهم أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون ونحو ذلك أو بيان تمام الموافقة بين النشأتين فى الأشكال والصور فإن قلة اللبث فى البرزخ من موجبات عدم التبدل والتغير فيكون قوله عز وعلا

---

(١) تفسير أبي السعود، ٤/١٣٢

يتعارفون بينهم بيانا وتقريرا له لأن التعارف مع طول العهد ينقلب تناكرا وعلى الأول يكون استئنافا أى يعرف بعضهم بعضا كأنهم لم يتفارقوا إلا قليلا وذلك أول ما خرجوا من القبور إذ هم حينئذ على ما كانوا عليه من الهيئة المتعارفة فيما بينهم ثم ينقطع التعارف بشدة الأهوال المذهلة واعتراء الأحوال المعضلة المغيرة للصور والأشكال المبدلة لها من حال إلى حال

قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله شهادة من الله سبحانه وتعالى على خسرانهم وتعجب منه وقيل حال من ضمير يتعارفون على إرادة القول والتعبير عنهم بالموصول مع كون المقام مقام إضمار لذمهم بما فى حيز الصلة والإشعار بعليته لما أصابهم والمراد بلقاء الله إن كان مطلق الحساب والجزاء أو حسن اللقاء فالمراد بالخسران الوضيعة والمعنى وضعوا فى تجاراتهم ومعاملاتهم واشترائهم الكفر بالإيمان والضلالة بالهدى ومعنى قوله تعالى

وما كانوا مهتدين ما كانوا عارفين بأحوال التجارة مهتدين لطرقها وإن كان سوء اللقاء فالخسار الهلاك والضلال أى قد ضلوا وهلكوا بتكذيبهم وما كانوا مهتدين إلى طريق النجاة

وإما نرينك أصله إن نرك وما مزيدة لتأكيد معنى الشرط ومن ثمة أكد الفعل بالنون أى بنصرتك بأن نظهر لك

بعض الذى نعدهم أى وعدناهم من العذاب ونعجله فى حياتك فتراه والعدول إلى صيغة الاستقبال لاستحضار الصورة أو للدلالة على التجدد والاستمرار أى نعدهم وعدا متجددا حسبما تقتضيه الحكمة من إنذار غب إنذار وفى تخصيص البعض بالذكر رمزا إلى العدة بإراءة بعض الموعود وقد أراه يوم بدر

أو نتوفينك قبل ذلك فإلينا مرجعهم أى كيفما دارات الحال أريناك بعض ما وعدناهم أولا فإلينا مرجعهم فى الدنيا والآخرة فننتجز ما وعدناهم البتة ." (١)

" سورة يونس ٦٠ ٦١

وما ظن الذين يفترون على الله الكذب كلام مسوق من قبله تعالى لبيان هول ما سيلقونه غير داخل تحت القول المأمور به والتعبير عنهم بالموصول فى موقع الإضمار لقطع احتمال الشق الأول من الترديد والتسجيل عليهم بالافتراء وزيادة الكذب مع أن الافتراء لا يكون إلا كذبا لإظهار كمال قبح ما افتعلوا وكونه كذبا فى اعتقادهم أيضا وكلمة ما استفهامية وقعت مبتدأ وظن خبرها ومفعولاه محذوفان وقوله عز و جل

يوم القيامة ظرف لنفس الظن أى أي شىء ظنهم فى ذلك اليوم يوم عرض الأفعال والأقوال والمجازاة عليها مثقالا بمثقال والمراد تهويله وتفظيعه بهول ما يتعلق به مما يصنع بهم يومئذ وقيل هو ظرف لما يتعلق به ظنهم اليوم من الأمور التى ستقع يوم القيامة تنزيلا له ولما فيه من الأحوال لكمال وضوح أمره فى التقرر والتحقق منزلة المسلم عندهم أى أى شىء ظنهم لما سيقع يوم القيامة أيحسبون أنهم لا يسألون عن افترائهم أو لا يجازون عليه أو يجازون جزاء يسيرا ولأجل ذلك يفعلون ما يفعلون كلا إنهم لفى أشد العذاب لأن معصيتهم أشد المعاصى ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا وقرىء على لفظ الماضى أى ظنوا يوم القيامة وإيراد صيغة الماضى لأنه كائن فكأنه قد كان

---

(١) تفسير أبي السعود، ٤/١٥٠

إن الله لذو فضل أي عظيم لا يكتنه كنهه

على الناس أى جميعا حيث أنعم عليهم بالعقل المميز بين الحق والباطل والحسن والقبيح ورحمهم بإنزال الكتب وإرسال الرسل وبين لهم الأسرار التى لا تستقل العقول فى إدراكها وأرشدهم إلى ما يهمهم من أمر المعاش والمعاد

ولكن أكثرهم لا يشكرون تلك النعمة الجليلة فلا يصرفون قواهم ومشاعرهم إلى ما خلقت له ولا يتبعون دليل العقل فيما يستبد به ولا دليل الشرع فيما لا يدرك إلا به وقد تفضل عليهم ببيان ما سيلقونه يوم القيامة فلا يلتفتون إليه فيقعون فيما يقعون فهو **تذييل** لما سبق مقرر لمضمونه

وما تكون فى شأن أى فى أمر من شأنت شأنه أى قصدت قصده مصدر بمعني المفعول

وما تتلو منه الضمير للشأن والظرف صفة لمصدر محذوف أى تلاوة كائنة من الشأن إذ هى معظم شئونه عليه السلام أو للتنزيل والإضمار قبل الذكر لتفخم شأنه ومن ابتدائية أو تبعيضية أو لله عز و جل ومن ابتدائية والتى فى قوله تعالى

من قرأن مزيدة لتأكيد النفى أو ابتدائية على الوجه الأول وبيانية أو تبعيضية علي الثانى والثالث

ولا تعملون من عمل تعميم للخطاب إثر تخصيصه بمقتدى الكل وقد روعى فى كل من المقامين ما يليق به حيث ذكر أولا من الأعمال ما فيه فخامة وجلالة وثانيا ما يتناول الجليل والحقير

إلا ." (١)

" سورة يونس ٦٥ ٦٦ عن المقاصد بالذات إلى وسائلها مما لا يساعده جلالة شأن التنزيل الكريم

لا تبديل لكلمات الله لا تغييرلأقواله التى من جملتها مواعيده الواردة بشارة للمؤمنين المتقين فيدخل فيها البشارات الواردة ههنا دخولا أوليا ويثبت امتناع الإخلاف فيها ثبوتا قطعيا وعلى تقدير كون الموراد البشرى الرؤيا الصالحة فالمراد بعدم تبديل كلماته تعالى ليس عدم الخلف بينها وبين نتائجها الدنيوية والأخروية بل عدم الخلف بينها وبين ما دل على ثبوتها ووقوعها فيما سيأتى بطريق الوعد من قوله تعالى لهم البشرى فتدبر ذلك إشارة إلى ما ذكر من أن لهم البشرى فى الدارين

هو الفوز العظيم الذى لا فوز وراءه وفيه تفسير لما أبهم فيما سبق وهاتيك الجملة والتى قبلها اعتراض لتحقيق المبشر به وتعظيم شأنه وليس من شرطه أن يكون بعده كلام متصل بما قبله أو هذه **تذييل** والسابقة اعتراض

ولا يحزنك قولهم تسلية للرسول صلى الله عليه و سلم عما كان يلقاه من جهتهم من الأذية الناشئة عن مقالاتهم الموحشة وتبشير له صلى الله عليه و سلم بأنه عز و جل ينصره ويعزه عليهم إثر بيان أن له ولأتباعه أمنا من كل محذور وفوزا بكل مطلوب وقرئ ولا يحزنك من أحزنه وهو فى الحقيقة نهى له صلى الله عليه و سلم عن الحزن كأنه قيل لا تحزن بقولهم ولا تبال بتكذيبهم وتشاورهم فى تدبير هلاكك وإبطال أمرك وسائر ما يتفوهون به في شأنك مما لا خير فيه وإنما وجه النهى إلى قولهم للمبالغة فى نهيه صلى الله عليه و سلم عن الحزن لما أن النهي عن التأثر نهي عن التأثر بأصله ونفى له بالمرة وقد يوجه النهى إلى اللازم والمراد هو النهى عن الملزوم كما فى قولك لا أرينك ههنا وتخصيص النهى عن الحزن بالإيراد مع شمول

---

(١) تفسير أبي السعود، ١٥٧/٤

النفى السابق للحزن أيضا لما أنه لم يكن فيه صلى الله عليه و سلم فى بعض الأوقات نوع حزن فسلى عن ذلك وقوله تعالى شائبة خوف حتى ينهى عنه وربما كان يعتريه صلى الله عليه و سلم

إن العزة تعليل للنهى على طريقة الاستئناف أى الغلبة والقهر

لله جميعا أى فى ملكته وسلطانه لا يملك أحد شيئا منها أصلا لا هم ولا غيرهم فهو يقهرهم ويعصمك منهم وينصرك عليهم وقد كان كذلك فهى من جملة المبشرات العاجلة وقرئ بفتح أن على صريح التعليل أى لأن العزة لله

هو السميع العليم يسمع ما يقولون فى حقك ويعلم ما يعزمون عليه وهو مكافئهم بذلك

ألا إن لله من فى السموات ومن فى الأرض أى العقلاء من الملائكة والثقلين وتخصيصهم بالذكر للإيذان بعدم الحاجة إلى التصريح بغيرهم فإنهم مع شرفهم وعلو طبقتهم إذا كانوا عبيدا له سبحانه مقهورين تحت قهره وملكته فما عداهم من الموجودات أولى بذلك وهو مع ما فيه من التأكيد لما سبق من اختصاص العزة بالله تعالى الموجب لسلوته صلى الله عليه و سلم وعدم مبالاته بالمشركين وبمقالاتهم تمهيدا لما لحق من قوله تعالى

وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء وبرهان على بطلان ." (١)

" سورة يونس ٨٢ ٨٣ وقعت مبتدأ والسحر خبره أى هو السحر لا ما سماه فرعون وقومه من آيات الله سبحانه أو هو من جنس السحر يريهم أن حاله بين لا يعبأ به كأنه قال ما جئتم به مما لا ينبغى أن يجاء به وقرئ آلسحر على الاسفهام فما استفهامية أى أي شيء جئتم به أهو السحر الذى يعرف حاله كل أحد ولا يتصدى له عاقل وقرئ ما جئتم به سحر وقرئ ما أتيتم به سحر ودلالتهما على المعنى الثاني في القراءة المشهورة أظهر

إن الله سيبطله أى سيمحقه بالكلية بما يظهره على يدي من المعجزة فلا يبقى له أثر أصلا أو سظهر بطلانه للناس والسين للتأكيد

إن الله لا يصلح عمل المفسدين أى عمل جنس المفسدين على الإطلاق فيدخل فيه السحر دخولا أوليا أو عملكم فيكون من باب وضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالإفساد والإشعار بعلة الحكم وليس المراد بعدم إصلاح عملهم عدم جعل فسادهم صلاحا بل عدم إثابته وإتمامه أي لا يثبته ولا يكلمه ولا يديمه بل يمحقه ويهلكه ويسلط عليه الدمار والجملة تعليل لما سبق من قوله إن الله سيبطله والكل اعتراض **تذييلى** وفيه دليل على أن السحر إفساد وتمويه لا حقيقة له

ويحق الله الحق عطف على قوله سيبطله أى يثبته ويقويه وإظهار الاسم الجليل في المقامين الأخيرين لإلقاء الروعة وتربية المهابة

بكلماته بأوامره وقضاياه وقرئ بكلمته

ولو كره المجرمون ذلك والمراد بهم كل من اتصف بالإجرام من السحرة وغيرهم

---

(١) تفسير أبي السعود، ١٦١/٤

فما آمن لموسى معطوف على مقدر قد فصل في مواقع أخر أى فألقى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون الخ وإنما لم يذكر تعويلا على ذلك وإيثار للإيجاز وإيذانا بأن قوله تعالى إن الله سيبطله مما لا يحتمل الخلف اصلا وعطفه على ذلك بالفاء مع كونه عدما مستمرا من قبيل ما فى قوله عز و جل فاتبعوا أمر فرعون وما في قولك وعظته فلم يتعظ وصحت به فلم ينزجر والسر في ذلك أن الإتيان بالشئ بعد ورود ما يوجب الإقلاع عنه وإن كان استمرار عليه لكنه بحسب العنوان فعل جديد وصنع حادث أى فما آمن له عليه السلام بمشاهدة تلك الآيات القاهرة

إلا ذرية من قومة أى إلا أولاد من أولاد قومه بنى إسرائيل حيث دعا الآباء فلم يجيبوه خوفا من فروعون وأجابته طائفة من شبانهم وقيل الضمير لفرعون والذرية طائفة من شبابهم أمنوا به عليه السلام أو مؤمن آل فرعون وامرأته آسية وخازنة وامرأته وماشطته وهو بعيد

على خوف أى كائنين على خوف عظيم

من فرعون وملتهم الضمير لفرعون والجمع لما هو المعتاد في ضمائر العظماء ولا يأباه مقام بيان علوه في الفساد وغلوه في الشر والتسلط على العباد أو لأن المراد به آله كما يقال ربيعة ومضر أو للذرية أو للقوم أى على خوف من فرعون ومن اشراف بنى إسرائيل حيث كانوا يمنعون أعقابهم خوفا من فرعون عليهم وعلى أنفسهم

أن يفتنهم ." (١)

" سورة يونس ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ أى يعذبهم وهو بدل اشتمال أو مفعول خوف فإن إعمال المصدر المنكر كثير كما فى قوله عز و جل أو إطعام في يوم ذى مسغبة يتيما أو مفعول له بعد حذف اللام وإسناد الفعل إلى فرعون خاصة لأنه الآمر بالتعذيب

وإن فرعون لعال في الأرض لغالب في أرض مصر

وإنه لمن المسرفين في الظلم والفساد بالقتل وسفك الدماء أو فى الكبر والعتو حتى ادعى الربوبية واسترق أسباط الأنبياء والجملتان اعتراض تذييلى مؤكد لمضمون ما سبق

وقال موسى لما رأى تخوف المؤمنين منه

ياقوم إن كنتم آمنتم بالله أى صدقتم به وبآياته

فعليه توكلوا وبه ثقوا ولا تخافوا أحدا غيره فإنه كافيكم كل شر وضر

إن كنتم مسلمين مستسلمين لقضاء الله تعالى مخلصين له وليس هذا من تعليل الحكم بشرطين فإن المعلل بالإيمان وجوب التوكل عليه تعالى فإنه المقتضى له والمشروط بالإسلام وجوده فإنه لا يتحقق مع التخليط ونظيره إن أحسن إليك زيد فأحسن إليه إن قدرت عليه

فقالوا مجيبين له عليه السلام من غير تلعثم في ذلك

على الله توكلنا لأنهم كانوا مؤمنين مخلصين ثم دعوا ربهم قائلين

---

(١) تفسير أبي السعود، ٤/١٧٠

ربنا لا تجعلنا فتنة أى موقع فتنة

للقوم الظالمين أى لا تسلطهم علينا حتى يعذبونا أو يفتنونا عن ديننا أو يفتتنوا بنا ويقولوا لو كان هؤلاء على الحق لما اصيبوا وقوله تعالى

ونجنا برحمتك من القوم الكافرين دعاء منهم بالإنجاء من سوء جوارهم وشؤم مصاحبتهم بعد الإنجاء من ظلمهم ولذلك عبر عنهم بالكفر بعد ما وصفوا بالظلم وفي ترتيب الدعاء على التوكل تلويح بأن الداعى حقه أن يبنى دعاءه على التوكل على الله تعالى

وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوآ أن مفسرة لأن في الوحى معنى القول أى اتخذا مباءة

لقومكما بمصر بيوتا تسكنون فيها وترجعون إليها للعبادة

واجعلوا أنتما وقومكما

بيوتكم تلك

قبلة مصلى وقيل مساجد متوجهة نحو القبلة يعنى الكعبة فإن موسى عليه السلام كان يصلى إليها

وأقيموا الصلاة أى فيها أمروا بذلك في اول أمرهم لئلا يظهر عليهم الكفرة فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم

وبشر المؤمنين بالنصرة في الدنيا إجابة لدعوتهم والجنة في العقبى وإنما ثنى الضمير أولا لأن التبوؤ للقوم واتخاد المعابد مما يتولاه رؤساء القوم بتشاور ثم جمع لأن جعل البيوت مساجد والصلاة فيها مما يفعله كل أحد ثم وحد لأن بشارة الأمة وظيفة صاحب الشريعة ووضع المؤمنين موضع ضمير القوم لمدحهم بالايمان وللإشعار بأنه المدار في التبشير ." (١)

" سورة يونس ٩٢ ٩٣ عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون فهذا عبارة عن فساده الراجع إلى نفسه والسارى إلى غيره من الظلم والتعدى وصد بنى إسرائيل عن الإيمان والأول عن عصيانه الخاص به

فاليوم ننجيك أى نخرجك مما وقع فيه قومك من قعر البحر ونجعلك طافيا وفي التعبيرعنه بالتنجية تلويح بأن مراده بالإيمان هو النجاة كما مر وتهكم به أو نلقيك على نجوة من الأرض ليراك بنو إسرائيل وقرئ ننجيك من الإنجاء وننحيك بالحاء من التنحية أى نلقيك بناحية الساحل

ببدنك في موضع الحال من ضمير المخاطب أى ننجيك ملابسا ببدنك فقط لا مع روحك كما هو مطلوبك فهو تخييب له وحسم لأطماعه بالمرة أو عاريا عن اللباس أو كاملا سويا أو بدرعك وكانت له درع من الذهب يعرف بها وقرئ بأبدانك أى بأجزاء بدنك كلها كقولهم هوى بأجرامه أو بدروعك كأنه كان مظاهرا بينها

لتكون لمن خلفك آية لمن وراءك علامة وهم بنو إسرائيل إذ كان في نفوسهم من عظمته ما خيل إليهم أنه لا يهلك حتى يروى أنهم لم يصدقوا موسى عليه السلام حين أخبرهم بغرقه إلى أن عاينوه مطرحا على ممرهم من الساحل أو تكون لمن يأتى بعدك من الأمم إذا سمعوا مآل أمرك ممن شاهدك عبرة ونكالا من الطغيان أو حجة تدلهم على أن الإنسان وإن بلغ الغاية القصوى من عظم الشأن وعلو الكبرياء وقوة السلطان فهو مملوك مقهور بعيد عن مظان الربوبية وقرئ لمن خلفك

---

(١) تفسير أبي السعود، ٤/١٧١

فعلا ماضيا أى لمن خلفك من الجبابرة وقرئ لمن خلقك بالقاف أى لتكون لخالقك آية كسائر الآيات فإن إفراده سبحانه إياك بالإلقاء إلى الساحل دليل على أنه قصد منه لكشف تزويرك وإماطة الشبهة في أمرك وبرهان نير على كمال علمه وقدرته وحكمته وإرادته وهذا الوجه محتمل على القراءة المشهورة أيضا وفي تعليل تنجيته بما ذكر إيذان بأنها ليست لإعزازه أو لفائدة أخرى عائدة إليه بل لكمال الاستهانة به وتفضيحه على رءوس الأشهاد وزيادة تفظيع حاله كمن يقتل ثم يجر جسده في الأسواق أو يدار برأسه في البلاد واللام الأولى متعلقة بننجيك والثانية بمحذوف وقع حالا من آية أى كائنة لمن خلفك

وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وهو اعتراض **تذييلى** جيء به عند الحكاية تقريرا لفحوى الكلام المحكى

ولقد بوأنا بنى إسرائيل كلام مستأنف سيق لبيان النعم الفائضة عليهم إثر نعمة الإنجاء على وجه الإجمال وإخلالهم بشكرها وأداء حقوقها أى أسكناهم وأنزلناهم بعد ما أنجيناهم وأهلكنا أعداءهم

مبوأ صدق أى منزلا صالحا مرضيا وهو الشام ومصر ملكوها بعد الفراعنة والعمالقة وتمكنوا ." (١)

" سورة يونس ١٠١١٠٢١٠٣

فلا يحصل لهم الهداية التي عبر عنها بالإذن فيبقون مغمورين بقبائح الكفر والضلال أو مقهورين بالعذاب والنكال والجملة معطوفة على مقدر ينسحب عليه النظم الكريم كأنه قيل فيأذن لهم بمنح الألطاف ويجعل الخ قل مخاطبا لأهل مكة بعثا لهم على التدبر في ملكوت السموات والأرض وما فيهما من تعاجيب الآيات الأنفسية والآفاقية ليتضح لك أنهم من الذين لا يعقلون وحقت عليهم الكلمة

انظروا أي تفكروا وقرئ بنقل حركة الهمزة إلى لام قل

ماذا في السموات والأرض أي أي شيء بديع فيهما من عجائب صنعه الدالة على وحدته وكمال قدرته على أن ماذا جعل بالتركيب اسما واحدا مغلبا فيه الاستفهام على اسم الإشارة فهو مبتدأ خبره الظرف ويجوز أن يكون ما مبتدأ وذا بمعنى الذي والظرف صلته والجملة خبر للمبتدأ وعلى التقديرين فالمبتدأ والخبر في محل النصب بإسقاط الخافض وفعل النظر معلق بالاستفهام

وما تغنى أي ما تنفع وقرئ بالتذكير

الآيات وهي التي عبر عنها بقوله تعالى ماذا في السموات والأرض

والنذر جمع نذير على أنه فاعل بمعنى منذر أو على أنه مصدر أي لا تنفع الآيات والرسل المنذرون أو الإنذارات

عن قوم لا يؤمنون في علم الله تعالى وحكمه فما نافية والجملة إما حالية أو اعتراضية ويجوز كون ما استفهامية إنكارية في موضع النصب على المصدرية أي أي إغناء تغنى الخ فالجملة حينئذ اعتراضية

فهل ينتظرون أي مشركو مكة وأضرابهم

---

(١) تفسير أبي السعود، ١٧٤/٤

إلا مثل أيام الذين خلوا أي إلا يوما مثل أيام الذين خلوا

من قبلهم من مشركي الأمم الماضية أي مثل وقائعهم ونزول بأس الله بهم إذ لا يستحقون غيره من قولهم أيام العرب لوقائعها

قل تهديدا لهم

فانتظروا ما هو عاقبتكم

إني معكم من المنتظرين لذلك

ثم ننجي رسلنا بالتشديد وقرئ بالتخفيف وهو عطف على مقدر يدل عليه قوله مثل أيام الذين خلوا وما بينهما اعتراض جيء به مسارعة إلى التهديد ومبالغة في تشديد الوعيد كأنه قيل أهلكنا الأمم ثم نجينا رسلنا المرسلة إليهم

والذين آمنوا وصيغة الاستقبال لحكاية الأحوال الماضية لتهويل أمرها باستحضار صورها وتأخير حكاية التنجية عن حكاية الإهلاك على عكس ما في قوله تعالى فنجيناه ومن معه في الفلك الخ ونظائره الوارده في مواقع عديدة ليتصل به قوله عز و جل

كذلك أي مثل ذلك الإنجاء

حقا علينا اعتراض بين العامل والمعمول أي حق ذلك حقا وقيل بدل من المحذوف الذي ناب عنه كذلك أي إنجاء مثل ذلك حقا والكاف متعلقة بقوله تعالى

ننجي المؤمنين أي من كل شدة وعذاب والجملة **تذييل** لما قبلها مقرر لمضمونه والمراد بالمؤمنين إما الجنس المتناول للرسل عليهم السلام والأتباع وإما الأتباع فقط وإنما لم يذكر إنجاء الرسل إيذانا بعدم الحاجة إليه وأيا ما كان ففيه ." (١)

" سورة يونس ١٠٧١٠٨

الأمر وهو تأكيد للنهي المذكور وتفصيل لما أجمل فيه إظهارا لكمال العناية بالأمر وكشفا عن وجه بطلان ما عليه المشركون أي لا تدع من دون الله استقلالا ولا اشتراكا ما لا ينفعك إذا دعوته بدفع مكروه أو جلب محبوب

ولا يضرك إذا تركته بسلب المحبوب دفعا أو رفعا أو بإيقاع المكروه وتقديم النفع على الضرر غني عن بيان السبب

فإن فعلت أي ما نهيت عنه من دعاء ما لا ينفع ولا يضر كني به عنه تنويها لشأنه صلى الله عليه و سلم وتنبيها على رفعة مكانه من أن ينسب إليه عبادة غير الله سبحانه ولو في ضمن الجملة الشرطية

فإنك إذا من الظالمين جزاء للشرط وجواب لسؤال من يسأل عن تبعة ما نهى عنه

وإن يمسسك الله بضر تقرير لما أورد في حيز الصلة من سلب النفع من الأصنام وتصوير لاختصاصه به سبحانه

فلا كاشف له عنك كائنا من كان وما كان

إلا هو وحده فيثبت عدم كشف الأصنام بالطريق البرهاني وهو بيان لعدم النفع برفع المكروه المستلزم لعدم النفع بجلب المحبوب استلزاما ظاهرا فإن رفع المكروه أدنى مراتب النفع فإذا انتفى انتفى بالكلية

---

(١) تفسير أبي السعود، ١٧٨/٤

وإن يردك بخير تحقيق لسلب الضرر الوارد في حيز الصلة أي إن يرد أن يصيبك بخير

فلا راد لفضله الذي من جملته ما أرادك به من الخير فهو دليل على جواب الشرط لا نفس الجواب وفيه إيذان بأن فيضان الخير منه تعالى بطريق التفضل من غير استحقاق عليه سبحانه أي لا أحد يقدر على رده كائنا ما كان فيدخل فيه الأصنام دخولا أوليا وهو بيان لعدم ضرها بدفع المحبوب قبل وقوعه المستلزم لعدم ضرها برفعه أو بإيقاع المكروه استلزاما جليا ولعل ذكر الإرادة مع الخير والمس مع الضر مع تلازم الأمرين للإيذان بأن الخير مراد بالذات وأن الضر إنما يمس من يمسه لما يوجبه من الدواعي الخارجية لا بالقصد الأولى أو أريد معنى الفعلين في كل من الضر والخير وأنه لا راد لما يريد منهما ولا مزيل لما يصيب به منهما فأوجز الكلام بأن ذكر في أحدهما المس وفي الآخر الإرادة ليدل بما ذكر في كل جانب على ما ترك في الجانب الآخر على أنه قد صرح بالإصابة حيث قيل

يصيب به إظهارا لكمال العناية بجانب الخير كما ينبيء عنه ترك الاستثناء فيه أي يصيب بفضله الواسع المنتظم لما أرادك به من الخير وجعل الفضل عبارة عن ذلك الخير بعينه على أن يكون من باب وضع المظهر في موضع المضمر لما ذكر من الفائدة يأباه قوله عز و جل

من يشاء من عباده فإن ذلك ينادى بعموم الفضل وقوله عز قائلا

وهو الغفور الرحيم تذليل لقوله تعالى يصيب به الخ مقرر لمضمونه والكل تذييل للشرطية الأخيرة محقق لمضمونها قل مخاطبا لأولئك ." (١)

" يوسف آية ٦٦ وبيان لما يشعر به الإنكار من كونهم فائزين ببعض المطالب أو متمكنين من تحصيله فكأنهم قالوا بضاعتنا حاضرة فنستظهر بها ونمير أهلنا ونحفظ أخانا فما يصيبه شيء من المكاره ونزداد بسببه غير ما نكتاله لأنفسنا كيل بعير فأي شيء نبتغي وراء هذه المباغي وقريء ما تبغي على خطاب يعقوب عليه السلام أي أي شيء تبغي وراء هذه المباغي المشتملة على سلامة أخينا وسعة ذات أيدينا أو وراء ما فعل بنا الملك من الإحسان داعيا إلى التوجه إليه والجملة الإستئنافية موضحة لذلك أو أي شيء تبغي شاهدا على صدقنا فيما وصفنا لك من إحسانه والجملة المذكورة عبارة عن الشاهد المدلول عليه بفحوى الإنكار وإما نافية فالمعنى ما نبغي شيئا غير ما رأينا من إحسان الملك في وجوب المراجعة إليه أو ما نبغي غير هذه المباغي وقيل ما نطلب منك بضاعة أخرى والجملة المستأنفة تعليل له وأما إذا فسر البغي بمجاوزة الحد فما نافية فقط والمعنى ما نبغي في القول وما نتزيد فيما وصفنا لك من إحسان الملك إلينا وكرمه الموجب لما ذكر والجملة المستأنفة لبيان ما ادعوا من عدم البغي وقوله ونمير أهلنا عطف على ما نبغي أي ما نبغي فيما ذكرنا من إحسانه وتحصيل أمثاله من مير أهلنا وحفظ أخينا فإن ذلك أهون شيء بواسطة إحسانه وقد جوز أن يكون كلاما مبتدأ أي جملة اعتراضية تذييلية على معنى وينبغي أن نمير أهلنا وشبه ذلك بقولك سعيت في حاجة فلان ويجب أن أسعى وأنت خبير بأن شأن الجمل التذييلية أن تكون مؤكدة لمضمون الصدر ومقررة له كما في المثال المذكور وقولك فلان ينطق بالحق فالحق أبلج وإن قوله ونمير الخ وإن ساعدنا في حمله على معنى ينبغي أن نمير أهلنا بمعزل من ذلك أو ما نبغي في الرأي وما نعدل عن الصواب

---

(١) تفسير أبي السعود، ٤/١٨٠

فيما نشير به عليك من إرسال أخينا معنا والجمل إلى آخرها تفصيل وبيان لعدم بغيهم وإصابة رأيهم أي بضاعتنا حاضرة نستظهر بها ونمير أهلها ونصنع كيت وذيت فتأمل

قال لن أرسله معكم بعدما عاينت منكم ما عاينت

حتى تؤتوني موثقا من الله أي ما أتوثق به من جهة الله عز و جل وإنما جعله موثقا منه تعالى لأن تأكيد العهود به مأذون فيه من جهته تعالى فهو إذن منه عز و جل

لتأتنني به جواب القسم إذ المعنى حتى تحلفوا بالله لتأتنني به

إلا أن يحاط بكم أي إلا أن تغلبوا فلا تطيقوا به أو إلا أن تهلكوا وأصله من إحاطة العدو فإن من أحاط به العدو فقد هلك غالبا وهو استثناء من أعم الأحوال أو أعم العلل على تأويل الكلام بالنفي الذي ينساق إليه أي لتأتنني به ولا تمتنعن منه في حال من الأحوال أو لعله من العلل إلا حال الإحاطة بكم أو لعلة الإحاطة بكم ونظيره قولهم أقسمت عليك لما فعلت وإلا فعلت أي ما أريد منك إلا فعلك وقد جوز الأول بلا تأويل أيضا أي لتأتنني به على كل حال إلا حال الإحاطة بكم وأنت تدري أنه حيث لم يكن الإتيان به من الأفعال الممتدة الشاملة للأحوال على سبيل المعية كما في قولك لألزمنك إلا أن تعطيني حقي ولم يكن مراده عليه السلام مقارنته على سبيل البدل لما عدا الحال المستثناة كما إذا قلت صل إلا أن تكون ." (١)

" يوسف الآية ٧٧ قوله تعالى عليم توضيح لذلك على معنى أن الرفع المذكور لا يوجب تمام مرامه إذ ليس ذلك بحيث لا يعزب عن علمه شيء بل إنما نرفع كل من نرفع حسب استعداده وفوق كل واحد منهم عليم لا يقادر قدر علمه ولا يكتنه كنهه يرفع كلا منهم إلى ما يليق به من معارج العلم ومدارجه وقد رفع يوسف إلى ما يليق به من الدرجات العالية وعلم أن ما حواه دائرة علمه لا يفي بمرامه فأرشد إخوته إلى الإفتاء المذكور فكان ما كان وكأنه عليه السلام لم يكن على يقين من صدور الإفتاء المذكور عن إخوته وإن كان على طمع منه فإن ذلك إلى الله عز و جل وجودا وعلما والتعرض لوصف العلم لتعيين جهة الفوقية وفي صيغة المبالغة مع التنكير والإلتفات إلى الغيبة من الدلالة على فخامة شأنه عز وعلا وجلالة مقدار علمه المحيط ما لا يخفى وأما إن جعل عبارة عن التعليم المستتبع للإفتاء المذكور فالرفع عبارة عن ذلك التعليم والإفتاء وإن لم يكن داخلا تحت قدرته عليه السلام لكنه كان داخلا تحت عمله بواسطة الوحي والتعليم والمعنى مثل ذلك التعليم البالغ إلى هذا الحد علمناه ولم نقتصر على تعليم ما عدا الإفتاء الذي سيصدر عن إخوته إذ لم يكن متمكنا من أخذ أخيه إلا بذلك فقوله نرفع درجات من نشاء توضيح لقوله كدنا وبيان لأن ذلك من باب الرفع إلى الدرجات العالية من العلم ومدح ليوسف برفعه إليها وقوله وفوق كل ذي علم عليم **تذييل** له أي نرفع درجات عالية من العلم من نشاء رفعه وفوق كل منهم عليم هو أعلى درجة قال ابن عباس رضي الله عنهما فوق كل عالم عالم إلى أن ينتهي العلم إلى الله تعالى والمعنى أن إخوة يوسف عليه السلام كانوا علماء إلا أن يوسف عليه السلام أفضل منهم وقرىء درجات من نشاء بالإضافة

---

(١) تفسير أبي السعود، ٢٩١/٤

والأول أنسب **بالتذييل** حيث نسب فيه الرفع إلى من نسب إليه الفوقية لا إلى درجته ويجوز أن يكون العليم في هذا التفسير أيضا عبارة عن الله عز و جل أي وفوق كل من أولئك المرفوعين عليم يرفع كلا منهم إلى درجته اللائقة به والله تعالى أعلم

قالوا إن يسرق يعنون بنيامين

فقد سرق أخل له من قبل يريدون به يوسف عليه السلام وما جرى عليه من جهة عمته على ما قيل من أنها كانت تحضنه فلما شب أراد يعقوب عليه السلام انتزاعه منها وكانت لا تصبر عنه ساعة وكانت لها منطقة ورثتها من أبيها إسحق عليه السلام فاحتالت لاستبقاء يوسف عليه السلام فعمدت إلى المنطة فحزمتها عليه من تحت ثيابه ثم قالت فقدت منطة إسحاق عليه السلام فانظروا من أخذها فوجدوها محزومة على يوسف فقالت إنه لي سلم أفعل به ما أشاء فخلاه يعقوب عليه السلام عندها حتى ماتت وقيل كان أخذ في صباه صنما لأبي أمه فكسره وألقاه في الجيف وقيل دخل كنيسة فأخذ تمثالا صغيرا من ذهب كانوا يعبدونه فدفنه

فأسرها يوسف أي أكن الحزازة الحاصلة مما قالوا

في نفسه لا أنه أسرها لبعض أصحابه كما في قوله تعالى وأسررت لهم إسرارا

ولم يبدها لهم لا قولا ولا فعلا صفحا عنهم وحلما وهو تأكيد لما سبق

قال أي في نفسه وهو استئناف ." (١)

" إبراهيم ٤٠ ٤٢ ابن تسع وتسعين سنة وولد له إسحق وهو ابن مائة واثنتي عشرة سنة أو مائة وسبع عشرة سنة إن ربي ومالك أمرى لسميع الدعاء لمجيبه من قولهم سمع الملك كلامه إذا اعتد به وهي من أبنية المبالغة العاملة عمل الفعل أضيف إلى مفعوله أو فاعله بإسناد السماع إلى دعاء الله تعالى مجازا وهو مع كونه من تتمة الحمد والشكر إذ هو وصف له تعالى بأن ذلك الجميل سنته المستمرة تعليل على طريقة **التذييل** للهبة المذكورة وفيه إيذان بتضاعيف النعمة فيها حيث وقعت بعد الدعاء بقوله رب هب لي من الصالحين فاقترنت الهبة بقبول الدعوة وتوحيد ضمير المتكلم وإن كان عقيب ذكر هبتهما لما أن نعمة الهبة فائضة عليه خاصة وهما من النعم لا من المنعم عليهم رب اجعلني مقيم الصلاة مثابرا عليها معدلا لها وتوحيد ضمير المتكلم مع شمول دعوته لذريته أيضا حيث قال ومن ذريتي أي بعضهم من المذكورين ومن يسير سيرتهما من أولادهما للإشعار بأنه المقتدى في ذلك وذريته أتباع له وأن ذكرهم بطريق الاستطراد لا كما في قوله ربنا إني أسكنت الخ فإن إسكانه مع عدم تحققه بلا ملابسة لمن اسكنه إنما هو مذكور بطريق التمهيد للدعاء الذي هو مخصوص بذريته وإنما خص هذا الدعاء ببعض ذريته لعلمه من جهة الله تعالى أن بعضا منهم لا يكون مقيم الصلاة كقوله تعالى ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ربنا وتقبل دعء أي دعائي هذا المتعلق بجعلي وجعل بعض ذريتي مقيمي الصلاة ثابتين على ذلك مجتنبين عن عبادة الأصنام ولذلك جيء بضمير الجماعة ربنا اغفر لي أي ما فرط مني من ترك الأولى في باب الدين وغير ذلك مما لا يسلم منه البشر ولوالدي وقريء بالتوحيد ولأبوى وهذا الاستغفار منه عليه السلام إنما كان قبل تبين الامر له عليه السلام وقيل أراد بوالديه آدم وحواء وقيل بشرط الإسلام ويرده قوله تعالى إلا قول إبراهيم الآية وقد

---

(١) تفسير أبي السعود، ٢٩٨/٤

مر في سورة التوبة نوع تحقيق للمقام وسيأتي تمامه في سورة مريم بفضل الله تعالى وللمؤمنين كافة من ذريته وغيرهم وللإيذان باشتراك الكل في الدعاء بالمغفرة جيء بضميرا الجماعة يوم يقوم الحساب أي يثبت ويتحقق محاسبة أعمال المكلفين على وجه العدل استعير له من ثبوت القائم على الرجل بالاستقامة ومنه قامت الحرب على ساق والمراد تهويله وقيل أسند إليه قيام أهله مجازا أو حذف المضاف كما في واسأل القرية واعلم أن ما حكى عنه عليه السلام من الأدعية والأذكار وما يتعلق بها ليس بصادر عنه على الترتيب المحكي ولا على وجه المعية بل صدر عنه في أزمنة متفرقة حكى مرتبا للدلالة على سوء حال الكفرة بعد ظهور أمره في الملة وإرشاد الناس إليها والتضرع إلى الله تعالى لمصالحهم الدينية والدنيوية ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون خطاب لرسول الله صلى الله عليه و سلم تثبيته على ما كان عليه من عدم حسبانه عز و جل كذلك نحو قوله ولا تكونن من ." (١)

" إبراهيم ٤٧ لإزالته وقد وقرأ الكسائي لتزول بفتح اللام على أنها الفارقة والمعنى تعظيم مكرهم فالجملة حال من قوله تعالى وعند الله مكرهم أي عنده تعالى جزاء مكرهم أو المكر بهم والحال أن مكرهم بحيث تزول منه الجبال أي في غاية الشدة وقرىء بالفتح والنصب على لغة من بفتح لام كي وقرىء وإن كاد مكرهم هذا هو الذي يقتضيه النظم الكريم وينساق إليه الطبع السليم وقد قيل إن الضمير في مكروا للمنذرين والمراد بمكرهم ما أفاده قوله عز و جل وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك الآية وغيره من أنواع مكرهم برسول الله صلى الله عليه و سلم ولعل الوجه حينئذ أن يكون قوله تعالى وقد مكروا الخ حالا من القول المقدر أي فيقال لهم ما يقال والحال أنهم مع ما فعلوا من الإقسام المذكور مع ما ينافيه من السكون في مساكن المهلكين وتبين أحوالهم وضرب الأمثال قد مكروا مكرهم العظيم أي لم يكن الصادر عنهم مجرد الإقسام الذي وبخوا به بل اجترءوا على مثل هذه العظيمة وقوله تعالى وعند الله تعالى مكرهم حال من ضمير مكروا حسبما ذكرنا من قبل وقوله تعالى وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال مسوق لبيان عدم تفاوت الحال في تحقيق الجزاء بين كون مكرهم قويا أو ضعيفا كما مر هناك وعلى تقدير كون إن نافية فهو حال من ضمير مكروا والجبال عبارة عن أمر النبي صلى الله عليه و سلم أي وقد مكروا والحال أن مكرهم ما كان لتزول منه هاتيك الشرائع والآيات التي هي في القوة كالجبال وعلى تقدير كونها مخففة من الثقيلة واللام مكسورة يكون حالا منه أيضا على معنى أن ذلك المكر العظيم منهم كان لهذا الغرض على معنى أنه لم يكن يصح أن يكون منهم مكر كذلك لما أن شأن الشرائع أعظم من أن يمكر بها ماكر وعلى تقدير فتح اللام فهو حال من قوله تعالى وعند الله مكرهم كما ذكرنا من قبل فليتأمل فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله لم يرد به والله سبحانه أعلم ما وعده بقوله تعالى إنا لننصر رسلنا الآية وقوله كتب الله لأغلبن أنا ورسلي كما قيل فإنه لا اختصاص له بالتعذيب لا سيما الأخروى بل ما سلف آنفا من وعده بتعذيب الظالمين بقوله تعالى إنما يؤخرهم الآية كما يفصح عنه الفاء الداخلة على النهي الذي اريد به تثبيته عليه الصلاة و السلام على ما كان عليه من الثقة بالله تعالى والتيقن بإنجاز وعده المذكور المقرون بالامر بإنذارهم يوم إتيان العذاب المتضمن لذكر تعذيب الامم السالفة بسبب كفرهم وعصيانهم رسلهم بعد ما وعدهم بذلك كما فصلت قصة كل منهم في القرآن العظيم فكأنه قيل وإذ قد وعدناك بعذاب

---

(١) تفسير أبي السعود، ٥/٥٤

الظالمين يوم القيامة وأخبرناك بما يلقونه من الشدائد وبما يسألونه من الرد إلى الدنيا وبما أجبناهم به وقرعناهم بعدم تأملهم في أحوال من سبقهم من الأمم الذين أهلكناهم بظلمهم بعد ما وعدنا رسلهم بإهلاكهم فدم على ما كنت عليه من اليقين بعدم إخلافنا رسلنا وعدنا إن اله عزيز غالب لا يماكر وقادر ذو انتقام لأوليائه من أعدائه والجملة تعليل للنهي المذكور **وتذييل** له وحيث كان الوعد عبارة عما ذكرنا من تعذيبهم خاصة لم يذيل بأن يقال إن الله لا يخلف الميعاد بل تعرض لوصف العزة والانتقام المشعرين بذلك والمراد بالانتقام ما أشير إليه بالفعل وعبر عنه بالمكر ." (١)

" الإسراء ٦٧ ٦٩ عند مساس الضر تكملة لما مر من قوله تعالى فلا يملكون الآية إنه كان بكم أزلا وأبدا رحيما حيث هيأ لكم ما تحتاجون إليه وسهل عليكم ما يعسر من مباديه وهذا **تذييل** فيه تعليل لما سبق من الإزجاء لابتغاء الفضل وصيغة الرحيم للدلالة على أن المراد بالرحمة الرحمة الدنيوية والنعمة العاجلة المنقسمة إلى الجليلة والحقيرة وإذا مسكم الضر في البحر خوف الغرق فيه ضل من تدعون أي ذهب عن خواطركم ما كنتم تدعون من دون اله من الملائكة أو المسيح أو غيرهم إلا إياه وحده من غير أن يخطر ببالكم أحد منهم وتدعوه لكشفه استقلالا أو اشتراكا أو ضل كل من تدعونه عن إغاثتكم وإنقاذكم ولم يقدر على ذلك إلا الله على الاستثناء المنقطع فلما نجاكم من الغرق وأوصلكم إلى البر أعرضتم عن التوحيد أو اتسعتم في كفران النعمة وكان الإنسان كفورا تعليل لما سبق من الإعراض أفأمنتم الهمزة للإنكار والفاء للعطف على محذوف تقديره أنجوتم فأمنتم أن يخسف بكم جانب البر الذي هو مأمنكم أي يقلبه ملتبسا بكم أو بسبب كونكم فيه وفي زيادة الجانب تنبيه على تساوي الجوانب والجهات بالنسبة إلى قدرته سبحانه وتعالى وقهره وسلطانه وقرئ بنون العظمة أو يرسل عليكم من فوقكم وقرئ بالنون حاصبا ريحا ترمى بالحصباء ثم لا تجدوا لكم وكيلا يحفظكم من ذلك أو يصرفه عنكم فإنه لا راد لأمره الغالب أم أمنتم أن يعيدكم فيها في البحر أو ثرت كلمة في على كلمة إلى المنبئة عن مجرد الانتهاء للدلالة على استقرارهم فيه تارة أخرى أسناد لإعادة إليه تعالى مع أن العود إليه بإختبارهم باعتبار خلق الدواعي الملجئة لهم إلى ذلك وفيه إيماء إلى كمال شدة هول ما لا قوة في التارة الأولى بحيث لولا الإعادة لما عادوا فيرسل عليكم وأنتم في البحر وقرئ بالنون قاصفا من الريح وهي التي لا تمر بشيء إلا كسرته وجعلته كالرميم أو التي لها قصيف وهو الصوت الشديد كأنها تتقصف أي تتكسر فيغرقكم بعد كسر فلككم كما ينبئ عنه عنوان القصف وقرئ بالنون وبالتاء على الإسناد إلى ضمير الريح بما كفرتم بسبب إشراككم أو كفرانكم لنعمة الإنجاء ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا أي ثائرا يطالبنا بما فعلنا انتصارا منا ودركا للثأر من جهتنا كقوله سبحانه و لا يخاف عقباها ." (٢)

" الكهف ٩٩ ١٠١ وجل بعد بيان سعة رحمته وكان وعد ربي أي وعده المعهود أو كل ما وعد به فيدخل فيه ذلك دخولا أوليا حقا ثابتا لا محالة واقعا البتة وهذه الجملة **تذييل** من ذي القرنين لما ذكره من الجملة الشرطية ومقرر مؤكد لمضمونها وهو آخر ما حكى من قصته وقوله عز و جل وتركنا بعضهم كلام مسوق من جنابه تعالى معطوف على قوله تعالى جعله دكاء ومحقق لمضمونه أي جعلنا بعض الخلائق يومئذ أي يوم إذ جاء الوعد بمجيء بعض مباديه يموج في بعض

---

(١) تفسير أبي السعود، ٥/٥٩

(٢) تفسير أبي السعود، ٥/١٨٥

آخر منهم يضطربون اضطراب أمواج البحر ويختلط إنسهم وجنهم حيارى من شدة الهول ولعل ذلك قبل النفخة الأولى أو تركنا بعض يأجوج ومأجوج يموج في بعض آخر منهم حين يخرجون من السد مزدحمين في البلاد

روى أنهم يأتون البحر فيشربون ماءه ويأكلون دوابه ثم يأكلون الشجر ومن ظفروا به ممن لم يتحصن منهم من الناس ولا يقدرون أن يأتوا مكة والمدينة وبيت المقدس ثم يبعث الله عز و جل نغفا في أقفائهم فيدخل آذانهم فيموتون موت نفس واحدة فيرسل الله تعالى عليهم طيرا فتلقيهم في البحر ثم يرسل مطرا يغسل الأرض ويطهرها من نتنهم حتى يتركها كالزلفة ثم يوضع فيها البركة وذلك بعد نزول عيسى عليه الصلاة و السلام وقتل الدجال ونفخ في الصور هي النفخة الثانية بقضية الفاء في قوله تعالى فجمعناهم ولعل عدم التعرض لذكر النفخة الأولى لأنها داهية عامة ليس فيها حالة مختصة بالكفار ولئلا يقع الفصل بين ما يقع في النشأة الأولى من الأحوال والأهوال وبين ما يقع منها في النشأة الأخرة أي جمعنا الخلائق بعدما تفرقت أوصالهم وتمزقت أجسادهم في صعيد واحد للحساب والجزاء جمعا أي جمعا عجيبا لا يكتنه كنهه وعرضنا جهنم أي أظهرناها وأبرزناها يومئذ أي يوم إذ جمعنا الخلائق كافة للكافرين منهم حيث جعلناها بحيث يرونها ويسمعون لها تغيظا وزفيرا عرضا أي عرضا فظيعا هائلا لا يقادر قدره وتخصيص العرض بهم مع أنها بمرأى من أهل الجمع قاطبة لأن ذلك لأجلهم خاصة الذين كانت أعينهم وهم في الدنيا في غطاء كثيف وغشاوة غليظة محاطة بذاك من جميع الجوانب عن ذكرى عن الآيات المؤدية لأولى الأبصار المتدبرين فيها إلى ذكرى بالتوحيد والتمجيد أو كانت أعين بصائرهم في غطاء عن ذكري على وجه يليق بشأني أو عن القرآن الكريم وكانوا مع ذلك لا يستطيعون لفرط تصامهم عن الحق وكمال عداوتهم للرسول صلى الله عليه و سلم سمعا استماعا لذكرى وكلامي الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهذا تمثيل لإعراضهم عن الأدلة السمعية كما أن الأول تصوير لتعاميهم عن الآيات المشاهدة بالأبصار والموصول نعت للكافرين أو بدل منه أو بيان جيء به لذمهم بما في حيز الصلة وللإشعار بعليته لإصابة ما أصابهم من عرض جهنم لهم ." (١)

" طه ٦٤ ٦٥ وقوله تعالى فأجمعوا كيدكم تصريح بالمطلوب إثر تمهيد المقدمات والفاء فصيحة أي إذا كان الأمر كما ذكر من كونهما ساحرين يريد أن بكم ما ذكر من الإخراج والأذهاب فأزمعوا كيدكم واجعلوه مجمعا عليه بحيث لا يتخلف عنه واحد منكم وارموا عن قوس واحدة وقريء فأجمعوا من الجمع ويعضده قوله تعالى فجمع كيده أي فاجمعوا أدوات سحركم ورتبوها كما ينبغي ثم ائتوا صفا أي مصطفين أمروا بذلك لأنه أهيب في صدور الرائين وأدخل في استجلاب الرهبة من المشاهدين قيل كانوا سبعين ألفا مع كل منهم حبل وعصا وأقبلوا عليه إقبالة واحدة وقيل كانوا اثنين وسبعين ساحرا إثنان من القبط والباقي من بني إسرائيل وقيل تسعمائة ثلاثمائة من الفرس وثلاثمائة من الروم وثلاثمائة من الإسكندرية وقيل خمسة عشر ألفا وقيل بضعة وثلاثين ألفا والله أعلم ولعل الموعد كان مكانا متسعا خاطبهم موسى عليه الصلاة و السلام بما ذكره في قطر من أقطاره وتنازعوا أمرهم في قطر آخر منه ثم أمروا بأن يأتوا وسطه على الوجه المذكور وقد فسر الصف بالمصلى لاجتماع الناس فيه في الأعياد والصلوات ووجه صحته أن يكون علما لموضع معين من المكان المعود وأما إرادة مصلى من مصليات بعد تعين المكان الموعود فلا مساغ لها قطعا وقوله تعالى وقد أفلح اليوم من استعلى اعتراض

---

(١) تفسير أبي السعود، ٢٤٧/٥

تذييلي من قبلهم مؤكد لما قله من الأمرين أي قد فاز بالمطلوب من غلب يريدون بالمطلوب ما وعدهم فرعون من الأجر والتقريب حسبما نطق به قوله تعالى قال نعم وإنكم لمن المقربين وبمن غلب أنفسهم جميعا على طريقة قولهم بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون أو من غلب منهم حثا لهم على بذل المجهود في المغالبة هذا هو اللائق بتجاوب أطراف النظم الكريم وقد قيل كان نجواهم أن قالوا حين سمعوا مقالة موسى عليه الصلاة و السلام ما هذا بقول ساحر وقيل كان ذلك أن قالوا إن غلبنا موسى اتبعناه وقيل كان ذلك قولهم إن كان ساحرا فسنغلبه وإن كان من السماء فله أمر فيكون إسرارهم حينئذ من فرعون وملئه ويحمل قولهم إن هذان لساحران الخ على أنهم اختلفوا فيما بنيهم على الأقاويل المذكورة ثم رجعوا عن ذلك بعد التنازع والتناظر واستقرت أراؤهم على ذلك وأبوا إلا المناصبة للمعارضة وأما جعل ضمير قالوا لفرعون وملئه على أنهم قالوا ذلك للسحرة ردا لهم عن الاختلاف وأمروهم الإجماع والإزماع وإظهار الجلادة بالإتيان على وجه الاصطفاف فمخل بجزالة النظم الكريم كما يشهد به الذوق السليم قالوا استئناف مبني على سؤال ناشئ من حكاية ما جرى بين السحرة من المقاولة كأنه قيل فماذا فعلوا بعد ما قالوا فيما بينهم ما قالوا فقيل قالوا يا موسى وإنما لم يتعرض لإجماعهم وإتيانهم بطريق الاصطفاف إشعارا بظهور أمرهما وغناهما عن البيان إما أن تلقى أي ما نلقيه أولا على أن المفعول محذوف لظهوره أو تفعل الإلقاء أولا على أن الفعل منزل منزلة اللازم وإما أن نكون أول من ألقى ما يلقيه أو أول من يفعل الإلقاء خيروه عليه الصلاة و السلام بما ذكر مراعاة للأدب لما رأوا ." (١)

" سورة الأنبياء الآية ٤ ٦ متم نوره ولو كره الكافرون قال ربي يعلم القول فى السماء والأرض حكاية من جهته تعالى لما قله عليه السلام بعد ما أوحي إليه أحوالهم وأقوالهم بيانا لظهور أمرهم وانكشاف سرهم وإيثار القول المنتظم للسر والجهر على السر لإثبات علمه تعالى بالسر على النهج البرهانى مع ما فيه من الإيذان بأن علمه تعالى بالسر والجهر على وتيرة واحدة لا تفاوت بينهما بالجلاء والخفاء قطعا كما فى علوم الخلق وقرىء قل ربي الخ وقوله تعالى فى السماء والارض متعلق بمحذوف وقع حالا من القول أي كائنا فى السماء والارض وقوله تعالى وهوالسميع العليم أى المبالغ فى العلم بالمسموعات والمعلومات التي من جملتها ما أسروه من النجوى فيجازيهم بأقوالهم وأفعالهم اعتراض **تذييلى** مقرر لمضمون ما قبله متضمن للوعيد بل قالوا أضغاث أحلام إضراب من جهته تعالى وانتقال من حكاية قولهم السابق الى حكاية قول آخر مضطرب فى مسالك البطلان أي لم يقتصروا على أن يقولوا فى حقه عليه السلام هل هذا إلا بشر وفى حق ما ظهر على يده من القرآن الكريم إنه سحر بل قالوا تخاليط الأحلام ثم أضربوا عنه فقالوا بل افتراه من تلقاء نفسه من غير أن يكون له أصل أو شبه أصل ثم قالوا بل هو شاعر وما أتى به شعر يخيل الى السامع معانى لا حقيقة لها وهكذا شأن المبطل المحجوج متحير لايزال يتردد بين باطل وأبطل ويتذبذب بين فاسد وأفسد فالاضراب الأول كما ترى من جهته تعالى والثاني والثالث من قبلهم وقد قيل الكل من قبلهم حيث أضربوا عن قولهم هو سحر الى أنه تخاليط أحلام ثم إلى أنه كلام مفترى ثم إلى أنه قول شاعر ولا ريب فى أنه كان ينبغى حينئذ بأن قال قالوا بل أضغاث أحلام والاعتذار بأن بل قالوا مقول لقالوا المضمر قبل قوله تعالى هل هذا إلا بشر الخ كأنه قيل وأسرو النجوى قالوا هل هذا الى قوله بل أضغاث أحلام وإنما صرح بقالوا بعدبل لبعد

(١) تفسير أبي السعود، ٢٦/٦

العهد مما يجب ننزيه ساحة التنزيل عن أمثاله فليأتنا بآية جواب شرط محذوف يفصح عنه السياق كأنه قيل وإن لم يكن كما قلنا بل كان رسولا من الله تعالى فليأتنا بآية كما أرسل الأولون أي مثل الأية التي أرسل بها الأولون كا ليد والعصا ونظائرهما حتى نؤمن به فما موصولة ومحل الكاف الجر على أنها صفة لآية ويجوز أن تكون مصدرية فالكاف منصوبة على أنها مصدر تشبيهي أى نعت لمصدر محذوف إي فليأتنا بآية إتيانا كائنا مثل إرسال الاولين بها وصحة التشبيه من حيث إن الإتيان بالآية من فروع الارسال بها ألى مثل إتيان مترتب على الإرسال ويجوز أن يحمل النظم الكريم على أنه أريد كل واحد من الإتيان والارسال فى كل واحد من طرفي التشبيه لكنه ترك في جانب المشبه ذكر الإرسال وفى جانب المشبه به ذكر الاتيان اكتفاء بما ذكر فى كل موطن عما ترك فى الموطن الآخر حسبما مر فى آخر سورة يونس عليه السلام ما آمنت قبلهم من قرية كلام مستأنف مسوق لتكذيبهم فيما تنبيء عنه خاتمة مقالهم من الوعد ." (١)

" سورة الأنبياء ٤٥ ٤٧ ولذلك عقب بما يدل على أنه طمع فارغ وأمل كذاب حيث قيل أفلا يرون أي ألا ينظرون فلا يرون أنا نأتي الأرض أي أرض الكفرة ننقصها من أطرافها فكيف يتوهمون أنهم ناجون من بأسنا وهو تمثيل وتصوير لما يخربه الله عزوجل من ديارهم على أيدي المسلمين ويضيفها إلى دار الإسلام أفهم الغالبون على رسول الله صلى الله عليه و سلم والمؤمنين والفاء لإنكار ترتيب الغالبية على ما ذكر من نقص ارض الكفرة بتسليط المسلمين عليها كأنه قيل أبعد ظهور ما ذكر ورؤيتهم له يتوهم غلبتهم كما مر في قوله تعالى أفمن كان على بينة من ربه وقوله تعالى قل أفاتخذتم من دونه أولياء وفي التعريف تعريض بأن المسلمين هم المتعينون للغلبة

٤٥ - المعروفون بها قل إنما أنذركم بعد ما بين من جهته تعالى غاية هول ما يستعجله المستعجلون ونهاية سوء حالهم عند إتيانه ونعي عليهم جهلهم بذلك وإعراضهم عن ذكر ربهم الذي يكلؤهم من طوارق الليل والنهار وغير ذلك من مساوى احوالهم امر صلى الله عليه و سلم بان يقول لهم إنما أنذركم ما تستعجلونه من الساعة بالوحي الصادق الناطق بإتيانها وفظاعة ما فيها من الأهوال أي إنما شأني أن أنذركم بالإخبار بذلك لا بالإتيان بها فإنه مزاحم للحكمة التكوينية والتشريعية إذ الإيمان برهاني لا عياني وقوله تعالى ولا يسمع الصم الدعاء إما من تتمة الكلام الملقن تذييل له بطريق الاعتراض قد أمر عليه السلام بأن يقوله لهم توبيخا وتقريعا وتسجيلا عليهم بكمال الجهل والعناد واللام للجنس المنتظم للمخاطبين انتظاما أوليا أو للعهد فوضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالتصام وتقييد نفى السماع بقوله تعالى إذا ما ينذرون مع ان الصم لا يسمعون الكلام إنذارا كان أو تبشيرا لبيان كمال شدة الصمم كما أن إيثار الدعاء الذي هوعبارة عن الصوت والنداء على الكلام لذلك فإن الإنذار عادة يكون بأصواب عالية مكررة مقارنة لهيآت دالة عليه فإذا لم يسمعوها يكون صممهم في غاية لا غاية وراءها وإما من جهته تعالى على طريقة قوله تعالى بل هم عن ذكر ربهم معرضون ويؤيده القراءة على خطاب النبي صلى الله عليه و سلم من الإسماع بنصب الصم والدعاء كأنه قيل قل لهم ذلك وانت بمعزل من إسماعهم وقرىء بالياء أيضا على أن الفاعل هو عليه السلام وقرىء على

---

(١) تفسير أبي السعود، ٦/٥٥

٤٦ – البناء للمفعول أي لا يقدر أحد على إسماع الصم وقوله تعالى ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك بيان لسرعة تأثرهم من مجيء نفس العذاب إثر بيان عدم تأثرهم من مجيء خبرة على نهج التوكيد القسمي اي وبالله لئن أصابهم أدنى إصابة أدنه شيء من عذابه تعالى كما ينبيء عنه المس والنفحة بجوهرها وبنائها فإن أصل النفخ هبوب رائحة الشيء ليقولن ياويلنا إنا كنا ظالمين ليدعن على أنفسهم بالويل والهلاك ويعترفن

٤٧ – عليها بالظلم وقوله تعالى ونضع الموازين القسط بيان لما سيقع عند إتيان ما أنذروه أي نقيم الموازين ." (١)

" سورة الإنبياء ١١٢ قال رب احكم بالحق حكاية لدعائه صلى الله عليه و سلم وقرىء قل رب على صيغة الأمر أي اقض بيننا وبين أهل مكة بالعدل المقتضى لتعجيل العذاب والتشديد عليهم وقد استجيب دعاؤه صلى الله عليه و سلم حيث عذبوا بيد أى تعذيب وقرىء رب احكم بضم الباء وربى أحكم على صيغة التفضيل وربي أحكم من الإحكام وربنا الرحمن مبتدأ أي كثير الرحمة على عباده وقوله تعالى المستعان أي المطلوب منه المعونة وخبر آخر للمبتدأ وإضافة الرب فيما سبق إلى ضميره صلى الله عليه و سلم خاصة لما أن الدعاء من الوظائف الخاصة به صلى الله عليه و سلم كما أن إضافته ههنا إلى ضمير الجمع المنتظم للمؤمنين أيضا لما أن الاستعانة من الوظائف العامة لهم على ما تصفون من الحال فإنهم كانوا يقولون إن الشوكة تكون لهم وإن رأية الإسلام تخفق ثم تركد وإن المتوعد به لو كان حقا لنزل بهم إلى غير ذلك مما لا خير فيها فاستجاب الله عزوجل دعوة رسوله صلى الله عليه و سلم فخيب آمالهم وغير أحوالهم ونصر اولياءه عليهم فأصابهم يوم بدر ما أصابهم والجملة اعتراض **تذييلي** مقرر لمضمون ما قبله وقرىء يصفون بالياء التحتانية وعن النبي صلى الله عليه و سلم من قرأ اقترب حاسبه الله تعالى حسابا يسيروا وصافحه وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القرآن ." (٢)

" سورة الحج ١٠ ١١ التكبر وقرىء بفتح العين أى مانعا لتعطفه ليضل عن سبيل الله متعلق بيجادل فإن غرضه الاضلال عنه وان لم يعترف بأنه إضلال والمراد به إما الإخراج من الهدى الى الضلال فالمفعول من يجادله من المؤمنين أو الناس جميعا بتغليب المؤمنين على غيرهم وإما التثبيت على الضلال أو الزيادة عليه مجازا فالمفعول هم الكفرة خاصةوقرىء بفتح الياء وجعل ضلاله غاية لجداله من حيث إن المراد به الضلال المبين الذى لا هداية له بعده مع تمكنه منها قبل ذلك له فى الدنيا خزى جملة مستأنفة مسوقة لبيان نتيجة ما سلكه من الطريقة أى يثبت له فى الدنيا بسبب ما فعله خزى وهو ما أصابه يوم بدر من القتل والصغار ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق أى النار المحرقة ذلك أى ما ذكر من العذاب الدنيوى والاخروى وما فيه من معنى البعد للايذان بكونه فى الغاية القاصية من الهول والفظاعة وهو مبتدأ خبره قوله تعالى بما قدمت يداك أى بسبب ما اقترفته من الكفر والمعاصى وإسناده الى يديه لما أن الاكتساب عادة يكون بالأيدى والالتفات لتأكيد الوعيد وتشديد التهديد ومحل أن فى قوله عز وعلا وأن الله ليس بظلام للعبيد الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أى والامر أنه تعالى ليس بمعذب لعبيده بغير ذنب من قبلهم والتعبير عن ذلك بنفى الظلم مع أن تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم قطعا على ما نقرر من قاعدة أهل السنة فضلا عن كونه ظالما بالغا قد مر تحقيقه فى سورة آل عمران والجملة اعتراض **تذييلي**

---

(١) تفسير أبي السعود، ٧٠/٦

(٢) تفسير أبي السعود، ٩٠/٦

مقرر لمضون ما قبلها وأما ما قيل من أن محل أن هو الجر بالعطف على ما قدمت فقد عرفت حاله فى سورة الانفال ومن الناس من يعبد الله على حرف شروع فى بيان المذبذبين إثر بيان حال المجاهرين أى ومنهم من يعبده تعالى على طرف من الدين لاثبات له فيه كالذى ينحرف الى طرف الجيش فإن أحس بظفر قر وإلا فر فإن أصابه خير أى دنيوى من الصحة والسعة اطمأن به أى ثبت على ما كان عليه ظاهرا ألا أنه اطمأن به اطمئنان المؤمنين الذين لا يلويهم عنه صارف ولا يثنيهم عاطف وإن أصابته فتنة أى شيء يفتتن به من مكروه يعتريه فى نفسه أو أهله أو ماله انقلب على وجهه روى أنها نزلت فى أعاريب قدموا المدينة وكان أحدهم إذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا وولدت امرأته ولدا سويا وكثر ماله وماشيته قال ما أصبت منذ دخلت فى دينى هذا الا خيرا واطمأن وإن كان الأمر بخلافه قال ما أصبت إلا شرا وانقلب وعن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه أن يهوديا أسلم فأصابته مصائب فتشاءم بالاسلام فأتى النبي صلى الله عليه و سلم فقال أقلنى فقال صلى الله عليه و سلم إن الاسلام لا يقال فنزلت وقيل نزلت فى المؤلفة قلوبهم خسر الدنيا والآخرة فقدهما وضيعهما بذهاب عصمته وحبوط عمله بالارتداد وقرىء خاسر بالنصب على الحال والرفع على الفاعلية ووضع موضع الضمير ." (١)

" سورة الحج ٤٨ ٤٩ خطئهم في الاستعجال المذكور ببيان كمال سعة ساحة حلمه تعالى ووقاره وإظهار غاية ضيق عطهم المستتبع لكون المدة القصيرة عنده تعالى مددا طوالا عندهم حسبما ينطق به قوله تعالى إنهم يرونه بعيدا ونراه قريبا ولذلك يرون مجيئه بعيدا ويتخذونه ذريعة إلى إنكاره ويجترئون على الاستعجال به ولا يدرون أن معيار تقدير الأمور كلها وقوعا وإخبارا ما عنده تعالى من المقدار وقراءة يعدون على صيغة الغيبة أي يعده المستعجلون أوفق لهذا المعنى وقد جعل الخطاب في القراءة المشهورة لهم أيضا بطريق الالتفاف لكن الظاهر أنه للرسول صلى الله عليه و سلم ومن معه من المؤمنين وقيل المراد بوعده تعالى ما جعل لهلاك كل أمة من موعد معين وأجل مسمى كما في قوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب فتكون الجملة الأولى حالية كانت أو اعتراضية مبينة لبطلان الاستعجال به ببيان استحالة مجيئه قبل وقته الموعود والجملة الأخيرة بيانا لبطلانه ببيان ابتناء على استطالة ما هو قصير عنده تعالى على الوجه الذي مر بيانه فلا يكون في النظم الكريم حينئذ تعرض لإنكارهم الذي دسوه تحت الاستعجال بل يكون الجواب مبنيا على ظاهر مقالهم ويكتفي في رد إنكارهم ببيان عاقبة من قبلهم من أمثالهم هذا وحمل المستعجل به على عذاب الآخرة وجعل اليوم عبارة عن يوم العذاب المستطال لشدته أو عن أيام الآخرة الطويلة حقيقة أو المستطالة لشدة عذابها مما لا يساعده سباق النظم الجليل ولا سياقه فإن كلا منهما ناطق بأن المراد هو العذاب الدنيوي وأن الزمان الممتد هو الذي مر عليهم قبل حلوله بطريق الإملاء والإمهال لا الزمان المقارن له ألا يرى إلى قوله تعالى وكأين من قرية الخ فإنه كما سلف من قوله تعالى فأمليت للكافرين ثم أخذتهم صريح في أن المراد هو الأخذ العاجل الشديد بعد الإملاء المديد أي وكم من أهل قرية فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه في الإعراب ورجع الضمائر والأحكام مبالغة في التعميم والتهويل أمليت لها كما أمليت لهؤلاء حتى أنكروا مجئ ما وعدوا من العذاب واستعجلوا به استهزاء برسلهم كما فعل هؤلاء وهي ظالمة جملة حالية مفيدة لكمال حلمه

---

(١) تفسير أبي السعود، ٦/٩٧

تعالى ومشعرة بطريق التعريض بظلم المستعجلين أي أمليت لها والحال أنها ظالمة مستوجبة لتعجيل العقوبة كدأب هؤلاء ثم أخذتها بالعذاب والنكال بعد طول الإملاء والإمهال وقوله تعالى وإلى المصير اعتراض **تذييلي** مقرر لما قبله ومصرح بما أفاده ذلك بطريق التعريض من أن مآل أمر المستعجلين أيضا ما ذكر من الأخذ الوبيل أي إلى حكمي مرجع الكل جميعا لا إلى أحد غيري لا استقلالا ولا شركة فأفعل بهم ما أفعل مما يليق بأعمالهم قل يأيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين أنذركم إنذارا بينا بما أوحى من أنباء الأمم المهلكة من غير أن يكون لي دخل في إتيان ما توعدونه من العذاب حتى تستعجلوني به والاقتصار على الإنذار مع بيان حال الفريقين بعده لما أشير إليه من أن مساق الحديث للمشركين وعقابهم وإنما ذكر المؤمنون وثوابهم زيادة في غيظهم ." (١)

" سورة الحج ٥٠ ٥٢ فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة لما ندر منهم من الذنوب ورزق كريم هي الجنة والكريم من كل نوع ما يجمع فضائله ويجوز كما لأنه والذين سعوا في آياتنا معاجزين أي سابقين أو مسابقين في زعمهم وتقديرهم طامعين أن كيدهم للإسلام يتم لهم وأصله من عاجزه وعجزه فأعجزه إذا سابقه فسبقه لأن كلا من المتسابقين يريد إعجاز الآخر عن اللحاق به وقرئ معجزين أي مثبطين الناس عن الإيمان على أنه حال مقدرة أولئك الموصوفون بما ذكر من السعي والمعاجزة أصحاب الجحيم أي ملازمو النار الموقدة وقيل هو اسم دركة من دركاتها وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الرسول من بعثه الله تعالى بشريعة جديدة يدعو الناس إليها والنبي يعمه ومن بعثه لتقرير شريعة سابقة كأنبياء بني إسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام ولذلك شبه صلى الله عليه و سلم علماء أمته بهم فالنبي أعم من الرسول صلى الله عليه و سلم ويدل عليه أنه صلى الله عليه و سلم سئل عن الأنبياء فقال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا قيل فكم الرسل منهم فقال ثلثمائة وثلاثة عشر جماء غفيرا وقيل الرسول من جمع إلى المعجزة كتابا منزلا عليه والنبي غير الرسول من لا كتاب له وقيل الرسول من يأتيه الملك بالوحي والنبي يقال له ولمن يوحى إليه في المنام إلا إذا تمنى أي هيأ في نفسه ما يهواه ألقى الشيطان في أمنيته في تشهيه ما يوجب اشتغاله بالدنيا كماقال صلى الله عليه و سلم وإنه ليغان على قلبي فاستغفر الله في اليوم سعين مرة فينسخ الله ما يلقى الشيطان فيبطله ويذهب به بعصمته عن الركون إليه وإرشاده إلى ما يزيحه ثم يحكم الله آياته أي يثبت آياته الداعية إلى الاستغراق في شئون الحق وصيغة المضارع في الفعلين للدلالة على الاستمرار التجددي وإظهار الجلالة في موقع الإضمار لزيادة التقرير والإيذان بأن الألوهية من موجبات إحكام آياته الباهرة والله عليم مبالغ في العلم بكل ما من شأنه أن يعلم ومن جملته ما صدر عن العباد من قول وفصل عمدا أو خطأ حكيم في كل ما يفعل والإظهار ههنا أيضا لما كر مع ما فيه من تأكيد استقلال الاعتراض **التذييلي** قيل حدث نفسه بزوال المسكنة فنزلت وقيل تمنى لحرصه على إيمان قومه أن ينزل عليه ما يقربهم إليه واستمر به ذلك حتى كان في ناديهم فنزلت عليه سورة النجم فأخذ يقرؤها فلما بلغ ومناة الثالثة الأخرى وسوس إليه الشيطان حتى سبق لسانه سهوا إلى أن قال تلك الغرانيق العلا وإن شفاعتهن لترتجى ففرح به المشركون حتى شايعوه بالسجود لما سجد في آخرها بحيث لم يبق في

---

(١) تفسير أبي السعود، ١١٢/٦

المسجد مؤمن ولا مشرك إلا سجد ثم نبهه جبريل عليه السلام فاغتنم به فعزاه الله عز و جل بهذه الآية وهو مردود عند المحققين ولئن صح فابتلاء يتميز به الثابت على الإيمان عن المتزلزل فيه وقيل ." (١)

" سورة الحج ٥٣ ٥٥ تمنى بمعنى قرأ كقوله تمنى كتاب الله أول ليلة تمنى داود الزبور على رسل وأمنيته قراءته وإلقاء الشيطان فيها أن يتكلم بذلك رافعا صوته بحيث ظن السامعون أنه من قراءة النبي صلى الله عليه و سلم وقد رد بأنه أيضا يخل بالوثوق بالقرآن ولا يندفع بقوله تعالى فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته لأنه أيضا يحتمله وفي الآية دلالة على جواز السهو من الأنبياء عليهم السلام وتطرق الوسوسة إليهم ليجعل ما يلقى الشيطان علة لما ينبئ عنه ما ذكر من إلقاء الشيطان من تمكينه تعالى إياه من ذلك في حق النبي صلى الله عليه و سلم خاصة كما يعرب عنه سياق النظم الكريم لما أن تمكينه تعالى إياه من الإلقاء في حق سائر الأنبياء عليهم السلام لا يمكن تعليله بما سيأتي وفيه دلالة على أن ما يلقيه أمر ظاهر يعرفه المحق والمبطل فتنة للذين في قلوبهم مرض أي شك ونفاق كما في قوله تعالى في قلوبهم مرض الآية والقاسية قلوبهم أي المشركين وإن الظالمين أي الفريقين المذكورين فوضع الظاهر موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بالظلم مع ما وصفوا به من المرض والقساوة لفي شقاق بعيد أي عداوة شديدة ومخالفة تامة ووصف الشقاق بالبعد مع أن الموصوف به حقيقة هو معروضه للمبالغة والجملة اعتراض **تذييلي** مقرر لمضمون ما قبله وليعلم الذين أوتوا العلم أنه أي القرآن الحق من ربك أي هو الحق النازل من عنده تعالى وقيل ليعلموا أن تمكين الشيطان من الإلقاء هو الحق المتضمن للحكمة البالغة والغاية الجميلة لأنه مما جرت به عادته في جنس الإنس من لدن آدم عليه السلام فحينئذ لا حاجة إلى تخصيص التمكين فيما سبق بالإلفاء في حقه عليه السلام لكن يأباه قوله تعالى فيؤمنوا به أي بالقرآن أي يثبتوا على الإيمان به أو يزدادوا إيمانا برد ما يلقى الشيطان فتخبت له قلوبهم بالانقياد والخشية والإذعان لما فيه من الأوامر والنواهي ورجع الضميرين لا سيما الثاني إلى تمكين الشيطان من الإلقاء مما لا وجه له وإن الله لهادي الذين آمنوا أي في الأمور الدينية خصوصا في المداحض والمشكلات التي من جملتها ما ذكر إلى صراط مستقيم هو النظر الصحيح الموصل إلى الحق الصريح والجملة اعتراض مقر لما قبله ولا يزال الذين كفروا في مرية أي في شك وجدال منه أي من القرآن وقيل من الرسول صلى الله عليه و سلم والأول هو الأظهر بشهادة ما سبق من قوله تعالى ثم يحكم الله آياته وقوله تعالى أنه الحق من ربك فيؤمنوا به وما لحق من قوله تعالى وكذبوا بآياتنا وأما تجويز كون الضمير ." (٢)

" سورة الحج ٥٨ ٦٠ الشر والفساد أي أولئك الموصوفون بما ذكر من الكفر والتكذيب وهو مبتدأ وقوله تعالى لهم عذاب جملة اسمية من مبتدأ وخبر مقدم عليه وقعت خبرا لأولئك أو لهم خبر لأولئك وعذاب مرتفع على الفاعلية بالاستقرار في الجار والمجرور لاعتماده على المبتدأ وأولئك مع خبره على الوجهين خبر للمصول وتصديره بالفاء للدلالة على أن تعذيب الكفار بسبب أعمالهم السيئة كما أن تجريد خبر الموصول الأول عنها للإيذان بان إثابة المؤمنين بطريق التفضل لا لإيجاب الأعمال الصالحة إياها وقوله تعالى مهين صفة لعذاب مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة وفيه من المبالغة من وجوه شتى

---

(١) تفسير أبي السعود، ١١٣/٦

(٢) تفسير أبي السعود، ١١٤/٦

ما لا يخفى والذين هاجروا في سبيل الله أي في الجهاد حسبما يلوح به قوله تعالى ثم قتلوا أو ماتوا أي في تضاعيف المهاجرة ومحل الموصول الرفع على الابتداء وقوله تعالى ليرزقنهم الله جواب لقسم محذوف والجملة خبره ومن منع وقوع الجملة القسمية وجوابها خبرا للمبتدأ يضمر قولا هو الخبر والجملة محكية به وقوله تعالى رزقا حسنا إما مفعول ثان على أنه من باب الرعي والذبح أي مرزوقا حسنا أو مصدر مؤكد والمراد به ما لا ينقطع أبدا من نعيم الجنة وإنما سوى بينهما في الوعد لاستوائهما في القصد وأصل العمل على أن مراتب الحسن متفاوتة فيجوز تفاوت حال المرزوقين حسب تفاوت الأرزاق الحسنة وروى أن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم قالوا يا نبي الله هؤلاء الذين قتلوا في سبيل الله قد علمنا ما أعطاهم الله تعالى من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا إن متنا معك فنزلت وقيل نزلت في طوائف خرجوا من مكة إلى المدينة للهجرة فتبعهم المشركون فقتلوهم وإن الله لهو خير الرازقين فإنه يرزق بغير حساب مع أن ما يرزقه لا يقدر عليه أحد غيره والجملة اعتراض **تذييلي** مقرر لما قله وقوله تعالى ليدخلنهم مدخلا يرضونه بدل من قوله تعالى ليرزقنهم الله أو استئناف مقرر لمضمونه ومدخلا إما اسم مكان أريد به الجنة فهو مفعول ثان للإدخال أو مصدر ميمي أكد به فعله قال ابن عباس رضي الله عنهما إنما قيل يرضونه لما أنهم يرون فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فيرضونه وإن الله لعليم بأحوالهم وأحوال معاديهم حليم لا يعاجلهم بالعقوبة ذلك خبر مبتدأ محذوف أي الأمر ذلك والجملة لتقرير ما قبله والتنبيه على أن ما بعده كلام مستأنف وما عاقب بمثل ما عوقب به أي لم يزد في الاقتصاص وإنما سمي الابتداء بالعقاب الذي هو جاز الجناية للمشاكلة أو لكونه سببا له ثم بغى عليه بالمعاودة إلى العقوبة لينصرنه الله على من بغى عليه لا محالة إن الله لعفو غفور أي مبالغ في العفو والغفران ." (١)

" سورة المؤمنون ١٥ ١٨ لدلالة الخالقين عليه كما حذف المأذون فيه في قوله تعالى أذن للذين يقتلون لدلالة الصلة عليه أي أحسن الخالقين خلقا فالحسن للخلق قيل نظيره قوله صلى الله عليه و سلم إن الله جميل يحب الجمال أي جميل فعله فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فانقلب مرفوعا فاستكن روى أن عبد الله بن أبي سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه و سلم الوحي فلما انتهى صلى الله عليه و سلم إلى قوله خلقا آخر سارع عبد الله إلى النطق به قبل إملائه صلى الله عليه و سلم فقال اكتبه هكذا نزلت فشك عبد الله فقال إن كان محمد يوحى إليه فأنا كذلك فلحق بمكة كافرا ثم أسلم يوم الفتح وقيل مات على كفره وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال لما نزلت هذه الآية قال عمر رضي الله عنه فتبارك الله أحسن الخالقين فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم هكذا نزل يا عمر وكان رضي الله عنه يفتخر بذلك ويقول وافقت ربي في أربع الصلاة خلف المقام وضرب الحجاب على النسوة وقولي لهن أو ليبدله الله خيرا منكن فنزل قوله تعالى عسى ربه عن طلقكن أن يبدله الآية والرابع فتبارك الله أحسن الخالقين انظر كيف وقعت هذه الواقعة سببا لسعادة عمر رضي الله عنه وشقاوة ابن أبي سرح حسبما قال تعالى يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا لا يقال فقد تكلم البشر ابتداء بمثل نظم القرآن وذلك قادح في إعجازه لما أن الخارج عن قدرة البشر ما كان مقدار أقصر السور على أن إعجاز هذه الآية الكريمة منوط بما قبلها كما نعرب عنه الفاء فإنها اعتراض **تذييلي** مقرر لمضمون ما قبله ثم إنكم

---

(١) تفسير أبي السعود، ١١٦/٦

بعد ذلك أي بعد ما ذكر من الأمور العجيبة حسبما ينبئ عنه ما في اسم الإشارة من معنى البعد المشعر بعلو رتبة المشار إليه وبعد منزلته في الفضل والكمال وكونه بذلك ممتازاص منزلا منزلة الأمور الحسية لميتون لصائرون إلى الموت لا محالة كما تؤذن به صيغة النعت الدالة على الثبوت دون الحدوث الذي تفيده صيغة الفاعل وقد قرئ لمائتون ثم إنكم يوم القيامة أي عند النفخة الثانية تبعثون من قبوركم للحساب والمجازاة بالثواب والعقاب ولقد خلقنا فوقكم بيان لخلق ما يحتاج إليه بقاؤهم إثر بيان خلقهم أي خلقنا في جهة العلو من غير اعتبار فوقيتها لهم لأن تلك النسبة إنما تعرض لها بعد خلقهم سبع طرائق هي السموات السبع سميت بها لأنها طورق بعضها فوق بعض مطارقة النعل فإن كل ما فوقه مثله فهو طريقة أو لأنها طرائق الملائكة أو الكواكب فيها مسيرها وما كنا من الخلق عن ذلك المخلوق الذي هو السموات أو عن جميع المخلوقات التي هي من جملتها أو عن الناس غافلين مهملين أمرها بل نحفظها عن الزوال والاختلال وندبر أمرها حتى تبلغ منتهى ما قدر لها من الكمال حسبما اقتضته الحكمة وتعلقت به المشيئة ويصل إلى ما في الأرض منافعها كما ينبئ عنه قوله تعالى وأنزلنا من السماء ماء هو المطر أو الأنهار النازلة من ." (١)

" سورة النور ٣٦ باختلاف حال ما أسند إليه تعالى من الهداية الخاصة وضرب الأمثال الذي هو من قبيل الهداية العامة كما يفصح عنه تعليق الأولى بمن يشاء والثانية بالناس كافة والله بكل شيء عليم مفعولا كان أو محسوسا ظاهرا كان أو باطنا ومن قضيته أن تتعلق مشيئته بهداية من يليق بها ويستحقها من الناس دون من عداهم لمخالفته الحكمة التي عليها مبنى التكوين والتشريع وأن تكون هدايته العامة على فنون مختلفة وطرائق شتى حسبما تقتضيه أحوالهم والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله وإظهار الاسم الجليل لتأكيد استقلال الجملة والإشعار بعلة الحكم وبما ذكر من اختلاف حال المحكوم به ذاتا وتعلقا في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه لما ذكر شأن القرآن الكريم في بيانه للشرائع والأحكام ومباديها وغاياتها المترتبة عليها من الثواب والعقاب وغير ذلك من أحوال الآخرة وأهوالها وأشير إلى كونه في غاية ما يكون من التوضيح والإظهار حيث مثل بما فصل من نور المشكاة وأشير إلى أن ذلك النور مع كونه في أقصى مراتب الظهور إنما يهتدي بهداه من تعلقت مشيئة الله تعالى بهدايته دون من عداه عقب ذلك بذكر الفريقين وتصوير بعض أعمالهم المعربة عن كيفية حالهم في الاهتداء وعدمه والمراد بالبيوت المساجد كلها حسبما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما وقيل هي المساجد التي بناها نبي من أنبياء الله تعالى الكعبة التي بناها إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وبيت المقدس الذي بناه داود وسليمان عليهما السلام ومسجد المدينة ومسجد قباء اللذان بناهما رسول الله صلى الله عليه و سلم وتنكيرها للتفخيم والمراد بالإذن في رفعها الأمر ببنائها رفيعة لا كسائر البيوت وقيل هو الأمر برفع مقدارها بعبادة الله تعالى فيها فيكون عطف الذكر عليه من قبيل العطف التفسيري وأياما كان ففي التعبير عنه بالإذن تلويح بأن اللائق بحال المأمور أن يكون متوجها إلى المأمور به قبل ورود الأمر به ناويا لتحقيقه كأنه مستأذن كأنه مستأذن في ذلك فيقع الأمر به موقع الإذن فيه والمراد بذكر اسمه تعالى ما يعم جميع أذكاره تعالى وكلمة في متعلقة بقوله تعالى يسبح له وقوله تعالى فيها تكرير لها للتأكيد والتذكير لما بينهما من الفاصلة وللإيذان بأن التقديم للاهتمام لا لقصر التسبيح على الوقوع في البيوت فقط وأصل التسبيح التنزيه

---

(١) تفسير أبي السعود، ١٢٧/٦

والتقديس يستعمل باللام وبدونها أيضا كما في قوله تعالى سبح أسم ربك الأعلى به الصلوات المفروضة كما ينبئ عنه تعيين الأوقات بقوله تعالى بالغو والآصال أي بالغدوات والعشايا على أن الغدو إما جمع غداة كقنى في جمع قناة كما قيل أو مصدر أطلق على الوقت حسبما يشعر به اقترانه بالآصالو هو جمع أصيل و هو العشى و العشى و هو الشامل الأوقات ما عدا صلاة الفجر المؤداة بالغداة ويجوز أن يراد به نفس التنزيه على أنه عبارة عما يقع منه في أثناء الصلوات وأوقاتها لزيادة شرفه وإنافته على سائر أفراده أو عما يقع في جميع الأوقات وأفراد طرفى النهار بالذكر لقيامهما مقام كلها لكونهما العمدة فيها بكونهما مشهودين وكونهما أشهر ما يقع فيه المباشرة للأعمال والأشتغال بالاشغال وقرئ والإيصال وهو الدخول في الأصيل وقوله تعالى ." (١)

" سورة النور ٤١ السحاب ظلمات حبر مبتدأ محذوف أي هي ظلمات بعضها فوق بعض أي متكاثفة متراكمة وهذا بيان لكمال شدة الظلمات كما أن قوله تعالى نور بيان لغاية قوة النور خلا أن ذلك متعلق بالمشبه وهذا بالمشبه به كما يعرب عنه ما بعده وقرىء بالجر على الإبدال من الأولى وقرىء بإضافة السحاب إليها إذا أخرج أي من ابتلى بها وإضماره من غير ذكره لدلالة المعنى عليه دلالة واضحة يده جعلها بمرأى منه قريبة من عينه لينظر إليها لم يكد يراها وهي أقرب شيء منه فضلا عن أن يراها ومن لم يجعل الله له نورا الخ اعتراض تذييلى جيء به لتقدير ما أفاده التمثيل من كون أعمال الكفرة كما فصل وتحقيق أن ذلك لعدم هداية تعالى إياهم لنوره وأيراد الموصول للإشارة بما في حيز الصلة إلى علة الحكم وأيهم ممن لم يشأ الله تعالى هدايتهم أي من لم يشأ الله أن يهديه لنوره الذي هو القرآن هداية خاصة مستتبعة للإهتداء حتما ولم يوقفه للإيمان به فما له من نور أى فما له هداية ما من أحد أصلا و قوله تعالى ألم تر الخ استئناف خوطب به النبي صلى الله عليه و سلم للإيذان بأنه تعالى أفاض عليه صلى الله عليه و سلم أعلى المراتب النور وأجلاها وبين له من أسرار الملك الملكوت وأدقها وأخفاها والهمزة للتقرير أي قد علمت عملا يقينيا شبيها بالمشاهدة في القوة والرصانة بالوحي الصريح والاستدلال الصحيح أن الله يسبح له أي ينزهه تعالى على الدوام في ذاته وصفاته و أفعاله عن كل مالا يليق بشأنه الجليل من نقص أو خلل من في السماوات والأرض أي ما فيهما إما بطريف الاستقرار فيهما من العقلاء وغيرهم كائنا ما كان أو بطريق الجزئية منهما تنزيها تفهمه العقول السليمة فإن كل موجود من الموجودات الممكنة مركبا كان أو بسيطا فهو من حيث ماهيته ووجود أحواله يدل على وجود صانع واجب الوجود متصف بصفات الكمال مقدس عن كل مالا يليق بشأن من شئونه الجليلة وقد نبه على كمال قوة تلك الدلالة وغاية وضوحها حيث عبر عنها بما يخص العقلاء من التسبيح الذي هو أقوى مراتب التنزيه وأظهرها تنزيلا للسان الحال منزلة لسان المقال وأكد ذلك بإيثار كلمة من على ما كان كل شيء مما عز وهان و كل فرد من أفراد الأعراض والأعيان عاقل ناطق ومخبر صادق بعلو شأنه تعالى وعزة سلطانه وتخصيص التنزيه بالذكر مع دلالة ما فيهما على اتصافه تعالى بنعوت الكمال أيضا لما أن مساق الكلام لتقبيح حال الفكرة في إخلالهم بالتنزيه بجعلهم الجمادات شركاء له في الألوهية ونسبتهم إياه إلى اتخاذ الولد تعالى عن ذلك علوا كبيرا وحمل التسبيح على ما يليق بكل نوع من أنواع المخلوقات بأن يرادبه معنى مجازى شامل لتسبيح العقلاء وغيرهم حسبما هو المتبادر من قوله

(١) تفسير أبي السعود، ١٧٨/٦

تعالى كل قد علم صلاته وتسبيحه يرده أن بعضا من العقلاء وهم الكفرة من الثقلين لا يسبحونه بذلك المعنى قطعا وإنما تسبيحهم ما ذكر من الدلالة التي يشاركهم فيها غير العقلاء أيضا وفيه مزيد تخطئة لهم وتعيير ببيان أنهم يسبحونه تعالى باعتبار أخس جهاتهم التي هي الجمادية والجسمية والحيوانية ولا ." (١)

" سورة ٥٨ جواب لقسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف أي وبالله لبئس المصير هي أي النار والحملة اعتراض **تذييلي** مقرر لما قبله وفي إيراد النار بعنوان كونها مأوى ومصير الهم إثر نفي فوتهم بالهرب في الأرض كل مهرب من الجزالة مالا غاية وراءه فلله در شأن التنزيل يأيها الذين آمنوا رجوع إلى بيان تتمة الأحكام السابقة بعد تمهيد ما يوجب الامتثال بالأوامر والنواهي الواردة فيها وفي الأحكام اللاحقة من التمثيلات والترغيب والترهيب والوعد والوعيد والخطاب إما للرجال خاصة وللنساء داخلات في الحكم بدلالة النص أو للفريقين جميعا بطريق التغليب روى أن غلام الأسماء بنت أبي مرثد دخل عليها في وقت كرهته فنزلت وقيل أرسل رسول الله صلى الله عليه و سلم مدلج بن عمرو الأنصاري وكان غلاما وقت الظهيرة ليدعو عمر رضي الله عنه فدخل عليه وهو نائم قد انكشف عنه ثوبه فقال عمر رضي الله عنه لودتت أن الله تعالى نهى آباءنا وأبناءنا وخدمنا أن لا يدخلوا علينا هذه الساعات إلا بإذن ثم انطلق معه إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فوجده وقد أنزلت عليه هذه الآية ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم من العبيد والجواري والذين لم يبلغوا الحلم أي الصبيان القاصرون عن درجة البلوغ المعهود والتعبير عنه بالحلم لكونه أظهر دلائله منكم أي من الأحرار ثلاث مرات أي ثلاثة أوقات في اليوم والليلة والتعبير عنها بالمرات للإيذان بأن مدار وجوب الاستئذان مقارنة تلك الأوقات لمرور المستأذنين بالمخاطبين لا أنفسها من قبل صلاة الفجر لظهور أنه وقت القيام من المضاجع وطرح ثياب النوم ولبس ثياب اليقظة ومحله النصب على أنه بدل من ثلاث مرات أو مرات أو الرع على أنه خبر لمبتدأ محذوف أي أحدها من قبل الخ وحين تضعون ثيابكم أي ثيابكم التي تلبسونها في النهار وتخلعونها لأجل القيلولة وقوله تعالى من الظهيرة وهي شدة الحر عند انتصاف النهار بيان للحين والصريح ! ! الأمر أعني وضع الثياب في هذا الحين دون الأول والآخر لما أن التجرد عن الثياب فيه لأجل القيلولة لقلة زمانها كما ينبئ عنها إيراد الحين مضافا إلى فعل حادث متقض ووقوعها في النهار الذي هو مئنة لكثرة الورود والصدور ومظنة لظهور الأحوال وبروز الأمور ليس من التحقق والإطراد بمنزله ما في الوقتين المذكورين فإن تحقق التجرد وإطراده فيهما أمر معروف لا يحتاج إلى التصريح به ومن بعد صلاة العشاء ضرورة أنه وقت التجرد عن اللباس والالتحاف باللحاف وليس المراد بالقبلية والبعدية المذكورتين مطلقهما المتحقق في الوقت الممتد المتخلل بين الصلاتين كما في قوله تعالى وإن كنت من قبله لمن الغافلين وقوله تعالى من بعد أن نزع الشيطان بيني وبين أخوتي بل ما يعرض منهما ." (٢)

" سورة النور ٦٢ المذكورة فسلموا على أنفسكم أي على أهلها الذين بمنزلة أنفسكم لما بينكم وبينهم من القرابة الدينية والنسبية الموجبة لذلك تحية من عند الله أي ثابتة بأمره مشروعة من لدنه ويجوز أن يكون صلة للتحية فإنها طلب

---

(١) تفسير أبي السعود، ١٨٢/٦

(٢) تفسير أبي السعود، ١٩٣/٦

الحياة التي هي من عنده تعالى وانتصابها على المصدرية لأنها بمعنى التسليم مباركة مستتبعة لزيادة الخير والثواب ودوامهما طيبة تطيب بها نفس المستمع وعن أنس رضي الله عنه أنه صلى الله عليه و سلم قال متى لقيت أحدا من أمتي فسلم عليه يطل عمرك وإذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فإنها صلاة الأبرار الأوابين كذلك يبين الله لكم الآيات تكرير لتأكيد الأحكام المختتمة به وتفخيمها لعلكم تعقلون أي ما في تضاعيفها من الشرائع والأحكام وتعملون بموجبها وتحوزون بذلك سعادة الدارين وفي تعليل هذا التبيين بهذه الغاية القصوى بعد تذييل الأولين بما يوجبهما من الجزالة ما لا يخفى إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله استئناف جئ به في أواخر الأحكام السابقة تقريرا لها وتأكيدا لوجوب مراعاتها وتكميلا لها ببيان بعض آخر من جنسها وإنما ذكر الإيمان بالله ورسوله في حيز الصلة للموصول الواقع خبرا للمبتدأ مع تضمنه له قطعا تقرير لما قبله وتمهيدا لما بعده وإيذانا بأنه حقيق بأن يجعل قرينا للإيمان بهما منتظما في سلكه فقوله تعالى وإذا كانوا معه على أمر جامع الخ معطوف على أمنوا داخل معه في حيز الصلة أي إنما الكاملون في الإيمان الذين آمنوا بالله ورسوله عن صميم قلوبهم وأطاعوهما في جميع الأحكام التي من جملتها ما فصل من قبل من الأحكام المتعلقة بعامة أحوالهم المطردة في الوقوع وأحوالهم الواقعة بحسب الاتفاق كما إذا كانوا معه صلى الله عليه و سلم على أمر مهم يجب اجتماعهم في شأنه كالجمعة والأعياد والحروب وغيرها من الأمور الداعية إلى اجتماع أولي الآراء والتجارب ووصف الأمر بالجمع للمبالغة وقرئ أمر جميع لم يذهبوا أي من المجمع مع كون ذلك الأمر مما لا يوجب حضورهم لا محالة كما عند إقامة الجمعة ولقاء العدو بل يسوغ التخلف عنه حتى يستأذنوه صلى الله عليه و سلم في الذهاب لا على أن نفس الاستئذان غاية لعدم الذهاب بل الغاية هي الإذن المنوط برأيه صلى الله وعليه وسلم والاقتصار على ذكره لأنه الذي يتم من قبلهم وهو المعتبر في كمال الإيمان لا الإذن ولا الذهاب المترتب عليه واعتباره في ذلك لما أنه كالمصداق لصحته والمميز للمخلص فيه عن المنافق فإن ديدنه التسلل للفرار ولتعظيم ما في الذهاب بغير إذنه صلى الله عليه و سلم من الجناية وللتنبيه على ذلك عقب بقوله تعالى إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فقضى بأن المستأذنين هم المؤمنون بالله ورسوله كما حكم في الأول بأن الكاملين في الإيمان هم الجامعون بين الإيمان بهما وبين الاستئذان وفي أولئك من تفخيم شأن المستأذنين ما لا يخفى فإذا استأذنوك بيان لما هو وظيفته صلى الله عليه و سلم في هذا الباب إثر بيان ما هو وظيفة المؤمنين وأن الإذن عند الاستئذان ." (١)

" سورة الفرقان ١٩ وهم الجن والأصنام ولكن متعتهم وآباءهم استدارك مسوق لبيان أنهم هم الضالون بعد بيان تنزههم عن إضلالهم وقد نعى عليهم سوء صنيعهم حيث جعلوا أسباب الهداية أسبابا للضلالة أي ما أضللناهم ولكنك متعتهم وآباءهم بانواع النعم ليعرفوا حقها ويشكروها فاستغرقوا في الشهوات وانهمكوا فيها حتى نسوا الذكر أي غفلوا عن ذكرك أو عن التذكر في آلائك والتدبر في آياتك فجعلوا أسباب الهداية بسوء اختيارهم ذريعة إلى الغواية وكانوا أي في قضائك المبني على علمك الأزلي المتعلق بما سيصدر عنهم فيما لا يزال باختيارهم من الأعمال السيئة قوما بورا أي هالكين على أن بورا مصدر وصف به الفاعل مبالغة ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع أو جمع بائر كعوذ في جمع عائذ والجملة

---

(١) تفسير أبي السعود، ١٩٧/٦

اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله وقوله تعالى فقد كذبوكم حكاية لاحتجاجه تعالى على العبدة بطريق تلوين الخطاب وصرفه عن المعبودين عند تمام جوابهم وتوجيهه إلى العبدة مبالغة في تقريعهم وتبكيتهم على تقدير قول مرتب على الجواب أي فقال الله تعالى عند ذلك فقد كذبوكم المعبودون أيها الكفرة بما تقولون أي في قولكم إنهم آلهة وقيل في قولكم هؤلاء أضلونا ويأباه أن تكذيبهم في هذا القول لا تعلق له بما بعده من عدم استطاعتهم للصرف والنصر أصلا وإنما الذي يستتبعه تكذيبهم في زعمهم أنهم آلهتهم وناصروهم وأيا ما كان فالباء بمعنى في أو هي صلة للتكذيب على أن الجار والمجرور بدل اشتمال من الضمير المنصوب وقرئ بالياء أي كذبوكم بقولهم سبحانك الآية فما تستطيعون أي ما تملكون صرفا أي دفعا للعذاب عنكم بوجه من الوجه كما يعرف عنه التنكير أي لا بالذات ولا بالواسطة وقيل حيلة من قولهم إنه ليتصرف في أموره أي يحتال فهيا وقيل توبة ولا نصرا أي فردا من أفراد النصر لا من جهة أنفسكم ولا من جهة غيركم والفاء لترتيب عدم الاستطاعة على ما قبلها من التكذيب لكن لا على منى أنه لولاء لوجدت الاستطاعة حقيقة بل في زعمهم حيث كانوا يزعمون أنهم يدفعون عنهم العذاب وينصرونهم وفيه ضرب تهكم بهم وقرئ يستطيعون على صيغة الغيبة أي ما يستطيع آلهتكم أن يصرفوا عنكم العذاب أو يحتالوا لكم ولا ينصروكم وترتب ما بعد الفاء على ما قبلها كما مر بيانه ومن يظلم منكم أيها المكلفون كدأب هؤلاء حيث ركبوا متن المكابرة والعناد واستمروا على ما هم عليه من الفساد وتجاوزوا في اللجاج كل حد معتاد نذقه في الآخرة عذابا كبيرا لا يقادر قدره وهو عذاب النار وقرئ يذقه على أن الضمير لله سبحانه وتعالى وقيل لمصدر الفعل الواقع شرطا وتعميم الظلم لا يستلزم اشتراك الفاسق للكافر في إذاقة العذاب الكبير فإن الشرط في اقتضاء الجزاء مقيد بعدم المزاحم وفاقا وهو التوبة والإحباط بالطاعة إجماعا وبالعفو عندنا ." (١)

" سورة الفرقان ٢٥ ٢٧ ويوم تشقق السماء اي تتفتح واصله تتشقق فحذفت إحدى التاءين كما في تلظى وقرئ بإدغام التاء في الشين بالغمام بسبب طلوع الغمام منها وهو الغمام الذي ذكر في قوله تعالى هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة قيل هو غمام أبيض رقيق مثل الضبابة لم يكن إلا لبني إسرائيل ونزل الملائكة تنزيلا أي تنزيلا عجيبا غير معهود قيل تنشق سماء سماء وينزل الملائكة خلال ذلك الغمام بصحائف أعمال العباد وقرئ ونزلت الملائكة وننزيل وتنزل على صيغة المتكلم من الإنزال والتنزيل ونزل الملائكة وأنزل الملائكة ونزل الملائكة على حذف النون الذي هو فاء الفعل من تنزل الملك يومئذ الحق للرحمن اي السلطنة القاهرة والإستيلاء الكلى العام الثابت صورة ومعنى ظاهرا وباطنا بحيث لا زوال له أصلا ثابت للرحمن يؤمئذ فالملك مبتدأ والحق صفته وللرحمن خبرة ويومئذ ظرف لثبوت الخبر للمبتدأ وفائدة التقييد أن ثبوت الملك المذكور له تعالى خاصة يومئذ وأما فيما عداه من ايام الدنيا فيكون لغيره أيضا تصرف صوري في الجملة وقيل الملك مبتدأ والحق خبره وللرحمن متعلق بالحق أو بمحذوف على التبيين أو بمحذوف هو صفة للحق ويومئذ معمول للملك وقيل الخبر يومئذ والحق نعت للملك وللرحمن على ما ذكر وأيا ما كان فالجملة بمعناها عاملة في الظرف أي ينفرد الله تعالى بالملك يوم تشقق وقيل الظرف منصوب بما ذكر فالجملة حينئذ استئناف مسوق لبيان أحواله وأهواله وإيراده تعالى بعنوان الرحمانية للإيذان بأن اتصافه تعالى بغاية الرحمة لا يهون الخطب على الكفرة لعدم استحقاقهم للرحمة كما في

(١) تفسير أبي السعود، ٢٠٩/٦

قوله تعالى يأيها الإنسان ما غرك بربك الكريم والمعنى أن الملك الحقيقي يومئذ للرحمن وكان ذلك اليوم مع كون الملك فيه لله تعالى المبالغ في الرحمة لعباده يوما على الكافرين عسيرا شديدا لهم وتقديم الجار والمجرور لمراعاة الفواصل وأما للمؤمنين فيكون يسيرا بفضل الله تعالى وقد جاء في الحديث انه يهون يوم القيامة على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة صلاها في الدنيا والجملة اعتراض **تذييلي** مقرر لما قبله ويوم يعض الظالم على يديه عض اليدين والأنامل وأكل البنان وحرق الأسنان ونحوها كنايات عن الغيظ والحسرة لأنها من رواد فهما والمراد بالظالم إما عقبة بن أبي معيط على ما قيل من أنه كان يكثر مجالسة النبي صلى الله عليه و سلم فدعاه صلى الله عليه و سلم يوما إلى ضيافته فأبى صلى الله عليه و سلم أن يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان أبي بن خلف صديقه فعاتبه فقال صبأت فقال لا ولكن أبى أن يأكل من طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه فشهدت له فقال إني لا أرضى منك إلا ان تأتيه فتطأ قفاه وتبزق في وجهه فوجده ساجدا في دار الندوة ففعل ذلك فقال صلى الله عليه و سلم لا ألقاك خارجا من مكة إلا علوت رأسك بالسيف فأسر يوم بدر فأمر ." (١)

" سورة النمل ٣٢ ٣٥ قالت كررت حكاية قولها للإيذان بغاية اعتنائها بما في حيزه من قولها يأيها الملأ أفتوني في أمري أي اجيبوني في أمري الذي حزبني وذكرت لكم خلاصته وعبرت عن الجواب بالفتوى التي هي الجواب في الحوادث المشكلة غالبا تهويلا للأمر ورفعا لمحلهم بالإشعار بأنهم قادرون على حل المشكلات الملمة وقولها ما كنت قاطعة أمرا أي من الأمور المتعلقة بالملك حتى تشهدون أي إلا بمحضركم وبموجب آرائكم استعطاف لهم واستمالة لقلوبهم لئلا يخالفوها في الرأي والتدبير قالوا استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية قولها كأنه قيل فماذا قالوا في جوابها فقيل قالوا نحن أولو قوة في الأجساد والآلات والعدد وأولو بأس شديد أي نجدة وشجاعة مفرطة وبلاء في الحرب والأمر إليك أي هو موكول إليك فانظري ماذا تأمرين ونحن مطيعون لك فمرينا بأمرك نمتثل به ونتبع رأيك وأرادوا نحن من أبناء الحرب لا من أبناء الرأي والمشورة وإليك الرأي والتدبير فانظري ماذا ترين نكن في الخدمة فلما أحست منهم الميل إلى الحراب والعدول عن سنن الصواب شرعت في تزييف مقلتهم المبنية على الغفلة عن شأن سليمان عليه السلام وذلك قوله تعالى قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية من القرى على منهاج المقاتلة والحراب أفسدوها بتخريب عماراتها وإتلاف ما فيها من الأموال وجعلوا أعزة أهلها أذلة بالقتل والأسر والإجلاء وغير ذلك من فنون الإهانة والإذلال وكذلك يفعلون تأكيد لما وصفت من حالهم بطريق الاعتراض **التذييلي** وتقرير له بأن ذلك عادتهم المستمرة وقيل تصديق لها من جهة الله تعالى على طريقة قوله تعالى ولو جئنا بمثله مددا إثر قوله تعالى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي وإني مرسلة إليهم بهدية تقرير لرأيها بعدما زيفت آراءهم وأتت بالجملة الاسمية الدالة على الثبات المصدرة بحرف التحقيق للإيذان بأنها مزمعة على رأيها لا يلويها عنه صارف ولا يثنيها عاطف أي وإني مرسلة إليهم رسلا بهدية عظيمة فناظرة بم يرجع المرسلون حتى أعمل بما يقتضيه الحال روى أنها بعثت خمسمائة غلام عليهم ثياب الجواري وحليهن الأساور والأطواق والقرطة راكبي خيل مغشاة بالديباج محلاة اللجم والسروج بالذهب المرصع بالجواهر وخمسمائة جارية على رماك في زي الغلمان وألف لبنة من ذهب وفضة وتاجا مكللا بالدر

(١) تفسير أبي السعود، ٢١٣/٦

والياقوت المرتفع والمسك والعنبر وحقا فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وبعثت رجلا من أشراف قومها المنذر بن عمرو وآخر ذار أي وعقل وقالت إن كان نبيا ميز بين الغلمان والجواري وثقب الدرة نقبا مستويا وسلك في الخرزة خيطا ثم قالت للمنذر إن نظر إليك نظر غضبان فهو ملك فلا يهولنك ." (١)

" سورة النمل ٦٢ ٦٣ وجعل لها رواسي أي جبالا ثوابت تمنعها أن تميد بأهلها ويتكون فيها المعادن وينبع في حضيضها الينابيع ويتعلق بها من المصالح مالا يحصى وجعل بين البحرين أي العذب والمالح أو خليجي فارس والروم حاجزا برزخا مانعا من الممازجة وقد مر في سورة الفرقان والجعل في المواقع الثلاثة الأخيرة إبداعي وتأخير مفعوله عن الظرف لما مر مرارا من التشويق أإله مع الله في الوجود أو في إبداع هذه البدائع على ما مر بل أكثرهم لا يعلمون أي شيئا من الأشياء ولذلك لا يفهمون بطلان ما هم عليه من الشرك مع كمال ظهوره أم من يجيب المضطر إذا دعاه وهو الذي أحوجته شدة من الشدائد وألجأته إلى اللجأ والضراعة إلى الله عز و جل اسم مفعول من الاضطرار الذي هو افتعال من ا لضرورة وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هو المجهود وعن السدى رحمه الله تعالى من لا حول له ولا قوة وقيل المذنب إذا استغفر واللام للجنس لا للاستغراق حتى يلزم إجابة كل مضطر ويكشف السوء وهو الذي يعترى الإنسان مما يسوؤه ويجعلكم خلفاء الأرض أي خلفاء فيها بان ورثكم سكناها والتصرف فيها ممن قبلكم من الأمم وقيل المراد بالخلافة الملك والتسلط أإله مع الله الذي يفيض على كافة الأنام هذه النعم الجسام قليلا ما تذكرون أي تذكرا قليال أو زمانا قليلا تتذكرون وما مزيدة لتأكيد معنى القلة التي أريد بها العدم أو ما يجري مجراه في الحقارة وعدم الجدوى وفي **تذييل** الكلام بنفي التذكر عنهم إيذان بأن مضمونه مركوز في ذهن كل ذكي وغبي وأنه من الوضوح بيحث لا يتوقف إلا على التوجه إليه وتذكره وقرئ تتذكرون على الأصل وتذكرون ويذكرون بالتاء والياء مع الإدغام أم من يهديكم في ظلمات البر والبحر أي في ظلمات الليالي فيهما على أن الإضافة للملابسة أو في مشتبهات الطرق يقال طريقة ظلماء وعمياء للتي لا منار بها ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته وهي المطر ولئن صح أن السبب الأكثري في تكون الريح معاودة الأدخنة الصاعدة من الطبقة الباردة لانكسار حرها وتمويجها للهواء فلا ريب في أن الأسباب الفاعلية والقابلية لذلك كله من خلق الله عز و جل والفاعل للسبب فاعل للمسبب قطعا أإله مع الله نفى لان يكون معه إله آخر وقوله تعالى تعالى الله عما يشركون تقرير وتحقيق له وإظهار الاسم الجليل في موقع الإضمار للإشعار بعلة الحكم أي تعالى وتنزه بذاته المنفردة بالألوهية المستتبعة لجميع صفات الكمال ونعوت الجمال والجلال المقتضية لكون كل المخلوقات مقهورا تحت قدرته عما يشركون أي عن وجود ما يشركونه به تعالى لا مطلقا فإن وجوده مما لا مرد له بل عن ." (٢)

" سورة النمل ٩٣ وقل الحمد لله أي على ما أفاض على من نعمائه التي أجلها نعمة النبوة المستتبعة لفنون النعم الدينية والدنيوية ووفقني لتحمل أعبائها وتبليغ أحكامها إلى كافة الورى بالآيات البينة والبراهين النيرة وقوله تعالى سيريكم آياته من جملة الكلام المأمور به أي سيريكم البتة في الدنيا آياته الباهرة التي نطق بها القرآن كخروج الدابة وسائر الأشراط

---

(١) تفسير أبي السعود، ٢٨٤/٦

(٢) تفسير أبي السعود، ٢٩٥/٦

وقد عد منها وقعة بدر ويأباه قوله تعالى فتعرفونها أي فتعرفون أنها آيات الله تعالى حين لا تنفعكم المعرفة لأنهم لا يتعرفون بكون وقعة بدر كذلك وقيل سيريكم في الآخرة وقوله تعالى وما ربك بغافل عما تعلمون كلام مسوق من جهته تعالى بطريق **التذييل** مقرر لما قبله متضمن للوعد والوعيد كما ينبئ عنه إضافة الرب إلى ضمير النبي صلى الله عليه و سلم وتخصيص الخطاب أولا به صلى الله عليه و سلم وتعميمه ثانيا للكفرة تغليبا أي وما ربك بغافل عما تعمل أنت من الحسنات وما تعملون أنتم أيها الكفرة من السيئات فيجازي كلا منكم بعمله لا محالة وقرئ عما يعملون على الغيبة فهو وعيد محض والمعنى وما ربك بغافل عن أعمالهم فسيعذبهم البتة فلا يحسبوا أن تأخير عذابهم لغفلته تعالى عن أعمالهم الموجبة له والله تعالى أعلم عن النبي صلى الله عليه و سلم من قرأ سورة طس كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بسليمان وهو وصالح وإبراهيم وشعيب عليهم الصلاة والسلام ومن كذب بهم ويخرج من قبره وهو ينادي لا له إلا الله

تم بحمد الله الجزء السابع ويليه الجزء الثامن وأوله سورة القصص قوله فإن ربك غفور رحيم التلاوة فإن الله غفور رحيم وحينئذ فلا حاجة لبيان نكتة التعبير بالربوبية المضافة إلى ضميره عليه الصلاة و السلام بقوله وفي التعرض لوصف الربوبية الخ ." (١)

" الروم ٩ ١٠ وانه لابد لها من انتهاء الى وقت يجازيها فيه الحكيم الذي دبر امرها على الاحسان احسانا وعلى الاساءة مثلها حتى يعلموا عند ذلك ان سائر الخلائق كذلك امرها جار على الحكمة والتدبير وانه لا بد لها من الانتهاء الى ذلك الوقت وانت خبير بأن امر معاد الانسان ومجازاته بما عمل من الاساءة والاحسان هو المقصود بالذات والمحتاج الى الاثبات فجعله ذريعة الى اثبات معاد ما عداه مع كونه بمعزل من الجزاء تعكيس للامر فتدبر قوله تعالى وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون **تذييل** مقرر لما قبله ببيان ان اكثرهم غير مقتصرين على ما ذكر من الغفلة عن احوال الآخرة والاعراض عن التفكر فيما يرشدهم الى معرفتها من خلق السموات والارض وما بينهما من المصنوعات بل هم منكرون جاحدون بلقاء حسابه تعالى وجزائه بالبعث او لم يسيروا توبيخ لهم بعدم اتعاظهم بمشاهدة احوال امثالهم الدالة على عاقبتهم ومآ لهم والهمزة لتقرير المنفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي اقعدوا في اماكنهم ولم يسيروا في الارض وقوله تعالى فينظروا عطف على يسيروا داخل في حكم التقرير والتوبيخ والمعنى انهم قد ساروا في اقطار الارض وشاهدوا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من الامم المهلكة كعاد وثمود وقوله تعالى كانوا اشد منهم قوة الخ بيان لمبدا احوالهم ومآ لها يعني انهم كانوا اقدر منهم على التمتع بالحياة الدنيا حيث كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض أي قلبوها للزراعة والحرث وقيل لاستنباط المياه واستخراج المعادن وغير ذلك وعمروها أي عمرها اولئك بفنون العمارات من الزراعة والغرس والبناء وغيرها مما يعد عمارة لها اكثر مما عمروها أي عمارة اكثر كما وكيفا وزمانا من عمارة هؤلاء اياها كيف لا وهم اهل واد غير ذي زرع لاتبسط لهم في غيره وفيه تهكم بهم حيث كانوا مغترين بالدنيا مفتخرين بمتاعها مع ضعف حالهم وضيق عطنهم اذ مدار امرها على التبسط في البلاد والتسلط على العباد والتقلب في اكناف الارض بأصناف التصرفات وهم ضعفة ملجئون الى واد لا نفع فيه يخافون ان يتخطفهم الناس وجاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات او الآيات الواضحات فما كان الله ليظلمهم أي

---

(١) تفسير أبي السعود، ٣٠٧/٦

فكذبوهم فأهلكهم فما كان الله ليهلكهم من غير جرم يستدعيه من قبلهم والتعبير عن ذلك بالظلم مع ان اهلاكه تعالى اياهم بلا جرم ليس من الظالم في شيء على ما تقرر من قاعدة اهل السنة لاظهار كمال نزاهته تعالى عن ذلك بإبرازه في معرض ما يستحيل صدروه عنه تعالى وقد مر في سورة الانفال وسورة آل عمران ولكن كانوا انفسهم يظلمون بأن اجترءوا علىاقتراف ما يوجبه من المعاصي العظيمة ثم كان عاقبة الذين اساءوا أي عملوا السيئات ." (١)

" الروم ٢٢ لاجلكم من انفسكم ازواجا فإن خلق اصل ازواجكم حواء من ضلع آدم عليه السلام متضمن لخلقهن من انفسكم على ما عرفته من التحقيق او من جنسكم لا من جنس آخر وهو الاوفق لقوله تعالى لتسكنوا اليها أي لتألفوها وتميلوا اليها وتطمئنوا بها فإن المجانسة من دواعي التضام والتعارف كما ان المخالفة من اسباب التفرق والتنافر وجعل بينكم أي بين الازواج اما على تغليب الرجال على النساء في الخطاب او على حذف ظرف معطوف على الظرف المذكور أي جعل بينكم وبينهن كما مر في قوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله وقيل او بين افراد الجنس أي بين الرجال والنساء ويأباه قوله تعالى مودة ورحمة فإن المراد بهما ما كان منهما بعصمة الزواج قطعا أي جعل بينكم بالزواج الذي شرعه لكم توادا وتراحما من غير ان يكون بينكم سابقة معرفة ولا رابطة مصححة للتعاطف من قرابة او رحم قيل المودة والرحمة من قبل الله تعالى والفرك من الشيطان وعن الحسن رحمه الله المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد كما قال تعالى ورحمة منا ان في ذلك أي فيما ذكر من خلقهم من تراب وخلق ازواجهم من انفسهم والقاء المودة والرحمة بينهم وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للاشعار ببعد منزلته لآيات عظيمة لا يكتنه كنهها كثيرة لا يقادر قدرها لقوم يتفكرون في تضاعيف تلك الافاعيل المتينة المبنية على الحكم البالغة والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبله مع التنبيه على ان ما ذكر ليس بآية فذة كما ينبيء عنه قوله تعالى و من آياته بل هى مشتملة على آيات شتى ومن آياته الدالة على ما ذكر من امر البعث وما يتلوه من الجزاء خلق السموات والارض اما من حيث ان القادر على خلقهما بما فيهما من المخلوقات بلا مادة مستعدة لها اظهر قدرة على إعادة ما كان حيا قبل ذلك واما من حيث ان خلقهما ومافيهما ليس الا لمعاش البشر ومعادة كما يفصح عنه قوله تعالى هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا و قوله تعالى وهو الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا واختلاف السنتكم أي لغاتكم بأن علم كل صنف لغته والهمه وضعها واقدره عليها او اجناس نطقكم وإشكاله فإنك لا تكاد تسمع منطقين متساويين في الكيفية من كل وجه والوانكم ببياض الجلد وسواده وتوسطه فيما بينهما او تخطيطات الاعضاء وهيآتها والوانها وحلاها بحيث وقع بها التمايز بين الاشخاص حتى ان التوامين مع توافق موادهما واسبابهما والامور المتلاقية لهما في التخليق يختلفان في شيء من ذلك لا محالة وان كانا في غاية التشابه وانما نظم هذا في سلك الآيات الآفاقية من خلق السموات والارض مع كونه من الآيات الانفسية الحقيقة بالانتظام في سلك ما سبق من خلق انفسهم وازواجهم للايذان باستقلاله والاحتراز عن توهم كونه من تتمات خلقهم ان

---

(١) تفسير أبي السعود، ٥٢/٧

في ذلك أي فيما ذكر من خلق السموات والارض واختلاف الالسنة والالوان لآيات عظيمة في انفسها كثيرة في عددها للعالمين أي المتصفين بالعلم كما في قوله تعالى وما يعقلها ." (١)

" الروم ٥١ ٥٣ بالتوحيد وقوله تعالى كيف يحيي أي الله تعالى الأرض بعد موتها في حيز النصب بنزع الخافض وكيف معلق لانظر أي فانظر الى احيائه البديع للارض بعد موتها وقيل على الحالية بالتأويل وايا ما كان فالمراد بالامر بالنظر التنبيه على عظم قدرته تعالى وسعة رحمته ما فيه من التمهيد لما يعقبه من امر البعث وقرىء تحي بالتأنيث على الاسناد الى ضمير الرحمة ان ذلك العظيم الشأن الذي ذكر بعض شئونه لمحي الموتى لقادر على احيائهم فإنه احداث لمثل ما كان في مواد ابدانهم من القوى الحيوانية كما ان احياء الارض احداث لمثل ما كان فيها من القوى النباتية او لمحييهم البتة وقوله تعالى وهو على كل شيء قدير تذييل مقرر لمضمون ما قبله أي مبالغ في القدرة على جميع الاشياء التي من جملتها احياؤهم لما ان نسبة قدرته الى الكل سواء ولئن ارسلنا ريحا فراوه أي الاثر المدلول عليه بالآثار او النبات المعبر عنه بالآثار فإنه اسم جنس يعم القليل والكثير مصفرا بعد خضرته وقد جوز ان يكون الضمير للسحاب لانه اذا كان مصفرا لم يمطر ولا يخفي بعده واللام في لئن موطئة للقسم دخلت على حرف الشرط والفاء في فراوه فصيحة واللام في قوله تعالى لظلموا لام جواب القسم ساد مسد الجوابين أي وبالله لئن ارسلنا ريحا حارة او باردة فضربت زرعهم بالصفار فراوه مصفرا ليظلن من بعده يكفرون من غير تلعثم وفيه من ذمهم بعد تثبيتهم وسرعة تزلزلهم بين طرفي الافراط والتفريط مالا يخفي حيث كان الواجب عليهم ان يتوكلوا على الله تعالى في كل حال ويلجئوا اليه بالاستغفار اذا احتبس عنهم القطر ولا ييأسوا من روح الله تعالى ويبادروا الى الشكر بالطاعة اذا اصابهم برحمته ولا يفرطوا في الاستبشار وان يصبروا على بلائه اذا اعترى زرعهم آفة ولا يكفروا بنعمائه فعكسوا الامر وابوا ما يجديهم واتوا بما يرديهم فإنك لا تسمع الموتى لما انهم مثلهم لانسداد مشاعرهم عن الحق ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين تقييد الحكم بما ذكر لبيان كمال سوء حال الكفرة والتنبيه على انهم جامعون لخصلتي السوء نبو اسماعهم عن الحق واعراضهم عن الاصغاء اليه ولو كان فيهم احداهما لكفاهم ذلك فكيف وقد جمعوهما فإن الاصم المقبل الى المتكلم ربما يفطن من اوضاعه وحركاته لشيء من كلامه وان لم يسمعه اصلا واما اذا كان معرضا عنه فلا يكاد يفهم منه شيئا وقرىء بالياء المفتوحة ورفع الصم وما انت بهادي العمى عن ضلالتهم سموا عميا اما لفقدهم المقصود الحقيقي من الابصار او لعمى قلوبهم وقرىء تهدي العمى ان تسمع أي ما تسمع الا من يؤمن بآياتنا فإن ايمانهم يدعوهم الى التدبر فيها وتلقيها بالقبول او الا من يشارف الايمان بها ويقبل عليها اقبالا لائقا فهم مسلمون منقادون لما تأمرهم به من الحق ." (٢)

" السجدة ٧ ٩ الرحيم على عباده وهما خبران آخران وفيه ايماء الى انه تعالى متفضل في جميع ما ذكر فاعل بالاحسان الذي احسن كل شيء خلقه خبر آخر او نصب على المدح أي حسن كل مخلوق خلقه اذ ما من مخلوق خلقه الا وهو مرتب على ما تقتضيه الحكمة واوجبته المصلحة فجميع المخلوقات حسنة وان تفاوتت الى حسن واحسن كما قال تعالى

---

(١) تفسير أبي السعود، ٥٦/٧

(٢) تفسير أبي السعود، ٦٥/٧

لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وقيل علم كيف يخلقه من قوله قيمة المرء ما يحسن أي يحسن معرفته أي يعرفه معرفة حسنة بتحقيق وايقان وقرىء خلقه على انه بدل اشتمال من كل شيء والضمير للمبدل منه أي حسن خلق كل شيء وقيل بدل الكل على ان الضمير لله تعالى والخلق بمعنى المخلوق أي حسن كل مخلوقاته وقيل هو مفعول ثان لاحسن على تضمينه معنى اعطى أي اعطى كل شيء خلقه اللائق به بطريق الاحسان والتفضل وقيل هو مفعوله الاول وكل شيء مفعوله الثاني والخلق بمعنى المخلوق وضميره لله سبحانه على تضمين الاحسان معنى الالهام والتعريف والمعنى الهم خلقه كل شيء مما يحتاجون اليه وقال ابو البقاء عرف مخلوقاته كل شيء يحتاجون اليه فيؤول الى معنى قوله تعالى الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى وبدا خلق الانسان من بين جميع المخلوقات من طين على وجه بديع تحار العقول في فهمه حيث برا آدم عليه السلام على فطرة عجيبة منطوية على فطرة سائر افراد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لخروج كل فرد منها من القوة الى الفعل بحسب استعداداتها المتفاوتة قربا وبعدا كما ينبيء عنه قوله تعالى ثم جعل نسله الخ أي ذريته سميت بذلك لانها تنسل وتنفصل منه من سلالة من ماء مهين هو المني الممتهن ثم سواه أي عدله بتكميل اعضائه في الرحم وتصويرها على ما ينبغي ونفخ فيه من روحه اضافه اليه تعالى تشريفا له وايذانا بأنه خلق عجيب وصنع بديع وان له شأنا له مناسبة الى حضرة الربوبية وان اقصى ما تنتهي اليه العقول البشرية من معرفته هذا القدر الذي يعبر عنه تارة بالاضافة اليه تعالى واخرى بالنسبة الى امره تعالى كما في قوله تعالى قل الروح من امر ربي وجعل لكم السمع والابصار والافئدة الجعل ابداعي واللام متعلقة به والتقديم على المفعول الصريح لما مر مرات من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر مع ما فيه من نوع طول يخل تقديمه بجزالة النظم الكريم أي خلق لمنفعتكم تلك المشاعر لتعرفوا انها مع كونها في انفسها نعما جليلة لا يقادر قدرها وسائل الى التمتع بسائر النعم الدينية والدنيوية الفائضة عليكم وتشكروها بأن تصرفوا كلا منها الى ما خلق هو له فتدركوا بسمعكم الآيات التنزيلية الناطقة بالتوحيد والبعث و بأبصاركم الآيات التكوينية الشاهدة بهما وتستدلوا بأفئدتكم على حقيقتهما وقوله تعالى قليلا ما تشكرون بيان لكفرهم بتلك النعم بطريق الاعتراض **التذييلي** على ان القلة بمعنى ." (١)

" الاحزاب ٣٨ للإسلام وتوفيقك لحسن تربيته ومراعاته وأنعمت عليه بالعمل بما وفقك الله له من فنون الاحسان التي من جملتها تحريره وهو زيد بن حارثة وإيراده بالعنوان المذكور لبيان منافاة حالة لما صدر عنه من إظهار خلاف ما في ضميره إذ هو إنما يقع عند الاستحياء او الاحتشام وكلاهما مما لا يتصور في حق زيد امسك عليك زوجك أي زينب وذلك أنه ابصرها بعد ما أنكحها إياه فوقعت في نفسه حالة جبلية لا يكاد يسلم منها البشر فقال سبحان الله مقلب القلوب وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرتها لزيد ففطن لذلك ووقع في نفسه كراهة صحبتها فاتى النبي وقال اريد ان افارق صاحبتي فقال مالك أرابك منها شئ قال لا والله ما رأيت منها إلا خيرا ولكنها لشرفها تتعظم على فقال له امسك عليك زوجك واتق الله في امرها فلا تطلقها إضرارا وتعللا بتكبرها وتخفى في نفسك ما الله مبديه وهو نكاحها إن طلقها أو إرادة طلاقها وتخشى الناس تعييرهم إياك به والله احق ان تخشاه إن كان فيه ما يخشى والواو للحال وليست المعاتبة على الاخفاء وحده بل على الاخفاء مخافة قالة الناس وإظهار ما ينافى إضمار فإن الاولى في أمثال ذلك أن يصمت او يفوض الامر الى ربه

---

(١) تفسير أبي السعود، ٨١/٧

فلما قضى زيد منها وطرا بحيث لم يبق له فيها حاجة وطلقها وانقضت عدتها وقيل قضاء الوطر كناية عن الطلاق مثل لا حاجة لي فيك زوجناكها وقرئ زوجتكها والمراد الأمر بتزويجها منه وقيل جعلها زوجته بلا واسطة عقد ويؤيده أنها كانت تقول لسائر نساء النبي إن الله تعالى تولى نكاحى وانتن زوجكن اولياؤكن وقيل كان زيد السفير في خطبتها وذلك ابتلاء عظيم وشاهد عدل بقوة إيمانه لكيلا يكون على المؤمنين حرج ضيق ومشقة في أزواج ادعيائهم أي في حق تزوجهن إذا قضوا منهن وطرا فإن لهم في رسول الله أسوة حسنة وفيه دلالة على ان حكمه وحكم الامة سواء إلا ما خصه الدليل وكان امر الله أي ما يرتد تكوينه من الامور أو مأموره الخاص بكن مفعولا مكونا لا محالة اعتراض **تذييلى** مقرر لما قبله ما كان على النبي من حرج أي ما صح وما استقام في الحكمة ان يكون له ضيق فيما فرض الله له أي قسم له وقدر من قولهم فرض له في الديوان كذا ومنه فروض العساكر لأعطياتهم سنة الله اسم موضوع موضع المصدر كقولهم ترابا وجندلا مؤكد لما قبله من نفى الحرج أي سن الله ذلك سنة في الذين خلوا مضوا من قبل من الانبياء عليهم الصلاة والسلام حيث وسع عليهم في باب النكاح وغيره ولقد كانت لداود عليه السلام مائة امرأة وثلثمائة سرية ولسليمان عليه السلام ثلثمائة امرأة وسبعمائة وقوله تعالى وكان امر الله قدرا مقدورا أي قضاء مقضيا وحكما مبتوتا اعتراض وسط بين الموصولين الجاريين مجرى الواحد للمسارعة الى تقرير نفى الحرج وتحقيقه ." (١)

" الاحزاب ٤٦ ٤٩ فيما لهم وما عليهم وهو حال مقدرة ومبشرا ونذيرا تبشر المؤمنين بالجنة وتنذر الكافرين بالنار وداعيا الى الله أي الى الاقرار به وبوحدانيته وبسائر ما يجب الايمان به من صفاته وافعاله بإذنه أي بتيسيره اطلق عليه مجازا لما انه من اسبابه وقيد به الدعوة ايذانا بأنها امر صعب المنال وخطب في غاية الاعضال لا يتأتي الا بإمداد من جناب قدسه كيف لا وهو صرف للوجوه عن القبل المعبودة وادخال الاعناق في قلادة غير معهودة وسراجا منيرا يستضاء به في ظلمات الجهل والغواية ويهتدي بأنواره الى مناهج الرشد والهداية وبشر المؤمنين عطف على مقدر يقتضيه المقام ويستدعيه النظام كأنه قيل فراقب احوال الناس وبشر المؤمنين منهم بأن لهم من الله فضلا كبيرا أي على مؤمني سائر الامم في الرتبة والشرف او زيادة على اجور اعمالهم بطريق التفضل والاحسان ولا تطع الكافرين والمنافقين نهى عن مداراتهم في امر الدعوة واستعمال لين الجانب في التبليغ والمسامحة في الانذار كنى عن ذلك بالنهي عن طاعتهم مبالغة في الزجر والتنفير عن المنهي عنه بنظمه في سلكها وتصويره بصورتها ومن حمل النهي على التهييج والالهاب فقد ابعد عن التحقيق بمراحل ودع اذاهم أي لاتبال بأذيتهم لك بسبب تصلبك في الدعوة والانذار وتوكل على الله في كل ما تأتي وما تذر من الشئون التي من جملتها هذا الشأن فإنه تعالى يكفيكهم وكفى بالله وكيلا موكولا اليه الامور في كل الاحوال واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لتعليل الحكم وتأكيد استقلال الاعتراض **التذييل** ولما وصف بنعوت خمسة قوبل كل منها بخطاب يناسبه خلا انه لم يذكر مقابل الشاهد صريحا وهو الامر بالمراقبة ثقة بظهور دلالة مقابل المبشر عليه وهو الامر بالتبشير حسبما ذكر آنفا وقوبل النذير بالنهي عن مداراة الكفار والمنافقين والمسامحة في انذارهم كما تحققته وقوبل الداعي الى الله بإذنه بالامر بالتوكل عليه من حيث انه عبارة عن الاستمداد منه تعالى والاستعانة به وقوبل السراج المنير بالاكتفاء به تعالى فإن من ايده الله تعالى

---

(١) تفسير أبي السعود، ١٠٥/٧

بالقوة القدسية ورشحه للنبوة وجعله برهانا نيرا يهدي الخلق من ظلمات الغي الى نور الرشاد حقيق بأن يكتفي به عن كل ما سواه يأيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن أي تجامعوهن وقرىء تماسوهن بضم التاء فما لكم عليهن من عدة بأيام يتربصن فيها بأنفسهن تعتدونها تستوفون عددها من عددت الدراهم فاعتدها وحقيقته عدها لنفسه وكذلك كلته فاكتاله والاسناد الى الرجال للدلالة على ان العدة حق ." (١)

" فاطر ٢ ٣ إسرافيل له اثنا عشر جناحا جناح منها بالمشرق وجناح منها بالمغرب وإن العرش على كاهله وإنه ليتضاءل الأحايين لعظمة الله عز و جل حتى يعود مثل الوصع وهو العصفور الصغير يزيد في الخلق ما يشاء استئناف مقرر لما قبله من تفاوت أحوال الملائكة في عدد الأجنحة ومؤذن بأن ذلك من أحكام مشيئته تعالى لا لأمر راجع الى ذواتهم ببيان حكم كلى ناطق بأنه تعالى يزيد في أي خلق كان كل ما يشاء ان يزيده بموجب مشيئته ومقتضى حكمته من الامور التي لا يحيط بها الوصف وما روى عن النبي من تخصيص بعض المعاني بالذكر من الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن فبيان لبعض المواد المعهودة بطريق التمثيل لا بطريق الحصر فيها وقوله تعالى إن الله على كل شئ قدير تعليل بطريق التحقيق للحكم المذكور فإن شمول قدرته تعالى لجميع الاشياء مما يوجب قدرته تعالى على أن يزيد كل ما يشاؤه إيجابا بينا ما يفتح الله للناس من رحمة عبر عن إرسالها بالفتح إيذانا بأنها أنفس الخزائن التي يتنافس فيها المتنافسون وأعزها منالا وتنكيرها للاشاعة والابهام أي أي شئ يفتح الله من خزائن رحمته أية رحمة كانت من نعمة وصحة وأمن وعلم وحكمة الى غير ذلك مما لا يحاط به فلا ممسك لها أي لا أحد يقدر على إمساكها وما يمسك أي أي شئ يمسك فلا مرسل له أي لا أحد يقدر على إرساله واختلاف الضميرين لما أن مرجع الأول مفسر بالرحمة ومرجع الثاني مطلق يتناولها وغيرها كائنا ما كان وفيه إشعار بأن رحمته سبقت غضبه من بعده أي من بعد إمساكه وهو العزيز الغالب على كل ما يشاء من الامور التي من جملتها الفتح والإمساك الحكيم الذي يفعل كل ما يفعل حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة والجملة **تذييل** مقرر لما قبلها ومعرب عن كون كل من الفتح والامساك بموجب الحكمة التي عليها يدور امر التكوين وبعد ما بين سبحانه انه الموجد للملك والملكوت والمتصرف فيهما بالقبض والبسط من غير أن يكون لأحد في ذلك دخل ما بوجه من الوجوه أمر الناس قاطبة أو أهل مكة خاصة بشكر نعمه فقال يأيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم أي إنعامه عليكم إن جعلت النعمة مصدرا أو كائنه عليكم إن جعلت اسما أي رأعوها وأحفظوها بمعرفة حقها والاعتراف بها وتخصيص العبادة والطاعة بموليها ولما كانت نعم الله تعالى مع تشعب فنونها منحصرة في نعمة الايجاد ونعمة الابقاء نفى ان يكون في الوجود شئ غيره تعالى يصدر عنه إحدى النعمتين بطريق الاستفهام الإنكارى المنادى باستحالة أن يجاب عنه بنعم فقال هل من خالق غير الله أي هل خالق مغاير له تعالى موجود على أن خالق مبتدأ محذوف الخبر زيدت عليه كلمة من لتأكيد العموم وغير الله نعت له باعتبار محله كما أنه نعت له في قراءة الجر باعتبار لفظه وقرئ ." (٢)

---

(١) تفسير أبي السعود، ١٠٨/٧

(٢) تفسير أبي السعود، ١٤٢/٧

" يس ٧٨ ٨٠ وضرب لنا مثلا معطوف حينئذ على الجملة المنفية داخل في حيز الانكار والتقبيح وأما على التقدير الاول فهو عطف على الجملة الفجائية والمعنى ففاجأ خصومتنا وضرب لنا مثلا أي أورد في شأننا قصة عجيبة في نفس الامر هي في الغرابة والبعد عن العقول كالمثل وهي إنكار إحيائنا العظام أو قصة عجيبة في زعمه واستبعدها وعدها من قبيل المثل وأنكرها أشد الإنكار وهي إحياؤنا إياها وجعل لنا مثلا ونظيرا من الخلق وقاس قدرتنا على قدرتهم ونفى الكل على العموم وقوله تعالى ونسى خلقه أي خلقنا إياه على الوجه المذكور الدال على بطلان ما ضربه إما عطف على ضرب داخل في حيز الانكار والتعجيب أو حال من فاعله بإضمار قد أو بدونه وقوله تعالى قال استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية ضربه المثل كأنه قيل أي مثل ضرب أو ماذا قال فقيل قال من يحيي العظام منكرا له أشد النكير مؤكدا له بقوله تعالى وهي رميم أي بالية أشد البلى بعيدة من الحياة غاية البعد فالمثل على الاول هو إنكار إحيائه تعالى للعظام فإنه امر عجيب في نفس الامر حقيق لغرابته وبعده من العقول بأن يعد مثلا ضرورة جزم العقول ببطلان الإنكار ووقوع المنكر لكونه كالإنشاء بل أهون منه في قياس العقل وعلى الثاني هو إحياؤه تعالى لها فإنه أمر عجيب في زعمه قد استبعده وعده من قبيل المثل وأنكره أشد الإنكار مع أنه في نفس الأمر أقرب شئ من الوقوع لما سبق من كونه مثل الإنشاء أو أهون منه وأما على الثالث فلا فرق بين أن يكون المثل هو الانكار أو المنكر وعدم تانيث الرميم مع وقوعه خبرا للمؤنث لأنه اسم لما بلى من العظام غير صفة كالرفات وقد تمسك بظاهر الاية الكريمة من أثبت للعظم حياة وبنى عليه الحكم بنجاسة عظم الميتة وأما اصحابنا فلا يقولون بحياته كالشعر ويقولون المراد بإحياء العظام ردها الى ما كانت عليه من الغضاضة والرطوبة في بدن حي حساس قل تبكيتا له بتذكير ما نسبه من فطرته الدالة على حقيقة الحال وإرشاده الى طريقة الاستشهاد بها يحييها الذي انشأها أول مرة فإن قدرته كما هي لاستحالة التغير فيها والمادة على حالها وهو بكل خلق عليم مبالغ في العلم بتفاصيل كيفيات الخلق والايجاد إنشاء وإعادة محيط بجميع الأجزاء المتفتتة المتبددة لكل شخص من الاشخاص اصولها وفروعها وأوضاع بعضها من بعض من الاتصال والانفصال والاجتماع والافتراق فيعيد كلا من ذلك على النمط السابق مع القوى التي كانت قبل والجملة إما اعتراض تذييلى مقرر لمضمون الجواب أو معطوفة على الصلة والعدول الى الجملة الاسمية للتنبيه على أن علمه تعالى بما ذكر أمر مستمر ليس كإنشائه للمنشآت وقوله تعالى الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا بدل من الموصول الاول وعدم الاكتفاء بعطف صلته على صلته ." (١)

" ٤٧٤٥ -

الموصول الثاني باعتبار اتصافه بما في حيز صلته وملاحظة ما أثبت له وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه للإيذان ببعد منزلته في الشر مع ما فيه من كمال المناسبة للنداء من بعيد أي أولئك البعداء الموصوفون بما ذكر من التصام عن الحق الذى يسمعونه والتعامى عن الآيات الظاهرة التي يشاهدونها ينادون من مكان بعيد تمثيل لهم في عدم قبولهم واستماعهم له بمن ينادي من مسافة نائية لا يكاد يسمع من مثلها الأصوات ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه كلام مستأنف مسوق لبيان ان الإختلاف في شأن الكتب عادة قديمة للأمم غير مختص بقومك على منهاج قوله تعالى

---

(١) تفسير أبي السعود، ١٨١/٧

ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك أي وبالله لقد آتيناه التوارة فاختلف فيها فمن مصدق لها ومكذب وهكذا حال قومك في شأن ما آتيناك من القرآن فمن مؤمن به وكافر ولولا كلمة سبقت من ربك في حق أمتك المكذبة وهي العدة بتأخير عذابهم وفصل ما بينهم وبين اللمؤمنين من الخصومة إلى يوم القيامة بنحو قوله تعالى بل الساعة موعدهم وقوله تعالى ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى لقضى بينهم باستئصال المذبين كما فعل بمكذبي الأمم السالفة وأنهم أي الكفار قومك لفى شك منه مريب أي من القرآن وجعل الضمير الأول لليهود والثاني للتوراة مما لا وجه له من عمل صالحا بأن آمن بالكتب وعمل بموجبها فلنفسه أي فلنفسه يعمله أو فنفعه لنفسه لا لغيره من عمل صالحا بأن آمن بالكتب وعمل بموجبها فلنفسه أي فلنفسه يعمله أو منفعة لنفسه لا لغيره ومن اساء فعليها ضرر لا على غيره وما ربك بظلام للعبيد اعتراض **تذييلي** مقرر لمضمون ما قبله مبني على تنزيل ترك إثابة المحسن بعمله أو إثابة الغير بعمله وتنزيل التعذيب بغير إساءة أو بإساءة غيره منزلة الظلم الذي يستحيل صدروه عنه سبحانه وتعالى وقد مر ما في المقام من التحقيق والتفصيل في سورة آل عمران وسورة الأنفال إليه يرد علم الساعة أي إذا سئل عنها يقال الله يعلم أولا يعلمها إلا الله تعالى وما تخرج من ثمرات أكمامها أي من أوعيتها جمع كم بالكسر وهو وعاء الثمرة كجف الطلعة وقريء من ثمره على إرادة الجنس والجمع لاختلاف الأنواع وقد قريء بجمع الضمير أيضا وما نافية ومن الأولى مزيدة للأستغراق واحتمال أن تكون ما موصولة معطوفة على الساعة ومن مبينة بعيد وما تحمل من أنثى ولا ت تضع أي حملها وقوله تعالى إلا بعلمه استثناء مفرغ من أعم الاحوال أي وما يحدث شيء ." (١)

- ١٥١٨ "

بالإخلاص وترك النفاق لا يلتكم من أعمالكم لا ينقصكم شيئا من أجورها من لات يليت ليتا إذا نقص وقرىء لا يألتكم من الألت وهى لغة غطفان أو شيئا من النقص إن الله غفور لما فرط من المطيعين رحيم بالتفضل عليهم إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا لم يشكوا من ارتاب مطاوع رابه إذا أوقعه في الشك مع التهمة وفيه إشارة الى أن فيهم ما يوجب نفى الإيمان عنهم وثم للإشعار بأن اشتراط عدم الارتياب في اعتبار الإيمان ليس في حال إنشائه فقط بل وفيما يستقبل فهى كما في قوله تعالى ثم استقاموا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله في طاعته على تكثر فنونها من العبادات البدنية المحضة والمالية الصرفة والمشتملة عليها معا كالحج والجهاد أولئك الموصوفون بما ذكر من الأوصاف الحميلة هم الصادقون أى الذين صدقوا في دعوى الإيمان لا غيرهم روى أنه لما نزلت الآية جاؤا وحلفوا أنهم مؤمنون صادقون فنزل لتكذيبهم قوله تعالى قل أتعلمون الله بدينكم أى أتخبرونه بذلك بقولكم آمنا والتعبير عنه بالتعليم لغاية تشنيعهم والله يعلم ما في السموات وما في الأرض حال من مفعول تعلمون مؤكدة لتشنيعهم وقوله تعالى والله بكل شيء عليم **تذييل** مقرر لما قبله اى مبالغ في العلم بجميع الأشياء التي من جملتها ما أخفوه من الكفر عند أظهارهم الإيمان وفيه مزيد تجهيل وتوبيخ لهم يمنون عليك أن أسلموا أى يعدون إسلامهم منة عليك وهي النعمة التي لا يطلب موليها ثوابا ممن أنعم بها عليه من المن بمعنى القطع لأن المقصود بها قطع حاجته وقيل النعمة الثقيلة من المن قل لا تمنوا على إسلامكم اى لا تعدوا

---

(١) تفسير أبي السعود، ١٧/٨

إسلامكم منة على او لا تمنوا على بإسلامكم فنصب بنزع الخافض بل الله يمن عليكم ان هداكم للإيمان على ما زعمتم مع أن الهداية لا تستلزم الإهتداء وقريء أن هداكم وإذ هداكم أن كنتم صادقين في ادعاء الإيمان وجوابه محذوف يدل عليه ما قبله أى فلله المنة عليكم وفي سياق النظم الكريم من اللطف مالا يخفي فإنهم لما سموا ما صدر عنهم إيمانا ومنوا به فنفى كونه إيمانا وسمى إسلاما قيل يمنون عليك بما هو في الحقيقة إسلام وليس بجدير بالمن بل لوصح ادعاؤهم للإيمان فلله المنة عليهم بالهداية إليه لا لهم إن الله يعلم غيب السموات والأرض أى ما غاب فيهما والله بصير بما تعلمون في سركم وعلانيتكم فكيف يخفى عليه ." (١)

" الحديد ٣ ١

بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في السموات والأرض التسبيح تنزيه الله تعالى اعتقادا وقولا وعملا عما لا يليق بجنابه من سبح في الأرض والماء إذا ذهب وأبعد فيهما وحيث أسند ههنا الى غير العقلاء أيضا فإن ما في السموات والأرض يعم جميع ما فيهما سواء كان مستقرا فيهما أو جزءا منهما كما مر في آية الكرسي أريد به معنى عام مجازى شامل لما نطق به لسان المقال كتسبيح الملائكة والمؤمنين من الثقلين ولسان الحال كتسبيح غيرهم فإن كل فرد من افراد الموجودات يدل بإمكانه وحدوثه على الصانع القديم الواجب الوجود المتصف بالكمال المنزه عن النقصان وهو المراد بقوله تعالى وإن من شيء إلايسبح بحمده وهو متعد بنفسه كما في قوله تعالى وسبحوه واللام إمامزيده للتأكيد كما في نصحت له وشكرت له أو للتعليل أى فعل التسبيح لأجل الله تعالى وخالصا لوجهه ومجيئه في بعض الفواتح ماضيا وفي البعض مضارعا للإيذان بتحققه في جميع الأوقات وفيه تنبيه على ان حق من شانه التسبيح الاختياري أن يسبحه تعالى في جميع أوقاته كما عليه الملأ الأعلى حيث يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهو العزيز القادر الغالب الذى لا يمانعه ولا ينازعه شيء الحكيم الذى لا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة والمصلحة والجملة اعتراض **تذييلي** مقرر لمضمون ما قبله مشعر بعلة الحكم وكذا قوله تعالى له ملك السموات والأرض أى التصرف الكلى فيهما وفيما فيهما من الموجودات من حيث الإيجاد والأعدام وسائر التصرفات مما نعلمه ومالا نعلمه وقوله تعالى يحيي ويميت استئناف مبين لبعض أحكام الملك والتصرف وجعله حالا من ضمير له ليس كما ينبغي وهو على كل شيء من الأشياء التي من جملتها ما ذكر من الإحياء والإماتة قدير مبالغ في القدرة هو الأول السابق على سائر الموجودات لما أنه مبدئها ومبدعها والآخر الباقي بعد فنائها حقيقة أو نظر الى ذاتها مع قطع النظر عن مبقيها فإن جميع الموجودات الممكنة إذا قطع النظر عن علتها فهي فانية والظاهر وجودا لكثرة ." (٢)

" ٢٣٢١ -

من عذابها الأليم وقد ذكر العذاب فقيل وفي الآخرة عذاب شديد لأنه من نتائج الانهماك فيما فصل من أحوال الحياة الدنيا ومغفرة عظيمة من الله ورضوان عظيم لا يقادر قدره وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور أى لمن اطمأن بها ولم يجعلها ذريعة الى الآخرة عن سعيد بن جبير الدنيا متاع الغرور إن الهتك عن طلب الآخرة فاما إذا دعتك الى طلب رضوان

---

(١) تفسير أبي السعود، ١٢٤/٨

(٢) تفسير أبي السعود، ٢٠٣/٨

الله تعالى فنعم المتاع ونعم الوسيلة سابقوا أى سارعوا مسارعة المسابقين لأقرانهم في المضمار الى مغفرة عظيمة كائنة من ربكم أى إلى موجباتها من الأعمال الصالحة وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أى كعرضهما جميعا وإذا كان عرضها كذلك فماظنك بطولها وقيل المراد بالعرض البسطة وتقديم المغفرة على الجنة لتقدم التخلية على التحلية أعدت للذين آمنوا بالله ورسوله فيه دليل على أن الجنة مخلوقة بالفعل وأن الإيمان وحده كاف في استحقاقها ذلك الذى وعد من المغفرة والجنة فضل الله عطاؤه يؤتيه تفضلا وإحسانا من يشاء إيتاءه إياه من غير إيجاب والله ذو الفضل العظيم ولذلك يؤتى من يشاء مثل ذلك الفضل الذى لا غاية وراءه ما أصاب من مصيبة في الأرض كجدب ووعاهة في الزروع والثمار ولا في أنفسكم كمرض وآفة إلافي كتاب أى إلا متكوبة مثبتة في علم الله تعالى أو في اللوح من قبل ان نبرأها اى نخلق الأنفس أو المصائب أو الأرض إن ذلك أى إثباتها في كتاب على الله يسير لاستغنائه فيه عن العدة والمدة لكيلا تأسوا أى أخبرناكم بذلك لئلا تحزنوا على ما فاتكم من نعم الدنيا ولا تفرحوا بما آتاكم أى أعطاكم الله تعالى منها فإن من علم أن الكل مقدر يفوت ما قدر فواته ويأتي ما قدر إتيانه لا محالة لا يعظم جزعه على ما فات ولا فرحه بما هو آت وقرىء بما آتاكم من الاتيان وفي القراءة الأولى إشعار بأن فوات النعم يلحقها إذا خليت وطباعها وأما حصولها وبقاؤها فلا بد لهما من سبب يوجدها ويبقيها وقرىء بما أوتيتم والمراد به نفى الأسى المانع عن التسليم لأمر الله تعالى والفرح الموجب للبطر ولاختيال ولذلك عقب بقوله تعالى والله لا يحب كل مختال فخور فإن من فرح بالحظوظ الدنيوية وعظمت في نفسه اختال وافتخر بها لا محالة وفي تخصيص **التذييل** بالنهى عن الفرح المذكور إيذان بانه أقبح من الأسى ." (١)

" ٢٦٢٤ -

الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل بدل من كل مختال فإن المختال بالمال يضن به غالبا ويأمر غيره به أو مبتدأ خبره محذوف يدل عليه قوله تعالى ومن يتول فإن الله هو الغنى الحميد فإن معناه ومن يعرض عن الإنفاق فإن الله عني عنه وعن إنفاقه محمود في ذاته لا يضره الأعراض عن شكره بالتقرب إليه بشيء من نعمه وفيه تهديد وإشعار بأن الأمر بالإنفاق لمصلحة المنفق وقرىء فإن الله الغنى ولقد أرسلنا رسلنا أى الملائكة الى الأنبياء أو الأنبياء الى الأمم وهو الأظهر بالبينات اى الحجج والمعجزات وأنزلنا معهم الكتاب أى جنس الكتاب الشامل للكل والميزان ليقوم الناس بالقسط أى بالعدل روى أن جبريل عليه اللسلام نزل الميزان فدفعه إلى نوح عليه السلام وقال مر قومك يزنوا به وقيل أريد به العدل ليقام به السياسة ويدفع به العدوان وأنزلنا الحديد قيل نزل آدم عليه السلام من الجنة ومعه خمسة أشياء من حديد السندان والكلبتان والميقعة والمطرقة والإبرة وروى ومعه المر والمسحات وعن الحسن وأنزلنا الحديد خلقناه كقوله تعالى وأنزل لكم من الأنعام وذلك ان أوامره تعالى وقضاياه وأحكامه تنزل من السماء وقوله تعالى فيه بأس شديد لأن آلات الحرب إنما تتخذ منه ومنافع للناس إذ ما من صنعة إلا والحديد أو ما يعمل بالحديد آلتها والجملة حال من الحديد وقوله تعالى وليعلم الله من ينصره ورسله عطف على محذوف يدل عليه ما قبله فإنه حال متضمنة للتعليل كأنه قيل ليستعملوه وليعلم الله علما يتعلق به الجزاء من ينصره ورسوله باستعمال السيوف والرماح وسائر الأسلحة في مجاهدة أعدائه أومتعلق بمحذوف مؤخر والواو اعتراضية أى

---

(١) تفسير أبي السعود، ٢١١/٨

وليعلم الله من ينصره ورسله أنزله وقيل عطف على قوله تعالى ليقوم الناس بالقسط وقوله تعالى بالغيب حال من فاعل ينصر أو مفعوله أى غائبا عنهم أو غائبين عنه وقوله تعالى إن الله قوى عزيز اعتراض **تذييلى** جيء به تحقيقا للحق وتنبيها على ان تكليفهم الجهاد وتعريضهم للقتال ليس لحاجته فى إعلاء كلمته وإظهار دينه الى نصرتهم بل إنما هو لينتفعوا به ويصلوا بامتثال الأمر فيه الى الثواب وإلا فهو غنى بقردته وعزته عنهم في كل ما يريده ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم نوع تفصيل لما أجمل في قوله ." (١)

" ٢٩٢٨ –

وكفر بحت وأنى لها استتباع الأجر أجرهم أى ما يخص بهم من الأجر وكثير منهم فاسقون خارجون عن حد الاتباع وحمل الفريقين على من مضى من المراعين لحقوق الرهبانية قبل النسخ والمخلين إذ ذاك بالتثليث والقول بالاتحاد وقصد السمعة من غير تعرض لإيمانهم برسول الله صلى الله عليه و سلم وكفرهم به مما لا يساعده المقام يأيها الذين آمنوا أى بالرسل المتقدمة اتقوا الله فيما نهاكم عنه وآمنوا برسوله أى بمحمد عليه الصلاة و السلام وفي إطلاقه إيذان بأنه علم فرد في الرسالة لا يذهب الوهم الى غيره يؤتكم كفلين نصيبين من رحمته لإيمانكم بالرسول وبمن قبله من الرسل عليهم الصلاة والسلام لكن لا على معنى أن شريعتهم باقية بعد البعثة بل على أنها كانت حقة قبل النسخ ويجعل لكم نورا تمشون به يوم القيامة حسبما نطق به قوله تعالى يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم ويغفر لكم ما أسلفتم من الكفر والمعاصى والله غفور رحيم أـمبالغ في المغفرة والرحمة وقوله تعالى لئلا يعلم أهل الكتاب متعلق بمضمون الجملة الطلبية المتضمنة لمعنى الشرط إذ التقدير أن تتقوا الله وتؤمنوا برسوله يؤتكم كذا وكذا لئلا يعلم الذين لم يسلموا من اهل الكتاب أى ليعلموا ولا مزيدة كما ينبيء عنه قراءة ليلعم ولكى يعلم ولأن يعلم بإدغام النون في الياء وأن في قوله تعالى أن لايقدرون على شيء من فضل الله مخففة من الثقيلة واسمها الذى هو ضمير الشأن محذوف والجملة في حيز النصب على انها مفعول يعلم اى ليعلموا انه لا ينالون شيئا مما ذكر من فضله من الكفلين والنور والمغفرة ولا يتمكنون من نيله حيث لم يأتوا بشرطه الذى هو الإيمان برسوله وقوله تعالى وأن الفضل بيد الله عطف على أن لا يقدرون وقوله تعالى يؤتيه من يشاء خبر ثان لأن وقيل هو الخبر والجار حال لازمة وقوله تعالى والله ذو الفضل العظيم اعتراض **تذييلى** لمضمون ما قبله وقد جوز أن يكون الأمر بالتقوى والإيمان لغير أهل الكتاب فالمعنى اتقوا الله واثبتوا على إيمانكم برسول الله صلى الله عليه و سلم يؤتكم ما وعد من آمن من أهل الكتاب من الكفلين في قوله تعالى أولئك يؤتون اجرهم مرتين ولا ينقصكم من مثل أجرهم لأنكم مثلهم في الإيمانين لا تفرقون بين احد من رسله وروى أن مؤمنى أهل الكتاب افتخروا على سائر المؤمنين بأنهم يؤتون أجرهم مرتين وادعوا الفضل عليهم فنزلت وقرىء ليلا بقلب الهمزة ياء لا نفتاحها بعد كسرة وقرىء بسكون الياء وفتح اللام كاسم المرأة وبكسر اللام مع سكون الياء وقرىء أن لا يقدروا هذا وقد قيل لا غير مزيدة وضمير لا يقدرون للنبي عليه ." (٢)

" ٧٧ –

---

(١) تفسير أبي السعود، ٢١٢/٨

(٢) تفسير أبي السعود، ٢١٤/٨

الصلاة والسلام وقد أنزلنا آيات بينات حال من واو كبتوا أى كبتوا لمحادتهم والحال أن قد أنزلنا آيات واضحات فيمن حاد الله ورسوله ممن قبلهم من الأمم وفيما فعلنا بهم وقيل آيات تدل على صدق وصحة ما جاء به وللكافرين أى بتلك الآيات أو بكل ما يجب الإيمان به فيدخل فيه تلك الآيات دخولا أوليا عذاب مهين يذهب بعزهم وكبرهم يوم يبعثهم الله منصور بما تعلق به اللام من الاستقرار أو بمهين أو بإضمار اذكر تعظيما لليوم وتهويلا له جميعا أى كلهم بحيث لا يبقى منهم احد غير مبعوث أو مجتعين في حالة واحدة فينبئهم بما علموا من القبائح ببيان صدورها عنهم أو بتصويرها في تلك النشاة بما يليق بها من الصور الهائلة على رؤوس الاشهاد تخجيلا لهم وتشهيرا بحالهم وتشديدا لعذابهم وقوله تعالى أحصاه الله استئناف وقع جوابا عما نشا مما قبيله من السؤال إما عن كيفية التنبئة أو عن سببها كأنه قيل كيف ينبئهم بأعمالهم وهي أعراض متقضية متلاشية فقيل أحصاه الله عددا لم يفته منه شيء فقوله تعالى ونسوه حينئذ حال من مفعول أحصى بإضمار قد او بدونه على الخلاف المشهور أو قيل لم ينبئهم بذلك فقيل أحصاه الله ونسوه فينبئهم به ليعرفوا أن ما عاينوه من العذاب إنما حاق بهم لأجله وفيه مزيد توبيخ وتنديم لهم غير التخجيل والتشهير والله على كل شيء شهيد لا يغيب عنه امر من الأمور قط والجملة اعتراض **تذييلي** مقرر لإحصائه تعالى وقوله تعالى ألم تر ان الله يعلم ما في السموات وما في الأرض استشهاد على شمول شهادته تعالى كما في قوله تعالى ألم تر إلى الذى حاج إبراهيم في ربه وفي قوله تعالى ألم تر أنهم في كل واد يهيمون أي ألم تعلم علما يقينا متاخما للمشاهدة بأنه تعالى يعلم ما فيهما من الموجودات سواء كان ذلك بالاستقرار فيهما أو بالجزئية منهما وقوله تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة الخ استئناف مقرر لما قبله من سعة علمه تعالى ومبين لكيفيته ويكون من كان التامة وقرىء تكون بالتاء اعتبارا لتأنيث النجوى وإن كان غير حقيقي أى ما يقع من تناجي ثلاثة نفر أى من مسارتهم على أن نجوى مضافة الى ثلاثة أو على انها موصوفة بها إما بتقدير مضاف أى من أهل نجوى ثلاثة أو بجلعهم نجوى في أنفسهم إلا هو أى الله عز و جل رابعهم أى جاعلهم أربعة من حيث إنه تعالى يشاركهم فى الإطلاع عليها وهو استثناء مفرغ من أعم الأحوال ولا خمسة ولا نجوى خمسة إلا هو سادسهم وتخصيص العدديـن بالذكر إما الخصوص الواقعة فإن الآية نزلت فى تناجى المنافقين وإما لبناء الكلام على أغلب عادات المتناجين وقد عمم الحكم بعد ." (١)

" ٥٤ -

وقوله تعالى إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا بيان لما هو مرضى عنده تعالى بعد بيان ما هو ممقوت عنده وهذا صريح في أن ما قالوه عبارة عن الوعد بالقتال لا عما تقوله المتمدح أو انتحله المنتحل أو أعاده المنافق وأن مناط التعبير والتوبيخ هو إخلافهم لا وعدهم كما أشير إليه وقرىء يقاتلون بفتح التاء ويقاتلون وصفا مصدر وقع موقع الفاعل أو المفعول نصبه على الحالية من فاعل يقاتلون أى صافين أنفسهم أو مصفوفين وقوله تعالى كأنهم بنيان مرصوص حال من المستكن في حال الأولى أى مشبهين في تراصهم من غير فرجة وخلل ببنيان رص بعضه الى بعض ورصف حتى صار شيئا واحدا وقوله تعالى وإذ قال موسى لقومه كلام مستأنف مقرر لما قبله من شناعة ترك القتال وإذ منصوب على المفعولية

---

(١) تفسير أبي السعود، ٨/٢١٨

بمضمر خوطب به النبي عليه الصلاة و السلام بطريق التلوين أى واذكر لهؤلاء المعرضين عن القتال وقت قول موسى لبني إسرائيل حين ندبهم الى قتال الجبابرة بقوله يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبلوا خاسربن فلم يمتثلوا بأمره وعصوه أشد عصيان حيث قالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون الى قوله تعالى فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون واصروا على ذلك وآذوه عليه الصلاة و السلام كل الآذية يا قوم لم تؤذنني اى بالمخالفة والعصيان فيما أمرتكم به وقوله تعالى وقد تعلمون أنى رسول الله إليكم جملة حالية مؤكدة لانكار الإيذاء ونفى سببه وقد لتحقيق العلم وصيغة المضارع للدلالة على استمراره أى والحال أنكم تعلمون علما قطعيا مستمرا بمشاهدة ما ظهر بيدى من المعجزات القاهرة التي معظمها إهلاك عدوكم وإنجاؤكم من ملكته أنى رسول الله إليكم لأرشدكم الى خير الدنيا والآخرة ومن قضية علمكم بذلك أن تبالغوا في تعاظيمى وتسارعوا الى طاعتى فلما زاغوا أى أصروا على الزيغ عن الحق الذى جاء به موسى عليه السلام واستمروا عليه أزاغ الله قلوبهم أى صرفها عن قبول الحق والميل الى الصواب لصرف اختيارهم نحو الغى والضلال وقوله تعالى و الله لا يهدي القوم الفاسقين اعتراض **تذييلى** مقرر لمضمون ما قبله من الإزاغة ومؤذن بعلته أى لا يهدى القوم الخارجين عن الطاعة ومنهاج الحق المصرين على الغواية هداية موصلة الى ما يوصل إليها فإنها شاملة للكل والمراد بهم إما المذكورون خاصة والإظهار في موقع الإضمار لذمهم بالفسق وتعليل عدم الهدية به أو جنس الفاسقين وهم داخلون ف حكمه دخولا أوليا وأيا ما كان فوصفهم بالفسق ناظر الى ما في قوله تعالى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين هذا هو الذى تقتضيه جزالة النظم ." (١)

" ١٠٨ -

لذمهم والتسجيل عليهم بأنهم ظالمون في كل ما يأتون وما يذرون من الأمور التي من جملتها ادعاء ما هم عنه بمعزل والجملة **تذييل** لما قبلها مقررة لمضمونه أى عليم بهم وبما صدر عنهم من فنون الظلم والمعاصى المفضية الى افانين العذاب وبما سيكون منهم من الاحتراز عما يؤدي الى ذلك فوقع الأمر كما ذكر فلم يتمن منهم موته أحد كما يعرب عنه قوله تعالى قل إن الموت الذى تفرون منه فإن ذلك إنما يقال لهم بعد ظهور فرارهم من التمنى وقد قال عليه الصلاة و السلام لو تمنوا لما توا من ساعتهم وهذه إحدى المعجزات أى إن الموت الذى تفرون منه ولا تجسرون على ان تتمنوه مخافة ان تؤخذوا بوبال كفركم فإنه ملاقيكم البتة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط باعتبار الوصف وقرىء بدونها وقرىء تفرون منه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة الذى لا تخفى عليه خافية فينبئكم بما كنتم تعملون من الكفر والمعاصى بأن يجازيكم بها يأيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة أى فعل النداء لها أى أذن لها من يوم الجمعة بيان لإذا وتفسير لها وقيل من بمعنى في كما في قوله تعالى أرونى ماذا خلقوا من الأرض أى في الأرض وإنما سمى جمعة لاجتماع الناس منه للصلاة وقيل أول من سماها جمعة كعب بن لؤي وكانت العرب تسميه العروبة وقيل إن الأنصار قالو قبل الهجرة لليهود يوم يجتمعون فيه بكل سبعة أيام وللنصارى مثل ذلك فهلموا نجعل لنا يوما نجتمع فيه فنذكر الله فيه ونصلى فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الأحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة فاجتمعوا الى سعد بن زرارة فصلى بهم ركعتين

---

(١) تفسير أبي السعود، ٨/٢٤٣

وذكر هم فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه فإنزل الله آية الجمعة فهي أول جمعة كانت في الإسلام وأما أول جمعه جمعها رسول الله صلى الله عليه و سلم فهو أنه لما قدم مهاجرا نزل قباء على بني عمرو بن عوف وأقام بها يوم الإثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس وأسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة عامدا المدينة فأدركته صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن وادلهم فحطب وصلى الجمعة فاسعوا الى ذكر الله أى امشوا واقصدوا الى الخطبة والصلاة وذروا البيع واتركوا المعاملة ذلكم أى السعى الى ذكر الله وترك البيع خير لكم من مباشرته فإن نفع الآخرة أجل وابقى إن كنتم تعلمون أى الخير والشر الحقيقيين أو إن كنتم أهل العلم فإذا قضيت الصلاة ." (١)

" ٧٥ -

ويعلم ما تسرون وما تعلنون أى ما تسرونه فيما بينكم وما تظهرونه من الأمور والتصريح به مع اندراجه فيما قبله لأنه الذى يدور عليه الجزاء ففيه تأكيد للوعد والوعيد وتشديد لهما وقوله تعالى والله عليم بذات الصدور اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من شمول علمه تعالى لسرهم وعلنهم أى هو محيط بجميع المضمرات المستكنة في صدور الناس بحيث لا تفارقها أصلا فكيف يخفى عليه ما يسرونه وما يعلنونه وإظهار الجلاله للإشعار بعلة الحكم وتأكيدا استقلال الجملة قيل وتقديم تقرير القدرة على تقرير العلم لأن دلالة المخلوقات على قدرته بالذات وعلى علمه بما فيه من الإتقان والاختصاص ببعض الأنحاء ألم يأتكم أيها الكفرة نبأ الذين كفروا من قبل كقوم نوح ومن بعدهم من الأمم المصرة على الكفر فذاقوا وبال أمرهم عطف على كفروا والوبال الثقل والشدة المترتبة على امر من الأمور وأمرهم كفرهم عبر عنه بذلك للإيذان بأنه أمر هائل وجناية عظيمة أى ألم يأتكم خبر الذين كفروا من قبل فذاقوا من غير مهلة ما يستتبعه كفرهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب اليم لا يقادر قدره ذلك أى ما ذكر من العذاب الذى ذاقوه في الدنيا وما سيذوقونه في الآخرة بأنه بسبب أن الشأن كانت تأتيهم رسلهم بالبينات أى بالمعجزات الظاهرة فقالوا عطف على كانت أبشر يهدوننا أى قال كل قوم من المذكورين في حق رسولهم الذى أتاهم بالمعجزات منكرين لكون الرسول من جنس البشر متعجبين من ذلك ابشر يهدينا كما قالت ثمود أبشرا منا واحدا نتبعه وقد أجمل في الحكاية فأسند القول إلى جميع الأقوام واريد بالبشر الجنس فوصف بالجمع كما أجمل الخطاب والأمر في قوله تعالى يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا فكفروا اى بالرسل وتولوا عن التدبر فيما أتوا به من البينات وعن الإيمان بهم واستغنى الله اى أظهر استغناءه عن إيمانهم وطاعتهم حيث أهلكهم وقطع دابرهم ولولا غناه تعالى عنهما لما فعل ذلك والله غنى عن العالمين فضلا عن إيمانهم وطاعتهم حميد يحمده كل مخلوق بلسان الحال أو مستحق للحمد بذاته وإن لم يحمده حامد زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا الزعم ادعاء العلم يتعدى الى مفعولين وقد قام مقامهما أن المخففة مع ما في حيزها والمراد بالموصول كفار مكة أى زعموا أن الشأن لن يبعثوا بعد موتهم أباد قل ردا عليهم وأبطالا لزعمهم بإثبات ما نفوه بلى أى تبعثون قوله وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم أى لتحاسبن ولتجزون بأعمالكم جملة ." (٢)

" ١١٨ -

---

(١) تفسير أبي السعود، ٨/٢٤٩

(٢) تفسير أبي السعود، ٨/٢٥٦

مستقلة داخلة تحت الأمر واردة لتأكيد ما افاده كلمة بلى من إثبات البعث وبيان تحقق أمر آخر متفرع عليه منوط ففيه تأكيد لتحقق البعث بوجهين وذلك أى ما ذكر من البعث والجزاء على الله يسير لتحقق القدرة التامة وقبول المادة والفاء في قوله تعالى فآمنوا فصيحة مفصحة عن شرط قد حذف ثقة ظهوره أى إذا كان الأمر كذلك فآمنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه و سلم والنور الذى أنزلنا وهو القرآن فإنه بإعجازه بين بنفسه مبين لغيره كما ان النور كذلك والالتفات الى نون العظمة لإبراز كمال العناية بأمر الإنزال والله بما تعملون من الامتثال بالأمر وعدمه خبير فمجاز لكم عليه والجملة اعتراض **تذييلي** مقرر لما قبله من الأمر موجب للإمتثال به بالوعد والوعيد والإلتفات إلى الاسم الجليل لتربية المهابة وتأكيدا استقلال الجملة يوم يجمعكم ظرف لتنبؤون وقيل لخبير لما فيه من معنى الوعيد كأنه قيل والله مجازيكم ومعاقبكم يوم يجمعكم أو مفعول لا ذكر وقرىء نجمعكم بنون العظمة ليوم الجمع ليوم يجمع فيه الأولون والآخرون أى لأجل ما فيه من الحساب والجزاء ذلك يوم التغابن أى يوم غبن بعض الناس بعضا بنزول السعداء منازل الأشقياء لو كانوا سعداء وبالعكس وفي الحديث ما من عبد يدخل الجنة إلا أرى مقعده من النار لو أساء ليزداد شكرا وما من عبد يدخل النار إلا ارى مقعده من الجنة لو أحسن ليزداد حسرة وتخصيص التغابن بذلك اليوم للإيذان بأن التغبن في الحقيقة هو الذى يقع فيه لا ما يقع في أمور الدنيا ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا أى عملا صالحا يكفر أي الله عز و جل وقرىء بنون العظمة عنه سيئاته يوم القيامة ويدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا وقرىء ندخله بنون ذلك أى أى ما ذكر من تكفير السيئات وإدخال الجنات الفوز العظيم الذى لا فوز وراءه لا نطوائه على النجاة من أعظم الهلكات والظفر بأجل الطلبات والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير أى النار كان هاتين الايتين الكريميتين بيان لكيفية التغابن ما أصاب من مصيبة فمن المصائب الدنيوية إلا بإذن الله أى تقديره وأرادته كأنها بذاتها متوجهة الى الإنسان متوقفة على إذنه تعالى ومن يؤمن بالله يهد قلبه عند إصابتها للثبات والاسترجاع وقيل يهد قلبه حتى يعلم ." (١)

"ولما صدر منها ما صدر من العقلاء ، وهي الشهادة ، خاطبوها بقولهم : ﴿لم شهدتم﴾ ؟ مخاطبة العقلاء. وقرأ زيد بن علي : لم شهدتن ؟ بضمير المؤنثات ؟ و﴿كل شيء﴾ : لا يراد به العموم ، بل المعنى : كل ناطق بما ذلك له عادة ، أو كان ذلك فيه خرق عادة. وقال الزمخشري : أراد بكل شيء : كل شيء من الحيوان ، كما أراد به في قوله : ﴿والله على كل شيء قدير﴾ ، من المقدورات. والمعنى : أن نطقنا ليس بعجب من قدرة الله الذي قدر على إنطاق كل حيوان ، وعلى خلقكم وإنشائكم ، وعلى إعادتكم ورجعكم إلى جزائه ، وإنما قالوا لهم : ﴿لم شهدتم علينا ﴾ لتعاظمهم من شهادتها وكبر عليهم من الافتضاح على ألسنة جوارحهم. وقال الزمخشري أيضا : فإن قلت : كيف تشهد عليهم أبصارهم وكيف تنطق ؟ قلت : الله عز وجل ينطقها ، كما أنطق الشجرة بأن يخلق فيها كلام. انتهى ، وهذا الرجل مولع بمذهبه الاعتزالي ، يدخله في كل ما يقدر أنه يدخل. وإنما أشار بقوله : كما أنطق الشجرة بأن يخلق فيها كلاما إلى أن الله تعالى لم يكلم موسى حقيقة ، وإنما الشجرة هي التي سمع منها الكلام بأن يخلق الله فيها كلاما خاطبته به عن الله تعالى. والظاهر أن قوله : وما كنتم تستترون من كلام الجوارح ، قيل : ويحتمل أن يكون من كلام الله تعالى توبيخا لهم ، أو من كلام ملك يأمره تعاليه.

---

(١) تفسير أبي السعود، ٨/٢٥٧

و﴿أن يشهد﴾ : يحتمل أن يكون معناه : خيفة أو لأجل أن يشهد إن كنتم غير عالمين بأنها تشهد ، ﴿ولـاكن ظننتم أن الله لا يعلم﴾ ، فانهمكتم وجاهدتم ، وإلى هذا نحا مجاهد ، والستر يأتي في هذا المعنى ، كما قال الشاعر : والستر دون الفاحشات ومايلقاك دون الخير من سترجزء : ٧ رقم الصفحة : ٤٧٩ويحتمل أن يكون معناه : عن أن يشهد ، أي وما كنتم تمتنعون ، ولا يمكنكم الاختفاء عن أعضائكم والاستتار عنها بكفركم ومعاصيكم ، ولا تظنون أنها تصل بكم إلى هذا الحد من الشهادة عليكم ، وإلى هذا نحا السدي ، أو ما كنتم تتوقعون بالاختفاء والستر أن يشهد عليكم ، لأن الجوارح لزيمة لكم. وعبر قتادة عن تستترون بتظنون ، أي وما كنتم تظنون أن يشهد ، وهذا تفسير من حيث المعنى لا من حيث مرادفة اللفظ ، ﴿ولـاكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا﴾ ، وهو الخفيات من أعمالكم ، وهذا الظن كفر وجهل بالله وسوء معتقد يؤدي إلى تكذيب الرسل والشك في علم الإله. ﴿وذالكم﴾ : إشارة إلى ظنهم أن الله لا يعلم كثيرا من أعمالهم ، وهو مبتدأ خبره ﴿أرداكم﴾ ، و﴿ظنكم﴾ بدل من ﴿ذالكم﴾ أي وظنكم بربكم ذلكم أهلككم. وقال الزمخشري : وظنكم وأرداكم خبران. وقال ابن عطية : أرداكم يصلح أن يكون خبرا بعد خبر. انتهى. ولا يصح أن يكون ظنكم بربكم خبرا ، لأن قوله : ﴿وذالكم﴾ إشارة إلى ظنهم السابق ، فيصير التقدير : وظنكم بأن ربكم لا يعلم ظنكم بربكم ، فاستفيد من الخبر ما استفيد من المبتدأ ، وهو لا يجوز ؛ وصار نظير ما منعه النحاة من قولك : سيد الجارية مالكها. وقال ابن عطية : وجوز الكوفيون أن يكون معنى أرداكم في موضع الحال ، والبصريون لا يجيزون وقوع الماضي حالا إلا إذا اقترن بقد ، وقد يجوز تقديرها عندهم إن لم يظهر. انتهى. وقد أجاز الأخفش من البصريين وقوع الماضي حالا بغير تقدير قد وهو الصحيح ، إذ كثر ذلك في لسان العرب كثرة توجب القياس ، ويبعد فيها التأويل ، وقد ذكرنا كثرة الشواهد على ذلك في كتابنا المسمى (**بالتذييل** والتكميل في شرح التسهيل).﴿فإن﴾ : خطاب للنبي عليه السلام ، قيل : وفي الكلام حذف تقديره : أولا يصبروا ، كقوله : ﴿اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سوآء عليكم﴾ ، وذلك في يوم القيامة. وقيل : التقدير : فإن يصبروا على ترك دينك واتباع أهوائهم ، ﴿فالنار مثوى لهم﴾ : أي مكان إقامة. وقرأ الجمهور : ﴿وإن يستعتبوا ﴾ مبنيا للفاعل ، ﴿فما هم من المعتبين﴾ : اسم مفعول. قال الضحاك : إن يعتذروا فما هم من المعذورين ؛ وقيل : وإن طلبوا العتبى ، وهي الرضا ، فما هم ممن يعطاها ويستوجبها. وقرأ الحسن ، وعمرو بن عبيد ، وموسى الأسواري : وإن يستعتبوا : مبنيا للمفعول ، فما هم من المعتبين : اسم فاعل ، أي طلب منهم أن يرضوا ربهم ، فما هم فاعلون ، ولا يكون ذلك لأنهم قد فارقوا الدنيا دار الأعمال ، كما قال صلى الله عليه وسلم : "ليس بعد الموت مستعتب". وقال أبو ذؤيب : جزء : ٧ رقم الصفحة : ٤٧٩أمن المنون وريبها تتوجعوالدهر ليس بمعتب من يجزعويحتمل أن تكون هذه القراءة بمعنى : ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه.." (١)

"النوع الأول : حسن الافتتاح وبراعة المطلع ، فإن كان أولها بسم الله الرحمن الرحيم ، على قول من عدها منها ، فناهيك بذلك حسنا إذ كان مطلعها ، مفتتحا باسم الله ، وإن كان أولها الحمد لله ، فحمد الله والثناء عليه بما هو أهله ، ووصفه بماله من الصفات العلية أحسن ما افتتح به الكلام ، وقدم بين يدي النثر والنظام ، وقد تكرر الافتتاح بالحمد في

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، /

كثير من السور ، والمطالع تنقسم إلى حسن وقبيح ، والحسن إلى ظاهر وخفي على ما قسم في علم البديع. النوع الثاني : المبالغة في الثناء ، وذلك لعموم أل في الحمد على التفسير الذي مر. النوع الثالث : تلوين الخطاب على قول بعضهم ، فإنه ذكر أن الحمد لله صيغته صيغة الخبر ، ومعناه الأمر ، كقوله : ﴿لا ريب فيه﴾ ومعناه النهي. النوع الرابع : الاختصاص باللام التي في لله ، إذ دلت على أن جميع المحامد مختصة به ، إذ هو مستحق لها وبالإضافة في ملك يوم الدين لزوال الأملاك والممالك عن سواه في ذلك اليوم ، وتفرده فيه بالملك والملك ، قال تعالى : ﴿لمن الملك اليوم﴾ ، ولأنه لا مجازى في ذلك اليوم على الأعمال سواه. النوع الخامس : الحذف ، وهو على قراءة من نصب الحمد ظاهر ، وتقدم ، هل يقدر من لفظ الحمد أو من غير لفظه ؟ قال بعضهم ؟ ومنه حذف العامل الذي هو في الحقيقة خبر عن الحمد ، وهو الذي يقدر بكائن أو مستقر ، قال : ومنه حذف صراط من قوله غير المغضوب ، التقدير غير صراط المغضوب عليهم ، وغير صراط الضالين ، وحذف سورة إن قدرنا العامل في الحمد إذا نصبناه ، إذكروا أو اقرؤا ، فتقديره اقرؤوا سورة الحمد ، وأما من قيد الرحمن ، والرحيم ، ونعبد ، ونستعين ، وأنعمت ، والمغضوب عليهم ، والضالين ، فيكون عنده في سورة محذوفات كثيرة. النوع السادس : التقديم والتأخير ، وهو في قوله نعبد ، ونستعين ، والمغضوب عليهم ، والضالين ، وتقدم الكلام على ذلك. النوع السابع : التفسير ، ويسمى التصريح بعد الإبهام ، وذلك في بدل صراط الذين من الصراط المستقيم. النوع الثامن : الالتفات ، وهو في إياك نعبد وإياك نستعين ، اهدنا. النوع التاسع : طلب الشيء ، وليس المراد حصوله بل دوامه ، وذلك في اهدنا. النوع العاشر : سرد الصفات لبيان خصوصية في الموصوف أو مدح أو ذم. النوع الحادي عشر : التسجيع ، وفي هذه السورة من التسجيع المتوازي ، وهو اتفاق الكلمتين الأخيرتين في الوزن والروي ، قوله تعالى : ﴿بسم الله الرحمان الرحيم * الحمد لله رب العالمين * الرحمان الرحيم * مالك يوم الدين * إياك نعبد وإياك نستعين * اهدنا الصراط المستقيم﴾ ، وقوله تعالى : ﴿إياك نعبد وإياك نستعين * اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضآلين﴾ ، انقضى كلامنا على تفسير الفاتحة.جزء : ١ رقم الصفحة : ١٤وكره الحسن أن يقال لها أم الكتاب ، وكره ابن سيرين أن يقال لها أم القرآن ، وجوزه الجمهور. والإجماع على أنها سبع آيات إلا ما شذ فيه من لا يعتبر خلافه. عند الجمهور المكيون والكوفيون ﴿بسم الله الرحمان الرحيم﴾ آية ، ولم يعدوا ﴿أنعمت عليهم﴾ ، وسائر العادين ، ومنهم كثير من قراء مكة والكوفة لم يعدوها آية ، وعدوا ﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾ آية ، وشذ عمرو بن عبيد ، فجعل آية ﴿إياك نعبد﴾ ، فهي على عدة ثمان آيات ، وشذ حسين الجعفي ، فزعم أنها ست آيات. قال ابن عطية : وقول الله تعالى : ﴿ولقد ءاتيناك سبعا من المثاني﴾ هو الفصل في ذلك. ولم٣١يختلفوا في أن البسملة في أول كل سورة ليست آية ، وشذ ابن المبارك فقال : إنها آية في كل سورة ، ولا أدري ما الملحوظ في مقدار الآية حتى نعرف الآية من غير الآية.وذكر المفسرون عدد حروف الفاتحة ، وذكروا سبب نزولها ما لا يعد سبب نزول. وذكروا أحاديث في فضل بسم الله الرحمن الرحيم ، الله أعلم بها ، وذكروا للتسمية أيضا نزول ما لا يعد سببا ، وذكروا أن الفاتحة تسمى الحمد ، وفاتحة الكتاب ، وأم الكتاب ، والسبع المثاني ، والواقية ، والكافية ، والشفاء ، والشافية ، والرقية ، والكنز ، والأساس ، والنور ، وسورة الصلاة ، وسورة تعليم المسألة ، وسورة المناجاة ، وسورة التفويض. وذكروا أن ما ورد من الأحاديث في فضل الفاتحة ، والكلام على هذا

كله من باب **التذييلات** ، لا أن ذلك من علم التفسير إلا ما كان من تعيين مبهم أو سبب نزول أو نسخ بما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذلك يضطر إليه علم التفسير. وكذلك تكلموا على آمين ولغاتها ، والاختلاف في مدلولها ، وحكمها في الصلاة ، وليست من القرآن ، فلذلك أضربنا عن الكلام عليها صفحا ، كما تركنا الكلام على الاستعاذة في أول الكتاب ، وقد أطال المفسرون كتبهم بأشياء خارجة عن علم التفسير حذفناها من كتابنا هذا ، إذا كان مقصودنا ما أشرنا إليه في الخطبة ، والله تعالى أعلم.جزء : ١ رقم الصفحة : ١٤." (١)

"قال ابن عطية : وفائدة سوق المستقبل في معنى الماضي الإعلام بأن الأمر مستمر. ألا ترى أن حاضري محمد صلى الله عليه وسلم لما كانوا راضين بفعل أسفلاهم ، بقي لهم من قتل الأنبياء جزء ، وفي إضافة أنبياء إلى الله تشريف عظيم لهم ، وأنه كان ينبغي لمن جاء من عند الله أن يعظم أجل تعظيم ، وأن ينصر ، لا أن يقتل. ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ قيل : إن نافية أي ما كنتم مؤمنين ، لأن من قتل أنبياء الله لا يكون مؤمنا ، فأخبر تعالى أن الإيمان لا يجامع قتل الأنبياء ، أي ما اتصف بالإيمان من هذه صفته. قيل : والأظهر أن إن شرطية ، والجواب محذوف ، التقدير : فلم فعلتم ذلك ؟ ويكون الشرط وجوابه قد كرر مرتين على سبيل التوكيد ، لكن حذف الشرط من الأول وأبقى جوابه وهو : فلم تقتلون ؟ وحذف الجواب من الثاني وأبقى شرطه. وقال ابن عطية : وإن كنتم : شرط ، والجواب متقدم. ولا يتمشى قوله٣٠٧هذا إلا على مذهب من يجيز تقدم جواب الشرط ، وليس مذهب البصريين إلا أبا زيد الأنصاري والمبرد منهم. ومعنى مؤمنين : أي بما أنزل إليكم ، أو متحققين بالإيمان صادقين فيه ، أو مؤمنين بزعمكم. وأجرى هذا القول مجرى التهكم بهم والاستهزاء ، كما تقول لمن بدا منه ما لا يناسبه : فعلت كذا وأنت عاقل ، أي بزعمك.جزء : ١ رقم الصفحة : ٢٩٦﴿ولقد جآءكم موسى بالبينات﴾ : أي بالآيات البينات ، وهي الواضحة المعجزة الدالة على صدقه. وقيل : التسع ، وهي : العصا ، والسنون ، واليد ، والدم ، والطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، وفلق البحر. وهي المعنى بقوله : ﴿ولقد ءاتينا موسى تسع ءايات بينات﴾ . ﴿ولقد جآءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل منا بعدها وأنتم ظالمون * وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا مآ ءاتيناكم بقوة﴾ : تقدم تفسير هذه الجمل ، وإنما كررت هنا لدعواهم أنهم يؤمنون بما أنزل عليهم ، وهم كاذبون في ذلك. ألا ترى أن اتخاذ العجل ليس في التوراة ؟ بل فيها أن يفرد الله بالعبادة ، ولأن عبادة غير الله أكبر المعاصي ، فكرر عبادة العجل تنبيها على عظيم جرمهم. ولأن ذكر ذلك قبل ، أعقبه تعداد النعم بقوله : ﴿ثم عفونا عنكم﴾ ، و﴿فلولا فضل الله عليكم ورحمته﴾ . وهنا أعقبه التقريع والتوبيخ. ولأن في قصة الطور ذكر توليهم عما أمروا به ، من قبول التوراة وعدم رضاهم بأحكامها اختيارا ، حتى ألجئوا إلى القبول اضطرارا ، فدعواهم الإيمان بما أنزل إليهم غير مقبولة. ثم في قصة الطور **تذييل** لم يتقدم ذكره. والعرب متى أرادت التنبيه على تقبيح شيء أو تعظيمه ، كررته. وفي هذا التكرار أيضا من الفائدة تذكارهم بتعداد نعم الله عليهم ونقمه منهم ، ليزدجر الأخلاف بما حل بالأسلاف.جزء : ١ رقم الصفحة : ٢٩٦." (٢)

---

(١) تفسير البحر المحيط. (دار الفكر)، ١٧/١

(٢) تفسير البحر المحيط. (دار الفكر)، ٢٦٤/١

"يحتمل أن تكون بمعنى الفاء ويحتمل أن تكون بمعنى إلى أن فيكون التقدير فإذا ﴿لكارهون * يجادلونك﴾ يقول أو يكون التقدير ﴿وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى ءاذانهم وقرا ﴾ أي منعناهم من فهم القرآن وتدبره ؟ إلى أن يقولوا : ﴿إن هـاذآ إلا أساطير الاولين﴾ في وقت مجيئهم مجادليك لأن الغاية لا تؤخذ إلا من جواب الشرط لا من الشرط ، وعلى هذين المعنيين يتخرج جميع ما جاء في القرآن من قوله تعالى ﴿حتى إذآ﴾ وتركيب ﴿حتى إذآ﴾ لا بد أن يتقدمه كلام ظاهر نحو هذه الآية ونحو قوله : فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما فقتله قال : أقتلت ، أو كلام مقدر يدل عليه سياق الكلام ، نحو قوله : ﴿زبر الحديدا حتى إذا ساوى بين الصدفين﴾ التقدير فأتوه بها ووضعها بين الصدقين ﴿حتى إذآ﴾ ساوى بينهما قال : انفخوا فنفخه ﴿حتى إذآ﴾ جعله نارا بأمره وإذنه قال آتوني أفرغ ولهذا قال الفراء ﴿حتى إذآ﴾ لا بد أن يتقدمها كلام لفظا أو تقديرا ، وقد ذكرنا في كتاب التكميل أحكام حتى مستوفاة ودخولها على الشرط ، ومذهب الفراء والكسائي في ذلك ومذهب غيرهما. وقال الزمخشري : هنا هي ﴿حتى ﴾ التي تقع بعدها الجمل والجملة قوله : ﴿إذآ﴾ في موضع الحال ؛ انتهى. وهذا موافق لما ذكرناه ، ثم قال : ويجوز أن تكون الجارة ويكون ﴿إذآ﴾ في محل الجر بمعنى حتى وقت مجيئهم و﴿لكارهون * يجادلونك﴾ حال وقوله : ﴿يقول الذين كفروا ﴾ تفسير والمعنى أنه بلغ تكذيبهم الآيات ، إلى أنهم يجادلونك ويناكرونك وفسر مجادلتهم بأنهم يقولون : ﴿إن هـاذآ إلا أساطير الاولين﴾ فيجعلون كلام الله وأصدق الحديث خرافات وأكاذيب وهي الغاية في التكذيب ؛ انتهى. وما جوزه الزمخشري في ﴿إذآ﴾ بعد ﴿حتى ﴾ من كونها مجرورة أوجبه ابن مالك في التسهيل ، فزعم أن ﴿إذآ﴾ تجز بـ. قال في التسهيل : وقد تفارقها ، يعني ﴿قبلكم إذآ﴾ الظرفية مفعولا بها ومجرورة بـ أو مبتدأ وما ذهب إليه الزمخشري في تجويزه أن تكون ﴿قبلكم إذآ﴾ مجرورة بـ ، وابن مالك في إيجاب ذلك ولم يذكر قولا غيره خطأ وقد بينا ذلك في كتاب **التذييل** في شرح التسهيل ، وقد وفق الحوفي وأبو البقاء وغيرهما من المعربين للصواب في ذلك فقال هنا أبو البقاء ﴿يوزعون * حتى إذآ﴾ في موضع نصب لجوابها وهو ﴿يقول﴾ وليس لحتى هاهنا عمل وإنما أفادت معنى الغاية ، كما لا تعمل في الجمل و﴿يجادلونك﴾ حال من ضمير الفاعل في وهو العامل في الحال ، يقول جواب ﴿قبلكم إذآ﴾ وهو العامل في إذا ؛ انتهى.جزء : ٤ رقم الصفحة : ٨٤﴿وهم ينهون عنه ويناون عنه﴾ روي عن ابن عباس أنها نزلت في أبي طالب ، كان ينهي المشركين أن يؤذوا الرسول وأتباعه وكانوا يدعوه إلى الإسلام فاجتمعت قريش بأبي طالب يريدون سوءا برسول الله صلى الله عليه وسلم.فقال أبو طالب : ٩٩والله لن يصلوا إليك بجمعهمحتى أوسد في التراب دفينافاصدع بأمرك ما عليك غضاضةوابشر وقر بذاك منك عيوناودعوتني وزعمت أنك ناصحولقد صدقت وكنت ثم أميناوعرضت دينا لا محالة أنهمن خير أديان البرية دينالولا الملامة أو حذار مسبةلوجدتني سمحا بذاك مبينا." (١)

"وذهب ابن كيسان إلى أن الجملة الاستفهامية في أرأيت زيدا ما صنع بدل من أرأيت ، وزعم أبو الحسن إن أرأيتك إذا كانت بمعنى أخبرني فلا بد بعدها من الاسم المستخبر عنه وتلزم الجملة التي بعده الاستفهام ، لأن أخبرني موافق لمعنى الاستفهام وزعم أيضا أنها تخرج عن بابها بالكلية وتضمن معنى أما أو تنبه وجعل من ذلك قوله تعالى : قال ﴿أرءيت إذ أوينآ إلى الصخرة فإنى نسيت الحوت﴾ وقد أمعنا الكلام على أرأيت ومسائلها في كتابنا المسمى **بالتذييل** في شرح التسهيل

---

(١) تفسير البحر المحيط. (دار الفكر)، ٧٩/٤

وجمعنا فيه ما لا يوجد مجموعا في كتاب فيوقف عليه فيه ، ونحن نتكلم على كل مكان تقع فيه أرأيت في القرآن بخصوصيته.١٢٦فنقول الذي نختاره إنها باقية على حكمها من التعدي إلى اثنين فالأول منصوب والذي لم نجده بالاستقراء إلا جملة استفهامية أو قسمية ، فإذا تقرر هذا فنقول : المفعول الأول في هذه الآية محذوف والمسألة من باب التنازع تنازع ﴿أرءيتكم﴾ والشرط على عذاب الله فأعمل الثاني وهو ﴿ءاتاكم﴾ فارتفع عذاب به ، ولو أعمل الأول لكان التركيب عذاب بالنصب ونظيره اضرب إن جاءك زيد على أعمال جاءك ، ولو نصب لجاز وكان من أعمال الأول وأما المفعول الثاني فهي الجملة الاستفهامية من ﴿أغير الله تدعون﴾ والرابط لهذه الجملة بالمفعول الأول محذوف تقديره ﴿أغير الله تدعون﴾ لكشفه والمعنى : قل أرأيتكم عذاب الله إن أتاكم أو الساعة إن أتتكم أغير الله تدعون لكشفه أو كشف نوار لها ، وزعم أبو الحسن أن ﴿أرءيتكم﴾ في هذه الآية بمعنى أما.قال وتكون أبدا بعد الشرط وظروف الزمان والتقدير أما إن أتاكم عذابه والاستفهام جواب أرأيت لا جواب الشرط وهذا إخراج لأرأيت عن مدلولها بالكلية ، وقد ذكرنا تخريجها على ما استقر فيها فلا نحتاج إلى هذا التأويل البعيد ، وعلى ما زعم أبو الحسن لا يكون لأرأيت مفعولان ولا مفعول واحد ، وذهب بعضهم إلى أن مفعول ﴿أرءيتكم﴾ محذوف دل عليه الكلام تقديره أرأيتكم عبادتكم الأصنام هل تنفعكم عند مجيء الساعة ؟ ودل عليه قوله : ﴿أغير الله تدعون﴾ . وقال آخرون لا تحتاج هنا إلى جواب مفعول لأن الشرط وجوابه قد حصلا معنى المفعول وهذان القولان ضعيفان ، وأما جواب الشرط فذهب الحوفي إلى أن جوابه ﴿أرءيتكم﴾ قدم لدخول ألف الاستفهام عليه وهذا لا يجوز عندنا ، وإنما يجوز تقديم جواب الشرط عليه في مذهب الكوفيين وأبي زيد والمبرد وذهب غيره إلى أنه محذوف فقدره الزمخشري فقال : إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة من تدعون ؟ وإصلاحه بدخول الفاء أي فمن تدعون ؟ لأن الجملة الاستفهامية إذا وقعت جوابا للشرط فلا بد فيها من الفاء ؟ وقدره غيره إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة دعوتم الله ودل عليه الاستفهام في قوله : ﴿أغير الله تدعون﴾ .جزء : ٤ رقم الصفحة : ١١٦وقال الزمخشري : ويجوز أن يتعلق الشرط بقوله : ﴿أغير الله تدعون﴾ كأنه قيل أغير الله تدعون إن أتاكم عذاب الله ؛ انتهى. فلا يجوز أن يتعلق الشرط بقوله : ﴿أغير الله﴾ لأنه لو تعلق به لكان جوابا للشرط ، فلا يجوز أن يكون جوابا للشرط لأن جواب الشرط إذا كان استفهاما بالحرف لا يكون إلا بهل مقدما عليها الفاء نحو أن قام زيد فهل تكرمه ؟ ولا يجوز ذلك في الهمزة لا تتقدم الفاء على الهمزة ولا تتأخر عنها ، فلا يجوز إن قام زيد فأتكرمه ولا أفتكرمه ولا أتكرمنه ، بل إذا جاء الاستفهام جوابا للشرط لم يكن إلا بما يصح وقوعه بعد الفاء لا قبلها هكذا نقله الأخفش عن العرب ، ولا يجوز أيضا من وجه آخر لأنا قد قررنا إن أرأيتك متعد إلى اثنين أحدهما في هذه الآية محذوف وأنه من باب التنازع والآخر وقعت الجملة الاستفهامية موقعة فلو جعلتها جوابا للشرط لبقيت ﴿أرءيتكم﴾ متعدية إلى واحد ، وذلك لا يجوز وأيضا التزام العرب في الشرط الجائي بعد أرأيت مضى الفعل دليل على أن جواب الشرط محذوف ، لأنه لا يحذف جواب الشرط إلا عند مضي فعله قال تعالى : ﴿قل أرءيتكم إن أتاكم عذاب الله﴾ ﴿قل أرءيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم﴾ ﴿قل أرءيتم إن أتاكم عذابه بياتا﴾ ﴿قل أرءيتم إن جعل الله﴾ ﴿أفرءيت إن متعناهم سنين﴾ ﴿أرءيت إن كذب وتولى * ألم يعلم﴾ إلى غير ذلك من الآيات ، وقال الشاعر : أرأيت إن جاءت به أملوداوأيضا فمجيء الجمل الاستفهامية مصدرة بهمزة الاستفهام دليل

على أنها ليست جواب الشرط ، إذ لا يصح وقوعها جوابا للشرط.وقال الزمخشري : (فإن قلت) : إن علقت الشرطية يعني بقوله : ﴿غير الله﴾ فما تصنع بقوله : ﴿فيكشف ما تدعون إليه﴾١٢٧." (١)

"ومن عاد فينتقم الله منه أي : فهو ينتقم الله منه. وتضمن قوله : فلا أعبد ، معنى فأنا مخالفكم. وأن أقم يحتمل أن تكون معمولة لقوله : وأمرت ، مراعى فيها المعنى. لأن معنى قوله أن أكون كن من المؤمنين ، فتكون أن مصدرية صلتها الأمر. وقد أجاز ذلك النحويون ، فلم يلتزموا في صلتها ما التزم في صلات الأسماء الموصولة من كونها لا تكون إلا خبرية بشروطها المذكورة في النحو. ويحتمل أن تكون على إضمار فعل أي : وأوحي إلي أن أقم ، فاحتمل أن تكون مصدرية ، واحتمل أن تكون حرف تفسير ، لأن الجملة المقدرة فيها معنى القول وإضمار الفعل أولى ، ليزول قلق العطف لوجود الكاف ، إذ لو كان وأن أقم عطفا على أن أكون ، لكان التركيب وجهي بياء المتكلم ومراعاة المعنى فيه ضعف ، وإضمار الفعل أكثر من مراعاة العطف على المعنى. والوجه هنا المنحى ، والمقصد أي : استقم للدين ولا تحد عنه ، وكنى بذلك عن صرف العقل بالكلية إلى طلب الدين. وحنيفا : حال من الضمير في أقم ، أو من المفعول. وأجاز الزمخشري أن تكون حالا من الدين ، ولا تدع يحتمل أن يكون استئناف نهي ، ويحتمل أن يكون معطوفا على أقم ، فيكون في حيز أن على قسميها من كونها مصدرية ، وكونها حرف تفسير. وإذا كان دعاء الأصنام منهيا عنه فأحرى أن ينهي عن عبادتها ، فإن فعلت كنى بالفعل عن الدعاء إيجازا أي : فإن دعوت ما لا ينفعك ولا يضرك. وجواب الشرط فإنك وخبرها ، وتوسطت إذا بين اسم إن والخبر ، ورتبتها بعد الخبر ، لكن روعي في ذلك الفاصلة. قال الحوفي : الفاء جواب الشرط ، وإذا متوسطة لا عمل لها يراد بها في هذا إذا كان ذلك هذا تفسير ، المعنى لا يجيء على معنى الجواب انتهى. وقال الزمخشري : إذا جواب الشرط ، وجواب لجواب مقدر كان سائلا سأل عن تبعة عبادة الأوثان ، وجعل من الظالمين لأنه لا ظلم أعظم من الشرك ، ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾ انتهى. وكلامه في إذا يحتاج إلى تأمل ، وقد تقدم لنا الكلام فيها مشبعا في سورة البقرة. ولما وقع النهي عن دعاء الأصنام وهي لا تضر ولا تنفع ، ذكر أن الحول والقوة والنفع والضر ليس ذلك إلا لله ، وأنه تعالى هو المنفرد بذلك ، وأتى في الضر بلفظ المس ، وفي الخير بلفظ الإرادة ، وطابق بين الضر والخير مطابقة معنوية لا لفظية ، لأن مقابل الضر النفع ومقابل الخير الشر ، فجاءت لفظة الضر ألطف وأخص من لفظة الشر ، وجاءت لفظة الخير أتم من لفظة النفع ، ولفظة المس أوجز من لفظ الإرادة وأنص على الإصابة وأنسب لقوله : فلا كاشف له إلا هو ، ولفظ الإرادة أدل على الحصول في وقت الخطاب وفي غيره وأنسب للفظ الخير ، وإن كان المس والإرادة معناهما الإصابة. وجاء جواب : وإن يمسسك بنفي عام وإيجاب ، وجاء جواب : وإن يردك بنفي عام ، لأن ما أراده لا يرده راد لا هو ولا غيره ، لأن إرادته قديمة لا تتغير ، فلذلك لم يجيء التركيب فلا راد له إلا هو. والمس من حيث هو فعل صفة فعل يوقعه ويرفعه بخلاف الإرادة ، فإنها صفة ذات ، وجاء فلا راد لفضله سمى الخير فضلا إشعارا بأن الخيور١٩٦جزء : ٥ رقم الصفحة : ١٨٦من الله تعالى ، هي صادرة على سبيل الفضل والإحسان والتفضل. ثم اتسع في الإخبار عن الفضل والخير فقال : يصيب به من يشاء من عباده ، ثم أخبر بالصفتين الدالتين على عدم المؤاخذة وهما : الغفور الذي يستر ويصفح عن الذنوب ، والرحيم

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ١٠١/٤

الذي رحمته سبقت غضبه. ولما تقدم قوله : ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك ، فأخر الضر ، ناسب أن تكون البداءة بجملة الشرط المتعلقة بالضر. وأيضا فإنه لما كان الكفار يتوقع منهم الضر للمؤمنين والنفع لا يرجى منهم ، كان تقديم جملة الضر آكد في الإخبار فبدىء بها. وقال الزمخشري : (فإن قلت) : لم ذكر المس في أحدهما ، والإرادة في الثاني ؟ (قلت) : كأنه أراد أن يذكر الأمرين جميعا : الإرادة ، والإصابة في كل واحد من الضر والخير ، وأنه لا راد لما يريد منهما ، ولا مزيل لما يصيب به منهما ، فأوجز الكلام بأن ذكر المس وهو الإصابة في أحدهما ، والإرادة في الإنجاز ، ليدل بما ذكر على ما ترك على أنه قد كرر الإصابة في الخير في قوله : يصيب به من يشاء من عباده ، والمراد بالمشيئة المصلحة.﴿قل يا أيها الناس قد جآءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدى لنفسها ومن ضل فإنما يضل عليها ومآ أنا عليكم بوكيل * واتبع ما يوحى إليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين﴾ الحق : القرآن ، أو الرسول ، أو دين الإسلام ، ثلاثة أقوال والمعنى : فإنما ثواب هدايته حاصل له ، ووبال ضلاله عليه ، والهداية والضلال واقعان بإرادة الله تعالى من العبد ، هذا مذهب أهل السنة. وأن من حكم له في الأزل بالاهتداء فسيقع ذلك ، وإن من حكم له بالضلال فكذلك ولا حيلة في ذلك. وقال القاضي : إنه تعالى بين أنه أكمل الشريعة وأزاح العلة وقطع المعذرة فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ، ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل ، فلا يجب علي من السعي في إيصالكم إلى الثواب العظيم ، وفي تخليصكم من العذاب الأليم ، أزيد مما فعلت. وقال الزمخشري : لم يبق لكم عذر ولا على الله تعالى حجة ، فمن اختار الهدى واتباع الحق فما نفع باختياره إلا نفسه ، ومن آثر الضلال فما ضر إلا نفسه. واللام وعلى على معنى النفع والضر ، وكل إليهم الأمر بعد إزاحة العلل وإبانة الحق. وفيه حث على إتيان الهدى واطراح الضلال مع ذلك ، وما أنا عليكم بوكيل بحفيظ موكول إلي أمركم وحملكم على ما أريد ، إنما أنا بشير ونذير انتهى. وكلامه **تذييل** كلام القاضي ، وهو جار على مذهب المعتزلة. وأمره تعالى نبيه باتباع ما يوحى إليه أمر بالديمومة وبالصبر على ما ينالك في الله من أذى الكفار وإعراضهم ، وغيا الأمر بالصبر بقوله : حتى يحكم الله وهو وعد منه تعالى بإعلاء كلمته ونصره على أعدائه كما وقع. وذهب ابن عباس وجماعة إلى أن قوله : وما أنا عليكم بوكيل واصبر ، منسوخ بآية السيف. وذهب جماعة إلى أنه محكم ، وحملوا وما أنا عليكم بوكيل على أنه ليس بحفيظ على أعمالهم ليجازيهم عليها ، بل ذلك لله. وقوله : واصبر على ، الصبر على طاعة الله وحمل أثقال النبوة وأداء الرسالة ، وعلى هذا لا تعارض بين هاتين الآيتين وبين آية السيف ، وإلى هذا مال المحققون. وروي أنه لما نزلت : واصبر ، جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنصار فقال : "إنكم ستجدون بعدي إثرة فاصبروا حتى تلقوني" قال الزمخشري : يعني أني أمرت في هذه الآية بالصبر على ما سامني الكفرة ، فصبرت واصبروا أنتم على ما يسومكم الأمراء الجورة. قال أنس : فلم نصبر ، ثم ذكر حكاية جرت بين أبي قتادة ومعاوية رضي الله عنهما يوقف عليها من كتابه.١٩٧جزء : ٥ رقم الصفحة : ١٨٦." (١)

"﴿فاجلدوهم﴾ أمر للإمام ونوابه بالجلد ، والظاهر وجوب الجلد وإن لم يطالب المقذوف وبه قال ابن أبي ليلى. وقال أبو حنيفة وأصحابه والأوزاعي والشافعي : لا يحد إلا بمطالبته. وقال مالك كذلك إلا أن يكون الإمام سمعه يقذفه

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ١٦١/٥

فيحده إذا كان مع الإمام شهود عدول وإن لم يطالب المقذوف ، والظاهر أن العبد القاذف حرا إذا لم يأت بأربعة شهداء حد ثمانين لاندراجه في عموم ﴿والذين يرمون﴾ وبه قال عبد الله بن مسعود والأوزاعي. وقال أبو حنيفة وأصحابه ومالك والثوري وعثمان البتي والشافعي : يجلد أربعين وهو قول علي وفعل أبي بكر وعمر وعلي ومن بعدهم من الخلفاء قاله عبد الله بن ربيعة ، ولو قذف واحد جماعة بلفظ واحد أو أفرد لكل واحد حد حدا واحدا وهو قول أبي حنيفة وأصحابه ومالك والثوري والليث. وقال عثمان البتي والشافعي لكل واحد حد. وقال الشعبي وابن أبي ليلى : إن كان بلفظ واحد نحو يا زناة فحد واحد ، أو قال : لكل واحد يا زاني فلكل إنسان حد ، والظاهر من الآية أنه لا يجلد إلا القاذف ولم يأت جلد الشاهد إذا لم يستوف عدد الشهود ، وليس من جاء للشهادة للقاذف بقاذف وقد أجراه عمر مجرى القاذف. وجلد أبا بكرة وأخاه نافعا وشبل بن معبد البجلي لتوقف الرابع وهو زيادة في الشهادة فلم يؤدها كاملة ، ولو أتى بأربعة شهداء فساق. فقال زفر : يدرأ الحد عن القاذف والشهور. وعن أبي يوسف يحد القاذف ويدرأ عن الشهود. وقال مالك وعبيد الله بن الحسن : يحد الشهود والقاذف.﴿ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا ﴾ الظاهر أنه لا يقبل شهادته أبدا وإن أكذب نفسه وتاب ، وهو نهي جاء بعد أمر ، فكما أن حكمه الجلد كذلك حكمه رد شهادته وبه قال شريح القاضي والنخعي وابن المسيب وابن جبير والحسن والثوري وأبو حنيفة وأصحابه والحسن بن صالح : لا تقبل شهادة المحدود في القذف وإن تاب ، وتقبل شهادته في غير المقذوف إذا تاب. وقال مالك : تقبل في القذف بالزنا وغيره إذا تاب وبه قال عطاء وطاوس ومجاهد والشعبي والقاسم بن محمد وسالم والزهري ، وقال : لا تقبل شهادة محدود في الإسلام يعني مطلقا ، وتوبته بماذا تقبل بإكذاب نفسه في القذف وهو قول الشافعي وكذا فعل عمر بنافع وشبل أكذبا أنفسهما فقبل شهادتهما ، وأصر أبو بكرة فلم تقبل شهادته حتى مات.﴿وأولائك هم الفاسقون﴾ الظاهر أنه كلام مستأنف غير داخل في حيز الذين يرمون ، كأنه إخبار بحال الرامين بعد انقضاء الموصول المتضمن معنى الشرط وما ترتب في خبره من الجلد وعدم قبول الشهادة أبدا.جزء : ٦ رقم الصفحة : ٤٢٥﴿إلا الذين تابوا ﴾ هذا الاستثناء يعقب جملا ثلاثة ، جملة الأمر بالجلد وهو لو تاب وأكذب نفسه لم يسقط عنه حد القذف ، وجملة النهي٤٣٢عن قبول شهادتهم أبدا وقد وقع الخلاف في قبول شهادتهم إذا تابوا بناء على أن هذا الاستثناء راجع إلى جملة النهي ، وجملة الحكم بالفسق أو هو راجع إلى الجملة الأخيرة وهي الثالثة وهي الحكم بفسقهم والذي يقتضيه النظر أن الاستثناء إذا تعقب جملة يصلح أن يتخصص كل واحد منها بالاستثناء أن يجعل تخصيصا في الجملة الأخيرة ، وهذه المسألة تكلم عليها في أصول الفقه وفيها خلاف وتفصيل ، ولم أر من تكلم عليها من النحاة غير المهاباذي وابن مالك فاختار ابن مالك أن يعود إلى الجمل كلها كالشرط ، واختار المهاباذي أن يعود إلى الجملة الأخيرة وهو الذي نختاره ، وقد استدللنا على صحة ذلك في كتاب التذييل والتكميل في شرح التسهيل. وقال الزمخشري : وجعل يعني الشافعي الاستثناء متعلقا بالجملة الثانية وحق المستثنى عنده أن يكون مجرور بدلا من ﴿هم﴾ في ﴿لهم﴾ وحقه عند أبي حنيفة النصب لأنه عن موجب ، والذي يقتضيه ظاهر الآية ونظمها أن تكون الجمل الثلاث مجموعهن جزاء الشرط يعني الموصول المضمن معنى الشرط كأنه قيل : ومن قذف المحصنات فاجلدوه وردوا شهادته وفسقوه أي اجمعوا له الحد والرد والفسق.﴿إلا الذين تابوا ﴾ عن القذف ﴿وأصلحوا فإن الله غفور رحيم﴾ فينقلبون غير محدودين ولا مردودين

ولا مفسقين انتهى. وليس يقتضي ظاهر الآية عود الاستثناء إلى الجمل الثلاث ، بل الظاهر هو ما يعضده كلام العرب وهو الرجوع إلى الجملة التي تليها والقول بأنه استثناء منقطع مع ظهور اتصاله ضعيف لا يصار إليه إلا عند الحاجة.." (١)

"سورة الجاثيةبسم الله الرحمن الرحيمجزء : ٨ رقم الصفحة : ٤٠جزء : ٨ رقم الصفحة : ٤١٤١﴿تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم * إن فى السماوات والارض لايات للمؤمنين * وفى خلقكم وما يبث من دآبة ءايات لقوم يوقنون * واختلاف اليل والنهار ومآ أنزل الله من السمآء من رزق فأحيا به الارض بعد موتها وتصريف الرياح ءايات لقوم يعقلون﴾.هذه السورة مكية ، قال ابن عطية : بلا خلاف ، وذكر الماوردي : ﴿قل للذين ءامنوا يغفروا ﴾ الآية ، فمدنية نزلت في عمر بن الخطاب. قال ابن عباس ، وقتادة ، وقال النحاس ، والمهدوي ، عن ابن عباس : نزلت في عمر : شتمه مشرك بمكة قبل الهجرة ، فأراد أن يبطش به ، فنزلت. ومناسبة أولها لآخر ما قبلها في غاية الوضوح. قال : ﴿فإنما يسرناه بلسانك﴾ ، وقال : ﴿حما * تنزيل الكتاب﴾ ، وتقدم الكلام على ﴿تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم﴾ ، أول الزمر. وقال أبو عبد الله الرازي : وقوله : ﴿العزيز الحكيم﴾ ، يجوز جعله صفة لله ، فيكون ذلك حقيقة ؛ ﴿إنا جعلناه﴾ صفة للكتاب ، كان ذلك مجازا ؛ والحقيقة أولى من المجاز ، مع أن زيادة القرب توجب الرجحان. انتهى. وهذا الذي ردد في قوله : ﴿إنا جعلناه﴾ صفة للكتاب لا يجوز. لو كان صفة للكتاب لوليه ، فكان يكون التركيب : تنزيل الكتاب العزيز الحكيم من الله ، لأن من الله ، إما أن يكون متعلقا بتنزيل ، وتنزيل خبر لحم ، أو لمبتدأ محذوف ، فلا يجوز الفصل به بين الصفة والموصوف ، لا يجوز أعجبني ضرب زيد سوط الفاضل ؛ أو في موضع الخبر ، وتنزيل مبتدأ ، فلا يجوز الفصل بين الصفة والموصوف أيضا ، لا يجوز ضرب زيد شديد الفاضل ، والتركيب الصحيح في نحو هذا أن يلي الصفة موصوفها.﴿إن فى السماوات والارض﴾ ، احتمل أن يريد : في خلق السموات ، كقوله : ﴿وفى خلقكم﴾ ، والظاهر أنه لا يراد التخصيص بالخلق ، بل في السموات والأرض على الإطلاق والعموم ، أي في أي شيء نظرت منهما من خلق وغيره ، من تسخير وتنوير وغيرهما ، ﴿لايات﴾ : لم يأت بالآيات مفصلة ، بل أتى بها مجملة ، إحالة على غوامض يثيرها الفكر ويخبر بكثير منها الشرع. وجعلها ﴿للمؤمنين﴾ ، إذ في ضمن الإيمان العقل والتصديق. ﴿وما يبث من دآبة﴾ ، أي في غير جنسكم ، وهو معطوف على : ﴿وفى خلقكم﴾ . ومن أجاز العطف على الضمير المخفوض من غير إعادة الخافض ، أجاز في ﴿وما يبث﴾ أن يكون معطوفا على الضمير ﴿وفى خلقكم﴾ ، وهو مذهب الكوفيين ، ويونس ، والأخفش ؛ وهو الصحيح ، واختاره الأستاذ أبو علي الشلوبين. وقال الزمخشري : يقبح العطف عليه ، وهذا تفريع على مذهب سيبويه وجمهور البصريين ، قال : وكذلك أن أكدوه كرهوا أن يقولوا : مررت بك أنت وزيد. انتهى. وهذا يجيزه الجرمي والزيباري في الكلام ، وقال : ﴿لقوم يوقنون﴾ : وهم الذين لهم نظر يؤديهم إلى اليقين.جزء : ٨ رقم الصفحة : ٤١﴿واختلاف اليل والنهار﴾ : تقدم الكلام على نظيره في سورة البقرة. وقرأ الجمهور : آيات ، جمعا بالرفع فيهما ؛ والأعمش ، والجحدري ، وحمزة ، والكسائي ، ويعقوب : بالنصب فيهما ؛ وزيد بن علي ؛ برفعهما على التوحيد. وقرأ أبي ، وعبد الله : لآيات فيهما ، كالأولى. فأما : ﴿لقوم يعقلون * تلك﴾ رفعا ونصبا ، فاستدل٤٢ به وشبهه مما جاء في كلام الأخفش ، ومن أخذ بمذهبه على عطف

---

(١) تفسير البحر المحيط. (دار الفكر)، ٣١٦/٦

معمولي عاملين بالواو ، وهي مسألة فيها أربعة مذاهب ، ذكرناها في (كتاب التذييل والتكميل لشرح التسهيل). فأما ما يخص هذه الآية ، فمن نصب آيات بالواو عطفت ، واختلاف على المجرور بفي قبله وهو : ﴿وفى خلقكم وما يبث﴾ ، وعطف آيات على آيات ، ومن رفع فكذلك ، والعاملان أولاهما إن وفي ، وثانيهما الابتداء وفي. وقال الزمخشري : أقيمت الواو مقامهما ، فعملت الجر ، واختلاف الليل والنهار والنصب في آيات ، وإذا رفعت والعاملان الابتداء ، وفي عملت الرفع للواو ليس بصحيح ، لأن الصحيح من المذاهب أن حرف العطف لا يعمل ؛ ومن منع العطف على مذهب الأخفش ، أضمر حرف الجر فقدر. وفي اختلاف ، فالعمل للحرف مضمرا ، ونابت الواو مناب عامل واحد ؛ ويدل على أن في مقدرة قراءة عبد الله : وفي اختلاف ، مصرحا وحسن حذف في تقدمها في قوله : ﴿وفى خلقكم﴾ ؛ وخرج أيضا النصب في آيات على التوكيد لآيات المتقدمة ، ولإضمار حرف في وقرىء واختلاف بالرفع على خبر مبتدأ محذوف ، أي هي آيات ولإضمار حرف أيضا. وقرأ : واختلاف الليل والنهار آية بالرفع في اختلاف ، وفي آية موحدة ؛ وكذلك ﴿وما يبث من دآبة﴾ . وقرأ زيد بن علي ، وطلحة ، وعيسى : ﴿وتصريف الرياح﴾ .." (١)

"ولا يتعين أن يكون ﴿تنزيل﴾ صفة ، بل يجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف ، فيحسن إذ ذاك أن يكون ﴿لا يمسها﴾ نهيا. وذكروا هنا حكم مس المصحف ، وذلك مذكور في الفقه ، وليس في الآية دليل على منع ذلك. وقرأ الجمهور : ﴿المطهرون﴾ اسم مفعول من طهر مشددا ؛ وعيسى : كذلك مخففا من أطهر ، ورويت عن نافع وأبي عمرو. وقرأ سلمان الفارسي : المطهرون ، بخف الطاء وشد الهاء وكسرها : اسم فاعل من طهر ، أي المطهرين أنفسهم ؛ وعنه أيضا المطهرون بشدهما ، أصله المتطهرون ، فأدغم التاء في الطاء ، ورويت عن الحسن وعبد الله بن عوف.

٢١٤

وقرىء : المتطهرون. وقرىء : تنزيلا بالنصب ، أي نزل تنزيلا ، والإشارة في : ﴿أفبهاذا الحديث﴾ للقرآن ، و﴿أنتم﴾ : خطاب للكفار ، ﴿مدهنون﴾ ، قال ابن عباس : مهاودون فيما لا يحل. وقال أيضا : مكذبون. ﴿وتجعلون رزقكم﴾ : أي شكر ما رزقكم الله من إنزال القرآن عليكم تكذيبكم به ، أي تضعون مكان الشكر التكذيب ، ومن هذا المعنى قول الراجز :

مكان شكر القوم عند المننكي الصحيحات وفقوء الأعين

وقرأ علي وابن عباس : وتجعلون شكركم ، وذلك على سبيل التفسير لمخالفته السواد. وحكى الهيثم بن عدي أن من لغة أزد شنؤه ما رزق فلان فلانا ، بمعنى : ما شكره. قيل : نزلت في الأنواء ، ونسبة السقيا إليها ، والرزق : المطر ، فالمعنى : ما يرزقكم الله من الغيب. وقال ابن عطية : أجمع المفسرون على أن الآية توبيخ للقائلين في المطر ، هذا بنوء كذا وكذا ، وهذا بنوء الأسد ، وهذا بنوء الجوزاء ، وغير ذلك. وقرأ الجمهور : ﴿تكذبون﴾ من التكذيب ؛ وعلي والمفضل عن عاصم : من الكذب ، فالمعنى من التكذيب أنه ليس من عند الله ، أي القرآن أو المطر ، حيث ينسبون ذلك إلى النجوم. ومن الكذب قولهم : في القرآن سحر وافتراء ، وفي المطر من الأنواء.

---

(١) تفسير البحر المحيط. (دار الفكر)، ٨/٣٣

﴿فلولا إذا بلغت الحلقوم * وأنتم حيناذ تنظرون﴾ ، قال الزمخشري : ترتيب الآية : فلولا ترجعونها إذا بلغت الحلقوم إن كنتم غير مدينين ، فلولا الثانية مكررة للتوكيد ، والضمير في ترجعونها للنفس. وقال ابن عطية : توقيف على موضع عجز يقتضي النظر فيه أن الله مالك كل شيء. ﴿وأنتم﴾ : إشارة إلى جميع البشر ، ﴿حيناذ﴾ : حين إذ بلغت الحلقوم ، ﴿تنظرون﴾ : أي إلى النازع في الموت. وقرأ عيسى : حينئذ بكسر النون اتباعا لحركة الهمزة في إذ ، ﴿ونحن أقرب إليه منكم﴾ بالعلم والقدرة ، ﴿ولاكن لا تبصرون﴾ : من البصيرة بالقلب ، أو ﴿أقرب﴾ : أي ملائكتنا ورسلنا ، ﴿ولاكن لا تبصرون﴾ : من البصر بالعين. ثم عاد التوقيف والتقدير ثانية بلفظ التخصيص. والمدين : المملوك. قال الأخطل :

ربت ورباني في حجرها ابن مدينة

قيل : ابن مملوكة يصف عبدا ابن أمة ، وآخر البيت : تراه على مسحانة يتوكل

والمعنى : فلولا ترجعون النفس البالغة إلى الحلقوم إن كنتم غير مملوكين وغير مقهورين. ﴿إن كنتم صادقين﴾ في تعطيلكم وكفركم بالمحيي المميت المبدىء المعيد ، إذ كانوا فيما ذهبوا إليه من أن القرآن سحر وافتراء ، وأن ما نزل من المطر هو بنوء ، كذا تعطيل للصانع وتعجيز له. وقال ابن عطية : قوله ﴿ترجعونهآ﴾ سد مسد جوابها ، والبيانات التي تقتضيها التخصيصات ، وإذا من قوله : ﴿فلولا إذا﴾ ، وإن المتكررة ، وحمل بعض القول بعضا إيجازا واقتصارا. انتهى. وتقول : ﴿إذا﴾ ليست شرطية ، فتسد ﴿ترجعونهآ﴾ مسد جوابها ، بل هي ظرف غير شرط معمول لترجعونها المحذوف بعد فلولا ، لدلالة ترجعونها في التخصيص الثاني علي ، فجاء التخصيص الأول مقيدا بوقت بلوغ الحلقوم ، وجاء التخصيص الثاني معلقا على انتفاء مربوبيتهم ، وهم لا يقدرون على رجوعها ، إذ مربوبيتهم موجودة ، فهم مقهورون لا قدرة لهم. ﴿فأمآ إن كان﴾ : أي المتوفى ، ﴿من المقربين﴾ : وهم السابقون. وقرأ الجمهور ؛ ﴿فروح﴾ ، بفتح الراء ؛ وعائشة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وابن عباس ، والحسن ، وقتادة ، ونوح القارىء ، والضحاك ، والأشهب ، وشعيب بن الحبحاب ، وسليمان التيمي ، والربيع بن خيثم ، ومحمد بن علي ، وأبو عمران الجوني ، والكلبي ، وفياض ، وعبيد ، وعبد الوارث عن أبي عمرو ، ويعقوب بن صيان ، وزيد ، ورويس عنه : بضمها. قال الحسن : الروح : الرحمة ، لأنها كالحياة للمرحوم. وقال أيضا : روحه تخرج في ريحان. وقيل : الروح : البقاء ، أي فهذان له معا ، وهو الخلود مع الرزق. وقال مجاهد : الريحان : الرزق. وقال الضحاك : الاستراحة. وقال أبو العالية وقتادة والحسن أيضا :

٢١٥

الريحان ، هذا الشجر المعروف في الدنيا ، يلقى المقرب ريحانا من الجنة. وقال الخليل : هو ظرف كل بقلة طيبة فيها أوائل النور. وقال صلى الله عليه وسلم ، في الحسن والحسين ، رضي الله تعالى عنهما : "هما ريحانتاي من الدنيا".

وقال ابن عطية : الريحان : مما تنبسط به النفوس ، ﴿فروح﴾ : فسلام ، فنزل الفاء جواب أما تقدم. أما وهي في تقدير الشرط ، وإن كان من المقربين ، وإن كان من أصحاب اليمين ، وإن كان من المكذبين الضالين شرط ؛ وإذا اجتمع شرطان ، كان الجواب للسابق منهما. وجواب الثاني محذوف ، ولذلك كان فعل الشرط ماضي للفظ ، أو مصحوبا بلم ، وأغنى

عنه جواب أما ، هذا مذهب سيبويه. وذهب أبو علي الفارسي إلى أن الفاء جواب إن ، وجواب أما محذوف ، وله قول موافق لمذهب سيبويه. وذهب الأخفش إلى أن الفاء جواب لأما ، والشرط معا ، وقد أبطلنا هذين المذهبين في كتابنا المسمى **بالتذييل** والتكميل في شرح التسهيل ، والخطاب في ذلك للرسول صلى الله عليه وسلم ، أي لا ترى فيهم يا محمد إلا السلامة من العذاب. ثم لكل معتبر من أمته صلى الله عليه وسلم قبل لمن يخاطبه : ﴿من أصحاب اليمين﴾ . فقال الطبري : المعنى : فسلام لك أنت من أصحاب اليمين. وقال قوم : المعنى : فيقال لهم : مسلم لك إنك من أصحاب اليمين. وقيل : فسلام لك يا صاحب اليمين من إخوانك أصحاب اليمين ، أي يسلمون عليك ، كقوله : ﴿إلا قيلا سلاما سلاما﴾ . والمكذبون الضالون هم أصحاب المشأمة ، أصحاب الشمال. وقرأ الجمهور : وتصلية رفعا ، عطفا على ﴿فنزل﴾ ؛ وأحمد بن موسى والمنقري واللؤلؤي عن أبي عمرو : بجر عطفا على ﴿من حميم﴾ . ولما انقضى الإخبار بتقسيم أحوالهم وما آل إليه كل قسم منهم ، أكد ذلك بقوله : ﴿إن هاذا﴾ : أي إن هذا الخبر المذكور في هذه السورة ﴿لهو حق اليقين﴾ ، فقيل : هو من إضافة المترادفين على سبيل المبالغة ، كما تقول : هذا يقين اليقين وصواب الصواب ، بمعنى أنها نهاية في ذلك ، فهما بمعنى واحد أضيف على سبيل المبالغة. وقيل : هو من إضافة الموصوف إلى صفته جعل الحق مباينا لليقين ، أي الثابت المتيقن.

ولما تقدم ذكر الأقسام الثلاثة مسهبا الكلام فيهم ، أمره تعالى بتنزيهه عن ما لا يليق به من الصفات. ولما أعاد التقسيم موجزا الكلام فيه ، أمره أيضا بتنزيهه وتسبيحه ، والإقبال على عبادة ربه ، والإعراض عن أقوال الكفرة المنكرين للبعث والحساب والجزاء. ويظهر أن سبح يتعدى تارة بنفسه ، كقوله : ﴿سبح اسم ربك الاعلى﴾ ، ويسبحوه ؛ وتارة بحرف الجر ، كقوله : ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ ، والعظيم يجوز أن يكون صفة لاسم ، ويجوز أن يكون صفة لربك.

جزء : ٨ رقم الصفحة : ٢٠٧." (١)

"بسم الله الرحمن الرحيم[وهي] (١) مكية.﴿الم (١) أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون (٢) ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين (٣) أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ساء ما يحكمون (٤) ﴾ .أما الكلام على الحروف المقطعة فقد تقدم في أول سورة "البقرة".وقوله: ﴿أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون﴾ استفهام إنكار، ومعناه: أن الله سبحانه وتعالى لا بد أن يبتلي عباده المؤمنين بحسب ما عندهم من الإيمان، كما جاء في الحديث الصحيح: "أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة زيد في البلاء" (٢) . وهذه الآية كقوله: ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين﴾ (٣) [آل عمران: ١٤٢] ، ومثلها في سورة "براءة" وقال في البقرة: ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب﴾ [البقرة: ٢١٤] ؛ ولهذا قال هاهنا: ﴿ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين﴾ أي: الذين صدقوا في دعواهم الإيمان ممن هو كاذب في قوله ودعواه. والله سبحانه وتعالى يعلم

---

(١) تفسير البحر المحيط. (دار الفكر)، ١٦٢/٨

ما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون (٤) . وهذا مجمع عليه عند أئمة السنة والجماعة؛ ولهذا يقول ابن عباس وغيره في مثل: ﴿إلا لنعلم﴾ [البقرة: ١٤٣] : إلا لنرى؛ وذلك أن الرؤية إنما تتعلق بالموجود، والعلم أعم من الرؤية، فإنه [يتعلق] (٥) بالمعدوم والموجود.وقوله: ﴿أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ساء ما يحكمون﴾ أي: لا يحسبن الذين لم يدخلوا في الإيمان أنهم يتخلصون من هذه الفتنة والامتحان، فإن من ورائهم من العقوبة والنكال ما__________(١) زيادة من ف، أ.(٢) المسند (١/١٧٢) والترمذي في السنن برقم (٢٣٩٨) من طريق مصعب بن سعد عن أبيه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وقال الترمذي: "حديث حسن صحيح".(٣) هكذا وقعت الآية في جميع المخطوطات، والصواب بعدم إثبات قوله تعالى: (ويعلم الصابرين) لأنها ليست نهاية تذييل الآية ونهاية تذييل الآية: (ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون) .(٤) في ف، أ: "كيف كان يكون".(٥) زيادة من ف، أ.." [1]

"ت: قال الشيخ زين الدين عبد الرحيم بن حسين العراقي «١» في نظمه لغريب القرآن جمع أبي حيان: [الرجز]معنى «عوان» نصف بين الصغر ... وبين ما قد بلغت سن الكبروكل ما نقلته عن العراقي منظوما، فمن أرجوزته هذه.وقوله: فافعلوا ما تؤمرون تجديد للأمر، وتأكيد وتنبيه على ترك التعنت، فما تركوه. قال ابن زيد: وجمهور الناس في قوله: صفراء أنها كانت كلها صفراء، وفي «مختصر الطبري» : فاقع لونها أي: صاف لونها. انتهى.والفقوع مختص بالصفرة كما خص أحمر بقانئ، وأسود بحالك، وأبيض بناصع، وأخضر بناضر، قال ابن عباس وغيره: الصفرة تسر النفس، وسألوا بعد هذا كله عن ما هي سؤال متحيرين، قد أحسوا مقت المعصية «٢» .وفي استثنائهم في هذا السؤال الأخير إنابة ما، وانقياد، ودليل ندم وحرص على موافقة الأمر. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لولا ما استثنوا، ما اهتدوا إليها أبدا» «٣» .__________(١) عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم، محدث الديار المصرية، ذو التصانيف المفيدة، زين الدين أبو الفضل، العراقي الأصل، الكردي. ولد سنة (٧٢٥) ، أحب الحديث، وسمع كثيرا، وولع بتخريج أحاديث «الإحياء» ، ورافق الزيلعي الحنفي، وكان مفرط الذكاء، أكثر الرحلة والسماع، أخذ عنه الهيثمي، وغيره كابن حجر وبرهان الدين الحلبي، صنف «ألفية الحديث» وعمل نكتا على ابن الصلاح، وشرع في تكملة شرح الترمذي تذييلا على ابن سيد الناس. ت (٨٠٦) .ينظر: «طبقات ابن قاضي شهبة» (٤/ ٢٩) ، «الضوء اللامع» (٤/ ١٧١) ، «إنباء الغمر» (٥/ ١٧٠) .(٢) ذكره ابن عطية الأندلسي (١/ ١٦٣) .(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١/ ٢٢٣) ، رقم (٧٢٧) ، والبزار (٣/ ٤٠- كشف) ، رقم (٢١٨٨) ، وابن مردويه كما في «تفسير ابن كثير» (١/ ١١١) ، كلهم من طريق عباد بن منصور، عن الحسن، عن أبي رافع، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لولا أن بني إسرائيل قالوا: وإنا إن شاء الله لمهتدون [البقرة: ٧٠] لما أعطوا، ولكن استثنوا» وقال البزار: لا نعلمه يروى عن أبي هريرة إلا بهذا الإسناد.وقال الهيثمي في «المجمع» (٦/ ٣١٩) : رواه البزار، وفيه عباد بن منصور، وهو ضعيف، وبقية رجاله ثقات.وقال ابن كثير: وهذا حديث غريب من هذا الوجه، وأحسن أحواله أن يكون من كلام أبي هريرة.والحديث ذكره

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامةابن كثير ٦/٢٦٣

السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ١٥٠) ، وعزاه إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه.وللحديث شاهد مرسل عن عكرمة.ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ١٥٠) ، وعزاه إلى سعيد بن منصور، والفريابي، وابن المنذر.." (١)

"المخلد. وهو إضراب عما قبله، من وصف أنفسهم بالغفلة، أي: لم نكن غافلين عنه، حيث نبهنا عليه بالآيات والنذر، بل كنا ظالمين بتكذيبهم، والله تعالى أعلم.**تذييل**: روى حذيفة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أول الآية: الدجال، ونزول عيسى، ونار تخرج من قرن عدن، تسوق الناس إلى المحشر- أي الشام- تقيل معهم إذا قالوا، والدخان، والدابة، ثم يأجوج ومأجوج» «١» . قلت: وبعد موت يأجوج ومأجوج، تبقى مدة عيسى عليه السلام، في أمنة ورغد عيش. قيل: سبع سنين، وقيل: أربعون. ثم يقبض عيسى، ويدفن في روضته صلى الله عليه وسلم، ثم تهب ريح تقبض المؤمنين، فلا يبقى من يقول الله الله، قيل: مائة سنة، وقيل:أقل، ثم تخرب الكعبة، ثم ينفخ في الصور للصعق، واقترب الوعد الحق. والله تعالى أعلم.الإشارة: الحضرة محرمة على قلب خراب، أهلكه الله بالوساوس والخواطر، وفتحت عليه من الشواغل والشواغب والخواطر يأجوج ومأجوج، فأفسدته وخربته وجعلته مزبلة للشياطين. فحرام عليه رجوعه إلى الحضرة حتى يتطهر من هذه الوساوس والخواطر، ومن الشواغل والعلائق. قال بعض الصوفية: (حضرة القدوس محرمة على أهل النفوس) . فإذا اقترب وعد الحق، وهو أجل موته، قال: يا ويلنآ إنا كنا عن هذا غافلين، لم نتأهب للقاء رب العالمين، حتى لقيته بقلب سقيم. والعياذ بالله.ثم ذكر مآل الكفرة إذا وقع الوعد الحق، فقال:[سورة الأنبياء (٢١) : الآيات ٩٨ الى ١٠٠]إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون (٩٨) لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون (٩٩) لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون (١٠٠)يقول الحق جل جلاله: إنكم، يا كفار قريش ومن دان دينكم، وما تعبدون من دون الله من الأصنام والشياطين لأنهم، لطاعتهم لهم واتباعهم خطواتهم، في حكم عبادتهم، ويدخل فيه الشمس والقمر والنجوم، وكل ما عبد من دون الله ممن لا يعقل، للحديث الوارد في دخولهم النار، تبكيتا لمن عبدهم لأنهم لا ______________(١) أخرجه مسلم في (الفتن، باب الآيات التي تكون قبل قيام الساعة) . من حديث حذيفة بن أسيد. ولفظه كاملا: «إن الساعة لا تكون حتى تكون عشر آيات: خسف بالمشرق وخسف بالمغرب، وخسف في جزيرة العرب، والدخان، والدجال، ودابة الأرض، ويأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها، ونار تخرج من قعر عدن ترحل الناس» .." (٢)

"يدخر له أفضل منه، وإما أن يدفع عنه من السوء مثله» «١» . وأيضا: إذا حصل الاضطرار الحقيقي حصلت الإجابة قطعا، إما بعين المطلوب، أو بما هو أتم منه، وهو الرضا والتأييد. ويكشف السوء وهو الذي يعترى الإنسان مما يسوؤه، كضرر أو جور، ويجعلكم خلفاء الأرض أي: خلفاء فيها، تتصرفون فيها كيف شئتم، بالسكنى وغيره، وراثة عمن كان قبلكم من الأمم، قرنا بعد قرن. أو: أراد بالخلافة: الملك والتسلط. أإله مع الله الذي يفيض على الخلق هذه النعم الجسام، يمكن أن يعطيكم مثلها؟ قليلا ما تذكرون «٢» أي: تذكرا قليلا، أو:زمانا قليلا تتذكرون فيه. و «ما» : مزيدة، لتأكيد معنى القلة، التي أريد بها العدم، أو: ما يجري مجراه في الحقارة وعدم الجدوى. **وتذييل** الكلام بنفي عدم التذكر منهم

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآنالثعالبي، أبو زيد ٢٦١/١

(٢) البحر المديد في تفسير القرآن المجيدابن عجيبة ٤٩٩/٣

إيذان بأن وجود التذكر مركوز في ذهن كل ذكي، وأنه من الوضوح بحيث لا يتوقف إلا على التوجه إليه وتذكره. والله تعالى أعلم.الإشارة: الاضطرار الحقيقي الذي لا تتخلف الإجابة عنه في الغالب: هو أن يكون العبد في حال شدته كالغريق في البحر وحده، لا يرى لغياثه غير سيده. وقال ذو النون: هو الذي قطع العلائق عما دون الله. وقال سهل بن عبد الله: هو الذي رفع يديه إلى الله تعالى داعيا، ولم تكن له وسيلة من طاعة قدمها. هـ. بل يقدم إساءته بين يديه، ليكون دعاؤه بلا شيء يستحق عليه الإجابة، إلا من محض الكرم.قال القشيري: يقال للجناية: سراية، فمن كان في الجناية مختارا، فليس يسلم له دعوى الاضطرار عند سراية جرمه الذي سلف، وهو في ذلك مختار، فأكثر الناس أنهم مضطرون، وذلك الاضطرار سراية ما برز منهم في حال اختيارهم، ومادام العبد يتوهم من نفسه شيئا من الحول والحيل، ويرى لنفسه شيئا من الأسباب يعتمد عليه، ويستند إليه، فليس بمضطر، إلا أن يرى نفسه كالغريق في البحر، والضال في المتاهة. والمضطر يرى غياثه بيد سيده، وزمامه في قبضته، كالميت في يد غاسله، ولا يرى لنفسه استحقاقا في أن يجاب، بل اعتقاده في نفسه أنه من أهل السخط، ولا يقرأ اسمه في ديوان السعادة، ولا ينبغي للمضطر أن يستعين بأحد في أن يدعو له لأن الله وعد الإجابة له لا من يدعو له. هـ. وبحث معه المحشي الفاسي في بعض ألفاظه، فانظره.قوله تعالى: ويكشف السوء. أي: ما يسوء القلب ويحجبه عن مولاه، من أكدار وأغيار، وقوله: (ويجعلكم خلفاء الأرض) أي: تتصرفون في الوجود بأسره، بهمتكم، إن زال غم الحجاب عنكم، وشاهدتم ربكم بعين_______________(١) جاء بلفظ: «ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم، ولا قطيعة رحم، إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث إما أن يجعل له دعوته، وإما أن يدخرها له فى الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها..» الحديث، أخرجه أحمد فى المسند (٣/ ١٨) والحاكم (١/ ٤٩٣) وصححه، ووافقه الذهبي، والبزار (كشف الأستار، ح ٣١٤٣، ٣١٤٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.(٢) قرأ حفص، وحمزة، والكسائي «تذكرون» بتخفيف الذال. انظر الإتحاف (٢/ ٣٣٢) .." (١)

"له، ولقد أنجز الله ـ عز وعلا ـ وعده، حيث جعله بحيث لم يبق دين من الأديان إلا وهو مغلوب مقهور بدين الإسلام. وعن مجاهد: إذا نزل عيسى لم يكن إلا دين الإسلام. هـ. ﴿ولو كره المشركون﴾ ذلك، قال الطيبي: قوله تعالى: ﴿ومن أظلم ... ﴾ الخ، حذر تعالى مما لقي قوم موسى من إزاغة القلوب، والحرمان من التوفيق، بسبب الأذى، وما ارتكب قوم عيسى بعد مجيئه بالبينات من تكذيبه وقولهم فيه: " هذا سحر مبين "، ألا ترى كيف جمع الكل في قوله: ﴿ومن أظلم ... ﴾ الآية، قال: وقضية الدعوة إلى الإسلام توقير من يدعو إليه، وإجابة دعوته. ثم قال: وأما قوله: ﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ هو تذييل لقوله: ﴿ومن أظلم ممن افترى ... ﴾ الآية؛ لأن الظلم هو: وضع الشيء في غير محله، وأي ظلم أعظم من جعل إجابة الداعي إلى الله مفتريا؟ ! والكفر: التغطية ومحاولة إطفاء النور إخفاء وتغطية، ودين الحق هو التوحيد، والشرك يقابله، ولذلك قال: ﴿ولو كره المشركون﴾ . هـ.الإشارة: سوء الأدب مع الأكابر، وإذايتهم، سبب كل طرد وبعد، وسبب كل ذل وهوان، وحسن الأدب معهم وتعظيمهم، سبب كل تقريب واصطفاء، وسبب كل عز ونصر، ولذلك قال الصوفية: " اجعل عملك ملحا، وأدبك دقيقا ". ألآ ترى بنى إسرائيل حين أساؤوا الأدب مع نبي الله موسى بقولهم:

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيدابن عجيبة ٢٠٩/٤

﴿فاذهب أنت وربك فقاتلآ ... ﴾ [المائدة: ٢٤] الخ كيف أذلهم الله وأخزاهم إلى يوم القيامة، وانظر أصحاب نبينا صلى الله عليه وسلم حيث تأدبوا غاية الأدب، وقالوا يوم بدر: " لا نقول كما قالت بنو إسرائيل: اذهب أنت وربك، ولكن اذهب أنت وربك ونحن معك، والله لو خضت بنا ضحضاح البحر لخضناه معك "كيف أعزهم الله ونصرهم على سائر الأديان، ببركة حسن أدبهم . رضي الله عنهم وأرضاهم.يقول الحق جل جلاله: ﴿يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم﴾ ، وكأنهم قالوا: وما هذه التجارة، أو: ماذا نصنع؟ فقال: ﴿تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم﴾ ، وهو خبر بمعنى الأمر، أي:." (١)

"قال أبو السعود: حمله على ذلك مما لا يليق بالمقام، فانظره. ﴿والله بما تعملون بصير﴾ فيجازيكم بذلك، فاختاروا منه ما ينفعكم من الإيمان والطاعة، وإياكم وما يرديكم من الكفر والعصيان.﴿خلق السماوات والأرض بالحق﴾ ؛ بالحكمة البالغة، المتضمنة للمصالح الدينية والدنيوية، حيث جعلها مقرا للمكلفين ليعملوا فيجازيهم، ﴿وصوركم فأحسن صوركم﴾ حيث أنشأكم في أحسن تقويم، وأودع فيكم من القوى والمشاعر الظاهرة والباطنة، ما نيط بها جميع الكمالات البارزة والكامنة، وخصكم بخلاصة خصائص مبدعاته، وجعلكم أنموذج جميع مخلوقاته، فالكائنات كلها منطوية في هذه النشأة.قال النسفي: أي: خلقكم أحسن الحيوان كله، وأبهاه، بدليل: أن الإنسان لا يتمنى أن تكون صورته على خلاف ما يرى من سائر الصور، ومن حسن صورته: أنه خلق منتصبا غير منكب، ومن كان دميما، مشوه الصورة، سمج الخلقة، فلا سماجة ثم، ولكن الحسن على طبقات، فلانحطاطها عما فوقها لا تستملح، ولكنها غير خارجة عن حد الحسن. وقال الحكماء: شيئان لا غاية لهما: الجمال والبيان. هـ. قلت: وما أشار إليه هو الذي نظمه الجيلاني في عينيته، حيث قال:وكل قبيح إن نسبت لحسنهأتتك معاني الحسن فيه تسارعيكمل نقصان القبيح جمالهفما ثم نقصان. ولا ثم باشع﴿وإليه المصير﴾ في النشأة الأخرى، لا إلى غيره، فأحسنوا سرائركم، باستعمال تلك القوى والمشاعر فيما خلقن له.﴿يعلم ما في السماوات والأرض ويعلم ما تسرون وما تعلنون﴾ أي: ما تسرونه فيما بينكم، وما تظهرونه من الأمور، والتصريح به مع اندراجه فيما سبق قبله؛ لأنه الذي يدور عليه الجزاء، ففيه تأكيد للوعد والوعيد، وتشديد لهما. وقوله تعالى: ﴿والله عليم بذات الصدور﴾ : **تذييل** لما قبله، ومقرر له، من شمول علمه تعالى لسرهم وعلنهم، أي: هو محيط بجميع المضمرات المستكنة في صدور الناس، بحيث لا يفارقها أصلا، فكيف يخفى عليه ما يسرونه وما يعلنونه، فحق أن يتقى ويحذر. وإظهار الجلالة للإشعار بعلية الحكم، وتأكيد استقلال الجملة. قيل: وتقدم تقرير القدرة على تقرير العلم؛ لأن دلالة المخلوقات على قدرته تعالى بالذات، وعلى علمه بما فيها من الإتقان والاختصاص ببعض الأوصاف، وكل ما ذكره بعد قوله: ﴿فمنكم كافر ومنكم مؤمن﴾ في معنى الوعيد على الكفر، وإنكار أن يعصى الخالق ولا تشكر نعمه.قال الطيبي: الفاء في " فمنكم " تفصيلية، والآية كلها واردة لبيان عظمة الله في ملكه وملكوته، وذلك أنه تعالى لما أثبت لذاته الأقدس التنزيه، وأن كل شيء ينزهه ويقدسه عما." (٢)

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيدابن عجيبة ٣٧/٧

(٢) البحر المديد في تفسير القرآن المجيدابن عجيبة ٥٦/٧

"الإشارة: الذين يباعدون من أنفسهم، فيحرمون عليها التمتع بما أحل الله من الطيبات، تضييقا وتشديدا عليها، مفرطين في ذلك، محتجين لذلك بأنهم كانوا في بطن الشهوات، فقد ملكتهم ملك الأم لولدها، قال تعالى: " ما هن أمهاتهم إن أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم، وإنهم ليقولون منكرا من القول وزورا " حيث حرموا ما أحل الله، والمراد بذلك الإفراط المؤدي إلى التلف. قال القشيري: لأن النفس مطية الروح، فلا تسلك طريق السير إلا بها، وهي مددها ومعونتها، كما قال عليه السلام: " إن لنفسك عليك حقا " فلا بد للروح من مسامحة النفس ومداراتها في بضع الأوقات، لتميل النفس إلى تصرفها وحكمها فيها، وإلا ضعفت وكلت عن موافقتها، فتنقطع الروح عن السلوك إلى الله. هـ. قلت: وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم: " لا يكن أحدكم كالمنبت، لا أرضا قطع، ولا ظهرا أبقى " ﴿وإن الله لعفو غفور﴾ لمن وقع له شيء من هذا ورجع.

والذين يظاهرون من نسائهم، يباعدون من أنفسهم، ثم يعودون إلى الترفق بها والاستمتاع بما أحل الله لها، فكفارته تحرير رقبة من ملك الشهوة، فلا يتناول شيئا من المباحات الطيبة، إلا بنية التقرب إلى الله والشكر، لا بنية مجرد الاستمتاع، ولا يتناول من الشهوات التي شرهت إليها النفس، وحرصت على تحصيلها قبل حصولها، شيئا قط، فإن لم يقدر عليها على هذا النمط، فعليه صيام شهرين أو أكثر، مجاهدة ورياضة، حتى تقف على حد الضرورة، فإن لم يتسطع فإطعام ستين مسكينا أو أكثر، بكل ما يدخل عليه من الحظوظ. وقال القشيري: وإن لم يقدر على تحرير رقبته على هذا الارتباط؛ فيجب على الروح أن تصوم شهرين متتابين، يعني يمسك نفسه عن الالتفات إلى الكونين على الدوام والاستمرار، من غير تخلل التفات، وإن لم يتمكن من قطع هذا الالتفات، لبقية من بقايا أنانيته، فيجب عليه إطعام ستين مسكينا من مساكين القوى الروحانية، المستهلك لسلطنة النفس وصفاتها، ليقيمهم على التخلق بالأخلاق الإلهية، والتحقق بالصفات الروحانية، هـ. ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله الإيمان الكامل، وتلك حدود الله لا يجوز تعديها بالأهوية والبدع، وللكافرين لهذه الحكم عذاب البعد ونار القطيعة، المؤلم للروح والقلب، بغم الحجاب وسوء الحساب.

يقول الحق جل جلاله: ﴿إن الذين يحادون الله ورسوله﴾ أي: يعادونهما ويشاقونهما؛ فإن كلا من المتعادين في عدوة وشق غير الآخر، وكذلك يكون كل واحد منهما في حد غير حد الآخر، غير أن لذكر المحادة هنا لما ذكر حدود الله من حسن الموقع ما لا غاية وراءه. ثم أخبر عنهم فقال: ﴿كبتوا﴾ أي: أخذوا وأهلكوا، أو: لعنوا ﴿كما كبت الذين من قبلهم﴾ من كفار الأمم الماضية المعادين للرسل عليهم السلام. وقال القشيري: يحادون: يخالفون أمر الله، ويتركون طاعة رسول الله، أذلوا وأخزوا كما أذل من قبلهم من الكفار والعصاة. نزلت في المستهزئين يوم الخندق، إذ الله أجرى سنته بالانتقام من أهل الإجرام، ومن ضيع لرسول الله سنة واحدة في دينه ببدعة انخرط في سلك هذا الخزي، ووقع في هذا الذل. هـ. وقال ابن عطية: الآية نزلت في المنافقين واليهود، وكانوا يتربصون بالرسول والمؤمنين الدوائر، ويتمنون فيهم المكروه، ويتناجون بذلك. هـ.

﴿وقد أنزلنا آيات بينات﴾ : حال من ضمير "كبتوا " أي: كبتوا بمحادتهم، والحال أنا قد أنزلنا آيات واضحات فيمن حاد الله ورسوله، ممن قبلهم من الأمم وفيما فعلنا بهم، أو: آيات على صدق الرسول وصحة ما جاء به، ﴿وللكافرين﴾ بهذه الآيات، أو: بكل ما يجب الإيمان به، فيدخل فيه تلك الآيات دخولا أوليا، ﴿عذاب مهين﴾ يذهب بعزهم وكبرهم.

واذكر ﴿يوم يبعثهم الله جميعا﴾ أو: لهم ذلك العذاب ﴿يوم يبعثهم الله جميعا﴾ أي: لا يترك أحدا منهم، أو مجتمعين في حال واحد وصعيد واحد، ﴿فينبئهم بما عملوا﴾ من القبائح، تخجيلا لهم، وتشهيرا لحالهم، وتشديدا لعذابهم، فيتمنون حينئذ المسارعة إلى النار، لما يلحقهم من الخزي على رؤوس الأشهاد، ﴿أحصاه الله﴾ أحاط به عددا، لم يفته منه شيء، والجملة استئناف بياني، كأنه قيل: كيف ينبئهم بما عملوا، وهي أعراض منقضية متلاشية، فقيل: ﴿أحصاه الله ونسوه﴾ أي: قد نسوه لأنهم تهاونوا به حين ارتكبوه وإنما تحفظ معظمات الأمور. وهو حال أيضا. ﴿والله على كل شيء شهيد﴾ لا يغيب عنه شيء. والجملة اعتراض **تذييلي**، مقررة لإحصائه تعالى.

ثم استشهد على شمول شهادته تعالى، فقال: ﴿ألم تر أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض﴾ فهو كقوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذي حآج إبراهيم فى ربه﴾ [البقرة: ٢٥٨] ، ﴿ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون﴾ [الشعراء: ٢٢٥] أي: ألم تعلم علما مزاحما." (١)

"كما قال تعالى (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون (٧٨).ثم ذيل سبحانه وتعالى الآيات الكريمات بكمال قدرته، فقال تعالت كلماته: (إن الله على كل شيء قدير) وذلك **التذييل** لتأكيد قدرة الله تعالى على إذهاب سمعهم وأبصارهم، وكل قواهم، وقد أكد سبحانه قدرته القاهرة فوق عباده بعدة مؤكدات: بالجملة الاسمية أولا، وبـ " إن " ثانيا، وبذكر لفظ الجلالة الذي يدل على أنه مالك الوجود، ومالك كل موجود، وعموم قدرته على الأشياء كلها (إنه علي حكيم).وهذه الأخبار كلها - من نزول الصيب المنهمر انهمارا، والظلمات المتكاثفة والرعد والبرق، وكون الأبصار يكاد سبحانه وتعالى يخطفها، أهي مجاز لأمور معنوية؟، أم هي حقائق وليست مجازا؛ ونقول إن هناك استعارة تمثيلية في جملة القول، ولا مانع أن تكون في كل جملة مجازا، ويتكون من هذه المجازات الصورة التمثيلية الكبرى.ويميل إلى ذلك أكثر المفسرين، يقول الفراء في قوله تعالى: (كلما أضاء لهم مشوا فيه): أنهم كانوا كلما سمعوا القرآن، وظهرت لهم الحجج أنسوا ومشوا معه، فإذا نزل من القرآن ما يعمون فيه، ويضلون به، أو يكلفونه قاموا أي ثبتوا على نفاقهم.وروي عن ابن عباس " المعنى أنه كلما صلحت أحوالهم في زروعهم ومواشيهم، وتوالت عليهم النعم قالوا دين محمد دين مبارك ".وكذلك يفسر الصيب بالقرآن حياة الأرواح، والظلمات والرعد والبرق بما يكرهون به أنفسهم مما يحسبونه شرا عليهم من نصر للمؤمنين، وتمكين للإيمان، وهكذا.وإن الحق هو أن المثل كله استعارة تمثيلية، أو تشبيه تمثيلي، فقد شبهت حالهم من أن القرآن ينزل في المؤمنين وهم جيرانهم ومعاشروهم، وفيه ماء الحياة الذي." (٢)

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيدابن عجيبة ٣٣٨/٧

(٢) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة ١٥٢/١

"في شتى صوره، وقال تعالى (وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله) و " ما " هنا من أسماء الشرط، وفعله تقدموا، وجوابه تجدوه عند الله، والنص الكريم حث على فعل الخير وبيان جزائه؛ لأن جزاءه يجده عند الله تعالى وما يجده عند الله أوفى مما قدم، وأكثر مما فعل، وقال تعالى: (وما تقدموا لأنفسكم من خير) ونلاحظ ثلاثة أمور في كل واحدة إشارة بيانية، وحكمة ربانية.الإشارة الأولى – أن الله تعالى عبر عن فعل الخير سواء أكان لنفسه أم كان للجماعة بقوله: (وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله) لأن فعل الخير للجماعة فعل لنفسه، والخير يعود على فاعله ابتداء، ويعود على الجماعة انتهاء، فمن تصدق فإنما يتصدق لنفسه؛ لأن الفائدة إليه إذ يعيش في مجتمع متكافل غير متدابر، ولتطيب بفعله القلوب وتسود المحبة الكامنة، وكذلك كل فعل خير يكون لنفسه، وهو يقدمه لنفسه أو يكون له ثوابه.الإشارة الثانية – أنه يجد العمل قائما ثابتا عند الله، فيكون مهيأ حاضرا يراه ويعاينه، وذلك كناية عن جزائه الذي لاينقص عنه، بل قد يزيد عليه رحمة من الله تعالى، ويراه عند الله محفوظا لا يضيع.الإشارة الثالثة – **تذييل** الآية الكريمة بما يفيد علم الله تعالى بقوله تعالت كلماته: (إن الله بما تعملون بصير) وهذه الجملة السامية تفيد علم الله الذي لا تخفى عليه خافية، فلا يضيع عمل عامل منكم، وقد أكد سبحانه وتعالى إحاطة علمه بما يظهر وما يخفى مؤكدات ثلاث:أولها – إحاطته وسموا ذلك بالتعبير بـ " ما " الدالة على العموم، فإنها بمعنى الذي، وهي تدل على العموم الشامل.ثانيها – بالجملة الاسمية وتأكيد الجملة بأن وتقديم الجار والمجرور على بصير، والتقديم دال على التخصيص.وثالثها – التعبير عن العلم بالبصير؛ فمعناه علم كأنه مبصور بالبصر، يعلم." (١)

"أولها: إن هؤلاء الذين دعوا ربهم بالتوفيق لابد أن يقرن دعاؤهم بإرادة قوية عاملة متجهة إلى تحقيق ما يبغون وما يدعون الله سبحانه وتعالى في التوفيق له، وإن لم يكن عمل فالدعاء أماني وأحلام، ولا يتحقق فيها القصد الكامل والضراعة الخاشعة لرب العالمين؛ لأن الدعاء مخ العبادة؛ فإن كان صادقا فالإرادة تتجه نحوه.الأمر الثاني: الذي يشير إليه التعبير الكريم: أن الجزاء ليس على الدعاء، وإنما الجزاء على العمل، فيجب أن يعملوا؛ فليس الدعاء وحده بمستحق جزاء إن كان العمل ينافيه.الأمر الثالث: أن كسب العبد لعمل الخير يطوي في ثناياه جزاءه، وكذلك كل عمل للأنسان جزاؤه مشتق من منهاجه، إن خيرا فخير وإن شرا فشر؛ فمن أسدى إلى الناس معروفا، فقد قدم بهذا الإسداء لنفسه؛ ومن أعان مكروبا، فقد كسب الجزاء ساعة عمل، وكذلك من قتل نفسا، فقد قتل نفسه إذ استحق ذلك الجزاء، ومن سرق فقد قطع يده، ومن زنى فقد رجم نفسه، وهكذا (كل امرئ بما كسب رهين).وقد ذيل الله سبحانه وتعالى الآية بقوله الكريمة (والله سريع الحساب) وسرعة حسابه سبحانه وتعالى كناية عن تحقيقه، وتحقق يوم القيامة وقربه، وعلمه سبحانه وتعالى بإحسان المحسن وإساءة المسيء؛ لأن تطويل الحساب يكون من جهل المحاسب، فيبطئ ليعرف؛ فإذا كان المحاسب هو العليم الحكيم الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، فإن حسابه يكون كريما؛ إذ لا تخفى عليه سبحانه خافية.وفى هذا **التذييل**

(١) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة ١/٣٦٤

إشارة إلى عقاب الذين ليس لهم في الآخرة من خلاق على ما يرتكبون من موبقات ما داموا قد جعلوا الدنيا كل همهم، وغاية أمرهم، ومقصد وجودهم.." (١)

"(وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم).وقد ذيل الله سبحانه وتعالى الآية الكريمة بقوله: (والله لا يحب الفساد) وذلك لعدة أمور:أولا - لبيان أن الله لا يحب ذلك الصنف من الناس الذي يخدع الناس ويكذب على الله، ويجادل ويمارى، ويضل عن بينة، ويسعى في الأرض بالفساد؛ إذ الله لا يحب الفساد فلا يحب المفسدين، ومن لا يحبه الله فهو بعيد عن رحمته، معرض لنقمته.ثانيا - ولبيان أن الله سبحانه وتعالى لا يريد بما فرض من عبادات إلا مصلحة الناس ودفع الضر عنهم، فهو الغني الحميد الذي لا يكسب من عبادة عابد؛ ولا يضار من فسق فاسق؛ إنما الأمر في ذلك إلى مصلحة الناس ودفع الضر عنهم.ثالثا - وفوق ذلك هذا **التذييل** يدل على أن شرع الله كله أساسه إقامة المصلحة ودفع المضرة، فما من أمر شرعه الله إلا فيه جلب نفع أو دفع ضرر، وأن دفع الضرر، مقدم على جلب النفع، وأن دفع الضرر العام مقدم على دفع الضرر الخاص، وأن جلب المنفعة العامة مقدم على جلب المنفعة الخاصة.رابعا - وإن هذا **التذييل** فوق ذلك يشير إلى أن الله سبحانه استخلف الإنسان في هذه الأرض ليعمرها لا ليفسدها، فأولئك الذين يبذلون الجهود العقلية ليصلوا." (٢)

"ثم في **تذييل** الآية ذلك **التذييل** فوق ما سبق دعوة إلى الرحمة بالناس والرفق بهم والحدب عليهم، ولقد قال - صلى الله عليه وسلم -: " اللهم من ولي من أمر أمتي شيئا فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئا فرفق بهم فارفق به " (١) اللهم هب لنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا.* * *(يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين (٢٠٨) فإن زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا أن الله عزيز حكيم (٢٠٩) هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الأمر وإلى الله ترجع الأمور (٢١٠) سل بني إسرائيل كم آتيناهم من آية بينة ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فإن الله شديد العقاب (٢١١) زين للذين كفروا الحياة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة والله يرزق من يشاء بغير حساب (٢١٢)* * *__________(١) عن عبد الرحمن بن شماسة، قال: أتيت عائشة أسألها عن شيء، فقالت: ممن أنت؟ فقلت: رجل من أهل مصر، فقالت: كيف كان صاحبكم لكم في غزاتكم هذه؟ فقال: ما نقمنا منه شيئا، إن كان ليموت للرجل منا البعير فيعطيه البعير، والعبد فيعطيه العبد، ويحتاج إلى النفقة، فيعطيه النفقة، فقالت: أما إنه لا يمنعني الذي فعل في محمد بن أبي بكر أخي أن أخبرك ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول في بيتي هذا: «اللهم، من ولي من أمر أمتي شيئا فشق عليهم، فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئا فرفق بهم، فارفق به ". [رواه بهذا اللفظ مسلم: فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر (٣٣٠٧) ورواه أحمد مختصرا (٢٣٤٨١)].." (٣)

---

(١) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة ٦٣٠/٢

(٢) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة ٦٤٣/٢

(٣) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة ٦٤٩/٢

"الإنساني الذي التزمه بنو الإنسان حتى المتوحشون المتبدون، ولم يخرج عن ذلك إلا الذين أصابهم شذوذ في عقولهم ونفوسهم من بعض الذين سموا متمدينين.(إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) ذيل الله سبحانه وتعالى هذه الآية الكريمة بتلك الجملة السامية؛ والتواب صيغة مبالغة من تائب بمعنى راجع إلى ربه إذا هفا، منيب إليه إذا انحرف؛ كثير الرجوع إلى رب العالمين بتوبة نصوح؛ والتواب وصف مدح يمدح به العبيد.وإن للتوبة منزلتين:المنزلة الأولى: أن يرتكب الشخص منكرا أو معصية بشكل عام، سواء أكانت صغيرة أم كانت كبيرة، ويفعل ذلك بجهالة، ثم يتوب توبة نصوحا، ويحسن التوبة فيغفر الله له، فإن الله سبحانه يغفر الذنوب جميعا لمن أحسن التوبة؛ والتوبة في هذه الحال وصف مدح بلا شك، وخصوصا إذا استشعر التائب ما كان فيه، وأحس بالخضوع وأحسن التضرع، وكان تذكره للماضي حافزا على الاستمساك بحاضره، والاتجاه إلى ربه، وطلب المغفرة؛ فإن الإحساس بذل المعصية يدنيه من ربه، ويقربه والمنزلة الثانية من التوبة وهي العالية السامية: أن يحس المؤمن التقي بمقام ربه، فيحس مع ذلك بالقصور في حقه، فيراجع ربه بالتوبة الحين بعد الحين، تداركا لما ظن من تقصيره، وما ارتكب في تقديره، فيكون توابا منيبا مستمرا في توبته.والله سبحانه يحب التائب في كلتا حاليه، وإن تفاوتت المنازل واختلفت الدرجات. ومحبة الله تعالى للتائبين رضاه عنهم، وإسباغ رحمته عليهم؛ فالمحبة رضا ورحمة وتقريب. والمتطهرون هم الذين طهروا حسهم ونفوسهم، وظاهرهم وباطنهم.وإن تذييل الآية بهذه الجملة السامية يفيد ثلاث فوائد:." (١)

"أولها: البر بالرحم، كما حصل في يمين الصديق الكريم أبي بكر رضي الله عنه.وثانيها: التقوى بأن يجعل بينه وبين أذى الناس وغضب الله بأذاهم وقاية، كما يتبين في حلف الرجل في أهله مضارة بهن وإيذاء لهن.والنوع الثالث: الصلح بين الناس كما حدث في يمين عبد الله بن رواحة مع ختنه النعمان بن بشير رضي الله عنهما، وما من خير يحلف الناس على الامتناع عنه إلا وهو داخل في هذه الأنواع الثلاثة.(والله سميع عليم) ذيل الله سبحانه وتعالت كلماته الآية الكريمة بهذه الجملة السامية للإشارة إلى أنه سميع لأيمانهم عند النطق بها وتوثيقهم القول بها، عليم بالدوافع إليها، والبواعث التي بعثت عليها، والنتائج التي تتأدى إليها؛ وإنه تقدست ذاته، وتعالت صفاته، يغفر لهم أيمانهم بالحنث ثم الكفارة في نظير الخير العميم والنفع العظيم، ومنع الضرر والضرار بالأهل، والبر بذوي الأرحام؛ ثم ذلك التذييل الكريم لايخلو من إنذار بغضب الرحمن الرحيم إن أصروا على ماهم عليه ولم يثوبوا إلى رشدهم ويتخذوا تحلة أيمانهم طريقا للعودة إلى البر.(لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم) اللغو من الكلام: ما لا يعتد به، ولا يصدر عن فكر وروية، وأصله من لغا الطير، وهو صوت الطيور الذي لا يفهم منه شيء ويظن الإنسان أنه لا يقصد به شيء، وقد يطلق اللغو على الكلام القبيح الذي ينبغي ألا يعتد به؛ ومن ذلك قوله تعالى: (لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا)، وقوله تعالى: (وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه. . .)، وقوله تعالى: (وإذا مروا باللغو مروا كراما).وإذا كان اللغو من الكلام ما لا يعتد به ولا يورد مورد الروية والتفكير، فلغو اليمين ما لا يعتد

(١) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة ٢/٧٣٤

به ولم يصدر عن روية وتفكير. وقد روى في الآثار صور لأيمان اللغو، وأخذ بعض الفقهاء صورة منها وحصر اللغو فيها، وأخذ غيره بصورة أخرى، وقصر اللغو عليها.." (١)

"تعالى، وهو بذلك قد ارتكب محرما، وكان مستعجلا أمرا قبل أوانه، فلا يصل إلى غايته، كمن قتل مورثه مستعجلا ميراثه فإنه لا يرث لأنه استعجل أمرا قبل أوانه فعوقب بحرمانه.هذه خلاصة أقوال الفقهاء في نكاح المحلل، وهو أقبح عقود الزواج، وترى منها أن جميع الفقهاء يرون أنه حرام، وأنه خداع لله سبحانه وتعالى، وأنه تحايل على إبطال أحكام الله، وتفويت لمقاصد الشارع الحكيم، وأن جمهور الفقهاء يرون أنه عقد فاسد لا تحل به للأول؛ وإذا كان ذلك شأن عقد المحلل فليتق الله الناس في أنفسهم وأخلاقهم ومروءاتهم، وليجنبوا أنفسهم ألفاظ الطلاق ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا، ولا يضيقوا على أنفسهم ما أفسح الله لهم؛ وليحفظوا على أنفسهم أعراضهم ومروآتهم فلا يضطروا إلى ذلك العقد الذي هو إثم في إثم؛ وجرم في جرم، وتعريض الحرمات للانتهاك.(وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون) ذيل الله سبحانه وتعالى أحكام الطلاق وعدده، ودفعاته، وما يترتب عليه بهذه الجملة السامية؛ ومعناها أن تلك الحقوق والواجبات التي بينها سبحانه وتعالى في الطلاق من أن الزوج أحق بزوجته بعد الأولى والثانية، ومن أن النساء لا يسوغ لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن، ومن أن الطلاق ثلاث، بعدها تحرم عليه حتى تتزوج زوجا آخر، ومن أنه لا يحل له أن يأخذ منها شيئا إلا أن يكون فداء لنفسها خشية نشوزها. كل هذه الأحكام، هي الحدود التي أقامها سبحانه فارقا بين العدل والظلم، والحق والباطل، والخطأ والصواب، وهي التي تقوم عليها معالم الأسرة الإسلامية؛ وقد بينها لقوم من شأنهم أن يعلموا الأمور على وجوهها ويدركوها على حقيقتها، ومن لم يلتزمها فقد ضل ضلالا مبينا.وإن ذلك التذييل الكريم يستفاد منه ثلاثة أمور:أولها: بيان أن الأحكام الخاصة بالطلاق هي حدود حدها الشارع، من يتجاوزها فقد تجاوز ما له إلى ما ليس له، وترك الحلال إلى الحرام، وترك الحق إلى." (٢)

"ولذلك التذييل الكريم فوائد ثلاث:أولاها: تربية المهابة في قلوب المؤمنين؛ ليتذكروا الله سبحانه وتعالى في كل أعمالهم الصغيرة والكبيرة، وليعلموا أن شئون الحياة كلها سواء كان منها ما يتعلق بالأسرة أو ما يتعلق بالمجتمع، وما يتعلق بالآحاد، لا تستقيم إلا بمراقبة الله تعالى، والإحساس بتقواه، وأنه عليم بما تخفي الصدور وما تكنه القلوب، وأن من يعمل عملا يعمله كأنه يرى الله، فإن لم يكن يراه فإن الله سبحانه وتعالى يراه.وثانيها: بيان أن العلاقات بين الآباء وأولادهم وأمهاتهم لا يغفل الله عنها، وسيجزي المحسن إحسانا والمسيي سوءا، وإن استطاع الرجال أو النساء أن يستطيلوا ويظلموا في الدنيا، أو يخدعوا القضاء بزور من القول، فلن يخدعوا الله سبحانه وتعالى، وهو على كل شيء رقيب، وسيجزي كلا بما صنع، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر.والثالثة: التذكير بأن شئون الأسرة تقوم على التدين، لا على الظواهر المادية، فإنه إذا صلحت القلوب استقامت العلاقة بين الرجل وأهله وأولاده، وإن تقطعت حبال المودة، وذهبت التقوى من القلوب،

---

(١) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة ٢/٧٤٥

(٢) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة ٢/٧٩١

وأقفرت النفوس، فسيكون الظلم مهما تكن الأحكام، ومهما يكن القضاء.منحنا الله سبحانه رضوانه، ووهبنا عرفانه، وأصلح لنا في ذرياتنا، إنه سميع مجيب الدعاء.* * *." (١)

"وقبل أن نترك الكلام في عدة المتوفى عنها زوجها، نشير إلى موضوع يتصل به، أو هو من لبه، وهو مقدار شمول هذا النص للمعتدات من وفاة: أيشمل الحامل وغير الحامل، أم يختص بغير الحامل فقط؛ لقد ورد في عدة الحامل قوله تعالى: (وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن. . .)، وورد في عدة الوفاة هذه الآية الكريمة التي نتكلم في معناها، وهذان عمومان متعارضان، أو يبدو في الظاهر أنهما متعارضان.وقد قال جمهور الفقهاء: إن آية عدة الوفاة التي نتكلم فيها خاصة بغير الحوامل، فعدة المتوفى عنها زوجها غير الحامل تكون بأربعة أشهر وعشرا، وعدة الحامل بوضع الحمل عملا بآية الحمل، فكانت آية الحمل شاملة لحال الطلاق وحال الوفاة؛ ويستدل على ذلك الرأي، بالحديث الشريف؛ فإنه روى أبو داود عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه أفتى سبيعة الأسلمية، بأنها حلت حين وضع حملها، وكانت قد ولدت بعد موت زوجها بنصف شهر.هذا رأي جمهور الفقهاء، وذلك نظرهم؛ ولكن يروي عن علي، وابن عباس رضي الله عنهما أن المعتدة الحامل من وفاة تعتد بوضع الحمل، بشرط ألا تقل العدة عن أربعة أشهر وعشر؛ أي أنها تعتد بأبعد الأجلين: وضع الحمل، أو مضى أربعة أشهر وعشر.وذلك الرأي إعمالا للآيتين الكريمتين وإمضاء لعمومهما، وهو يتفق مع الحكمة من إطالة مدة العدة بالنسبة للمتوفى عنها زوجها؛ فإنه لا يتفق مع ذلك أن تنتهي العدة بوضع الحمل بعد ساعة من الوفاة.(والله بما تعملون خبير) ذيل الله سبحانه وتعالى الآية الكريمة بهذا **التذييل**؛ لبيان أنه سبحانه وتعالى عليم علم الخبير الدقيق الذي لا تخفى عليه خافية، بما يعملون من تنفيذهم لأوامره، أو إهمالهم؛ وأن من سنته سبحانه وتعالى في كتابه الكريم أنه بعد كل أمر أو نهي يذكر رقابته سبحانه وتعالى في التنفيذ، ليعلم من." (٢)

"وإن الله سبحانه وتعالى قد ذيل الآية الكريمة بقوله تعالت كلماته: (والله عليم بالظالمين) وفي هذا **التذييل** إشارات إلى معان جليلة، منها: الإشارة إلى علم الله السابق بأن هؤلاء الكثيرين سيكون منهم ما كان، لأن حالهم كانت تؤدي إليها، ومنها أن الله يميز الخبيث من الطيب ويعلم الصالح والطالح، ويضع كلا في موضعه الذي يليق به عند الناس وعنده يوم القيامة، ومنها أن الذين نكصوا على أعقابهم والبلاء بلاء ظالمون، ظلموا أنفسهم بالرضا بالذل، وبالمنزل الهون، وبأدنى معيشة؛ وظلموا إخوانهم بعدم معاونتهم في الشديدة؛ وكانوا ظالمين بعصيان أوامر القيادة الحكيمة، ثم ظالمين أكبر الظلم بعصيان الله رب العالمين؛ ثم كانوا ظالمين للذراري والأخلاف من بعدهم، لولا توفيق الله للفئة القليلة.* * *." (٣)

"ويجعل على كل مرتفع من الأرض طائفة من هذا الطير ثم يدعو هذه الطوائف يأتينه سعيا، وفي هذا توجيه لإبراهيم عليه السلام إلى أن الله سبحانه وتعالى يؤلف كل شيء ولو كان متنافرا ويجمع كل جزء ولو كان بعيدا، كما دعوت الطير التي لا تجيب إنسانا وتنفر منه فأجابتك بقدرة العلي الحكيم الذي يؤلف بين المتنافرات، فإن كان ثمة استغراب من أن الحياة

---

(١) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة ٨١٤/٢

(٢) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة ٨٢١/٢

(٣) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة ٨٨٩/٢

تقتضي أن يجمع الله سبحانه وتعالى أجزاء متناثرة قد تحللت وتجزأت إلى أجزاء بل جزيئات، فها أنت ذا ترى تلك النفرة التي بين الإنسان والطير تزول، تدعوها فتستجيب وهي من شأنها النفور، وكذلك يؤلف الله بين الأجزاء المتناثرة، فيجعل منها ذلك الحي الذي كان من قبل ثم إن في تلك التجربة تصويرا دقيقا، وهو أن إعادة الله تعالى للأشياء لا تكون إلا بقوله تعالى كن فيكون، كما يقول خليل الله إبراهيم للطير وقد تفرقت: أقبلي فتقبل.هذان هما التفسيران للآية، ونرى أن رأي الجمهور يتجه إلى تحقيق معجزة تجري على يد إبراهيم عليه السلام وهي إحياء الموتى بالحس المعاين وإن لم تعلم الكيفية، كما جرى بالحس المعاين إماتة الرجل مائة عام ثم إحياؤه، ويكون من مقتضى التناسق بين الآيتين أن تكون في هذه الآية معجزة الإحياء بعد تقطيع الأجزاء، فالمقام كله يتجه بنا إلى الإعجاز بإحياء الميت بمرأى العين، وتكون العبرة في القصة هي أنه يريه الحقيقة واضحة جلية، ورؤيتها تغني عن البحث في كيفيتها وإنا نميل لهذا الرأي.أما رأى أبي مسلم فهو مبني على الألفاظ من غير أن يرمي بنظره قليلا إلى الآية التي سبقت ذلك من الإماتة مائة عام ثم الإحياء بعد ذلك، وهو نظر إلى أن الكيفية لا يمكن أن تعلم للإنسان، وإنما أقصى ما يعلمه هو أثر القدرة لا كيفيتها وأنه صور للإنسان الإعادة بقوله سبحانه وتعالى: (كن فيكون)، وأنها تكون كقول إبراهيم للطير: أقبلن أيها النافرات فيقبلن.وقد ذيل سبحانه وتعالى الآية الكريمة بقوله تعالت كلماته: (واعلم أن الله عزيز حكيم) وكان ذلك التذييل الكريم للدلالة على ثلاثة أمور:." [١]

"فتتجه القلوب – تحت تأثير هذه الرقابة المسيطرة العليمة التي لا تغادر صغيرة ولا كبيرة – إليه سبحانه وحده، ولا تتجه إلى سواه.وفوق ذلك فإن لذلك التذييل السامي معنى آخر مناسبا مناسبة أخص للسياق الخاص بحسن القصد في الإنفاق، وهو بيان أن الله سبحانه وتعالى يعلم الذين أخلصت قلوبهم في الصدقة فلم تبتغ رضا أحد غير الله تعالى، فيجازيها على إخلاصها في النية، واحتسابها الخير لوجه الله الكريم، ويعلم من ينفق رياء أو يتبع ما ينفق بالمن والأذى فيحبط عمله.وإن عبارات التذييل في ذاتها تربي المهابة للذات العلية في النفس التي تريد ما عند الله تعالى؛ فإنه قد صدر الجملة السامية بلفظ الجلالة الذي يدل في ذاته على العلو والسلطان والألوهية الحق؛ ثم إن هذا القاهر فوق عباده يعلم علم من يبصر ويعاين ويرى بكل ما يعمله الناس من خير وشر، وما يقصدون في صدقاتهم، فإن أرادوا رضاه فقد آووا إلى ركن حصين، وإن قصدوا سواه فهم على شفا جرف هار، وسينهار بهم في نار جهنم، فلا أموالهم بقيت لهم، ولا الثواب نالوا، بل العقوبة تستقبلهم ومقت الناس يلحقهم، والله من ورائهم محيط.* * *." [٢]

"هذا إن أخلصوا، وإن تولوا أي أعرضوا عن هذا الإخلاص، وانصرفوا إلى المثارات البيانية يثيرونها ليطفئوا نور الحق، فما من حجة تهديهم، وما من آية ترشدهم، وقد أديت ما وجب عليك وهو التبليغ؛ ولذا قال سبحانه: (وإن تولوا فإنما عليك البلاغ) وقد بلغتهم فالمحاجة معهم لا تجدي؛ لأنهم مكابرون، والمكابر لا تزيده قوة الحجة إلا إصرارا وعنادا ولجاجة؛ فإن أعرضوا فأعرض عنهم، واتجه إلى المخلصين طلاب الحقيقة تهديهم وترشدهم، وتأخذ بيدهم إلى ما فيه صلاحهم في الدنيا وثوابهم في الآخرة. ثم ذيل سبحانه الآية بقوله تعالى: (والله بصير بالعباد).والمعنى أنه سبحانه وتعالى عليم علم من

---

(١) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة ٢/٩٦٧

(٢) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة ٢/٩٨٩

يبصر بالعباد، يعلم نفوسهم ما يهديها وما يرديها، وما يصلحها وما يجدبها، وعليم بنفوس هؤلاء المتمردة التي لا تبغي سدادا، ولا تريد رشادا، وعليم بمسالكهم في الدنيا، وأعمالهم التي أركستهم في ذلك الضلال المتكاثف، والذي يزيده إمعانهم في الإنكار والجحود ظلاما، وعليم بما يصيبهم في الآخرة. فهذا **التذييل** لتلك الآية الكريمة فيه عزاء للنبي عن كفرهم وإشارة إلى أحوالهم، وإنذار بسوء مصيرهم.وقبل أن نختم الكلام في هذه الآية الكريمة نقرر أن جمع أهل الكتاب والأميين في دعوة النبي - صلى الله عليه وسلم - إشارة إلى عموم رسالته، كما قال تعالى: (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا. . .)، ولقد قال - صلى الله عليه وسلم -: " بعثت إلى الأحمر والأسود " (١) وقال - صلى الله عليه وسلم -: "كان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس كافة " (٢) ولقد قال - صلى الله عليه وسلم -: " والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه__________(١) رواه الدارمي: السير - الغنيمة لا تحل لأحد قبلنا (٢٣٥٨)، وأحمد: مسند الأنصار (٢٠٣٥٢). .(٢) هذه الرواية تفسر قوله عليه الصلاة والسلام: " بعثت إلى الأحمر والأسود " يعني: " إلى الناس كافة "، وبالأول رواها مسلم في صحيحه باللفظ المشار إليه في التخريج السابق. مسلم: المساجد ومواضع الصلاة فيها (٨١٠)، النسائي: الغسل والتيمم (٤٢٩)، أحمد: باقي المكثرين: (١٣٧٤٥)، الدارمي: الصلاة (١٣٥٢).." [١]

"قد ذكر تمهيدا لقوله تعالى: (والله رءوف بالعباد) فتذكير العباد وتحذيرهم من رحمته بهم حتى لا يؤخذوا أخذ عزيز مقتدر، وختمت الآية بهذا **التذييل** الكريم؛ لإثبات أن عقاب المسيء وثواب المحسن من الرحمة، فليس من الرحمة في شيء أن يتساوى المحسن والمسيء، ولإثبات أن ولاء المؤمنين ومعاداة الكافرين من الرحمة بالعباد، حتى لا يعم الظلم وينتشر الفساد. اللهم وحد الولاية الإسلامية، واجعل المسلمين جميعا بعضهم أولياء بعض.* * *(قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم (٣١) قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين (٣٢)* * *يؤمن المؤمن رغبة في الثواب، ويؤمن المؤمن خوفا من العقاب، ويؤمن المؤمن إذعانا للحق، ومحبة للرب، وإخلاصا وخلاصا من أدران الهوى، ومآثم هذه الدنيا؛ وتلك أعلى المراتب، وأشرف المناصب، وبها يعلو المؤمن.وفى الآية السابقة حذر الله المؤمن من نفسه، فقال: (ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير) وقال: (ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد) فكانت هذه الآية تدعو المؤمن إلى الطاعة ولزوم الجماعة بالترهيب، وفيها إشارة إلى الترغيب في قوله تعالى: (والله رءوف بالعباد).وفى هذه الآية يدعو إلى الطاعة لا خوف العقاب ولا رجاء الثواب، ولكن لأن الطاعة تؤدي إلى أعلى منازل السائرين، وهي المحبة: محبة الله لعبده، ومحبة العبد لربه.قال بعض السلف: ادعى قوم محبة الله، فأنزل الله تعالى آية المحبة:." [٢]

"(قلت): ضمن معنى الحرمان فكأنه قيل فلن يحرموه، بمعنى فلن يحرموا جزاءه " وفى حذف هذا المضاف وهو الجزاء إشارة إلى أن الجزاء ثمرة الفعل دائما، وأن عمل العامل خيرا أو شرا يتضمن كسب الجزاء إن خيرا أو شرا، وذلك بالنسبة للثواب تفضل من الله تعالى دائما.وفى هذا النص الكريم إشارة إلى أن النية الطيبة في الخير مع سلامة العقيدة ونزاهة النفس

---

(١) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة ١١٥٥/٣

(٢) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة ١١٨٣/٣

تجعل العمل طيبا مرجو الثواب دائما، لأن الأساس دائما تقوى القلوب، ولذا قال تعالى في **تذييل** الآية: (والله عليم بالمتقين).وفي هذا **التذييل** الكريم إشارات إلى أمور ثلاثة:أولها: أن تقوى القلوب هي أساس لكل خير، وهي المجنب من كل شر.والثاني: أن التقوى إذا كانت شأنا من شئون النفس، صار الشخص لا يوصف إلا بأنه من المتقين، وصار عمل الخير كسجية له من السجايا.والثالث: أن الله عليم بكل ما تخفيه القلوب وهو يجزي بما يعلم، اللهم وفقنا لتقواك، وأنر بصيرتنا، وطهر قلوبنا من رجس الهوى، إنك سميع الدعاء.* * *(إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون (١١٦) مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون (١١٧)* * *بعد أن بين سبحانه وتعالى في الآيات السابقة أعمال الكافرين، أشار إلى مبعث جحودهم، وهو اغترارهم بأموالهم وأولادهم، واعتزازهم بما يملكون من." (١)

"وعلى ذلك يكون معنى قوله تعالى: (تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال) أي تسوي لهم بالتنظيم والترتيب مقاعد للقتال، فهي إذا تتضمن معنى التنظيم والتهيئة والاستعداد، ولقاء المشركين صفا واحدا، كأنهم بنيان مرصوص.وهذا التنظيم إنما هو بيان مواقف القتال، وموضع كل فريق في الموقف الذي يقفه، ولكن النص السامي الكريم قال: (مقاعد للقتال) فعبر عن المواقف بالمقاعد للإشارة إلى وجوب الثبات والسكون، حتى لا يتحركوا إلا بأمر من القائد الأعظم وهو النبي - صلى الله عليه وسلم -. وقد كان الثبات سبب النصر في غزوة أحد، والهزيمة كان سببها عدم الاستمرار في البقاء في مواقفهم، ذلك أن الرماة عندما رأوا المؤمنين قد انقضوا بأمر النبي - صلى الله عليه وسلم - على المشركين يقتلونهم ويزيلونهم عن مواقفهم، تركوا مواقفهم وذهبوا وراء المؤمنين يغنمون ويأخذون، فانقض عليهم من ورائهم فرسان المشركين، فتفرقوا، وهذا قوله تعالى:(حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة. . .)، ومن هنا كانت إصابةالمسلمين في موقعة أحد.(والله سميع عليم) ذيل الله سبحانه وتعالى الآية الكريمة بهذا النص السامي لبيان أنه تعالى مطلع على ما كان يجري بين المؤمنين وبين النبي - صلى الله عليه وسلم - من مشاورات، وما استقر عليه رأى كثرتهم، ثم نزوله عليه الصلاة والسلام عند رأى الكثرة، ثم عدول الكثرة إلى رأى النبي - صلى الله عليه وسلم - ، ثم قول النبي لهم معتزما إمضاء ما قرروا أولا، وإن كان غير رأيه الذي مال إليه، ليعلمهم أن التردد ولو للصواب المحتمل ضرره أكثر من المضي ولو في الرأي المحتمل للخطأ، فإن صواب الحروب وخطأها، لا يتبين، وإن التردد فيها يقتل، والمضاء فيها ينصر، وبين بهذا **التذييل** أيضا أن الله تعالى عليم بخفايا القلوب، فهو يعلم ما تهم به قلوب المؤمنين، وما توسوس به قلوب المنافقين، وما يبثونه من روح الذعر والهلع في نفوس المؤمنين، وبحديثهم مستجابا في قلوب ضعفاء الإيمان، وهم الذين قال القرآن عنهم: (في قلوبهم مرض. . .).." (٢)

---

(١) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة ١٣٧١/٣

(٢) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة ١٣٨٨/٣

"(إن الله كان عزيزا حكيما) هذا تذييل بلاغي يؤكد التهديد الذي اشتمل عليه، فإن منزل العذاب قوي غالب، هو المسيطر على كل شيء، ولا يسيطر سواه، وليس فوقه أحد، ولا ناصر لأحد من أمره، وهو حكيم يضع الأمور في مواضعها، فلا يعذب محسنا ولا يثيب كافرا وإن كان يعفو عن كثير من دون الكفر.وقد أكد سبحانه عزته وحكمته بـ " إن "، وبـ " كان " التي تدل على الاستمرار، وإن من مقتضى حكمته أن يثيب الأبرار كما يعاقب الكفار.* * *." (١)

"أن يخسف بكم بكم حال أو صلة ليخسف. إلا إياه الظاهر أنه استثناء منقطع لأنه لم يندرج في قوله : من تدعون إذ المعنى : ضلت آلهتهم أي معبوداتهم ، وهم لا يعبدون الله.البلاغة : إنه كان بكم رحيما تذييل كالتعليل لما سبق من تسيير السفن بقصد التجارة وطلب الرزق.وكان الإنسان كفورا كالتعليل للإعراض عن الإيمان والتوحيد.أ فأمنتم الهمزة للإنكار ، والفاء للعطف على محذوف ، تقديره : أنجوتم فأمنتم ، فحملكم ذلك على الإعراض.ج ١٥ ، ص : ١٢١المفردات اللغوية : يزجي يجري ويسير ، والأصل فيه أنه يسوق حينا بعد حين. الفلك السفن.لتبتغوا من فضله تطلبوا من فضله تعالى بالتجارة وفضله : هو رزقه. إنه كان بكم رحيما في تسخيرها لكم ، وتهيئة ما تحتاجون إليه ، وتسهيل ما تعسر من الأسباب. الضر الشدة أو خوف الغرق بتقاذف الأمواج. ضل غاب عنكم وعن ذاكرتكم. من تدعون تعبدون من الآلهة ، فلا تدعونه إلا إياه تعالى ، فإنكم تدعونه وحده لأنكم في شدة لا يكشفها إلا هو. فلما نجاكم من الغرق. أعرضتم عن الإيمان والتوحيد كفورا جحودا للنعم ، والمراد بالإنسان الكفار.أ فأمنتم أي أنجوتم فأمنتم ، فأعرضتم ، فإن من قدر أن يهلككم في البحر بالغرق ، قادر أن يهلككم في البر بالخسف وغيره. أن ي قدرته سواء ، لا معقل يؤمن فيه من أسباب الهلاك.أو يرسل عليكم حاصبا أي يرميكم بالحصباء والحجارة كقوم لوط ، والمراد : الريح الشديدة الحاصبة ، وهي التي ترمي بالحصى الصغيرة. وكيلا حافظا منه. أن يعيدكم فيه في البحر. تارة أخرى مرة ثانية. قاصفا من الريح أي ريحا شديدة لا تمر بشيء إلا قصفته فهي تكسر الشجر وغيره.." (٢)

"عسى أن يوفقني ربي لشيء آخر بدل المنسي أو أقرب خيرا ومنفعة ، فإذا سئلت عن شيء لا تعلمه ، فاسأل الله تعالى فيه ، وتوجه إليه في أن يوفقك للصواب والرشد في ذلك.مدة لبثهم في الكهف : أخبر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم عن مقدار لبث أهل الكهف في كهفهم ، منذ أرقدهم إلى أن بعثهم الله ، فقال : ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا أي إنهم أقاموا في الكهف مقدار ثلاث مائة سنة وتسع سنوات هلالية ، وهي ثلاث مائة سنة شمسية ، فإن تفاوت ما بين كل مائة سنة بالقمرية إلى الشمسية ثلاث سنين ، فلهذا قال بعد الثلاث مائة : وازدادوا تسعا. وأكد ذلك الإخبار بقوله : قل : الله أعلم بما لبثوا ... أي إذا سئلت عن مدة لبثهم ، وليس عندك علم في ذلك من الله تعالى ، فقل في مثل هذا : الله أعلم بما لبثوا ، له غيب السماوات والأرض أي لا يعلم ذلك إلا هو ، ومن أطلعه عليه من خلقه ، فلا تتعجل بالأخبار ما لم يكن عندك دليل عليها ، والحق ما أخبرك به ، لا ما يقولونه إذ له غيب السموات والأرض ، وهو العالم بكل شيء ، وأعلم من الذين اختلفوا في مقدار مدة لبثهم. ج ١٥ ، ص : ٢٣٠و بما أن الله أخبر عن مدة

---

(١) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة ١٧٢١/٤

(٢) التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج، ١٢٤/١٥

لبثهم ، فهو الحق الذي لا شك فيه. وفائدة تأخير إيراد هذه الجملة الدلالة على أنهم تنازعوا في مدة اللبث ، كما تنازعوا في عددهم ، وجاء هذا التذييل هنا كالتذييل المتقدم في حكاية عددهم : قل : ربي أعلم بعدتهم.والخلاصة : إن الخبر اليقين في بيان عدد أهل الكهف ومدة لبثهم هو من عند الله تعالى لأنه أعلم بالأشياء وبالحقائق ، وأما أقوال الناس فهي ظنون لا دليل عليها ، وتستند إلى الشائعات ، ولله وحده علم ما غاب في شؤون السموات والأرض ، وخفي من أحوال أهلها.." (١)

"٤- إن تذييل الآيات بقوله تعالى : أفلا تذكرون أفلا تتقون إن كنتم تعلمون فأنى تسحرون يعد حملة شديدة على المشركين للإقلاع عما هم عليه من الشرك ، فقوله تعالى : أفلا تذكرون معناه ج ١٨ ، ص : ٩١الترغيب في التدبر ، ليعلموا بطلان ما هم عليه ، وقوله : إن كنتم تعلمون معناه الاستهانة بهم وتأكيد لفرط جهلهم ، وقوله : أفلا تتقون معناه التنبيه على أن اتقاء عذاب الله لا يحصل إلا بترك عبادة الأوثان والاعتراف بجواز الإعادة ، وقوله : فأنى تسحرون إثبات تناقضهم ، إذ كيف تتقبل عقولهم عبادة أحد مع الله ، مع اعترافهم الصريح بأن الله هو المالك الخالق المدبر.نفي الولد والشريك لله تعالى [سورة المؤمنون (٢٣) : الآيات ٩١ الى ٩٢]ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون (٩١) عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون (٩٢)الإعراب : عالم الغيب والشهادة بالجر بدل من الله في قوله تعالى : سبحان الله ...ويقرأ بالرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف تقديره : هو عالم الغيب والشهادة.البلاغة : من ولد من إله ذكر حرف الجر الزائد تأكيد لنفي الولد والإله في الجملتين.المفردات اللغوية : ." (٢)

"- ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ، ولعلكم تشكرون أي ومن رحمته بكم أيها الخلق تعاقب الليل والنهار وتفاوتهما ، فجعل لكم الليل ظلاما للراحة والسكن والاستقراء وهدوء النفس من عناء العمل النهاري ، وجعل لكم النهار مضيئا لتبصروا فيه منافعكم ، وتحصلون فيه معايشكم ، وتتنقلوا فيه بالأسفار من بلد لآخر ، ويمتلئ بالحركات والأشغال ، بحثا عن موارد الرزق ، وقضاء الحاجات بأنس ومتعة لا يتوافران في العمل الليلي ، فتشكروا الله بأنواع العبادات ليلا ونهارا على ما أنعم به عليكم من هذه النعم دون أن يشاركه فيها شريك ؟ دل هذا بحق على أن تعاقب الليل والنهار من أعظم النعم على المخلوقات ، بل ومن البراهين الدالة على كمال القدرة الإلهية ، كما قال سبحانه : وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا [الفرقان ٢٥/ ٦٢] ج ٢٠ ، ص : ١٥٥و نحو ذلك من الآيات الكثيرة. وهذا التعاقب لأغراض ثلاثة : أن تسكنوا في أحدهما وهو الليل ، ولتبتغوا من فضل الله في الآخر ، وهو النهار ، ولإرادة شكركم على المنفعتين معا.ويلاحظ أنه تعالى قرن قوله أفلا تسمعون بالليل ، لمناسبته له ، ففي سكون الليل وظلامه يكون إعمال السمع أفيد ، ففيه يدرك الإنسان ما لا يدركه بالبصر من منافع وفوائد. ثم قرن قوله :

---

(١) التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج، ١٥/٢٤٢

(٢) التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج، ١٨/٩١

أفلا تبصرون بالنهار ، لمناسبته له ، ففي ضوء النهار يكون إعمال البصر أوقع ، ففيه يدرك الإنسان بعينه من المنافع والفوائد والعظات ما لا يدركه السمع أثناء الضجة والحركة ، وعلى هذا كان **التذييل** بما هو الأليق بكل من الليل والنهار.." [1]

"و أما سبب **التذييل** بكل منهما فهو الحث على الانتفاع بما يسمعون ويبصرون تأملا وتدبرا ، فلما لم ينتفعوا بالسمع والبصر نزلوا منزلة من لا يسمع ولا يبصر.ثم أعاد الله تعالى النداء لمن عبد مع الله إلها آخر على رؤوس الأشهاد على سبيل التوبيخ والتقريع فقال : ويوم يناديهم فيقول : أين شركائي الذين كنتم تزعمون ؟ أي واذكر أيها الرسول للمشركين يوم يناديهم ربك ، فيقول لهم : أين شركائي الذين كنتم تزعمون في دار الدنيا أنهم شركائي ، ليخلصوكم مما أنتم فيه.والقصد من تأكيد هذا النداء مرة ثانية التنبيه على أنه لا شيء أجلب لغضب الله تعالى من الإشراك به ، كما أنه لا شيء أدعى لمرضاته من توحيده تعالى.قال القرطبي : والمناداة هنا ليست من الله لأن الله تعالى لا يكلم الكفار لقوله تعالى : ولا يكلمهم الله يوم القيامة [البقرة ٢/ ١٧٤] لكنه تعالى يأمر من يوبخهم ويبكتهم ، ويقيم الحجة عليهم في مقام الحساب « ١ » .__________(١) تفسير القرطبي : ١٣/ ٢٠٩.ج ٢٠ ، ص : ١٥٦و يترتب على هذا النداء التوبيخي زيادة غمهم وفرط حزنهم وألمهم ، وقد أكد ذلك بالإشهاد عليهم ، ليعلم أن التقصير منهم ، فيكون ذلك زائدا في غمهم ، فقال : ." [2]

"١٥- الله تعالى عالم بكل ما بدا وما خفي ، وما كان وما لم يكن ، لا يخفى عليه ماض انقضى ، ولا مستقبل آت ، فهو سبحانه يعلم ما يخفيه الإنسان من المعتقدات والخواطر المكروهة ويجازيه عليها. **والتذييل** بهذه الآية توبيخ ووعيد لمن يضمر السوء في مخاطبة أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وأزواج المؤمنين أيضا.١٦- استثنى الله تعالى من فرضية الحجاب على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم الأقارب المحارم من النسب أو الرضاع ، وهم الآباء والأبناء والإخوة وأبناء الإخوة وأبناء الأخوات والنساء المؤمنات ، وهو رأي ابن عباس ومجاهد ، وتكون إضافتهن إليهن باعتبار أنهن على دينهن ، ويكون ذلك دليل احتجاب نساء النبي صلى الله عليه وسلم من الكافرات.ويرى بعضهم أن المراد منهن النساء القريبات ، وتكون إضافتهن إليهن ج ٢٢ ، ص : ٩٤لمزيد اختصاصهن بهن ، لما لهن من صلة القرابة ، وكذلك الخادمات.وأيضا ما ملكت أيمانهن من الذكور والإناث.١٧- توج الله تعالى آية الحجاب واستثناء المحارم بالأمر بالتقوى ، كأنه قال : اقتصرن على هذا ، واتقين الله فيه أن تتعدينه إلى غيره ، وخص النساء بهذا الأمر وعينهن ، لقلة تحفظهن وكثرة استرسالهن ، ثم توعد تعالى بأنه رقيب على كل شيء بقوله : إن الله كان على كل شيء شهيدا أي أنه يعلم علم شهود وحضور ومعاينة ، فيجازي على ما يكون.تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم وجزاء إيذائه وإيذاء المؤمنين [سورة الأحزاب (٣)(٣) : الآيات ٥٦ الى ٥٨]." [3]

---

(١) التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج، ١٥٩/٢٠

(٢) التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج، ١٦٠/٢٠

(٣) التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج، ١٠١/٢٢

"و هذا دليل على كروية الأرض أولا : لأن التكوير : اللف على الجسم المستدير ، وعلى دورانها حول نفسها ثانيا ، لأن تعاقب الليل والنهار والنور والظلمة لا يتم دون دوران.ج- وسخر الشمس والقمر ، كل يجري لأجل مسمى أي وجعلهما منقادين لأمره بالطلوع والغروب لمنافع العباد ومصالحهم ، وكل منهما يسير في فلكه إلى منتهى دورته ، وإلى وقت معين محدود في علم الله ، وهو انتهاء الدنيا ، ومجيء القيامة ، كما قال تعالى : يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب [الأنبياء ٢١/ ١٠٤].وذيل الآية بالدلالة على المراد وهو إثبات كمال القدرة الإلهية مع الترغيب في طلب المغفرة ، فقال : ج ٢٣ ، ص : ٢٥٠ألا هو العزيز الغفار ألا : تنبيه ، أي تنبهوا ، أي إن خلق هذا العالم العلوي وأجرامه العظيمة من غالب قادر على الانتقام ممن عاداه ، ساتر لذنوب عباده بالمغفرة ، ولا أحد مثله في ذلك ، والجمع بين هاتين الصفتين للدلالة على أنه مع عزته وعظمته وكبريائه وكمال قدرته ، هو غفار عظيم الرحمة والفضل والإحسان ، يغفر لمن عصاه ثم تاب وأناب إليه ، فإن الإخبار عن كونه عظيم القدرة يوجب الخوف والرهبة ، فأتبعه بوصف الغفار الذي يوجب كثرة الرحمة ، وكثرة الرحمة لا تعني الطمع من دون فعل ، وإنما توجب الرجاء والرغبة في طلب المغفرة بالعبادة والإخلاص له. والخلاصة : إن هذا **التذييل** للترغيب في العمل الموجب للمغفرة ، بعد الترهيب الموجب للحذر.ثم أتبعه بدليل آخر : الدليل الثاني وأقسامه من العالم السفلي : ." (١)

"فأقبلت امرأته في صرة ، فصكت وجهها ، وقالت : عجوز عقيم أي فلما سمعت امرأته سارة بشارتهم ، وكانت في ناحية من البيت تسمع كلامهم ، أقدمت صائحة صارخة ، وضربت بيدها على وجهها ، كما هي عادة النساء عند التعجب ، وقالت : كيف ألد ، وأنا كبيرة السن ، وعقيم لا تلد ، حتى في عهد شبابها ، كما جاء في آية أخرى : قالت : يا ويلتى أألد وأنا عجوز ، وهذا بعلي شيخا ، إن هذا لشيء عجيب [هود ١١/ ٧٢].قالوا : كذلك قال ربك : إنه هو الحكيم العليم أي كما قلنا لك وأخبرناك قال ربك ، فلا تشكي في ذلك ، ولا تعجبي منه ، فنحن رسل الله ، والله على كل شيء قدير ، وهو الحكيم في أقواله وأفعاله ، العليم بما تستحقونه من الكرامة وبكل شيء في الكون ، كما جاء في آية أخرى : قالوا : أتعجبين من أمر الله ، رحمت الله وبركاته عليكم أهل البيت ، إنه حميد مجيد [هود ١١/ ٧٢].وهذه المفاوضة لم تكن مع سارة فقط ، بل كانت مع إبراهيم أيضا ، حسبما تقدم في سورة الحجر (٥٣- ٥(٤) وإنما لم يذكر هنا اكتفاء بما ذكر هناك ، كما أنه لم يذكر هناك اكتفاء بما ذكر هنا وفي سورة هود (٧٢).ويكون استبعادها الولد لسببين : كبر السن ، والعقم ، فكأنها قالت : يا ليتكم دعوتم دعاء قريبا من الإجابة ، ظنا منها أن ذلك منهم ، مثلما يصدر من الضيف من مجاملات الأدعية ، كقوله : الله يعطيك مالا ويرزقك ولدا ، فقالوا : هذا منا ليس بدعاء ، وإنما ذلك قول الله تعالى : قالوا : كذلك ، قال ربك ثم دفعوا استبعادها بقولهم : إنه هو الحكيم العليم « ١ » .والسبب في اختلاف **تذييل** الآيتين حيث قال هنا : الحكيم العليم وفي هود قال : حميد مجيد : أنهم في سورة هود نبهوها إلى القيام بشكر نعم الله ، ." (٢)

---

(١) التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج، ٢٥١/٢٣

(٢) التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج، ٢٦/٢٧

"أن يعهد إلى إنسان بعمل خير أو ترك شر.وتذييل الآية بهذه الخاتمة يدل على أن ما هم عليه من الشرك وتحريم بعض الأنعام مما لا تعقل له فائدة.٦- المحافظة علي مال اليتيم : ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسنأي لا تأخذوا شيئا من مال الأيتام الذين تتولون الإشراف عليهم ، إلا بما فيه مصلحة ونفع لهم ، في حفظ المال وتنميته ، وحمايته من المخاطر ، والإنفاق منه بحسب الحاجة ، وذلك كقوله تعالى : إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما ، إنما يأكلون في بطونهم نارا ، وسيصلون سعيرا [النساء ٤/ ١٠].والنهي عن القرب عن الشيء أبلغ من النهي عن الشيء نفسه : لأن الأول يتضمن النهي عن الأسباب والوسائل المؤدية إليه ، وعن الشبهات التي هي مظنة التأويل ، كأن يأكل شيئا من ماله أثناء أداء عمل له فيه ربح. وقد نهى الله تعالى عن الأكل من مال اليتيم إلا لضرورة أو حاجة ، فقال : ولا تأكلوها إسرافا وبدارا أن يكبروا ، ومن كان غنيا فليستعفف ، ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف [النساء ٤/ ٦]. ج ٨ ، ص : ٩٩و تسلم الأموال إلى اليتامى حين بلوغهم سن الرشد ، لذا قال تعالى : حتى يبلغ أشدهأي لا تقربوا مال اليتيم حتى يبلغ مبلغ الرجال في الحنكة والقوة واكتمال الملكات والمدارك العقلية ، وذلك كما قال الشعبي ومالك وجماعة من السلف : حتى يحتلم ، والاحتلام يكون عادة بين الخامسة عشرة والثامنة عشرة : فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم [النساء ٤/ ٦]. والمراد من الآية : حفظ مال اليتيم وعدم تبذيره أو إضاعته حتى البلوغ.٧ و٨- إيفاء الكيل والميزان بالقسط : وأوفوا الكيل والميزان بالقسط." (١)

"معنى الآيات:ما زال تعالى يقرر ربوبيته وألوهيته ونبوة رسوله ويبطل دعوى نصاري نجران في ألوهية المسيح عليه السلام، فيقول: هو أي: الله الحي القيوم الذي أنزل عليك الكتاب، أي: القرآن منه آيات محكمات، لا نسخ فيها ولا خفاء في معناها ولا غموض في دلالتها على ما نزلت فيه وهذه معظم آي الكتاب وهي أمة واصلة، ومنه آيات أخر متشابهات و هي قليلة والحكمة من إنزالها كذلك الامتحان والاختبار بالحلال والحرام، وبأمور الغيب ليثبت على الهداية والإيمان من شاء الله هدايته، ويزيغ في إيمانه وضل عن سبيله من شاء الله تعالى ضلاله وعدم هدايته. فقال تعالى: ﴿فأما الذين في قلوبهم زيغ...﴾ أي: ميل عن الحق ﴿فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله﴾ للخروج به عن طريق الحق وهداية الخلق كما فعل النصارى حيث ادعوا أن الله ثالث ثلاثة؛ لأنه يقول نخلق ونحيي، ونميت، وهذا كلام جماعة فأكثر، وكما قالوا في قوله تعالى في شأن عيسى: ﴿... وروح منه١...﴾ أنه جزء منه متحد به وكما قال الخوارج في قوله تعالى: ﴿...إن الحكم إلا لله٢...﴾ فلا يجوز لأحد أن يحكم في شيء وكفروا عليا وخرجوا٣ عنه لتحكيمه أبا موسى الأشعري في حقيقة الخلاف بين علي ومعاوية، وهكذا يقع أهل الزيغ في الضلال حيث يتبعون المتشابه ولا يردونه إلى المحكم فيظهر لهم معناه ويفهمون مراد الله تعالى منه. وأخبر تعالى أنه لا يعلم تأويله إلا هو سبحانه وتعالى، وأن الراسخين٤ في العلم يفوضون أمره إلى الله منزله فيقولون ﴿...آمنا به٥ كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب٦﴾ ، ويسألون ربهم الثبات______________١ سورة النساء: ٢.١٧١ سورة الأنعام: ٣.٥٧ روى أن أبا أمامة رضي الله عنه مر برؤوس منصوبة عند باب مسجد دمشق فسأل عنها، فقيل: إنها رؤوس خوارج جيء بها من العراق فقال: "أولئك كلاب النار

---

(١) التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج، ٩٩/٨

ثلاثا شر قتلة تحت ظل السماء طوبى لمن قتلهم ثلاثا ثم بكى، فقيل ما يبكيك. فقال: رحمة بهم إنهم كانوا من أهل الإسلام فخرجوا منه، ثم قرأ: ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب﴾ إلى قوله: ﴿أولو الألباب﴾ .٤ روى أن ابن عباس رضي الله عنه قال: "التفسير على أربعة أنحاء: تفسير لا يعذر أحد في فهمه، وتفسير تعرفه العرب من لغتها، وتفسير يعلمه الراسخون في العلم، وتفسير لا يعلمه إلا الله". كما يروى هذا عن عائشة وغيرها.٥ الجمهور على أن الوقف على قوله: ﴿وما يعلم تأويله إلا الله﴾ ومن هنا قالوا: لا يعلم المتشابهة إلا الله، وهو مما استأثر به دون عباده ومن قال: "أن قوله تعالى: ﴿والراسخون في العلم﴾ معطوف على قوله: ﴿وما يعلم تأويله إلا الله﴾ ، قالوا: إن الراسخين في العلم قد يعلمون المتشابه دون البعض ويدل عليه قولهم: ﴿كل من عند ربنا﴾ أي: ما علمناه وما لم نعلمه، وروى أن ابن عباس قال: "أنا ممن يعلم تأويله".٦ هذه الجملة ليست من كلام الراسخين ولكنها من كلام الله تعالى فهي **تذييل** للكلام السابق سيقت للثناء عليهم.." [1]

"معنى الآيات:ما زال السياق في الحديث عن أحداث غزوة أحد فذكر تعالى هنا ما هو في تمام عتابه للمؤمنين في الآيات السابقة عن عدم صبرهم وانهزامهم وتخليهم عن نبيهم في وسط المعركة وحده حتى ناداهم: إلي عباد الله إلي عباد الله فثاب إليه رجال. فقال تعالى مخبرا بما يكون عظة للمؤمنين وعبرة لهم: ﴿وكأين من نبي﴾ أي: وكم من نبي من الأنبياء السابقين قاتل معه جموع كثيرة من العلماء والأتقياء والصالحين فما وهنوا، أي: ما ضعفوا، ولا ذلوا لعدوهم ولا خضعوا له كما هم بعضكم أن يفعل أيها المؤمنون، فصبروا على القتال مع أنبيائهم متحملين آلام القتل والجرح فأحبهم ربهم تعالى لذلك لأنه يحب الصابرين.هذا ما تضمنته الآية الأولى(١٤٦) ونصها: ﴿وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا١ والله يحب الصابرين﴾ و أما الآية الثانية فأخبر تعالى فيها عن موقف أولئك الربيين وحالهم أثناء الجهاد في سبيله تعالى فقال: ﴿وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا٢ في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين﴾ . ولازم هذا كأنه تعالى يقول للمؤمنين لم لا تكونوا أنتم مثلهم وتقولوا قولتهم الحسنة الكريمة وهي الضراعة لله تعالى بدعائه واستغفاره لذنوبهم الصغيرة والكبيرة والتي كثيرا ما تكون سببا للهزائم والانتكاسات كما حصل لكم أيها المؤمنون فلم يكن لأولئك الربانيين من قول سوى قولهم: ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين، فسألوا الله مغفرة ذنوبهم وتثبيتهم أقدامهم في أرض المعركة حتى لا يتزلزلوا فينهزموا، والنصرة على القوم الكافرين أعداء الله وأعدائهم فاستجاب لهم ربهم فأعطاهم ما سألوا وهو ثواب الدنيا بالنصر والتمكين وحسن ثواب الآخرة وهو رضوانه الذي أحله عليهم وهم في الجنة دار المتقين والأبرار، هذا ما دلت عليه الآية الأخيرة(١٤٨) ﴿فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن٣ ثواب الآخرة والله يحب المحسنين﴾________١ استكان: مشتق من السكون لأن الذليل العاجز يسكن لمن خضع له، ولا يتحرك ليدفع عنه الأذى وما ناله من عدوه الغالب له.٢ أخرج مسلم في صحيحه عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو بهذا الدعاء: "اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري وما أنت أعلم به مني" وهو دعاء تواضع منه عظيم.٣ في حسن الثواب والمحسنين جناس

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري، ٢٨٧/١

تام، والجملة تذييلية تحمل البشرى للقوم المحسنين في قتالهم ولقاء أعدائهم مع إحسانهم في عبادة ربهم وسواء منها القلبية والبدينة.." (١)

"﴿أن تميلوا ميلا عظيما﴾ : تحيدوا عن طريق الطهر والصفاء إلى طريق الخبث والكدر بارتكاب المحرمات من المناكح وغيرها فتبتعدوا عن الرشد بعدا عظيما.﴿وخلق الإنسان ضعيفا﴾ : لا يصبر عن النساء، فلذا رخص تعالى لهم في الزواج من الفتيات المؤمنات.معنى الآيات:لما حرم تعالى ما حرم من المناكح وأباح ما أباح منها علل لذلك بقوله: ﴿يريد الله١﴾ أي: بما شرع ليبين ما هو نافع لكم مما هو ضار بكم فتأخذوا النافع وتتركوا الضار، كما يريد أن يهديكم طرائق الصالحين من قبلكم من أنبياء ومؤمنين صالحين لتسلكوها فتكملوا وتسعدوا في الحياتين، كما يريد بما بين لكم أن ﴿ويتوب عليكم﴾ أي: يرجع بكم من ضلال الجاهلية إلى هداية الإسلام فتعيشوا على الطهر والصلاح، وهو تعالى عليم بما ينفعكم ويضركم حكيم في تدبيره لكم فاشكروه بلزوم طاعته، والبعد عن معصيته.هذا ما تضمنته الآية الأولى(٢٦)، أما الآية الثانية(٢٧) فقد تضمنت الإخبار بأن الله تعالى يريد بما بينه من الحلال والحرام في المناكح وغيرها أن يرجع بالمؤمنين من حياة الخبث والفساد التي كانوا يعيشونها قبل الإسلام إلى حياة الطهر والصلاح في ظل تشريع عادل رحيم. وأن الذين يتبعون الشهوات من الزناة والنصارى وسائر المنحرفين عن سنن الهدى فإنهم يريدون من المؤمنين أن ينحرفوا مثلهم فينغمسوا في الملاذ والشهوات البهيمية حتى يصبحوا مثلهم لا فضل لهم عليهم، وحينئذ لا حق لهم في قيادتهم أو هدايتهم.هذا معنى الآية الثانية، أما الآية الثالثة (٢٨) فقد أخبر تعالى أنه بإباحته للمؤمنين العاجزين عن نكاح الحرائر نكاح الفتيات المؤمنات يريد بذلك التخفيف والتيسير٢ عن المؤمنين رحمة بهم وشفقة عليهم لما يعلم تعالى من ضعف الإنسان وعدم صبره عن النساء بما غرز فيه من غريزة______________١ سيقت هذه الآية تذييلا لما سبقها لغرض استئناس المسلمين واستنزال نفوسهم إلى امتثال أوامر الله تعالى المتقدمة في أول السورة، وهي إحكام النكاح والإرث والمعاشرة.٢ شاهده الكتاب في قوله تعالى: ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ ، ومن السنة: قوله صلى الله عليه وسلم: "إن هذا الدين يسر ولا يشاد هذا الدين أحد إلا غلبه" ، وقوله لمعاذ وأبي موسى: "يسرا ولا تعسرا" ، وبذا كان التيسير من أصول الشريعة الإسلامية ويشهد لهذا وجود الرخص في مسائل الدين.." (٢)

"أعطاها ظهره فلا يكلمها ولا يجامعها وليصبر على ذلك حتى تؤوب إلى طاعته وطاعة الله ربهما معا، وإن أصرت ولم يجد معها الهجران في الفراش، فالثالثة وهي: أن يضربها١ ضربا غير مبرح لا يشين جارحة ولا يكسر٢ عضوا. وأخيرا فإن هي أطاعت زوجها فلا يحل بعد ذلك أن يطلب الزوج طريقا إلى أذيتها لا يضرب ولا بهجران لقوله تعالى: ﴿فإن أطعنكم﴾ أي: الأزواج ﴿فلا تبغوا﴾ أي: تطلبوا ﴿عليهن سبيلا﴾ لأذيتهن باختلاف الأسباب وإيجاد العلل والمبررات لأذيتهن. وقوله تعالى: ﴿إن الله كان عليا كبيرا﴾ تذييل الكلام بما يشعر من أراد أن يعلو٣ على غيره بما أوتي من قدرة بأن الله أعلى منه وأكبر فليخش الله وليترك من علوه وكبريائه.هذا ما تضمنته هذه الآية العظيمة(٣٤)، أما الآية الثانية(٣٥) فقد تضمنت

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري، ١/٣٨٨

(٢) أيسر التفاسير للجزائري، ١/٤٦٤

حكما اجتماعيا آخر وهو إن حصل شقاق بين زوج وامرأته فأصبح الرجل في شق والمرأة في شق آخر فلا تلاقي بينهما ولا وفاق ولا وئام ذلك لصعوبة الحال، فالطريق إلى حل هذا المشكل ما أرشد الله تعالى إليه، وهو أن يبعث ولي الزوجة حكما من قبله، ويبعث ولي الزوج حكما من قبله، أو يبعث الزوج نفسه حكما وتبعث الزوجة أيضا حكما من قبلها، أو يبعث القاضي كذلك، الكل جائز لقوله تعالى: ﴿فابعثوا﴾ وهو يخاطب المسلمين على شرط أن يكون الحكم عدلا عالما بصيرا حتى يمكنه الحكم والقضاء بالعدل. فيدرس الحكمان القضية أولا مع طرفي النزاع ويتعرفان إلى أسباب الشقاق وبما في نفس الزوج من رضى وحب، وكراهية وسخط ثم يجتمعان على إصلاح ذات البين، فإن أمكن ذلك فيها وإلا فرقا بينهما برضى الزوجين. مع العلم أنهما إذا ثبت لهما ظلم أحدهما فإن عليهما أن يطالبا برفع الظلم، فإن كان الزوج هو الظالم فليرفع ظلمه وليؤد ما و جب عليه، وإن كانت المرأة هي الظالمة فإنها ترفع ظلمها أو تفدي نفسها بمال فيخالعها به زوجها، هذا معنى قوله تعالى: ﴿وإن______________١ لم يصرح الله تعالى بالضرب في كتابه إلا في الحدود، وهنا في ضرب الناشر، وهذا دليل على أن عصيان الزوجة لزوجها حرام، ويشهد لهذا حديث: "إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت عليه لعنتها الملائكة حتى تصبح" . رواه مسلم.٢ لحديث مسلم في خطبة الوداع، إذ فيه: "واتقوا الله في النساء فإنهن عندكم عوام ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه، فإن فعلن فاضربوهن ضربا غير مبرح، ولهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف".٣ روى أبو داود، والنسائي، وابن ماجة، أنه لما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "لا تضربوا إماء الله" . فجاء عمر وقال: يا رسول الله ذئرت النساء على أزواجهن فرخص صلى الله عليه وسلم في ضربهن، فأطاف بآل رسول الله نساء كثير يشتكين أزواجهن. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لقد طاف بآل محمد نساء كثير يشتكين من أزواجهن ليس أولئك بخياركم" ومعنى ذئرت النساء: أي: نشزت وتغير خلقهن، أي: نشزن وأجترأن، والإجتراء هنا أولى بالمعنى.." (١)

"معنى الآيتين:على ذكر الإيمان والكفر في الآية السابقة ذكر تعالى في هاتين الآيتين الوعيد والوعد الوعيد لأهل الكفر والوعد لهل الإيمان فقال تعالى: ﴿إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا﴾ يريد يدخلهم نار جهنم يحترقون فيها ويصطلون بها ﴿كلما نضجت جلودهم﴾ تمرت وسقطت بدلهم١ الله تعالى فورا جلودا غيرها ليتجدد ذوقهم للعذاب وإحساسهم به، وقوله تعالى: ﴿إن الله كان عزيزا حكيما﴾ **تذييل** المقصود منه إنفاذ الوعيد فيهم؛ لأن العزيز الغالب لا يعجز عن إنفاذ ما توعد به أعداءه، كما أن الحكيم في تدبيره يعذب أهل الكفر به والخروج عن طاعته، هذا ما تضمنته الآية الأولى(٥٦) من وعيد لأهل الكفر.وأما الآية الثانية(٥٧) فقد تضمنت البشرى السارة لأهل الإيمان وصالح الأعمال، مع اجتناب الشرك والمعاصي فقال تعالى: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ أي: بعد تركهم الشرك والمعاصي ﴿سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين٢ فيها أبدا لهم فيها أزواج مطهرة﴾ يريد نساء من الحور العين مطهرات من كل ما يؤذي أو يخل بحسنهن وجمالهن نقيات من البول والغائط ودم الحيض. وقوله تعالى: ﴿وندخلهم ظلا ظليلا﴾ وارفا كنينا يقيهم الحر والبرد. وحدث يوما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "في الجنة شجرة تسمى٣ شجرة الخلد يسير الراكب في ظلها مائة سنة ما يقطع ظلها" .هداية الآياتمن هداية الآيات:١- الكفر والمعاصي موجبات٤ للعذاب الأخروي.٢-

(١) أيسر التفاسير للجزائري، ٤٧٤/١

بيان الحكمة في تبديل الجلود لأهل النار وهي أن يدوم إحساسهم بالعذاب.٣- الإيمان والعمل الصالح مع ترك الشرك والمعاصي موجبات للنعيم الأخروي.____________١ روي أن جلودهم تبدل في الساعة مائة مرة، وروي أن هذه الآية تليت عند عمر رضي الله عنه فقال عمر للقارئ: أعدها فأعادها عليه. وعنده كعب فقال: يا أمير المؤمنين أنا عندي تفسير لها. فذكر أنه تبدل في الساعة الواحدة مائة وعشرين مرة.٢ ذكر هذا الخلود إعظاما للمنة، و ﴿خالدين﴾ منصوب على الحال المقدرة، أي: حال كون خلودهم مقدرا فيها قبل دخلوهم إياها.٣ ذكره ابن كثير في تفسير هذه الآية.٤ وذلك لأن الكفر والشرك والمعاصي التي هي ترك الواجبات وفعل المحرمات تدنس النفس فلا تصبح أهلا لدخول الجنة لقوله تعالى: ﴿قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها﴾ .." (١)

"مستقبلا، ولا تقتلوا أحدا حتى تتأكدوا من كفره١ وقوله: ﴿إن الله كان بما تعملون خبيرا﴾ تذييل يحمل الوعد والوعيد، الوعد لمن أطاع، والوعيد لمن عصى، إذ لازم كونه تعالى خبيرا بالأعمال أنه يحاسب عليه ويجزي بها، وهو على كل شيء قدير.هداية الآيةمن هداية الآية:١- مشروعية السير في سبيل الله غزوا وجهادا٢.٢- وجوب التثبت والتبين في الأمور التي يترتب على الخطأ فيها ضرر بالغ.٣- ذم الرغبة في الدنيا لا سيما إذا كانت تتعارض مع التقوى.٤- الاتعاظ بحال الغير والاعتبار بالأحداث المماثلة.﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما(٩٥) درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما(٩٦)﴾شرح الكلمات:﴿أولي الضرر﴾ : هم العميان والعرج والمرضى.﴿درجة﴾ : منزلة عالية في الجنة.﴿الحسنى﴾ : الجنة.____________١ لأن قتل النفس عظيم، ولذا لما أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بمن قتل: من قال لا إله إلا الله ظانا أنه قالها تقيه، قال: "هلا شققت عن قلبه" ، قاله ثلاثا. ولذا لو أن كافرا صلى معنا ولم يقل: لا إله إلا الله لم نقتله حتى نطلب إليه قولها، فإن قالها وإلا قتل حينئذ، هذا الكافر المحارب لا المعاهد والمستئمن.٢ بل فضيلة السير في سبيل الله سواء للجهاد أو لطلب علم أو صلة رحم أو حج أو عمرة أو إبلاغ دعوة وتعليم علم، أو زيارة مؤمن لما ورد في ذلك من الأجر العظيم.." (٢)

"﴿قضيتم الصلاة﴾ : أديتموها وفرغتم منها.﴿فإذا اطمأننتم﴾ : أي: ذهب الخوف فحصلت الطمأنينة بالأمن.﴿كتابا موقوتا﴾ : فرضا ذات وقت معين تؤدى فيه لا تتقدمه ولا تتأخر عنه.﴿ولا تهنوا﴾ : أي: لا تضعفوا.﴿تألمون﴾ : تتألمون.معنى الآيات:بمناسبة الهجرة والسفر من لوازمها ذكر تعالى رخصة قصر الصلاة في السفر وذلك بتقصير الرباعية إلى ركعتين فقال تعالى: ﴿وإذا ضربتم في الأرض﴾ أي: سرتم فيها١ مسافرين ﴿فليس عليكم جناح﴾ أي: حرج وإثم في ﴿أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا﴾ وبينت السنة أن المسافر يقصر ولو أمن فهذا القيد غالي فقط، وقال تعالى: ﴿إن الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا﴾ تذييل أريد به تقرير عداوة الكفار للمؤمنين، فلذا شرع لهم هذه الرخصة.هذا ما دلت عليه الآية الأولى(١٠١)، أما الآيتان بعدها فقد بينت صلاة الخوف وصورتها: أن ينقسم

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري، ٤٩٥/١

(٢) أيسر التفاسير للجزائري، ٥٢٧/١

الجيش قسمين قسم يقف تجاه العدو وقسم يصلي مع القائد ركعة، ويقف الإمام مكانه فيتمون لأنفسهم ركعة، ويسلمون ويقفون تجاه العدو، ويأتي القسم الذي كان واقفا تجاه العدو فيصلي بهم الإمام القائد ركعة ويسلم ويتمون لأنفسهم ركعة ويسلمون، وفي كلا الحالين هم آخذون أسلحتهم لا يضعونها على الأرض خشية أن يميل عليهم العدو وهم عزل فيكبدهم خسائر فادحة، هذا معنى قوله تعالى: ﴿وإذا كنت٢ فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من________________١ اختلف في المسافة التي تقصر فيها الصلاة والجمهور على أنها أربعة برد، واختلفوا في مسافة الميل الذي هو جزء البريد، فالذي رجحه علماء المالكية، هو أن الميل ألفا ذراعا، وعليه فمسافة القصر ثمانية وأربعون ميلا، أي: كيلو متر، وهذا قول وسط بين قول من قال لا يقصر في أقل من سبعين ميلا، وبين من قال كل سفر تقصر فيه الصلاة طال أو قصر ولو كان ثلاثة أميال.٢ شذ أبو يوسف الحنفي فقال: "صلاة الخوف لا تصلى إلا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ناظرا إلى قوله تعالى: ﴿وإذا كنت فيهم﴾ ، وعليه ما لم يكن فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تصلى صلاة الخوف. ورد هذا علماء السلف والخلف وقالوا: بمشروعية صلاة الخوف ما وجد خوف.." (١)

"ورائكم﴾ يريد الطائفة الواقعة تجاه العدو لتحميهم منه ﴿ولتأت طائفة١ أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم﴾ ، وقوله تعالى: ﴿ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم٢ فيميلون عليكم ميلة واحدة﴾ سبق هذا الكلام لبيان علة الصلاة طائفة بعد أخرى والأمر بالأخذ بالحذر وحمل الأسلحة في الصلاة، ومن هنا رخص تعالى لهم إن كانوا مرضى وبهم جراحات أو كان هناك مطر فيشق عليهم حمل السلاح أن يضعوا أسلحتهم فقال عز وجل: ﴿ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم٣﴾ ، وقوله تعالى: ﴿إن الله أعد للكافرين عذابا مهينا﴾ **تذييل** لكلام محذوف ودل عليه السياق قد يكون تقديره فإن الكفار فجرة لا يؤمن جانبهم، ولذا أعد الله لهم عذابا مهينا، وإنما وضع الظاهر مكان المضمر إشارة إلى علة الشر والفساد التي هي الكفر.وقوله تعالى في آية(١٠٣) ﴿فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا٤ الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم﴾ فإنه تعالى يأمر المؤمنين بذكره في كل الأحيان لا سيما في وقت لقاء العدو لما في ذلك من القوة الروحية التي تقهر القوى المادية وتهزمها، فلا يكتفي المجاهدون بذكر الله في الصلاة فقط بل إذا قضوا الصلاة لا يتركون ذكر الله في كل حال وقوله تعالى: ﴿فإذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة﴾ يريد إذا ذهب الخوف وحل الأمن واطمأنت النفوس أقيموا الصلاة بحدودها وشرائطها وأركانها تامة كاملة، لا تخفيف فيها كما كانت في حال الخوف إذ قد تصلي ركعة واحد، وقد تصلي إيماء وإشارة فقط وذلك إذا التحم المجاهدون بأعدائهم. وقوله: ﴿إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا﴾ تعليل للأمر بإقام الصلاة فأخبر أن الصلاة مفروضة على المؤمنين وأنها موقوتة بأوقات لا تؤدى إلا فيها.وقوله تعالى في آية(١٠٤) ﴿ولا تهنوا في ابتغاء القوم﴾ أي: لا تضعفوا في طلب العدو________________١ قد اختلفت الروايات في صلاة الخوف، واختلف لذلك العلماء، إذ صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف أربعا وعشرين مرة. قال الإمام أحمد وهو إمام أهل الحديث: لا أعلم أنه روي في صلاة الخوف إلا حديث صحيح ثابت، وهو صحاح ثابتة، فعلى أي حديث صلى منها المصلي صلاة الخوف أجزأه إن شاء الله. وذهب

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري، ٥٣٣/١

مالك إلى حديث سهل بن أبي حثمة، وهو الذي ذكرته في التفسير فهو واضح سهل.٢ الأمتعة: جمع متاع؛ كالأثاث والعروض وماله علاقة بالسلاح في حالة الحرب.٣ في طلب الحذر التشريع للأمة بأن تأخذ بأسباب النصر ولا تهملها بحال، فإن الله تعالى ربط المسببات بأسبابها، فمن طلب النصر عليه بإعداد ما يمكنه من العدد والعتاد.٤ يرى جمهور المفسرين أن هذا الذكر المطلوب يكون بعد صلاة الخوف، كقوله تعالى: ﴿ إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا﴾ تقوية للقلوب وتوسلا لحصول النصر على العدو المرهوب.." (١)

"بعمله ثواب١ الدنيا ﴿فعند الله ثواب الدنيا والآخرة﴾ فلم يقصر العبد عمله على ثواب الدنيا، وهو يعلم أن ثواب الآخرة عند الله أيضا، فليطلب الثوابين معا من الله تعالى، وذلك بالإيمان والتقوى والإحسان، وسيجزيه تعالى بعمله ولا ينقصه له وذلك لعلمه تعالى وقدرته، ﴿وكان الله سميعا بصيرا٢﴾ ، ومن كان كذلك فلا يخاف معه ضياع الأعمال.هداية الآياتمن هداية الآيات:١- الوصية بالتقوى، وذلك بترك الشرك والمعاصي بعد الإيمان وعمل الصالحات.٢- غنى الله تعالى عن سائر خلقه.٣- قدرة الله تعالى على إذهاب الناس كلهم والإتيان بغيرهم.٤- وجوب الإخلاص في العمل لله تعالى وحرمة طلب الآخرة بطلب الدنيا.﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا(١٣٥) يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا(١٣٦) إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا______________١ في هذه الآية إرشاد عظيم للعباد، لقد علم تعالى أن الإنسان بحكم وجوده في هذه الحياة ورغبته في السعادة فيها، هو يعمل لها جهده غافلا عن الحياة الآخرة التي هي أعظم لبقاءها وكبر شأنها، فلفت نظره إليها معلما إياه أنه لديه تعالى ثواب كل من الحياتين، فليطلب ذلك منه بالإيمان به، وطاعته كما طلب الدنيا بالأعمال الموصلة إلى تحقيق السعادة فيها، وفوق ذلك أن ثواب العملين بديه تعالى لا بيد غيره.٢ هذا التذييل يربي ملكة مراقبة الله تعالى، إذ من علم أن الله سميع لأقواله عليم بأعماله. راقبه واتقاه.." (٢)

"لهم من القتل الذي أصروا عليه، وترغيبا لهم في العفو الذي جافوه وبعدوا عنه فلم يعرفوه، وقوله تعالى: ﴿ولقد جاءتهم١ رسلنا بالبينات﴾ يخبر تعالى عن حالهم مسليا رسوله محمدا عما يحمله من هم منهم، وهم الذين تآمروا على قتله أن الشر الذي لازم اليهود والفساد الذي أصبح وصفا لازما لهم وخاصة المؤامرات بالقتل وإيقاد نار الحروب لم يكن عن جهل وعدم معرفة منهم لا أبدا، بل جاءتهم رسلهم بالآيات البينات والشرائع القويمة والآداب الرفيعة، ولكنهم قوم بهت متمردون على الشرائع مسرفون في الشر والفساد، ولذا فإن كثيرا منهم والله لمسرفون في الشر والفساد، وبنهاية هذه الآية ومن قوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم﴾ وهي الآية(١١) انتهى الحديث عن اليهود المتعلق بحادثة همهم بقتل الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وقد ذكر تسلية لرسول الله

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري، ٥٣٤/١

(٢) أيسر التفاسير للجزائري، ٥٥٤/١

وأصحابه، كما هو تسلية لكل مؤمن يتعرض لمكر اليهود عليهم لعائن الله.هداية الآيةمن هداية الآية:١- تأديب الرب تعالى لبني إسرائيل، ومع الأسف لم ينتفعوا به.٢- فساد بني إسرائيل لم ينشأ عن الجهل وقلة العلم، بل كان اتباعا للأهواء وجريا وراء عارض الدنيا. فلذا غضب٢ الله عليهم ولعنهم؛ لأنهم عالمون.٣- بالرغم من تضعيف جزاء الجريمة على اليهود، ومضاعفة أجر الحسنة لهم فإنهم أكثر الناس إسرافا في الشر والفساد في الأرض.﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم______________١ هذه الجملة: **تذييل** لما سبق من حكم الله تعالى فيهم، حيث شرع لهم وأعلمهم بأن من يقتل نفسا ظلما وعدوانا يعتبر شرعا كأنما قتل الناس جميعا، ذكر فيه أنه لا عذر لهم فيما عوقبوا به، إذ لم يكونوا جاهلين لمجيئتهم رسلهم بالآيات البينات تحمل الشرائع والهدايات، ومع هذا فإن كثير منهم مسرفون في المعاصي والجرائم العظام؛ كالقتل في الأرض.٢ شاهده من القرآن: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم﴾ من الممتحنة، و ﴿غير المغضوب عليهم﴾ من الفاتحة.." (١)

"والكفر في قلوبهم حتى يموتوا كافرين وقوله ﴿والله عليم حكيم﴾ **تذييل** للكلام بما يقرر مضمونه ويثبته فكونه تعالى عليما حكيما يستلزم حرمان أولئك الظلمة المنافقين من الهداية حتى يموتوا وهم كافرون إلى جهنم وذلك لتوغلهم في الظلم والشر والفساد.هداية الآياتمن هداية الآيات:١- بيان أكبر مؤامرة ضد الإسلام قام بها المنافقون بإرشاد الفاسق أبي عامر الراهب.٢- بيان أن تنازع الشرف هو سبب البلاء كل البلاء فابن أبي حارب الإسلام لأنه كان يؤمل في السلطة على أهل المدينة فحرمها بالإسلام. وأبو عامر الراهب ترهب لأجل الشرف على أهل المدينة والسلطان الروحى فلذا لما فقدها حارب من كان سبب حرمانه وهو الرسول صلى الله عليه وسلم حتى قال له مواجهة: ما قاتلك قوم إلا قاتلتك معهم. بل ذهب إلى الروم يؤلبهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم واليهود ما حاربوا الإسلام إلا من أجل المحافظة على أملهم في مملكة إسرائيل.٣- لا يصح الاغترار بأقوال أهل النفاق فإنها كذب كلها.٤- أيما مسجد بني للإضرار والتفرقة بن المسلمين إلا ويجب هدمه وتحرم الصلاة فيه.٥- فضل التطهر والمبالغة في الطهارتين الروحية والبدنية.٦- التحذير من الظلم والإسراف فيه فإنه يحرم صاحبه هداية الله فيهلك وهو ظالم فيخسر دنيا وأخرى.إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم(١١١) التائبون العابدون الحامدون السائحون." (٢)

"معنى الآيات:بعد أن قص الله تعالى قصة مريم من ساعة أن اتخذت من دون أهلها حجابا معتزلة أهلها منقطعة إلى ربها إلى أن أشارت إلى عيسى وهو في مهده فتكلم فقال: إني عبد الله، فبين تعالى أن جبريل بشرها، وأنه نفخ في كم درعها فحملت بعيسى وأنه ولد في ساعة من حمله وأنها وضعته تحت جذع النخلة وأنه ناداها من تحتها: أن لا تحزني، وأرشدها إلى القول الذي تقول لقومها إذا سألوها عن ولادتها المولود بدون أب، وهو أن تشير إليه تطلب منهم أن يسألوه وسألوه فعلا فأجاب بأنه عبد الله وأنه آتاه الكتاب وجعله نبيا ومباركا وأوصاه بالصلاة والزكاة ما دام حيا وأنه بر بوالدته، ولم يكن

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري، ٦٢٣/١

(٢) أيسر التفاسير للجزائري، ٤٢٧/٢

جبارا شقيا فأشار تعالى إلى هذا بقوله في هذه الآية (٣٤) ﴿ذلك﴾ أي هذا الذي بينت لكم صفته وأخبرتكم خبره هو ﴿عيسى ابن مريم﴾، وما أخبرتكم به هو ﴿قول١ الحق الذي فيه يمترون﴾ أي يشكون إذ قال اليهود في عيسى أنه ابن زنا وانه ساحر وقال النصارى هو الله وابن الله وثالث ثلاثة حسب فرقهم وطوائفهم المتعددة وقوله تعالى: ﴿ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه﴾ ينفي تعالى عنه اتخاذ الولد وكيف يصح ذلك له أو ينبغي وهو الغني عما سواه والمفتقر إليه كل ما عداه، وأنه يقول للشيء كن فيكون فعيسى عليه السلام كان بكلمه الله تعالى له كن فكان وهو معنى قوله تعالى ﴿إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون٢﴾. وقد نزه تعالى نفسه عن الولد والشريك والشبيه والنظير، والافتقار والحاجة إلى مخلوقاته بقوله: سبحانه أي تنزيها له عن صفات المحدثين وقوله تعالى: ﴿وأن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم٣﴾ هذا من قول٤ عيسى عليه السلام لبني إسرائيل أخبرهم أنه عبد الله وليس بابن لله ولا بإله مع الله وأخبرهم____________١ قرأ الجمهور برفع قول وقرأ عاصم بنصبها، فأما الرفع فهو خبر ثان عن اسم الإشارة أو وصف لعيسأ و بدل منه، وأما النصب فعلى الحال من اسم الإشارة.٢ في هذا رد على النصارى القائلين بأن المكون بأمر التكوين من غير سبب معتاد لا يكون إلا ابن الله تعالى فبينت الآية أن أصول الموجودات كلها كانت بأمر التكوين فهل يقال فيها أبناء الله؟! والجواب قطعا لا، وعليه فقد بطل قولهم: عيسى ابن الله لأنه كان بكلمة التكوين.٣ جملة: ﴿هذا صراط مستقيم﴾ تذييل وفذلكة لما سبق من الكلام وإشارة إلى مضمون ما تقدم على اختلاف وجوهه، في تقرير الحق وإبطال الباطل.٤ نعم الظاهر أنه من قول عيسى عليه السلام، والجمل قبله من قوله تعالى: ﴿ذلك عيسى بن مريم﴾ اعتراض بين قول عيسى الأول: ﴿ إني عبد الله﴾ وبين قوله ﴿وإن الله ربي وربكم﴾.." (١)

"فليمدد بسبب : أي بحبل.إلى السماء: أي سقف بينه وليختنق غيظا.هل يذهبن كيده : أي في عدم نصرة النبي صلى الله عليه وسلم الذي يغيظه.وكذلك أنزلناه: أي ومثل إنزالنا تلك الآيات السابقة أنزلنا القرآن.هادوا: أي اليهود.والصابئين: فرقة من النصارى.والمجوس: عبدة النار والكواكب.على كل شيء شهيد: أي عالم به حافظ له.معنى الآيات:بعدما ذكر تعالى جزاء الكافرين والمترددين بين الكفر والإيمان أخبر أنه تعالى يدخل الذين آمنوا به وبرسوله ولقاء ربهم ووعده ووعيده وعملوا الصالحات وهي الفرائض التي افترضها الله عليهم والنوافل التي رغبهم فيها يدخلهم جزاء لهم على إيمانهم وصالح أعمالهم جنات تجري من تحتها الأنهار وقوله تعالى: ﴿إن الله يفعل ما يريد١﴾ ومن ذلك تعذيبه من كفر به وعصاه ورحمة من آمن به وأطاعه وقوله تعالى: ﴿من٢ كان يظن أن لن ينصره الله ﴾ أي من كان يظن أن الله لا ينصر رسوله ودينه وعباده المؤمنين فلذا هو يتردد ولم يؤمن ولم ينخرط في سلك المسلمين كبني أسد وغطفان فإنا نرشده إلى ما يذهب عنه غيظه حيث يسوءه نصر الله تعالى لرسوله وكتابه ودينه وعباده المؤمنين وهو أن يأتي بحبل وليربطه بخشبة في سقف بيته ويشده على عنقه ثم ليقطع الحبل٣، وينظر بعد هذه العملية الانتحارية هل كيده٤ هذا يذهب عنه الذي يغيظه؟.____________١ هذه الجملة الكريمة هي تذييل لكل ما تقدم لقوله: ﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم﴾ ومتضمنة تعليلا إجماليا لاختلاف الناس في الخير والشر ولما يلقون من جزاء كذلك.٢ الظاهر أن هذا فريق ثالث

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري، ٣٠٧/٣

غير الفريقين المتقدمين وهما: فريق من يجادل في الله بغير علم وفريق من يعبد الله على حرف وهذا الفريق الثالث قد يكون من اليهود والمنافقين وبعض المشركين الذين كانوا يغتاظون لانتصار النبي صلى الله عليه وسلم لأنهم لا يودون ذلك ولا كانوا يرون انتصاره صلى الله عليه وسلم كائنا فكلما رأوا نصرا له ازداد غمهم واشتد كربهم لأن انتصاره يحزنهم ويخيفهم.٣ قرأ الجمهور: ﴿ليقطع﴾ بسكون اللام لوجود ثم العاطفة وقرأ بعض ﴿ليقطع﴾ بكسر اللام لأن ثم ليست كالفاء والواو العاطفتين لأنها مركبة من ثلاثة أحرف.٤ ﴿هل يذهبن كيده ما يغيظ﴾ الاستفهام إنكاري، وما: مصدرية أي: هل يذهبن كيده غيظه.." (١)

"فتقول ﴿أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين﴾ فيما رماها به، وبذلك درأت عنها العذاب الذي هو الحد ويفرق بينهما فلا يجتمعان أبدا. وقوله تعالى: ﴿ولولا فضل الله١ عليكم ورحمته﴾ جواب لولا محذوف تقديره لعاجلكم بالعقوبة ولفضح أحد الكاذبين: ولكن الله تواب رحيم فستر عليكم ليتوب من يتوب منكم ورحمكم بهذا التشريع العادل الرحيم.هداية الآيات:من هداية الآيات:١- بيان حكم قذف الرجل امرأته ولم يكن له أربعة شهود يشهدون معه على ما رمى به زوجته وهو اللعان.٢- بيان كيفية اللعان، وأنه موجب لإقامة الحد، إن لم ترد الزوجة الدعوى بأربع شهادات والدعاء عليها في الخامسة وقولها ﴿أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين﴾.٣- في مشروعية اللعان مظهر من مظاهر حسن التشريع الإسلامي وكماله وأن مثله لن يكون إلا بوحي إلهي وفيه إشارة إلى تقرير النبوة المحمدية.إن الذين جاؤوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم (١١) لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا إفك مبين (١٢) لولا جاؤوا عليه بأربعة شهداء فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون (١٣) ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم في ما أفضتم فيه عذاب عظيم (١٤)________________١ هذا **تذييل** لما مر من الأحكام العظيمة الدالة على تفضل الله على عباده المؤمنين بأفضل تشريع وأحسن حل لأخطر مشكلة اجتماعية.." (٢)

"المصباح من شجرة مباركة وهي الزيتونة والزيتونة لا شرقية ولا غربية في موقعها من البستان لا ترى الشمس إلا في الصباح، ولا غربية لا ترى الشمس إلا في المساء بل هي وسط البستان تصيبها الشمس في كامل النهار فلذا كان زيتها في غاية الجودة يكاد يشتعل لصفائه، ولو لم تمسه نار، وقوله تعالى: ﴿نور على نور١﴾ أي نور النار على نور الزيت وقوله تعالى: ﴿يهدي الله لنوره من يشاء﴾ يخبر تعالى أنه يهدي لنوره الذي هو الإيمان والإسلام والإحسان من يشاء من عباده ممن علم أنهم يرغبون في الهداية ويطلبونها ويكملون ويسعدون عليها.وقوله: ﴿ويضرب٢ الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم﴾ يخبر تعالى: أنه يضرب الأمثال للناس كهذا المثل الذي ضربه٣ للإيمان وقلب عبده المؤمن وأنه عليم بالعباد وأحوال القلوب، ومن هو أهل للهداية ومن ليس لها بأهل، إذ هو بكل شيء عليم.وقوله: ﴿في بيوت٤ أذن الله أن ترفع﴾ أي المصباح في بيوت أذن الله أي أمر ووصى أن ترفع حسا ومعنى وهي المساجد فتطهر من النجاسات ومن اللغو فيها وكلام

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري، ٤٦٠/٣

(٢) أيسر التفاسير للجزائري، ٥٥١/٣

الدنياه وتصان وتحفظ من كل ما يخل بمقامها الرفيع لأنها بيوت الله تعالى، وقوله : ﴿ويذكر فيها اسمه﴾ أي بالأذان والإقامة والصلاة والتسبيح والدعاء وقراءة القرآن. وقوله تعالى: ﴿يسبح له فيها﴾ أي لله في تلك البيوت ﴿ بالغدو﴾ أي بالصباح ﴿والآصال٦﴾ أي المساء ﴿رجال﴾ مؤمنون صادقون أبرار متقون ﴿لا تلهيهم تجارة ولا بيع﴾ أي لا شراء ولا بيع ﴿عن ذكر الله﴾ فقلوبهم ذاكرة غير غافلة وألسنتهم ذاكرة غير لاهية ولا لاغية ﴿وإقام الصلاة وإتياء الزكاة﴾ أي لا تلهيهم دنياهم عن آخرتهم فهم يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة.وقوله: ﴿يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار﴾ أي من شدة الخوف وعظم الفزع والهول وهو يوم القيامة وقوله تعالى: ﴿ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله﴾______________١ أي: اجتمع في المشكاة ضوء المصباح إلى ضوء الزجاجة إلى ضوء الزيت فهو لذلك نور على نور، واختلطت هذه الأنوار في المشكاة فصارت كأنور ما تكون فكذلك براهين الله تعالى واضحة وهي: برهان بعد برهان. والجملة مستأنفة أي: هذا المذكور هو نور على نور.٢ قوله تعالى: ﴿يهدي الله لنوره من يشاء﴾ إلى قوله: ﴿ عليم﴾ هي ثلاث جمل معترضة أو تذييل لما سبق من الكلام.٣ قال ابن عباس هذا مثل نور الله وهداه في قلب المؤمن كما يكاد الزيت الصافي يضيء قبل أن تمسه النار فان مسته النار أزداد ضوءه كذلك قلب المؤمن، يكاد يعمل بالهدى قبل أن يأتيه العلم فإذا جاء العلم زاده هدى على هدى ونورا على نور.٤ كون ﴿في بيوت﴾ متعلقا بقول ﴿مصباح﴾ أولى وأوضح من تعلقه بيسبح له وإن قيل: كيف يعود إلى المصباح، وهو واحد والبيوت جمع؟ قيل: هذا كقوله: ﴿وجعل فيهن نورا﴾ وهو في سماء واحدة لا في كل سماء وإنما هو تلوين للخطاب.٥ لقول الرسول صلى الله عليه وسلم للذي أنشد الضالة: "لا وجدت إنما بنيت المساجد لما بنيت له" يريد الصلاة والذكر وقراءة القرآن وتعلم العلم.٦ الآصال: جمع أصيل وهو المساء.." (١)

"القدرة واللطف الإلهي وقوله . ﴿يكاد سنا برقه١﴾ أي يقرب لمعان البرق الذي هو سناه يذهب بالأبصار التي تنظر إليه أي يخطفها بشدة لمعانه.وقوله تعالما ﴿يقلب الله الليل والنهار﴾ بأن يظهر هذا ويخفي هذا فإذا ظهر النهار اختفى الليل، وإذا ظهر الليل اختفى النهار فيقلب أحدهما على الآخر فيخفيه ويستره به وقوله: ﴿إن في ذلك لعبرة لأولى الأبصار﴾ أي إن في إنزال البرد ولمعان البرق وتقليب الليل والنهار لعظة عظيمة لأولى البصائر تهديهم إلى الإيمان بالله وجلاله وكماله فيعبدونه ويوحدونه محبين له معظمين راجعين خائفين إن هذه ثمرة الهداية هذا ما دلت عليه الآيتان الأولى (٤٣) والثانية (٤٤) أما الآية (٤٥) فقد اشتملت على أعظم مظهر من مظاهر القدرة الإلهية فقال تعالى: ﴿والله خالق كل دابة٢﴾ أي من إنسان وحيوان ﴿من ماء٣﴾ أي نطفة من نطف الإنسان والحيوان، ﴿فمنهم من يمشي على بطنه﴾ كالحيات والثعابين والأسماك، ﴿ومنهم من يمشي على رجلين﴾ كالإنسان والطير، ﴿ومنهم من يمشي على أربع﴾ كالأنعام والبهائم، وقوله: ﴿يخلق الله ما يشاء﴾ إذ بعض الحيوانات لها أكثر من أربع وقوله: ﴿إن الله على كل شيء٤ قدير﴾ أي على فعل وإيجاد ما يريده قدير لا يعجزه شيء فأين الله الخالق العليم الحكيم من تلك الأصنام والأوثان التي يؤلهها الجاهلون من أهل الشرك والكفر؟وقوله تعالى: ﴿لقد أنزلنا آيات مبينات﴾ أي واضحات لأجل هداية العباد إلى طريق سعادتهم وكمالهم وهي هذه الآيات التي اشتملت عليها سورة النور وغيرها من آيات القرآن الكريم فمن آمن بها ونظر فيها وأخذ بما تدعو إليه من

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري، ٥٧٣/٣

الهدى اهتدى، ومن أعرض عنها فضل وشقى فلا يلومن إلا نفسه، ﴿والله يهدي من يشاء﴾ هدايته ممن رغب في الهداية وطلبها وسلك لها مسالكها ﴿إلى صراط مستقيم﴾ ألا وهو الإسلام طريق الكمال والسعادة في الحياتين اللهم اجعلنا من أهله إنك قدير.______________١ السنا مصدر: لمعان البرق والسناء، ممدود: الرفعة قال: ابن دريد:زال السنا عن ناظريوزال عن شرف السناءفالسنا الأول: الرفعة والثاني: ضوء البرق، وجملة: ﴿يكاد سنا برقه﴾ وصف لـ: (سحابا).٢ فخرج الملائكة والجن إذ الملائكة خلقوا من نور والجن من النار.٣ تنكير ماء: لإرادة النوعية تنبيها على اختلاف صفات الماء لكل نوع من الدواب.٤ هذه الجملة ذكرت **تذييلا** وتعليلا.." (١)

"تشركون به، فقامت الحجة عليكم فأنتم الآن لا تستطيعون صرفا للعذاب عنكم ولا نصرا أي ولا تجدون من ينصركم فيمنع العذاب عنكم.وقوله تعالى: ﴿ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا﴾ هذا خطاب عام لسائر الناس يقول تعالى للناس ومن يشرك منكم بي أي يعبد غيري نذقه أي يوم القيامة عذابا كبيرا وقوله تعالى: ﴿وما أرسلنا قبلك﴾ أي يا رسولنا ﴿من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق ١﴾ إذا فلا تهتم بقول المشركين ﴿ما لهذا الرسول يأكل الطعام﴾ ولا تحفل به فإنهم يعرفون ذلك ولكنهم يكابرون ويجاحدون.وقوله تعالى: ﴿وجعلنا بعضكم لبعض فتنة٢﴾ أي هذه سنتنا في خلقنا نبتلي بعضهم ببعض فنبتلي المؤمن بالكافر والغني بالفقير والصحيح بالمريض والشريف بالوضيع، وننظر من يصبر ومن يجزع ونجزي الصابرين بما يستحقون والجزعين كذلك.وقوله تعالى: ﴿أتصبرون﴾ هذا الاستفهام معناه الأمر أي اصبروا إذا ولا تجزعوا أيها المؤمنون من أذى المشركين والكافرين لكم. وقوله تعالى: ﴿وكان ربك بصيرا﴾ أي وكان ربك أيها الرسول بصيرا بمن يصبر وبمن يجزع فاصبر ولا تجزع فإنها دار الفتنة والامتحان وإنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب.هداية الآياتمن هداية الآيات:١- تقرير عقيدة البعث والجزاء.٢- يا لهول الموقف إذا سئل المعبودون عمن عبدوهم، والمظلومون عمن ظلموهم.٣- براءة الملائكة والأنبياء والأولياء من عبادة من عبدوهم.٤- خطورة طول العمر وسعة الرزق إذ غالبا ما ينسى العبد بهما ربه ولقاءه.٥- تقرير أن الدنيا دار ابتلاء فعلى أولى الحزم أن يعرفوا هذا ويخلصوا منها بالصبر والتحمل في ذات الله حتى يخرجوا منها ولو كفافا لا لهم ولا عليهم.______________١ أخرج مسلم قوله صلى الله عليه وسلم: "أحب البلاد إلى الله مساجدها و أبغض البلاد إلى الله أسواقها".٢ هذه الجملة **تذييلية** الغرض منها التسلية للرسول صلى عليه وسلم والمؤمنين من أجل ما يلاقون من عناد المشركين وأذاهم. والاستفهام في: ﴿أتصبرون﴾ معناه الحث على الصبر والأمر به نحو قوله: ﴿فهل أنتم منتهون﴾.أي: عما حرم من الخمر والميسر.." (٢)

"شرح الكلمات:تلك الدار الآخرة: أي الجنة، دار الأبرار.لا يريدون علوا في الأرض : أي بغيا ولا استطالة على الناس.ولا فسادا : أي ولا يريدون فسادا بعمل المعاصي.والعاقبة: أي المحمودة في الدنيا والآخرة.للمتقين: الذين يتقون مساخط الله فلا يعتقدون ولا يقولون ولا يعملون ما لا يرضى به الله تعالى.من جاء بالحسنة : أي يوم القيامة والحسنة: أثر طاعة الله تعالى يجزى به المؤمن.فله خير منها : أي تضاعف له عشرة أضعاف.ومن جاء بالسيئة: السيئة أثر معصية الله

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري، ٣/٥٧٩

(٢) أيسر التفاسير للجزائري، ٣/٦٠٦

تعالى يعاقب به العبد إذا لم يعف الله تعالى عنه.معنى الآيات:لقد تقدم في السياق أن ثواب الله وهو الجنة خير لمن آمن وعمل صالحا فأشار إليه تعالى بقوله ﴿تلك(١) الدار الآخرة﴾ التي هي الجنة آخر دار يسكنها المتقون فلا يخرجون منها. نجعلها، هذا هو الخبر عن قوله تلك الدار الآخرة فأخبر تعالى أنه يجعلها مأوى ومسكنا للذين لا يريدون علوا(٢) في الأرض ولا فسادا، لا يريدون استطالة على الناس وتعاليا وتكبرا عليهم وبغيا، ولا فسادا بارتكاب المعاصي كالقتل والزنا والسرقة وشرب الخمر، وقوله تعالى: ﴿والعاقبة(٣) للمتقين﴾ أي والعاقبة المحمودة في الدارين لأهل الإيمان والتقوى وهم المؤمنون الذين يتقون مساخط الله عز وجل، وذلك بفعل المأمورات واجتناب المنهيات. وقوله تعالى: ﴿من جاء﴾ أي يوم القيامة ﴿بالحسنة﴾ وهي الطاعات لله ورسوله ﴿فله﴾ جزاء مضاعفا الحسنة بعشر أمثالها وقد تضاعف إلى أكثر بشرط أن لا تكون حسنة أعطيت له من حسنات ظالم في الدنيا فهذه لا تتضاعف. إذ تضاعف الحسنة التي باشرها، كما______________١ - الجملة ابتدائية وهو بدء مشوق، قرأ الفضل بن عياض هذه الآية ثم قال: ذهبت الأماني ها هنا أي: أماني الذين يزعمون أنه لا يضر مع الإيمان شيء وأن المؤمنين كلهم ناجون من العقاب.٢ - روى سفيان بن عيينة أن عليا بن الحسين وهو راكب مر على مساكين يأكلون كسرا لهم فسلم عليهم فدعوه إلى طعامهم فتلا هذه الآية: (تلك الدار الآخرة ..) إلى (فسادا) ثم نزل وأكل معهم.٣ - الجملة تذييلية تقرر حقيقة أخرى وهي الإشارة بالتقوى والعاقبة المحمودة في الدارين لأهل التقوى.." [1]

"الدار الآخرة. قال: ﴿أولم يروا(١)﴾ أي أولئك المنكرون للبعث، أيكذبون؟ ولم ينظروا كيف يبدئ الله الخلق أي خلق الإنسان، فإن ذلك دال على إعادته متى أراد الله الخالق ذلك، ثم هو تعالى يعيده متى شاء، ﴿إن ذلك﴾ أي الخلق والإعادة بعد الفناء والبلى ﴿على الله يسير﴾ سهل لا يتعذر عليه أبدا.وقوله تعالى: ﴿قل(٢) سيروا في الأرض﴾ أي قل يا رسولنا للمكذبين بالبعث الآخر ﴿سيروا في الأرض﴾ شرقا وغربا ﴿فانظروا كيف بدأ الخلق﴾ تعالى خلق تلك المخلوقات التي تشاهدونها من أرض، وسماء، وأنهار، وأشجار، وحيوان، وإنسان، إنها كلها كانت عدما فأنشأها الله تعالى ثم هو سيفنيها ﴿ثم الله ينشئ النشأة الآخرة(٣)﴾ وذلك بأن يعيد حياة الإنسان ليحاسبه على كسبه في الدنيا ويجزيه به خيرا أو شرا، ﴿إن الله على كل شيء(٤) قدير﴾ إذا فلا يستنكر عليه إعادة الناس أحياء بعد نهاية هذه الحياة الدنيا ليحاسبهم ويجزيهم بما كانوا يعملون. وقوله تعالى: ﴿يعذب من يشاء ويرحم من يشاء﴾ هذه فائدة وحكمة البعث الآخرة وهي المجازاة على العمل في هذه الحياة فيعذب أهل الكفر به وبرسوله والذين لم يزكوا أنفسهم بالإيمان وصالح الأعمال فيدخلهم في جهنم دار الشقاء والعذاب ويرحم أهل الإيمان والتقوى الذين زكوا أنفسهم بالإيمان والصالحات. وقوله: ﴿وإليه تقلبون﴾ أي إلى الله ربكم ترجعون بعد الموت والفناء وإنشاء النشأة الآخرة وقوله ﴿وما أنتم بمعجزين(٥)﴾ أي الله تعالى ﴿في الأرض ولا في السماء﴾ بل أنتم مقهورون له خاضعون لسلطانه لا يمكنكم من الهروب منه ولا الخلاص بحال من الأحوال. وليس لكم من دونه تعالى ولي يتولاكم فيدفع عنكم العذاب ولا نصير ينصركم فلا تغلبون ولا تعذبون وقوله تعالى: ﴿والذين كفروا بآيات الله﴾ التي جاءت بها______________١ - الاستفهام للإنكار والتوبيخ لهم على عدم استعمال عقولهم إذ ينكرون

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري، ٤/١٠٤

البعث وأمامهم صور منه دالة عليه فهو يبدئ الثمار فتحيا ثم تفنى ثم يعيدها أبدا ويخلق المرء ثم يميته بعد أن يخلق منه ولدا ويخلق من الولد ولدا، وهكذا تتكرر عملية البعث أمامهم فما لهم لا يرونها؟!٢ – هذا الأمر للإرشاد والتوجيه والنصح لو كانوا يعقلون.٣ – أظهر اسم الجلالة بعد تقديم ذكر ضميره في قوله: (كيف بدأ الخلق) ليحرك ضمائرهم باسم الجلالة ويدفع بنفوسهم إلى التسليم بالنشأة الآخرة بعد التسليم بالنشأة الأولى وهي بدء الخلق.٤ – الجملة **تذييلية** أعلن فيها عن قدرة الله الذي لا يعجزه شيء أراده: البدء كالإعادة سواء.٥ – المعجزة: هو الذي يجعل غيره عاجزا عن فعل ما وهو هنا كناية عن الغلبة والانقلاب، قرر بهذه الجملة عجزهم التام في الأرض التي هم يسكنونها، وحتى في السماء لو فرض أنهم يرقونها وما هم بأهل لذلك كما قال الأعشى:فلو كنت في جب ثمانين قامةورقيت أسباب السماء بسلم.." (١)

"وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب: أي بالنظر إلى العمل لها والعيش فيها فهي لهو يتلهى بها الإنسان ولعب يخرج منه بلا طائل ولا فائدة.وإن الدار الآخرة لهي الحيوان : أي الحياة الكاملة الخالدة، ولذا العمل لها أفضل من العمل للدنيا.لو كانوا يعلمون : أي لو علم المشركون هذا لما آثروا الدنيا الفانية على الآخرة الباقية.معنى الآيات:ما زال السياق في تقرير التوحيد والتنديد بالشرك وتذكير المشركين لعلهم يوحدون. يقول تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم ﴿ولئن سألتهم﴾ أي لئن سألت هؤلاء المشركين الذين يؤذون المؤمنين ويضطهدونهم من أجل توحيدهم لله تعالى لو سألتهم ﴿من خلق السماوات والأرض﴾ أي من أوجدهما من العدم، ومن سخر الشمس والقمر في فلكيهما يسيران الحياة كلها ليجيبنك قائلين الله. ﴿فأنى(١) يؤفكون﴾ أي كيف يصرفون عن الحق بعد ظهور أدلته إنها حال تستدعي التعجب وقوله تعالى :﴿الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له﴾ هذا مظهر من مظاهر الحكمة الإلهية والتدبير الحكيم وهو موجب له الألوهية ناف لها عما سواه. فهذا يبسط الرزق له فيوسع عليه في طعامه وشرابه وكسائه ومركوبه ومسكنه، وهذا يضيق عليه في ذلك لماذا؟! والجواب: إنه يوسع امتحانا للعبد هل يشكر أو يكفر، ويضيق ابتلاءا للعبد هل يصبر أو يسخط. ولذا فلا حجة للمشركين في(٢) غناهم وفقر المؤمنين فالغنى لا يدل على رضا الله على العبد ولا على سخطه. والفقر كذلك لا يدل على سخط ولا على رضا. وقوله تعالى ﴿إن الله بكل(٣) شيء عليم﴾ تقرير لحكمته ورحمته وعدله وتدبيره فهو يوسع لحكمة ويضيق لحكمة لعلمه بعباده وما يصلحهم وما يفسدهم إذ من الناس من يصلحه الغنى، ومنهم من يصلحه الفقر، والإفساد كذلك وقوله تعالى: ﴿ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها﴾ أي ولئن سألت يا رسولنا هؤلاء المشركين فقلت من نزل من السماء______________١ – الاستفهام للإنكار والتعجب.٢ – نزلت الآية ردا على المشركين الذين عيروا المؤمنين بالفقر وقالوا لهم: لو كنتم على الحق لم تكونوا فقراء، وهذا تمويه منهم إذ في الكافرين فقراء أيضا.٣ – هذه الجملة **تذييلية** لإفادة أن ذلك كله جار على حكمة لا يطلع عليها.." (٢)

"قبلوا التحكيم فحكم فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الأوس سعد بن معاذ رضي الله عنه فحكم فيهم بقتل المقاتلة من الرجال وسبي النساء والذراري وهو معنى قوله تعالى ﴿فريقا تقتلون﴾ وهم الرجال ﴿وتأسرون فريقا﴾ وهم

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري، ٤/١٢١

(٢) أيسر التفاسير للجزائري، ٤/١٥١

النساء والأطفال، وقوله ﴿وأورثكم أرضهم﴾ الزراعية ﴿وديارهم﴾ السكنية ﴿وأموالهم﴾ الصامتة والناطقة وقوله ﴿وأرضا لم تطأوها﴾ أي أورثكم أرضا لم تطئوها بعد وهي أرض خيبر(١) حيث غزاهم رسول الله في السنة السادسة بعد صلح الحديبية وفتحها الله عليهم وقوله ﴿وكان الله على كل شيء قديرا﴾ **تذييل** المراد به تقرير ما أخبر تعالى به(٢) من نصر أوليائه وهزيمة أعدائه.هداية الآياتمن هداية الآيات:١- بيان عاقبة الغدر فإن بني قريظة لما غدرت برسول الله انتقم منها فسلط عليها رسوله والمؤمنين فأبادوهم عنآخرهم ولم يبق إلا الذين لا ذنب لهم وهم النساء والأطفال.٢- بيان صادق وعد الله إذ أورث المسلمين أرضا لم يكونوا قد وطئوها وهي خيبر والشام والعراق وفارسوبلاد أخرى كبيرة وكثيرة.٣- تقرير أن قدرة الله لا تحد أبدا فهو تعالى على كل شيء قدير لا يعجزه شيء.يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا(٢٨) وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما(٢٩)_______________١ - وقال مقاتل هي خيبر إذ لم يكونوا قد نالوها بعد فوعدهم الله إياها وقال الحسن فارس والروم، وقال عكرمة كل أرض تفتح إلى يوم القيامة والكل صالح ومقبول، وما في التفسير أقرب لأنها أرض اليهود فالسياق ساعد على أنها أرض خيبر، وقال صاحب التحرير إنها أرض بني النضير لأنهم ما فتحوها عنوة فلم تطأها حوافر الخيل ولا أقدام الأبطال.٢ - وفيه الإيحاء ببشرى فتوحات تعقب هذا الفتح.." [1]

"ملعونين : أي مبعدين عن الرحمة.أينما ثقفوا أخذوا : أينما أخذوا أسروا وقتلوا تقتيلا.سنة الله في الذين خلوا من قبل: أي سن الله هذه السنة في الأمم الماضية أينما ثقف المنافقون والمرجفون أخذوا وقتلوا تقتيلا.ولن تجد لسنة الله تبديلا : أي منه تعالى إذ هي ليست أحكاما يطرأ عليها التبديل والتغيير بل هي سر التشريع وحكمته.معنى الآيات:لقد تقدم أن بعض النسوة اشتكين ما يلقينه من تعرض المنافقين لهن عند خروجهن ليلا لقضاء الحاجة، وأن الله تعالى أمر نساء المؤمنين أن يدنين عليهن من جلابيبهن وعلة ذلك أن يعرفن أنهن حرائر فلا يتعرض لهن المنافقون وكان ذلك إجراء وقائيا لا بد منه، ثم أقسم الجبار بقوله ﴿لئن لم ينته المنافقون(١)﴾ أي وعزتي وجلالي لئن لم ينته هؤلاء المنافقون من نفاقهم وأعمالهم الاستفزازية والذين في قلوبهم مرض الشهوة وحب الفجور والمرجفون الذين يكذبون الأكاذيب المرجفة أي المحركة للنفوس كقولهم: العدو زاحف على المدينة والسرية الفلانية انهزمت أو قتل أكثر أفرادها لئن لم ينته هؤلاء لنغرينك(٢) بهم أي لنحرشنك بهم ثم لنسلطنك عليهم. ثم لا يجاورونك فيها أي في المدينة إلا قليلا، ثم يخرجوا منها أو يهلكوا ملعونين أي يخرجون ملعونين أي مطرودين من الرحمة الإلهية التي تصيب سكان المدينة النبوية، وحينئذ أينما ثقفوا أي وجدوا وتمكن منهم أخذوا أي أسرى وقتلوا تقتيلا حتى لا يبقى منهم أحد.هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٦٠) ﴿لئن لم ينته المنافقون..﴾ والثانية (٦١) ﴿ملعونين ...﴾ الخ. أما الآية الثالثة (٦٢) ﴿سنة الله(٣) في الذين خلوا من قبل﴾ أي لقد سن الله تعالى هذا سنة في المنافقين من أنهم إذا لم ينتهوا يلعنون ثم يسلط عليهم من يأخذهم ويقتلهم تقتيلا، وقوله: ﴿ولن(٤) تجد لسنة الله تبديلا﴾ يخبر تعالى أن ما كان من قبل السنن كالطعام_______________١ - يرى الكثيرون أن الصفات الثلاث لجنس واحد وهم المنافقون قد اجتمعت فيهم هذه الصفات الثلاث والواو مقحمة وليست للعطف وشاهده قول الشاعر:إلى

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري، ٢٦١/٤

الملك القرم وابن الهماموليث الكتيبة في المزدحمفهو رجل واحد بثلاث صفات.٢ - لنغرينك اللام للقسم أي وعزتنا وجلالنا لنغرينك.٣ - سنة منصوب على المصدر أي سن الله تعالى ذلك سنة ثم أضيف المصدر إلى فاعله.٤ - الجملة تذييلية المراد بها تأكيد العذاب الحائق بالمنافقين وأتباعهم إن لم ينتهوا أو لم يتوبوا والمعنى لن تجد لسنن الله مع الذين خلوا من قبل ولا مع الحاضرين ولا مع الآتين تبديلا.." (١)

"كتضييقه عائد إلى تربية الناس بالسراء والضراء امتحانا وابتلاء. وقوله تعالى: ﴿وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى﴾ يخبر تعالى المشركين المغترين بالمال والولد يقول لهم وما أموالكم ولا أولادكم بالحال التي تقربكم منا وتجعلنا نرضى عنكم وندنيكم منا زلفى أي قربى. ﴿إلا من آمن وعمل صالحا﴾ أي لكن من فعلوا الوجبات والمندوبات ﴿فأولئك﴾ أي المذكورون لهم جزاء الضعف(١)، أي جزاء تضاعف لهم حسناتهم فيه، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة، وذلك بسبب عملهم الصالحات ﴿وهم في الغرفات﴾ أي غرفات الجنة آمنون من الموت ومن كل مكروه ومنغص لسعادتهم.وقوله تعالى: ﴿والذين يسعون في آياتنا معاجزين﴾ يخبر تعالى أن الذين يعملون بجد وحرص في إبطال آياتنا وإطفاء نور هدايتنا في كتابنا وقلوب عبادنا المؤمنين ويظنون أنهم معجزون لنا أي فائتون لا ندركهم ولا نعاقبهم هؤلاء المغرورون في العذاب محضرون أي كأنك بهم وهم محضرون في جهنم يعذبون فيها أبدا.فقوله تعالى: ﴿قل إن ربي﴾ أي قل يا رسولنا مرة أخرى تقريرا لهذه الحقيقة العلمية التي خفيت على الناس وجهلها قومك وهي أن الله يبسط الرزق لمن يشاء امتحانا لا حبا فيه ولا بغضا له. وإنما امتحانا له هل يشكر أو يكفر فإن شكر زدناه وأكرمناه وإن كفر سلبناه ما أعطيناه وعذبناه، ﴿ويقدر له﴾ أي لمن يشاء من عباده ابتلاء له لا بغضا له ولا حبا فيه. وإنما لننظر هل يصبر على الابتلاء أو يسخط ويضجر فنزيد في بلائه وشقائه.. وقوله تعالى: ﴿وما أنفقتم(٢) من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين﴾ في هذا دعوة إلى الإنفاق في سبيل الله وتشجيع عليه بإعلام الناس أن الإنفاق لا ينقص المال والبخل به لا يزيده فإن التوسعة كالتضييق لحكمة فلا البخل يزيد في المال ولا الإنفاق في سبيل الله ينقص منه. وختم هذا بوعده الصادق وهو أن من أنفق في سبيل الله شيئا أخلفه الله عليه وهو تعالى خير من قيل إنه يرزق ووصف به.هداية الآياتمن هداية الآيات:١- بيان سنة الله في الأمم والشعوب وأنهم ما أتاهم من رسول إلا كفر به الأغنياء والكبراء.٢- بيان اغترار المترفين بما آتاهم الله من مال وولد ظانين أن ذلك من رضا الله تعالى عليهم.______________١ - الضعف بمعنى المضاعف المكرر مرة وأكثر حتى يبلغ أضعافا مضاعفة إلى سبعمائة ضعف هي سنة الإنفاق في الجهاد.٢ - من في قوله "من شيء" بيانية وجملة فهو يخلفه جواب الشرط وجملة وهو خير الرازقين تذييل للكلام يحمل معنى الترغيب في الإنفاق في سبيل الله وفي الحديث الصحيح " يا ابن آدم أنفق أنفق عليك"، و "ما من يوم تطلع فيه الشمس إلا وملكان ينزلان يقول أحدهما اللهم أعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا " في الصحيح".." (٢)

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري، ٢٩٣/٤

(٢) أيسر التفاسير للجزائري، ٣٢٦/٤

"وقوله تعالى ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾(١) هذا مظهر عدالته تعالى فهو مع قدرته وقهره لعباده ذو عدل فيهم فلا يؤاخذ بغير جرم، ولا يحمل وزر نفس نفسا أخرى لم تذنب ولم تزر بل كل نفس تؤخذ بذنبها إن كانت مذنبة هذه عدالته تتجلى لعباده يوم يعرضون عليه في يوم كله هول وفزع يدل عليه قوله ﴿وإن تدع مثقلة(٢)﴾ أي بذنوبها ﴿إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان﴾(٣) من تدعوه ﴿ذا قربى﴾ كالولد(٤) والبنت. وقوله تعالى: ﴿إنما تنذر الذين(٥) يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة﴾ أي إنما تنذر يا رسولنا ويقبل إنذارك وينتفع به من يخشون ربهم ويخافون عذابه بالغيب وأقاموا الصلاة، أما غيرهم من أهل الكفر والعناد والجحود فإنهم لا يقبلون إنذارك ولا ينتفعون به لظلمة جهلهم وكفرهم وقساوة قلوبهم، ومع هذا فأنذر ولا عليك في ذلك شيء فإن من تزكى بالإيمان والعمل الصالح مع ترك الشرك والمعاصي فإنما يتزكى لنفسه لا لك ولا لنا، ومن أبى فعليه إباؤه، وإلينا مصير الكل وسنجزي كلا بما كسب من خير وشر. هذا ما دل عليه قوله تعالى: ﴿إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه وإلى الله المصير﴾(٦)هداية الآياتمن هداية الآيات: ١- بيان فقر العباد إلى ربهم وحاجتهم إليه وإزالة فقرهم وسد حاجتهم يكون باللجوء إليه والاطراح بين يديه يعبدونه ويسألونه. ٢- بيان عدالة الله تعالى يوم القيامة. ٣- بيان صعوبة الموقف في عرصات القيامة لا سيما عند وضع الميزان ووزن الأعمال.______________١ - وازرة صفة لمحذوف أي نفس وازرة وكذا وإن تدع مثقلة أي نفس مثقلة وتزر أصلها توزر فحذت الواو تخفيفا إذ الفعل وزر يوزر فحذفت الواو كما حذفت وعد يعد ووزن يزن. ٢ - وإن تدع مثقلة أي أحدا إلى حملها. ٣ - أي المدعو ذا قربى. ٤ - قال الفضيل بن عياض هي المرأة تلقى ولدها فتقول يا ولدي ألم يكن بطني لك وعاء، ألم يكن ثدي لك سقاء ألم يكن حجري لك وطاء؟ فيقول بلى يا أماه فتقول يا بني قد أثقلتني ذنوبي فاحمل عني منها ذنبا واحدا، فيقول إليك عني يا أماه فإني بذنبي عنك مشغول. ٥ - الجملة مستأنفة بيانيا لأن الحال تستدعي سؤالا وهو لم لم يتأثر المشركون بالإنذار فالجواب إنما يقبل النذارة ويستجيب للمنذر أهل الإيمان والخشية لله تعالى لأنهم أحياء وأما الكافرون فهم أموات وهل يستجيب غير الحي؟ وفي الآية دليل على قوة تأثير الصلاة في تزكية النفوس وتطهير الأرواح. ٦ - هذه الجملة تذييل للجملة المذيل بها قبلها وهي قوله تعالى: ﴿ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه﴾ وهي تفيد تقرير البعث والجزاء وهما مما ينكر المشركون كما يفيد التسلية للرسول صلى الله عليه وسلم والتهديد للكافرين أيضا فإن من صار إلى الله أخذه بذنبه.." (١)

"والعنب والفواكه والخضر، ومن الجبال كذلك. فإن فيها جدد(١) أي خطط حمراء وصفراء وبيضاء وسوداء والجبال نفسها كذلك، ومن الناس والدواب والأنعام ففي جميعها الأبيض والأسود والأحمر والأصفر كما في جدد الجبال نفسها وكما في الثمار. ولما كان هذا لا يدركه إلا المفكرون ولا يجني منه العبرة إلا العالمون قال تعالى ﴿إنما يخشى(٢) الله من عباده العلماء﴾ وأهل مكة جهال لا يفكرون ولا يهتدون فلا غرابة إذا لم يخشوا الله تعالى ولم يوحدوه وذلك لجهلهم وعدم تفكيرهم.وقوله تعالى في ختام هذا السياق: ﴿إن الله عزيز غفور﴾(٣) كشف عن حقيقة ينبغي أن يعرفها أهل مكة المصرون على الكفر والتكذيب وهي أن الله قادر على أخذهم والبطش بهم فإنه عزيز لا يمانع فيما يريده وغفور لذنوب

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري، ٣٤٨/٤

التائبين من عباده ومهما كانت ذنوبهم ألا فليتب أهل مكة فإن توبتهم خير لهم من إصرارهم على الشرك والكفر والتكذيب إذ في التوبة نجاة، وفي الإصرار هلاك.وقوله تعالى: ﴿إن الذين يتلون كتاب الله(٤)﴾ وهم المؤمنون ﴿وأقاموا الصلاة﴾ أدوها أداء وافيا لا نقص فيه ﴿وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية﴾ الزكاة والصدقات بحسب الأحوال والظروف سرا أحيانا وعلانية أخرى. يخبر تعالى عنهم بعدما وصفهم بما شرفهم به من صفات أنهم يرجون تجارة لن تبور أي لن تهلك ولن تخسر وذلك يوم القيامة وقوله ﴿ليوفيهم أجورهم(٥) ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور﴾ أي هداهم لذلك ووفقهم إليه تعالى ليوفهم أجورهم ويزيدهم من فضله. وعلة ذلك أنه غفور لعباده المؤمنين التائبين فيغفر ذنوبهم ويدخلهم جنته شكور لطاعاتهم وصالح أعمالهم فلذا يضاعف لهم أجورهم ويزيدهم من فضله وله الحمد المنة.______________١ - الجدد جمع جدة وهي الطريقة والخطة في الشيء تكون واضحة فيه.٢ - في الجملة قصر صفة على موصوف أي قصر صفة الخشية على العلماء دون الجهلة وبهذا علا شأن العلماء وعظم قدرهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم ثم تلا إنما يخشى الله من عباده العلماء والمراد بالعلماء العالمون بالله أي بأسمائه وصفاته ومحابه ومكارهه وما عنده من نعيم لأوليائه وما لديه من عذاب لأعدائه، وآية العالم الخشية لله والمحبة له تعالى فمن لم يخش الله تعالى فليس بعالم.٣ - الجملة تذييلية مشعرة بغنى الله تعالى عن عباده قدير على أخذهم متى أراد بهم ذلك، ذو مغفرة لهم متى تابوا إليه وطلبوا مرضاته ولو عرف المشركون هذا ما أصروا على الشرك ولكنهم لا يعلمون.٤ - لما أثنى على العلماء بما وصفهم به من الخشية وكان في الكلام إيجاز أوضحه بهذه الجملة فقال إن الذين يتلون كتاب الله، وما تلا كتاب الله غير مؤمن عالم ولا أقام الصلاة وأنفق سرا وعلانية إلا ذو خشية ومحبة بعدما وصفهم وحدهم بشرهم بقوله يرجون تجارة لن تبور.٥ - التوفية جعل الشيء وافيا أي تاما لا نقيصة فيه ولا غبن.." (١)

"وإنما هو أن الظالمين وهم المشركون ما يعد بعضهم بعضا وهو أن الآلهة ستشفع لنا وتقربنا إلى الله زلفى إلا غرورا وباطلا فالرؤساء غروا المرءوسين وكذبوا عليهم بأن الآلهة تشفع لهم عند الله وتقربهم منه زلفى فلهذا عبدوها من دون الله وقوله تعالى: ﴿إن الله يمسك(١) السماوات والأرض أن تزولا﴾ يخبر تعالى عن عظيم قدرته ولطفه بعباده، ورحمته بهم وهي أنه تعالى يمسك السموات السبع والأرض أن تزولا أي تتحولا عن أماكنهما، إذ لو زالتا لخرب العالم في لحظات، وقوله: ﴿ولئن زالتا﴾ أي ولو زالتا ﴿إن(٢) أمسكهما من أحد من بعده﴾ أي لا يقدر على ذلك إلا هو سبحانه وتعالى، وقوله إن كان حليما غفورا إذ حلمه هو الذي غر الناس فعصوه، ولم يطيعوه، وأشركوا به ولم يوحدوه ومغفرته هي التي دعت الناس إلى التوبة إليه، والإنابة إلى توحيده وعبادته.وقوله تعالى في الآية الثالثة من هذا السياق (٤٢) ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم﴾ يخبر تعالى عن المشركين العرب بأنهم في يوم من الأيام كانوا يحلفون بالله جهد أيمانهم أي غاية اجتهادهم فيها لئن جاءهم رسول يرشدهم ويعلمهم لكانوا أهدى أي أعظم هداية من إحدى الطائفتين اليهود والنصارى. هكذا كانوا يحلفون ولما جاءهم نذير(٣) أي الرسول وهو محمد صلى الله عليه وسلم ما زادهم مجيئه ﴿إلا نفورا﴾ أي بعدا عن الدين ونفرة منه، واستكبارا في الأرض، ومكر السيء الذي هو عمل الشرك والظلم

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري، ٣٥٣/٤

والمعاصي.وقوله تعالى ﴿ولا يحيق(٤) المكر السيئ إلا بأهله﴾ إخبار منه تعالى بحقيقة يجهلها الناس وهي أن عاقبة المكر السيء تعود على الماكرين بأسوأ العقاب وأشد العذاب وقوله تعالى: ﴿فهل ينظرون﴾ أي ينتظرون وهم مصرون على المكر السيء وهو الشرك ومحاربة الرسول وأذية المؤمنين. إلا سنة الأولين وهي إهلاك الماكرين الظالمين ﴿فلن تجد لسنت الله﴾ أيها(٥)____________١ - لما بين لهم عجز آلهتهم وعدم قدرتها على خلق شيء في السموات والأرض بين لهم أن خالقها وممسكها هو الله فلا يوجد شيء إلا بإيجاده ولا يبقى شيء إلا بإبقائه.٢ - إن نافية بمعنى ما أي ما أمسكهما أحد سواه.٣ - هذا كان منهم قبل البعثة النبوية فقد بلغهم أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم فلعنوا من كذب نبيه منهم وأقسموا بالله جل اسمه لئن جاءهم نذير أي نبي ليكونن أهدى من إحدى الأمم يعني ممن كذب الرسل من أهل الكتاب وكانوا يتمنون أن يكون منهم رسول فلما جاءهم ما تمنوه نفروا عنه ولم يؤمنوا به.٤ - حاق به: أحاط والحوق الإحاطة روي أن كعبا قال لابن عباس إني أجد في التوراة: من حفر حفرة لأخيه وقع فيها. فقال ابن عباس فإني وجدت في القرآن ذلك قال وأين؟ قال اقرأ ﴿ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله﴾ ومن أمثال العرب: من حفر لأخيه جبا وقع فيه منكبا" وجملة لا يحيق المكر السيء إلا بأهله **تذييل** لما سبق وتحمل موعظة.٥ - السنة الطريقة والجمع سنن.." (١)

"وساحر وكاهن إلى غير ذلك من أقاويلهم، ﴿إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون(١)﴾ وسنجزيهم عن قولهم الباطل ونأخذهم بكذبهم وافترائهم عليك كما نحن نعلم أنهم ما قالوا الذي قالوا إلا حسدا لك، وإلا فهم يعلمون أنك رسول الله وما أنت بالساحر ولا الشاعر ولا المجنون، ولكن حملهم على ما يقولون الحسد والعناد والكبر.هداية الآياتمن هداية الآيات:١- تقرير النبوة المحمدية وأن القرآن ذكر وليس شعر كما يقول المبطلون.٢- الحكمة من نزول القرآن هي أن ينذر به الرسول الأحياء من أهل الإيمان.٣- بيان خطأ الذين يقرأون القرآن على الأموات ويتركون الأحياء لا يقرأونه عليهم وعظا لهم وإرشادا وتعليماوتذكيرا.٤- وجوب ذكر النعم وشكرها بالاعتراف بها، وصرفها في مرضاة واهبها وحمده عليها.٥- بيان سخف المشركين في عبادتهم أصناما يرجون نصرتها وهم جند معبأ لنصرتها من أن يمسها أحد بسوء.أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين(٧٧) وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم(٧٨) قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم(٧٩) الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون(٨٠) أوليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم(٨١)____________١ - جملة إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون جملة **تذييلية** المراد منها أمران تطمين الرسول صلى الله عليه وسلم على كفاية الله تعالى له وأن كيدهم لا يضره وتهديد المشركين بإعلامهم أن الله مطلع على ما يمكرون وسيجزيهم به.." (٢)

"الأحكام البين الشرائع لا خفاء فيها ولا غموض. ﴿وهديناهما الصراط المستقيم﴾ وهو الدين الصحيح الذي هو الإسلام دين الله الذي بعث به كافة رسله ﴿وتركنا عليهما في الآخرين﴾ أي وأبقينا عليهما الذكر الحسن والثناء العطر فيمن بعدهما ﴿سلام على موسى وهارون﴾ ﴿إنا كذلك نجزي المحسنين﴾(١) أي كما جزيناهما لإحسانهما نجزي المحسنين

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري، ٣٦١/٤

(٢) أيسر التفاسير للجزائري، ٣٩٢/٤

﴿إنهما من عبادنا المؤمنين﴾ فيه بيان لعلة ما وهبهما من الإنعام والإفضال وهو الإيمان المقتضى للإسلام والإحسان.هداية الآياتمن هداية الآيات:١- بيان إكرام الله تعالى لرسوليه موسى وهرون عليهما السلام.٢- بيان إنعام الله تعالى على بني إسرائيل بإنجائهم من آل فرعون ونصرته لهم عليهم.٣- بيان أن الإسلام دين سائر الأنبياء وليس خاصا بأمة الإسلام.٤- بيان فضل الإحسان والإيمان.وإن إلياس لمن المرسلين(١٢٣) إذ قال لقومه ألا تتقون(١٢٤) أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين(١٢٥) الله ربكم ورب آبائكم الأولين(١٢٦) فكذبوه فإنهم لمحضرون(١٢٧) إلا عباد الله المخلصين(١٢٨) وتركنا عليه في الآخرين(١٢٩) سلام على إل ياسين(١٣٠) إنا كذلك نجزي المحسنين(١٣١) إنه من عبادنا المؤمنين(١٣٢)______________١ - ﴿ إنا كذلك نجزي المحسنين﴾ جملة تذييلية وإن كانت تحمل معنى التعليل والتوكيد، والمحسنون من أحسنوا طاعة الله فأطاعوه بما يحب من أفعال وتروك على نحو ما شرعه لهم وجملة إنهما من عبادنا المؤمنين تعليلية للإنعام السابق.." (١)

"وأضله الله على علم :أي على علم من الله تعالى بأنه أهل للإضلال وعدم الهداية.وجعل على بصره غشاوة :أي ظلمة على عينيه فلا يبصر الآيات والدلائل.أفلا تذكرون :أي أفلا تتذكرون أيها الناس فتتعظون.معنى الآيات:لما ذكر تعالى في الآيات قبل هذه الظالمين والمتقين وجزاء كل منهم وأنه كان مختلفا باختلاف نفوس الظالمين والمتقين خبثا وطهرا ذكر هنا ما يقرر ذلك الحكم وهو اختلاف جزاء الظالمين والمتقين فقال: أم حسب١ الذين اجترحوا السيئات أي اكتيبوها بجوارحهم، والمراد بها الشرك والمعاصي أن نجعلهم كالذين آمنوا بالله ربا وإلها وبكل ما أمر تعالى بالإيمان به، وعمل الصالحات من إقام الصلاة وآيتاه الزكاة وصيام رمضان والجهاد والحج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وما إلى ذلك من الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون٢ أي ساء حكما حكمهم هذا ومعنى هذا أن الله تعالى أنكر على من يحسب هذا الحسبان ويظن هذا الظن الفاسد وهو أن يعيش الكافر والمؤمن في هذه الحياة الكافر يعيش على المعاصي والذنوب والمؤمن على الطاعة والحسنات ثم يموتون ولا يجزى الكافر على كفره والمؤمن على إيمانه، وأسوأ من هذا الظن ظن آخر كان ليعضهم وهو أنهم إذا ماتوا يكرمون وينعم عليهم بخير ما يكرم به المؤمن وينعم به عليهم. وهذا غرور عجيب، فأنكر تعالى عليهم هذا الظن الباطل وحكم أنه لا يسوى بين بر وفاجر، ولا بين مؤمن وكافر لأن ذلك مناف للعدل والحق والله خلق السموات والأرض بالحق، وأنزل الشرائع وأرسل الرسل ليعمل الناس في هذه الحياة الدنيا فمن آمن وعمل صالحا كانت الحسنى له جزاء، ومن كفر وعمل سوءا كانت جهنم جزاءه، وهو معنى قوله تعالى: ﴿وخلق الله السماوات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت٣﴾ أي من خير وشر، وهم لا يظلمون لأن العدالة الإلهية هي التي تسود يوم القيامة وتحكم.وقوله تعالى: ﴿أفرأيت٤ من اتخذ إلهه هواه﴾ أي جعل معبوده ما تهواه نفسه فما هويت قولا إلا قاله، ولا عملا إلا عمله ولا اعتقادا إلا اعتقده ضاربا بالعقل والشرع عرض الحائط فلا يلتفت______________١ أم للإضراب الانتقالي والاستفهام المقدر بعد أم استفهام إنكاري أي لا يحسب الذين اجترحوا السيئات أنهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات. والآية نزلت كما قال البغوي في نفر من المشركين في مكة قالوا للمؤمنين إن كان ما تقولون حقا لنفضلن عليكم في الآخرة كما فضلنا عليكم في

(١) أيسر التفاسير للجزائري، ٤٢٢/٤

الدنيا.٢ ساء ما يحكمون هذه الجملة تذييل لما قبلها من إنكار حسبانه وما اتصل به من المعاني، والحياة والممات مصدران ميميان من الحياة والموت.٣ الباء للتعويض لأن ما كسبته النفس لا تجزى به وإنما تجزى بمثله وما يناسبه من خير وشر.٤ الاستفهام للتعجب من حال هذا الذي اتخذ إلهه هواه والمخاطب الرسول صلى الله عليه وسلم وكل ذي أهلية لأن يفهم عن الله تعالى من المؤمنين.." (١)

"هذا جزاؤهم على إيمانهم وصالح أعمالهم. وقوله تعالى :﴿ذلك بأن الذين كفروا١ اتبعوا الباطل ﴾ وهو الشيطان وما يزينه من أعمال الشرك والشر والفساد، ﴿وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم ﴾ وهو القرآن وما جاء به ودعا إليه من العقائد الصحيحة والعبادات المزكية للنفس المهذبة للأرواح. أي ذلك الجزاء للذين كفروا والذين آمنوا بسبب أن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم. وقوله تعالى ﴿كذلك يضرب٢ الله للناس أمثالهم ﴾ أي مثل هذا التبيين لحال الكافرين وحال المؤمنين في هذه الآيات يبين الله للناس أمثالهم أي أحوالهم بالخسران والنجاح ليعتبروا فيسلكوا سبيل النجاح، ويتجنبوا سبيل الخسران، فضلا منه تعالى.هداية الآيات:من هداية الآيات:١-بيان طريقي الفلاح والخسران فطريق الفلاح الإيمان والعمل الصالح وطريق الخسران الشرك والمعاصي.٢-بيان أعمال البر مع الكفر والشرك لا تنفع صاحبها يوم القيامة ولا تشفع له وقد يثاب عليها في الدنيا فيبارك له في ماله وولده.٣-بيان الحكمة في ضرب الأمثال وهي هداية الناس إلى ما يفلحون به، فينجون من النار ويدخلون الجنة.فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم(٤) سيهديهم ويصلح بالهم (٥) ويدخلهم الجنة عرفها لهم (٦) يأيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم(٧))والذين كفروا______________١ هذا تبيين للسبب الأصلي في إضلال أعمال الكافرين وإصلاح بال المؤمنين والباء: بأن: سببية، واسم الإشارة مبتدأ والخبر: قوله(بأن الذين..) الخ والإشارة إلى ما تقدم من الخبرين (أضل أعمالهم) و (كفر عنهم سيأتهم).٢هذه الجملة تذييل لما سبق من بيان حال كل من الكافرين والمؤمنين و(يضرب) بمعنى يلقى مبينا، والأمثال: جمع مثل وهو: الحال التي تمثل صاحبها أي: تشهره للناس وتعرفهم به فلا يلتبس بنظائره.." (٢)

"إليهم قبل المغرب فإذا بهم يؤذنون و يصلون المغرب والعشاء فعلم أنهم لم يرتدوا وأنهم على خير والحمد لله. وجاء بالزكوات وأنزل الله تعالى هذه الآية قلت إن هذه الآية وإن نزلت في سبب معين فإنها عامة وقاعدة أساسية هامة فعلى الفرد والجماعة والدولة أن لا يقبلوا من الأخبار التي تنقل إليهم ولا يعملوا بمقتضاها إلا بعد الثبت والتبين الصحيح كراهية أن يصيبوا فردا أو جماعة بسوء بدون موجب لذلك ولا مقتض الإقالة سوء وفرية قد يريد بها صاحبها منفعة لنفسه بجلب مصلحة أو دفع مضرة عنه. فالأخذ بمبدأ التثبت والتبين عند سماع خبر من شخص لم يعرف بالتقوى والاستقامة الكاملة والعدالة التامة واجب صونا لكرامة الأفراد وحماية لأرواحهم وأموالهم. والحمد لله على شرع عادل رحيم كهذا. فقوله ﴿إن

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري، ٣٤/٥

(٢) أيسر التفاسير للجزائري، ٧١/٥

جاءكم فاسق﴾ المراد بالفاسق من يرتكب كبيرة من كبائر الذنوب كالكذب مثلا، والنبأ الخبر ذو الشأن والتبين التثبت وقوله ﴿أن تصيبوا قوما بجهالة﴾ أن تصيبوهم في أبدانهم وأموالهم بعدم علم منكم وهي الجهالة وقوله ﴿فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾ أي من جراء ما اتخذتم من إجراء خاطئ، وقوله تعالى في الآية (٧) ﴿واعلموا﴾ يلفت الرب تعالى نظر المسلمين إلى حقيقة هم غافلون عنها وهو وجود الرسول صلى الله عليه وسلم حيا بينهم ينزل عليه الوحي فإن هذه حال تتطلب منهم التزام الصدق في القول والعمل وإلا يفضحهم الوحي فورا إن هم كذبوا في قول أو عمل كما فضح الوليد لما أخبر بغير الحق. هذا أولا وثانيا لو كان الرسول صلى الله عليه وسلم يطيعهم في كل ما يرونه ويقترحونه لوقعوا في مشاكل تعرضهم لمشاق لا تطاق، بل وفي آثام عظام. هذا معنى قوله تعالى ﴿واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم١ في كثير من الأمر لعنتم﴾ وقوله ﴿ولكن الله حبب٢ إليكم الأيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان﴾ فوقاكم كثيرا من أن تكذبوا على رسولكم أو تقترحوا عليه أو تفرضوا آراءكم. وقوله ﴿أولئك هم الراشدون٣﴾ أي أولئك أصحاب رسول الله هم السالكون سبيل الرشاد فلا يتهوكون ولا يضلون وقوله ﴿فضلا٤ من الله ونعمة﴾ أي هدايتهم كانت فضلا من الله ونعمة، والله عليم بهم وبنياتهم وبواعث نفوسهم حكيم٥ في تدبيره فأهل أصحاب رسول الله______________١ لو: حرف امتناع لامتناع، امتنعت طاعته صلى الله عليه وسلم لهم فامتنع عنتهم الذي هو: الوقوع في المشقة والشدة.٢ (لكن) هذه الاستدراكية العاطفة، وهذا الاستدراك ناشيء عن كون بعضهم يحب أن يطيعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلموا أن الله حبب إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان وجعلهم من الراشدين، فكفاهم خواطر السوء، ورغبات الباطل، فلم يبق مجال للاقتراحات التي تسيء إليهم وإلى جانب نبيهم صلى الله عليه وسلم.٣ الرشاد، والرشد: ما كان خلاف الغي، والباطل والسيء.٤ نصب: (فضلا ونعمه) على المفعولية المطلقة.٥ جملة : (والله عليم حكيم) **تذييلية** لما تقدم من قوله: (واعلموا أن فيكم رسول الله) إلى قوله: (ونعمة).." (١)

"تكذبان. قول الرحمن: ﴿فيهن قاصرات الطرف١﴾ أي وفي تينك الجنتين نساء من الحور العين ﴿قاصرات الطرف﴾ أي العين على أزواجهن فلا ترى إلا زوجها أي فلا تنظر إلا إلى زوجها وتقول له وعزة ربي وجلاله وجماله ما أرى في الجنة شيئا أحسن منك فالحمد لله الذي جعلك زوجي وجعلني زوجك.وقوله ﴿لم يطمثهن﴾ أي لم يجامعهن فيفتضهن قبل أزواجهن ﴿إنس ولا جان﴾ أي لم يجامع الإنسية قبل زوجها الإنسي إنسي ولم يجامع الجنية قبل زوجها الجني جان فبأي آلاء ربكم تكذبان أبمثل هذا الإنعام تكذبان؟وقوله ﴿كأنهن الياقوت﴾ أي في صفائهن ﴿والمرجان﴾ في بياضهن إذ الحوراء منهن يرى مخ ساقا تحت ثيابها كما يرى الخيط أو السلك في داخل الياقوتة لصفائها فبأي آلاء ربكما تكذبان أبمثل هذا العطاء والإنعام تكذبان.وقوله عظم فضله وجل عطاؤه وهو الرحمن ﴿هل جزاء الأحسان﴾ أي في الإيمان والطاعات من العبادات ﴿إلا الإحسان﴾ ٢ إليه بمثل هذا النعيم العظيم الذي ذكر في هذه الآيات. فبأي آلاء ربكما تكذبان يا معشر الإنس والجان فقولا: لا بشيء من آلاء ربنا نكذب فلك الحمد.هداية الآيات:من هداية الآيات:١- فضل الخوف من الله تعالى وذلك كأن تعرض للعبد المعصية فيتركها خوفا من الله تعالى.٢- فضل نساء أهل الجنة في حبهن لأزواجهن بحيث لا

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري، ١٢٥/٥

ينظرن إلا إليهم.٣- بيان أن أفضل النساء في الدنيا تلك التي تقصر نظرها على زوجها فتحبه ولا تحب غيره من الرجال.٤- بيان أن الجن المتقين يدخلون الجنة ولهم أزواج كما للإنس سواء بسواء.٥- الإشادة بالإحسان وبيان جزائه والإحسان هو إخلاص العبادة لله والإتيان بها على الوجه الذي شرع أداؤها عليه، مع الإحسان إلى الخلق بكف الأذى عنهم وبذل الفضل لمن احتاجه منهم.______________١ هؤلاء نسوة الجنة لا أزواج المؤمنين اللائي كن لهم في الدنيا إذ مسهن أزواجهن والزوجة المؤمنة تكون لآخر من تزوجها في الدنيا.٢ جملة: (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) تذييل لما قبلها من الجمل المتضمنة إيمان المؤمنين وعملهم الصالح وإحسانهم فيه، والاستفهام للنفي.." (١)

"فسبح باسم ربك العظيم :أي نزه وقدس اسم ربك العظيم.معنى الآيات:بعد تقرير النبوة المحمدية وأن القرآن كلام الله وتنزيله عاد السياق الكريم إلى تقرير البعث والجزاء فقال تعالى ١ ﴿فلولا إذا بلغت﴾ أي الروح٢ ﴿الحلقوم﴾ وهو مجرى الطعام ﴿وأنتم﴾ في٣ ذلك الوقت ﴿تنظرون﴾ مريضكم وهو يعاني من سكرات الموت، ونحن أقرب إليه منكم أي رسلنا أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون إذ لا قدرة لكم على رؤية الملائكة ما لم يتشكلوا في صورة إنسان. وقوله ﴿فلولا إن كنتم غير مدينين﴾ أي محاسبين بعد الموت ومجزيين بأعمالكم ترجعونها الروح بعد ما بلغت الحلقوم إن كنتم صادقين في أنكم غير مدينين لله بأعمالكم، أي فلا يحاسبكم عليها ولا يجزيكم بها.وقوله تعالى ﴿فأما إن٤ كان﴾ أي المحتضر من المقربين وهم السابقون ﴿فروح وريحان﴾٥ أي فإن له الاستراحة التامة من عناء تعب الدنيا وتكاليفها وريحان وهو الرزق الحسن وجنة نعيم. وأما إن كان من أصحاب اليمين الذين يؤخذ بهم في عرصات القيامة ذات اليمين فسلام لك يا صاحب اليمين من إخوانك أصحاب اليمين الذين سبقوك إلى دار السلام.وأما إن كان المحتضر من المكذبين لله ورسوله المنكرين للبعث الآخر الضالين عن الهدى ودين الحق ﴿ فنزل من حميم﴾ أي ضيافة على الماء الحار هذه ضيافته وتصلية٦ جحيم أي واحتراق بالجحيم.وقوله تعالى ﴿إن هذا٧ لهو حق اليقين﴾٨ أي هذا الذي حدثناك به عن المحتضرين الثلاثة وما لهم وما نالهم لحق اليقين. وقوله ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ يأمر تعالى رسوله بالتسبيح باسم______________١ لم يجر للروح ذكر إلا أن المقام دال عليها كما قال حاتم.أما وي ما يغني الثراء عن الفتىإذا حشرت يوما وضاق بها الصدر٢(لولا) حرف تحضيض مستعمل هنا في التعجيز، لأن المحضوض إذا لم يفعل ما حض عليه كان عاجزا (وإذا بلغت) ظرف متعلق ب(ترجعونها) مقدم عليه لتهويله والتشويق إلى الفعل المحضوض عليه.٣ (وأنتم) الجملة الحالية وكذا جملة (ونحن أقرب إليه منكم) حالية أيضا.٤ الفاء للتفريع إذ ما بعدها من بيان حال من مات من سعادة أو شقاء متفرع عن الموت وانتهاء الحياة.٥ الروح: الراحة أي: هو في راحة ونعيم، وعلى قراءة روح بضم الراء فالمعنى: أن روح المؤمن معها الريحان وهو الطيب والريحان شجر لورقه وقضبانه رائحة ذكية طيبة.٦ التصلية: مصدر صلاه المشدد: إذا أحرقه وشواه يقال: صلى اللحم تصلية: إذا شواه والجحيم: النار المؤججة، وهو علم على جهنم دار العذاب.٧ هذه الجملة تذييل لجميع ما تقدم في هذه السورة من وعد ووعيد واستدلال على تقرير النبوة والبعث والتوحيد ويدخل فيه دخولا أوليا الأقرب ذكرا وهو ما ذكر في التفسير.٨ اشتملت

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري، ٢٣٤/٥

جملة: (إن هذا لهو حق اليقين) على أربع مؤكدات وهي: إن، ولام الابتداء، وضمير الفصل، وإضافة شبه المترادفين وهما: الحق واليقين، وخامس وهو الجملة الاسمية لإفادتها الدوام والثبوت.." (١)

"لا يجدها نسخ تعالى ذلك ولم تدم مدة الوجوب أكثر من ليالي ونسخها الله تعالى بقوله الآتي أأشفقتم. الآية.وقوله تعالى ﴿ذلك خير لكم وأطهر﴾١ أي تقديم الصدقة بين يدي المناجاة خير لكم حيث تعود الصدقة على الفقراء إخوانكم وأطهر أي لنفوسكم لأن النفس تطهر بالعمل الصالح وقوله تعالى ﴿فإن لم تجدوا﴾ أي ما تقدمونه صدقة قبل المناجاة فناجوه صلى الله عليه وسلم ولا حرج عليكم لعدم وجدكم فإن الله غفور لكم رحيم بكم. وقوله تعالى ﴿أأشفقتم٢﴾ أي أخفتم الفاقة والفقر إن أنتم ألزمتم بالصدقة بين يدي كل مناجاة وعليه فإن لم تفعلوا وتاب الله عليكم برفع هذا الواجب ونسخه فرجع بكم إلى عهد ما قبل وجوب الصدقة فأقيموا الصلاة بأدائها في أوقاتها في جماعة المؤمنين مراعين شرائطها وأركانها وسننها وآدابها وآتوا الزكاة الواجبة في أموالكم. وأطيعوا الله ورسوله في أمرها ونهيهما يكفكم ذلك عوضا عن الصدقة التي نسخت تخفيا عليكم ورحمة بكم.وقوله ﴿والله بما تعملون خبير٣﴾ أي فراقبوه في طاعته وطاعة رسوله تفلحوا فتنجوا من النار وتدخلوا الجنة دار الأبرار.هداية الآيات:من هداية الآيات:١- الندب إلى فضيلة التوسع في مجالس العلم والتذكير.٢- الندب والترغيب في القيام بالمعروف وأداء الواجبات إذا دعى المؤمن إلى ذلك.٣- فضيلة الإيمان وفضل العلم والعمل به.٤- مشروعية النسخ في الشريعة قبل العمل بالمنسوخ وبعده إذ هذه الصدقة نسخت قبل أن يعمل بها اللهم إلا ما كان من علي٤ رضي الله عنه فإنه أخبر أنه تصدق بدينار وناجى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نسخت هذه الصدقة فكان يقول في القرآن آية لم يعمل بها أحد غيري وهي فضيلة له رضي الله عنه.________١ قال ابن العربي: في الآية دليل على أن الأحكام لا تترب بحسب المصالح فإن الله تعالى قال ﴿ذلك خير لكم وأطهر﴾ ثم نسخ ذلك مع كونه خيرا وأطهر. ولكن قد يقال إن ما قد نسخ من أجله قد يكون أكثر منفعة للمسلمين في دينهم ودنياهم. وإن كان خافيا عن المسلمين لا يعلمونه.٢ الاستفهام المراد به لوم الأصحاب على تأخرهم عن المناجاة لما فرضت عليها الصدقة. قيل كان ما بين الآيتين الناسخة والمنسوخة عشرة أيام.٣ الجملة تذييل لجملة: (فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) وهي كناية عن التحذير من التفريط في طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.٤ روي عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: لقد كانت لعلي رضي الله عنه ثلاث لو كانت لي واحدة منهن كانت أحب إلي من حمر النعم: تزويجه فاطمة وإعطاؤه الراية يوم خيبر وآية النجوى.." (٢)

"معنى الآيات:قوله تعالى ﴿كمثل الذين من قبلهم﴾١ هذه الآية (١٥) واللتان بعدها (١٦)و (١٧) في بقية الحديث عن بني النضير إذ قال تعالى مثل بنو النضير في هزيمتهم بعد نقضهم العهد كمثل الذين من قبلهم في الزمان والمكان وهم بنو قينقاع إذ نقضوا عهدهم فأخرجهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وذاقوا وبال أمرهم أي عاقبة نقضهم وكفرهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب أليم أي موجع شديد وقوله تعالى ﴿كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر٢﴾ بوسائله الخاصة

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري، ٥/٢٥٦

(٢) أيسر التفاسير للجزائري، ٥/٢٩٤

فلما كفر الإنسان تبرأ منه الشيطان وقال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين كذلك حال بني النضير مع المنافقين حيث حرضوهم على الحرب والقتال وواعدوهم أن يكونوا معهم ثم خذلوهم وتركوهم حدهم.وقوله تعالى: ﴿فكان عاقبتهما﴾ أي عاقبة أمرهما أنهما أي الإنسان والشيطان أنهما في النار خالدين فيها، وذلك أي خلودهما في النار جزاء الظالمين أي المشركين والفاسقين عن طاعة الله عز وجل.وبعد نهاية قصة بني النضير نادى تعالى المؤمنين ليوجههم وينصح لهم فقال ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ أي صدقوا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا اتقوا الله بفعل أوامره، واجتناب نواهيه، ولتنظر نفس ما قدمت٣ لغد أي ولينظر أحدكم في خاصة نفسه ماذا قدم لغد أي يوم القيامة. واتقوا الله، أعاد الأمر بالتقوى لأن التقوى هي ملاك الأمر ومفتاح دار السلام والسعادة، وقوله تعالى: ﴿إن الله خبير بما تعملون﴾ يشجعهم على مراقبة الله تعالى والصبر عليها. وقوله تعالى: ﴿ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم﴾ أي لا تكونوا كأناس تركوا العمل بطاعة الله وطاعة رسوله فعاقبهم ربهم بأن أنساهم أنفسهم فلم يعملوا لها خيرا وأصبحوا بذلك فاسقين عن أمر الله تعالى خارجين عن طاعته. وقوله تعالى ﴿لا ٤ يستوي أصحاب النار______________١ هذا ضرب مثل للمنافقين واليهود في تخاذلهم وعدم الوفاء في نصرتهم، وحذف العطف لأن الكلام معطوف على سابقه وهو (كمثل الذين من قبلهم) الخلن حذف حرف العطف شائع تقول: أنت عاقل أنت كريم أنت كذا بلا حرف عطف.٢ هنا روى غير واحد من السلف حديثا يتضمن قصة تشرح هذه الآية الكريمة كمثل الشيطان إذ قال للإنسان ..الخ وهي أن راهبا تركت عنده امرأة أصابها لمم ليدعوا لها فزين له الشيطان فوطئها فحملت ثم قتلها خوفا أن يفتضح فدل الشيطان قومها على موضعها فجاءوا فاستنزلوا الراهب ليقتلوه فجاءه الشيطان فوعده أنه إن سجد له أنجاه منهم فسجد له فتبرأ منه فأسلمه لقاتله وتركه، واسم هذا الراهب، برصيصا.٣ أطلق لفظ الغد وأريد به يوم القيامة جريا على عادة العرب فإنهم يطلقون لفظ الغد كناية عن المستقبل، وقيل إطلاق لفظ الغد هنا إشارة إلى قرب الساعة كما قال الشاعر:فإن يك صدر هذا اليوم ولىفإن غدا لناظره قريب٤ هذه الجملة: (لا يستوي...)الخ **تذييل** لما سبقها وهي كالفذلكة لما تقدم من الأمر بتقوى الله عز وجل وبيان حال المتقين الذاكرين والناسين الفاسقين.." (١)

"شرح الكلمات:لو أنزلنا هذا القرآن على جبل :أي وجعلنا فيه تميزا وعقلا وإدراكا.لرأيته خاشعا متصدعا :أي لرأيت ذلك الجبل متشققا متطامنا ذليلا.من خشية الله: أي من خوف الله خشية أن يكون ما أدى حقه من التعظيم.وتلك الأمثال نضربها للناس١ : أي مثل هذا المثل نضرب الأمثال للناس.لعلهم يتفكرون :أي يتذكرون فيؤمنون ويوحدون ويطيعون.هو الله الذي لا إله إلا هو :أي الله المعبود بحق الذي لا معبود بحق إلا هو عز وجل.عالم الغيب والشهادة :أي عالم السر والعلانية.هو الرحمن الرحيم :أي رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما.هو الله الذي لا إله إلا هو :أي لا معبود بحق إلا هو لأنه الخالق الرازق المدبر وليس لغيره ذلك.ا لملك القدوس :أي الذي يملك كل شيء ويحكم كل شيء القدوس الطاهر المنزه عما لا يليق به.السلام المؤمن المهيمن :أي ذو السلامة من كل نقص الذي لا يطرأ عليه النقص المصدق رسله بالمعجزات. المهيمن : الرقيب الشهيد على عباده بأعمالهم.العزيز الجبار المتكبر :العزيز في انتقامه الجبار لغيره على مراده،

(١) أيسر التفاسير للجزائري، ٣١٥/٥

المتكبر على خلقه.سبحان الله عما يشركون :أي تنزيها لله تعالى عما يشركون من الآلهة الباطلة.هو الله الخالق البارئ :أي هو الإله الحق لا غيره الخالق لكل المخلوقات المنشئ لها من العدم.المصور : أي مصور المخلوقات ومركبها على هيئات مختلفة.له الأسماء الحسنى :أي تسعة وتسعون اسما كلها حسنى في غاية الحسن.يسبح له ما في السموات والأرض :أي ينزهه ويسبحه بلسان القال والحال جميع ما في السموات والأرض.وهو العزيز الحكيم :أي العزيز الغالب على أمره الحكيم في جميع تدبيره.______________١ هذه الجملة في الآيات **تذييل** لأن ما قبلها سيق مساق المثل فذيل بأن الأمثال التي يضربها الله تعالى في كلامه المراد منها أن يتفكر فيها الناس ليهتدوا إلى ما ينجيهم ويسعدهم.." (١)

"ولحقت بدار الكفر فإن العصمة قد انقطعت، ولا يحل الإمساك بها وفائدة ذلك لو كان تحت الرجل نسوة له أن يزيد رابعة لأن التي ارتدت أو التي كانت مشركة وأسلم وهي في عصمته لا تمنعه من أن يتزوج رابعة لأن الإسلام قطع العصمة لقوله تعالى ولا تمسكوا بعصم الكوافر والعصم جمع عصمة.وقوله تعالى: ﴿واسألوا ما أنفقتم﴾ اطلبوا من المرتدة ما أنفقتم عليها من مهر يؤدى لكم وليسألوا هم ما أنفقوا وأعطوهم أيضا مهور نسائهن اللائي أسلمن وهاجرن إليكم وقوله تعالى: ﴿ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم﴾ بخلقه وحاجاتهم ﴿حكيم﴾ في قضائه وتدبيره فليسلم له الحكم وليرض به فإنه قائم على أساس المصلحة للجميع.وقوله تعالى ﴿وإن فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار فعاقبتم فآتوا١ الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا﴾ أي وإن ذهب بعض نسائكم إلى الكفار مرتدات، وطالبتم بالمهور فلم يعطوكم، ثم غزوتم وغنمتم فأعطوا من الغنيمة قبل قسمتها الذي ذهبت زوجته إلى دار الكفر ولم يحصل على تعويض أعطوه مثل ما أنفق.وقوله: ﴿واتقوا٢ الله الذي أنتم به مؤمنون﴾ أي خافوا عقابه فأطيعوه في أمره ونهيه ولا تعصوه.هداية الآيتين:من هداية الآيتين:١- وجوب امتحان المهاجرة فإن علم إسلامها لا يحل إرجاعها إلى زوجها الكافر لأنها لا تحل له، وإعطاؤه ما أنفق عليها من مهر. ويجوز بعد ذلك نكاحها بمهر وولي وشاهدين إن كانت مدخولا بها فبعد انقضاء عدتها وإلا فلا حرج في الزواج بها فورا.٢- حرمة نكاح المشركة.٣- لا يجوز الإبقاء على عصمة الزوجة٣ المشركة، وللزوج المسلم الذي بقيت زوجته على الكفر، أو ارتدت بعد إسلامها أن يطالب بما أنفق عليها من مهر وللزوج الكافر الذي أسلمت زوجته وهاجرت أن يسأل كذلك ما أنفق عليها.٤- ومن ذهبت زوجته ولم يرد عليه شيء مما أنفق عليها، ثم غزا المسلمون تلك البلاد وغنموا______________١ (عاقبتم) أي: غزوتم فغنمتم فأعطوا الذين ذهبت أزواجهم من المسلمين. حكى الثعلبي: عن ابن عباس أن ستا من النسوة رجعن عن الإسلام ولحقن بالمشركين وسماهن واحدة واحدة وأكرمهن: أم الحكم بنت أبي سفيان وفي هذه نزلت الآية.٢ الجملة **تذييلية** المراد منها تحريض المؤمنين على الوفاء بما أمروا به ونهوا عنه واتبع اسم الجلالة بجملة (الذي أنتم به مؤمنون) إشارة إلى أن الإيمان يبعث على التقوى التي هي: امتثال واجتناب.٣ اختلف في الرجل يسلم وتحته كافرة أو كافرة تسلم وهي تحت زوج كافر. والذي عليه الشافعي وأحمد أن العصمة تبقى مدة العدة فإذا انقضت العدة ولم يسلم الكافر منهما يفرق بينهما ولا يحلان لبعضهما، وقال مالك: يفرق بينهما من يوم إسلام أحدهما.." (٢)

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري، ٣١٧/٥

(٢) أيسر التفاسير للجزائري، ٣٣١/٥

"بها كما يستتر المحارب بجنته فوق رأسه، فهم بأيمانهم الكاذبة أنهم مؤمنون وقوا بها أنفسهم وأزواجهم وذرياتهم من القتل والسبي، وبذلك صدوا عن١ سبيل الله أنفسهم وصدوا غيرهم ممن يقتدون بهم وصدوا المؤمنين عن جهادهم بما أظهروه من إيمان صورى كاذب. قال تعالى: ﴿إنهم٢ ساء ما كانوا يعملون﴾ يذم تعالى حالهم ويقبح سلوكهم ذلك وهو اتخاذ أيمانهم جنة وصدهم عن سبيل الله وقوله تعالى الآية رقم ٣ ﴿ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع٣ على قلوبهم﴾ أي سوء عملهم وقبح سلوكهم ناتج عن كونهم أمنوا ثم شكوا أو ارتابوا فنافقوا وترتب على ذلك أيضا الطبع على قلوبهم فهم لذلك لا يفقهون معنى الإيمان ولا صحته من بطلانه وهذا شأن من توغل في الكفر أن يختم على قلبه فلا يجد الإيمان طريقا إلى قلب قد أقفل عليه بطابع الكفر وخاتم النفاق والشك والشرك.وقوله تعالى في الآية (٤) ﴿وإذا رأيتهم٤ تعجبك أجسامهم﴾ أي وإذا رأيت يا رسولنا هؤلاء المنافقين ونظرت إليهم تعجبك أجسامهم لجمالها إذ كان ابن أبي جسيما صبيحا وإن يقولوا تسمع لقولهم وذلك لفصاحتهم وذلاقة ألسنتهم. وقوله تعالى: ﴿كأنهم خشب مسندة﴾ وهو تشبيه رائع: إنهم لطول أجسامهم وجمالها وعدم فهمهم وقلة الخير فيهم كأنهم خشب مسندة على جدار لا تشفع ولا تنفع كما يقال.وقوله تعالى: ﴿يحسبون كل صيحة عليهم﴾ وذلك لخوفهم والرعب المتمكن من نفوسهم نتيجة ما يضمرون من كفر وعداء وبغض للإسلام وأهله فهم إذا سمعوا صيحة في معسكر أو صوت منشد ضاله يتوقعون أنهم معنيون بذلك شأن الخائن وأكثر ما يخافون أن ينزل القرآن بفضيحتهم وهتك أستارهم. قال تعالى هم٥ العدو فاحذرهم يا رسولنا إن قلوبهم مع أعدائك فهم يتربصون بك الدوائر.قال تعالى: ﴿قاتلهم الله أنى يؤفكون﴾ فسجل عليهم لعنة لا تفارقهم إلى يوم القيامة كيف يصرفون عن الحق وأنواره تغمرهم القرآن ينزل والرسول يعلم ويزكى وآثار ذلك في المؤمنين______________١ الفاء للتفريع فجملة (فصدوا عن سبيل الله) متفرعة عن جملة (اتخذوا أيمانهم جنة).٢ الجملة **تذييلية** من أجل تفظيع حالهم، والتنديد بسوء سلوكهم.٣ الإشارة إلى قوله: (إنهم ساء ما كانوا يعملون).٤ هذه الجملة معطوفة على سابقتها وهي (فهم لا يفقهون) وهي واقعة موقع الاحتراس والتتميم لدفع إيهام من يغره ظاهر صورهم وأشكالهم كما في قول حسان رضي الله عنه.:لا بأس بالقوم من طول ومن غلظجسم البغال وأحلام العصافير٥ الجملة مستأنفة استئنافا بيانيا إذ قوله تعالى: (يحسبون كل صيحة عليهم) يثير تساؤلات فأجيب السائل المتطلع بقوله تعالى: (هم العدو فاحذروهم) ونفسيتهم المريضة هي التي جعلتهم يحسبون كل صيحة عليهم كما قال المتنبي:إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونهوصدق ما يعتاده من توهم." (١)

"والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير (١٠)

شرح الكلمات:

زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا :أي قالوا كاذبين إنهم لن يبعثوا أحياء من قبورهم.

قل بلى وربي لتبعثن: قل لهم يا رسولنا بلى لتبعثن ثم تنبئون بما عملتم.

وذلك على الله يسير :وبعثكم وحسابكم ومجازاتكم بأعمالكم شيء يسير على الله.

والنور الذي أنزلنا :أي وآمنوا بالقرآن الذي أنزلناه.

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري، ٣٥٤/٥

ليوم الجمع :أي يوم القيامة إذ هو يوم الجمع.

ذلك يوم التغابن :أي يغبن المؤمنين الكافرين يأخذ منازل الكفار في الجنة وأخذ الكفار منازل المؤمنين في النار.

ذلك الفوز العظيم :أي تكفيره تعالى عنهم سيئاتهم وإدخالهم جنات تجري من تحتها الأنهار هو الفوز العظيم.

بئس المصير: أي قبح المصير الذي صاروا إليه وهو كونهم أهلا للجحيم.

معنى الآيات:

ما زال السياق الكريم في مطلب هداية قريش إنه بعد أن ذكرهم بمصير الكافرين من قبلهم وفي ذلك دعوة واضحة لهم إلى الإيمان بتوحيد الله وتصديق رسوله. دعاهم هنا إلى الإيمان بأعظم أصل من أصول الهداية البشرية وهو الإيمان بالبعث والجزاء وهم ينكرون ويجاحدون ويعاندون قيه فقال في أسلوب غير المواجهة بالخطاب زعم١ الذين كفروا والزعم ادعاء باطل وقول إلى الكذب أقرب منه إلى الصدق. أن لن يبعثوا أي أنهم إذا ماتوا لن يبعثوا أحياء يوم القيامة.

قل لهم يا رسولنا: ﴿بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم ﴾ ولازم ذلك الجزاء العادل على كل أعمالكم وهي أعمال فاسدة غير صالحة مقتضية للعذاب والخزي في جهنم ﴿وذلك على٢ الله يسير﴾ أي وأعلمهم أن بعثهم وتنبئنهم بأعمالهم وإثابتهم عليها أمر سهل هين لا صعوبة فيه وبعد هذه

---

١ هنا كلام مستأنف استئنافا ابتدائيا المخاطب فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر فيه كفر المشركين بالبعث ويرد عليهم بتقرير ما نفوه وزعموا أنه غير واقع، والزعم: القول الموسوم بمخالفة الواقع، ويطلق على الخبر المشكوك في وقوعه.

٢ (وذلك على الله يسير): **تذييل،** واسم الإشارة عائد إلى البعث المفهوم من قوله: (لتبعثن).." (١)

"وتقدير الآية: وسخرنا (١) الجبال يسبحن مع داود.وقوله تعالى: ﴿والطير﴾ قال أبو إسحاق: نصبه من وجهين: أحدهما: على معنى: وسخرنا الطير، والآخر: على معنى: يسبحن مع الطير (٢).وقوله تعالى: ﴿وكنا فاعلين﴾ قال ابن عباس: يريد ما فعل بهم (٣).يعني: من التفهيم، وإيتائنا الحكم، والتسخير.______________=الأول: دلالة قوله تعالى في سورة أخرى (يا جبال أوبي معه والطير) والتأويب: الترجيع.الثاني: القرينة التي في الآية وهي (مع) حيث قال (وسخرنا مع ولو كن كما قال الواحدي لكان: وسخرنا لداود الجبال، مثل ما قال في حق سليمان بعد ذلك (ولسليمان الريح). وانظر ما قاله ابن عاشور ١٧/ ١٢٠.(١) في (أ): (وسخرت).(٢) "معاني القرآن" للزجاج ٣/ ٤٠٠. ويكون نصبه على الوجه الأول على أنه معطوف على (الجبال) ونصبه على الوجه الآخر على أنه مفعول معه. انظر: "إعراب القرآن" للأنباري ٢/ ١٦٣، "البحر المحيط" لأبي حيان ٦/ ٣٣١، "الدر المصون" ٨/ ١٨٥.(٣) انظر: "تنوير المقباس" ص ٢٠٣. قال الشنقيطي ٤/ ٦٧٣: والظاهر أن قوله (وكنا فاعلين) مؤكد لقوله (وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير) والموجب لهذا التأكيد أن تسخير الجبال وتسبيحها أمر عجب وخارق للعادة مظنة لأن يكذب به الكفرة الجهلة. وقال الألوسي ١٧/ ٧٦: (وكنا فاعلين) **تذييل** لما قبله، أي: من شأننا أن نفعل أمثاله، فليس ذلك ببدع منا وإن كان ذلك بديعا عندكم.

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري، ٣٦٤/٥

وذهب الزجاج والزمخشري إلى أن (فاعلين) هنا بمعنى قادرين فقال الزجاج ٣/ ٤٠٠ أي: وكنا نقدر على ما نريده. وقال الزمخشري ٢/ ٥٨٠: أي: قادرين على أن نفعل هذا وإن كان عجبا عندكم. وتعقب الشنقيطي ٤/ ٧٦٣ هذا القول، وذكر أنه ظاهر السقوط، وعلل ذلك بقوله: لأن تأويل (وكنا فاعلين) بمعنى كنا قادرين بعيد، ولا دليل عليه.." [1]

"قال عبد الله بن مسلم في هذه الآية: يريد: أنها تجمع وتسير، فهي لكثرتها كأنها ﴿جامدة﴾ واقفة في رأي العين، وهي تسير سير السحاب، وكذلك كل جمع كثير يقصر عنه البصر، كأنه في حسبان الناظر واقف، وهو يسير، وإلى هذا المعنى ذهب الجعدي في وصف جيش فقال:______________= ويقال: إن الله تعالى وصف الجبال بصفات مختلفة ترجع كلها إلى تفريغ الأرض منها، وإبراز ما كانت تواريه.قال الشنقيطي: بعض الناس زعم أن قوله تعالى: ﴿وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب﴾ يدل على أن الجبال الآن في دار الدنيا يحسبها رائيها جامدة: أي: واقفة ساكنة غير متحركة، وهي تمر مر السحاب. ثم نقض هذا القول من وجهين؛ الأول: وجود القرينة الدالة على عدم صحته؛ وهو قوله تعالى: ﴿وترى الجبال﴾ معطوف على قوله تعالى: ﴿ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السماوات ومن في الأرض﴾ الآية، أي: ويوم ينفخ في الصور فيفزع من في السموات، وترى الجبال. فدلت هذه القرينة القرآنية الواضحة على أن مر الجبال مر السحاب كائن يوم ينفخ في الصور لا الآن. الثاني: .. أن جميع الآيات التي فيها حركة الجبال كلها في يوم القيامة "أضواء البيان" ٦/ ٤٤٢.وذكر الألوسي عن بعض علماء الفلك، ولم يسمه أن هذا صفة للجبال في الدنيا، وذكر عدة وجوه يمتنع بها حمل الآية على أن ذلك في يوم القيامة. ثم ذكر كلام المرجاني في مقدمه كتابه: (وفية الأسلاف، وتحية الأخلاف) ذكر أن هذه الآية صريحة في دلالتها على حركة الأرض ومرور الجبال معها، وأنه لا يمكن حمل الآية على أن ذلك يقع في النشأة الآخرة، وذكر أدلة لفظية وسياقية في الآية تدل على ذلك، ولم يعترض عليه الألوسي. روح المعاني ١٣/ ٨٩ - ٩٢. وممن ذهب إلى هذا القول واختاره ابن عاشور ٢٠/ ٤٨؛ حيث قال: وليس في كلام المفسرين شفاء لبيان اختصاص هذه الآية بأن الرائي يحسب الجبال جامدة، ولا بيان وجه تشبيه سيرها بسير السحاب، ولا توجيه **التذييل** بقوله تعالى: ﴿صنع الله الذي أتقن كل شيء﴾ فلذلك كان لهذه الآية وضع دقيق، ومعنى بالتأمل خليق .. ثم ذكر معنى الآية على هذا القول وفصله تفصيلا حسنا. ولا مانع من حمل الآية على المعنيين، إذ لا تعارض بينهما. والله أعلم.." [2]

"ثم قال: وأما كون السموات هي السيارات السبع بدون توابعها، فلا يفهم من الآية، لأن الأقمار التي نثبتها، والنجوم الصغيرة التي مع المريخ، يلزم أن تكون تابعة للسموات السبع- لأنها تعلونا- وهي في العالم الشمسي. وحينئذ، فالسماوات السبع هي مجاميع السيارات السبع. بمعنى: أن مجموعة زحل- بما فيها هو نفسه أي مع أقماره الثمانية- تعد سماء، لأن فلكها طبقة فوق طبقة فلك مجموعة المشتري. ويدل على هذا التطبيق قوله تعالى: ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين، وأعتدنا لهم عذاب السعير [الملك: ٥] يشير إلى أن السماء الدنيا- أي السماء التي تلي الأرض- فلك المريخ. فهو وما حوله من النجوم العديدة التي تسمى مصابيح، وتعتبر كلها سماء وليس السيار نفسه

---

(١) التفسير البسيطالواحدي ١٤١/١٥

(٢) التفسير البسيطالواحدي ٣١٤/١٧

... !انتهى.وقوله تعالى: وهو بكل شيء عليم اعتراض **تذييلي** مقرر لما قبله، من خلق السموات والأرض وما فيها- على هذا النمط البديع المنطوي على الحكم الفائقة، والمصالح اللائقة. فإن علمه عز وجل بجميع الأشياء يستدعي أن يخلق كل ما يخلقه على الوجه الرائق.ولما ذكر تعالى الحياة والموت- المشاهدين- تنبيها على القدرة على ما اتبعهما به من البعث، ثم دل على ذلك أيضا بخلق هذا الكون كله على هذا النظام البديع، وختم ذلك بصفة العلم- ذكر ابتداء خلق هذا النوع البشري- المودع من صفة العلم- ما ظهر به فضله بقوله:القول في تأويل قوله تعالى: [سورة البقرة (٢) : آية ٣٠]وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون (٣٠)وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة أي قوما يخلف بعضهم بعضا، قرنا بعد قرن. كما قال تعالى: وهو الذي جعلكم خلائف الأرض [الأنعام: ١٦٥] وقال ويجعلكم خلفاء الأرض [النمل: ٦٢] وقال: ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون [الزخرف: ٦٠] وقال فخلف من بعدهم خلف [مريم: ٥٩] . ويجوز أن يراد: خليفة منكم، لأنهم كانوا سكان." (١)

"قومه معه وسعى وراءهم وأدركهم وهم نازلون عند بحر القلزم. وهو المشهور ببحر السويس. فلما رأت بنو إسرائيل عسكر فرعون وراءهم قالوا: يا موسى أين ما وعدتنا من النصر والظفر؟ فلو بقينا على خدمة المصريين لكان خيرا لنا من أن نهلك في هذه البرية قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا، إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين [الأعراف: ١٢٨] وقال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون [الأعراف: ١٢٩] . وأوحى الله إلى موسى عليه السلام أن اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق وأيبس قعره. فدخل بنو إسرائيل فيه. فتبعهم فرعون وجنوده. فخرج موسى وقومه من الجهة الثانية.وانطبق البحر على فرعون ومن معه فغرقوا كلهم. وسيأتي الإشارة إلى هذه القصة في مواضع من التنزيل. ومن أبسطها فيه سورة الشعراء.القول في تأويل قوله تعالى: [سورة البقرة (٢) : آية ٥١]وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون (٥١)وإذ واعدنا موسى أي بعد فراغه من مقاومة آل فرعون وإهلاكهم أربعين ليلة أي لنعطيه عند انقضائها التوراة لتعملوا بها. وقد روي في ترجمة التوراة أنه تعالى قال لموسى: اصعد إلى الجبل وكن هناك فأعطيك ألواحا من حجارة والشريعة والوصية التي كتبتها لتعلمهم. فصعد موسى إلى الجبل وبقي هناك أربعين يوما وأربعين ليلة. وموسى كلمة عبرانية معناها منشول من الماء ثم اتخذتم العجل أي إلها ومعبودا من بعده أي من بعد مضيه للميقات وأنتم ظالمون أي بوضع العبادة في غير موضعها. وهو حال من ضمير اتخذتم. أو اعتراض **تذييلي**. أي وأنتم قوم عادتكم الظلم.القول في تأويل قوله تعالى: [سورة البقرة (٢) : آية ٥٢]ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون (٥٢)ثم عفونا عنكم أي محونا ذنوبكم من بعد ذلك أي الاتخاذ والظلم القبيح لعلكم تشكرون لكي تشكروا نعمة العفو وتستمروا بعد ذلك على الطاعة.القول في تأويل قوله تعالى: [سورة البقرة (٢) : آية ٥٣]وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون (٥٣)." (٢)

---

(١) تفسير القاسمي = محاسن التأويلالقاسمي ٢٨٤/١

(٢) تفسير القاسمي = محاسن التأويلالقاسمي ٣٠٥/١

"الأولى للنفي، والثانية مزيدة لتوكيد الأولى. لأن المعنى: لا ذلول تثير وتسقي، على أن الفعلين صفتان لذلول، كأنه قيل: لا ذلول مثيرة وساقية، والمقصود: إنها مكرمة ليست مذللة بالحراثة، ولا معدة للسقي في السانية. مسلمة، سلمها الله من العيوب، أو معفاة من العلم، سلمها أهلها منه، أو مخلصة اللون لم يشب صفرتها شيء من الألوان. من: سلم له كذا، إذا خلص له لا شية فيها، أي لا لون فيها يخالف لون جلدها من بياض وسواد وحمرة، فهي صفراء كلها، وهي في الأصل مصدر: وشاه وشيا وشية، إذا خلط بلونه لونا آخر. في الصحاح: الشية: كل لون يخالف معظم لون الفرس وغيره. والهاء عوض من الواو الذاهبة من أوله. والجمع:شيات. يقال: ثور أشيه، كما يقال: فرس أبلق. قالوا الآن جئت بالحق أي بحقيقة وصف البقرة بحيث ميزتها عن جميع ما عداها، ولم يبق لنا في شأنها اشتباه أصلا.بخلاف المرتين الأوليين، فإن ما جئت به فيهما لم يكن في التعيين بهذه المرتبة فذبحوها، الفاء فصيحة، كما في فانفجرت، أي فحصلوا البقرة فذبحوها وما كادوا يفعلون كاد من أفعال المقاربة، وضع لدنو الخبر من الحصول، والجملة حال من ضمير ذبحوا، أي فذبحوها والحال أنهم كانوا قبل ذلك بمعزل منه. اعتراض **تذييلي**. ومآله استثقال استقصائهم واستبطاء لهم، وأنهم لفرط تطويلهم وكثرة مراجعاتهم ما كاد ينتهي خيط إسهابهم فيها.(تنبيه) قال الراغب: قال بعض الناس: في هذه الآية دلالة على نسخ الشيء قبل فعله. فإن في الأول أمروا بذبح بقرة غير معينة، وكان لهم أن يذبحوا أي بقرة شاؤوا. وفي الثاني والثالث أمروا بذبح بقرة مخصوصة. فكأنهم نهوا عما كانوا أمروا به من قبل. وليس كذلك، فإن الأول أمر مطلق، والثاني والثالث كالبيان له، لما راجعوا، ولم يسقط عنهم ذبح البقرة. بل زيد في أوصافها وكشف عن المراد بالأمر الأول.وفي الآية دلالة على جواز تأخير البيان إلى وقت الحاجة.القول في تأويل قوله تعالى: [سورة البقرة (٢) : آية ٧٢]وإذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون (٧٢)وإذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها أي اختلفتم واختصمتم في شأنها، إذ كل واحد من الخصماء يدافع الآخر والله مخرج ما كنتم تكتمون مظهر، لا محالة، ما كتمتم من أمر القتيل، لا يتركه مكتوما.." (١)

"[البقرة: ١١١] . من دون الناس اللام للجنس أو للعهد وهم المسلمون فتمنوا الموت فسلوا الموت إن كنتم صادقين لأن من أيقن أنه من أهل الجنة اشتاق إليها وتمنى سرعة الوصول إلى النعيم والتخلص من الدار ذات الأكدار، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالموت. والذي يتوقف عليه المطلوب لا بد وأن يكون مطلوبا، نظرا إلى كونه وسيلة إلى ذلك المطلوب. والمراد بالتمني هنا هو التلفظ بما يدل عليه كما أشرنا إليه، لا مجرد خطوره بالقلب وميل النفس إليه، فإن ذلك لا يراد في مقام المحاجة ومواطن الخصومة ومواقف التحدي لأنه من ضمائر القلوب. وثم تفسير آخر للتمني بأن يدعوا إلى المباهلة والدعاء بالموت. وإليه ذهب ابن جرير. والأول أقرب إلى موافقة اللفظ. وقوله:القول في تأويل قوله تعالى: [سورة البقرة (٢) : آية ٩٥]ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين (٩٥)ولن يتمنوه أبدا من المعجزات لأنه إخبار بالغيب. وكان كما أخبر به.كقوله ولن تفعلوا [البقرة: ٢٤] . بما قدمت أيديهم بما أسلفوا من أنواع العصيان. واليد مجاز عن النفس. عبر بها عنها، لأنها من بين جوارح الإنسان، مناط عامة صنائعه. ولذا كانت الجنايات بها أكثر من غيرها. ولم يجعل المجاز في الإسناد، فيكون المعنى بما قدموا بأيديهم، ليشمل ما قدموا بسائر الأعضاء والله عليم بالظالمين أي بهم. **تذييل** للتهديد.

---

(١) تفسير القاسمي = محاسن التأويلالقاسمي ٣٢٧/١

والتنبيه على أنهم ظالمون في دعوى ما ليس لهم، ونفيه عمن سواهم. ونظير هذه الآية في سورة الجمعة قوله تعالى: قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين [الجمعة: ٦- ٧] .وقد تلطف الغزالي في توجيه الإتيان ب «لن» هنا و «لا» في سورة الجمعة بأن الدعوى هنا أعظم من الثانية، إذ السعادة القصوى هي الحصول في دار الثواب، وأما مرتبة الولاية فهي، وإن كانت شريفة إلا أنها إنما تراد ليتوسل بها إلى الجنة. فلما كانت الدعوى الأولى أعظم، لا جرم بين تعالى فساد قولهم بلفظ «لن» لأنها أقوى الألفاظ النافية. ولما كانت الدعوى الثانية ليست في غاية العظمة اكتفى في إبطالها بلفظ «لا» لأنه ليس في نهاية القوة، في إفادة معنى النفي. والله أعلم.ولما أخبر تعالى عنهم أنهم لا يتمنون الموت، أتبعه بأنهم في غاية الحرص على الحياة بقوله:." (١)

"أتبعه ما في الإعراض عنه من المنافع فقال:القول في تأويل قوله تعالى: [سورة البقرة (٢) : آية ١٠٣]ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون (١٠٣)ولو أنهم آمنوا أي بما دعوا إليه من القرآن الحكيم واتقوا أي ما يؤثمهم، ومنه السحر والتمويه وقوله لمثوبة من عند الله خير جواب «لو» وأصله:لأثيبوا مثوبة من عند الله خيرا مما شروا به أنفسهم. فحذف الفعل وغير السبك إلى ما عليه النظم الكريم، دلالة على ثبات المثوبة لهم والجزم بخيريتها، وحذف المفضل عليه إجلالا للمفضل من أن ينسب إليه، وقوله تعالى: لو كانوا يعلمون أي أن ثواب الله خير. وإنما نسبوا إلى الجهل لعدم العمل بموجب العلم.القول في تأويل قوله تعالى: [سورة البقرة (٢) : آية ١٠٤]يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم (١٠٤)يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا للنبي صلى الله عليه وسلم راعنا التي تقصدون بها الرعاية والمراقبة لمقصد الخير وحفظ الجانب، فاغتنمها اليهود لموافقة كلمة سيئة عندهم فصاروا يلوون بها ألسنتهم، ويقصدون بها الرعونة، وهي إفراط الجهالة، فنهاهم عن موافقتهم في القول، منعا للصحيح الموافق في الصورة لشبهه من القبيح، وعوضهم منها ما لا يتطرق إليه فساد فقال وقولوا انظرنا فأبقى المعنى وصرف اللفظ. أي أنظر إلينا. بالحذف والإيصال. أو انتظرنا. على أنه من نظره إذا انتظره، وقرئ انظرنا من النظرة أي أمهلنا حتى نحفظ. وقرئ راعونا على صيغة الجمع للتوقير. وراعنا على صيغة الفاعل أي قولا ذا رعن، كدارع ولابن، لأنه لما أشبه قولهم راعينا وكان سببا للسب بالرعن اتصف به واسمعوا أي قولوا ما أمرتكم به، وامتثلوا جميع أوامري، ولا تكونوا كاليهود، حيث قالوا سمعنا وعصينا وللكافرين أي اليهود الذي توسلوا بقولكم المذكور إلى التهاون بمقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عذاب أليم لما اجترءوا عليه من العظيمة، وهو **تذييل** لما سبق، فيه وعيد شديد لهم، ونوع تحذير للمخاطبين عما نهوا عنه. وهذه الآية نظير قوله تعالى في سورة النساء من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا في الدين، ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا." (٢)

---

(١) تفسير القاسمي = محاسن التأويلالقاسمي ٣٥٤/١

(٢) تفسير القاسمي = محاسن التأويلالقاسمي ٣٦٩/١

"وروى الإمام الشافعي عن عبد الله بن السائب: أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول فيما بين ركن بني جمح والركن الأسود: ربنا آتنا في الدنيا حسنة ... الآية.القول في تأويل قوله تعالى: [سورة البقرة (٢) : آية ٢٠٢]أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب (٢٠٢)أولئك إشارة إلى الفريق الثاني باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت الجميلة، وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا من الإشارة إلى علو درجتهم، وبعد منزلتهم في الفضل لهم نصيب مما كسبوا أي: من جنس ما كسبوا من الأعمال الحسنة وهو الثواب الذي هو المنافع الحسنة. أو من أجل ما كسبوا، كقوله: مما خطيئاتهم أغرقوا [نوح: ٢٥] . أو لهم نصيب مما دعوا به نعطيهم منه في الدنيا والآخرة. وسمي الدعاء كسبا لأنه من الأعمال وهي موصوفة بالكسب والله سريع الحساب إما بمعنى سريع في الحساب كسريع في السير، فالجملة **تذييل** لقوله أولئك ... إلخ يعني: أنه يجازيهم على قدر أعمالهم وكسبهم ولا يشغله شأن عن شأن لأنه سريع في المحاسبة أو بمعنى: سريع حسابه كحسن الوجه. فالجملة **تذييل** لقوله: فاذكروا الله كذكركم آباءكم ... إلخ يعني: يوشك أن يقيم القيامة ويحاسب العباد. فبادروا إكثار الذكر وطلب الآخرة باكتساب الطاعات والحسنات.وقال الراغب: لما كان الحساب يكشف عن جمل الشيء وتفصيله، نبه بذلك على إحاطته بأفعال عباده ووقوفه على حقائقها. وذكر السريع تنبيها أن ذلك منه لا في زمان ولا بفكرة، وذلك أبلغ ما يمكن أن يتصور به الكافة سرعة فعل الله.تنبيه:قال الرازي: اعلم أن الله تعالى بين أولا تفصيل مناسك الحج، ثم أمر بعدها بالذكر فقال: فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام ... إلخ، ثم بين أن الأولى أن يترك ذكر غيره وأن يقتصر على ذكره فقال: فاذكروا الله كذكركم آباءكم ... إلخ، ثم بين بعد ذلك الذكر كيفية الدعاء فقال: فمن الناس من يقول ... إلخ، وما أحسن هذا الترتيب! فإنه لا بد من تقديم العبادة لكسر النفس وإزالة ظلماتها، ثم بعد العبادة لا بد من الاشتغال بذكر الله تعالى لتنوير القلب وتجلي نور جلاله، ثم بعد ذلك الذكر، يشتغل الرجل بالدعاء إنما يكمل إذا كان مسبوقا بالذكر ... !.." (١)

"خلافه. ويروى: أن يحلف وهو غضبان: ويروى غير ذلك، كما ساقها ابن كثير، مسندة.وقد ظهر- للفقير- أن لا تنافي بين هذه الروايات. لأن كل ما لا عقد للقلب معه من الأيمان فهو لغو بأي صورة كانت وحالة وقعت. فكل ما روي في تفسير الآية فهو مما يشمله اللغو. والله أعلم.والمراد من المؤاخذة: إيجاب الكفارة. كما بين ذلك في آية المائدة: ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارته. والله غفور، يعني: لعباده فيما لغو من أيمانهم فلم يؤاخذهم به حليم، يعني في ترك معاجلة أهل العصيان بالعقوبة تربصا بالتوبة. والجملة **تذييل** للحكمين السابقين. فائدته الامتنان على المؤمنين، وشمول مغفرته وإحسانه لهم.القول في تأويل قوله تعالى: [سورة البقرة (٢) : الآيات ٢٢٦ الى ٢٢٧]للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر فإن فاؤ فإن الله غفور رحيم (٢٢٦) وإن عزموا الطلاق فإن الله سميع عليم (٢٢٧)للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر فإن فاؤ فإن الله غفور رحيم وإن عزموا الطلاق فإن الله سميع عليم، اشتملت هذه الآية على حكم الإيلاء، وهو لغة، الامتناع باليمين. وخص في عرف الشرع: بالامتناع باليمين من وطء الزوجة. ولهذا عدى فعله بأداة (من) تضمينا له معنى: يمتنعون من نسائهم. وهو أحسن من إقامة (من) مقام (على) . وجعل سبحانه للأزواج مدة

(١) تفسير القاسمي = محاسن التأويلالقاسمي ٢/٧٩

أربعة أشهر يمتنعون فيها من نسائهم بالإيلاء، فإذا مضت فإما أن يفيء وأما أن يطلق.وقد اشتهر عن علي وابن عباس رضي الله عنهم أن الإيلاء إنما يكون في حال الغضب دون الرضا، كما وقع لرسول الله صلى الله عليه وسلم «١» مع نسائه. وظاهر القرآن مع الجمهور. وقد تناظر في هذه المسألة محمد بن سيرين ورجل آخر. فاحتج على محمد بقول علي كرم الله وجهه، فاحتج عليه محمد بالآية فسكت. وقد اتفق الأئمة______________(١)أخرج البخاري في: الصوم، ١١- باب قول النبي صلى الله عليه وسلم «إذا رأيتم الهلال فصوموا» . عن أم سلمة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم آلى من نسائه شهرا. فلما مضى تسعة وعشرون يوما غدا أو راح.فقيل له: إنك حلفت أن لا تدخل شهرا. فقال: «إن الشهر يكون تسعة وعشرين يوما» .." (١)

"الله صلى الله عليه وسلم فقصصتها عليه. فقال: أما الروضة فروضة الإسلام. وأما العمود فعمود الإسلام. وأما العروة فهي العروة الوثقى. أنت على الإسلام حتى تموتوالله سميع عليم اعتراض **تذييلي** حامل على الإيمان، رادع عن الكفر والنفاق، بما فيه من الوعد والوعيد.القول في تأويل قوله تعالى: [سورة البقرة (٢) : آية ٢٥٧]الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون (٢٥٧)الله ولي الذين آمنوا أي حافظهم وناصرهم يخرجهم تفسير للولاية أو خبر ثان من الظلمات أي ظلمات الكفر والمعاصي إلى النور أي نور الإيمان الحق الواضح. وإفراد النور لوحدة الحق. كما أن جمع الظلمات لتعدد فنون الضلال. كما قال تعالى: وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون [الأنعام: ١٥٣] ، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت أي: الشياطين وسائر المضلين عن طريق الحق يخرجونهم بالوساوس وغيرها من طرق الإضلال والإغواء من النور أي الإيمان الفطري الذي جبل عليه الناس كافة. أو من نور البينات التي يشاهدونها من جهة النبي صلى الله عليه وسلم إلى الظلمات أي: ظلمات الكفر والغي أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون.ثم استشهد تعالى على ما ذكره من أن الكفرة أولياؤهم الطاغوت بقوله:القول في تأويل قوله تعالى: [سورة البقرة (٢) : آية ٢٥٨]ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين (٢٥٨)ألم تر إلى الذي حاج أي جادل إبراهيم في ربه أي كيف أخرجه الطاغوت من نور نسبة الإحياء والإماتة إلى ربه، إلى ظلمات نسبتهما إلى نفسه أن." (٢)

"أي اغفر لنا غفرانك. أو نسألك غفرانك ذنوبنا. وتقديم ذكر السمع والطاعة على طلب الغفران لما أن تقديم الوسيلة على المسؤول أدعى إلى الإجابة والقبول وإليك المصير أي الرجوع بالموت والبعث لا إلى غيرك، وهو **تذييل** لما قبله مقرر للحاجة إلى المغفرة. لما أن الرجوع للحساب والجزاء.القول في تأويل قوله تعالى: [سورة البقرة (٢) : آية ٢٨٦]لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا

---

(١) تفسير القاسمي = محاسن التأويلالقاسمي ١٣١/٢

(٢) تفسير القاسمي = محاسن التأويلالقاسمي ١٩٥/٢

كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين (٢٨٦)لا يكلف الله نفسا إلا وسعها أي لا يحملها إلا ما تسعه وتطيقه ولا تعجز عنه.قال الرازي: يحتمل أن يكون هذا ابتداء خبر من الله. ويحتمل أن يكون حكاية عن الرسول والمؤمنين بأنهم قالوا: لا يكلف الله نفسا إلا وسعها. على نسق الكلام في قوله: وقالوا سمعنا وأطعنا. وقالوا: لا يكلف الله نفسا إلا وسعها.ويؤيد ذلك ما أردفه من قوله: ربنا لا تؤاخذنا. فكأنه تعالى حكى عنهم طريقتهم في التمسك بالإيمان والعمل الصالح. وحكى عنهم في جملة ذلك أنهم وصفوا ربهم بأنه لا يكلف نفسا إلا وسعها.ثم قال الرازي: في كيفية النظم: إن قلنا: إن هذا من كلام المؤمنين، فوجه النظم أنهم لما قالوا: سمعنا وأطعنا فكأنهم قالوا: كيف لا نسمع ولا نطيع وأنه تعالى لا يكلفنا إلا ما في وسعنا وطاقتنا. فإذا كان هو تعالى، بحكم الرحمة الإلهية، لا يطالبنا إلا بالشيء السهل الهين، فكذلك نحن بحكم العبودية وجب أن نكون سامعين مطيعين. وإن قلنا: إن هذا من كلام الله تعالى، فوجه النظم أنهم لما قالوا:سمعنا وأطعنا ثم قالوا بعده: غفرانك ربنا، دل ذلك على أن قولهم:غفرانك، طلب للمغفرة فيما يصدر عنهم من وجوه التقصير منهم على سبيل العمد. فلما كان قولهم (غفرانك) طلبا للمغفرة في ذلك التقصير، لا جرم خفف الله تعالى ذلك عنهم. وقال: لا يكلف الله نفسا إلا وسعها. والمعنى: أنكم إذا سمعتم وأطعتم، وما تعمدتم التقصير، فعند ذلك لو وقع منكم نوع تقصير على سبيل السهو والغفلة فلا تكونوا خائفين منه. فإن الله تعالى: لا يكلف الله نفسا إلا." (١)

"القول في تأويل قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣) : آية ٦]هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم (٦)هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء أي يخلقكم في الأرحام كما يشاء من ذكر وأنثى، وحسن وقبيح، وشقي وسعيد لا إله إلا هو العزيز الحكيم.القول في تأويل قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣) : آية ٧]هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب (٧)هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات واضحات الدلالة هن أم الكتاب أي أصله المعتمد عليه في الأحكام وأخر متشابهات وهي ما استأثر الله بعلمها لعدم اتضاح حقيقتها التي أخبر عنها، أو ما احتملت أوجها. وجعله كله محكما في قوله: أحكمت آياته [هود: ١] ، بمعنى أنه ليس فيه عيب، وأنه كلام حق فصيح الألفاظ، صحيح المعاني. ومتشابها في قوله كتابا متشابها [الزمر: ٢٣] ، بمعنى أنه يشبه بعضه بعضا في الحسن، ويصدق بعضه بعضا فأما الذين في قلوبهم زيغ أي ميل عن استقامة إلى كفر وأهواء وابتداع فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة أي طلب الإيقاع في الشبهات واللبس وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله وحده والراسخون في العلم أي الثابتون المتمكنون مبتدأ خبره يقولون آمنا به أي بالمتشابه على ما أراد الله تعالى كل من المحكم والمتشابه من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب أي العقول الخالصة من الركون إلى الأهواء الزائغة. وهو تذييل سيق منه تعالى مدحا للراسخين بجودة الذهن وحسن النظر.تنبيه:للعلماء في المحكم والمتشابه

(١) تفسير القاسمي = محاسن التأويلالقاسمي ٢٤١/٢

أقوال كثيرة، ومباحث واسعة. وأبدع ما رأيته في تحرير هذا المقام مقالة سابغة الذيل لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية عليه الرحمة والرضوان. يقول في خلالها:المحكم في القرآن، تارة يقابل بالمتشابه والجميع من آيات الله، وتارة يقابل." [1]

"نفس العوج. على طريقة المبالغة في مثل رجل صوم، ويكون ذلك أبلغ في ذمهم وتوبيخهم- والله أعلم- وأنتم شهداء بأنها سبيل الله والصد عنها ضلال وإضلال وما الله بغافل عما تعملون تهديد ووعيد.القول في تأويل قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣) : آية ١٠٠]يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين (١٠٠)يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب أي بحسن اعتقادكم فيهم لكونهم أهل الكتاب يردوكم بعد إيمانكم أي بالتوحيد والنبوة كافرين لأنهم يحسدون المؤمنين على ما آتاهم الله من فضله، كما قال تعالى:ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم.. [البقرة: ١٠٩] الآية.القول في تأويل قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣) : آية ١٠١]وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم (١٠١)وكيف تكفرون معنى الاستفهام فيه الإنكار والتعجيب. والمعنى: من أين يتطرق لكم الكفر؟ وأنتم تتلى عليكم آيات الله وهي القرآن المعجز الذي هو أجل من الآيات المتلوة عليهم وفيكم رسوله ينبهكم ويعظكم ويزيح شبهكم، وقد هداكم من الضلالة، وأنقذكم من الجهالة ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم أي من يتمسك بدينه الحق الذي بينه بآياته على لسان رسوله، وهو الإسلام والتوحيد، المعبر عنه بسبيل الله، فهو على هدى لا يضل متبعه. قال الزمخشري: ويجوز أن يكون حثا لهم على الالتجاء إليه في دفع شرور الكفار ومكايدهم- انتهى- فالجملة حينئذ تذييل لقوله: يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا ... إلخ، لأن مضمونه أنكم إن تطيعوهم لخوف شرورهم ومكايدهم، فلا تخافوهم، والتجئوا إلى الله في دفع ذلك، لأن من التجأ إليه كفاه.." [2]

"خلقه. فاقتضت حكمته تعالى إمهالهم إلى أن يتوبوا لسابق علمه فيهم. وفيه طلب التفويض في الأمور الملمة، لما في طيها من الأسرار الإلهية.لطيفة:قوله تعالى: أو يتوب عليهم. منصوب بإضمار (أن) في حكم اسم معطوف ب (أو) على (الأمر) أو على (شيء) ، أي ليس لك من أمرهم شيء، أو من التوبة عليهم، أو من تعذيبهم، أو ليس لك من أمرهم شيء أو التوبة عليهم أو تعذيبهم.أقول: جعل أو يتوب منصوبا بالعطف على (يكبتهم) - بعيد جدا. وإن قدمه بعض المفسرين على الوجه المتقدم. وذلك لأن قوله تعالى ليس لك كلام مستأنف على ما صرحت به الروايات في سبب النزول. وهي المرجع في التأويل- والله أعلم-.القول في تأويل قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣) : آية ١٢٩]ولله ما في السماوات وما في الأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم (١٢٩)ولله ما في السماوات وما في الأرض تقرير لما قبله من قوله: ليس لك من الأمر شيء، أي له ما فيهما ملكا وأمرا يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء فيحكم في خلقه بما يشاء، لا معقب لحكمه، ولا يسأل عما يفعل والله غفور رحيم تذييل مقرر لمضمون قوله: يغفر لمن يشاء، مع زيادة. وفي تخصيص التذييل به دون قرينة، من الاعتناء بشأن المغفرة والرحمة ما لا يخفى- أفاده أبو السعود-.القول في تأويل قوله تعالى: [سورة

(١) تفسير القاسمي = محاسن التأويلالقاسمي ٢/٢٥٦

(٢) تفسير القاسمي = محاسن التأويلالقاسمي ٢/٣٦٨

آل عمران (٣) : آية ١٣٠]يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربوا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون (١٣٠)يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربوا أضعافا مضاعفة هذا نهي عن الربا مع التوبيخ بما كانوا عليه في الجاهلية من تضعيفه، كان الرجل منهم إذا بلغ الدين محله يقول: إما أن تقضي حقي أو تربي وأزيد في الأجل. وفي ندائهم باسم (الإيمان) إشعار بأن من مقتضى الإيمان وتصديقه ترك الربا. وقد تقدم في البقرة من المبالغة في النهي عنه ما يروع من له أدنى تقوى. يوجب، لمن لم يتركه وما يقاربه، الضمان." (١)

"لا تغضب. فأعاد عليه. حتى أعاد عليه مرارا. كل ذلك يقول: لا تغضب- انفرد به أحمد-وروى من طريق آخر أن رجلا قال: يا رسول الله أوصني، قال: لا تغضب.قال الرجل: ففكرت حين قال النبي صلى الله عليه وسلم ما قال، فإذا الغضب يجمع الشركلهوالعافين عن الناس أي ظلمهم لهم، ولو كانوا قد قتلوا منهم، فلا يؤاخذون أحدا بما يجني عليهم، ولا يبقى في أنفسهم موجدة، كما قال تعالى: وإذا ما غضبوا هم يغفرون [الشورى: ٣٧] . قال القفال رحمه الله: يحتمل أن يكون هذا راجعا إلى ما ذم من فعل المشركين في أكل الربا، فنهى المؤمنون عن ذلك، وندبوا إلى العفو عن المعسرين. قال تعالى عقيب قصة الربا والتداين: وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة، وأن تصدقوا خير لكم، إن كنتم تعلمون [البقرة: ٢٨٠] .ويحتمل أن يكون كما قال تعالى في الدية: فمن عفي له من أخيه شيء [البقرة: ١٧٨] . إلى قوله: وأن تصدقوا خير لكم. ويحتمل أن يكون هذا بسبب غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مثلوا بحمزة وقال: لأمثلن بهم. فندب إلى كظم هذا الغيظ والصبر عليه والكف عن فعل ما ذكر أنه يفعله من المثلة، فكان تركه فعل ذلك عفوا. قال تعالى في هذه القصة: وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين [النحل: ١٢٦]- انتهى- وظاهر أن عموم الآية مما يشمل كل ما ذكر. إذ لا تعيين والله يحب المحسنين اللام إما للجنس، وهم داخلون فيه دخولا أوليا. وإما للعهد، عبر عنهم بالمحسنين إيذانا بأن النعوت المعدودة من باب الإحسان الذي هو الإتيان بالأعمال على الوجه اللائق الذي هو حسنها الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي. وقد فسره صلى الله عليه وسلمبقوله «١» : أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك.والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها- أفاده أبو السعود-.______________(١)أخرجه البخاري في: الإيمان، ٣٧- باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام والإحسان.ونصه: عن أبي هريرة قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم بارزا يوما للناس. فأتاه جبريل فقال: ما الإيمان؟ قال «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه ورسله، وتؤمن بالبعث» قال: ما الإسلام؟ قال «أن تعبد الله ولا تشرك به. وتقيم الصلاة وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان» قال: ما الإحسان؟ قال «أن تعبد الله كأنك تراه. فإن لم تكن تراه فإنه يراك» قال: متى الساعة؟ قال «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل. وسأخبرك عن أشراطها: إذا ولدت الأمة ربتها. وإذا تطاول رعاة الإبل البهم في البنيان. في خمس لا يعلمهن إلا الله» . ثم تلا النبي صلى الله عليه وسلم: إن الله عنده علم الساعة.. الآية.ثم أدبر. فقال «ردوه» فلم يروا شيئا. قال «هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم».." (٢)

---

(١) تفسير القاسمي = محاسن التأويلالقاسمي ٤١٠/٢

(٢) تفسير القاسمي = محاسن التأويلالقاسمي ٤١٣/٢

"الخامس: إن المبالغة لتأكيد معنى بديع، وذلك لأن جملة: وأن الله ليس بظلام للعبيد- اعتراض **تذييلي** مقرر لمضمون ما قبلها، أي والأمر أنه تعالى ليس بمعذب لعبيده بغير ذنب من قبلهم. والتعبير عن ذلك بنفي الظلم لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه سبحانه من الظلم، كما يعبر عن ترك الإثابة على الأعمال بإضاعتها. وصيغة المبالغة لتأكيد هذا المعنى بإبراز ما ذكر من التعذيب بغير ذنب في صورة المبالغة في الظلم.القول في تأويل قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣) : آية ١٨٣]الذين قالوا إن الله عهد إلينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين (١٨٣)الذين قالوا نصب بتقدير (أعني) أو رفع على الذم بتقدير (هم الذين قالوا) : إن الله عهد إلينا أي أمرنا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل أي تبكيتا لهم، وإظهارا لكذبهم قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات أي المعجزات الواضحة وبالذي قلتم بعينه من تشريع القربان الذي تأكله النار فلم قتلتموهم أي فلم قابلتموهم بالتكذيب والمخالفة والمعاندة وقتلتموهم إن كنتم صادقين في أنكم تتبعون الحق وتنقادون للرسل.القول في تأويل قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣) : آية ١٨٤]فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاؤ بالبينات والزبر والكتاب المنير (١٨٤)فإن كذبوك أي بعد بطلان عذرهم المذكور فقد كذب أي فلا تحزن وتسل فقد كذب رسل من قبلك جاؤ بالبينات والزبر جمع زبور أي الكتب الموحاة منه تعالى والكتاب المنير أي الواضح الجلي. والزبور والكتاب: واحد في الأصل، وإنما ذكرا لاختلاف الوصفين. فالزبور فيه حكم زاجرة، والكتاب المنير هو المشتمل على جميع الشريعة.فائدةفي قربان أهل الكتاب وتشريعه عندهم." (١)

"وقوله سبحانك أي تنزيها لك من العبث، وأن تخلق شيئا بغير حكمة فقنا عذاب النار قال السيوطي: فيه استحباب هذا الذكر عند النظر إلى السماء.ذكره النووي في (الأذكار) . وفيه تعليم العباد كيفية الدعاء، وهو تقديم الثناء على الله تعالى أولا، كما دل عليه قوله سبحانك ثم بعد الثناء يأتي الدعاء، كما دل عليه فقنا عذاب النار.وعن فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال: سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو في صلاته، لم يمجد الله تعالى، ولم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: عجل هذا، ثم دعاه فقال له أو لغيره: إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد ربه سبحانه، والثناء عليه، ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم يدعو بعد بما شاء- رواه أبو داود «١» والترمذيوقال: حديث صحيح.واعلم أنه لما حكى تعالى عن هؤلاء العباد المخلصين أن ألسنتهم مستغرقة بذكر الله تعالى، وأبدانهم في طاعة الله، وقلوبهم في التفكر في دلائل عظمة الله، ذكر أنهم مع هذه الطاعات يطلبون من الله أن يقيهم عذاب النار، ثم أتبعوا ذلك بما يدل على عظم ذلك العقاب وشدته وهو الخزي، بقولهم:القول في تأويل قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣) : آية ١٩٢]ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار (١٩٢)ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته أي أهنته وأظهرت فضيحته لأهل الموقف. وسر هذا الإتباع عظم موقع السؤال، لأن من سأل ربه حاجة، إذا شرح عظمها وقوتها، كانت داعيته في ذلك الدعاء- أكمل، وإخلاصه في طلبه أشد، والدعاء لا يتصل بالإجابة، إلا إذا كان مقرونا بالإخلاص، وهذا أيضا تعليم من الله تعالى فنا آخر من آداب الدعاء وما للظالمين من أنصار **تذييل** لإظهار نهاية فظاعة

(١) تفسير القاسمي = محاسن التأويلالقاسمي ٢/٤٧١

حالهم، ببيان خلود عذابهم، بفقدان من ينصرهم، ويقوم بتخليصهم. وغرضهم تأكيد الاستدعاء. ووضع (الظالمين) موضع ضمير المدخلين، لذمهم، والإشعار بتعليل دخولهم النار بظلمهم، ووضعهم الأشياء في غير مواضعها. وجمع (الأنصار) بالنظر إلى جمع الظالمين، أي ما لظالم من الظالمين نصير من الأنصار. والمراد به من______________(١) أخرجه أبو داود في: الوتر، ٢٣- باب الدعاء، حديث ١٤٨١.." (١)

"فلا يقبل قوله إلا ببينة. وكفى بالله حسيبا أي كافيا في الشهادة عليكم بالدفع والقبض. أو محاسبا. فلا تخالفوا ما أمركم به. ولا يخفى موقع هذا **التذييل** هنا. فإن الوصي يحاسب على ما في يده. وفيه وعيد لولي اليتيم وإعلام له أنه تعالى يعلم باطنه كما يعلم ظاهره. لئلا ينوي أو يعمل في ماله ما لا يحل، ويقوم بالأمانة التامة في ذلك إلى أن يصل إليه ماله.وقد ثبت في صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يا أبا ذر إني أراك ضعيفا وإني أحب لك ما أحب لنفسي لا تأمرن على اثنين ولا تولين مال يتيم. «١»ثم ذكر تعالى أحكام المواريث بقول سبحانه:القول في تأويل قوله تعالى: [سورة النساء (٤) : آية ٧]للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا (٧)للرجال أي الأولاد والأقرباء نصيب أي حظ مما ترك الوالدان والأقربون أي المتوفون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أي المال أو كثر نصيبا مفروضا أي مقطوعا واجبا لهم. وإيراد حكم النساء على الاستقلال دون الدرج في تضاعيف أحكام الرجال، بأن يقال للرجال والنساء إلخ للاعتناء بأمرهن، والإشارة من أول الأمر إلى تفاوت ما بين نصيبي الفريقين، والمبالغة في إبطال حكم الجاهلية. فإنهم كانوا لا يورثون النساء والأطفال. ويقولون، لا يرث إلا من طاعن بالرماح، وذاد عن الحوزة، وحاز الغنيمة. وقد استدل بالآية على توريث ذوي الأرحام لأنهم من الأقربين. وهو استدلال وجيه. ولا حجة لمن حاول دفعه.القول في تأويل قوله تعالى: [سورة النساء (٤) : آية ٨]وإذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا (٨)وإذا حضر القسمة أي قسمة التركة أولوا القربى ذوو القرابة ممن لا______________(١) أخرجه مسلم في: الإمارة، حديث ١٧.." (٢)

"ولهذا أباح نكاح الإماء بشروطه. ونظير هذا قوله تعالى: يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر [البقرة: ١٨٥] . وقوله: ما جعل عليكم في الدين من حرج [الحج: ٧٨] . وخلق الإنسان ضعيفا أي عاجزا عن دفع دواعي شهواته. فناسبه التخفيف لضعف عزمه وهمته وضعفه في نفسه. فالجملة اعتراض **تذييلي** مسوق لتقرير ما قبله من التخفيف في أحكام الشرع.وفي (الإكليل) : قال طاوس: ضعيفا أي في أمر الناس لا يصبر عنهن. وقال وكيع: يذهب عقله عندهن. أخرجهما ابن أبي حاتم. ففيه أصل لما يذكره الأطباء من منافع الجماع ومن مضار تركه.القول في تأويل قوله تعالى: [سورة النساء (٤) : آية ٢٩]يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما (٢٩)يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم أي لا يأكل بعضكم أموال بعض بالباطل أي ما لم تبحه الشريعة كالربا والقمار والرشوة، والغصب والسرقة والخيانة، وما جرى مجرى ذلك من صنوف الحيل إلا أن

---

(١) تفسير القاسمي = محاسن التأويلالقاسمي ٤٨٢/٢

(٢) تفسير القاسمي = محاسن التأويلالقاسمي ٣٢/٣

تكون تجارة أي معاوضة محضة كالبيع عن تراض منكم في المحاباة من جانب الآخذ والمأخوذ منه. وقرئ (تجارة) بالرفع على أن (كان) تامة، وبالنصب على أنها ناقصة. والتقدير: إلا أن تكون المعاملة أو التجارة أو الأموال، تجارة.قال السيوطي في (الإكليل) : في الآية تحريم أكل المال الباطل بغير وجه شرعي. وإباحة التجارة والربح فيها. وأن شرطها التراضي. ومن هاهنا أخذ الشافعي رحمه الله اعتبار الإيجاب والقبول لفظا. لأن التراضي أمر قلبي فلا بد من دليل عليه.وقد يستدل بها من لم يشترطهما إذا حصل الرضا. انتهى.أي لأن الأقوال، كما تدل على التراضي، فكذلك الأفعال تدل في بعض المحال قطعا. فصح بيع المعاطاة مطلقا.وفي (الروضة الندية) : حقيقة التراضي لا يعلمها إلا الله تعالى: والمراد هاهنا أمارته. كالإيجاب والقبول، وكالتعاطي عند القائل به، وعلى هذا أهل العلم. لكونه لم يرد ما يدل على ما اعتبره بعضهم من ألفاظ مخصوصة، وأنه لا يجوز البيع بغيرها. ولا يفيدهم ما ورد في الروايات من نحو: (بعت منك وبعتك) فإنا لا ننكر." (١)

"القول في تأويل قوله تعالى: [سورة النساء (٤) : آية ٦٨]ولهديناهم صراطا مستقيما (٦٨)ولهديناهم صراطا مستقيما أي لثبتناهم في الدنيا على دين قويم نرتضيه، وهو الإسلام. ثم بين تعالى فضل الطاعة وأن ثمرتها مرافقة أقرب عباد الله إلى الله وأرفعهم درجات عنده. فقال:القول في تأويل قوله تعالى: [سورة النساء (٤) : آية ٦٩]ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا (٦٩)ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم ولم يذكر المنعم به إشعارا بقصور العبارة عن تفصيله وبيانه من النبيين الذين أنبأهم الله أكمل الاعتقادات والأحكام. وأمرهم بإنبائها الخلق، كلا بمقدار استعداده والصديقين (جمع صديق) وهو المبالغ في صدق ظاهره بالمعاملة، وباطنه بالمراقبة. أو الذي يصدق قوله بفعله. كذا في (المدارك) .قال الرازي: للمفسرين (في الصديق) وجوه: الأول- أن كل من صدق بكل الدين لا يتخالجه فيه شك فهو صديق. والدليل عليه قوله تعالى: والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون [الحديد: ١٩] . الثاني- قال قوم: الصديقون أفاضل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم. الثالث- أن الصديق اسم لمن سبق إلى تصديق الرسول عليه الصلاة والسلام.فصار في ذلك قدوة لسائر الناس. وإذا كان الأمر كذلك، كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه أولى الخلق بهذا الوصف. ثم جود الرازي الكلام في سبقه رضي الله عنه إلى التصديق، وفي كونه صار قدوة للناس في ذلك. فانظره. والشهداء الذين استشهدوا في سبيل الله تعالى والصالحين الذين صلحت أحوالهم وحسنت أعمالهم وحسن أولئك إشارة إلى النبيين والصديقين وما بعدهما رفيقا يعني في الجنة. والرفيق الصاحب. سمي رفيقا لارتفاقك به وبصحبته. وإنما وحد (الرفيق) وهو صفة الجمع، لأن العرب تعبر به عن الواحد والجمع. كالصديق والخليط. والجملة **تذييل** مقرر لما قبله، مؤكد للترغيب والتشويق.." (٢)

"في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله. ما بين كل درجتين كما بين السماء، والأرض.وقال الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود قال:قال «١» رسول الله صلى الله عليه وسلم: من رمى بسهم فله أجره درجة. فقال رجل: يا رسول الله! وما الدرجة؟ فقال: أما إنها ليست بعتبة أمك: ما بين الدرجتين مائه عام ومغفرة

---

(١) تفسير القاسمي = محاسن التأويلالقاسمي ٨٥/٣

(٢) تفسير القاسمي = محاسن التأويلالقاسمي ٢١٦/٣

أي:لذنوبهم ورحمة فوق الأجر ودرجاته وكان الله غفورا رحيما **تذييل** مقرر لما وعد من المغفرة والرحمة. وهاهنا فوائد:الأولى- دلت الآية على أن الجهاد ليس بفرض عين. إذ لو كان فرضا من فروض الأعيان لم يكن للقاعد فضل، ولكن تفاوت الفضل بينه وبين المجاهد. وقال: وكلا وعد الله الحسنى.الثانية- دلت أيضا على أن الجهاد أفضل من القرب التي يفعلها القاعد. لأنه فضله على القاعد مطلقا. ويؤيد هذاقوله صلى الله عليه وسلم: الجهاد سنام الدين.وقد فرع العلماء على هذا أن رجلا لو وقف ما له على أحسن وجوه البر، أو أوصى أن يصرف في أحسن وجوه البر، فإنه يصرف في الجهاد. خلاف ما ذكره أبو علي أنه يصرف في طلب العلم. كذا في بعض التفاسير.الثالثة- قال السيوطي في (الإكليل) : في الآية تفضيل المجاهدين على غيرهم. وأن المعذورين في درجة المجاهدين، واستدل بقوله (بأموالهم) على تفضيل المجاهد بمال نفسه على المجاهد بمال يعطاه من الديون أو نحوه.الرابعة- قال الرازي: لقائل أن يقول: إنه تعالى قال: إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم. فقدم ذكر النفس على المال. وفي الآية التي نحن فيها وهي قوله: والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم قدم ذكر المال على النفس، فما السبب؟ وجوابه: أن النفس أشرف من المال. فالمشتري قدم ذكر النفس تنبيها على____________حقا على الله أن يدخله الجنة، جاهد في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها» . فقالوا: يا رسول الله! أفلا نبشر الناس؟ قال «إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض. فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة، أراه فوقه عرش الرحمن. ومنه تتفجر أنهار الجنة». (١) أخرجه النسائي في: الجهاد، ٢٦- باب ثواب من رمى بسهم في سبيل الله عز وجل. ولكن عن كعب بن مرة.." (١)

"أصاب فاحشة في الإسلام أن يتزوج محصنة. فقال له أبي بن كعب: يا أمير المؤمنين! الشرك أعظم من ذلك. وقد يقبل منه إذا تاب.وقوله تعالى: ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين يريد ب (الإيمان) شرائع الإسلام. على أنه مصدر أريد به المؤمن به، ك (درهم ضرب الأمير) . (الكفر) الإباء عنه وجحوده. والآية **تذييل** لقوله: اليوم أحل لكم الطيبات ... تعظيما لشأن ما أحله الله وما حرمه، وتغليظا على من خالف ذلك.كذلك في (العناية) .القول في تأويل قوله تعالى: [سورة المائدة (٥) : آية ٦]يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤسكم وأرجلكم إلى الكعبين وإن كنتم جنبا فاطهروا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون (٦)يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤسكم وأرجلكم إلى الكعبين لما كان من جملة الإيفاء بالعقود التي افتتحت به هذه السورة إقامة الصلاة، وكانت مشروطة بالطهارة، بين سبحانه في هذه الآية كيفيتها.قال بعض المفسرين: نزلت في عبد الرحمن وكان جريحا: وقيل: لما احتبس صلى الله عليه وسلم في سفر ليلا- بسبب عقد ضاع لعائشة، وأصبحوا على غير ماء. انتهى.والثاني رواه البخاري- كما في- (أسباب النزول) للسيوطي- وقد قدمنا الكلام على ذلك في سورة النساء في

---

(١) تفسير القاسمي = محاسن التأويلالقاسمي ٢٨٦/٣

(آية التيمم) ثمة. فانظره.ولهذه الآية ثمرات هي أحكام شرعية.الأولى: وجوب الوضوء وقت القيام إلى الصلاة أي إرادته. فقوله تعالى: إذا قمتم إلى الصلاة. كقوله: فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله [النحل: ٩٨] .وكقولك: إذا ضربت غلامك فهون عليه: في أن المراد إرادة الفعل. قال الزمخشري:." (١)

"وأخرج ابن جرير «١» عن عكرمة ويزيد بن أبي زيادة واللفظ له: أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج ومعه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة وعبد الرحمن بن عوف حتى دخلوا على كعب بن الأشرف ويهود بني النضير، يستعينهم في عقل أصابه. فقالوا: نعم.اجلس حتى نطعمك أو نعطيك الذي تسألنا، فجلس. فقال حيي بن أخطب لأصحابه: لا ترونه أقرب منه الآن. اطرحوا عليه حجارة فاقتلوه. ولا ترون شرا أبدا، فجاؤوا إلى رحى عظيمة ليطرحوها عليه، فأمسك الله عنها أيديهم. حتى جاء جبريل فأقامه من ثمت. فأنزل الله الآية. وروى نحوه ابن أبي حاتم.قال ابن كثير: ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يغدو إليهم، فحاصرهم حتى أنزلهم فأجلاهم. انتهى.وعلى هذه الروايات، فالمراد من قوله تعالى اذكروا نعمت الله عليكم تذكير نعمة الله عليهم بدفع الشر والمكروه عن نبيهم، فإنه لو حصل ذلك لكان من أعظم المحن.وذكر الزمخشري، ومن بعده، من وجوه إشارات الآية، ما كان بعسفان من حفظه تعالى لهم من أعدائهم، لما هموا بقتلهم عند اشتغالهم بصلاة العصر، بعد ما رأوهم يصلون الظهر. فندموا على أن لا أكبوا عليهم. فرد كيد أعدائهم إذ أنزل عليهم صلاة الخوف. انتهى.ولفظ الآية محتمل لذلك، بيد أني لم أره الآن مسندا عن أئمة الأثر.واتقوا الله أي في رعاية حقوق نعمته ولا تخلوا بشكرها وعلى الله خاصة دون غيره فليتوكل المؤمنون فإنه الكافي في إيصال الخير ودفع الشر لمن توكل عليه.قال أبو السعود: والجملة تذييل مقرر لما قبله. وإيثار صيغة أمر الغائب.____________فاستيقظت وهو في يده صلتا. فقال: من يمنعك مني؟ فقلت: الله. ثلاثا» ولم يعاقبه وجلس.وأخرجه أيضا في: ٨٧- باب تفرق الناس عن الإمام عند القائلة.وفي: المغازي، ٣١- باب غزوة ذات الرقاع.وفي: ٣٢- باب غزوة بني المصطلق.وأخرجه مسلم في: صلاة المسافرين وقصرها، حديث ٣١١ .وفي: الفضائل، حديث ١٣.(١) الأثر رقم ١١٥٥٧.." (٢)

"لخشية سلطان ظالم، أو خيفة أذية أحد من القرباء والأصدقاء.وقال أبو السعود: خطاب لرؤساء اليهود وعلمائهم بطريق الالتفات. وأما حكام المسلمين فيتناولهم النهي بطريق الدلالة دون العبارة. والفاء لترتيب النهى على ما فصل من حال التوراة وكونها معتنى بشأنها فيما بين الأنبياء عليهم السلام، ومن يقتدي بهم من الربانيين والأحبار المتقدمين عملا وحفظا. فإن ذلك مما يوجب الاجتناب عن الإخلال بوظائف مراعاتها والمحافظة عليها بأي وجه كان. فضلا عن التحريف والتغيير. ولما كان مدار جراءتهم علي ذلك، خشية ذي سلطان أو رغبة في الحظوظ الدنيوية، نهوا عن كل منهما صريحا، أي إذا كان شأنها كما ذكر فلا تخشوا الناس كائنا من كانوا، واقتدوا في مراعاة أحكامها وحفظها بمن قبلكم من الأنبياء وأشياعهم واخشون في مخالفة أمري والإخلال بحقوق مراعاتها ولا تشتروا أي تستبدلوا بآياتي أي التي فيها، بأن تتركوا العمل بها وتأخذوا لأنفسكم بدلا منها ثمنا قليلامن الرشوة وابتغاء الجاه ورضا الناس، فإنها- وإن جلت- قليلة مسترذلة في نفسها،

---

(١) تفسير القاسمي = محاسن التأويلالقاسمي ٤/ ٦٠

(٢) تفسير القاسمي = محاسن التأويلالقاسمي ٤/ ٨٠

لا سيما بالنسبة إلى ما فات عنهم بترك العمل بها ومن لم يحكم بما أنزل الله أي كائنا من كان، دون المخاطبين خاصة، فإنهم مندرجون فيه اندراجا أوليا. أي: من لم يحكم بذلك مستهينا به، منكرا له كما يقتضيه ما فعلوه اقتضاء بينا فأولئك هم الكافرون لاستهانتهم به. والجملة **تذييل** مقرر لمضمون ما قبلها أبلغ تقرير، وتحذير عن الإخلال به أشد تحذير. حيث علق فيه الحكم بالكفر بمجرد ترك الحكم بنا أنزل الله تعالى. فكيف وقد انضم إليه الحكم بخلافه؟ لا سيما مع مباشرة ما نهوا عنه من تحريفه ووضع غيره موضعه، وادعاء أنه من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا. قاله أبو السعود.تنبيهات:الأول: في قوله تعالى فلا تخشوا الناس دلالة على أن على الحاكم أن لا تأخذه في الله لومة لائم.الثاني: في قوله تعالى ولا تشتروا ... إلخ دلالة على تحريم الرشا على التبديل. وكتمان الحق، وأن فعل ذلك، لغرض دنيوي من طلب جاه، أو مال- محرم.الثالث: في قوله ومن لم يحكم بما أنزل الله الآية، تغليظ في الحكم بخلاف المنصوص عليه، حيث علق عليه الكفر هنا، والظلم والفسق بعد.." (١)

"تأكيد لوجوب الامتثال، وتمهيد لما يعقبه من قوله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك أي: يصرفوك عنه. وإظهار الاسم الجليل لتأكيد الأمر بتهويل الخطب. كإعادة (ما أنزل الله) فإن تولوا أي: عن الحكم المنزل وأرادوا غيره فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم يعني بذنب التولي عن حكم الله، وإرادة خلافه، فوضع (ببعض ذنوبهم) موضع ذلك. وأراد: أن لهم ذنوبا جمة كثيرة العدد. وأن هذا الذنب- مع عظمه- بعضها وواحد منها.. وهذا الإبهام لتعظيم التولي، واستسرافهم في ارتكابه، ونحو (البعض) في هذه الكلام ما في قول لبيد. (أو يرتبط بعض النفوس حمامها..!) أراد نفسه. وإنما قصد تفخيم شأنها بهذا الإبهام. كأنه قال: نفسا كبيرة ونفسا أي نفس. فكما أن التنكير يعطي معنى التكبير وهو معنى البعضية، فكذلك إذا صرح بالبعض. كذا في (الكشاف) .وفي (الحواشي) : ومثل هذا قوله تعالى: ورفع بعضكم فوق بعض درجات [البقرة: ٢٥٣] . أراد محمدا صلى الله عليه وسلم وقيل: ذلك من الخصوص الذي أريد به العموم وقيل: أراد العذاب في الدنيا. وأما في الآخرة فإنه يعذب بجميع الذنوب. ولقد تلطف القائل:وأقول بعض الناس عنك كناية ... خوف الوشاة، وأنت كل الناسوإن كثيرا من الناس لفاسقون أي: المتمردون في الكفر معتدون فيه وهذا تسجيل عليهم بالمخالفة. يعني: إن التولي عن حكم الله من التمرد العظيم والاعتداء في الكفر. والجملة اعتراض **تذييلي** مقرر لمضمون ما قبله. ونظيرها قوله تعالى: وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين [يوسف: ١٠٣] . وقوله تعالى: وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله [الأنعام: ١١٦] .روى ابن جرير «١» وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: قال كعب بن أسد، وابن صلوما، وعبد الله بن صوريا، وشاس بن قيس بعضهم لبعض: اذهبوا بنا إلى محمد لعلنا نفتنه عن دينه، فأتوه فقالوا: يا محمد! إنك قد عرفت أنا أحبار يهود وأشرافهم وساداتهم. وأنا- إن اتبعناك- اتبعنا يهود، ولم يخالفونا. وأن بيننا وبين قومنا خصومة فنحاكمهم إليك، فتقضي لنا عليهم، ونؤمن لك ونصدقك. فأبى ذلك رسول الله صلى الله

---

(١) تفسير القاسمي = محاسن التأويلالقاسمي ١٤٦/٤

عليه وسلم. فأنزل الله عز وجل فيهم: وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم. الآية.____________(١) الأثر رقم ١٢١٥٠ من التفسير.." (١)

"بأني قد لقيت الغول تهوى ... بسهب كالصحيفة صحصحانفأضربها بلا دهش فخرت ... صريعا لليدين وللجرانوأمثاله كثيرة. انتهى.قال الخفاجي: اقتصر العلامة هنا على حكاية حال أسلافهم، لقرينة ضمائر الغيبة، وترك تلك الآية- يعني آية البقرة- على الاحتمالين لقرينة ضمائر المخاطبين. ليكون توبيخا وتعبيرا للحاضرين بفعل آبائهم. ولذا عقبت هذه الآية بقصة عيسى عليه السلام. فتأمل.القول في تأويل قوله تعالى: [سورة المائدة (٥) : آية ٧١]وحسبوا ألا تكون فتنة فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا كثير منهم والله بصير بما يعملون (٧١)وحسبوا ألا تكون فتنة أي: ظن بنو إسرائيل أنهم لا يصيبهم من الله عذاب بقتل الأنبياء وتكذيب الرسل فعموا وصموا عطف على (حسبوا) ، و (الفاء) للدلالة على ترتيب ما بعدها على ما قبلها أي: آمنوا بأس الله تعالى، فتمادوا في فنون الغي والفساد، وعموا عن الدين، بعد ما هداهم الرسل إلى معالمه الظاهرة، وصموا عن استماع الحق الذي ألقوه عليهم، ولذلك فعلوا ما فعلوا ثم تاب الله عليهم أي: مما كانوا فيه.قال العلامة أبو السعود: لم يسند التوبة إليهم كسائر أحوالهم من الحسبان والعمى والصمم، تجافيا عن التصريح بنسبة الخير إليهم. وإنما أشير إليها في ضمن بيان توبته تعالى عليهم، تمهيدا لبيان نقضهم إياهم بقوله تعالى:ثم عموا وصموا كرة أخرى كثير منهم بدل من الضمير في الفعلين أو خبر محذوف، أي: أولئك كثير منهم والله بصير بما يعملون أي: بما عملوا، وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية استحضارا لصورتها الفظيعة ورعاية للفواصل. والجملة تذييل أشير به إلى بطلان حسبانهم المذكور. ووقوع العذاب من حيث لم يحتسبوا، إشارة إجمالية، اكتفي بها تعويلا على ما فصل نوع تفصيل في سورة (بني إسرائيل) [الإسراء] . أفاده أبو السعود. وهو مأخوذ من كلام القفال، كما سيأتي:تنبيه:في هذه الآية إشارة إلى ما اكتنف بني إسرائيل من الفتنة وعذاب الله الذي حاق." (٢)

"ما يجوز أن يكون تفسيرا لهذه الآية فقال: وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار، وكان وعدا مفعولا ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا [الإسراء: ٤- ٦] فهذا في معنى (فعموا وصموا) ثم قال: فإذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا. فهذا في معنى قوله ثم عموا وصموا كثير منهم انتهى. ثم بين تعالى كفر النصارى وما هم عليه من فساد الاعتقاد المباين لأصل دعوة عيسى عليه السلام، من التوحيد الخالص، بقوله سبحانه:القول في تأويل قوله تعالى: [سورة المائدة (٥) : آية ٧٢]لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار (٧٢)لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم.قال الرازي: هذا قول اليعقوبية منهم. يقولون: إن مريم ولدت إلها. قال: ولعل معنى هذا المذهب أنهم يقولون: إن الله تعالى حل في ذات عيسى واتحد بها،

---

(١) تفسير القاسمي = محاسن التأويلالقاسمي ١٥٩/٤

(٢) تفسير القاسمي = محاسن التأويلالقاسمي ٢٠٩/٤

تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.وقد سبق الكلام على مثل هذا الآية في هذه السورة مفصلا، فتذكر.ثم بين تعالى أنهم صموا عن مقالات عيسى الداعية إلى التوحيد، كما عموا عما فيه من أمارات الحدوث، بقوله سبحانه: وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ولم يقل اعبدوني. ثم صرح بقوله: ربي وربكم قلعا لمادة توهم الاتحاد إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار كيف والشرك أعظم وجوه الظلم وما للظالمين من أنصار أي: ما لهم من أحد ينصرهم بإنقاذهم من النار، إما بطريق المغالبة أو بطريق الشفاعة. والجمع لمراعاة المقابلة ب (الظالمين) و (اللام) إما للعهد، والجمع باعتبار معنى من، كما أن الإفراد في الضمائر الثلاثة باعتبار لفظها. وما للجنس وهم داخلون فيه دخولا أوليا. ووضعه على الأول موضع الضمير، للتسجيل عليهم بأنهم ظلموا بالإشراك وعدلوا عن طريق الحق. والجملة **تذييل** مقرر لما قبله. وهو إما من تمام كلام عيسى عليه السلام، وإما وارد من جهته تعالى،." (١)

"نفسها معصية مستتبعة للمؤاخذة وقد عفا عنها. وفيه من حثهم على الجد في الانتهاء عنها ما لا يخفى والله غفور حليم اعتراض **تذييلي** مقرر لعفوه تعالى، أي: مبالغ في مغفرة الذنوب. ولذا عفا عنكم ولم يؤاخذكم بما فرط منكم.القول في تأويل قوله تعالى: [سورة المائدة (٥) : آية ١٠٢]قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين (١٠٢)قد سألها قوم من قبلكم أي: سألوا هذه المسألة، لكن لا عينها، بل مثلها في كونها محظورة ومستتبعة للوبال. وعدم التصريح بالمثل للمبالغة في التحذير ثم أصبحوا بها كافرين أي: بسببها. حيث لم يمتثلوا ما أجيبوا به، ويفعلوه. وقد كان بنو إسرائيل يستفتون أنبياءهم عن أشياء، فإذا أمروا بها تركوها فهلكوا.والمعنى: احذروا مشابهتهم والتعرض لما تعرضوا له.تنبيهات:الأول:روى البخاري «١» في سبب نزولها في (التفسير) عن أبي الجويرية عن ابن عباس قال: كان قوم يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاء. فيقول الرجل: من أبي؟ويقول الرجل، تضل ناقته: أين ناقتي؟ فأنزل الله فيهم هذه الآية: يا أيها الذين آمنوا لا تسئلوا ... حتى فرغ من الآية كلها.وأخرج «٢» أيضا عن موسى بن أنس عن أنس رضي الله عنه قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ما سمعت مثلها قط، قال: لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ... قال: فغطى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم، لهم خنين. فقال رجل: من أبي؟ قال: فلان، فنزلت هذه الآية: لا تسئلوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم.وروى البخاري «٣» أيضا في كتاب (الفتن) عن قتادة: أن أنسا حدثهم قال:سألوا النبي صلى الله عليه وسلم حتى أحفوه بالمسألة. فصعد النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم المنبر فقال: لا______________(١) أخرجه البخاري في: التفسير، ٥- سورة المائدة، ١٢- باب قوله تعالى: لا تسئلوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم، حديث ٢٠٠١.(٢) أخرجه البخاري في: التفسير، ٥- سورة المائدة، ١٢- باب قوله تعالى: لا تسئلوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم، حديث ٨٠.(٣) أخرجه البخاري في: الفتن، ١٥- باب التعوذ من الفتن، حديث ٨٠.." (٢)

"يفهم من نحو (اتخذت صديقا من دوني) الاستبدال. فذاك من قرينة خارجية. وإلا فالمثال لا يعينه. لجواز إرادة اتخاذه معه كما لا يخفي. فتبصر قال سبحانك أي أنزهك تنزيها لائقا بك من أن يقال هذا وينطق به ما يكون لي أي ما

---

(١) تفسير القاسمي = محاسن التأويلالقاسمي ٢١١/٤

(٢) تفسير القاسمي = محاسن التأويلالقاسمي ٢٦١/٤

يتصور مني بعد إذ بعثتني لهداية الخلق أن أقول أي في حق نفسي ما ليس لي بحق أي ما استقر في قلوب العقلاء عدم استحقاقي له مما يضلهم إن كنت قلته فقد علمته استئناف مقرر لعدم صدور القول المذكور عنه عليه السلام، بالطريق البرهاني. فإن صدوره عنه مستلزم لعلمه تعالى به قطعا. فحيث انتفى علمه تعالى به، انتفى صدره عنه حتما. ضرورة. أن عدم اللازم مستلزم لعدم الملزوم. قاله أبو السعود تعلم ما في نفسي استئناف جار مجرى التعليل لما قبله. كأنه قيل: لأنك تعلم ما أخفيه في نفسي. فكيف بما أعلنه؟ وقوله تعالى: ولا أعلم ما في نفسك بيان للواقع، وإظهار لقصوره. أي ولا أعلم ما تخفيه من معلوماتك. أفاده أبو السعود إنك أنت علام الغيوب.القول في تأويل قوله تعالى: [سورة المائدة (٥) : آية ١١٧]ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد (١١٧)ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أي ما أمرتهم إلا بما أمرتني به. وإنما قيل: ما قلت لهم نزولا على قضية حسن الأدب، ومراعاة لما ورد في الاستفهام. وقوله تعالى: أن اعبدوا الله ربي وربكم تفسير للمأمور به وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم. أي: رقيبا أراعي أحوالهم وأحملهم على العمل بموجب أمرك، ويتأتى لي نهيهم عما أشاهده فيهم مما لا ينبغي فلما توفيتني أي: بالرفع إلى السماء. كما في قوله تعالى: إني متوفيك ورافعك إلي [آل عمران: ٥٥] . والتوفي: أخذ الشيء وافيا. والموت نوع منه. قال تعالى: الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها [الزمر: ٤٢] . وسبق في قوله تعالى: يا عيسى إني متوفيك في (آل عمران) زيادة إيضاح على ما هنا. فتذكر كنت أنت الرقيب عليهم أي: الناظر لأعمالهم. فمنعت من أردت عصمته من التفوه بذلك. وخذلت من خذلت من الضالين، فقالوا ما قالوا: وأنت على كل شيء شهيد اعتراض تذييلي مقرر لما قبله.وفيه إيذان بأنه تعالى كان هو الشهيد على الكل، حين كونه عليه السلام فيما بينهم.." (١)

"قال المهايمي: كمال الرحمة في الجزاء، إذ بدونه تضيع مشاق المعارف الإلهية، والأعمال الصالحة، وتضيع المظالم، ولا جزاء في دار الدنيا، لأنه فرع التكليف، ودار التكليف لا تكون دار الجزاء، لأن مشاهدته مانعة من التكليف.انتهى.و (إلى) بمعنى اللام، كقوله: إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه [آل عمران: ٩] ، أي في اليوم، أو في الجمع.الذين خسروا أنفسهم أي: بتضييع رأس مالهم، وهو الفطرة الأصلية، والعقل السليم، والاستعداد القريب الحاصل من مشاهدة الرسول عليه الصلاة والسلام، واستماع الوحي، وغير ذلك من آثار الرحمة.فهم لا يؤمنون أي: لا يصدقون بالمعاد، ولا يخافون شر ذلك اليوم.قال أبو السعود: والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط، والإشعار بأن عدم إيمانهم بسبب خسرانهم، فإن إبطال العقل باتباع الحواس، والانهماك في التقليد، وإغفال النظر، أدى بهم إلى الإصرار على الكفر، والامتناع من الإيمان. والجملة تذييل مسوق من جهته تعالى، لتقبيح حالهم، غير داخل تحت الأمر.تنبيه:روي في معنى هذه الآية عن أبي هريرة «١» : قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لما خلق الله الخلق كتب في كتاب، فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي تغلب غضبي» - رواه الشيخان- وفي البخاري: إن كتب كتابا قبل أن يخلق الخلق: إن رحمتي سبقت غضبي، فهو مكتوب عنده، فهو العرش.وفي رواية لهما: أن الله لما خلق الخلق.وعند مسلم: لما قضى الله الخلق، كتب في كتاب كتبه على نفسه، فهو موضوع عنده.زاد البخاري:

---

(١) تفسير القاسمي = محاسن التأويلالقاسمي ٤/٣٠١

على عرش. ثم اتفقا: إن رحمتي تغلب غضبي.وسنذكر، إن شاء الله، شذرة من أحاديث الرحمة عند آية كتب ربكم على نفسه الرحمة قريبا.______________(١) أخرجه البخاري في: بدء الخلق، ١- باب ما جاء في قول الله تعالى: وهو الذي يبدؤا الخلق ثم يعيده.." (١)

"تلك الأعمال، بل يسنده إلى إظهار الله تعالى إياه على ذلك الوجه، فما الفائدة في الوزن؟أجيب بأنه ينكشف الحال يومئذ، وتظهر جميع الأشياء بحقائقها على ما هي عليه، وبأوصافها وأحوالها في أنفسها من الحسن والقبح، وغير ذلك. وتنخلع عن الصور المستعارة التي بها ظهرت في الدنيا، فلا يبقى لأحد ممن يشاهدها شبهة في أنها هي التي كانت في الدنيا بعينها، وأن كل واحد منها قد ظهر في هذه النشأة بصورته الحقيقية المستتبعة لصفاته، ولا يخطر بباله خلاف ذلك- انتهى.وقد سبقه إلى نحوه الرازي.ولما أمر تعالى أهل مكة باتباع ما أنزل إليهم، ونهاهم عن اتباع غيره، وبين لهم وخامة عاقبته بالإهلاك في الدنيا، والعذاب في الآخرة- ذكرهم فنون نعمه ترغيبا في اتباع أمره ونهيه، فقال سبحانه:القول في تأويل قوله تعالى: [سورة الأعراف (٧) : آية ١٠]ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون (١٠)ولقد مكناكم في الأرض أي جعلنا لكم فيها مكانا وقرارا. أو ملكناكم فيها وأقدرناكم على التصرف فيها وجعلنا لكم فيها معايش جمع معيشة، وهي ما يعاش به من المطاعم والمشارب وغيرها. أو ما يتوصل به إلى ذلك من المتاجر والمزارع والصنائع قليلا ما تشكرون الكلام فيه كالذي في قوله قليلا ما تذكرون وقد مر قريبا. **والتذييل** مسوق لبيان سوء حال المخاطبين وتحذيرهم، أي ما مننا عليكم بذلك إلا لتشكروا بمتابعة ما أنزلنا إليكم، وترك متابعة من دوننا، فتحصلوا معايش السعادات الأبدية. ثم بين تعالى نعمته على آدم التي سرت إلى بنيه، وبين لهم عداوة إبليس وما انطوى عليه من الحسد لأبيهم، ليحذروه ولا يتبعوا طرائقه، بقوله سبحانه:القول في تأويل قوله تعالى: [سورة الأعراف (٧) : آية ١١]ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين (١١)ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم." (٢)

"جملة أمم قد مضت من قبلكم من الجن والإنس يعني كفار الأمم الماضية من النوعين في النار متعلق ب ادخلوا كلما دخلت أمة أي في النار لعنت أختها أي التي قبلها لضلالها بها، كما قال الخليل عليه الصلاة والسلام: ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ... [العنكبوت: ٢٥] الآية- إذا اداركوا فيها جميعا أي تداركوا، بمعنى تلاحقوا واجتمعوا في النار قالت أخراهم وهم الأتباع لأولاهم أي: لأجل أولاهم، إذ الخطاب مع الله سبحانه، لا معهم. قال ابن كثير: أي قالت أخراهم دخولا وهم الأتباع، لأولادهم وهم المتبعون، لأنهم أشد جرما من أتباعهم، فدخلوا قبلهم، فيشكوهم الأتباع إلى الله يوم القيامة، لأنهم هم الذين أضلوهم عن سواء السبيل، فيقولون: ربنا هؤلاء أضلونا أي سنوا لنا الضلال، ودعوا إليه، فاقتدينا بهم فآتهم عذابا ضعفا من النار أي مضاعفا لأنه ضلوا وأضلوا قال أي تعالى: لكل ضعف أي عذاب مضاعف. أما القادة والرؤساء فبالضلال والإضلال. وأما الأتباع والسفلة، فبالضلال وتقليد أهل الضلال، مع وجود الهادين بالبراهين

---

(١) تفسير القاسمي = محاسن التأويلالقاسمي ٣٢٣/٤

(٢) تفسير القاسمي = محاسن التأويلالقاسمي ١١/٥

القاطعة ولكن لا تعلمون أي ما لكم، أو ما لكل فرقة. وقرئ بالياء. وعليها، فهو **تذييل** لم يقصد إدراجه في الجواب.القول في تأويل قوله تعالى: [سورة الأعراف (٧) : آية ٣٩]وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون (٣٩)وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل أي لا فضل لكم علينا في ترك الكفر والضلال حتى يكون عذابنا مضاعفا دونكم، فقد ضللتم كما ضللنا، فنحن وإياكم متساوون في الضلال واستحقاق العذاب. وقوله تعالى: فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون من قول القادة، أو من قول الله تعالى للفريقين، وهو أظهر.تنبيه:قال الجشمي: تدل الآية على أن الكفار والضلال والمبتدعة، وإن تناصروا وتعاونوا على ضلالتهم، وتوادوا في الدنيا، فإنهم في الآخرة يتلاعنون ويتقاطعون ويسألون العذاب لمن أضلهم. وتدل على فساد التقليد، والاغترار بقول علماء السوء. وتدل على أن الداعي إلى الضلال مضل. وتدل على أن إضلال غيره إياه ليس بعذر له. وتدل على أن اشتراكهم في العذاب لا يوجب لهم راحة، بخلاف الاشتراك." (١)

"وقوله تعالى: ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا تقريع على فرط ضلالهم وإخلالهم بالنظر. والمعنى: ألم يروا، حين اتخذوه إلها، أنه لا يقدر على كلام، ولا على إرشاد سبيل، كآحاد البشر؟ فهو جماد لا ينفع ولا يضر. فكيف يكون إلها؟وقوله تعالى: اتخذوه تكرير لتأكيد الذم، أي: اتخذوه إلها وعبدوه.وكانوا ظالمين أي: واضعين الأشياء في غير مواضعها. والجملة إما استئنافية، أو اعتراض **تذييلي** للإخبار بأن ذلك دأبهم وعادتهم قبل ذلك، فلا ينكر هذا منهم. أو حالية، أي: اتخذوه في هذه الحالة المستقرة لهم.تنبيه:قال الجشمي: تدل الآية على صحة الحجاج في الدين، وأنه تعالى دلهم، في بطلان اتخاذ العجل إلها، بأنه لا يتكلم ولا يهدي. وإنما ذكر الكلام لأن الخوار تنفد فيه الحيلة، ولا تنفد في الكلام. وتدل على أن إزالة الشبه في الدين واجب، كما أزالها الله تعالى. وتدل على أن القوم كانوا جهالا غير عارفين حقيقة الأشياء، لذلك عبدوا العجل. وتدل على أن تلك الحلي كانت ملكا لبني إسرائيل، لذلك قال حليهم. فإن ثبت أنهم استعاروه، فيدل على زوال ملكهم، وانتقال الملك إلى بني إسرائيل، كما تملك أموال أهل الحرب. وتدل على أن الاتخاذ فعلهم.القول في تأويل قوله تعالى: [سورة الأعراف (٧) : آية ١٤٩]ولما سقط في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين (١٤٩)ولما سقط في أيديهم أي: ندموا على عبادة العجل ورأوا أي علموا وأيقنوا أنهم قد ضلوا أي: عن الحق والهدى قالوا لئن لم يرحمنا ربنا أي بقبول توبتنا ويغفر لنا أي: ما قدمنا من عبادة العجل لنكونن من الخاسرين أي: بالعقوبة. أي: ممن خسروا أعمالهم وأعمارهم.لطيفة:يقال للنادم على ما فعل، الحسر على ما فرط منه (قد سقط في يده) و (أسقط) مضمومتين- قاله الزجاج-.." (٢)

"للمحاجة، ويكرر عليهم التبكيت، فقال سبحانه: قل ادعوا شركاءكم أي استنصروا بها علي ثم كيدون أي اعملوا أنتم وهم في هلاكي من حيث لا أشعر به، حتى يمكنني دفعه.فلا تنظرون أي عجلوا في كيدي، فلا تمهلوني مدة أطلع فيها على كيدكم، فإني لا أبالي بكم. وقد أثبت نافع وأبو عمرو الياء في كيدوني، والباقون حذفوها. ومثله في قوله: ولا تنظرون

---

(١) تفسير القاسمي = محاسن التأويلالقاسمي ٥/٥٣

(٢) تفسير القاسمي = محاسن التأويلالقاسمي ٥/١٨٥

[يونس: ٧١] ، ثم لا تنظرون [هود: ٥٥] ، قال الواحدي: والقول فيه أن الفواصل تشبه القوافي، وقد حذفوا هذه الياءات إذا كانت في القوافي، كقوله:يلمس الأحلاس في منزله ... بيديه كاليهودي المصل(وأصلها المصلى) والذين أثبتوها، فلأن الأصل هو الإثبات.وقوله تعالى:القول في تأويل قوله تعالى: [سورة الأعراف (٧) : آية ١٩٦]إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين (١٩٦)إن وليي الله الذي نزل الكتاب تعليل لعدم المبالاة، المنفهم من السوق انفهاما جليا. أي: الذي يتولى حفظي ونصرتي هو الله الذي أنزل الكتاب، المشتمل على هذه العلوم العظيمة النافعة.قال أبو السعود: ووصفه تعالى بتنزيل الكتاب، للإشعار بدليل الولاية، والإشارة إلى علة أخرى لعدم المبالاة. كأنه قيل: لا أبالي بكم وبشركائكم، لأن وليي هو الله الذي نزل الكتاب الناطق بأنه وليي وناصري، وبأن شركاءكم لا يستطيعون نصر أنفسهم، فضلا عن نصركم. وقوله تعالى: وهو يتولى الصالحين **تذييل** مقرر لما قبله. أي ومن عادته أن يتولى الصالحين من عباده، وينصرهم ولا يخذلهم. وفيه تعريض، لمن فقد الصلاح، بالخذلان والمحق.قال الحسن البصري: إن المشركين كانوا يخوفون الرسول صلى الله عليه وسلم بآلهتهم، فقال تعالى: ادعوا شركاءكم الآية- ليظهر لكم أنه لا قدرة له على إيصال المضار إلي، بوجه من الوجوه. وهذا كما قال هود عليه السلام، لما قال قومه: إن نقول إلا." (١)

"وقوله تعالى: وكرهوا إلخ أي لما في قلوبهم من مرض النفاق.قال أبو السعود: وإنما أوثر ما عليه النظم الكريم على أن يقال: (وكرهوا أن يخرجوا إلى الغزو) إيذانا بأن الجهاد في سبيل الله، مع كونه من أجل الرغائب، وأشرف المطالب، التي يجب أن يتنافس بها المتنافسون، قد كرهوه، كما فرحوا بأقبح القبائح الذي هو القعود خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم.قال الزمخشري: في قوله تعالى: وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم تعريض بالمؤمنين، وبتحملهم المشاق العظام لوجه الله تعالى، وبما فعلوا من بذل أموالهم وأرواحهم في سبيل الله تعالى، وإيثارهم ذلك على الدعة والخفض (أي الراحة والتنعم بالمآكل والمشارب) وكره ذلك المنافقون. وكيف لا يكرهونه؟ وما فيهم ما في المؤمنين من باعث الإيمان، وداعي الإيقان.قال الشهاب: ووجه التعريض ظاهر، لأن المراد كرهوه، لا كالمؤمنين الذين أحبوه.وقوله تعالى: وقالوا لا تنفروا في الحر أي قالوا لإخوانهم لا تنفروا إلى الجهاد في الحر، فإنه لا يستطاع شدته. وذلك أن الخروج في غزوة تبوك كان في شدة الحر، عند طيب الظلال والثمار، وذلك تثبيتا لهم على التخلف، وتواصيا فيما بينهم بالشر والفساد. أو قالوا للمؤمنين تثبيطا لهم عن الجهاد، ونهيا عن المعروف، وإظهارا لبعض العلل الداعية لهم إلى ما فرحوا به من القعود. فقد جمعوا ثلاث خلال من خصال الكفر والضلال: الفرح بالقعود، وكراهية الجهاد، ونهي الغير عن ذلك- أفاده أبو السعود-.وقوله تعالى: قل أي ردا عليهم وتجهيلا لهم نار جهنم أي التي ستدخلونها بما فعلتم أشد حرا أي مما تحذرون من الحر المعهود، وتحذرون الناس منه، فما لكم لا تحذرونها، وتعرضون أنفسكم لها، بإيثار القعود على النفير.وقوله تعالى: لو كانوا يفقهون اعتراض **تذييلي** من جهته تعالى، غير داخل تحت القول المأمور به، مؤكد لمضمونه. وجواب (لو) إما مقدر، أي لو كانوا يفقهون أنها كذلك، أو كيف هي

---

(١) تفسير القاسمي = محاسن التأويلالقاسمي ٥/٢٤٠

أو أن مآلهم إليها- لما فعلوا ما فعلوا، أو لتأثروا بهذا الإلزام. وإما غير منوي، على أن (لو) لمجرد التمني المنبئ عن امتناع تحقق مدخولها. أي لو كانوا من أهل الفطانة والفقه، كما في قوله تعالى قل انظروا ماذا." (١)

"لله ورسولهأي أخلصوا الإيمان والعمل الصالح، فلم يرجفوا، ولم يثيروا الفتن، وأوصلوا الخيرات للجاهدين، وقاموا بمصالح بيوتهم.وقوله تعالى: ما على المحسنين من سبيل استئناف مقرر لمضمون ما سبق، أي ليس عليهم جناح، ولا إلى معاتبتهم سبيل، و (من) مزيدة للتأكيد، ووضع المحسنين موضع الضمير، للدلالة على انتظامهم، بنصحهم لله ورسوله، في سلك المحسنين، أو تعليل لنفي الحرج عنهم، أي ما على جنس المحسنين من سبيل، وهم من جملتهم أفاده أبو السعود.قال الشهاب: (ليس على محسن سبيل) ، كلام جار مجرى المثل، وهو إما عام، ويدخل فيه من ذكر، أو مخصوص بهؤلاء فالإحسان: النصح لله والرسول، والإثم المنفي إثم التخلف، فيكون تأكيدا لما قبله بعينه على أبلغ وجه، وألطف سبك، وهو من بليغ الكلام، لأن معناه لا سبيل لعاتب عليه، أي لا يمر به العاتب، ويجوز في أرضه، فما أبعد العتاب عنه! فتفطن للبلاغة القرآنية كما قيل:سقيا لأيامنا التي سلفت ... إذ لا يمر العذول في بلديوقوله تعالى: والله غفور رحيم تذييل مؤيد لمضمون ما ذكر، مشير إلى أن بهم حاجة إلى المغفرة، وإن كان تخلفهم بعذر- أفاده أبو السعود، أي لأن المرء لا يخلو من تفريط ما، فلا يقال إنه نفى عنهم الإثم أولا، فما الاحتياج إلى المغفرة المقتضية للذنب؟ أفاده الشهاب.القول في تأويل قوله تعالى: [سورة التوبة (٩) : آية ٩٢]ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون (٩٢)ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم عطف على المحسنين، أو على الضعفاء أي لتعطيهم ظهرا يركبونه إلى الجهاد معك قلت أي لهم لا أجد ما أحملكم عليه أي إلى الجهاد. وقوله تعالى: تولوا جواب (إذا) أي خرجوا من عندك وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون أي في الحملان، فهؤلاء وإن كانت لهم، قدرة على تحمل المشاق، فما عليهم من سبيل أيضا.تنبيهات:الأول- قال السيوطي في (الإكليل) : في قوله تعالى: ليس على الضعفاء." (٢)

"العرب (عجوزة) - حكاه يونس- وهذا بعلي أي زوجي إبراهيم شيخا إن هذا أي التولد من هرمين لشيء عجيب أي غريب، لم تجر به العادة.القول في تأويل قوله تعالى: [سورة هود (١١) : آية ٧٣]قالوا أتعجبين من أمر الله رحمت الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد (٧٣)قالوا أتعجبين من أمر الله أي أتستبعدين من شأنه وقدرته خلق الولد من الهرمين؟قال الزمخشري: وإنما أنكرت عليها الملائكة تعجبها، لأنها كانت في بيت الآيات، ومهبط المعجزات، والأمور الخارقة للعادات، فكان عليها أن تتوقر، ولا يزدهيها ما يزدهي سائر النساء الناشئات في غير بيت النبوة، وأن تسبح الله وتمجده، مكان التعجب وإلى ذلك أشارت الملائكة، صلوات الله عليهم، في قولهم: رحمت الله وبركاته عليكم أهل البيت أرادوا أن هذه وأمثالها مما يكرمكم به رب العزة، ويخصكم بالإنعام به يا أهل بيت النبوة، فليست بمكان عجب. والكلام مستأنف، علل به إنكار التعجب، كأنه قيل: (إياك والتعجب) فإن أمثال هذه الرحمة والبركة متكاثرة من الله عليكم- انتهى-.فالجملة

---

(١) تفسير القاسمي = محاسن التأويلالقاسمي ٤٦٧/٥

(٢) تفسير القاسمي = محاسن التأويلالقاسمي ٤٧٧/٥

خبرية، وجوز كونها دعائية. و (أهل البيت) نصب على النداء أو التخصيص، لأن أهل البيت مدح لهم، إذ المراد أهل بيت خليل الرحمن.إنه حميد أي مستحق للمحامد، لما وهبه من جلائل النعم مجيد أي كريم واسع الإحسان، فلا يبعد أن يعطي الولد بعد الكبر. وهو **تذييل** بديع لبيان أن مقتضى حالها أن تحمد مستوجب الحمد المحسن إليها بما أحسن، وتمجده إذ شرفها بما شرف.القول في تأويل قوله تعالى: [سورة هود (١١) : آية ٧٤]فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط (٧٤)فلما ذهب عن إبراهيم الروع أي خيفة إرادة المكروه منهم بعرفانهم وجاءته البشرى أي بدل الروع يجادلنا في قوم لوط أي في هلاكهم، استعطافا لدفعه.روي أنه قال: أتهلك البار مع الأثيم، أتهلكها وفيهم خمسون بارا؟ حاشا لك!فقيل له: إن وجد فيهم خمسون بارا فنصفح عن الجميع لأجلهم!." [١]

"حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا أي من المباني والجبال.القول في تأويل قوله تعالى: [سورة الكهف (١٨) : آية ٩١]كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا (٩١)كذلك أي أمر ذي القرنين كما وصفناه في رفعة المكان وبسطة الملك. أو أمره فيهم، كأمره في أهل المغرب من الحكم المتقدم. أو صفة مصدر محذوف (وجد) أي وجدها تطلع وجدانا كوجدانها تغرب في عين حمئة. أو معمول (بلغ) أي بلغ مغربها كما بلغ مطلعها، ولا يحيط بما قاساه غير الله. أو صفة (قوم) أي على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليهم الشمس، في الكفر والحكم وقد أحطنا بما لديه خبرا أي علما. نحن مطلعون على جميع أحواله وأحوال جيشه. لا يخفى علينا منها شيء، وإن تفرقت أممهم وتقطعت بهم الأرض. وفي **التذييل** بهذا، إشارة إلى كثرة ما لديه من العدد والعدد، بحيث لا يحيط بها إلا علمه تعالى.القول في تأويل قوله تعالى: [سورة الكهف (١٨) : الآيات ٩٢ الى ٩٣]ثم أتبع سببا (٩٢) حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا (٩٣)ثم أتبع سببا أي طريقا ثالثا معترضا بين المشرق والمغرب حتى إذا بلغ بين السدين قرئ بفتح السين وضمها. أي بين الجبلين اللذين سد ما بينهما وجد من دونهما قوما أي من ورائهما أمة من الناس لا يكادون يفقهون قولا لكون لغتهم غريبة مجهولة، ولقلة فطنتهم.القول في تأويل قوله تعالى: [سورة الكهف (١٨) : الآيات ٩٤ الى ٩٥]قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا (٩٤) قال ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما (٩٥)قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض أي في أرضنا بالقتل والإضرار فهل نجعل لك خرجا أي جعلا نخرجه من أموالنا. وقرئ (خراجا) وهو بمعناه على أن تجعل بيننا وبينهم سدا أي حاجزا يمنع خروجهم علينا قال ما." [٢]

"القول في تأويل قوله تعالى: [سورة مريم (١٩) : آية ٨١]واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا (٨١)واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا أي ليتعززوا بهم، بأن يكونوا لهم وصلة إليه عز وجل، وشفعاء عنده.القول في تأويل قوله تعالى: [سورة مريم (١٩) : آية ٨٢]كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا (٨٢)كلا أي ليس الأمر كما زعموا، ولا يكون ما طمعوا سيكفرون بعبادتهم أي ستجحد الآلهة استحقاقهم للعبادة ويكونون عليهم ضدا أي يريدون إهلاكهم، إذ أوقعوهم

---

(١) تفسير القاسمي = محاسن التأويلالقاسمي ١١٦/٦

(٢) تفسير القاسمي = محاسن التأويلالقاسمي ٦٦/٧

في هلاك دعوى الشرك، كما قال تعالى ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين [الأحقاف: ٥- ٦] . وقال تعالى: وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك، فألقوا إليهم القول إنكم لكاذبون [النحل: ٨٦] ، قيل: المراد بالآلهة من عبد من ذوي العلم. لإطلاق ضمير العقلاء عليهم ونطقهم. وقيل: الأصنام. بأن يخلق الله فيهم قوة النطق، فيطلق عليهم ما يطلق على العقلاء. وقيل: الأعم منهما، وهو الأظهر.القول في تأويل قوله تعالى: [سورة مريم (١٩) : آية ٨٣]ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا (٨٣)ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين أي بأن سلطناهم عليهم ومكناهم من إضلالهم. أو قيضناهم لهم يغلبون عليهم تؤزهم أزا أي تغريهم وتهيجهم على المعاصي، بالتسويلات وتحبيب الشهوات، تهيجا شديدا.قال الزمخشري: الأز والهز والاستفزاز أخوات. ومعناها التهييج وشدة الإزعاج والمراد تعجيب رسول الله صلى الله عليه وسلم، بعد الآيات التي ذكر فيها العتاة والمردة من الكفار، وأقاويلهم وملاحاتهم ومعاندتهم للرسل، واستهزاؤهم واجتماعهم على دفع الحق بعد وضوحه وانتفاء الشك عنه، وانهماكهم لذلك في اتباع الشياطين وما تسول لهم.فهذه الآية **كالتذييل** لما قبلها وقوله تعالى:." (١)

"الجبال والطير يقدسن الله معه، بصوت يتمثل له أو يخلق فيها. قال ابن كثير: وذلك لطيب صوته بتلاوة كتابه (الزبور) وكان إذا ترنم به تقف الطير في الهواء فتجاوبه.وترد عليه الجبال تأويبا، ولهذا لما مر «١» النبي صلى الله عليه وسلم على أبي موسى الأشعري وهو يتلو القرآن من الليل، وكان له صوت طيب جدا، فوقف واستمع لقراءتهوقال: لقد أوتي هذا مزمارا من مزامير آل داود. قال: يا رسول الله! لو علمت أنك تسمع لحبرته لك تحبيرا.قال أبو عثمان الهندي: ما سمعت صوت صنج ولا بربط ولا مزمار مثل صوت أبي موسى رضي الله عنه. انتهى.وتقديم الجبال على الطير، لأن تسبيحها أعجب وأدل على القدرة، وأدخل في الإعجاز، لأنها جماد. **والتذييل** بقوله وكنا فاعلين إشارة إلى أنه ليس ببدع في جانب القدرة الإلهية، وإن كان عند المخاطبين عجيبا. وهذه الآية كقوله تعالى في سورة (ص) واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق والطير محشورة كل له أواب [ص: ١٧- ١٩] .القول في تأويل قوله تعالى: [سورة الأنبياء (٢١) : آية ٨٠]وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون (٨٠)وعلمناه صنعة لبوس لكم أي عمل الدروع الملبوسة. قيل كانت الدروع قبله صفائح، فحلقها وسردها. أي جعلها حلقا وأدخل بعضها في بعض كما قال تعالى: وألنا له الحديد أن اعمل سابغات وقدر في السرد [سبأ: ١٠- ١١] ، أي لا توسع الحلقة فتقلق المسمار. ولا تغلظ المسمار فتقد الحلقة. ولهذا قال لتحصنكم من بأسكم أي لتحفظكم من جراحات قتالكم فهل أنتم شاكرون أي لنعم الله عليكم، لما ألهم عبده داود فعلمه ذلك رحمة بكم فيما يحفظ عليكم في المعامع حياتكم. وفي إيراد الأمر بالشكر على صورة الاستفهام، مبالغة في التقريع والتوبيخ، لما فيه من الإيماء إلى التقصير في

---

(١) تفسير القاسمي = محاسن التأويلالقاسمي ١١٢/٧

الشكر.ــــــــــــــــ(١) أخرجه البخاري في: فضائل القرآن، ٣١- باب حسن الصوت بالقراءة، حديث رقم ٢٠٩٧.وأخرجه مسلم في: صلاة المسافرين وقصرها، حديث رقم ٢٣٦.." (١)

"والبسور. أو الشر الذي يقصدونه بظهور مخايله يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا أي يبطشون بهم من فرط الغيظ والغضب. قال في (فتح البيان) : وكذلك أهل البدع المضلة، إذا سمع الواحد منهم ما يتلوه العالم عليه، من آيات الكتاب العزيز أو من السنة الصحيحة، مخالفا لما اعتقده من الباطل، رأيت في وجهه من المنكر، ما لو تمكن من أن يسطو بذلك لفعل به ما لا يفعله بالمشركين والله يقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق قل أفأنبئكم بشر من ذلكم، النار وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير يا أيها الناس ضرب «أي بين» مثل أي حال مستغرب فاستمعوا له أي تدبروه حق تدبره. فإن الاستماع بلا تدبر وتعقل لا ينفع إن الذين تدعون من دون الله يعني الأصنام لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له أي لخلقه متعاونين. وتخصيصه الذباب، لمانته وضعفه واستقذاره. وهذا من أبلغ ما أنزل في تجهيل المشركين. حيث وصفوا بالإلهية التي تقتضي الاقتدار على المقدورات كلها، والإحاطة بالمعلومات عن آخرها، صورا وتماثيل، يستحيل منها أن تقدر على أقل ما خلقه الله تعالى وأذله، ولو اجتمعوا لذلك وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه أي هذا الخلق الأقل الأذل، لو اختطف منهم شيئا فاجتمعوا على أن يستخلصوه منه، لم يقدروا ضعف الطالب أي الصنم يطلب ما سلب منه والمطلوب أي الذباب بما سلب. وهذا كالتسوية بينهم وبين الذباب في الضعف. ولو حققت وجدت الطالب أضعف وأضعف. فإن الذباب حيوان وهو جماد. وهو غالب وذلك مغلوب.وجوز أن يراد بالطالب عابد الصنم، وبالمطلوب معبوده. قيل: وهو أنسب بالسياق لأنه لتجهيلهم وتحقير معبوداتهم. فناسب إرادتهم والأصنام من هذا **التذييل**. واختار الوجه الأول الزمخشري. لما فيه من التهكم، بجعل الصنم طالبا على الفرض تهكما وأنه أضعف من الذباب لأنه مسلوب وجماد، وذلك حيوان بخلافه.وهذه الجملة **التذييلية** إخبار أو تعجب. وقوله تعالى ما قدروا الله حق قدره أي ما عرفوه حق معرفته، حيث أشركوا به ما لا يمتنع من الذباب ولا ينتصف منه إن الله لقوي عزيز أي قادر وغالب. فكيف يتخذ العاجز المغلوب شبيها به. أو لقوي بنصر أوليائه، عزيز ينتقم من أعدائه.القول في تأويل قوله تعالى: [سورة الحج (٢٢) : الآيات ٧٥ الى ٧٦]الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس إن الله سميع بصير (٧٥) يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم وإلى الله ترجع الأمور (٧٦)." (٢)

"واعملوا صالحا أي عملا صالحا. فإنه الذي به سعادة الدارين. وقوله إني بما تعملون عليم أي ذو علم لا يخفى علي منها شيء. فأنا مجازيكم بجميعها، وموفيكم أجوركم وثوابكم عليها، فخذوا في صالحات الأعمال واجتهدوا.القول في تأويل قوله تعالى: [سورة المؤمنون (٢٣) : آية ٥٢]وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون (٥٢)وإن هذه أمتكم أي واعلموا أن هذه ملتكم وشريعتكم التي أنتم عليها أمة واحدة أي ملة واحدة، وهي شريعة الإسلام. إسلام الوجه لله تعالى بعبادته وحده.كقوله: إن الدين عند الله الإسلام [آل عمران: ١٩] ، (فالأمة) هنا بمعنى الملة والدين وأنا ربكم أي من غير شريك

---

(١) تفسير القاسمي = محاسن التأويلالقاسمي ٢١١/٧

(٢) تفسير القاسمي = محاسن التأويلالقاسمي ٢٧٥/٧

فاتقون أي فخافوا عقابي، في مفارقة الدين والجماعة. قيل: إنه اختير على قوله: (فاعبدون) الواقع في سورة الأنبياء، لأنه أبلغ في التخويف، لذكره بعد إهلاك الأمم، بخلاف ما ثمة وهذا بناء على أنه **تذييل** للقصص السابقة، أو لقصة عيسى عليه الصلاة والسلام، لا ابتداء كلام. فإنه حينئذ لا يفيده. إلا أن يراد أنه وقع في الحكاية لهذه المناسبة. كذا في (العناية) .ثم قص ما وقع من أمم الرسل بعدهم من مخالفة الأمر، بقوله تعالى:القول في تأويل قوله تعالى: [سورة المؤمنون (٢٣) : الآيات ٥٣ الى ٥٤]فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون (٥٣) فذرهم في غمرتهم حتى حين (٥٤)فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا أي جعلوا دينهم بينهم قطعا وفرقا منوعة كل حزب بما لديهم فرحون أي كل فرقة من فرق هؤلاء المختلفين المتقطعين دينهم، فرح بباطله، مطمئن النفس، معتقد أنه على الحق فذرهم في غمرتهم أي في جهالتهم، ومشيهم مع هواهم، ونبذهم كتاب الله حتى حين أي إلى وقت يستفيقون فيه من سباتهم، بظهور دين الله وعلو كلمته وهزم عدوه. وشبه جهالتهم بالماء الذي يغمر القامة، لأنهم مغمورون فيها.القول في تأويل قوله تعالى: [سورة المؤمنون (٢٣) : الآيات ٥٥ الى ٥٦]أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين (٥٥) نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون (٥٦)أيحسبون أنما نمدهم به أي نعطيهم إياه، ونجعله مددا لهم من مال وبنين." (١)

"فإنهم أوضحوا السبل، فلم يكن لهم في ذلك عذر، ولكنهم لم يفعلوا، عنادا وكبرا.القول في تأويل قوله تعالى: [سورة العنكبوت (٢٩) : الآيات ٣٩ الى ٤٠]وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين (٣٩) فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون (٤٠)وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين أي فائتين الله سبحانه. بل لحقهم عذابه فدمرهم تدميرا. ولذا قال فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا أي ريحا عاصفا، فيها حصباء، وهم قوم لوط ومنهم من أخذته الصيحة كمدين وثمود ومنهم من خسفنا به الأرض كقارون ومنهم من أغرقنا كقوم نوح وفرعون وقومه وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون أي يفعل ما يوجب ذلك، من البغي والفساد.القول في تأويل قوله تعالى: [سورة العنكبوت (٢٩) : الآيات ٤١ الى ٤٤]مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون (٤١) إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم (٤٢) وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون (٤٣) خلق الله السماوات والأرض بالحق إن في ذلك لآية للمؤمنين (٤٤)مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا أي تعتمد على قوته وتظنه محيطا بها، دافعا عنها الحر والبرد وإن أوهن البيوت أي أضعفها لبيت العنكبوت أي لأنه لا يحتمل مس أدنى الحيوانات وأضعف الرياح. ولا يدفع شيئا من الحر والبرد. وهذا مثلهم لو كانوا يعلمون أي شيئا ما. أو إن أولياءهم أو هي من ذلك ثم الغرض من التشبيه هو تقرير وهن دينهم، وإنه بلغ الغاية فيه، وهو إما تشبيه مركب من الهيئة المنتزعة، فمدار قطب التمثيل على أن أولياءهم بمنزلة نسج العنكبوت في ضعف الحال

(١) تفسير القاسمي = محاسن التأويلالقاسمي ٧/٢٩٢

وعدم الصلاحية للاعتماد. وعلى هذا فقوله: وإن أوهن البيوت تذييل يعرف الغرض من التشبيه. وقوله لو كانوا يعلمون إيغال في تجهيلهم. لأنهم لا يعلمونه مع وضوحه لدى من له أدنى مسكة. وإما أن يكون من." (١)

"التكشف لهم مشروط بشرط السلامة والعلم بعدم المحذور. وقوله تعالى: إن الله كان على كل شيء شهيدا أي فهو شاهد على ما تفعلنه من احتجابكن وترككن الحجاب لمن أبيح لكن تركه، وغير ذلك من أموركن، فاحذرن أن تلقينه. وهو شاهد عليكن بمعصيته وخلاف أمره ونهيه فتهلكن. قال الرازي: هذا التذييل في غاية الحسن في هذا الموضع، لأن ما سبق إشارة إلى جواز الخلوة بهم والتكشف لهم، فقال: إن الله شاهد عند اختلاء بعضكم ببعض. فخلوتكم مثل ملتكم بشهادة الله تعالى فاتقوا. انتهى.القول في تأويل قوله تعالى: [سورة الأحزاب (٣٣) : آية ٥٦]إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما (٥٦)إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما قال الرازي: لما أمر الله المؤمنين بالاستئذان وعدم النظر إلى وجوه نسائه احتراما، كمل بيان حرمته. وذلك لأن حالته منحصرة في اثنتين: حالة خلوته وذكر ما يدل على احترامه في تلك الحالة بقوله لا تدخلوا بيوت النبي [الأحزاب: ٥٣] ، وحالة يكون في ملأ. والملأ إما الملأ الأعلى وإما الملأ الأدنى، أما في الملأ الأعلى فهو محترم. فإن الله وملائكته يصلون عليه. وأما في الملأ الأدنى فذلك واجب الاحترام بقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما انتهى.وقد روى البخاري «١» عن أبي العالية قال: صلاة الله: ثناؤه عليه عند الملائكة.وصلاة الملائكة الدعاء. وقال ابن عباس: يصلون يبركون. أي يدعون له بالبركة.فيوافق قول أبي العالية، لكنه أخص منه. وبالجملة، فالصلاة تكون بمعنى التمجيد والدعاء والرحمة، على حسب ما أضيفت إليه في التنزيل أو الأثر. وقد أطنب الإمام ابن القيم في (جلاء الأفهام) في مبحث معنى الصلاة، وأطال فأطاب. فلينظر.وفي البخاري «٢» عن كعب بن عجرة رضي الله عنه، أنه قيل: يا رسول الله! أما السلام عليك فقد عرفناه. فكيف الصلاة عليك؟ قال: قولوا: اللهم! صلي على______________(١) أخرجه البخاري في: التفسير، ٣٣- سورة الأحزاب، ١٠- باب إن الله وملائكته يصلون على النبي. [.....](٢) أخرجه البخاري في: التفسير، ٣٣- سورة الأحزاب، ١٠- باب إن الله وملائكته يصلون على النبي، حديث رقم ١٥٩١.." (٢)

"والاحتراز عن إجابتها في الذين كفروا منهم، وأن الإسلام على أساس ملة إبراهيم وهو التوحيد، وأن اليهودية والنصرانية ليستا ملة إبراهيم، وأن من ذلك الرجوع إلى استقبال الكعبة ادخره الله للمسلمين آية على أن الإسلام هو القائم على أساس الحنيفية، وذكر شعائر الله بمكة، وإبكات أهل الكتاب في طعنهم على تحويل القبلة، وأن العناية بتزكية النفوس أجدر من العناية باستقبال الجهات: ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب [البقرة: ١٧٧] . وذكروا بنسخ الشرائع لصلاح الأمم وأنه لا بدع في نسخ شريعة التوراة أو الإنجيل بما هو خير منهما.ثم عاد إلى محاجة المشركين بالاستدلال بآثار صنعة الله: إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك إلخ [البقرة: ١٦٤] ، ومحاجة المشركين في يوم يتبرأون فيه من قادتهم، وإبطال مزاعم دين الفريقين في محرمات من الأكل:يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم

---

(١) تفسير القاسمي = محاسن التأويلالقاسمي ٥٥٥/٧

(٢) تفسير القاسمي = محاسن التأويلالقاسمي ١٠٦/٨

[البقرة: ١٧٢] ، وقد كمل ذلك بذكر صنف من الناس قليل وهم المشركون الذين لم يظهروا الإسلام ولكنهم أظهروا مودة المسلمين: ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا [البقرة: ٢٠٤] .ولما قضى حق ذلك كله بأبدع بيان وأوضح برهان، انتقل إلى قسم تشريعات الإسلام إجمالا بقوله: ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب [البقرة: ١٧٧] ، ثم تفصيلا: القصاص، الوصية، الصيام، الاعتكاف، الحج، الجهاد، ونظام المعاشرة والعائلة، المعاملات المالية، والإنفاق في سبيل الله، والصدقات، والمسكرات، واليتامى، والمواريث، والبيوع والربا، والديون، والإشهاد، والرهن، والنكاح، وأحكام النساء، والعدة، والطلاق، والرضاع، والنفقات، والأيمان.وختمت السورة بالدعاء المتضمن لخصائص الشريعة الإسلامية وذلك من جوامع الكلم فكان هذا الختام **تذييلا** وفذلكة: ما في السماوات وما في الأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه [البقرة: ٢٨٤] الآيات.وكانت في خلال ذلك كله أغراض شتى سبقت في معرض الاستطراد في متفرق المناسبات تجديدا لنشاط القارئ والسامع، كما يسفر وجه الشمس إثر نزول الغيوث الهوامع، وتخرج بوادر الزهر عقب الرعود القوارع، من تمجيد الله وصفاته: الله لا إله إلا هو [البقرة: ٢٥٥] ورحمته وسماحة الإسلام، وضرب أمثال: أو كصيب [البقرة: ١٩] واستحضار نظائر: وإن من الحجارة [البقرة: ٧٤]." (١)

"إنما أو تلوما لهم وإعذارا لعل منهم من يثوب إلى الهدى وقد صيغ هذا المعنى في هذا الأسلوب لما فيه من التوجيه بالتهديد لهم أن يذهب الله سمعهم وأبصارهم من نفاقهم إن لم يبتدرواالإقلاع عن النفاق وذلك يكون له وقع الرعب في قلوبهم كما وقع لعتبة بن ربيعة لما قرأ عليه النبيء صلى الله عليه وسلم: فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود [فصلت: ١٣] . فليس المقصود من اجتلاب لو في هذا الشرط إفادة ما تقتضيه (لو) من الامتناع لأنه ليس المقصود الإعلام بقدرة الله على ذلك بل المقصود إفادة لازم الامتناع وهو أن توفر أسباب إذهاب البرق والرعد أبصارهم الواقعين في التمثيل متوفرة وهي كفران النعمة الحاصلة منهما إذ إنما رزقوهما للتبصر في الآيات الكونية وسماع الآيات الشرعية فلما أعرضوا عن الأمرين كانوا أحرياء بسلب النعمة إلا أن الله لم يشأ ذلك إمهالا لهم وإقامة للحجة عليهم فكانت لو مستعملة مجازا مرسلا في مجرد التعليق إظهارا لتوفر الأسباب لولا وجود المانع على حد قول أبي بن سلمى بن ربيعة من شعراء «الحماسة» يصف فرسه:ولو طار ذو حافر قبلها ... لطارت ولكنه لم يطرأي توفر فيها سبب الطيران، فالمعنى لو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم بزيادة ما في البرق والرعد من القوة فيفيد بلوغ الرعد والبرق قرب غاية القوة، ويكون لقوله: إن الله على كل شيء قدير موقع عجيب.وقوله: إن الله على كل شيء قدير **تذييل**، وفيه ترشيح للتوجيه المقصود للتهديد زيادة في تذكيرهم وإبلاغا لهم وقطعا لمعذرتهم في الدنيا والآخرة.[٢١][سورة البقرة (٢) : آية ٢١]يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون (٢١)استئناف ابتدائي ثنى به العنان إلى موعظة كل فريق من الفرق الأربع المتقدم ذكرها موعظة تليق بحاله بعد أن قضى حق وصف كل فريق منهم بخلاله، ومثلت حال كل فريق وضربت له أمثاله فإنه لما استوفى أحوالا

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٠٥/١

للمؤمنين وأضدادهم من المشركين والمنافقين لا جرم تهيأ المقام لخطاب عمومهم بما ينفعهم إرشادا لهم ورحمة بهم لأنه لا يرضى لهم الضلال ولم." (١)

"حريص ما استطاع أن لا يؤثر عنه الغلط والخطأ وكفى بذلك وازعا عن تعمده وكفى بعلمه مظنة لإصابة الصواب فحصل المقصود من الشهادة.وقوله: إن كنتم صادقين اعتراض في آخر الكلام وتذييل. أتى بإن الشرطية التي الأصل في شرطها أن يكون غير مقطوع بوقوعه لأن صدقهم غير محتمل الوقوع وإن كنتم صادقين في أن القرآن كلام بشر وأنكم أتيتم بمثله.والصدق ضد الكذب وهما وصفان للخبر لا يخلو عن أحدهما فالصدق أن يكون مدلول الكلام الخبري مطابقا ومماثلا للواقع في الخارج أي في الوجود الخارجي احترازا عن الوجود الذهني، والكذب ضد الصدق وهو أن يكون مدلول الكلام الخبري غير مطابق أي غير مماثل للواقع في الخارج، والكلام موضوع للصدق وأما الكذب فاحتمال عقلي والإنشاء لا يوصف بصدق ولا كذب إذ لا معنى لمطابقته لما في نفس الأمر لأنه إيجاد للمعنى لا للأمور الخارجية. هذا معنى الصدق والكذب في الإطلاق المشهور. وقد يطلق الكذب صفة ذم فيلاحظ في معناه حينئذ أن مخالفته للواقع كانت عن تعمد فتوهم الجاحظ أن ماهية الكذب تتقوم من عدم مطابقة الخبر للواقع وللاعتقاد معا وسرى هذا التقوم إلى ماهية الصدق فجعل قوامها المطابقة للخارج والاعتقاد معا ومن هنا أثبت الواسطة بينالصدق والكذب، وقريب منه قول الراغب، ويشبه أن يكون الخلاف لفظيا ومحل بسطه في علمي الأصول والبلاغة.والمعنى إن كنتم صادقين في دعوى أن القرآن كلام بشر، فحذف متعلق (صادقين) لدلالة ما تقدم عليه، وجواب الشرط محذوف تدل عليه جملة مقدرة بعد جملة: وادعوا شهداءكم من دون الله إذ التقدير فتأتون بسورة من مثله ودل على الجملة المقدرة قوله قبلها: فأتوا بسورة من مثله وتكون الجملة المقدرة دليلا على جواب الشرط فتصير جملة إن كنتم صادقين تكريرا للتحدي.وفي هذه الآية إثارة لحماسهم إذ عرض بعدم صدقهم فتتوفر دواعيهم على المعارضة.." (٢)

"وتوبة بمعنى الندم والرجوع إلى التزام حسن السلوك، وتوبة الله عليه بمعنى الرضى لا بمعنى غفران الذنوب، وظلم النفس بمعنى التسبب في حرمانها من لذات كثيرة بسبب لذة قليلة فهو قد خالف ما كان ينبغي أن لا يخالفه ويدل لذلك قوله بعد ذلك: فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي إلى قوله خالدون [البقرة: ٣٨، ٣٩] فإنه هو الذي بين به لهم أن المعصية بعد ذلك اليوم جزاؤها جهنم فأورد علي بعض الحذاق من طلبة الدرس أنه إذا لم يكن العالم عالم تكليف فكيف كفر إبليس باعتراضه وامتناعه من السجود؟ فأجبته بأن دلالة ألوهية الله تعالى في ذلك العالم حاصلة بالمشاهدة حصولا أقوى من كل دلالة زيادة على دلالة العقل لأن إبليس شاهد بالحس الدلائل على تفرده تعالى بالألوهية والخلق والتصرف المطلق وبعلمه وحكمته واتصافه بصفات الكمال كما حصل العلم بمثله للملائكة فكان اعتراضه على فعله والتغليط إنكارا لمقتضى تلك الصفات فكان مخالفة لدلائل الإيمان فكفر به. وأما الأمر والنهي والطاعة والمعصية وجزاء ذلك فلا يتلقى إلا بالإخبارات الشرعية وهي لم تحصل يومئذ وإنما حصلت بقوله تعالى لهم: فمن تبع هداي الآية فظهر الفرق.وقرأ الجمهور

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٣٢٣/١

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٣٤١/١

آدم بالرفع وكلمات بالنصب، وقرأه ابن كثير بنصب (آدم) ورفع (كلمات) على تأويل (تلقى) بمعنى بلغته كلمات فيكون التلقي مجازا عن البلوغ بعلاقة السببية.وقوله: إنه هو التواب الرحيم تذييل وتعليل للجملة السابقة وهي فتاب عليه لأنه يفيد مفادها مع زيادة التعميم والتذييل من الإطناب كما تقرر في علم المعاني. ومعنى المبالغة في التواب أنه الكثير القبول للتوبة أي لكثرة التائبين فهو مثال مبالغة من تاب المتعدي بعلى الذي هو بمعنى قبول التوبة إيذان بأن ذلك لا يخص تائبا دون آخر وهو تذييل لقوله: فتلقى آدم من ربه المؤذن بتقدير تاب آدم فتاب الله عليه على جعل التواب بمعنى الملهم لعباده الكثيرين أن يتوبوا فإن أمثلة المبالغة قد تجيء من غير التكاثر فالتوابها معناه الملهم التوبة وهو كناية عن قبول توبة التائب.وتعقيبه بالرحيم لأن الرحيم جار مجرى العلة للتواب إذ قبوله التوبة عن عباده ضرب من الرحمة بهم وإلا لكانت التوبة لا تقتضي إلا نفع التائب نفسه بعدم العود للذنب حتى تترتب عليه الآثام، وأما الإثم المترتب فكان من العدل أن يتحقق عقابه لكن الرحمة سبقت العدل هنا بوعد من الله.." (١)

"فقد اقتضاه الإخبار عنهم بأصحاب النار المقتضي للملازمة ثم التصريح بقوله: هم فيها خالدون.ويحتمل أنه تذييل ذيلت به قصة آدم لمناسبة ذكر المهتدين وليس من المقول له، والمقصود من هذا التذييل تهديد المشركين والعود إلى عرض قوله تعالى: يا أيها الناس اعبدوا ربكم [البقرة: ٢١] وقوله: كيف تكفرون بالله [البقرة: ٢٨] فتكون الواو في قوله:والذين كفروا اعتراضية والمراد بالذين كفروا الذين أنكروا الخالق وأنكروا أنبياءه وجحدوا عهده كما هو اصطلاح القرآن والمعنى والذين كفروا بي وبهداي كما دلت عليه المقابلة.والآيات جمع آية وهي الشيء الدال على أمر من شأنه أن يخفى، ولذلك قيل لأعلام الطريق آيات لأنهم وضعوها للإرشاد إلى الطرق الخفية في الرمال، وتسمى الحجة آية لأنها تظهر الحق الخفي، كما قال الحارث بن حلزة:من لنا عنده من الخير آيا ... ت ثلاث في كلهن القضاءيعني ثلاث حجج على نصحهم وحسن بلائهم في الحرب وعلى اتصالهم بالملك عمرو بن هند. وسمى الله الدلائل على وجوده وعلى وحدانيته وعلى إبطال عقيدة الشرك آيات، فقال: وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين [الأنعام: ٤] وقال:وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون [الأنعام: ٩٧] إلى قوله: إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون [الأنعام: ٩٩] وقال:وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها [الأنعام: ١٠٩] وسمى القرآن آية فقال: وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله– إلى قوله– أولميكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهمفي سورة العنكبوت [٥٠، ٥١] . وسمى أجزاءه آيات فقال: وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا [الحج: ٧٢] وقال: المر تلك آيات الكتاب والذي أنزل إليك من ربك الحق [الرعد: ١] لأن كل سورة من القرآن يعجز البشر عن الإتيان بمثلها كما قال تعالى: فأتوا بسورة من مثله [البقرة: ٢٣] ، فكان دالا على صدق الرسول فيما جاء به وكانت جمله آيات لأن بها بعض المقدار المعجز، ولم تسم أجزاء الكتب السماوية

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٤٣٩/١

الأخرى آيات، وأما ما ورد في حديث الرجم أن ابن صوريا حين نشر التوراة وضع يده على آية الرجم فذلك على تشبيه الجزء من التوراة بالجزء من القرآن وهو من تعبير راوي الحديث.وأصل الآية عند سيبويه." (١)

"وقد يرى الإنسان عيب غيره لأنه يشاهده ولا يرى عيب نفسه لأنه لا يشاهدها ولأن العادة تنسيه حاله. ودواء هذا النسيان هو محاسبة النفس فيكون البر راجعا إلى جميع ما تضمنته الأوامر السابقة من التفاصيل فهم قد أمروا غيرهم بتفاصيلها ونسوا أنفسهم عند سماعها وذلك يشمل التصديق بدين الإسلام لأنه من جملة ما تضمنته التوراة التي كانوا يأمرون الناس بما فيها.وجملة: وتنسون أنفسكم يجوز أن تكون حالا من ضمير تأمرون أو يكون محل التوبيخ والتعجب هو أمر الناس بالبر بقيد كونه في حال نسيان، ويجوز أن تكون الجملة معطوفة على تأمرون وتكون هي المقصودة من التوبيخ والتعجيب ويجعل قوله: أتأمرون الناس تمهيدا لها على معنى أن محل الفظاعة الموجبة للنهي هي مجموع الأمرين.وبهذا تعلم أنه لا يتوهم قصد النهي عن مضمون كلا الجملتين إذ القصد هو التوبيخ على اتصاف بحالة فظيعة ليست من شيم الناصحين لا قصد تحريم فلا تقع في حيرة من تحير في وجه النهي عن ذلك ولا في وهم من وهم فقال: إن الآية دالة على أن العاصي لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر كما نقل عنهم الفخر في «التفسير» فإنه ليس المقصود نهي ولا تحريم وإنما المقصود تفظيع الحالة ويدل لذلك أنه قال في تذييلها أفلا تعقلون ولم يقل أفلا تتقون أو نحوه.والأنفس جمع نفس- بسكون الفاء- وهي مجموع ذات الإنسان من الهيكل والروح كما هنا وباعتبار هذا التركيب الذي في الذات اتسع إطلاق النفس في كلام العرب تارة على جميع الذات كما في التوكيد نحو جاء فلان نفسه وقوله: النفس بالنفس [المائدة: ٤٥] وقوله:تقتلون أنفسكم [البقرة: ٨٥] وتارة على البعض كقول القائل أنكرت نفسي وقوله:وتنسون أنفسكم وعلى الإحساس الباطني كقوله: تعلم ما في نفسي [المائدة: ١١٦] أي ضميري. وتطلق على الروح الذي به الإدراك إن النفس لأمارة بالسوء [يوسف: ٥٣] وسيأتي لهذا زيادة إيضاح عند قوله تعالى: يوم تأتي كل نفس في سورة النحل [١١١] .وقوله: وأنتم تتلون الكتاب جملة حالية قيد بها التوبيخ والتعجيب لأن نسيان أنفسهم يكون أغرب وأفظع إذا كان معهم أمران يقلعانه، وهما أمر الناس بالبر، فإن شأن الأمر بالبر." (٢)

"بدت مثل قرن الشمس في رونق الضحى ... وصورتها أو أنت في العين أملحفليست (أو) للتخيير في التشبيه أي ليست عاطفة على قوله الحجارة المجرورة بالكاف لأن تلك لها موقع ما إذا كرر المشبه به كما قدمناه عند قوله تعالى: أو كصيب من السماء [البقرة: ١٩] . ويجوز أن تكون للتخيير في الأخبار عطفا على الخبر الذي هو كالحجارة أي فهي مثل الحجارة أو هي أقوى من الحجارة والمقصود من التخيير أن المتكلم يشير إلى أنه لا يرمي بكلامه جزافا ولا يذمهم تحاملا بل هو متثبت متحر في شأنهم فلا يثبت لهم إلا ما تبين له بالاستقراء والتقصي فإنه ساواهم بالحجارة في وصف ثم تقصى فرأى أنهم فيه أقوى فكأنه يقول للمخاطب إن شئت فسوهم بالحجارة في القسوة ولك أن تقول هم أشد منها وذلك يفيد مفاد الانتقال الذي تدل عليه بل وهو إنما يحسن في مقام الذم لأن فيه تلطفا وأما في مقام المدح فالأحسن هو التعبير ببل كقول

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٤٤٥/١

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٤٧٦/١

الفرزدق:فقالت لنا أهلا وسهلا وزودت ... جنى النحل بل ما زودت منه أطيبووجه تفضيل تلك القلوب على الحجارة في القساوة أن القساوة التي اتصفت بها القلوب مع كونها نوعا مغايرا لنوع قساوة الحجارة قد اشتركا في جنس القساوة الراجعة إلى معنى عدم قبول التحول كما تقدم فهذه القلوب قساوتها عند التمحيص أشد من قساوةالحجارة لأن الحجارة قد يعتريها التحول عن صلابتها وشدتها بالتفرق والتشقق وهذه القلوب لم تجد فيها محاولة.وقوله: وإن من الحجارة لما يتفجر إلخ تعليل لوجه التفضيل إذ من شأنه أن يستغرب، وموقع هذه الواو الأولى في قوله: وإن من الحجارة عسير فقيل: هي للحال من الحجارة المقدرة بعد (أشد) أي أشد من الحجارة قسوة، أي تفضيل القلوب على الحجارة في القسوة يظهر في هذه الأحوال التي وصفت بها الحجارة ومعنى التقييد أن التفضيل أظهر في هذه الأحوال، وقيل هي الواو للعطف على قوله: فهي كالحجارة أو أشد قسوة قاله التفتازاني، وكأنه يجعل مضمون هذه المعطوفات غير راجع إلى معنى تشبيه القلوب بالحجارة في القساوة بل يجعلها إخبارا عن مزايا فضلت بها الحجارة على قلوب هؤلاء بما يحصل عن هذه الحجارة من منافع في حين تعطل قلوب هؤلاء من صدور النفع بها، وقيل: الواو استئنافية وهو **تذييل** للجملة السابقة وفيه بعد كما صرح به ابن عرفة، والظاهر أنها الواو." (١)

"إما مرسلا بالإطلاق والتقييد، وإما تمثيلا للهيئة عند التكوين بهيئة المكلف إذ ليست للحجارة خشية إذ لا عقل لها. وقد قيل إن إسناد (يهبط) للحجر مجاز عقلي والمراد هبوط القلوب أي قلوب الناظرين إلى الصخور والجبال أي خضوعها فأسند الهبوط إليها لأنها سببه كما قالوا ناقة تاجرة أي تبعث من يراها على المساومة فيها (١) .وقوله: وما الله بغافل عما تعملون **تذييل** في محل الحال أي فعلتم ما فعلتم وما الله بغافل عن كل صنعكم.وقد قرأه الجمهور بالتاء الفوقية تكملة خطاب بني إسرائيل، وقرأ ابن كثير ويعقوب وخلف (يعملون) بالياء التحتية وهو انتقال من خطابهم إلى خطاب المسلمين فلذلك غير أسلوبه إلى الغيبة وليس ذلك من الالتفات لاختلاف مرجع الضميرين لأن تفريع قوله:أفتطمعون أن يؤمنوا لكم [البقرة: ٧٥] عليه دل على أن الكلام نقل من خطاب بني إسرائيل إلى خطاب المسلمين. وهو خبر مراد به التهديد والوعيد لهم مباشرة أو تعريضا.[٧٥][سورة البقرة (٢) : آية ٧٥]أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون (٧٥)هذا اعتراض استطرادي بين القصة الماضية والقصة التي أولها: وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون [البقرة: ٨٣] فجميع الجمل من قوله تعالى: أفتطمعون إلى قوله:وإذ أخذنا داخلة في هذا الاستطراد.والفاء لتفريع الاستفهام الإنكاري أو التعجيبي على جملة ثم قست [البقرة: ٧٤] أو على مجموع الجمل السابقة لأن جميعها مما يقتضي اليأس من إيمانهم بما جاء به النبيء صلى الله عليه وسلم فكأنه قيل: فلا تطمعوا أن يؤمنوا لكم أو فاعجبوا من طمعكم، وسيأتي تحقيق موقع الاستفهام مع حرف العطف في مثله عند قوله تعالى: أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم [البقرة: ٨٧] .والطمع ترقب حصول شيء محبوب وهو يرادف الرجاء وهو

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٥٦٤/١

ضد اليأس، والطمع يتعدى بفي حذفت هنا قبل (أن) .ــــــــــــــــ(١) قال النابغة يصف نخلا:بزاخية ألوت بليف كأنه ... عفاء قلاص طار عنها تواجر." (١)

"الإسلام ففسروا (عند) بمعنى الكتاب أو على حذف مضاف أو حذف موصول ثم سلك متعقبوهم في إعرابه غاية الإغراب.وقوله: أفلا تعقلون من بقية مقولهم لقومهم ولا يصح جعله خطابا من الله للمسلمين **تذييلا** لقوله: أفتطمعون أن يؤمنوا لكم [البقرة: ٧٥] لأن المسلمين وفيهم الرسول صلى الله عليه وسلم ليسوا جديرين بمثل هذا التوبيخ وحسبهم ما تضمنه الاستفهام من الاستغراب أو النهي.فإن قلت: لم لم يذكر في الآية جواب المخاطبين بالتبرؤ من أن يكونوا حدثوا المؤمنين بما فتح الله عليهم كما ذكر في قوله المتقدم: وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزؤن؟قلت: ليس القرآن بصدد حكاية مجادلاتهم وأحوالهم فإنها أقل من ذلك وإنما يحكى منها ما فيه شناعة حالهم وسوء سلوكهم ودوام إصرارهم وانحطاط أخلاقهم فتبريهم مما نسب إليه كبراؤهم من التهمة معلوم، للقطع بأنهم لم يحدثوا المسلمين بشيء ولما دل عليه قوله الآتي أولا يعلمون أن الله يعلم إلخ. وأما ما في الآية المتقدمة من تنصلهم بقولهم إنا معكم فلأن فيه التسجيل عليهم في قولهم فيه: إنما نحن مستهزؤن.وقوله: أولا يعلمون الآية، الاستفهام فيه على غير حقيقته فهو إما مجاز في التقرير أي ليسوا يعلمون ذلك والمراد التقرير بلازمه وهو أنه إن كان الله يعلمه فقد علمه رسوله وهذا لزوم عرفي ادعائي في المقام الخطابي أو مجاز في التوبيخ والمعنى هو هو، أو مجاز في التحضيض أي هل كان وجود أسرار دينهم في القرآن موجبا لعلمهم أن الله يعلم ما يسرون والمراد لازم ذلك أي يعلمون أنه منزل عن الله أي هلا كان ذلك دليلا على صدق الرسول عوض عن أن يكون موجبا لتهمة قومهم الذين تحققوا صدقهم في اليهودية، وهذا الوجه هو الظاهر لي ويرجحه التعبير بيعلمون بالمضارع دون علموا.وموقع الاستفهام مع حرف العطف في قوله: أفلا تعقلون وقوله: أولا يعلمون سيأتي على نظائره وخلاف علماء العربية فيه عند قوله تعالى: أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم [البقرة: ٨٧] .." (٢)

"ومن كسب سيئة وأحاطت به خطيئاته فأولئك أصحاب النار فأنتم منهم لا محالة على حد قول لبيد:تمنى ابنتاي أن يعيش أبوهما ... وهل أنا إلا من ربيعة أو مضرأي فلا أخلد كما لم يخلد بنو ربيعة ومضر، فمن في قوله: من كسب سيئة شرطية بدليل دخول الفاء في جوابها وهي في الشرط من صيغ العموم فلذلك كانت مؤذنة بجملة محذوفة دل عليها تعقيب (بلى) بهذا العموم لأنه لو لم يرد به أن المخاطبين من زمر هذا العموم لكان ذكر العموم بعدها كلاما متناثرا ففي الكلام إيجاز الحذف ليكون المذكور كالقضية الكبرى لبرهان قوله: بلى.والمراد بالسيئة هنا السيئة العظيمة وهي الكفر بدليل العطف عليها بقوله:وأحاطت به خطيئته.وقوله: وأحاطت به خطيئته الخطيئة اسم لما يقترفه الإنسان من الجرائم وهي فعيلة بمعنى مفعولة من خطى إذا أساء، والإحاطة مستعارة لعدم الخلو عن الشيء لأن ما يحيط بالمرء لا يترك له منفذا للإقبال على غير ذلك قال تعالى: وظنوا أنهم أحيط بهم [يونس: ٢٢] وإحاطة الخطيئات هي حالة الكفر لأنها تجريء على جميع الخطايا ولا يعتبر مع الكفر عمل صالح كما دل عليه قوله: ثم كان من الذين آمنوا [البلد: ١٧] . فلذلك لم تكن في هذه الآية

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٥٦٦/١

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٥٧٢/١

حجة للزاعمين خلود أصحاب الكبائر من المسلمين في النار إذ لا يكون المسلم محيطة به الخطيئات بل هو لا يخلو من عمل صالح وحسبك من ذلك سلامة اعتقاده من الكفر وسلامة لسانه من النطق بكلمة الكفر الخبيثة.والقصر المستفاد من التعريف في قوله: فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون قصر إضافي لقلب اعتقادهم.وقوله: والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون **تذييل** لتعقيب النذارة بالبشارة على عادة القرآن.والمراد بالخلود هنا حقيقته.." (١)

"في الفداء أي تفدوهم فداء حريصا، فاستعمال فادى هنا مسلوب المفاضلة مثلعافاه الله وقول امرئ القيس:فعادى عداء بين ثور ونعجة ... دراكا فلم ينضح بماء فيغسلوقرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو وحمزة وأبو جعفر وخلف تفادوهم بفتح الفوقية وإسكان الفاء دون ألف بعد الفاء.والمحرم الممنوع ومادة حرم في كلام العرب للمنع، والحرام الممنوع منعا شديدا أو الممنوع منعا من قبل الدين، ولذلك قالوا: الأشهر الحرم وشهر المحرم.وقوله: أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض استفهام إنكاري توبيخي أي كيف تعمدتم مخالفة التوراة في قتال إخوانكم واتبعتموها في فداء أسراهم، وسمي الإتباع والإعراض إيمانا وكفرا على طريقة الاستعارة لتشويه المشبه وللإنذار بأن تعمد المخالفة للكتاب قد تفضي بصاحبها إلى الكفر به، وإنما وقع فتؤمنون في حيز الإنكار تنبيها على أن الجمع بين الأمرين عجيب وهو مؤذن بأنهم كادوا أن يجحدوا تحريم إخراجهم أو لعلهم جحدوا ذلك وجحد ما هو قطعي من الدين مروق من الدين.والفاء عاطفة على تقتلون أنفسكم، وما عطف عليه، عطفت الاستفهام أو عطفت مقدرا دل عليه الاستفهام وسيأتي تحقيق ذلك قريبا عند قوله أفكلما جاءكم رسول [البقرة: ٨٧] .والفاء في قوله: فما جزاء من يفعل ذلك منكم فصيحة عاطفة على محذوف دل عليه الاستفهام الإنكاري أو عاطفة على نفس الاستفهام لما فيه من التوبيخ. وقال عبد الحكيم: إن الجملة معترضة والاعتراض بالفاء وهذا بعيد معنى ولفظا، وأما الأول فلأن الاعتراض في آخر الكلام المعبر عنه **بالتذييل** لا يكون إلا مفيدا لحاصل ما تقدم وغير مفيد حكما جديدا وأما الثاني فلأن اقتران الجملة المعترضة بحرف غير الواو غير معروف في كلامهم.والخزي بالكسر ذل في النفس طارئ عليها فجأة لإهانة لحقتها أو معرة صدرت منها أو حيلة وغلبة تمشت عليها وهو اسم لما يحصل من ذلك وفعله من باب سمع فمصدره بفتح الخاء، والمراد بالخزي ما لحق باليهود بعد تلك الحروب من المذلة بإجلاء النضير عن ديارهم وقتل قريظة وفتح خيبر وما قدر لهم من الذل بين الأمم.." (٢)

"والإشراب هو جعل الشيء شاربا، واستعير لجعل الشيء متصلا بشيء وداخلا فيه ووجه الشبه هو شدة الاتصال والسريان لأن الماء أسرى الأجسام في غيره ولذا يقول الأطباء الماء مطية الأغذية والأدوية ومركبها الذي تسافر به إلى أقطار البدن فلذلك استعاروا الإشراب لشدة التداخل استعارة تبعية قال بعض الشعراء:تغلغل حب عثمة في فؤادي ... فباديه مع الخافي يسير (١)تغلغل حيث لم يبلغ شراب ... ولا حزن ولم يبلغ سرورومنه قولهم أشرب الثوب الصبغ، قال الراغب: من عادتهم إذا أرادوا مخامرة حب وبغض أن يستعيروا لذلك اسم الشراب اهـ. وقد اشتهر المعنى المجازي فهجر استعمال الإشراب

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٥٨١/١

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٥٩١/١

بمعنى السقي وذكر القلوب قرينة على أن إشراب العجل على تقدير مضاف من شأن القلب مثل عبادة العجل أو تأليه العجل. وإنما جعل حبهم العجل إشرابا لهم للإشارة إلى أنه بلغ حبهم العجل مبلغ الأمر الذي لا اختيار لهم فيه كأن غيرهم أشربهم إياه كقولهم أولع بكذا وشغف.والعجل مفعول أشربوا على حذف مضاف مشهور في أمثاله من تعليق الأحكام وإسنادها إلى الذوات مثل حرمت عليكم الميتة [المائدة: ٣] أي أكل لحمها. وإنما شغفوا به استحسانا واعتقادا أنه إلههم وأن فيه نفعهم لأنهم لما رأوه من ذهب قدسوه من فرط حبهم الذهب. وقد قوي ذلك الإعجاب به بفرط اعتقادهم ألوهيته ولذلك قال تعالى:بكفرهم فإن الاعتقاد يزيد المعتقد توغلا في حب معتقده.وإسناد الإشراب إلى ضمير ذواتهم ثم توضيحه بقوله: في قلوبهم مبالغة وذلك مثل ما يقع في بدل البعض والاشتمال وما يقع في تمييز النسبة. وقريب منه قوله تعالى:إنما يأكلون في بطونهم نارا [النساء: ١٠] وليس هو مثل ما هنا لأن الأكل متمحض لكونه منحصرا في البطن بخلاف الإشراب فلا اختصاص له بالقلوب.وقوله: قل بئسما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين **تذييل** واعتراض ناشيء عن قولهم سمعنا وعصينا هو خلاصة لإبطال قولهم: نؤمن بما أنزل علينا [البقرة: ٩١] بعد أن أبطل ذلك______________(١) ذكر هذه الأبيات القرطبي في «تفسيره» وقال إنها لأحد النابغتين أي النابغة الذبياني أو النابغة الجعدي في زوجته عثمة كان عتب عليها في بعض الأمر فطلقها وكان محبا لها. وبعدهما:أكاد إذا ذكرت العهد منها ... أطير لو أن إنسانا يطير." [1]

"الثانية: (ميكائل) بهمزة بعد الألف وبلا ياء بعد الهمزة وبها قرأ نافع.الثالثة: (ميكال) بدون همز ولا ياء وبها قرأ أبو عمرو وحفص وهي لغة أهل الحجاز.وقوله: فإن الله عدو للكافرين جواب الشرط. والعدو مستعمل في معناه المجازي وهو ما يستلزمه من الانتقام والهلاك وأنه لا يفلته كما قال النابغة:فإنك كالليل الذي هو مدركي البيت.وقوله تعالى: ووجد الله عنده فوفاه حسابه [النور: ٣٩] وما ظنك بمن عاداه الله.ولهذا ذكر اسم الجلالة بلفظه الظاهر ولم يقل فإني عدو أو فإنه عدو لما يشعر به الظاهر هنا من القدرة العظيمة على حد قول الخليفة: «أمير المؤمنين يأمر بكذا» حثا على الامتثال.والمراد بالكافرين جميع الكافرين وجيء بالعام ليكون دخولهم فيه كإثبات الحكم بالدليل، وليدل على أن الله عاداهم لكفرهم، وأن تلك العداوة كفر، ولتكون الجملة **تذييلا** لما قبلها.[٩٩- ١٠١][سورة البقرة (٢) : الآيات ٩٩ إلى ١٠١]ولقد أنزلنا إليك آيات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون (٩٩) أوكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون (١٠٠) ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون (١٠١)عطف على قوله: قل من كان عدوا لجبريل [البقرة: ٩٧] عطف القصة على القصة لذكر كفرهم بالقرآن فهو من أحوالهم. وهاته الجملة جواب لقسم محذوف فعطفها على قل من كان عدوامن عطف الإنشاء على الإنشاء وفيه زيادة إبطال لقولهم: نؤمن بما أنزل علينا [البقرة: ٩١] .وفي الانتقال إلى خطاب النبيء صلى الله عليه وسلم إقبال عليه وتسلية له عما لقي منهم وأن ما أنزلإليه لا يكذب به إلا من لا يؤبه بتكذيبه لكون هذا المنزل دلائل واضحة لا تقصر عن إقناعهم

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٦١١/١

بأحقيتها ولكنهم يظهرون أنفسهم أنهم لم يوقنوا بحقيتها.واللام موطئة لقسم محذوف فهنا جملة قسم وجوابه حذف القسم لدلالة اللام عليه.وقوله: وما يكفر بها إلا الفاسقون عطف على لقد أنزلنا فهو جواب للقسم أيضا.." (١)

"وقد دلت هذه الآية على مشروعية أصل من أصول الفقه- وهو من أصول المذهب المالكي- يلقب بسد الذرائع وهي الوسائل التي يتوسل بها إلى أمر محظور.وقوله تعالى: واسمعوا أريد به سماع خاص وهو الوعي ومزيد التلقي حتى لا يحتاجوا إلى طلب المراعاة أو النظر وقيل: أراد من (اسمعوا) امتثلوا لأوامر الرسول قاله ابن عطية وهو أظهر.وقوله: وللكافرين عذاب أليم التعريف للعهد. والمراد بالكافرين اليهود خاصة أي تأدبوا أنتم مع الرسول ولا تتأسوا باليهود في أقوالهم: فلهم عذاب أليم، والتعبير بالكافرين دون اليهود زيادة في ذمهم. وليس هنا من **التذييل** لأن الكلام السابق مع المؤمنين فلا يصلح ما بعده من تعميم حكم الكافرين **لتذييل** ما قبله.[١٠٥][سورة البقرة (٢) : آية ١٠٥]ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم (١٠٥)فصله عما قبله لاختلاف الغرضين، لأن الآية قبله في تأديب المؤمنين مع التعريض باليهود وهذه الآية لبيان حسد اليهود وغيرهم للمسلمين. ووجه المناسبة بين الآيتين ظاهر لاتحاد المآل ولأن الداعي للسب والأذى هو الحسد.وهذه الآية رجوع إلى كشف السبب الذي دعا لامتناع اليهود من الإيمان بالقرآن لما قيل لهم آمنوا بما أنزل الله فقالوا: نؤمن بما أنزل علينا [البقرة: ٩١] أي ليس الصارف لهم تمسكهم بما أنزل إليهم بل هو الحسد على ما أنزل على النبيء والمسلمين من خير، فبين أدلة نفي كون الصارف لهم هو التصلب والتمسك بدينهم بقوله: قل فلم تقتلون أنبياء الله [البقرة: ٩١] وما تخلل ذلك ونشأ عنه من المجادلات وبيان إعراضهم عن أوامر دينهم واتباعهم السحر وبين الآن حقيقة الصارف عن الإيمان بالقرآن والموجب للشتم وقول البهتان ليتخلص من ذلك إلى بيان النسخ.و (الود) بضم الواو المحبة ومن أحب شيئا تمناه فليس الود هو خصوص التمني ولا المحبة." (٢)

"كانت مشيئته أي إرادته جارية على وفق حكمته التي هي من كيفيات علم الله تعالى فهي منتعلقات العلم الإلاهي بإبراز الحوادث على ما ينبغي وقد تقدم الكلام عليها عند قوله تعالى: إنك أنت العليم الحكيم [البقرة: ٣٢] فالله يختص برحمته من علم أنه حقيق بها لا سيما الرحمة المراد منها النبوءة فإن الله يختص بها من خلقه قابلا لها فهو يخلقه على صفاء سريرة وسلامة فطرة صالحة لتلقي الوحي شيئا فشيئا قال تعالى: ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما [يوسف: ٢٢] وقال: الله أعلم حيث يجعل رسالته [الأنعام: ١٢٤] ولذلك لم تكن النبوءة حاصلة بالاكتساب لأن الله يخلق للنبوءة من أراده لها لخطر أمرها بخلاف غيرها من الفضائل فهو ممكن الاكتساب كالصلاح والعلم وغيرهما فرب فاسق صلحت حاله ورب جاهل مطبق صار عالما بالسعي والاكتساب ومع هذا فلا بد لصاحبها من استعداد في الجملة ثم وراء ذلك التوفيق وعناية الله تعالى بعبده. ولما كانت الاستعدادات لمراتب الرحمة من النبوءة فما دونها غير بادية للناس طوى بساط تفصيلها لتعذره ووكل إلى مشيئة الله التي لا تتعلق إلا بما علمه واقتضته حكمته سبحانه رفقا بأفهام المخاطبين.وقوله: والله ذو الفضل

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٦٢٤/١

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٦٥٢/١

العظيم تذييل لأن الفضل يشمل إعطاء الخير والمعاملة بالرحمة، وتنبيه على أن واجب مريد الخير التعرض لفضل الله تعالى والرغبة إليه في أن يتجلى عليه بصفة الفضل والرحمة فيتخلى عن المعاصي والخبائث ويتحلى بالفضائل والطاعات عسى أن يحبه ربهوفي الحديث الصحيح «تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة» .[١٠٦][سورة البقرة (٢) : آية ١٠٦]ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير (١٠٦)ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها.مناسبة هذه الآية للآيات قبلها أن اليهود اعتذروا عن إعراضهم عن الإيمان بالنبيء صلى الله عليه وسلم بقولهم: نؤمن بما أنزل علينا [البقرة: ٩١] وأرادوا به أنهم يكفرون بغيره، وهم في عذرهم ذلك يدعون أن شريعتهم لا تنسخ ويقولون إن محمدا وصف التوراة بأنها حق وأنه جاء مصدقا لها فكيف يكون شرعه مبطلا للتوراة ويموهون على الناس بما سموه البداء وهو لزوم أن يكون الله تعالى غير عالم بما يحسن تشريعه وأنه يبدو له الأمر ثم يعرض عنه ويبذل شريعة بشريعة.وقد قدمنا أن الله تعالى رد عليهم عذرهم وفضحهم بأنهم ليسوا متمسكين بشرعهم حتى يتصلبوا فيه وذلك من قوله: قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل [البقرة: ٩١] وقوله:." (١)

"وقوع الفعل بل يقتضيان عدمه. والمقصود التحذير من تطرق الشك في صلاحية الأحكام المنسوخة قبل نسخها لا في صلاحية الأحكام الناسخة عند وقوعها.وقوله: ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل تذييل للتحذير الماضي للدلالة على أن المحذر منه كفر أو يفضي إلى الكفر لأنه ينافي حرمة الرسول والثقة به وبحكم الله تعالى، ويحتمل أن المراد بالكفر أحوال أهل الكفر أي لا تتبدلوا بآدابكم تقلد عوائد أهل الكفر في سؤالهم كماقال صلى الله عليه وسلم في حديث «الصحيحين» : «فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم»وإطلاق الكفر على أحوال أهله وإن لم تكن كفرا شائع في ألفاظ الشريعة وألفاظ السلف كما قالت جميلة بنت عبد الله بن أبي زوجة ثابت بن قيس: «إني أكره الكفر» تريد الزنا، فإذن ذكر جملة بعد جملة يؤذن بمناسبة بين الجملتين فإذا لم يكن مدلول الجملتين واضح التناسب علم المخاطب أن هنالك مناسبة يرمز إليها البليغ فهنا تعلم أن الارتداد عن الإيمان إلى الكفر معنى كلي عام يندرج تحته سؤالهم الرسول كما سأل بنو إسرائيل موسى فتكون تلك القضية كفرا وهو المقصود من التذييل المعرف في باب الإطناب بأنه تعقيب الجملة بجملة مشتملة على معناها تتنزل منزلة الحجة على مضمون الجملة وبذلك يحصل تأكيد معنى الجملة الأولى وزيادة فالتذييل ضرب من ضروب الإطناب من حيث يشتمل على تقرير معنى الجملة الأولى ويزيد عليه بفائدة جديدة لها تعلق بفائدة الجملة الأولى. وأبدعه ما أخرج مخرج الأمثال لما فيه من عموم الحكم ووجيز اللفظ مثل هاته الآية، وقول النابغة:ولست بمستبق أخا لا تلمه ... على شعث أي الرجال المهذبوالمؤكد بجملة: ومن يتبدل الكفر بالإيمان هو مفهوم جملة أم تريدون أن تسئلوا رسولكم مفهوم الجملة التي قبلها لا منطوقها فهي كالتذييل الذي في بيت النابغة.والقول في تعدية فعل يتبدل مضى عند قوله تعالى: قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير [البقرة: ٦١] .وقد جعل قوله: فقد ضل جوابا لمن الشرطية لأن المراد من الضلال أعظمه وهو الحاصل عقب تبدل الكفر بالإيمان ولا شبهة في كون الجواب

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١/٦٥٤

مترتبا على الشرط ولايريبك في ذلك وقوع جواب الشرط فعلا ماضيا مع أن الشرط إنما هو تعليق على المستقبل ولا اقتران الماضي بقد الدالة على تحقق المضي لأن هذا استعمال عربي جيد يأتون بالجزاء ماضيا لقصد." (١)

"والعفو ترك عقوبة المذنب. والصفح- بفتح الصاد- مصدر صفح صفحا إذا أعرض لأن الإنسان إذا أعرض عن شيء ولاه من صفحة وجهه، وصفح وجهه أي جانبه وعرضه وهو مجاز في عدم مواجهته بذكر ذلك الذنب أي عدم لومه وتثريبه عليه وهو أبلغ من العفو كما نقل عن الراغب ولذلك عطف الأمر به على الأمر بالعفو لأن الأمر بالعفو لايستلزمه ولم يستغن باصفحوا لقصد التدريج في أمرهم بما قد يخالف ما تميل إليه أنفسهم من الانتقام تلطفا من الله مع المسلمين في حملهم على مكارم الأخلاق.وقوله: حتى يأتي الله بأمره أي حتى يجيء ما فيه شفاء غليلكم قيل هو إجلاء بني النضير وقتل قريظة، وقيل الأمر بقتال الكتابيين أو ضرب الجزية.والظاهر أنه غاية مبهمة للعفو والصفح تطمينا لخواطر المأمورين حتى لا ييأسوا من ذهاب أذى المجرمين لهم بطلا وهذا أسلوب مسلوك في حمل الشخص على شيء لا يلائمه كقول الناس حتى يقضي الله أمرا كان مفعولا فإذا جاء أمر الله بترك العفو انتهت الغاية، ومن ذلك إجلاء بني النضير.ولعل في قوله: إن الله على كل شيء قدير تعليما للمسلمين فضيلة العفو أي فإن الله قدير على كل شيء وهو يعفو ويصفحوفي الحديث الصحيح «لا أحد أصبر على أذى يسمعه من الله عز وجل يدعون له ندا وهو يرزقهم»، أو أراد أنه على كل شيء قدير فلو شاء لأهلكهم الآن ولكنه لحكمته أمركم بالعفو عنهم وكل ذلك يرجع إلى الائتساء بصنع الله تعالى وقد قيل: إن الحكمة كلها هي التشبه بالخالق بقدر الطاقة البشرية. فجملة إن الله على كل شيء قدير **تذييل** مسوق مساق التعليل، وجملة فاعفوا واصفحوا إلى قوله: وقالوا لن يدخل [البقرة: ١١١] تفريع مع اعتراض فإن الجملة المعترضة هي الواقعة بين جملتين شديدتي الاتصال من حيث الغرض المسوق له الكلام والاعتراض هو مجيء ما لم يسق غرض الكلام له ولكن للكلام والغرض به علاقة وتكميلا وقد جاء التفريع بالفاء هنا في معنى تفريع الكلام على الكلام لا تفريع معنى المدلول على المدلول لأن معنى العفو لا يتفرع عن ود أهل الكتاب ولكن الأمر به تفرع عن ذكر هذا الود الذي هو أذى وتجيء الجملة المعترضة بالواو وبالفاء بأن يكون المعطوف اعتراضا. وقد جوزه صاحب «الكشاف» عند قوله تعالى: فسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون في سورة النحل [٤٣] ، وجوزه ابن هشام في «مغني اللبيب» واحتج له." (٢)

"بقوله تعالى: فالله أولى بهما [النساء: ١٣٥] على قول ونقل بعض تلامذة الزمخشري أنه سئل عن قوله تعالى في سورة عبس [١١- ١٣] إنها تذكرة فمن شاء ذكره في صحف مكرمة أنه قال لا يصح أن تكون جملة فمن شاء ذكره اعتراضا لأن الاعتراض لا يكون مع الفاء ورده صاحب «الكشاف» بأنه لا يصح عنه لمنافاته كلامه في آية سورة النحل.وقوله تعالى: وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة أريد به الأمر بالثبات على الإسلام فإنالصلاة والزكاة ركناه فالأمر بهما يستلزم الأمر بالدوام على ما أنتم عليه على طريق الكناية.وقوله: وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله مناسب للأمر بالثبات على الإسلام وللأمر بالعفو والصفح. وفيه تعريض باليهود بأنهم لا يقدرون قدر عفوكم وصفحكم ولكنه لا يضيع عند الله

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٦٦٧/١

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٦٧١/١

ولذلك اقتصر على قوله: عند الله قال الحطيئة:من يفعل الخير لا يعدم جوائزه ... لا يذهب العرف بين الله والناسوقوله تعالى: إن الله بما تعملون بصير **تذييل** لما قبله. والبصير العليم كما تقدم، وهو كناية عن عدم إضاعة جزاء المحسن والمسيء لأن العليم القدير إذا علم شيئا فهو يرتب عليه ما يناسبه إذ لا يذهله جهل ولا يعوزه عجز، وفي هذا وعد لهم يتضمن وعيدا لغيرهم لأنه إذا كان بصيرا بما يعمل المسلمون كان بصيرا بما يعمل غيرهم.[١١١، ١١٢][سورة البقرة (٢) : الآيات ١١١ إلى ١١٢]وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين (١١١) بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون (١١٢)عطف على ود كثير [البقرة: ١٠٩] وما بينهما من قوله: فاعفوا واصفحوا [البقرة:١٠٩] الآية اعتراض كما تقدم.والضمير لأهل الكتاب كلهم من اليهود والنصارى بقرينة قوله بعده: إلا من كان هودا أو نصارى. ومقول القول مختلف باختلاف القائل فاليهود قالت لن يدخل الجنة إلا من كان هودا، والنصارى قالت لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى، جمع القرآن بين قوليهما على طريقة الإيجاز بجمع ما اشتركا فيه وهو نفي دخول الجنة عن المستثنى منه المحذوف لأجل تفريع الاستثناء، ثم جاء بعده تفريق ما اختص به كل فريق وهو قوله:هودا أو نصارى." (١)

"وتقديم الجار والمجرور على متعلقه وهو قال إما لمجرد الاهتمام ببيان المماثلةوإما ليغني عن حرف العطف في الانتقال من كلام إلى كلام إيجازا بديعا لأن مفاد حرف العطف التشريك ومفاد كاف التشبيه التشريك إذ التشبيه تشريك في الصفة. ولأجل الاهتمام أو لزيادته أكد قوله كذلك بقوله مثل قولهم فهو صفة أيضا لمعمول قالوا المحذوف أي قالوا مقولا مثل قولهم. ولك أن تجعل كذلك تأكيدا لمثل قولهم وتعتبر تقديمه من تأخير، والأول أظهر.وجوز صاحب «الكشف» وجماعة أن لا يكون قوله: مثل قولهم أو قوله:كذلك تأكيدا للآخر وأن مرجع التشبيه إلى كيفية القول ومنهجه في صدوره عن هوى، ومرجع المماثلة إلى المماثلة في اللفظ فيكون على كلامه تكريرا في التشبيه من جهتين للدلالة على قوة التشابه.وقوله: فالله يحكم بينهم الآية، جاء بالفاء لأن التوعد بالحكم بينهم يوم القيامة وإظهار ما أكنته ضمائرهم من الهوى والحسد متفرع عن هذه المقالات ومسبب عنها وهو خبر مراد به التوبيخ والوعيد والضمير المجرور بإضافة (بين) راجع إلى الفرق الثلاث و (ما كانوا فيه يختلفون) يعم ما ذكر وغيره. والجملة **تذييل**.[١١٤][سورة البقرة (٢) : آية ١١٤]ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم (١١٤)عطف على وقالت اليهود ليست النصارى على شيء [البقرة: ١١٣] باعتبار ما سبق ذلك من الآيات الدالة على أفانين أهل الكتاب في الجراءة وسوء المقالة أي أن قولهم هذا وما تقدمه ظلم ولا كظلم من منع مساجد الله وهذا استطراد واقع معترضا بين ذكر أحوال اليهود والنصارى لذكر مساوئ المشركين في سوء تلقيهم دعوة الإسلام الذي جاء لهديهم ونجاتهم.والآية نازلة في مشركي العرب كما في رواية عطاء عن ابن عباس وهو الذي يقتضيه قوله: أولئك ما كان لهم

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٦٧٢/١

أن يدخلوها إلا خائفين الآية كما سيأتي وهي تشير إلى منع أهل مكة النبيء صلى الله عليه وسلم والمسلمين من الدخول لمكة كما جاء في حديث سعد بن معاذ." (١)

"وقد قيل إن هذه الآية إذن للرسول صلى الله عليه وسلم بأن يتوجه في الصلاة إلى أية جهة شاء، ولعل مراد هذا القائل أن الآية تشير إلى تلك المشروعية لأن الظاهر أن الآية نزلت قبيل نسخ استقبال بيت المقدس إذ الشأن توالي نزول الآيات وآية نسخ القبلة قريبة الموقع من هذه، والوجه أن يكون مقصد الآية عاما كما هو الشأن فتشمل الهجرة من مكة والانصرافعن استقبال الكعبة.وتقديم الظرف للاختصاص أي أن الأرض لله تعالى فقط لا لهم، فليس لهم حق في منع شيء منها عن عباد الله المخلصين.ووجه الله بمعنى الذات وهو حقيقة لغوية تقول: لوجه زيد أي ذاته كما تقدم عند قوله: من أسلم وجهه لله [البقرة: ١١٢] وهو هنا كناية عن عمله فحيث أمرهم باستقبال بيت المقدس فرضاه منوط بالامتثال لذلك، وهو أيضا كناية رمزية عن رضاه بهجرة المؤمنين في سبيل الدين لبلاد الحبشة ثم للمدينة ويؤيد كون الوجه بهذا المعنى قوله في **التذييل**: إن الله واسع عليم فقوله: واسع **تذييل** لمدلول ولله المشرق والمغرب والمراد سعة ملكه أو سعة تيسيره والمقصود عظمة الله، أنه لا جهة له وإنما الجهات التي يقصد منها رضى الله تفضل غيرها وهو عليم بمن يتوجه لقصد مرضاته، وقد فسرت هذه الآية بأنها المراد بها القبلة في الصلاة.[١١٦][سورة البقرة (٢) : آية ١١٦]وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما في السماوات والأرض كل له قانتون (١١٦)الضمير المرفوع بقالوا عائد إلى جميع الفرق الثلاث وهي اليهود والنصارى والذين لا يعلمون إشارة إلى ضلال آخر اتفق فيه الفرق الثلاث.وقد قرىء بالواو (وقالوا) على أنه معطوف على قوله وقالت اليهود [البقرة: ١١٣] وهي قراءة الجمهور. وقرأه ابن عامر بدون واو عطف وكذلك ثبتت الآية في المصحف الإمام الموجه إلى الشام فتكون استئنافا كأن السامع بعد أن سمع ما مر من عجائب هؤلاء الفرق الثلاث جمعا وتفريقا تسنى له أن يقول لقد أسمعتنا من مساويهم عجبا فهل انتهت مساويهم أم لهم مساو أخرى لأن ما سمعناه مؤذن بأنها مساو لا تصدر إلا عن فطر خبيثة.." (٢)

"الدنيا ملاذ على وجه الاستدراج، والمسألة معدودة في مسائل الخلاف بين الأشعري والماتريدي، ويشبه أن يكون الخلاف بينهما لفظيا وإن عده السبكي في عداد الخلاف المعنوي.وقوله: ثم أضطره إلى عذاب النار احتراس من أن يغتر الكافر بأن تخويله النعم في الدنيا يؤذن برضى الله فلذلك ذكر العذاب هنا.و (ثم) للتراخي الرتبي كشأنها في عطف الجمل من غير التفات إلى كون مصيره إلىالعذاب متأخرا عن تمتيعه بالمتاع القليل.والاضطرار في الأصل الالتجاء وهو بوزن افتعل مطاوع أضره إذا صيره ذا ضرورة أي حاجة، فالأصل أن يكون اضطر قاصرا لأن أصل المطاوعة عدم التعدي ولكن الاستعمال جاء على تعديته إلى مفعول وهو استعمال فصيح غير جار على قياس يقال اضطره إلى كذا أي ألجأه إليه، ونظير هذه الآية قوله تعالى في سورة لقمان [٢٤] :نمتعهم قليلا ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ.وقوله: وبئس المصير **تذييل** والواو للاعتراض أو للحال والخبر محذوف هو المخصوص بالذم وتقديره هي.[١٢٧][سورة البقرة (٢) : آية ١٢٧]وإذ

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٦٧٨/١

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٦٨٣/١

يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم (١٢٧)هذه منقبة ثالثة لإبراهيم عليه السلام، وتذكير بشرف الكعبة، ووسيلة ثالثة إلى التعريض بالمشركين بعد قوله: ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة [البقرة:١٢٨] إلخ، وتمهيد للرد على اليهود إنكارهم استقبال الكعبة الذي يجيء عند قوله تعالى:سيقول السفهاء [البقرة: ١٤٢] ولأجل استقلالها بهاته المقاصد الثلاثة التي تضمنتها الآيات قبلها عطفت على سوابقها مع الاقتران بإذ تنبيها على الاستقلال.وخولف الأسلوب الذي يقتضيه الظاهر في حكاية الماضي أن يكون بالفعل الماضي بأن يقول وإذ رفع إلى كونه بالمضارع لاستحضار الحالة." (١)

"وقوله: إنك أنت العزيز الحكيم تذييل لتقريب الإجابة أي لأنك لا يغلبك أمر عظيم ولا يعزب عن علمك وحكمتك شيء. والحكيم بمعنى المحكم هو فعيل بمعنى مفعل وقد تقدم نظيره في قوله تعالى: ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون [البقرة: ١٠] وقوله: قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم [البقرة: ٣٢] .[١٣٠، ١٣١][سورة البقرة (٢) : الآيات ١٣٠ إلى ١٣١]ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين (١٣٠) إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين (١٣١)موقع هاته الآيات من سوابقها موقع النتيجة بعد الدليل، فإنه لما بين فضائل إبراهيم من قوله: وإذ ابتلى [البقرة: ١٢٤] إلى هنا علم أن صاحب هاته الفضائل لا يعدل عن دينه والاقتداء به إلا سفيه العقل أفن الرأي، فمقتضى الظاهر أن تعطف على سوابقها بالفاء وإنما عدل من الفاء إلى الواو ليكون مدلول هذه الجملة مستقلا بنفسه في تكميل التنويه بشأن إبراهيم وفي أن هذا الحكم حقيق بملة إبراهيم من كل جهة لا من خصوص ما حكى عنه في الآيات السالفة وفي التعريض بالذين حادوا عن الدين الذي جاء متضمنا لملة إبراهيم، والدلالة عن التفريع لا تفوت لأن وقوع الجملة بعد سوابقها متضمنة هذا المعنى دليل على أنها نتيجة لما تقدم كما تقول أحسن فلان تدبير المهم وهو رجل حكيم ولا تحتاج إلى أن تقول فهو رجل حكيم.والاستفهام للإنكار والاستبعاد، واستعماله في الإنكار قد يكون مع جواز إرادة قصد الاستفهام فيكون كناية، وقد يكون مع عدم جواز إرادة معنى الاستفهام فيكون مجازا في الإنكار ويكون معناه معنى النفي، والأظهر أنه هنا من قبيل الكناية فإن الإعراض عن ملة إبراهيم مع العلم بفضلها ووضوحها أمر منكر مستبعد. ولما كان شأن المنكر المستبعد أن يسأل عن فاعله استعمل الاستفهام في ملزومه وهو الإنكار والاستبعاد على وجه الكناية مع أنه لو سئل عن هذا المعرض لكان السؤال وجيها، والاستثناء قرينة عن إرادة النفي واستعمال اللفظ في معنيين كنائيين، أو ترشيح للمعنى الكنائي وهما الإنكار. والاستفهام لا يجيء فيه ما قالوا في استعمال اللفظ المشترك في معنييه واستعمال اللفظ." (٢)

"يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا [الأنفال: ٢٩] وقد كان يوم بدر فارقا بين الحق والباطل لأنه أول يوم ظهر فيه نصر المسلمين الضعفاء على المشركين الأقوياء، وهو نصر المحقين الأذلة على الأعزة المبطلين، وكفى بذلك فرقانا وتمييزا بين من هم على الحق، ومن هم على الباطل.فإضافة يوم إلى الفرقان إضافة تنويه به وتشريف، وقوله: يوم التقى

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٧١٧/١

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٧٢٤/١

الجمعان بدل من يوم الفرقان فإضافة يوم إلى جملة: التقى الجمعان للتذكير بذلك الالتقاء العجيب الذي كان فيه نصرهم على عدوهم. والتعريف في الجمعان للعهد. وهما جمع المسلمين وجمع المشركين.وقوله: والله على كل شيء قدير اعتراض **بتذييل** الآيات السابقة وهو متعلق ببعض جملة الشرط في قوله: وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان فإن ذلك دليل على أنه لا يتعاصى على قدرته شيء، فإن ما أسداه إليكم يوم بدر لم يكن جاريا على متعارف الأسباب المعتادة، فقدرة الله قلبت الأحوال وأنشأت الأشياء من غير مجاريها ولا يبعد أن يكون من سبب تسمية ذلك اليوم يوم الفرقان أنه أضيف إلى الفرقان الذي هو لقب القرآن، فإن المشهور أن ابتداء نزول القرآن كان يوم سبعة عشر من رمضان، فيكون من استعمال المشترك في معنييه.[٤٢][سورة الأنفال (٨) : آية ٤٢]إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضي الله أمرا كان مفعولا ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وإن الله لسميع عليم (٤٢)إذ بدل من يوم التقى الجمعان [الأنفال: ٤١] فهو ظرف ل أنزلنا [الأنفال: ٤١] أي زمن أنتم بالعدوة الدنيا، وقد أريد من هذا الظرف وما أضيف إليه تذكيرهم بحالة حرجة كان المسلمون." (١)

"والهلاك: الموت والاضمحلال، ولذلك قوبل بالحياة. والهلاك والحياة مستعاران لمعنى ذهاب الشوكة، ولمعنى نهوض الأمة وقوتها، لأن حقيقة الهلاك الموت، وهو أشد الضر فلذلك يشبه بالهلاك كل ما كان ضرا شديدا، قال تعالى: يهلكون أنفسهم [التوبة:٤٢] ، وبضده الحياة هي أنفع شيء في طبع الإنسان فلذلك يشبه بها ما كان مرغوبا، قال تعالى: لينذر من كان حيا [يس: ٧٠] وقد جمع التشبيهين قوله تعالى: أومن كان ميتا فأحييناه [الأنعام: ١٢٢] . فإن الكفار كانوا في عزة ومنعة، وكان المسلمون في قلة، فلما قضى الله بالنصر للمسلمين يوم بدر أخفق أمر المشركين ووهنوا، وصار أمر المسلمين إلى جدة ونهوض، وكان كل ذلك، عن بينة، أي عن حجة ظاهرة تدل على تأييد الله قوما وخذله آخرين بدون ريب.ومن البعيد حمل ليهلك ويحيى على الحقيقة لأنه وإن تحمله المعنى في قوله:ليهلك من هلك فلا يتحمله في قوله: ويحيى من حي لأن حياة الأحياء ثابتة لهممن قبل يوم بدر.ودل معنى المجاوزة الذي في عن على أن المعنى، أن يكون الهلاك والحياة صادرين عن بينة وبارزين منها.وقرأ نافع، والبزي عن ابن كثير، وأبو بكر عن عاصم، ويعقوب، وخلف «حيي» بإظهار الياءين، وقرأه البقية: «حي» بإدغام إحدى الياءين في الأخرى على قياس الإدغام وهما وجهان فصيحان.وعن للمجاوزة المجازية، وهي بمعنى (بعد) ، أي: بعد بينة يتبين بها سبب الأمرين: هلاك من هلك، وحياة من حيي.وقوله: وإن الله لسميع عليم **تذييل** يشير إلى أن الله سميع دعاء المسلمين طلب النصر، وسميع ما جرى بينهم من الحوار في شأن الخروج إلى بدر ومن مودتهم أن تكون غير ذات الشوكة هي إحدى الطائفتين التي يلاقونها، وغير ذلك، وعليم بما يجول في خواطرهم من غير الأمور المسموعة وبما يصلح بهم ويبني عليه مجد مستقبلهم.." (٢)

"وجملة: إنه عليم بذات الصدور **تذييل** للمنة، أي: أوحى إلى رسوله بتلك الرؤيا الرمزية، لعلمه بما في الصدور البشرية من تأثر النفوس بالمشاهدات والمحسوسات أكثر مما تتأثر بالاعتقادات، فعلم أنه لو أخبركم بأن المشركين ينهزمون، واعتقدتم

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٥/١٠

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢١/١٠

ذلك لصدق إيمانكم، لم يكن ذلك الاعتقاد مثيرا في نفوسكم من الشجاعة والإقدام ما يثيره اعتقادي أن عددهم قليل، لأن الاعتقاد بأنهم ينهزمون لا ينافي توقع شدة تنزل بالمسلمين، من موت وجراح قبل الانتصار، فأما اعتقاد قلة العدو فإنها تثير في النفوس إقداما واطمئنان بال، فلعلمه بذلك أراكهم الله في منامك قليلا.ومعنى بذات الصدور الأحوال المصاحبة لضمائر النفوس، فالصدور أطلقت على ما حل فيها من النوايا والمضمرات، فكلمة ذات بمعنى صاحبة، وهي مؤنث (ذو) أحد الأسماء الخمسة، فأصل ألفها الواو ووزنها (ذوت) انقلبت واوها ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها، قال في «الكشاف» في تفسير سورة فاطر [٣٨] في قوله تعالى: إنه عليم بذات الصدور هي تأنيث ذو، وذو موضوع لمعنى الصحبة من قوله:لتغني عني ذا إنائك أجمعا (١) يعني أن ذات الصدور الحالة التي قرارها الصدور فهي صاحبتها وساكنتها، فذات الصدور النوايا والخواطر وما يهم به المرء وما يدبره ويكيده.[٤٤][سورة الأنفال (٨) : آية ٤٤]وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم ليقضي الله أمرا كان مفعولا وإلى الله ترجع الأمور (٤٤)وإذ يريكموهم عطف على إذ يريكهم الله [الأنفال: ٤٣] وهذه رؤية بصر أراها الله الفريقين على خلاف ما في نفس الأمر، فكانت خطأ من الفريقين، ولم يرها النبيء صلى الله عليه وسلمولذلك عديت رؤيا المنام الصادقة إلى ضمير النبيء، في قوله:___________(١) أوله، إذا قال قلت بالله حلفة.يذكر ضيفا أي إذا شرب الضيف من إناء اللبن وقال: قدني، أي حسبي أقسمت عليه بالله لتغني عني اذائك أجمعا فاللام في (لتغني) لام القسم وهي مفتوحة وتغنى أي تبعد عني، يقولون أغن عني وجهك أي أبعده وأراد: لا ترجعه إلى. وذا انائك: أي ما في إنائك من اللبن وهو مفعول (تغني) أي حلفت عليه ليشربن جميع ما في الإناء. والياء لتحتيه في قوله: لتغني مفتوحة فتحة بناء، فإن أصله لتغنين بنون توكيد فحذفها تخفيفا وأبقى الفتحة التي كانت قبلها دليلا على أنها محذوفة.." (١)

"ثم إن المشركين لما برزوا لقتال المسلمين ظهر لهم كثرة المسلمين فبهتوا، وكغان ذلك بعد المناجزة، فكان ملقيا الرعب في قلوبهم، وذلك ما حكاه في سورة آل عمران [١٣] قوله: ترونهم مثليهم رأي العين.وخولف الأسلوب في حكاية إراءة المشركين، وحكاية إراءة المسلمين، لأنالمشركين كانوا عددا كثيرا فناسب أن يحكى تقليلهم بإراءتهم قليلا، المؤذنة بأنهم ليسوا بالقليل. وأما المسلمون فكانوا عددا قليلا بالنسبة لعدوهم، فكان المناسب لتقليلهم: أن يعبر عنه بأنه «تقليل» المؤذن بأنه زيادة في قلتهم.وجملة: وإلى الله ترجع الأمور تذييل معطوف على ما قبله عطفا اعتراضيا، وهو اعتراض في آخر الكلام، وهذا العطف يسمى: عطفا اعتراضيا، لأنه عطف صوري ليست فيه مشاركة في الحكم، وتسمى الواو اعتراضية. والتعريف في قوله: الأمور للاستغراق، أي جميع الأشياء.والرجوع هنا مستعمل في الأول وانتهاء الشيء، والمراد رجوع أسبابها، أي إيجادها، فإن الأسباب قد تلوح جارية بتصرف العباد وتأثير الحوادث، ولكن الأسباب العالية، وهي الأسباب التي تتصاعد إليها الأسباب المعتادة، لا يتصرف فيها إلا الله وهو مؤثرها وموجدها. على أن جميع الأسباب، عاليها وقريبها، متأثر بما أودع الله فيها من القوى والنواميس والطبائع، فرجوع الجميع إليه، ولكنه رجوع متفاوت على حسب جريه على النظام المعتاد، وعدم جريه، فإيجاد الأشياء قد يلوح حصوله بفعل بعض الحوادث والعباد، وهو عند التأمل الحق راجع إلى إيجاد الله

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٥/١٠

تعالى خالق كل صانع. والذوات وأحوالها كلها من الأمور، ومآلها كله رجوع، فهذا ليس رجوع ذوات ولكنه رجوع تصرف، كالذي في قوله: إنا لله وإنا إليه راجعون [البقرة: ١٥٦] .والمعنى: ولا عجب في ما كونه الله من رؤية الجيشين على خلاف حالهما في نفس الأمر، فإن الإراءة المعتادة ترجع إلى ما وضعه الله من الأسباب المعتادة، والإراءة غير المعتادة راجعة إلى أسباب يضعها الله عند إرادته.." (١)

"والمعنى: وتزول قوتكم ونفوذ أمركم، وذلك لأن التنازع يفضي إلى التفرق، وهو يوهن أمر الأمة، كما تقدم في معنى الفشل.ثم أمرهم الله بشيء يعم نفعه المرء في نفسه وفي علاقته مع أصحابه، ويسهل عليهم الأمور الأربعة، التي أمروا بها آنفا في قوله: فاثبتوا واذكروا الله كثيرا وفي قوله:وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا الآية. ألا وهو الصبر، فقال: واصبروا لأن الصبر هو تحمل المكروه، وما هو شديد على النفس، وتلك المأمورات كلها تحتاج إلى تحمل المكاره، فالصبر يجمع تحمل الشدائد والمصاعب، ولذلك كان قوله: واصبروا بمنزلة **التذييل**.وقوله: إن الله مع الصابرين إيماء إلى منفعة للصبر إلهية، وهي إعانة الله لمن صبر امتثالا لأمره، وهذا مشاهد في تصرفات الحياة كلها.وجملة إن الله مع الصابرين قائمة مقام التعليل للأمر، لأن حرف التأكيد في مثل هذا قائم مقام فاء التفريع، كما تقدم في مواضع.[٤٧][سورة الأنفال (٨) : آية ٤٧]ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط (٤٧)جملة: ولا تكونوا معطوفة على ولا تنازعوا [الأنفال: ٤٦] عطف نهي على نهي.ويصح أن تكون معطوفة على جملة فاثبتوا [الأنفال: ٤٥] عطف نهي على أمر، إكمالا لأسباب النجاح والفوز عند اللقاء، بأن يتلبسوا بما يدنيهم من النصر، وأن يتجنبواما يفسد إخلاصهم في الجهاد.وجيء في نهيهم عن البطر والرئاء بطريقة النهي عن التشبه بالمشركين إدماجا للتشنيع بالمشركين وأحوالهم، وتكريها للمسلمين تلك الأحوال، لأن الأحوال الذميمة تتضح مذمتها، وتنكشف مزيد الانكشاف إذا كانت من أحوال قوم مذمومين." (٢)

"ومفعول (انبذ) محذوف بقرينة ما تقدم من قوله: ثم ينقضون عهدهم [الأنفال: ٥٦] وقوله: وإما تخافن من قوم خيانة أي انبذ عهدهم.وعدي «انبذ» ب (إلى) لتضمينه معنى اردد إليهم عهدهم، وقد فهم من ذلك لا يستمر على عهدهم لئلا يقع في كيدهم وأنه لا يخونهم لأن أمره ينبذ عهده معهم ليستلزم أنه لا يخونهم.وجملة: إن الله لا يحب الخائنين **تذييل** لما اقتضته جملة: وإما تخافن من قوم خيانة إلخ تصريحا واستلزاما. والمعنى: لأن الله لا يحبهم، لأنهم متصفون بالخيانة فلا تستمر على عهدهم فتكون معاهدا لمن لا يحبهم الله ولأن الله لا يحب أن تكون أنت من الخائنين كما قال تعالى: ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إن الله لا يحب من كانخوانا أثيمافي سورة النساء [١٠٧] . وذكر القرطبي عن النحاس أنه قال: «هذا من معجز ما جاء في القرآن مما لا يوجد في الكلام مثله على اختصاره وكثرة معانيه» .قلت: وموقع (إن) فيه موقع التعليل للأمر برد عهدهم ونبذه إليهم فهي مغنية غناء فاء التفريع كما قال عبد القاهر، وتقدم في غير موضع وهذا من نكت الإعجاز.[٥٩][سورة الأنفال (٨) : آية ٥٩]ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا إنهم لا يعجزون (٥٩)تسلية النبيء

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٨/١٠

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٣٢/١٠

صلى الله عليه وسلم على ما بدأه به أعداؤه من الخيانة مثل ما فعلت قريظة، وما فعل عبد الله بن أبي سلول وغيرهم من فلول المشركين الذين نجوا يوم بدر، وطمأنة له وللمسلمين بأنهم سيدالون منهم، ويأتون على بقيتهم، وتهديد للعدو بأن الله سيمكن منهم المسلمين.والسبق مستعار للنجاة ممن يطلب، والتلفت من سلطته. شبه المتخلص من طالبه بالسابق كقوله تعالى: أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا [العنكبوت: ٤] وقال بعض بني فقعس:كأنك لم تسبق من الدهر مرة ... إذا أنت أدركت الذي كنت تطلب." (١)

"و «ما أخذ» هو مال الفداء، والخير منه هو الأوفر من المال بأن ييسر لهم أسباب الثروة بالعطاء من أموال الغنائم وغيرها. فقد أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم العباس بعد إسلامه من فيء البحرين. وإنما حملنا الخير على الأفضل من المال لأن ذلك هو الأصل في التفضيل بين شيئين أن يكون تفضيلا في خصائص النوع، ولأنه عطف عليه قوله: ويغفر لكم وذلك هو خير الآخرة المترتب على الإيمان، لأن المغفرة لا تحصل إلا للمؤمن.**والتذييل** بقوله: والله غفور رحيم للإيماء إلى عظم مغفرته التي يغفر لهم، لأنهامغفرة شديد الغفران رحيم بعباده، فمثال المبالغة وهو غفور المقتضي قوة المغفرة وكثرتها، مستعمل فيهما باعتبار كثرة المخاطبين وعظم المغفرة لكل واحد منهم.وقرأ الجمهور من الأسرى - بفتح الهمزة وراء بعد السين- مثل أسرى الأولى، وقرأها أبو عمرو، وأبو جعفر من الأسارى- بضم الهمزة وألف بعد السين وراءه- فورود هما في هذه الآية تفنن.[٧١][سورة الأنفال (٨) : آية ٧١]وإن يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم والله عليم حكيم (٧١)الضمير في يريدوا عائد إلى من في أيديكم من الأسرى. وهذا كلام خاطب به الله رسوله صلى الله عليه وسلم اطمئنانا لنفسه، وليبلغ مضمونه إلى الأسرى، ليعلموا أنهم لا يغلبون الله ورسوله. وفيه تقرير للمنة على المسلمين التي أفادها قوله: فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا [الأنفال: ٦٩] ، فكل ذلك الإذن والتطييب بالتهنئة والطمأنة بأن ضمن لهم، إن خانهم الأسرى بعد رجوعهم إلى قومهم ونكثوا عهدهم وعادوا إلى القتال، بأن الله يمكن المسلمين منهم مرة أخرى، كما أمكنهم منهم في هذه المرة، أي: أن ينووا من العهد بعدم العود إلى الغزو خيانتك، وإنما وعدوا بذلك لينجوا من القتل والرق، فلا يضركم ذلك، لأن الله ينصركم عليهم ثاني مرة. والخيانة نقض العهد وما في معنى العهد كالأمانة.." (٢)

"و «من» التي يتعدى بها فعل أمكن اتصالية مثل التي في قولهم: لست منك ولست مني. فقوله تعالى: فأمكن منهم حذف مفعوله لدلالة السياق عليه، أي أمكنك منهم يوم بدر، أي لم ينفلتوا منك.والمعنى: أنه أتاكم بهم إلى بدر على غير ترقب منكم فسلطكم عليهم.والله عليم حكيم **تذييل**، أي عليم بما في قلوبهم حكيم في معاملتهم على حسب ما يعلم منهم.[٧٢][سورة الأنفال (٨) : آية ٧٢]إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير (٧٢)هذه الآيات استئناف ابتدائي للإعلام بأحكام موالاة المسلمين للمسلمين الذين هاجروا والذين لم يهاجروا، وعدم موالاتهم للذين كفروا، نشأ عن قول العباس بن

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٥٣/١٠

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٨١/١٠

عبدالمطلب حين أسر ببدر أنه مسلم، وأن المشركين أكرهوه على الخروج إلى بدر، ولعل بعض الأسرى غيره قد قال ذلك وكانوا صادقين، فلعل بعض المسلمين عطفوا عليهم وظنوهم أولياء لهم، فأخبر الله المسلمين وغيرهم بحكم من آمن واستمر على البقاء بدار الشرك. قال ابن عطية: «مقصد هذه الآية وما بعدها تبيين منازل المهاجرين والأنصار والمؤمنين الذين لم يهاجروا والكفار، والمهاجرين بعد الحديبية وذكر نسب بعضهم عن بعض» .وتعرضت الآية إلى مراتب الذين أسلموا فابتدأت ببيان فريقين اتحدت أحكامهم في الولاية والمؤاساة حتى صاروا بمنزلة فريق واحد، وهؤلاء هم فريقا المهاجرين والأنصار." (١)

"واختلف العلماء في أن ولاية الأرحام هنا هل تشمل ولاية الميراث: فقال مالك بن أنس هذه الآية ليست في المواريث أي فهي ولاية النصر وحسن الصحبة، أي فنقصر على موردها ولم يرها مساوية للعام الوارد على سبب خاص إذ ليست صيغتها صيغة عموم، لأن مناط الحكم قوله: أولى ببعض.وقال جماعة تشمل ولاية الميراث، ثم اختلفوا فمنهم من قال: نسخت هذه الولاية بآية المواريث، فبطل توريث ذوي الأرحامبقول النبيء صلى الله عليه وسلم: «ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقي فلأولى رجل ذكر»فيكون تخصيصا للعموم عندهم.وقال جماعة يرث ذوو الأرحام وهم مقدمون على أبناء الأعمام، وهذا قول أبي حنيفة وفقهاء الكوفة، فتكون هذه الآية مقيدة لإطلاق آية المواريث، وقد علمت مما تقدم كله أن في هذه الآيات غموضا جعلها مرامي لمختلف الأفهام والأقوال. وأيا ما كانت فقدجاء بعدها من القرآن والسنة ما أغنى عن زيادة البسط.وقوله: إن الله بكل شيء عليم **تذييل** هو مؤذن بالتعليل لتقرير أولوية ذوي الأرحام بعضهم ببعض فيما فيه اعتداد بالولاية، أي إنما اعتبرت تلك الأولوية في الولاية، لأن الله قد علم أن لآصرة الرحم حقا في الولاية هو ثابت ما لم يمانعه مانع معتبر في الشرع، لأن الله بكل شيء عليم وهذا الحكم مما علم، الله أن إثباته رفق ورأفة بالأمة.." (٢)

"وذكر كلمة شيئا للمبالغة في نفي الانتقاص، لأن كلمة «شيء» نكرة عامة، فإذا وقعت في سياق النفي أفادت انتفاء كل ما يصدق عليه أنه موجود، كما تقدم في قوله تعالى: وقالت اليهود ليست النصارى على شيء في سورة البقرة [١١٣] .والمظاهرة: المعاونة، يجوز أن يكون فعلها مشتقا من الاسم الجامد وهو الظهر،أي صلب الإنسان أو البعير، لأن الظهر به قوة الإنسان في المشي والتغلب، وبه قوة البعير في الرحلة والحمل، يقال: بعير ظهير، أي قوي على الرحلة، مثل المعين لأحد على عمل بحال من يعطيه ظهره يحمل عليه، فكأنه يعيره ظهره ويعيره الآخر ظهره، فمن ثم جاءت صيغة المفاعلة، ومثله المعاضدة مشتقة من العضد، والمساعدة من الساعد، والتأييد من اليد، والمكاتفة مشتقة من الكتف، وكلها أعضاء العمل.ويجوز أن يكون فعله مشتقا من الظهور، وهو مصدر ضد الخفاء، لأن المرء إذا انتصر على غيره ظهر حاله للناس، فمثل بالشيء الذي ظهر بعد خفاء، ولذلك يعدى بحرف (على) للاستعلاء المجازي، قال تعالى: وإن تظاهرا عليه [التحريم: ٤]- وقال- كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة [التوبة: ٨]- وقال- ليظهره على الدين كله [الفتح: ٢٨]- وقال- والملائكة بعد ذلك ظهير [التحريم: ٤] أي معين.والفاء في قوله: فأتموا تفريع على ما أفاده استثناء

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٨٣/١٠

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٩٣/١٠

قوله: إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا إلخ، وهو أنهم لا تشملهم البراءة من العهد.والمدة: الأجل، مشتقة من المد لأن الأجل مد في زمن العمل، أي تطويل، ولذلك يقولون: ماد القوم غيرهم، إذا أجلوا الحرب إلى أمد، وإضافة المدة إلى ضمير المعاهدين لأنها منعقدة معهم، فإضافتها إليهم كإضافتها إلى المسلمين، ولكن رجح هنا جانبهم، لأن انتفاعهم بالأجل أصبح أكثر من انتفاع المسلمين به، إذ صار المسلمون أقوى منهم، وأقدر على حربهم.وجملة: إن الله يحب المتقين **تذييل** في معنى التعليل للأمر بإتمام العهد إلى الأجل بأن ذلك من التقوى، أي من امتثال الشرع الذي أمر الله به، لأن الإخبار بمحبة الله المتقين عقب الأمر كناية عن كون المأمور به من التقوى.." (١)

"وهو مقابل للتمثيل الذي في قوله: واقعدوا لهم كل مرصد.وجملة: إن الله غفور رحيم **تذييل** أريد به حث المسلمين على عدم التعرض بالسوء للذين يسلمون من المشركين، وعدم مؤاخذتهم لما فرط منهم، فالمعنى اغفروا لهم، لأن الله غفر لهم وهو غفور رحيم، أو اقتدوا بفعل الله إذ غفر لهم ما فرط منهم كما تعلمون فكونوا أنتم بتلك المثابة في الإغضاء عما مضى.[٦][سورة التوبة (٩) : آية ٦]وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون (٦)عطف على جملة: فإن تابوا [التوبة: ٥] لتفصيل مفهوم الشرط، أو عطف على جملة فاقتلوا المشركين [التوبة: ٥] لتخصيص عمومه، أي إلا مشركا استجارك لمصلحة للسفارة عن قومه أو لمعرفة شرائع الإسلام. وصيغ الكلام بطريقة الشرط لتأكيد حكم الجواب، وللإشارة إلى أن الشأن أن تقع الرغبة في الجوار من جانب المشركين.وجيء بحرف إن التي شأنها أن يكون شرطها نادر الوقوع للتنبيه على أن هذا شرط فرضي لكيلا يزعم المشركون أنهم لم يتمكنوا من لقاء النبيء صلى الله عليه وسلم فيتخذوه عذراللاستمرار على الشرك إذا غزاهم المسلمون.ووقع في «تفسير الفخر» أنه نقل عن ابن عباس قال: إن رجلا من المشركين قال لعلي بن أبي طالب: أردنا أن نأتي الرسول بعد انقضاء هذا الأجل لسماع كلام الله أو لحاجة أخرى فهل نقتل. فقال علي: لا إن الله تعالى قال: وإن أحد من المشركين استجارك فأجره. أي فأمنه حتى يسمع كلام الله، وهذا لا يعارض ما رأيناه من أن الشرط في قوله تعالى: وإن أحد من المشركين استجارك إلخ، شرط فرضي فإنه يقتضي أن مقالة هذا الرجل وقعت بعد نزول الآية على أن هذا المروي لم أقف عليه.وجيء بلفظ أحد من المشركين دون لفظ مشرك للتنصيص على عموم الجنس، لأن النكرة في سياق الشرط مثلها في سياق النفي- إذا لم تبن على الفتح احتملت إرادة." (٢)

"والإخوان جمع أخ في الحقيقة والمجاز، وأطلقت الأخوة هنا على المودةوالصداقة.والظرفية في قوله: في الدين مجازية: تشبيها للملابسة القوية بإحاطة الظرف بالمظروف زيادة في الدلالة على التمكن من الإسلام وأنه يجب ما قبله.ونفصل الآيات لقوم يعلمون.اعتراض **وتذييل**، والواو اعتراضية، ومناسبة موقعه عقب قوله: اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا [التوبة: ٩] أنه تضمن أنهم لم يهتدوا بآيات الله ونبذوها على علم بصحتها كقوله تعالى: أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم [الجاثية: ٢٣] ، وباعتبار ما فيه من فرض توبتهم وإيمانهم إذا أقلعوا عن إيثار الفساد على الصلاح، فكان قوله: ونفصل

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١١٣/١٠

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١١٧/١٠

الآيات لقوم يعلمونجامعا للحالين، دالا على أن الآيات المذكورة آنفا في قوله:اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا [التوبة: ٩] آيات واضحة مفصلة، وأن عدم اهتداء هؤلاء بها ليس لنقص فيها ولكنها إنما يهتدي بها قوم يعلمون، فإن آمنوا فقد كانوا من قوم يعلمون.ويفهم منه أنهم إن اشتروا بها ثمنا قليلا فليسوا من قوم يعلمون، فنزل علمهم حينئذ منزلة عدمه لانعدام أثر العلم، وهو العمل بالعلم، وفيه نداء عليهم بمساواتهم لغير أهل العقول كقوله: وما يعقلها إلا العالمون [العنكبوت: ٤٣] .وحذف مفعول يعلمون لتنزيل الفعل منزلة اللازم إذ أريد به: لقوم ذوي علم وعقل.وعطف هذا **التذييل** على جملة: فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين لأنه به أعلق، لأنهم إن تابوا فقد صاروا إخوانا للمسلمين، فصاروا من قوم يعلمون، إذ ساووا المسلمين في الاهتداء بالآيات المفصلة.ومعنى التفصيل تقدم في قوله تعالى: وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين من سورة الأنعام [٥٥] .." (١)

"ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم.جملة ابتدائية مستأنفة، لأنه ابتداء كلام ليس مما يترتب على الأمر بالقتال، بل لذكر من لم يقتلوا، ولذلك جاء الفعل فيها مرفوعا، فدل هذا النظم على أنها راجعة إلى قوم آخرين، وهم المشركون الذين خانوا وغدروا، ولم يقتلوا، بل أسلموا من قبل هذا الأمر أو بعده. وتوبة الله عليهم: هي قبول إسلامهم أو دخولهم فيه، وفي هذا إعذار وإمهال لمن تأخر. وإنما لم تفصل الجملة: للإشارة إلى أن مضمونها من بقية أحوال المشركين، فناسب انتظامها مع ما قبلها. فقد تاب الله على أبي سفيان، وعكرمة بن أبي جهل، وسليم بن أبي عمرو (ذكر هذا الثالث القرطبي ولم أقف على اسمه في الصحابة) .**والتذييل** بجملة والله عليم حكيم لإفادة أن الله يعامل الناس بما يعلم من نياتهم، وأنه حكيم لا يأمر إلا بما فيه تحقيق الحكمة، فوجب على الناس امتثال أوامره، وأنه يقبل توبة من تاب إليه تكثيرا للصلاح.[١٦][سورة التوبة (٩) : آية ١٦]أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون (١٦)أم منقطعة لإفادة الإضراب عن غرض من الكلام للانتقال إلى غرض آخر.والكلام بعد أم المنقطعة له حكم الاستفهام دائما، فقوله: حسبتم في قوة (أحسبتم) والاستفهام المقدر إنكاري.والخطاب للمسلمين، على تفاوت مراتبهم في مدة إسلامهم، فشمل المنافقين لأنهم أظهروا الإسلام.." (٢)

"و (الوليجة) فعيلة بمعنى مفعولة، أي الدخيلة، وهي الفعلة التي يخفيها فاعلها، فكأنه يولجها، أي يدخلها في مكمن بحيث لا تظهر، والمراد بها هنا: ما يشمل الخديعة وإغراءالعدو بالمسلمين، وما يشمل اتخاذ أولياء من أعداء الإسلام يخلص إليهم ويفضي إليهم بسر المسلمين، لأن تنكير وليجة في سياق النفي يعم سائر أفرادها.ومن دون الله متعلق ب وليجة في موضع الحال المبينة.ومن ابتدائية، أي وليجة كائنة في حالة تشبيه المكان الذي هو مبدأ للبعد من الله ورسوله والمؤمنين.وجملة والله خبير بما تعملون **تذييل** لإنكار ذلك الحسبان، أي: لا تحسبوا ذلك مع علمكم بأن الله خبير بكل ما تعملونه.[١٧][سورة التوبة (٩) : آية ١٧]ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون (١٧)هذا ابتداء غرض من أغراض معاملة المشركين، وهو منع المشركين من دخول

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٢٨/١٠

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١٣٧/١٠

المسجد الحرام في العام القابل، وهو مرتبط بما تضمنته البراءة في قوله: براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين [التوبة: ١] ولما اتصل بتلك الآية منبيان النبيء صلى الله عليه وسلم الذي أرسل به مع أبي بكر الصديق: أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان. وهو توطئة لقوله: يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا [التوبة: ٢٨] .وتركيب (ما كان لهم أن يفعلوا) يدل على أنهم بعداء من ذلك، كما تقدم عند قوله تعالى: ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوءة في سورة آل عمران [٧٩] ، أي ليسوا بأهل لأن يعمروا مساجد الله بما تعمر به من العبادات.." (١)

"ليسوا بمؤمنين لأنهم لو كانوا غير مؤمنين لما جعلوا مناصب دينهم مساوية للإيمان، بل لجعلوها أعظم. وإنما توهموا أنهما عملان يعدلان الجهاد، وفي الشغل بهما عذر للتخلف عن الجهاد، أو مزية دينية تساوي مزية المجاهدين.وقد دل ذكر السقاية والعمارة في جانب المشبه، وذكر من آمن وجاهد في جانب المشبه به، على أن العملين ومن عملهما لا يساويان العملين الآخرين ومن عملهما. فوقع احتباك في طرفي التشبيه، أي لا يستوي العملان مع العملين ولا عاملوا هذين بعاملي ذينك العملين. والتقدير: أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كالإيمان بالله واليوم الآخر والجهاد في سبيل الله، وجعلتم سقاية الحاج وعمار المسجد كالمؤمنين والمجاهدين في سبيل الله. ولما ذكرت التسوية في قوله: لا يستوون عند الله أسندت إلى ضمير العاملين، دون الأعمال: لأن التسوية لم يشتهر في الكلام تعليقها بالمعاني بل بالذوات.وجملة لا يستوون مستأنفة استئنافا بيانيا: لبيان ما يسأل عنه من معنى الإنكار الذي في الاستفهام بقوله: أجعلتم الآية.وجملة والله لا يهدي القوم الظالمين تذييل لجملة أجعلتم سقاية الحاج إلخ، وموقعه هنا خفي إن كانت السورة قد نزلت بعد غزوة تبوك، وكانت هذه الآية مما نزل مع السورة ولم تنزل قبلها، على ما رجحناه من رواية النعمان بن بشير في سبب نزولها، فإنه لم يبق يومئذ من يجعل سقاية الحاج وعمارة البيت تساويان الإيمان والجهاد، حتى يرد عليه بما يدل على عدم اهتدائه. وقد تقدم ما روي عن عمر بن الخطاب في سبب نزولها وهو يزيد موقعها خفاء.فالوجه عندي في موقع جملة والله لا يهدي القوم الظالمين أن موقعها الاعتراض بين جملة أجعلتم سقاية الحاج وجملة الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا [التوبة: ٢٠] إلخ.والمقصود منها زيادة التنويه بشأن الإيمان، إعلاما بأنه دليل إلى الخيرات، وقائد إليها. فالذين آمنوا قد هداهم إيمانهم إلى فضيلة الجهاد، والذين كفروا لم ينفعهم ما كانوافيه من عمارة المسجد الحرام وسقاية الحاج، فلم يهدهم الله إلى الخير، وذلك." (٢)

"برهان على أن الإيمان هو الأصل، وأن شعبه المتولدة منه أفضل الأعمال، وأن ما عداها من المكارم والخيرات في الدرجة الثانية في الفضل، لأنها ليست من شعب الإيمان، وإن كان كلا الصفتين لا ينفع إلا إذا كان مع الإيمان، وخاصة الجهاد.وفيه إيماء إلى أنه: لولا الجهاد لما كان أهل السقاية وعمارة المسجد الحرام مؤمنين، فإن إيمانهم كان من آثار غزوة فتح مكة وجيش الفتح إذ آمن العباس بن عبد المطلب وهو صاحب السقاية، وآمن عثمان بن طلحة وهو صاحب عمارة المسجد الحرام.فأما ما رواه الطبري والواحدي عن ابن عباس: من أن نزول هذه الآية كان يوم بدر، بسبب المماراة التي

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٣٩/١٠

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١٤٦/١٠

وقعت بين علي بن أبي طالب والعباس، فموقع **التذييل** بقوله:والله لا يهدي القوم الظالمين واضح: أي لا يهدي المشركين الذين يسقون الحاج ويعمرون المسجد الحرام، إذ لا يجدي ذلك مع الإشراك. فتبين أن ما توهموه من المساواة بين تلك الأعمال وبين الجهاد، وتنازعهم في ذلك، خطأ من النظر، إذ لا تستقيم تسوية التابع بالمتبوع والفرع بالأصل، ولو كانت السقاية والعمارة مساويتين للجهاد لكان أصحابهما قد اهتدوا إلى نصر الإيمان، كما اهتدى إلى نصره المجاهدون، والمشاهدة دلت على خلاف ذلك: فإن المجاهدين كانوا مهتدين ولم يكن أهل السقاية والعمارة بالمهتدين. فالهداية شاع إطلاقها مجازا باستعارتها لمعنى الإرشاد على المطلوب، وهي بحسب هذا الإطلاق مراد بها مطلوب خاص وهو ما يطلبه من يعمل عملا يتقرب به إلى الله، كما يقتضيه تعقيب ذكر سقاية الحاج وعمارة المسجد بهذه الجملة.وكني بنفي الهداية عن نفي حصول الغرض من العمل.والمعنى: والله لا يقبل من القوم المشركين أعمالهم.ونسب إلى ابن وردان أنه روى عن أبي جعفر أنه قرأ: سقاة الحاج- بضم السين جمع الساقي-وقرأ وعمرة- بالعين المفتوحة وبدون ألف وبفتح الراء جمع عامر- وقد اختلف فيها عن ابن وردان.." (١)

"والنعيم: ما به التذاذ النفس باللذات المحسوسة، وهو أخص من النعمة، قال تعالى: إن الأبرار لفي نعيم [الإنفطار: ١٣] وقال: ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم [التكاثر:٨] .والمقيم المستمر، استعيرت الإقامة للدوام والاستمرار.والتنكير في برحمة، ورضوان، وجنات، ونعيم للتعظيم، بقرينة المقام، وقرينة قوله منه وقرينة كون تلك مبشرا بها.وجملة إن الله عنده أجر عظيم **تذييل** وتنويه بشأن المؤمنين المهاجرين المجاهدين لأن مضمون هذه الجملة يعم مضمون ما قبلها وغيره، وفي هذا **التذييل** إفادة أن ما ذكر من عظيم درجات المؤمنين المهاجرين المجاهدين هو بعض ما عند الله منالخيرات فيحصل من ذلك الترغيب في الازدياد من الأعمال الصالحة ليزدادوا رفعة عند ربهم، كما قال أبو بكر الصديق- رضي الله عنه- «ما على من دعي من جميع تلك الأبواب من ضرورة» .والأجر: العوض المعطى على عمل، وتقدم في قوله: إذا آتيتموهن أجورهن في سورة العقود [٥] .[٢٣][سورة التوبة (٩) : آية ٢٣]يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون (٢٣)استئناف ابتدائي لافتتاح غرض آخر وهو تقريع المنافقين ومن يواليهم، فإنه لما كان أول السورة في تخطيط طريقة معاملة المظهرين للكفر، لا جرم تهيأ المتام لمثل ذلك بالنسبة إلى من أبطنوا الكفر وأظهروا الإيمان: المنافقين من أهل المدينة ومن بقايا قبائل العرب ممن عرفوا بذلك، أو لم يعرفوا وأطلع الله عليهم نبيئه صلى الله عليه وسلم، وحذر المؤمنين المطلعين عليهم من بطانتهم وذوي قرابتهم." (٢)

"والتربص: الانتظار، وهذا أمر تهديد لأن المراد انتظار الشر. وهو المراد بقوله:حتى يأتي الله بأمره أي الأمر الذي يظهر به سوء عاقبة إيثاركم محبة الأقارب والأموال والمساكين، على محبة الله ورسوله والجهاد.والأمر: اسم مبهم بمعنى الشيء والشأن، والمقصود من هذا الإبهام التهويل لتذهب نفوس المهددين كل مذهب محتمل، فأمر الله: يحتمل أن يكون العذاب أو القتل أو نحوهما، ومن فسر أمر الله بفتح مكة فقد ذهل لأن هذه السورة نزلت بعد الفتح.وجملة والله لا يهدي القوم

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٠/١٤٧

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١٠/١٥٠

الفاسقين **تذييل**، والواو اعتراضية وهذا تهديد بأنهم فضلوا قرابتهم وأموالهم على محبة الله ورسوله وعلى الجهاد فقد تحقق أنهم فاسقون والله لا يهدي القوم الفاسقين فحصل بموقع **التذييل** تعريض بهم بأنهم من الفاسقين.[٢٥][سورة التوبة (٩) : آية ٢٥]لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين (٢٥)لما تضمنت الآيات السابقة الحث على قتال المشركين ابتداء من قوله تعالى:فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم [التوبة: ٥] ، وكان التمهيد للإقدام على ذلك مدرجا بإبطال حرمة عهدهم، لشركهم، وبإظهار أنهم مضمرون العزم على الابتداء بنقض العهود التي بينهم وبين المسلمين لو قدر لهم النصر على المسلمين وآية ذلك: اعتداؤهم على خزاعة أحلاف المسلمين، وهمهم بإخراج الرسول- عليه الصلاة والسلام- من مكة بعد الفتح، حتى إذا انتهى ذلك التمهيد المدرج إلى الحث على قتالهم وضمان نصر الله المسلمين عليهم، وما اتصل بذلك مما يثير حماسة المسلمين جاء في هذه الآية بشواهد ما سبق من نصر الله المسلمين في مواطن كثيرة، وتذكير بمقارنة التأييد الإلهي لحالة الامتثال لأوامره، وأن في غزوة حنين شواهد تشهد للحالين. فالكلام استيناف ابتدائي لمناسبة الغرض السابق.." (١)

"جاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلمين تائبين، وسألوه أن يرد إليهم سبيهم وغنائمهم، فذلك أكبر منة في نصر المسلمين إذ أصبح الجند العدو لهم مسلمين معهم، لا يخافونهم بعد ذلك اليوم.والمعنى: ثم تاب الله عليهم، أي على الذين أسلموا منهم فقوله: يتوب الله من بعد ذلك دليل المعطوف بثم ولذلك أتي بالمضارع في قوله: يتوب الله دون الفعل الماضي: لأن المقصود ما يشمل توبة هوازن وتوبة غيرهم، للإشارة إلى إفادة تجدد التوبة على كل من تاب إلى الله لا يختص بها هوازن فتوبته على هوازن قد عرفها المسلمون، فأعلموا بأن الله يعامل بمثل ذلك كل من ندم وتاب، فالمعنى: ثم تاب الله عليهم ويتوب الله على من يشاء.وجملة: والله غفور رحيم **تذييل** للكلام لإفادة أن المغفرة من شأنه تعالى، وأنه رحيم بعباده إن أنابوا إليه وتركوا الإشراك به.[٢٨][سورة التوبة (٩) : آية ٢٨]يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء إن الله عليم حكيم (٢٨)يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا.استئناف ابتدائي للرجوع إلى غرض إقصاء المشركين عن المسجد الحرام المفاد بقوله: ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله [التوبة: ١٧] الآية، جيء به لتأكيد الأمر بإبعادهم عن المسجد الحرام مع تعليله بعلة أخرى تقتضي إبعادهم عنه: وهي أنهم نجس، فقد علل فيما مضى بأنهم شاهدون على أنفسهم بالكفر، فليسوا أهلا لتعمير المسجد المبني للتوحيد، وعلل هنا بأنهم نجس فلا يعمروا المسجد لطهارته.ونجس صفة مشبهة، اسم للشيء الذي النجاسة صفة ملازمة له، وقد أنيط وصف النجاسة بهم بصفة الإشراك، فعلمنا أنها نجاسة معنوية نفسانية وليست نجاسة ذاتية.." (٢)

"بقتاله، فمن ذلك: كل فريق يكونكذلك في الأشهر الحرم، وكل فريق يكون كذلك في الحرم.والكاف في كما يقاتلونكم أصلها كاف التشبيه استعيرت للتعليل بتشبيه الشيء المعلول بعلته، لأنه يقع على مثالها ومنه قوله تعالى: واذكروه

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٥٤/١٠

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١٥٩/١٠

كما هداكم [البقرة: ١٩٨] .وجملة واعلموا أن الله مع المتقين تأييد وضمان بالنصر عند قتالهم المشركين، لأن المعية هنا معية تأييد على العمل، وليست معية علم، إذ لا تختص معية العلم بالمتقين.وابتدئت الجملة ب اعلموا للاهتمام بمضمونها كما تقدم في قوله تعالى:واعلموا أنما غنمتم من شيء [الأنفال: ٤١] الآية، بحيث يجب أن يعلموه ويعوه.والجملة بمنزلة **التذييل** لما قبلها من أجل ما فيها من العموم في المتقين، دون أن يقال واعلموا أن الله معكم ليحصل من ذكر الاسم الظاهر معنى العموم، فيفيد أن المتصفين بالحال المحكية في الكلام السابق معدودون من جملة المتقين، لئلا يكون ذكر جملة واعلموا أن الله مع المتقين غريبا عن السياق، فيحصل من ذلك كلام مستقل يجري مجرى المثل وإيجاز يفيد أنهم حينئذ من المتقين، وأن الله يؤيدهم لتقواهم، وأن القتال في الأشهر الحرم في تلك الحالة طاعة لله وتقوى، وأن المشركين حينئذ هم المعتدون على حرمة الأشهر، وهم الحاملون على المقابلة بالمثل للدفاع عن النفس.[٣٧][سورة التوبة (٩) : آية ٣٧]إنما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطؤا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين (٣٧)استئناف بياني ناشيء عن قوله تعالى: إن عدة الشهور عند الله [التوبة: ٣٦] الآية لأن ذلك كالمقدمة إلى المقصود وهو إبطال النسيء وتشنيعه.." (١)

"والأليم المؤلم، فهو فعيل مأخوذ من الرباعي على خلاف القياس كقوله تعالى:تلك آيات الكتاب الحكيم [لقمان: ٢] ، وقول عمرو بن معديكرب:أمن ريحانة الداعي السميع أي المسمع.وكتب في المصاحف إلا من قوله: إلا تنفروا بهمزة بعدها لام ألف على كيفية النطق بها مدغمة، والقياس أن يكتب (إن لا) بنون بعد الهمزة ثم لام ألف.والضمير المستتر في يعذبكم عائد إلى الله لتقدمه في قوله: في سبيل الله [التوبة: ٣٨] . وتنكير قوما للنوعية إذ لا تعين لهؤلاء القوم ضرورة أنه معلق على شرط عدم النفير وهم قد نفروا لما استنفروا إلا عددا غير كثير وهم المخلفون.ويستبدل يبدل، فالسين والتاء للتأكيد والبدل هو المأخوذ عوضا كقوله: ومن يتبدل الكفر بالإيمان [البقرة: ١٠٨] أي ويستبدل بكم غيركم.والضمير في تضروه عائد إلى ما عاد إليه ضمير يعذبكم والواو للحال: أي يعذبكم ويستبدل قوما غيركم في حال أن لا تضروا الله شيئا بقعودكم، أي يصبكم الضر ولا يصب الذي استنفركم في سبيله ضر، فصار الكلام في قوة الحصر، كأنه قيل: إلا تنفروا لا تضروا إلا أنفسكم.وجملة والله على كل شيء قدير **تذييل** للكلام لأنه يحقق مضمون لحاق الضر بهم لأنه قدير عليهم في جملة كل شيء، وعدم لحاق الضر به لأنه قدير على كل شيء فدخلت الأشياء التي من شأنها الضر.[٤٠][سورة التوبة (٩) : آية ٤٠]إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم (٤٠)إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا.استئناف بياني لقوله: ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير [التوبة: ٣٩] لأن نفي أن يكون قعودهم عن النفير مضرا بالله ورسوله، يثير في نفس السامع سؤالا عن." (٢)

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٨٨/١٠

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٠٠/١٠

"ويحتمل أن تكون معطوفة على جملة أخرجه والتقدير: وإذ أيده بجنود لم تروها أي بالملائكة، ويوم بدر، ويوم الأحزاب، ويوم حنين، كما مر في قوله: ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها [التوبة: ٢٦] .(والكلمة) أصلها اللفظة من الكلام، ثم أطلقت على الأمر والشأن ونحو ذلك من كل ما يتحدث به الناس ويخبر المرء به عن نفسه من شأنه، قال تعالى: وجعلها كلمة باقية في عقبه [الزخرف: ٢٨] (أي أبقى التبري من الأصنام والتوحيد لله شأن عقبه وشعارهم) وقال وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات [البقرة: ١٢٤] أي بأشياء من التكاليف كذبح ولده، واختتانه، وقال لمريم إن الله يبشرك بكلمة منه [آل عمران: ٤٥] أي بأمر عجيب، أو بولد عجيب، وقال وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا [الأنعام: ١١٥] أي أحكامه ووعوده ومنه قولهم: لا تفرق بين كلمة المسلمين، أي بين أمرهم واتفاقهم، وجمع الله كلمة المسلمين، فكلمة الذين كفروا شأنهم وكيدهم وما دبروه من أنواع المكر.ومعنى السفلى الحقيرة لأن السفل يكنى به عن الحقارة، وعكسه قوله: وكلمة الله هي العليا فهي الدين وشأن رسوله والمؤمنين، وأشعر قوله: وجعل كلمة الذين كفروا السفلى أن أمر المشركين كان بمظنة القوة والشدة لأنهم أصحاب عدد كثير وفيهم أهل الرأي والذكاء، ولكنهم لما شاقوا الله ورسوله خذلهم الله وقلب حالهم من علو إلى سفل.وجملة وكلمة الله هي العليا مستأنفة بمنزلة **التذييل** للكلام لأنه لما أخبر عن كلمةالذين كفروا بأنها صارت سفلى أفاد أن العلاء انحصر في دين الله وشأنه. فضمير الفصل مفيد للقصر، ولذلك لم تعطف كلمة الله على كلمة الذين كفروا، إذ ليس المقصود إفادة جعل كلمة الله عليا، لما يشعر به الجعل من إحداث الحالة، بل إفادة أن العلاء ثابت لها ومقصور عليها، فكانت الجملة **كالتذييل** لجعل كلمة الذين كفروا سفلى.ومعنى جعلها كذلك: أنه لما تصادمت الكلمتان وتناقضتا بطلت كلمة الذين كفروا واستقر ثبوت كلمة الله.." (١)

"وقرأ يعقوب، وحده وكلمة الله بنصب (كلمة) عطفا على كلمة الذين كفروا السفلى فتكون كلمة الله عليا بجعل الله وتقديره.وجملة والله عزيز حكيم **تذييل** لمضمون الجملتين: لأن العزيز لا يغلبه شيء، والحكيم لا يفوته مقصد، فلا جرم تكون كلمته العليا وكلمة ضده السفلى.[٤١][سورة التوبة (٩) : آية ٤١]انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون (٤١)الخطاب للمؤمنين الذين سبق لومهم بقوله: يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض [التوبة: ٣٨] ، فالنفير المأمور به ما يستقبل من الجهاد. وقد قدمنا أن الاستنفار إلى غزوة تبوك كان عاما لكل قادر على الغزو: لأنها كانت في زمن مشقة، وكان المغزو عدوا عظيما، فالضمير في انفروا عام للذين استنفروا فتثاقلوا، وإنما استنفر القادرون، وكان الاستنفار على قدر حاجة الغزو، فلا يقتضي هذا الأمر توجه وجوب النفير على كل مسلم في كل غزوة، ولا على المسلم العاجز لعمى أو زمانة أو مرض، وإنما يجري العمل في كل غزوة على حسب ما يقتضيه حالها وما يصدر إليهم من نفير.وفي الحديث: «وإذا استنفرتم فانفروا». وخفافا جمع خفيف وهو صفة مشبهة من الخفة، وهي حالة للجسم تقتضي قلة كمية أجزائه بالنسبة إلى أجسام أخرى متعارفة، فيكون سهل التنقل سهل الحمل. والثقال ضد ذلك. وتقدم الثقل آنفا عند قوله: اثاقلتم إلى الأرض [التوبة: ٣٨] .والخفاف والثقال هنا

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٠٥/١٠

مستعاران لما يشابههما من أحوال الجيش وعلائقهم، فالخفة تستعار للإسراع إلى الحرب، وكانوا يتمادحون بذلك لدلالتها على الشجاعة والنجدة، قال قريط بن أنيف العنبري:قوم إذا الشر أبدى ناجذيه لهم ... طاروا إليه زرافات ووحدانا." (١)

"وقوله: وفيكم سماعون لهم أي في جماعة المسلمين، أي من بين المسلمين سماعون لهم فيجوز أن يكون هؤلاء السماعون مسلمين يصدقون ما يسمعونه من المنافقين. ويجوز أن يكون السماعون منافقين مبثوثين بين المسلمين.وهذه الجملة اعتراض للتنبيه على أن بغيهم الفتنة أشد خطرا على المسلمين لأن في المسلمين فريقا تنطلي عليهم حيلهم، وهؤلاء هم سذج المسلمين الذين يعجبون من أخبارهم ويتأثرون ولا يبلغون إلى تمييز التمويهات والمكائد عن الصدق والحق.وجاء سماعون بصيغة المبالغة للدلالة على أن استماعهم تام وهو الاستماع الذي يقارنه اعتقاد ما يسمع كقوله: سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين [المائدة: ٤١] وعن الحسن، ومجاهد، وابن زيد: معنى سماعون لهم، أي جواسيس يستمعون الأخبار وينقلونها إليهم، وقال قتادة وجهور المفسرين: معناه وفيكم من يقبل منهم قولهم ويطيعهم، قال النحاس الأغلب أن معنى سماع يسمع الكلام ومثله سماعون للكذب [المائدة: ٤١] .وأما من يقبل ما يسمعه فلا يكاد يقال فيه إلا سامع مثل قائل.وجيء بحرف (في) من قوله: وفيكم سماعون لهم الدال على الظرفية دون حرف (من) فلم يقل ومنكم سماعون لهم أو ومنهم سماعون، لئلا يتوهم تخصيص السماعين بجماعة من أحد الفريقين دون الآخر لأن المقصود أن السماعين لهم فريقان فريق منالمؤمنين وفريق من المنافقين أنفسهم مبثوثون بين المؤمنين لإلقاء الأراجيف والفتنة وهم الأكثر فكان اجتلاب حرف (في) إيفاء بحق هذا الإيجاز البديع ولأن ذلك هو الملائم لمحملي لفظ سماعون فقد حصلت به فائدتان.وجملة والله عليم بالظالمين **تذييل** قصد منه إعلام المسلمين بأن الله يعلم أحوال المنافقين الظالمين ليكونوا منهم على حذر، وليتوسموا فيهم ما وسمهم القرآن به، وليعلموا أن الاستماع لهم هو ضرب من الظلم.والظلم هنا الكفر والشرك إن الشرك لظلم عظيم [لقمان: ١٣] .." (٢)

"يعطون. وبه قال مالك، والشافعي، وإسحاق، وقال أبو حنيفة: لا يعطون. والحق أن سبيل الله يشمل شراء العدة للجهاد من سلاح، وخيل، ومراكب بحرية، ونوتية، ومجانيق، وللحملان، ولبناء الحصون، وحفر الخنادق، وللجواسيس الذين يأتون بأخبار العدو، قاله محمد بن عبد الحكم من المالكية ولم يذكر أن له مخالفا، وأشعر كلام القرطبي في التفسير أن قول ابن عبد الحكم مخالف لقول الجمهور. وذهب بعض السلف أن الحج من سبيل الله يدخل في مصارف الصدقات، وروي عن ابن عمر، وأحمد، وإسحاق. وهذا اجتهاد وتأويل، قال ابن العربي: «وما جاء أثر قط بإعطاء الزكاة في الحج» .وأما ابن السبيل فلم يختلف في الغريب المحتاج في بلد غربته أنه مراد ولو وجد من يسلفه، إذ ليس يلزمه أن يدخل نفسه تحت منة. واختلف في الغني: فالجمهور قالوا: لا يعطى وهو قول مالك، وقال الشافعي وأصبغ: يعطى ولو كان غنيا في بلد غربته.وقوله: فريضة من الله منصوب على أنه مصدر مؤكد لمصدر محذوف يدل عليه قوله: إنما الصدقات لأنه يفيد معنى فرض الله أو أوجب، فأكد بفريضة من لفظ المقدر ومعناه.والمقصود من هذا تعظيم شأن هذا الحكم والأمر بالوقوف

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٠٦/١٠

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢١٨/١٠

عنده.وجملة والله عليم حكيم **تذييل** إما أفاده الحصر ب إنما في قوله: إنما الصدقات للفقراء والمساكين إلخ، أي: والله عليم حكيم في قصر الصدقات على هؤلاء، أي أنه صادر عن العليم الذي يعلم ما يناسب في الأحكام، والحكيم الذي أحكم الأشياء التي خلقها أو شرعها. والواو اعتراضية لأن الاعتراض يكون في آخر الكلام على رأي المحققين.." (١)

"وقد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم بقرب نزول هذه الآية. ولعل من حكمة الإعلام بهذا الجهاد تهيئة المسلمين لجهاد كل قوم ينقضون عرى الإسلام وهم يزعمون أنهم مسلمون، كما فعل الذين منعوا الزكاة وزعموا أنهم لم يكفروا وإنما الزكاة حق الرسول في حياته، وما ذلك إلا نفاق من قادتهم اتبعه دهماؤهم، ولعل هذه الآية كانت سببا في انزجار معظم المنافقين عن النفار وإخلاصهم الإيمان كما ورد في قصة الجلاس بن سويد. وكان قد كفى الله شر متولي كبر النفاق عبد الله بن أبي بن سلول بموته فكان كل ذلك كافيا عن إعمال الأمر بجهادهم في هذه الآية وكفى الله المؤمنين القتال [الأحزاب: ٢٥] .وهذه الآية تدل على التكفير بما يدل على الكفر من قائله أو فاعله دلالة بينة، وإن لم يكن أعلن الكفر.واغلظ عليهم أمر بأن يكون غليظا معهم. والغلظة يأتي معناها عند قوله:وليجدوا فيكم غلظة في هذه السورة [١٢٣] .وإنما وجه هذا الأمر إلى الرسول- عليه الصلاة والسلام- لأنه جبل على الرحمةفأمر بأن يتخلى عن جبلته في حق الكفار والمنافقين وأن لا يغضي عنهم كما كان شأنه من قبل.وهذه الآية تقتضي نسخ إعطاء الكفار المؤلفة قلوبهم على الإسلام وإنما يبقى ذلك للداخلين في الإسلام حديثا.وجملة: وبئس المصير **تذييل**. وتقدم نظيره مرات. والمأوى ما يأوي إليه المرء من المكان، أي يرجع إليه.والمصير المكان الذي يصير إليه المرء، أي يرجع فالاختلاف بينه وبين المأوى بالاعتبار، والجمع بينهما هنا تفنن." (٢)

"والسبيل: أصله الطريق ويطلق على وسائل وأسباب المؤاخذة باللوم والعقاب لأن تلك الوسائل تشبه الطريق الذي يصل منه طالب الحق إلى مكان المحقوق، ولمراعاة هذا الإطلاق جعل حرف الاستعلاء في الخبر عن السبيل دون حرف الغاية. ونظيره قوله تعالى: فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا [النساء: ٣٤] وقوله: فما جعل الله لكم عليهم سبيلا كلاهما في سورة النساء [٩٠] . فدخل في المحسنين هؤلاء الذين نصحوا للهورسوله. وليس ذلك من وضع المظهر موضع المضمر لأن هذا مرمى آخر هو أسمى وأبعد غاية.ومن مؤكدة لشمول النفي لكل سبيل.وجملة والله غفور رحيم **تذييل** والواو اعتراضية، أي شديد المغفرة ومن مغفرته أن لم يؤاخذ أهل الأعذار بالقعود عن الجهاد. شديد الرحمة بالناس ومن رحمته أن لم يكلف أهل الإعذار ما يشق عليهم.[٩٢][سورة التوبة (٩) : آية ٩٢]ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون (٩٢)عطف على الضعفاء والمرضى [التوبة: ٩١] وإعادة حرف النفي بعد العاطف للنكتة المتقدمة هنالك.والحمل يطلق على إعطاء ما يحمل عليه، أي إذا أتوك لتعطيهم الحمولة، أي ما يركبونه ويحملون عليه سلاحهم ومؤنهم من الإبل.وجملة: قلت لا أجد إلخ إما حال من ضمير المخاطب في أتوك وإما بدل اشتمال من فعل أتوك لأن إتيانهم لأجل الحمل يشتمل على إجابة، وعلى منع.وجملة تولوا

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٤٠/١٠

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٦٧/١٠

جواب إذا والمجموع صلة الذين.والتولي الرجوع. وقد تقدم عند قوله تعالى: ما ولاهم عن قبلتهم [البقرة: ١٤٢] وقوله: وإذا تولى سعى في الأرض في سورة البقرة." (١)

"وجملة: والله عليم حكيم **تذييل** لهذا الإفصاح عن دخيلة الأعراب وخلقهم، أي عليم بهم وبغيرهم، وحكيم في تمييز مراتبهم.[٩٨][سورة التوبة (٩) : آية ٩٨]ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء والله سميع عليم (٩٨)هذا فريق من الأعراب يظهر الإيمان وينفق في سبيل الله. وإنما يفعلون ذلك تقية وخوفا من الغزو أو حبا للمحمدة وسلوكا في مسلك الجماعة، وهم يبطنون الكفر وينتظرون الفرصة التي تمكنهم من الانقلاب على أعقابهم. وهؤلاء وإن كانوا من جملة منافقي الأعراب فتخصيصهم بالتقسيم هنا منظور فيه إلى ما اختصوا به من أحوال النفاق، لأن التقاسيم في المقامات الخطابية والمجادلات تعتمد اختلافا ما في أحوال المقسم، ولا يعبأ فيها بدخول القسم في قسيمه.فقوله: ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرما هو في التقسيم كقوله: ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر [التوبة: ٩٩] . ومعنى يتخذ يعد ويجعل، لأن اتخذ من أخوات جعل. والجعل يطلق بمعنى التغيير من حالة إلى حالة نحو جعلت الشقة بردا.ويطلق بمعنى العد والحسبان نحو وقد جعلتم الله عليكم كفيلا [النحل: ٩١] فكذلك يتخذ هنا.والمغرم: ما يدفع من المال قهرا وظلما، فهؤلاء الأعراب يؤتون الزكاة وينفقون في سبيل الله ويعدون ذلك كالأوتاوات المالية والرزايا يدفعونها تقية. ومن هؤلاء من امتنعوا من إعطاء الزكاة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال قائلهم من طيء في زمن أبي بكر لما جاءهم الساعي لإحصاء زكاة الأنعام:فقولا لهذا المرء ذو جاء ساعيا ... هلم فإن المشرفي الفرائضأي فرائض الزكاة هي السيف، أي يعطون الساعي ضرب السيف بدلا عن الزكاة.والتربص: الانتظار. والدوائر: جمع دائرة وهي تغير الحالة من استقامة إلى اختلال. وتقدم الكلام عليها عند قوله تعالى: يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة في سورة العقود." (٢)

"والباء للسببية كقوله تعالى: نتربص به ريب المنون [الطور: ٣٠] وجعل المجرور بالباء ضمير المخاطبين على تقدير مضاف. والتقدير: ويتربص بسبب حالتكم الدوائر عليكم لظهور أن الدوائر لا تكون سببا لانتظار الانقلاب بل حالهم هي سبب تربصهم أن تنقلب عليهم الحال لأن حالتهم الحاضرة شديدة عليهم.فالمعنى أنهم ينتظرون ضعفكم وهزيمتكم أو ينتظرون وفاة نبيكم فيظهرون ما هوكامن فيهم من الكفر. وقد أنبأ الله بحالهم التي ظهرت عقب وفاة النبيء صلى الله عليه وسلم وهم أهل الردة من العرب.وجملة: عليهم دائرة السوء دعاء عليهم وتحقير، ولذلك فصلت. والدعاء من الله على خلقه: تكوين وتقدير مشوب بإهانة لأنه لا يعجزه شيء فلا يحتاج إلى تمني ما يريده.وقد تقدم الكلام عليه عند قوله تعالى: فلعنة الله على الكافرين في سورة البقرة [٨٩] .وقد كانت على الأعراب دائرة السوء إذ قاتلهم المسلمون في خلافة أبي بكر عام الردة وهزموهم فرجعوا خائبين. وإضافة دائرة إلى السوء من الإضافة إلى الوصف اللازم كقولهم: عشاء الآخرة. إذ الدائرة لا تكون إلا في السوء. قال أبو علي الفارسي:لو لم تضف الدائرة إلى السوء عرف منها معنى السوء لأن دائرة الدهر لا تستعمل إلا في المكروه. ونظيره إضافة السوء إلى ذئب في قول الفرزدق:فكنت كذئب السوء حين رأى دما ... بصاحبه يوما أحال

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٩٥/١٠

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١٣/١١

على الدمراذ الذئب متمحض للسوء إذ لا خير فيه للناس. والسوء- بفتح السين- المصدر، وبضمها الاسم. وقد قرأ الجمهور بفتح السين. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحدهما بضم السين. والمعنى واحد.وجملة: والله سميع عليم تذييل، أي سميع ما يتناجون به وما يدبرونه من الترصد، عليم بما يبطنونه ويقصدون إخفاءه.." (١)

"جاء في حديث ابن أبي أوفى أنه لما جاء بصدقته قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللهم صل على آل أبي أوفى». ويجوز عطف صلوات الرسول على اسم الجلالة معمولا ل عند، أي يتخذون الإنفاق قربة عند صلوات الرسول، أي يجعلونه تقربا كائنا في مكان الدنو من صلوات الرسول تشبيها للتسبب في الشيء بالاقتراب منه، أي يجعلون الإنفاق سببا لدعاء الرسول لهم. فظرف (عند) مستعمل في معنيين مجازيين. ويجوز أن يكون وصلوات الرسول عطفا على قربات عند الله، أي يتخذ ما ينفق دعوات الرسول. أخبر عن الإنفاق باتخاذه دعوات الرسول لأنه يتوسل بالإنفاق إلى دعوات الرسول إذ أمر بذلك في قوله تعالى: وصل عليهم [التوبة: ١٠٣] .وجملة: ألا إنها قربة لهم مستأنفة مسوقة مساق البشارة لهم بقبول ما رجوه.وافتتحت الجملة بحرف الاستفتاح للاهتمام بها ليعيها السامع، وبحرف التأكيد لتحقيق مضمونها، والضمير الواقع اسم (إن) عائد إلى ما (ينفق) باعتبار النفقات. واللام للاختصاص، أي هي قربة لهم، أي عند الله وعند صلوات الرسول. وحذف ذلك لدلالة سابق الكلام عليه. وتنكير قربة لعدم الداعي إلى التعريف، ولأن التنكير قد يفيد التعظيم.وجملة: سيدخلهم الله في رحمته واقعة موقع البيان لجملة إنها قربة لهم، لأن القربة عند الله هي الدرجات العلى ورضوانه، وذلك من الرحمة. والقربة عند صلواتالرسول صلى الله عليه وسلم إجابة صلاته. والصلاة التي يدعو لهم طلب الرحمة، فمآل الأمرين هو إدخال الله إياهم في رحمته. وأوثر فعل الإدخال هنا لأنه المناسب للكون في الجنة، إذ كثيرا ما يقال: دخل الجنة. قال تعالى: وادخلي جنتي [الفجر: ٣٠] .وجملة: إن الله غفور رحيم تذييل مناسب لما رجوه وما استجيب لهم. وأثبت بحرف التأكيد للاهتمام بهذا الخبر، أي غفور لما مضى من كفرهم، رحيم بهم يفيض النعم عليهم.." (٢)

"و (عسى) : فعل رجاء. وهي من كلام الله تعالى المخاطب به النبيء صلى الله عليه وسلم فهي كناية عن وقوع المرجو، وأن الله قد تاب عليهم ولكن ذكر فعل الرجاء يستتبع معنى اختيار المتكلم في وقوع الشيء وعدم وقوعه.ومعنى: أن يتوب عليهم أي يقبل توبتهم، وقد تقدم عند قوله تعالى: فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه في سورة البقرة [٣٧] .وجملة: إن الله غفور رحيم تذييل مناسب للمقام.[١٠٣][سورة التوبة (٩) : آية ١٠٣]خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم (١٠٣)لما كان من شرط التوبة تدارك ما يمكن تداركه مما فات وكان التخلف عن الغزو مشتملا على أمرين هما عدم المشاركة في الجهاد، وعدم إنفاق المال في الجهاد، جاء في هذه الآية إرشاد لطريق تداركهم ما يمكن تداركه مما فات وهو نفع المسلمين بالمال، فالإنفاق العظيم على غزوة تبوك استنفد المال المعد لنوائب المسلمين، فإذا أخذ من المخلفين شيء من المال انجبر به بعض الثلم الذي حل بمال المسلمين.فهذا وجه مناسبة ذكر هذه الآية عقب التي قبلها. وقدروي أن الذين اعترفوا بذنوبهم قالوا للنبيء صلى الله عليه وسلم: هذه أموالنا التي بسببها

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٤/١١

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١٦/١١

تخلفنا عنك خذها فتصدق بها وطهرناواستغفر لنا، فقال لهم: لم أومر بأن آخذ من أموالكم. حتى نزلت هذه الآية فأخذ منهم النبيء صلى الله عليه وسلم صدقاتهم، فالضمير عائد على آخرين اعترفوا بذنوبهم.والتاء في تطهرهم تحتمل أن تكون تاء الخطاب نظرا لقوله: خذ، وأن تكون تاء الغائبة عائدة إلى الصدقة. وأياما كان فالآية دالة على أن الصدقة تطهر وتزكي.." (١)

"والتزكية: جعل الشيء زكيا، أي كثير الخيرات. فقوله: تطهرهم إشارة إلى مقام التخلية عن السيئات. وقوله: تزكيهم إشارة إلى مقام التحلية بالفضائل والحسنات. ولا جرم أن التخلية مقدمة على التحلية. فالمعنى أن هذه الصدقة كفارة لذنوبهم ومجلبة للثواب العظيم.والصلاة عليهم: الدعاء لهم. وتقدم آنفا عند قوله تعالى: وصلوات الرسول [التوبة: ٩٩] .وقد كان النبيء صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية إذا جاءه أحد بصدقته يقول: اللهم صل على آل فلان. كما ورد في حديث عبد الله بن أبي أوفى يجمع النبيء صلى الله عليه وسلم في دعائه في هذا الشأن بين معنى الصلاة وبين لفظها فكان يسأل من الله تعالى أن يصلي على المتصدق. والصلاة من الله الرحمة، ومن النبيء الدعاء.وجملة: إن صلاتك سكن لهم تعليل للأمر بالصلاة عليهم بأن دعاءه سكن لهم، أي سبب سكن لهم، أي خير. فإطلاق السكن على هذا الدعاء مجاز مرسل.والسكن: بفتحتين ما يسكن إليه، أي يطمأن إليه ويرتاح به. وهو مشتق من السكون بالمعنى المجازي، وهو سكون النفس، أي سلامتها من الخوف ونحوه، لأن الخوف يوجب كثرة الحذر واضطراب الرأي فتكون النفس كأنها غير مستقرة، ولذلك سمي ذلك قلقا لأن القلق كثرة التحرك. وقال تعالى: وجعل الليل سكنا [الأنعام: ٩٦] وقال:والله جعل لكم من بيوتكم سكنا [النحل: ٨٠] ، ومن أسماء الزوجة السكن، أو لأن دعاءه لهم يزيد نفوسهم صلاحا وسكونا إلى الصالحات لأن المعصية تردد واضطراب، كما قال تعالى: فهم في ريبهم يترددون [التوبة: ٤٥] ، والطاعة اطمئنان ويقين، كما قال تعالى:ألا بذكر الله تطمئن القلوب [الرعد: ٢٨] .وجملة: والله سميع عليم **تذييل** مناسب للأمر بالدعاء لهم. والمراد بالسميع هنا المجيب للدعاء. وذكره للإشارة إلى قبول دعاء النبيء صلى الله عليه وسلم. ففيه إيماء إلى التنويه بدعائه.وذكر العليم إيماء إلى أنه ما أمره بالدعاء لهم إلا لأن في دعائه لهم خيرا عظيما وصلاحافي الأمور.وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر وأبو جعفر ويعقوب صلاتك بصيغة الجمع. وقرأه حفص عن عاصم وحمزة والكسائي وخلف." (٢)

"وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم وأبو جعفر وخلف مرجون بسكون الواو بدون همز على أنه اسم مفعول من أرجاه بالألف، وهو مخفف أرجأه بالهمز إذا أخره، فيقال في مضارعه المخفف: أرجيته بالياء، كقوله: ترجي من تشاء منهن [الأحزاب: ٥١] بالياء، فأصل مرجون مرجيون. وقرأ البقية مرجون بهمز بعد الجيم على أصل الفعل كما قرىء ترجيء من تشاء [الأحزاب: ٥١] . واللام في قوله: لأمر الله للتعليل، أي مؤخرون لأجل أمر الله في شأنهم. وفيه حذف مضاف، تقديره: لأجل انتظارأمر الله في شأنهم لأن التأخير مشعر بانتظار شيء.وجملة: إما يعذبهم وإما يتوب عليهم بيان

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٢/١١

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٣/١١

لجملة: وآخرون مرجون باعتبار متعلق خبرها وهو لأمر الله، أي أمر الله الذي هو إما تعذيبهم، وإما توبته عليهم.ويفهم من قوله يتوب عليهم أنهم تابوا.والتعذيب مفيد عدم قبول توبتهم حينئذ لأن التعذيب لا يكون إلا عن ذنب كبير.وذنبهم هو التخلف عن النفير العام، كما تقدم عند قوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض [التوبة: ٣٨] الآية. وقبول التوبة عما مضى فضل من الله.وإما حرف يدل على أحد شيئين أو أشياء. ومعناها قريب من معنى (أو) التي للتخيير، إلا أن (إما) تدخل على كلا الاسمين المخير بين مدلوليهما وتحتاج إلى أن تتلى بالواو، و (أو) لا تدخل إلا على ثاني الاسمين. وكان التساوي بين الأمرين مع (إما) أظهر منه مع (أو) لأن (أو) تشعر بأن الاسم المعطوف عليه مقصود ابتداء. وتقدم الكلام عليها عند قوله تعالى: قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين في سورة الأعراف [١١٥] .ويعذبهم- ويتوب عليهم فعلان في معنى المصدر حذفت (أن) المصدرية منهما فارتفعا كارتفاع قولهم: «تسمع بالمعيدي خير من أن تراه» لأن موقع ما بعد (إما) للاسم نحو إما العذاب وإما الساعة [مريم: ٧٥] وإما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا [الكهف: ٨٦] .وجملة: والله عليم حكيم **تذييل** مناسب لإبهام أمرهم على الناس، أي والله عليم بما يليق بهم من الأمرين، محكم تقديره حين تتعلق به إرادته.." (١)

"وفيه تعريض بأنأهل مسجد الضرار ليسوا كذلك.وقد كان المؤمنون من الأنصار يجمعون بين الاستجمار بالأحجار والغسل بالماء كما دل عليه حديثرواه الدارقطني عن أبي أيوب وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الآية فيه رجال يحبون أن يتطهروا فقال: «يا معشر الأنصار إن الله قد أثنى عليكم خيرا في الطهور فما طهوركم؟ قالوا: إن أحدنا إذا خرج من الغائط أحب أن يستنجي بالماء. قال: هو ذلك فعليكموه»، فهذا يعم الأنصار كلهم. ولا يعارضه حديث أبي داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل أهل قباء عن طهارتهم لأن أهل قباء هم أيضا من الأنصار، فسؤاله إياهم لتحقق اطراد هذا التطهر في قبائل الأنصار.وأطلقت المحبة في قوله: يحبون كناية عن عمل الشيء المحبوب لأن الذي يحب شيئا ممكنا يعمله لا محالة. فقصد التنويه بهم بأنهم يتطهرون تقربا إلى الله بالطهارة وإرضاء لمحبة نفوسهم إياها، بحيث صارت الطهارة خلقا لهم فلو لم تجب عليهم لفعلوها من تلقاء أنفسهم.وجملة: والله يحب المطهرين **تذييل**. وفيه إشارة إلى أن نفوسهم وافقت خلقا يحبه الله تعالى. وكفى بذلك تنويها بزكاء أنفسهم.[١٠٩][سورة التوبة (٩) : آية ١٠٩]أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين (١٠٩)تفريع على قوله: لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه [التوبة:١٠٨] لزيادة بيان أحقية المسجد المؤسس على التقوى بالصلاة فيه.وبيان أن تفضيل ذلك المسجد في أنه حقيق بالصلاة فيه تفضيل مسلوب المشاركة لأن مسجد الضرار ليس حقيقا بالصلاة فيه بعد النهي، لأن صلاة النبيء صلى الله عليه." (٢)

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٨/١١

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٣٣/١١

"لأن غرض الباني دوام ما بناه. فهم لما بنوه لقصد التقوى ورضى الله تعالى ولم يذكر ما يقتضي خيبتهم فيه كما ذكر في مقابله علم أنهم قد اتقوا الله بذلك وأرضوه ففازوا بالجنة، كما دلت عليه المقابلة، وأن البنيان الثاني لم يحصل غرض بانيه وهو الضرار والتفريق فخابوا فيما قصدوه فلم يثبت المقصد، وكان عدم ثباته مفضيا بهم إلى النار كما يفضي البناء المنهار بساكنه إلى الهلاك.والشفا- بفتح الشين وبالقصر-: حرف البئر وحرف الحفرة.والجرف- بضمتين-: جانب الوادي وجانب الهوة.وهار: اسم مشتق من هار البناء إذا تصدع، فقيل: أصله هور بفتحتين كما قالوا خلف في خالف. وليست الألف التي بعد الهاء ألف فاعل بل هي عين الكلمة منقلبة عن الواو لأن الواو متحركة وانفتح ما قبلها فقلبت ألفا، وقيل هو اسم فاعل من هار البناء وأصل وزنه هاور، فوقع فيه قلب بين عينه ولامه تخفيفا. وقد وقع ذلك في ألفاظ كثيرةمن اللغة مثل قولهم: شاكي السلاح، أصله شائك. ورجل صات عالي الصوت أصله صائت. ويدل لذلك قولهم: انهار ولم يقولوا انهرى. وهر مبالغة في هار.وقرأ نافع وابن عامر وحدهما فعل أسس في الموضعين بصيغة البناء للمفعول ورفع بنيانه في الموضعين. وقرأها الباقون بالبناء للفاعل ونصب بنيانه في الموضعين.وقرأ الجمهور جرف- بضم الراء- وقرأه ابن عامر وحمزة وأبو بكر عن عاصم وخلف- بسكون الراء-.وجملة: والله لا يهدي القوم الظالمين **تذييل**، وهو عام يشمل هؤلاء الظالمين الذين بنوا مسجد الضرار وغيرهم.[١١٠][سورة التوبة (٩) : آية ١١٠]لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم إلا أن تقطع قلوبهم والله عليم حكيم (١١٠)جملة: لا يزال بنيانهم يجوز أن تكون مستأنفة لتعداد مساوي مسجد الضرار بذكر سوء عواقبه بعد أن ذكر سوء الباعث عليه وبعد أن ذكر سوء وقعه في الإسلام." (١)

"بأن نهى الله رسوله عن الصلاة فيه وأمره بهدمه، لأنه لما نهاه عن الصلاة فيه فقد صار المسلمون كلهم منهيين عن الصلاة فيه، فسلب عنه حكم المساجد، ولذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بهدمه. ويرجح هذا الوجه أنه لم يؤت بضمير المسجد أو البنيان بل جيء باسمه الظاهر.ويجوز أن تكون خبرا ثانيا عن الذين اتخذوا مسجدا ضرارا [التوبة: ١٠٧] كأنه قيل: لا تقم فيه ولا يزال ريبة في قلوبهم، ويكون إظهار لفظ بنيانهم لزيادة إيضاحه.والرابط هو ضمير قلوبهم.والمعنى أن ذلك المسجد لما بنوه لغرض فاسد فقد جعله الله سببا لبقاء النفاق في قلوبهم ما دامت قلوبهم في أجسادهم.وجعل البنيان ريبة مبالغة كالوصف بالمصدر. والمعنى أنه سبب للريبة في قلوبهم.والريبة: الشك، فإن النفاق شك في الدين، لأن أصحابه يترددون بين موالاة المسلمين والإخلاص للكافرين.وقوله: إلا أن تقطع قلوبهم استثناء تهكمي. وهو من قبيل تأكيد الشيء بما يشبه ضده كقوله تعالى: ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط [الأعراف: ٤٠] ، أي يبقى ريبة أبدا إلا أن تقطع قلوبهم منهم وما هي بمقطعة.وجملة: والله عليم حكيم **تذييل** مناسب لهذا الجعل العجيب والإحكام الرشيق.وهو أن يكون ذلك البناء سبب حسرة عليهم في الدنيا والآخرة.وقرأ الجمهور تقطع بضم التاء. وقرأه ابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم وأبو جعفر ويعقوب تقطع بفتح التاء على أن أصله تتقطع. وقرأ يعقوب إلى أن تقطع بحرف (إلى) التي للانتهاء.." (٢)

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٣٥/١١

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٣٦/١١

"و (من) تفضيلية، وهي للابتداء عند سيبويه، أي للابتداء المجازي. وذكر اسم الجلالة عوضا عن ضميره لإحضار المعنى الجامع لصفات الكمال. والعهد: الوعد بحلف والوعد المؤكد، والبيعة عهد، والوصية عهد.وتفرع على كون الوعد حقا على الله، وعلى أن الله أوفى بعهده من كل واعد، أن يستبشر المؤمنون ببيعهم هذا، فالخطاب للمؤمنين من هذه الأمة. وأضيف البيع إلىضميرهم إظهارا لاغتباطهم به.ووصفه بالموصول وصلته الذي بايعتم به تأكيدا لمعنى ببيعكم، فهو تأكيد لفظي بلفظ مرادف.وجملة: وذلك هو الفوز العظيم **تذييل** جامع، فإن اسم الإشارة الواقع في أوله جامع لصفات ذلك البيع بعوضيه. وأكد بضمير الفصل وبالجملة الاسمية والوصف ب العظيم المفيد للأهمية.[١١٢][سورة التوبة (٩) : آية ١١٢]التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين (١١٢)أسماء الفاعلين هنا أوصاف للمؤمنين من قوله: إن الله اشترى من المؤمنين [التوبة: ١١١] فكان أصلها الجر، ولكنها قطعت عن الوصفية وجعلت أخبارا لمبتدأ محذوف هو ضمير الجمع اهتماما بهذه النعوت اهتماما أخرجها عن الوصفية إلى الخبرية، ويسمى هذا الاستعمال نعتا مقطوعا، وما هو بنعت اصطلاحي ولكنه نعت في المعنى.ف التائبون مراد منه أنهم مفارقون للذنوب سواء كان ذلك من غير اقتراف ذنب يقتضي التوبة كما قال تعالى: لقد تاب الله على النبيء والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه [التوبة: ١١٧] الآية أم كان بعد اقترافه كقوله تعالى: فإن يتوبوا يك خيرا لهم [التوبة: ٧٤] بعد قوله:." (١)

"دليل اليأس من المغفرة، لأن الله لا يؤاخذ قوما هداهم إلى الحق فيكتبهم ضلالا بالمعاصي حتى يبين لهم أن ما عملوه معصية، فموقع هذه الآية بعد جميع الكلام المتقدم صيرها كلاما جامعا **تذييلا**.وجملة إن الله بكل شيء عليم **تذييل** مناسب للجملة السابقة، ووقوع إن في أولها يفيد معنى التفريع. والتعليل مضمون للجملة السابقة، وهو أن الله لا يضل قوما بعدأن هداهم حتى يبين لهم الحق.[١١٦][سورة التوبة (٩) : آية ١١٦]إن الله له ملك السماوات والأرض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير (١١٦)**تذييل** ثان في قوة التأكيد لقوله: إن الله بكل شيء عليم [التوبة: ١١٥] ، ولذلك فصل بدون عطف لأن ثبوت ملك السماوات والأرض لله تعالى يقتضي أن يكون عليما بكل شيء لأن تخلف العلم عن التعلق ببعض المتملكات يفضي إلى إضاعة شؤونها.فافتتاح الجملة ب (إن) مع عدم الشك في مضمون الخبر يعين أن (إن) لمجرد الاهتمام فتكون مفيدة معنى التفريع بالفاء والتعليل.ومعنى الملك: التصرف والتدبير. وقد تقدم عند قوله تعالى: ملك يوم الدين [الفاتحة: ٤] .وزيادة جملتي: يحيي ويميت لتصوير معنى الملك في أتم مظاهره المحسوسة للناس المسلم بينهم أن ذلك من تصرف الله تعالى لا يستطيع أحد دفع ذلك ولا تأخيره.وعطف جملة: وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير لتأييد المسلمين بأنهم منصورون في سائر الأحوال لأن الله وليهم فهو نصير لهم، ولإعلامهم بأنهم لا يخشون الكفار لأن الكافرين لا مولى لهم لأن الله غاضب عليهم فهو لا ينصرهم. وذلك مناسب لغرض الكلام المتعلق باستغفارهم للمشركين بأنه لا يفيدهم.وتقدم الكلام على الولي عند قوله تعالى: قل أغير الله أتخذ وليا في أول سورة الأنعام." (٢)

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٤٠/١١

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٤٨/١١

"وليس المراد ليذنبوا فيتوبوا، إذ لا يناسب مقام التنويه بتوبته عليهم. وجملة إن الله هو التواب الرحيم **تذييل** مفيد للامتنان.[١١٩][سورة التوبة (٩) : آية ١١٩]يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين (١١٩)الظاهر أن هذه الآية خاتمة للآي السابقة وليست فاتحة غرض جديد. ففي «صحيح البخاري» من حديث كعب بن مالك حين تخلف عن غزوة تبوك أنه قال: «فو الله ما أعلم أحدا ... أبلاه الله في صدق الحديث أحسن مما أبلاني ما تعمدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومي هذا كذبا وأنزل الله على رسوله لقد تاب الله على النبيء والمهاجرين والأنصار- إلى قوله- وكونوا مع الصادقين [التوبة: ١١٧- ١١٩] اه. فهذه الآية بمنزلة **التذييل** للقصة فإن القصة مشتملة على ذكر قوم اتقوا الله فصدقوا في إيمانهم وجهادهم فرضي الله عنهم، وذكر قوم كذبوا في ذلك واختلقوا المعاذير وحلفوا كذبا فغضب الله عليهم، وقوم تخلفوا عن الجهاد وصدقوا في الاعتراف بعدم العذر فتاب الله عليهم، فلما كان سبب فوز الفائزين في هذه الأحوال كلها هو الصدق لا جرم أمر الله المؤمنين بتقواه و بأن يكونوا في زمرة الصادقين مثل أولئك الصادقين الذين تضمنتهم القصة.والأمر ب كونوا مع الصادقين أبلغ في التخلق بالصدق من نحو: اصدقوا. ونظيره واركعوا مع الراكعين [البقرة: ٤٣] . وكذلك جعله بعد (من) التبعيضية وقد تقدم ذلك في قوله تعالى: أبى واستكبر وكان من الكافرين [البقرة: ٤٣] ومنه قوله: قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين [البقرة: ٦٧] .." [١]

"ووطئتنا وطئا على حنق ... وطء المقيد نابت الهرموهو أوفق بإسناد الوطء إليهم.والنيل: مصدر (ينالون) . يقال: نال منه إذا أصابه برزء. وبذلك لا يقدر له مفعول.وحرف (من) مستعمل في التبعيض المجازي المتحقق في الرزية. ورزء العدو يكون من ذوات الأعداء بالأسر، ويكون من متاعهم وأموالهم بالسبي والغنم.والاستثناء مفرغ من عموم الأحوال. فجملة: كتب لهم به عمل صالح في موضع الحال، وأغنى حرف الاستثناء عن اقترانها بقد. والضمير في (به) عائد على (نصب) وما عطف عليه إما بتأويل المذكور وإما لأن إعادة حرف النفي جعلت كل معطوف كالمستقل بالذكر، فأعيد الضمير على كل واحد على البدل كما يعاد الضمير مفردا على المتعاطفات ب (أو) باعتبار أن ذلك المتعدد لا يكون في نفس الأمر إلا واحد منه. ومعنى: كتب لهم به عمل صالح أن يكتب لهم بكل شيء من أنواع تلك الأعمال عمل صالح، أي جعل الله كل عمل من تلك الأعمال عملا صالحا وإن لم يقصد به عاملوه تقربا إلى الله فإن تلك الأعمال تصدر عن أصحابها وهم ذاهلون في غالب الأزمان أو جميعها عن الغاية منها فليست لهم نيات بالتقرب بها إلى الله ولكن الله تعالى بفضله جعلها لهم قربات باعتبارشرف الغاية منها. وذلك بأن جعل لهم عليها ثوابا كما جعل للأعمال المقصود بها القربة، كما ورد أن نوم الصائم عبادة.وقد دل على هذا المعنى **التذييل** الذي أفاد التعليل بقوله: إن الله لا يضيع أجر المحسنين. ودل هذا **التذييل** على أنهم كانوا بتلك الأعمال محسنين فدخلوا في عموم قضية إن الله لا يضيع أجر المحسنين بوجه الإيجاز.[١٢١][سورة التوبة (٩) : آية ١٢١]ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١١/٥٤

(١٢١)عطف على جملة لا يصيبهم ظمأ، وهو انتقال من عداد الكلف التي تصدر عنهم بلا قصد في سبيل الله إلى بعض الكلف التي لا تخلو عن استشعار من تحل بهم بأنهم." (١)

"[سورة التوبة (٩) : الآيات ١٢٨ إلى ١٢٩]لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم (١٢٨) فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم (١٢٩)كانت هذه السورة سورة شدة وغلظة على المشركين وأهل الكتاب والمنافقين منأهل المدينة ومن الأعراب، وأمرا للمؤمنين بالجهاد، وإنحاء على المقصرين في شأنه.وتخلل ذلك تنويه بالمتصفين بضد ذلك من المؤمنين الذين هاجروا والذين نصروا واتبعوا الرسول في ساعة العسرة.فجاءت خاتمة هذه السورة آيتين بتذكيرهم بالمنة ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم والتنويه بصفاته الجامعة للكمال. ومن أخصها حرصه على هداهم، ورغبته في إيمانهم ودخولهم في جامعة الإسلام ليكون رؤوفا رحيما بهم ليعلموا أن ما لقيه المعرضون عن الإسلام من الإغلاظ عليهم بالقول والفعل ما هو إلا استصلاح لحالهم. وهذا من مظاهر الرحمة التي جعلها الله تعالى مقارنة لبعثة رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله: وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين [الأنبياء: ١٠٧] ، بحيث جاء في هاتين الآيتين بما شأنه أن يزيل الحرج من قلوب الفرق التي نزلت فيهم آيات الشدة وعوملوا بالغلظة تعقيبا للشدة بالرفق وللغلظة بالرحمة، وكذلك عادة القرآن.فقد انفتح بهاتين الآيتين باب حظيرة الإيمان والتوبة ليدخلها من وفقه الله إليها.فالجملة مستأنفة استئنافا ابتدائيا. وفي وقوعها آخر السورة ما يكسبها معنى التذييل والخلاصة.فالخطاب بقوله: جاءكم وما تبعه من الخطاب موجه إلى جميع الأمة المدعوة للإسلام. والمقصود بالخطاب بادىء ذي بدء هم المعرضون من المشركين والمنافقين من العرب بقرينة قوله عقب الخطاب بالمؤمنين رؤف رحيم وسيجيء أن المقصود العرب.." (٢)

"وجعل (إلى) بمعنى اللام بعد عن بلاغة هذا النظم وخلط للاعتبارات البلاغية.وجملة: كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون تذييل يعم ما تقدم وغيره، أي هكذا التزيين الشيطاني زين لهم ما كانوا يعملون من أعمالهم في ماضي أزمانهم في الدعاء وغيره من ضلالاتهم.وتقدم القول في معنى موقع (كذلك) في أمثال هذه الآية عند قوله تعالى: وكذلكجعلناكم أمة وسطافي سورة البقرة [١٤٣] وقوله: كذلك زينا لكل أمة عملهم في سورة الأنعام [١٠٨] ، فالإشارة إلى التزيين المستفاد هنا وهو تزيين إعراضهم عن دعاء الله في حالة الرخاء، أي مثل هذا التزيين العجيب زين لكل مسرف عمله.والإسراف: الإفراط والإكثار في شيء غير محمود. فالمراد بالمسرفين هنا الكافرون. واختير لفظ للمسرفين لدلالته على مبالغتهم في كفرهم، فالتعريف في المسرفين للاستغراق ليشمل المتحدث عنهم وغيرهم.وأسند فعل التزيين إلى المجهول لأن المسلمين يعلمون أن المزين للمسرفين خواطرهم الشيطانية، فقد أسند فعل التزيين إلى الشيطان غير مرة، أو لأن معرفة المزين لهم غير مهمة هاهنا وإنما المهم الاعتبار والاتعاظ باستحسانهم أعمالهم الذميمة استحسانا شنيطا.والمعنى أن شأن الأعمال الذميمة القبيحة إذا تكررت من أصحابها أن تصير لهم دربة تحسن عندهم قبائحها فلا يكادون يشعرون بقبحها فكيف يقلعون عنها كما قيل:يقضى على المرء في أيام محنته ... حتى يرى حسنا ما ليس بالحسن[١٣][سورة يونس (١٠) : آية ١٣]ولقد أهلكنا

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٥٧/١١

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٧٠/١١

القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزي القوم المجرمين (١٣)عاد الخطاب إلى المشركين عودا على بدئه في قوله: إن ربكم الله- إلى قوله- لتعلموا عدد السنين والحساب [يونس: ٣- ٥] بمناسبة التماثل بينهم وبين الأمم قبلهم في الغرور بتأخير العذاب." (١)

"وجملة: وما كانوا ليؤمنوا معطوفة عليها. ومجموع الجمل الثلاث هو ما وقت به الإهلاك وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا [القصص: ٥٩] .وعبر عن انتفاء إيمانهم بصيغة لام الجحود مبالغة في انتفائه إشارة إلى اليأس من إيمانهم.وجملة: كذلك نجزي القوم المجرمين **تذييل**. والتعريف في القوم المجرمين للاستغراق فلذلك عم القرون الماضية وعم المخاطبين، وبذلك كان إنذارا لقريش بأن ينالهم ما نال أولئك. والمراد بالإجرام أقصاه، وهو الشرك.والقول في كذلك نجزي القوم المجرمين كالقول في نظيره آنفا. وكذلك ذكر لفظ (القوم) فهو كما في نظيره في هذه السورة وفي البقرة.[١٤][سورة يونس (١٠) : آية ١٤]ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون (١٤)عطف على أهلكنا [يونس: ١٣] وحرف (ثم) مؤذن ببعد ما بين الزمنين، أي ثمجعلناكم تخلفونهم في الأرض. وكون حرف (ثم) هنا عاطفا جملة على جملة تقتضي التراخي الرتبي لأن جعلهم خلائف أهم من إهلاك القرون قبلهم لما فيه من المنة عليهم، ولأنه عوضهم بهم.والخلائف: جمع خليفة. وتقدم في قوله: وهو الذي جعلكم خلائف الأرض في سورة الأنعام [١٦٥] . والمراد ب الأرض بلاد العرب، فالتعريف فيه للعهد لأن المخاطبين خلفوا عادا وثمودا وطسما وجديسا وجرهما في منازلهم على الجملة.." (٢)

"والتفريع صالح للمعنيين، وهو تفريع على ما تقدم قبله مما تضمن أنهم أشركوا بالله وكذبوا بالقرآن.ومحل (أو) على الوجهين هو التقسيم، وهو إما تقسم أحوال، وإما تقسم أنواع.والاستفهام إنكاري. والظلم: هنا بمعنى الاعتداء. وإنما كان أحد الأمرين أشد الظلم لأنه اعتداء على الخالق بالكذب عليه وبتكذيب آياته.وجملة: إنه لا يفلح المجرمون **تذييل**، وموقعه يقتضي شمول عمومه للمذكورين في الكلام المذيل (بفتح التحتية) فيقتضي أن أولئك مجرمون، وأنهم لا يفلحون.والفلاح تقدم في قوله تعالى: وأولئك هم المفلحون في سورة البقرة [٥] .وتأكيد الجملة بحرف التأكيد ناظر إلى شمول عموم المجرمين للمخاطبين لأنهم ينكرون أن يكونوا من المجرمين.وافتتاح الجملة بضمير الشأن لقصد الاهتمام بمضمونها.[١٨][سورة يونس (١٠) : آية ١٨]ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون (١٨)عطف على جملة: وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات [يونس: ١٥] عطف القصة على القصة. فهذه قصة أخرى من قصص أحوال كفرهم أن قالوا: ائت بقرآن غير هذا [يونس: ١٥] حين تتلى عليهم آيات القرآن، ومن كفرهم أنهم يعبدون الأصنام ويقولون: هؤلاء شفعاؤنا عند الله.والمناسبة بين القصتين أن في كلتيهما كفرا أظهروه في صورة السخرية والاستهزاء وإيهام أن العذر لهم في الاسترسال على الكفر، فلعلهم (كما أوهموا أنه إن أتاهم." (٣)

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١١٢/١١

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١١٤/١١

(٣) التحرير والتنويرابن عاشور ١٢٤/١١

"والحصيد: المحصود، وهو الزرع المقطوع من منابته. والإخبار عن الأرض بحصيد على طريقة المجاز العقلي وإنما المحصود نباتها. ومعنى لم تغن لم تعمر، أي لم تعمر بالزرع. يقال: غني المكان إذا عمر. ومنه المغنى للمكان المأهول. وضد أغنى أقفر المكان.والباء في بالأمس للظرفية. والأمس: اليوم الذي قبل يومك. واللام فيه مزيدة لتملية اللفظ مثل التي في كلمة الآن. والمراد بالأمس في الآية مطلق الزمن الذي مضى لأن أمس يستعمل بمعنى ما مضى من الزمان، كما يستعمل الغد في معنى المستقبل واليوم في معنى الحال. وجمعها قول زهير:وأعلم علم اليوم والأمس قبله ... ولكنني عن علم ما في غد عموجملة: كذلك نفصل الآيات إلى آخرها **تذييل** جامع، أي مثل هذا التفصيل نفصل أي نبين الدلالات كلها الدالة على عموم العلم والقدرة وإتقان الصنع. فهذه آية من الآيات المبينة وهي واحدة من عموم الآيات. وتقدم نظيره في قوله تعالى: وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين في سورة الأنعام [٥٥] .واللام في لقوم يتفكرون لام الأجل.والتفكر: التأمل والنظر، وهو تفعل مشتق من الفكر، وقد مر عند قوله تعالى: قل هل يستوي الأعمى والبصير أفلا تتفكرون في سورة الأنعام [٥٠] . وفيه تعريض بأن الذين لم ينتفعوا بالآيات ليسوا من أهل التفكر ولا كان تفصيل الآيات لأجلهم. وتقدم ذكر لفظ القوم غير مرة في هذه السورة.[٢٥][سورة يونس (١٠) : آية ٢٥]والله يدعوا إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم (٢٥)الجملة معطوفة على جملة كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون [يونس: ٢٤] ، أينفصل الآيات التي منها آية حالة الدنيا وتقضيها، وندعو إلى دار السلام دار الخلد. ولما كانت جملة." (١)

"كذلك نفصل الآيات [يونس: ٢٤] **تذييلا** وكان شأن **التذييل** أن يكون كاملا جامعا مستقلا جعلت الجملة المعطوفة عليها مثلها في الاستقلال فعدل فيها عن الإضمار إلى الإظهار إذ وضع قوله: والله يدعوا موضع ندعو لأن الإضمار في الجملة يجعلها محتاجة إلى الجملة التي فيها المعاد.وحذف مفعول يدعوا لقصد التعميم، أي يدعو كل أحد. والدعوة هي: الطلب والتحريض. وهي هنا أوامر التكليف ونواهيه.ودار السلام: الجنة، قال تعالى: لهم دار السلام عند ربهم، وقد تقدم وجه تسميتها بذلك في سورة الأنعام [١٢٧] .والهداية: الدلالة على المقصود النافع، والمراد بها هنا خلق الاهتداء إلى المقصود بقرينة قوله: من يشاء بعد قوله: والله يدعوا المفيد التعميم فإن الدعوة إلى الجنة دلالة عليها فهي هداية بالمعنى الأصلي فتعين أن يهدي هنا معناه إيجاد الهداية بمعنى آخر، وهي حصول الاهتداء بالفعل، أي خلق حصوله بأمر التكوين، كقوله: فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة [الأعراف: ٣٠] وهذا التكوين يقع إما في كل جزئية من جزئيات الاهتداء على طريقة الأشاعرة، وإما بخلق الاستعداد له بحيث يقدر على الاهتداء عند حصول الأدلة على طريقة المعتزلة وهما متقاربان في الحال، وشؤون الغيب خفية. وقد تقدم شيء من ذلك عند قوله تعالى: اهدنا الصراط المستقيم [الفاتحة: ٦] .والصراط المستقيم: الطريق الموصل.[٢٦][سورة يونس (١٠) : آية ٢٦]للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون (٢٦)هذه الجملة بدل اشتمال من جملة ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم [يونس: ٢٥] لأن الهداية." (٢)

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٤٤/١١

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١٤٥/١١

"وانتصب: شهيدا على التمييز لنسبة الكفاية إلى الله لما فيها من الإجمال.وجملة: إن كنا عن عبادتكم لغافلين جواب للقسم. (وإن) مخففة من (إن) .واسمها ضمير شأن ملتزم الحذف.وجملة: كنا عن عبادتكم لغافلين مفسرة لضمير الشأن. واللام فارقة بين (إن) المؤكدة المخففة و (إن) النافية.وتقديم قوله: عن عبادتكم على عامله للاهتمام وللرعاية على الفاصلة.[٣٠][سورة يونس (١٠) : آية ٣٠]هنالك تبلوا كل نفس ما أسلفت وردوا إلى الله مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون (٣٠)هنالك تبلوا كل نفس ما أسلفت **تذييل** وفذلكة للجمل السابقة من قوله: والله يدعوا إلى دار السلام [يونس: ٢٥] إلى هنا. وهو اعتراض بين الجمل المتعاطفة.والإشارة إلى المكان الذي أنبأ عنه قوله: نحشرهم [يونس: ٢٨] أي في ذلك المكان الذي نحشرهم فيه. واسم الإشارة في محل نصب على الظرفية. وعامله تبلوا، وقدم هذا الظرف للاهتمام به لأن الغرض الأهم من الكلام لعظم ما يقع فيه.وتبلوا تختبر، وهو هنا كناية عن التحقق وعلم اليقين. وأسلفت قدمت، أي عملا أسلفته. والمعنى أنها تختبر حالته وثمرته فتعرف ما هو حسن ونافع وما هو قبيح وضار إذ قد وضح لهم ما يفضي إلى النعيم بصاحبه، وضده.وقرأ الجمهور تبلوا بموحدة بعد المثناة الفوقية. وقرأه حمزة والكسائي وخلف بمثناة فوقية بعد المثناة الأولى على أنه من التلو وهو المتابعة، أي تتبع كل نفس ما قدمته من عمل فيسوقها إلى الجنة أو إلى النار.." (١)

"وردوا إلى الله مولاهم الحق يجوز أن تكون معطوفة على جملة: هنالك تبلوا كل نفس ما أسلفت فتكون من تمام **التذييل**، ويكون ضمير (ردوا) عائدا إلى (كل نفس) . ويجوز أن تكون معطوفة على قوله ويوم نحشرهم جميعا [يونس: ٢٨] الآية فلا تتصل **بالتذييل**، أي ونردهم إلينا، ويكون ضمير (ردوا) عائدا إلى الذين أشركوا خاصة. والمعنى تحقق عندهم الحشر الذي كانوا ينكرونه. ويناسب هذا المعنى قوله: مولاهم الحق فإن فيه إشعارا بالتورك عليهم بإبطال مواليهم الباطلة.والرد: الإرجاع. والإرجاع إلى الله الإرجاع إلى تصرفه بالجزاء على ما يرضيه وما لا يرضيه وقد كانوا من قبل حين كانوا في الحياة الدنيا ممهلين غير مجازين.والمولى: السيد، لأن بينه وبين عبده ولاء عهد الملك. ويطلق على متولي أمور غيره وموفر شؤونه.والحق: الموافق للواقع والصدق، أي ردوا إلى الإله الحق دون الباطل. والوصف بالحق هو وصف المصدر في معنى الحاق، أي الحاق المولوية، أي دون الأولياء الذين زعموهم باطلا.وضل عنهم ما كانوا يفترون هذه الجملة مختصة بالمشركين كما هو واضح.والضلال: الضياع.وما كانوا يفترون ما كانوا يكذبون من نسبتهم الإلهية إلى الأصنام، فيجوز أن يكون ما صدق (ما) الموصولة الأصنام، فيكون قد حذف العائد مع حرف الجر بدون أن يجر الموصول بمثل ما جر به العائد والحق جوازه، فالتقدير: ما كانوا يكذبون عليه أو له. وضلاله: عدم وجوده على الوصف المزعوم له.." (٢)

"إلا الضلال إذ لا واسطة بينهما. فلما كان الله هو الرب الحق تعين أن غيره مما نسبت إليه الإلهية باطل. وعبر عن الباطل بالضلال لأن الضلال أشنع أنواع الباطل.والفاء في فأنى تصرفون للتفريع أيضا، أي لتفريع التصريح بالتوبيخ على الإنكار والإبطال.وفأنى استفهام عن المكان، أي إلى مكان تصرفكم عقولكم. وهو مكان اعتباري، أي أنكم في ضلال وعماية كمن ضل عن الطريق ولا يجد إلا من ينعت له طريقا غير موصولة فهو يصرف من ضلال إلى ضلال. قال ابن

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٥٣/١١

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١٥٤/١١

عطية: وعبارة القرآن في سوق هذه المعاني تفوق كل تفسير براعة وإيجازا ووضوحا.وقد اشتملت هذه الآيات على تسع فاءات من قوله: فسيقولون الله: الأولى جوابية، والثانية فصيحة، والبواقي تفريعية.[٣٣][سورة يونس (١٠) : آية ٣٣]كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون (٣٣)**تذييل** للتعجيب من استمرارهم على الكفر بعد ما ظهر لهم من الحجج والآيات، وتأييس من إيمانهم بإفادة أن انتفاء الإيمان عنهم بتقدير من الله تعالى عليهم فقد ظهر وقوع ما قدره من كلمته في الأزل. والكاف الداخلة قبل اسم الإشارة كاف التشبيه. والمشبه به هو المشار إليه، وهو حالهم وضلالهم، أي كما شاهدت حقت كلمة ربك، يعني أن فيما شاهدت ما يبين لك أن قد حقت كلمة ربك عليهم أنهم لا يؤمنون.وقوله: أنهم لا يؤمنون بدل من (كلمة) أو من كلمات. والمراد مضمون جملة أنهم لا يؤمنون.وقرأ نافع، وابن عامر كلمات ربك بالجمع. وقرأها الباقون بالإفراد، والمعنى واحد لأن الكلمة تطلق على مجموع الكلام كقوله تعالى: كلا إنها كلمة هو قائلها [المؤمنون: ١٠٠] ، ولأن." (١)

"الجمع يكون باعتبار تعدد الكلمات أو باعتبار تكرر الكلمة الواحدة بالنسبة لأناس كثيرين.والفسق: الخروج من المسلك الذي شأن الشيء سلوكه، والمراد به فسق عن تلقي دعوة الرسل وإعمال النظر، وتقدم في قوله تعالى: وما يضل به إلا الفاسقين في سورة البقرة [٢٦] .ثم يجوز أن يكون المراد بالذين فسقوا كل من استمر على فسقه فلا يؤمن، فتكون الجملة **تذييلا** لما فيها من العموم الشامل لهؤلاء المتحدث عنهم، كقوله تعالى: كذلك يضرب الله الحق والباطل [الرعد: ١٧] ، ويجوز أن يكون المراد بالذين فسقوا المتحدث عنهم خاصة فيكون من الإظهار في مقام الإضمار لإفادة أنهم مع صفاتهم السابقة قد اتصفوا بالفسق، ولإفادة كون فسقهم علة في أن حقت عليهم كلمة الله، ويكون المشبه به هو الحق المأخوذ من حقت أي كذلك الحق حقت عليهم كلمة ربك مبالغة في ظهوره حتى إنه إذا أريد تشبيهه وتقريبه لم يشبه إلا بنفسه على طريقة قوله تعالى: وكذلك جعلناكم أمة وسطا في سورة البقرة [١٤٣] .وهي مع ذلك **تذييل** لما فيه من الفذلكة والتعجيب.[٣٤][سورة يونس (١٠) : آية ٣٤]قل هل من شركائكم من يبدؤا الخلق ثم يعيده قل الله يبدؤا الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون (٣٤)استئناف على طريقة التكرير لقوله قبله قل من يرزقكم من السماء والأرض [يونس:٣١] . وهذا مقام تقرير وتعديد الاستدلال، وهو من دواعي التكرير وهو احتجاج عليهم بأن حال آلهتهم على الضد من صفات الله تعالى فبعد أن أقام عليهم الدليل على انفراد الله تعالى بالرزق وخلق الحواس وخلق الأجناس وتدبير جميع الأمور وأنه المستحق للإلهية بسبب." (٢)

"عن الجمع في صلة (من) الثانية هو التفنن وكراهية إعادة صيغة الجمع لثقلها لا سيما بعدأن حصل فهم المراد، أو لعل اختلاف الصيغتين للمناسبة مع مادة فعلي (يستمع) و (ينظر) .ففعل (ينظر) لا تلائمه صيغة الجمع لأن حروفه أثقل من حروف (يستمع) فيكون العدول استقصاء لمقتضى الفصاحة.[٤٤][سورة يونس (١٠) : آية ٤٤]إن الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون (٤٤)**تذييل**، وشمل عموم الناس المشركين الذين يستمعون ولا يهتدون وينظرون ولا

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٥٩/١١

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١٦٠/١١

يعتبرون. والمقصود من هذا التذييل التعريض بالوعيد بأن سينالهم ما نال جميع الذين ظلموا أنفسهم بتكذيب رسل الله. وعموم الناس الأول على بابه وعموم الناس الثاني مراد به خصوص الناس الذين ظلموا أنفسهم بقرينة الخبر. وإنما حسن الإتيان في جانب هؤلاء بصيغة العموم تنزيلا للكثرة منزلة الإحاطة لأن ذلك غالب حال الناس في ذلك الوقت.وهذا الاستدراك أشعر بكلام مطوي بعد نفي الظلم عن الله، وهو أن الله لا يظلم الناس بعقابه من لم يستوجب العقاب ولكن الناس يظلمون فيستحقون العقاب، فصار المعنى أن الله لا يظلم الناس بالعقاب ولكنهم يظلمون أنفسهم بالاعتداء على ما أراد منهم فيعاقبهم عدلا لأنهم ظلموا فاستوجبوا العقاب.وتقديم المفعول على عامله لإفادة تغليطهم بأنهم ما جنوا بكفرهم إلا على أنفسهم وما ظلموا الله ولا رسله فما أضروا بعملهم إلا أنفسهم.وقرأ الجمهور بتشديد نون لكن ونصب الناس. وقرأ حمزة والكسائي وخلف بتخفيف النون ورفع الناس.." (١)

"باعتبار المعنى مع تغليب المذكر على المؤنث، وعبر عن الإسرار المستقبلي بلفظ الماضي تنبيها على تحقيق وقوعه حتى كأنه قد مضى، والمعنى: وسيسرون الندامة قطعا.وكذلك قوله: وقضي بينهم.والندامة: الندم، وهو أسف يحصل في النفس على تفويت شيء ممكن عمله في الماضي، والندم من هواجس النفس، فهو أمر غير ظاهر ولكنه كثير، أي يصدر عن صاحبه قول أو فعل يدل عليه، فإذا تجلد صاحب الندم فلم يظهر قولا ولا فعلا فقد أسر الندامة، أي قصرها على سره فلم يظهرها بإظهار بعض آثارها، وإنما يكون ذلك من شدة الهول فإنما أسروا الندامة لأنهم دهشوا لرؤية ما لم يكونوا يحتسبون فلم يطيقوا صراخا ولا عويلا.وجملة: وقضي بينهم عطف على جملة: وأسروا مستأنفة.ومعنى: قضي بينهم قضي فيهم، أي قضي على كل واحد منهم بما يستحقه بالعدل، فالقضاء بالعدل وقع فيهم، وليس المعنى أنه قضي بين كل واحد وآخر لأن القضاء هنا ليس قضاء نزاع ولكنه قضاء زجر وتأنيب، إذ ليس الكلام هنا إلا على المشركين وهم صنف واحد، بخلاف قوله تعالى: فإذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط [يونس: ٤٧] فإن ذلك قضاء بين المرسل إليهم وبين الرسل كما قال تعالى:فلنسئلن الذين أرسل إليهم ولنسئلن المرسلين فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين [الأعراف: ٦، ٧] .وجملة: وهم لا يظلمون حالية.[٥٥، ٥٦][سورة يونس (١٠) : الآيات ٥٥ إلى ٥٦]ألا إن لله ما في السماوات والأرض ألا إن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون (٥٥) هو يحيي ويميت وإليه ترجعون (٥٦)تذييل تنهية للكلام المتعلق بصدق الرسول والقرآن وما جاء به من الوعيد وترقب يوم البعث ويوم نزول العذاب بالمشركين. وقد اشتمل هذا التذييل على مجمل تفصيل ذلك الغرض، وعلى تعليله بأن من هذه شؤونه لا يعجز عن تحقيق ما أخبر بوقوعه.." (٢)

"فكان افتتاحه بأن الله هو المتوحد بملك ما في السماوات والأرض فهو يتصرف في الناس وأحوالهم في الدنيا والآخرة تصرفا لا يشاركه فيه غيره فتصرفه في أمور السماء شامل للمغيبات كلها، ومنها إظهار الجزاء بدار الثواب ودار العذاب وتصرفه في أمور الأرض شامل لتصرفه في الناس. ثم أعقب بتحقيق وعده، وأعقب بتجهيل منكريه، وأعقب بالتصريح بالمهم من ذلك وهو الإحياء والإماتة والبعث.وافتتح هذا التذييل بحرف التنبيه، وأعيد فيه حرف التنبيه للاستيعاء لسماعه، وللتنبيه

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١١/١٨٠

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١١/١٩٨

على أنه كلام جامع هو حوصلة الغرض الذي سمعوا تفصيله آنفا.وتأكيد الخبر بحرف إن للرد على المشركين لأنهم لما جعلوا لله شركاء فقد جعلوها غير مملوكة لله. ولا يدفع عنهم ذلك أنهم يقولون: ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى لأن ذلك اضطراب وخبط.وقدم خبر إن على اسمها للاهتمام باسمه تعالى ولإفادة القصر لرد اعتقادهمالشركة كما علمت.وأكد بحرف التوكيد بعد حرف التنبيه في الموضعين للاهتمام به، ولرد إنكار منكري بعضه والذين هم بمنزلة المنكرين بعضه الآخر.واللام في لله للملك، و (ما) اسم موصول مفيد لعموم كل ما ثبتت له صلة الموصول من الموجودات الظاهرة والخفية.ووعد الله: هو وعده بعذاب المشركين، وهو وعيد، ويجوز أن يكون وعده مرادا به البعث، قال تعالى: كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين [الأنبياء: ١٠٤] فسمى إعادة الخلق وعدا.وأظهر اسم الجلالة في الجملة الثانية دون الإتيان بضميره لتكون الجملة مستقلة لتجري مجرى المثل والكلام الجامع.." (١)

"وجملة: إن الله لذو فضل على الناس **تذييل** للكلام المفتتح بقوله: يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور [يونس: ٥٧] . وفيه قطع لعذر المشركين، وتسجيل عليهم بالتمرد بأن الله تفضل عليهم بالرزق والموعظة والإرشاد فقابلوا ذلك بالكفر دون الشكر وجعلوا رزقهم أنهم يكذبون في حين قابله المؤمنون بالفرح والشكر فانتفعوا به في الدنيا والآخرة.[٦١][سورة يونس (١٠) : آية ٦١]وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين (٦١)معطوفة على جملة وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة [يونس: ٦٠] عطف غرض على غرض، لأن فصل الغرض الأول **بالتذييل** دليل على أن الكلام قد نقل إلى غرض آخر، وذلك الوعد بالثواب للرسول على ما هو قائم به من تبليغ أمر الله وتدبير شؤون المسلمين وتأييد دين الإسلام، وبالثواب للمسلمين على اتباعهم الرسول فيما دعاهم إليه. وجاء هذا الوعد بطريقة التعريض بحصول رضى الله تعالى عنهم في قوله: إلا كنا عليكم شهودا لأنهم يعلمون أن عملهم وعمل النبيء ما كان إلا في مرضاة الله، فهو كقوله تعالى: الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين. ويتضمن ذلك تنويها بالنبيء صلى الله عليه وسلم في جليل أعماله وتسلية على ما يلاقيه من المشركين من تكذيب وأذى، لأن اطلا ع الله على ذلك وعلمه بأنه في مرضاته كاف في التسلية،كقوله: واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا [الطور: ٤٨] ، ولذلك توجه الخطاب ابتداء إلى النبيء صلى الله عليه وسلم ثم توجه إليه وإلى من معه من المسلمين.وما الأولى وما الثانية نافيتان.." (٢)

"وجملة: وما يعزب عن ربك إلخ عطف على جملة: وما تكون في شأن، وهي بمنزلة **التذييل** لما فيها من زيادة التعميم في تعلق علم الله تعالى بجميع الموجودات بعد الكلام على تعلقه بعمل النبيء صلى الله عليه وسلم والمسلمين.والعزوب: البعد، وهو مجاز هنا للخفاء وفوات العلم، لأن الخفاء لازم للشيء البعيد، ولذلك علق باسم الذات دون صفة العلم فقال: عن ربك.وقرأ الجمهور يعزب- بضم الزاي-، وقرأه الكسائي- بكسر الزاي- وهماوجهان في مضارع (عزب) .و (من) في

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٩٩/١١

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢١١/١١

قوله: من مثقال ذرة مزيدة لتأكيد عموم النفي الذي في ما يعزب.والمثقال: اسم آلة لما يعرف به مقدار ثقل الشيء فهو وزن مفعال من ثقل، وهو اسم لصنج مقدر بقدر معين يوزن به الثقل.والذرة: النملة الصغيرة، ويطلق على الهباءة التي ترى في ضوء الشمس كغبار دقيق جدا، والظاهر أن المراد في الآية الأول. وذكرت الذرة مبالغة في الصغر والدقة للكناية بذلك عن إحاطة العلم بكل شيء فإن ما هو أعظم من الذرة يكون أولى بالحكم.والمراد بالأرض والسماء هنا العالم السفلي والعالم العلوي. والمقصود تعميم الجهات والأبعاد بأخصر عبارة. وتقديم الأرض هنا لأن ما فيها أعلق بالغرض الذي فيه الكلام وهو أعمال الناس فإنهم من أهل الأرض بخلاف ما في سورة سبأ [٣] عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض فإنه لما كان المقام لذكر علم الغيب والغيب ما غاب عن الناس ومعظمه في السماء لاءم ذلك أن قدمت السماء على الأرض.وعطف ولا أصغر من ذلك ولا أكبر على ذرة تصريحا بما كني عنه بمثقال ذرة من جميع الأجرام.وأصغر بالفتح في قراءة الجمهور ممنوعا من الصرف لأنه معطوف على ذرة." (١)

"وقوله: السحر قرأه الجمهور بهمزة وصل في أوله هي همزة (ال) ، فتكون (ما) في قوله: ما جئتم به اسم موصول، والسحر عطف بيان لاسم الموصول. وقرأه أبو عمرو، وأبو جعفر آلسحر بهمزة استفهام في أوله وبالمد لتسهيل الهمزة الثانية، فتكون (ما) في قوله: ما جئتم به استفهامية ويكون (آلسحر) استفهاما مبينا ل (ما) الاستفهامية.وهو مستعم في التحقير. والمعنى: أنه أمر هين يستطيعه ناس كثيرون.وإن الله سيبطله خبر (ما) الموصولة على قراءة الجمهور، واستئناف بياني على قراءة أبي عمرو ومن وافقه وتأكيد الخبر ب (إن) زيادة في إلقاء الروع في نفوسهم.وإبطاله: إظهار أنه تخييل ليس بحقيقة، لأن إظهار ذلك إبطال لما أريد منه، أي إن الله سيبطل تأثيره على الناس بفضح سره، وأشارت علامة الاستقبال إلى قرب إبطاله، وقد حصل ذلك العلم لموسى- عليه السلام- بطريق الوحي الخاص في تلك القضية، أو العام باندراجه تحت قاعدة كلية، وهي مدلول إن الله لا يصلح عمل المفسدين.فجملة: إن الله لا يصلح عمل المفسدين معترضة، وهي تعليل لمضمون جملة إن الله سيبطله، **وتذييل** للكلام بما فيه نفي الإصلاح. وتعريف المفسدين بلام الجنس، من التعميم في جنس الإصلاح المنفي وجنس المفسدين ليعلم أن سحرهم هو من قبيل عمل المفسدين، وإضافة عمل إلى المفسدين يؤذن بأنه عمل فاسد، لأنه فعل من شأنهم الإفساد فيكون نسجا على منوالهم وسيرة على معتادهم، والمراد بإصلاح عمل المفسدين الذي نفاه أنه لا يؤيده. وليس المراد نفي تصييره صالحا، لأن ماهية الإفساد لا تقبل أن تصير صلاحا حتى ينفى تصييرها كذلك عن الله، وإنما إصلاحها هو إعطاؤها الصلاح، فإذا نفى الله إصلاحها فذلك بتركها وشأنها، ومن شأن الفساد أن يتضاءل مع الزمان حتى يضمحل.." (٢)

"فإن كل زيادة في كلام البليغ يقصد منها معنى زائد، وإلا لكانت حشوا في الكلام والكلام البليغ موزون، ولغة العرب مبنية على أساس الإيجاز.ولمن خلفك أي من وراءك. والوراء: هنا مستعمل في معنى المتأخر والباقي، أي من ليسوا معك. والمراد بهم من يخلفه من الفراعنة ومن معهم من الكهنة والوزراء، أي لتكون ذاته آية على أن الله غالب من أشركوا

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢١٤/١١

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٥٦/١١

به، وأن الله أعظم وأقهر من فرعون وآلهته في اعتقاد القبط، إذ يرون فرعون الإله عندهم طريحا على شاطيء البحر غريقا.فتلك ميتة لا يستطيعون معها الدجل بأنه رفع إلى السماء، أو أنه لم يزل يتابع بني إسرائيل، أو نحو ذلك من التكاذيب لأنهم كانوا يزعمون أن فرعون لا يغلب، وأن الفراعنة حين يموتون إنما ينقلون إلى دار الخلود. ولذلك كانوا يموهون على الناس فيبنون له البيوت في الأهرام ويودعون بها لباسه وطعامه ورياشه وأنفس الأشياء عنده، فموته بالغرق وهو يتبع أعداءه ميتة لا تؤول بشيء من ذلك، فلذلك جعل كونه آية لمن خلفه علة لإخراجه من غمرة الماء ميتا كاملا، فهم مضطرون إلى الاعتراف بأنه غرق إذا نظروا في تلك الآية.ولم يعدم فرعون فائدة من إيمانه، فإن الله بحكمته قدر له الخروج من غمرات الماء، فلم يبق في الماء أكلة للحيتان ولكن لفظته الأمواج، وتلك حالة أقل خزيا من حالات سائر جيشه بها ظهر نفع ما له بما حصل لنفسه من الإيمان في آخر أحواله.وكلمة فاليوم مستعملة في معنى (الآن) لأن اسم اليوم أطلق على جزء من زمن الحال مجازا بعلاقة الكلية والجزئية.وجملة: وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون تذييل لموعظة المشركين، والواو اعتراضية، أو واو الحال.." (١)

"وما جاءهم من العلم يجوز أن يكون ما جاءهم به الأنبياء من شرع الله فلم يعملوا بما جاؤوهم به، وأعظم ذلك تكذيبهم بمحمد- عليه الصلاة والسلام-.فعن ابن عباس: هم اليهود الذين كانوا في زمن النبيء محمد صلى الله عليه وسلم كانوا قبل مبعثه مقرين بنبيء يأتي، فلما جاءهم العلم، وهو القرآن اختلفوا في تصديق محمد- عليه الصلاة والسلام-، قال ابن عباس: هم قريظة والنضير وبنو قينقاع.ويجوز أن يكون العلم هو القرآن، وعلى هذا الوجه يكون معنى الآية كمعنى قوله:إن الدين عند الله الإسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم [آل عمران: ١٩] ، وقوله: وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة [البينة: ٤] فإن البينة هي محمد صلى الله عليه وسلم لأن قبل هذا قوله: لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة رسول من الله يتلوا صحفا مطهرة [البينة:١، ٢] الآية. وقال تعالى: فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به [البقرة: ٨٩] .وهذا المحمل هو المناسب لحرف (حتى) في قوله تعالى: فما اختلفوا حتى جاءهم العلم.وتعقيب فما اختلفوا بالغاية يؤذن بأن ما بعد الغاية منتهى حالة الشكر، أي فبقوافي ذلك المبوأ، وفي تلك النعمة، حتى اختلفوا فسلبت نعمتهم فإن الله سلبهم أوطانهم.وجملة: إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة تذييل وتوعد، والمقصود منه: أن أولئك قوم مضوا بما عملوا وأن أمرهم إلى ربهم كقوله: تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم [البقرة: ١٣٤] ، وفيه إيماء إلى أن على الحاضرين اليوم أن يفكروا في وسائل الخلاص من الضلال والوقوع في المؤاخذة يوم القيامة.و (بين) ظرف مكان للقضاء المأخوذ من فعل (يقضي) ففعل القضاء كأنه متخلل بينهم لأنه متعلق بتبيين المحق والمبطل.." (٢)

"ومعنى (حقت) ثبتت. و (على) للاستعلاء المجازي، وهو تمكن الفعل الذي تعلقت به. والمراد بكلمات الله: أمر التكوين، وجمعت الكلمات بالنظر إلى أن متعلقها ناس كثيرون، فكل واحد منهم تحق عليه كلمة.وقرأ غير نافع، وابن عامر

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٧٩/١١

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٨٣/١١

كلمت ربك على مراعاة الجنس إذ تحق على كل أمة كلمة، وهذا الكلام عظة للمشركين. قال غيرهم: وتحذير من أن يكونوا مظهرا لمن حقت عليهم كلمة الشقوة وإنذار بوشك حلول العذاب بهم.فالموصول على هذا التفسير مراد به معهود، والجملة كلها مستأنفة، و (إن) للتوكيدالمقصود به التحقيق، أي لا شك أن هؤلاء من أولئك فقد اتضح أمرهم واليأس من إيمانهم.ويحتمل أن تجعل الجملة في موضع التعليل للقصص السابقة فتكون بمنزلة **التذييل**، والموصول للعموم الجامع جميع الأمم التي هي بمثابة الأمم المتحدث عنهم وتكون (إن) لمجرد الاهتمام بالخبر، فتفيد التعليل والربط، وتغني عن فاء التفريع كالتي في قول بشار:إن ذاك النجاح في التبكير كما تقدم غير مرة ويكون في الآية تعريض آخر بالمشركين.و (لو) وصلية للمبالغة، أي لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية فكيف إذا لم تجئهم إلا بعض الآيات.و (كل) مستعملة في معنى الكثرة، وهو استعمال كثير في القرآن. كما سيأتي عند قوله تعالى: وعلى كل ضامر في سورة الحج [٣١] وقوله: وعلم آدم الأسماء كلها في سورة البقرة [٢٧] ، أي ولو جاءتهم آيات كثيرة تشبه في الكثرة استغراق جميع الآيات الممكن وقوعها. وقد تقدم نظير ذلك آنفا.." (١)

"عبد الله بن خطل، لأنه لم يأت مؤمنا قبل أن يتمكن منه المسلمون ولم ينفعه التعلق بأستار الكعبة لأن ذلك التعلق ليس بإيمان وإنما هو من شعار العوذ في الجاهلية بما أبطله الإسلام إذقال النبيء صلى الله عليه وسلم: «إن الحرم لا يعيذ عاصيا». وقد بينا في آخر سورة غافر [٨٤] عند قوله تعالى: فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده إلى آخر السورة فانظره.[٩٩][سورة يونس (١٠) : آية ٩٩]ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين (٩٩)عطف على جملة: إن الذين حقت عليهم كلمات ربك لا يؤمنون [يونس: ٩٧] لتسلية النبيء صلى الله عليه وسلم على ما لقيه من قومه. وهذا **تذييل** لما تقدم من مشابهة حال قريش مع النبيء صلى الله عليه وسلم بحال قوم نوح وقوم موسى وقوم يونس. وهذه الجملة كالمقدمة الكلية للجملة التي بعدها،وهي جملة: أفأنت تكره المفرعة على الجملة الأولى، وهي المقصود من التسلية.والناس: العرب، أو أهل مكة منهم، وذلك إيماء إلى أنهم المقصود من سوق القصص الماضية كما بيناه عند قوله تعالى: واتل عليهم نبأ نوح [يونس: ٧١] .والتأكيد ب كلهم للتنصيص على العموم المستفاد من (من) الموصولة فإنها للعموم، والتأكيد ب جميعا لزيادة رفع احتمال العموم العرفي دون الحقيقي.والمعنى: لو شاء الله لجعل مدارك الناس متساوية منساقة إلى الخير، فكانوا سواء في قبول الهدى والنظر الصحيح.و." (٢)

"وماذا بمعنى ما الذي، و (ما) استفهام، و (ذا) أصله اسم إشارة، وهو إذا وقع بعد (ما) قام مقام اسم موصول. وفي السماوات والأرض قائم مقام صلة الموصول.وأصل وضع التركيب: ما هذا في السماوات والأرض، أي ما المشار إليه حال كونه في السماوات والأرض، فكثر استعماله حتى صار في معنى: ما الذي. والمقصود: انظروا ما يدلكم على جواب هذا الاستفهام، فكل شيء له حالة فهو مراد بالنظر العقلي بتركيبه في صورة مفعولين، نحو: انظروا الشمس طالعة، وانظروا السحاب ممطرا، وهكذا، وكل شيء هو في ذاته آية فهو مراد بالنظر البصري نحو: انظروا إنبات الأرض بعد جدبها فهو آية

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٨٧/١١

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٩٢/١١

على وقوع البعث. ف (ذا) لما قام مقام اسم الموصول صار من صيغ العموم تشمل جميع الأجرام وأعراضها الدالة على وحدانية الله وحكمته، وأخص ذلك التأمل في خلق النبيء صلى الله عليه وسلم ونشأة دعوته، والنظر فيما جاء به. فكل ذلك دلائل على كماله وصدقه.وقد طوي في الكلام جواب الأمر لوقوع الأمر عقب أسباب الإيمان، فالتقدير:انظروا تروا آيات موصلة إلى الإيمان.وجملة: وما تغني الآيات معترضة ذيلت بها جملة: انظروا ماذا في السماوات والأرض فيجوز أن تكون متممة لمقول القول مما أمر النبيء صلى الله عليه وسلم أن يقوله لهم ويجوز أن تكون استئناف كلام من الله تعالى. والمعنى أبلغهم ما أمرت بتبليغه إليهم وليست تغني الآيات عن قوم لا يؤمنون، أي الذين جعل الله نفوسهم لا تؤمن، ولما كان قوله:انظروا ماذا في السماوات والأرض مفيدا أن ذلك آيات كما تقدم حسن وقع التعبير عنها بالآيات هنا، فمعنى وما تغني الآيات: وما يغني ما في السماوات والأرض عن قوم لا يؤمنون، فكان التعبير بالآيات كالإظهار في مقام الإضمار. وزيدت (النذر) فعطفت على الآيات لزيادة التعميم في هذه الجملة حتى تكون أوسع دلالة من التي قبلها لتكون **كالتذييل** لها، وذلك أن." (١)

"ينتظر من ذلك ضد ما يحصل لهم، فالمعية في أصل الانتظار لا في الحاصل بالانتظار. و (مع) حال مؤكدة. ومن المنتظرين خبر (إن) ومفاده مفاد (مع) إذ ما صدق المنتظرين هم المخاطبون المنتظرون.وثم ننجي رسلنا عطف على جملة: فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا لأن مثل تلك الأيام يوم عذاب. ولما كانوا مهددين بعذاب يحل بموضع فيه الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنون عجل الله البشارة للرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بأنه ينجيهم من ذلك العذاب بقدرته كما أنجى الرسل من قبله.وجملة: كذلك حقا علينا ننج المؤمنين **تذييل**. والإشارة ب كذلك إلىالإنجاء المستفاد من ثم ننجي.وحقا علينا جملة معترضة لأن المصدر بدل من الفعل، أي حق ذلك علينا حقا.وجعله الله حقا عليه تحقيقا للتفضل به والكرامة حتى صار كالحق عليه.وقرأ الجمهور ننجي المؤمنين بفتح النون الثانية وتشديد الجيم على وزان ننجي رسلنا. وقرأ الكسائي، وحفص عن عاصم ننجي المؤمنين بسكون النون الثانية وتخفيف الجيم من الإنجاء. فالمخالفة بينه وبين نظيره الذي قبله تفنن، والمعنى واحد.وكتب في المصحف ننج المؤمنين بدون ياء بعد الجيم على صورة النطق بها للالتقاء الساكنين.." (٢)

"إلى ما تقدم من الضر، والضمير باعتبار أنه مذكور فيكون تخويفا وتبشيرا وتحذيرا وترغيبا.وقد أجملت المشيئة هنا ولم تبين أسبابها ليسلك لها الناس كل مسلك يأملون منه تحصيلها في العطاء وكل مسلك يتقون بوقعهم فيها في الحرمان.والإصابة: اتصال شيء بآخر ووروده عليه، وهي في معنى المس المتقدم، فقوله:يصيب به من يشاء هو في معنى قوله في سورة الأنعام [١٧] وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير.**والتذييل** بجملة: وهو الغفور الرحيم يشير إلى أن إعطاء الخير فضل من اللهورحمة وتجاوز منه تعالى عن سيئات عباده الصالحين، وتقصيرهم وغفلاتهم، فلو شاء لما تجاوز لهم عن شيء من ذلك فتورطوا كلهم.ولولا غفرانه لما كانوا أهلا لإصابة الخير، لأنهم مع تفاوتهم في الكمال لا يخلون من قصور عن الفضل الخالد الذي هو الكمال عند الله، كما أشار إليهالنبيء صلى الله عليه وسلم بقوله: «إني ليغان على قلبي فأستغفر

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٩٦/١١

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٩٩/١١

الله في اليوم سبعين مرة». ويشير أيضا إلى أن الله قد تجاوز عن كثير من سيئات عباده المسرفين ولم يؤاخذهم إلا بما لا يرضى عنه بحال كما قال: ولا يرضى لعباده الكفر [الزمر: ٧] ، وأنه لولا تجاوزه عن كثير لمسهم الله بضر شديد في الدنيا والآخرة.." (١)

"[سورة يونس (١٠) : آية ١٠٩]واتبع ما يوحى إليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين (١٠٩)عطف على قل أي بلغ الناس ذلك القول واتبع ما يوحى إليك، أي اتبع في نفسك وأصحابك ما يوحى إليك. واصبر أي على معاندة الذين لم يؤمنوا بقرينة الغاية بقوله: حتى يحكم الله فإنها غاية لهذا الصبر الخاص لا لمطلق الصبر.ولما كان الحكم يقتضي فريقين حذف متعلقه تعويلا على قرينة السياق، أي حتيحكم الله بينك وبينهم.وجملة: وهو خير الحاكمين ثناء وتذييل لما فيه من العموم، أي وهو خير الحاكمين بين كل خصمين في هذه القضية وفي غيرها، فالتعريف في الحاكمين للاستغراق بقرينة التذييل.وخير تفضيل، أصله أخير فحذفت الهمزة لكثرة الاستعمال. والأخيرية من الحاكمين أخيرية وفاء الإنصاف في إعطاء الحقوق. وهي هنا كناية عن معاقبة الظالم، لأن الأمر بالصبر مشعر بأن المأمور به معتدى عليه، ففي الإخبار بأن الله خير الحاكمين إيماء بأن الله ناصر رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على الذين كذبوا وعاندوا. وهذا كلام جامع فيه براعة المقطع.." (٢)

"[سورة هود (١١) : آية ٩]ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليؤس كفور (٩)عطف على جملة ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة [هود: ٨] . فإنه لما ذكر أن ما هم فيه متاع إلى أجل معلوم عند الله. وأنهم بطروا نعمة التمتيع فسخروا بتأخير العذاب، بينت هذه الآية أن أهل الضلالة راسخون في ذلك لأنهم لا يفكرون في غير اللذات الدنيوية فتجري انفعالاتهم على حسب ذلك دون رجاء لتغير الحال، ولا يتفكرون في أسباب النعيم والبؤس وتصرفات خالق الناس ومقدر أحوالهم، ولا يتعظون بتقلبات أحوال الأمم، فشأن أهل الضلالة أنهم إن حلت بهم الضراء بعد النعمة ملكهم اليأس من الخير ونسوا النعمة فجحدوها وكفروا منعمها، فإن تأخير العذاب رحمة وإتيان العذاب نزع لتلك الرحمة، وهذه الجملة في قوة التذييل. فتعريف (الإنسان) تعريف الجنس مراد به الاستغراق، وبذلك اكتسبت الجملة قوة التذييل. فمعيار العموم الاستثناء في قوله تعالى:إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات [هود: ١١] كما يأتي، فيكون الاستغراق عرفيا جارياعلى اصطلاح القرآن من إطلاق لفظ الإنسان أو الناس، ولأن وصفي ليؤس كفور يناسبان المشركين فيتخصص العام بهم.وقيل التعريف في الإنسان للعهد مراد منه إنسان خاص، فروى الواحدي عن ابن عباس أنها نزلت في الوليد بن المغيرة. وعنه أنها نزلت في عبد الله بن أبي أمية المخزومي. ويجوز أن يكون المراد كل إنسان إذا حل به مثل ذلك على تفاوت في الناس في هذا اليأس.واللام موطئة للقسم.والإذاقة مستعملة في إيصال الإدراك على وجه المجاز، واختيرت مادة الإذاقة لما تشعر به من إدراك أمر محبوب لأن المرء لا يذوق إلا ما يشتهيه.." (٣)

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١١/٣٠٧

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١١/٣١٠

(٣) التحرير والتنويرابن عاشور ١٢/١٢

"الماضي، وبقرينة التحذير من أن يكون ذلك سببا في ضيق صدره لأن التحذير إنما يتعلق بالمستقبل.ومرادهم ب جاء معه ملك أن يجيء ملك من الملائكة شاهدا برسالته، وهذا من جهلهم بحقائق الأمور وتوهمهم أن الله يعبأ بإعراضهم ويتنازل لإجابة مقترح عنادهم، ومن قصورهم عن فهم المعجزات الإلهية ومدى التأييد الرباني.وجملة إنما أنت نذير في موقع العلة للتحذير من تركه بعض ما يوحى إليه وضيق صدره من مقالتهم. فكأنه قيل لا تترك إبلاغهم بعض ما يوحى إليك ولا يضق صدرك من مقالهم لأنك نذير لا وكيل على تحصيل إيمانهم، حتى يترتب على يأسك من إيمانهم ترك دعوتهم.والقصر المستفاد من إنما قصر إضافي، أي أنت نذير لا موكل بإيقاع الإيمان في قلوبهم إذ ليس ذلك إليك بل هو لله، كما دل عليه قوله قبله فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك فهو قصر قلب. وفيه تعريض بالمشركين برد اعتقادهم أن الرسول يأتي بما يسأل عنه من الخوارق فإذا لم يأتهم به جعلوا ذلك سندا لتكذيبهم إياه ردا حاصلا من مستتبعات الخطاب، كما تقدم عند قوله تعالى: فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك إذ كثر في القرآن ذكر نحو هذه الجملة في مقام الرد على المشركين والكافرين الذين سألوا الإتيان بمعجزات على وفق هواهم.وجملة والله على كل شيء وكيل **تذييل** لقوله: فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك إلى هنا، وهي معطوفة على جملة إنما أنت نذير لما اقتضاه القصر من إبطال أن يكون وكيلا على إلجائهم للإيمان. ومما شمله عموم كل شيء أن الله وكيل على قلوبالمكذبين وهم المقصود، وإنما جاء الكلام بصيغة العموم ليكون **تذييلا** وإتيانا للغرض بما هو كالدليل." (١)

"والإجرام: اكتساب الجرم وهو الذنب، فهو يقتضي المؤاخذة لا محالة.وجملة وأنا بريء مما تجرمون معطوفة على جملة الشرط والجزاء، فهي ابتدائية.وظاهرها أنها **تذييل** للكلام وتأييده بمقابله، أي فإجرامي علي لا عليكم كما أن إجرامكم لا تنالني منه تبعة. ولا حاجة إلى تقدير المضاف في قوله: مما تجرمون أي تبعته وإنما هو تقدير معنى لا تقدير إعراب، والشيء يؤكد بضده كقوله: لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد [الكافرون: ٢، ٣] .وفي هذه الجملة توجيه بديع وهو إفادة تبرئة نفسه من أن يفتري القرآن فإن افتراء القرآن دعوى باطلة ادعوها عليه فهي إجرام منهم عليه، فيكون المعنى وأنا بريء من قولكم الذي تجرمونه علي باطلا.[٣٦][سورة هود (١١) : آية ٣٦]وأوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون (٣٦)عطف على جملة قالوا يا نوح قد جادلتنا [هود: ٣٢] أي بعد ذلك أوحي إلى نوح- عليه السلام- أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن.واسم (أن) ضمير الشأن دال على أن الجملة بعده أمرهم خطير لأنها تأييس له من إيمان بقية قومه كما دل حرف لن المفيد تأبيد النفي في المستقبل، وذلك شديد عليهولذلك عقب بتسليته بجملة فلا تبتئس بما كانوا يفعلون فالفاء لتفريع التسلية على الخبر المحزن.والابتئاس افتعال من البؤس وهو الهم والحزن، أي لا تحزن.ومعنى الافتعال هنا التأثر بالبؤس الذي أحدثه الخبر المذكور. بما كانوا يفعلون هو إصرارهم على الكفر واعتراضهم عن النظر في الدعوة إلى وقت أن." (٢)

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٨/١٢

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٦٥/١٢

"يلابسه القسط، أي العدل تعليلا للأمر به، لأن العدل معروف حسن، وتنبيها على أن ضده ظلم وجور وهو قبيح منكر.والقسط تقدم في قوله تعالى: قائما بالقسط في آل عمران [١٨] .والبخس: النقص. وتقدم في قصته في سورة الأعراف مفسرا. وذكر ذلك بعد النهي عن نقص المكيال والميزان **تذييل** بالتعميم بعد تخصيص. لأن التطفيف من بخس الناس في أشيائهم، وتعدية تبخسوا إلى مفعولين باعتباره ضد أعطى فهو من باب كسا.والعثي- بالياء- من باب سعى ورمى ورضي، وبالواو كدعا، هو: الفساد. ولذلك فقوله مفسدين حال مؤكدة لعاملها مثل التوكيد اللفظي مبالغة في النهي عن الفساد.والمراد: النهي عن الفساد كله، كما يدل عليه قوله: في الأرض المقصود منه تعميم أماكن الفساد.والفساد تقدم في قوله تعالى: وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض في أول سورة البقرة [١١] .وقد حصل النهي عن الأعم بعد النهي عن العام، وبه حصلت خمسة مؤكدات:بالأمر بعد النهي عن الفساد الخاص، ثم بالتعميم بعد التخصيص، ثم بزيادة التعميم، ثم بتأكيد التعميم الأعم بتعميم المكان، ثم بتأكيده بالمؤكد اللفظي.وسلك في نهيهم عن الفساد مسلك التدرج فابتدأه بنهيهم عن نوح من الفساد فاش فيهم وهو التطفيف. ثم ارتقى فنهاهم عن جنس ذلك النوع وهو أكل أموال الناس. ثم ارتقى فنهاهم عن الجنس الأعلى للفساد الشامل لجميع أنواع المفاسد وهو الإفساد في الأرض كله. وهذا من أساليب الحكمة في تهيئة النفوس بقبول الإرشاد والكمال.." (١)

"الرسل وزادهم تأميلهم الأصنام، وقد كانت خرافات الأصنام ومناقبها الباطلة مغرية لهم بارتكاب الفواحش والضلال وانحطاط الأخلاق وفساد التفكير جرأة على رسل الله حتى حق عليهم غضب الله المستوجب حلول عذابه بهم.[١٠٢][سورة هود (١١) : آية ١٠٢]وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد (١٠٢)الإشارة إلى المذكورة من استئصال تلك القرى. وهو ما يدل عليه قوله: أخذ ربك. والتقدير: وكذلك الأخذ الذي أخذنا به تلك القرى أخذ ربك إذا أخذ القرى.والتشبيه في الكيفية والعاقبة.والمقصود من هذا **التذييل** تعريض بتهديد مشركي العرب من أهل مكة وغيرها.والظلم: الشرك. وجملة إن أخذه أليم شديد في موضع البيان لمضمون وكذلك أخذ ربك. وفيه إشارة إلى وجه الشبه.[١٠٣، ١٠٤][سورة هود (١١) : الآيات ١٠٣ إلى ١٠٤]إن في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود (١٠٣) وما نؤخره إلا لأجل معدود (١٠٤)بيان للتعريض وتصريح بعد تلويح. والمعنى: وكذلك أخذ ربك فاحذروه وحذروا ما هو أشد منه وهو عذاب الآخرة. والإشارة إلى الأخذ المتقدم. وفي هذا تخلص إلى موعظة المسلمين والتعريض بمدحهم بأن مثلهم من ينتفع بالآيات ويعتبر بالعبر كقوله:وما يعقلها إلا العالمون [العنكبوت: ٤٣] .." (٢)

"[سورة هود (١١) : آية ١١١]وإن كلا لما ليوفينهم ربك أعمالهم إنه بما يعملون خبير (١١١)**تذييل** للأخبار السابقة. والواو اعتراضية. و (إن) مخففة من إن الثقيلة في قراءة نافع، وابن كثير، وأبي بكر عن عاص، وأعملت في اسمها فانتصب بعدها. و (إن) المخففة إذا وقعت بعدها جملة اسمية يكثر إعمالها ويكثر إهمالها قاله الخليل وسيبويه ونحاة البصرة

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٣٨/١٢

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١٦٠/١٢

وهو الحق. وقرأ الباقون (إن) مشددة على الأصل.وبتنوين كلا عوض عن المضاف إليه. والتقدير: وإن كلهم، أي كل المذكورين آنفا من أهل القرى، ومن المشركين المعرض بهم، ومن المختلفين في الكتاب من أتباع موسى- عليه السلام-.و (لما) مخففة في قراءة نافع، وابن كثير، وأبي عمرو، والكسائي، فاللام الداخلة على (ما) لام الابتداء التي تدخل على خبر- إن. واللام الثانية الداخلة على ليوفينهم لام جواب القسم. و (ما) مزيدة للتأكيد. والفصل بين اللامين دفعا لكراهة توالي مثلين.وقرأ ابن عامر، وحمزة، وعاصم، وأبو جعفر، وخلف- بتشديد الميم- من (لما) .فعند من قرأ (إن) مخففة وشدة الميم وهو أبو بكر عن عاصم تكون (إن) مخففة من الثقيلة، وأما من شدد النون (إن) وشدد الميم من (لما) وهم ابن عامر، وحمزة، وحفص عن عاصم، وأبو جعفر، وخلف فتوجيه قراءتهم وقراءة أبي بكر ما قاله القراء: إنها بمعنى (لمن ما) فحذف إحدى الميمات الثلاث، يريد أن (لما) ليست كلمة واحدة وإن كانت في صورتها كصورة حرف (لما) في رسم المصحف (لأنه اتبع فيه صورة النطق بها) وإنما هي مركبة من لام الابتداء و (من) الجارة التي تستعمل في معنى كثرة تكرر الفعل كالتي في قول أبي حية النمري:." (١)

"ويجوز أن تكون الكلمة كلاما خاطب به الملائكة قبل خلق الناس فيكون لأملأن جهنم تفسيرا ل كلمة.ومن الجنة والناس تبعيض، أي لأملأن جهنم من الفريقين. وأجمعين تأكيد لشمول تثنية كلا النوعين لا لشمول جميع الأفراد لمنافاته لمعنى التبعيض الذي أفادته من.[١٢٠][سورة هود (١١) : آية ١٢٠]وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين (١٢٠)هذا **تذييل** وحوصلة لما تقدم من أنباء القرى وأنباء الرسل ...فجملة وكلا نقص عليك من أنباء الرسل إلى آخرها عطف الإخبار على الإخبار والقصة على القصة، ولك أن تجعل الواو اعتراضية أو استئنافية. وهذا تهيئة لاختتام السورة وفذلكة لما سيق فيها من القصص والمواعظ.وانتصف كلا على المفعولية لفعل نقص. وتقديمه على فعله للاهتمام ولما فيه من الإبهام ليأتي بيانه بعده فيكون أرسخ في ذهن السامع.وتنوين كلا تنوين عوض عن المضاف إليه المحذوف المبين بقوله: من أنباء الرسل. فالتقدير: وكل نبأ عن الرسل نقصه عليك، فقوله: من أنباء الرسل بيان للتنوين الذي لحق (كلا) . وما نثبت به فؤادك بدل من كلا.والقصص يأتي عند قوله تعالى: نحن نقص عليك أحسن القصص في أول سورة يوسف [٣] .والتثبيت: حقيقته التسكين في المكان بحيث ينتفي الاضطراب والتزلزل. وتقدم في قوله تعالى: لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا في سورة النساء [٦٦] ، وقوله:." (٢)

"وفي أمر الله رسوله بأن يقول ذلك على لسان المؤمنين شهادة من الله بصدق إيمانهم. وفيه التفويض إلى رأس الأمة بأن يقطع أمرا عن أمته ثقة بأنهم لا يردون فعله.كماقال النبيء صلى الله عليه وسلم لهوازن لما جاءوا تائبين وطالبين رد سباياهم وغنائمهم «اختاروا أحد الأمرين السبي أو الأموال». فلما اختاروا السبي رجع السبي إلى أهله ولم يستشر المسلمين، ولكنه جعل لمن يطيب ذلك لهوازن أن يكون على حقه في أول ما يجيء من السبي، فقال المؤمنين: طيبنا ذلك.وقوله: وانتظروا إنا منتظرون تهديد ووعيد، كما يقال في الوعيد: سوف ترى.[١٢٣][سورة هود (١١) : آية ١٢٣]ولله غيب

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٧٣/١٢

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١٩١/١٢

السماوات والأرض وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون (١٢٣)كلام جامع وهو **تذييل** للسورة مؤذن بختامها، فهو من براعة المقطع. والواو عاطفة كلاما على كلام، أو واو الاعتراض في آخر الكلام ومثله كثير.واللام في لله للملك وهو ملك إحاطة العلم، أي لله ما غاب عن علم الناس في السماوات والأرض. وهذا كلام يجمع بشارة المؤمنين بما وعدوا من النعيم المغيب عنهم، ونذارة المشركين بما توعدوا به من العذاب المغيب عنهم في الدنيا والآخرة.وتقديم المجرورين في ولله غيب السماوات والأرض وإليه يرجع الأمر لإفادة الاختصاص، أي الله لا غيره يملك غيب السماوات والأرض، لأن ذلك مما لا يشاركه فيه أحد. وإلى الله لا إلى غيره يرجع الأمر كله، وهو تعريض." (١)

"والمراد أن يعبده دون غيره ويتوكل عليه دون غيره بقرينة وإليه يرجع الأمر كله، وبقرينة التفريع لأن الذي يرجع إليه كل أمر لا يعقل أن يصرف شيء من العبادة ولا من التوكل إلى غيره، فلذلك لم يؤت بصيغة تدل على تخصيصه بالعبادة للاستغناء عن ذلك بوجوب سبب تخصيصه بهما.وجملة وما ربك بغافل عما تعملون فذلكة جامعة، فهو **تذييل** لما تقدم. والواو فيه كالواو في قوله: ولله غيب السماوات والأرض فإن عدم غفلته عن أي عمل أنه يعطي كل عامل جزاء عمله إن خيرا فخير وإن شرا فشر، ولذلك علق وصف الغافل بالعمل ولم يعلق بالذوات نحو: بغافل عنكم، إيماء إلى أن على العمل جزاء.وقرأ نافع، وابن عامر، وحفص عن عاصم، وأبو جعفر، ويعقوب «عما تعملون» - بتاء فوقية- خطابا للنبيء صلى الله عليه وسلم والناس معه في الخطاب. وقرأ من عداهم بالمثناة التحتية على أن يعود الضمير إلى الكفار فهو تسلية للنبيء- عليه الصلاة والسلام- وتهديد للمشركين.." (٢)

"وعلم يعقوب- عليه السلام- ذلك من دلالة الرؤيا على سجود الكواكب والنيرين له، وقد علم يعقوب- عليه السلام- تأويل تلك بإخوته وأبويه أو زوج أبيه وهي خالة يوسف- عليه السلام-، وعلم من تمثيلهم في الرؤيا أنهم حين يسجدون له يكون أخوته قد نالوا النبوءة، وبذلك علم أيضا أن الله يتم نعمته على إخوته وعلى زوج يعقوب- عليه السلام- بالصديقية إذا كانت زوجة نبيء. فالمراد من آل يعقوب خاصتهم وهم أبناؤه وزوجه، وإن كان المراد بإتمام النعمة ليوسف- عليه السلام- إعطاء الملك فإتمامها على آل يعقوب هو أن زادهم على ما أعطاهم من الفضل نعمة قرابة الملك، فيصح حينئذ أن يكون المراد من آله جميع قرابته.والتشبيه في قوله: كما أتمها على أبويك من قبل تذكير له بنعم سابقة، وليس مما دلت عليه الرؤيا. ثم إن كان المراد من إتمام النعمة النبوءة فالتشبيه تام، وإن كان المراد من إتمام النعمة الملك فالتشبيه في إتمام النعمة على الإطلاق.وجعل إبراهيم وإسحاق- عليهما السلام- أبوين له لأن لهما ولادة عليه، فهما أبواهالأعليان بقرينة المقامكقول النبيء صلى الله عليه وسلم: «أنا ابن عبد المطلب». وجملة إن ربك عليم حكيم **تذييل** بتمجيد هذه النعم، وأنها كائنة على وفق علمه وحكمته، فعلمه هو علمه بالنفوس الصالحة لهذه الفضائل، لأنه خلقها لقبول ذلك فعلمه بها سابق، وحكمته وضع النعم في مواضعها المناسبة.وتصدير الجملة ب إن للاهتمام لا للتأكيد إذ لا يشك يوسف- عليه

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٩٤/١٢

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١٩٦/١٢

السلام- في علم الله وحكمته. والاهتمام ذريعة إلى إفادة التعليل. والتفريع في ذلك تعريض بالثناء على يوسف- عليه السلام- وتأهله لمثل تلك الفضائل.." (١)

"الإسراع بانتشاله من الجب، أي مكنا ليوسف- عليه السلام- تمكينا من صنعنا، مثل ذلك الإنجاء الذي نجيناه، فتكون الكاف في موضع الحال من مصدر مأخوذ من مكنا. ونظيره كذلك زينا لكل أمة عملهم في سورة الأنعام [١٠٨] .والتمكين في الأرض هنا مراد به ابتداؤه وتقدير أول أجزائه، فيوسف- عليه السلام- بحلوله محل العناية من عزيز مصر قد خط له مستقبل تمكينه من الأرض بالوجه الأتم الذي أشير له بقوله تعالى بعد: وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء [سورة يوسف: ٥٦] ، فما ذكر هنالك هو كرد العجز على الصدر مما هنا، وهو تمامه.وعطف على وكذلك علة لمعنى مستفاد من الكلام، وهو الإيتاء، تلك العلة هي ولنعلمه من تأويل الأحاديث لأن الله لما قدر في سابق علمه أن يجعل يوسف- عليه السلام- عالما بتأويل الرؤيا وأن يجعله نبيئا أنجاه من الهلاك، ومكن له في الأرض تهيئة لأسباب مراد الله.وتقدم معنى تأويل الأحاديث آنفا عند ذكر قول أبيه له: ويعلمك من تأويل الأحاديث [سورة يوسف: ٦] أي تعبير الرؤيا.وجملة والله غالب على أمره معترضة في آخر الكلام، **وتذييل**، لأن مفهومها عام يشمل غلب الله إخوة يوسف- عليه السلام- بإبطال كيدهم، وضمير أمره عائد لاسم الجلالة.وحرف على بعد مادة الغلب ونحوها يدخل على الشيء الذي يتوقع فيه النزاع، كقولهم: غلبناهم على الماء.وأمر الله هو ما قدره وأراده، فمن سعى إلى عمل يخالف ما أراده الله فحاله كحال المنازع على أن يحقق الأمر الذي أراده ويمنع حصول مراد الله تعالى ولا يكون إلا ما أراده الله تعالى فشأن الله تعالى كحال الغالب لمنازعه. والمعنى والله متمم ما قدره، ولذلك." (٢)

"والسؤال: مستعمل في التنبيه دون طلب الفهم، لأن السائل عالم بالأمر المسئول عنه وإنما يريد السائل حث المسئول عن علم الخبر. وقريب منه قوله تعالى: عم يتساءلون [سورة النبإ: ١] .وجعل السؤال عن النسوة اللاتي قطعن أيديهن دون امرأة العزيز تسهيلا للكشف عن أمرها، لأن ذكرها مع مكانة زوجها من الملك ربما يصرف الملك عن الكشف رعيا للعزيز، ولأن حديث المتكأ شاع بين الناس، وأصبحت قضية يوسف- عليه السلام- مشهورة بذلك اليوم، كما تقدم عند قوله تعالى: ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه [سورة يوسف: ٣٥] ، ولأن النسوة كن شواهد على إقرار امرأة العزيم بأنها راودت يوسف- عليه السلام- عن نفسه. فلا جرم كان طلب الكشف عن أولئك النسوة منتهى الحكمة في البحث وغاية الإيجاز في الخطاب.وجملة إن ربي بكيدهن عليم من كلام يوسف- عليه السلام-. وهي **تذييل** وتعريض بأن الكشف المطلوب سينجلي عن براءته وظهور كيد الكائدات له ثقة بالله ربه أنه ناصره.وإضافة كيد إلى ضمير النسوة لأدنى ملابسة لأن الكيد واقع من بعضهن، وهي امرأة العزيز في غرضها من جمع النسوة فأضيف إلى ضمير جماعتهن قصدا للإبهام المعين على التبيان.[٥١][سورة يوسف (١٢) : آية ٥١]قال ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين (٥١)جملة قال ما خطبكن

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢١٧/١٢

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٤٧/١٢

مستأنفة استئنافا بيانيا لأن الجمل التي سبقتها تثير سؤالا في نفس السامع عما حصل من الملك لما أبلغ إليه اقتراح يوسف- (١) ".

"وجملة نصيب برحمتنا من نشاء إلى آخرها **تذييل** لمناسبة عمومه لخصوص ما أصاب يوسف- عليه السلام- من الرحمة في أحواله في الدنيا وما كان له من مواقف الإحسان التي كان ما أعطيه من النعم وشرف المنزلة جزاء لها في الدنيا، لأن الله لا يضيع أجر المحسنين. ولأجره في الآخرة خير من ذلك له ولكل من آمن واتقى.والتعبير في جانب الإيمان بصيغة الماضي وفي جانب التقوى بصيغة المضارع، لأن الإيمان عقد القلب الجازم فهو حاصل دفعة واحدة وأما التقوى فهي متجددة بتجدد أسباب الأمر والنهي واختلاف الأعمال والأزمان.[٥٨- ٦٠][سورة يوسف (١٢) : الآيات ٥٨ إلى ٦٠]وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون (٥٨) ولما جهزهم بجهازهم قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم ألا ترون أني أوفي الكيل وأنا خير المنزلين (٥٩) فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون (٦٠)طوى القرآن أخرة أمر امرأة العزيز وحلول سني الخصب والادخار ثم اعتراء سني القحط لقلة جدوى ذلك كله في الغرض الذي نزلت السورة لأجله، وهو إظهار ما يلقاه الأنبياء من ذويهم وكيف تكون لهم عاقبة النصر والحسنى، ولأنه معلوم حصوله، ولذلك انتقلت القصة إلى ما فيها من مصير إخوة يوسف- عليه السلام- في حاجة إلى نعمته، ومن جمع الله بينه وبين أخيه الذي يحبه، ثم بينه وبين أبويه، ثم مظاهر عفوه عن إخوته وصلته رحمه، لأن لذلك كله أثرا في معرفة فضائله.وكان مجيء إخوة يوسف- عليه السلام- إلى مصر للميرة عند حلول القحط بأرض مصر وما جاورها من بلاد فلسطين منازل آل يوسف- عليه." (٢)

"وجملة ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله بيان للكيد باعتبار جميع ما فيه من وضع السقاية ومن حكم إخوته على أنفسهم بما يلائم مرغوب يوسف- عليه السلام- من إبقاء أخيه عنده، ولولا ذلك لما كانت شريعة القبط تخوله ذلك، فقد قيل: إن شرعهم في جزاء السارق أن يؤخذ منه الشيء ويضرب ويغرم ضعفي المسروق أو ضعفي قيمته. وعن مجاهد في دين الملك أي حكمه وهو استرقاق السراق. وهو الذي يقتضيه ظاهر الآية لقوله: ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك أي لولا حيلة وضع الصواع في متاع أخيه. ولعل ذلك كان حكما شائعا في كثير من الأمم، ألا ترى إلى قولهم: من وجد في رحله فهو جزاؤه [سورة يوسف: ٧٥] كما تقدم، أي أن ملكمصر كان عادلا فلا يؤخذ أحد في بلاده بغير حق. ومثله ما كان في شرع الرومان من استرقاق المدين، فتعين أن المراد بالدين الشريعة لا مطلق السلطان.ومعنى لام الجحود هنا نفي أن يكون في نفس الأمر سبب يخول يوسف- عليه السلام- أخذ أخيه عنده.والاستثناء من عموم أسباب أخذ أخيه المنفية. وفي الكلام حرف جر محذوف قبل أن المصدرية، وهو باء السببية التي يدل عليها نفي الأخذ، أي أسبابه. فالتقدير: إلا بأن يشاء الله، أي يلهم تصوير حالته ويأذن ليوسف- عليه السلام- في عمله باعتبار ما فيه من المصالح الجمة ليوسف وإخوته في الحال والاستقبال لهم ولذريتهم.وجملة نرفع درجات من نشاء **تذييل** لقصة أخذ يوسف- عليه

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٨٩/١٢

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١١/١٣

السلام- أخاه لأن فيها رفع درجة يوسف- عليه السلام- في الحال بالتدبير الحكيم من وقت مناجاته أخاه إلى وقت استخراج السقاية من رحله. ورفع درجة أخيه في الحال بإلحاقه ليوسف- عليه السلام- في العيش الرفيه والكمال بتلقي الحكمة من فيه. ورفع درجات إخوته وأبيه في الاستقبال بسبب رفع درجة يوسف- عليه السلام- وحنوه عليهم. فالدرجات مستعارة لقوة الشرف من." (١)

"استعارة المحسوس للمعقول. وتقدم في قوله تعالى: وللرجال عليهن درجة في سورة البقرة [٢٢٨] ، وقوله: لهم درجات عند ربهم في سورة الأنفال [٤] .وجملة وفوق كل ذي علم عليم **تذييل** ثان لجملة كذلك كدنا ليوسف الآية.وفيها شاهد لتفاوت الناس في العلم المؤذن بأن علم الذي خلق لهم العلم لا ينحصر مداه، وأنه فوق كل نهاية من علم الناس.والفوقية مجاز في شرف الحال، لأن الشرف يشبه بالارتفاع.وعبر عن جنس المتفوق في العلم بوصف عليم باعتبار نسبته إلى من هو فوقه إلى أن يبلغ إلى العليم المطلق سبحانه.وظاهر تنكير عليم أن يراد به الجنس فيعم كل موصوف بقوة العلم إلى أن ينتهي إلى علم الله تعالى. فعموم هذا الحكم بالنسبة إلى المخلوقات لا إشكال فيه. ويتعين تخصيص هذا العموم بالنسبة إلى الله تعالى بدليل العقل إذ ليس فوق الله عليم.وقد يحمل التنكير على الوحدة ويكون المراد عليم واحد فيكون التنكير للوحدةوالتعظيم، وهو الله تعالى فلا يحتاج إلى التخصيص.وقرأ الجمهور درجات من نشاء بإضافة درجات إلى من نشاء. وقرأه حمزة، وعاصم، والكسائي، وخلف بتنوين درجات على أنه تمييز لتعلق فعل نرفع بمفعوله وهو من نشاء.." (٢)

"تخبرون به من أخذ بنيامين في سرقة الصواع. وفرع عليه كبيرهم أنه يبقى في مصر ليكون بقاؤه علامة عند يعقوب- عليه السلام- يعرف بها صدقهم في سبب تخلف بنيامين، إذ لا يرضى لنفسه أنيبقى غريبا لولا خوفه من أبيه، ولا يرضى بقية أشقائه أن يكيدوا له كما يكيدون لغير الشقيق.وقوله: أو يحكم الله لي ترديد بين ما رسمه هو لنفسه وبين ما عسى أن يكون الله قد قدره له مما لا قبل له بدفعه، فحذف متعلق يحكم المجرور بالباء لتنزيل فعل يحكم منزلة ما لا يطلب متعلقا.واللام للأجل، أي يحكم الله بما فيه نفعي. والمراد بالحكم التقدير.وجملة وهو خير الحاكمين **تذييل**. وخير الحاكمين إن كان على التعميم فهو الذي حكمه لا جور فيه أو الذي حكمه لا يستطيع أحد نقضه، وإن كان على إرادة وهو خير الحاكمين لي فالخبر مستعمل في الثناء للتعريض بالسؤال أن يقدر له ما فيه رأفة في رد غربته.وعدم التعرض لقول صدر من بنيامين يدافع به عن نفسه يدل على أنه لازم السكوت لأنه كان مطلعا على مراد يوسف- عليه السلام- من استبقائه عنده، كما تقدم في قوله:آوى إليه أخاه قال إني أنا أخوك [يوسف: ٦٩] .ثم لقنهم كبيرهم ما يقولون لأبيهم. ومعنى وما كنا للغيب حافظين احتراس من تحقق كونه سرق، وهو إما لقصد التلطف مع أبيهم في نسبة ابنه إلى السرقة وإما لأنهم علموا من أمانة أخيهم ما خالجهم به الشك في وقوع السرقة منه.والغيب: الأحوال الغائبة عن المرء. والحفظ: بمعنى العلم.وسؤال القرية مجاز عن

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٣٢/١٣

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٣٣/١٣

سؤال أهلها. والمراد بها مدينة مصر. والمدينة والقرية مترادفتان. وقد خصت المدينة في العرف بالقرية الكبيرة.والمراد بالعير التي كانوا فيها رفاقهم في عيرهم القادمين إلى مصر من." (١)

"وتأكيد الجملة بـ (إن) ولام الابتداء وضمير الفصل لشدة تحققهم أنه يوسف- عليه السلام-.وأدخل الاستفهام التقريري على الجملة المؤكدة لأنهم تطلبوا تأييده لعلمهم به.وقرأ ابن كثير إنك بغير استفهام على الخبرية، والمراد لازم فائدة الخبر، أي عرفناك، ألا ترى أن جوابه ب أنا يوسف مجرد عن التأكيد لأنهم كانوا متحققين ذلك فلم يبق إلا تأييده لذلك.وقوله: وهذا أخي خبر مستعمل في التعجيب من جمع الله بينهما بعد طول الفرقة، فجملة قد من الله علينا بيان للمقصود من جملة وهذا أخي.وجملة إنه من يتق ويصبر تعليل لجملة من الله علينا. فيوسف عليه السلام اتقى الله وصبر وبنيامين صبر ولم يعص الله فكان تقيا. أراد يوسف عليه السلام تعليمهم وسائل التعرض إلى نعم الله تعالى، وحثهم على التقوى والتخلق بالصبر تعريضا بأنهم لم يتقوا الله فيه وفي أخيه ولم يصبروا على إيثار أبيهم إياهما عليهم.وهذا من أفانين الخطابة أن يغتنم الواعظ الفرصة لإلقاء الموعظة، وهي فرصة تأثر السامع وانفعاله وظهور شواهد صدق الواعظ في موعظته.وذكر المحسنين وضع للظاهر موضع المضمر إذ مقتضى الظاهر أن يقال: فإن الله لا يضيع أجرهم. فعدل عنه إلى المحسنين للدلالة على أن ذلك من الإحسان، وللتعميم في الحكم ليكون **كالتذييل**، ويدخل في عمومه هو وأخوه.ثم إن هذا في مقام التحدث بالنعمة وإظهار الموعظة سائغ للأنبياء لأنه من التبليغكقول النبيء صلى الله عليه وسلم «إني لأتقاكم لله وأعلمكم به».." (٢)

"وأشار بقوله: توفني مسلما إلى النعمة العظمى وهي نعمة الدين الحق، فإن طلب توفيه على الدين الحق يقتضي أنه متصف بالدين الحق المعبر عنه بالإسلام من الآن، فهو يسأل الدوام عليه إلى الوفاة.والمسلم: الذي اتصف بالإسلام، وهو الدين الكامل، وهو ما تعبد الله به الأنبياء والرسل- عليهم السلام-. وقد تقدم عند قوله تعالى: فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون في سورة آل عمران [١٠٢] .والإلحاق: حقيقته جعل الشيء لا حقا، أي مدركا من سبقه في السير. وأطلق هنا مجازا على المزيد في عداد قوم.والصالحون: المتصفون بالصلاح، وهو التزام الطاعة. وأراد بهم الأنبياء. فإن كان يوسف- عليه السلام- يومئذ نبيئا فدعاؤه لطلب الدوام على ذلك، وإن كان نبيء فيما بعد فهو دعاء لحصوله، وقد صار نبيئا بعد ورسولا.[١٠٢][سورة يوسف (١٢) : آية ١٠٢]ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون (١٠٢)**تذييل** للقصة عند انتهائها. والإشارة إلى ما ذكر من الحادث أي ذلك المذكور.واسم الإشارة لتمييز الأنباء أكمل تمييز لتتمكن من عقول السامعين لما فيها من المواعظ.والغيب ما غاب عن علم الناس، وأصله مصدر غاب فسمي به الشيء الذي لا يشاهد. وتذكير ضمير نوحيه لأجل مراعاة اسم الإشارة.." (٣)

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٤٠/١٣

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٤٩/١٣

(٣) التحرير والتنويرابن عاشور ٦٠/١٣

"بوسائل بث القرآن وأركان الإسلام والجهاد في سبيل الله. وقد كانت الدعوة إلى الإسلام في صدر زمان البعثة المحمدية واجبا على الأعيانلقول النبيء صلى الله عليه وسلم «بلغوا عني ولو آية»أي بقدر الاستطاعة. ثم لما ظهر الإسلام وبلغت دعوته الأسماع صارت الدعوة إليه واجبا على الكفاية كما دل عليه قوله تعالى: ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير الآية في سورة آل عمران [١٠٤] .وعطفت جملة وسبحان الله على جملة أدعوا إلى الله، أي أدعو إلى الله وأنزهه.وسبحان: مصدر التسبيح جاء بدلا عن الفعل للمبالغة. والتقدير: وأسبح الله سبحانا، أي أدعو الناس إلى توحيده وطاعته وأنزهه عن النقائص التي يشرك بها المشركون من دعاء الشركاء، والولد، والصاحبة.وجملة وما أنا من المشركين بمنزلة **التذييل** لما قبلها لأنها تعم ما تضمنته.[١٠٩، ١١٠][سورة يوسف (١٢) : الآيات ١٠٩ إلى ١١٠]وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم من أهل القرى أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون (١٠٩) حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين (١١٠)عطف على جملة وما أكثر الناس [سورة يوسف: ١٠٣] إلخ. هاتان الآيتان متصل معناهما بما تضمنه قوله تعالى: ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك [سورة يوسف:١٠٢] إلى قوله: إن هو إلا ذكر للعالمين [سورة يوسف: ١٠٤] وقوله: قل هذه سبيلي الآية [سورة يوسف: ١٠٨] ، فإن تلك الآي تضمنت الحجة." (١)

"[سورة يوسف (١٢) : آية ١١١]لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون (١١١)هذا من رد العجز على الصدر فهي مرتبطة بجملة ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك [سورة يوسف: ١٠٢] وهي تتنزل منها منزلة البيان لما تضمنه معنى الإشارة في قوله: ذلك من أنباء الغيب من التعجيب، وما تضمنه معنى وما كنت لديهم من الاستدلال على أنه وحي من الله مع دلالة الأمية.وهي أيضا تتنزل منزلة **التذييل** للجمل المستطرد بها لقصد الاعتبار بالقصة ابتداء من قوله: وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين [يوسف: ١٠٣] .فلها مواقع ثلاثة عجيبة من النظم المعجز.وتأكيد الجملة ب (قد) واللام للتحقيق.وأولو الألباب: أصحاب العقول. وتقدم في قوله: واتقون يا أولي الألباب في أواسط سورة البقرة [١٩٧] .والعبرة: اسم مصدر للاعتبار، وهو التوصل بمعرفة المشاهد المعلوم إلى معرفة الغائب وتطلق العبرة على ما يحصل به الاعتبار المذكور من إطلاق المصدر على المفعول كما هنا. ومعنى كون العبرة في قصصهم أنها مظروفة فيه ظرفية مجازية، وهي ظرفية المدلول في الدليل فهي قارة في قصصهم سواء اعتبر بها من وفق للاعتبار أم لم يعتبر لهابعض الناس.وجملة ما كان حديثا يفترى إلى آخرها تعليل لجملة لقد كان في قصصهم عبرة أي لأن ذلك القصص خبر صدق مطابق للواقع وما هو بقصة." (٢)

"والتفضيل: منة بالأفضل وعبرة به وبضده وكناية عن الاختلاف.وقرأ الجمهور تسقى بفوقية اعتبارا بجمع جنات، وقرأه ابن عامر، وعاصم، ويعقوب يسقى بتحتية على تأويل المذكور.وقرأ الجمهور ونفضل بنون العظمة، وقرأه حمزة، والكسائي، وخلف ويفضل بتحتية. والضمير عائد إلى اسم الجلالة في قوله: الله الذي رفع السماوات بغير عمد. وتأنيث

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٦٦/١٣

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٧١/١٣

بعضها عند من قرأ يسقى بتحتية دون أن يقول بعضه لأنه أريد يفضل بعض الجنات على بعض في الثمرة.والأكل: بضم الهمزة وسكون الكاف هو المأكول. ويجوز في اللغة ضم الكاف.وظرفية التفضيل في الأكل ظرفية في معنى الملابسة لأن التفاضل يظهر بالمأكول، أي نفضل بعض الجنات على بعض أو بعض الأعناب والزرع والنخيل على بعض من جنسه بما يثمره. والمعنى أن اختلاف طعومه وتفاضلها مع كون الأصل واحدا والغذاء بالماء واحدا ما هو إلا لقوى خفية أودعها الله فيها فجاءت آثارها مختلفة.ومن ثم جاءت جملة إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون مجيء **التذييل**.وأشار قوله: ذلك إلى جميع المذكور من قوله: وهو الذي مد الأرض [سورة الرعد: ٣] . وقد جعل جميع المذكور بمنزلة الظرف للآيات. وجعلت دلالته على انفراده تعالى بالإلهية دلالات كثيرة إذ في كل شيء منها آية تدل على ذلك.ووصفت الآيات بأنها من اختصاص الذين يعقلون تعريضا بأن من لم تقنعهم تلكالآيات منزلون منزلة من لا يعقل وزيد في الدلالة على أن العقل سجية للذين انتفعوا بتلك الآيات بإجراء وصف العقل على كلمة لقوم إيماء إلى أن العقل من مقومات قوميتهم كما بيناه في الآية قبلها.." (١)

"وصيغة المضارع تدل على تجدد ذلك وتكرره.ولولا حرف تحضيض. يموهون بالتحضيض أنهم حريصون وراغبون في نزول آية غير القرآن ليؤمنوا، وهم كاذبون في ذلك إذ لو أوتوا آية كما يقترحون لكفروا بها، كما قال تعالى: وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون [الإسراء: ٥٩] .وقد رد الله اقتراحهم من أصله بقوله: إنما أنت منذر، فقصر النبيء صلى الله عليه وسلم علىصفة الإنذار وهو قصر إضافي، أي أنت منذر لا موجد خوارق عاد. وبهذا يظهر وجه قصره على الإنذار دون البشارة لأنه قصر إضافي بالنسبة لأحواله نحو المشركين.وجملة ولكل قوم هاد **تذييل** بالأعم، أي إنما أنت منذر لهؤلاء لهدايتهم، ولكل قوم هاد أرسله الله ينذرهم لعلهم يهتدون، فما كنت بدعا من الرسل وما كان للرسل من قبلك آيات على مقترح أقوامهم بل كانت آياتهم بحسب ما أراد الله أن يظهر على أيديهم.على أن معجزات الرسل تأتي على حسب ما يلائم حال المرسل إليهم.ولما كان الذين ظهرت بينهم دعوة محمد صلى الله عليه وسلم عربا أهل فصاحة وبلاغة جعل الله معجزته العظمى القرآن بلسان عربي مبين. وإلى هذا المعنى يشيرقول النبيء صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح «ما من الأنبياء نبيء إلا أوتي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة». وبهذا العموم الحاصل **بالتذييل** والشامل للرسول- عليه الصلاة والسلام- صار المعنى إنما أنت منذر لقومك هاد إياهم إلى الحق، فإن الإنذار والهدى متلازمان فما من إنذار إلا وهو هداية وما من هداية إلا وفيها إنذار، والهداية أعم من الإنذار ففي هذا احتباك بديع.." (٢)

"خبرا عن وكل شيء وبمقدار في موضع الحال من وكل شيء. ويجوز أن يكون بمقدار في موضع الحال من مقدار ويكون بمقدار خبرا عن كل شيء.والمقدار: مصدر ميمي بقرينة الباء، أي بتقدير، ومعناه: التحديد والضبط. والمعنى أنه يعلم كل شيء علما مفصلا لا شيوع فيه ولا إبهام. وفي هذا رد على الفلاسفة غير المسلمين القائلين أن واجب الوجود

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٨٨/١٣

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٩٥/١٣

يعلم الكليات ولا يعلم الجزئيات فرارا من تعلق العلم بالحوادث. وقد أبطل مذهبهم علماء الكلام بما ليس فوقه مرام. وهذه قضية كلية أثبتت عموم علمه تعالى بعد أن وقع إثبات العموم بطريقة التمثيل بعلمه بالجزئيات الخفية في قوله: الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد.وجملة عالم الغيب والشهادة **تذييل** وفذلكة لتعميم العلم بالخفيات والظواهر وهما قسما الموجودات. وقد تقدم ذكر الغيب في صدر سورة البقرة [٤] .وأما الشهادة فهي هنا مصدر بمعنى المفعول، أي الأشياء المشهودة، وهي الظاهرة المحسوسة، المرئيات وغيرها من المحسوسات، فالمقصود من الغيب والشهادة تعميم الموجودات كقوله: فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون [الحاقة:٣٨- ٣٩] .والكبير: مجاز في العظمة، إذ قد شاع استعمال أسماء الكثرة وألفاظ الكبر في العظمة تشبيها للمعقول بالمحسوس وشاع ذلك حتى صار كالحقيقة. والمتعالي:المترفع. وصيغت الصفة بصيغة التفاعل للدلالة على أن العلو صفة ذاتية له لا من غيره، أي الرفيع رفعة واجبة له عقلا. والمراد بالرفعة هنا المجاز عن العزة التامة بحيث لا يستطيع موجود أن يغلبه أو يكرهه، أو المنزه عن النقائص كقوله عز وجل تعالى عما يشركون [النحل: ٣] .وحذف الياء من المتعال لمرعاة الفواصل الساكنة لأن الأفصح في." (١)

"لما فيه من خفي البشارة والنذارة، ولأنه تمام التمثيل. والتقدير: فذهب الزبد جفاء ومكث ما ينفع الناس في الأرض.والجفاء: الطريح المرمي، وهذا وعيد للمشركين بأنهم سيبيدون بالقتل ويبقى المؤمنون.وعبر عن الماء بما ينفع الناس للإيماء إلى وجه بناء الخبر وهو البقاء في الأرض تعريضا للمشركين بأن يعرضوا أحوالهم على مضمون هذه الصلة ليعلموا أنهم ليسوا ما ينفع الناس، وهذه الصلة موازنة للوصف في قوله تعالى: أن الأرض يرثها عبادي الصالحون [سورة الأنبياء: ١٠٥] .واكتفي بذكر وجه شبه النافع بالماء وغير النافع بالزبد عن ذكر وجه شبه النافع بالذهب أو الفضة وغير النافع بزبدهما استغناء عنه.وجملة كذلك يضرب الله الأمثال مستأنفة **تذييلية** لما في لفظ الأمثال من العموم. فهو أعم من جملة كذلك يضرب الله الحق والباطل لدلالتها على صنف من المثل دون جميع أصنافه فلما أعقب بمثل آخر وهو فأما الزبد فيذهب جفاء جيء بالتنبيه إلى الفائدة العامة من ضرب الأمثال. وحصل أيضا توكيد جملة كذلك يضرب الله الحق والباطل لأن العام يندرج فيه الخاص.فإشارة كذلك إلى التمثيل السابق في جملة أنزل من السماء ماء أي مثل ذلك الضرب البديع يضرب الله الأمثال، وهو المقصود بهذا **التذييل.**والإشارة للتنويه بذلك المثل وتنبيه الأفهام إلى حكمته وحكمة التمثيل، وما فيه من المواعظ والعبر، وما جمعه من التمثيل والكناية التعريضية، وإلى بلاغة القرآن وإعجازه، وذلك تبهيج للمؤمنين وتحد للمشركين، وليعلم أن جملة فأما الزبد فيذهب جفاء لم يؤت بها لمجرد تشخيص دقائق القدرة الإلهية والصنع البديع بل ولضرب المثل، فيعلم لمثل له بطريق التعريض بالمشركين." (٢)

"والمؤمنين، فيكون الكلام قد تم عند قوله: كذلكيضرب الله الأمثال كما في شأن **التذييل.**[١٨][سورة الرعد (١٣) : آية ١٨]للذين استجابوا لربهم الحسنى والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به أولئك لهم سوء الحساب ومأواهم جهنم وبئس المهاد (١٨)استئناف بياني لجملة كذلك يضرب الله الأمثال، أي فائدة هذه الأمثال

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٩٨/١٣

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١٢١/١٣

أن للذين استجابوا لربهم حين يضربها لهم الحسنى إلى آخره.فمناسبته لما تقدم من التمثيلين أنهما عائدان إلى أحوال المسلمين والمشركين. ففي ذكر هذه الجملة زيادة تنبيه للتمثيل وللغرض منه مع ما في ذلك من جزاء الفريقين لأن المؤمنين استجابوا لله بما عقلوا الأمثال فجوزوا بالحسنى، وأما المشركون فأعرضوا ولم يعقلوا الأمثال، قال تعالى: وما يعقلها إلا العالمون [سورة العنكبوت: ٤٣] ، فكان جزاؤهم عذابا عظيما وهو سوء الحساب الذي عاقبته المصير إلى جهنم. فمعنى استجابوا لربهم استجابوا لدعوته بما تضمنه المثل السابق وغيره.وقوله: الحسنى مبتدأ وللذين استجابوا خبره. وفي العدول إلى الموصولين وصلتيهما في قوله: للذين استجابوا- والذين لم يستجيبوا إيماء إلى أن الصلتين سببان لما حصل للفريقين.وتقديم المسند في قوله: للذين استجابوا لربهم الحسنى لأنه الأهم لأن الغرض التنويه بشأن الذين استجابوا مع جعل الحسنى في مرتبة المسند إليه، وفي ذلك تنويه بها أيضا.." (١)

"والذكر من أسماء القرآن، ويجوز أن يراد ذكر الله باللسان فإن إجراءه على اللسان ينبه القلوب إلى مراقبته.وهذا وصف لحسن حال المؤمنين ومقايسته بسوء حالة الكافرين الذين غمر الشك قلوبهم، قال تعالى: بل قلوبهم في غمرة من هذا [سورة المؤمنون: ٦٣] .واختير المضارع في تطمئن مرتين لدلالته على تجدد الاطمئنان واستمراره وأنه لا يتخلله شك ولا تردد.وافتتحت جملة ألا بذكر الله بحرف التنبيه اهتماما بمضمونها وإغراء بوعيه. وهي بمنزلة التذييل لما في تعريف القلوب من التعميم. وفيه إثارة الباقين على الكفر على أن يتسموا بسمة المؤمنين من التدبير في القرآن لتطمئن قلوبهم، كأنه يقول: إذا علمتم راحة بال المؤمنين فماذا يمنعكم بأن تكونوا مثلهم فإن تلك في متناولكم لأن ذكر الله بمسامعكم.وطوبى: مصدر من طاب طيبا إذا حسن، وهي بوزن البشرى والزلفى، قلبت ياؤها واوا لمناسبة الضمة، أي لهم الخير الكامل لأنهم اطمأنت قلوبهم بالذكر، فهم في طيب حال: في الدنيا بالاطمئنان، وفي الآخرة بالنعيم الدائم وهو حسن المئاب وهو مرجعهم في آخر أمرهم.وإطلاق المآب عليه باعتبار أنه آخر أمرهم وقرارهم كما أن قرار المرء بيته يرجع إليه بعد الانتشار منه. على أنه يناسب ما تقرر أن الأرواح من أمر الله، أي من عالم الملكوت وهو عالم الخلد فمصيرها إلى الخلد رجوع إلى عالمها الأول. وهذا مقابل قوله في المشركين ولهم سوء الدار.واللام في قوله: لهم للملك.." (٢)

"ويجوز أن يكون تحل خطابا للنبيء صلى الله عليه وسلم أي أو تحل أنت مع الجيش قريبا من دارهم. والحلول: النزول.وتحل: بضم الحاء مضارع حل اللازم. وقد التزم فيه الضم. وهذا الفعل مما استدركه بحرق اليمني على ابن مالك في شرح لامية الأفعال، وهو وجيه.ووعد الله من إطلاق المصدر على المفعول، أي موعود الله، وهو ما توعدهم به من العذاب، كما في قوله: قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد [سورة آل عمران: ١٢] ، فأشارت الآية إلى استئصالهم لأنها ذكرت الغلب ودخول جهنم، فكان المعنى أنه غلب القتل بسيوف المسلمين وهو البطشة الكبرى. ومن ذلك يوم بدر ويوم حنين ويوم الفتح.وإتيان الوعد: مجاز في وقوعه وحلوله.وجملة إن الله لا يخلف الميعاد تذييل لجملة حتى يأتي وعد الله إيذانا بأن إتيان الوعد المغيا به محقق وأن الغاية به غاية بأمر قريب الوقوع. والتأكيد مراعاة لإنكار

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٢٢/١٣

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١٣٨/١٣

المشركين.[٣٢][سورة الرعد (١٣) : آية ٣٢]ولقد استهزئ برسل من قبلك فأمليت للذين كفروا ثم أخذتهم فكيف كان عقاب (٣٢)عطف على جملة ولو أن قرآنا سيرت به الجبال [سورة الرعد: ٣١] إلخ، لأن تلك المثل الثلاثة التي فرضت أريد بها أمور سألها المشركون النبيء صلى الله عليه وسلم استهزاء وتعجيزا لا لترقب حصولها.وجاءت عقب الجملتين لما فيها من المناسبة لهما من جهة المثل التي في الأولى ومن جهة الغاية التي في الثانية.." (١)

"رابعها: أن ادعاءهم آلهة مجرد كلام لا انطباق له مع الواقع، وهو قوله: أم بظاهر من القول.خامسها: أن ذلك تمويه باطل روجه فيهم دعاة الكفر، وهو معنى تسميته مكرا في قوله: بل زين للذين كفروا مكرهم.سادسها: أنهم يصدون الناس عن سبيل الهدى.وعطف وصدوا عن السبيل على جملة زين للذين كفروا مكرهم. وقرأه الجمهور- بفتح الصاد- فهو باعتبار كون مضمون كلتا الجملتين من أحوال المشركين:فالأولى باعتبار كونهم مفعولين، والثانية باعتبار كونهم فاعلين للصد بعد أن انفعلوا بالكفر. وقرأه عاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف وصدوا- بضم الصاد- فهو كجملة زين للذين كفروا في كون مضمون كلتيهما جعل الذين كفروا مفعولا للتزيين والصد.وجملة ومن يضلل الله فما له من هاد **تذييل** لما فيه من العموم.وتقدم الخلاف بين الجمهور وابن كثير في إثبات ياء هاد في حالة الوصل عند قوله تعالى: ولكل قوم هاد في هذه السورة [٧] .[٣٤][سورة الرعد (١٣) : آية ٣٤]لهم عذاب في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أشق وما لهم من الله من واق (٣٤)استئناف بياني نشأ عن قوله: ومن يضلل الله فما له من هاد [الرعد: ٣٣] لأن هذا التهديد يومىء إلى وعيد يسأل عنه السامع. وفيه تكملة للوعيد المتقدم في قوله: ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة مع زيادة الوعيد بما بعد ذلك في الدار الآخرة.وتنكير عذابللتعظيم، وهو عذاب القتل والخزي والأسر. وإضافة عذابإلى الآخرةعلى معنى في.." (٢)

"لكل أجل كتاب يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب (٣٩) .**تذييل** لأنه أفاد عموم الآجال فشمل أجل الإتيان بآية من قوله: وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله. وذلك إبطال لتوهم المشركين أن تأخر الوعيد يدل على عدم صدقه. وهذا ينظر إلى قوله تعالى: ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب [سورة العنكبوت: ٥٣] فقد قالوا: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء الآية [سورة الأنفال: ٣٢] .وإذ قد كان ما سألوه من جملة الآيات وكان ما وعدوه آية على صدق الرسالة ناسب أن يذكر هنا أن تأخير ذلك لا يدل على عدم حصوله، فإن لذلك آجالا أرادها الله واقتضتها حكمته وهو أعلم بخلقه وشؤونهم ولكن الجهلة يقيسون تصرفات الله بمثل ماتجري به تصرفات الخلائق.والأجل: الوقت الموقت به عمل معزوم أو موعود.والكتاب: المكتوب، وهو كناية عن التحديد والضبط، لأن شأن الأشياء التي يراد تحققها أن تكتب لئلا يخالف عليها. وفي هذا الرد تعريض بالوعيد. والمعنى: لكل واقع أجل يقع عنده، ولكل أجل كتاب، أي تعيين وتحديد لا يتقدمه ولا يتأخر عنه.وجملة يمحوا الله ما يشاء مستأنفة استئنافا بيانيا لأن جملة لكل أجل كتاب تقتضي أن الوعيد كائن وليس تأخيره مزيلا له. ولما كان في ذلك تأييس للناس عقب بالإعلام بأن التوبة مقبولة وبإحلال الرجاء محل اليأس، فجاءت جملة يمحوا الله ما يشاء ويثبت احتراسا.وحقيقة المحو: إزالة

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٤٧/١٣

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١٥٤/١٣

شيء، وكثر في إزالة الخط أو الصورة، ومرجع ذلك إلى عدم المشاهدة، قال تعالى: فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار." (١)

"وتفريع قوله: فيضل الله من يشاء الخ على مجموع جملة وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم، ولذلك جاء فعل فيضل مرفوعا غير منصوب إذ ليس عطفا على فعل ليبين لأن الإضلال لا يكون معلولا للتبيين ولكنه مفرع على الإرسال المعللبالتبيين. والمعنى أن الإرسال بلسان قومه لحكمة التبيين. وقد يحصل أثر التبيين بمعونة الاهتداء وقد لا يحصل أثره بسبب ضلال المبين لهم.والإضلال والهدى من الله بما أعد في نفوس الناس من اختلاف الاستعداد.وجملة وهو العزيز الحكيم **تذييل** لأن العزيز قوي لا ينفلت شيء من قدرته ولا يخرج عما خلق له، والحكيم يضع الأشياء مواضعها، فموضع الإرسال والتبيين أتي على أكمل وجه من الإرشاد. وموقع الإضلال والهدى هو التكوين الجاري على أنسب حال بأحوال المرسل إليهم، فالتبيين من مقتضى أمر التشريع والإضلال من مقتضى أمر التكوين.[٥][سورة إبراهيم (١٤) : آية ٥]ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور وذكرهم بأيام الله إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور (٥)لما كانت الآيات السابقة مسوقة للرد على من أنكروا أن القرآن منزل من الله أعقب الرد بالتمثيل بالنظير وهو إرسال موسى- عليه السلام- إلى قومه بمثل ما أرسل به محمد صلى الله عليه وسلم وبمثل الغاية التي أرسل لها محمد صلى الله عليه وسلم ليخرج قومه من الظلمات إلى النور.وتأكيد الإخبار عن إرسال موسى- عليه السلام- بلام القسم وحرف التحقيق لتنزيل المنكرين رسالة محمد صلى الله عليه وسلم منزلة من." (٢)

"**والتذييل** مع تمثيل حالهم بحال الأمم السالفة وتشابه عقلياتهم في حججهم الباطلة ورد الرسل عليهم بمثل ما رد به القرآن على المشركين في مواضع، ثم ختم بالوعيد.والاستفهام إنكاري لأنهم قد بلغتهم أخبارهم، فأما قوم نوح فقد تواتر خبرهم بين الأمم بسبب خبر الطوفان، وأما عاد وثمود فهم من العرب ومساكنهم في بلادهم وهم يمرون عليها ويخبر بعضهم بعضا بها، قال تعالى: وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم [سورة إبراهيم: ٤٥] وقال: وإنكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون[سورة الصافات: ١٣٧] .والذين من بعدهم يشمل أهل مدين وأصحاب الرس وقوم تبع وغيرهم من أمم انقرضوا وذهبت أخبارهم فلا يعلمهم إلا الله. وهذا كقوله تعالى: وعادا وثمود وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا [سورة الفرقان: ٣٨] .وجملة لا يعلمهم إلا الله معترضة بين والذين من بعدهم وبين جملة جاءتهم رسلهم بالبينات الواقعة حالا من والذين من بعدهم، وهو كناية عن الكثرة التي يستلزمها انتفاء علم الناس بهم.ومعنى جاءتهم رسلهم جاء كل أمة رسولها.وضمائر فردوا وأيديهم وأفواههم عائد جميعها إلى قوم نوح والمعطوفات عليه.وهذا التركيب لا أعهد سبق مثله في كلام العرب فلعله من مبتكرات القرآن.ومعنى فردوا أيديهم في أفواههم يحتمل عدة وجوه أنهاها في «الكشاف» إلى سبعة وفي بعضها بعد، وأولاها بالاستخلاص أن يكون المعنى: أنهم وضعوا أيديهم على أفواههم إخفاء لشدة الضحك من كلام الرسل كراهية أن تظهر دواخل أفواههم. وذلك تمثيل لحالة الاستهزاء بالرسل.." (٣)

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٣/١٦٤

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١٣/١٨٨

(٣) التحرير والتنويرابن عاشور ١٣/١٩٦

"أمرهم إلى الله، لأنهم رأوا بوارق عنايته بهم إذ هداهم إلى طرائق النجاة والخير، ومبادئ الأمور تدل على غاياتها.وأضافوا السبل إلى ضميرهم للاختصار لأن أمور دينهم صارت معروفة لدى الجميع فجمعها قولهم: سبلنا.وما لنا ألا نتوكل استفهام إنكاري لانتفاء توكلهم على الله، أتوا به في صورة الإنكار بناء على ما هو معروف من استحماق الكفار إياهم في توكلهم على الله، فجاءوا بإنكار نفي التوكل على الله، ومعنى وما لنا ألا نتوكل ما ثبت لنا من عدم التوكل، فاللام للاستحقاق.وزادوا قومهم تأييسا من التأثر بالأذى فأقسموا على أن صبرهم على أذى قومهم سيستمر، فصيغة الاستقبال المستفادة من المضارع المؤكد بنون التوكيد في ولنصبرن دلت على أذى مستقبل. ودلت صيغة المضي المنتزع منها المصدر في قوله: ما آذيتمونا على أذى مضى. فحصل من ذلك معنى نصبر على أذى متوقع كما صبرنا على أذى مضى.وهذا إيجاز بديع.وجملة وعلى الله فليتوكل المتوكلون يحتمل أن تكون من بقية كلام الرسل فتكون تذييلا وتأكيدا لجملة وعلى الله فليتوكل المؤمنون فكانت تذييلا لما فيها من العموم الزائد في قوله: المتوكلون على عموم فليتوكل المؤمنون. وكانت تأكيدا لأن المؤمنين من جملة المتوكلين. والمعنى: من كان متوكلا في أمره على غيره فليتوكل على الله.ويحتمل أن تكون من كلام الله تعالى، فهي تذييل للقصة وتنويه بشأن المتوكلين على الله، أي لا ينبغي التوكل إلا عليه." (١)

"ووصف اليوم بالعاصف مجاز عقلي، أي عاصف ريحه، كما يقال: يوم ماطر، أي سحابه.والرماد: ما يبقى من احتراق الحطب والفحم. والعاصف تقدم في قوله: جاءتها ريح عاصف في سورة يونس [٢٢] .ومن لطائف هذا التمثيل أن اختير له التشبيه بهيئة الرماد المتجمع، لأن الرماد أثر لأفضل أعمال الذين كفروا وأشيعها بينهم وهو قرى الضيف حتى صارت كثرة الرماد كناية في لسانهم عن الكرم.وقرأ نافع وأبو جعفر اشتدت به الرياح. وقرأه البقية اشتدت به الريح بالإفراد، وهما سواء لأن التعريف تعريف الجنس.وجملة لا يقدرون مما كسبوا على شيء بيان لجملة التشبيه، أي ذهبت أعمالهم سدى فلا يقدرون أن ينتفعوا بشيء منها.وجملة ذلك هو الضلال البعيد تذييل جامع لخلاصة حالهم، وهي أنها ضلال بعيد.والمراد بالبعيد البالغ نهاية ما تنتهي إليه ماهيته، أي بعيد في مسافات الضلال، فهو كقولك: أقصى الضلال أو جد ضلال، وقد تقدم في قوله تعالى: ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا في سورة النساء [١١٦] .[١٩، ٢٠][سورة إبراهيم (١٤) : الآيات ١٩ إلى ٢٠]ألم تر أن الله خلق السماوات والأرض بالحق إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد (١٩) وما ذلك على الله بعزيز (٢٠)استئناف بياني ناشيء عن جملة فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين فإن هلاك فئة كاملة شديدة القوة والمرة أمر عجيب يثير في النفوس السؤال:." (٢)

"حيث تستقر مياهه، وخلق بعضها مستمرة القرار كالدجلة والفرات والنيل للشرب ولسير السفن فيها.وتسخير الشمس والقمر خلقهما بأحوال ناسبت انتفاع البشر بضيائهما، وضبط أوقاتهم بسيرهما.ومعنى دائبين دائبين على حالات لا تختلف إذ لو اختلفت لم يستطع البشر ضبطها فوقعوا في حيرة وشك.والفلك: جمع لفظه كلفظ مفرده. وقد تقدم عند قوله تعالى: والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس في سورة البقرة [١٦٤] .ومعنى وآتاكم من كل ما سألتموه أعطاكم

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٠٤/١٣

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢١٣/١٣

بعضا من جميع مرغوباتكم الخارجة عن اكتسابكم بحيث شأنكم فيها أن تسألوا الله إياها، وذلك مثل توالد الأنعام، وإخراج الثمار والحب، ودفع العوادي عن جميع ذلك: كدفع الأمراض عن الأنعام، ودفع الجوائح عن الثمار والحب.فجملة وآتاكم من كل ما سألتموه تعميم بعد خصوص، فهي بمنزلة **التذييل** لما قبلها لحكم يعلمها الله ولا يعلمونها ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء إنه بعباده خبير بصير [سورة الشورى: ٢٧] ، وأن الإنعام والامتنان يكون بمقدار البذل لا بمقدار الحرمان. وبهذا يتبين تفسير الآية.وجملة وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها تأكيد **للتذييل** وزيادة في التعميم، تنبيها على أن ما آتاهم الله كثير منه معلوم وكثير منه لا يحيطون بعلمه أو لا يتذكرونه عند إرادة تعداد النعم.فمعنى إن تعدوا إن تحاولوا العد وتأخذوا فيه. وذلك مثل النعم المعتاد بها التي ينسى الناس أنها من النعم، كنعمة التنفس، ونعمة الحواس، ونعمة هضم الطعام والشراب، ونعمة الدورة الدموية، ونعمة الصحة. وللفخر هنا تقرير نفيس فانظره.." (١)

"ومن عصاه، وذكر أنه أراد من إسكان أبنائه بمكة رجاء أن يكونوا حراس بيت الله، وأن يقيموا الصلاة، وأن يشكروا النعم المسئولة لهم. وفيه تعليم لأهله وأتباعه بعموم علم الله تعالى حتى يراقبوه في جميع الأحوال ويخلصوا النية إليه.وجملة وما يخفى على الله من شيء **تذييل** لجملة إنك تعلم ما نخفي وما نعلن، أي تعلم أحوالنا وتعلم كل شيء. ولكونها **تذييلا** أظهر فيها اسم الجلالة ليكون **التذييل** مستقلا بنفسه بمنزلة المثل والكلام الجامع.[٣٩][سورة إبراهيم (١٤) : آية ٣٩]الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق إن ربي لسميع الدعاء (٣٩)لما دعا الله لأهم ما يهمه وهو إقامة التوحيد وكان يرجو إجابة دعوته وأن ذلك ليس بعجب في أمر الله خطر بباله نعمة الله عليه بما كان يسأله وهو أن وهب له ولدين في إبانالكبر وحين اليأس من الولادة فناجى الله فحمده على ذلك وأثنى عليه بأنه سميع الدعاء، أي مجيب، أي متصف بالإجابة وصفا ذاتيا، تمهيدا لإجابة دعوته هذه كما أجاب دعوته سلفا. فهذا مناسبة موقع هذه الجملة بعد ما قبلها بقرينة قوله: إن ربي لسميع الدعاء.واسم الموصول إيماء إلى وجه بناء الحمد. وعلى في قوله: على الكبر للاستعلاء المجازي بمعنى مع، أي وهب ذلك تعليا على الحالة التي شأنها أن لا تسمح بذلك. ولذلك يفسرون على هذه بمعنى مع، أي مع الكبر الذي لا تحصل معه الولادة. وكان عمر إبراهيم حين ولد له إسماعيل- عليهما السلام- ستا وثمانين سنة (٨٦) . وعمره حين ولد له إسحاق- عليهما السلام- مائة سنة (١٠٠) . وكان لا يولد له من قبل.وجملة إن ربي لسميع الدعاء تعليل لجملة وهب، أي وهب ذلك لأنه سميع الدعاء. والسميع مستعمل في إجابة المطلوب كناية، وصيغ." (٢)

"تنفي الأول وكونه صاحب انتقام ينفي الثاني. وهذه الجملة **تذييل** أيضا وبها تم الكلام.[٤٨- ٥١][سورة إبراهيم (١٤) : الآيات ٤٨ إلى ٥١]يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات وبرزوا لله الواحد القهار (٤٨) وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الأصفاد (٤٩) سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار (٥٠) ليجزي الله كل نفس ما كسبت إن الله سريع الحساب (٥١)استئناف لزيادة الإنذار بيوم الحساب، لأن في هذا تبيين بعض ما في ذلك اليوم من الأهوال فلك أن تجعل يوم تبدل الأرض متعلقا بقوله: سريع الحساب قدم عليهللاهتمام بوصف ما يحصل فيه، فجاء على هذا النظم ليحصل من

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٣٦/١٣

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٤٣/١٣

التشويق إلى وصف هذا اليوم لما فيه من التهويل.ولك أن تجعله متعلقا بفعل محذوف تقديره: اذكر يوم تبدل الأرض، وتجعل جملة إن الله سريع الحساب على هذا **تذييلا**.ولك أن تجعله متعلقا بفعل محذوف دل عليه قوله: ليجزي الله كل نفس ما كسبت. والتقدير يجزي الله كل نفس بما كسبت يوم تبدل الأرض.. الخ.وجملة إن الله سريع الحساب **تذييل** أيضا.والتبديل: التغيير في شيء إما بتغيير صفاته، كقوله تعالى: فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات [سورة الفرقان: ٧٠] ، وقولك: بدلت الحلقة خاتما وإما بتغيير ذاته وإزالتها بذات أخرى، كقوله تعالى: بدلناهم جلودا غيرها [سورة النساء: ٥٦] ، وقوله: وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط [سورة سبأ: ١٦] .." (١)

"أمر للتوبيخ والتوعد والإنذار بقرينة قوله: فسوف يعلمون. وهو كقوله: كلوا وتمتعوا قليلا إنكم مجرمون [سورة المرسلات: ٤٦] .ولا يحسن جعله مجزوما في جواب ذرهم لأنهم يأكلون ويتمتعون سواء ترك الرسول صلى الله عليه وسلم دعوتهم أم دعاهم.والتمتع: الانتفاع بالمتاع. وقد تقدم غير مرة، منها قوله: ومتاع إلى حين في سورة الأعراف [٢٤] .وإلهاء الأمل إياهم: هو إنساؤه إياهم ما حقهم أن يتذكروه بأن يصرفهم تطلب ما لا ينالون عن التفكير في البعث والحياة الآخرة.والأمل: مصدر. وهو ظن حصول أمر مرغوب في حصوله مع استبعاد حصوله.فهو واسطة بين الرجاء والطمع. ألا ترى إلى قول كعب:أرجو وآمل أن تدنو مودتها ... وما إخال لدينا منك تنويلوتفرع على التعريض التصريح بالوعيد بقوله: فسوف يعلمون بأنه مما يستعمل في الوعيد كثيرا حتى صار كالحقيقة. وفيه إشارة إلى أن لإمهالهم أجلا معلوما كقوله:وسوف يعلمون حين يرون العذاب [سورة الفرقان: ٤٢] .[٤- ٥][سورة الحجر (١٥) : الآيات ٤ إلى ٥]وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم (٤) ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون (٥)اعتراض **تذييلي** لأن في هذه الجملة حكما يشملهم وهو حكم إمهال الأمم التي حق عليها الهلاك، أي ما أهلكنا أمة إلا وقد متعناها زمنا وكان لهلاكها أجل ووقت محدود، فهي ممتعة قبل حلوله، وهي مأخوذة عند إبانه.." (٢)

"[سورة الحجر (١٥) : آية ٢١]وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم (٢١)هذا اعتراض ناشىء عن قوله وأنبتنا فيها من كل شيء موزون [سورة الحجر:١٩] الآية، وهو **تذييل**.والمراد ب (الشيء) ما هو نافع للناس بقرينة قوله وأنبتنا فيها من كل شيء موزون الآية. وفي الكلام حذف الصفة كقوله تعالى يأخذ كل سفينة غصبا [سورة الكهف: ٧٩] أي سفينة صالحة.والخزائن تمثيل لصلوحية القدرة الإلهية لتكوين الأشياء النافعة. شبهت هيئة إيجاد الأشياء النافعة بهيئة إخراج المخزونات من الخزائن على طريقة التمثيلية المكنية، ورمز إلى الهيئة المشبه بها بما هو من لوازمها وهو الخزائن. وتقدم عند قوله تعالى: قل لا أقول لكم عندي خزائن الله في سورة الأنعام [٥٠] .وشمل ذلك الأشياء المتفرقة في العالم التي تصل إلى الناس بدوافع وأسباب تستتبفي أحوال مخصوصة، أو بتركيب شيء مع شيء مثل نزول البرد من السحاب وانفجار العيون من الأرض بقصد أو على وجه المصادفة.وقوله وما ننزله إلا بقدر معلوم أطلق الإنزال على تمكين الناس من الأمور التي خلقها الله لنفعهم، قال تعالى هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا في سورة البقرة [٢٩] ، إطلاقا مجازيا لأن ما

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٥٢/١٣

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١٤/١٤

خلقه الله لما كان من أثر أمر التكوين الإلهي شبه تمكين الناس منه بإنزال شيء من علو باعتبار أنه من العالم اللدني، وهو علو معنوي، أو باعتبار أن تصاريف الأمور كائن في العوالم العلوية، وهذا كقوله تعالى وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج في سورة الزمر [٦] ، وقوله تعالى يتنزل الأمر بينهن في سورة الطلاق." (١)

"وجملة فأخذتهم الصيحة مشرقين تفريع على جملة وقضينا إليه ذلك الأمر [سورة الحجر: ٦٦] .والصيحة: صعقة في الهواء، وهي صواعق وزلازل وفيها حجارة من سجيل.وقد مضى بيانها في سورة هود.وانتصب مشرقين على الحال من ضمير الغيبة. وهو اسم فاعل من أشرقوا إذا دخلوا في وقت شروق الشمس.وضميرا عاليها سافلها للمدينة. وضمير عليهم عائد إلى ما عادت عليه ضمائر الجمع قبله.وجملة إن في ذلك لآيات للمتوسمين: تذييل. والآيات: الأدلة، أي دلائل على حقائق من الهداية وضدها، وعلى تعرض المكذبين رسلهم لعقاب شديد.والإشارة في ذلك إلى جميع ما تضمنته القصة المبدوءة بقوله تعالى: ونبئهم عن ضيف إبراهيم [سورة الحجر: ٥١] . ففيها من الآيات آية نزول الملائكة في بيت إبراهيم- عليه السلام- كرامة له، وبشارته بغلام عليم، وإعلام الله إياه بما سيحل بقوم لوط كرامة لإبراهيم- عليهما السلام-، ونصر الله لوطا بالملائكة، وإنجاء لوط- عليه السلام- وآله، وإهلاك قومه وامرأته لمناصرتها إياهم، وآية عماية أهل الضلالة عن دلائل الإنابة، وآية غضب الله على المسترسلين في عصيان الرسل.وتقدم الكلام على لفظ آية عند قوله تعالى: والذين كفروا وكذبوا بآياتنا في سورة البقرة [٣٩] . وقوله: وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه في سورة الأنعام [٣٧] .والمتوسمون أصحاب التوسم وهو التأمل في السمة، أي العلامة الدالة على المعلم، والمراد للمتأملين في الأسباب وعواقبها وأولئك هم المؤمنون. وهو تعريض بالذين لم تردعهم العبر بأنهم دون مرتبة النظر تعريضا بالمشركين." (٢)

"الذين لم يتعظوا بأن يحل بهم ما حل بالأمم من قبلهم التي عرفوا أخبارها ورأوا آثارها.ولذلك أعقب الجملة بجملة وإنها لبسبيل مقيم، أي المدينة المذكورة آنفا هي بطريق باق يشاهد كثير منكم آثارها في بلاد فلسطين في طريق تجارتكم إلى الشام وما حولها، وهذا كقوله: وإنكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون[سورة الصافات: ١٣٧- ١٣٨] .والمقيم: أصله الشخص المستقر في مكانه غير مرتحل. وهو هنا مستعار لآثار المدينة الباقية في المكان بتشبيهه بالشخص المقيم.وجملة إن في ذلك لآية للمؤمنين تذييل. والإشارة إلى ما تقدم من قوله من القصة مع ما انضم إليها من التذكير بأن قراهم واضحة فيها آثار الخسف والأمطار بالحجارة المحماة.وعبر في التذييل بالمؤمنين للتنبيه على أن المتوسمين هم المؤمنون.وجعل ذلك (آية) بالإفراد تفننا لأن (آية) اسم جنس يصدق بالمتعدد، على أن مجموع ما حصل لهم آية على المقصود من القصة وهو عاقبة المكذبين. وفي مطاوي تلك الآيات آيات. والذي في درة التنزيل، أي الفرق بين جمع الآيات في الأول، وإفراده ثانيا في هذه الآية بأن ما قص من حديث لوط وضيف إبراهيم وما كان من عاقبة أمرهم كل جزء من ذلك في نفسه آية. فالمشار إليه بذلك هو عدة آيات. وأما كون قرية لوط بسبيل مقيم فهو في جملته آية واحدة. فتأمل.[٧٨، ٧٩][سورة الحجر (١٥) : الآيات ٧٨ إلى ٧٩]وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين (٧٨) فانتقمنا منهم وإنهما لبإمام مبين (٧٩)وإن كان أصحاب

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٤/٣٦

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١٤/٦٩

الأيكة لظالمين (٧٨) فانتقمنا منهم.عطف قصة على قصة لما في كلتيهما من الموعظة. وذكر هاتين القصتين المعطوفتين تكميل وإدماج، إذ لا علاقة بينهما وبين ما قبلهما من قصة إبراهيم." (١)

"و (آمنين) حال من ضمير ينحتون وهي حال مقدرة، أي مقدرين أن يكونوا آمنين عقب نحتها وسكناها. وكانت لهم بمنزلة الحصون لا ينالهم فيها العدو.ولكنهم نسوا أنها لا تأمنهم من عذاب الله فلذلك قال: فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون.والفاء في فأخذتهم الصيحة للتعقيب والسببية. ومصبحين حال، أي داخلين في وقت الصباح.وما كانوا يكسبون أي يصنعون، أي البيوت التي عنوا بتحصينها وتحسينها كما دل عليه فعل كانوا. وصيغة المضارع في يكسبون لدلالتها على التكرر والتجدد المكنى به عن إتقان الصنعة. وبذلك كان موقع الموصول والصلة أبلغ من موقع لفظ (بيوتهم) مثلا، ليدل على أن الذي لم يغن عنهم شيء متخذ للإغناء ومن شأنه ذلك.[٨٥، ٨٦][سورة الحجر (١٥) : الآيات ٨٥ إلى ٨٦]وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق وإن الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل (٨٥) إن ربك هو الخلاق العليم (٨٦)موقع الواو في صدر هذه الجملة بديع. فهذه الجملة صالحة لأن تكون تذييلا لقصص الأمم المعذبة ببيان أن ما أصابهم قد استحقوه فهو من عدل الله بالجزاء على الأعمال بما يناسبها، ولأن تكون تصديرا للجملة التي بعدها وهي جملة وإن الساعة لآتية. والمراد ساعة جزاء المكذبين بمحمد صلى الله عليه وسلم أي ساعة البعث. فعلى الأول تكون الواو اعتراضية أو حالية، وعلى الثاني عاطفة جملة على جملة وخبرا على خبر.." (٢)

"بالجائر على طريقة المجاز العقلي. ولم يضف السبيل الجائر إلى الله لأن سبيل الضلال اخترعها أهل الضلالة اختراعا لا يشهد له العقل الذي فطر الله الناس عليه، وقد نهى الله الناس عن سلوكها.وجملة ولو شاء لهداكم أجمعين تذييل.[١٠][سورة النحل (١٦) : آية ١٠]هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون (١٠)استئناف لذكر دليل آخر من مظاهر بديع خلق الله تعالى أدمج فيه امتنان بما يأتي به ذلك الماء العجيب من المنافع للناس من نعمة الشراب ونعمة الطعام للحيوان الذي به قوام حياة الناس وللناس أنفسهم.وصيغة تعريف المسند إليه والمسند أفادت الحصر، أي هو لا غيره. وهذا قصر على خلاف مقتضى الظاهر، لأن المخاطبين لا ينكرون ذلك ولا يدعون له شريكا في ذلك، ولكنهم لما عبدوا أصناما لم تنعم عليهم بذلك كان حالهم كحال من يدعي أن الأصنام أنعمت عليهم بهذه النعم، فنزلوا منزلة من يدعي الشركة لله في الخلق، فكان القصر قصر إفراد تخريجا للكلام على خلاف مقتضى الظاهر.وإنزال الماء من السماء تقدم معناه عند قوله تعالى: وأنزل من السماء ماء فأخرجبه من الثمرات رزقا لكمفي سورة البقرة [٢٢] .وذكر في الماء منتين: الشراب منه، والإنبات للشجر والزرع.وجملة لكم منه شراب صفة ل ماء، ولكم متعلق ب شراب قدم عليه للاهتمام، ومنه خبر مقدم كذلك، وتقديمه سوغ أن يكون المبتدأ نكرة.." (٣)

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٧٠/١٤

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٧٤/١٤

(٣) التحرير والتنويرابن عاشور ١١٣/١٤

"تقدم في قوله تعالى:والأنعام خلقها لكم فيها دفء [سورة النحل: ٥] الآية، وقوله تعالى: والخيل والبغال والحمير لتركبوها [سورة النحل: ٨] الآية.وأسند الإنبات إلى الله لأنه الملهم لأسبابه والخالق لأصوله تنبيها للناس على دفع غرورهم بقدرة أنفسهم، ولذلك قال: إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون لكثرة ما تحت ذلك من الدقائق.وذكر الزرع والزيتون وما معهما تقدم غير مرة في سورة الأنعام.والتفكر تقدم عند قوله تعالى: قل هل يستوي الأعمى والبصير أفلا تتفكرون في سورة الأنعام [٥٠] .وإقحام لفظ «قوم» للدلالة على أن التفكر من سجاياهم، كما تقدم عند قوله تعالى:لآيات لقوم يعقلون في سورة البقرة [١٦٤] .ومن كل الثمرات عطف على الزرع والزيتون، أي وينبت لكم به من كل الثمرات مما لم يذكر هنا.والتعريف تعريف الجنس. والمراد: أجناس ثمرات الأرض التي ينبتها الماء، ولكل قوم من الناس ثمرات أرضهم وجوهم. ومن تبعيضية قصد منها تنويع الامتنان على كل قوم بما نالهم من نعم الثمرات. وإنما لم تدخل على الزرع وما عطف عليه لأنها من الثمرات التي تنبت في كل مكان.وجملة إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون **تذييل**.والآية: الدلالة على أنه تعالى المبدع الحكيم. وتلك هي إنبات أصناف مختلفة من ماء واحد، كما قال: تسقى بماء واحد في سورة الرعد [٤] .ونيطت دلالة هذه بوصف التفكير لأنها دلالة خفية لحصولها بالتدريج. وهو تعريض بالمشركين الذين لم يهتدوا بما في ذلك من دلالة على تفرد الله بالإلهية بأنهم قوم لا يتفكرون.." (١)

"وقرأ الجمهور ينبت بياء الغيبة. وقرأه أبو بكر عن عاصم بنون العظمة.[١٢][سورة النحل (١٦) : آية ١٢]وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون (١٢)آيات أخرى على دقيق صنع الله تعالى وعلمه ممزوجة بامتنان.وتقدم ما يفسر هذه الآية في صدر سورة يونس. وتسخير هذه الأشياء تقدم عند قوله تعالى: والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر في أوائل سورة الأعراف [٥٤] وفي أوائل سورة الرعد وفي سورة إبراهيم.وهذا انتقال للاستدلال بإتقان الصنع على وحدانية الصانع وعلمه، وإدماج بين الاستدلال والامتنان. ونيطت الدلالات بوصف العقل لأن أصل العقل كاف في الاستدلال بها على الوحدانية والقدرة، إذ هي دلائل بينة واضحة حاصلة بالمشاهدة كل يوم وليلة.وتقدم وجه إقحام لفظ (قوم) آنفا، وأن الجملة **تذييل**.وقرأ الجمهور جميع هذه الأسماء منصوبة على المفعولية لفعل «سخر» . وقرأ ابن عامر والشمس والقمر والنجوم بالرفع على الابتداء ورفع مسخرات على أنه خبر عنها. فنكتة اختلاف الإعراب الإشارة إلى الفرق بين التسخيرين. وقرأ حفص برفع النجوم ومسخرات. ونكتة اختلاف الأسلوب الفرق بين التسخيرين من حيث إن الأول واضح والآخر خفي لقلة من يرقب حركات النجوم.والمراد بأمره أمر التكوين للنظام الشمسي المعروف.وقد أبدى الفخر في كتاب «درة التنزيل» وجها للفرق بين إفراد آية في المرة الأولى والثالثة وبين جمع آيات في المرة الثانية: بأن ما ذكر." (٢)

"والألوان: جمع لون. وهو كيفية لسطوح الأجسام مدركة بالبصر تنشأ من امتزاج بعض العناصر بالسطح بأصل الخلقة أو بصبغها بعنصر ذي لون معروف. وتنشأ من اختلاط عنصرين فأكثر ألوان غير متناهية. وقد تقدم عند قوله تعالى:

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١١٥/١٤

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١١٦/١٤

قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها في سورة البقرة [٦٩] .ونيط الاستدلال باختلاف الألوان بوصف التذكر لأنه استدلال يحصل بمجرد تذكر الألوان المختلفة إذ هي مشهورة.وإقحام لفظ (قوم) وكون الجملة **تذييلا** تقدم آنفا.وأبدى الفخر في «درة التنزيل» وجها لاختلاف الأوصاف في قوله تعالى: لقوم يتفكرون [سورة النحل: ١١] وقوله: لقوم يعقلون [سورة النحل: ١٢] وقوله: لقوم يذكرون: بأن ذلك لمراعاة اختلاف شدة الحاجة إلى قوة التأمل بدلالة المخلوقات الناجمة عن الأرض يحتاج إلى التفكر، وهو إعمال النظر المؤدي إلى العلم. ودلالة ما ذرأه في الأرض من الحيوان محتاجة إلى مزيد تأمل في التفكير للاستدلال على اختلاف أحوالها وتناسلها وفوائدها، فكانت بحاجة إلى التذكر، وهو التفكر مع تذكر أجناسهاواختلاف خصائصها. وأما دلالة تسخير الليل والنهار والعوالم العلوية فلأنها أدق وأحوج إلى التعمق. عبر عن المستدلين عليها بأنهم يعقلون، والتعقل هو أعلى أحوال الاستدلال اه.[١٤][سورة النحل (١٦) : آية ١٤]وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون (١٤)القول في هذا الاستدلال وإدماج الامتنان فيه كالقول فيما سبق.وتقدم الكلام على تسخير الفلك في البحر وتسخير الأنهار في أثناء سورة إبراهيم.." (١)

"وتقديم المسند إليه على الخبر الفعلي في قوله تعالى هم يهتدون لمجرد تقوي الحكم، إذ لا يسمح المقام بقصد القصر وإن تكلفه في «الكشاف» .[١٧، ١٨][سورة النحل (١٦) : الآيات ١٧ إلى ١٨]أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون (١٧) وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم (١٨)بعد أن أقيمت الدلائل على انفراد الله بالخلق ابتداء من قوله تعالىخلق السماوات والأرض بالحق [سورة النحل: ٣] وثبتت المنة وحق الشكر، فرع على ذلك هاتان الجملتان لتكونا كالنتيجتين للأدلة السابقة إنكارا على المشركين. فالاستفهام عن المساواة إنكاري، أي لا يستوي من يخلق بمن لا يخلق. فالكاف للمماثلة، وهي مورد الإنكار حيث جعلوا الأصنام آلهة شريكة لله تعالى. ومن مضمون الصلتين يعرف أي الموصولين أولى بالإلهية فيظهر مورد الإنكار.وحين كان المراد بمن لا يخلق الأصنام كان إطلاق «من» الغالبة في العاقل مشاكلة لقوله أفمن يخلق.وفرع على إنكار التسوية استفهام عن عدم التذكر في انتفائها. فالاستفهام في قوله:أفلا تذكرون مستعمل في الإنكار على انتفاء التذكر، وذلك يختلف باختلاف المخاطبين، فهو إنكار على إعراض المشركين عن التذكر في ذلك.جملة وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها عطف على جملة أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون. وهي كالتكملة لها لأنها نتيجة لما تضمنته تلك الأدلة من الامتنان كما تقدم. وهي بمنزلة **التذييل** للامتنان لأن فيها عموما يشمل النعم المذكورة وغيرها.وهذا كلام جامع للتنبيه على وفرة نعم الله تعالى على الناس بحيث لا يستطيع عدها العادون، وإذا كانت كذلك فقد حصل التنبيه إلى كثرتها بمعرفة أصولها وما يحويها من العوالم.." (٢)

"والجرم- بالتحريك-: أصله البد. وكثر في الاستعمال حتى صار بمعنى حقا. وقد تقدم عند قوله تعالى: لا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون في سورة هود [٢٢] .وقوله: أن الله يعلم في موضع جر بحرف جر محذوف متعلق ب جرم. وخبر

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١١٨/١٤

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١٢٣/١٤

لا النافية محذوف لظهوره، إذ التقدير: لا جرم موجود. وحذف الخبر في مثله كثير.والتقدير: لا جرم في أن الله يعلم أو لا جرم من أنه يعلم، أي لا بد من أنه يعلم، أي لا بد من علمه، أي لا شك في ذلك.وجملة أن الله يعلم خبر مستعمل كناية عن الوعيد بالمؤاخذة بما يخفون وما يظهرون من الإنكار والاستكبار وغيرهما بالمؤاخذة بما يخفون وما يظهرون من الإنكار والاستكبار وغيرهما مؤاخذة عقاب وانتقام، فلذلك عقب بجملة إنه لا يحبالمستكبرينالواقعة موقع التعليل **والتذييل** لها، لأن الذي لا يحب فعلا وهو قادر يجازي فاعله بالسوء.والتعريف في المستكبرين للاستغراق، لأن شأن **التذييل** العموم. ويشمل هؤلاء المتحدث عنهم فيكون إثبات العقاب لهم كإثبات الشيء بدليله.[٢٤، ٢٥][سورة النحل (١٦) : الآيات ٢٤ إلى ٢٥]وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين (٢٤) ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون (٢٥)وإذا قيل لهم عطف على جملة قلوبهم منكرة [سورة النحل: ٢٢] ، لأن مضمون هذه من أحوالهم المتقدم بعضها، فإنه ذكر استكبارهم وإنكارهم الوحدانية، وأتبع بمعاذيرهم الباطلة لإنكار نبوءة محمد صلى الله عليه وسلم وبصدهم الناس عن اتباع الإسلام. والتقدير:قلوبهم منكرة ومستكبرة فلا يعترفون." (١)

"و (من) في قوله تعالى: ومن أوزار الذين يضلونهم للسببية متعلقة بفعل محذوف دل عليه حرف العطف وحرف الجر بعده إذ لا بد لحرف الجر من متعلق. وتقديره:ويحملوا. ومفعول الفعل محذوف دل عليه مفعول نظيره. والتقدير: ويحملوا أوزارا ناشئة عن أوزار الذين يضلونهم، أي ناشئة لهم عن تسببهم في ضلال المضللين- بفتح اللام-،فإن تسببهم في الضلال يقتضي مساواة المضلل للضال في جريمة الضلال، إذ لولا إضلاله إياه لاهتدى بنظره أو بسؤال الناصحين.وفي الحديث الصحيح «ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا». وبغير علم في موضع الحال من ضمير النصب في يضلونهم، أي يضلون ناسا غير عالمين يحسبون إضلالهم نصحا. والمقصود من هذا الحال تفظيع التضليل لا تقييده فإن التضليل لا يكون إلا عن عدم علم كلا أو بعضا.وجملة ألا ساء ما يزرون **تذييل**. افتتح بحرف التنبيه اهتماما بما تتضمنه للتحذير من الوقوع فيه أو للإقلاع عنه.[٢٦][سورة النحل (١٦) : آية ٢٦]قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون (٢٦)لما ذكر عاقبة إضلالهم وصدهم السائلين عن القرآن والإسلام في الآخرة أتبع بالتهديد بأن يقع لهم ما وقع فيه أمثالهم في الدنيا من الخزي والعذاب مع التأييس من أن يبلغوا بصنعهم ذلك مبلغ مرادهم، وأنهم خائبون في صنعهم كما خاب من قبلهم الذين مكروا برسلهم.ولما كان جوابهم السائلين عن القرآن بقولهم هو أساطير الأولين [سورة النحل:٢٤] مظهرينه بمظهر النصيحة والإرشاد وهم يريدون الاستبقاء على كفرهم، سمي ذلك." (٢)

"اضطراب عقولهم يحسبون الملائكة إنما يجربونهم بالعذاب ليطلعوا على دخيلة أمرهم، فيحسبون أنهم إن كذبوهم راج كذبهم على الملائكة فكفوا عنهم العذاب، لذلك جحدوا أن يكونوا يعملون سوءا من قبل.ولذلك فجملة بلى إن الله عليم بما كنتم تعملون جواب الملائكة لهم، ولذلك افتتحت بالحرف الذي يبطل به النفي وهو بلى. وقد جعلوا علم الله بما كانوا

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٢٩/١٤

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١٣٣/١٤

يعملون كناية عن تكذيبهم في قولهم: ما كنا نعمل من سوء، وكناية على أنهم ما عاملوهم بالعذاب إلا بأمر من الله تعالى العالم بهم.وأسندوا العلم إلى الله دون أن يقولوا: إنا نعلم ما كنتم تعملون، أدبا مع الله وإشعارا بأنهم ما علموا ذلك إلا بتعليم من الله تعالى.وتفريع فادخلوا أبواب جهنم على إبطال نفيهم عمل السوء ظاهر، لأن إثبات كونهم كانوا يعملون السوء يقتضي استحقاقهم العذاب، وذلك عند ما كشف لهم عن مقرهم الأخير، كماجاء في الحديث «القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار» .ونظيره قوله تعالى: ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق [سورة الأنفال: ٥٠] .وجملة فلبئس مثوى المتكبرين **تذييل**. يحتمل أن يكون حكاية كلام الملائكة، والأظهر أنه من كلام الله الحكاية لا من المحكي، ووصفهم بالمتكبرين يرجح ذلك، فإنه لربط هذه الصفة بالموصوف في قوله تعالى قلوبهم منكرة وهم مستكبرون [سورة النحل: ٢٢] . واللام الداخلة على «بئس» لام القسم.والمثوى. المرجع. من ثوى إذا رجع، أو المقام من ثوى إذا أقام. وتقدم في قوله تعالى: قال النار مثواكم في سورة الأنعام [١٢٨] .ولم يعبر عن جهنم بالدار كما عبر عن الجنة فيما يأتي بقوله تعالى: ولنعم دار المتقين [سورة النحل: ٣٠] تحقيرا لهم وأنهم ليسوا في جهنم بمنزلة أهل الدار بل هم متراصون في النار وهم في مثوى، أي محل ثواء." (١)

"من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون [سورة النحل: ٩٧] .وقوله تعالى: ولنعم دار المتقين جنات عدن يدخلونها مقابل قوله تعالى في ضدهم فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين [سورة النحل: ٢٩] .وقد تقدم آنفا وجه تسمية جهنم مثوى والجنة دارا.و (نعم) فعل مدح غير متصرف، ومرفوعه فاعل دال على جنس الممدوح، ويذكر بعده مرفوع آخر يسمى المخصوص بالمدح، وهو مبتدأ محذوف الخبر، أو خبر محذوف المبتدأ. فإذا تقدم ما يدل على المخصوص بالمدح لم يذكر بعد ذلك كما هنا، فإن تقدم ولدار الآخرة دل على أن المخصوص بالمدح هو دار الآخرة. والمعنى: ولنعم دار المتقين دار الآخرة.وارتفع جنات عدن على أنه خبر لمبتدأ محذوف مما حذف فيه المسند إليه جريا على الاستعمال في مسند إليه جرى كلام عليه من قبل، كما تقدم في قوله تعالى: الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم [سورة النحل: ٢٨] . والتقدير: هي جنات عدن، أي دار المتقين جنات عدن.وجملة يدخلونها حال من المتقين. والمقصود من ذكره استحضار تلك الحالة البديعة حالة دخولهم لدار الخير والحسنى والجنات.وجملة لهم فيها ما يشاؤن حال من ضمير الرفع في يدخلونها. ومضمونها مكمل لما في جملة يدخلونها من استحضار الحالة البديعة.وجملة كذلك يجزي الله المتقين مستأنفة، والإتيان باسم الإشارة لتمييز الجزاء والتنويه به. وجعل الجزاء لتمييزه وكماله بحيث يشبه به جزاء المتقين. والتقدير: يجزي الله المتقين جزاء كذلك الجزاء الذي علمتموه. وهو **تذييل** لأن التعريف في المتقين للعموم.." (٢)

"والقصر المستفاد من النفي والاستثناء قصر إضافي لقلب اعتقاد المشركين من معاملتهم الرسول صلى الله عليه وسلم أن للرسول غرضا شخصيا فيما يدعو إليه.وأثبت الحكم لعموم الرسل- عليهم السلام- وإن كان المردود عليهم لم يخطر

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٤٠/١٤

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١٤٣/١٤

بباهم أمر الرسل الأولين لتكون الجملة تذييلا للمحاجة، فتفيد ما هو أعم من المردود.والكلام موجه إلى النبيء صلى الله عليه وسلم تعليما وتسلية، ويتضمن تعريضا بإبلاغ المشركين.[٣٦][سورة النحل (١٦) : آية ٣٦]ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين (٣٦)عطف على جملة كذلك فعل الذين من قبلهم [سورة النحل: ٣٥] . وهو تكملة لإبطال شبهة المشركين إبطالا بطريقة التفصيل بعد الإجمال لزيادة تقرير الحجة، فقوله تعالى: ولقد بعثنا في كل أمة بيان لمضمون جملة فهل على الرسل إلا البلاغ المبين [النحل: ٣٥] .وجملة فمنهم من هدى الله إلى آخرها بيان لمضمون جملة كذلك فعل الذين من قبلهم.والمعنى: أن الله بين للأمم على ألسنة الرسل- عليهم السلام- أنه يأمرهم بعبادته واجتناب عبادة الأصنام فمن كل أمة أقوام هداهم الله فصدقوا." (١)

"ويجوز أن يكون الدين بمعنى الديانة، فيكون تذييلا لجملة وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين، لأن إبطال دين الشرك يناسبه أن لا يدين الناس إلا بما يشرعه الله لهم، أي هو الذي يشرع لكم الدين لا غيره من أئمة الضلال مثل عمرو بن لحيي، وزرادشت، ومزدك، وماني، قال تعالى: أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله [سورة الشورى: ٢١] .ويجوز أن يكون الدين بمعنى الجزاء كما في قوله تعالى: ملك يوم الدين [سورة الفاتحة: ٤] ، فيكون إدماجا لإثبات البعث الذي ينكره أولئك أيضا. والمعنى: له ما في السماوات والأرض وإليه يرجع من في السماوات والأرض لا يرجعون إلى غيره ولا ينفعهم يومئذ أحد.والواصب: الثابت الدائم، وهو صالح للاحتمالات الثلاثة، ويزيد على الاحتمال الثالث لأنه تأكيد لرد إنكارهم البعث.وتفرع على هاتين الجملتين التوبيخ على تقواهم غيره، وذلك أنهم كانوا يتقون إله الشر ويتقربون إليه ليأمنوا شره.[٥٣، ٥٤][سورة النحل (١٦) : الآيات ٥٣ إلى ٥٤]وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجئرون (٥٣) ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم بربهم يشركون (٥٤)عطف خبر على خبر. وهو انتقال من الاستدلال بمصنوعات الله الكائنة في ذات الإنسان وفيما يحيط به من الموجودات إلى الاستدلال بما ساق الله من النعم، فمن الناس معرضون عن التدبر فيها وعن شكرها وهم الكافرون، فكان في الأدلة الماضية القصد إلى الاستدلال ابتداء متبوعا بالامتنان.." (٢)

"والتعبير ب لقوم يؤمنون دون للمؤمنين، أو للذين آمنوا، للإيماء إلى أنهم الذين الإيمان كالسجية لهم والعادة الراسخة التي تتقوم بها قوميتهم، كما تقدم في قوله تعالى:لآيات لقوم يعقلون في سورة البقرة [١٦٤] .وهاته الآية بمنزلة **التذييل** للعبر والحجج الناشئة عن وصف أحوال المخلوقات ونعم الخالق على الناس المبتدئة من قوله تعالى: أفمن يخلق كمن لا يخلق [سورة النحل:١٧] .[٦٥][سورة النحل (١٦) : آية ٦٥]والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآية لقوم يسمعون (٦٥)انتهى الكلام المعترض به وعاد الكلام إلى دلائل الانفراد بالخلق مع ما أدمج فيه ذلك من التذكير بالنعم. فهذه منة من المنن وعبرة من العبر وحجة من الحجج المتفرعة عن التذكير بنعم الله والاعتبار بعجيب صنعه.عاد

---

(١) التحرير والتنوير ابن عاشور ١٤٩/١٤

(٢) التحرير والتنوير ابن عاشور ١٧٦/١٤

الكلام إلى تعداد نعم جمة ومعها ما فيها من العبر أيضا جمعا عجيبا بين الاستدلال ووصلا للكلام المفارق عند قوله تعالى: وبالنجم هم يهتدون [سورة النحل:١٦] ، كما علمته فيما تقدم. فكان ذكر إنزال الماء في الآية السابقة مسوقا مساق الاستدلال، وهو هنا مسوق مساق الامتنان بنعمة إحياء الأرض بعد موتها بالماء النازل من السماء.وبهذا الاعتبار خالفت هذه النعمة النعمة المذكورة في قوله سابقا هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر [سورة النحل: ١٠] باختلاف الغرض الأولي، فهو هنا لك الاستدلال بتكوين الماء وهنا الامتنان.وبناء الجملة على المسند الفعلي لإفادة التخصيص، أي الله لا غيره أنزل من السماء ماء. وذلك في معنى قوله تعالى: هل من شركائكم من يفعل من ذلكم." (١)

"العرب الحلب على عصير الخمر والنبيذ، قال حسان يذكر الخمر الممزوجة والخالصة:كلتاهما حلب العصير فعاطني ... بزجاجة أرخاهما للمفصلويشير إلى كونهما عبرتين من نوع متقارب جعل **التذييل** بقوله تعالى: إن في ذلك لآية عقب ذكر السقيين دون أن يذيل سقي الألبان بكونه آية، فالعبرة في خلق تلك الثمار صالحة للعصر والاختمار، ومشتملة على منافع للناس ولذات. وقد دل على ذلك قوله تعالى: إن في ذلك لآية لقوم يعقلون. فهذا مرتبط بما تقدم من العبرة بخلق النبات والثمرات من قوله تعالى: ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل [سورة النحل: ١١] الآية.وجملة تتخذون منه سكرا إلخ في موضع الحال.و (من) في الموضعين ابتدائية، فالأولى متعلقة بفعل نسقيكم المقدر، والثانية متعلقة بفعل تتخذون. وليست الثانية تبعيضية، لأن السكر ليس بعض الثمرات، فمعنى الابتداء ينتظم كلا الحرفين.والسكر- بفتحتين-: الشراب المسكر.وهذا امتنان بما فيه لذتهم المرغوبة لديهم والمتفشية فيهم (وذلك قبل تحريم الخمر لأن هذه الآية مكية وتحريم الخمر نزل بالمدينة) فالامتنان حينئذ بمباح.والرزق: الطعام، ووصف ب حسنا لما فيه من المنافع، وذلك التمر والعنبلأنهما حلوان لذيذان يؤكلان رطبين ويابسين قابلان للادخار، ومن أحوال عصير العنب أن يصير خلا وربا.وجملة إن في ذلك لآية لقوم يعقلون تكرير لتعداد الآية لأنها آية مستقلة.." (٢)

"[سورة النحل (١٦) : آية ٧٠]والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكي لا يعلم بعد علم شيئا إن الله عليم قدير (٧٠)انتقال من الاستدلال بدقائق صنع الله على وحدانيته إلى الاستدلال بتصرفه في الخلق التصرف الغالب لهم الذي لا يستطيعون دفعه، على انفراده بربوبيتهم، وعلى عظيم قدرته.كما دل عليه **تذييلها** بجملة إن الله عليم قدير فهو خلقهم بدون اختيار منهم ثم يتوفاهم كرها عليهم أو يردهم إلى حالة يكرهونها فلا يستطيعون ردا لذلك ولا خلاصا منه، وبذلك يتحقق معنى العبودية بأوضح مظهر.وابتدئت الجملة باسم الجلالة للغرض الذي شرحناه عند قوله تعالى: والله أنزل من السماء ماء [سورة النحل: ٦٥] . وأما إعادة اسم الجلالة هنا دون الإضمار فلأن مقام الاستدلال يقتضي تكرير اسم المستدل- بفتح الدال- على إثبات صفاته تصريحاواضحا.وجيء بالمسند فعليا لإفادة تخصيص المسند إليه بالمسند الفعلي في الإثبات، نحو:أنا سعيت في حاجتك. وقد تقدم نظيره في قوله تعالى: والله أنزل من السماء ماء.فهذه عبرة وهي أيضا منة، لأن الخلق وهو الإيجاد نعمة لشرف الوجود والإنسانية، وفي التوفي أيضا نعم على المتوفي لأن به تندفع

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٩٧/١٤

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٠٣/١٤

آلام الهرم، ونعم على نوعه إذ به ينتظم حال أفراد النوع الباقين بعد ذهاب من قبلهم، هذا كله بحسب الغالب فردا ونوعا، والله يخص بنعمته وبمقدارها من يشاء.ولما قوبل «ثم توفاكم» بقوله تعالى: ومنكم من يرد إلى أرذل العمر علم أن المعنى ثم يتوفاكم في إبان الوفاة، وهو السن المعتادة الغالبة لأن الوصول إلى أرذل العمر نادر.والأرذل: تفضيل في الرذالة، وهي الرداءة في صفات الاستياء.." (١)

"وجملة إن الله عليم قدير **تذييل** تنبيها على أن المقصود من الجملة الدلالة على عظم قدرة الله وعظم علمه. وقدم وصف العليم لأن القدرة تتعلق على وفق العلم، وبمقدار سعة العلم يكون عظم القدرة، فضعيف القدرة يناله تعب من قوة علمه لأن همته تدعوه إلى ما ليس بالنائل، كما قال أبو الطيب:وإذا كانت النفوس كبارا ... تعبت في مرادها الأجسام[٧١][سورة النحل (١٦) : آية ٧١]والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء أفبنعمة الله يجحدون (٧١)هذا من الاستدلال على أن التصرف القاهر لله تعالى. وذلك أنه أعقب الاستدلال بالإحياء والإماتة وما بينهما من هرم بالاستدلال بالرزق.ولما كان الرزق حاصلا لكل موجود بني الاستدلال على التفاوت فيه بخلاف الاستدلال بقوله تعالى: والله خلقكم ثم يتوفاكم [سورة النحل: ٧٠] .ووجه الاستدلال به على التصرف القاهر أن الرزق حاصل لجميع الخلق وأن تفاضل الناس فيه غير جار على رغباتهم ولا على استحقاقهم فقد تجد أكيس الناس وأجودهم عقلا وفهما مقترا عليه في الرزق، وبضده ترى أجهل الناس وأقلهم تدبيرا موسعا عليه في الرزق، وكلا الرجلين قد حصل له ما حصل قهرا عليه، فالمقتر عليه لا يدري أسباب التقتير، والموسع عليه لا يدري أسباب تيسير رزقه، ذلك لأن الأسباب كثيرة متوالدة ومتسلسلة ومتوغلة في الخفاء حتى يظن أن أسباب الأمرين مفقودة وما هي بمفقودة ولكنها غير محاط بها. ومما ينسب إلى الشافعي:ومن الدليل على القضاء وكونه ... بؤس اللبيب وطيب عيش الأحمق." (٢)

"بأن المشبه أقوى في وجه الشبه وأنه لا يجد له شبيها فيصرح بذلك فيحصل التقريب ابتداء ثم الإعراب عن الحقيقة ثانيا.ثم المراد بالقرب في قوله تعالى: أقرب على الوجه الأول في تفسير لمح البصرهو القرب المكاني كناية عن كونه في المقدورية بمنزلة الشيء القريب التناول كقوله تعالى:ونحن أقرب إليه من حبل الوريد [سورة ق: ١٦] .وعلى الوجه الثاني في تفسيره يكون القرب قرب الزمان، أي أقرب من لمح البصر حصة، أي أسرع حصولا.**والتذييل** بقوله تعالى: إن الله على كل شيء قدير صالح لكلا التفسيرين.[٧٨][سورة النحل (١٦) : آية ٧٨]والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون (٧٨)عود إلى إكثار الدلائل على انفراد الله بالتصرف وإلى تعداد النعم على البشر عطفا على جملة والله جعل لكم من أنفسكم [النحل: ٧٢] بعد ما فصل بين تعداد النعم بما اقتضاه الحال من التذكير والإنذار.وقد اعتبر في هذه النعم ما فيها من لطف الله تعالى بالناس ليكون من ذلك التخلص إلى الدعوة إلى الإسلام وبيان أصول دعوة الإسلام في قوله تعالى: كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون [سورة النحل: ٨١] إلى آخره.والمعنى: أنه كما

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢١١/١٤

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢١٣/١٤

أخرجكم من عدم وجعل فيكم الإدراك وما يتوقف عليه الإدراك من الحياة فكذلك ينشئكم يوم البعث بعد العدم.وإذ كان هذا الصنع دليلا على إمكان البعث فهو أيضا باعث على شكر الله بتوحيده ونبذ الإشراك فإن الإنعام يبعث العاقل على الشكر.." (١)

"وجملة كذلك يتم نعمته عليكم **تذييل** لما ذكر من النعم، والمشار إليه هو ما في النعم المذكورة من الإتمام، أو إلى الإتمام المأخوذ من يتم.و (لعل) للرجاء، استعملت في معنى الرغبة، أي رغبة في أن تسلموا، أي تتبعوا دين الإسلام الذي يدعوكم إلى ما مآله شكر نعم الله تعالى.وتقدم تأويل معنى الرجاء في كلام الله تعالى من سورة البقرة.[٨٢][سورة النحل (١٦) : آية ٨٢]فإن تولوا فإنما عليك البلاغ المبين (٨٢)تفريع على جملة لعلكم تسلمون [سورة النحل: ٨١] وقع اعتراضا بين جملة كذلك يتم نعمته عليكم [سورة النحل: ٨١] وجملة ويوم نبعث من كل أمة شهيدا [سورة النحل: ٨٤] .وقد حول الخطاب عنهم إلى خطاب النبيء صلى الله عليه وسلم وهو نوع من الالتفات فيه التفات من أسلوب إلى أسلوب والتفات عمن كان الكلام موجها إليه بتوجيه الكلام إلى شخص آخر.والمعنى: كذلك يتم نعمته عليكم لتسلموا فإن لم يسلموا فإنما عليك البلاغ.والمقصود: تسلية النبيء صلى الله عليه وسلم على عدم استجابتهم.والتولي: الإعراض. وفعل تولوا هنا بصيغة الماضي، أي فإن أعرضوا عن الدعوة فلا تقصير منك ولا غضاضة عليك فإنك قد بلغت البلاغ المبين للمحجة.والقصر إضافي، أي ما عليك إلا البلاغ لا تقليب قلوبهم إلى الإسلام، أو لا تولي جزاءهم على الإعراض، بل علينا جزاؤهم كقوله تعالى: فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب [سورة الرعد: ٤٠] .وجعل هذا جوابا لجملة فإن تولوا من إقامة السبب والعلة مقام المسبب والمعلول: وتقدير الكلام: فإن تولوا فلا تقصير ولا مؤاخذة عليك." (٢)

"و «ما عند الله» هو ما ادخره للمسلمين من خير في الدنيا وفي الآخرة، كما سننبه عليه عند قوله تعالى: من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن [سورة النحل: ٩٧] الآية فخير الدنيا الموعود به أفضل مما يبذله لهم المشركون، وخير الآخرة أعظم من الكل، فالعندية هنا بمعنى الادخار لهم، كما تقول: لك عندي كذا، وليست عندية ملك الله تعالى كما في قوله: وعنده مفاتح الغيب [سورة الأنعام: ٥٩] وقوله وإن من شيء إلا عندنا خزائنه [سورة الحجر: ٢١] وقوله: وما عند الله باق.وإنما هذه مركبة من (إن) و (ما) الموصولة، فحقها أن تكتب مفصولة (ما) عن (إن) لأنها ليست (ما) الكافة، ولكنها كتبت في المصحف موصولة اعتبارا لحالة النطق ولم يكن وصل أمثالها مطردا في جميع المواضع من المصحف.ومعنى إن كنتم تعلمون إن كنتم تعلمون حقيقة عواقب الأشياء ولا يغركم العاجل. وفيه حث لهم على التأمل والعلم.وجملة ما عندكم ينفد وما عند الله باق **تذييل** وتعليل لمضمون جملة إنما عند الله هو خير لكم بأن ما عند الله لهم خير متجدد لا نفاد له، وأن ما يعطيهم المشركون محدود نافد لأن خزائن الناس صائرة إلى النفاد بالإعطاء وخزائن الله باقية.والنفاد: الانقراض. والبقاء: عدم الفناء.أي ما عند الله لا يفنى فالأجدر الاعتماد على عطاء الله الموعود على الإسلام دون الاعتماد على عطاء الناس الذين ينفد رزقهم ولو كثر.وهذا الكلام جرى مجرى **التذييل** لما قبله، وأرسل إرسال المثل فيحمل على أعم، ولذلك

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٣١/١٤

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٤١/١٤

كان ضمير عندكم عائدا إلى جميع الناس بقرينة **التذييل** والمثل، وبقرينة المقابلة بما عند الله، أي ما عندكم أيها الناس ما عند الموعود وما عند الواعد، لأن المنهيين عن نقض العهد ليس بيدهم شيء.." (١)

"ولما كان في نهيهم عن أخذ ما يعدهم به المشركون حمل لهم على حرمان أنفسهم من ذلك النفع العاجل وعدو الجزاء على صبرهم بقوله تعالى: وليجزين الذين صبروا أجرهم.قرأه الجمهور وليجزين بياء الغيبة. والضمير عائد إلى اسم الجلالة من قوله تعالى: بعهد الله وما بعده، فهو الناهي والواعد فلا جرم كان هو المجازي على امتثال أمره ونهيه.وقرأه ابن كثير وعاصم وابن ذكوان عن ابن عمر في إحدى روايتين عنه وأبو جعفر بنون العظمة فهو التفات.وأجرهم منصوب على المفعولية الثانية ل «يجزين» بتضمينه معنى الإعطاء المتعدي إلى مفعولين.والباء للسببية. و «أحسن» صيغة تفضيل مستعملة للمبالغة في الحسن. كما في قوله تعالى: قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه [سورة يوسف: ٣٣] ، أي بسبب عملهم البالغ في الحسن وهو عمل الدوام على الإسلام مع تجرع ألم الفتنة من المشركين.وقد أكد الوعد بلام القسم ونون التوكيد.[٩٧][سورة النحل (١٦) : آية ٩٧]من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون (٩٧)لما كان الوعد المتقدم بقوله تعالى وليجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون [سورة النحل: ٩٦] خاصا بأولئك الذين نهوا عن أن يشتروا بعهد الله ثمنا قليلا عقب بتعميمه لكل من ساواهم في الثبات على الإسلام والعمل الصالح مع التبيين للأجر، فكانت هذه الجملة بمنزلة **التذييل** للتي قبلها، والبيان لما تضمنته من مجمل الأجر. وكلا الاعتبارين يوجب فصلها عما قبلها.." (٢)

"كافرين وكان كلاهما يدفع الناس من اتباع الإسلام، ولكن الوليد كان يختلق المعاذير والمطاعن في القرآن وذلك من الكيد، وعمر كان يصرف الناس بالغلظة علنا دون اختلاق، فحرم الله الوليد بن المغيرة الاهتداء، وهدى عمر إلى الإسلام فأصبح الإسلام به عزيز الجانب. فتبين الناس أن الوليد من الذين لا يؤمنون بآيات الله، وأن عمر ليس منهم، وقد كانا معا كافرين في زمن ما.ويشير إلى هذا المعنى الذي ذكرناه قوله تعالى: إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار [سورة الزمر: ٣] فوصف من لا يهديه الله بوصفين الكذب وشدة الكفر.فتبين أن معنى قوله تعالى: الذين لا يؤمنون بآيات الله من كان الإيمان منافيا لجبلة طبعه لا لأميال هواه. وهذا يعلم الله أنه لا يؤمن وأنه ليس معرضا للإيمان، فلذلك لا يهديه الله، أي لا يكون الهداية في قلبه.وهذا الأسلوب عكس أسلوب قوله تعالى: إن الذين حقت عليهم كلمات ربك لا يؤمنون [سورة يونس: ٩٦] ، وكل يرمي إلى معنى عظيم.فموقع هذه الجملة من التي قبلها موقع التعليل لجميع أقوالهم المحكية **والتذييل** لخلاصة أحوالهم، ولذلك فصلت بدون عطف.وعطف ولهم عذاب أليم على لا يهديهم للدلالة على حرمانهم من الخير وإلقائهم في الشر لأنهم إذا حرموا الهداية فقد وقعوا في الضلالة، وماذا بعد الحق إلا الضلال، وهذا كقوله تعالى: كتب عليه

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٧١/١٤

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٧٢/١٤

أنه من تولاه فأنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير [سورة الحج: ٤] . ويشمل العذاب عذاب الدنيا وهو عذاب القتل مثل ما أصاب أبا جهل يوم بدر من ألم الجراح وهو في سكرات الموت، ثم من إهانة الإجهاز عليه عقب ذلك.." (١)

"[سورة النحل (١٦) : آية ١٠٧]ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين (١٠٧)هذه الجملة واقعة موقع التعليل فلذلك فصلت عن التي قبلها، وإشارة ذلك إلى مضمون قوله فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم [سورة النحل: ١٠٦] .وضمير بأنهم عائد إلى من كفر بالله [سورة النحل: ١٠٦] سواء كان ما صدق من معينا أو مفروضا على أحد الوجهين السابقين.والباء للسببية، فمدخولها سبب.واستحبوا مبالغة في (أحبوا) مثل استأخر واستكان. وضمن (استحبوا) معنى (فضلوا) فعدي بحرف (على) ، أي لأنهم قدموا نفع الدنيا على نفع الآخرة، لأنهم قد استقر في قلوبهم أحقية الإسلام وما رجعوا عنه إلا خوف الفتنة أو رغبة في رفاهية العيش، فيكون كفرهم أشد من كفر المستصحبين للكفر من قبل البعثة.وأن الله لا يهدي القوم الكافرين سبب ثان للغضب والعذاب، أي وبأن الله حرمهم الهداية فهم موافونه على الكفر. وقد تقدم تفسير ذلك عند قوله تعالى: إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله [سورة النحل: ١٠٤] .وهو **تذييل** لما في صيغة القوم الكافرين من العموم الشامل للمتحدث عنهم وغيرهم، فليس ذلك إظهارا في مقام الإضمار ولكنه عموم بعد خصوص.وإقحام لفظ (قوم) للدلالة على أن من كان هذا شأنهم فقد عرفوا به وتمكن منهم وصار سجية حتى كأنهم يجمعهم هذا الوصف.وقد تقدم أن جريان وصف أو خبر على لفظ (قوم) يؤذن بأنه من مقومات قوميتهم كما في قوله تعالى: لآيات لقوم يعقلون في سورة." (٢)

"وتعريف المسند إليه الذي هو اسم إن بطريق الإضافة دون العلمية لما يومىء إليه إضافة لفظ (رب) إلى ضمير النبيء من كون المغفرة والرحمة لأصحابه كانت لأنهم أوذوا لأجل الله ولأجل النبيء صلى الله عليه وسلم فكان إسناد المغفرة إلى الله بعنوان كونه رب محمد صلى الله عليه وسلم حاصلا بأسلوب يدل على الذات العلية وعلى الذات المحمدية.وهذا من أدق لطائف القرآن في قرن اسم النبيء باسم الله بمناسبة هذا الإسناد بخصوصه.وضمير من بعدها عائد إلى الهجرة المستفادة من هاجروا، أو إلى المذكورات: من هجرة وفتنة وجهاد وصبر، أو إلى الفتنة المأخوذة من فتنوا. وكل تلك الاحتمالات تشير إلى أن المغفرة والرحمة لهم جزاء على بعض تلك الأفعال أو كلها.وقرأ ابن عامر فتنوا- بفتح الفاء والتاء- على البناء للفاعل، وهي لغة في افتتن،بمعنى وقع في الفتنة.[١١١][سورة النحل (١٦) : آية ١١١]يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون (١١١)يجوز أن يكون هذا استئنافا **وتذييلا** بتقدير: اذكر يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها، وقع عقب التحذير والوعيد وعيدا للذين أنذروا ووعدا للذين بشروا.ويجوز أن يكون متصلا بقوله: إن ربك من بعدها لغفور رحيم [سورة النحل:١١٠] ، فيكون انتصاب يوم تأتي كل نفس على الظرفية لغفور رحيم، أي يغفر لهم ويرحمهم يوم القيامة بحيث لا يجدون أثرا لذنوبهم التي لا يخلو." (٣)

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٨٩/١٤

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٩٦/١٤

(٣) التحرير والتنويرابن عاشور ٣٠١/١٤

"وجملة وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا عطف على جملة عسى ربكم أن يرحمكم لإفادة أن ما ذكر قبله من عقاب إنما هو عقاب دنيوي وأن وراءه عقاب الآخرة.وفيه معنى **التذييل** لأن التعريف في للكافرين يعم المخاطبين وغيرهم. ويومىء هذا إلى أن عقابهم في الدنيا ليس مقصورا على ذنوب الكفر بل هو منوط بالإفساد في الأرض وتعدي حدود الشريعة. وأما الكفر بتكذيب الرسل فقد حصل في المرة الآخرة فإنهم كذبوا عيسى، وأما في المرة الأولى فلم تأتهم رسل ولكنهم قتلوا الأنبياء مثل أشعياء، وأرمياء، وقتل الأنبياء كفر.والحصير: المكان الذي يحصر فيه فلا يستطاع الخروج منه، فهو إما فعيل بمعنى فاعل، وإما بمعنى مفعول على تقدير متعلق، أي محصور فيه.[٩، ١٠][سورة الإسراء (١٧) : الآيات ٩ إلى ١٠]إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا (٩) وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما (١٠)استئناف ابتدائي عاد به الكلام إلى الغرض الأهم من هذه السورة وهو تأييدالنبيء صلى الله عليه وسلم بالآيات والمعجزات، وإيتاؤه الآيات التي أعظمها آية القرآن كما قدمناه عند قوله تعالى: وآتينا موسى الكتاب [الإسراء: ٢] . وأعقب ذلك بذكر ما أنزل على بني إسرائيل من الكتب للهدى والتحذير، وما نالهم من جراء مخالفتهم ما أمرهم الله به، ومن عدولهم عن سنن أسلافهم من عهد نوح. وفي ذلك فائدة التحذير من وقوع المسلمين فيما وقع فيه بنو إسرائيل، وهي الفائدة العظمى من ذكر قصص القرآن، وهي فائدة التاريخ.." (١)

"الآية التي قبلها لما اشتملت على بشارة وإنذار وكان المنذرون إذا سمعوا الوعيد والإنذار يستهزئون به ويقولون: متى هذا الوعد إن كنتم صادقين [يس: ٤٨] عطف هذا الكلام على ما سبق تنبيها على أن لذلك الوعد أجلا مسمى. فالمراد بالإنسان الإنسان الذي لا يؤمن بالآخرة كما هو في قوله تعالى: ويقول الإنسان أإذا ما مت لسوف أخرج حيا أو لا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا [مريم: ٦٦- ٦٧] وإطلاق الإنسان على الكافر كثير في القرآن.وفعل يدعوا مستعمل في معنى يطلب ويبتغي، كقول لبيد:أدعو بهن لعاقر أو مطفل ... بذلت لجيران الجميع لحامهاوقوله: دعاءه بالخير مصدر يفيد تشبيها، أي يستعجل الشر كاستعجاله الخير، يعني يستبطىء حلول الوعيد كما يستبطىء أحد تأخر خير وعد به.وقوله: وكان الإنسان عجولا **تذييل**، فالإنسان هنا مراد به الجنس لأنه المناسب **للتذييل**، أي وما هؤلاء الكافرون الذين لا يؤمنون بالآخرة إلا من نوع الإنسان، وفي نوع الإنسان الاستعجال فإن (كان) تدل على أن اسمها متصف بخبرها اتصافا متمكنا كقوله تعالى: وكان الإنسان أكثر شيء جدلا [الكهف: ٥٤] .والمقصود من قوله: وكان الإنسان عجولا الكناية عن عدم تبصره وأن الله أعلم بمقتضى الحكمة في توقيت الأشياء ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي إليهم أجلهم [يونس: ١١] ، ولكنه درج لهم وصول الخير والشر لطفا بهم في الحالين.والباء في قوله: بالشر وبالخير لتأكيد لصوق العامل بمعموله كالتي في قوله تعالى: وامسحوا برؤسكم [المائدة: ٦] أو لتضمين مادة الدعاء معنى الاستعجال، فيكون كقوله تعالى: يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها [الشورى: ١٨] .." (٢)

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٣٩/١٥

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٤٢/١٥

"إلى ضدها وهو حكمة السكون في الليل، كما قال: لتسكنوا فيه والنهار مبصرا كما تقدم في سورة يونس [٦٧] .ثم ذكرت حكمة أخرى حاصلة من كلتا الآيتين. وهي حكمة حساب السنين، وهي في آية الليل أظهر لأن جمهور البشر يضبط الشهور والسنين بالليالي، أي حساب القمر.والحساب يشمل حساب الأيام والشهور والفصول فعطفه على عدد السنين من عطف العام على الخاص للتعميم بعد ذكر الخاص اهتماما به.وجملة وكل شيء فصلناه تفصيلا **تذييل** لقوله: وجعلنا الليل والنهار آيتين باعتبار ما سيق له من الإشارة إلى أن للشر والخير والموعود بهما أجلا ينتهيان إليه.والمعنى: أن ذلك الأجل محدود في علم الله تعالى لا يعدوه، فلا يقربه استعجال ولا يؤخره استبطاء لأن الله قد جعل لكل شيء قدرا لا إبهام فيه ولا شك عنده.إن للخير وللشر مدى (١) ... .فلا تحسبوا ذلك وعدا سدى.والتفصيل: التبيين والتمييز وهو مشتق من الفصل بمعنى القطع لأن التبيين يقتضي عدم التباس الشيء بغيره. وقد تقدم في قوله تعالى: كتاب أحكمت آياته ثم فصلت صدر [هود: ١] .والتفصيل في الأشياء يكون في خلقها، ونظامها، وعلم الله بها، وإعلامه بها.فالتفصيل الذي في علم الله وفي خلقه ونواميس العوالم عام لكل شيء وهو مقتضى العموم هنا. وأما ما فصله الله للناس من الأحكام والأخبار فذلك بعض الأشياء، ومنه قوله تعالى. يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون [الرعد: ٢] وقوله: قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون [الأنعام: ٩٧] . وذلك بالتبليغ على ألسنة____________(١) صدر بيت وتمامه: «وكلا ذلك وجه وقبل» . وهو لعبد الله بن الزبعرى.." (١)

"وجملة وهو مؤمن حال من ضمير وسعى. وجيء بجملة وهو مؤمن اسمية لدلالتها على الثبات والدوام، أي وقد كان راسخ الإيمان، وهو في معنى قوله: ثم كان من الذين آمنوا [البلد: ١٧] لما في (كان) من الدلالة على كون الإيمان ملكة له.والإتيان باسم الإشارة في فأولئك كان سعيهم مشكورا للتنبيه على أن المشار إليهم جديرون بما سيخبر به عنهم لأجل ما وصفوا به قبل ذكر اسم الإشارة.والسعي المشكور هو المشكور ساعيه، فوصفه به مجاز عقلي، إذ المشكور المرضي عنه، وإذ المقصود الإخبار عن جزاء عمل من أراد الآخرة وسعى لها سعيها لا عن حسن عمله لأنه قسيم لجزاء من أراد العاجلة وأعرض عن الآخرة، ولكن جعل الوصف للعمل لأنه أبلغ في الإخبار عن عامله بأنه مرضي عنه لأنه في معنى الكناية الراجعة إلى إثبات الشيء بواسطة إثبات ملزومه.والتعبير ب كان في كان سعيهم مشكورا للدلالة على أن الوصف تحقق فيه من قبل، أي من الدنيا لأن الطاعة تقتضي ترتب الشكر عاجلا والثواب آجلا. وقد جمع كونه مشكورا خيرات كثيرة يطول تفصيلها لو أريد تفصيله.[٢٠][سورة الإسراء (١٧) : آية ٢٠]كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا (٢٠)**تذييل** لآية من كان يريد العاجلة إلى آخرها [الإسراء: ١٨] .وهذه الآية فذلكة للتنبيه على أن الله تعالى لم يترك خلقه من أثر رحمته حتى الكفرة منهم الذين لا يؤمنون بلقائه فقد أعطاهم من نعمة الدنيا على." (٢)

"حسب ما قدر لهم وأعطى المؤمنين خيري الدنيا والآخرة. وذلك مصداق قوله: ورحمتي وسعت كل شيء [الأعراف: ١٥٦] وقوله فيمارواه عنه نبيه صلى الله عليه وسلم «إن رحمتي سبقت غضبي». وتنوين كلا تنوين عوض عن المضاف إليه،

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٤٥/١٥

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٦١/١٥

أي كل الفريقين، وهو منصوب على المفعولية لفعل نمد.وقوله: هؤلاء وهؤلاء بدل من قوله: كلا بدل مفصل من مجمل.ومجموع المعطوف والمعطوف عليه هو البدلكقول النبيء صلى الله عليه وسلم: «اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر». والمقصود من الإبدال التعجيب من سعة رحمة الله تعالى.والإشارة ب هؤلاء في الموضعين إلى من كان يريد العاجلة ومن أراد الآخرة.والأصل أن يكون المذكور أول عائدا إلى الأول إلا إذا اتصل بأحد الاسمين ما يعين معاده. وقد اجتمع الأمران في قول المتلمس:ولا يقيم على ضيم يراد به ... إلا الأذلان عير الحي والوتدهذا على الخسف مربوط برمته ... وذا يشج فلا يرثي له أحدوالإمداد: استرسال العطاء وتعاقبه. وجعل الجديد منه مددا للسالف بحيث لاينقطع.وجملة وما كان عطاء ربك محظورا اعتراض أو **تذييل**، وعطاء ربك جنس العطاء، والمحظور: الممنوع، أي ما كان ممنوعا بالمرة بل لكل مخلوق نصيب منه.." (١)

"ونصب درجات وتفضيلا على التمييز لنسبة أكبر في الموضعين، والمفضل عليه هو عطاء الدنيا.والدرجات مستعارة لعظمة الشرف، والتفضيل: إعطاء الفضل، وهو الجدة والنعمة،وفي الحديث: «ويتصدقون بفضول أموالهم». والمعنى: النعمة في الآخرة أعظم من نعم الدنيا.[٢٢][سورة الإسراء (١٧) : آية ٢٢]لا تجعل مع الله إلها آخر فتقعد مذموما مخذولا (٢٢)**تذييل** هو فذلكة لاختلاف أحوال المسلمين والمشركين، فإن خلاصة أسباب الفوز ترك الشرك لأن ذلك هو مبدأ الإقبال على العمل الصالح فهو أول خطوات السعي لمريد الآخرة، لأن الشرك قاعدة اختلال التفكير وتضليل العقول، قال الله تعالى في ذكر آلهة المشركين وما زادوهم غير تتبيب [هود: ١٠١] .والخطاب للنبيء صلى الله عليه وسلم تبع لخطاب قوله: انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض [الإسراء: ٢١] . والمقصود إسماع الخطاب غيره بقرينة تحقق أن النبيء قائم بنبذ الشرك ومنح على الذين يعبدون مع الله إلها آخر.وفتقعد مستعار لمعنى المكث والدوام. أريد بهذه الاستعارة تجريد معنى النهي إلى أنه نهي تعريض بالمشركين لأنهم متلبسون بالذم والخذلان. فإن لم يقلعوا عن الشرك داموا في الذم والخذلان.والمذموم: المذكور بالسوء والعيب.والمخذول: الذي أسلمه ناصره.فأما ذمه فمن ذوي العقول، إذ أعظم سخرية أن يتخذ المرء حجرا أو عودا ربا له ويعبده، كما قال إبراهيم- عليه السلام- أتعبدون ما تنحتون: [الصافات: ٩٥] ، وذمه من الله على لسان الشرائع.." (٢)

"غريزي ضعيف وبعضه عقلي قوي حتى أن أثر ذلك الإحساس ليساوي بمجموعه أثر عاطفة الأم الغريزية أو يفوقها في حالة كبر الابن. ثم وزع الإسلام ما دعا إليه من ذلك بين بقية مراتب القرابة على حسب الدنو في القرب النسبي بما شرعه من صلة الرحم، وقد عزز الله قابلية الانسياق إلى تلك الشرعة في النفوس.جاء في الحديث: «أن الله لما خلق الرحم أخذت بقائمة من قوائم العرش وقالت:هذا مقام العائذ بك من القطيعة. فقال الله: أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك» .وفي الحديث: «إن الله جعل الرحم من اسمه الرحيم». وفي هذا التكوين لأواصر القرابة صلاح عظيم للأمة تظهر آثاره في مواساة بعضهم بعضا، وفي اتحاد بعضهم مع بعض، قال تعالى: يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٦٢/١٥

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٦٤/١٥

وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا [الحجرات: ١٣] .وزاده الإسلام توثيقا بما في تضاعيف الشريعة من تأكيد شد أواصر القرابة أكثر مما حاوله كل دين سلف. وقد بينا ذلك في بابه من كتاب «مقاصد الشريعة الإسلامية» .[٢٥][سورة الإسراء (١٧) : آية ٢٥]ربكم أعلم بما في نفوسكم إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفورا (٢٥)**تذييل** لآية الأمر بالإحسان بالوالدين وما فصل به، وما يقتضيه الأمر من اختلاف أحوال المأمورين بهذا الأمر قبل وروده بين موافق لمقتضاه ومفرط فيه، ومن اختلاف أحوالهم بعد وروده من محافظ على الامتثال، ومقصر عن قصد أو عن بادرة غفلة.." (١)

"ولما كان ما ذكر في تضاعيف ذلك وما يقتضيه يعتمد خلوص النية ليجري العملعلى ذلك الخلوص كاملا لا تكلف فيه ولا تكاسل، فلذلك ذيله بأنه المطلع على النفوس والنوايا، فوعد الولد بالمغفرة له إن هو أدى ما أمره الله به لوالديه وافيا كاملا. وهو مما يشمله الصلاح في قوله: إن تكونوا صالحين أي ممتثلين لما أمرتم به. وغير أسلوب الضمير فعاد إلى ضمير جمع المخاطبين لأن هذا يشترك فيه الناس كلهم فضمير الجمع أنسب به.ولما شمل الصلاح الصلاح الكامل والصلاح المشوب بالتقصير ذيله بوصف الأوابين المفيد بعمومه معنى الرجوع إلى الله، أي الرجوع إلى أمره وما يرضيه، ففهم من الكلام معنى احتباك بطريق المقابلة. والتقدير إن تكونوا صالحين أوابين إلى الله فإنه كان للصالحين محسنا وللأوابين غفورا. وهذا يعم المخاطبين وغيرهم، وبهذا العموم كان **تذييلا**.وهذا الأوب يكون مطردا، ويكون معرضا للتقصير والتفريط، فيقتضي طلب الإقلاع عما يخرمه بالرجوع إلى الحالة المرضية، وكل ذلك أوب وصاحبه آئب، فصيغ له مثال المبالغة (أواب) لصلوحية المبالغة لقوة كيفية الوصف وقوة كميته. فالملازم للامتثال في سائر الأحوال المراقب لنفسه أواب لشدة محافظته على الأوبة إلى الله، والمغلوب بالتفريط يؤوب كلما راجع نفسه وذكر ربه، فهو أواب لكثرة رجوعه إلى أمر ربه، وكل من الصالحين.وفي قوله: ربكم أعلم بما في نفوسكم ما يشمل جميع أحوال النفوس وخاصة حالة التفريط وبوادر المخالفة. وهذا من رحمة الله تعالى بخلقه.وقد جمعت هذه الآية مع إيجازها تيسيرا بعد تعسير مشوبا بتضييق وتحذير ليكون المسلم على نفسه رقيبا." (٢)

"لا تخرق بمشيك أديم الأرض، ولا تبلغ بتطاولك في مشيك طول الجبال، فماذا يغريك بهذه المشية.والخرق: قطع الشيء والفصل بين الأديم، فخرق الأرض تمزيق قشر التراب.والكلام مستعمل في التغليظ بتنزيل الماشي الواطئ الأرض بشدة منزلة من يبتغي خرق وجه الأرض وتنزيله في تطاوله في مشيه إلى أعلى منزلة من يريد أن يبلغ طول الجبال.والمقصود من التهكم التشنيع بهذا الفعل. فدل ذلك على أن المنهي عنه حرام لأنه فساد في خلق صاحبه وسوء في نيته وإهانة للناس بإظهار الشفوف عليهم وإرهابهم بقوته.وعن عمر بن الخطاب: أنه رأى غلاما يتبختر في مشيته فقال له: «إن البخترة مشية تكره إلا في سبيل الله» يعني لأنها يرهب بها العدو إظهارا للقوة على أعداء الدين في الجهاد.وإظهار اسم (الأرض) في قوله: لن تخرق الأرض دون إضمار ليكون هذا الكلام مستقلا عن غيره جاريا مجرى المثل.[٣٨][سورة الإسراء (١٧) : آية ٣٨]كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها (٣٨)**تذييل** للجمل المتقدمة ابتداء من قوله تعالى: وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه [الإسراء: ٢٣] باعتبار ما اشتملت عليه من التحذيرات والنواهي. فكل جملة فيها أمر هي مقتضية نهيا عن ضده،

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٥/٧٤

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١٥/٧٥

وكل جملة فيها نهي هي مقتضية شيئا منهيا عنه، فقوله: ألا تعبدوا إلا إياه يقتضي عبادة مذمومة منهيا عنها، وقوله: وبالوالدين إحسانا [الإسراء:٢٣] يقتضي إساءة منهيا عنها، وعلى هذا القياس.وقرأ الجمهور سيئة- بفتح الهمزة بعد المثناة التحتية وبهاء تأنيث في آخره، وهي ضد الحسنة.." (١)

"فالذي وصف بالسيئة وبأنه مكروه لا يكون إلا منهيا عنه أو مأمورا بضده إذ لا يكون المأمور به مكروها للآمر به، وبهذا يظهر للسامع معان اسم الإشارة في قوله: كل ذلك.وإنما اعتبر ما في المذكورات من معاني النهي لأن الأهم هو الإقلاع عما يقتضيه جميعها من المفاسد بالصراحة أو بالالتزام، لأن درء المفاسد أهم من جلب المصالح في الاعتبار وإن كانا متلازمين في مثل هذا.وقوله: عند ربك متعلق ب مكروها أي هو مذموم عند الله. وتقديم هذا الظرف على متعلقه للاهتمام بالظرف إذ هو مضاف لاسم الجلالة، فزيادة عند ربك مكروها لتشنيع الحالة، أي مكروها فعله من فاعله. وفيه تعريض بأن فاعله مكروه عند الله.وقرأ ابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف كان سيئه- بضم الهمزة وبهاء ضمير في آخره-. والضمير عائد إلى كل ذلك، وكل ذلك هو نفس السيء فإضافة (سيء) إلى ضميره إضافة بيانية تفيد قوة صفة السيء حتى كأنه شيئان يضافأحدهما إلى الآخر. وهذه نكتة الإضافة البيانية كلما وقعت، أي كان ما نهى عنه من ذلك مكروها عند الله.وينبغي أن يكون مكروها خبرا ثانيا ل (كان) لأنه المناسب للقراءتين.[٣٩][سورة الإسراء (١٧) : آية ٣٩]ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا (٣٩)ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة عدل عن مخاطبة الأمة بضمائر جمع المخاطبين وضمائر المخاطب غير المعين إلى خطاب النبيء صلى الله عليه وسلم ردا إلى ما سبق في أول هذه الآيات من قوله: وقضى ربك إلخ [الإسراء: ٢٣] . وهو تذييل معترض بين جمل النهي. والإشارة إلى جميع ما ذكر من الأوامر والنواهي صراحة من قوله: وقضى ربك [الإسراء: ٢٣] .." (٢)

"وفي هذا التذييل تنبيه على أن ما اشتملت عليه الآيات السبع عشرة هو من الحكمة، تحريضا على اتباع ما فيها وأنه خير كثير. وفيه امتنان على النبيء صلى الله عليه وسلم بأن الله أوحى إليه، فذلك وجه قوله: مما أوحى إليك تنبيها على أن مثل ذلك لا يصل إليه الأميون لولا الوحي من الله، وأنه علمه ما لم يكن يعلم وأمره أن يعلمه الناس.والحكمة: معرفة الحقائق على ما هي عليه دون غلط ولا اشتباه، وتطلق على الكلام الدال عليها. وتقدم في قوله تعالى: يؤتي الحكمة من يشاء [البقرة: ٢٦٩] .ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا عطف على جمل النهي المتقدمة، وهذا تأكيد لمضمون جملة ألا تعبدوا إلا إياه [الإسراء: ٢٣] ، أعيد لقصد الاهتمام بأمر التوحيد بتكرير مضمونه وبما رتب عليه من الوعيد بأن يجازى بالخلود في النار مهانا.والخطاب لغير معين على طريقة المنهيات قبله، وبقرينة قوله عقبه: أفأصفاكم ربكم بالبنين الآية [الإسراء: ٤٠] .والإلقاء: رمي الجسم من أعلى إلى أسفل، وهو يؤذن بالإهانة.والملوم: الذي ينكر عليه

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٠٤/١٥

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١٠٥/١٥

ما فعله.والمدحور: المطرود، أي المطرود من جانب الله، أي مغضوب عليه ومبعد من رحمته في الآخرة.و «تلقى» منصوب في جواب النهي بفاء السببية والتسبب على المنهي عنه، أي فيتسبب على جعلك مع الله إلها آخر إلقاؤك في جهنم.." [1]

"لهذا كانت جملة قل كونوا حجارة إلخ غير معطوفة، جريا على طريقة المحاورات التي بينتها عند قوله تعالى: قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها في سورة البقرة [٣٠] .وإن كان قوله: قل ليس مبدأ محاورة بل المحاورة بالمقول الذي بعده ولكن الأمر بالجواب أعطي حكم الجواب فلذلك فصلت جملة قل.واعلم أن ارتباط رد مقالتهم بقوله: كونوا حجارة إلخ غامض، لأنهم إنما استبعدوا أو أحالوا إرجاع الحياة إلى أجسام تفرقت أجزاؤها وانخرم هيكلها، ولم يعللوا الإحالة بأنها صارت أجساما ضعيفة، فيرد عليهم بأنها لو كانت من أقوى الأجسام لأعيدت لها الحياة.فبنا أن نبين وجه الارتباط بين الرد على مقالتهم وبين مقالتهم المردودة، وفي ذلك ثلاثة وجوه:أحدها: أن تكون صيغة الأمر في قوله: كونوا مستعملة في معنى التسوية، ويكون دليلا على جواب محذوف تقديره: إنكم مبعوثون سواء كنتم عظاما ورفاتا أو كنتم حجارة أو حديدا، تنبيها على أن قدرة الله تعالى لا يتعاصى عليها شيء. وذلك إدماج يجعل الجملة في معنى **التذييل**.الوجه الثاني: أن تكون صيغة الأمر في قوله: كونوا مستعملة في الفرض، أي لو فرض أن يكون الأجساد من الأجسام الصلبة وقيل لكم: إنكم مبعوثون بعد الموت لأحلتم ذلك واستبعدتم إعادة الحياة فيها. وعلى كلا الوجهين يكون قوله: مما يكبر في صدوركم نهاية الكلام، ويكون قوله: فسيقولون من يعيدنا مفرعا على جملة وقالوا أإذا كنا [الإسراء: ٤٩] إلخ تفريعا على الاستئناف. وتكون الفاء للاستئناف وهي بمعنى الواو على خلاف في مجيئها للاستئناف، والكلام انتقال لحكاية تكذيب آخر من تكذيباتهم.." [2]

"وجملة إن عذاب ربك كان محذورا **تذييل**. ومعنى كان محذورا أن حقيقته تقتضي حذر الموفقين إذ هو جدير بذلك.[٥٨][سورة الإسراء (١٧) : آية ٥٨]وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذابا شديدا كان ذلك في الكتاب مسطورا (٥٨)لما عرض بالتهديد للمشركين في قوله: إن عذاب ربك كان محذورا [الإسراء:٥٧] ، وتحداهم بقوله: قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم [الإسراء: ٥٦] جاء بصريح التهديد على مسمع منهم بأن كل قرية مثل قريتهم في الشرك لا يعدوها عذاب الاستيصال وهو يأتي على القرية وأهلها، أو عذاب الانتقام بالسيف والذل والأسر والخوف والجوع وهو يأتي على أهل القرية مثل صرعى بدر، كل ذلك في الدنيا.فالمراد: القرى الكافر أهلها لقوله تعالى: وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون في سورة هود [١١٧] ، وقوله: وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون في سورة القصص [٥٩] .وحذف الصفة في مثل هذا معروف كقوله تعالى: يأخذ كل سفينة غصبا [الكهف: ٧٩] أي كل سفينة صالحة، بقرينة قوله: فأردت أن أعيبها [الكهف: ٧٩] .وليس المقصود شمول ذلك القرى المؤمنة، على معنى أن لا بد للقرى من زوالوفناء في سنة الله في هذا العالم، لأن ذلك معارض لآيات أخرى، ولأنه مناف لغرض تحذير المشركين من الاستمرار على الشرك.فلو سلمنا أن هذا الحكم لا تنفلت منه قرية من القرى بحكم سنة الله في

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٠٦/١٥

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١٢٥/١٥

مصير كل حادث إلى الفناء لما سلمنا أن في ذكر ذلك هنا فائدة.والتقييد بكونه قبل يوم القيامة زيادة في الإنذار والوعيد، كقوله: ولعذاب الآخرة أشد وأبقى [طه: ١٢٧] .." (١)

"والاستثناء من عموم الموصول، لأن اسم الله مما يجري على ألسنتهم في الدعاء تارة كما تجري أسماء الأصنام، فالاستثناء متصل.ويجوز أن يكون اسم الموصول في قوله: من تدعون خاصا بأصنامهم لأنهم يكثر دعاؤهم إياها دون اسم الله تعالى، كما هو مقتضى التجدد فإذا اشتد بهم الضر دعوا الله كما قال تعالى: فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون [العنكبوت: ٦٥] . ويكون الاستثناء منقطعا. ونصب المستثنى لا يختلف في الوجهين جريا على اللغة الفصحى. ولعل هذا الوجه أرجح لأنه أنسب بقوله:أعرضتم.والإعراض: الترك، أي تركتم دعاء الله، بقرينة الجمع بين مقتضى المضارع من إفادة التجدد وبين مقتضى الاستثناء من انحصار الدعاء في الكون باسمه تعالى.وقوله: إلى البر عدي بحرف (إلى) لتضمين نجاكم معنى أبلغكم وأوصلكم.وجملة وكان الإنسان كفورا اعتراض **وتذييل** لزيادة التعجب منهم ومن أمثالهم.و «الكفور» صيغة مبالغة، أي كثير الكفر. والكفر ضد الشكر.والتعريف في الإنسان تعريف الجنس وهو مفيد للاستغراق. فهذا الاستغراق يجوز أن يكون استغراقا عرفيا بحمله على غالب نوع الإنسان، وهم أهل الإشراك وهم أكثر الناس يومئذ، فتكون صيغة المبالغة من قوله: كفورا راجعة إلى قوة صفة الكفران أو عدم الشكر فإن أعلاه إشراك غير المنعم مع المنعم في نعمة لا حظ له فيها.ويجوز أن يكون الاستغراق حقيقيا، أي كان نوع الإنسان كفورا، أي غير خال من الكفران، فتكون صيغة المبالغة راجعة إلى كثرة أحوال الكفران مع تفاوتها. وكثرة كفران الإنسان هي تكرر إعراضه عن الشكر في موضع." (٢)

"ووصف (تبيع) يناسب حال الضر الذي يلحقهم في البحر، لأن البحر لا يصل إليه رجال قبيلة القوم وأولياؤهم، فلو راموا الثأر لهم لركبوا البحر ليتابعوا آثار من ألحق بهم ضرا. فلذلك قيل هنا تبيعا وقيل في التي قبلها وكيلا كما تقدم.وضمير به عائد إما إلى الإغراق المفهوم من فيغرقكم، وإما إلى المذكور من إرسال القاصف وغيره.وقرأ الجمهور ألفاظ يخسف ويرسل ويعيدكم فيرسل فيغرقكم خمستها بالياء التحتية. وقرأها ابن كثير وأبو عمرو- بنون العظمة- على الالتفات من ضمير الغيبة الذي في قوله: فلما نجاكم إلى البر إلى ضمير التكلم. وقرأ أبو جعفر ورويس عن يعقوب فتغرقكم بمثناة فوقية. والضمير عائد إلى الريح على اعتبار التأنيث، أو على الرياح على قراءة أبي جعفر.[٧٠][سورة الإسراء (١٧) : آية ٧٠]ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا (٧٠)اعتراض جاء بمناسبة العبرة والمنة على المشركين، فاعترض بذكر نعمة على جميع الناس فأشبه **التذييل** لأنه ذكر به ما يشمل ما تقدم.والمراد ببني آدم جميع النوع، فالأوصاف المثبتة هنا إنما هي أحكام للنوع من حيث هو كما هو شأن الأحكام التي تسند إلى

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٤١/١٥

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١٦٠/١٥

الجماعات.وقد جمعت الآية خمس منن: التكريم، وتسخير المراكب في البر، وتسخير المراكب في البحر، والرزق من الطيبات، والتفضيل على كثير من المخلوقات.." (١)

"فإنه لما دخل الكعبة ووجد فيها وحولها الأصنام جعل يشير إليها بقضيب ويقول: جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا فتسقط تلك الأنصاب على وجوهها.ومجيء الحق مستعمل مجازا في إدراك الناس إياه وعملهم به وانتصار القائم به على معاضديه تشبيها للشيء الظاهر بالشيء الذي كان غايبا فورد جائيا.وزهق اضمحل بعد وجوده. ومصدره الزهوق والزهق. وزهوق الباطل مجاز في تركه أصحابه فكأنه كان مقيما بينهم ففارقهم. والمعنى: استقر وشاع الحق الذي يدعو إليه النبيء وانقضى الباطل الذي كان النبيء صلى الله عليه وسلم ينهى عنه.وجملة إن الباطل كان زهوقا **تذييل** للجملة التي قبله لما فيه من عموم يشمل كل باطل في كل زمان. وإذا كان هذا شأن الباطل كان الثبات والانتصار شأن الحق لأنه ضد الباطل فإذا انتفى الباطل ثبت الحق.وبهذا كانت الجملة **تذييلا** لجميع ما تضمنته الجملة التي قبلها. والمعنى: ظهر الحق في هذه الأمة وانقضى الباطل فيها، وذلك شأن الباطل فيما مضى من الشرائع أنه لا ثبات له.ودل فعل كان على أن الزهوق شنشنة الباطل، وشأنه في كل زمان أنه يظهر ثم يضمحل، كما تقدم في قوله تعالى: أكان للناس عجبا في صدر سورة يونس [٢] .[٨٢][سورة الإسراء (١٧) : آية ٨٢]وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا (٨٢)عطف على جملة وقل جاء الحق وزهق الباطل [الإسراء: ٨١] على ما في تلك الجملة والجمل التي سبقتها من معنى التأييد للنبيء صلى الله عليه وسلم ومن." (٢)

"وجملة وإذا مسه الشر كان يؤسا احتراس من أن يتوهم السامع من التقييد بقوله:وإذا أنعمنا أنه إذا زالت عنه النعمة صلح حاله فبين أن حاله ملازم لنكران الجميل في السراء والضراء، فإذا زالت النعمة عنه لم يقلع عن الشرك والكفر ويتب إلى الله ولكنه ييأس من الخير ويبقى حنقا ضيق الصدر لا يعرف كيف يتدارك أمره.ولا تعارض بين هذه الآية وبين قوله في سورة فصلت [٥١] وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض كما سيأتي هنالك.ودل قوله: كان يؤسا على قوة يأسه إذ صيغ له مثال المبالغة. وأقحم معه فعل (كان) الدال على رسوخ الفعل، تعجيبا من حاله في وقت مس الضر إياه لأن حالة الضر أدعى إلى الفكرة في وسائل دفعه، بخلاف حالة الإعراض في وقت النعمة فإنها حالة لا يستغرب فيها الازدهاء لما هو فيه من النعمة.[٨٤][سورة الإسراء (١٧) : آية ٨٤]قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا (٨٤)هذا **تذييل**، وهو تنهية للغرض الذي ابتدئ من قوله: ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله [الإسراء: ٦٦] الراجع إلى التذكير بنعم الله تعالى على الناس في خلال الاستدلال على أنه المتصرف الوحيد، وإلى التحذير من عواقب كفران النعم. وإذ قد ذكر في خلال ذلك فريقان في قوله: يوم ندعوا كل أناس بإمامهم الآية [الإسراء: ٧١] ، وقوله: وننزل

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٦٤/١٥

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١٨٨/١٥

من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا [الإسراء: ٨٢] .ولما في كلمة (كل) من العموم كانت الجملة **تذييلا**.." (١)

"الروح من أمر الله، أي أنه كائن عظيم من الكائنات المشرفة عند الله ولكنه مما استأثر الله بعلمه. فلفظ أمر يحتمل أن يكون مرادف الشيء. فالمعنى: الروح بعض الأشياء العظيمة التي هي لله، فإضافة أمر إلى اسم الجلالة على معنى لام الاختصاص، أي أمر اختص بالله اختصاص علم.و (من) للتبعيض، فيكون هذا الإطلاق كقوله: وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا [الشورى: ٥٢] . ويحتمل أن يكون الأمر أمر التكوين، فإما أن يراد نفس المصدر وتكون (من) ابتدائية كما في قوله: إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون [النحل: ٤٠] ، أي الروح يصدر عن أمر الله بتكوينه أو يراد بالمصدر معنى المفعول مثل الخلق و (من) تبعيضية، أي الروح بعض مأمورات الله فيكون المراد بالروح جبريل- عليه السلام- ، أي الروح من المخلوقات الذين يأمرهم الله بتبليغ الوحي، وعلى كلا الوجهين لم تكن الآية جوابا عن سؤالهم.وروى ابن العربي في الأحكام عن ابن وهب عن مالك أنه قال: «لم يأته في ذلك جواب» اهـ. أي أن قوله: قل الروح من أمر ربي ليس جوابا ببيان ما سألوا عنه ولكنه صرف عن استعلامه وإعلام لهم بأن هذا من العلم الذي لم يؤتوه. والاحتمالات كلها مرادة، وهي كلمة جامعة. وفيها رمز إلى تعريف الروح تعريفا بالجنس وهو رسم.وجملة وما أوتيتم من العلم إلا قليلا يجوز أن تكون مما أمر الله رسوله أن يقوله للسائلين فيكون الخطاب لقريش أو لليهود الذين لقنوهم، ويجوز أن يكون **تذييلا** أو اعتراضا فيكون الخطاب لكل من يصلح للخطاب، والمخاطبون متفاوتون في القليلالمستثنى من المؤتى من العلم. وأن يكون خطابا للمسلمين.والمراد بالعلم هنا المعلوم، أي ما شأنه أن يعلم أو من معلومات الله. ووصفه بالقليل بالنسبة إلى ما من شأنه أن يعلم من الموجودات والحقائق.وفي «جامع الترمذي» قالوا (أي اليهود) : «أوتينا علما كثيرا التوراة." (٢)

"وقوله: إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا يقتضي بصريحه أنهم قالوا بألسنتهم وهو مع ذلك كناية عن اعتقادهم ما قالوه. ولذلك جعل قولهم ذلك مانعا من أن يؤمنوا لأن اعتقاد قائليه يمنع من إيمانهم بضده ونطقهم بما يعتقدونه يمنع من يسمعونهم من متبعي دينهم.وإلقاء هذا الكلام بصيغة الحصر وأداة العموم جعله **تذييلا** لما مضى من حكاية تفننهم في أساليب التكذيب والتهكم.فالظاهر حمل التعريف في الناس على الاستغراق. أي ما منع جميع الناس أنيؤمنوا إلا ذلك التوهم الباطل لأن الله حكى مثل ذلك عن كل أمة كذبت رسولها فقال حكاية عن قوم نوح ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لأنزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين [المؤمنون: ٢٤] . وحكى مثله عن هود ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون ولئن أطعتم بشرا مثلكم إنكم إذا لخاسرون [المؤمنون: ٣٣- ٣٤] ، وعن قوم صالح ما أنت إلا بشر مثلنا [سورة الشعراء: ١٥٤] ، وعن قوم شعيب وما أنت إلا بشر مثلنا [الشعراء: ١٨٦] ، وحكي عن قوم فرعون فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا[المؤمنون: ٤٧] . وقال في قوم محمد صلى الله عليه وسلم بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب [ق: ٢] .وإذ شمل العموم كفار قريش أمر الرسول بأن يجيبهم عن

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٩٣/١٥

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١٩٨/١٥

هذه الشبهة بقوله: لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين الآية، فاختص الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم باجتثاث هذه الشبهة من أصلها اختصاصا لم يلقنه من سبق من الرسل، فإنهم تلقوا تلك الشبهة باستنصار الله تعالى على أقوامهم فقال عن نوح قال رب إن قومي كذبون فافتح بيني وبينهم فتحا ونجني ومن معي من المؤمنين [الشعراء: ١١٨] .." (١)

"وأكد جواب (لو) بزيادة حرف (إذن) فيه لتقوية معنى الجوابية، ولأن في (إذن) معنى الجزاء كما تقدم آنفا عند قوله: قل لو كان معه آلهة كما تقولون إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا [الإسراء: ٤٢] . ومنه قول بشر بن عوانة:أفاطم لو شهدت ببطن خبت ... وقد لاقى الهزبر أخاك بشراإذن لرأيت ليثا أم ليثا ... هزبرا أغلبا لاقى هزبراوجملة وكان الإنسان قتورا حالية أو اعتراضية في آخر الكلام، وهي تفيد **تذييلا** لأنها عامة الحكم. فالواو فيها ليست عاطفة.والقتور: الشديد البخل، مشتق من القتر وهو التضييق في الإنفاق.[١٠١، ١٠٢][سورة الإسراء (١٧) : الآيات ١٠١ إلى ١٠٢]ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فسئل بني إسرائيل إذ جاءهم فقال له فرعون إني لأظنك يا موسى مسحورا (١٠١) قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر وإني لأظنك يا فرعون مثبورا (١٠٢)بقي قولهم: أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا [الإسراء: ٩٢] غير مردود عليهم، لأن له مخالفة لبقية ما اقترحوه بأنه اقتراح آية عذاب ورعب، فهو من قبيل آيات موسى- عليه السلام- التسع. فكان ذكر ما آتاه الله موسى من الآيات وعدم إجداء ذلك في فرعون وقومه تنظيرا لما سأله المشركون.والمقصود: أننا آتينا موسى- عليه السلام- تسع آيات بينات الدلالة على صدقه فلم يهتد فرعون وقومه وزعموا ذلك سحرا، ففي ذلك." (٢)

"والأفواه: جمع فم وهو بوزن أفعال، لأن أصل فم فوه بفتحتين بوزن جمل، أو فيه بوزن ريح، فحذفت الهاء من آخره لثقلها مع قلة حروف الكلمة بحيث لا يجد الناطق حرفا يعتمد عليه لسانه، ولأن ما قبلها حرف ثقيل وهو الواو المتحركة فلما بقيت الكلمة مختومة بواو متحركة أبدلت ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها فصار «فا» ولا يكون اسم على حرفين أحدهما تنوين، فأبدلت الألف المنونة بحرف صحيح وهو الميم لأنها تشابه الواو التي هي الأصل في الكلمة لأنهما شفهيتان فصار «فم» ، ولما جمعوه ردوه إلى أصله.وجملة إن يقولون إلا كذبا مؤكدة لمضمون جملة تخرج من أفواههم لأن الشيء الذي تنطق به الألسن ولا تحقق له في الخارج ونفس الأمر هو الكذب، أي تخرج من أفواههم خروج الكذب، فما قولهم ذلك إلا كذب، أي ليست له صفة إلا صفةالكذب.هذا إذا جعل القول المأخوذ من يقولون خصوص قولهم: اتخذ الله ولدا [الكهف: ٤] . ولك أن تحمل يقولون على العموم في سياق النفي، أي لا يصدر منهم قول إلا الكذب، فيكون قصرا إضافيا، أي ما يقولونه في القرآن والإسلام، أو ما يقولونه من معتقداتهم المخالف لما جاء به الإسلام فتكون جملة إن يقولون **تذييلا**.[٦][سورة الكهف (١٨) : آية ٦]فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا (٦)تفريع على

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢١٢/١٥

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٢٤/١٥

جملة وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا [الكهف: ٤] باعتبارهم مكذبين كافرين بقرينة مقابلة المؤمنين بهم في قوله: ويبشر المؤمنين [الكهف: ٢] ثم قوله: وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا [الكهف: ٤] .." (١)

"والفئة: الجماعة. وجملة ينصرونه صفة، أي لم تكن له فئة هذه صفتها، فإن فئته لم تغن عنه من عذاب الله.وقوله: وما كان منتصرا أي ولا يكون له انتصار وتخلص من العذاب.وقرأه الجمهور ولم تكن بمثناة فوقية اعتدادا بتأنيث فئة في اللفظ. وقرأه حمزة والكسائي وخلف «يكن» بالياء التحتية. والوجهان جائزان في الفعل إذا رفع ما ليس بتحقيقي التأنيث.وأحاط به هذا العقاب لا لمجرد الكفر، لأن الله قد يمتع كافرين كثيرين طول حياتهم ويملي لهم ويستدرجهم. وإنما أحاط به هذا العقاب جزاء على طغيانه وجعله ثروته وماله وسيلة إلى احتقار المؤمن الفقير، فإنه لما اعتز بتلك النعم وتوسل بها إلى التكذيب بوعد الله استحق عقاب الله بسلب تلك النعم عنه كما سلبت النعمة عن قارون حين قال:إنما أوتيته على علم عندي [القصص: ٧٨] . وبهذا كان هذا المثل موضع العبرة للمشركين الذين جعلوا النعمة وسيلة للترفع عن مجالس الدعوة لأنها تجمع قوما يرونهم أحط منهم وطلبوا من النبيء صلى الله عليه وآله وسلم طردهم عن مجلسه كما تقدم.[٤٤][سورة الكهف (١٨) : آية ٤٤]هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبا (٤٤)تذييل للجمل قبلها لما في هذه الجملة من العموم الحاصل من قصر الولاية على الله تعالى المقتضي تحقيق جملة ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحدا [الكهف: ٤٢] ، وجملة ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله [الكهف: ٤٣] ، وجملة وما كان منتصرا [الكهف: ٤٣] ، لأن الولاية من شأنها أن تبعث على نصر المولى وأن تطمع المولى في أن وليه ينصره. ولذلك لما رأى الكافر ما دهاه من جراء كفره التجأ إلى أن يقول: يا ليتني لم أشرك بربي أحدا [الكهف: ٤٢] ، إذ علم أن الآلهة الأخرى لم تغن ولايتهم عنه شيئا، كما قال أبو سفيان يوم أسلم «لقد علمت أن لو كان معه إله آخر لقد أغنى عني شيئا» . فاسم الإشارة مبتدأ والولاية لله جملة خبر عن اسم الإشارة.." (٢)

"بهيئة إقبال الغيث منبت الزرع ونشأته عنه ونضارته ووفرته ثم أخذه في الانتقاص وانعدام التمتع به ثم تطايره أشتاتا في الهواء، تشبيها لمركب محسوس بمركب محسوس ووجه الشبه كما علمت.وجملة وكان الله على كل شيء مقتدرا جملة معترضة في آخر الكلام. موقعها التذكير بقدرة الله تعالى على خلق الأشياء وأضدادها، وجعل أوائلها مفضية إلى أواخرها، وترتيبه أسباب الفناء على أسباب البقاء، وذلك اقتدار عجيب. وقد أفيد ذلك على أكمل وجه بالعموم الذي في قوله: على كل شيء وهو بذلك العموم أشبه التذييل. والمقتدر:القوي القدرة.[٤٦][سورة الكهف (١٨) : آية ٤٦]المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا (٤٦)اعتراض أريد به الموعظة والعبرة للمؤمنين بأن ما فيه المشركون من النعمة من مال وبنين ما هو إلا زينة الحياة الدنيا التي علمتم أنها إلى زوال، كقوله تعالى: لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل [آل عمران: ١٩٦] وأن ما أعد الله للمؤمنين خير عند الله وخير أملا. والاغتباط بالمال والبنين شنشنة معروفة في العرب، قال طرفة:فلو شاء ربي كنت قيس بن عاصم ... ولو شاء ربي كنت عمرو بن مرثدفأصبحت ذا

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٥/٢٥٣

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١٥/٣٢٨

مال كثير وطاف بي ... بنون كرام سادة لمسودوو الباقيات الصالحات صفتان جرتا على موصوف محذوف، أي الأعمال الصالحات الباقيات، أي التي لا زوال لها، أي لا زوال لخيرها، وهو ثوابها الخالد، فهي خير من زينة الحياة الدنيا التي هي غير باقية.." (١)

"ومعنى وخير أملا أن أمل الآمل في المال والبنين إنما يأمل حصول أمر مشكوك في حصوله ومقصور على مدته. وأما الآمل لثواب الأعمال الصالحة فهو يأمل حصول أمر موعود به من صادق الوعد، ويأمل شيئا تحصل منه منفعة الدنيا ومنفعة الآخرة كما قال تعالى: من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون [النحل: ٩٧] . فلا جرم كان قوله: وخير أملا بالتحقق والعموم تذييلا لما قبله.[٤٧، ٤٨][سورة الكهف (١٨) : الآيات ٤٧ إلى ٤٨]ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا (٤٧) وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة بل زعمتم ألن نجعل لكم موعدا (٤٨)عطف على جملة واضرب لهم مثل الحياة الدنيا [الكهف: ٤٥] . فلفظ (يوم) منصوب بفعل مضمر، تقديره: اذكر، كما هو متعارف في أمثاله. فبعد أن بين لهم تعرض ما هم فيه من نعيم إلى الزوال على وجه الموعظة، أعقبه بالتذكير بما بعد ذلك الزوال بتصوير حال البعث وما يترقبهم فيه من العقاب على كفرهم به، وذلك مقابلة لضده المذكور في قوله: والباقيات الصالحات خير [الكهف: ٤٦] .ويجوز أن يكون الظرف متعلقا بمحذوف غير فعل (اذكر) يدل عليه مقام الوعيد مثل: يرون أمرا مفظعا أو عظيما أو نحو ذلك مما تذهب إلى تقديره نفس السامع. ويقدر المحذوف متأخرا عن الظرف وما اتصل به لقصد تهويل اليوم وما فيه.ولا يجوز أن يكون الظرف متعلقا بفعل القول المقدر عند قوله: قد جئتموناإذ لا يناسب موقع عطف هذه الجملة على التي قبلها، ولا وجه معه لتقديم الظرف على عامله.." (٢)

"وتقديم ذكر الصغيرة لأنها أهم من حيث يتعلق التعجب من إحصائها. وعطفت عليها الكبيرة لإرادة التعميم في الإحصاء لأن التعميم أيضا مما يثير التعجب، فقد عجبوا من إحاطة كاتب الكتاب بجميع الأعمال.والاستثناء من عموم أحوال الصغيرة والكبيرة، أي لا يبقي صغيرة ولا كبيرة في جميع أحوالهما إلا في حال إحصائه إياها، أي لا يغادره غير محصى. فالاستثناء هنا من تأكيد الشيء بما يشبه ضده لأنه إذا أحصاه فهو لم يغادره، فآل إلى معنى أنه لا يغادر شيئا، وانتفت حقيقة الاستثناء.فجملة أحصاها في موضع الحال. والرابط بينها وبين ذي الحال حرف الاستثناء. والإحصاء: العد، أي كانت أفعالهم معدودة مفصلة.وجملة ووجدوا ما عملوا حاضرا في موضع الحال من ضمير يقولون. أي إنما قالوا ذلك حين عرضت عليهم أعمالهم كلها عند وضع ذلك الكتاب عرضا سريعا حصل به علم كل بما في كتابه على وجه خارق للعادة.وجملة ولا يظلم ربك أحدا عطف على جملة ووجدوا ما عملوا حاضرا لما أفهمته الصلة من أنهم لم يجدوا غير ما عملوا، أي لم يحمل عليهم شيء لم يعملوه، لأن الله لا يظلم أحدا فيؤاخذه بما لم يقترفه، وقد حدد لهم من قبل ذلك ما ليس لهم أن يفعلوه وما أمروا بفعله، وتوعدهم ووعدهم، فلم يكن في مؤاخذتهم بما عملوه من المنهيات بعد ذلك ظلم لهم.

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٣٣٢/١٥

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٣٣٤/١٥

والمقصود: إفادة هذا الشأن من شؤون الله تعالى، فلذلك عطفت الجملة لتكون مقصودة أصالة. وهي مع ذلك مفيدة معنى **التذييل** لما فيها من الاستدلال على مضمون الجملة قبلها، ومن العموم الشامل لمضمون الجملة قبلها وغيره، فكانت من هذا الوجه صالحة للفصل بدون عطف لتكون **تذييلا**.." (١)

"المشاركة في الخلق والإلهية بالفحوى أي، بالأولى، فإن خلق السماوات كان قبل وجود إبليس وذريته، فهو استدلال على انتفاء إلهيتهم بسبق العدم على وجودهم. وكل ما جاز عليه العدم استحال عليه القدم، والقدم من لوازم الإلهية. وضمائر الغيبة في قوله: أشهدتهم وقوله: أنفسهم عائدة إلى المتحدث عنه، أي إبليس وذريته كما عاد إليهم الضمير في قوله: وهم لكم عدو. ومعنى أنفسهم، أنفس بعضهم بقرينة استحالة مشاهدة المخلوق خلق نفسه، فإطلاق الأنفس هنا نظير إطلاقه في قوله تعالى: فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم [النور: ٦١] وفي قوله: ولا تخرجون أنفسكم من دياركم [البقرة: ٨٤] ، أي أنفس بعضكم. فعلى هذا الوجه تتناسق الضمائر ويتقوم المعنى المقصود. واعلم أن الله تعالى خلق السماوات والأرض قبل أن يخلق لهما سكانهما كما دل عليه قوله: قل أإنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فقضاهن سبع سماوات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها [فصلت:٩- ١٢] . وكان أهل الجاهلية يعتقدون في الأرض جنا متصرفين فكانوا إذا نزلوا واديا مخوفا قالوا: أعوذ بعزيز هذا الوادي، ليكونوا في أمن من ضره. وقرأ أبو جعفر ما أشهدناهم بنون العظمة، وقرأ وما كنت بفتح التاء على الخطاب، والخطاب للنبيء صلى الله عليه وآله وسلم وهو خبر مستعمل في النهي. والمراد ب المضلين الشياطين، لأنهم أضلوا الناس بإلقاء خواطر الضلالة والفساد في النفوس، كما قال تعالى: وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون [الأنعام: ١٢١] . وجملة وما كنت متخذ المضلين عضدا **تذييل** لجملة ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض.." (٢)

"والعدول عن الإضمار بأن يقال: وما كنت متخذهم إلى المضلين لإفادة الذم، ولأن **التذييل** ينبغي أن يكون كلاما مستقلا. والعضد- بفتح العين وضم الضاد المعجمة- في الأفصح، وبالفتح وسكون الضاد- في لغة تميم. وفيه لغات أخرى أضعف. ونسب ابن عطية أن أبا عمرو قرأه بضم العين وضم الضاد- على أنها لغة في عضد وهي رواية هارون عن أبي عمرو وليست مشهورة. وهو: العظم الذي بين المرفق والكتف، وهو يطلق مجازا على المعين على العمل، يقال: فلان عضدي واعتضدت به. والمعنى: لا يليق بالكمال الإلهي أن أتخذ أهل الإضلال أعوانا فأشركهم في تصرفي في الإنشاء، فإن الله مفيض الهداية وواهب الدراية فكيف يكون أعوانه مصادر الضلالة، أي لا يعين المعين إلا على عمل أمثاله، ولا يكون إلا قرينا لأشكاله.[٥٢][سورة الكهف (١٨) : آية ٥٢]ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا (٥٢)عطف على جملة وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم [الكهف: ٥٠] فيقدر: واذكر يوم يقول نادوا شركائي،

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٣٣٩/١٥

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٣٤٣/١٥

أو على جملة ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض [الكهف:٥١] ، فالتقدير: ولا أشهدت شركاءهم جميعا ولا تنفعهم شركاؤهم يوم الحشر، فهو انتقال من إبطال معبودية الشيطان والجن إلى إبطال إلهية جميع الآلهة التي عبدها دهماء المشركين مع بيان ما يعتريهم من الخيبة واليأس يومئذ. وقد سلك في إبطال إلهيتها طريق المذهب الكلامي وهو الاستدلال على انتفاء الماهية بانتفاء لوازمها، فإنه إذا انتفى نفعها للذين يعبدونها استلزم ذلك انتفاء إلهيتها، وحصل بذلك تشخيص خيبتهم ويأسهم من النجاة.." (١)

"من ذكر الناس بالأصالة، ولا مقتضى للعدول عنه هنا بل الأمر بالعكس لأن الكلام جار في التنويه بشأن القرآن وأنه ينزل بالحق لا بهوى الأنفس.والناس: اسم عام لكل من يبلغه القرآن في سائر العصور المستقبلة، والمقصود على الخصوص المشركون، كما دل عليه جملة وكان الإنسان أكثر شيء جدلا، فوزانه وزان قوله: ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس إلا كفورا [الإسراء: ٨٩] ، وسيجيء قوله: ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق [الكهف: ٥٦] . وهذا يشبه العام الوارد على سبب خاص وقرائن خاصة.وجملة وكان الإنسان أكثر شيء جدلا **تذييل**، وهو مؤذن بكلام محذوف على وجه الإيجاز، والتقدير: فجادلوا فيه وكان الإنسان أكثر جدلا، فإن الإنسان اسم لنوع بني آدم، وحرف (أل) فيه لتعريف الحقيقة فهو أوسع عموما من لفظ الناس. والمعنى: أنهم جادلوا. والجدال: خلق، منه ذميم يصد عنه تأديب الإسلام ويبقى في خلق المشركين،ومنه محمود كما في قوله تعالى: فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط إن إبراهيم لحليم أواه منيب [هود: ٧٤- ٧٥] ، فأشار بالثناء على إبراهيم إلى أن جداله محمود. وليس المراد بالإنسان الإنسان الكافر كما في قوله تعالى:يقول الإنسان أإذا ما مت لسوف أخرج حيا [مريم: ٦٦] ولا المراد بالجدل الجدل بالباطل، لأن هذا سيجيء في قوله تعالى: ويجادل الذين كفروا بالباطل الآية، فقوله هنا: وكان الإنسان أكثر شيء جدلا تمهيد لقوله بعده ويجادل الذين كفروا بالباطل [الكهف: ٥٦] .و (شيء) اسم مفرد متوغل في العموم. ولذلك صحت إضافة اسم التفضيل إليه، أي أكثر الأشياء. واسم التفضيل هنا مسلوب المفاضلة مثل قوله: رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه [يوسف: ٣٣] ، وإنما أتي بصيغته لقصد المبالغة في شدة جدل الإنسان وجنوحه إلى المماراة والنزاع حتى فيما ترك الجدال في شأنه أحسن، بحيث إن شدة الوصف فيه تشبه تفوقه في الوصف على كل من يعرض أنه موصوف به.." (٢)

"فأما جميع المفسرين فقد تأولوا الآية على خلاف هذا على كلمة واحدة فجعلوا المراد بالناس عين المراد بهم في قوله: ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل [الكهف: ٥٤] ، أي ما منع المشركين من الإيمان بالله ورسوله. وجعلوا المراد بالهدعين المراد بالقرآن، وحملوا سنة الأولين على معنى سنة الله في الأولين، أي الأمم المكذبين الماضين، أي فإضافة سنة إلى الأولين مثل إضافة المصدر إلى مفعوله، وهي عادة الله فيهم، أي يعذبهم عذاب الاستيصال.وجعلوا إسناد المنع من الإيمان إلى إتيان سنة الأولين، بتقدير مضاف، أي انتظار أن تأتيهم سنة الله في الأولين، أي ويكون الكلام تهكما وتعريضا بالتهديد

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٥/٣٤٤

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١٥/٣٤٧

بحلول العذاب بالمشركين، أي لا يؤمنون إلا عند نزول عذاب الاستيصال، أي على معنى قوله تعالى:فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا [يونس: ١٠٢] .وجعلوا قوله: أو يأتيهم العذاب قبلا قسيما لقوله: إلا أن تأتيهم سنة الأولين، فحرف (أو) للتقسيم، وفعل يأتيهم منصوب بالعطف على فعل أن تأتيهم سنة الأولين بالاستيصال المفاجئ أو يأتيهم العذاب مواجها لهم. وجعلوا قبلا حالا من العذاب، أي مقابلا. قال الكلبي: وهو عذاب السيف يوم بدر. ولعله يريد أنه عذاب مقابلة وجها لوجه، أي عذاب الجلاد بالسيوف. ومعناه: أن المشركين منهم من ذاق عذاب السيف في غزوات المسلمين، ومنهم من مات فهو يرى عذاب الآخرة. وعلى هذا التفسير الذي سلكوه ينسلخ من الآية معنى **التذييل**، وتقصر على معنى التهديد.والإتيان: مجاز في الحصول في المستقبل، لوجود (أن) المصدرية التي تخلص المضارع للاستقبال، وهو استقبال نسبي فلكل أمة استقبال سنة من قبلها.والسنة: العادة المألوفة في حال من الأحوال.وإسناد منعهم الإيمان إلى إتيان سنة الأولين أو إتيان العذاب إسناد مجاز عقلي.والمراد: ما منعهم إلا سبب إتيان سنة الأولين لهم أو إتيان العذاب. وسبب ذلك." (١)

"وجملة وكان وعد ربي حقا **تذييل** للعلم بأنه لا بد له من أجل ينتهي إليه لقوله تعالى: لكل أجل كتاب [الرعد: ٣٨] ولكل أمة أجل [يونس: ٤٩] أي وكان تأجيل الله الأشياء حقا ثابتا لا يتخلف. وهذه الجملة بعمومها وما فيها من حكمة كانت **تذييلا** بديعا.[٩٩- ١٠١][سورة الكهف (١٨) : الآيات ٩٩ الى ١٠١]وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا (٩٩) وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا (١٠٠) الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري وكانوا لا يستطيعون سمعا (١٠١)وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعضالترك: حقيقته مفارقة شيء شيئا كان بقربه، ويطلق مجازا على جعل الشيء بحالة مخالفة لحالة سابقة تمثيلا لحال إلفائه على حالة، ثم تغييرها بحال من كان قرب شيء ثم ذهب عنه، وإنما يكون هذا المجاز مقيدا بحالة كان عليها مفعول ترك، فيفيد أن ذلك آخر العهد، وذلك يستتبع أنه يدوم على ذلك الحال الذي تركه عليها بالقرينة.والجملة عطف على الجملة التي قبلها ابتداء من قوله حتى إذا بلغ بين السدين، فهذه الجملة لذكر صنع الله تعالى في هذه القصة الثالثة من قصص ذي القرنين إذ ألهمه دفع فساد ياجوج وماجوج، بمنزلة جملة قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب في القصة الأولى، وجملة كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا فجاء أسلوب حكاية هذه القصص الثلاث على نسق واحد.ويومئذ هو يوم إتمام بناء السد المستفاد من قوله فما اسطاعوا أن يظهروه الآية.ويموج يضطرب تشبيها بموج البحر.وجملة يموج حال من بعضهم أو مفعول ثان ل تركنا على تأويله ب (جعلنا) ، أي جعلنا ياجوج وماجوج يومئذ مضطربين بينهم فصار فسادهم قاصرا عليهم ودفع عن غيرهم.." (٢)

"واذكر في الكتاب مريم[مريم: ١٦] ، أي اذكر يا محمد أن الله ربي فكذلك، ويكون تفريع فاعبدوه على قوله: ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه [مريم: ٣٥] إلى آخره ...وقرأه ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وخلف، وروح عن يعقوب- بكسر همزة إن. ووجهها ظاهر على كلا الاحتمالين.وجملة هذا صراط مستقيم **تذييل** وفذلكة لما سبقه على اختلاف

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٥/٣٥١

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١٦/٤٠

الوجوه.والإشارة إلى مضمون ما تقدم على اختلاف الوجوه.والمراد بالصراط المستقيم اعتقاد الحق، شبه بالصراط المستقيم على التشبيه البليغ، شبه الاعتقاد الحق في كونه موصولا إلى الهدى بالصراط المستقيم في إيصاله إلى المكان المقصود باطمئنان بال، وعلم أن غير هذا كبنيات الطريق من سلكها ألقت به في المخاوف والمتالف كقوله وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عنسبيله[الأنعام: ١٥٣] .[٣٧][سورة مريم (١٩) : آية ٣٧]فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم (٣٧)الفاء لتفريع الإخبار بحصول الاختلاف على الإخبار بأن هذا صراط مستقيم، أي حاد عن الصراط المستقيم الأحزاب فاختلفوا بينهم في الطرائق التي سلكوها، أي هذا صراط مستقيم لا يختلف سالكوه اختلافا أصليا، فسلك الأحزاب طرقا أخرى هي حائدة عن الصراط المستقيم فلم يتفقوا على شيء.." (١)

"[سورة مريم (١٩) : آية ٤٠]إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون (٤٠)تذييل لختم القصة على عادة القرآن في تذييل الأغراض عند الانتقال منها إلى غيرها. والكلام موجه إلى المشركين لإبلاغه إليهم.وضمير يرجعون عائد إلى من عليها وإلى ما عاد إليه ضمير الغيبة في وأنذرهم [مريم: ٣٩] .وحقيقة الإرث: مصير مال الميت إلى من يبقى بعده. وهو هنا مجاز في تمحض التصرف في الشيء دون مشارك. فإن الأرض كانت في تصرف سكانها من الإنسان والحيوان كل بما يناسبه، فإذا هلك الناس والحيوان فقد صاروا في باطن الأرض وصارت الأرض في غير تصرفهم فلم يبق تصرف فيها إلا لخالقها، وهو تصرف كان في ظاهر الأمر مشتركا بمقدار ما خولهم الله التصرف فيها إلى أجل معلوم، فصار الجميع في محض تصرف الله، ومن جملة ذلك تصرفه بالجزاء.وتأكيد جملة إنا نحن نرث الأرض بحرف التوكيد لدفع الشك لأن المشركين ينكرون الجزاء، فهم ينكرون أن الله يرث الأرض ومن عليها بهذا المعنى.وأما ضمير الفصل في قوله نحن نرث الأرض فهو لمجرد التأكيد ولا يفيد تخصيصا، إذ لا يفيد رد اعتقاد مخالف لذلك.وظهر لي: أن مجيء ضمير الفصل بمجرد التأكيد كثير إذا وقع ضمير الفصل بعد ضمير آخر نحو قوله إنني أنا الله في سورة طه [١٤] ، وقوله: وهم بالآخرة هم كافرون في سورة يوسف [٣٧] .وأفاد هذا التذييل التعريف بتهديد المشركين بأنهم لا مفر لهم من الكون في قبضة الرب الواحد الذي أشركوا بعبادته بعض ما على." (٢)

"طول مدة النسيان. وفسر بمعنى شديد النسيان، فيتعين صرف المبالغة إلى جانب نسبة نفي النسيان عن الله، أي تحقيق نفي النسيان مثل المبالغة في قوله وما ربك بظلام للعبيد [فصلت: ٤٦] فهو هنا كناية عن إحاطة علم الله، أي أن تنزلنا بأمر الله لما هو على وفق علمه وحكمته في ذلك، فنحن لا نتنزل إلا بأمره.وهو لا يأمرنا بالتنزل إلا عند اقتضاء علمه وحكمته أن يأمرنا به.وجوز أبو مسلم وصاحب «الكشاف» : أن هذه الآية من تمام حكاية كلام أهل الجنة بتقدير فعل يقولون حالا من قوله من كان تقيا [مريم: ٦٣] ، أي وما نتنزل في هذه الجنة إلا بأمر ربك إلخ، وهو تأويل حسن.وعليه فكاف الخطاب في قوله بأمر ربك خطاب كل قائل لمخاطبه، وهذا التجويز بناء على أن ما روي عن ابن عباس رأي له في تفسير الآية لا تتعين متابعته.وعليه فجملة وما كان ربك نسيا من قول الله تعالى لرسوله تذييلا لما قبله، أو هي من كلام

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٦/١٠٥

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١٦/١١٠

أهل الجنة، أي وما كان ربنا غافلا عن إعطاء ما وعدنا به.[٦٥][سورة مريم (١٩) : آية ٦٥]رب السماوات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا (٦٥)جملة مستأنفة من كلام الله تعالى كما يقتضيه قوله فاعبده إلى آخره ذيل به الكلام الذي لقنه جبريل المتضمن: أن الملائكة لا يتصرفون إلا عن إذن ربهم وأن أحوالهم كلها في قبضته بما." (١)

"[سورة مريم (١٩) : الآيات ٨٣ إلى ٨٤]ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا (٨٣) فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عدا (٨٤)استئناف بياني لجواب سؤال يجيش في نفس الرسول صلى الله عليه وسلم من إيغال الكافرين في الضلال جماعتهم وآحادهم، وما جره إليهم من سوء المصير ابتداء من قوله تعالى:ويقول الإنسان أإذا ما مت لسوف أخرج حيا [مريم: ٦٦] ، وما تخلل ذلك من ذكر إمهال الله إياهم في الدنيا، وما أعد لهم من العذاب في الآخرة. وهي معترضة بين جملة واتخذوا من دون الله آلهة [مريم: ٨١] وجملة يوم نحشر المتقين [مريم: ٨٥] . وأيضا هي **كالتذييل** لتلك الآيات والتقرير لمضمونها لأنها تستخلص أحوالهم، وتتضمن تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم عن إمهالهم وعدم تعجيل عقابهم.والاستفهام في ألم تر تعجيبي، ومثله شائع في كلام العرب يجعلون الاستفهام على نفي فعل. والمراد حصول ضده بحث المخاطب على الاهتمام بتحصيله، أي كيف لم تر ذلك، ونزل إرسال الشياطين على الكافرين لا تضاح آثاره منزلة الشيء المرئي المشاهد، فوقع التعجيب من مرآه بقوله: ألم تر ذلك.والأز: الهز والاستفزاز الباطني، مأخوذ من أزيز القدر إذا اشتد غليانها. شبه اضطراب اعتقادهم وتناقض أقوالهم واختلاق أكاذيبهم بالغليان في صعود وانخفاض وفرقعة وسكون، فهو استعارة فتأكيده بالمصدر ترشيح.وإرسال الشياطين عليهم تسخيرهم لها وعدم انتفاعهم بالإرشاد النبوي المنقد من حبائلها، وذلك لكفرهم وإعراضهم عن استماع." (٢)

"الحياة الدنيا وفي الآخرة[فصلت: ٣١] ، ويجعل بين أنفسهم مودة كما قال تعالى: ونزعنا ما في صدورهم من غل [الأعراف: ٤٣] .وإيثار المصدر ليفي بعدة متعلقات بالود. وفسر أيضا جعل الود بأن الله يجعل لهم محبة في قلوب أهل الخير. رواه الترمذي عن قتيبة بن سعيد عن الدراوردي. وليست هذه الزيادة عن أحد ممن روى الحديث عن غير قتيبة بن سعيد ولا عن قتيبة بن سعيد في غير رواية الترمذي، فهذه الزيادة إدراج من قتيبة عند الترمذي خاصة.وفسر أيضا بأن الله سيجعل لهم محبة منه تعالى، فالجعل هنا كالإلقاء في قوله تعالى: وألقيت عليك محبة مني [طه: ٣٩] . هذا أظهر الوجوه في تفسير الود، وقد ذهب فيه جماعات المفسرين إلى أقوال شتى متفاوتة في القبول.[٩٧][سورة مريم (١٩) : آية ٩٧]فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا (٩٧)إيذان بانتهاء السورة، فإن شأن الإتيان بكلام جامع بعد أفنان الحديث أن يؤذن بأن المتكلم سيطوي بساطه. وذلك شأن **التذييلات** والخواتم وهي ما يؤذن بانتهاء الكلام.فلما احتوت السورة على عبر وقصص وبشارات ونذر جاء هنا في التنويه بالقرآن وبيان بعض ما في تنزيله من الحكم.فيجوز جعل الفاء

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٤١/١٦

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١٦٥/١٦

فصيحة مؤذنة بكلام مقدر يدل عليه المذكور، كأنه قيل: بلغ ما أنزلنا إليك ولو كره المشركون ما فيه من إبطال دينهم وإنذارهم بسوء العاقبة فما أنزلناه إليك إلا للبشارة والنذارة." (١)

"فيكون هذا مما نسخه قوله تعالى: فاصدع بما تؤمر [الحجر: ٩٤] ، وتعليم للمسلمين باستواء الجهر والسر في الدعاء، وإبطال لتوهم المشركين أن الجهر أقرب إلى علم الله من السر، كما دل عليه الخبر المروي عن أبي مسعود المذكور آنفا.والقول: مصدر، وهو تلفظ الإنسان بالكلام، فيشمل القراءة والدعاء والمحاورة، والمقصود هنا ما له مزيد مناسبة بقوله تعالى: ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى [طه: ٢] الآيات.وجواب شرط وإن تجهر بالقول محذوف يدل عليه قوله: فإنه يعلم السر وأخفى. والتقدير: فلا تشق على نفسك فإن الله يعلم السر وأخفى، أي فلا مزية للجهر به.وبهذا تعلم أن ليس مساق الآية لتعليم الناس كيفية الدعاء، فقد ثبت في السنة الجهر بالدعاء والذكر، فليس من الصواب فرض تلك المسألة هنا إلا على معنى الإشارة.وأخفى اسم تفضيل، وحذف المفضل عليه لدلالة المقام عليه، أي وأخفى من السر. والمراد بأخفى منه: ما يتكلم اللسان من حديث النفس ونحوه من الأصوات التي هي أخفى من كلام السر.[٨][سورة طه (٢٠) : آية ٨]الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى (٨)**تذييل** لما قبله لأن ما قبله تضمن صفات من فعل الله تعالى ومن خلقه ومن عظمته فجاء هذا **التذييل** بما يجمع صفاته.واسم الجلالة خبر لمبتدأ محذوف. والتقدير: هو الله، جريا على ما تقدم عند قولهتعالى: الرحمن على العرش استوى [طه: ٥] .." (٢)

"والصف: مصدر بمعنى الفاعل أو المفعول، أي صافين أو مصفوفين، إذا ترتبوا واحد حذو الآخر بانتظام بحيث لا يكونون مختلطين، لأنهم إذا كانوا الواحد حذو الآخر وكان الصف منهم تلو الآخر كانوا أبهر منظرا، قال تعالى: إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا [الصف: ٤] . وكان جميع سحرة البلاد المصرية قد أحضروا بأمر فرعونفكانوا عددا كثيرا. فالصف هنا مراد به الجنس لا الواحدة، أي ثم ائتوا صفوفا، فهو كقوله تعالى: يوم يقوم الروح والملائكة صفا [النبأ: ٣٨] وقال: والملك صفا صفا [الفجر: ٢٢] .وانتصب صفا على الحال من فاعل ائتوا والمقصود الإتيان إلى موضع إلقاء سحرهم وشعوذتهم، لأن التناجي والتآمر كان في ذلك اليوم بقرينة قولهم وقد أفلح اليوم من استعلى.وجملة وقد أفلح اليوم من استعلى **تذييل** للكلام يجمع ما قصدوه من تآمرهم بأن الفلاح يكون لمن غلب وظهر في ذلك الجمع. ف استعلى مبالغة في علا، أي علا صاحبه وقهره، فالسين والتاء للتأكيد مثل استأخر.وأرادوا الفلاح في الدنيا لأنهم لم يكونوا يؤمنون بأن أمثال هذه المواقف مما يؤثر في حال الحياة الأبدية وإن كانوا يؤمنون بالحياة الثانية.[٦٥- ٦٦][سورة طه (٢٠) : الآيات ٦٥ إلى ٦٦]قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى (٦٥) قال بل ألقوا فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى (٦٦)تقدمت هذه القصة ومعانيها في سورة الأعراف سوى أن الأولية هنا مصرح بها في أحد الشقين. فكانت صريحة في أن التخيير يتسلط على." (٣)

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٦/١٧٥

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١٦/١٩١

(٣) التحرير والتنويرابن عاشور ١٦/٢٥٧

"الأيدي والأرجل والصلب، أي سواء علينا ذلك بعضه أو كله أو عدم وقوعه، فلا نطلب منك خلاصا منه جزاء طاعتك فافعل ما أنت فاعل (والقضاء هنا التنفيذ والإنجاز) فإن عذابك لا يتجاوز هذه الحياة ونحن نرجو من ربنا الجزاء الخالد.وانتصب هذه الحياة على النيابة عن المفعول فيه، لأن المراد بالحياة مدتها.والقصر المستفاد من (إنما) قصر موصوف على صفة، أي إنك مقصور على القضاء في هذه الحياة الدنيا لا يتجاوزه إلى القضاء في الآخرة، فهو قصر حقيقي.وجملة إنا آمنا بربنا في محل العلة لما تضمنه كلامهم.ومعنى وما أكرهتنا عليه من السحر أنه أكرههم على تحديهم موسى بسحرهم فعلموا أن فعلهم باطل وخطيئة لأنه استعمل لإبطال إلهية الله، فبذلك كان مستوجبا طلب المغفرة.وجملة والله خير وأبقى في موضع الحال، أو معترضة في آخر الكلام **للتذييل**.والمعنى: أن الله خير لنا بأن نؤثره منك، والمراد: رضى الله، وهو أبقى منك، أي جزاؤه في الخير والشر أبقى من جزائك فلا يهولنا قولك ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى [طه:٧١] ، فذلك مقابلة لوعيده مقابلة تامة.." (١)

"وقرأ الجمهور لنحرقنه- بضم النون الأولى وفتح الحاء وكسر الراء مشددة-.والتحريق: الإحراق الشديد، أي لنحرقنه إحراقا لا يدع له شكلا. وأراد به أن يذيبه بالنارحتى يفسد شكله ويصير قطعا.وقرأ ابن جماز عن أبي جعفر لنحرقنه- بضم النون الأولى وبإسكان الحاء وتخفيف الراء-. وقرأه ابن وردان عن أبي جعفر- بفتح النون الأولى وإسكان الحاء وضم الراء- لأنه يقال: أحرقه وحرقه.والنسف: تفريق وإذراء لأجزاء شيء صلب كالبناء والتراب.وأراد باليم البحر الأحمر المسمى بحر القلزم، والمسمى في التوراة: بحر سوف، وكانوا نازلين حينئذ على ساحله في سفح الطور.و (ثم) للتراخي الرتبي، لأن نسف العجل أشد في إعدامه من تحريقه وأذل له.وأكد «ننسفنه» بالمفعول المطلق إشارة إلى أنه لا يتردد في ذلك ولا يخشى غضبه كما يزعمون أنه إله.[٩٨][سورة طه (٢٠) : آية ٩٨]إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء علما (٩٨)هذه الجملة من حكاية كلام موسى- عليه السلام- فموقعها موقع **التذييل** لوعظه، وقد التفت من خطاب السامري إلى خطاب الأمة إعراضا عن خطابه تحقيرا له، وقصدا لتنبيههم على خطئهم، وتعليمهم صفات الإله الحق، واقتصر منها على الوحدانية وعموم العلم لأن الوحدانية تجمع جميع الصفات، كما قرر في دلالة كلمة التوحيد عليها في كتب علم الكلام.." (٢)

"وأما عموم العلم فهو إشارة إلى علم الله تعالى بجميع الكائنات الشاملة لأعمالهم ليرقبوه في خاصتهم.واستعير فعل وسع لمعنى الإحاطة التامة، لأن الإناء الواسع يحيط بأكثر أشياء مما هو دونه.وانتصب علما على أنه تمييز نسبة السعة إلى الله تعالى، فيؤول المعنى: وسع علمه كل شيء بحيث لا يضيق علمه عن شيء، أي لا يقصر عن الاطلاع على أخفى الأشياء، كما أفاده لفظ (كل) المفيد للعموم. وتقدم قريب منه عند قوله وسع كرسيه السماوات والأرض في سورة البقرة [٢٥٥] .[٩٩- ١٠١][سورة طه (٢٠) : الآيات ٩٩ إلى ١٠١]كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرا (٩٩) من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزرا (١٠٠) خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة حملا (١٠١)جملة مستأنفة **تذييلية** أفادت التنويه بقصة رسالة موسى وما عقبها من الأعمال التي جرت مع بني إسرائيل ابتداء من قوله وهل

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٦/٢٦٧

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١٦/٣٠٠

أتاك حديث موسى إذ رأى نارا [طه: ٩، ١٠] ، أي مثل هذا القصص نقص عليك من أنباء القرون الماضية. والإشارة راجعة إلى القصة المذكورة.والمراد بقوله نقص قصصنا، وإنما صيغ المضارع لاستحضار الحالة الحسنة في ذلك القصص.." (١)

"فإن الله ما أذن للشافع بأن يشفع إلا وقد أراد قبول شفاعته، فصار الإذن بالشفاعة وقبولها عنوانا على كرامة الشافع عند الله تعالى.والمجرور متعلق بفعل رضي. وانتصب قولا على المفعولية لفعل «رضي» لأن رضي هذا يتعدى إلى الشيء المرضي به بنفسه وبالباء.وجملة يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم مستأنفة بيانية لجواب سؤال من قد يسأل بيان ما يوجب رضى الله عن العبد الذي يأذن بالشفاعة فيه. فبين بيانا إجماليا بأن الإذن بذلك يجري على ما يقتضيه علم الله بسائر العبيد وبأعمالهم الظاهرة، فعبر عن الأعمال الظاهرة بما بين أيديهم لأن شأن ما بين الأيدي أن يكون واضحا، وعبر عن السرائر بما خلفهم لأن شأن ما يجعل خلف المرء أن يكون محجوبا. وقد تقدم ذلك في آية الكرسي، فهو كناية عن الظاهرات والخفيات، أي فيأذن لمن أراد تشريفه من عباده المقربين بأن يشفع في طوائف مثل ما وردفي الحديث «يخرج من النار من كان في قلبه مثقال حبة من إيمان»، أو بأن يشفع في حالة خاصة مثل ما ورد في حديث الشفاعة العظمى في الموقف لجميع الناس بتعجيل حسابهم.وجملة ولا يحيطون به علما **تذييل** للتعليم بعظمة علم الله تعالى وضآلة علم البشر، نظير ما وقع في آية الكرسي.وجملة وعنت الوجوه للحي القيوم معطوفة على جملة وخشعت الأصوات للرحمن، أي ظهر الخضوع في الأصوات والعناء في الوجوه.والعناء: الذلة، وأصله الأسر، والعاني: الأسير. ولما كان الأسير ترهقه ذلة في وجهه أسند العناء إلى الوجوه على سبيل المجاز العقلي، والجملة كلها تمثيل لحال المجرمين الذين الكلام عليهم من قوله ونحشر المجرمين يومئذ زرقا [طه: ١٠٢] ، فاللام في الوجوه عوض عن." (٢)

"بالتنويه بقصصه، ثم عطف عليه التنويه به كليا على طريقة تشبه **التذييل** لما في قوله أنزلناه قرآنا عربيا من معنى عموم ما فيه.والإشارة ب كذلك نحو الإشارة في قوله كذلك نقص عليك، أي كما سمعته لا يبين بأوضح من ذلك.وقرآنا حال من الضمير المنصوب في أنزلناه. وقرآن تسمية بالمصدر.والمراد المقروء، أي المتلو، وصار القرآن علما بالغلبة على الوحي المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم بألفاظ معينة متعبدا بتلاوتها يعجز الإتيان بمثل سورة منها. وسمي قرآنا لأنه نظم على أسلوب تسهل تلاوته. ولوحظ هنا المعنى الاشتقاقي قبل الغلبة وهو ما تفيده مادة قرأ من يسر تلاوته وما ذلك إلا لفصاحة تأليفه وتناسب حروفه. والتنكير يفيد الكمال، أي أكمل ما يقرأ.وعربيا صفة قرآنا. وهذا وصف يفيد المدح، لأن اللغة العربية أبلغ اللغات وأحسنها فصاحة وانسجاما. وفيه تعريض بالامتنان على العرب، وتحميق للمشركين منهم حيث أعرضوا عنه وكذبوا به، قال تعالى: لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون [الأنبياء: ١٠] .والتصريف: التنويع والتفنين. وقد تقدم عند قوله تعالى: انظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون في سورة الأنعام [٤٦] ، وقوله ولقد صرفنا في هذا القرآن ليذكروا في سورة الإسراء [٤١] .وذكر الوعيد هنا للتهديد، ولمناسبة قوله قبله وقد خاب من حمل ظلما [طه:١١١]

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٣٠١/١٦

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٣١١/١٦

.والتقوى: الخوف. وهي تستعمل كناية عن الطاعة لله، أي فعلنا ذلك رجاء أن يؤمنوا ويطيعوا. والذكر هنا بمعنى التذكر، أي يحدث لهم القرآن تذكرا ونظرا فيما يحق عليهم أن يختاروه لأنفسهم.." (١)

"[سورة طه (٢٠) : آية ١١٦]وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى (١١٦)هذا بيان لجملة ولقد عهدنا إلى آدم من قبل [طه: ١١٥] إلى آخرها، فكان مقتضى الظاهر أن لا يكون معطوفا بالواو بل أن يكون مفصولا، فوقوع هذه الجملة معطوفة اهتمام بها لتكون قصة مستقلة فتلفت إليها أذهان السامعين. فتكون الواو عاطفة قصة آدم على قصة موسى عطفا على قوله وهل أتاك حديث موسى إذ رأى نارا [طه: ١٠] ، ويكون التقدير: واذكر إذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم، وتكون جملة ولقد عهدنا إلى آدم من قبل **تذييلا** لقصة هارون مع السامري وقوله من قبل أي من قبل هارون. والمعنى: أن هارون لم يكن له عزم في الحفاظ على ما عهد إليه موسى. وانتهت القصة بذلك **التذييل**، ثم عطف على قصة موسى قصة آدم تبعا لقوله كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق [طه: ٩٩] .[١١٧- ١١٩][سورة طه (٢٠) : الآيات ١١٧ الى ١١٩]فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى (١١٧) إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى (١١٨) وأنك لا تظمؤا فيها ولا تضحى (١١٩)قصة خلق آدم وسجود الملائكة له وإباء الشيطان من السجود تقدمت في سورة البقرة وسورة الأعراف، فلنقتصر على بيان ما اختصت به هاته السورة من الأفانين والتراكيب.فقوله إن هذا إشارة إلى الشيطان إشارة مرادا منها التحقير، كما حكى الله في سورة الأنبياء [٣٦] من قول المشركين أهذا الذي يذكر آلهتكم، وفي سورة الأعراف [٢٢] إن الشيطان لكما عدو عبر عنه باسمه.وقوله عدو لك ولزوجك هو كقوله في الأعراف [٢٢] : وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين. فذكرت عداوته لهما جملة هنالك." (٢)

"والنسيان في الموضعين مستعمل كناية أو استعارة في الحرمان من حظوظ الرحمة.وجملة وكذلك نجزي من أسرف إلخ **تذييل**، يجوز أن تكون من حكاية ما يخاطب الله به من يحشر يوم القيامة أعمى قصد منها التوبيخ له والتنكيل، فالواو عاطفة الجملة على التي قبلها. ويجوز أن تكون **تذييلا** للقصة وليست من الخطاب المخاطب به من يحشر يوم القيامة أعمى قصد منها موعظة السامعين ليحذروا من أن يصيروا إلى مثل ذلك المصير. فالواو اعتراضية لأن **التذييل** اعتراض في آخر الكلام، والواو الاعتراضية راجعة إلى الواو العاطفة إلا أنها عاطفة مجموع كلام على مجموع كلام آخر لا على بعض الكلام المعطوف عليه.والمعنى: ومثل ذلك الجزاء نجزي من أسرف، أي كفر ولم يؤمن بآيات ربه.فالإسراف: الاعتقاد الضال وعدم الإيمان بالآيات ومكابرتها وتكذيبهما.والمشار إليه بقوله وكذلك هو مضمون قوله فإن له معيشة ضنكا، أي وكذلك نجزي في الدنيا الذين أسرفوا ولم يؤمنوا بالآيات.وأعقبه بقوله ولعذاب الآخرة أشد وأبقى، وهذا يجوز أن يكون **تذييلا** للقصة وليس من حكاية خطاب الله للذي حشره يوم القيامة أعمى. فالمراد بعذاب الآخرة مقابل عذاب الدنيا المفاد من قوله فإن له

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٦/٣١٤

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١٦/٣٢٠

معيشة ضنكا الآية، والواو اعتراضية. ويجوز أن تكون الجملة من حكاية خطاب الله للذي يحشره أعمى، فالمراد بعذاب الآخرة العذاب الذي وقع فيه المخاطب، أي أشد من عذاب الدنيا وأبقى منه لأنه أطول مدة.." (١)

"وإنما متعهم الله بزهرة الدنيا لأسباب كثيرة متسلسلة عن نظم الاجتماع فكانت لهم فتنة في دينهم، فجعل الحاصل بمنزلة الباعث.والفتنة: اضطراب النفس وتبلبل البال من خوف أو توقع أو التواء الأمور، وكانوا لا يخلون من ذلك، فلشركهم يقذف الله في قلوبهم الغم والتوقع، وفتنتهم في الآخرة ظاهرة. فالظرفية هنا كالتي في قول سبرة بن عمرو الفقعسي:نحابي بها أكفاءنا ونهينها ... ونشرب في أثمانها ونقامروقوله تعالى: وارزقوهم فيها واكسوهم في سورة النساء [٥] .وجملة ورزق ربك خير وأبقى **تذييل**، لأن قوله ولا تمدن عينيك إلى آخره يفيد أن ما يبدو للناظر من حسن شارتهم مشوب ومبطن بفتنة في النفس وشقاء في العيش وعقاب عليه في الآخرة، فذيل بأن الرزق الميسر من الله للمؤمنين خير من ذلك وأبقى في الدنيا ومنفعته باقية في الآخرة لما يقارنه في الدنيا من الشكر.فإضافة رزق ربك إضافة تشريف، وإلا فإن الرزق كله من الله، ولكن رزق الكافرين لما خالطه وحف به حال أصحابه من غضب الله عليهم، ولما فيه من التبعة على أصحابه في الدنيا والآخرة لكفرانهم النعمة جعل كالمنكور انتسابه إلى الله، وجعل رزق الله هو السالم من ملابسة الكفران ومن تبعات ذلك.وخير تفضيل، والخيرية حقيقة اعتبارية تختلف باختلاف نواحيها. فمنها: خير لصاحبه في العاجل شر عليه في الآجل، ومنها خير مشوب بشرور وفتن، وخير صاف من ذلك، ومنها ملائم ملاءمة قوية، وخير ملائم ملاءمة ضعيفة، فالتفضيل باعتبار توفر السلامة من العواقب." (٢)

"وهذه الجملة **تذييل** لما فيها من معنى العموم، أي لا تكون العاقبة إلا للتقوى. فهذه الجملة أرسلت مجرى المثل.[١٣٣][سورة طه (٢٠) : آية ١٣٣]وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه أولم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى (١٣٣)رجوع إلى التنويه بشأن القرآن، وبأنه أعظم المعجزات. وهو الغرض الذي انتقل منه إلى أغراض مناسبة من قوله وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا [طه: ١١٣] .والمناسبة في الانتقال هو ما تضمنه قوله فاصبر على ما يقولون [طه: ١٣٠] فجيء هنا بشنع من أقوالهم التي أمر الله رسوله بأن يصبر عليها في قوله فاصبر على ما يقولون. فمن أقوالهم التي يقصدون منها التعنت والمكابرة أن قالوا: لولا يأتينا بآية من عند ربه فنؤمن برسالته، كما قال تعالى: فليأتنا بآية كما أرسل الأولون [الأنبياء: ٥] .ولولا حرف تحضيض. وجملة أولم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى في موضع الحال، والواو للحال، أي قالوا ذلك في حال أنهم أتتهم بينة ما في الصحف الأولى. فالاستفهام إنكاري، أنكر به نفي إتيان آية لهم الذي اقتضاه تحضيضهم على الإتيان بآية.والبينة: الحجة.والصحف الأولى: كتب الأنبياء السابقين، كقوله تعالى: إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى [الأعلى: ١٨- ١٩] .." (٣)

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٣٣٣/١٦

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٣٤١/١٦

(٣) التحرير والتنويرابن عاشور ٣٤٤/١٦

"وكذلك الاستفهام في قوله أفتأتون السحر إنكاري وأراد بالسحر الكلام الذي يتلوه عليكم.والمعنى: أنه لما كان بشرا مثلكم فما تصديقكم لنبوءته إلا من أثر سحر سحركم بهفتأتون السحر بتصديقكم بما يدعوكم إليه.وأطلق الإتيان على القبول والمتابعة على طريق المجاز أو الاستعارة، لأن الإتيان لشيء يقتضي الرغبة فيه، ويجوز أن يراد بالإتيان هنا حضور النبيء صلى الله عليه وسلم لسماع دعوته فجعلوه إتيانا، لأن غالب حضور المجالس أن يكون بإتيان إليها، وجعلوا كلامه سحرا فنهوا من ناجوهم عن الاستماع إليه. وهذا كقوله تعالى: وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون في سورة [فصلت: ٢٦] .وقوله وأنتم تبصرون في موضع الحال، أي تأتون السحر وبصركم سليم، وأرادوا به العلم البديهي، فعبروا عنه بالبصر لأن المبصرات لا يحتاج إدراكها إلى تفكير.[٤][سورة الأنبياء (٢١) : آية ٤]قال ربي يعلم القول في السماء والأرض وهو السميع العليم (٤)أطلع الله رسوله على نجواهم فلم يتم لهم ما أرادوا من الإسرار بها فبعد أن حكى ما تناجوا به أمره أن يخبرهم بأن الله الذي علم نجواهم يعلم كل قول في السماء والأرض من جهر أو سر، فالتعريف في القول للاستغراق، وبذلك كان هذا **تذييلا**، وأعلمهم بأنه المتصف بتمام العلم للمسموعات وغيرها بقوله وهو السميع العليم.." (١)

"من التهديد الذي وجه إليهم بقوله تعالى: لو يعلم الذين كفروا [الأنبياء: ٣٩] إلخ ... ومن تذكيرهم بالخالق وتنبيههم إلى بطلان آلهتهم بقوله تعالى: قل من يكلؤكم بالليل والنهار إلى قوله تعالى: حتى طال عليهم العمر [الأنبياء: ٤٢- ٤٤] ، ومن الاحتجاج عليهم بظهور بوارق نصر المسلمين، واقتراب الوعد بقوله تعالى: أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها [الأنبياء:٤٤] ، عقب به أمر الله رسوله أن يخاطبهم بتعريف كنه دعوته، وهي قصره على الإنذار بما سيحل بهم في الدنيا والآخرة إنذارا من طريق الوحي المنزل عليه من الله تعالى وهو القرآن، أي فلا تعرضوا عنه، ولا تتطلبوا مني آية غير ذلك، ولا تسألوا عن تعيين آجال حلول الوعيد، ولا تحسبوا أنكم تغيظونني بإعراضكم والتوغل في كفركم.فالكلام قصر موصوف على صفة، وقصره على المتعلق بتلك الصفة تبعا لمتعلقه فهو قائم مقام قصرين. ولم يظهر لي مثال له من كلام العرب قبل القرآن.وهذا الكلام يستلزم متاركة لهم بعد الإبلاغ في إقامة الحجة عليهم وذلك ذيل بقوله تعالى: ولا يسمع الصم الدعاء إذا ما ينذرون. والواو للعطف على إنما أنذركمبالوحيعطف استئناف على استئناف لأن **التذييل** من قبيل الاستئناف.والتعريف في الصم للاستغراق. والصمم مستعار لعدم الانتفاع بالكلام المفيد تشبيها لعدم الانتفاع بالمسموع بعدم ولوج الكلام صماخ المخاطب به. وتقدم في قوله تعالى: صم بكم عمي في [سورة البقرة: ١٨] . ودخل في عمومه المشركون المعرضون عن القرآن وهم المقصود من سوق **التذييل** ليكون دخولهم في الحكم بطريقة الاستدلال بالعموم على الخصوص.وتقييد عدم السماع بوقت الإعراض عند سماع الإنذار لتفظيع إعراضهم عن الإنذار لأنه إعراض يفضي بهم إلى الهلاك فهو أفظع من." (٢)

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٤/١٧

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٧٨/١٧

"عدم سماع البشارة أو التحديث، ولأن **التذييل** مسوق عقب إنذارات كثيرة.واختير لفظ الدعاء لأنه المطابق للغرض إذ كان النبيء صلى الله عليه وسلم داعيا كما قال: أدعوا إلى الله على بصيرة [يوسف: ١٠٨] .والأظهر أن جملة ولا يسمع الصم الدعاء كلام مخاطب به الرسول صلى الله عليه وسلم وليس من جملة المأمور بأن يقوله لهم.وقرأ الجمهور ولا يسمع- بتحتية في أوله ورفع الصم-. وقرأه ابن عامر ولا تسمع- بالتاء الفوقية المضمومة ونصب الصم- خطابا للرسول صلى الله عليه وسلم. وهذه القراءة نص في انفصال الجملة عن الكلام المأمور بقوله لهم.[٤٦][سورة الأنبياء (٢١) : آية ٤٦]ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك ليقولن يا ويلنا إنا كنا ظالمين (٤٦)عطف على جملة قل إنما أنذركم بالوحي [الأنبياء: ٤٥] والخطاب للنبيء صلى الله عليه وسلم، أي أنذرهم بأنهم سيندمون عند ما ينالهم أول العذاب في الآخرة. وهذا انتقال من إنذارهم بعذاب الدنيا إلى إنذارهم بعذاب الآخرة.وأكد الشرط بلام القسم لتحقيق وقوع الجزاء.والمس: اتصال بظاهر الجسم.والنفحة: المرة من الرضخ في العطية، يقال نفحه بشيء إذا أعطاه.." (١)

"وفي مادة النفح أنه عطاء قليل نزر، وبضميمة بناء المرة فيها، والتنكير، وإسناد المس إليها دون فعل آخر أربع مبالغات في التقليل، فما ظنك بعذاب يدفع قليله من حل به إلى الإقرار باستحقاقه إياه وإنشاء تعجبه من سوء حال نفسه.والويل تقدم عند قوله تعالى: فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم في [سورة البقرة:٧٩] ، وعند قوله تعالى: وويل للكافرين من عذاب شديد في أول [سورة إبراهيم: ٢] .ومعنى إنا كنا ظالمين إنا كنا معتدين على أنفسنا إذ أعرضنا عن التأمل في صدق دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم. فالظلم في هذه الآية مراد به الإشراك لأن إشراكهم معروف لديهم فليس مما يعرفونه إذا مستهم نفحة من العذاب.[٤٧][سورة الأنبياء (٢١) : آية ٤٧]ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين (٤٧)يجوز أن تكون الواو عاطفة هذه الجملة على جملة ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك [الأنبياء: ٤٦] إلخ لمناسبة قولهم إنا كنا ظالمين [الأنبياء: ٤٦] ، ولبيان أنهم مجازون على جميع ما أسلفوه من الكفر وتكذيب الرسول بيانا بطريق ذكر العموم بعد الخصوص في المجازين، فشابه **التذييل** من أجل عموم قوله تعالى فلا تظلم نفس شيئا، وفي المجازى عليه من أجل قوله تعالى وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها.ويجوز أن تكون الواو للحال من قوله ربك [الأنبياء: ٤٦] ، وتكون نون المتكلم المعظم التفاتا لمناسبة الجزاء للأعمال كما يقال:." (٢)

"إبراهيم من إضافة المصدر إلى مفعوله، أي الرشد الذي أرشده. وفائدة الإضافة هنا التنبيه على عظم شأن هذا الرشد، أي رشدا يليق به ولأن رشد إبراهيم قد كان مضرب الأمثال بين العرب وغيرهم، أي هو الذي علمتم سمعته التي طبقت الخافقين فما ظنكم برشد أوتيه من جانب الله تعالى، فإن الإضافة لما كانت على معنى اللام كانت مفيدة للاختصاص فكأنه انفرد به. وفيه إيماء إلى أن إبراهيم كان قد انفرد بالهدى بين قومه.وزاده تنويها وتفخيما **تذييله** بالجملة المعترضة قوله تعالى: وكنا به عالمين أي آتيناه رشدا عظيما على علم منا بإبراهيم، أي بكونه أهلا لذلك الرشد، وهذا العلم الإلهي متعلق

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٧٩/١٧

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٨٠/١٧

بالنفسية العظيمة التي كان بها محل ثناء الله تعالى عليه في مواضع كثيرة من قرآنه، أي علم من سريرته صفات قد رضيها وأحمدها فاستأهل بها اتخاذه خليلا. وهذا كقوله تعالى: ولقد اخترناهم على علم على العالمين [الدخان: ٣٢] وقوله تعالى: الله أعلم حيث يجعل رسالاته [الأنعام: ١٢٤] .وقوله من قبل أي من قبل أن نوتي موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرا. ووجه ذكر هذه القبلية التنبيه على أنه ما وقع إيتاء الذكر موسى وهارون إلا لأن شريعتهما لم تزل معروفة مدروسة.وإذ قال ظرف لفعل آتينا أي كان إيتاؤه الرشد حين قال لأبيه وقومه: ما هذه التماثيل إلخ، فذلك هو الرشد الذي أوتيه، أي حين نزول الوحي إليه بالدعوة إلى توحيد الله تعالى، فذلك أول ما بدىء به من الوحي.وقوم إبراهيم كانوا من (الكلدان) وكان يسكن بلدا يقال له (كوثى) بمثلثة في آخره بعدها ألف. وهي المسماة في التوراة (أور الكلدان) ، ويقال: أيضا إنها (أورفة) في (الرها) ،." (١)

"وجملة وكلا آتينا حكما وعلما **تذييل** للاحتراس لدفع توهم أن حكم داوود كان خطأ أو جورا وإنما كان حكم سليمان أصوب.وتقدمت ترجمة داوود عليه السلام عند قوله تعالى: وآتينا داود زبورا في [سورة النساء: ١٦٣] ، وقوله تعالى: ومن ذريته داود في [سورة الأنعام: ٨٤] .وتقدمت ترجمة سليمان عليه السلام عند قوله تعالى: واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان في [سورة البقرة: ١٠٢] .وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين هذه مزية اختص بها داوود وهي تسخير الجبال له وهو الذي بينته جملة يسبحن فهي إما بيان لجملة سخرنا أو حال مبينة. وذكرها هنا استطراد وإدماج.والطير عطف على الجبال أو مفعول معه، أي مع الطير يعني طير الجبال.ومع ظرف متعلق بفعل يسبحن، وقدم على متعلقه للاهتمام به لإظهار كرامة داوود، فيكون المعنى: أن داوود كان إذا سبح بين الجبال سمع الجبال تسبح مثل تسبيحه. وهذا معنى التأويب في قوله في الآية الأخرى: يا جبال أوبي معه [سبأ: ١٠] إذ التأويب الترجيع، مشتق من الأوب وهو الرجوع. وكذلك الطير إذا سمعت تسبيحه تغرد تغريدا مثل تسبيحه وتلك كلها معجزة له. ويتعين أن يكون هذا التسخير حاصلا له بعد أن أوتي النبوءة كما يقتضيه سياق تعداده في." (٢)

"والإيتاء: الإعطاء، أي أعطيناه أهله، وأهل الرجل أهل بيته وقرابته. وفهم من تعريف الأهل بالإضافة أن الإيتاء إرجاع ما سلب منه من أهل، يعني بموت أولاده وبناته، وهو على تقدير مضاف بين من السياق، أي مثل أهله بأن رزق أولادا بعدد ما فقد، وزاده مثلهم فيكون قد رزق أربعة عشر ابنا وست بنات من زوجه التي كانت بلغت سن العقم.وانتصب رحمة على المفعول لأجله. ووصفت الرحمة بأنها من عند الله تنويها بشأنها بذكر العندية الدالة على القرب المراد به التفضيل. والمراد رحمة بأيوب إذ قال وأنت أرحم الراحمين.والذكرى: التذكير بما هو مظنة أن ينسى أو يغفل عنه. وهو معطوف على رحمة فهو مفعول لأجله، أي وتنبيها للعابدين بأن الله لا يترك عنايته بهم.وبما في العابدين من العموم صارت الجملة **تذييلا**.[٨٥، ٨٦][سورة الأنبياء (٢١) : الآيات ٨٥ إلى ٨٦]وإسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين (٨٥) وأدخلناهم في رحمتنا إنهم من الصالحين (٨٦)عطف على وأيوب [الأنبياء: ٨٣] أي وآتينا إسماعيل وإدريس وذا الكفل

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٩٣/١٧

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١١٩/١٧

حكما وعلما.وجمع هؤلاء الثلاثة في سلك واحد لاشتراكهم في خصيصية الصبر كما أشار إليه قوله تعالى كل من الصابرين. جرى ذلك لمناسبة ذكر المثل الأشهر في الصبر وهو أيوب.." (١)

"الأول الإصحاح ١٨. ورؤيا عوبديا صفحة ٨٩١ من الكتاب المقدس) . وروى العبري عن أبي موسى الأشعري ومجاهد أن ذا الكفل لم يكن نبيئا. وتقدمت ترجمة إلياس واليسع في سورة الأنعام.وجملة إنهم من الصالحين تعليل لإدخالهم في الرحمة، **وتذييل** للكلام يفيد أن تلك سنة الله مع جميع الصالحين.[٨٧، ٨٨][سورة الأنبياء (٢١) : الآيات ٨٧ إلى ٨٨]وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين (٨٧) فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين (٨٨)عطف على وذا الكفل [الأنبياء: ٨٥] . وذكر ذي النون في جملة من خصوا بالذكر من الأنبياء لأجل ما في قصته من الآيات في الالتجاء إلى الله والندم على ما صدر منه من الجزع واستجابة الله تعالى له.و (ذو النون) وصف، أي صاحب الحوت. لقب به يونس بن متى- عليه السلام- .وتقدمت ترجمته في سورة الأنعام وتقدمت قصته مع قومه في سورة يونس.وذهابه مغاضبا قيل خروجه غضبان من قومه أهل (نينوى) إذ أبوا أن يؤمنوا بما أرسل إليهم به وهم غاضبون من دعوته، فالمغاضبة مفاعلة. وهذا مقتضى المروي عن ابن عباس. وقيل: إنه أوحى إليه أن العذاب نازل بهم بعد مدة فلما أشرفت المدة على الانقضاء آمنوا فخرج غضبان من عدم تحقق ما أنذرهم به، فالمغاضبة حينئذ." (٢)

"والظلمات: جمع ظلمة. والمراد ظلمة الليل، وظلمة قعر البحر، وظلمة بطن الحوت. وقيل: الظلمات مبالغة في شدة الظلمة كقوله تعالى: يخرجهم من الظلمات إلى النور [البقرة: ٢٥٧] .وقد تقدم أنا نظن أن «الظلمة» لم ترد مفردة في القرآن.والاستجابة: مبالغة في الإجابة. وهي إجابة توبته مما فرط منه. والإنجاء وقع حين الاستجابة إذ الصحيح أنه ما بقي في بطن الحوت إلا ساعة قليلة، وعطف بالواو هنا بخلاف عطف فكشفنا على فاستجبنا وإنجاؤه هو بتقدير وتكوين في مزاج الحوت حتى خرج الحوت إلى قرب الشاطئ فتقاياه فخرج يسبح إلى الشاطئ.وهذا الحوت هو من صنف الحوت العظيم الذي يبتلع الأشياء الضخمة ولا يقضمها بأسنانه. وشاع بين الناس تسمية صنف من الحوت بحوت يونس رجما بالغيب.وجملة وكذلك ننجي المؤمنين **تذييل**. والإشارة ب كذلك إلى الإنجاء الذي أنجى به يونس، أي مثل ذلك الإنجاء ننجي المؤمنين من غموم بحسب من يقع فيها أن نجاته عسيرة. وفي هذا تعريض للمشركين من العرب بأن الله منجي المؤمنين من الغم والنكد الذي يلاقونه من سوء معاملة المشركين إياهم في بلادهم.واعلم أن كلمة فنجي كتبت في المصاحف بنون واحدة كما كتبت بنون واحدةفي قوله في [سورة يوسف: ١١٠] فنجي من نشاء. ووجه أبو علي هذا الرسم بأن النون الثانية لما كانت ساكنة وكان وقوع الجيم بعدها يقتضي إخفاءها لأن النون الساكنة تخفى مع الأحرف الشجرية وهي- الجيم والشين والضاد- فلما أخفيت حذفت في النطق فشابه إخفاؤها حالة الإدغام فحذفها كاتب المصحف في الخط لخفاء." (٣)

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٢٨/١٧

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١٣٠/١٧

(٣) التحرير والتنويرابن عاشور ١٣٣/١٧

"يجيء مثل هذا الوعد في القرآن في [سورة النور: ٥٥] في قوله تعالى: وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم.وعلى قراءة حمزة أن هذا الوعد تكرر في الكتب لفرق من العباد الصالحين.ومعنى من بعد الذكر أن ذلك الوعد ورد في الزبور عقب تذكير ووعظ للأمة.فبعد أن ألقيت إليهم الأوامر وعدوا بميراث الأرض، وقيل المراد ب الذكر كتاب الشريعة وهو التوراة.قال تعالى: ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين [الأنبياء: ٤٨] فيكون الظرف في قوله تعالى: من بعد الذكر مستقرا في موضع الحال من الزبور.والمقصود من هذه الحال الإيماء إلى أن الوعد المتحدث عنه هنا هو غير ما وعد الله بني إسرائيل على لسان موسى من إعطائهم الأرض المقدسة. وهو الوعد الذي ذكر في قوله تعالى حكاية عن موسى: يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم [المائدة:٢١] ، وأنه غير الإرث الذي أورثه الله بني إسرائيل من الملك والسلطان لأن ذلك وعد كان قبل داوود. فإن ملك داوود أحد مظاهره. بل المراد الإيماء إلى أنه وعد وعده الله قوما صالحين بعد بني إسرائيل وليسوا إلا المسلمين الذين صدقهم الله وعده فملكوا الأرضببركة رسولهم صلى الله عليه وسلم وأصحابه واتسع ملكهم وعظم سلطانهم حسب ما أنبأ به نبيئهم صلى الله عليه وسلم في الحديث المتقدم آنفا.وجملة إن في هذا لبلاغا لقوم عابدين **تذييل** للوعد وإعلان بأن قد آن أوانه وجاء إبانه. وفإن لم يأت بعد داوود قوم مؤمنون ورثوا الأرض، فلما جاء الإسلام وآمن الناس بمحمد صلى الله عليه وسلم فقد بلغ البلاغ إليهم.." (١)

"والبهيج: الحسن المنظر السار للناظر، وقد سيق هذا الوصف إدماجا للامتنان في أثناء الاستدلال امتنانا بجمال صورة الأرض المنبتة، لأن كونه بهيجا لا دخل له في الاستدلال، فهو امتنان محض كقوله تعالى: ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون [النحل: ٦] وقوله تعالى: ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح [الملك: ٥] .[٦، ٧][سورة الحج (٢٢) : الآيات ٦ إلى ٧]ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحي الموتى وأنه على كل شيء قدير (٦) وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور (٧)فذلكة لما تقدم، فالجملة **تذييل**.والإشارة ب ذلك إلى ما تقدم من أطوار خلق الإنسان وفنائه، ومن إحياء الأرض بعد موتها وانبثاق النبت منها.وإفراد حرف الخطاب المقترن باسم الإشارة لإرادة مخاطب غير معين على نسق قوله وترى الأرض هامدة [الحج: ٥] على أن اتصال اسم الإشارة بكاف خطاب الواحد هو الأصل.والمجرور خبر عن اسم الإشارة، أي ذلك حصل بسبب أن الله هو الحق إلخ..والباء للسببية فالمعنى: تكون ذلك الخلق من تراب وتطور، وتكون إنزال الماء على الأرض الهامدة والنبات البهيج بسبب أن الله هو الإله الحق دون غيره. ويجوز أن تكون الباء للملابسة، أي كان ذلك الخلق وذلك الإنبات البهيج ملابسا لحقية إلهية الله. وهذه الملابسة ملابسة الدليل لمدلوله، وهذا أرشق من حمل الباء على معنى السببية وهو أجمع لوجوه الاستدلال.." (٢)

"[سورة الحج (٢٢) : آية ١٤]إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار إن الله يفعل ما يريد (١٤)هذا مقابل قوله ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق [الحج: ٩] وقوله: خسر الدنيا والآخرة [الحج: ١١]

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٦٣/١٧

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٠٤/١٧

. فالجملة معترضة، وقد اقتصر على ذكر ما للمؤمنين من ثوابالآخرة دون ذكر حالهم في الدنيا لعدم أهمية ذلك لديهم ولا في نظر الدين.وجملة إن الله يفعل ما يريد تذييل للكلام المتقدم من قوله ومن الناس من يجادل في الله بغير علم [الحج: ٨] إلى هنا، وهو اعتراض بين الجمل الملتئم منها الغرض. وفيها معنى التعليل الإجمالي لاختلاف أحوال الناس في الدنيا والآخرة.وفعل الله ما يريد هو إيجاد أسباب أفعال العباد في سنة نظام هذا العالم، وتبيينه الخير والشر، وترتيبه الثواب والعقاب، وذلك لا يحيط بتفاصيله إلا الله تعالى.[١٥][سورة الحج (٢٢) : آية ١٥]من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ (١٥)موقع هذه الآية غامض، ومفادها كذلك. ولنبدأ ببيان موقعها ثم نتبعه ببيان معناها فإن بين موقعها ومعناها اتصالا.." (١)

"فيحتمل أن يكون موقعها استئنافا ابتدائيا أريد به ذكر فريق ثالث غير الفريقين المتقدمين في قوله تعالى: ومن الناس من يجادل في الله بغير علم [الحج: ٨] الآية، وقوله: ومن الناس من يعبد الله على حرف [الحج: ١١] . وهذا الفريق الثالث جماعة أسلموا واستبطأوا نصر المسلمين فأيسوا منه وغاظهم تعجلهم للدخول في الإسلام وأن لم يتريثوا في ذلك وهؤلاء هم المنافقون.ويحتمل أن يكون موقعها تذييلا لقوله: ومن الناس من يعبد الله على حرف [الحج: ١١] الآية بعد أن اعترض بين تلك الجملة وبين هاته بجمل أخرى فيكون المراد: أن الفريق الذين يعبدون الله على حرف والمخبر عنهم بقوله: خسر الدنيا والآخرة [الحج:١١] هم قوم يظنون أن الله لا ينصرهم في الدنيا ولا في الآخرة إن بقوا على الإسلام.فأما ظنهم انتفاء النصر في الدنيا فلأنهم قد أيسوا من النصر استبطاء، وأما في الآخرة فلأنهم لا يؤمنون بالبعث ومن أجل هذا علق فعل لن ينصره بالمجرور بقوله في الدنيا والآخرة إيماء إلى كونه متعلق الخسران في قوله خسر الدنيا والآخرة [الحج: ١١] . فإن عدم النصر خسران في الدنيا بحصول ضده، وفي الآخرة باستحالة وقوع الجزاء في الآخرة حسب اعتقاد كفرهم، وهؤلاء مشركون مترددون.ويترجح هذا الاحتمال بتغيير أسلوب الكلام، فلم يعطف بالواو كما عطف قولهومن الناس من يعبد الله [الحج: ١١] ولم تورد فيه جملة ومن الناس كما أوردت في ذكر الفريقين السابقين ويكون المقصود من الآية تهديد هذا الفريق. فيكون التعبير عن هذا الفريق بقوله من كان يظن إلخ إظهارا في مقام الإضمار فإن مقتضى الظاهر أن يؤتى بضمير ذلك الفريق فيقال بعد قوله: إن الله يفعل ما يريد [الحج: ١٤] ،." (٢)

"بناء على ذلك لأن من القائلين بأنها فتحت عنوة قائلين بتملك دور مكة فهذا مالك بن أنس يراها فتحت عنوة ويرى صحة تملك دورها. ووجه ذلك: أن النبيء صلى الله عليه وسلم أقر أهلها في منازلهم فيكون قد أقطعهم إياها كما من على أهلها بالإطلاق من الأسر ومن السبي. ولم يزل أهل مكة يتبايعون دورهم ولا ينكر عليهم أحد من أهل العلم.وخبر إن الذين كفروا محذوف تقديره: نذقهم من عذاب أليم، دل عليه قوله في الجملة الآتية: ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم.وإذ كان الصد عن المسجد الحرام إلحادا بظلم فإن جملة ومن يرد فيه بإلحاد بظلم تذييل للجملة السابقة لما في (من) الشرطية من العموم.والإلحاد: الانحراف عن الاستقامة وسواء الأمور. والظلم يطلق على الإشراك وعلى المعاصي لأنها

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢١٧/١٧

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢١٨/١٧

ظلم النفس.والباء في بإلحاد زائدة للتوكيد مثلها في وامسحوا برؤسكم [المائدة: ٦] . أي من يرد إلحادا وبعدا عن الحق والاستقامة وذلك صدهم عن زيارته.والباء في بظلم للملابسة. فالظلم: الإشراك، لأن المقصود تهديد المشركين الذين حملهم الإشراك على مناوأة المسلمين ومنعهم من زيارة المسجد الحرام.و (من) في قوله: من عذاب أليم مزيدة للتوكيد على رأي من لا يشترطون لزيادة (من) وقوعها بعد نفي أو نهي. ولك أن تجعلها للتبعيض، أي نذقه عذابا من عذاب أليم.." (١)

"ويجوز أن يكون المراد: لولا ما سبق قبل الإسلام من إذن الله لأمم التوحيد بقتال أهل الشرك (كما قاتل داوود جالوت، وكما تغلب سليمان على ملكة سبأ) . لمحق المشركون معالم التوحيد (كما محق بختنصر هيكل سليمان) فتكون هذه الجملة تذييلا لجملة أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا [الحج: ٣٩] ، أي أذن للمسلمين بالقتال كما أذن لأمم قبلهم لكيلا يطغى عليهم المشركون كما طغوا على من قبلهم حين لم يأذن الله لهم بالقتال، فالتعريف في الناس تعريف الجنس.وإضافة الدفاع إلى الله إسناد مجازي عقلي لأنه إذن للناس أن يدفعوا عن معابدهم فكان إذن الله سبب الدفع. وهذا يهيب بأهل الأديان إلى التألب على مقاومة أهل الشرك.وقرأ نافع، وأبو جعفر، ويعقوب دفاع. وقرأ الباقون دفع- بفتح الدال وبدون ألف-. وبعضهم بدل من الناس بدل بعض. وببعض متعلق ب دفاع والباء للآلة.والهدم: تقويض البناء وتسقيطه.وقرأ نافع، وابن كثير، وأبو جعفر لهدمت- بتخفيف الدال-. وقرأه الباقون-بتشديد الدال- للمبالغة في الهدم، أي لهدمت هدما ناشئا عن غيظ بحيث لا يبقون لها أثرا.والصوامع: جمع صومعة بوزن فوعلة، وهي بناء مستطيل مرتفع يصعد إليه بدرج وبأعلاه بيت، كان الرهبان يتخذونه للعبادة ليكونوا بعداء عن مشاغلة الناس إياهم، وكانوا يوقدون به مصابيح للإعانة على السهر للعبادة ولإضاءة الطريق للمارين. من أجل ذلك سميت الصومعة المنارة. قال امرؤ القيس:تضيء الظلام بالعشي كأنها ... منارة ممسى راهب متبتل." (٢)

"لاستغراق الأزمنة، وفي هذا إيماء إلى أن في هذه المواضع فائدة دينية وهي ذكر اسم الله.قال ابن خويز منداد من أيمة المالكية (من أهل أواخر القرن الرابع) «تضمنت هذه الآية المنع من هدم كنائس أهل الذمة وبيعهم وبيوت نارهم» اه.قلت: أما بيوت النار فلا تتضمن هذه الآية منع هدمها فإنها لا يذكر فيها اسم الله وإنما منع هدمها عقد الذمة الذي ينعقد بين أهلها وبين المسلمين، وقيل الصفة راجعة إلى مساجد خاصة.وتقديم الصوامع في الذكر على ما بعده لأن صوامع الرهبان كانت أكثر في بلاد العرب من غيرها، وكانت أشهر عندهم، لأنهم كانوا يهتدون بأضوائها في أسفارهم ويأوون إليها، وتعقيبها بذكر البيع للمناسبة إذ هي معابد النصارى مثل الصوامع. وأما ذكر الصلوات بعدهما فلأنه قد تهيأ المقام لذكرها، وتأخير المساجد لأنها أعم، وشأن العموم أن يعقب به الخصوص إكمالا للفائدة.وقوله ولينصرن الله من ينصره عطف على جملة ولولا دفاع الله الناس، أي أمر الله المسلمين بالدفاع عن دينهم. وضمن لهم النصر في ذلك الدفاع لأنهم بدفاعهم ينصرون دين الله، فكأنهم نصروا الله، ولذلك أكد الجملة بلام القسم ونون التوكيد. وهذه الجملة تذييل لما فيها من العموم الشامل للمسلمين الذين أخرجهم المشركون.وجملة إن الله لقوي عزيز تعليل لجملة ولينصرن الله من ينصره، أي

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٣٩/١٧

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٧٧/١٧

كان نصرهم مضمونا لأن ناصرهم قدير على ذلك بالقوة والعزة. والقوة مستعملة في القدرة:والعزة هنا حقيقة لأن العزة هي المنعة، أي عدم تسلط غير صاحبها على صاحبها.." (١)

"الحكمة هي التشبه بالخالق بقدر ما تبلغه القوة الإنسانية، وفي هذا المجال تتسابق جياد الهمم.[٤٥][سورة الحج (٢٢) : آية ٤٥]فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد (٤٥)تفرع ذكر جملة فكأين من قرية على جملة فكيف كان نكير [الحج: ٤٤] فعطفت عليها بفاء التفريع، والتعقيب في الذكر لا في الوجود، لأن الإملاء لكثير من القرى ثم أخذها بعد الإملاء لها يبين كيفية نكير الله وغضبه على القرى الظالمة ويفسره، فناسب أن يذكر التفسير عقب المفسر بحرف التفريع، ثم هو يفيد بما ذكر فيه من اسم كثرة العدد شمولا للأقوام الذين ذكروا من قبل في قوله: فقد كذبت قبلهم قوم نوح [الحج: ٤٢] إلى آخره فيكون لتلك الجملة بمنزلة **التذييل**.وفكأين اسم دال على الإخبار عن عدد كثير.وموضعها من الجملة محل رفع بالابتداء وما بعده خبر. والتقدير: كثير من القرى أهلكناها، وجملة أهلكناها الخبر.ويجوز كونها في محل نصب على المفعولية بفعل محذوف يفسره أهلكناها والتقدير: أهلكنا كثيرا من القرى أهلكناها، والأحسن الوجه الأول لأنه يحقق الصدارة التي تستحقها (كأين) بدون حاجة إلى الاكتفاء بالصدارة الصورية، وعلى الوجه الأول فجملة أهلكناها في محل جر صفة ل قرية. وجملة فهي خاوية معطوفة على جملة أهلكناها، وقد تقدم نظيره في قوله وكأين من نبيء في [سورة آل عمران: ١٤٦] .." (٢)

"إليه قوله بعد ذلك: فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور.فحصل من مجموع نظم الآية أنهم بمنزلة الأنعام لهم آلات الاستدلال وقد انعدمتمنهم آثارها فلهم قلوب لا يعقلون بها ولهم آذان لا يسمعون بها ولهم أعين لا يبصرون بها وهذا كقوله تعالى: ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون [البقرة: ١٧١] .والفاء في جملة فإنها لا تعمى الأبصار تفريع على جواب النفي في قوله:فتكون لهم قلوب يعقلون بها، وفذلكة للكلام السابق، **وتذييل** له بما في هذه الجملة من العموم.والضمير في قوله فإنها ضمير القصة والشأن، أي فإن الشأن والقصة هو مضمون الجملة بعد الضمير، أي لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب، أي فإن الأبصار والأسماع طرق لحصول العلم بالمبصرات والمسموعات، والمدرك لذلك هو الدماغ فإذا لم يكن في الدماغ عقل كان المبصر كالأعمى والسامع كالأصم، فآفة ذلك كله هو اختلال العقل.واستعير العمى الثاني لانتفاء إدراك المبصرات بالعقل مع سلامة حاسة البصر لشبهه به في الحالة الحاصلة لصاحبه.والتعريف في الأبصار، والقلوب، والصدور تعريف الجنس الشامل لقلوب المتحدث عنهم وغيرهم، والجمع فيها باعتبار أصحابها.وحرف التوكيد في قوله: فإنها لا تعمى الأبصار لغرابة الحكم لا لأنه مما يشك فيه.." (٣)

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٧٩/١٧

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٨٥/١٧

(٣) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٨٩/١٧

"الوعيد لا يقتضي إبطاله، ولذلك اقتصر فيها على ذكر الإمهال ثم الأخذ بعده المناسب للإملاء من حيث أنه دخول في القبضة بعد بعده عنها.وأما عطف جملة فكأين من قرية أهلكناها [الحج: ٤٥]- بالفاء- وعطف جملة وكأين من قرية أمليت لها وهي ظالمة- بالواو- فلأن الجملة الأولى وقعت بدلا من جملة فكيف كان نكير [الحج: ٤٤] فقرنت- بالفاء- التي دخلت نظيرتها على الجملةالمبدل منها، وأما هذه الجملة الثانية فخلية عن ذلك فعطفت بالحرف الأصلي للعطف.وجملة وإلي المصير **تذييل**، أي مصير الناس كلهم إلي. والمصير مصدر ميمي ل (صار) بمعنى: رجع، وهو رجوع مجازي بمعنى الحصول في المكنة.وتقديم المجرور للحصر الحقيقي، أي لا يصير الناس إلا إلى الله، وهو يقتضي أن المصير إليه كائن لا محالة، وهو المقصود من الحصر لأن الحصر يقتضي حصول الفعل بالأحرى فهو كناية عن عدم الإفلات.[٤٩-٥١][سورة الحج (٢٢) : الآيات ٤٩ إلى ٥١]قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين (٤٩) فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم (٥٠) والذين سعوا في آياتنا معاجزين أولئك أصحاب الجحيم (٥١)استئناف بعد المواعظ السالفة والإنذارات، وافتتاحه ب قل للاهتمام به، وافتتاح المقول بنداء الناس للفت ألبابهم إلى الكلام. والمخاطبون هم المشركون.." (١)

"الإحسان في العطاء بل هي أبهج لدى أهل الهمم، ولذلك وصف المدخل ب يرضونه.ووقعت جملة وإن الله لهو خير الرازقين معترضة بين البدل والمبدل منه، وصريحها الثناء على الله. وكنايتها التعريض بأن الرزق الذي يرزقهم الله هو خير الأرزاق لصدوره من خير الرازقين.وأكدت الجملة بحرف التوكيد ولامه وضمير الفصل تصويرا لعظمة رزق الله تعالى.وجملة: وإن الله لعليم حليم **تذييل**، أي عليم بما تجشموه من المشاق في شأن هجرتهم من ديارهم وأهلهم وأموالهم، وهو حليم بهم فيما لا قوه فهو يجازيهم بما لقوه من أجله. وهذه الآية تبين مزية المهاجرين في الإسلام.وقرأ نافع مدخلا- بفتح الميم- على أنه اسم مكان من دخل المجرد لأن الإدخال يقتضي الدخول. وقرأ الباقون- بضم الميم- جريا على فعل ليدخلنهم المزيد وهو أيضا اسم مكان للإدخال.[٦٠][سورة الحج (٢٢) : آية ٦٠]ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه لينصرنه الله إن الله لعفو غفور (٦٠)اسم الإشارة للفصل بين الكلامين لفتا لأذهان السامعين إلى ما سيجيء من الكلام لأن ما بعده غير صالح لأن يكون خبرا عن اسم الإشارة. وقد تقدم نظيره عند قوله:ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه [الحج: ٣٠] .وجملة ومن عاقب إلخ، معطوفة على جملة والذين هاجروا في سبيل الله [الحج: ٥٨] الآية.." (٢)

"المقام مقام مناضلة وتوعد، وإلا فكثير من أصنام وأوثان غير العرب باطل أيضا.وقرأ نافع، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم، وأبو جعفر تدعون بالتاء الفوقية على الالتفات إلى خطاب المشركين لأن الكلام السابق الذي جرت عليهم فيه ضمائر الغيبة مقصود منه إسماعهم والتعريض باقتراب الانتصار عليهم. وقرأ البقية بالتحتية على طريقةالكلام السابق.وعلو الله: مستعار للجلال والكمال التام.والكبر: مستعار لتمام القدرة، أي هو العلي الكبير دون الأصنام التي تعبدونها إذ ليس لها كمال ولا قدرة ببرهان المشاهدة.[٦٣][سورة الحج (٢٢) : آية ٦٣]ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٩٣/١٧

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٣١١/١٧

مخضرة إن الله لطيف خبير (٦٣)انتقال إلى التذكير بنعم الله تعالى على الناس بمناسبة ما جرى من قوله بأن الله يولج الليل في النهار [الحج: ٦٢] الآية. والمقصود: التعريض بشكر الله على نعمه وأن لا يعبدوا غيره كما دل عليه **التذييل** عقب تعداد هذه النعم بقوله إن الإنسان لكفور [الحج:٦٦] ، أي الإنسان المشرك. وفي ذلك كله إدماج الاستدلال على انفراده بالخلق والتدبير فهو الرب الحق المستحق للعبادة. والمناسبة هي ما جرى من أن الله هو الحق وأن ما يدعونه الباطل، فالجملة مستأنفة استئنافا ابتدائيا.والخطاب لكل من تصلح منه الرؤية لأن المرئي مشهور.." (١)

"المطر وإنبات العشب فما ذلك إلا بعض ما في السماوات وما في الأرض.وإنما لم تعطف الجملة على التي قبلها مع اتحادهما في الغرض لأن هذه تتنزل من الأولى منزلة **التذييل** بالعموم الشامل لما تضمنته الجملة التي قبلها، ولأن هذه لا تتضمن تذكيرا بنعمة.وجملة إن الله لهو الغني الحميد عطف على جملة له ما في السماوات وما في الأرض. وتقديم المجرور للدلالة على القصر. أي له ذلك لا لغيره من أصنامكم، إن جعلت القصر إضافيا، أو لعدم الاعتداد بغنى غيره ومحموديته إن جعلت القصر ادعائيا.ونبه بوصف الغنى على أنه غير مفتقر إلى غيره، وهو معنى الغنى في صفاته تعالى أنه عدم الافتقار بذاته وصفاته لا إلى محل ولا إلى مخصص بالوجود دون العدم والعكس تنبيها على أن افتقار الأصنام إلى من يصنعها ومن ينقلها من مكان إلى آخر ومن ينفض عنها القتام والقذر دليل على انتفاء الإلهية عنها.وأما وصف الحميد بمعنى المحمود كثيرا، فذكره لمزاوجة وصف الغنى لأن الغني مفيض على الناس فهم يحمدونه.وفي ضمير الفصل إفادة أنه المختص بوصف الغنى دون الأصنام وبأنه المختص بالمحمودية فإن العرب لم يكونوا يوجهون الحمد لغير الله تعالى. وأكد الحصر بحرف التوكيد وبلام الابتداء تحقيقا لنسبة القصر إلى المقصور كقول عمرو بن معد يكرب: «إني أنا الموت» . وهذا التأكيد لتنزيل تحققهم اختصاصه بالغنى أو المحمودية منزلة الشك أو الإنكار لأنهم لم يجروا على موجب علمهم حين عبدوا غيره وإنما يعبد من وصفه الغنى.." (٢)

"[سورة الحج (٢٢) : آية ٦٦]وهو الذي أحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم إن الإنسان لكفور (٦٦)وهو الذي أحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم بعد أن أدمج الاستدلال على البعث بالمواعظ والمنن والتذكير بالنعم أعيد الكلام على البعث هنا بمنزلة نتيجة القياس، فذكر الملحدون بالحياة الأولى التي لا ريب فيها، وبالإماتة التي لا يرتابون فيها، وبان بعد الإماتة إحياء آخر كما أخذ من الدلائل السابقة.وهذا محل الاستدلال، فجملة وهو الذي أحياكم عطف على جملة ويمسك السماء [الحج: ٦٥] لأن صدر هذه من جملة النعم فناسب أن تعطف على سابقتها المتضمنة امتنانا واستدلالا كذلك.إن الإنسان لكفور **تذييل** يجمع المقصد من تعداد نعم المنعم بجلائل النعم المقتضية انفراده باستحقاق الشكر واعتراف الخلق له بوحدانية الربوبية.وتوكيد الخبر بحرف (إن) لتنزيلهم منزلة المنكر أنهم كفراء.والتعريف في الإنسان تعريف الاستغراق العرفي المؤذن بأكثر أفراد الجنس من باب قولهم: جمع الأمير الصاغة، أي صاغة بلده، وقوله تعالى: فجمع السحرة لميقات يوم معلوم [الشعراء:

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٣١٧/١٧

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٣٢٠/١٧

٣٨] . وقد كان أكثر العرب يومئذ منكرين للبعث، أو أريد بالإنسان خصوص المشرك كقوله تعالى: ويقول الإنسان أإذا ما مت لسوف أخرج حيا [مريم:٦٦] .والكفور: مبالغة في الكافر، لأن كفرهم كان عن تعنت ومكابرة.." (١)

"فالجملة استئناف بياني، أي إن سألتم عن الذي هو أشد شرا فاعلموا أنه النار.وجملة وعدها الله حال من النار، أو هي استئناف.والتعبير عنهم بقوله: الذين كفروا إظهار في مقام الإضمار، أي وعدها الله إياكم لكفركم.وبئس المصير أي بئس مصيرهم هي، فحرف التعريف عوض عن المضاف إليه، فتكون الجملة إنشاء ذم معطوفة على جملة الحال على تقدير القول. ويجوز أن يكون التعريف للجنس فيفيد العموم، أي بئس المصير هي لمن صار إليها، فتكون الجملة **تذييلا**لما فيها من عموم الحكم للمخاطبين وغيرهم وتكون الواو اعتراضية **تذييلية**.[٧٣][سورة الحج (٢٢) : آية ٧٣]يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب (٧٣)أعقبت تضاعيف الحجج والمواعظ والإنذارات التي اشتملت عليها السورة مما فيه مقنع للعلم بأن إله الناس واحد وأن ما يعبد من دونه باطل، أعقبت تلك كلها بمثل جامع لوصف حال تلك المعبودات وعابديها.والخطاب ب يا أيها الناس للمشركين لأنهم المقصود بالرد والزجر وبقرينة قوله:إن الذين تدعون على قراءة الجمهور تدعون بتاء الخطاب.." (٢)

"فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا ولو افتدى به في [سورة آل عمران: ٩١] . أي لن يستطيعوا ذلك الخلق وهم مفترقون، بل ولو اجتمعوا من مفترق القبائل وتعاونوا على خلق الذباب لن يخلقوه.والاستنقاذ: مبالغة في الإنقاذ مثل الاستحياء والاستجابة.وجملة ضعف الطالب والمطلوب **تذييل** وفذلكة للغرض من التمثيل، أي ضعف الداعي والمدعو، إشارة إلى قوله: إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا إلخ، أي ضعفتم أنتم في دعوتهم آلهة وضعفت الأصنام عن صفات الإله.وهذه الجملة كلام أرسل مثلا، وذلك من بلاغة الكلام.[٧٤][سورة الحج (٢٢) : آية ٧٤]ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوي عزيز (٧٤)**تذييل** للمثل بأن عبادتهم الأصنام مع الله استخفاف بحق إلهيته تعالى إذ أشركوا معه في أعظم الأوصاف أحقر الموصوفين، وإذ استكبروا عند تلاوة آياته تعالى عليهم، وإذ هموا بالبطش برسوله.والقدر: العظمة، وفعل قدر يفيد أنه عامل بقدره. فالمعنى: ما عظموه حق تعظيمه إذ أشركوا معه الضعفاء العجز وهو الغالب القوي. وقد تقدم تفسيره في قوله وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء في [سورة الأنعام: ٩١] .وجملة إن الله لقوي عزيز تعليل لمضمون الجملة قبلها، فإن ما أشركوهم مع اللهفي العبادة كل ضعيف ذليل فما قدروه حق قدره لأنه قوي عزيز فكيف يشاركه الضعيف الذليل. والعدول عن أن يقال: ما قدرتم الله حق قدره، إلى أسلوب الغيبة، التفات تعريضا بهم بأنهم." (٣)

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٣٢٦/١٧

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٣٣٧/١٧

(٣) التحرير والتنويرابن عاشور ٣٤٢/١٧

"تمر عليها التارات السبع ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين الآية، فقال عمر لعلي: صدقت أطال الله بقاءك».
فقيل: إن عمر أول من دعا بكلمة «أطال الله بقاءك» .وقرأ الجمهور فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام بصيغة جمع العظام فيهما. وقرأه ابن عامر وأبو بكر عن عاصم عظاما.. والعظم بصيغة الإفراد.وفرع على حكاية هذا الخلق العجيب إنشاء الثناء على الله تعالى بأنه أحسن الخالقين أي أحسن المنشئين إنشاء، لأنه أنشأ ما لا يستطيع غيره إنشاءه.ولما كانت دلالة خلق الإنسان على عظم القدرة أسبق إلى اعتبار المعتبر كان الثناء المعقب به ثناء على بديع قدرة الخالق مشتقا من البركة وهي الزيادة.وصيغة تفاعل صيغة مطاوعة في الأصل، وأصل المطاوعة قبول أثر الفعل، وتستعمل في لازم ذلك وهو التلبس بمعنى الفعل تلبسا مكينا لأن شأن المطاوعة أن تكون بعد معالجة الفعل فتقتضي ارتساخ معنى الفعل في المفعول القابل له حتى يصير ذلك المفعولفاعلا فيقال: كسرته فتكسر، فلذلك كان تفاعل إذا جاء بمعنى فعل دالا على المبالغة كما صرح به الرضي في «شرح الشافية» ، ولذلك تتفق صيغ المطاوعة وصيغ التكلف غالبا في نحو: تثنى. وتكبر، وتشامخ، وتقاعس. فمعنى فتبارك الله أنه موصوف بالعظمة في الخير، أي عظمة ما يقدره من خير للناس وصلاح لهم.وبهذا الاعتبار تكون الجملة **تذييلا** لأن تبارك لما حذف متعلقه كان عاما فيشمل عظمة الخير في الخلق وفي غيره. وكذلك حذف متعلق الخالقين يعم خلق الإنسان وخلق غيره كالجبال والسماوات.[١٥، ١٦][سورة المؤمنون (٢٣) : الآيات ١٥ إلى ١٦]ثم إنكم بعد ذلك لميتون (١٥) ثم إنكم يوم القيامة تبعثون." (١)

"(٤١)تقتضي الفاء تعجيل إجابة دعوة رسولهم.والأخذ مستعار للإهلاك.والصيحة: صوت الصاعقة، وهذا يرجع أو يعين أن يكون هؤلاء القرن هم ثمود قال تعالى: فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية [الحاقة: ٥] وقال في شأنهم في سورة الحجر [٨٣] فأخذتهم الصيحة مصبحين.وإسناد الأخذ إلى الصيحة مجاز عقلي لأن الصيحة سبب الأخذ أو مقارنة سببه فإنها تحصل من تمزق كرة الهواء عند نزول الصاعقة.والباء في بالحق للملابسة، أي أخذتهم أخذا ملابسا للحق، أي لا اعتداء فيهعليهم لأنهم استحقوه بظلمهم.والغثاء: ما يحمله السيل من الأعواد اليابسة والورق. والكلام على التشبيه البليغ للهيئة فهو تشبيه حالة بحالة، أي جعلناهم كالغثاء في البلى والتكدس في موضع واحد فهلكوا هلكة واحدة.وفرع على حكاية تكذيبهم دعاء عليهم وعلى أمثالهم دعاء شتم وتحقير بأن يبعدوا تحقيرا لهم وكراهية، وليس مستعملا في حقيقة الدعاء لأن هؤلاء قد بعدوا بالهلاك.وانتصب فبعدا على المفعولية المطلقة بدلا من فعله مثل: تبا وسحقا، أي أتبه الله وأسحقه.وعكس هذا المعنى قول العرب لا تبعد (بفتح العين) أي لا تفقد. قال مالك بن الريب:يقولون لا تبعد وهم يدفنوني ... وأين مكان البعد إلا مكانياوالمراد بالقوم الظالمين الكافرون إن الشرك لظلم عظيم [لقمان: ١٣] . واختير هذا الوصف هنا لأن هؤلاء ظلموا أنفسهم بالإشراك وظلموا هودا لأنه تعمد الكذب على الله إذ قالوا: إن هو إلا رجل افترى على الله كذبا [المؤمنون: ٣٨] .والتعريف في الظالمين للاستغراق فشملهم، ولذلك تكون الجملة بمنزلة **التذييل**." (٢)

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٨/٢٥

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١٨/٥٩

"فيفيده قيامه. ولو لم يكن كذلك لزم أن لا يكون زيدا عند عدم القيام وليس بصحيح.وبهذا يعلم أن ليس المقصود من الإخبار عن اسم الإشارة حقيقته بل الخبر مستعمل مجازا في معنى التحريض والملازمة، وهو يشبه لازم الفائدة وإن لم يقع في أمثلتهم. ومنه قوله تعالى: وهذا بعلي شيخا [هود: ٧٢] فإن سارة قد علمت أن الملائكة عرفوا أن إبراهيم بعلها إذ قد بشروها بإسحاق. وإنما المعنى: وهذا الذي ترونه هو بعلي الذي يترقب منه النسل المبشر به، أي حاله ينافي البشارة، ولذلك يتبع مثل هذا التركيب بحال تبين المقصود من الإخبار كما في هذه الآية. وقد تقدم ذكر لطيفة في تلك الآية.[٥٣][سورة المؤمنون (٢٣) : آية ٥٣]فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون (٥٣)جيء بفاء التعقيب لإفادة أن الأمم لم يتريثوا عقب تبليغ الرسل إياهم إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون [المؤمنون: ٥٢] أن تقطعوا أمرهم بينهم فاتخذوا آلهة كثيرة فصار دينهم متقطعا قطعا لكل فريق صنم وعبادة خاصة به. فضمير فتقطعوا عائد إلى الأمم المفهوم من السياق الذين هم المقصود من قوله وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون [المؤمنون: ٥٢] . وضمير الجمع عائد إلى أمم الرسل يدل عليه السياق.فالكلام مسوق مساق الذم. ولذلك قد تفيد الفاء مع التعقيب معنى التفريع، أي فتفرع على ما أمرناهم به من التوحيد أنهم أتوا بعكس المطلوب منهم فيفيد الكلام زيادة على الذم تعجيبا من حالهم. ومما يزيد معنى الذم **تذييله** بقوله كل حزب بما لديهم فرحون أي وهم ليسوا بحال من يفرح.والتقطع أصله مطاوع قطع. واستعمل فعلا متعديا بمعنى قطع بقصد إفادة الشدة في حصول الفعل، ونظيره تخوفه السير، أي تنقصه، وتجهمه الليل وتعرفه الزمن. فالمعنى:قطعوا أمرهم بينهم قطعا كثيرة، أي تفرقوا على." (١)

"نحل كثيرة فجعل كل فريق منهم لنفسه دينا. ويجوز أن يجعل فتقطعوا قاصرا أسند التقطع إليهم على سبيل الإبهام ثم ميز بقوله أمرهم كأنه قيل: تقطعوا أمرا، فإن كثيرا من نحاة الكوفة يجوزون كون التمييز معرفة.وقد بسطنا القول في معنى تقطعوا أمرهم بينهم في سورة الأنبياء [٩٣] .والأمر هنا بمعنى الشأن والحال وما صدقه أمور دينهم.والزبر بضم الزاي وضم الموحدة كما قرأ به الجمهور جمع زبور وهو الكتاب.استعير اسم الكتاب للدين لأن شأن الدين أن يكون لأهله كتاب، فيظهر أنها استعارة تهكمية إذ لم يكن لكل فريق كتاب ولكنهم اتخذوا لأنفسهم أديانا وعقائد لو سجلت لكانت زبرا.وقرأه أبو عمرو بخلاف عنه زبرا بضم الزاء وفتح الموحدة وهو جمع زبرة بمعنى قطعة.وجملة كل حزب بما لديهم فرحون **تذييل** لما قبله لأن التقطع يقتضي التحزب فذيل بأن كل فريق منهم فرح بدينه، ففي الكلام صفة محذوفة ل حزب، أي كل حزب منهم، بدلالة المقام.والفرح: شدة المسرة، أي راضون جذلون بأنهم اتخذوا طريقتهم في الدين.والمعنى: أنهم فرحون بدينهم عن غير دليل ولا تبصر بل لمجرد العكوف على المعتاد.وذلك يومىء إليه لديهم المقتضي أنه متقرر بينهم من قبل، أي بالدين الذي هو لديهم فهم لا يرضون على من خالفهم ويعادونه، وذلك يفضي إلى التفريق والتخاذل بين الأمة الواحدة وهو خلاف مراد الله ولذلك ذيل به قوله وإن هذه أمتكم أمة واحدة [المؤمنون:٥٢] . وقديما كان التحزب مسببا لسقوط

---

(١) التحرير والتنوير ابن عاشور ١٨/٧٢

الأديان والأمم وهو من دعوة الشيطان التي يلبس فيها الباطل في صورة الحق.والحزب: الجماعة المجتمعون على أمر من اعتقاد أو عمل، أو المتفقون عليه.." (١)

"الصفة قالوا: يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول أموالهم. قال: أو ليس قد جعل الله لكم ما تصدقون به، إن لكم بكل تسبيحة صدقة وكل تحميدة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وأمربالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة». وقال أبو مسعود الأنصاري: لما أمرنا بالصدقة كنا نحامل فيصيب أحدنا المد فيتصدق به. ومما يشير إلى معنى هذه الآية قوله تعالى: ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا [الإنسان: ٨- ١٠] الآيات.وخبر إن جملة أولئك يسارعون في الخيرات.وافتتح باسم الإشارة لزيادة تمييزهم للسامعين لأن مثلهم أحرياء بأن يعرفوا.وتقدم الكلام على معنى يسارعون في الخيرات آنفا.ومعنى وهم لها سابقون أنهم يتنافسون في الإكثار من أعمال الخير، فالسبق تمثيل للتنافس والتفاوت في الإكثار من الخيرات بحال السابق إلى الغاية، أو المعنى وهم محرزون لما حرصوا عليهم، فالسبق مجاز لإحراز المطلوب لأن الإحراز من لوازم السبق.وعلى التقديرين فاللام بمعنى (إلى) . وقد قيل إن فعل السبق يتعدى باللام كما يتعدى ب (إلى) . وتقديم المجرور للاهتمام ولرعاية الفاصلة.[٦٢][سورة المؤمنون (٢٣) : آية ٦٢]ولا نكلف نفسا إلا وسعها ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون (٦٢)تذييل لما تقدم من أحوال الذين من خشية ربهم مشفقون. لأنه لما ذكر ما اقتضى مخالفة المشركين لما أمروا به من توحيد الدين، وذكر بعده ما دل." (٢)

"والظلم على هذا الوجه محمول على ظاهره وهو حرمان الحق والاعتداء.ويجوز أن يكون الضمير عائدا إلى عموم الأنفس في قوله ولا نكلف نفسا إلا وسعها فيكون قوله وهم لا يظلمون من بقية التذييل، والظلم على هذا الوجه مستعمل في النقص من الحق كقوله تعالى: كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئا [الكهف:٣٣] فيكون وعيدا لفريق ووعدا لفريق. وهذا أليق الوجهين بالإعجاز.[٦٣][سورة المؤمنون (٢٣) : آية ٦٣]بل قلوبهم في غمرة من هذا ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون (٦٣)إضراب انتقال إلى ما هو أغرب مما سبق وهو وصف غمرة أخرى انغمس فيها المشركون فهم في غمرة غمرت قلوبهم وأبعدتها عن أن تتخلق بخلق الذين هم من خشية ربهم مشفقون كيف وأعمالهم على الضد من أعمال المؤمنين تناسب كفرهم، فكل يعمل على شاكلته.فحرف (من) في قوله: من هذا يوهم البدلية، أي في غمرة تباعدهم عن هذا.والإشارة ب هذا إلى ما ذكر آنفا من صفات المؤمنين في قوله: إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون إلى قوله: وهم لها سابقون [المؤمنون: ٥٧- ٦١] .ودون تدل على المخالفة لأحوال المؤمنين، أي ليسوا أهلا للتحلي بمثل تلك المكارم.وقوله: ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون يبين (هذا) ، أي وأعمالهم التي يعملونها غير ذلك. ويذكرني هذا قول محمد بن بشير الخارجي في مدح عروة بن زيد الخيل:يا أيها المتمني أن يكون فتى ... مثل ابن زيد لقد أخلى لك

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٧٣/١٨

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٧٨/١٨

السبلاأعدد فضائل أخلاق عددن له ... هل سب من أحد أو سب أو بخلاإن تنفق المال أو تكلف مساعيه ... يشفق عليك وتفعل دون ما فعلا." (١)

"واللام في له اختلاف الليل والنهار للملك، أي بقدرته تصريف الليل والنهار، فالنهار يناسب الحياة ولذلك يسمى الهبوب في النهار بعثا، والليل يناسب الموت ولذلك سمى الله النوم وفاة في قوله: وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه [الأنعام: ٦٠] .وتقديم المجرور للقصر، أي له اختلاف الليل والنهار لا لغيره، أي فغيره لا تحق له الإلهية.ولما كانت هذه الأدلة تفيد من نظر فيها علما بأن الإله واحد وأن البعث واقع وكان المقصودون بالخطاب قد أشركوا به ولم يهتدوا بهذه الأدلة جعلوا بمنزلة غير العقلاء فأنكر عليهم عدم العقل بالاستفهام الإنكاري المفرع على الأدلة الأربعة بالفاء في قوله أفلا تعقلون.وهذا **تذييل** راجع إلى قوله وإليه تحشرون [المؤمنون: ٧٩] وما بعده.[٨١- ٨٣][سورة المؤمنون (٢٣) : الآيات ٨١ إلى ٨٣]بل قالوا مثل ما قال الأولون (٨١) قالوا أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون (٨٢) لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين (٨٣)هذا إدماج لذكر أصل آخر من أصول الشرك وهو إحالة البعث بعد الموت. و (بل) للإضراب الإبطالي إبطالا لكونهم يعقلون. وإثبات لإنكارهم البعث مع بيان ما بعثهم على إنكاره وهو تقليد الآباء. والمعنى: أنهم لا يعقلون الأدلة لكنهم يتبعون أقوال آبائهم.والكلام جرى على طريقة الالتفات من الخطاب إلى الغيبة لأن الكلام انتقل من التقريع والتهديد إلى حكاية ضلالهم فناسب هذا الانتقال مقام الغيبة لما في الغيبة من الإبعاد فالضمير عائد إلى المخاطبين.." (٢)

"و (الكريم) بالجر صفة العرش. وكرم الجنس أن يكون مستوفيا فضائل جنسه كما في قوله تعالى: إني ألقي إلي كتاب كريم في سورة النمل [٢٩] .[١١٧][سورة المؤمنون (٢٣) : آية ١١٧]ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون (١١٧)لما كان أعظم ما دعا الله إليه توحيده وكان أصل ضلال المشركين إشراكهم أعقب وصف الله بالعلو العظيم والقدرة الواسعة ببيان أن الحساب الواقع بعد البعث ينال الذين دعوا مع الله آلهة دعوى لا عذر لهم فيها لأنها عرية عن البرهان أي الدليل، لأنهم لم يثبتوا لله الملك الكامل إذ أشركوا معه آلهة ولم يثبتوا ما يقتضي له عظيم التصرف إذ أشركوا معه تصرف آلهة. فقوله: لا برهان له به حال من من يدع مع الله إلها آخر، وهي حال لازمة لأن دعوى الإله مع الله لا تكون إلا عرية عن البرهان ونظير هذا الحال قوله تعالى: ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله [القصص: ٥٠] .والقصر في قوله: فإنما حسابه عند ربه قصر حقيقي. وفيه إثبات الحساب وأنه لله وحده مبالغة في تخطئتهم وتهديدهم.ويجوز أن يكون القصر إضافيا تطمينا للنبيء صلى الله عليه وسلم بأن الله لا يؤاخذه باستمرارهم علىالكفر كقوله إن عليك إلا البلاغ [الشورى: ٤٨] وقوله: لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين [الشعراء: ٣] وهذا أسعد بقوله بعده وقل رب اغفر وارحم [المؤمنون: ١١٨] .ويدل على ذلك **تذييله** بجملة إنه لا يفلح الكافرون. وفيه ضرب من رد العجز

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٨٠/١٨

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١٠٦/١٨

على الصدر إذ افتتحت السورة ب قد أفلح المؤمنون [المؤمنون: ١] وختمت ب إنه لا يفلح الكافرون وهو نفي الفلاح عن الكافرين ضد المؤمنين.[١١٨][سورة المؤمنون (٢٣) : آية ١١٨]وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين." (١)

"من صحت يمينه صح لعانه وهذا قول مالك والشافعي، واشترط أبو حنيفة الحرية وحجته في ذلك إلحاق اللعان بالشهادة لأن الله سماه شهادة.ولأجل المحافظة على هذه البدلية اشترط أن تكون أيمان اللعان بصيغة: «أشهد بالله» عند الأئمة الأربعة. وأما ما بعد صيغة (أشهد) فيكون كاليمين على حسب الدعوى التي حلف عليها بلفظ لا احتمال فيه.وقوله: فشهادة أحدهم أربع شهادات قرأه الجمهور بنصب أربع على أنه مفعول مطلق لشهادة فيكون فشهادة أحدهم محذوف الخبر دل عليه معنى الشرطية الذي في الموصول واقتران الفاء بخبره، والتقدير: فشهادة أحدهم لازمة له. ويجوز أن يكون الخبر قوله: إنه لمن الصادقين على حكاية اللفظ مثل قولهم: «هجيرا أبي بكر لا إله إلا الله» . وقرأه حمزة والكسائي وحفص وخلف برفع أربع على أنه خبر المبتدإ وجملة إنه لمن الصادقين إلى آخرها بدل من فشهادة أحدهم. ولا خلاف بين القراءفي نصب أربع شهادات الثاني.وفي قوله: إنه لمن الصادقين حكاية للفظ اليمين مع كون الضمير مراعى فيه سياق الغيبة، أي يقول: إني لمن الصادقين فيما ادعيت عليها.وأما قوله: والخامسة أي فالشهادة الخامسة، أي المكملة عدد خمس للأربع التي قبلها. وأنث اسم العدد لأنه صفة لمحذوف دل عليه قوله فشهادة أحدهم والتقدير: والشهادة الخامسة. وليس لها مقابل في عدد شهود الزنى. فلعل حكمة زيادة هذه اليمين مع الأيمان الأربع القائمة مقام الشهود الأربعة أنها لتقوية الأيمان الأربع باستذكار ما يترتب على أيمانه إن كانت غموسا من الحرمان من رحمة الله تعالى. وهذا هو وجه كونها مخالفة في صيغتها لصيغ الشهادات الأربع التي تقدمتها. وفي ذلك إيماء إلى أن الأربع هي المجعولة بدلا عن الشهود وأن هذه الخامسة **تذييل** للشهادة وتغليظ لها.وقرأ الجمهور: والخامسة أن غضب الله عليها بالرفع كقوله: والخامسة أن لعنت الله عليه وهو من عطف الجمل. وقرأه حفص عن." (٢)

"والتعريف في العذاب ظاهر في العهد لتقدم ذكر العذاب في قوله: وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين [النور: ٢] . فيؤخذ من الآية أن المرأة إذا لم تحلف أيمان اللعان أقيم عليها الحد. وهذا هو الذي تشهد به روايات حديث اللعان في السنة. وقال أبو حنيفة: إذا نكلت المرأة عن أيمان اللعان لم تحد لأن الحد عنده لا يكون إلا بشهادة شهود أو إقرار. فعنده يرجع بها إلى حكم الحبس المنسوخ عندنا، وعنده إنما نسخ في بعض الأحوال وبقي في البعض.والقول في صيغة أيمان المرأة كالقول في صيغة أيمان الزوج سواء. وعين لها في الخامسة الدعاء بغضب الله عليها إن صدق زوجها لأنها أغضبت زوجها بفعلها فناسب أن يكون جزاؤها على ذلك غضب ربها عليها كما أغضبت بعلها.وتتفرع من أحكام اللعان فروع كثيرة يتعرض بعض المفسرين لبعضها وهي من موضوع كتب الفروع.[١٠][سورة النور (٢٤) : آية ١٠]ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم (١٠)**تذييل** لما مر من الأحكام العظيمة المشتملة على التفضل من الله والرحمة منه، والمؤذنة بأنه تواب على من تاب من عباده، والمنبئة بكمال حكمته تعالى إذ وضع الشدة موضعها والرفق موضعه وكف بعض الناس

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٣٦/١٨

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١٦٥/١٨

عن بعض فلما دخلت تلك الأحكام تحت كلي هذه الصفات كان ذكر الصفات **تذييلا**.وجواب (لولا) محذوف لقصد تهويل مضمونه فيدل تهويله على تفخيم مضمون الشرط الذي كان سببا في امتناع حصوله. والتقدير: لولا فضل الله عليكم فدفع عنكم أذى بعضكم لبعض بما شرع من الزواجر لتكالب بعضكم على بعض، ولولا رحمة الله بكم فقدر لكم تخفيضا مما شرع من الزواجر في حالة الاضطرار والعذر لما استطاع أحد أن يسكت على ما يرى من مثار الغيرة، فإذا باح بذلك أخذ بعقاب وإذا انتصف لنفسه." (١)

"وقد ذكر في المرة الأولى وصف الله بأنه تواب حكيم للمناسبة المتقدمة، وذكر هنا بأنه رؤوف رحيم، لأن هذا التنبيه الذي تضمنه **التذييل** فيه انتشال للأمة من اضطراب عظيم في أخلاقها وآدابها وانفصام عرى وحدتها فأنقذها من ذلك رأفة ورحمة لآحادها وجماعتها وحفظا لأواصرها.وذكر وصف الرأفة والرحمة هنا لأنه قد تقدمه إنقاذه إياهم من سوء محبة أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا تلك المحبة التي انطوت عليها ضمائر المنافقين كان إنقاذ المؤمنين من التخلق بها رأفة بهم من العذاب ورحمة لهم بثواب المتاب.وهذه الآية هي منتهى الآيات العشر التي نزلت في أصحاب الإفك على عائشة رضي الله عنها، نزلت متتابعة على النبيء صلى الله عليه وسلم وتلاها حين نزولها وهو في بيته.[٢١][سورة النور (٢٤) : آية ٢١]يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم (٢١)هذه الآية نزلت بعد العشر الآيات المتقدمة، فالجملة استئناف ابتدائي، ووقوعه عقب الآيات العشر التي في قضية الإفك مشير إلى أن ما تضمنته تلك الآيات من المناهي وظنون السوء ومحبة شيوع الفاحشة كله من وساوس الشيطان، فشبه حال فاعلها في كونه متلبسا بوسوسة الشيطان بهيئة الشيطان يمشي والعامل بأمره يتبع خطى ذلك الشيطان. ففي قوله:لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان تمثيل مبني على تشبيه حالة محسوسة بحالة معقولة إذ لا يعرف السامعون للشيطان خطوات حتى ينهوا على اتباعها.." (٢)

"و (زكى) بتخفيف الكاف على المشهور من القراءات. وقد كتب زكى في المصحف بألف في صورة الياء. وكان شأنه أن يكتب بالألف الخالصة لأنه غير ممال ولا أصله ياء فإنه واوي اللام. ورسم المصحف قد لا يجري على القياس. ولا تعد قراءته بتخفيف الكاف مخالفة لرسم المصحف لأن المخالفة المضعفة للقراءة هي المخالفةالمؤدية إلى اختلاف النطق بحروف الكلمة، وأما مثل هذا فمما يرجع إلى الأداء والرواية تعصم من الخطأ فيه.وقوله: والله سميع عليم **تذييل** بين الوعد والوعيد، أي سميع لمن يشيع الفاحشة، عليم بما في نفسه من محبة إشاعتها، وسميع لمن ينكر على ذلك، عليم لما في نفسه من كراهة ذلك فيجازي كلا على عمله.وإظهار اسم الجلالة فيه ليكون **التذييل** مستقلا بنفسه لأنه مما يجري مجرى المثل.[٢٢][سورة النور (٢٤) : آية ٢٢]ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم (٢٢)عطف على جملة: لا تتبعوا خطوات الشيطان

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٦٨/١٨

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١٨٦/١٨

[النور: ٢١] عطف خاص على عام للاهتمام به لأنه قد يخفى أنه من خطوات الشيطان فإن من كيد الشيطان أن يأتي بوسوسة في صورة خواطر الخير إذا علم أن الموسوس إليه من الذين يتوخون البر والطاعة، وأنه ممن يتعذر عليه ترويج وسوسته إذا كانت مكشوفة.وإن من ذيول قصة الإفك أن أبا بكر رضي الله عنه كان ينفق على مسطح بن أثاثة المطلبي إذ كان ابن خالة أبي بكر الصديق وكان من فقراء المهاجرين فلما علم بخوضه في قضية الإفك أقسم أن لا ينفق عليه. ولما تاب مسطح وتاب الله عليه لم يزل أبو بكر واجدا في نفسه على مسطح." (١)

"وعطف والخبيثون للخبيثات إطناب لمزيد العناية بتقرير هذا الحكم ولتكون الجملة بمنزلة المثل مستقلة بدلالتها على الحكم وليكون الاستدلال على حال القرين بحال مقارنه حاصلا من أي جانب ابتدأه السامع.وذكر والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات إطناب أيضا للدلالة على أن المقارنة دليل على حال القرينين في الخير أيضا.وعطف والطيبون للطيبات كعطف والخبيثون للخبيثات.وتقدم الكلام على الخبيث والطيب عند قوله تعالى: ليميز الله الخبيث من الطيب في سورة الأنفال [٣٧] وقوله: قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة في سورة آل عمران [٣٨] وقوله: ويحرم عليهم الخبائث في سورة الأعراف [١٥٧] .وغلب ضمير التذكير في قوله: مبرؤن وهذه قضية كلية ولذلك حق لها أن تجري مجرى المثل وجعلت في آخر القصة كالتذييل.والمراد بالخبث: خبث الصفات الإنسانية كالفواحش. وكذلك المراد بالطيب: زكاء الصفات الإنسانية من الفضائل المعروفة في البشر فليس الكفر من الخبث ولكنه من متمماته. وكذلك الإيمان من مكملات الطيب فلذلك لم يكن كفر امرأة نوح وامرأة لوط ناقصا لعموم قوله: الخبيثات للخبيثين فإن المراد بقوله تعالى: كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما [التحريم: ١٠] أنهما خانتا زوجيهما بإبطان الكفر. ويدل لذلك مقابلة حالهما بحال امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة إلى قوله:ونجني من القوم الظالمين [التحريم: ١١] .والعدول عن التعبير عن الإفك باسمه إلى مما يقولون إلى أنه لا يعدو كونه قولا، أي أنه غير مطابق للواقع كقوله تعالى: ونرثه ما يقول [مريم: ٨٠] لأنه لا مال له ولا ولد في الآخرة.والرزق الكريم: نعيم الجنة. وتقدم أن الكريم هو النفيس في جنسه عند قوله:درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم في سورة الأنفال." (٢)

"وأما قوله: فإن لم تجدوا فيها أحدا إلخ للاحتراس من أن يظن ظان أن المنازل غير المسكونة يدخلها الناس في غيبة أصحابها بدون إذن منهم توهما بأن علة شرع الاستئذان ما يكره أهل المنازل من رؤيتهم على غير تأهب بل العلة هي كراهتهم رؤية ما يحبون ستره من شؤونهم. فالشرط هنا يشبه الشرط الوصلي لأنه مراد به المبالغة في تحقيق ما قبله ولذلك ليس له مفهوم مخالفة.والغاية في قوله: حتى يؤذن لكم لتأكيد النهي بقوله: فلا تدخلوها أي حتى يأتي أهلها فيأذنوا لكم.وقوله: والله بما تعملون عليم تذييل لهذه الوصايا بتذكيرهم بأن الله عليم بأعمالهم ليزدجر أهل الإلحاح عن إلحاحهم بالتثقيل، وليزدجر أهل الحيل أو التطلع من الشقوق ونحوها. وهذا تعريض بالوعيد لأن في ذلك عصيانا لما أمر الله به. فعلمه به كناية عن مجازاته فاعليه بما يستحقون.وخطاب فلا تدخلوها يعم وهو مخصوص بمفهوم قوله تعالى: يا أيها الذين

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٨٨/١٨

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١٩٥/١٨

آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم [النور: ٥٨] كما سيأتي. ولذا فإن المماليك والأطفال مخصصون من هذا العموم كما سيأتي.وقرأ الجمهور: بيوتا حيثما وقع بكسر الباء. وقرأه أبو عمرو وورش عن نافع وحفص عن عاصم وأبو جعفر بضم الباء. وقد تقدم في سورة آل عمران.[٢٩][سورة النور (٢٤) : آية ٢٩]ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون (٢٩)هذا تخصيص لعموم قوله: بيوتا غير بيوتكم [النور: ٢٧] بالبيوت المعدة للسكنى، فأما البيوت التي ليست معدودة للسكنى إذا كان لأحد حاجة في دخولها أن له أن يدخلها لأن كونها غير معدودة للسكنى تجعل القاطن بها غير محترز." (١)

": «غفور رحيم لهن والله لهن والله» . وجعلوا فائدة هذا الخبر أن الله عذر المكرهات لأجل الإكراه، وأنه من قبيل قوله: فمن اضطر غير با غ ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم [البقرة: ١٧٣] . وعلى هذا فهو تعريض بالوعيد للذين يكرهون الإماء على البغاء.ومن المفسرين من قدر المحذوف ضمير (من) الشرطية، أي غفور رحيم له، وتأولوا ذلك بأنه بعد أن يقلع ويتوب وهو تأويل بعيد.وقوله: إن الله غفور رحيم دليل جواب الشرط إذ حذف الجواب إيجازا واستغني عن ذكره بذكر علته التي تشمله وغيره. والتقدير: فلا إثم عليهن فإن الله غفور رحيم لأمثالهن ممن أكره على فعل جريمة. والفاء رابطة الجواب.وحرف (إن) في هذا المقام يفيد التعليل ويغني غناء لام التعليل.[٣٤][سورة النور (٢٤) : آية ٣٤]ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين (٣٤)ذيلت الأحكام والمواعظ التي سبقت بإثبات نفعها وجدواها لما اشتملت عليه مما ينفع الناس ويقيم عمود جماعتهم ويميز الحق من الباطل ويزيل من الأذهان اشتباه الصواب بالخطأ فيعلم الناس طرق النظر الصائب والتفكير الصحيح، وذلك تنبيه لما تستحقه من التدبر فيها ولنعمة الله على الأمة بإنزالها ليشكروا الله حق شكره.ووصف هذه الآيات المنزلة بثلاث صفات كما وصف السورة في طالعتها بثلاث صفات. والمقصد من الأوصاف في الموضعين هو الامتنان فكان هذا يشبه رد العجز على الصدر، فجملة: ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات مستأنفة استئناف **التذييل** وكان مقتضىالظاهر أن لا تعطف لأن شأن **التذييل** والاستئناف الفصل كما فصلت أختها الآتية قريبا بقوله تعالى:." (٢)

"لقد أنزلنا آيات مبينات [النور: ٤٦] . وإنما عدل عن الفصل إلى العطف لأن هذا ختام التشريعات والأحكام التي نزلت السورة لأسبابها. وقد خللت بمثل هذا **التذييل** مرتين قبل هذا بقوله تعالى في ابتداء السورة وأنزلنا فيها آيات بينات [النور: ١] ثم قوله:ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم [النور: ١٨] ثم قوله هنا: ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات فكان كل واحد من هذه **التذييلات** زائدا على الذي قبله فالأول زائد بقوله: يبين الله لكم الآيات [النور: ١٨] لأنه أفاد أن بيان الآيات لفائدة الأمة، وما هنا زاد بقوله: ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين. فكانت كل زيادة من هاتين مقتضية العطف لما حصل من المغايرة بينها وبين أختها، وتعتبر كل واحدة عطفا على نظيرتها، فوصفت السورة كلها بثلاث صفات ووصف ما كان من هذه السورة مشتملا على أحكام القذف والحدود وما يفضي إليها أو إلى مقاربها من

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٠١/١٨

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٢٨/١٨

أحوال المعاشرة بين الرجال والنساء بثلاث صفات، فقوله هنا: ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات يطابق قوله في أول السورة وأنزلنا فيها آيات بينات [النور: ١] ، وقوله: ومثلا من الذين خلوا من قبلكم يقابل قوله في أول السورة وفرضناها [النور: ١] على ما اخترناه في تفسير ذلك بأن معناه التعيين والتقدير لأن في التمثيل تقديرا وتصويرا للمعاني بنظائرها وفي ذلك كشف للحقائق، وقوله: وموعظة للمتقين يقابل قوله في أولها لعلكم تذكرون [النور: ١] .والآيات جمل القرآن لأنها لكمال بلاغتها وإعجازها المعاندين عن أن يأتوا بمثلها كانت دلائل على أنه كلام منزل من عند الله.وابتدئ الكلام بلام القسم وحرف التحقيق للاهتمام به.وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر عن عاصم وأبو جعفر ويعقوب مبينات بفتح التحتية على صيغة المفعول. فالمعنى: أن الله بينها ووضحها. وقرأ الباقون بكسر التحتية على معنى أنها أبانت المقاصد التي أنزلت لأجلها. ومعنيا القراءتين متلازمان فبذلك لم يكن تفاوت بين مفاد هذه الآية ومفاد قوله في نظيرتها وأنزلنا فيها آيات بينات [النور: ١] في أول السورة لأن البينات هي الواضحة، أي الواضحة الدلالة والإفادة.." (١)

"وانتصاب النبيء عليه الصلاة والسلام للتعليم يشبه مس النار للسراج وهذا يومىء إلى استمرار هذا الإرشاد.كما أن قوله: من شجرة يوميء إلى الحاجة إلى اجتهاد علماء الدين في استخراج إرشاده على مرور الأزمنة لأن استخراج الزيت من ثمر الشجرة يتوقف على اعتصار الثمرة وهو الاستنباط.يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم.هذه الجمل الثلاث معترضة أو تذييل للتمثيل. والمعنى: دفع التعجب من عدم اهتداء كثير من الناس بالنور الذي أنزله الله وهو القرآن والإسلام فإن الله إذا لم يشأ هدي أحد خلقه وجبله على العناد والكفر.وأن الله يضرب الأمثال للناس مرجوا منهم التذكر بها: فمنهم من يعتبر بها فيهتدي، ومنهم من يعرض فيستمر على ضلاله ولكن شأن تلك الأمثال أن يهتدي بها غير من طبع على قلبه.وجملة: والله بكل شيء عليم تذييل لمضمون الجملتين قبلها، أي لا يعزب عن علمه شيء. ومن ذلك علم من هو قابل للهدى ومن هو مصر على غيه. وهذا تعريض بالوعد للأولين والوعيد للآخرين.[٣٦-٣٨][سورة النور (٢٤) : الآيات ٣٦ إلى ٣٨]في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال (٣٦) رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار (٣٧) ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب." (٢)

"ويتعلق قوله: ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ب يخافون، أي كان خوفهم سببا للجزاء على أعمالهم الناشئة عن ذلك الخوف.والزيادة: من فضله هي زيادة أجر الرهبان إن آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم حينما تبلغهم دعوته لما في الحديث الصحيح: «أن لهم أجرين»، أو هي زيادة فضل الصلاة في المساجد إن كان المراد بالبيوت مساجد الإسلام.وجملة: والله يرزق من يشاء بغير حساب تذييل لجملة: ليجزيهم الله. وقد حصل التذييل لما في قوله: من يشاء من العموم، أي وهم ممن يشاء الله لهم الزيادة.والحساب هنا بمعنى التحديد كما في قوله: إن الله يرزق من يشاء بغير حساب في سورة آل عمران [٣٧] . وأما قوله: جزاء من ربك عطاء حسابا [النبأ: ٣٦] فهو بمعنى التعيين والإعداد للاهتمام بهم.[٣٩][سورة النور

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٢٩/١٨

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٤٤/١٨

(٢٤) : آية ٣٩]والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب (٣٩)لما جرى ذكر أعمال المتقين من المؤمنين وجزائهم عليها بقوله تعالى: يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال إلى قوله: ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب [النور: ٣٦-٣٨] أعقب ذلك بضده من حال أعمال الكافرين التي يحسبونها قربات عند الله تعالى وما هي بمغنية عنهم شيئا على عادة القرآن في إرداف البشارة بالنذارة، وعكس ذلك كقوله: ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات [آل عمران: ١٩٧، ١٩٨] إلخ فعطف حال أعمال الكافرين عطف القصة على القصة. ولعل المشركين كانوا إذا سمعوا ما وعد الله به المؤمنين من الجزاء على الأعمال الصالحة." (١)

"وجملة: والله سريع الحساب **تذييل**. والسريع: ضد البطيء. والمعنى: أنه لا يماطل الحساب ولا يؤخره عند حلول مقتضيه، فهو عام في حساب الخير والشر ولذلك كان **تذييلا**.واعلم أن هذا التمثل العجيب صالح لتفريق أجزائه في التشبيه بأن ينحل إلى تشبيهات واستعارات. فأعمال الكافرين شبيهة بالسراب في أن لها صورة الماء وليست بماء، والكافر يشبه الظمآن في الاحتياج إلى الانتفاع بعمله. ففي قوله: يحسبه الظمآن استعارة مصرحة، وخيبة الكافر عند الحساب تشبه خيبة الظمآن عند مجيئه السراب ففيه استعارة مصرحة، ومفاجأة الكافر بالأخذ والعتل من جند الله أو بتكوين الله تشبه مفاجأة من حسب أنه يبلغ الماء للشراب فبلغ إلى حيث تحقق أنه لا ماء فوجد عند الموضع الذي بلغه من يترصد له لأخذه أو أسره. فهنا استعارة مكنية إذ شبه أمر الله أو ملائكته بالعدو، ورمز إلى العدو بقوله: فوفاه حسابه. وتعدية فعل وجد إلى اسم الجلالة على حذف مضاف هي تعدية المجاز العقلي.[٤٠][سورة النور (٢٤) : آية ٤٠]أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور (٤٠)شأن أو إذا جاءت في عطف التشبيهات أن تدل على تخيير السامع أن يشبه بما قبلها وبما بعدها. وقد تقدم ذلك عند قوله تعالى: أو كصيب من السماء في سورة البقرة [١٩] ، أي مع اتحاد وجه الشبه. ومنه قول امرئ القيس:يضيء سناه أو مصابيح راهب................ ...." (٢)

"وقول لبيد:أفتلك أم وحشية مسبوعة ... خذلت وهادية الصوار قوامهافإذا كان الكلام هنا جاريا على ذلك الشأن كان المعنى تمثيل الذين كفروا في أعمالهم التي يظنون أنهم يتقربون بها إلى الله بحال ظلمات ليل غشيت ماخرا في بحر شديد الموج قد اقتحم ذلك البحر ليصل إلى غاية مطلوبة، فحالهم في أعمالهم تشبه حال سابح في ظلمات ليل في بحر عميق يغشاه موج يركب بعضه بعضا لشدة تعاقبه، وإنما يكون ذلك عند اشتداد الرياح حتى لا يكاد يرى يده التي هي أقرب شيء إليه وأوضحه في رؤيته فكيف يرجو النجاة.وإن كان الكلام جاريا على التخيير في التشبيه مع اختلاف وجه الشبه كان المعنى تمثيل حال الذين كفروا في أعمالهم التي يعملونها وهم غير مؤمنين بحال من ركب البحر يرجو بلوغ غاية فإذا هو في ظلمات لا يهتدي معها طريقا. فوجه الشبه هو ما حف بأعمالهم من ضلال الكفر الحائل دون حصول مبتغاهم.ويرجح

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٨/٢٥٠

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١٨/٢٥٤

هذا الوجه تذييل التمثيل بقوله: ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور.وعلى الوجهين فقوله: كظلمات عطف على كسراب [النور: ٣٩] والتقدير:والذين كفروا أعمالهم كظلمات.وهذا التمثيل من قبيل تشبيه حالة معقولة بحالة محسوسة كما يقال: شاهدت سواد الكفر في وجه فلان.والظلمات: الظلمة الشديدة. والجمع مستعمل في لازم الكثرة وهو الشدة، فالجمع كناية لأن شدة الظلمة يحصل من تظاهر عدة ظلمات. ألا ترى أن ظلمة بين العشاءين أشد من ظلمة عقب الغروب وظلمة العشاء أشد مما قبلها.وقد ذكرنا فيما مضى أن لفظ ظلمة بالإفراد لم يرد في القرآن انظر أول سورة الأنعام. ومعنى كونها في بحر أنها انطبع سوادها على ماء بحر." (١)

"وجملة: ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور تذييل للتمثيل، أي هم باءوا بالخيبة فيما ابتغوا مما عملوا وقد حفهم الضلال الشديد فيما عملوا حتى عدموا فائدته لأن الله لم يخلق في قلوبهم الهدى حين لم يوفقهم إلى الإيمان، أي أن الله جبلهم غير قابلين للهدى فلم يجعل لهم قبوله في قلوبهم فلا يحل بها شيء من الهدى.وفيه تنبيه على أن الله تعالى متصرف بالإعطاء والمنع على حسب إرادته وحكمته وماسبق من نظام تدبيره.وهذا التمثيل صالح لاعتبار التفريق في تشبيه أجزاء الهيئة المشبهة بأجزاء الهيئة المشبه بها فالضلالات تشبه الظلمات، والأعمال التي اقتحمها الكافر لقصد التقرب بها تشبه البحر، وما يخالط أعماله الحسنة من الأعمال الباطلة كالبحيرة، والسائبة يشبه الموج في تخليطه العمل الحسن وتخلله فيه وهو الموج الأول. وما يرد على ذلك من أعمال الكفر كالذبح للأصنام يشبه الموج الغامر الآتي على جميع ذلك بالتخلل والإفساد وهو الموج الثاني، وما يحف اعتقاده من الحيرة في تمييز الحسن من العبث ومن القبيح يشبه السحاب الذي يغشى ما بقي في السماء من بصيص أنوار النجوم، وتطلبه الانتفاع من عمله يشبه إخراج الماخر يده لإصلاح أمر سفينته أو تناول ما يحتاجه فلا يرى يده بله الشيء الذي يريد تناوله.[٤١][سورة النور (٢٤) : آية ٤١]ألم تر أن الله يسبح له من في السماوات والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون (٤١)أعقب تمثيل ضلال أهل الضلالة وكيف حرمهم الله الهدى في قوله: والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة إلى قوله: ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور [النور: ٣٩، ٤٠]." (٢)

"والصافات من صفات الطير يراد به صفهن أجنحتهن في الهواء حين الطيران.وتخصيص الطير بالذكر من بين المخلوقات للمقابلة بين مخلوقات الأرض والسماء بذكر مخلوقات في الجو بين السماء والأرض ولذلك قيدت ب صافات.وفعل علم مراد به المعرفة لظهور الفرق بين علم العقلاء بصلاتهم وعلم الطير بتسبيحها فإن الثاني مجرد شعور وقصد للعمل.وضمائر علم صلاته وتسبيحه راجعة إلى كل لا محالة.ولو كان المراد بها التوزيع على من في السماوات والأرض والطير من جهة وعلى اسم الجلالة من جهة لوقع ضمير فصل بعد علم فلكان راجعا إلى الله تعالى.والرؤية هنا بصرية لأن تسبيح العقلاء مشاهد لكل ذي بصر، وتسبيح الطير مشاهد باعتبار مسماه فما على الناظر إلا أن يعلم أن ذلك المسمى جدير باسم التسبيح.وعلى هذا الاعتبار كان الاستفهام الإنكاري مكين الوقع.وإن شئت قلت: إن جملة ألم تر جارية مجرى الأمثال

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٨/٢٥٥

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١٨/٢٥٧

في كلام البلغاء فلا التفات فيها إلى معنى الرؤية.وقيل: الرؤية هنا قلبية. وأغنى المصدر عن المفعولين.وجملة: والله عليم بما يفعلون **تذييل** وهو إعلام بسعة علم الله تعالى الشامل للتسبيح وغيره من الأحوال.والإتيان بضمير جمع العقلاء تغليب. وقد تقدم في قوله تعالى: ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم في سورة البقرة [٢٤٣] وقوله: ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن في سورة الأنعام [٦] .[٤٢][سورة النور (٢٤) : آية ٤٢]ولله ملك السماوات والأرض وإلى الله المصير." (١)

"والدابة: ما دب على وجه الأرض، أي مشى. وغلب هنا الإنسان فأتي بضمير العقلاء مرادا به الإنسان وغيره مرتين.وتنكير ماء لإرادة النوعية تنبيها على اختلاف صفات الماء لكل نوع من الدواب إذ المقصود تنبيه الناس إلى اختلاف النطف للزيادة في الاعتبار.وهذا بخلاف قوله: وجعلنا من الماء كل شيء حي [الأنبياء: ٣٠] إذ قصد ثمة إلى أن أجناس الحيوان كلها مخلوقة من جنس الماء وهو جنس واحد اختلفت أنواعه، فتعريف الجنس هناك إشارة إلى ما يعرفه الناس إجمالا ويعهدونه من أن الحيوان كله مخلوق من نطف أصوله. وهذا مناط الفرق بين التنكير كما هنا وبين تعريف الجنس كما في آية وجعلنا من الماء كل شيء حي [الأنبياء: ٣٠] .ومن ابتدائية متعلقة ب خلق.ورتب ذكر الأجناس في حال المشي على ترتيب قوة دلالتها على عظم القدرة لأن الماشي بلا آلة مشي متمكنة أعجب من الماشي على رجلين، وهذا المشي زحفا. أطلق المشي على الزحف بالبطن للمشاكلة مع بقية الأنواع. وليس في الآية ما يقتضي حصر المشي في هذه الأحوال الثلاثة لأن المقصود الاعتبار بالغالب المشاهد.وجملة: يخلق الله ما يشاء زيادة في العبرة، أي يتجدد خلق الله ما يشاء أن يخلقه مما علمتم وما لم تعلموا. فهي جملة مستأنفة.وجملة: إن الله على كل شيء قدير تعليل **وتذييل**. ووقع فيه إظهار اسم الجلالة في مقام الإضمار ليكون كلاما مستقلا بذاته لأن شأن **التذييل** أن يكون كالمثل.[٤٦][سورة النور (٢٤) : آية ٤٦]لقد أنزلنا آيات مبينات والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم." (٢)

"(٤٦)**تذييل** للدلائل والعبر السالفة وهو نتيجة الاستدلال ولذلك ختم بقوله: والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، أي إن لم يهتد بتلك الآيات أهل الضلالة فذلك لأن الله لم يهدهم لأنه يهدي من يشاء. والمراد بالآيات هنا آيات القرآن كما يقتضيه فعل أنزلنا ولذلك لم تعطف هذه الجملة على ما قبلها بعكس قوله السابق ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات [النور: ٣٤] .ولما كان المقصود من هذا إقامة الحجة دون الامتنان لم يقيد إنزال الآيات بأنه إلالمسلمين كما قيد في قوله تعالى قبله: ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات [النور: ٣٤] كما تقدم.وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر ويعقوب مبينات بفتح الياء على صيغة اسم المفعول، أي بينها الله ووضحها ببلاغتها وقوة حجتها. وقرأ الباقون بكسر الياء على صيغة اسم الفاعل، فإسناد التبيين إلى الآيات على هذه القراءة مجاز عقلي لأنها سبب البيان.والمعنى أن دلائل الحق ظاهرة ولكن الله يقدر الهداية إلى الحق لمن يشاء هدايته.[٤٧- ٥٠][سورة النور (٢٤) : الآيات ٤٧ إلى ٥٠]ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين (٤٧) وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٥٩/١٨

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٦٦/١٨

بينهم إذا فريق منهم معرضون (٤٨) وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين (٤٩) أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون." (١)

"والمحكوم عليه.وموقع هذه الجملة موقع **تذييل** لأنها تعم ما ذكر قبلها من قول المؤمنين سمعنا وأطعنا [النور: ٥١] وتشمل غيره من الطاعات بالقول أو بالفعل.ومن شرطية عامة، وجملة: فأولئك جواب الشرط. والفوز: الظفر بالمطلوبالصالح. والطاعة: امتثال الأوامر واجتناب النواهي.والخشية: الخوف. وهي تتعلق بالخصوص بما عسى أن يكون قد فرط فيه من التكاليف على أنها تعم التقصير كله.والتقوى: الحذر من مخالفة التكاليف في المستقبل.فجمعت الآية أسباب الفوز في الآخرة وأيضا في الدنيا.وصيغة الحصر للتعريض بالذين أعرضوا إذا دعوا إلى الله ورسوله وهي على وزن صيغة القصر التي تقدمتها.[٥٣][سورة النور (٢٤) : آية ٥٣]وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن قل لا تقسموا طاعة معروفة إن الله خبير بما تعملون (٥٣)عطف على جملة: ويقولون آمنا بالله وبالرسول [النور: ٤٧] . أتبعت حكاية قولهم ذلك بحكاية قسم أقسموه بالله ليتنصلوا من وصمة أن يكون إعراضهم عن الحكومة عند الرسول صلى الله عليه وسلم فجاءوه فأقسموا إنهم لا يضمرون عصيانه فيما يقضي به فإنه لو أمرهم الرسول بأشق شيء وهو الخروج للقتال لأطاعوه. قال ابن عطية: وهذه في المنافقين الذين تولوا حين دعوا إلى الله ورسوله. وقال القرطبي: لما بين كراهتهم لحكم النبيء أتوه فقالوا:والله لو أمرتنا أن نخرج من ديارنا وأموالنا لخرجنا ولو أمرتنا بالجهاد لجاهدنا. فنزلت هذه الآية.وكلام القرطبي يقتضي أنهم ذكروا خروجين. وبذلك يكون من الإيجاز في الآية حذف متعلق الخروج ليشمل ما يطلق عليه لفظ الخروج." (٢)

"فعلى احتمال أن يكون النهي عن القسم مستعملا في النهي عن تكريره يكون المعنى من قبيل التهكم، أي لا حرمة للقسم فلا تعيدوه فطاعتكم معروفة، أي معروف وهنها وانتفاؤها.وعلى احتمال استعمال النهي في عدم المطالبة باليمين يكون المعنى: لماذا تقسمون أفأنا أشك في حالكم فإن طاعتكم معروفة عندي، أي أعرف عدم وقوعها، والكلام تهكم أيضا.وعلى احتمال استعمال النهي في التسوية فالمعنى: قسمكم ونفيه سواء لأن أيمانكم فاجرة وطاعتكم معروفة.أو يكون طاعةمبتدأ محذوف الخبر، أي طاعة معروفة أولى من الأيمان، ويكون وصف معروفةمشتقا من المعرفة بمعنى العلم، أي طاعة تعلم وتتحقق أولى من الأيمان على طاعة غير واقعة، وهو كالعرفان في قولهم: لا أعرفنك تفعل كذا.وإن كان النهي مستعملا في حقيقته فالمعنى: لا تقسموا هذا القسم، أي على الخروج من دياركم وأموالكم لأن الله لا يكلفكم الطاعة إلا في معروف، فيكون وصف معروفةمشتقا من العرفان، أي عدم النكران كقوله تعالى: ولا يعصينك في معروف [الممتحنة: ١٢] .وجملة: إن الله خبير بما تعملونصالحة **لتذييل** الاحتمالات المتقدمة، وهي تعليل لما قبلها.[٥٤][سورة النور (٢٤) : آية ٥٤]قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٦٧/١٨

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٧٦/١٨

(٥٤)تلقين آخر للرسول– عليه الصلاة والسلام– بما يرد بهتانهم بقلة الاكتراث بمواعيدهم الكاذبة وأن يقتصروا من الطاعة على طاعة الله." (١)

"يحل لها ترك جلبابها، فيؤول المعنى، إلى أن يضعن ثيابهن في بيوتهن، ويكون تأكيدا لما تقدم في قوله تعالى:ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن [النور: ٣١] أي كونهن من القواعد لا يقتضي الترخيص لهن إلا في وضع ثيابهن وضعا مجردا عن قصد ترغيب فيهن.وجملة: والله سميع عليم مسوقة مساق **التذييل** للتحذير من التوسع في الرخصة أو جعلها ذريعة لما لا يحمد شرعا، فوصف «السميع» تذكير بأنه يسمع ما تحدثهن به أنفسهن من المقاصد، ووصف «العليم» تذكير بأنه يعلم أحوال وضعهن الثياب وتبرجهن ونحوها.[٦١][سورة النور (٢٤) : آية ٦١]ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحه أو صديقكم ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون (٦١)ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج.اختلف في أن قوله تعالى: ليس على الأعمى حرج إلخ منفصل عن قوله ولا على أنفسكم وأنه في غرض غير غرض الأكل في البيوت، أي فيكون من تمام آية الاستيذان، أو هو متصل بما بعده في غرض واحد.فقال بالأول الحسن وجابر بن زيد وهو مختار الجبائي وابن عطية وابن العربي وأبي حيان. وقال ابن عطية: إنه ظاهر الآية. وهو الذي نختاره تفاديا من التكلف الذي ذكره مخالفوهم لبيان اتصاله بما بعده في بيان وجه الرخصة لهؤلاء الثلاثة الأصناف في الطعام في البيوت المذكورة، ولأن في قوله: أن تأكلوا من بيوتكم إلى آخر المعدودات لا يظهر اتصاله بالأعمى والأعرج والمريض، فتكون هذه الآية نفيا للحرج عن هؤلاء الثلاثة فيما تجره ضرارتهم إليهم من الحرج من الأعمال، فالحرج مرفوع عنهم في كل ما تضطرهم إليه أعذارهم، فتقتضي نيتهم الإتيان فيه بالإكمال ويقتضي العذر أن يقع منهم.فالحرج منفي عن الأعمى في التكليف الذي يشترط فيه البصر، وعن الأعرج فيما يشترط فيه المشي والركوب، وعن المريض في التكليف." (٢)

"والمخالفة: المغايرة في الطريق التي يمشي فيها بأن يمشي الواحد في طريق غير الطريق الذي مشى فيه الآخر، ففعلها متعد. وقد حذف مفعوله هنا لظهور أن المراد الذين يخالفون الله، وتعدية فعل المخالفة بحرف (عن) لأنه ضمن معنى الصدود كما عدي ب (إلى) في قوله تعالى: وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه لما ضمن معنى الذهاب.يقال خالفه إلى الماء، إذا ذهب إليه دونه، ولو تركت تعديته بحرف جر لأفاد أصل المخالفة في الغرض المسوق له الكلام.وضمير عن أمره عائد إلى الله تعالى. والأمر هو ما تضمنه قوله: لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا فإن النهي عن الشيء يستلزم الأمر بضده فكأنه قال: اجعلوا لدعاء الرسول الامتثال في العلانية والسر. وهذا كقول ابن أبي ربيعة.فقلن لها سرا فديناك لا يرح ... صحيحا وإن لم تقتليه فألممفجعل قولهن: «لا يرح صحيحا» وهو نهي في معنى: اقتليه، فبنى عليه قوله: «وإن لم

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٨/٢٧٩

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١٨/٢٩٩

تقتليه فألم» .والحذر: تجنب الشيء المخيف. والفتنة: اضطراب حال الناس، وقد تقدمت عند قوله تعالى: والفتنة أشد من القتل في البقرة [١٩١] . والعذاب الأليم هنا عذاب الدنيا، وهو عذاب القتل.[٦٤][سورة النور (٢٤) : آية ٦٤]ألا إن لله ما في السماوات والأرض قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون إليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شيء عليم (٦٤)**تذييل** لما تقدم في هذه السورة كلها. وافتتاحه بحرف التنبيه إيذان بانتهاء الكلام وتنبيه للناس ليعوا ما يرد بعد حرف التنبيه، وهو أن الله." (١)

"مالك ما في السماوات والأرض، فهو يجازي عباده بما يستحقون وهو عالم بما يفعلون.ومعنى: ما أنتم عليه الأحوال الملابسين لها من خير وشر، فحرف الاستعلاء مستعار للتمكن.وذكرهم بالمعاد إذ كان المشركون والمنافقون منكرينه.وقوله: فينبئهم بما عملوا كناية عن الجزاء لأن إعلامهم بأعمالهم لو لم يكن كناية عن الجزاء لما كانت له جدوى.وقوله: والله بكل شيء عليم **تذييل** لجملة: قد يعلم ما أنتم عليه لأنه أعم منه.وفي هذه الآية لطيفة الاطلاع على أحوالهم لأنهم كانوا يسترون نفاقهم.." (٢)

"على تأويل ابن عطية من الوعد بإيتائه ذلك في الآخرة، أي بل هم لا يقنعون بأن حظ الرسول عند ربه ليس في متاع الدنيا الفاني الحقير ولكنه في خيرات الآخرة الخالدة غير المتناهية، أي أن هذا رد عليهم ومقنع لهم لو كانوا يصدقون بالساعة ولكنهم كذبوا بها فهم متمادون على ضلالهم لا تقنعهم الحجج.والساعة: اسم غلب على عالم الخلود، تسمية باسم مبدئه وهو ساعة البعث. وإنما قصر تكذيبهم على الساعة لأنهم كذبوا بالبعث فهم بما وراءه أحرى تكذيبا.وجملة: وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا معترضة بالوعيد لهم، وهو لعمومه يشمل المشركين المتحدث عنهم، فهو **تذييل**. ومن غرضه مقابلة ما أعد الله للمؤمنين في العاقبة بما أعده للمشركين.والسعير: الالتهاب، وهو فعيل بمعنى مفعول، أي مسعور، أي زيد فيها الوقود، وهو معامل معاملة المذكر لأنه من أحوال اللهب، وتقدم في قوله تعالى: كلما خبت زدناهم سعيرا في سورة الإسراء [٩٧] . وقد يطلق علما بالغلبة على جهنم وذلك على حذف مضاف، أي ذات سعير.[١٢- ١٤][سورة الفرقان (٢٥) : الآيات ١٢ إلى ١٤]إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا (١٢) وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا (١٣) لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا (١٤)تخلص من اليأس من اقتناعهم إلى وصف السعير الذي أعد لهم، وأجري على السعير ضمير رأتهم بالتأنيث لتأويل السعير بجهنم إذ هو علم عليها بالغلبة كما تقدم.وإسناد الرؤية إلى النار استعارة والمعنى: إذا سيقوا إليها فكانوا من النار بمكان ما يرى الرائي من وصل إليه سمعوا لها تغيظا وزفيرا من مكان." (٣)

"(١٦)الأمر بالقول يقتضي مخاطبا مقولا له ذلك: فيجوز أن يقصد: قل لهم، أي للمشركين الذين يسمعون الوعيد والتهديد السابق: «أذلك خير أم الجنة» ؟ فالجمل متصلة السياق، والاستفهام حينئذ للتهكم إذ لا شبهة في كون الجنة الموصوفة خيرا. ويجوز أن يقصد: قل للمؤمنين، فالجملة معترضة بين آيات الوعيد لمناسبة إبداء البون بين حال المشركين

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٣١١/١٨

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٣١٢/١٨

(٣) التحرير والتنويرابن عاشور ٣٣٢/١٨

وحال المؤمنين، والاستفهام حينئذ مستعمل في التلميح والتلطف. وهذا كقوله:أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم في سورة الصافات [٦٢] .والإشارة إلى المكان الضيق في جهنم.وخير اسم تفضيل، وأصله (أخير) بوزن اسم التفضيل فحذفت الهمزة لكثرة الاستعمال. والتفضيل على المحمل الأول في موقع الآية مستعمل للتهكم بالمشركين.وعلى المحمل الثاني مستعمل للتمليح في خطاب المؤمنين وإظهار المنة عليهم.ووصف الموعودين بأنهم متقون على المحمل الأول جار على مقتضى الظاهر، وعلى المحمل الثاني جار على خلاف مقتضى الظاهر لأن مقتضى الظاهر أن يؤتى بضمير الخطاب، فوجه العدول إلى الإظهار ما يفيده المتقون من العموم للمخاطبين ومنيجيء بعدهم.وجملة: كانت لهم جزاء ومصيرا **تذييل** لجملة: جنة الخلد التي وعد المتقون لما فيها من التنويه بشأن الجنة بتنكير جزاء ومصيرا مع الإيماء إلى أنهم وعدوا بها وعد مجازاة على نحو قوله تعالى: نعم الثواب وحسنت مرتفقا [الكهف: ٣١] وقوله:بئس الشراب وساءت مرتفقا في سورة الكهف [٣١- ٢٩] .وجملة: لهم فيها ما يشاؤن، حال من جنة الخلد أو صفة ثانية. وجملة:كان على ربك وعدا مسؤلا حال ثانية والرابط محذوف إذ التقدير: وعدا لهم.والضمير المستتر في: كان على ربك وعدا عائد إما إلى الوعد المفهوم." (١)

"ثم قرع سمعه توجه خطاب التكذيب إلى المشهود عليهم، وهو تفنن بديع في الحكاية يعتمد على تخييل المحكي واقعا، ومنه قوله تعالى: يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر [القمر: ٤٨] . فجملة فقد كذبوكم إلخ مستأنفة ابتدائية هو إقبال على خطاب الحاضرين وهو ضرب من الالتفات مثل قوله تعالى: واستغفري لذنبك بعد قوله: يوسف أعرض عن هذا [يوسف: ٢٩] .والباء في قوله: بما تقولون يجوز أن تكون بمعنى (في) للظرفية المجازية، أي كذبوكم تكذيبا واقعا فيما تقولون، ويجوز أن تكون للسببية، أي كذبوكم بسبب ما تقولون.و (ما) موصولة. والذي قالوه هو ما يستفاد من السؤال والجواب وهو أنهم قالوا إنهم دعوهم إلى أن يعبدوهم.وفرع على الإعلان بتكذيبهم إياهم تأييسهم من الانتفاع بهم في ذلك الموقف إذ بين لهم أنهم لا يستطيعون صرفا، أي صرف ضر عنهم، ولا نصرا، أي إلحاق ضر بمن يغلبهم. ووجه التفريع ما دل عليه قولهم سبحانك [الفرقان: ١٨] الذي يقتضي أنهم في موقف العبودية والخضوع.وقرأ الجمهور: يستطيعون بياء الغائب، وقرأه حفص بتاء الخطاب على أنه خطاب للمشركين الذين عبدوا الأصنام من دون الله.ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا.**تذييل** للكلام يشمل عمومه جميع الناس، ويكون خطاب منكم لجميع المكلفين.ويفيد ذلك أن المشركين المتحدث عنهم معذبون عذابا كبيرا: والعذاب الكبير هو عذاب جهنم.[٢٠][سورة الفرقان (٢٥) : آية ٢٠]وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا (٢٠)وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق.." (٢)

"النفسية لأن في تغييرهاإعداد نفوسهم لتلقي الفيوضات الإلهية.ولله تعالى حفاظ على نواميس نظام الخلائق والعوالم لأنه ما خلقها عبثا فهو لا يغيرها إلا بمقدار ما تتعلق به إرادته من تأييد الرسل بالمعجزات ونحو ذلك.وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا.**تذييل**، فضمير الخطاب في قوله: بعضكم يعم جميع الناس بقرينة السياق. وكلا البعضين

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٣٣٥/١٨

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٣٤٢/١٨

مبهم يبينه المقام. وحال الفتنة في كلا البعضين مختلف، فبعضها فتنة في العقيدة، وبعضها فتنة في الأمن، وبعضها فتنة في الأبدان.والإخبار عنه ب فتنة مجازي لأنه سبب الفتنة، وشمل أحد البعضين النبيء صلى الله عليه وسلم والمؤمنين معه، والبعض الآخر المشركين فكان حال الرسول فتنة للمشركين إذ زعموا أن حاله مناف للرسالة فلم يؤمنوا به وكان حال المؤمنين في ضعفهم فتنة للمشركين إذ ترفعوا عن الإيمان الذي يسويهم بهم، فقد كان أبو جهل والوليد بن المغيرة والعاصي بن وائل وأضرابهم يقولون: إن أسلمنا وقد أسلم قبلنا عمار بن ياسر وصهيب وبلال ترفعوا علينا إدلالا بالسابقة. وهذا كقول صناديد قوم نوح لا نؤمن حتى تطرد الذين آمنوا بك فقال:وما أنا بطارد الذين آمنوا إنهم ملاقوا ربهم ولكني أراكم قوما تجهلون ويا قوم من ينصرني من الله إن طردتهم أفلا تذكرون [هود: ٢٩، ٣٠] .وقال تعالى للنبيء صلى الله عليه وسلم: ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين [الأنعام: ٥٢، ٥٣] .." (١)

"والذكر: هو القرآن، أي نهاني عن التدبر فيه والاستماع له بعد أن قاربت فهمه.والمجيء في قوله: إذ جاءني مستعمل في إسماعه القرآن فكأن القرآن جاء حل عنده. ومنه قولهم: أتاني نبأ كذا، قال النابغة:أتاني- أبيت اللعن- أنك لمتني فإذا حمل الظالم في قوله: ويوم يعض الظالم على يديه على معين وهو عقبة بنأبي معيط فمعنى مجيء الذكر إياه أنه كان يجلس إلى النبيء صلى الله عليه وسلم ويأنس إليه حتى صرفه عن ذلك أبي بن خلف وحمله على عداوته وأذاته، وإذا حمل الظالم على العموم فمجيء الذكر هو شيوع القرآن بينهم، وإمكان استماعهم إياه. وإضلال خلانهم إياهم صرف كل واحد خليله عن ذلك، وتعاون بعضهم على بعض في ذلك.وقيل: الذكر: كلمة الشهادة، بناء على تخصيص الظالم بعقبة بن أبي معيط كما تقدم، وتأتي في ذلك الوجوه المتقدمة، فإن كلمة الشهادة لما كانت سبب النجاة مثلت بسبيل الرسول الهادي، ومثل الصرف عنها بالإضلال عن السبيل.وإذ ظرف للزمن الماضي، أي بعد وقت جاءني فيه الذكر، والإتيان بالظرف هنا دون أن يقال: بعد ما جاءني، أو بعد أن جاءني، للإشارة إلى شدة التمكن من الذكر لأنه قد استقر في زمن وتحقق، ومنه قوله تعالى: وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم [التوبة: ١١٥] أي تمكن هديه منهم.وجملة وكان الشيطان للإنسان خذولا **تذييل** من كلام الله تعالى لا من كلام الظالم تنبيها للناس على أن كل هذا الإضلال من عمل الشيطان فهو الذي يسول لخليل الظالم إضلال خليله لأن الشيطان خذول الإنسان، أي مجبول على شدة خذله.والخذل: ترك نصر المستنجد مع القدرة على نصره، وقد تقدم عند قوله تعالى:وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده في سورة آل عمران [١٦٠] .فإذا أعان على الهزيمة فهو أشد الخذل، وهو المقصود من صيغة المبالغة في." (٢)

"موضع الوصف فالأكثر حينئذ أن يخص بقريب زوج الرجل، وأما قريب زوج المرأة فهو ختن لها أو حم. ولا يخلو أحد عن آصرة صهر ولو بعيدا. وقد أشار إلى ما في هذا الخلق العجيب من دقائق نظام إيجاد طبيعي واجتماعي بقوله:

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٣٤٤/١٨

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١٦/١٩

وكان ربك قديرا، أي عظيم القدرة إذ أوجد من هذا الماء خلقا عظيما صاحب عقل وتفكير فاختص باتصال أواصر النسب وأواصر الصهر، وكان ذلك أصل نظام الاجتماع البشري لتكوين القبائل والشعوب وتعاونهم مما جاء بهذه الحضارة المرتقية مع العصور والأقطار قال تعالى: يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا [الحجرات: ١٣] .وفي تركيب وكان ربك قديرا من دقيق الإيذان بأن قدرته راسخة واجبة له متصف بها في الأزل بما اقتضاه فعل كان، وما في صيغة «قدير» من الدلالة على قوة القدرة المقتضية تمام الإرادة والعلم.[٥٥][سورة الفرقان (٢٥) : آية ٥٥]ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم وكان الكافر على ربه ظهيرا (٥٥)الواو للحال، وهذا مستعمل في التعجيب من استمرارهم في الشرك، أعقب ذكر ما نفع الله به الناس من إلطافه بهم في تصاريف الكائنات إذ جعل لهم الليل والنهار، وخلق لهم الماء فأنبت به الزرع وسقى به الناس والأنعام، مع ما قارنه من دلائل القدرة بذكر عبادتهم ما لا ينفع الناس عودا إلى حكاية شيء من أحوال مشركي مكة.ونفي الضر بعد نفي النفع للتنبيه على انتفاء شبهة عبدة الأصنام في شركهم لأن موجب العبادة إما رجاء النفع وإما اتقاء ضر المعبود وكلاهما منتف عن الأصنام بالمشاهدة.والتعبير بالفعل المضارع للدلالة على تجدد عبادتهم الأصنام وعدم إجداء الدلائل المقلعة عنها في جانبهم.وجملة وكان الكافر على ربه ظهيرا **تذييل** لما قبله، فاللام في تعريف الكافر للاستغراق، أي كل كافر على ربه ظهير.." (١)

"[سورة الفرقان (٢٥) : آية ٥٨]وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيرا (٥٨)عطف على جملة قل ما أسئلكم عليه من أجر [الفرقان: ٥٧] أي قل لهم ذلك وتوكل على الله في دعوتك إلى الدين فهو الذي يجازيك على ذلك ويجازيهم.والتوكل: الاعتماد وإسلام الأمور إلى المتوكل عليه وهو الوكيل، أي المتولي مهمات غيره، وقد تقدم في قوله تعالى: فإذا عزمت فتوكل على الله في آل عمران [١٥٩] .والحي الذي لا يموت هو الله تعالى. وعدل عن اسم الجلالة إلى هذين الوصفين لما يؤذن به من تعليل الأمر بالتوكل عليه لأنه الدائم فيفيد ذلك معنى حصر التوكل في الكون عليه، فالتعريف في الحي للكامل، أي الكامل حياته لأنها واجبة باقية مستمرة وحياة غيره معرضة للزوال بالموت ومعرضة لاختلال أثرها بالذهول كالنوم ونحوه فإنه من جنس الموت، فالتوكل على غيره معرض للاختلال وللانخرام. وفي ذكر الوصفين تعريض بالمشركين إذ ناطوا آمالهم بالأصنام وهي أموات غير أحياء.وفي الآية إشارة إلى أن المرء الكامل لا يثق إلا بالله لأن التوكل على الأحياء المعرضين للموت وإن كان قد يفيد أحيانا لكنه لا يدوم.وأما أمره بالتسبيح فهو تنزيه الله عما لا يليق به وأول ذلك الشركة في الإلهية، أي إذا أهمك أمر إعراض المشركين عن دعوة الإسلام فعليك نفسك فنزه الله.والباء في بحمده للمصاحبة، أي سبحه تسبيحا مصاحبا للثناء عليه بما هو أهله.فقد جمع له في هذا الأمر التخلية والتحلية مقدما التخلية لأن شأن الإصلاح أن يبدأ بإزالة النقص.وأمر النبيء صلى الله عليه وسلم يشمل الأمة ما لم يكن دليل على الخصوصية.وجملة وكفى به بذنوب عباده خبيرا اعتراض في آخر الكلام، فيفيد معنى **التذييل**لما فيه من الدلالة على عموم علمه تعالى بذنوب الخلق، ومن ذلك أحوال." (٢)

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٥٦/١٩

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٥٩/١٩

"الرسل من قبله مع أقوامهم مثل موسى وإبراهيم ونوح وهود وصالح ولوط وشعيب ولذلك ختم كل استدلال جيء به على المشركين المكذبين **بتذييل** واحد هو قوله: إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم [الشعراء: ١٩٠، ١٩١] تسجيلا عليهم بأن آيات الوحدانية وصدق الرسل عديدة كافية لمن يتطلب الحق ولكن أكثر المشركين لا يؤمنون وأن الله عزيز قادر على أن ينزل بهم العذاب وأنه رحيم برسله فناصرهم على أعدائهم.قال في «الكشاف» : كل قصة من القصص المذكورة في هذه السورة كتنزيل برأسه.وفيها من الاعتبار ما في غيرها، فكانت كل واحدة منها تدلي بحق في أن تختم بما اختتمت به صاحبتها، ولأن في التكرير تقريرا للمعاني في الأنفس وكلما زاد ترديده كان أمكن له في القلب وأرسخ في الفهم وأبعد من النسيان، ولأن هذه القصص طرقت بها آذان وقرت عن الإنصات للحق فكوثرت بالوعظ والتذكير وروجعت بالترديد والتكرير لعل ذلك يفتح أذنا أو يفتق ذهنا اه.ثم التنويه بالقرآن، وشهادة أهل الكتاب له، والرد على مطاعنهم في القرآن وجعله عضين، وأنه منزه عن أن يكون شعرا ومن أقوال الشياطين، وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بإنذار عشيرته، وأن الرسول ما عليه إلا البلاغ، وما تخلل ذلك من دلائل.[١][سورة الشعراء (٢٦) : آية ١]بسم الله الرحمن الرحيمطسم (١)يأتي في تفسيره من التأويلات ما سبق ذكره في جميع الحروف المقطعة في أوائل السور في معان متماثلة. وأظهر تلك المعاني أن المقصود التعريض بإلهاب نفوس المنكرين لمعارضة بعض سور القرآن بالإتيان بمثله في بلاغته وفصاحته وتحديهم بذلك والتورك عليهم بعجزهم عن ذلك.وعن ابن عباس: أن طسم قسم، وهو اسم من أسماء الله تعالى، والمقسم عليه قوله: إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية [الشعراء: ٤] . فقال القرظي: أقسم الله بطوله وسنائه وملكه. وقيل الحروف مقتضبة من أسماء الله تعالى ذي الطول، القدوس، الملك.وقد علمت في أول سورة البقرة أنها حروف للتهجي واستقصاء في." (١)

"والمشار إليه ب ذلك هو المذكور من الأرض، وإنبات الله الأزواج فيها، وما في تلك الأزواج من منافع وبهجة.والتأكيد بحرف إن لتنزيل المتحدث عنهم منزلة من ينكر دلالة ذلك الإنبات وصفاته على ثبوت الوحدانية التي هي باعث تكذيبهم الرسول لما دعاهم إلى إثباتها، وإفراد (آية) لإرادة الجنس، أو لأن في المذكور عدة أشياء في كل واحد منها آية فيكون على التوزيع.وجملة: وما كان أكثرهم مؤمنين عطف على جملة: إن في ذلك لآية إخبارا عنهم بأنهم مصرون على الكفر بعد هذا الدليل الواضح، وضمير أكثرهم عائد إلى معلوم من المقام كما عاد الضمير الذي في قوله: ألا يكونوا مؤمنين [الشعراء: ٣] ، وهم مشركو أهل مكة وهذا تحد لهم كقوله: ولن تفعلوا [البقرة: ٢٤] .وأسند نفي الإيمان إلى أكثرهم لأن قليلا منهم يؤمنون حينئذ أو بعد ذلك.وكان هنا مقحمة للتأكيد على رأي سيبويه والمحققين.وجملة: وإن ربك لهو العزيز الرحيم **تذييل** لهذا الخبر: بوصف الله بالعزة، أي تمام القدرة فتعلمون أنه لو شاء لعجل لهم العقاب، وبوصف الرحمة إيماء إلى أن في إمهالهم رحمة بهم لعلهم يشكرون، ورحيم بك. قال تعالى: وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب [الكهف: ٥٨] . وفي وصف الرحمة إيماء إلى أنه يرحم رسله بتأييده ونصره.واعلم أن هذا الاستدلال لما كان عقليا اقتصر عليه ولم يكرر بغيره من نوع الأدلة العقلية كما كررت الدلائل الحاصلة من العبرة بأحوال الأمم من قوله: وإذ نادى ربك موسى

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٩١/١٩

[الشعراء: ١٠] إلى آخر قصة أصحاب ليكة.[١٠، ١١][سورة الشعراء (٢٦) : الآيات ١٠ إلى ١١]وإذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين (١٠) قوم فرعون ألا يتقون (١١)شروع في عد آيات على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم بذكر عواقب المكذبين برسلهم." (١)

"هذين الوجهين ما بين الحالين وضمير (بينهما) للمشرق والمغرب فكأنه قيل وما بين المشرق والمغرب وما بين المغرب والمشرق، أي ما يقع في خلال ذلك من الأحوال، فأما ما بين الشروق والغروب فالضحى والزوال والعصر والاصفرار، وأما ما بين الغروب والشروق فالشفق والفجر والإسفار كلها دلائل على تكوين ذلك النظام العجيب المتقن.وقيل المراد برب المشرق والمغرب مالك الجهتين. وهذا التفسير يفيت مناسبة الكلام لمقام الاستدلال بعظيم ولا يلاقي **التذييل** الواقع بعده في قوله: إن كنتم تعقلون.وتانك الجهتان هما منتهى الأرض المعروفة للناس يومئذ فكأنه قيل: رب طرفي الأرض، وهو كناية عن كون جميع الأرض ملكا لله. وهذا استدلال عرفي إذ لم يكونوا يعرفون يومئذ ملكا يملك ما بين المشرق والمغرب، وما كان ملك فرعون المؤله عندهم إلا لبلاد مصر والسودان.**والتذييل** بجملة: إن كنتم تعقلون تنبيه لنظرهم العقلي ليعاودوا النظر فيدركوا وجه الاستدلال، أي إن كنتم تعملون عقولكم، ومن اللطائف جعل ذلك مقابل قول فرعون: إن رسولكم لمجنون، لأن الجنون يقابله العقل فكان موسى يقول لهم قولا لينا ابتداء، فلما رأى منهم المكابرة ووصفوه بالجنون خاشنهم في القول وعارض قول فرعون إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون [الشعراء: ٢٧] فقال: إن كنتم تعقلون أي إن كنتم أنتمالعقلاء، أي فلا تكونوا أنتم المجانين، وهذا كقول أبي تمام للذين قالا له: «لم تقول ما لا يفهم» قال: «لم لا تفهمان ما يقال» .[٢٩][سورة الشعراء (٢٦) : آية ٢٩]قال لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين (٢٩)لما لم يجد فرعون لحجاجه نجاحا ورأى شدة شكيمة موسى في الحق عدل عن الحجاج إلى التخويف ليقطع دعوة موسى من أصلها. وهذا شأن من قهرته الحجة، وفيه كبرياء أن ينصرف عن الجدل إلى التهديد.واللام في قوله: لئن اتخذت إلها موطئة للقسم. والمعنى أن فرعون أكد وعيده بما يساوي اليمين المجملة التي تؤذن بها اللام الموطئة في اللغة العربية كأن." (٢)

"أن يضرب بعصاه البحر وانفلق البحر طرقا مرت منها أسباط بني إسرائيل، واقتحم فرعون البحر فمد البحر عليهم حين توسطوه فغرق جميعهم.والفرق بكسر الفاء وسكون الراء: الجزء المفروق منه، وهو بمعنى مفعول مثل الفلق. والطود: الجبل.وأزلفنا قربنا وأدنينا، مشتق من الزلف بالتحريك وهو القرب. والظاهر أن فعله كفرح. ويقال: ازدلف: اقترب، وتزلف: تقرب، فهمزة أزلفنا للتعدية.والمعنى أن الله جرأهم حتى أرادوا اقتحام طرق البحر كما رأوا فعل بني إسرائيل يظنون أنه ماء غير عميق.والآخرون: هم قوم فرعون لوقوعه في مقابلة فريق بني إسرائيل.[٦٧، ٦٨][سورة الشعراء (٢٦) : الآيات ٦٧ إلى ٦٨]إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين (٦٧) وإن ربك لهو العزيز الرحيم (٦٨)تقدم القول في نظيره آنفا قبل قصة موسى. وكانت هذه القصة آية لأنها دالة على أن ذلك الانقلاب العظيم في أحوال الفريقين الخارج عن معتاد تقلبات الدول والأمم دليل على أنه تصرف إلهي خاص أيد به رسوله وأمته وخضد به شوكة أعدائهم ومن كفروا به، فهو آية على

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٠٢/١٩

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١٢١/١٩

عواقب تكذيب رسل الله مع ما تتضمنه القصة من دلائل التوحيد.ووجه **تذييل** كل استدلال من دلائل الوحدانية وصدق الرسل في هذه السورة بجملة:إن في ذلك لآية إلى آخرها تقدم في طالعة هذه السورة.." (١)

"ابتهال أرجى للقبول كالدعاء عقب الصلوات وعند إفطار الصائم ودعاء يوم عرفة والدعاء عند الزحف، وكلها فراغ من عبادات. ونظير ذلك دعاؤه عند الانتهاء من بناء أساس الكعبة المحكي في قوله تعالى: وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل إلى قوله: ربنا واجعلنا مسلمين لك إلى إنك أنت العزيز الحكيم [البقرة: ١٢٧- ١٢٩] وابتدأ بنفسه في أعمال هذا الدين كما قال تعالى حكاية عن موسى عليه السلام: وأنا أول المؤمنين [الأعراف: ١٤٣] ، وكما أمر رسوله محمد صلى الله عليه وسلم إذ قال: وأمرت لأن أكون أول المسلمين [الزمر: ١٢] .وللأوليات في الفضائل مرتبة مرغوبة، قال سعد بن أبي وقاص «أنا أول من رمى بسهم في سبيل الله» . وبضد ذلك أوليات المساويءففي الحديث: «ما من نفس تقتل ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها ذلك لأنه أول من سن القتل». وقد قابل إبراهيم في دعائه النعم الخمس التي أنعم الله بها عليه المذكورة في قوله:الذي خلقني فهو يهدين إلى قوله: يوم الدين [الشعراء: ٧٨- ٨٢] الراجعة إلى مواهب حسية بسؤال خمس نعم راجعة إلى الكمال النفساني كما أومأ إليه قوله: إلا من أتى الله بقلب سليم وأقحم بين طلباته سؤاله المغفرة لأبيه لأن ذلك داخل في قوله: ولا تخزني يوم يبعثون.فابتداء دعائه بأن يعطى حكما. والحكم: هو الحكمة والنبوءة، قال تعالى عن يوسف: آتيناه حكما وعلما [القصص: ١٤] أي النبوءة، وقد كان إبراهيم حين دعا نبيئا فلذلك كان السؤال طلبا للازدياد لأن مراتب الكمال لا حد لها بأن يعطى الرسالة معالنبوءة أو يعطى شريعة مع الرسالة، أو سأل الدوام على ذلك.ثم ارتقى فطلب إلحاقه بالصالحين. ولفظ الصالحين يعم جميع الصالحين من الأنبياء والمرسلين، فيكون قد سأل بلوغ درجات الرسل أولي العزم نوح وهود وصالح والشهداء والصالحين فجعل الصالحين آخرا لأنه يعم، فكان **تذييلا**.ثم سأل بقاء ذكر له حسن في الأمم والأجيال الآتية من بعده. وهذا يتضمن سؤال الدوام والختام على الكمال وطلب نشر الثناء عليه وهذا ما تتغذى به الروح." (٢)

"ذلك كالفذلكة لما قبله وهو بعمومه يتنزل منزلة **التذييل**.والمعزول: المبعد عن أمر فهو في عزلة عنه. وفي هذا إبطال للكهانة من أصلها وهي وإن كانت فيها شيء من الاتصال بالقوى الروحية في سالف الزمان فقد زال ذلك منذ ظهور الإسلام.[٢١٣][سورة الشعراء (٢٦) : آية ٢١٣]فلا تدع مع الله إلها آخر فتكون من المعذبين (٢١٣)لما وجه الخطاب إلى النبيء صلى الله عليه وسلم من قوله: نزل به الروح الأمين على قلبك [الشعراء: ١٩٣، ١٩٤] إلى هنا، في آيات أشادت بنزول القرآن من عند الله تعالى وحققت صدقه بأنه مذكور في كتب الأنبياء السالفين وشهد به علماء بني إسرائيل، وأنحى على المشركينبإبطال ما ألصقوه بالقرآن من بهتانهم، لا جرم اقتضى ذلك ثبوت ما جاء به القرآن. وأصل ذلك هو إبطال دين الشرك الذي تقلدته قريش وغيرها وناضلت عليه بالأكاذيب فناسب أن يتفرع عليه النهي عن الإشراك بالله والتحذير منه.فقوله: فلا تدع مع الله إلها آخر خطاب لغير معين فيعم كل من يسمع هذا الكلام، ويجوز أن يكون الخطاب

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٣٦/١٩

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١٤٥/١٩

موجها إلى النبيء صلى الله عليه وسلم لأنه المبلغ عن الله تعالى فللاهتمام بهذا النهي وقع توجيهه إلى النبيء صلى الله عليه وسلم مع تحقق أنه منته عن ذلك، فتعين أن يكون النهي للذين هم متلبسون بالإشراك، ونظير هذا قوله تعالى: ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين [الزمر: ٦٥] . والمقصود من مثل ذلك الخطاب غيره ممن يبلغه الخطاب.فالمعنى: فلا تدعوا مع الله إلها آخر فتكونوا من المعذبين. وفي هذا تعريض بالمشركين أنهم سيعذبون للعلم بأن النبيء صلى الله عليه وسلم وأصحابه غير مشركين.[٢١٤][سورة الشعراء (٢٦) : آية ٢١٤]وأنذر عشيرتك الأقربين (٢١٤)عطف على قوله: نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين [الشعراء:١٩٣، ١٩٤] ، فهو تخصيص بعد تعميم للاهتمام بهذا الخاص. ووجه الاهتمام أنهم أولى الناس بقبول." [(١)]

"وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.ناسب ذكر الظلم أن ينتقل منه إلى وعيد الظالمين وهم المشركون الذين ظلموا المسلمين بالأذى والشتم بأقوالهم وأشعارهم. وجعلت هذه الآية في موقع **التذييل** فاقتضت العموم في مسمى الظلم الشامل للكفر وهو ظلم المرء نفسه وللمعاصي القاصرة على النفس كذلك، وللاعتداء على حقوق الناس. وقد تلاها أبو بكر في عهده إلى عمر بالخلافة بعده، والواو اعتراضية للاستئناف.وهذه الآية تحذير عن غمص الحقوق وحث عن استقصاء الجهد في النصح للأمة وهي ناطقة بأهيب موعظة وأهول وعيد لمن تدبرها لما اشتملت عليه من حرف التنفيس المؤذن بالاقتراب، ومن اسم الموصول المؤذن بأن سوء المنقلب يترقب الظالمين لأجل ظلمهم، ومن الإبهام في قوله: أي منقلب ينقلبون إذ ترك تبيينه بعقاب معين لتذهل نفوس الموعدين في كل مذهب ممكن من هول المنقلب وهو على الإجمال منقلب سوء.والمنقلب: مصدر ميمي من الانقلاب وهو المصير والمآل، لأن الانقلاب هو الرجوع. وفعل العلم معلق عن العمل بوجود اسم الاستفهام بعده. واسم الاستفهام في موضع نصب بالنيابة عن المفعول المطلق الذي أضيف هو إليه. قال في «الكشاف» : وكان السلف الصالح يتواعظون بها ويتناذرون شدتها.." [(٢)]

"للصفات التي أجريت على اسم الجلالة وهو المقصود من هذا **التذييل**، أي ليس لغير الله شبهة إلهية.وقوله: رب العرش العظيم أي مالك الفلك الأعظم المحيط بالعوالم العليا وقد تقدم. وفي هذا تعريض بأن عظمة ملك بلقيس وعظم عرشها ما كان حقيقا بأن يغرها بالإعراض عن عبادة الله تعالى لأن الله هو رب الملك الأعظم، فتعريف العرش للدلالة على معنى الكمال. ووصفه ب العظيم للدلالة على كمال العظم في تجسم النفاسة.وفي منتهى هذه الآية موضع سجود تلاوة تحقيقا للعمل بمقتضى قوله: ألا يسجدوالله. وسواء قرىء بتشديد اللام من قوله: ألا يسجدوا أم بتخفيفها لأن مآل المعنى على القراءتين واحد وهو إنكار سجودهم لغير الله لأن الله هو الحقيق بالسجود.[٢٧][سورة النمل (٢٧) : آية ٢٧]قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين (٢٧)تقدم عند قوله: فقال أحطت بما لم تحط به [النمل: ٢٢] بيان وجه تطلب سليمان تحقيق صدق خبر الهدهد. والنظر هنا نظر العقل وهو التأمل، لا سيما وإقحام كنت أدخل في نسبته إلى الكذب من صيغة أصدقت لأن فعل كنت من الكاذبين يفيد الرسوخ في الوصف بأنه كائن عليه. وجملة: من الكاذبين أشد في

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٩/٢٠٠

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١٩/٢١٣

النسبة إلى الكذب بالانخراط في سلك الكاذبين بأن يكون الكذب عادة له. وفي ذلك إيذان بتوضيح تهمته بالكذب ليتخلص من العقاب، وإيذان بالتوبيخ والتهديد وإدخال الروع عليه بأن كذبه أرجح عند الملك ليكون الهدهد مغلبا الخوف على الرجاء، وذلك أدخل في التأديب على مثل فعلته وفي حرصه على تصديق نفسه بأن يبلغ الكتاب الذي يرسله معه.[٢٨][سورة النمل (٢٧) : آية ٢٨]اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون (٢٨)الجملة مبينة لجملة سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين [النمل: ٢٧] لأن فيما." (١)

"حق إيمانكم حين لم تزلزله وساوس الشيطان عند الاستقبال إلى قبلة لا تودونها، وإن فسر الإيمان بالصلاة كان التقدير ما كان الله ليضيع فضل صلاتكم أو ثوابها، وفي إطلاق اسم الإيمان على الصلاة تنويه بالصلاة لأنها أعظم أركان الإيمان، وعن مالك: «إني لأذكر بهذا قول المرجئة الصلاة ليست من الإيمان» .ومعنى حديث البخاري والترمذي أن المسلمين كانوا يظنون أن نسخ حكم، يجعل المنسوخ باطلا فلا تترتب عليه آثار العمل به فلذلك توجسوا خيفة على صلاة إخوانهم اللذين ماتوا قبل نسخ استقبال بيت المقدس مثل أسعد بن زرارة والبراء بن معرور وأبي أمامة، وظن السائلون أنهم سيجب عليهم قضاء ما صلوه قبل النسخ ولهذا أجيب سؤالهم بما يشملهم ويشمل من ماتوا قبل فقال إيمانكم، ولم يقل إيمانكم على حسب السؤال.**والتذييل** بقوله: إن الله بالناس لرؤف رحيم تأكيد لعدم إضاعة إيمانهم ومنة وتعليم بأن الحكم المنسوخ إنما يلغى العمل به في المستقبل لا في ما مضى. والرءوف الرحيم صفتان مشبهتان مشتقة أولاهما من الرأفة والثانية من الرحمة. والرأفة مفسرةبالرحمة في إطلاق كلام الجمهور من أهل اللغة وعليه درج الزجاج وخص المحققون من أهل اللغة الرأفة بمعنى رحمة خاصة، فقال أبو عمرو بن العلاء الرأفة أكثر من الرحمة أي أقوى أي هي رحمة قوية، وهو معنى قول الجوهري الرأفة أشد الرحمة، وقال في «المجمل» الرأفة أخص من الرحمة ولا تكاد تقع في الكراهية والرحمة تقع في الكراهية للمصلحة، فاستخلص القفال من ذلك أن قال: الفرق بين الرأفة والرحمة أن الرأفة مبالغة في رحمة خاصة وهي دفع المكروه وإزالة الضر كقوله تعالى: ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله [النور: ٢] ، وأما الرحمة فاسم جامع يدخل فيه ذلك المعنى ويدخل فيه الإفضال والإنعام اهـ. وهذا أحسن ما قيل فيها واختاره الفخر وعبد الحكيم وربما كان مشيرا إلى أن بين الرأفة والرحمة عموما وخصوصا مطلقا وأيا ما كان معنى الرأفة فالجمع بين رءوف ورحيم في الآية يفيد توكيد مدلول أحدهما بمدلول الآخر بالمساواة أو بالزيادة. وأما على اعتبار تفسير المحققين لمعنى الرأفة والرحمة فالجمع بين الوصفين لإفادة أنه تعالى يرحم الرحمة القوية لمستحقها ويرحم مطلق الرحمة من دون ذلك.." (٢)

"ويستلزم وعيدا للكافرين علعكس ما تقتضيه القراءة السابقة وعلى القراءتين فهو **تذييل** إجمالي ليأخذ كل حظه منه وهو اعتراض بين جملة: وإن الذين أوتوا وجملة: ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب [البقرة: ١٤٥] الآية.وفي قوله: ليعلمون وقوله: عما يعملون [البقرة: ٩٦] الجناس التام المحرف على قراءة الجمهور والجناس الناقص المضارع على قراءة ابن عامر ومن وافقه.[١٤٥][سورة البقرة (٢) : آية ١٤٥]ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٥٦/١٩

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٥/٢

قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين (١٤٥)ولئن أتيت عطف على قوله: وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون [البقرة: ١٤٤] ، والمناسبة أنهم يعلمون ولا يعملون فلما أفيد أنهم يعلمون أنه الحق على الوجه المتقدم في إفادته التعريض بأنهم مكابرون ناسبت أن يحقق نفي الطمع في اتباعهم القبلة لدفع توهم أن يطمع السامع باتباعهم لأنهم يعلمون أحقيتها، فلذا أكدت الجملة الدالة على نفي اتباعهم بالقسم واللام الموطئة، وبالتعليق على أقصى ما يمكن عادة.والمراد بالذين أوتوا الكتاب عين المراد من قوله: وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون على ما تقدم فإن ما يفعله أحبارهم يكون قدوة لعامتهم فإذا لم يتبع أحبارهم قبلة الإسلام فأجدر بعامتهم أن لا يتبعوها.ووجه الإظهار في مقام الإضمار هنا الإعلان بمذمتهم حتى تكون هذه الجملة صريحة في تناولهم كما هو الشأن في الإظهار في موقع الإضمار أن يكون المقصود منه زيادة العناية والتمكن في الذهن.والمراد بكل آية آيات متكاثرة والمراد بالآية الحجة والدليل على أن استقبال الكعبة هو قبلة الحنيفية. وإطلاق لفظ (كل) على الكثرة شائع في كلام العرب قال امرؤ القيس:." (١)

"[سورة البقرة (٢) : آية ١٤٧]الحق من ربك فلا تكونن من الممترين (١٤٧)تذييل لجملة: وإن فريقا منهم ليكتمون الحق [البقرة: ١٤٦] ، على أنه خبر مبتدأ محذوف تقديره هذا الحق، وحذف المسند إليه في مثل هذا مما جرى على متابعة الاستعمال في حذف المسند إليه بعد جريان ما يدل عليه مثل قولهم بعد ذكر الديار «ربع قواء» وبعد ذكر الممدوح «فتى» ونحو ذلك كما نبه عليه صاحب «المفتاح» . وقوله: فلاتكونن من الممترينهى عن أن يكون من الشاكين في ذلك والمقصود من هذا.والتعريف في الحق تعريف الجنس كما في قوله: الحمد لله [الفاتحة: ٢] وقولهم الكرم في العرب هذا التعريف لجزئي الجملة الظاهر والمقدر يفيد قصر الحقيقة على الذي يكتمونه وهو قصر قلب أي لا ما يظهرونه من التكذيب وإظهار أن ذلك مخالف للحق.والامتراء افتعال من المراء وهو الشك، والافتعال فيه ليس للمطاوعة ومصدر المرية لا يعرف له فعل مجرد بل هو دائما بصيغة الافتعال.والمقصود من خطاب النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: ولئن اتبعت [البقرة: ١٢٠] ، وقوله:فلا تكونن من الممترين تحذير الأمة وهذه عادة القرآن في كل تحذير مهم ليكون خطاب النبيء بمثل ذلك وهو أقرب الخلق إلى الله تعالى وأولاهم بكرامته دليلا على أن من وقع في مثل ذلك من الأمة قد حقت عليه كلمة العذاب، وليس له من النجاة باب، ويجوز أن يكون الخطاب في قوله: من ربك وقوله: فلا تكونن خطابا لغير معين من كل من يصلح لها الخطاب.[١٤٨][سورة البقرة (٢) : آية ١٤٨]ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات أين ما تكونوا يأت بكم الله جميعا إن الله على كل شيء قدير (١٤٨)عطف على جملة: الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم [البقرة: ١٤٦] ، فهو من تمام الاعتراض، أو عطف على جملة: ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك [البقرة: ١٤٥] مع اعتبار ما استؤنف عنه من الجمل، ذلك أنه بعد أن لقن الرسول عليه الصلاة والسلام ما يجيب به عن قولهم ما ولاهم عن

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢/٣٥

قبلتهم، وبعد أن بين للمسلمين فضيلة قبلتهم وأنهم على الحق وأيأسهم من ترقب اعتراف اليهود بصحة استقبال الكعبة، ذيل ذلك." (١)

"بهذا **التذييل** الجامع لمعان سامية، طيا لبساط المجادلة مع اليهود في أمر القبلة، كما يقال في المخاطبات «دع هذا» أو «عد عن هذا» ، والمعنى أن لكل فريق اتجاها من الفهم والخشية عند طلب الوصول إلى الحق. وهذا الكلام موجه إلى المسلمين أي اتركوا مجادلة أهل الكتاب في أمر القبلة ولا يهمنكم خلافهم فإن خلاف المخالف لا يناكد حق المحق. وفيه صرف للمسلمين بأن يهتموا بالمقاصد ويعتنوا بإصلاح مجتمعهم، وفي معناه قوله تعالى: ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر [البقرة: ١٧٧] الآية، ولذلك أعقبه بقوله: استبقواالخيرات، فقوله: ين ما تكونوافي معنى التعليل للأمر باستباق الخيرات. فهكذا ترتيب الآية على هذا الأسلوب كترتيب الخطب بذكر مقدمة ومقصد وبيان له وتعليل **وتذييل**.و (كل) اسم دال على الإحاطة والشمول، وهو مبهم يتعين بما يضاف هو إليه فإذا حذف المضاف إليه عوض عنه تنوين كل وهو التنوين المسمى تنوين العوض لأنه يدل على المضاف إليه فهو عوض عنه.وحذف ما أضيف إليه (كل) هنا لدلالة المقام عليه وتقدير هذا المحذوف (أمة) لأن الكلام كله في اختلاف الأمم في أمر القبلة، وهذا المضاف إليه المحذوف يقدر بما يدل عليه الكلام من لفظه كما في قوله تعالى: آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله [البقرة: ٢٨٥] أو يقدر بما يدل عليه معنى الكلام المتقدم دون لفظ تقدمه كما في قوله تعالى: ولكل جعلنا موالي [النساء: ٣٣] في سورة النساء، ومنه ما في هذه الآية لأن الكلام على تخالف اليهود والنصارى والمسلمين في قبلة الصلاة، فالتقدير ولكل من المسلمين واليهود والنصارى وجهة، وقد تقدم نظيره عند قوله تعالى: كل له قانتون [البقرة: ١١٦] .والوجهة حقيقتها البقعة التي يتوجه إليها فهي وزن فعلة مؤنث فعل الذي هو بمعنى مفعول مثل ذبح، ولكونها اسم مكان لم تحذف الواو التي هي فاء الكلمة عند اقتران الاسم بهاء التأنيث لأن حذف الواو في مثله إنما يكون في فعلة بمعنى المصدر.وتستعار الوجهة لما يهتم به المرء من الأمور تشبيها بالمكان الموجه إليه تشبيه معقول بمحسوس، ولفظجهةفي الآية صالح للمعنيين الحقيقي والمجازي فالتعبير به كلام موجه وهو من المحاسن، وقريب منه قوله: لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا [المائدة: ٤٨] .." (٢)

"و (كان) تامة أي في أي موضع توجدون من مواقع الخير ومواقع السوء.والإتيان بالشيء جلبه وهو مجاز في لازم حقيقته فمن ذلك استعماله في القرب والطاعة. قال حميد بن ثور يمدح عبد الملك بن مروان:أتاك بي الله الذي نور الهدى ... ونور وإسلام عليك دليلأراد سخرني إليك،وفي الحديث: «اللهم اهد دوسا وأت بها»أي اهدها وقربها للإسلام ويستعمل في القدرة على الشيء وفي العلم به كما في قوله تعالى: إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السماوات أو في الأرض يأت بها الله [لقمان:١٦] .وتجيء أقوال في تفطسير أينما تكونوا على حسب الأقوال في تفسير لكل وجهةبأن يكون المعنى تقبل الله أعمالكم في استباق الخيرات فإنه المهم، لا استقبال الجهات أو المعنى إنكم إنما تستقبلون ما يذكركم

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢/٤١

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢/٤٢

بالله فاسعوا في مرضاته بالخيرات يعلم الله ذلك من كل مكان، أو هو ترهيب أي في أية جهة يأت الله بكم فيثيت ويعاقب، أو هو تحريض على المبادرة بالعمل الصالح أي فأنتم صائرون إلى الله من كل مكان فبادروا بالطاعة قبل الفوت بالموت، إلى غير ذلك من الوجوه.وقوله: ن الله على كل شيء قدير**تذييل** يناسب جميع المعاني المذكورة.[١٤٩، ١٥٠][سورة البقرة (٢) : الآيات ١٤٩ إلى ١٥٠]ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وإنه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون (١٤٩) ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني ولأتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون (١٥٠)عطف قوله: ومن حيث خرجت على قوله: فول وجهك شطر المسجد الحرام [البقرة: ١٤٤] عطف حكم على حكم من جنسه للإعلام بأن استقبال الكعبة في الصلاة المفروضة لا تهاون في القيام به ولو في حالة العذر كالسفر، فالمراد من حيث خرجت من كل مكان خرجت." (١)

"ولذلك وقع التعبير بالمضارع في قوله:لمن يقتل في سبيل الله المشعر بأنه أمر مستقبل وهم الذين قتلوا في وقعة بدر بعيد نزول هذه الآية.وقد تقدم القول في نظير هذه الآية عند قوله تعالى: واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة [البقرة: ٤٥] الآية إلا أنا نقول هنا إن الله تعالى قال لبني إسرائيل: إنها لكبيرة علما منه بضعف عزائمهم عن عظائم الأعمال وقال هنالك إلا على الخاشعين ولم يذكر مثل هذا هنا، وفي هذا إيماء إلى أن المسلمين قد يسر لهم ما يصعب على غيرهم، وأنهم الخاشعون الذين استثناهم الله هنالك، وزاد هنا فقال: إن الله مع الصابرين فبشرهم بأنهم ممن يمتثل هذا الأمر ويعد لذلك في زمرة الصابرين.وقوله: إن الله مع الصابرين **تذييل** في معنى التعليل أي اصبروا ليكون الله معكم لأنه مع الصابرين.وقوله: ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء عطف النهي على الأمر قبله لمناسبة التعرض للغزو مما يتوقع معه القتل في سبيل الله، فلما أمروا بالصبر عرفوا أن الموت في سبيل الله أقوى ما يصبرون عليه، ولكن نبه مع ذلك على أن هذا الصبر ينقلب شكرا عند ما يرى الشهيد كرامته بعد الشهادة، وعند ما يوقن ذووه بمصيره من الحياة الأبدية، فقوله: ولا تقولوا نهي عن القول الناشئ عن اعتقاد، ذلك لأن الإنسان لا يقول إلا ما يعتقد فالمعنى ولا تعتقدوا، والظاهر أن هذا تكميل لقوله: وما كان الله ليضيع إيمانكم [البقرة: ١٤٣] كما تقدم من حديث البراء فإنه قال: «قتل أناس قبل تحويل القبلة» ، فأعقب قوله: وما كان الله ليضيع إيمانكم بأن فضيلة شهادتهم غير منقوصة.وارتفع أموات على أنه خبر لمبتدأ محذوف أي لا تقولوا هم أموات.وبل للإضراب الإبطالي إبطالا لمضمون المنهي عن قوله، والتقدير بل هم أحياء، وليس المعنى بل قولوا هم أحياء لأن المراد إخبار المخاطبين هذا الخبر العظيم،فقوله: «أحياء» هو خبر مبتدأ محذوف وهو كلام مستأنف بعد بل الإضرابية.وإنما قال: ولكن لا تشعرون للإشارة إلى أنها حياة غير جسمية ولا مادية." (٢)

"لإخراج طواف القدوم فإنه وإن كان فعلا بجميع البدن إلا أنه به مثيل مفروض وهو الإفاضة فأغنى عن جعله فرضا، ولقوله في الحديث: «اسعوا فإن الله كتب عليكم السعي» (١) ، والأمر ظاهر في الوجوب، والأصل أن الفرض والواجب

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢/٤٤

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢/٥٣

مترادفان عندنا في الحج، فالواجب دون الفرض لكن الوجوب الذي هو مدلول الأمر مساو للفرض.وذهب أبو حنيفة إلى أنه واجب ينجبر بالنسك واحتج الحنفية لذلك بأنه لم يثبت بدليل قطعي في الدلالة فلا يكون فرضا بل واجبا لأن الآية قطعية المتن فقط والحديث ظني فيهما، والجواب أن مجموع الظواهر من القول والفعل يدل على الفرضية وإلا فالوقوف بعرفة لا دليل على فرضيته وكذلك الإحرام فمتى يثبت هذا النوع المسمى عندهم بالفرض؟ وذهب جماعة من السلف إلى أنه سنة.وقوله: ومن تطوع خيرا فإن الله شاكر عليم **تذييل** لما أفادته الآية من الحث على السعي بين الصفا والمروة بمفاد قوله: من شعائر الله، والمقصد من هذا **التذييل** الإتيان بحكم كلي في أفعال الخيرات كلها من فرائض ونوافل أو نوافل فقط فليس المقصود من خيرا خصوص السعي لأن خيرا نكرة في سياق الشرط فهي عامة ولهذا عطفت الجملة بالواو دون الفاء لئلا يكون الخير قاصرا على الطواف بين الصفا والمروةبخلاف قوله تعالى في آية الصيام في قوله: وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له [البقرة: ١٨٤] لأنه أريد هنالك بيان أن الصوم مع وجود الرخصة في الفطر أفضل من تركه أو أن الزيادة على إطعام مسكين أفضل من الاقتصار عليه كما سيأتي.وتطوع يطلق بمعنى فعل طاعة وتكلفها، ويطلق مطاوع طوعه أي جعله مطيعا فيدل على معنى التبرع غالبا لأن التبرع زائد في الطاعة. وعلى الوجهين فانتصاب خيرا على نزع الخافض أي تطوع بخير أو بتضمين تطوع معنى فعل أو أتى. ولما كانت الجملة **تذييلا** فليس فيها دلالة على أن السعي من التطوع أي من المندوبات لأنها لإفادة حكم كلي بعد ذكر تشريع عظيم، على أن تطوع لا يتعين لكونه بمعنى تبرع بل يحتمل معنى أتى بطاعة أو تكلف طاعة.__________(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٦/ ٤٢١) ، ط الحلبي.." (١)

"قال تعالى: ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين [البقرة:١٠٥] الآية وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم [البقرة: ١١٨] فلما استؤنف الكلام ببيان لعنة أهل الكتاب الذين يكتمون عقب ذلك ببيان عقوبة المشركين أيضا فالقول في الاستئناف هنا كالقول في الاستئناف في قوله: إن الذين يكتمون [البقرة: ١٥٩] من كونه بيانيا أو مجردا.وقال الفخر الذين كفروا عام وهو شامل للذين يكتمون وغيرهم والجملة **تذييل** أي لما فيها من تعميم الحكم بعد إناطته ببعض الأفراد، وجعل في «الكشاف» المراد من الذين كفروا خصوص الذين يكتمون (١) وماتوا على ذلك وأنه ذكر لعنتهم أحياء ثم لعنتهم أمواتا، وهو بعيد عن معنى الآية لأن إعادة وكفروا لا نكتة لها للاستغناء بأن يقال والذين ماتوا وهم كفار، على أنه مستغنى عن ذلك أيضا بأنه مفاد الجملة السابقة مع استثنائها، واللعنة لا يظهر أثرها إلا بعد الموت فلا معنى لجعلهما لعنتين، ولأن تعقيبه بقوله: وإلهكم إله واحد [البقرة: ١٦٣] يؤذن بأن المراد هنا المشركون لتظهر مناسبة الانتقال.وإنما قال هنا والناس أجمعين لأن المشركين يلعنهم أهل الكتاب وسائر المتدينين الموحدين للخالق بخلاف الذين يكتمون ما أنزل من البينات فإنما يلعنهم الله والصالحون من أهل دينهم كما تقدم وتلعنهم الملائكة، وعموم (الناس) عرفي أي الذين هم من أهل التوحيد.وقوله: خالدين فيها تصريح بلازم اللعنة الدائمة فالضمير عائد لجهنم لأنها معروفة من المقام مثل حتى توارت بالحجاب [ص: ٣٢] ، كلا إذا بلغت التراقي [القيامة: ٢٦] ، ويجوز

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢/٦٤

أن يعود إلى اللعنة ويراد أثرها ولازمها.وقوله: لا يخفف عنهم العذاب أي لأن كفرهم عظيم يصدهم عن خيرات كثيرة بخلاف كفر أهل الكتاب.والإنظار الإمهال، نطره نظره أمهله، والظاهر أن المراد ولا هم يمهلون في نزول العذاب بهم في الدنيا وهو عذاب القتل إذ لا يقبل منهم إلا الإسلام دون الجزية بخلاف أهل الكتاب وهذا كقوله تعالى: إنا كاشفوا العذاب قليلا إنكم عائدون، يوم نبطشالبطشة الكبرى إنا منتقمون [الدخان: ١٥، ١٦] وهي بطشة يوم بدر.____________(١) يشير إلى قوله تعالى السابق: إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات [البقرة: ١٥٩] .." (١)

"والكرة الرجعة إلى محل كان فيه الراجع وهي مرة من الكر ولذلك تطلق في القرآن على الرجوع إلى الدنيا لأنه رجوع لمكان سابق، وحذف متعلق (الكرة) هنا لظهوره.والكاف في كما تبرءوا للتشبيه استعملت في المجازاة لأن شأن الجزاء أن يماثل الفعل المجازى قال تعالى: وجزاء سيئة سيئة مثلها [الشورى: ٤٠] ، وهذه الكاف قريبة من كاف التعليل أو هي أصلها وأحسن ما يظهر فيه معنى المجازاة في غير القرآن قول أبي كبير الهذلي:أهز به في ندوة الحي عطفه ... كما هز عطفي بالهجان الأواركويمكن الفرق بين هذه الكاف وبين كاف التعليل أن المذكور بعدها إن كان من نوع المشبه كما في الآية وبيت أبي كبير جعلت للمجازاة، وإن كان من غير نوعه وما بعد الكاف باعث على المشبه كانت للتعليل كما في قوله تعالى: واذكروه كما هداكم [البقرة:١٩٨] .والمعنى أنهم تمنوا أن يعودوا إلى الدنيا بعد ما علموا الحقيقة وانكشف لهم سوء صنيعهم فيدعوهم الرؤساء إلى دينهم فلا يجيبونهم ليشفوا غيظهم من رؤسائهم الذين خذلوهم ولتحصل للرؤساء خيبة وانكسار كما خيبوهم في الآخرة.فإن قلت هم إذا رجعوا رجعوا جميعا عالمين بالحق فلا يدعوهم الرؤساء إلى عبادة الأوثان حتى يمتنعوا من إجابتهم، قلت باب التمني واسع فالأتباع تمنوا أن يعودوا إلى الدنيا عالمين بالحق ويعود المتبوعون في ضلالهم السابق وقد يقال اتهم الأتباع متبوعيهم بأنهم أضلوهم على بصيرة لعلمهم غالبا والأتباع مغرورون لجهلهم فهم إذا رجعوا جميعا إلى الدنيا رجع المتبوعون على ما كانوا عليه من التضليل على علم بناء على أن ما رأوه يوم القيامة لم يزعهم لأنهم كانوا من قبل موقنين بالمصير إليه ورجع الأتباع عالمين بمكر المتبوعين فلا يطيعونهم.وجملة كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم **تذييل** وفذلكة لقصة تبري المتبوعين من أتباعهم.والإشارة في قوله: كذلك يريهم الله للإراءة المأخوذة من يريهم على أسلوب وكذلك جعلناكم أمة وسطا [البقرة: ١٤٣] .." (٢)

"والمعنى أن الله يريهم عواقب أعمالهم إراء مثل هذا الإراء إذ لا يكون إراء لأعمالهم أوقع منه فهو تشبيه الشيء بنفسه باختلاف الاعتبار كأنه يرام أن يريهم أعمالهم في كيفية شنيعة فلم يوجد أشنع من هذه الحالة، وهذا مثل الإخبار عن المبتدأ بلفظه في نحو شعري شعري، أو بمرادفه نحو والسفاهة كاسمها، وقد تقدم تفصيله عند قوله تعالى:وكذلك جعلناكم أمة وسطا.والإراءة هنا بصرية ولذلك فقوله: حسرات عليهم حال من أعمالهم ومعنى يريهم الله أعمالهم يريهم ما هو عواقب أعمالهم لأن الأعمال لا تدرك بالبصر لأنها انقضت فلا يحسون بها.والحسرة حزن في ندامة وتلهف وفعله كفرح واشتقاقها من الحسر وهو الكشف لأن الكشف عن الواقع هو سبب الندامة على ما فات من عدم الحيطة له.وقوله: وما هم بخارجين

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٧٣/٢

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٩٩/٢

من النار حال أو اعتراض في آخر الكلام لقصد **التذييل** لمضمون كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم لأنهم إذا كانوا لا يخرجون من النار تعين أن تمنيهم الرجوع إلى الدنيا وحدوث الخيبة لهم من صنع رؤسائهم لا فائدة فيه إلا إدخال ألم الحسرات عليهم وإلا فهم باقون في النار على كل حال.وعدل عن الجملة الفعلية بأن يقال «وما يخرجون» إلى الاسمية للدلالة على أن هذا الحكم ثابت أنه من صفاتهم، وليس لتقديم المسند إليه هنا نكتة، إلا أنه الأصل في التعبير بالجملة الاسمية في مثل هذا إذ لا تتأتى بسوى هذا التقديم، فليس في التقديم دلالة على اختصاص لما علمت ولأن التقديم على المسند المشتق لا يفيد الاختصاص عند جمهور أئمة المعاني، بل الاختصاص مفروض في تقديمه على المسند الفعلي خاصة، ولأجل ذلك صرح صاحب «الكشاف» تبعا للشيخ عبد القاهر بأن موقع الضمير هنا كموقعه في قول المعذل البكري:هم يفرشون اللبد كل طمرة ... وأجرد سباق يبذ المغاليافي دلالته على قوة أمرهم فيما أسند إليهم لا على الاختصاص اه.وادعى صاحب «المفتاح» أن تقديم المستند إليه على المسند المشتق قد يفيدالاختصاص." (١)

"وهذا تحديد منضبط، فإن الناس متفاوتون في تحمل الجوع ولتفاوت الأمزجة في مقاومته، ومن الفقهاء من يحدد الضرورة بخشية الهلاك ومرادهم الإفضاء إلى الموت والمرض وإلا فإن حالة الإشراف على الموت لا ينفع عندها الأكل، فعلم أن نفي الإثم عن المضطر فيما يتناوله من هذه المحرمات منوط بحالة الاضطرار، فإذا تناول ما أزال به الضرورة فقد عاد التحريم كما كان، فالجائع يأكل من هاته المحرمات إن لم يجد غيرها أكلا يغنيه عن الجوع وإذا خاف أن تستمر به الحاجة كمن توسط فلاة في سفر أن يتزود من بعض هاته الأشياء حتى إن استغنى عنها طرحها، لأنه لا يدري هل يتفق له وجدانها مرة أخرى.ومن عجب الخلاف بين الفقهاء أن ينسب إلى أبي حنيفة والشافعي أن المضطر لا يشبع ولا يتزود خلافا لمالك في ذلك والظاهر أنه خلاف لفظي والله تعالى يقول: إن الله غفور رحيم في معرض الامتنان فكيف يأمر الجائع بالبقاء على بعض جوعه ويأمر السائر بالإلقاء بنفسه إلى التهلكة إن لم يتزود، وقد فسر قوله غير باغ ولا عاد بتفاسير أخرى فعن الشافعي أنه غير الباغي والعادي على الإمام لا عاص بسفره فلا رخصة له فلا يجوز له أكل ذلك عند الاضطرار فأجاب المالكية: بأن عصيانه بالسفر لا يقتضي أن يؤمر بمعصية أكبر وهي إتلاف نفسه بترك أكل ما ذكر وهو إلجاء مكين.ومما اختلفوا في قياسه على ضرورة الجوع ضرورة التداوي، فقيل لا يتداوى بهاته المحرمات ولا بشيء مما حرم الله كالخمر وهذا قول مالك والجمهور، ولم يزل الناس يستشكلونه لاتحاد العلة وهي حفظ الحياة، وعندي أن وجهه أن تحقق العلة فيه منتف إذ لم يبلغ العلم بخصائص الأدوية ظن نفعها كلها إلا ما جرب منها، وكم من أغلاط كانت للمتطببين في خصائص الدواء، ونقل الفخر عن بعضهم إباحة تناول المحرمات في الأدوية، وعندي أنه إذا وقع قوة ظن الأطباء الثقات بنفع الدواء المحرم من مرض عظيم وتعينه أو غلب ذلك في التجربة فالجواز قياسا على أكل المضطر وإلا فلا (١) .وقرأ بو جعفر: فمن اضطر بكسر الطاء، لأن أصله اضطرر براءين أولاهما مكسورة فلما أريد إدغام الراء الأولى في الثانية نقلت حركتها إلى الطاء بعد طرح حركة الطاء.وقوله: إن الله غفور رحيم **تذييل** قصد به الامتنان، أي إن الله موصوف بهذين الوصفين فلا جرم أن يغفر للمضطر أكل الميتة لأنه رحيم بالناس، فالمغفرة هنا بمعنى التجاوز____________(١) انظر: «حاشية ابن عابدين» (٤/

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢/١٠٠

١١٣، ٢١٥) ، «حاشية الدسوقي» (٤/ ٣٥٣، ٣٥٤) ، «الفواكه الدواني» (٢/ ٤٤١) ، «حواشي الشرواني وابن قاسم على «التحفة» (٩/ ١٧٠) «قليوبي وعميرة» (٣/ ٢٠٣) ، «كشاف القناع» (٢/ ٧٦، ٦/ ١١٦، ٢٠٠) ، «الإنصاف» (٢/ ٤٦٣، ٤٧٤) ، «الفروع» (٢/ ١٦٥) وما بعدها.." (١)

"[سورة البقرة (٢) : آية ١٧٦]ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد (١٧٦)جيء باسم الإشارة لربط الكلام اللاحق بالسابق على طريقة العرب في أمثاله إذا طال الفصل بين الشيء وما ارتبط به من حكم أو علة أو نحوهما كقول النابغة:وذلك من تلقاء مثلك رائعبعد قوله:أتاني أبيت اللعن أنك لمتنيوالكلام السابق الأظهر أنه قوله: فما أصبرهم على النار [البقرة: ١٧٥] والمعنى أنهم استحقوا العذاب على كتمانهم بسبب أن الله أنزل الكتاب بالحق فكتمانهم شيئا من الكتاب كتمان للحق وذلك فساد وتغيير لمراد الله لأن ما يكتم من الحق يخلفه الباطل كما بيناه آنفا فحق عليهم العذاب لكتمانه، لأنه مخالف مراد الله من تنزيله، وعليه فالكتاب في قوله: بأن الله نزل الكتاب هو عين الكتاب المذكور في قوله: إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب [البقرة: ١٧٤] وهو كتابهم التوراة والإنجيل ليكون الموضوع في العلة والحكم المعلل واحدا، وعليه فالجملة فصلت من الجملة التي قبلها لجريانها منها مجرى العلة.ويجوز أن يكون المشار إليه السابق هو الكتمان المأخوذ من يكتمون [البقرة:١٧٤] ، أي إنما كتموا ما كتموا بسبب أن الله نزل الكتاب بالحق فعلموا أنه على النعت الذي بشر الله به على لسان التوراة. والمعنى أنهم كتموا دلائل صدق النبي حسدا وعنادا لأن الله أنزل القرآن على محمد، فالكتاب هنا غير الكتاب في قوله: إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب [البقرة: ١٧٤] .والجملة على هذا الوجه استئناف بياني لاستغراب تعمدهم كتمان ما أنزل الله من الكتاب وإن هذا الصنع الشنيع لا يكون إلا عن سبب عظيم، فبين بقوله تعالى: ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق.وقوله: وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد تذييل ولكنه عطف بالواو لأنه يتضمن تكملة وصف الذين اشتروا الضلالة بالهدى ووعيدهم، والمراد بالذين اختلفواعين المراد من قوله: الذين يكتمون [البقرة: ١٧٤] ، والذين اشتروا [البقرة: ١٧٥] ، فالموصولات كلها على نسق واحد.." (٢)

"والمراد من الكتاب المجرور بفي يحتمل أنه المراد من الكتاب في قوله: نزل الكتاب فهو القرآن فيكون من الإظهار في مقام الإضمار ليناسب استقلال جملة التذييل بذاتها ويكون المراد باختلفوا على هذا الوجه أنهم اختلفوا مع الذين آمنوا منهم أو اختلفوا فيما يصفون به القرآن من تكذيب به كله أو تكذيب ما لا يوافق هواهم وتصديق ما يؤيد كتبهم، ويحتمل أن المراد من الكتاب المجرور بفي هو المراد من المنصوب في قوله:ما أنزل الله من الكتاب [البقرة: ١٧٤] يعني التوراة والإنجيل أي اختلفوا في الذي يقرونه والذي يغيرونه وفي الإيمان بالإنجيل والإيمان بالتوراة، ومن المحتمل أن يكون المراد بالذين اختلفوا في الكتاب ما يشمل المشركين وأن يكون الاختلاف هو اختلاف معاذيرهم عن القرآن إذ قالوا: سحر أو شعر أو كهانة أو أساطير الأولين. لكنه خروج عن سياق الكلام على أهل الكتاب، ومن المحتمل أيضا أن يكون المراد بالكتاب الجنس أي

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢/١٢١

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢/١٢٦

الذين اختلفوا في كتب الله فآمنوا ببعضها وكفروا بالقرآن.وفائدة الإظهار في مقام الإضمار في قوله: الكتاب أن يكون التذييل مستقلا بنفسه لجريانه مجرى المثل، وللمفسرين وجوه كثيرة في قوله: وإن الذين اختلفوا في الكتابمتفاوتة البعد.ووصف الشقاق بالبعيد مجاز عقلي أي بعيد صاحبه عن الوفاق كقوله تعالى: ولا يزالون مختلفين [هود: ١١٨] .[١٧٧][سورة البقرة (٢) : آية ١٧٧]ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون." (١)

"فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم.تفريع عن حكم العفو لأن العفو يقتضي شكر الله على أن أنجاه بشرع جواز العفو وبأن سخر الولي للعفو، ومن الشكر ألا يعود إلى الجناية مرة أخرى، فإن عاد فله عذاب أليم، وقد فسر الجمهور العذاب الأليم بعذاب الآخرة والمراد تشديد العذاب عليه كقوله تعالى: ومن عاد فينتقم الله منه [المائدة: ٩٥] ، ثم له من حكم العفو والدية ما للقاتل ابتداء عندهم، وفسره بعضهم بعذاب الدنيا أعني القتل فقالوا: إن عاد المعفو عنه إلىالقتل مرة أخرى فلا بد من قتله ولا يمكن الحاكم الولي من العفو ونقلوا ذلك عن قتادة وعكرمة والسدي ورواه أبو داود عن سمرة بن جندب عن النبيء صلى الله عليه وسلم، وروي عن عمر بن عبد العزيز أنه موكول إلى اجتهاد الإمام.والذي يستخلص من أقوالهم هنا سواء كان العذاب عذاب الآخرة أو عذاب الدنيا أن تكرر الجناية يوجب التغليظ وهو ظاهر من مقاصد الشارع لأن الجناية قد تصير له دربة فعوده إلى قتل النفس يؤذن باستخفافه بالأنفس فيجب أن يراح منه الناس، وإلى هذا نظر قتادة ومن معه، غير أن هذا لا يمنع حكم العفو إن رضي به الولي لأن الحق حقه، وما أحسن قول عمر بن عبد العزيز بتفويضه إلى الإمام لينظر هل صار هذا القاتل مزهق أنفس، وينبغي إن عفي عنه أن تشدد عليه العقوبة أكثر من ضرب مائة وحبس عام وإن لم يقولوه لأن ذكر الله هذا الحكم بعد ذكر الرحمة دليل على أن هذا الجاني غير جدير في هاته المرة بمزيد الرحمة، وهذا موضع نظر من الفقه دقيق، قد كان الرجل في الجاهلية يقتل ثم يدفع الدية ثم يغدره ولي الدم فيقتله وقريب من هذا قصة حصين بن ضمضم التي أشار إليها زهير بقوله:لعمري لنعم الحي جر عليهم ... بما لا يواتيهم حصين بن ضمضم[١٧٩][سورة البقرة (٢) : آية ١٧٩]ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون (١٧٩)تذييل لهاته الأحكام الكبرى طمأن به نفوس الفريقين أولياء الدم والقاتلين في قبول أحكام القصاص فبين أن في القصاص حياة، والتنكير في حياة للتعظيم بقرينة المقام، أي في القصاص حياة لكم أي لنفوسكم فإن فيه ارتداع الناس عن قتل النفوس، فلو أهمل." (٢)

"مسكين واحد فهو خير، وهذا قول ابن عباس، أو أن يكون: من أراد إطعام مع الصيام، قاله ابن شهاب، وعن مجاهد: من زاد في الإطعام على المد وهو بعيد إذ ليس المد مصرحا به في الآية، وقد أطعم أنس بن مالك خبزا ولحما عن كل يوم أفطره حين شاخ.وخير الثاني في قوله: فهو خير له يجوز أن يكون مصدرا كالأول ويكون المراد به خيرا آخر أي

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٢٧/٢

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١٤٤/٢

خير الآخرة. ويجوز أن يكون خير الثاني تفضيلا أي فالتطوع بالزيادة أفضل من تركها وحذف المفضل عليه لظهوره.وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون.الظاهر رجوعه لقوله: وعلى الذين يطيقونه فدية فإن كان قوله ذلك نازلا في إباحة الفطر للقادر فقوله: وأن تصوموا ترغيب في الصوم وتأنيس به، وإن كان نازلا في إباحته لصاحب المشقة كالهرم فكذلك، ويحتمل أن يرجع إلى قوله: ومن كان مريضا وما بعده، فيكون تفضيلا للصوم على الفطر إلا أن هذا في السفر مختلف فيه بين الأئمة، ومذهب مالك رحمه الله أن الصوم أفضل من الفطر وأما في المرض ففيه تفصيل بحسب شدة المرض.وقوله: إن كنتم تعلمون **تذييل** أي تعلمون فوائد الصوم على رجوعه لقوله:وعلى الذين يطيقونه إن كان المراد بهم القادرين أي إن كنتم تعلمون فوائد الصوم دنيا وثوابه أخرى، أو إن كنتم تعلمون ثوابه على الاحتمالات الأخر. وجيء في الشرط بكلمة (إن) لأن علمهم بالأمرين من شأنه ألا يكون محققا لخفاء الفائدتين.[١٨٥][سورة البقرة (٢) : آية ١٨٥]شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون (١٨٥)شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان.قد علمت أن هذه الآيات تكملة للآيات السابقة وأن لا نسخ في خلال هاته الآيات، فقوله: شهر رمضان خبر مبتدأ محذوف تقديره هي أي الأيام المعدودات شهر رمضان، والجملة." (١)

"مالك وأبي حنيفة والشافعي رحمهم الله، وأحكامه في كتب الفقه وليست من غرض هذا المفسر.تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون.**تذييل** بالتحذير من مخالفة ما شرع إليه من أحكام الصيام. فالإشارة إلى ما تقدم، والإخبار عنها بالحدود عين أن المشار إليه هو التحديدات المشتمل عليها الكلام السابق وهي قوله: حتى يتبين لكم الخيط وقوله: إلى الليل وأنتم عاكفون من كل ما فيه تحديد يفضي تجاوزه إلى معصية، فلا يخطر بالبال دخول أحكام الإباحة في الإشارة مثل: أحل لكم ومثل فالآن باشروهن.والحدود الحواجز ونهايات الأشياء التي إذا تجاوزها المرء دخل في شيء آخر، وشبهت الأحكام بالحدود لأن تجاوزها يخرج من حل إلى منعوفي الحديث «وحد حدودا فلا تعتدوها»، وستأتي زيادة بيان له في قوله تعالى: تلك حدود الله فلا تقربوها.وقوله: فلا تقربوها نهي عن مقاربتها الموقعة في الخروج منها على طريق الكناية لأن القرب من الحد يستلزم قصد الخروج غالبا كما قال تعالى: ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن[الأنعام: ١٥٢] ، ولهذا قال تعالى في آيات أخرى: تلك حدود الله فلا تعتدوها [البقرة: ٢٢٩] . كما سيأتي هنالك وفي معنى الآيةحديث «من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه». والقول في: كذلك يبين الله آياته للناس تقدم نظيره في قوله: وكذلك جعلناكم أمة وسطا [البقرة: ١٤٣] أي كما بين الله أحكام الصيام يبين آياته للناس أي جميع رياته لجميع الناس، والمقصد أن هذا شأن الله في إيضاح أحكامه لئلا يلتبس شيء منها على الناس، وقوله: لعلهم يتقون، أي إرادة لاتقائهم الوقوع في المخالفة، لأنه لو لم يبين لهم الأحكام لما اهتدوا لطريق الامتثال، أو لعلهم يلتبسون بغاية الامتثال والإتيان

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٦٨/٢

بالمأمورات على وجهها فتحصل لهم صفة التقوى الشرعية، إذ لو لم يبين الله لهم لأتوا بعبادات غير مستكملة لما أراد الله منها وهم وإن كانوا معذورين عند عدم البيان وغيرمؤاخذيم بإثم التقصير." (١)

"مثل الآية قبلها تنبيها على قتل المحارب ولو كان وقت العثور عليه غير مباشر للقتال وأنه من خرج محاربا فهو قاتل وإن لم يقتل.وثقفتموهم بمعنى لقيتموهم لقاء حرب وفعله كفرح، وفسره في «الكشاف» بأنه وجود على حالة قهر وغلبة.وقوله: وأخرجوهم من حيث أخرجوكم أي يحل لكم حينئذ أن تخرجوهم من مكة التي أخرجوكم منها، وفي هذا تهديد للمشركين ووعد بفتح مكة، فيكون هذا اللقاءلهذه البشرى في نفوس المؤمنين ليسعوا إليه حتى يدركوه وقد أدركوه بعد سنتين، وفيه وعد من الله تعالى لهم بالنصر كما قال تعالى: لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام [الفتح: ٢٧] الآية.وقوله: والفتنة أشد من القتل تذييل وأل فيه للجنس تدل على الاستغراق في المقام الخطابي، وهو حجة للمسلمين ونفي للتبعة عنهم في القتال بمكة إن اضطروا إليه.والفتنة إلقاء الخوف واختلال نظام العيش وقد تقدمت عند قوله تعالى: حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر [البقرة: ١٠٢] ، إشارة إلى ما لقيه المؤمنون في مكة من الأذى بالشتم والضرب والسخرية إلى أن كان آخره الإخراج من الديار والأموال، فالمشركون محقوقون من قبل فإذا خفروا العهد استحقوا المؤاخذة بما مضى فيما كان الصلح مانعا من مؤاخذتهم عليه وإنما كانت الفتنة أشد من القتل لتكرر إضرارها بخلاف ألم القتل، ويراد منها أيضا الفتنة المتوقعة بناء على توقع أن يصدوهم عن البيت أو أن يغدروا بهم إذا حلوا بمكة، ولهذا اشترط المسلمون في صلح الحديبية أنهم يدخلون العام القابل بالسيوف في قرابها، والمقصد من هذا إعلان عذر المسلمين في قتالهم المشركين وإلقاء بغض المشركين في قلوبهم حتى يكونوا على أهبة قتالهم والانتقام منهم بصدور حرجة حنقة. وليس المراد من الفتنة خصوص الإخراج من الديار، لأن التذييل يجب أن يكون أعم من الكلام المذيل.." (٢)

"والتعريف في الشهر هنا في الموضعين يجوز أن يكون تعريف الجنس وهو الأظهر، لأنه يفيد حكما عاما ويشمل كل شهر خاص من الأشهر الحرم على فرض كون المقصود شهر عمرة القضية، ويجوز أن يكون التعريف للعهد إن كان المراد شهر عمرة القضية.والأشهر الحرم أربعة: ثلاثة متتابعة هي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، وحرمتها لوقوع الحج فيها ذهابا ورجوعا وأداء، وشهر واحد مفرد وهو رجب وكان في الجاهلية شهر العمرة وقد حرمته مضر كلها ولذلك يقال له: رجب مضر، وقد أشير إليها في قوله تعالى: منها أربعة حرم [التوبة: ٣٦] .وقوله: والحرمات قصاص تعميم للحكم ولذلك عطفه ليكون كالحجة لما قبله من قوله: ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه [البقرة: ١٩١] وقوله:الشهر الحرام بالشهر الحرام إلخ، فالجملة تذييل والواو اعتراضية. ومعنى كونها قصاصا أي مماثلة في المجازاة والانتصاف، فمن انتهكها بجناية يعاقب فيها جزاء جنايته، وذلك أن الله جعل الحرمة للأشهر الحرم لقصد الأمن فإذا أراد أحد أن يتخذ ذلك ذريعة إلى غدر الأمن أو الإضرار به فعلى الآخر الدفاع عن نفسه، لأن حرمة الناس مقدمة على حرمة الأزمنة، ويشمل ذلك حرمة المكان كما تقدم في قوله تعالى: ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه [البقرة: ١٩١] ، والإخبار عن

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٨٦/٢

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٠٢/٢

الحرمات بلفظ (قصاص) إخبار بالمصدر للمبالغة.وقوله: فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه تفريع عن قوله: والحرمات قصاص ونتيجة له، وهذا وجه قول «الكشاف» : إنه فذلكة، وسمي جزاء الاعتداء اعتداء مشاكلة على نحو ما تقدم آنفا في قوله: فلا عدوان إلا على الظالمين [البقرة: ١٩٣] .وقوله: بمثل ما اعتدى عليكم يشمل المماثلة في المقدار وفي الأحوال ككونه في الشهر الحرام أو البلد الحرام.وقوله: واتقوا الله أمر بالاتقاء في الاعتداء أي بألا يتجاوز الحد، لأن شأن المنتقم أن يكون عن غضب فهو مظنة الإفراط.وقوله: واعلموا أن الله مع المتقين افتتاح الكلام بكلمة اعلم إيذان بالاهتمام بماسيقوله، فإن قولك في الخطاب: اعلم إنباء بأهمية ما سيلقى للمخاطب وسيأتي بسط الكلام." (١)

"(سبيل الله) طريقه، والطريق إذا أضيف إلى شيء فإنما يضاف إلى ما يوصل إليه،ولما علم أن الله لا يصل إليه الناس تعين أن يكون المراد من الطريق العمل الموصل إلى مرضاة الله وثوابه، فهو مجاز في اللفظ ومجاز في الإسناد، وقد غلب (سبيل الله) في اصطلاح الشرع في الجهاد. أي القتال للذب عن دينه وإعلاء كلمته، و (في) للظرفية لأن النفقة تكون بإعطاء العتاد، والخيل، والزاد، وكل ذلك مظروف للجهاد على وجه المجاز وليست (في) هنا مستعملة للتعليل.وقوله تعالى: ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة عطف غرض على غرض، عقب الأمر بالإنفاق في سبيل الله بالنهي عن الأعمال التي لها عواقب ضارة إبلاغا للنصيحة والإرشاد لئلا يدفع بهم يقينهم بتأييد الله إياهم إلى التفريط في وسائل الحذر من غلبة العدو، فالنهي عن الإلقاء بالنفوس إلى التهلكة يجمع معنى الأمر بالإنفاق وغيره من تصاريف الحرب وحفظ النفوس، ولذلك فالجملة فيها معنى **التذييل** وإنما عطفت ولم تفصل باعتبار أنها غرض آخر من أغراض الإرشاد.والإلقاء رمي الشيء من اليد وهو يتعدى إلى مفعول واحد بنفسه وإلى المرمي إليه بإلى وإلى المرمي فيه بفي.والظاهر أن الأيدي هي المفعول إذ لم يذكر غيره، وأن الباء زائدة لتوكيد اتصال الفعل بالمفعول كما قالوا للمنقاد «أعطى بيده» أي أعطى يده لأن المستسلم في الحرب ونحوه يشد بيده، فزيادة الباء كزيادتها في وهزي إليك بجذع النخلة [مريم: ٢٥] وقول النابغة:لك الخير إن وارت بك الأرض واحدا والمعنى ولا تعطوا الهلاك أيديكم فيأخذكم أخذ الموثق، وجل التهلكة كالآخذ والآسر استعارة بجامع الإحاطة بالملقي، ويجوز أن تجعل اليد مع هذا مجازا عن الذات بعلاقة البعضية لأن اليد أهم شيء في النفس في هذا المعنى، وهذا في الأمرين كقول لبيد:حتى إذا ألقت يدا في كافر أي ألقت الشمس نفسها. وقيل الباء سببية والأيدي مستعملة في معنى الذات كناية." (٢)

"وقوله تعالى: وأحسنوا الإحسان فعل النافع الملائم، فإذا فعل فعلا نافعا مؤلما لا يكون محسنا فلا تقول إذا ضربت رجلا تأديبا: أحسنت إليه ولا إذا جاريته في ملذات مضرة أحسنت إليه، وكذا إذا فعل فعلا مضرا ملائما لا يسمى محسنا.وفي حذف متعلق أحسنوا تنبيه على أن الإحسان مطلوب في كل حال ويؤيدهقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء». وفي الأمر بالإحسان بعد ذكر الأمر بالاعتداء على المعتدي والإنفاق في سبيل الله والنهي عن الإلقاء باليد إلى التهلكة إشارة إلى أن كل هاته الأحوال يلابسها الإحسان ويحف بها، ففي الاعتداء يكون الإحسان بالوقوف عند الحدود والاقتصاد في الاعتداء والاقتناع بما يحصل به الصلاح المطلوب، وفي الجهاد في سبيل

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢/٢١١

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢/٢١٣

الله يكون الإحسان بالرفق بالأسير والمغلوب وبحفظ أموال المغلوبين وديارهم من التخريب والتحريق، والعرب تقول: «ملكت فأسجح» ، والحذر من الإلقاء باليد إلى التهلكة إحسان.وقوله: إن الله يحب المحسنين **تذييل** للترغيب في الإحسان، لأن محبة الله عبده غاية ما يطلبه الناس إذ محبة الله العبد سبب الصلاح والخير دنيا وآخرة، واللام للاستغراق العرفي والمراد المحسنون من المؤمنين.[١٩٦][سورة البقرة (٢) : آية ١٩٦]وأتموا الحج والعمرة لله فإن أحصرتم فما استيسر من الهدي ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك فإذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدي فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام واتقوا الله واعلموا أن الله شديد العقاب (١٩٦)وأتموا الحج والعمرة لله فإن أحصرتم فما استيسر من الهدي ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك.هذا عود إلى الكلام على العمرة فهو عطف على قوله: وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها [البقرة: ١٨٩] إلخ وما بينهما استطراد أو اعتراض، على أن عطف الأحكام بعضها على بعض للمناسبة طريقة قرآنية فلك أن تجعل هذه الجملة عطفا على التي قبلها عطف قصة على قصة.ولا خلاف في أن هذه الآية نزلت في الحديبية سنة ست حين صد المشركون المسلمين عن البيت كما سيأتي في حديث كعب بن عجرة، وقد كانوا ناوين العمرة وذلك قبل أن يفرض الحج،." (١)

"فالتزود مستعار للاستكثار من فعل الخير استعدادا ليوم الجزاء شبه بإعداد المسافر الزاد لسفره بناء على إطلاق اسم السفر والرحيل على الموت. قال الأعشى في قصيدته التي أنشأها لمدح النبيء صلى الله عليه وسلم وذكر فيها بعض ما يدعو النبي إليه أخذا من هذه الآية وغيرها:إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى ... ولا قيت بعد الموت من قد تزودانددمت أن لا تكون كمثله ... وأنك لم ترصد بما كان أرصدافقوله: فإن خير الزاد التقوى بمنزلة **التذييل** أي التقوى أفضل من التزود للسفر فكونوا عليها أحرص.ويجوز أن يستعمل التزود مع ذلك في معناه الحقيقي على وجه استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه فيكون أمرا بإعداد الزاد لسفر الحج تعريضا بقوم من أهل اليمن كانوا يجيئون إلى الحج دون أي زاد ويقولون نحن متوكلون على الله (١) فيكونون كلا على الناس بالإلحاف.فقوله: فإن خير الزاد إلخ إشارة إلى تأكيد الأمر بالتزود تنبيها بالتفريع على أنه من التقوى لأن فيه صيانة ماء الوجه والعرض.وقوله: واتقون بمنزلة التأكيد لقوله فإن خير الزاد التقوى ولم يزد إلا قوله يا أولي الألباب المشير إلى أن التوقي مما يرغب فيه أهل العقول.والألباب: جمع لب وهو العقل، واللب من كل شيء: الخالص منه، وفعله لبب يلب بضم اللام قالوا وليس في كلام العرب فعل يفعل بضم العين في الماضي والمضارع من المضاعف إلا عذا الفعل حكاه سيبويه عن يونس وقال ثعلب ما أعرف له نظيرا.فقوله فإن خير الزاد التقوى بمنزلة **التذييل** أي التقوى أفضل من التزود للسفر فكونوا عليها أحرص، وموقع قوله: واتقون يا أولي الألباب على احتمال أن يراد بالتزود معناه الحقيقي مع المجازي إفادة الأمر بالتقوى التي هي زاد الآخرة بمناسبة الأمر بالتزود لحصول التقوى الدنيوية بصون

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢١٦/٢

العرض.ـــــــــــــــــ(١) كانوا يقولون: كيف نحج بيت الله ولا يطعمنا؟ وكانوا يقدمون مكة بثيابهم التي قطعوا بها سفرهم بين اليمن ومكة فيطوفون فيها، وكان بقية العرب يسمونهم الطلس لأنهم يأتون طلسا من الغبار.." (١)

"وقد كانت العرب في الجاهلية لا يفيضون من عرفة إلى المزدلفة حتى يجيزهم أحد (بني صوفة) وهم بنو الغوث بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر وكانت أمه جرهمية، لقب الغوث بصوفة لأن أمه كانت لا تلد فنذرت إن هي ولدت ذكرا أن تجعله لخدمة الكعبة فولدت الغوث وكانوا يجعلون صوفة يربطون بها شعر رأس الصبي الذي ينذرونه لخدمة الكعبة وتسمى الربيط، فكان الغوث يلي أمر الكعبة مع أخواله من جرهم فلما غلب قصي بن كلاب على الكعبة جعل الإجازة للغوث ثم بقيت في بنيه حتى انقرضوا، وقيل إن الذي جعل أبناء الغوث لإجازة الحاج هم ملوك كندة، فكان الذي يجيز بهم من عرفة يقول:لا هم إني تابع تباعه ... إن كان إثم فعلى قضاعهلأن قضاعة كانت تحل الأشهر الحرم، ولما انقرض أبناء صوفة صارت الإجازة لبني سعد بن زيد مناءة بن تميم ورثوها بالقعدد فكانت في آل صفوان منهم وجاء الإسلام وهي بيد كرب بن صفوان قال أوس بن مغراء:لا يبرح الناس ما حجوا معرفهم ... حتى يقال أجيزوا آل صفواناواذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين.الواو عاطفة على قوله: فاذكروا الله عند المشعر الحرام والعطف يقتضي أن الذكر المأمور به هنا غير الذكر المأمور به في قوله: فاذكروا الله عند المشعر الحرام فيكون هذا أمرا بالذكر على العموم بعد الأمر بذكر خاص فهو في معنى **التذييل** بعد الأمر بالذكر الخاص في المشعر الحرام.ويجوز أن يكون المراد من هذه الجملة هو قوله: كما هداكم فموقعها موقع **التذييل**. وكان مقتضى الظاهر ألا تعطف بل تفصل وعدل عن مقتضى الظاهر فعطفت بالواو باعتبار مغايرتها للجملة التي قبلها بما فيها من تعليل الذكر وبيان سببه وهي مغايرة ضعيفة لكنها تصحح العطف كما في قول الحارث بن همام الشيباني:أيا ابن زيابة إن تلقني ... لا تلقني في النعم العازبوتلقني يشتد بي أجرد ... مستقدم البركة كالراكب." (٢)

"الزجاج وابن عطية في تفسير قوله تعالى: وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا [الأنعام: ١٣٦] قال الزجاج تقدير الكلام جعلوا لله نصيبا ولشركائهم نصيبا، وقال ابن عطية قولهم جعل من كذا وكذا نصيبا يتضمن بقاء نصيب آخر ليس بداخل في حكم الأول اهـ.وهذا وعد من الله تعالى بإجابة دعاء المسلمين الداعين في تلك المواقف المباركة إلا أنه وعد بإجابة شيء مما دعوا به بحسب ما تقتضيه أحوالهم وحكمة الله تعالى، وبألا يجر إلى فساد عام لا يرضاه الله تعالى فلذلك نكر (نصيب) ليصدق بالقليل والكثير وأما إجابة الجميع إذا حصلت فهي أقوى وأحسن. وكسبوا بمعنى طلبوا، لأن كسب بمعنى طلب ما يرغب فيه. ويجوز أن يراد بالكسب هنا العمل وبالنصيب نصيب الثواب فتكون (من) ابتدائية.واسم الإشارة مشير إلى الناس الذين يقولون: ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة للتنبيه باسم الإشارة على أن اتصافهم بما بعد اسم الإشارة شيء استحقوه بسبب الإخبار عنهم بما قبل اسم الإشارة، أي أن الله استجاب لهم لأجل إيمانهم بالآخرة فيفهم منه أن دعاء الكافرين في ضلال.وقوله: والله سريع الحساب **تذييل** قصد به تحقيق الوعد بحصول الإجابة، وزيادة تبشير

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢/٢٣٦

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢/٢٤١

لأهل ذلك الموقف، لأن إجابة الدعاء فيه سريعة الحصول، فعلم أن الحساب هنا أطلق على مراعاة العمل والجزاء عليه.والحساب في الأصل العد، ثم أطلق على عد الأشياء التي يراد الجزاء عليها أو قضاؤها، فصار الحساب يطلق على الوفاء بالحق يقال حاسبه أي كافأه أو دفع إليه حقه، ومنه سمي يوم القيامة يوم الحساب وقال تعالى: إن حسابهم إلا على ربي [الشعراء: ١١٣] وقال جزاء من ربك عطاء حسابا [النبأ: ٣٦] أي وفاقا لأعمالهم، وهاهنا أيضا أريد به الوفاء بالوعد وإيصال الموعود به، فاستفادة التبشير بسرعة حصول مطلوبهم بطريق العموم لأن إجابتهم من جملة حساب الله تعالى عباده على ما وعدهم فيدخل في ذلك العموم.والمعنى فإذا أتممتم أيها المسلمون مناسك حجكم فلا تنقطعوا عن أن تذكروا الله بتعظيمه وحمده، وبالالتجاء إليه بالدعاء لتحصيل خير الدنيا وخير الآخرة، ولا تشتغلوا بالتفاخر،." (١)

"إذا سقط وانفصل، وعندي أن إهلاك الحرث والنسل كناية عن اختلال ما به قوام أحوال الناس، وكانوا أهل حرث وماشية فليس المراد خصوص هذين بل المراد ضياع ما به قوام الناس، وهذا جار مجرى المثل، وقيل الحرث والنسل هنا إشارة إلى ما صنع الأخنس بن شريق، وأيا ما كان فالآية دالة على أن من ينتسب في مثل ذلك صريحا أو كناية مستحق للعقاب في الآخرة ولذلك عقب بجملة **التذييل** وهي والله لا يحب الفساد تحذيرا وتوبيخا.ومعنى نفي المحبة نفي الرضا بالفساد، وإلا فالمحبة- وهي انفعال النفس وتوجه طبيعي يحصل نحو استحسان ناشئ- مستحيلة على الله تعالى فلا يصح نفيها فالمراد لازمها وهو الرضا عندنا وعند المعتزلة: الإرادة والمسألة مبنية على مسألة خلق الأفعال.ولا شك أن القدير إذا لم يرض بشيء يعاقب فاعله، إذ لا يعوقه عن ذلك عائق وقد سمى الله ذلك فسادا وإن كان الزرع والحرث للمشركين: لأن إتلاف خيرات الأرض رزء على الناس كلهم وإنما يكون القتال بإتلاف الأشياء التي هي آلات الإتلاف وأسباب الاعتداء.والفساد ضد الصلاح، ومعنى الفساد: إتلاف ما هو نافع للناس نفعا محضا أو راجحا، فإتلاف الألبان مثلا إتلاف نفع محض، وإتلاف الحطب بعلة الخوف من الاحتراق إتلاف نفع راجح والمراد بالرجحان رجحان استعماله عند الناسي لا رجحان كمية النفع على كمية الضر، فإتلاف الأدوية السامة فساد، وإن كان التداوي بها نادرا لكن الإهلاك بها كالمعدوم لما في عقول الناس من الوازع عن الإهلاك بها فيتفادى عن ضرها بالاحتياط رواجها وبأمانة من تسلم إليه، وأما إتلاف المنافع المرجوحة فليس من الفساد كإتلاف الخمور بله إتلاف ما لا نفع فيه بالمرة كإتلاف الحيات والعقارب والفيران والكلاب الكلبة، وإنما كان الفساد غير محبوب عند الله لأن في الفساد بالتفسير الذي ذكرناه تعطيلا لما خلقه الله في هذا العالم لحكمة صلاح الناس فإن الحكيم لا يحب تعطيل ما تقتضيه الحكمة، فقتال العدو إتلاف للضر الراجح ولذلك يقتصر في القتال على ما يحصل به إتلاف الضر بدون زيادة، ومن أجل ذلك نهى عن إحراق الديار في الحرب وعن قطع الأشجار إلا إذا رجح في نظر أمير الجيش أن بقاء شيء من ذلك يزيد قوة العدو ويطيل مدة القتال ويخاف منه على جيش المسلمين أن ينقلب إلى هزيمة وذلك يرجع إلى قاعدة: الضرورة تقدر بقدرها.." (٢)

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢/٢٤٩

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢/٢٧٠

"و (يشري) معناه يبيع كما أن يشتري بمعنى يبتاع وقد تقدم ذلك في قوله تعالى: ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا [البقرة: ٤١] . واستعمل (يشري) هنا في البذل مجازا، والمعنى ومن الناس من يبذل نفسه للهلاك ابتغاء مرضاة الله أي هلاكا في نصر الدين وهذا أعلى درجات الإيمان، لأن النفس أغلى ما عند الإنسان.ومرضات الله رضاه فهو مصدر رضي على وزن المفعل زيدت فيه التاء سماعا كالمدعاة والمسعاة، في أسباب النزول قال سعيد بن المسيب نزلت في صهيب بن سنان النمري بن النمر بن قاسط (١) الملقب بالرومي لأنه كان أسره الروم في الجاهلية في جهات الموصل واشتراه بنو كلب فكان مولاهم وأثرى في الجاهلية بمكة وكان من المسلمين الأولين فلما هاجر النبيء صلى الله عليه وسلم خرج صهيب مهاجرا فلحق به نفر من قريش ليوثقوه فنزل عن راحلته وانتثل كنانته وكان راميا وقال لهم لقد علمتم أني من أرماكم وأيم الله لا تصلون إلي حتى أرمي بما في كنانتي ثم أضرب بسيفي ما بقي في يدي منه شيء فقالوا: لا نتركك تخرج من عندنا غنيا وقد جئتنا صعلوكا، ولكن دلنا على مالك وتخلي عنك وعاهدوه على ذلك فدلهم على ماله، فلما قدم على النبي صلى الله عليه وسلم قال له حين رآه ربح البيع أبا يحيى وتلا عليه هذه الآية، وقيل إن كفار مكة عذبوا صهيبا لإسلامه فافتدى منهم بماله وخرج مهاجرا، وقيل: غير ذلك، والأظهر أنها عامة، وأن صهيبا أو غيره ملاحظ في أول من تشمله.وقوله: والله رؤف بالعباد **تذييل** أي رؤوف بالعباد الصالحين الذين منهم من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله، فالرأفة كناية عن لازمها وهو إيتاء الخيرات كالرحمة.والظاهر أن التعريف في قوله (العباد) تعريف استغراق، لأن الله رؤوف بجميع عباده وهم متفاوتون فيها فمنهم من تناله رأفة الله في الدنيا وفي الآخرة على تفاوت فيهما يقتضيه علم الله وحكمته، ومنهم من تناله رأفة الله في الدنيا دون الآخرة وهم المشركون والكافرون فإن من رأفته بهم أنه أعطاهم العافية والرزق، ويجوز أن يكون التعريف تعريف العهد أي بالعباد الذين من هذا القبيل أي قبيل الذي يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله.ويجوز أن يكون (ال) عوضا عن المضاف إليه كقوله فإن الجنة هي المأوى[النازعات: ٤١] ، والعباد______________(١) كان صهيب من المؤمنين الأولين، أسلم هو وعمار بن ياسر في يوم أحد، شهد بدرا، وتوفي سنة ٣٧ هـ.." (١)

"إذا أضيف إلى اسم الجلالة يراد به عباد مقربون قال تعالى: إن عبادي ليس لك عليهم سلطان في [سورة الحجر: ٤٢] .ومناسبة هذا **التذييل** للجملة أن المخبر عنهم قد بذلوا أنفسهم لله وجعلوا أنفسهم عبيده فالله رءوف بهم كرأفة الإنسان بعبده فإن كان ما صدق (من) عاما كما هو الظاهر في كل من بذل نفسه لله، فالمعنى والله رءوف بهم فعدل عن الإضمار إلى الإظهار ليكون هذا **التذييل** بمنزلة المثل مستقلا بنفسه وهو من لوازم **التذييل**، وليدل على أن سبب الرأفة بهم أنهم جعلوا أنفسهم عبادا له، وإن كان ما صدق (من) صهيبا رضي الله عنه فالمعنى والله رءوف بالعباد الذين صهيب منهم، والجملة **تذييل** على كل حال، والمناسبة أن صهيبا كان عبدا للروم ثم لطائفة من قريش وهم بنو كلب وهم لم يرأفوا به، لأنه عذب في الله فلما صار عبد الله رأف به.وفي هذه الآية وهي قوله: ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا [البقرة:٢٠٤] إلى قوله رؤف بالعباد معان من معاني أدب النفوس ومراتبها وأخلاقها تعلم المؤمنين واجب التوسم في الحقائق ودواخل الأمور وعدم الاغترار بالظواهر إلا بعد التجربة والامتحان، فإن من الناس من يغر بحسن ظاهره وهو منطو على باطن سوء

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٧٣/٢

ويعطي من لسانه حلاوة تعبير وهو يضمر الشر والكيد قال المعري:وقد يخلف الإنسان ظن عشيرة ... وإن راق منه منظر ورواءوقد شمل هذا الحالقول النبيء صلى الله عليه وسلم «إن من البيان لسحرا»بأحد معنييه المحتوي عليهما وهو من جوامع الكلم وتبلغ هلهلة دينه إلى حد أن يشهد الله على أن ما يقوله صدق وهو بعكس ذلك يبيت في نفسه الخصام والكراهية.وعلامة الباطن تكون في تصرفات المرء فالذي يحب الفساد ويهلك الحرث والنسل ولا يكون صاحب ضمير طيب، وأن الذي لا يصغي إلى دعوة الحق إذا دعوته إليه ويظهر عليه الاعتزاز بالظلم لا يرعوي عن غيه ولا يترك أخلاقه الذميمة، والذي لا يشح بنفسه في نصرة الحق ينبئ خلقه عن إيثار الحق والخير على الباطل والفساد ومن لا يرأف فالله لا يرأف به.." (١)

"الإتيان به إليهما مجازي لأنهما سبب الإتيان به ألا ترى أنه قال «عليك دليل» .وقرأ أبو جعفر «والملائكة» بجر (الملائكة) عطف على (ظلل) .وقوله: وقضي الأمر إما عطف على جملة هل ينظرون إن كانت خبرا عن المخبر عنهم والفعل الماضي هنا مراد منه المستقبل، ولكنه أتى فيه بالماضي تنبيها على تحقيق وقوعه أو قرب وقوعه، والمعنى ما ينتظرون إلا أن يأتيهم الله وسوف يقضى الأمر، وإما عطف على جملة ينظرون إن كانت جملة هل ينظرون وعيدا أو وعدا والفعل كذلك للاستقبال، والمعنى ما يترقبون إلا مجيء أمر الله وقضاء الأمر.وإما جملة حالية والماضي على أصله وحذفت قد، سواء كانت جملة هل ينظرون خبرا أو وعدا ووعيدا أي وحينئذ قد قضي الأمر، وإما تنبيه على أنهم إذا كانوا ينتظرون لتصديق محمد أن يأتيهم الله والملائكة فإن ذلك إن وقع يكون قد قضي الأمر أي حق عليهم الهلاك كقوله: وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر ثم لاينظرون[الأنعام: ٨] .والقضاء: الفراغ والإتمام.والتعريف في (الأمر) إما للجنس مرادا منه الاستغراق أي قضيت الأمور كلها، وإما للعهد أي أمر هؤلاء أي عقابهم أو الأمر المعهود للناس كلهم وهو الجزاء.وقوله: وإلى الله ترجع الأمور **تذييل** جامع لمعنى: وقضي الأمر والرجوع في الأصل: المآب إلى الموضع الذي خرج منه الراجع، ويستعمل مجازا في نهاية الشيء وغايته وظهور أثره، فمنه ألا إلى الله تصير الأمور [الشورى: ٥٣] .ويجيء فعل رجع متعديا، تقول رجعت زيدا إلى بلده ومصدره الرجع، ويستعمل رجع قاصرا تقول: رجع زيد إلى بلده ومصدره الرجوع.وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وعاصم وأبو جعفر ويعقوب (ترجع) بضم التاء وفتح الجيم على أنه مضارع أرجعه أو مضارع رجعه مبنيا للمفعول أي يرجع الأمور راجعها إلى الله، وحذف الفاعل على هذا العدم تعين فاعل عرفي لهذا الرجع، أو حذف لدفع ما يبدو من التنافي بين كون اسم الجلالة فاعلا للرجوع ومفعولا له بحرف إلى، وقرأه باقي العشرة بالبناء للفاعل من رجع الذي مصدره الرجوع فالأمور فاعل ترجع.." (٢)

"واجب مع الفصل بالفعل المتعدي، وجائز مع الفصل بغيره، كما تقل عبد الحكيم عن اليمني والتفتازاني في «شرحي الكشاف» .وفي «الكافية» أن ظهور (من) في مميز (كم) الخبرية والاستفهامية جائز هكذا أطلقه ابن الحاجب، لكن الرضي قال إنه لم يعثر على شاهد عليه في (كم) الاستفهامية إلا مع الفصل بالفعل وأما في كم الخبرية فظهور (من) موجود بكثرة

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢/٢٧٤

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢/٢٨٧

بدون الفصل، والظاهر أن ابن الحاجب لم يعبأ بخصوص الأمثلة التي ذكرها الرضي، وإنما اعتد بظهور (من) في المميز وهو الظاهر.و (الآية) هنا المعجزة ودليل صدق الرسل، أو الكلمات الدالة على مجيء محمد صلى الله عليه وسلم فإنها آية لموسى إذ أخبر بها قبل قرون، وآية لمحمد عليه الصلاة والسلام، إذ كان التبشير به قبل وجوده بقرون، ووصفها بالبينة على الاحتمالين مبالغة في الصفة من فعل بان أي ظهر، فيكون الظهور ظهور العيان على الوجه الأول، وظهور الدلالة على الوجه الثاني، وفي هذا السؤال وصيغته حذف دل عليه قوله: ومن يبدل نعمة الله تقديره فبدلوها ولم يعملوا بها.وقوله: ومن يبدل نعمة الله **تذييل** لجملة سل بني إسرائيل كم آتيناهم إلخ، أفاد أأن المقصود أولا من هذا الوعيد هم بنو إسرائيل المتحدث عنهم بقوله: سل بنيإسرائيل، وأفاد أن بني إسرائيل قد بدلوا نعمة الله تعالى فدل ذلك على أن الآيات التي أوتيها بنو إسرائيل هي نعم عليهم وإلا لما كان **لتذييل** خبرهم بحكم من يبدل نعم الله مناسبة وهذا مما يقصده البلغاء، فيغني مثله في الكلام عن ذكر جمل كثيرة إيجازا بديعا من إيجاز الحذف وإيجاز القصر معا لأنه يفيد مفاد أن يقال كم آتيناهم من آية بينة هي نعمة عليهم فلم يقدروها حق قدرها، فبدلوا نعمة الله بضدها بعد ظهورها فاستحقوا العقاب، لأن من يبدل نعمة الله فالله معاقبه، ولأنه يفيد بهذا العموم حكما جامعا يشمل المقصودين وغيرهم ممن يشبههم ولذلك يكون ذكر مثل هذا الكلام الجامع بعد حكم جزئي تقدمه في الأصل تعريضا يشبه التصريح، ونظيره أن يحدثك أحد بحديث فتقول فعل الله بالكاذبين كذا وكذا تريد أنه قد كذب فيما حدثك وإلا لما كان لذلك الدعاء عند سماع ذلك الحديث موقع.وإنما أثبت للآيات أنها نعم لأنها إن كانت دلائل صدق الرسول فكونها نعما لأن." (١)

"قال تعالى: فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين [البقرة:٢٤] نعم تظهر مزيتهم بعد انقضاء ما قدر لهم من العذاب على الذنوب.روي عن ابن عباس أن الآية نزلت في سادة قريش بمكة سخروا من فقراء المؤمنين وضعفائهم فأعلمهم الله أن فقراء المؤمنين خير منهم عند الله، ووعد الله الفقراء بالرزق وفي قوله: من يشاء تعريض بتهديد المشركين بقطع الرزق عنهم وزوال حظوتهم.وقوله: والله يرزق من يشاء إلخ **تذييل** قصد منه تعظيم تشريف المؤمنين يوم القيامة، لأن **التذييل** لا بد أن يكون مرتبطا بما قبله فالسامع يعلم من هذا **التذييل** معنى محذوفا تقديره والذين اتقوا فوقهم فوقية عظيمة لا يحيط بها الوصف، لأنها فوقية منحوها من فضل الله وفضل الله لا نهاية له، ولأن من سخرية الذين كفروا بالذين آمنوا أنهم سخروا بفقراء المؤمنين لإقلالهم.والحساب هنا حصر المقدار فنفي الحساب نفي لعلم مقدار الرزق، وقد شاعت هذه الكناية في كلام العرب كما شاع عندهم أن يقولوا يعدون بالأصابع ويحيط بها العد كناية عن القلة ومنه قولهم شيء لا يحصى ولذلك صح أن ينفى الحساب هنا عن أمر لا يعقل حسابه وهو الفوقية وقال قيس بن الخطيم:ما تمنعي يقظى فقد تؤتينه ... في النوم غير مصرد محسوب[٢١٣][سورة البقرة (٢) : آية ٢١٣]كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم (٢١٣)كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٩١/٢

اختلفوا فيه.استئناف لبيان أن اختلاف الأديان أمر كان في البشر الحكمة اقتضته وأنه قد ارتفع ذلك ورجع الله بالناس إلى وحدة الدين بالإسلام.والمناسبة بينها وبين ما تقدمها تحتمل وجوها:الأول: قال فخر الدين: إن الله تعالى لما بين في قوله: زين للذين كفروا الحياة الدنيا [البقرة: ٢١٢] أن سبب إصرار الكفار على كفرهم هو استبدالهم الدنيا بالآخرة بين في هذه الآية أن هذه الحالة غير مختصة بالذين كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم بل كانت حاصلة في الأزمنة المتقادمة." (١)

"لأن الناس كانوا أمة واحدة قائمة على الحق وما كان اختلافهم لسبب البغي والتحاسد في طلب الدنيا اهـ، فتكون الجملة مستأنفة استئنافا بيانيا لتنظير ما لقيه المسلمون بما كان في الأمم الغابرة.الثاني: يؤخذ من كلام الطيبي عند قوله تعالى: أم حسبتم أن تدخلوا الجنة [البقرة: ٢١٤] أخذ من كلام «الكشاف» أن المقصود من قوله: كان الناس أمة واحدة تشجيع الرسول عليه السلام والمؤمنين على الثبات والصبر على أذى المشركين بذكر ما قابلت به الأمم السالفة أنبياءها وما لقوا فيها من الشدائد اهـ فالمناسبة على هذا في مدلول قوله تعالى: زين للذين كفروا الحياة الدنيا ويسخرون [البقرة: ٢١٢] إلخ، وتكون الجملة مستأنفة استئنافا ابتدائيا للمناسبة.والظاهر عندي أن موقع هذه الآية هنا جامع لموقع **تذييل** لما قبلها ومقدمة لما بعدها.فأما الأول فلأنها أفادت بيان حالة الأمم الماضية كيف نشأ الخلاف بينهم في الحق مما لأجله تداركهم الله ببعثات الرسل في العصور والأجيال التي اقتضتها حكمة الله ولطفه مما يماثل الحالة التي نشأت فيها البعثة المحمدية وما لقيه الرسول والمسلمون من المشركين.وأما الثاني فلأنها مقدمة لما يرد بعدها من ذكر اختصاص الإسلام بالهداية إلى الحق الذي اختلفت فيه الأمم وهو مضمون قوله تعالى: فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه إلى قوله: إلى صراط مستقيم وذلك من خصائص كون الإسلام مهيمنا على ماسبقه من الشرائع الإلهية وتفضيله على جميع الأديان وأن هذه المزية العظمى يجب الاعتراف بها وألا تكون مثار حسد للنبيء وأمته، ردا على حسد المشركين، إذ يسخرون من الذين آمنوا وعلى حسد أهل الكتاب الذي سبق التنبيه عليه في قوله تعالى: سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم إلى قوله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم[البقرة: ١٤٢] .وحصل من عموم ذلك تعليم المسلمين تاريخ أطوار الدين بين عصور البشر بكلمات جامعة ختمت بقوله: فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه فإن كان المراد من كونهم أمة واحدة الوحدة في الخير والحق وهو المختار كما سيأتي فقد نبه الله أن الناس اختلفوا فبعث لهم أنبياء متفرقين لقصد تهيئة الناس للدخول في دين واحد عام، فالمناسبة حاصلة مع جملة ادخلوا في السلم كافة [البقرة: ٢٠٨] بناء على أنها خطاب لأهل الكتاب أي ادخلوا في دين الإسلام الذي هدى الله به المسلمين.." (٢)

"والمراد من الذين آمنوا المسلمون لا محالة، والضمير في اختلفوا عائد للمختلفين كلهم، سواء الذين اختلفوا في الحق قبل مجيء الرسل والذين اختلفوا في الشرائع بعد مجيء الرسل والبينات ولذلك بينه بقوله: من الحق وهو الحق الذي تقدم ذكره في قوله: وأنزل معهم الكتاب بالحق اختلاف الفريقين راجع إلى الاختلاف في تعيين الحق إما عن جهل أو عن حسد وبغي.والإذن: الخطاب بإباحة فعل وأصله مشتق من فعل أذن إذا أصغى أذنه إلى كلام من يكلمه، ثم أطلق على الخطاب

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٩٨/٢

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٩٩/٢

بإباحة فعل على طريقة المجاز بعلاقة اللزوم لأن الإصغاء إلى كلام المتكلم يستلزم الإقبال عليه وإجابة مطلبه، وشاع ذلك حتى صار الإذن أشيع في معنى الخطاب بإباحة الفعل، وبذلك صار لفظ الإذن قابلا لأن يستعمل مجازا في معان من مشابهات الخطاب بالإباحة، فأطلق في هذه الآية على التمكين من الاهتداء وتيسيره بما في الشرائع من بيان الهدى والإرشاد إلى وسائل الاهتداء على وجه الاستعارة، لأن من ييسر لك شيئا فكأنه أباح لك تناوله.وفي هذا إيماء إلى أن الله بعث بالإسلام لإرجاع الناس إلى الحق وإلى التوحيد الذي كانوا عليه، أو لإرجاعهم إلى الحق الذي جاءت الرسل لتحصيله، فاختلف أتباعهم فيه بدلا من أن يحققوا بأفهامهم مقاصد ما جاءت به رسلهم، فحصل بما في الإسلام من بيان القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وضوح الحق والإرشاد إلى كيفية أخذه، فحصل بمجيء الإسلام إتمام مراد الله مما أنزل من الشرائع السالفة.وقوله: والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم **تذييل** لبيان أن فضل الله يعطيه من يشاء، وهذا إجمال، وتفصيله أن حكمة الله اقتضت أن يتأخر تمام الهدى إلى وقت مجيء شريعة الإسلام لما تهيأ البشر بمجيء الشرائع السابقة لقبول هذه الشريعة الجامعة،فكانت الشرائع السابقة تمهيدا وتهيئة لقبول دين الإسلام، ولذلك صدرت هذه الآية بقوله:كان الناس أمة واحدة، فكما كان البشر في أول أمره أمة واحدة على هدى بسيط ثم عرضت له الضلالات عند تحرك الأفكار البشرية، رجع البشر إلى دين واحد في حالة ارتقاء الأفكار، وهذا اتحاد عجيب، لأنه جاء بعد تشتت الآراء والمذاهب، ولذا قال تعالى: إن الدين عند الله الإسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم، و." (١)

"أن يسألوا عن المال المنفق بمعنى السؤال عن النوع الذي ينفق من ذهب أم من ورق أم من طعام، لأن هذا لا تتعلق بالسؤال عنه أغراض العقلاء، إذ هم يعلمون أن المقصد من الإنفاق إيصال النفع للمنفق عليه، فيتعين أن السؤال عن كيفيات الإنفاق ومواقعه، ولا يريبكم في هذا أن السؤال هنا وقع بما وهي يسأل بها عن الجنس لا عن العوارض، فإن ذلك اصطلاح منطقي لتقريب ما ترجموه من تقسيمات مبنية على اللغة اليونانية وأخذ به السكاكي، لأنه يحفل باصطلاح أهل المنطق وذلك لا يشهد له الاستعمال العربي.والخير: المال كما تقدم في قوله تعالى: إن ترك خيرا [البقرة: ١٨٠] آية الوصية.وما أنفقتم شرط، ففعل أنفقتم مراد به الاستقبال كما هو مقتضى الشرط، وعبر بالماضي لإظهار الرغبة في حصول الشرط فينزل كالحاصل المتقرر.واللام في فللوالدين للملك، بمعنى الاستحقاق أي فالحقيق به الوالدين أي إن تنفقوا فأنفقوا للوالدين أو أعطوا للوالدين، وقد تقدم بيانهم في قوله تعالى: وآتى المال على حبه ذوي القربى [البقرة: ١٧٧] الآية.والآية دالة على الأمر بالإنفاق على هؤلاء والترغيب فيه، وهي في النفقة التي ليست من حق المال أعني الزكاة ولا هي من حق الذات من حيث إنها ذات كالزوجة، بل هذه النفقة التي هي من حق المسلمين بعضهم على بعض لكفاية الحاجة وللتوسعة وأولى المسلمين بأن يقوم بها أشدهم قرابة بالمعوزين منهم، فمنها واجبة كنفقة الأبوين الفقيرين والأولاد الصغار الذين لا مال لهم إلى أن يقدروا على التكسب أو ينتقل حق الإنفاق إلى غير الأبوين، وذلك كله بحسب عادة أمثالهم، وفي تحديد القربى الموجبة للإنفاق خلاف بين الفقهاء. فليست هاته الآية بمنسوخة بآية الزكاة، إذ لا تعارض بينهما حتى نحتاج للنسخ وليس

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٣١٢/٢

في لفظ هاته الآية ما يدل على الوجوب حتى يظن أنها نزلت في صدقة واجبة قبل فرض الزكاة.وابن السبيل هو الغريب عن الحي المار في سفره، ينفق عليه ما يحتاج إليه.وقوله: وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم **تذييل** والمقصود من قوله: فإن الله به عليم الكناية عن الجزاء عليه، لأن العليم القدير إذا امتثل أحد لأمره لا يحول بينهوبين جزائه عليه حائل. وشمل عموم وما تفعلوا من خير الأفعال الواجبة والمتطوع بها فيعم النفقات وغيرها.." (١)

"تعين أن يكون المراد من الإخبار لازم الفائدة، أعني كتبناه عليكم ونحن عالمون أنه شاق عليكم، وربما رجح هذا الوجه بقوله تعالى بعد هذا: والله يعلم وأنتم لا تعلمون.والكره بضم الكاف: الكراهية ونفرة الطبع من الشيء ومثله الكره بالفتح على الأصح، وقيل: الكره بالضم المشقة ونفرة الطبع، وبالفتح هو الإكراه وما يأتي على الإنسان من جهة غيره من الجبر على فعل ما بأذى أو مشقة، وحيث قرئ بالوجهين هنا وفي قوله تعالى: حملته أمه كرها ووضعته كرها [الأحقاف: ١٥] ولم يكن هنا ولا هنا لك معنى للإكراه تعين أن يكون بمعنى الكراهية وإباية الطبع كما قال الحماسي العقيلي:بكره سراتنا يا آل عمرو ... نغاديكم بمرهفة النصالرووه بضم الكاف وبفتحها.على أن قوله تعالى بعد ذلك وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم الوارد مورد **التذييل**: دليل على أن ما قبله مصدر بمعنى الكراهية ليكون جزئيا من جزئيات أن تكرهوا شيئا.وقد تحمل صاحب «الكشاف» لحمل المفتوح في هذه الآية والآية الأخرى على المجاز، وقرره الطيبي والتفتازاني بما فيه تكلف، وإذ هو مصدر فالإخبار به مبالغة في تمكن الوصف من المخبر عنه كقول الخنساء:فإنما هي إقبال وإدبار أي تقبل وتدبر.وقيل: الكره اسم للشيء المكروه كالخبز. فالقتال كريه للنفوس، لأنه يحول بين المقاتل وبين طمأنينته ولذاته ونومه وطعامه وأهله وبيته، ويلجئ الإنسان إلى عداوة من كان صاحبه ويعرضه لخطر الهلاك أو ألم الجراح، ولكن فيه دفع المذلة الحاصلة من غلبة الرجال واستضعافهم،وفي الحديث «لا تمنوا لقاء العدو فإذا لقيتم فاصبروا»، وهو إشارة إلى أن القتال من الضرورات التي لا يحبها الناس إلا إذا كان تركها يفضي إلى ضر عظيم قال العقيلي:ونبكي حين نقتلكم عليكم ... ونقتلكم كأنا لا نبالي." (٢)

"ومعلوم أن كراهية الطبع الفعل لا تنافي تلقي التكليف به برضا لأن أكثر التكليف لا يخلو عن مشقة.ثم إن كانت الآية خبرا عن تشريع مضى، يحتمل أن تكون جملة وهو كره حكاية لحالة مضت وتلك في أيام قلة المسلمين فكان إيجاب القتال ثقيلا عليهم، وقد كان من أحكامه أن يثبت الواحد منهم لعشرة من المشركين أعدائهم، وذلك من موجبات كراهيتهم القتال، وعليه فليس يلزم أن تكون تلك الكراهية باقية إلى وقت نزول هذه الآية، فيحتمل أن يكون نزلت في شأن صلح الحديبية وقد كانوا كرهوا الصلح واستحبوا القتال، لأنهم يومئذ جيش كثير فيكون تذكيرا لهم بأن الله أعلم بمصالحهم، فقد أوجب عليهم القتال حين كانوا يكرهونه وأوجب عليهم الصلح في وقت أحبوا فيه القتال، فحذف ذلك لقرينة المقام، والمقصود الإفضاء إلى قوله: وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم لتطمئن أنفسهم بأن الصلح الذي كرهوه هو خير لهم، كما تقدم في حوار عمر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع أبي بكر، ويكون في الآية احتباك، إذ الكلام على القتال،

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢/٣١٨

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢/٣٢٠

فتقدير السياق كتب عليكم القتال وهو كره لكم ومنعتم منه وهو حب لكم، وعسى أن تكرهوا القتال وهو خير لكم وعسى أن تحبوه وهو شر لكم، وإن كانت الآية إنشاء تشريع فالكراهية موجودة حين نزول الآية فلا تكون واردة في شأن صلح الحديبية، وأول الوجهين أظهرهما عندي ليناسب قوله عقبه: يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه [البقرة: ٢١٧] .وقوله: وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم تذييل احتيج إليه لدفع الاستغراب الناشئ عن قوله: كتب عليكم القتال وهو كره لكم، لأنه إذا كان مكروها فكان شأن رحمة الله بخلقه ألا يكتبه عليهم فذيل بهذا لدفع ذلك.وجملة وعسى معطوفة على جملة كتب عليكم القتال، وجملة وهو خير لكم: حالية من شيئا على الصحيح من مجيء الحال من النكرة، وهذا الكلام تلطف من الله تعالى لرسوله والمؤمنين، وإن كان سبحانه غنيا عن البيان والتعليل، لأنه يأمر فيطاع، ولكن في بيان الحكمة تخفيفا من مشقة التكليف، وفيه تعويد المسلمين بتلقي الشريعة معللة مذللة فأشار إلى أن حكمة التكليف تعتمد المصالح ودرء المفاسد، ولا تعتمد ملاءمة الطبع ومنافرته، إذ يكره الطبع شيئا وفيه نفعه وقد يحب شيئا وفيه هلاكه، وذلك باعتبار العواقب والغايات،." (١)

"ثم إن الله تعالى جعل نظام الوجود في هذا العالم بتولد الشيء من بين شيئين وهوالمعبر عنه بالازدواج، غير أن هذا التولد يحصل في الذوات بطريقة التولد المعروفة قال تعالى: ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين [الرعد: ٣] وأما حصوله في المعاني، فإنما يكون بحصول الصفة من بين معنيي صفتين أخريين متضادتين تتعادلان في نفس فينشأ عن تعادلهما صفة ثالثة.والفضائل جعلت متولدة من النقائص فالشجاعة من التهور والجبن، والكرم من السرف والشح، ولا شك أن الشيء المتولد من شيئين يكون أقل مما تولد منه، لأنه يكون أقل من الثلث، إذ ليس كلما وجد الصفتان حصل منهما تولد صفة ثالثة، بل حتى يحصل التعادل والتكافؤ بين تينك الصفتين المتضادتين وذلك عزيز الحصول ولا شك أن هاته الندرة قضت بقلة اعتياد النفوس هاته الصفات، فكانت صعبة عليها لقلة اعتيادها إياها.ووراء ذلك فالله حدد للناس نظاما لاستعمال الأشياء النافعة والضارة فيما خلقت لأجله، فالتبعة في صورة استعمالها على الإنسان وهذا النظام كله تهيئة لمراتب المخلوقات في العالم الأبدي عالم الخلود وهو الدار الآخرة كمايقال: «الدنيا مزرعة الآخرة»وبهذا تكمل نظرية النقض الذي نقض به الشيخ الأشعري على شيخه الجبائي أصلهم في وجوب الصلاح والأصلح فيكون بحث الأشعري نقضا وكلامنا هذا سندا وانقلابا إلى استدلال.وجملة والله يعلم وأنتم لا تعلمون تذييل للجميع، ومفعولا يعلم وتعلمون محذوفان دل عليهما ما قبله أي والله يعلم الخير والشر وأنتم لا تعلمونهما، لأن الله يعلم الأشياء على ما هي عليه والناس يشتبه عليهم العلم فيظنون الملائم نافعا والمنافر ضارا.والمقصود من هذا تعليم المسلمين تلقي أمر الله تعالى باعتقاد أنه الصلاح والخير، وأن ما لم تتبين لنا صفته من الأفعال المكلف بها نوقن بأن فيه صفة مناسبة لحكم الشرع فيه فتطلبها بقدر الإمكان عسى أن ندركها، لنفرع عليها ونقيس ويدخل تحت هذا مسائل مسالك العلة، لأن الله تعالى لا يجري أمره ونهيه إلا على وفق علمه.[٢١٧][سورة البقرة (٢) : آية ٢١٧]يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ومن يرتدد

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢/٣٢١

منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون (٢١٧)يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير.من أهم تفاصيل الأحوال في القتال الذي كتب على المسلمين في الآية قبل هذه أن يعلموا ما إذا صادف القتال بينهم وبين المشركين الأشهر الحرم إذ كان محجرا في العرب من عهد." (١)

"إن هذا لشيء عجاب [ص: ٥] فليس الكفر بالله إلا ركنا من أركان الصد عن الإسلام فلذلك قدم الصد عن سبيل الله ثم ثنى بالكفر بالله ليفاد بدلالة المطابقة بعد أن دل عليه الصد عن سبيل الله بدلالة التضمن، ثم عد عليهم الصد عن المسجد الحرام ثم إخراج أهله منه. ولا يصح أن يكون «والمسجد الحرام» عطفا على الضمير في قوله (به) لأنه لا معنى للكفر بالمسجد الحرام فإن الكفر يتعدى إلى ما يعبد وما هو دين وما يتضمن دينا، على أنهم يعظمون المسجد الحرام ولا يعتقدون فيه ما يسوغ أن يتكلف بإطلاق لفظ الكفر عليه على وجه المجاز.وقوله: وإخراج أهله منه أي إخراج المسلمين من مكة فإنهم كانوا حول المسجد الحرام لأن في إخراجهم مظالم كثيرة فقد مرض المهاجرون في خروجهم إلى المدينة ومنهم كثير من أصابته الحمى حتى رفعت من المدينة ببركة دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم، علىأن التفضيل إنما تعلق بوقوع القتال في الأشهر الحرم لا بنفس القتل فإن له حكما يخصه.والأهل: الفريق الذين لهم مزيد اختصاص بما يضاف إليه اللفظ، فمنه أهل الرجل عشيرته، وأهل البلد المستوطنون به، وأهل الكرم المتصفون به، أراد به هنا المستوطنين بمكة وهم المسلمون، وفيه إيماء إلى أنهم أحق بالمسجد الحرام، لأنهم الذين اتبعوا ملة من بنى المسجد الحرام قال تعالى: وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون [الأنفال: ٣٤] وقوله: والفتنة أكبر من القتل تذييل مسوق مساق التعليل، لقوله: وإخراج أهله منه وإذ قد كان إخراج أهل الحرم منه أكبر من القتل كان ما ذكر قبله من الصد عن الدين والكفر بالله والصد عن المسجد الحرام أكبر بدلالة الفحوى، لأن تلك أعظم جرما من جريمة إخراج المسلمين من مكة.والفتنة: التشغيب والإيقاع في الحيرة واضطراب العيش فهي اسم شامل لما يعظم من الأذى الداخل على أحد أو جماعة من غيرهم، وأريد بها هنا ما لقيه المسلمون من المشركين من المصائب في الدين بالتعرض لهم بالأذى بالقول والفعل، ومنعهم من إظهار عبادتهم، وقطيعتهم في المعاملة، والسخرية بهم والضرب المدمي والتمالؤ على قتل الرسول صلى الله عليه وسلم والإخراج من مكة ومنع من أموالهم ونسائهم وصدهم عن البيت، ولا يخفى أن مجموع ذلك أكبر من قتل المسلمين واحدا من رجال المشركين وهو عمرو الحضرمي وأسرهم رجلين منهم.." (٢)

"مقاصدهم، وفي هذه إشارة إلى أنه ليس من المصلحة أن يعرض الناس عن النظر في أموال اليتامى اتقاء لألسنة السوء، وتهمة الظن بالإثم فلو تمالأ الناس على ذلك وقاية لأعراضهم لضاعت اليتامى، وليس هذا من شأن المسلمين فإن على الصلاح والفساد دلائل ووراء المتصرفين عدالة القضاة وولاة الأمور يجازون المصلح بالثناء والحمد العلن ويجازون المفسد بالبعد بينه وبين اليتامى وبالتغريم بما أفاته بدون نظر.و (من) في قوله: من المصلح تفيد معنى الفصل والتمييز وهو معنى أثبته لها ابن مالك في «التسهيل» قائلا «وللفصل» وقال في «الشرح» : «وأشرت بذكر الفصل إلى دخولها على ثاني المتضادين

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢/٣٢٣

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢/٣٣٠

نحو والله يعلم المفسد من المصلح وحتى يميز الخبيث منالطيب[آل عمران: ١٧٩] اهـ وهو معنى رشيق لا غنى عن إثباته وقد أشار إليه في «الكشاف» عند قوله تعالى: أتأتون الذكران من العالمين في سورة الشعراء وجعله وجها ثانيا فقال: «أو أتأتون أنتم من بين من عداكم من العالمين الذكران يعني أنكم يا قوم لوط وحدكم مختصون بهذه الفاحشة» اهـ فجعل معنى (من) معنى من بين، وهو لا يتقوم إلا على إثبات معنى الفصل، وهو معنى متوسط بين معنى من الابتلاء ومعنى البدلية حين لا يصلح متعلق المجرور لمعنى الابتدائية المحض ولا لمعنى البدلية المحض فحدث معنى وسط، وبحث فيه ابن هشام في «مغني اللبيب» أن الفصل حاصل من فعل يميز ومن فعل يعلم واستظهر أن من للابتداء أو بمعنى عن.وقوله: ولو شاء الله لأعنتكم **تذييل** لما دل عليه قوله: قل إصلاح لهم خير على ما تقدم. والعنت: المشقة والصعوبة الشديدة أي ولو شاء الله لكلفكم ما فيه العنت وهو أن يحرم عليكم مخالطة اليتامى فتجدوا ذلك شاقا عليكم وعنتا، لأن تجنب المرء مخالطة أقاربه من إخوة وأبناء عم ورؤيته إياهم مضيعة أمورهم لا يحفل بهم أحد يشق على الناس في الجبلة وهم وإن فعلوا ذلك حذرا وتنزها فليس كل ما يبتدئ المرء فعله يستطيع الدوام عليه.وحذف مفعول المشيئة لإغناء ما بعده عنه، وهذا حذف شائع في مفعول المشيئة فلا يكادون يذكرونه. وقد مضى القول فيه عند قوله تعالى: ولو شاء الله لذهب بسمعهم [البقرة: ٢٠] .وقوله: إن الله عزيز حكيم **تذييل** لما اقتضاه شرط (لو) من الإمكان وامتناع الوقوع أي إن الله عزيز غالب قادر فلو شاء لكلفكم العنت، لكنه حكيم يضع الأشياء مواضعها فلذا لم يلكفكموه.." (١)

"ومن المفسرين من حمل الإذن على التيسير والقضاء والباء على أنها ظرف لغو فرأى هذا القيد غير جزيل الفائدة فتأول قوله: والله يدعوا بمعنى وأولياء الله يدعون وهم المؤمنون.وجملة ويبين معطوفة على يدعوا يعني يدعو إلى الخير مع بيانه وإيضاحه حتى تتلقاه النفوس بمزيد القبول وتمام البصيرة فهذا كقوله: كذلك يبين الله لكم الآيات [البقرة: ٢١٩] ففيها معنى **التذييل** وإن كانت واردة بغير صيغته. ولعل مستعملة في مثله مجاز في الحصول القريب.[٢٢٢][سورة البقرة (٢) : آية ٢٢٢]ويسئلونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين (٢٢٢)عطف على جملة: ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن [البقرة: ٢٢١] ، بمناسبة أن تحريم نكاح المشركات يؤذن بالتنزه عن أحوال المشركين وكان المشركون لا يقربون نساءهم إذا كن حيضا وكانوا يفرطون في الابتعاد منهن مدة الحيض فناسب تحديد ما يكثروقوعه وهو من الأحوال التي يخالف فيها المشركون غيرهم، ويتساءل المسلمون عن أحق المناهج في شأنها.روي أن السائل عن هذا هو أبو الدحداح ثابت بن الدحداح الأنصاري، وروي أن السائل أسيد بن حضير، وروي أنه عباد بن بشر، فالسؤال حصل في مدة نزول هذه السورة فذكر فيها مع ما سيذكر من الأحكام.والباعث على السؤال أن أهل يثرب قد امتزجوا باليهود واستنوا بسنتهم في كثير من الأشياء، وكان اليهود يتباعدون عن الحائض أشد التباعد بحكم التوراة ففي الإصحاح الخامس عشر من سفر اللاويين «إذا كانت امرأة لها سيل دما في لحمها فسبعة أيام تكون في طمثها وكل من مسها يكون نجسا إلى المساء وكل ما تضطجع عليه يكون نجسا وكل من مس فراشها يغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجسا إلى المساء وإن اضطجع معها رجل فكان طمثها عليه يكون

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٣٥٨/٢

نجسا سبعة أيام» . وذكر القرطبي أن النصارى لا يمتنعون من ذلك ولا أحسب ذلك صحيحا فليس في الإنجيل ما يدل عليه، وإن من قبائل العرب من كانت الحائض عندهم مبغوضة." (١)

"أن المعنى: من الصفة التي أمركم الله وهي الطهر، فحيث مجاز في الحال أو السبب و (من) لابتداء الأسباب فهي بمعنى التعليل.والذي أراه أن قوله: من حيث أمركم الله قد علم السامعون منه أنه أمر من الله كان قد حصل فيما قبل، وأما (حيث) فظرف مكان وقد تستعمل مجازا في التعليل فيجوز أن المراد بأمر الله أمره الذي تضمنته الغاية ب (حتى) في قوله: ولا تقربوهن حتى يطهرن لأن غاية النهي تنتهي إلى الإباحة فالأمر هو الإذن، و (من) للابتداء المجازي، و (حيث) مستعملة في التعليل مجازا تخييليا أي لأن الله أمركم بأن تأتوهن عند انتهاء غاية النهي بالتطهر. أو المراد بأمر الله أمره الذي به أباح التمتع بالنساء وهو عقد النكاح، فحرف (من) للتعليل والسببية، و (حيث) مستعار للمكان المجازي وهو حالة الإباحة التي قبل النهي كأنهم كانوا محجوزين عن استعمال الإباحة أو حجر عليهم الانتفاع بها ثم أذن لهم باستعمالها فشبهت حالتهم بحالة من حبس عند مكان ثم أطلق سراحه فهو يأتي منه إلى حيث يريد. وعلى هذين المعنيين لا يكون في الآية ما يؤذن بقصد تحديد الإتيان بأن يكون في مكان النسل، ويعضد هذين المعنيين تذييل الكلام بجملة: إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وهو ارتفاق بالمخاطبين بأن ذلك المنع كان لمنفعتهم ليكونوا متطهرين، وأما ذكر التوابين فهو إدماج للتنويه بشأن التوبة عند ذكر ما يدل على امتثال ماأمرهم الله به من اعتزال النساء في المحيض أي إن التوبة أعظم شأنا من التطهر أي أن نية الامتثال أعظم من تحقق مصلحة التطهر لكم، لأن التوبة تطهر روحاني والتطهر جثماني.ويجوز أن يكون قوله: من حيث أمركم الله على حقيقة (من) في الابتداء وحقيقة (حيث) للمكان والمراد المكان الذي كان به أذى الحيض.وقد قيل: إن جملة إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين معترضة بين جملة فإذا تطهرن وجملة نساؤكم حرث لكم [البقرة: ٢٢٣] [٢٢٣][سورة البقرة (٢) : آية ٢٢٣]نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم وقدموا لأنفسكم واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين (٢٢٣)نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم.هذه الجملة تذييل ثان لجملة: فأتوهن من حيث أمركم الله [البقرة: ٢٢٢] قصد به الارتفاق بالمخاطبين والتأنس لهم لإشعارهم بأن منعهم من قربان النساء في مدة المحيض منع مؤقت لفائدتهم وأن الله." (٢)

"يشاء [آل عمران: ٦] وقال في «لسان العرب» : إن (أنى) تكون بمعنى (متى) ، وقد أضيف (أنى) في هذه الآية إلى جملة (شئتم) والمشيئات شتى فتأوله كثير من المفسرين على حمل (أنى) على المعنى المجازي وفسره بكيف شئتم وهو تأويل الجمهور الذي عضدوه بما رووه في سبب نزول الآية وفيها روايتان. إحداهما عن جابر بن عبد الله والأخرى عن ابن عباس وتأوله الضحاك على معنى متى شئتم وتأوله جمع على معناه الحقيقي من كونه اسم مكان مبهم، فمنهم من جعلوه ظرفا لأنه الأصل في أسماء المكان إذا لم يصرح فيها بما يصرف عن معنى الظرفية وفسروه بمعنى في أي مكان من المرأة شئتم وهو المروي في «صحيح البخاري» تفسيرا من ابن عمر، ومنهم من جعلوه اسم مكان غير ظرف وقدروا أنه مجرور ب (من)

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢/٣٦٤

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢/٣٧٠

ففسروه من أي مكان أو جهة شئتم وهو يئول إلى تفسيره بمعنى كيف، ونسب القرطبي هذين التأويلين إلى سيبويه. فالذي يتبادر من موقع الآية وتساعد عليه معاني ألفاظها أنها **تذييل** وارد بعد النهي عن قربان النساء في حال الحيض. فتحمل (أنى) على معنى متى ويكون المعنى فأتوا نساءكم متى شئتم إذا تطهرن فوزانها وزان قوله تعالى: وإذا حللتم فاصطادوا بعد قوله: غير محلي الصيد وأنتم حرم [المائدة: ٢] .ولا مناسبة تبعث لصرف الآية عن هذا المعنى إلا أن ما طار بين علماء السلف ومنبعدهم من الخوض في محامل أخرى لهذه الآية، وما رووه من آثار في أسباب النزول يضطرنا إلى استفصال البيان في مختلف الأقوال والمحامل مقتنعين بذلك، لما فيه من إشارة إلى اختلاف الفقهاء في معاني الآية، وإنها لمسألة جديرة بالاهتمام، على ثقل في جريانها، على الألسنة والأقلام.روى البخاري ومسلم في «صحيحهما» عن جابر بن عبد الله: أن اليهود قالوا إذا أتى الرجل امرأته مجبية جاء الولد أحول، فسأل المسلمون عن ذلك فنزلت نساؤكم حرث لكم الآية وأخرج أبو داود عن ابن عباس قال: كان هذا الحي من الأنصار وهم أهل وثن مع هذا الحي من اليهود وهم أهل كتاب وكانوا يرون لهم فضلا عليهم في العلم فكانوا يقتدون بكثير من فعلهم، وكان من أمر أهل الكتاب ألا يأتوا النساء إلا على حرف وذلك أستر ما تكون المرأة، فكان هذا الحي من الأنصار قد أخذوا بذلك، وكان هذا الحي من قريش." (١)

"في هذا الشأن قد يلتبس بغير التنزه والله يحب التنزه عنه، مع احتمال المحبة عنه لمعنى التفضيل والتكرمة مثل يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين [التوبة: ١٠٨] ، واحتمالها لمعنى: ويبغض غير ذلك، ثم جاء ما هو كالدليل وهو قوله: نساؤكم حرث لكم فجعلن حرثا على احتمال وجوه في الشبه فقد يقال: إنه وكل للمعروف، وقد يقال: إنه جعل شائعا في المرأة، فلذلك نيط الحكم بذات النساء كلها، ثم قال: فأتوا حرثكم أنى شئتم فجاء بأنى المحتملة للكيفيات وللأمكنة وهي أصل في الأمكنة ووردت في الكيفيات، وقد قيل: إنها ترد للأزمنة فاحتمل كونها أمكنة الوصول من هذا الإتيان، أو أمكنة الورود إلى مكان آخر مقصود فهي أمكنة ابتداء الإتيان أو أمكنة الاستقرار فأجمل في هذا كله إجمال بديع وأثني ثناء حسن.واختلاف محامل الآية في أنظار المفسرين والفقهاء طوع علم المتأمل، وفيها أقوال كثيرة ومذاهب مختلفة لفقهاء الأمصار في كتب أحكام القرآن وكتب السنة، وفي دواوين الفقه، وقد اقتصرنا على الآثار التي تمت إلى الآية بسبب نزول، وتركنا ما عداه إلى أفهام العقول.وقدموا لأنفسكم واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين عطف على جملة فأتوا حرثكم أو على جملة إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين. عطف الإنشاء على الخبر، على أن الجملة المعطوف عليها وإن كانت خبرا فالمقصود منها الأمر بالتوبة والتطهر فكرر ذلك اهتماما بالحرص على الأعمال الصالحة بعد الكلام على اللذائذ العاجلة.وحذف مفعول وقدموا اختصارا لظهوره لأن التقديم هنا إعداد الحسنات فإنهابمنزلة الثقل الذي يقدمه المسافر.وقوله: لأنفسكم متعلق ب قدموا، واللام للعلة أي لأجل أنفسكم أي لنفعها، وقوله: واتقوا الله تحريض على امتثال الشرع بتجنب المخالفة، فيدخل تحته التخلي عن السيئات والتحلي بالواجبات والقربات، فمضمونها أعم من مضمون جملة وقدموا لأنفسكم فلذلك كانت هذه **تذييلا**.." (٢)

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٣٧٢/٢

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٣٧٤/٢

"قربان الأزواج في حالة الحيض، وكون مضمون هذه الجملة تمهيدا لجملة للذين يؤلون من نسائهم [البقرة: ٢٢٦] ، فوقع هذا التمهيد موقع الاعتراض بين جملة نساؤكم حرث لكم، وجملة للذين يؤلون من نسائهم وسلك فيه طريق العطف لأنه نهي عطف على نهي في قوله: ولا تقربوهن حتى يطهرن [البقرة: ٢٢٢] .وقال التفتازاني: الأظهر أنه معطوف على مقدر أي امتثلوا ما أمرت به ولا تجعلوا الله عرضة اهـ. وفيه تكلف وخلو عن إبداء المناسبة، وجوز التفتازاني أن يكون معطوفا على الأوامر السابقة وهي وقدموا [البقرة: ٢٢٣] واتقوا [البقرة: ٢٢٣] واعلموا أنكم ملاقوه [البقرة: ٢٢٣] اهـ أي فالمناسبة أنه لما أمرهم باستحضار يوم لقائه بين لهم شيئا من التقوى دقيق المسلك شديد الخفاء وهو التقوى باحترام الاسم المعظم فإن التقوى من الأحداث التي إذا تعلقت بالأسماء كان مفادها التعلق بمسمى الاسم لا بلفظه، لأن الأحكام اللفظية إنما تجري على المدلولات إلا إذا قام دليل على تعلقها بالأسماء مثل سميته محمدا، فجيء بهذه الآية لبيان ما يترتب على تعظيم اسم الله واتقائه في حرمة أسمائه عند الحنث مع بيان ما رخص فيه من الحنث، أو لبيان التحذير من تعريض اسمه تعالى للاستخفاف بكثرة الحلف حتى لا يضطر إلى الحنث على الوجهين الآتيين، وبعد هذا التوجيه كله فهو يمنع منه أن مجيء قوله تعالى: واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه [البقرة: ٢٢٣] مجيء التذييل للأحكام السابقة مانع من اعتبار أن يعطف عليه حكم معتد به، لأنه يطول به التذييل وشأن التذييل الإيجاز.وقال عبد الحكيم: معطوف على جملة قل [البقرة: ٢٢٢] بتقدير قل أي: وقل لا تجعلوا الله عرضة أو على قوله: وقدموا [البقرة: ٢٢٣] إن جعل قوله: وقدموا من جملة مقول قل.وذكر جمع من المفسرين عن ابن جريج إنها نزلت حين حلف أبو بكر الصديق ألا ينفق على قريبه مسطح بن أثاثة لمشاركته الذين تكلموا بخبر الإفك عن عائشة رضي اللهعنها، وقال الواحدي عن الكلبي: نزلت في عبد الله بن رواحة حلف ألا يكلم ختنه على أخته بشير بن النعمان ولا يدخل بيته ولا يصلح بينه وبين امرأته، وأيا ما كان فواو العطف لا بد أن تربط هذه الجملة بشيء من الكلام الذي قبلها.وتعليق الجعل بالذات هنا هو على معنى التعليق بالاسم، فالتقدير: ولا تجعلوا اسم الله، وحذف لكثرة الاستعمال في مثله عند قيام القرينة لظهور عدم صحة تعلق الفعل بالمسمى كقول النابغة:حلفت فلم أترك لنفسك ريبة ... وليس وراء الله للمرء مذهبأي وليس بعد اسم الله للمرء مذهب للحلف.." (١)

"وكان قد طلق أخت عبد الله ثم أراد الرجوع والصلح، فحلف عبد الله ألا يصلح بينهما. وإما على تقدير أن تكون العرضة بمعنى الشيء المعرض لفعل في غرض، فالمعنى لا تجعلوا اسم الله معرضا لأن تحلفوا به في الامتناع من البر، والتقوى، والإصلاح بين الناس، فالأيمان على ظاهره، وهي الأقسام واللام متعلقة بعرضة، وأن تبروا مفعول الأيمان، بتقدير لا محذوفة بعد (أن) والتقدير ألا تبروا، نظير قوله تعالى: يبين الله لكم أن تضلوا [النساء: ١٧٦] وهو كثير فتكون الآية نهيا عن الحلف بالله على ترك الطاعات لأن تعظيم الله لا ينبغي أن يكون سببا في قطع ما أمر الله بفعله، وهذا النهي يسلتزم: أنه إن وقع الحلف على ترك البر والتقوى والإصلاح، أنه لا حرج في ذلك، وأنه يكفر عن يمينه ويفعل الخير. أو معناه: لا تجعلوا اسم الله معرضا للحلف، كما قلنا، ويكون قوله: أن تبروا مفعولا لأجله وهو علة للنهي أي إنما نهيتكم لتكونوا أبرارا أتقياء مصلحين، وفي قريب من هذا، قال مالك «بلغني أنه الحلف بالله في كل شيء» وعليه فتكون الآية نهيا عن الإسراع بالحلف

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢/٣٧٦

لأن كثرة الحلف. تعرض الحالف للحنث. وكانت كثرة الأيمان من عادات الجاهلية، في جملة العوائد الناشئة عن الغضب ونعر الحمق، فنهى الإسلام عن ذلك ولذلك تمدحوا بقلة الأيمان قال كثير:قليل الألايي حافظ ليمينه ... وإن سبقت منه الألية برتوفي معنى هذا أن يكون العرضة مستعارا لما يكثر الحلول حوله، أي لا تجعلوا اسم الله كالشيء المعرض للقاصدين. وليس في الآية على هذه الوجوه ما يفهم الإذن في الحلف بغير الله، لما تقرر من النهي عن الحلف بغير اسم الله وصفاته.وقوله: والله سميع عليم تذييل، والمراد منه العلم بالأقوال والنيات، والمقصودلازمه، وهو الوعد على الامتثال، على جميع التقادير، والعذر في الحنث على التقدير الأول، والتحذير من الحلف على التقدير الثاني.وقد دلت الآية على معنى عظيم وهو أن تعظيم الله لا ينبغي أن يجعل وسيلة لتعطيل ما يحبه الله من الخير، فإن المحافظة على البر في اليمين ترجع إلى تعظيم اسم الله تعالى، وتصديق الشهادة به على الفعل المحلوف عليه، وهذا وإن كان مقصدا جليلا يشكر عليه الحالف الطالب للبر لكن التوسل به لقطع الخيرات مما لا يرضى به الله تعالى، فقد تعارض أمران." (١)

"وفي اللغو غيرهذه المذاهب مذاهب أنهاها ابن عطية إلى عشرة، لا نطيل بها.وقوله: والله غفور حليم تذييل لحكم نفي المؤاخذة، ومناسبة اقتران وصف الغفور بالحليم هنا دون الرحيم، لأن هذه مغفرة لذنب هو من قبيل التقصير في الأدب مع الله تعالى، فلذلك وصف الله نفسه بالحليم، لأن الحليم هو الذي لا يستفزه التقصير في جانبه، ولا يغضب للغفلة، ويقبل المعذرة.[٢٢٦، ٢٢٧][سورة البقرة (٢) : الآيات ٢٢٦ إلى ٢٢٧]للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر فإن فاؤ فإن الله غفور رحيم (٢٢٦) وإن عزموا الطلاق فإن الله سميع عليم (٢٢٧)استئناف ابتدائي للانتقال إلى تشريع في عمل كان يغلب على الرجال أن يعملوه في الجاهلية، والإسلام. كان من أشهر الأيمان الحائلة بين البر والتقوى والإصلاح، أيمان الرجال على مهاجرة نسائهم، فإنها تجمع الثلاثة لأن حسن المعاشرة من البر بين المتعاشرين، وقد أمر الله به في قوله: وعاشروهن بالمعروف [النساء: ١٩] فامتثاله من التقوى، ولأن دوامه من دوام الإصلاح، ويحدث بفقده الشقاق، وهو مناف للتقوى. وقد كان الرجل في الجاهلية يولي من امرأته السنة والسنتين، ولا تنحل يمينه إلا بعد مضي تلك المدة، ولا كلام للمرأة في ذلك.وعن سعيد بن المسيب: «كان الرجل في الجاهلية لا يريد المرأة، ولا يحب أن يطلقها، لئلا يتزوجها غيره، فكان يحلف ألا يقربها مضارة للمرأة» أي ويقسم على ذلك لكيلا يعود إليها إذا حصل له شيء من الندم. قال: «ثم كان أهل الإسلام يفعلون ذلك، فأزال الله ذلك، وأمهل للزوج مدة حتى يتروى» فكان هذا الحكم من أهم المقاصد في أحكام الأيمان، التي مهد لها بقوله: ولا تجعلوا الله عرضة [البقرة: ٢٢٤] .والإيلاء: الحلف، وظاهر كلام أهل اللغة أنه الحلف مطلقا يقال آلى يولي إيلاء، وتألى يتألى تأليا، وائتلى يأتلي ائتلاء، والاسم الألوة والألية،كلاهما بالتشديد، وهو واوي فالألوة فعولة والألية فعيلة.وقال الراغب: «الإيلاء حلف يقتضي التقصير في المحلوف عليه مشتق من الألو وهو." (٢)

"وقوله: والله عزيز حكيم العزيز: القوي، لأن العزة في كلام العرب القوة ليخرجن الأعز منها الأذل [المنافقون: ٨] وقال شاعرهم:وإنما العزة للكاثروالحكيم: المتقن الأمور في وضعها، من الحكمة كما تقدم.والكلام تذييل وإقناع للمخاطبين،

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٣٧٩/٢

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٣٨٤/٢

وذلك أن الله تعالى لما شرع حقوق النساء كان هذا التشريع مظنة المتلقي بفرط التحرج من الرجال، الذين ما اعتادوا أن يسمعوا أن للنساء معهم حظوظا، غير حظوظ الرضا والفضل والسخاء، فأصبحت لهن حقوق يأخذنها من الرجال كرها، إن أبوا، فكان الرجال بحيث يرون في هذا ثلما لعزتهم، كما أنبأ عنه حديث عمر بن الخطاب المتقدم، فبين الله تعالى أن الله عزيز أي قوي لا يعجزه أحد، ولا يتقي أحدا، وأنه حكيم يعلم صلاح الناس، وأن عزته تؤيد حكمته فينفذ ما اقتضته الحكمة بالتشريع، والأمر الواجب امتثاله، ويحمل الناس على ذلك وإن كرهوا.[٢٢٩][سورة البقرة (٢) : آية ٢٢٩]الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون (٢٢٩)الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان.استئناف لذكر غاية الطلاق الذي يملكه الزوج من امرأته، نشأ عن قوله تعالى:وبعولتهن أحق بردهن في ذلك إن أرادوا إصلاحا [البقرة: ٢٢٨] وعن بعض ما يشير إليه قوله تعالى: وللرجال عليهن درجة [البقرة: ٢٢٨] فإن الله تعالى أعلن أن للنساء حقا كحق الرجال، وجعل للرجال درجة زائدة: منها أن لهم حق الطلاق، ولهم حق الرجعة لقوله:وبعولتهن أحق بردهن في ذلك [البقرة: ٢٢٨] ولما كان أمر العرب في الجاهلية جاريا على عدم تحديد نهاية الطلاق، كما سيأتي قريبا، ناسب أن يذكر عقب ذلك كله حكم تحديد الطلاق، إفادة للتشريع في هذا الباب ودفعا لما قد يعلق أو علق بالأوهام في شأنه.روى مالك في جامع الطلاق من «الموطأ» : «عن هشام بن عروة عن أبيه أنه قال:كان الرجل إذا طلق امرأته ثم ارتجعها قبل أن تنقضي عدتها كان له ذلك وإن طلقها ألف مرة فعمد رجل إلى امرأته فطلقها حتى إذا شارفت انقضاء عدتها راجعها ثم طلقها ثم قال والله لا آويك ولا تحلين أبدا فأنزل الله تعالى: الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان فاستقبل الناس الطلاق جديدا من يومئذ من كان طلق منهم أو لم يطلق» .." (١)

"تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون.جملة تلك حدود الله فلا تعتدوها معترضة بين جملة ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا وما اتصل بها، وبين الجملة المفرعة عليها وهي فإن طلقها فلا تحل له من بعد الآية. ومناسبة الاعتراض ما جرى في الكلام الذي قبلها من منع أخذ العوض عن الطلاق، إلا في حالة الخوف من ألا يقيما حدود الله، وكانت حدود الله مبينة في الكتاب والسنة، فجيء بهذه الجملة المعترضة تبيينا لأن منع أخذ العوض على الطلاق هو من حدود الله.وحدود الله استعارة للأوامر والنواهي الشرعية بقرينة الإشارة، شبهت بالحدود التي هي الفواصل المجعولة بين أملاك الناس، لأن الأحكام الشرعية، تفصل بين الحلال والحرام، والحق والباطل وتفصل بين ما كان عليه الناس قبل الإسلام، وما هم عليه بعده.والإقامة في الحقيقة الإظهار والإيجاد، يقال: أقام حدا لأرضه، وهي هنا استعارة للعمل بالشرع تبعا لاستعارة الحدود للأحكام الشرعية، وكذلك إطلاق الاعتداء الذي هو تجاوز الحد على مخالفة حكم الشرع، هو استعارة تابعة لتشبيه الحكم بالحد.وجملة: ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون **تذييل** وأفادت جملة فأولئك هم الظالمون حصرا وهو حصر حقيقي، إذ ما من ظالم إلا وهو متعد لحدود الله، فظهر حصر حال المتعدي حدود الله في

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢/٤٠٣

أنه ظالم.واسم الإشارة من قوله: فأولئك هم الظالمون مقصود منه تمييز المشار إليه، أكمل تمييز، وهو من يتعدى حدود الله، اهتماما بإيقاع وصف الظالمين عليهم.وأطلق فعل يتعد على معنى يخالف حكم الله ترشيحا لاستعارة الحدود لأحكام الله، وهو مع كونه ترشيحا مستعار لمخالفة أحكام الله لأن مخالفة الأمر والنهي تشبه مجاوزة الحد في الاعتداء على صاحب الشيء المحدود.وفي الحديث: «ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه." (١)

"دون تفصيل بكيفية هذا التزوج لأنه لا خلاف في أن رضا المرأة بالزوج هو العقد المسمى بالنكاح، وإنما الخلاف في اشتراط مباشرة الولي لذلك دون جبر، وهذا لا ينافيه إسناد النكاح إليهن، أما ولاية الإجبار فليست من غرض هذه الآية لأنها واردة في شأن الأيامى ولا جبر على أيم باتفاق العلماء.وقوله: ذلك يوعظ به إشارة إلى حكم النهي عن العضل، وإفراد الكاف مع اسم الإشارة مع أن المخاطب جماعة، رعيا لتناسي أصل وضعها من الخطاب إلى ما استعملت فيه من معنى بعد المشار إليه فقط، فإفرادها في أسماء الإشارة هو الأصل، وأما جمعها في قوله ذلكم أزكى لكم فتجديد لأصل وضعها.ومعنى أزكى وأطهر أنه أوفر للعرض وأقرب للخير، فأزكى دال على النماء والوفر، وذلك أنهم كانوا يعضلونهن حمية وحفاظا على المروءة من لحاق ما فيه شائبة الحطيطة، فأعلمهم الله أن عدم العضل أوفر للعرض لأن فيه سعيا إلى استبقاء الود بين العائلات التي تقاربت بالصهر والنسب فإذا كان العضل إباية للضيم، فالإذن لهن بالمراجعة حلم وعفو ورفاء للحال وذلك أنفع من إباية الضيم.وأما قوله: وأطهر فهو معنى أنزه، أي أنه أقطع لأسباب العداوات والإحن والأحقاد بخلاف العضل الذي قصدتم منه قطع العود إلى الخصومة، وماذا تضر الخصومة في وقت قليل يعقبها رضا ما تضر الإحن الباقية والعداوات المتأصلة، والقلوب المحرقة.ولك أن تجعل أزكى بالمعنى الأول، ناظرا لأحوال الدنيا، وأطهر بمعنى فيه السلامة من الذنوب في الآخرة، فيكون أطهر مسلوب المفاضلة، جاء على صيغة التفضيل للمزاوجة مع قوله أزكى.وقوله: والله يعلم وأنتم لا تعلمون **تذييل** وإزالة لاستغرابهم حين تلقي هذا الحكم، لمخالفته لعاداتهم القديمة، وما اعتقدوا نفعا وصلاحا وإباء على أعراضهم، فعلمهم الله أن ما أمرهم به ونهاهم عنه هو الحق، لأن الله يعلم النافع، وهم لا يعلمون إلا ظاهرا، فمفعول يعلم محذوف أي والله يعلم ما فيه كمال زكاتكم وطهارتكم وأنتم لا تعلمون ذلك.." (٢)

"لأن الزمخشري في «الأساس» ذكر هذا المعنى في المجاز، فكأنهم شبهوا تحمل النفس عملا ذا مشقة باتساع الظرف للمحوى، لأنهم ما احتاجوا لإفادة ذلك إلا عند ما يتوهم الناظر أنه لا يسعه، فمن هنا استعير للشاق البالغ حد الطاقة. فالوسع إن كان بكسر الواو فهو فعل بمعنى مفعول كذبح، وإن كان بضمها فهو مصدر -كالصلح والبرء- صار بمعنى المفعول، وإن كان بفتحها فهو مصدر كذلك بمعنى المفعول كالخلق والدرس والتكليف بما فوق الطاقة منفي في الشريعة. وبنى فعل تكلف للنائب ليحذف الفاعل، فيفيد حذفه عموم الفاعلين، كما يفيد وقوع نفس، وهو نكرة في سياق النفس، عموم المفعول الأول لفعل تكلف: وهو الأنفس المكلفة، وكما يفيد حذف المستثنى في قوله:إلا وسعها عموم المفعول الثاني لفعل تكلف، وهو الأحكام المكلف بها، أي لا يكلف أحد نفسا إلا وسعها، وذلك تشريع من الله للأمة بأن ليس لأحد

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢/٤١٣

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢/٤٢٨

أن يكلف أحدا إلا بما يستطيعه، وذلك أيضا وعد من الله بأنه لا يكلف في التشريع الإسلامي إلا بما يستطاع: في العامة والخاصة، فقد قال في آيات ختام هذه السورة لا يكلف الله نفسا إلا وسعها [البقرة: ٢٨٦] .والآية تدل على عدم وقوع التكليف بما لا يطاق في شريعة الإسلام (١) ، وسيأتيتفصيل هذه المسألة عند قوله تعالى: لا يكلف الله نفسا إلا وسعها في آخر السورة.وجملة لا تضار والدة بولدها اعتراض ثان، ولم تعطف على التي قبلها تنبيها على أنها مقصودة لذاتها، فإنها تشريع مستقل، وليس فيها معنى التعليل الذي في الجملة قبلها بل هي كالتفريع على جملة لا تكلف نفس إلا وسعها لأن إدخال الضر على أحد بسبب ما هو بضعة منه، يكاد يخرج عن طاقة الإنسان لأن الضرار تضيق عنه الطاقة، وكونه بسبب من يترقب منه أن يكون سبب نفع أشد ألما على النفس، فكان ضره أشد. ولذلك اختير لفظ الوالدة هنا دون الأم كما تقدم في قوله: يرضعن أولادهن وكذلك القول في ولا مولود له بولده وهذا الحكم عام في جميع الأحوال من فراق أو دوام عصمة، فهو **كالتذييل**، وهو نهي لهما عن أن يكلف أحدهما الآخر ما هو فوق طاقته، ويستغل ما يعلمه من شفقة الآخر على ولده فيفترص ذلك لإحراجه، والإشفاق عليه.__________(١) ومما استدل به على وقوعه قوله تعالى: وأوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن [هود: ٣٦] نقله آولوسي في تفسيره، (١٢/ ٤٩) ، ط المنيرية.." (١)

"إذ العرف كالشرط، والمرأة المطلقة لا حق لزوجها عليها، فلا ترضع له إلا باختيارها. ما لم يعرض في الحالين مانع أو موجب، مثل عجز المرأة في العصمة عن الإرضاع لمرض، ومثل امتناع الصبي من رضاع غيرها، إذا كانت مطلقة بحيث يخشى عليه، والمرأة التي لا يرضع مثلها وهي ذات القدر، قد علم الزوج حينما تزوجها أن مثلها لا يرضع، فلم يكن له عليها حق الإرضاع. هذا قول مالك، إذ العرف كالشرط، وقد كان ذلك عرفا من قبل الإسلام وتقرر في الإسلام، وقد جرى في كلام المالكية في كتب الأصول: أن مالكا خصص عموم الوالدات بغير ذوات القدر، وأن المخصص هو العرف، وكنا نتابعهم على ذلك ولكني الآن لا أرى ذلك متجها ولا أرى مالكا عمد إلى التخصيص أصلا، لأن الآية غير مسوقة لإيجاب الإرضاع، كما تقدم.وقوله: إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف أي إذا سلمتم إلى المراضع أجورهن.فالمراد بما آتيتم: الأجر، ومعنى آتى في الأصل دفع لأنه معدى أتى بمعنى وصل، ولما كان أصل إذا أن يكون ظرفا للمستقبل مضمنا معنى الشرط، لم يلتئم أن يكون مع فعل آتيتم الماضي.وتأول في «الكشاف» آتيتم بمعنى: أردتم إيتاءه، كقوله تعالى: إذا قمتم إلى الصلاة [المائدة: ٦] تبعا لقوله: وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم، والمعنى: إذا سلمتم أجور المراضع بالمعروف، دون إجحاف ولا مطل.وقرأ ابن كثير آتيتم بترك همزة التعدية. فالمعنى عليه: إذا سلمتم ما جئتم، أي ما قصدتم، فالإتيان حينئذ مجاز عن القصد، كقوله تعالى: إذ جاء ربه بقلب سليم [الصافات: ٨٤] وقال زهير:وما كان من خير أتوه فإنما ... توارثه آباء آبائهم قبلوقوله: واتقوا الله **تذييل** للتخويف، والحث على مراقبة ما شرع الله، من غير محاولة ولا مكابدة، وقوله: واعلموا أن الله تذكير لهم بذلك، وإلا فقد علموه. وقد تقدم نظيره آنفا.." (٢)

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢/٤٣٣

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢/٤٤٠

"وأما الخطبة في العدة والمواعدة فحرام مواجهة المرأة بها، وكذلك مواجهة الأب في ابنته البكر، وأما مواجهة ولي غير مجبر فالكراهة، فإذا لم يقع البناء في العدة بل بعدها، فقال مالك: يفرق بينهما بطلقة ولا يتأبد تحريمها، وروى عنه ابن وهب: فراقها أحب إلي، وقال الشافعي: الخطبة حرام، والنكاح الواقع بعد العدة صحيح.واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه واعلموا أن الله غفور حليم.عطف على الكلام السابق في قوله: ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء إلى قوله: حتى يبلغ الكتاب أجله وابتدئ الخطاب باعلموا لما أريد قطع هواجس التساهل والتأول، في هذا الشأن، ليأتي الناس ما شرع الله لهم عن صفاء سريرة من كل دخل وحيلة، وقدم تقدم نظيره في قوله: واعلموا أنكم ملاقوه [البقرة: ٢٢٣] .وقوله: واعلموا أن الله غفور حليم **تذييل**، أي فكما يؤاخذكم على ما تضمرون من المخالفة يغفر لكم ما وعد بالمغفرة عنه كالتعريض لأنه حليم بكم، وهذا دليل على أن إباحة التعريض رخصة كما قدمنا، وأن الذريعة تقتضي تحريمه، لولا أن الله علم مشقة تحريمه على الناس للوجوه التي قدمناها، فلعل المراد من المغفرة هنا التجاوز لا مغفرة الذنب لأن التعريض ليس بإثم، أو يراد به المعنى الأعم الشامل لمغفرة الذنب والتجاوز عن المشاق، وشأن **التذييل** التعميم.[٢٣٦، ٢٣٧][سورة البقرة (٢) : الآيات ٢٣٦ إلى ٢٣٧]لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين (٢٣٦) وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم إلا أن يعفون أو يعفوا الذي بيده عقدة النكاح وأن تعفوا أقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم إن الله بما تعملون بصير." (١)

"عقدة النكاح أن بيده التصرف فيها بالإبقاء، والفسخ بالطلاق، ومعنى عفوه: تكميله الصداق، أي إعطاؤه كاملا.وهذا قول بعيد من وجهين: أحدهما أن فعل المطلق حينئذ لا يسمى عفوا بل تكميلا وسماحة لأن معناه أن يدفع الصداق كاملا، قال في «الكشاف» : «وتسمية الزيادة على الحق عفوا فيه نظر» إلا أن يقال: كان الغالب عليهم أن يسوق إليها المهر عند التزوج، فإذا طلقها استحق أن يطالبها بنصف الصداق، فإذا ترك ذلك فقد عفا، أو سماه عفوا على طريق المشاكلة.الثاني أن دفع المطلق المهر كاملا للمطلقة إحسان لا يحتاج إلى تشريع مخصوص، بخلاف عفو المرأة أو وليها، فقد يظن أحد أن المهر لما كان ركنا من العقد لا يصح إسقاط شيء منه.وقوله: وأن تعفوا أقرب للتقوى **تذييل** أي العفو من حيث هو، ولذلك حذف المفعول، والخطاب لجميع الأمة، وجيء بجمع المذكر للتغليب، وليس خطابا للمطلقين، وإلا لما شمل عفو النساء مع أنه كله مرغوب فيه، ومن الناس من استظهر بهذه الآية على أن المراد بالذي بيده عقدة النكاح المطلق، لأنه عبر عنه بعد بقوله: وأن تعفوا وهوظاهر في المذكر، وقد غفل عن مواقع **التذييل** في آي القرآن كقوله: أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير [النساء: ١٢٨] .ومعنى كون العفو أقرب للتقوى: أن العفو أقرب إلى صفة التقوى من التمسك بالحق لأن التمسك بالحق لا ينافي التقوى لكنه يؤذن بتصلب صاحبه وشدته، والعفو يؤذن بسماحة صاحبه ورحمته، والقلب المطبوع على السماحة والرحمة أقرب إلى التقوى من القلب الصلب الشديد، لأن التقوى تقرب بمقدار قوة الوازع، والوازع شرعي وطبيعي، وفي القلب المفطور على الرأفة والسماحة لين يزعه عن المظالم والقساوة، فتكون التقوى أقرب

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢/٤٥٦

إليه، لكثرة أسبابها فيه.وقوله: ولا تنسوا الفضل بينكم **تذييل** ثان، معطوف على **التذييل** الذي قبله، لزيادة الترغيب في العفو بما فيه من التفضل الدنيوي، وفي الطباع السليمة حب الفضل.." (١)

"فأمروا في هاته الآية بأن يتعاهدوا الفضل ولا ينسوه لأن نسيانه يباعد بينهم وبينه، فيضمحل منهم، وموشك أن يحتاج إلى عفو غيره عنه في واقعة أخرى، ففي تعاهده عون كبير على الإلف والتحابب، وذلك سبيل واضحة إلى الاتحاد والمؤاخاة والانتفاع بهذا الوصف عند حلول التجربة.والنسيان هنا مستعار للإهمال وقلة الاعتناء كما في قوله تعالى: فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا [السجدة: ١٤] وهو كثير في القرآن، وفي كلمة بينكم، إشارة إلى هذا العفو، إذا لم ينس تعامل الناس به بعضهم مع بعض.وقوله: إن الله بما تعملون بصير تعليل للترغيب في عدم إهمال الفضل وتعريض بأن في العفو مرضاة الله تعالى، فهو يرى ذلك منا فيجازي عليه، ونظيره قوله: فإنك بأعيننا [السطور: ٤٨] .[٢٣٨][سورة البقرة (٢) : آية ٢٣٨]حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين (٢٣٨)الانتقال من غرض إلى غرض في آي القرآن لا تلزم له قوة ارتباط، لأن القرآن ليس كتاب تدريس يرتب بالتبويب وتفريع المسائل بعضها على بعض، ولكنه كتاب تذكير وموعظة فهو مجموع ما نزل من الوحي في هدي الأمة وتشريعها وموعظتها وتعليمها، فقد يجمع به الشيء للشيء من غير لزوم ارتباط وتفرع مناسبة، وربما كفى في ذلك نزول الغرض الثاني عقب الغرض الأول، أو تكون الآية مأمورا بإلحاقها بموضع معين منإحدى سور القرآن كما تقدم في المقدمة الثامنة، ولا يخلو ذلك من مناسبة في المعاني، أو في انسجام نظم الكلام، فلعل آية حافظوا على الصلوات نزلت عقب آيات تشريع العدة والطلاق لسبب اقتضى ذلك من غفلة عن الصلاة الوسطى، أو استشعار مشقة في المحافظة عليها، فموقع هذه الآية موقع الجملة المعترضة بين أحكام الطلاق والعدد.وإذا أبيت ألا تطلب الارتباط فالظاهر أنه لما طال تبيان أحكام كثيرة متوالية: ابتداء من قوله: يسئلونك ماذا ينفقون [البقرة: ٢١٥] ، جاءت هذه الآية مرتبطة **بالتذييل** الذي ذيلت به الآية السابقة وهو قوله: وأن تعفوا أقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم [البقرة: ٢٣٧] فإن الله دعانا إلى خلق حميد، وهو العفو عن الحقوق، ولما كان ذلك الخلق قد يعسر على النفس، لما فيه من ترك ما تحبه من الملائم، من مال وغيره كالانتقام من الظالم، وكان في طباع الأنفس الشح، علمنا الله تعالى دواء." (٢)

"و «ما» مبتدأ و «لنا» خبره، والمعنى: أي شيء كان لنا. وجملة «ألا نقاتل» حال وهي قيد للاستفهام الإنكاري، أي لا يثبت لنا شيء في حالة تركنا القتال. وهذا كنظائره في قولك: مالي لا أفعل أو مالي أفعل، فأن مصدرية مجرورة بحرف جر محذوف يقدر بفي أو لام الجر، متعلق بما تعلق به لنا.وجملة وقد أخرجنا حال معللة لوجه الإنكار، أي إنهم في هذه الحال أبعد الناس عن ترك القتال لأن أسباب حب الحياة تضعف في حالة الضر والكدر بالإخراج من الديار والأبناء.وعطف الأبناء على الديار لأن الإخراج يطلق على إبعاد الشيء من حيزه، وعلى إبعاده من بين ما يصاحبه، ولا حاجة إلى دعوى جعل الواو عاطفة عاملا محذوفا تقديره وأبعدنا عن أبنائنا.وقوله: فلما كتب عليهم القتال تولوا إلخ. جملة معترضة، وهي محل العبرة والموعظة لتحذير المسلمين من حال هؤلاء أن يتولوا عن القتال بعد أن أخرجهم المشركون من ديارهم وأبنائهم،

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٤٦٤/٢

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٤٦٥/٢

وبعد أن تمنوا قتال أعدائهم وفرضه الله عليهم والإشارة إلى ما حكاه الله عنهم بعد بقوله: فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه [البقرة: ٢٤٩] إلخ.وقوله: والله عليم بالظالمين **تذييل**، لأن فعلهم هذا من الظلم لأنهم لما طلبواالقتال خيلوا أنهم محبون له ثم نكصوا عنه. ومن أحسن التأديب قول الراجز:من قال لا في حاجة ... مسؤولة فما ظلموإنما الظالم من ... يقول لا بعد نعموهذه الآية أشارت إلى قصة عظيمة من تاريخ بني إسرائيل، لما فيها من العلم والعبرة، فإن القرآن يأتي بذكر الحوادث التاريخية تعليما للأمة بفوائد ما في التاريخ، ويختار لذلك ما هو من تاريخ أهل الشرائع، لأنه أقرب للغرض الذي جاء لأجله القرآن.هذه القصة هي حادث انتقال نظام حكومة بني إسرائيل من الصبغة الشورية، المعبر عنها عندهم بعصر القضاة إلى الصبغة الملكية، المعبر عنها بعصر الملوك وذلك أنه لما توفي موسى عليه السلام في حدود سنة ١٣٨٠ قبل الميلاد المسيحي، خلفه في الأمة الإسرائيلية يوشع بن نون، الذي عهد له موسى في آخر حياته بأن يخلفه فلما صار أمر بني إسرائيل إلى يوشع جعل." (١)

"والبسطة اسم من البسط وهو السعة والانتشار، فالبسطة الوفرة والقوة من الشيء، وسيجيء كلام عليها عند قوله تعالى: وزادكم في الخلق في الأعراف [٦٩] .وقوله: والله يؤتي ملكه من يشاء يحتمل أن يكون من كلام النبي، فيكون قد رجع بهم إلى التسليم إلى أمر الله، بعد أن بين لهم شيئا من حكمة الله في ذلك. ويحتمل أن يكون **تذييلا** للقصة من كلام الله تعالى، وكذلك قوله: والله واسع عليم.[٢٤٨][سورة البقرة (٢) : آية ٢٤٨]وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين (٢٤٨)أراد نبيئهم أن يتحداهم بمعجزة تدل على أن الله تعالى اختار لهم شاوول ملكا، فجعل لهم آية تدل على ذلك وهي أن يأتيهم التابوت، أي تابوت العهد، بعد أن كان في يد الفلسطينيين كما تقدم، وهذا إشارة إلى قصة تيسير الله تعالى إرجاع التابوت إلى بني إسرائيل بدون قتال، وذلك أن الفلسطينيين أرجعوا التابوت إلى بني إسرائيل في قصة ذكرت في سفر صمويل، حاصلها أن التابوت بقي سبعة أشهر في بلاد فلسطين موضوعا في بيت صنمهم داجون ورأى الفلسطينيون آيات من سقوط صنمهم على وجهه، وانكسار يديه ورأسه، وإصابتهم بالبواسير في أشدود وتخومها، وسلطت عليهم الجرذان تفسد الزروع، فلما رأوا ذلك استشاروا الكهنة، فأشاروا عليهم بإلهام من الله بإرجاعه إلى إسرائيل لأن إله إسرائيل قد غضب لتابوته وأن يرجعوه مصحوبا بهدية: صورة خمس بواسير من ذهب، وصورة خمس فيران من ذهب، على عدد مدن الفلسطينيين العظيمة: أشدود، وغزة، وأشقلون، وجت، وعفرون. ويوضع التابوت على عجلة جديدة تجرها بقرتان ومعه صندوق به التماثيل الذهبية، ويطلقون البقرتين تذهبان بإلهام إلى أرض إسرائيل، ففعلوا واهتدت البقرتان إلى أن بلغ التابوت والصندوق إلى يد اللاويين في تخم بيت شمس، هكذا وقع في سفر صمويل غير أن ظاهر سياقه أن رجوع التابوت إليهم كان قبل تمليك شاوول، وصريح القرآن يخالف ذلك، ويمكن تأويل كلام السفر بما يوافق هذا بأن تحمل الحوادث على غير ترتيبها في الذكر، وهو كثير في كتابهم. والذي يظهر لي." (٢)

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٤٨٧/٢

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٤٩٢/٢

"دلائل التصرف في أحوال المسافرين منهم في البر والبحر فإنهم أدرى بهذه الأحوال وأقدر لما في خلالها من النعمة والامتنان.ذكر الهداية في ظلمات الليل في البر والبحر. وإضافة الظلمات إلى البر والبحر على معنى (في) . والهدى في هذه الظلمات بسير النجوم كما قال تعالى وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر [الأنعام: ٩٧] . فالله الهادي للسير في تلك الظلمات بأن خلق النجوم على نظام صالح للهداية في ذلك، وبأن ركب في الناس مدارك للمعرفة بإرصاد سيرها وصعودها وهبوطها، وهداهم أيضا بمهاب الرياح، وخولهم معرفة اختلافها بإحساس جفافها ورطوبتها، وحرارتها وبردها.وبهذه المناسبة أدمج الامتنان بفوائد الرياح في إثارة السحاب الذي به المطر وهو المعني برحمة الله. وإرساله الرياح هو خلق أسباب تكونها.وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو نشرا بضمتين وبالنون. وقرأه ابن عامر بالنون بضم فسكون. وقرأ عاصم بشرا بالموحدة وبسكون الشين مع التنوين. وقرأه حمزة والكسائي بفتح النون وسكون الشين. وقد تقدم في سورة الفرقان [٤٨] وهو الذي أرسل الرياح نشرا بين يدي رحمته وتقدم في سورة الأعراف [٥٧] وهو الذي يرسل الرياح نشرا بين يدي رحمته، وتوجيه هذه القراءات هنالك.وذيل هذا الدليل بتنزيه الله تعالى عن إشراكهم معه آلهة لأن هذا خاتمة الاستدلال عليهم بما لا ينازعون في أنه من تصرف الله فجيء بعده بالتنزيه عن الشرك كله وذلك تصريح بما أشارت إليه **التذييلات** السابقة.[٦٤][سورة النمل (٢٧) : آية ٦٤]أمن يبدؤا الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أإله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين (٦٤)هذا انتقال إلى الاستدلال بتصرف الله تعالى بالحياة الأولى والثانية و بإعطاء." (١)

"وفيه إشارة إلى أنهم يكنون أشياء للنبيء صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين، منها: أنهم يتربصون بهم الدوائر، وأنهم تخامر نفوسهم خواطر إخراجه وإخراج المؤمنين. وهذا الاستئناف لما كان ذا جهة من معنى وصف الله بإحاطة العلم عطفت جملته على جملة وصف الله بالفضل، فحصل بالعطف غرض ثان منهم، وحصل معنى الاستئناف البياني من مضمون الجملة.وأما التوكيد ب إن فهو على نحو توكيد الجملة التي قبله. ولك أن تجعله لتنزيل السائل منزلة المتردد وذلك تلويح بالعتاب.وتكن تخفي وهو من (أكن) إذا جعل شيئا كانا، أي حاصلا في كن. والكن:المسكن. وإسناد تكن إلى الصدور مجاز عقلي باعتبار أن الصدور مكانه. والإعلان:الإظهار.[٧٥][سورة النمل (٢٧) : آية ٧٥]وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين (٧٥)عطف على جملة وإن ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون [النمل: ٧٤] . وهو في معنى **التذييل** للجملة المذكورة لأنها ذكر منها علم الله بضمائرهم فذيل ذلك بأن الله يعلم كل غائبة في السماء والأرض.وإنما جاء معطوفا لأنه جدير بالاستقلال بذاته من حيث إنه تعليم لصفة علم اللهتعالى وتنبيه لهم من غفلتهم عن إحاطة علم الله لما تكن صدورهم وما يعلنون.والغائبة: اسم للشيء الغائب والتاء فيه للنقل من الوصفية إلى الاسمية كالتاء في العافية، والعاقبة، والفاتحة. وهو اسم مشتق من الغيب وهو ضد الحضور، والمراد:الغائبة عن علم الناس. استعمل الغيب في الخفاء مجازا مرسلا.والكتاب يعبر به عن علم الله، استعير له الكتاب لما فيه من التحقق وعدم قبول التغيير. ويجوز أن يكون مخلوقا

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٠/١٧

غيبيا يسجل فيه ما سيحدث.والمبين: المفصل، لأن الشيء المفصل يكون بينا واضحا. والمعنى: أن الله لا يعزب عن علمه حقيقة شيء مما خفي على العالمين. وذلك يقتضي أن كل ما." (١)

"المعنى على هذا: إن ربك يقضي بينهم بحكمته، أي بما تقتضيه الحكمة، أي من نصر المحق على المبطل.ومآل التأويلين إلى معنى واحد وبه يظهر حسن موقع الاسمين الجليلين في **تذييله**بقوله وهو العزيز العليم، فإن العزيز لا يصانع، والعليم لا يفوته الحق، ويظهر حسن موقع التفريغ بقوله:[٧٩][سورة النمل (٢٧) : آية ٧٩]فتوكل على الله إنك على الحق المبين (٧٩)فرعت الفاء على الإخبار بأن رب الرسول عليه الصلاة والسلام يقضي بين المختلفين في شأن القرآن أمرا للرسول بأن يطمئن بالا ويتوكل على ربه فيما يقضي به فإنه يقضي له بحقه، وعلى معانده بما يستحقه، فالأمر بالتوكل مستعمل في كنايته وصريحه فإن من لازمه أنه أدى رسالة ربه، وأن إعراض المعرضين عن أمر الله ليس تقصيرا من الرسول صلى الله عليه وسلم. وهو معنى تكرر في القرآن كقوله فلعلك باخع نفسك [الكهف: ٦] وقوله ولا تحزن عليهم [النمل: ٧٠] .والتوكل: تفعل من وكل إليه الأمر، إذا أسند إليه تدبيره ومباشرته، فالتفعل للمبالغة.وقد تقدم عند قوله تعالى فإذا عزمت فتوكل على الله في آل عمران [١٥٩] ، وقوله وعلى الله فتوكلوا في المائدة [٢٣] وقوله وعلى الله فليتوكل المؤمنون في سورة إبراهيم [١١] .وقد وقعت جملة إنك على الحق المبين موقعا لم يخاطب الله تعالى أحدا من رسله بمثله فكان ذلك شهادة لرسوله بالعظمة الكاملة المنزهة عن كل نقص، لما دل عليه حرف على من التمكن، وما دل عليه اسم الحق من معنى جامع لحقائق الأشياء.وما دل عليه وصف مبين من الوضوح والنهوض.وجاءت جملة إنك على الحق المبين مجيء التعليل للأمر بالتوكل على الله إشعارا بأنه على الحق فلا يترقب من توكله على الحكم العدل إلا أن يكون حكمه." (٢)

"وصاحب «القاموس» واستدركه في «تاج العروس» .قلت: وأما قولهم: بئس ما صنعت، فهو على معنى التخطئة لمن ظن أنه فعل فعلا.حسنا ولم يتفطن لقبحه. فالصنع إذا أطلق انصرف للعمل الجيد النافع وإذا أريد غير ذلك وجب تقييده على أنه قليل أو تهكم أو مشاكلة.واعلم أن الصنع يطلق على العمل المتقن في الخير أو الشر قال تعالى تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر [طه: ٦٩] ، ووصف الله ب الذي أتقن كل شيء تعميمقصد به **التذييل**، أي ما هذا الصنع العجيب إلا مماثلا لأمثاله من الصنائع الإلهية الدقيقة الصنع. وهذا يقتضي أن تسيير الجبال نظام متقن، وأنه من نوع التكوين والخلق واستدامة النظام وليس من نوع الخرم والتفكيك.وجملة إنه خبير بما تفعلون **تذييل** أو اعتراض في آخر الكلام للتذكير والوعظ والتحذير، عقب قوله الذي أتقن كل شيء لأن إتقان الصنع أثر من آثار سعة العلم فالذي بعلمه أتقن كل شيء هو خبير بما يفعل الخلق فليحذروا أن يخالفوا عن أمره.ثم جيء لتفصيل هذا بقوله من جاء بالحسنة [النمل: ٨٩] الآية فكان من التخلص والعود إلى ما يحصل يوم ينفخ في الصور، ومن جعلوا أمر الجبال من أحداث يوم الحشر جعلوا جملة إنه خبير بما تفعلون استئنافا بيانيا لجواب سائل: فماذا يكون بعد النفخ والفزع والحضور بين يدي الله وتسيير الجبال، فأجيب جوابا إجماليا بأن الله عليم بأفعال الناس ثم فصل بقوله من جاء بالحسنة فله خير منها.. [النمل: ٨٩] الآية.قرأ

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٩/٢٠

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٣٣/٢٠

الجمهور بما تفعلون بتاء الخطاب. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو يفعلون بياء الغائبين عائدا ضميره على من في السماوات ومن في الأرض [النمل: ٨٧] .[٨٩- ٩٠][سورة النمل (٢٧) : الآيات ٨٩ الى ٩٠]من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون (٨٩) ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار هل تجزون إلا ما كنتم تعملون (٩٠)من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون (٨٩) ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار.هذه الجملة بيان ناشيء عن قوله ففزع من في السماوات ومن في الأرض إلا." (١)

"غير متمكن ف فزع معرف بالإضافة إلى (يوم) و (يوم) معرف بالإضافة إلى (إذ) و (إذ) مضافة إلى جملتها المعوض عنها تنوين العوض. والتقدير: من فزع يوم إذ يأتون ربهم.وقرأ عاصم وحمزة والكسائي بتنوين فزع، ويومئذ منصوبا على المفعول فيه فيه متعلقا ب آمنون. والمعنى واحد على القراءتين إذ المراد الفزع المذكور في قوله ففزع من في السماوات ومن في الأرض [النمل: ٨٧] فلما كان معينا استوى تعريفه وتنكيره. فاتحدت القراءتان معنى لأن إضافة المصدر وتنكيره سواء في عدم إفادة العموم فتعين أنه فزع واحد.والكب: جعل ظاهر الشيء إلى الأرض. وعدي الكب في هذه الآية إلى الوجوه دون بقية الجسد وإن كان الكب لجميع الجسم لأن الوجوه أول ما يقلب إلى الأرض عند الكب كقول امرئ القيس:يكب على الأذقان دوح الكنهبل وهذا من قبيل قوله تعالى سحروا أعين الناس [الأعراف: ١١٦] وقوله ولما سقط في أيديهم [الأعراف: ١٤٩] وقول الأعشى:وأقدم إذا ما أعين الناس تفرق هل تجزون إلا ما كنتم تعملون.تذييل للزواجر المتقدمة، فالخطاب للمشركين الذين يسمعون القرآن على طريقة الالتفات من الغيبة بذكر الأسماء الظاهرة وهي من قبيل الغائب. وذكر ضمائرها ابتداء من قوله إنك لا تسمع الموتى [النمل: ٨٠] وما بعده من الآيات إلى هنا. ومقتضى الظاهر أن يقال: هل يجزون إلا ما كانوا يعملون فكانت هذه الجملة كالتلخيص لما تقدم وهو أن الجزاء على حسب عقائدهم وأعمالهم وما العقيدة إلا عمل القلب فلذلك وجه الخطاب إليهم بالمواجهة.ويجوز أن تكون مقولا لقول محذوف يوجه إلى الناس يومئذ، أي لا يقال لكل فريق: هل تجزون إلا ما كنتم تعملون.." (٢)

"و (أنما) المفتوحة الهمزة تفيد الحصر مثل (إنما) المكسورة الهمزة لأن المفتوحة الهمزة فرع عن المكسورتها لفظا ومعنى فلا محيص من إفادتها مفادها، فالتقدير فاعلم أنهم ما يتبعون إلا أهواءهم. وجيء بحرف (إن) الغالب في الشرط المشكوك على طريقة التهكم أو لأنها الحرف الأصلي. وإقحام فعل فاعلم للاهتمام بالخبر الذي بعده كما تقدم في قوله تعالى واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه في سورة الأنفال [٢٤] .وقوله أتبعه جواب فأتوا أي إن تأتوا به أتبعه، وهو مبالغة في التعجيز لأنه إذا وعدهم بأن يتبع ما يأتون به فهو يتبعهم أنفسهم وذلك مما يوفر دواعيهم على محاولة الإتيان بكتاب أهدى من كتابه لو استطاعوه فإن لم يفعلوا فقد حق عليهم الحق ووجبتعليهم المغلوبية فكان ذلك أدل على عجزهم وأثبت في إعجاز القرآن.وهذا من التعليق على ما تحقق عدم وقوعه، فالمعلق حينئذ ممتنع الوقوع كقوله قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين [الزخرف: ٨١] . ولكونه ممتنع الوقوع أمر الله رسوله أن يقوله. وقد فهم من قوله فإن لم يستجيبوا ومن إقحام

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٥١/٢٠

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٥٣/٢٠

فاعلم أنهم لا يأتون بذلك البتة وهذا من الإعجاز بالإخبار عن الغيب.وجاء في آخر الكلام تذييل عجيب وهو أنه لا أحد أشد ضلالا من أحد اتبع هواه المنافي لهدى الله.ومن اسم استفهام عن ذات مبهمة وهو استفهام الإنكار فأفاد الانتفاء فصار معنى الاسمية الذي فيه في معنى نكرة في سياق النفي أفادت العموم فشمل هؤلاء الذين اتبعوا أهواءهم وغيرهم. وبهذا العموم صار تذييلا وهو كقوله تعالى ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله في سورة البقرة [١٤٠] .وأطلق الاتباع على العمل بما تمليه إرادة المرء الناشئة عن ميله إلى المفاسد والأضرار تشبيها للعمل بالمشي وراء السائر، وفيه تشبيه الهوى بسائر، والهوى مصدر لمعنى المفعول كقول جعفر بن علبة:هواي مع الركب اليمانين مصعد." (١)

"موجودا بالإجاءة بشيء من مكان إلى مكان، ووجه الشبه المثول والظهور.والضياء: النور. وهو في هذا العالم من شعاع الشمس قال تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء. وتقدم في سورة يونس [٥] . وعبر بالضياء دون النهار لأن ظلمة الليل قد تخف قليلا بنور القمر فكان ذكر الضياء إيماء إلى ذلك.وفي تعدية فعل يأتيكم في الموضعين إلى ضمير المخاطبين إيماء إلى أن إيجاد الضياء وإيجاد الليل نعمة على الناس. وهذا إدماج للامتنان في أثناء الاستدلال على الانفراد بالإلهية. وإذ قد استمر المشركون على عبادة الأصنام بعد سطوع هذا الدليل وقد علموا أن الأصنام لا تقدر على إيجاد الضياء جعلوا كأنهم لا يسمعون هذه الآيات التي أقامت الحجة الواضحة على فساد معتقدهم، ففرع على تلك الحجة الاستفهام الإنكاري عن انتفاء سماعهم بقوله أفلا تسمعون أي أفلا تسمعون الكلام المشتمل على التذكير بأن الله هو خالق الليل والضياء ومنه هذه الآية. وليس قوله أفلا تسمعون تذييلا.وكرر الأمر بالقول في مقام التقرير لأن التقرير يناسبه التكرير مثل مقام التوبيخ ومقام التهويل.وعكس الاستدلال الثاني بفرض أن يكون النهار وهو انتشار نور الشمس، سرمدا بأن خلق الله الأرض غير كروية الشكل بحيث يكون شعاع الشمس منتشرا على جميع سطح الأرض دوما.ووصف الليل ب تسكنون فيه إدماج للمنة في أثناء الاستدلال للتذكير بالنعمة المشتملة على نعم كثيرة وتلك هي نعمة السكون فيه فإنها تشمل لذة الراحة، ولذة الخلاص من الحر، ولذة استعادة نشاط المجموع العصبي الذي به التفكير والعمل، ولذة الأمن من العدو.ولم يوصف الضياء بشيء لكثرة منافعه واختلاف أنواعها.وتفرع على هذا الاستدلال أيضا تنزيلهم منزلة من لا يبصرون الأشياء الدالة على عظيم صنع الله وتفرده بصنعها وهي منهم بمرأى الأعين.." (٢)

"وناسب السمع دليل فرض سرمدة الليل لأن الليل لو كان دائما لم تكن للناس رؤية فإن رؤية الأشياء مشروطة بانتشار شيء من النور على سطح الجسم المرئي، فالظلمة الخالصة لا ترى فيها المرئيات. ولذلك جيء في جانب فرض دوام الليل بالإنكار على عدم سماعهم، وجيء في جانب فرض دوام النهار بالإنكار على عدم إبصارهم.وليس قوله أفلا تبصرون تذييلا.[٧٣][سورة القصص (٢٨) : آية ٧٣]ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون (٧٣)تصريح بنعمة تعاقب الليل والنهار على الناس بقوله لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله، وذلك مما دلت عليه الآية السابقة بطريق الإدماج بقوله يأتيكم [القصص: ٧١ وبقوله تسكنون فيه [القصص: ٧٢] كما تقدم آنفا.وجملة

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٤٠/٢٠

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١٧٠/٢٠

جعل لكم الليل والنهار إلخ معطوفة على جملة أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا [القصص: ٧١] .ومن تبعيضية فإن رحمة الله بالناس حقيقة كلية لها تحقق في وجود أنواعها وآحادها العديدة، والمجرور ب من يتعلق بفعل جعل لكم الليل، وكذلك يتعلق به لكم، والمقصود إظهار أن هذا رحمة من الله وأنه بعض من رحمته التي وسعت كل شيء ليتذكروا بهما نعما أخرى.وقدم المجرور ب من رحمته على عامله للاهتمام بمنة الرحمة.وقد سلك في قوله لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله طريقة اللف والنشر المعكوس فيعود لتسكنوا فيه إلى الليل، ويعود ولتبتغوا من فضله إلى النهار، والتقدير:ولتبتغوا من فضله فيه، فحذف الضمير وجاره إيجازا اعتمادا على المقابلة.والابتغاء من فضل الله: كناية عن العمل والطلب لتحصيل الرزق قال تعالى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله [المزمل: ٢٠] . والرزق: فضل من الله.." (١)

"والهمزة في أولم يعلم للاستفهام الإنكاري التعجيبي تعجيبا من عدم جريه علموجب علمه بأن الله أهلك أمما على بطرهم النعمة وإعجابهم لقوتهم ونسيانه حتى صار كأنه لم يعلمه تعجيبا من فوات مراعاة ذلك منه مع سعة علمه بغيره من باب «حفظت شيئا وغابت عنك أشياء» .وعطف هذا الاستفهام على جملة قال إنما أوتيته. وهذه جملة معترضة بين أجزاء القصة.والقوة: ما به يستعان على الأعمال الصعبة تشبيها لها بقوة الجسم التي تخول صاحبها حمل الأثقال ونحوها قال تعالى وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة [الأنفال: ٦٠] .والجمع: الجماعة من الناس. قيل: كان أشياع قارون مائتين وخمسين من بني إسرائيل رؤساء جماعات.وجملة ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون **تذييل** للكلام فهو استئناف وليس عطفا على أن الله قد أهلك من قبله. والسؤال المنفي السؤال في الدنيا وليس سؤال الآخرة.والمعنى: يحتمل أن يكون السؤال كناية عن عدم الحاجة إلى السؤال عن ذنوبهم فهو كناية عن علم الله تعالى بذنوبهم، وهو كناية عن عقابهم على إجرامهم فهي كناية بوسائط.والكلام تهديد للمجرمين ليكونوا بالحذر من أن يؤخذوا بغتة، ويحتمل أن يكون السؤال بمعناه الحقيقي، أي لا يسأل المجرم عن جرمه قبل عقابه لأن الله قد بين للناس على ألسنة الرسل بحدي الخير والشر، وأمهل المجرم فإذا أخذه أخذه بغتة وهذا كقوله تعالى حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون [الأنعام: ٤٤]وقول النبيء صلى الله عليه وسلم «إن الله يمهل الظالم حتى إذا أخذه لم يفلته». [٧٩][سورة القصص (٢٨) : آية ٧٩]فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم (٧٩)عطف على جملة وآتيناه من الكنوز [القصص: ٧٦] إلى آخرها مع ما عطف عليها وتعلق بها، فدلت الفاء على أن خروجه بين قومه في زينته بعد ذلك كله كان من أجل." (٢)

"وعن الفضيل بن عياض أنه قرأ هذه الآية ثم قال: ذهبت الأماني هاهنا، أي أماني الذين يزعمون أنه لا يضر مع الإيمان شيء وأن المؤمنين كلهم ناجون من العقاب، وهذا قول المرجئة قال قائلهم:كن مسلما ومن الذنوب فلا تخف ... حاشا المهيمن أن يري تنكيدالو شاء أن يصليك نار جهنم ... ما كان ألهم قلبك التوحيداومعنى لا يريدون كناية عن: لا يفعلون، لأن من لا يريد الفعل لا يفعله إلا مكرها. وهذا من باب ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض كما تقدم في أول هذه السورة [٥] .والعلو: التكبر عن الحق وعلى الخلق، والطغيان في الأعمال، والفساد: ضد الصلاح، وهو كل

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٧١/٢٠

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١٨٢/٢٠

فعل مذموم في الشريعة أو لدى أهل العقول الراجحة.وقوله والعاقبة للمتقين تذييل وهو معطوف على جملة تلك الدار وبه صارت جملة تلك الدار كلها تذييلا لما اشتملت عليه من إثبات الحكم للعام بالموصول من قوله للذين لا يريدون علوا في الأرض والمعرف بلام الاستغراق.والعاقبة: وصف عومل معاملة الأسماء لكثرة الوصف به وهي الحالة الآخرة بعد حالة سابقة وغلب إطلاقها على عاقبة الخير. وتقدم عند قوله تعالى ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين في أول الأنعام [١١] .[٨٤][سورة القصص (٢٨) : آية ٨٤]من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون (٨٤)تتنزل جملة من جاء بالحسنة منزلة بدل الاشتمال لجملة والعاقبة للمتقين [القصص: ٨٣] لأن العاقبة ذات أحوال من الخير ودرجات من النعيم وهي على حسب ما يجيء به المتقون من الحسنات فتفاوت درجاتهم بتفاوتها.وفي اختيار فعل جاء في الموضعين هنا إشارة إلى أن المراد من حضر بالحسنة." (١)

"ببطلان الإشراك في الاعتقاد ولو أضعف إشراك، فجملة لا إله إلا هو في معنى العلة للنهي الذي في الجملة قبلها.وجملة كل شيء هالك إلا وجهه علة ثانية للنهي لأن هلاك الأشياء التي منها الأصنام وكل ما عبد مع الله وأشرك به دليل على انتفاء الإلهية عنها لأن الإلهية تنافي الهلاك وهو العدم.والوجه مستعمل في معنى الذات. والمعنى: كل موجود هالك إلا الله تعالى.والهلاك: الزوال والانعدام.وجملة له الحكم وإليه ترجعون تذييل فلذلك كانت مفصولة عما قبلها. وتقديم المجرور باللام لإفادة الحصر، والمحصور فيه هو الحكم الأتم، أي الذي لا يرده راد.والرجوع مستعمل في معنى: آخر الكون على وجه الاستعارة، لأن حقيقته الانصراف إلى مكان قد فارقه فاستعمل في مصير الخلق وهو البعث بعد الموت شبه برجوع صاحب المنزل إلى منزله، ووجه الشبه هو الاستقرار والخلود فهو مراد منه طول الإقامة.وتقديم المجرور ب (إلى) للاهتمام بالخبر لأن المشركين نفوا الرجوع من أصله ولم يقولوا بالشركة في ذلك حتى يكون التقديم للتخصيص.والمقصود من تعدد هذه الجملة إثبات أن الله منفرد بالإلهية في ذاته وهو مدلول جملة لا إله إلا هو. وذلك أيضا يدل على صفة القدم لأنه لما انتفى جنس الإلهية عنغيره تعالى تعين أنه لم يوجده غيره فثبت له القدم الأزلي وأن الله تعالى باق لا يعتريه العدم لاستحالة عدم القديم، وذلك مدلول كل شيء هالك إلا وجهه، وأنه تعالى منفرد في أفعاله بالتصرف المطلق الذي لا يرده غيره فيتضمن ذلك إثبات الإرادة والقدرة. وفي كل هذا رد على المشركين الذين جوزوا شركته في الإلهية، وأشركوا معه آلهتهم في التصرف بالشفاعة والغوث.ثم أبطل إنكارهم البعث بقوله وإليه ترجعون.." (٢)

"مبينة لها ولذلك فصلت. ولولا هذا الوقع لكان حق الإخبار بها أن يجيء بواسطة حرف العطف.ورجاء لقاء الله: ظن وقوع الحضور لحساب الله.ولقاء الله: الحشر للجزاء لأن الناس يتلقون خطاب الله المتعلق بهم، لهم أو عليهم، مباشرة بدون واسطة، وقد تقدم في قوله الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم [البقرة:٤٦] وقوله واعلموا أنكم ملاقوه في سورة البقرة [٢٢٣] .وأجل الله يجوز أن يكون الوقت الذي عينه الله في علمه للبعث والحساب فيكون من الإظهار في مقام الإضمار، ومقتضى الظاهر أن يقال: فإنه لآت فعدل إلى الإظهار كما في إضافة أجل إلى اسم الجلالة من الإيماء إلى أنه لا يخلف.

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٩٠/٢٠

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١٩٧/٢٠

والمقصود الاهتمام بالتحريض على الاستعداد. ويجوز أن يكون المراد ب أجل الله الأجل الذي عينه الله لنصر المؤمنين وانتهاء فتنة المشركين إياهم باستئصال مساعير تلك الفتنة، وهم صناديد قريش وذلك بما كان من النصر يوم بدر ثم ما عقبه إلى فتح مكة فيكون الكلام تثبيتا للرسول صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين حين استبطأ المؤمنون النصر للخلاص من فتنة المشركين حتى يعبدوا الله لا يفتنوهم في عبادته. والمعنى عليه: إن كنتم مؤمنين بالبعث إيقانا ينبعث من تصديق وعد الله به فإن تصديقكم بمجيء النصر أجدر لأنه وعدكم به، ف من شرطية، وجعل فعل الشرط فعل الكون للدلالة على تمكن هذ الرجاء من فاعل فعل الشرط.ولهذا كان قوله فإن أجل الله لآت جوابا لقوله من كان يرجوا لقاء الله باعتبار دلالته على الجواب المقدر ليلتئم الربط بين مدلول جملة الشرط ومدلول جملة الجزاء.ولولا ذلك لاختل الربط بين الشرط والجزاء إذ يفضي إلى معنى من لم يكن يرجو لقاء الله فإن أجل الله غير آت. وهذا لا يستقيم في مجاري الكلام فلزم تقدير شيء من باب دلالة الاقتضاء.وتأكيد جملة الجزاء بحرف التوكيد على الوجه الأول للتحريض والحث على الاستعداد للقاء الله، وعلى الوجه الثاني لقصد تحقيق النصر الموعود به تنزيلا لاستبطائه منزلة التردد لقصد إذكاء يقينهم بما وعد الله ولا يوهنهم طول المدة الذي يضخمه الانتظار. وبهذا يظهر وقع **التذييل** بوصفي السميع العليم دون غيرهما من الصفات العلى للإيماء بوصف السميع إلى أن الله تعالى سمع." (١)

"وبين الله تعالى نيتهم في إظهارهم الإسلام بأنهم جعلوا إظهار الإسلام عدة لما يتوقع من نصر المسلمين بأخارة فيجدون أنفسهم متعرضين لفوائد ذلك النصر. وهذا يدل على أن هذه الآية نزلت بقرب الهجرة من مكة حين دخل الناس في الإسلام وكان أمره في ازدياد.وتأكيد جملة الشرط في قوله ولئن جاء نصر من ربك ليقولن باللام الموطئة للقسم لتحقيق حصول الجواب عند حصول الشرط، وهو يقتضي تحقيق وقوع الأمرين.ففيه وعد بأن الله تعالى ناصر المسلمين وأن المنافقين قائلون ذلك حينئذ، ولعل ذلك حصل يوم فتح مكة فقال ذلك من كان حيا من هذا الفريق، وهو قول يريدون به نيل رتبة السابقية في الإسلام. وذكر أهل التاريخ أن الأقرع بن حابس، وعيينة بن حصن، وسهيل ابن عمرو، وجماعة من وجوه العرب كانوا على باب عمر ينتظرون الإذن لهم، وكان على الباب بلال وسلمان وعمار بن ياسر، فخرج إذن عمر أن يدخل سلمان وبلال وعمار فتمعرت وجوه البقية فقال لهم سهيل بن عمرو: «لم تتمعر وجوهكم، دعوا ودعينا فأسرعوا وأبطأنا ولئن حسدتموهم على باب عمر لما أعد الله لهم في الجنة أكثر» .وقوله أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين **تذييل**، والواو اعتراضية، والاستفهام إنكاري إنكارا عليهم قولهم آمنا بالله وقولهم إنا كنا معكم، لأنهم قالوا قولهم ذلك ظنا منهم أن يروج كذبهم ونفاقهم على رسول الله، فكان الإنكار عليهم متضمنا أنهم كاذبون في قوليهم المذكورين.والخطاب موجه للنبيء صلى الله عليه وسلم لقصد إسماعهم هذا الخطاب فإنهم يحضرون مجالس النبيء والمؤمنين ويستمعون ما ينزل من القرآن وما يتلى منه بعد نزوله، فيشعرون أن الله مطلع على ضمائرهم.ويجوز أن يكون الاستفهام تقريريا وجه الله به الخطاب للنبيء

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٠/٢٠٨

صلى الله عليه وسلم في صورة التقرير بما أنعم الله به عليه من إنبائه بأحوال الملتبسين بالنفاق. وهذا الأسلوب شائع في الاستفهام التقريري وكثيرا ما يلتبس بالإنكاري ولا يفرق بينهما إلا المقام، أي فلا تصدق مقالهم.." (١)

"يشتمل على أن مضمونها كذب صريح، فكان مضمون جملة إنهم لكاذبون مما اشتمل عليه مضمون جملة وما هم بحاملين. وليس مضمون الثانية عين مضمون الأولى بل الثانية أوفى بالدلالة على أن كذبهم محقق وأنه صفة لهم في خبرهم هذا وفي غيره، ووزان هذه الجملة وزان بيت علم المعاني:أقول له ارحل لا تقيمن عندنا إذ جعل الأئمة جملة (لا تقيمن عندنا) بدل اشتمال من جملة (ارحل) لأن جملة (لا تقيمن) أوفى بالدلالة على كراهيته وطلب ارتحاله، ولهذا لم تعطف جملة إنهم لكاذبون لكمال الاتصال بينها وبين وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء.[١٣][سورة العنكبوت (٢٩) : آية ١٣]وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم وليسئلن يوم القيامة عما كانوا يفترون (١٣)بعد أن كذبهم في قولهم ولنحمل خطاياكم [العنكبوت: ١٢] وكشف كيدهم بالمسلمين عطف عليه ما أفاد أنهم غير ناجين من حمل تبعات لأقوام آخرين وهم الأقوام الذين أضلوهم وسولوا لهم الشرك والبهتان على وجه التأكيد بحملهم ذلك. فذكر الحمل تمثيل. والأثقال مجاز عن الذنوب والتبعات. وهو تمثيل للشقاء والعناء يوم القيامة بحال الذي يحمل متاعه وهو موقر به فيزاد حمل أمتعة أناس آخرين.وقد علم من مقام المقابلة أن هذا حمل تثقيل وزيادة في العذاب وليس حملا يدفع التبعة عن المحمول عنه، وأن الأثقال المحمولة مع أثقالهم هي ذنوب الذين أضلوهموليس من بينها شيء من ذنوب المسلمين لأن المسلمين سالمون من تضليل المشركين بما كشف الله لهم من بهتانهم.وجملة وليسئلن يوم القيامة عما كانوا يفترون **تذييل** جامع لمؤاخذتهم بجميع ما اختلقوه من الإفك والتضليل سواء ما أضلوا به أتباعهم وما حاولوا به بتضليل المسلمين فلم يقعوا في أشراكهم، وقد شمل ذلك كله لفظ الافتراء، كما عبر عن محاولتهم تغرير المسلمين بأنهم فيه كاذبون.." (٢)

"ولذلك أعقب بجملة ثم الله ينشئ النشأة الآخرة فهي جملة مستقلة. (وثم) للترتيب الرتبي كما تقدم في قوله ثم يعيده [العنكبوت: ١٩] .وإظهار اسم الجلالة بعد تقدم ضميره في قوله كيف بدأ الخلق وكان مقتضى الظاهر أن يقول: ثم ينشىء. قال في «الكشاف» : لأن الكلام كان واقعا في الإعادة فلما قررهم في الإبداء بأنه من الله احتج عليهم بأن الإعادة إنشاء مثل الإبداء، فالذي لم يعجزهالإبداء فهو الذي وجب أن لا تعجزه الإعادة. فكأنه قال: ثم ذاك الذي أنشأ النشأة الأولى هو الذي ينشىء النشأة الآخرة فللتنبيه على هذا المعنى أبرز اسمه وأوقعه مبتدأ اه. يريد أن العدول عن الإضمار إلى الاسم الظاهر لتسجيل وقوع هذا الإنشاء الثاني، فتكون الجملة مستقلة حتى تكون عنوان اعتقاد بمنزلة المثل لأن في اسم الجلالة إحضارا لجميع الصفات الذاتية التي بها التكوين، وليفيد وقوع المسند إليه مخبرا عنه بمسند فعلي معنى التقوي.وجملة إن الله على كل شيء قدير **تذييل**، أي قدير على البعث وعلى كل شيء إذا أراده. وإظهار اسم الجلالة لتكون جملة **التذييل** مستقلة بنفسها فتجري مجرى الأمثال.والنشأة بوزن فعلة: المرة من النشء وهو الإيجاد، وكذلك قرأها الجمهور، عبر عنها بصيغة المرة لأنها نشأة دفعية تخالف النشء الأول ويقال: النشاءة بمد بعد الشين بوزن الكآبة ومثلها الرأفة والرءافة.وقرأ ابن

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢١٧/٢٠

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٢١/٢٠

كثير وأبو عمرو النشاءة بالمد. ووصفها ب الآخرة إيماء بأنها مساوية للنشأة الأولى فلا شبهة لهم في إحالة وقوعها. وأما قوله تعالى ولقد علمتم النشأة الأولى [الواقعة: ٦٢] فذلك على سبيل المشاكلة التقديرية لأن قوله قبله وننشئكم في ما لا تعلمون[الواقعة: ٦١] يتضمن النشأة الآخرة فعبر عن مقابلتها بالنشأة.[٢١][سورة العنكبوت (٢٩) : آية ٢١]يعذب من يشاء ويرحم من يشاء وإليه تقلبون (٢١)لما ذكر النشأة الآخرة أتبع ذكرها بذكر أهم ما تشتمل عليه وما أوجدت لأجله وهو الثواب والعقاب.." (١)

"فسر المعرفة بإدراك الشيء بواسطة آثاره وخصائصه المحسوسة، وأنها أضعف من العلم لأن العلم شاع في معرفة حقائق الأشياء ونسبها.وعن الخليل بن أحمد (١) «العلم معرفتان مجتمعان، ففي قولك: عرفت زيدا قائما، يكون (قائما) حالا من (زيدا) ، وفي قولك: علمت زيدا قائما، يكون (قائما) مفعولا ثانيا ل (علمت) اه. يريد أن فعل (عرف) يدل على إدراك واحد وهو إدراك الذات، وفعل (علم) يدل على إدراكين هما إدراك الذات وإدراك ثبوت حكم لها، على نحو ما قاله أهل المنطق في التصور والتصديق، فلذلك لم يرد في الكتاب والسنة إسناد فعل المعرفة إلى الله فكيف يسند إليه ما يؤول بمعناها.وجملة وهو العزيز الحكيم **تذييل** لجملة إن الله يعلم لأن الجملة على كلا المعنيين في معاني ما تدل على أن الذي بين حقارة حال الأصنام واختلال عقول عابديها فلم يعبأ بفضحها وكشفها بما يسوءها مع وفرة أتباعها ومع أوهام أنها لا يمسها أحد بسوء إلا كانت ألبا عليه فلو كان للأصنام حظ في الإلهية لما سلم من ضرها من يحقرها كقوله تعالى قل لو كان معه آلهة كما تقولون إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا [الإسراء: ٤٢] كما تقدم، وأنه لما فضح عقول عبادها لم يخشهم على أوليائه بله ذاته، فهو عزيز لا يغلب، وحكيم لا تنطلي عليه الأوهام والسفاسط بخلاف حال هاتيك وأولئك.وقرأ الجمهور تدعون بالفوقية على طريقة الالتفات. وقرأه أبو عمرو وعاصم ويعقوب بالتحتية.[٤٣][سورة العنكبوت (٢٩) : آية ٤٣]وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون (٤٣)بعد أن بين الله لهم فساد معتقدهم في الأصنام، وأعقبه بتوقيفهم على جهلهم بذلك، نعى عليهم هنا أنهم ليسوا بأهل لتفهم تلك الدلائل التي قربت إليهم بطريقة التمثيل، فاسم الإشارة يبينه الاسم المبدل منه وهو الأمثال.ـــــــــــــ(١) نقله عنه أبو بكر بن العربي في كتاب «العواصم من القواصم» .." (٢)

"الله، وأن لا شيء غيره حقيقا بمشاركته في إلهيته، فأفاد أن المؤمنين قد اهتدوا إلى العلم ببطلان إلهية الأصنام خلافا للمشركين الذين لم يهتدوا بذلك. فأفهم ذلك أن من لم يعقلوها ليسوا بعالمين أخذا من مفهوم الصفة في قوله للمؤمنين إذا اعتبر المعنى الوصفي من قوله للمؤمنين، أو أخذا من الاقتصار على ذكر المؤمنين في قوله إن في ذلك لآية للمؤمنين إذا اعتبر عنوان المؤمنين لقبا.والاقتصار عند ذكر دليل الوحدانية على انتفاع المؤمنين بتلك الدلالة المفيد بأن المشركين لم ينتفعوا بذلك يشبه الاحتباك بين الآيتين.والباء في بالحق للملابسة، أي خلقهما على أحوالهما كلها بما ليس بباطل.والباطل في كل شيء لا وفاء فيه بما جعل هو له. وضد الباطل الحق، فالحق في كلعمل هو إتقانه وحصول المراد منه، قال تعالى وما خلقنا السماء

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٣١/٢٠

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٥٥/٢٠

والأرض وما بينهما باطلا [ص: ٢٧] .والمراد بالسماوات والأرض ما يشمل ذاتهما والموجودات المظروفة فيهما. وهذا الخلق المتقن الذي لا تقصير فيه عما أريد منه هو آية على وحدانية الخالق وعلى صفات ذاته وأفعاله.[٤٥][سورة العنكبوت (٢٩) : آية ٤٥]اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون (٤٥)بعد أن ضرب الله للناس المثل بالأمم السالفة جاء بالحجة المبينة فساد معتقد المشركين، ونوه بصحة عقائد المؤمنين بمنتهى البيان الذي ليس وراءه مطلب أقبل على رسوله بالخطاب الذي يزيد تثبيته على نشر الدعوة وملازمة الشرائع وإعلان كلمة الله بذلك، وما فيه زيادة صلاح المؤمنين الذين انتفعوا بدلائل الوحدانية. وما الرسول عليه الصلاة والسلام إلا قدوة للمؤمنين وسيدهم فأمره أمر لهم كما دل عليه **التذييل** بقوله والله يعلم ما تصنعون بصيغة جمع المخاطبين كقوله فاستقم كما أمرت ومن تاب معك [هود: ١١٢] قرآن إذ ما فرط فيه من شيء من الإرشاد.." (١)

"ويجوز أن يكون عطفا على جملة اتل ما أوحي إليك من الكتاب. والمعنى:واذكر الله فإن ذكر الله أمر عظيم، فيصح أن يكون المراد من الذكر تذكر عظمة الله تعالى.ويجوز أن يكون المراد ذكر الله باللسان ليعم ذكر الله في الصلاة وغيرها. واسم التفضيل أيضا مسلوب المفاضلة ويكون في معنى قول معاذ بن جبل «ما عمل آدمي عملا أنجى له من عذاب الله من ذكر الله» .ويجوز أن يكون المراد بالذكر تذكر ما أمر الله به ونهى عنه، أي مراقبة الله تعالى وحذر غضبه، فالتفضيل على بابه، أي ولذكر الله أكبر في النهي عن الفحشاء والمنكر من الصلاة في ذلك النهي، وذلك لإمكان تكرار هذا الذكر أكثر من تكرر الصلاة فيكون قريبا من قول عمر رضي الله عنه: أفضل من شكر الله باللسان ذكر الله عند أمره ونهيه.ولك أن تقول: ذكر الله هو الإيمان بوجوده وبأنه واحد. فلما أمر رسوله صلى الله عليه وسلم وأراد أمر المؤمنين بعملين عظيمين من البر أردفه بأن الإيمان بالله هو أعظم من ذلك إذ هو الأصل كقوله تعالى فك رقبة أو إطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة ثم كان من الذين آمنوا [البلد: ١٣- ١٧] . وذلك من رد العجز على الصدر عاد به إلى تعظيم أمر التوحيد وتفظيع الشرك من قوله إن الله يعلم ما تدعون من دونه من شيء [العنكبوت: ٤٢] إلى هنا.وقوله والله يعلم ما تصنعون **تذييل** لما قبله، وهو وعد ووعيد باعتبار ما اشتمل عليه قوله اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة وقوله تنهى عن الفحشاء والمنكر.والصنع: العمل." (٢)

"وجملة وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون **تذييل** يؤذن بأن المشركين جحدوا آيات القرآن على ما هي عليه من وضوح الدلالة على أنها من عند الله لأنهم ظالمون لا إنصاف لهم وشأن الظالمين جحد الحق، يحملهم على جحده هوى نفوسهم للظلم، كما قال تعالى: وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا [النمل: ١٤] فهم متوغلون في الظلم كما تقدم في وصفهم بالكافرين والمبطلين.[٥٠][سورة العنكبوت (٢٩) : آية ٥٠]وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين (٥٠)لما ذكر الجاحدين لآية القرآن ثلاث مرات ووصفهم بالكافرين والمبطلين والظالمين انتقل الكلام إلى مقالتهم الناشئة عن جحودهم، وذلك طلبهم أن يأتي النبيء صلى الله عليه وسلم بآيات مرئية خارقة للعادة تدل

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٠/٢٥٧

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٠/٢٦١

على أن الله خلقها تصديقا للرسول كما خلق ناقة صالح وعصا موسى، وهذا من جلافتهم أن لا يتأثروا إلا للأمور المشاهدة وهم يحسبون أن الرسول عليه الصلاة والسلام ينتصب للمعاندة معهم فهم يقترحون عليه ما يرغبونه ليجعلوا ما يسألونه من الخوارق حديث النوادي حتى يكون محضر الرسول عليه الصلاة والسلام فيهم كمحضر المشعوذين وأصحاب الخنقطرات. وقد قدمت بيان هذا الوهم عند قوله تعالى:وقالوا لولا نزل عليه آيات من ربه في سورة الأنعام [٣٧] .ومعنى عند الله أنها من عمل القدرة الذي يجري على وفق إرادته تعالى فلكونها منوطة بإرادته شبهت بالشيء المحفوظ عند مالكه.وأفادت إنما قصر النبيء عليه الصلاة والسلام على صفة النذارة، أي الرسالة لا يتجاوزها إلى خلق الآيات أو اقتراحها على ربه، فهو قصر إفراد ردا على زعمهم أن من حق الموصوف بالرسالة أن يأتي بالخوارق المشاهدة.والمعنى: أنه لا يسلم أن التبليغ يحتاج إلى الإتيان بالخوارق على حسب رغبة." (١)

"كما في قوله تعالى: ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله [الطلاق: ٧] . وقال بعض المفسرين: إن المشركين عيروا المسلمين بالفقر، وقيل: إن بعض المسلمين قالوا: إن هاجرنا لم نجد ما ننفق.والضمير المجرور باللام عائد إلى (من يشاء من عباده) باعتبار أن (من يشاء) عام ليس بشخص معين لا سيما وقد بين عمومه بقوله من عباده. والمعنى: أنه يبسط الرزق لفريق ويقدر لفريق.**والتذييل** بقوله إن الله بكل شيء عليم لإفادة أن ذلك كله جار على حكمة لا يطلع عليها الناس، وأن الله يعلم صبر الصابرين وجزع الجازعين كما تقدم في قوله في أول السورة: فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين [العنكبوت: ٣] ، قال تعالى:لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذينأشركوا أذى كثيرا وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور[آل عمران: ١٨٦] .[٦٣][سورة العنكبوت (٢٩) : آية ٦٣]ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون (٦٣)ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله.أعيد أسلوب السؤال والجواب ليتصل ربط الأدلة بعضها ببعض على قرب. فقد كان المشركون لا يدعون أن الأصنام تنزل المطر كما صرحت به الآية فقامت الحجة عليهم ولم ينكروها وهي تقرع أسماعهم.وأدمج في الاستدلال عليهم بانفراده تعالى بإنزال المطر أن الله أحيا به الأرض بعد موتها وإن كان أكثر المشركين ينسبون المسببات إلى أسبابها العادية كما تبين في بحث الحقيقة والمجاز العقليين في قولهم: أنبت الربيع البقل، أنه حقيقة عقلية في كلام أهل الشرك لأنهم مع ذلك لا ينسبون الإنبات إلى أصنامهم، وقد اعترفوا بأن سبب الإنبات وهو المطر منزل من عند الله فيلزمهم أن الإنبات من الله على كل تقدير. وفي هذا الإدماج استدلال تقريبي لإثبات البعث كما قال: فانظر إلى آثار رحمة." (٢)

"اشتملت عليه تلك الجملة من تقريعهم على كفران نعم الله تعالى، ولذلك عقبت هذه الجملة بقوله وبنعمة الله يكفرون.والاستفهام إنكاري، وجعلت نعمة أمن بلدهم كالشيء المشاهد فأنكر عليهم عدم رؤيته، فقوله أنا جعلنا حرما آمنا مفعول يروا.ومعنى هذه الآية يعلم مما تقدم عند الكلام على قوله تعالى: وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٣/٢١

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٨/٢١

أولم نمكن لهم حرما آمنا في سورة القصص [٥٧] ، وقد كان أهل مكة في بحبوحة من الأمن وكان غيرهم من القبائل حول مكة وما بعد منها يغزو بعضهم بعضا ويتغاورون ويتناهبون، وأهل مكة آمنون لا يعدو عليهم أحد مع قلتهم، فذكرهم الله هذه النعمة عليهم.والباطل: هو الشرك كما تقدم عند قوله تعالى: والذين آمنوا بالباطل في هذه السورة العنكبوت [٥٢] . و (نعمة الله) المراد بها الجنس الذي منه إنجاؤهم من الغرق وما عداه من النعم المحسوسة المعروفة، ومن النعم الخفية التي لو تأملوا لأدركوا عظمها، ومنها نعمة الرسالة المحمدية. والمضارع في المواضع الثلاثة دال على تجدد الفعل.[٦٨][سورة العنكبوت (٢٩) : آية ٦٨]ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين (٦٨)لما أوفاهم ما يستأهلونه من تشنيع أحوالهم وسوء انتظام شؤونهم جاء في عقبه **بتذييل** يجمعها في أنها افتراء على الله وتكذيب بالحق، ثم جزاهم الجزاء الأوفى اللائق بحالهم وهو أن النار مثواهم.وافتتح تشخيص حالهم بالاستفهام عن وجود فريق هم أظلم من هؤلاء الذين افتروا على الله وكذبوا بالحق توجيها لأذهان السامعين نحو البحث هل يجدون أظلم منهم حتى إذا أجادوا التأمل واستقروا مظان الظلمة واستعرضوا أصنافهم تيقنوا أن ليس ثمة ظلم أشد من ظلم هؤلاء.." (١)

"جاهدوا في مرضاتنا، والدين الذي اخترناه لهم. والظرفية مجازية، يقال: هي ظرفية تعليل تفيد مبالغة في التعليل.والهداية: الإرشاد والتوفيق بالتيسير القلبي والإرشاد الشرعي، أي لنزيدنهم هدى.وسبل الله: الأعمال الموصلة إلى رضاه وثوابه، شبهت بالطرق الموصلة إلى منزل الكريم المكرم للضيف.والمراد ب المحسنين جميع الذين كانوا محسنين، أي كان عمل الحسنات شعارهم وهو عام. وفيه تنويه بالمؤمنين بأنهم في عداد من مضى من الأنبياء والصالحين.وهذا أوقع في إثبات الفوز لهم مما لو قيل: فأولئك المحسنون لأن في التمثيل بالأمور المقررة المشهورة تقريرا للمعاني ولذلكجاء في تعليم الصلاة على النبيء صلى الله عليه وسلم قوله: «كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم». والمعية: هنا مجاز في العناية والاهتمام بهم. والجملة في معنى **التذييل** بما فيها من معنى العموم. وإنما جيء بها معطوفة للدلالة على أن المهم من سوقها هو ما تضمنته من أحوال المؤمنين، فعطفت على حالتهم الأخرى وأفادت **التذييل** بعموم حكمها.وفي قوله لنهدينهم سبلنا إيماء إلى تيسير طريق الهجرة التي كانوا يتأهبون لها أيام نزول هذه السورة.." (٢)

"الحالين للحكمة التي بيناها آنفا كما دل عليه **التذييل** بقوله ينصر من يشاء.فيه أدب عظيم للمسلمين لكي لا يعللوا الحوادث بغير أسبابها وينتحلوا لها عللا توافق الأهواء كما كانت تفعله الدجاجلة من الكهان وأضرابهم. وهذا المعنى كان النبيء صلى الله عليه وسلم يعلنه في خطبه فقد كسفت الشمس يوم مات إبراهيم ابن النبيء صلى الله عليه وسلم فقال الناس: كسفت لموت إبراهيم فخطب النبيء صلى الله عليه وسلمفقال في خطبته: «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته». وكان من صناعة الدجل أن يتلقن أصحاب الدجل الحوادث المقارنة لبعض الأحوال فيزعموا أنها كانت لذلك مع أنها تنفع أقواما وتضر بآخرين، ولهذا كان التأييد بنصر الروم في هذه الآية موعودا به من قبل ليعلم الناس كلهم أنه متحدى به قبل وقوعه لا مدعى به بعد وقوعه، ولهذا قال تعالى بعد الوعود: ويومئذ يفرح المؤمنون

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٣٤/٢١

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٣٧/٢١

بنصر الله.ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم عطف على جملة وهم من بعد غلبهم إلخ أي: ويوم إذ يغلبون يفرح المؤمنون بنصر الله أي بنصر الله إياهم على الذين كانوا غلبوهم من قبل، وكان غلبهم السابق أيضا بنصر الله إياهم على الروم لحكمة اقتضت هذا التعاقب وهي تهيئة أسباب انتصار المسلمين على الفريقين إذا حاربوهم بعد ذلك لنشر دين الله في بلاديهم، وقد أومأ إلى هذا قوله لله الأمر من قبل ومن بعد.والجملة المضافة إلى إذ في قوله ويومئذ محذوفة عوض عنها التنوين.والتقدير: ويوم إذ يغلبون يفرح المؤمنون، فيوم منصوب على الظرفية وعامله يفرح المؤمنون. وأضيف النصر إلى اسم الجلالة للتنويه بذلك النصر وأنه عناية لأجل المسلمين.وجملة ينصر من يشاء **تذييل** لأن النصر المذكور فيها عام بعموم مفعوله وهو من يشاء فكل منصور داخل في هذا العموم، أي من يشاء نصره لحكم." (١)

"ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب في سورة العنكبوت [٥٣] . وجملة وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون **تذييل**.وتأكيده ب إن لتنزيل السامع منزلة من يشك في وجود من يجحد لقاء الله بعد هذا الدليل الذي مضى بله أن يكون الكافرون به كثيرا. والمراد بالكثير هنا: مشركو أهل مكةوبقية مشركي العرب المنكرين للبعث ومن ماثلهم من الدهريين. ولم يعبر هنا بأكثر الناس [العنكبوت: ٦٠] لأن المثبتين للبعث كثيرون مثل أهل الكتاب والصابئة والمجوس والقبط.[٩][سورة الروم (٣٠) : آية ٩]أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون (٩)أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم.عطف على جملة أولم يتفكروا في أنفسهم [الروم: ٨] وهو مثل الذي عطف هو عليه متصل بما يتضمنه قوله ولكن أكثر الناس لا يعلمون [الروم: ٦] أن من أسباب عدم علمهم تكذيبهم الرسول عليه الصلاة والسلام الذي أنبأهم بالبعث، فلما سيق إليهم دليل حكمة البعث والجزاء بالحق أعقب بإنذارهم موعظة لهم بعواقب الأمم الذين كذبوا رسلهم لأن المقصود هو عاقبة تكذيبهم رسل الله وهو قوله وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم الآية.والأمر بالسير في الأرض تقدم في قوله تعالى: قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين في سورة الأنعام [١١] ، وقوله: قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق في سورة العنكبوت [٢٠] .والاستفهام في أولم يسيروا تقريري. وجاء التقرير على النفي للوجه الذي ذكرناه في قوله تعالى: ألم يروا أنه لا يكلمهم [الأعراف: ١٤٨] وقوله لم يأتكم رسل منكمفي الأنعام [١٣٠] ، وقوله أليس في جهنم مثوى للكافرين في آخر العنكبوت [٦٨] .والأرض: اسم للكرة التي عليها الناس.." (٢)

"وتقديم أنفسهم وهو مفعول يظلمون على فعله للاهتمام بأنفسهم في تسليط ظلمهم عليها لأنه ظلم يتعجب منه، مع ما فيه من الرعاية على الفاصلة. وليس تقديم المفعول هنا للحصر لأن الحصر حاصل من جملتي النفي والإثبات.[١٠][سورة الروم (٣٠) : آية ١٠]ثم كان عاقبة الذين أساؤا السواى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن (١٠)ثم للتراخي الرتبي لأن هذه العاقبة أعظم رتبة في السوء من عذاب الدنيا، فيجوز أن يكون هذا الكلام **تذييلا** لحكاية

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٤٧/٢١

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٥٥/٢١

ما حل بالأمم السالفة من قوله كيف كان عاقبة الذين من قبلهم [الروم: ٩] .والمعنى: ثم عاقبة كل من أساءوا السوأى مثلهم، فيكون تعريضا بالتهديد لمشركي العرب كقوله تعالى دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها [محمد: ١٠] ، فالمراد ب الذين أساؤا كل مسيىء من جنس تلك الإساءة وهي الشرك. ويجوز أن يكون إنذارا لمشركي العرب المتحدث عنهم من قوله ولكن أكثر الناس لا يعلمون [الروم: ٦] فيكونوا المراد ب الذين أساؤا، ويكون إظهارا في مقام الإضمار على خلاف مقتضى الظاهر لقصد الإيماء بالصلة، أي أن سبب عاقبتهم السوأى هو إساءتهم، وأصل الكلام: ثم كان عاقبتهم السوأى. وهذا إنذار بعد الموعظة ونص بعد القياس، فإن الله وعظ المكذبين للرسول صلى الله عليه وسلم بعواقب الأمم التي كذبت رسلها ليكونوا على حذر من مثل تلك العاقبة بحكم قياس التمثيل، ثم أعقب تلك الموعظة بالنذارة بأنهم ستكون لهم مثل تلك العاقبة بحكم قياس التمثيل، ثم أعقب تلك الموعظة بالنذارة بأنهم ستكون لهم مثل تلك العاقبة، وأوقع فعل كان الماضي في موقع المضارع للتنبيه على تحقيق وقوعه مثل أتى أمر الله [النحل: ١] إتماما للنذارة.والعاقبة: الحالة الأخيرة التي تعقب حالة قبلها. وتقدمت في قوله: ثم انظرواكيف كان عاقبة المكذبينفي سورة الأنعام [١١] ، وقوله: والعاقبة للتقوى في طه." (١)

"وقرأ الجمهور فرقوا بتشديد الراء. وقرأه حمزة والكسائي فارقوا دينهم بألفبعد الفاء فالمراد بالدين دين الإسلام. ومعنى مفارقتهم إياه ابتعادهم منه، فاستعيرت المفارقة للنبذ إذ كان الإسلام هو الدين الذي فطر الله عليه الناس فلما لم يتبعوه جعل إعراضهم عنه كالمفارقة لشيء كان مجتمعا معه، وليس المراد الارتداد عن الإسلام.والشيع: جمع شيعة وهي الجماعة التي تشايع، أي توافق رأيا، وتقدم قوله تعالى ثم لننزعن من كل شيعة في سورة مريم [٦٩] .والحزب: الجماعة الذين رأيهم ونزعتهم واحدة. وبما لديهم هو ما اتفقوا عليه.والفرح: الرضا والابتهاج. وهذه حالة ذميمة من أحوال أهل الشرك يراد تحذير المسلمين من الوقوع في مثلها، فإذا اختلفوا في أمور الدين الاختلاف الذي يقتضيه اختلاف الاجتهاد أو اختلفوا في الآراء والسياسات لاختلاف العوائد فليحذروا أن يجرهم ذلك الاختلاف إلى أن يكونوا شيعا متعادين متفرقين يلعن بعضهم بعضا ويذيق بعضهم بأس بعض. وتقدم كل حزب بما لديهم فرحون في سورة المؤمنين [٥٣] .[٣٣- ٣٤][سورة الروم (٣٠) : الآيات ٣٣ إلى ٣٤]وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين إليه ثم إذا أذاقهم منه رحمة إذا فريق منهم بربهم يشركون (٣٣) ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون (٣٤)عطف على جملة فرقوا دينهم وكانوا شيعا [الروم: ٣٢] أي فرقوا دينهم وكانوا شيعا، وإذا مسهم ضر فدعوا الله وحده فرحمهم عادوا إلى شركهم وكفرهم نعمة الذي رحمهم. فالمقصود من الجملة هو قوله: ثم إذا أذاقهم منه رحمة إذا فريق منهم بربهم يشركون، فمحل انتظامه في مذام المشركين أنهم يرجعون إلى الكفر، بخلاف حال المؤمنين فإنهم إذا أذاقهم الله رحمة بعد ضر شكروا نعمة ربهم وذلك من إنابتهم إلى الله.ونسج الكلام على هذا الأسلوب ليكون بمنزلة **التذييل** بما في لفظ." (٢)

"اليأس والقنوط، وتقدم ذكر الإذاقة آنفا. والقنوط: اليأس، وتقدم في سورة الحجر [٥٥]عند قوله تعالى فلا تكن من القانطين.وأدمج في خلال الإنكار عليهم قوله بما قدمت أيديهم لتنبيههم إلى أن ما يصيبهم من حالة سيئة في الدنيا

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٥٩/٢١

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٩٦/٢١

إنما سببها أفعالهم التي جعلها الله أسبابا لمسببات مؤثرة لا يحيط بأسرارها ودقائقها إلا الله تعالى، فما على الناس إلا أن يحاسبوا أنفسهم ويجروا أسباب إصابة السيئات، ويتداركوا ما فات، فذلك أنجى لهم من السيئات وأجدر من القنوط.وهذا أدب جليل من آداب التنزيل قال تعالى ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك [النساء: ٧٩] .وقرأ الجمهور يقنطون بفتح النون على أنه مضارع قنط من باب حسب. وقرأه أبو عمرو الكسائي بكسر النون على أنه مضارع قنط من باب ضرب وهما لغتان فيه.ثم أنكر عليهم إهمال التأمل في سنة الله الشائعة في الناس: من لحاق الضر وانفراجه، ومن قسمة الحظوظ في الرزق بين بسط وتقتير فإنه كثير الوقوع كل حين فكما أنهم لم يقنطوا من بسط الرزق عليهم في حين تقتيره فكدحوا في طلب الرزق بالأسباب والدعاء فكذلك كان حقهم أن يتلقوا السوء النادر بمثل ما يتلقون به ضيق الرزق، فيسعوا في كشف السيئة بالتوبة والابتهال إلى الله وبتعاطي أسباب زوالها من الأسباب التي نصبها الله تعالى، فجملة أولم يروا أن الله يبسط الرزق إلخ عطف على جملة وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها. والاستفهام إنكاري في معنى النفي أنكر عليهم عدم الرؤية تنزيلا لرؤيتهم ذلك منزلة عدم الرؤية لإهمال آثارها من الاعتبار بها. فالتقدير: إذا هم يقنطون كيف لم يروا بسط الله الرزق وتقتيره كأنهم لم يروا ذلك. والرؤية بصرية.وجملة إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون **تذييل**، أي في جميع ما ذكر آيات كثيرة حاصلة كثرتها من اشتمال كل حالة من تلك الأحوال على أسباب." (١)

"وقرأ نافع في أذنيه بسكون الذال للتخفيف لأجل ثقل المثنى، وقرأه الباقون بضم الذال على الأصل. وقد ترتب على هذه الأعمال التي وصف بها أن أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يوعده بعذاب أليم. وإطلاق البشارة هنا استعارة تهكمية، كقول عمرو بن كلثوم:فعجلنا القرى أن تشتمونا وقد عذب النضر بالسيف إذ قتل صبرا يوم بدر، فذلك عذاب الدنيا، وعذاب الآخرة أشد.[٨- ٩][سورة لقمان (٣١) : الآيات ٨ إلى ٩]إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم (٨) خالدين فيها وعد الله حقا وهو العزيز الحكيم (٩)لما ذكر عذاب من يضل عن سبيل الله أتبع ببشارة المحسنين الذين وصفوا بأنهم يقيمون الصلاة إلى قوله وأولئك هم المفلحون [لقمان: ٥] .وانتصب وعد الله على المفعول المطلق النائب عن فعله، وانتصب حقا على الحال المؤكدة لمعنى عاملها كما تقدم في صدر سورة يونس. وإجراء الاسمين الجليلين على ضمير الجلالة لتحقيق وعده لأنه لعزته لا يعجزه الوفاء بما وعد، ولحكمته لا يخطىء ولا يذهل عما وعد، فموقع جملة وهو العزيز الحكيم موقع **التذييل** بالأعم.[١٠- ١١][سورة لقمان (٣١) : الآيات ١٠ إلى ١١]خلق السماوات بغير عمد ترونها وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم (١٠) هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين (١١)استئناف للاستدلال على الذين دأبهم الإعراض عن آيات الله بأن الله هو خالق المخلوقات فلا يستحق غيره أن تثبت له الإلهية فكان ادعاء الإلهية لغير الله." (٢)

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٠١/٢١

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١٤٥/٢١

"لله، أي خالصا له كما في قوله تعالى فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله في سورة آل عمران [٢٠] .والإحسان: العمل الصالح والإخلاص في العبادة.وفي الحديث: «الإحسان أن تعبد الله كأنه تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك». والمعنى: ومن يسلم إسلاما لا نفاق فيه ولا شك فقد أخذ بما يعتصم به من الهوي أو التزلزل.وقوله فقد استمسك بالعروة الوثقى مضى الكلام على نظيره عند قوله تعالى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى في سورة البقرة [٢٥] ، وهو ثناء على المسلمين. وتذييل هذا بقوله وإلى الله عاقبة الأمور إيماء إلى وعدهم بلقاء الكرامة عند الله في آخر أمرهم وهو الحياة الآخرة.والتعريف في الأمور للاستغراق، وهو تعميم يراد به أن أمور المسلمين التي هي من مشمولات عموم الأمور صائرة إلى الله وموكولة إليه فجزاؤهم بالخير مناسب لعظمة الله.والعاقبة: الحالة الخاتمة والنهاية. والأمور: جمع أمر وهو الشأن.وتقديم إلى الله للاهتمام والتنبيه إلى أن الراجع إليه يلاقي جزاءه وافيا.[٢٣][سورة لقمان (٣١) : آية ٢٣]ومن كفر فلا يحزنك كفره إلينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا إن الله عليم بذات الصدور (٢٣)لما خلا ذم الذين كفروا عن الوعيد وانتقل منه إلى مدح المسلمين ووعدهم عطف عنان الكلام إلى تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم بتهوين كفرهم عليه تسلية له وتعريضا بقلة العبء بهم لأن مرجعهم إلى الله فيريهم الجزاء المناسب لكفرهم، فهو تعريض لهم بالوعيد.وأسند النهي إلى كفرهم عن أن يكون محزنا للرسول صلى الله عليه وسلم مجازا عقليا في نهي." (١)

"وجملة إن الله عزيز حكيم تذييل، فهو لعزته لا يغلبه الذين يزعمون عدم الحاجةإلى القرآن ينتظرون انفحام الرسول صلى الله عليه وسلم وهو لحكمته لا تنحصر كلماته لأن الحكمة الحق لا نهاية لها.وقرأ الجمهور برفع والبحر على أن الجملة الاسمية في موضع الحال والواو واو الحال وهي حال من ما في الأرض من شجرة، أي: تلك الأشجار كائنة في حال كون البحر مدادا لها، والواو يحصل بها من الربط والاكتفاء عن الضمير لدلالتها على المقارنة.وقرأ أبو عمرو ويعقوب والبحر- بالنصب- عطفا على اسم (إن) .[٢٨][سورة لقمان (٣١) : آية ٢٨]ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة إن الله سميع بصير (٢٨)استئناف بياني متعلق بقوله إلينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا [لقمان: ٢٣] لأنه كلما ذكر أمر البعث هجس في نفوس المشركين استحالة إعادة الأجسام بعد اضمحلالها فيكثر في القرآن تعقيب ذكر البعث بالإشارة إلى إمكانه وتقريبه. وكانوا أيضا يقولون: إن الله خلقنا أطوارا نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم لحما وعظما فكيف يبعثنا خلقا جديدا في ساعة واحدة وكيف يحيي جميع الأمم والأجيال التي تضمنتها الأرض في القرون الكثيرة، وكان أبي بن خلف وأبو الأسد- أو أبو الأسدين- ونبيه، ومنبه، ابنا الحجاج من بني سهم، يقولون ذلك وربما أسر به بعضهم. وضميرا المخاطبين مراد بهما جميع الخلق فهما بمنزلة الجنس، أي ما خلق جميع الناس أول مرة ولا بعثهم، أي خلقهم ثاني مرة إلا كخلق نفس واحدة لأن خلق نفس واحدة هذا الخلق العجيب دال على تمام قدرة الخالق تعالى فإذا كان كامل القدرة استوى في جانب قدرته القليل والكثير والبدء والإعادة.وفي قوله ما خلقكم ولا بعثكم التفات من الغيبة إلى الخطاب لقصد مجابهتهم بالاستدلال المفحم.." (٢)

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٧٧/٢١

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١٨٣/٢١

"دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون وقوله في سورة يونس [٢٢] : حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة الآيات.والغشيان: مستعار للمجيء المفاجئ لأنه يشبه التغطية، وتقدم في قوله تعالى:يغشي الليل النهار في سورة الأعراف [٥٤] .والظلل: بضم الظاء وفتح اللام: جمع ظلة بالضم وهي: ما أظل من سحاب.والفاء في قوله فمنهم مقتصد تدل على مقدر كأنه قيل: فلما نجاهم انقسموا فمنهم مقتصد ومنهم غيره كما سيأتي. وجعل ابن مالك الفاء داخلة على جواب لما أي رابطة للجواب ومخالفوه يمنعون اقتران جواب فلما بالفاء كما في «مغني اللبيب» .والمقتصد: الفاعل للقصد وهو التوسط بين طرفين، والمقام دليل على أن المراد الاقتصاد في الكفر لوقوع تذييله بقوله وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار كفور ولقوله في نظيره في سورة العنكبوت [٦٥] فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون، وقد يطلق المقتصد على الذي يتوسط حاله بين الصلاح وضده. كما قال تعالى: منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون [المائدة: ٦٦] .والجاحد الكفور: هو المفرط في الكفر والجحد. والجحود: الإنكار والنفي. وتقدم عند قوله تعالى: ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون في سورة الأنعام [٣٣] . وعلم أن هنالك قسما ثالثا وهو الموقن بالآيات الشاكر للنعمة وأولئك هم المؤمنون. قال في سورة فاطر [٣٢] فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات، وهذا الاقتصاركقول جرير:كانت حنيفة أثلاثا فثلثهم ... من العبيد وثلث من مواليهاأي: والثلث الآخر من أنفسهم.والختار: الشديد الختر، والختر: أشد الغدر.وجملة وما يجحد إلى آخرها تذييل لأنها تعم كل جاحد سواء من جحد آية." (١)

"أي: عجيب إقدامه على مواقع الهلاك بعد مشاهدة غمرات الموت تغمر الذين أقدموا على تلك المواقع.ومن للاستفهام الإنكاري كقوله ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه [البقرة: ١١٤] أي: لا أظلم منه، أي لا أحد أظلم منه لأنه ظلم نفسه بحرمانها من التأمل فيما فيه نفعه، وظلم الآيات بتعطيل نفعها في بعض من أريد انتفاعهم بها، وظلم الرسول عليه الصلاة والسلام بتكذيبه والإعراض عنه، وظلم حق ربه إذ لم يمتثل ما أراد منه.وجملة إنا من المجرمين منتقمون مستأنفة استئنافا بيانيا ناشئا عن تفظيع ظلم الذي ذكر بآيات ربه فأعرض عنها لأن السامع يترقب جزاء ذلك الظالم. والمراد بالمجرمين هؤلاء الظالمون، عدل عن ذكر ضميرهم لزيادة تسجيل فظاعة حالهم بأنهم مجرمون مع أنهم ظالمون، وقد يقال: إن المجرمين أعم من الظالمين فيكون دخولهم في الانتقام من المجرمين أخرويا وتصير جملة إنا من المجرمين منتقمون تذييلا.[٢٣][سورة السجده (٣٢) : آية ٢٣]ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه وجعلناه هدى لبني إسرائيل (٢٣)لما جرى ذكر إعراض المشركين عن آيات الله وهي آيات القرآن في قوله ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها [السجدة: ٢٢] ، استطرد إلى تسلية النبيء صلى الله عليه وسلم بأن ما لقي من قومه هو نظير ما لقيه موسى من قوم فرعون الذين أرسل إليهم فالخبر مستعمل في التسلية بالتنظير والتمثيل. فهذه الجملة وما بعدها إلى قوله فيما كانوا فيه يختلفون [السجدة: ٢٥] معترضات. وموقع التأكيد بلام القسم وحرف التحقيق هو ما استعمل فيه الخبر من التسلية

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٩١/٢١

لا لأصل الأخبار لأنه أمر لا يحتاج إلى التأكيد، وبه تظهر رشاقة الاعتراض بتفريع فلا تكن في مرية من لقائه على الخبر الذي قبله.." (١)

"والاستثناء بقوله إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفا منقطع، وإلا بمعنى (لكن) لأن ما بعد إلا ليس من جنس ما قبلها فإن الأولوية التي أثبتت لأولي الأرحام أولوية خاصة وهي أولوية الميراث بدلالة السياق دون أولوية حسن المعاشرة وبذل المعروف. وهذا استدراك على ما قد يتوهم من قطع الانتفاع بأموال الأولياء عن أصحاب الولاية بالإخاء والحلف فبين أن الذي أبطل ونسخ هو انتفاع الإرث وبقي حكم المواساة وإسداء المعروف بمثل الإنفاق والإهداء والإيصاء.وجملة كان ذلك في الكتاب مسطورا **تذييل** لهذه الأحكام وخاتمة لها مؤذنة بانتهاء الغرض من الأحكام التي شرعت من قوله ادعوهم لآبائهم [الأحزاب: ٥] إلى هنا،فالإشارة بقوله ذلك إلى المذكور من الأحكام المشروعة فكان هذا **التذييل** أعم مما اقتضاه قوله بعضهم أولى ببعض في كتاب الله. وبهذا الاعتبار لم يكن تكريرا له ولكنه يتضمنه ويتضمن غيره فيفيد تقريره وتوكيده تبعا وهذا شأن **التذييلات**.والتعريف في الكتاب للعهد، أي: كتاب الله، أي: ما كتبه على الناس وفرضه كقوله كتاب الله عليكم [النساء: ٢٤] ، فاستعير الكتاب للتشريع بجامع ثبوته وضبطه التغيير والتناسي، كما قال الحارث بن حلزة:حذر الجور والتطاخي وهل ين ... قض ما في المهارق الأهواءومعنى هذا مثل قوله تعالى: وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله في سورة الأنفال [٧٥] . فالكتاب: استعارة مكنية وحرف الظرفية ترسيخ للاستعارة.والمسطور: المكتوب في سطور، وهو ترشيح أيضا للاستعارة وفيه تخييل للمكنية.وفعل كان في قوله كان ذلك لتقوية ثبوته في الكتاب مسطورا، لأن كان إذا لم يقصد بها أن اسمها اتصف بخبرها في الزمن الماضي كانت للتأكيد غالبا مثل وكان الله غفورا رحيما [الأحزاب: ٤] أي: لم يزل كذلك.." (٢)

"[سورة الأحزاب (٣٣) : الآيات ٧ إلى ٨]وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا (٧) ليسئل الصادقين عن صدقهم وأعد للكافرين عذابا أليما (٨)عطف على قوله يا أيها النبيء اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين إلى قوله:وكفى بالله وكيلا [الأحزاب: ١- ٣] فلذلك تضمن الأمر بإقامة الدين على ما أراده الله تعالى وأوحى به إلى رسوله صلى الله عليه وسلم، وعلى نبذ سنن الكافرين الصرحاء والمنافقين من أحكام الهوى والأوهام.فلما ذكر ذلك وعقب بمثل ثلاثة من أحكام جاهليتهم الضالة بما طال من الكلام إلى هنا ثني عنان الكلام إلى الإعلام بأن الذي أمره الله به هو من عهود أخذها الله على النبيئين والمرسلين من أول عهود الشرائع. وتربط هذا الكلام بالكلام الذي عطف هو عليه مناسبة قوله: كان ذلك في الكتاب مسطورا [الأحزاب: ٦] . وبهذا الارتباط بين الكلامين لم يحتج إلى بيان الميثاق الذي أخذه الله تعالى على النبيئين، فعلم أن المعنى: وإذا أخذنامن النبيئين ميثاقهم بتقوى الله وبنبذ طاعة الكافرين والمنافقين وباتباع ما أوحى الله به. وقوله إن الله كان عليما حكيما [الأحزاب: ١] ليسئل الصادقين عن صدقهم وأعد للكافرين عذابا أليما فلما أمر النبيء صلى الله عليه وسلم بالاقتصار على تقوى الله وبالإعراض

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٣٤/٢١

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٧٢/٢١

عن دعوى الكافرين والمنافقين، أعلم بأن ذلك شأن النبيئين من قبله، ولذلك عطف قوله ومنك عقب ذكر النبيئين تنبيها على أن شأن الرسل واحد وأن سنة الله فيهم متحدة، فهذه الآية لها معنى **التذييل** لآية يا أيها النبيء اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين [الأحزاب: ١] الآيات الثلاث ولكنها جاءت معطوفة بالواو لبعد ما بينها وما بين الآيات الثلاث المتقدمة.وقوله وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم الآيتين لهما موقع المقدمة لقصة الأحزاب لأن مما أخذ الله عليه ميثاق النبيئين أن ينصروا الدين الذي يرسله الله به، وأن ينصروا دين الإسلام، قال تعالى: وإذ أخذ الله ميثاق النبيئين لما آتيناكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه [آل عمران: ٨١] فمحمد صلى الله عليه وسلم مأمور بالنصرة لدينه بمن معه من المسلمين لقوله في هذه الآية: ليسئل الصادقين عن صدقهم وأعد للكافرين عذابا أليما. وقال في." (١)

"[سورة الأحزاب (٣٣) : آية ١٥]ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار وكان عهد الله مسؤلا (١٥)هؤلاء هم بنو حارثة وبنو سلمة وهم الذين قال فريق منهم إن بيوتنا عورة [الأحزاب: ١٣] واستأذن النبيء صلى الله عليه وسلم أي كانوا يوم أحد جبنوا ثم تابوا وعاهدوا النبيء صلى الله عليه وسلم أنهم لا يولون الأدبار في غزوة بعدها، وهم الذين نزل فيهم قوله تعالى: إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما [آل عمران: ١٢٢] فطرأ على نفر من بني حارثة نفاق وضعف في الإيمان فذكرهم الله بذلك وأراهم أن منهم فريقا قلبا لا يرعى عهدا ولا يستقر لهم اعتقاد وأن ذلك لضعف يقينهم وغلبة الجبن عليهم حتى يدعوهم إلى نبذ عهد الله. وهذا تنبيه للقبيلين ليزجروا من نكث منهم. وتأكيد هذا الخبر بلام القسم وحرف التحقيق وفعل كان، مع أن الكلام موجه إلى المؤمنين تنزيلا للسامعين منزلة من يتردد في أنهم عاهدوا الله على الثبات.وزيادة من قبل للإشارة إلى أن ذلك العهد قديم مستقر وهو عهد يوم أحد.وجملة لا يولون الأدبار بيان لجملة عاهدوا.والتولية: التوجه بالشيء وهي مشتقة من الولي وهو القرب، قال تعالى: فول وجهك شطر المسجد الحرام [البقرة: ١٤٤] .والأدبار: الظهور. وتولية الأدبار: كناية عن الفرار فإن الذي استأذنوا لأجله في غزوة الخندق أرادوا منه الفرار ألا ترى قوله إن يريدون إلا فرارا [الأحزاب: ١٣] ، والفرار مما عاهدوا الله على تركه.وجملة وكان عهد الله مسؤلا **تذييل** لجملة ولقد كانوا عاهدوا إلخ ...والمراد بعهد الله: كل عهد يوثقه الإنسان مع ربه.والمسئول: كناية عن المحاسب عليهكقول النبيء صلى الله عليه وسلم: «وكلكم مسؤول عن رعيته» ،وكما تقدم آنفا عند قوله تعالى: ليسئل الصادقين عن صدقهم [الأحزاب: ٨] وهذا تهديد.." (٢)

"وجملة وكان الله قويا عزيزا **تذييل** لجملة ورد الله الذين كفروا إلى آخرها.والقوة: القدرة، وقد تقدمت في قوله لو أن لي بكم قوة في سورة [هود: ٨٠] .والعزة: العظمة والمنعة، وتقدمت في قوله تعالى: أخذته العزة بالإثم في سورة [البقرة: ٢٠٦] .وذكر فعل كان للدلالة على أن العزة والقوة وصفان ثابتان لله تعالى، ومن تعلقات قوته وعزته أن صرف ذلك الجيش العظيم خائبين مفتضحين وألقى بينه وبين أحلافه من قريظة الشك، وأرسل عليهم الريح والقر، وهدى نعيما بن

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٧٣/٢١

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٨٩/٢١

مسعود الغطفاني إلى الإسلام دون أن يشعر قومه فاستطاع النصح للمسلمين بالكيد للمشركين. ذلك كله معجزة للنبيء صلى الله عليه وسلم.[٢٦- ٢٧][سورة الأحزاب (٣٣) : الآيات ٢٦ إلى ٢٧]وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا (٢٦) وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطؤها وكان الله على كل شيء قديرا (٢٧)كان يهود قريظة قد أعانوا الأحزاب وحاصروا المدينة معهم وكان حيي بن أخطب من بني النضير منضما إليهم وهو الذي حرض أبا سفيان على غزو المدينة. فلما صرف الله الأحزاب أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يغزو قريظة وهم فريق من اليهود يعرفون ببني قريظة وكانت منازلهم وحصونهم بالجنوب الشرقي من المدينة تعرف قريتهم باسمهم، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلمقد عاد إلى المدينة من الخندق ظهرا وكان بصدد أن يغتسل ويستقر فلما جاءه الوحي بأن يغزو قريظة نادى في الناس أن لا يصلين أحدكم العصر إلا في بني قريظة. وخرج الجيش الذي كان بالخندق معه فنزلوا على قرية قريظة واستعصم أهل القرية بحصونهم فحاصرهم المسلمون نحوا من عشرين ليلة، فلما جهدهم الحصار وخامرهم الرعب من أن يفتح المسلمون بلادهم فيستأصلوهم طمعوا أن يطلبوا أن يسلموا بلادهم على أن يحكم حكم في." (١)

"وتقديم المفعول في فريقا تقتلون للاهتمام بذكره لأن ذلك الفريق هم رجال القبيلة الذين بقتلهم يتم الاستيلاء على الأرض والأموال والأسرى، ولذلك لم يقدم مفعول تأسرون إذ لا داعي إلى تقديمه فهو على أصله.وقوله وأرضا لم تطؤها أي: تنزلوا بها غزاة وهي أرض أخرى غير أرض قريظة وصفت بجملة لم تطؤها أي: لم تمشوا فيها. فقيل: إن الله بشرهم بأرض أخرى يرثونها من بعد. قال قتادة: كنا نحدث أنها مكة. وقال مقاتل وابن رومان: هي خيبر، وقيل: أرض فارس والروم. وعلى هذه التفاسير يتعين أن يكون فعل أورثكم مستعملا في حقيقته ومجازه فأما في حقيقته فبالنسبة إلى مفعوله وهو أرضهم وديارهم وأموالهم، وأما استعماله في مجازه فبالنسبة إلى تعديته إلى أرضا لم تطؤها، أي:أن يورثكم أرضا أخرى لم تطؤوها، من باب: أتى أمر الله [النحل: ١] أو يؤول فعل أورثكم بمعنى: قدر أن يورثكم. وأظهر هذه الأقوال أنها أرض خيبر فإن المسلمين فتحوها بعد غزوة قريظة بعام وشهر. ولعل المخاطبين بضمير أورثكم هم الذين فتحوا خيبر لم ينقص منهم أحد أو فقد منه القليل ولأن خيبر من أرض أهل الكتاب وهم ممن ظاهروا المشركين فيكون قصدها من قوله وأرضا مناسبا تمام المناسبة.وفي **التذييل** بقوله وكان الله على كل شيء قديرا إيماء إلى البشارة بفتح عظيم يأتي من بعده.وعندي: أن المراد بالأرض التي لم يطؤوها أرض بني النضير وأن معنى لم تطؤها لم تفتحوها عنوة، فإن الوطء يطلق على معنى الأخذ الشديد، قال الحارث بن وعلة الذهلي:ووطأتنا وطئا على حنق ... وطء المقيد نابت الهرمومنه قوله تعالى: ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤهم [الفتح: ٢٥] ، فإن أرض بني النضير كانت مما أفاء الله على رسوله من غير إيجاف." (٢)

"تخضعن القول، أي تجعلنه خاضعا ذليلا، أي رقيقا متفككا. وموقع الباء هنا أحسن من موقع همزة التعدية لأن باء التعدية جاءت من باء المصاحبة على ما بينه المحققون من النحاة أن أصل قولك: ذهبت بزيد، أنك ذهبت مصاحبا له

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٣١١/٢١

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٣١٣/٢١

فأنت أذهبته معك، ثم تنوسي معنى المصاحبة في نحو: ذهب الله بنورهم [البقرة: ١٧] ، فلما كان التفكك والتزيين للقول يتبع تفكك القائل أسند الخضوع إليهن في صورة، وأفيدت التعدية بالباء. ويجوز أن تكون الباء بمعنى (في) ، أي لا يكن منكن لين في القول.والنهي عن الخضوع بالقول إشارة إلى التحذير مما هو زائد على المعتاد في كلام النساء من الرقة وذلك ترخيم الصوت، أي ليكن كلامكن جزلا.والمرض: حقيقته اختلال نظام المزاج البدني من ضعف القوة، وهو هنا مستعار لاختلال الوازع الديني مثل المنافقين ومن كان في أول الإيمان من الأعراب ممن لم ترسخ فيه أخلاق الإسلام، وكذلك من تخلقوا بسوء الظن فيرمون المحصنات الغافلات المؤمنات، وقضية إفك المنافقين على عائشة رضي الله عنها شاهد لذلك. وتقدم في قوله تعالى: في قلوبهم مرض في سورة البقرة [١٠] .وانتصب فيطمع في جواب النهي بعد الفاء لأن المنهي عنه سبب في هذا الطمع.وحذف متعلق فيطمع تنزها وتعظيما لشأن نساء النبيء صلى الله عليه وسلم مع قيام القرينة.وعطف وقلن قولا معروفا على فلا تخضعن بالقول بمنزلة الاحتراس لئلا يحسبن أن الله كلفهن بخفض أصواتهن كحديث السرار.والقول: الكلام.والمعروف: هو الذي يألفه الناس بحسب العرف العام، ويشمل القول المعروف هيئة الكلام وهي التي سيق لها المقام، ويشمل مدلولاته أن لا ينتهرن من يكلمهن أويسمعنه قولا بذيئا من باب: فليقل خيرا أو ليصمت. وبذلك تكون هذه الجملة بمنزلة التذييل." (١)

"وموقع مادة الذكر هنا موقع شريف لتحملها هذه المحامل ما لا يتحمله غيرها إلا بإطناب. قال ابن العربي: إن الله تعالى أمر نبيئه عليه الصلاة والسلام بتبليغ ما أنزل إليه فكان إذا قرأ على واحد أو ما اتفق سقط عنه الفرض، وكان على من تبعه أن يبلغه إلى غيره ولا يلزمه أن يذكره لجميع الصحابة.وقد تكرر ذكر الحكمة في القرآن في مواضع كثيرة، وبيناه في سورة البقرة.وتقدم قريبا اختلاف القراء في كسر باء (بيوت) أو ضمها.وجملة إن الله كان لطيفا خبيرا تعليل للأمر وتذييل للجمل السابقة. والتعليل صالح لمحامل الأمر كلها لأن اللطف يقتضي إسداء النفع بكيفية لا تشق على المسدى إليه.وفيما وجه إلى نساء النبيء صلى الله عليه وسلم من الأمر والنهي ما هو صلاح لهن وإجراء للخير بواسطتهن، وكذلك في تيسيره إياهن لمعاشرة الرسول عليه الصلاة والسلام وجعلهن أهل بيوته، وفي إعدادهن لسماع القرآن وفهمه، ومشاهدة الهدي النبوي، كل ذلك لطف لهن هو الباعث على ما وجهه إليهن من الخطاب ليتلقين الخبر ويبلغنه، ولأن الخبير، أي العليم إذا أراد أن يذهب عنهن الرجس ويطهرهن حصل مراده تاما لا خلل ولا غفلة.فمعنى الجملة أنه تعالى موصوف باللطف والعلم كما دل عليه فعل كان فيشمل عموم لطفه وعلمه لطفه بهن وعلمه بما فيه نفعهن.[٣٥][سورة الأحزاب (٣٣) : آية ٣٥]إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما (٣٥)يجوز أن تكون هذه الجملة استئنافا بيانيا لأن قوله: ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين [الأحزاب: ٣١] بعد قوله: لستن كأحد من النساء[الأحزاب: ٣٢]." (٢)

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٩/٢٢

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١٩/٢٢

"وكان صائما، فلما غربت الشمس قال لبلال: «انزل فاجدح لنا» ، فقال: يا رسول الله لو أمسيت. ثم قال: «انزل فاجدح لنا» ، فقال: يا رسول الله لو أمسيت إن عليك نهارا ثم قال: «انزل فاجدح» ، فنزل فجدح له في الثالثة فشرب. فمراجعة بلال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل أنه علم أن الأمر غير عزم.وذكر اسم الجلالة هنا للإيماء إلى أن طاعة الرسول عليه الصلاة والسلام طاعة لله، قال تعالى: من يطع الرسول فقد أطاع الله [النساء: ٨٠] . فالمقصود إذا قضى رسول الله أمرا كما تقدم في قوله تعالى: فأن لله خمسه وللرسول في سورة الأنفال [٤١] إذ المقصود: فإن للرسول خمسه.والخيرة: اسم مصدر تخير، كالطيرة اسم مصدر تطير. قيل ولم يسمع في هذا الوزن غيرهما، وتقدم في قوله تعالى: ما كان لهم الخيرة في سورة القصص [٦٨] .ومن تبعيضية وأمرهم بمعنى شأنهم وهو جنس، أي أمورهم. والمعنى: ما كان اختيار بعض شؤونهم ملكا يملكونه بل يتعين عليهم اتباع ما قضى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فلا خيرة لهم.و (مؤمن ومؤمنة) لما وقعا في حيز النفي يعمان جميع المؤمنين والمؤمنات فلذلك جاء ضميرها ضميرها جمع لأن المعنى: ما كان لجمعهم ولا لكل واحد منهم الخيرة كما هو شأن العموم.وقرأ الجمهور أن تكون بمثناة فوقية لأن فاعله مؤنث لفظا. وقرأه عاصم وحمزة والكسائي وخلف وهشام وابن عامر بتحتية لأن الفاعل المؤنث غير الحقيقي يجوز في فعله التذكير ولا سيما إذا وقع الفصل بين الفعل وفاعله.وقوله: ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا **تذييل** تعميم للتحذير من مخالفة الرسول عليه الصلاة والسلام سواء فيما هو فيه الخيرة أم كان عن عمد للهوى في المخالفة." (١)

"ومعنى زوجناكها إذنا لك بأن تتزوجها، وكانت زينب أيما فتزوجها الرسول عليه الصلاة والسلام برضاها. وذكر أهل السير: أنها زوجها إياه أخوها أبو أحمد الضرير واسمه عبد بن جحش، فلما أمره الله بتزوجها قال لزيد بن حارثة: ما أجد في نفسي أوثق منك فاخطب زينب علي، قال زيد: فجئتها فوليتها ظهري توقيرا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقلت: يا زينب أرسل رسول الله يذكرك. فقالت: ما أنا بصانعة شيئا حتى أوامر ربي، وقامت إلى مسجدها وصلت صلاة الاستخارة فرضيت، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل فبنى بها. وكانت زينب تفخر على نساء النبيء صلى الله عليه وسلم وتقول: زوجكن آباؤكن وزوجني ربي. وهذا يقتضي إن لم يتول أخوها أبو أحمد تزويجها فتكون هذه خصوصية للنبيء صلى الله عليه وسلم عند الذين يشترطونالولي في النكاح كالمالكية دون قول الحنفية. ولم يذكر في الروايات أن النبيء عليه الصلاة والسلام أصدقها فعده بعض أهل السير من خصوصياته صلى الله عليه وسلم فيكون في تزوجها خصوصيتان نبويتان.وأشار إلى حكمة هذا التزويج في إقامة الشريعة، وهي إبطال الحرج الذي كان يتحرجه أهل الجاهلية من أن يتزوج الرجل زوجة دعيه، فلما أبطله الله بالقول إذ قال:وما جعل أدعياءكم أبناءكم [الأحزاب: ٤] أكد إبطاله بالفعل حتى لا يبقى أدنى أثر من الحرج أن يقول قائل: إن ذاك وإن صار حلالا فينبغي التنزه عنه لأهل الكمال، فاحتيط لانتفاء ذلك بإيقاع التزوج بامرأة الدعي من أفضل الناس وهو النبيء صلى الله عليه وسلم.والجمع بين اللام وكي توكيد للتعليل كأنه يقول: ليست العلة غير ذلك، ودلت الآية على أن الأصل في الأحكام التشريعية أن تكون سواء بين النبيء صلى الله عليه وسلم والأمة حتى يدل دليل على الخصوصية.وجملة وكان أمر الله مفعولا **تذييل** لجملة زوجناكها. وأمر الله يجوز أن يراد به من أمر به من

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٨/٢٢

إباحة تزوج من كن حلائل الأدعياء، فهو بمعنى الأمر التشريعي فيه.ومعنى مفعولا أنه متبع ممتثل فلا يتنزه أحد عنه، قال تعالى: قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق [الأعراف: ٣٢] .ويجوز أن يراد الأمر التكويني وهو ما علم أنه يكون وقدر أسباب كونه،." (١)

"ساقه مساق التعجب المشوب بغضب.وعلى الثاني فانتصاب سنة على المفعول المطلق، وعلى كلا الوجهين فالفعل مقدر دل عليه المصدر أو نائبه. فالتقدير: سن الله سنته في الذين خلوا من قبل.والمعنى: أن محمدا صلى الله عليه وسلم متبع سنة الأنبياء الذين سبقوه اتباعا لما فرض الله له كما فرض لهم، أي أباح.والمراد ب الذين خلوا: الأنبياء بقرينة سياق لفظ النبيء، أي الذين خلوا من قبل النبوءة، وقد زاده بيانا قوله: الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه، فالأنبياء كانوا متزوجين وكان لكثير منهم عدة أزواج، وكان بعض أزواجهم أحب إليهم من بعضهن.فإن وقفنا عند ما جاء في هذه الآية وما بينته الآثار الصحيحة فالعبرة بأحوال جميع الأنبياء.وإن تلقينا بشيء من الإغضاء بعض الآثار الضعيفة التي ألصقت بقصة تزوج زينب كان داود عليه السلام عبرة بالخصوص فقد كانت له زوجات كثيرات وكان قد أحب أن يتزوج زوجة (أوريا) وهي التي ضرب الله لها مثلا بالخصم الذين تسوروا المحراب وتشاكوا بين يديه. وستأتي في سورة ص، وقد ذكرت القصة في «سفر الملوك» . ومحلالتمثيل بداود في أصل انصراف رغبته إلى امرأة لم تكن حلالا له فصارت حلالا له، وليس محل التمثيل فيما حف بقصة داود من لوم الله إياه على ذلك كما قال: وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه [ص: ٢٤] الآية لأن ذلك منتف في قصة تزوج زينب.وجملة وكان أمر الله قدرا مقدورا معترضة بين الموصول والصفة إن كانت جملة الذين يبلغون صفة ل الذين خلوا من قبل، أو **تذييل** مثل جملة وكان أمر الله مفعولا [الأحزاب: ٣٧] إن كانت جملة الذين يبلغون مستأنفة كما سيأتي، والقول فيه مثل نظيره المتقدم آنفا.." (٢)

"عليهم خلعة النبوءةلأجل ختم النبوة به كان ذلك غضا فيه دون سائر الرسل وذلك ما لا يريده الله به. ألا ترى أن الله لما أراد قطع النبوءة من بني إسرائيل بعد عيسى عليه السلام صرف عيسى عن التزوج.فلا تجعل قوله: وخاتم النبيئين داخلا في حيز الاستدراك لما علمت من أنه تكميل واستطراد بمناسبة إجراء وصف الرسالة عليه. وببيان هذه الحكمة يظهر حسن موقع **التذييل** بجملة وكان الله بكل شيء عليما إذ أظهر مقتضى حكمته فيما قدره من الأقدار كما في قوله تعالى: جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس إلى قوله:ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض وأن الله بكل شيء عليم [المائدة: ٩٧] .والآية نص في أن محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيئين وأنه لا نبيء بعده في البشر لأن النبيئين عام فخاتم النبيئين هو خاتمهم في صفة النبوءة. ولا يعكر على نصية الآية أن العموم دلالته على الأفراد ظنية لأن ذلك لاحتمال وجود مخصص. وقد تحققنا عدم المخصص بالاستقراء.وقد أجمع الصحابة على أن محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم الرسل والأنبياء وعرف ذلك وتواتر بينهم وفي الأجيال من بعدهم ولذلك لم يترددوا في تكفير مسيلمة والأسود العنسي فصار معلوما من الدين بالضرورة فمن أنكره فهو كافر خارج عن الإسلام ولو كان معترفا بأن محمدا صلى الله عليه

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٣٩/٢٢

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٤١/٢٢

وسلم رسول الله للناس كلهم. وهذا النوع من الإجماع موجب العلم الضروري كما أشار إليه جميع علمائنا ولا يدخل هذا النوع في اختلاف بعضهم في حجية الإجماع إذ المختلف في حجيته هو الإجماع المستند لنظر وأدلة اجتهادية بخلاف المتواتر المعلوم بالضرورة في كلام الغزالي في خاتمة كتاب «الاقتصاد في الاعتقاد» مخالفة لهذا على ما فيه من قلة تحرير. وقد حمل عليه ابن عطية حملة غير منصفة وألزمه إلزاما فاحشا ينزه عنه علمه ودينه فرحمة الله عليهما.ولذلك لا يتردد مسلم في تكفير من يثبت نبوءة لأحد بعد محمد صلى الله عليه وسلم وفي إخراجه من حظيرة الإسلام، ولا تعرف طائفة من المسلمين أقدمت على ذلك إلا." (١)

"أنه يصلي عليهم ويأمر ملائكته بذلك، وإما أن يكون قد سبق لهم علم بذلك تفصيلا من قبل: فبعض آيات القرآن كقوله تعالى: والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض [الشورى: ٥] فقد علم المسلمون أن استغفار الملائكة للمؤمنين بأمر من الله تعالى لقوله تعالى: ما من شفيع إلا من بعد إذنه [يونس: ٣] ، والدعاء لأحد من الشفاعة له، على أن من جملة صلة الموصول أن ملائكته يصلون على المؤمنين. وذلك معلوم من آيات كثيرة، وقد يكون ذلك بإخبار النبيء صلى الله عليه وسلم المؤمنين فيما قبل نزول هذه الآية، ويؤيد هذا المعنى قوله بعده وكان بالمؤمنين رحيما كما يأتي قريبا.واللام في قوله: ليخرجكم متعلقة ب يصلي. فعلم أن هذه الصلاة جزاء عاجل حاصل وقت ذكرهم وتسبيحهم.والمراد ب الظلمات: الضلالة، وب النور: الهدى، وبإخراجهم من الظلمات:دوام ذلك والاستزادة منه لأنهم لما كانوا مؤمنين كانوا قد خرجوا من الظلمات إلى النور ويزيد الله الذين اهتدوا هدى [مريم: ٧٦] .وجملة وكان بالمؤمنين رحيما **تذييل**.ودل الإخبار عن رحمته بالمؤمنين بإقحام فعل كان وخبرها لما تقتضيه كان من ثبوت ذلك الخبر له تعالى وتحققه وأنه شأن من شؤونه المعروف بها في آيات كثيرة.ورحمته بالمؤمنين أعم من صلاته عليهم لأنها تشمل إسداء النفع إليهم وإيصال الخير لهم بالأقوال والأفعال والألطاف.[٤٤][سورة الأحزاب (٣٣) : آية ٤٤]تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما (٤٤)أعقب الجزاء العاجل الذي أنبأ عنه قوله: هو الذي يصلي عليكم وملائكته [الأحزاب: ٤٣] بذكر جزاء آجل وهو ظهور أثر الأعمال التي عملوها في الدنيا وأثر الجزاء الذي عجل لهم عليها من الله في كرامتهم يوم يلقون ربهم.." (٢)

"بالنور فناسبه السراج المنير. وهذا وصف شامل لجميعالأوصاف التي وصف بها آنفا فهو كالفذلكة **وكالتذييل**.ووصف السراج ب منيرا مع أن الإنارة من لوازم السراج هو كوصف الشيء بالوصف المشتق من لفظه في قوله: شعر شاعر، وليل أليل لإفادة قوة معنى الاسم في الموصوف به الخاص فإن هدى النبيء صلى الله عليه وسلم هو أوضح الهدى. وإرشاده أبلغ إرشاد.روى البخاري في كتاب «التفسير» من صحيحه في الكلام على سورة الفتح عن عطاء بن يسار أن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: «إن هذه الآية التي في القرآن: يا أيها النبيء إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا قال في التوراة: يا أيها النبيء إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للأميين، أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح (أو ويغفر) ولن يقبضه الله حتى يقيم به

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٤٥/٢٢

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٥٠/٢٢

الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله ويفتح (أو فيفتح) به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفاء» اه.وقول عبد الله بن عمرو «في التوراة» يعني بالتوراة: أسفار التوراة وما معها من أسفار الأنبياء إذ لا يوجد مثل ذلك فيما رأيت من الأسفار الخمسة الأصلية من التوراة.وهذا الذي حدث به عبد الله بن عمرو ورأيت مقاربه في سفر النبيء أشعياء من الكتب المعبر عنها بالتوراة تغليبا وهي الكتب المسماة بالعهد القديم وذلك في الإصحاح الثاني والأربعين منه بتغيير قليل (أحسب أنه من اختلاف الترجمة أو من تفسيرات بعض الأحبار وتأويلاتهم) ، ففي الإصحاح الثاني والأربعين منه «هو ذا عبدي الذي أعضده مختاري الذي سرت به نفسي، وضعت روحي عليه فيخرج الحق للأمم، لا يصيح ولا يرفع ولا يسمع في الشارع صوته، قصبة مرضوضة لا تقصف، وفتيلة خامدة لا تطفأ، إلى الأمان يخرج الحق، لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض وتنتظر الجزائر (١) شريعته_____________(١) الجزائر: جزيرة العرب، لقوله في هذا السفر في هذا «الإصحاح» : «والجزائر وسكانها لترفع البرية ومدنها صوتها الديار التي سكنها (قيدار) » فإن قيدار اسم ابن إسماعيل كما في سفر التكوين. فأراد: نسل قيدار وهم الإسماعيليون وهم الأميون.." (١)

"في سورة العقود [٢٣] ، أي اعتمد على الله في تبليغ الرسالة وفي كفايته إياك شر عدوك، فهذا ناظر إلى قوله: وداعيا إلى الله [الأحزاب: ٤٦] .وقوله: وكفى بالله وكيلا تذييل لجملة وتوكل على الله.والمعنى: فإن الله هو الوكيل الكافي في الوكالة، أي المجزي من توكل عليه ما وكله عليه فالباء تأكيد، وتقدم قوله: وكفى بالله وكيلا في سورة النساء [٨١] . والتقدير: كفى الله ووكيلا تمييز.فقد جاءت هذه الجمل الطلبية مقابلة وناظرة للجمل الإخبارية من قوله: إنا أرسلناك شاهدا إلى وسراجا منيرا [الأحزاب: ٤٥، ٤٦] فقوله: وبشر المؤمنين [الأحزاب: ٤٧] ناظرا إلى قوله: ومبشرا [الأحزاب: ٤٥] .وقوله: ولا تطع الكافرين ناظر إلى قوله: ونذيرا [الأحزاب: ٤٥] لأنه جاء فيمقابلة بشارة المؤمنين كما تقدم.وقوله: ودع أذاهم ناظر إلى قوله: شاهدا [الأحزاب: ٤٥] كما علمت. وقوله:وتوكل على الله ناظر إلى قوله: وداعيا إلى الله [الأحزاب: ٤٦] . وأما قوله: وسراجا منيرا [الأحزاب: ٤٦] فلم يذكر له مقابل في هذه المطالب إلا أنه لما كان كالتذييل للصفات كما تقدم ناسب أن يقابله ما هو تذييل للمطالب، وهو قوله: وكفى بالله وكيلا. وهذا أقرب من بعض ما في «الكشاف» من وجوه المقابلة ومن بعض ما للآلوسي فانظرها واحكم.[٤٩][سورة الأحزاب (٣٣) : آية ٤٩]يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا (٤٩)جاءت هذه الآية تشريعا لحكم المطلقات قبل البناء بهن أن لا تلزمهن عدة بمناسبة حدوث طلاق زيد بن حارثة زوجه زينب بنت جحش لتكون الآية مخصصة لآيات العدة من سورة البقرة، فإن الأحزاب نزلت بعد البقرة، وليخصص بها أيضا آية العدة في سورة الطلاق النازلة بعدها لئلا يظن ظان أن العدة من." (٢)

"ما يودون أن يخفف عنهم مثل عدد الزوجات وإيجاب المهور والنفقات، فإذا سمعوا ما خص به النبيء صلى الله عليه وسلم من التوسعة في تلك الأحكام ودوا أن يلحقوا به في ذلك، فسجل الله عليهم أنهم باقون على ما سبق شرعه لهم في

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٥٥/٢٢

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٥٩/٢٢

ذلك، والإخبار بأن الله قد علم ذلك كناية عن بقاء تلك الإحكام لأن معناه أنا لم نغفل عن ذلك، أي لم نبطله بل عن علم خصصنا نبيئنا بما خصصناه به في ذلك الشأن، فلا يشمل ما أحللناه له بقية المؤمنين.وظرفية في مجازية لأن المظروف هو الأحكام الشرعية لا ذوات الأزواج وذوات ما ملكته الأيمان.لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما.تعليل لما شرعه الله تعالى في حق نبيئه صلى الله عليه وسلم في الآيات السابقة من التوسعة بالازدياد من عدد الأزواج وتزوج الواهبات أنفسهن دون مهر، وجعل قبول هبتها موكولا لإرادته، وبما أبقى له من مساواته أمته فيما عدا ذلك من الإباحة فلم يضيق عليه، وهذا تعليم وامتنان.والحرج: الضيق، والمراد هنا أدنى الحرج، وهو ما في التكليف من بعض الحرج الذي لا تخلو عنه التكاليف، وأما الحرج القوي فمنفي عنه وعن أمته. ومراتب الحرج متفاوتة، ومناط ما ينفى عن الأمة منها وما لا ينفى، وتقديرات أحوال انتفاء بعضها للضرورة هو ميزان التكليف الشرعي فالله أعلم بمراتبها وأعلم بمقدار تحرج عباده وذلك مبين في مسائل العزيمة والرخصة من علم الأصول، وقد حرر ملاكه شهاب الدين القرافي في الفرق الرابع عشر من كتابه «أنواء البروق» . وقد أشبعنا القول في تحقيق ذلك في كتابناالمسمى «مقاصد الشريعة الإسلامية» .وأعلم أن النبيء صلى الله عليه وسلم سلك في الأخذ بهذه التوسعات التي رفع الله بها قدره مسلك الكمل من عباده وهو أكملهم فلم ينتفع لنفسه بشيء منها فكان عبدا شكورا كما قال في حديث استغفاره ربه في اليوم استغفارا كثيرا.**والتذييل** بجملة وكان الله غفورا رحيما **تذييل** لما شرعه من الأحكام للنبيء صلى الله عليه وسلم لا للجملة المعترضة، أي أن ما أردناه من نفي الحرج عنك هو من." (١)

"مما يعزز الأخوة الإسلامية المرغب فيها. ونقل قريب من هذا المعنى عن ابن عباس ومجاهد واختاره أبو علي الجبائي وهو الأرجح لأن قرة العين لا تحصل على مضض ولأن الحظ في الحق يوجب الكدر. ويؤيده أن النبيء صلى الله عليه وسلم لم يأخذ إلا به ولم يحفظ عنه أنه آثر إحدى أزواجهبليلة سوى ليلة سودة التي وهبتها لعائشة، استمر ذلك إلى وفاته صلى الله عليه وسلم. وقد جاء في الصحيح أنه كان في مرضه الذي توفي فيه يطاف به كل يوم على بيوت أزواجه، وكان مبدأ شكواه في بيت ميمونة إلى أن جاءت نوبة ليلة عائشة فأذن له أزواجه أن يمرض في بيتها رفقا به.وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال حين قسم لهن «اللهم هذه قسمتي فيما أملك فلا تلمني فيما لا أملك»، ولعل ذلك كان قبل نزول التفويض إليه بهذه الآية.وفي قوله: ويرضين بما آتيتهن كلهن إشارة إلى أن المراد الرضى الذي يتساوين فيه وإلا لم يكن للتأكيد ب كلهن نكتة زائدة، فالجمع بين ضميرهن في قوله: كلهن يومىء إلى رضى متساو بينهن.وضميرا أعينهن ولا يحزن عائدان إلى (من) في قوله: ممن عزلت. وذكر ولا يحزن بعد ذكر أن تقر أعينهن مع ما في قرة العين من تضمن معنى انتفاء الحزن بالإيماء إلى ترغيب النبيء صلى الله عليه وسلم في ابتغاء بقاء جميع نسائه في مواصلته لأن في عزل بعضهن حزنا للمعزولات وهو بالمؤمنين رؤوف لا يحب أن يحزن أحدا.وكلهن توكيد لضمير يرضين أو يتنازعه الضمائر كلها.والإيتاء: الإعطاء وغلب على إعطاء الخير إذا لم يذكر مفعوله الثاني، أو ذكر غير معين كقوله: فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين [الأعراف: ١٤٤] ، فإذا ذكر مفعوله الثاني فالغالب أنه ليس بسوء. ولم أره يستعمل في إعطاء السوء فلا تقول: آتاه سجنا وآتاه ضربا، إلا

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٧١/٢٢

في مقام التهكم أو المشاكلة، فما هنا من القبيل الأول، ولهذا يبعد تفسيره بأنهن يرضين بما أذن الله فيه لرسوله من عزلهن وإرجائهن. وتوجيهه في «الكشاف» تكلف.**والتذييل** بقوله: والله يعلم ما في قلوبكم وكان الله عليما حليما كلام جامع لمعنى الترغيب والتحذير ففيه ترغيب النبيء صلى الله عليه وسلم في الإحسان بأزواجه وإمائه." (١)

"فهي إن أراد النبيء صلى الله عليه وسلم أن ينكحها فقد انتظمت في سلك الأزواج، فشملها حكمهن، وإن لم يرد أن ينكحها فقد بقيت أجنبية لا تدخل في تلك الأصناف.وقرأ الجمهور لا يحل بياء تحتية على اعتبار التذكير لأن فاعله جمع غير صحيح فيجوز فيه اعتبار الأصل. وقرأه أبو عمرو ويعقوب بفوقية على اعتبار التأنيث بتأويل الجماعة وهما وجهان في الجمع غير السالم.وجملة ولو أعجبك حسنهن في موضع الحال والواو واوه، وهي حال من ضمير تبدل. ولو للشرط المقطوع بانتفائه وهي للفرض والتقدير وتسمى وصيلة، فتدل على انتفاء ما هو دون المشروط بالأولى، وقد تقدم في قوله تعالى: ولو افتدى به في آل عمران [٩١] .والمعنى: لا يحل لك النساء من بعد بزيادة على نسائك وبتعويض إحداهن بجديدة في كل حالة حتى في حالة إعجاب حسنهن إياك.وفي هذا إيذان بأن الله لما أباح لرسوله الأصناف الثلاثة أراد اللطف له وأن لا يناكد رغبته إذا أعجبته امرأة لكنه حدد له أصنافا معينة وفيهن غناء.وقد عبرت عن هذا المعنى عائشة رضي الله عنها بعبارة شيقة، إذ قالت للنبيء صلى الله عليه وسلم:ما أرى ربك إلا يسارع في هواك. وأكدت هذه المبالغة **بالتذييل** من قوله: وكان الله على كل شيء رقيبا أي عالما بجري كل شيء على نحو ما حدده أو على خلافه، فهو يجازي على حسب ذلك. وهذا وعد للنبيء صلى الله عليه وسلم بثواب عظيم على ما حدد له من هذا الحكم.والاستثناء في قوله: إلا ما ملكت يمينك منقطع. والمعنى: لكن ما ملكت يمينك حلال في كل حال. والمقصود من هذا الاستدراك دفع توهم أن يكون المراد من لفظ النساء في قوله: لا يحل لك النساء ما يرادف لفظ الإناث دون استعماله العرفي بمعنى الأزواج كما تقدم." (٢)

"ببالهم أحد الاحتمالين فيتحفزوا للخروج فليس خروجه عنهم بمناف لوصف حيائه صلى الله عليه وسلم.وجملة والله لا يستحيي من الحق معطوفة على جملة فيستحيي منكموالمعنى: أن ذلك سوء أدب مع النبيء صلى الله عليه وسلم فإذا كان يستحيي منكم فلا يباشركم بالإنكار ترجيحا منه للعفو عن حقه على المؤاخذة به فإن الله لا يستحيي من الحق لأن أسباب الحياء بين الخلق منتفية عن الخالق سبحانه: والله يقول الحق وهو يهدي السبيل [الأحزاب: ٤] .وصيغت الجملة المعطوفة على بناء الجملة الاسمية مخالفة للمعطوفة هي عليها فلم يقل: ولا يستحيي الله من الحق، للدلالة على أن هذا الوصف ثابت دائم لله تعالى لأن الحق من صفاته، فانتفاء ما يمنع تبليغه هو أيضا من صفاته لأن كل صفة يجب اتصاف الله بها فإن ضدها يستحيل عليه تعالى.والتعريف في الحق تعريف الجنس المراد منه الاستغراق مثل التعريف في الحمد لله [الفاتحة: ٢] . والمعنى: والله لا يستحيي من جميع أفراد جنس الحق.والحق: ضد الباطل. فمنه حق الله وحق الإسلام، وحق الأمة جمعاء في مصالحها وإقامة آدابها، وحق كل فرد من أفراد الأمة فيما هو من منافعه ودفع الضر عنه.ويشتمل حق النبيء

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٧٦/٢٢

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٨٠/٢٢

صلى الله عليه وسلم في بيته وأوقاته، وبهذا العموم في الحق صارت الجملة بمنزلة **التذييل**.ومن في قوله: من الحق ليست مثل من التي في قوله: فيستحيي منكم لأن من هذه متعينة لكونها للتعليل إذ الحق لا يستحيي من ذاته فمعنى «إن الله لا يستحيي من الحق» أنه لا يستحيي لبيانه وإعلانه.وقد أفاد قوله: والله لا يستحيي من الحق أن من واجبات دين الله على الأمة أن لا يستحيي أحد من الحق الإسلامي في إقامته، وفي معرفته إذا حل به ما يقتضي معرفته، وفي إبلاغه وهو تعليمه، وفي الأخذ به، إلا فيما يرجع إلى الحقوق الخاصة التي يرغب أصحابها في إسقاطها أو التسامح فيها مما لا يغمص." (١)

"لها: هبي لي نفسك (أي ليعلم أنها رضيت بما عقد لها وليها) فقالت: ما كان لملكة أن تهب نفسها لسوقة أعوذ بالله منك. فقال لها: لقد استعذت بمعاذ. فذلك ليس بطلاق ولكنه رجوع عن التزوج بها دال على أن العقد لم يقع وأن قول عمر لأبي بكر أو قول من قال لعمر: إن رسول الله لم يدخل بها هو كناية عن العقد.وعن الشافعي تحريم تزوج من عقد عليها النبيء صلى الله عليه وسلم. ورجع إمام الحرمين والرافعي أن التحريم قاصر على التي دخل بها. على أنه يظهر أن الإضافة في قوله: أزواجه بمعنى لام العهد، أي الأزواج اللائي جاءت في شأنهن هذه الآيات من قوله: لا يحل لك النساء من بعد [الأحزاب: ٥٢] فهن اللاء ثبت لهن حكم الأمهات.وبعد فإن البحث في هذه المسألة مجرد تفقه لا يبنى عليه عمل.[٥٤][سورة الأحزاب (٣٣) : آية ٥٤]إن تبدوا شيئا أو تخفوه فإن الله كان بكل شيء عليما (٥٤)كلام جامع تحريضا وتحذيرا ومنبيء عن وعد ووعيد، فإن ما قبله قد حوى أمرا ونهيا، وإذ كان الامتثال متفاوتا في الظاهر والباطن وبخاصة في النوايا والمضمرات كان المقام مناسبا لتنبيههم وتذكيرهم بأن الله مطلع على كل حال من أحوالهم في ذلك وعلى كل شيء، فالمراد من شيئا الأول شيء مما يبدونه أو يخفونه وهو يعم كل ما يبدو وما يخفى لأن النكرة في سياق الشرط تعم. والجملة **تذييل** لما اشتملت عليه من العموم في قوله: بكل شيء. وإظهار لفظ شيء هنا دون إضمار لأن الإضمار لا يستقيم لأن الشيء المذكور ثانيا هو غير المذكور أولا، إذ المراد بالثاني جميع الموجودات، والمراد بالأول خصوص أحوال الناس الظاهرة والباطنة، فالله عليم بكل كائن ومن جملة ذلك ما يبدونه ويخفونه من أحوالهم.[٥٥][سورة الأحزاب (٣٣) : آية ٥٥]لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن ولا إخوانهن ولا أبناء إخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت أيمانهن واتقين الله إن الله كان على كل شيء شهيدا (٥٥)تخصيص من عموم الأمر بالحجاب الذي اقتضاه قوله: فسئلوهن من وراءحجاب[الأحزاب: ٥٣] .." (٢)

"وهيئات لبس الجلابيب مختلفة باختلاف أحوال النساء تبينها العادات. والمقصود هو ما دل عليه قوله تعالى: ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين.والإدناء: التقريب، وهو كناية عن اللبس والوضع، أي يضعن عليهن جلابيبهن، قال بشار:ليلة تلبس البياض من الشهر ... وأخرى تدني جلابيب سودافقابل ب (تدني) (تلبس) فالإدناء هنا اللبس.وكان لبس الجلباب من شعار الحرائر فكانت الإماء لا يلبسن الجلابيب. وكانت الحرائر يلبسن الجلابيب عند الخروج إلى الزيارات ونحوها فكن لا يلبسنها في الليل وعند الخروج إلى المناصع، وما كن يخرجن إليها إلا ليلا فأمرن بلبس الجلابيب في كل خروجليعرف أنهن

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٨٨/٢٢

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٩٥/٢٢

حرائر فلا يتعرض إليهن شباب الدعار يحسبهن إماء أو يتعرض إليهن المنافقون استخفافا بهن بالأقوال التي تخجلهن فيتأذين من ذلك وربما يسببن الذين يؤذونهن فيحصل أذى من الجانبين. فهذا من سد الذريعة.والإشارة ب ذلك إلى الإدناء المفهوم من يدنين، أي ذلك اللباس أقرب إلى أن يعرف أنهن حرائر بشعار الحرائر فيتجنب الرجال إيذاءهن فيسلموا وتسلمن. وكان عمر بن الخطاب مدة خلافته يمنع الإماء من التقنع كي لا يلتبسن بالحرائر ويضرب من تتقنع منهن بالدرة ثم زال ذلك بعده، فذلك قول كثير:هن الحرائر لا ربات أخمرة ... سود المحاجر لا يقرأن بالسوروالتذييل بقوله: وكان الله غفورا رحيما صفح عما سبق من أذى الحرائر قبل تنبيه الناس إلى هذا الأدب الإسلامي، والتذييل يقتضي انتهاء الغرض.[٦٠، ٦١][سورة الأحزاب (٣٣) : الآيات ٦٠ إلى ٦١]لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا (٦٠) ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا (٦١)انتقال من زجر قوم عرفوا بأذى الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين والمؤمنات، ومن توعدهم." (١)

"وذيل بجملة ولن تجد لسنة الله تبديلا لزيادة تحقيق أن العذاب حائق بالمنافقين وأتباعهم إن لم ينتهوا عما هم فيه وأن الله لا يخالف سنته لأنها مقتضى حكمته وعلمه فلا تجري متعلقاتها إلا على سنن واحد.والمعنى: لن تجد لسنن الله مع الذين خلوا من قبل ولا مع الحاضرين ولا مع الآتين تبديلا. وبهذا العموم الذي أفاده وقوع النكرة في سياق النفي تأهلت الجملة لأن تكون تذييلا.[٦٣][سورة الأحزاب (٣٣) : آية ٦٣]يسئلك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا (٦٣)لما كان تهديد المنافقين بعذاب الدنيا يذكر بالخوض في عذاب الآخرة: خوض المكذبين الساخرين، وخوض المؤمنين الخائفين، وأهل الكتاب، أتبع ذلك بهذا.فالجملة معترضة بين جملة ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا [الأحزاب: ٦٠] وبين جملة إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا [الأحزاب: ٦٤] لتكون تمهيدا لجملة إن الله لعن الكافرين.وتكرر في القرآن ذكر سؤال الناس عن الساعة، والسائلون أصناف:منهم المكذبون بها وهم أكثر السائلين وسؤالهم تهكم واستدلال بإبطائها على عدم وجودها في أنظارهم السقيمة قال تعالى: يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها [الشورى: ١٨] وهؤلاء هم الذين كثر في القرآن إسناد السؤال إليهم معبرا عنهم بضمير الغيبة كقوله: يسئلونك عن الساعة [الأعراف: ١٨٧] .وصنف مؤمنون مصدقون بأنها واقعة لكنهم يسألون عن أحوالها وأهوالها، وهؤلاءهم الذين في قوله تعالى: والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق [الشورى: ١٨] .وصنف مؤمنون يسألون عنها محبة لمعرفة المغيبات، وهؤلاء نهوا عن الاشتغال بذلك كما في الحديث: «أن رجلا سأل رسول الله: متى الساعة؟ فقال النبيء صلى الله عليه وسلم: «ماذا أعددت لها؟ فقال الرجل: والله يا رسول الله ما أعددت لها." (٢)

"الله بامتثال أمره. وإنما صيغت الجملة في صيغة الشرط وجوابه لإفادة العموم في المطيعين وأنواع الطاعات فصارت الجملة بهذين العمومين في قوة التذييل. وهذا نسج بديع من نظم الكلام وهوإفادة غرضين بجملة واحدة.[٧٢][سورة الأحزاب (٣٣) : آية ٧٢]إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٠٧/٢٢

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١١٢/٢٢

الإنسان إنه كان ظلوما جهولا (٧٢)استئناف ابتدائي أفاد الإنباء على سنة عظيمة من سنن الله تعالى في تكوين العالم وما فيه وبخاصة الإنسان ليرقب الناس في تصرفاتهم ومعاملاتهم مع ربهم ومعاملات بعضهم مع بعض بمقدار جريهم على هذه السنة ورعيهم تطبيقها فيكون عرضهم أعمالهم على معيارها مشعرا لهم بمصيرهم ومبينا سبب تفضيل بعضهم على بعض واصطفاء بعضهم من بين بعض.وموقع هذه الآية عقب ما قبلها، وفي آخر هذه السورة يقتضي أن لمضمونها ارتباطا بمضمون ما قبلها، ويصلح عونا لاكتشاف دقيق معناها وإزالة ستور الرمز عن المراد منها، ولو بتقليل الاحتمال، والمصير إلى المآل.والافتتاح بحرف التوكيد للاهتمام بالخبر أو تنزيله لغرابة شأنه منزلة ما قد ينكره السامع.وافتتاح الآية بمادة العرض، وصوغها في صيغة الماضي، وجعل متعلقها السماوات والأرض والجبال والإنسان يومىء إلى أن متعلق هذا العرض كان في صعيد واحد فيقتضي أنه عرض أزلي في مبدأ التكوين عند تعلق القدرة الربانية بإيجاد الموجودات الأرضية وإيداعها فصولها المقومة لمواهيها وخصائصها ومميزاتها الملائمة لوفائها بما خلقت لأجله كما حمل قوله: وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم [الأعراف: ١٧٢] الآية.واختتام الآية بالعلة من قوله: ليعذب الله المنافقين والمنافقات [الأحزاب: ٧٣] إلى نهاية السورة يقتضي أن للأمانة المذكورة في هذه الآية مزيد اختصاص بالعبرة في أحوال المنافقين والمشركين من بين نوع الإنسان في رعي الأمانة وإضاعتها.." (١)

"الشيء.وقد تقدم في قوله تعالى: أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا في سورة الإسراء [٩٢] .وقرأ الجمهور نخسف ونسقط بنون العظمة. وقرأها حمزة والكسائي وخلف بياء الغائب على الالتفات من مقام التكلم إلى مقام الغيبة، ومعاد الضميرين معروف من سياق الكلام.وجملة إن في ذلك لآية لكل عبد منيب تعليل للتعجيب الإنكاري باعتبار ما يتضمنه من الحث على التأمل والتدبر كما تقدم آنفا، فموقع حرف التوكيد هنا لمجرد التعليل، كقول بشار:إن ذاك النجاح في التبكير ولك أن تجعل تذييلا. والمشار إليه هو ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض، أي من الكائنات فيهما.والآية: الدليل والتعريف للجنس، فالمفرد المعرف مساو للجمع، أي لآيات كثيرة.والمنيب: الراجع بفكره إلى البحث عما فيه كماله النفساني وحسن مصيره في الآخرة فهو يقدر المواعظ حق قدرها ويتلقاها بالشك في الحالة التي وعظ من أجلها فيعاود النظر حتى يهتدي ولا يرفض نصح الناصحين وإرشاد المرشدين مرتديا برداء المتكبرين فهو لا يخلو من النظر في دلائل قدرة الله، ومن أكبر المنيبين المؤمنون مع رسولهم.[١٠، ١١][سورة سبإ (٣٤) : الآيات ١٠ إلى ١١]ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد (١٠) أن اعمل سابغات وقدر في السرد واعملوا صالحا إني بما تعملون بصير (١١)مناسبة الانتقال من الكلام السابق إلى ذكر داود خفية. فقال ابن عطية: ذكر الله نعمته على داود وسليمان احتجاجا على ما منح محمدا، أي لا تستبعدوا هذا فقد تفضلنا على عبيدنا قديما.." (٢)

"وكتب في المصحف كالجواب بدون ياء بعد الموحدة. وقرأه الجمهور بدون ياء في حالي الوصل والوقف. وقرأه ابن كثير بإثبات الياء في الحالين. وقرأ ورش عن نافع وأبو عمرو بإثبات الياء في حال الوصل وبحذفها في حال الوقف.والقدور:

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٢٤/٢٢

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١٥٤/٢٢

جمع قدر وهي إناء يوضع فيه الطعام ليطبخ من لحم وزيت وأدهان وتوابل. قال النابغة في النعمان بن الحارث الجلاحي:له بفناء البيت سوداء فخمة ... تلقم أوصال الجزور العراعربقية قدر من قدور تورثت ... لآل الجلاح كابرا بعد كابرأي تسع قوائم البعير إذا وضعت فيه لتطبخ مرقا ونحوه.وهذه القدور هي التي يطبخ فيها لجند سليمان ولسدنة الهيكل ولخدمه وأتباعه وقد ورد ذكر القدور إجمالا في الفقرة السادسة عشرة من الإصحاح الرابع من سفر الأيام الثاني.والراسيات: الثابتات في الأرض التي لا تنزل من فوق أثافيها لتداول الطبخ فيها صباح مساء.وجملة اعملوا آل داود شكرا مقول قول محذوف، أي قلنا: اعملوا يا آل داود، ومفعول اعملوا محذوف دل عليه قوله: شكرا. وتقديره: اعملوا صالحا، كما تقدم آنفا، عملا لشكر الله تعالى، فانتصب شكرا على المفعول لأجله. والخطاب لسليمان وآله.وذيل بقوله: وقليل من عبادي الشكور فهو من تمام المقول، وفيه حث على الاهتمام بالعمل الصالح. ويجوز أن يكون هذا **التذييل** كلاما جديدا جاء في القرآن، أي قلنا ذلك لآل داود فعمل منهم قليل ولم يعمل كثير وكان سليمان من أول الفئة القليلة.والشكور: الكثير الشكر. وإذ كان العمل شكرا أفاد أن العاملين قليل.." (١)

"وجملة إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور **تذييل** فلذلك قطعت، وافتتاحها بأداة التوكيد للاهتمام بالخبر. والمشار إليه بذلك هو ما تقدم من قوله: لقد كان لسبإ في مساكنهم آية [سبأ: ١٥] .ويظهر أن هذا **التذييل** تنهية للقصة وأن ما بعد هذه الجملة متعلق بالغرض الأول المتعلق بأقوال المشركين والمنتقل منه إلى العبرة بداود وسليمان والممثل لحال المشركين فيه بحال أهل سبأ.وجمع «الآيات» لأن في تلك القصة عدة آيات وعبر فحالة مساكنهم آية على قدرة الله ورحمته وإنعامه، وفيه آية على أنه الواحد بالتصرف، وفي إرسال سير العرم عليهم آيةعلى انفراده تعالى بالتصرف، وعلى أنه المنتقم وعلى أنه واحد، فلذلك عاقبهم على الشرك، وفي انعكاس حالهم من الرفاهة إلى الشظف آية على تقلب الأحوال وتغير العالم وآية على صفات الأفعال لله تعالى من خلق ورزق وإحياء وإماتة، وفي ذلك آية من عدم الاطمئنان لدوام حال في الخير والشر. وفيما كان من عمران إقليمهم واتساع قراهم إلى بلاد الشام آية على مبلغ العمران وعظم السلطان من آيات التصرفات، وآية على أن الأمن أساس العمران. وفي تمنيهم زوال ذلك آية على ما قد تبلغه العقول من الانحطاط المفضي إلى اختلال أمور الأمة وذهاب عظمتها، وفيما صاروا إليه من النزوح عن الأوطان والتشتت في الأرض آية على ما يلجىء الاضطرار إليه الناس من ارتكاب الأخطار والمكاره كما يقول المثل: الحمى أضرعتني إليك.والجمع بين صبار وشكور في الوصف لإفادة أن واجب المؤمن التخلق بالخلقين وهما: الصبر على المكاره، والشكر على النعم، وهؤلاء المتحدث عنهم لم يشكروا النعمة فيطروها، ولم يصبروا على ما أصابهم من زوالها فاضطربت نفوسهم وعمهم الجزع فخرجوا من ديارهم وتفرقوا في الأرض، ولا تسأل عما لا قوه في ذلك من المتالف والمذلات.فالصبار يعتبر من تلك الأحوال فيعلم أن الصبر على المكاره خير من الجزع ويرتكب أخف الضررين، ولا يستخفه الجزع فيلقي بنفسه إلى الأخطار ولا ينظر في العواقب.." (٢)

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٦٣/٢٢

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١٨٠/٢٢

"وجيء بحرف الظرفية للدلالة على إحاطة الشك بنفوسهم ويتعلق قوله: منها بقوله: «بشك» .وجملة وربك على كل شيء حفيظ تذييل. والحفيظ: الذي لا يخرج عن مقدرته ما هو في حفظه، وهو يقتضي العلم والقدرة إذ بمجموعهما تتقوم ماهية الحفظ ولذلك يتبع الحفظ بالعلم كثيرا كقوله تعالى: إني حفيظ عليم [يوسف: ٥٥] . وصيغة فعيل تدل على قوة الفعل وأفاد عموم كل شيء أنه لا يخرج عن علمه شيء من الكائنات فتنزل هذا التذييل منزلة الاحتراس عن غير المعنى الكنائي من قوله: لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك، أي ليظهر ذلك لكل أحد فتقوم الحجة لهم وعليهم.[٢٢، ٢٣][سورة سبإ (٣٤) : الآيات ٢٢ إلى ٢٣]قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير (٢٢) ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير (٢٣)كانت قصة سبأ قد ضربت مثلا وعبرة للمشركين من قريش وكان في أحوالهم مثيل لأحوال المشركين في أمن بلادهم وتيسير أرزاقهم وتأمين سبلهم في أسفارهم مما أشار إليه قوله تعالى: أولم نمكن لهم حرما آمنا تجبى إليه ثمرات كل شيء [القصص:٥٧] وقوله: لإيلاف قريش [قريش: ١] إلى آخر السورة، ثم فيما قابلوا به نعمة الله بالإشراك به وكفران نعمته وإفحامهم دعاة الخير الملهمين من لدنه إلى دعوتهم، فلما تقضى خبرهم لينتقل منه إلى تطبيق العبرة على من قصد اعتبارهم انتقالا مناسبته بينة وهو أيضا عود إلى إبطال أقوال المشركين، وسيق لهم من الكلام ما هو فيه توقيف على أخطائهم، وأيضا فلما جرى من استهواء الشيطان أهل سبأ فاتبعوه وكان الشيطان مصدر الضلال وعنصر الإشراك أعقب ذكره بذكر فروعه وأوليائه.وافتتح الكلام بأمر النبيء صلى الله عليه وسلم بأن يقول لهم ما هو متتابع في بقية هذه الآياتالمتتابعة بكلمة قل فأمر بالقول تجديدا لمعنى التبليغ الذي هو مهمة كل القرآن.." (١)

"[سورة سبإ (٣٤) : آية ٢٦]قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم (٢٦)إعادة فعل قل لما عرفت في الجملة التي قبلها من زيادة الاهتمام بهذه المحاجات لتكون كل مجادلة مستقلة غير معطوفة فتكون هذه الجملة استئنافا ابتدائيا.وأيضا فهي بمنزلة البيان للتي قبلها لأن نفي سؤال كل فريق عن عمل غيره يقتضي أن هنالك سؤالا عن عمل نفسه فبين بأن الذي يسأل الناس عن أعمالهم هو الله تعالى، وأنه الذي يفصل بين الفريقين بالحق حين يجمعهم يوم القيامة الذي هم منكروه فما ظنك بحالهم يوم تحقق ما أنكروه.وهنا تدرج الجدل من الإيماء إلى الإشارة القريبة من التصريح لما في إثبات يوم الحساب والسؤال من المصارحة بأنهم الضالون. ويسمى هذا التدرج عند أهل الجدل بالترقي.والفتح: الحكم والفصل بالحق، كقوله تعالى: ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين [الأعراف: ٨٩] وهو مأخوذ من فتح الكوة لإظهار ما خلفها.وجملة وهو الفتاح العليم تذييل بوصفه تعالى بكثرة الحكم وقوته وإحاطة العلم، وبذلك كان تذييلا لجملة يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق المتضمنة حكما جزئيا فذيل بوصف كلي. وإنما أتبع الفتاح ب العليم للدلالة على أن حكمه عدل محض لأنه عليم لا تحف بحكمه أسباب الخطأ والجور الناشئة عن الجهل والعجز واتباع الضعف النفساني الناشئ عن الجهل بالأحوال والعواقب.." (٢)

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٨٥/٢٢

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١٩٥/٢٢

"الحساب يوم القيامة إذ لم يشكروا رازقهم، ويقدر على بعضهم فلا يناله إلا الشقاء. وهذا توطئة لقوله: وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه حثا على الإنفاق. والمراد الإنفاق فيما أذن فيه الشرع.وهذا تعليم للمسلمين بأن نعيم الآخرة لا ينافي نعيم الدنيا، قال تعالى: ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار أولئك لهم نصيب مما كسبوا [البقرة: ٢٠١، ٢٠٢] . فأما نعيم الدنيا فهو مسبب عن أحوال دنيوية رتبها الله تعالى ويسرها لمن يسرها في علمه بغيبه، وأما نعيم الآخرة فهو مسبب عن أعمال مبينة في الشريعة وكثير من الصالحين يحصل لهم النعيم في الدنيا مع العلم بأنهم منعمون في الآخرة كما أنعم على داود وسليمان وعلى كثير من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وكثير من أيمة الدين مثل مالك بن أنس والشافعي والشيخ عبد الله بن أبي زيد وسحنون.فأما اختيار الله لنبيئه محمد صلى الله عليه وسلم حالة الزهادة في الدنيا فلتحصل له غايات الكمال من التمحض لتلقي الوحي وجميل الخصال ومن مساواة جمهور أصحابه في أحوالهم، وقد بسطناه بيانا في رسالة طعام رسول الله عليه السلام. وأعقب ذلك بترغيب الأغنياء فيالإنفاق في سبيل الله فجعل الوعد بإخلاف ما ينفقه المرء كناية عن الترغيب في الإنفاق لأن وعد الله بإخلافه مع تأكيد الوعد يقتضي أنه يحب ذلك من المنفقين.وأكد ذلك الوعد بصيغة الشرط وبجعل جملة الجواب اسمية وبتقديم المسند إليه على الخبر الفعلي بقوله: فهو يخلفه، ففي هذا الوعد ثلاثة مؤكدات دالة على مزيد العناية بتحقيقه لينتقل من ذلك إلى الكناية عن كونه مرغوبه تعالى.ومن شيء بيان لما في ما من العموم، وجملة وهو خير الرازقين **تذييل** للترغيب والوعد بزيادة، لبيان أن ما يخلفه أفضل مما أنفقه المنفق. خير بمعنى أخير لأن الرزق الواصل من غيره تعالى إنما هو من فضله أجراه على يد بعض مخلوقاته فإذا كان تيسيره برضى من الله على المرزوق ووعد به كان ذلك أخلق بالبركة والدوام، وظاهر الآية أن إخلاف الرزق يقع في الدنيا وفي الآخرة.والمراد بالإنفاق: الإنفاق المرغب فيه في الدين كالإنفاق على الفقراء." (١)

"قصص الأولين. وهذا القول من بهتانهم لأنهم كثيرا ما يقولون: أساطير الأولين [الأنعام: ٢٥] فليس مفترى تأكيدا ل إفك.ثم حكي تكذيبهم الذي يعم جميع ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من وحي يتلى أو دعوة إلى التوحيد وغيره أو استدلال عليه أو معجزة بقولهم: إن هذا إلا سحر مبين، فهذا المقال الثالث يشمل ما تقدم وغيره، فحكاية مقالهم هذا تقوم مقام **التذييل**. وأظهر للقائلين دون إضمار ما تقدم ما يصح أن يكون معادا للضمير فقيل: وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ولم يقل: وقالوا للحق لما جاءهم، للدلالة على أن الكفر هو باعث قولهم هذا.وأظهر المشار إليه قبل اسم الإشارة في قوله: للحق لما جاءهم إن هذا إلا سحر مبين لأنه لا دليل عليه في الكلام السابق، أي إذ ظهر لهم ما هو حق من إثبات للتوحيد أو إخبار عن الغيب أو البعث قالوا: ما هذا إلا سحر مبين. فالمراد من الحق: ما هو أعم من آيات القرآن لأن السحر له أسلوبان: أحدهما شعوذة الأقوال التي لا تفهم مدلولاتها يختلقها السحرة ليوهموا الناس أن فيها مناجاة مع الجن ليمكنوهم من عمل ما يريدون فيسترهبوهم بذلك، وثانيهما أفعال لها أسباب خفية مستورة بحيل وخفة أيد تحركها فيوهمون بها الناس أنها من تمكين الجن إياهم التصرف في الخفيات، فإذا سمعوا القرآن ألحقوه بالأسلوب الأول، وإذا رأوا المعجزات ألحقوها بالأسلوب الثاني كما قالت المرأة التي شاهدت معجزة تكثير الماء في بعض غزوات النبيء صلى الله عليه

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٢/٢٢٠

وسلم فقالت لقومها «أتيت أسحر الناس، أو هو نبيء كما زعموه» .ومعنى مبين أنه يظهر منه أنه سحر فتبيينه كنهه من نفسه، يعنون أن من سمعه يعلم أنه سحر.وجملة وقال الذين كفروا معطوفة على جملة وإذا تتلى.[٤٤][سورة سبإ (٣٤) : آية ٤٤]وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير (٤٤)الواو للحال، والجملة في موضع الحال من الضمير في قوله: قالوا ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم [سبأ: ٤٣] الآية،." (١)

"والاهتداء مختلف من جهة المعنى ولا سيما حين رجح جانب اهتدائه بقوله: فبما يوحي إلي ربي.على أن المقابلة بين الشرطين ينقدح بها في ذهن السامع أن الضلال من تسويل النفس ولو حصل لكان جناية من النفس عليه وأن الاهتداء من الله وأنه نفع ساقه إليه بوحيه.وجملة إنه سميع قريب **تذييل** لما أفادته الجملتان المقولتان قبله من الترديد في نسبة الاهتداء والضلال، أي أن الله يعلم أني على هدى أو ضده ويحصل من ذلك علم مقابلة من أحوال خصومه لأنه سميع لما يقوله الفريقان قريب مما يضمرونه فلا يخفى عليه.والقرب هنا كناية عن العلم والإحاطة فيه قرب مجازي. وهذا تعريض بالتهديد.[٥١، ٥٣][سورة سبإ (٣٤) : الآيات ٥١ إلى ٥٣]ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب (٥١) وقالوا آمنا به وأنى لهم التناوش من مكان بعيد (٥٢) وقد كفروا به من قبل ويقذفون بالغيب من مكان بعيد (٥٣)لما جاءهم التعريض بالتهديد من لازم المتاركة المدلول عليها بقوله: فإنما أضل على نفسي وإن اهتديت فبما يوحي إلي ربي [سبأ: ٥٠] للعلم بأن الضال يستحق العقاب أتبع حالهم حين يحل بهم الفزع من مشاهدة ما هددوا به.والخطاب للنبيء صلى الله عليه وسلم تسلية له أو لكل مخاطب. وحذف جواب لو للتهويل.والتقدير: لرأيت أمرا فظيعا.ومفعول ترى يجوز أن يكون محذوفا، أي لو تراهم، أو ترى عذابهم ويكون إذ فزعوا ظرفا ل ترى ويجوز أن يكون إذ هو المفعول به وهو مجرد عن الظرفية، أي لو ترى ذلك الزمان، أي ترى ما يشتمل عليه.والفزع: الخوف المفاجئ،وقال النبيء صلى الله عليه وسلم للأنصار: «إنكم لتكثرون." (٢)

"فقوله هنا: وما يمسك حذف مفعوله لدلالة قوله: ما يفتح الله للناس من رحمة عليه. والتقدير: وما يمسكه من رحمة، ولم يذكر له بيان استغناء ببيانه من فعل.والإرسال: ضد الإمساك، وتعدية الإرسال باللام للتقوية لأن العامل هنا فرع في العمل.ومن بعده بمعنى: من دونه كقوله تعالى: فمن يهديه من بعد الله [الجاثية: ٢٣] فبأي حديث بعد الله [الجاثية: ٦] ، أي فلا مرسل له دون الله، أي لا يقدر أحد على إبطال ما أراد الله من إعطاء أو منع والله يحكم لا معقب لحكمه. وتذكير الضمير في قوله: فلا مرسل له مراعاة للفظ ما لأنها لا بيان لها، وتأنيثه في قوله: فلا ممسك لها لمراعاة بيان ما في قوله: من رحمة لقربه.وعطف وهو العزيز الحكيم **تذييل** رجح فيه جانب الإخبار فعطف، وكان مقتضى الظاهر أن يكون مفصولا لإفادة أنه يفتح ويمسك لحكمة يعلمها، وأنه لا يستطيع أحد نقض ما أبرمه في فتح الرحمة وغيره من تصرفاته لأن الله عزيز لا يمكن لغيره أن يغلبه، فإن نقض ما أبرم ضرب من الهوان والمذلة. ولذلك كان من شعار صاحب السؤدد أنه يبرم وينقض قال الأعشى:علقم ما أنت إلى عامر ... الناقض الأوتار والواتروضمير لها وضمير له عائدان إلى ما من قوله:

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٢٧/٢٢

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٤١/٢٢

ما يفتح الله للناس من رحمة، روعي في تأنيث أحد الضميرين معنى ما فإنه اسم صادق على رحمة وقد بين بها، وروعي في تذكير الضمير الآخر لفظ ما لأنه لفظ لا علامة تأنيث فيه. وهما اعتباران كثيران في مثله في فصيح الكلام، فالمتكلم بالخيار بين أي الاعتبارين شاء.والجمع بينهما في هذه الآية تفنن. وأوثر بالتأنيث ضمير ما لأنها مبينة بلفظ مؤنث وهومن رحمة.[٣][سورة فاطر (٣٥) : آية ٣]يا أيها الناس اذكروا نعمت الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا هو فأنى تؤفكون (٣)يا أيها الناس اذكروا نعمت الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض.لما جرى ذكر رحمة الله التي تعم الناس كلهم أقبل على خطابهم بأن يتذكروا." (١)

"وهذا وجه إيثار الشرط هنا بالفعل المضارع الذي في حيز الشرط يتمخض للاستقبال، أي إن حدث منهم تكذيب بعد ما قرع أسماعهم من البراهين الدامغة.والمذكور جوابا للشرط إنما هو سبب لجواب محذوف إذ التقدير: وإن يكذبوك فلا يحزنك تكذيبهم إذ قد كذبت رسل من قبلك فاستغني بالسبب عن المسبب لدلالته عليه.وإنما لم يعرف رسل وجيء به منكرا لما في التنكير من الدلالة على تعظيم أولئك الرسل زيادة على جانب صفة الرسالة من جانب كثرتهم وتنوع آيات صدقهم ومع ذلك كذبهم أقوامهم.وعطف على هذه التسلية والتعريض ما هو كالتأكيد لهما والتذكير بعاقبة مضمونها بأن أمر المكذبين قد آل إلى لقائهم جزاء تكذيبهم من لدن الذي ترجع إليه الأمور كلها، فكان أمر أولئك المكذبين وأمر أولئك الرسل في جملة عموم الأمور التي أرجعت إلى الله تعالى إذ لا تخرج أمورهم من نطاق عموم الأمور.وقد اكتسبت هذه الجملة معنى **التذييل** بما فيها من العموم.والأمور جمع أمر وهو الشأن والحال، أي إلى الله ترجع الأحوال كلها يتصرف فيها كيف يشاء، فتكون الآية تهديدا للمكذبين وإنذارا.[٥][سورة فاطر (٣٥) : آية ٥]يا أيها الناس إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور (٥)أعيد خطاب الناس إعذارا لهم وإنذارا بتحقيق أن وعد الله الذي وعده من عقابه المكذبين في يوم البعث هو وعد واقع لا يتخلف وذلك بعد أن قدم لهم التذكير بدلائل الوحدانية المشتملة عليها، مع الدلالة على نعم الله عليهم ليعلموا أنه لا يستحق العبادة غيره وأنه لا يتصف بالإلهية الحق غيره.وبعد أن أشار إليهم بأن ما أنتجته تلك الدلائل هو ما أنبأهم به الرسول صلى الله عليه وسلم فيعلمون صدقه فيما أنبأهم من توحيد الله وهو أكبر ما قرع آذانهم وأحرج شيء." (٢)

"وبهذا العموم الذي يقتضيه الحصر صارت الجملة أيضا في معنى **التذييل** لما قبلها كله.ومقتضى وقوع فعل يدعوا في حيز القصر أن مفعوله وهو قوله: حزبه هو المقصود من القصر، أي أنه يدعو حزبه ولا يدعو غير حزبه، والشيطان يدعو الناس كلهم سواء في ذلك حزبه ومن لم يركن إلى دعوته إلا أن أثر دعوته لا يظهر إلا في الذين يركنون له فيصيرون حزبه قال تعالى له: إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين [الحجر: ٤٢] . وحكى الله عن الشيطان بقوله: لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين [الحجر: ٣٩، ٤٠] فتعين أن في الكلام إيجاز حذف. والتقدير: إنما يدعو حزبه دعوة بالغة مقصده. والقرينة هي ما تقدم من التحذير ولو كان لا يدعو إلا حزبه لما كان لتحذير غيرهم

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٢/٢٥٣

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٢/٢٥٧

فائدة.واللام في قوله: ليكونوا من أصحاب السعير يجوز أن تكون لام العلة فإن الشيطان قد يكون ساعيا لغاية إيقاع الآدميين في العذاب نكاية بهم، وهي علة للدعوة مخفية في خاطره الشيطاني وإن كان لا يجهر بها لأن إخفاءها من جملة كيده وتزيينه، ويجوز أن تكون اللام لام العاقبة والصيرورة مثل فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا [القصص: ٨] قال ابن عطية: لأنه لم يدعهم إلى السعير إنما اتفق أن صار أمرهم عن دعائه إلى ذلك.والسعير: النار الشديدة، وغلب في لسان الشرع على جنهم.[٧][سورة فاطر (٣٥) : آية ٧]الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير (٧)استئناف ابتدائي يفيد مفاد الفذلكة والاستنتاج مما تقدم. وهذا الاستئناف يومىء إلى أن الذين كفروا هم حزب الشيطان لأنه لما ذكر أن حزبه من أصحاب السعير وحكم هنا بأن الذين كفروا لهم عذاب شديد علم أن الذين كفروا من أصحاب السعير إذ هو العذاب الشديد فعلم أنهم حزب الشيطان بطريقة قياس مطوي، فالذين كفروا هم حزب الشيطان لعكوفهم على متابعته وإن لم يعلنوا ذلك لاقتناعه منهم بملازمة ما يمليه عليهم.." (١)

"والكفر: جحد في كراهة.والشرك أضيف إلى فاعله، أي بشرككم إياهم في الإلهية مع الله تعالى.وأجري على الأصنام موصول العاقل وضمائر العقلاء والذين تدعون [فاطر: ١٣] إلى قوله: يكفرون بشرككم على تنزيل الأصنام منزلة العقلاء مجاراة للمردود عليهم على طريقة التهكم.وقوله: ولا ينبئك مثل خبير تذييل لتحقيق هذه الأخبار بأن المخبر بها هو الخبير بها وبغيرها ولا يخبرك أحد مثل ما يخبرك هو.وعبر بفعل الإنباء لأن النبأ هو الخبر عن حدث خطير مهم.والخطاب في قوله: ينبئك لكل من يصح منه سماع هذا الكلام لأن هذه الجملة أرسلت مرسل الأمثال فلا ينبغي تخصيص مضمونها بمخاطب معين.وخبير صفة مشبهة مشتقة من خبر، بضم الباء، فلان الأمر، إذا علمه علما لا شك فيه. والمراد ب خبير جنس الخبير، فلما أرسل هذا القول مثلا وكان شأن الأمثال أن تكون موجزة صيغ على أسلوب الإيجاز فحذف منه متعلق فعل (ينبيء) ومتعلق وصف خبير، ولم يذكر وجه المماثلة لعلمه من المقام. وجعل خبير نكرة مع أن المراد به خبير معين وهو المتكلم فكان حقه التعريف، فعدل إلى تنكيره لقصد التعميم في سياق النفي لأن إضافة كلمة مثل إلى خبير لا تفيده تعريفا. وجعل نفي فعل الإنباء كناية عن نفي المنبئ. ولعل التركيب: ولا يوجد أحد ينبئك بهذا الخبر يماثل هذا الخبير الذي أنبأك به، فإذا أردف مخبر خبره بهذا المثل كان ذلك كناية عن كون المخبر بالخبر المخصوص يريد ب خبير نفسه للتلازم بين معنى هذا المثل وبين تمثل المتكلم منه.فالمعنى: ولا ينبئك بهذا الخبر مثلي لأني خبرته، فهذا تأويل هذا التركيب وقد أغفل المفسرون بيان هذا التركيب.والمثل بكسر الميم وسكون المثلثة: المساوي إما في قدر فيكون بمعنى ضعف، وإما المساوي في صفة فيكون بمعنى شبيه وهو بوزن فعل بمعنى فاعل وهو قليل. ومنه قولهم: شبه، وند، وخدن.." (٢)

"فالمقصود من القصر أنه قصر قلب لأن المقصود التنبيه على أن لا يظن النبيء صلى الله عليه وسلم انتفاع الذين لا يؤمنون بنذارته، وإن كانت صيغة القصر صالحة لمعنى القصر الحقيقي لكن اعتبار المقام يعين اعتبار القصر الإضافي. ونظير هذه الآية قوله في سورة يس [١١] إنما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب وقوله: فذكر بالقرآن من يخاف وعيد

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٦٢/٢٢

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٨٤/٢٢

في سورة ق [٤٥] ، مع أن التذكير بالقرآن يعم الناس كلهم.والغيب: ما غاب عنك، أي الذين يخشون ربهم في خلواتهم وعند غيبتهم عن العيان، أي الذين آمنوا حقا غير مرائين أحدا.وأقاموا الصلاة أي لم يفرطوا في صلاة كما يؤذن به فعل الإقامة كما تقدم في أول سورة البقرة.ولما كانت هاتان الصفتان من خصائص المسلمين صار المعنى: إنما تنذر المؤمنين، فعدل عن استحضارهم بأشهر ألقابهم مع ما فيه من الإيجاز إلى استحضارهم بصلتين معنا فيهما من الإطناب، تذرعا بذكر هاتين الصلتين إلى الثناء عليهم بإخلاص الإيمان في الاعتقاد والعمل.وجملة ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه **تذييل** جار مجرى المثل. وذكر **التذييل** عقب المذيل يؤذن بأن ما تضمنه المذيل داخل في **التذييل** بادىء ذي بدء مثل دخول سبب العام في عمومه من أول وهلة دون أن يخص العام به، فالمعنى: إن الذين خشوا ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة هم ممن تزكى فانتفعوا بتزكيتهم، فالمعنى: إنما ينتفع بالنذارة الذين يخشون ربهم بالغيب فأولئك تزكوا بها ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه.والمقصود من القصر في قوله: فإنما يتزكى لنفسه أن قبولهم النذارة كان لفائدة أنفسهم، ففيه تعريض بأن الذين لم يعبأوا بنذارته تركوا تزكية أنفسهم بها فكان تركهم ضرا على أنفسهم.وجملة وإلى الله المصير تكميل **للتذييل**، والتعريف في المصير." [١]

"والمراد بما بين يديه ما قبله من الشرائع، وأهمها شريعة موسى وشريعة عيسى عليهما السلام.وانتصب مصدقا على الحال من الكتاب والعامل في الحال فعل أوحينا ليفيد أنه مع كونه حقا بالغا في الحقية فهو مصدق للكتب الحقة، ومقرر لما اشتملت عليه من الحق.إن الله بعباده لخبير بصير.**تذييل** جامع لما تضمنته الآيات قبله من تفضيل بعض عباد الله على بعض ومن انطواء ضمائرهم على الخشية وعدمها، وإقبال بعضهم على الطاعات وإعراض بعض، ومن تفضيل بعض كتب الله على بعض المقتضي أيضا تفضيل بعض المرسلين بها على بعض، فموقع قوله: إن الله بعباده لخبير بصير موقع إقناع السامعين بأن الله عليم بعباده وهو يعاملهم بحسب ما يعلم منهم، ويصطفي منهم من علم أنه خلقه كفئا لاصطفائه، فألقم بهذا الذين قالوا: أأنزل عليه الذكر من بيننا [ص: ٨] حجرا، وكأولئك أيضا الذين ينكرون القرآن من أهل الكتاب بعلة أنه جاء مبطلا لكتابهم.والخبير: العالم بدقائق الأمور المعقولة والمحسوسة والظاهرة والخفية.والبصير: العالم بالأمور المبصرة. وتقديم الخبير على البصير لأنه أشمل. وذكر البصير عقبه للعناية بالأعمال التي هي من المبصرات وهي غالب شرائع الإسلام، وقد تكرر إرداف الخبير بالبصير في مواضع كثيرة من القرآن.والتأكيد ب إن واللام للاهتمام بالمقصود من هذا الخبر.[٣٢][سورة فاطر (٣٥) : آية ٣٢]ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير (٣٢)ثم للترتيب الرتبي كما هو شأنها في عطفها الجمل فهي هنا لعطف الجمل." [٢]

"للحقيقة، أي لا يقدر الله موتهم، فقوله: فيموتوا مسبب على القضاء. والمعنى: لا يقضى عليهم بالموت فيموتوا، ومحتمل للمجاز وهو الموت. وتفريع فيموتوا على هذا الوجه أنهم لا يموتون إلا الإماتة التي يتسبب عليها الموت الحقيقي الذي يزول عنده الإحساس، فيفيد أنهم يماتون موتا ليس فيه من الموت إلا آلامه دون راحته، قال تعالى: ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون [الزخرف: ٧٧] وقال تعالى: كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٩١/٢٢

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٣١٠/٢٢

العذاب [النساء: ٥٦] .وضمير عذابها عائد إلى جهنم ليشمل ما ورد من أن المعذبين يعذبون بالنار ويعذبون بالزمهرير وهو شدة البرد وكل ذلك من عذاب جهنم.ووقع كذلك موقع المفعول المطلق لقوله: نجزي أي نجزيهم جزاء كذلك الجزاء، وتقدم عند قوله تعالى: وكذلك جعلناكم أمة وسطا في سورة البقرة [١٤٣] .وجملة كذلك نجزي كل كفور **تذييل**. والكفور: الشديد الكفر، وهو المشرك.وقرأ الجمهور نجزي بنون العظمة ونصب كل. وقرأه أبو عمرو وحده يجزى بياء الغائب والبناء للنائب ورفع كل.[٣٧][سورة فاطر (٣٥) : آية ٣٧]وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير (٣٧)وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل.الضمير إلى الذين كفروا [فاطر: ٣٦] والجملة عطف على جملة لهم نار جهنم[فاطر: ٣٦] ولا تجعل حالا لأن **التذييل** آذن بانتهاء الكلام وباستقبال كلام جديد.ويصطرخون مبالغة في (يصرخون) لأنه افتعال من الصراخ وهو الصياح بشدة وجهد، فالاصطراخ مبالغة فيه، أي يصيحون من شدة ما نابهم.وجملة ربنا أخرجنا بيان لجملة يصطرخون، يحسبون أن رفع الأصوات أقرب إلى علم الله بندائهم ولإظهار عدم إطاقة ما هم فيه.." (١)

"فعطف عليها الخبر، على أن عطف الخبر على الإنشاء جائز على التحقيق وهو هنا حسن.ووصف الرسول بالنذير لأن الأهم من شأنه بالنسبة إليهم هو النذارة.والفاء في فذوقوا للتفريع. وحذف مفعول «ذوقوا» لدلالة المقام عليه، أي ذوقوا العذاب.والأمر في قوله فذوقوا مستعمل في معنى الدوام وهو كناية عن عدم الخلاص من العذاب.وقوله: فما للظالمين من نصير تفريع على ما سبق من الحكاية. فيجوز أن يكون من جملة الكلام الذي يجهم الله به فهو **تذييل** له وتفريع عليه لتأييسهم من الخلاص يعني: فأين الذين زعمتم أنهم أولياؤكم ونصراؤكم فما لكم من نصير.وعدل عن ضمير الخطاب أن يقال: فما لكم من نصير، إلى الاسم الظاهر بوصف «الظالمين» لإفادة سبب انتفاء النصير عنهم ففي الكلام إيجاز، أي لأنكم ظالمون وما للظالمين من نصير، فالمقصود ابتداء نفي النصير عنهم ويتبعه التعميم بنفي النصير عن كل من كان مثلهم من المشركين.ويجوز أن يكون كلاما مستقلا مفرعا على القصة ذيلت به للسامعين من قوله:والذين كفروا لهم نار جهنم [فاطر: ٣٦] ، فليس فيه عدول عن الإضمار إلى الإظهار لأن المقصود إفادة شمول هذا الحكم لكل ظالم فيدخل الذين كفروا المتحدث عنهم في العموم.والظلم: هو الاعتداء على حق صاحب حق، وأعظمه الشرك لأنه اعتداء على الله بإنكار صفته النفيسة وهي الوحدانية، واعتداء المشرك على نفسه إذ أقحمها في العذاب قال تعالى: إن الشرك لظلم عظيم [لقمان: ١٣] .وتعميم «الظالمين» وتعميم «النصير» يقتضي أن نصر الظالم تجاوز للحق، لأن الحق أن لا يكون للظالم نصير، إذ واجب الحكمة والحق أن يأخذ المقتدر على يد كل ظالم لأن الأمة مكلفة بدفع الفساد عن جماعتها.." (٢)

"وفي هذا إبطال لخلق أهل الجاهلية القائلين في أمثالهم «انصر أخاك ظالما أومظلوما» . وقد ألقى النبيء صلى الله عليه وسلم على أصحابه إبطال ذلك فساق لهم هذا المثل حتى سألوا عنه ثم أصلح معناه مع بقاء لفظه فقال: «إذا كان ظالما تنصره على نفسه فتكفه عن ظلمه» .[٣٨، ٣٩][سورة فاطر (٣٥) : الآيات ٣٨ إلى ٣٩]إن الله عالم غيب

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٣١٨/٢٢

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٣٢٠/٢٢

السماوات والأرض إنه عليم بذات الصدور (٣٨) هو الذي جعلكم خلائف في الأرض فمن كفر فعليه كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا خسارا (٣٩)جملة إن الله عالم غيب السماوات والأرضاستئناف واصل بين جملة إن الله بعباده لخبير بصير [فاطر: ٣١] وبين جملة قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض [فاطر: ٤٠] الآية، فتسلسلت معانيه فعاد إلى فذلكة الغرض السالف المنتقل عنه من قوله: وإن يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم إلى قوله: إن الله بعباده لخبير بصير [فاطر: ٢٥- ٣١] ، فكانت جملة: إن الله عالم غيب السماوات والأرض**كالتذييل** لجملة إن الله بعباده لخبير بصير.وفي هذا إيماء إلى أن الله يجازي كل ذي نية على حسب ما أضمره ليزداد النبيء صلى الله عليه وسلم يقينا بأن الله غير عالم بما يكنه المشركون.وجملة إنه عليم بذات الصدورمستأنفة هي كالنتيجة لجملة إن الله عالم غيب السماوات والأرضلأن ما في الصدور من الأمور المغيبة فيلزم من علم الله بغيب السموات والأرض علمه بما في صدور الناس.و «ذات الصدور» ضمائر الناس ونياتهم، وتقدم عند قوله تعالى: إنه عليم بذات الصدور في سورة الأنفال [٤٣] .وجيء في الإخبار بعلم الله بالغيب بصيغة اسم الفاعل، وفي الإخبار بعلمه بذات الصدور بصيغة المبالغة لأن المقصود من إخبار المخاطبين تنبيههم على أنه." (١)

"النكرة في سياق النفي، أي لا يستطيع أحد كائنا من كان إمساكهما وإرجاعهما.و «من بعد» صفة أحد ومن ابتدائية، أي أحد ناشىء أو كائن من زمان بعده، لأن حقيقة (بعد) تأخر زمان أحد عن زمن غيره المضاف إليه (بعد) وهو هنا مجاز عن المغايرة بطريق المجاز المرسل لأن بعدية الزمان المضاف تقتضي مغايرة صاحب تلك البعدية، كقوله تعالى: فمن يهديه من بعد الله [الجاثية: ٢٣] ، أي غير الله فالضمير المضاف إليه (بعد) عائد إلى الله تعالى.وهذا نظير استعمال (وراء) بمعنى (دون) أو بمعنى (غير) أيضا في قول النابغة:وليس وراء الله للمرء مذهب وفي ذكر إمساك السماوات عن الزوال بعد الإطناب في محاجة المشركين وتفظيع غرورهم تعريض بأن ما يدعون إليه من الفظاعة من شأنه أن يزلزل الأرضين ويسقط السماء كسفا لولا أن الله أراد بقاءهما لحكمة، كما في قوله تعالى: لقد جئتم شيئا إدا يكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا [مريم: ٨٩، ٩٠] . وهذه دلالة من مستتبعات التراكيب باعتبار مثار مقامات التكلم بها، وهو أيضا تعريض بالتهديد.ولذلك أتبع **بالتذييل** بوصف الله تعالى بالحلم والمغفرة لما يشمله صفة الحليم من حلمه على المؤمنين أن لا يزعجهم بفجائع عظيمة، وعلى المشركين بتأخير مؤاخذتهم فإن التأخير من أثر الحلم، وما تقتضيه صفة الغفور من أن في الإمهال إعذارا للظالمين لعلهم يرجعون كماقال النبيء صلى الله عليه وسلم: «لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبده» لما رأى ملك الجبال فقال له: «إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين». وفعل كان المخبر به عن ضمير الجلالة مفيد لتقرر الاتصاف بالصفتين الحسنيين." (٢)

"وقد تبين كذبهم في قسمهم إذ قالوا: «لئن جاءنا نذير لنكونن أهدى منهم» وأنهم ما أرادوا به إلا التفصي من اللوم.وجملة ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله **تذييل** أو موعظة. ويحيق: ينزل به شيء مكروه حاق به، أي نزل وأحاط إحاطة

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٣٢١/٢٢

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٣٢٩/٢٢

سوء، أي لا يقع أثره إلا على أهله. وفيه حذف مضاف تقديره: ضر المكر السيء أو سوء المكر السيء كما دل عليه فعل يحيق فإن كان التعريف في المكر للجنس كان المراد ب «أهله» كل ماكر. وهذا هو الأنسب بموقع الجملة ومحملها على **التذييل** ليعم كل مكر وكل ماكر، فيدخل فيه الماكرون بالمسلمين من المشركين، فيكون القصر الذي في الجملة قصرا ادعائيا مبنيا على عدم الاعتداد بالضر القليل الذي يحيق بالممكور به بالنسبة لما أعده الله للماكر في قدره من ملاقاة جزائه على مكره فيكون ذلك من النواميس التي قدرها القدر لنظام هذا العالم لأن أمثال هذه المعاملات الضارة تؤول إلى ارتفاع ثقة الناس بعضهم ببعض والله بنى نظام هذا العالم على تعاون الناس بعضهم مع بعض لأن الإنسان مدني بالطبع، فإذا لم يأمن أفراد الإنسان بعضهم بعضا تنكر بعضهم لبعض وتبادروا الإضرار والإهلاك ليفوز كل واحدبكيد الآخر قبل أن يقع فيه فيفضي ذلك إلى فساد كبير في العالم والله لا يحب الفساد، ولا ضر عبيده إلا حيث تأذن شرائعه بشيء، ولهذا قيل في المثل: «وما ظالم إلا سيبلى بظالم» . وقال الشاعر:لكل شيء آفة من جنسه ... حتى الحديد سطا عليه المبردوكم في هذا العالم من نواميس مغفول عنها، وقد قال الله تعالى: والله لا يحب الفساد [البقرة: ٢٠٥] .وفي كتاب ابن المبارك في الزهد بسنده عن الزهري بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تمكر ولا تعن ماكرا فإن الله يقول ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله، ومن كلام العرب «من حفر لأخيه جبا وقع فيه منكبا» ، ومن كلام عامة أهل تونس (يا حافر حفرة السوء ما تحفر إلا قياسك» .وإذا كان تعريف المكر تعريف العهد كان المعنى: ولا يحيق هذا المكر إلا بأهله، أي الذين جاءهم النذير فازدادوا نفورا، فيكون موقع قوله: ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله موقع الوعيد بأن الله يدفع عن رسوله صلى الله عليه وسلم مكرهم ويحيق." (١)

"بنوا مجد الحياة على إمام أطلق الإمام على الكتاب لأن الكتاب يتبع ما فيه من الأخبار والشروط، قال الحارث بن حلزة:حذر الجور والتطاخي وهل ين ... قض ما في المهارق الأهواءوالمراد ب كل شيء بحسب الظاهر هو كل شيء من أعمال الناس كما دل عليه السياق، فذكر كل شيء لإفادة الإحاطة والعموم لما قدموا وآثارهم من كبيرة وصغيرة.فكلمة كل نص على العموم من اسم الموصول ومن الجمع المعرف بالإضافة، فتكون جملة وكل شيء أحصيناه في إمام مبين مؤكدة لجملة ونكتب ما قدموا وآثارهم، ومبينة لمجملها، ويكون عطفها دون فصلها مراعى فيه ما اشتملت عليه من زيادة الفائدة.ويجوز أن يكون المراد ب كل شيء كل ما يوجد من الذوات والأعمال، ويكون الإحصاء إحصاء علم، أي تعلق العلم بالمعلومات عند حدوثها، ويكون الإمام المبين علم الله تعالى. والظرفية ظرفية إحاطة، أي عدم تفلت شيء عن علمه كما لا ينفلت المظروف عن الظرف.وجعل علم الله إماما لأنه تجري على وفقه تعلقات الإرادة الربانية والقدرة فتكون جملة وكل شيء أحصيناه على هذا **تذييلا** مفيدا أن الكتابة لا تختص بأعمال الناس الجارية على وفق التكاليف أو ضدها بل تعم جميع الكائنات. وإذ قد كان الشيء يرادف الموجود جاز أن يراد ب كل شيء الموجود بالفعل أو ما يقبل الإيجاد وهو الممكن، فيكون إحصاؤه هو العلم بأنه يكون أو لا يكون ومقادير كونه وأحواله، كقوله تعالى:وأحصى كل شيء عددا [الجن: ٢٨] .[١٣، ١٤][سورة يس (٣٦) : الآيات ١٣ إلى ١٤]واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٣٣٥/٢٢

(١٣) إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون (١٤)أعقب وصف إعراضهم وغفلتهم عن الانتفاع بهدي القرآن بتهديدهم." (١)

"وتقدم قوله تعالى: حتى جعلناهم حصيدا خامدين في سورة الأنبياء [١٥] ، فكان هذا الإيجاز في الآية بديعا لحصول معنى بيت لبيد في ثلاث كلمات. وهذا يشير إلى حدث عظيم حدث بأهل أنطاكية عقب دعوة المرسلين وهو كرامة لشهداء أتباع عيسى عليه السلام، فإن كانت الصيحة صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود كان الذين خمدوا بها جميع أهل القرية فلعلهم كانوا كفارا كلهم بعد موت الرجل الذي وعظهم وبعد مغادرة الرسل القرية. ولكن مثل هذا الحادث لم يذكر التاريخ حدوثه في أنطاكية، فيجوز أن يهملاالتاريخ بعض الحوادث وخاصة في أزمنة الاضطراب والفتنة.[٣٠][سورة يس (٣٦) : آية ٣٠]يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزؤن (٣٠)تذييل وهو من كلام الله تعالى واقع موقع الرثاء للأمم المكذبة الرسل شامل للأمة المقصودة بسوق الأمثال السابقة من قوله: واضرب لهم مثلا أصحاب القرية [يس: ١٣] ، واطراد هذا السنن القبيح فيهم. فالتعريف في العباد تعريف الجنس المستعمل في الاستغراق وهو استغراق ادعائي روعي فيه حال الأغلب على الأمم التي يأتيها رسول لعدم الاعتداد في هذا المقام بقلة الذين صدقوا الرسل ونصروهم فكأنهم كلهم قد كذبوا.والعباد: اسم للبشر وهو جمع عبد. والعبد: المملوك وجميع الناس عبيد الله تعالى لأنه خالقهم والمتصرف فيهم قال تعالى: رزقا للعباد [ق: ١١] ، وقال المغيرة بن حبناء:أمسى العباد بشر لا غياث لهم ... إلا المهلب بعد الله والمطرويجمع على عبيد وعباد وغلب الجمع الأول على عبد بمعنى مملوك، والجمع الثاني على عبد بمعنى آدمي، وهو تخصيص حسن من الاستعمال العربي.والحسرة: شدة الندم مشوبا بتلهف على نفع فائت.." (٢)

"وقوله تعالى: أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا في سورة العنكبوت[٤] ، والمعنى: أن انسلاخ النهار على الليل أمر مسخر لا قبل لليل أن يتخلف عنه.ولا يستقيم تفسير السبق هنا بمعناه المشهور وهو الأولية بالسير لأن ذلك لا يتصور في تداول الليل والنهار، ولا أن يكون المراد بالسبق ابتداء التكوين إذ لا يتعلق بذلك غرض مهم في الآية، على أن الشأن أن تكون الظلمة أسبق في التكوين. والغرض التذكير بنعمة الليل ونعمة النهار فإن لكليهما فوائد للناس فلو تخلص أحدهما من الآخر فاستقر في الأفق لتعطلت منافع جمة من حياة الناس والحيوان.وفي الكلام اكتفاء، أي لأن التقدير: ولا القمر يدرك الشمس، ولا النهار سابق الليل.وقوله: وكل في فلك يسبحون عطف على جملة لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر. والواو عاطفة ترجيحا لجانب الإخبار بهذه الحقيقة على جانب التذييل، وإلا فحق التذييل الفصل. وما أضيف إليه كل محذوف، وتنوين كل تنوين عوض عن المضاف إليه المحذوف، فالتقدير: وكل الكواكب.وزيدت قرينة السياق تأكيدا بضمير الجمع في قوله: يسبحون مع أن المذكور من قبل شيئان لا أشياء، وبهذا التعميم صارت الجملة في معنى التذييل.والفلك: الدائرة المفروضة في الخلاء الجوي لسير أحد الكواكب سيرا مطردا لا يحيد عنه، فإن أهل الأرصاد الأقدمين لما رصدوا تلك المدارات وجدوها لا تتغير ووجدوا نهايتها تتصل بمبتداها فتوهموها طرائق مستديرة تسير فيها الكواكب كما

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٣٥٧/٢٢

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٧/٢٣

تتقلب الكرة على الأرض وربما توسعوا في التوهم فظنوها طرائق صلبة ترتكز عليها الكواكب في سيرها وبعض الأمم يتوهمون الشمس في سيرها مجرورة بسلاسل وكلاليب وكان ذلك في معتقد القبط بمصر.." (١)

"وهو عن قتادة وسفيان. ومتى حمل أحد الموصولين على ما سبق من أحوال الأمم وجب تقدير مضافين قبل ما الموصولة هما المفعول، أي اتقوا مثل أحوال ما بين أيديكم، أو مثل أحوال ما خلفكم، ولا يقدر مضافان في مقابله لأن ما صدق ما الموصولة فيه حينئذ هو عذاب الآخرة فهو مفعول اتقوا. وتقدم قوله تعالى: فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها في سورة البقرة [٦٦] .و (لعل) للرجاء، أي ترجى لكم رحمة الله، لأنهم إذا اتقوا حذروا ما يوقع في المتقى فارتكبوا واجتنبوا وبادروا بالتوبة فيما فرط فرضي ربهم عنهم فرحمهم بالثواب وجنبهم العقاب. والكلام في (لعل) الواردة في كلام الله تعالى تقدم عند قوله تعالى: يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون في سورة البقرة [٢١] .وجواب إذا محذوف دل عليه قوله في الجملة المعطوفة إلا كانوا عنها معرضين. فالتقدير هنا: كانوا معرضين.وجملة ما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين واقعة موقع **التذييل** لما قبلها، ففيها تعميم أحوالهم وأحوال ما يبلغونه من القرآن فكأنه قيل: وإذا قيل لهم اتقوا أعرضوا، والإعراض دأبهم في كل ما يقال لهم.والآيات: آيات القرآن التي تنزل فيقرؤها النبيء صلى الله عليه وسلم عليهم، فأطلق على بلوغها إليهم فعل الإتيان ووصفها بأنها من آيات ربهم للتنويه بالآيات والتشنيع عليهم بالإعراض عن كلام ربهم كفرا بنعمة خلقه إياهم.وما نافية، والاستثناء من أحوال محذوفة، أي ما تأتيهم آية في حال من أحوالهم إلا كانوا عنها معرضين. وجملة كانوا عنها معرضين في موضع الحال.[٤٧][سورة يس (٣٦) : آية ٤٧]وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه إن أنتم إلا في ضلال مبين (٤٧)كانوا مع ما هم عليه من الكرم يشحون على فقراء المسلمين فيمنعونهم البذل تشفيا منهم فإذا سمعوا من القرآن ما فيه الأمر بالإنفاق أو سألهم فقراء المسلمين." (٢)

"وينبغي أن تكون جملة وهم لهم جند محضرون في موضع الحال، والواو واو الحال من ضمير يستطيعون، أي ليس عدم استطاعتهم نصرهم لبعد مكانهم وتأخر الصريخ لهم ولكنهم لا يستطيعون وهم حاضرون لهم، واللام في لهم للأجل، أي أن الله يحضر الأصنام حين حشر عبدتها إلى النار ليري المشركين خطل رأيهم وخيبة أملهم، فهذا وعيد بعذاب لا يجدون منه ملجأ.[٧٦][سورة يس (٣٦) : آية ٧٦]فلا يحزنك قولهم إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون (٧٦)فلا يحزنك قولهم.فرع على قوله: واتخذوا من دون الله آلهة [يس: ٧٤] صرف أن تحزن أقوالهم النبيء صلى الله عليه وسلم، أي تحذيره من أن يحزن لأقوالهم فيه فإنهم قالوا في شأن الله ما هو أفظع.وقولهم من إضافة اسم الجنس فيعم، أي فلا تحزنك أقوالهم في الإشراك وإنكار البعث والتكذيب والأذى للرسول صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين، ولذلك حذف المقول، أي لا يحزنك قولهم الذي من شأنه أن يحزنك.والنهي عن الحزن نهي عن سببه وهو اشتغال بال الرسول بإعراضهم عن قبول الدين الحق، وهو يستلزم الأمر بالأسباب الصارفة للحزن عن نفسه من التسلي بعناية الله تعالى وعقابه من ناووه وعادوه.إنا نعلم ما يسرون وما

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٣/٢٥

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٣/٣١

يعلنون.تعليل للنهي عن الحزن لقولهم.والخبر كناية عن مؤاخذتهم بما يقولون، أي أنا محصون عليهم أقوالهم وما تسره أنفسهم مما لا يجهرون به فنؤاخذهم بذلك كله بما يكافئه من عقابهم ونصرك عليهم ونحو ذلك. وفي قوله: ما يسرون وما يعلنون تعميم لجعل التعليل **تذييلا** أيضا.و «إن» مغنية عن فاء التسبب في مقام ورودها لمجرد الاهتمام بالتأكيد المخبر بالجملة ليست مستأنفة ولكنها مترتبة.." (١)

"وروي عن عطاء الخراساني: أنها نزلت في أخوين مؤمن وكافر، كانا غنيين، وكان المؤمن ينفق ماله في الصدقات وكان الكافر ينفق ماله في اللذات. وفي هذه الآية عبرة من الحذر من قرناء السوء ووجوب الاحتراس مما يدعون إليه ويزينونه من المهالك.[٥٨- ٦٠][سورة الصافات (٣٧) : الآيات ٥٨ إلى ٦٠]أفما نحن بميتين (٥٨) إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين (٥٩) إن هذا لهو الفوز العظيم (٦٠)عطفت الفاء الاستفهام على جملة قال هل أنتم مطلعون [الصافات: ٥٤] ، فالاستفهام موجه من هذا القائل إلى بعض المتسائلين. وهو مستعمل في التقرير المراد به التذكير بنعمة الخلود فإنه بعد أن أطلعهم على مصير قرينه السوء أقبل على رفاقه بإكمال حديثه تحدثا بالنعمة واغتباطا وابتهاجا بها، وذكرا لها فإن لذكر الأشياء المحبوبة لذة فما ظنك بذكر نعمة قد انغمسوا فيها وأيقنوا بخلودها. ولعل نظم هذا التذكر في أسلوب الاستفهام التقريري لقصد أن يسمع تكرر ذكر ذلك حين يجيبه الرفاق بأن يقولوا: نعم ما نحن بميتين.والاستثناء في قوله: إلا موتتنا الأولى منقطع لأن الموت المنفي هو الموت في الحال، أو الاستقبال كما هو شأن اسم الفاعل فتعين أن المستثنى غير داخل في المنفي فهو منقطع، أي لكن الموتة الأولى. وذلك الاستدراك تأكيد للنفي. وانتصابه لأجل الانقطاع لا لأجل النفي.وعطف وما نحن بمعذبين ليتمحض الاستفهام للتحدث بالنعمة لأن المشركين أيضا ما هم بميتين ولكنهم معذبون فحالهم شر من الموت. قيل لبعض الحكماء: ما شر من الموت؟ فقال: الذي يتمنى فيه الموت.والظاهر أن جملة إن هذا لهو الفوز العظيم حكاية لبقية كلام القائل لرفاقه، فهي بمنزلة **التذييل** والفذلكة لحالتهم المشاهد بعضها والمتحدث عن بعضها بقوله: أفما نحن بميتين.." (٢)

"والفوز: الظفر بالمطلوب، أي حالنا هو النجاح والظفر العظيم. وقد أبدع فيتصوير حسن حالهم بحصر الفوز فيه حتى كان كل فوز بالنسبة إليه ليس بفوز، فالحصر للمبالغة لعدم الاعتداد بغيره ثم ألحقوا ذلك الحصر بوصفه ب العظيم.[٦١][سورة الصافات (٣٧) : آية ٦١]لمثل هذا فليعمل العاملون (٦١)هذا **تذييل** لحكاية حال عباد الله المخلصين فهو كلام من جانب الله تعالى للتنويه بما فيه عباد الله المخلصون، وللتحريض على العمل بمثل ما عملوه مما أوجب لهم إخلاص الله إياهم، فالإشارة في قوله: لمثل هذا إلى ما تضمنه قوله: أولئك لهم رزق معلوم [الصافات: ٤١] الآيات، أي لمثل نعيمهم وأنسهم ومسرتهم ولذاتهم وبهجتهم وخلود ذلك كله.والمراد بمثله: نظيره من نعيم لمخلصين آخرين. والمراد بالعاملين: الذين يعملون الخير ويسيرون على ما خطت لهم شريعة الإسلام، فحذف مفعول «يعمل» اختصارا لظهوره من المقام.واللام في لمثل لام التعليل. وتقديم المجرور على عامله لإفادة القصر، أي لا لعمل غيره، وهو قصر قلب للرد على

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٧٢/٢٣

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١١٩/٢٣

المشركين الذين يحسبون أنهم يعملون أعمالا صالحة يتفاخرون بها من الميسر، قال تعالى: قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا [الكهف: ١٠٣- ١٠٤] .والمعنى: لنوال مثل هذا، فحذف مضاف لدلالة اللام على معناه.والفاء للتفريع على مضمون القصة المذكورة قبلها من قوله: إلا عباد الله المخلصين [الصافات: ٤٠] الآيات.والأمر في فليعمل للإرشاد الصادق بالواجبات والمندوبات.." (١)

"العالمين في محل مفعول تركنا، أي تركنا عليه هذه الكلمة وهي سلام على نوح في العالمين وهو من الكلام الذي قصدت حكايته كما تقول قرأت سورة أنزلناها وفرضناها [النور: ١] ، أي جعلنا الناس يسلمون عليه في جميع الأجيال، فما ذكروه إلا قالوا: عليه السلام. ومثل ذلك قالوا في نظائرها في هذه الآيات المتعاقبة.وزيد في سلام نوح في هذه السورة وصفه بأنه في العالمين دون السلام على غيره في قصة إبراهيم وموسى وهارون وإلياس للإشارة إلى أن التنويه بنوح كان سائرا في جميع الأمم لأنهم كلهم ينتمون إليه ويذكرونه ذكر صدق كما قدمناه آنفا.وجملة إنا كذلك نجزي المحسنين **تذييل** لما سبق من كرامة الله نوحا. و (إن)تفيد تعليلا لمجازاة الله نوحا بما عده من النعم بأن ذلك لأنه كان محسنا، أي متخلقا بالإحسان وهو الإيمان الخالص المفسرفي قول النبيء صلى الله عليه وسلم: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»، وأي دليل على إحسانه أجلى من مصابرته في الدعوة إلى التوحيد والتقوى وما ناله من الأذى من قومه طول مدة دعوته.والمعنى: إنا مثل ذلك الجزاء نجزي المحسنين. وفي هذا تنويه بنوح عليه السلام بأن جزاءه كان هو المثال والإمام لجزاء المحسنين على مراتب إحسانهم وتفاوت تقاربها من إحسان نوح عليه السلام وقوته في تبليغ الدعوة. فهو أول من أوذي في الله فسن الجزاء لمن أوذي في الله، وكان على قالب جزائه، فلعله أن يكون له كفل من كل جزاء يجزاه أحد على صبره إذا أوذي في الله، فثبت لنوح بهذا وصف الإحسان، وهو النعمة السابعة. وثبت له أنه مثل للمحسنين في جزائهم على إحسانهم، وهي النعمة الثامنة.وجملة إنه من عبادنا المؤمنين تعليل لاستحقاقه المجازاة الموصوفة بقوله:كذلك نجزي المحسنين فاختلف معلول هذه العلة ومعلول العلة التي قبلها.وأفاد وصفه ب إنه من عبادنا أنه ممن استحق هذا الوصف، وقد علمت غير مرة أن وصف (عبد) إذا أضيف إلى ضمير الجلالة أشعر بالتقريب ورفع." (٢)

"ولا كانت لها الروعة التي تحس بها ويروقك موردها على نفسك وطبعك إلا لمجيئها على طريقة التمثيل» .واعلم أن في اختيار هذا التمثيل البديع معنى بديعا من الإيماء إلى أن العذاب الذي وعدوه هو ما أصابهم يوم بدر من قتل وأسر على طريقة التورية.[١٧٨- ١٧٩][سورة الصافات (٣٧) : الآيات ١٧٨ إلى ١٧٩]وتول عنهم حتى حين (١٧٨) وأبصر فسوف يبصرون (١٧٩)عطف على جملة فإذا نزل بساحتهم [الصافات: ١٧٧] الآية لأن معنى المعطوف عليها الوعد بأن الله سينتقم منهم فعطف عليه أمره رسوله صلى الله عليه وسلم بأن لا يهتم بعنادهم.وهذه نظير التي سبقتها المفرعة بالفاء فلذلك يحصل منها تأكيد نظيرتها، على أنه قديكون هذا التولي غير الأول وإلى حين آخر وإبصار آخر، فالظاهر أنه تول عمن يبقى من المشركين بعد حلول العذاب الذي استعجلوه، فيحتمل أن يكون حينا من أوقات الدنيا فهو إنذار بفتح

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٢٠/٢٣

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١٣٤/٢٣

مكة. ويحتمل أن يكون إلى حين من أحيان الآخرة، وإنما جعل ذلك غاية لتولي النبيء صلى الله عليه وسلم عنهم لأن توليه العذاب عنهم غاية لتولي النبيء صلى الله عليه وسلم عنهم لأن توليه عنهم مستمر إلى يوم القيامة فإن مدة لحاق النبيء صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى لما كانت متصلة بتوليه عنهم جعلت تلك المدة كأنها ظرف للتولي ينتهي بحين إحضارهم للعقاب، فيكون قوله:حتى حين مرادا به الأبد.وحذف مفعول وأبصر في هذه الآية لدلالة ما في نظيرها عليه.[١٨٠-١٨٢][سورة الصافات (٣٧) : الآيات ١٨٠ إلى ١٨٢]سبحان ربك رب العزة عما يصفون (١٨٠) وسلام على المرسلين (١٨١) والحمد لله رب العالمين (١٨٢)خطاب النبيء صلى الله عليه وسلم **تذييلا** لخطابه المبتدأ بقوله تعالى: فاستفتهم ألربك البنات [الصافات: ١٤٩] الآية. فإنه خلاصة جامعة لما حوته من تنزيه الله وتأييده رسله. وهذه الآية فذلكة لما احتوت عليه السورة من الأغراض جمعت تنزيه الله والثناء على." (١)

"يصطفيه وليس الاختيار لهم فيجعلوا من لم يقدموه عليهم في دينهم غير أهل لأن يختاره الله.وتقديم الظرف للاهتمام لأنه مناط الإنكار وهو كقوله تعالى: أهم يقسمون رحمت ربك [الزخرف: ٣٢] .والخزائن: جمع خزانة بكسر الخاء. وهي البيت الذي يخزن فيه المال أو الطعام، ويطلق أيضا على صندوق من خشب أو حديد يخزن فيه المال.والخزن: الحفظ والحرز. والرحمة: ما به رفق بالغير وإحسان إليه، شبهت رحمة الله بالشيء النفيس المخزون الذي تطمح إليه النفوس في أنه لا يعطى إلا بمشيئة خازنه على طريقة الاستعارة المكنية. وإثبات الخزائن: تخييل مثل إثبات الأظفار للمنية،والإضافة على معنى لام الاختصاص. والعدول عن اسم الجلالة إلى وصف لأن له مزيد مناسبة للغرض الذي الكلام فيه إيماء إلى أن تشريفه إياه بالنبوءة من آثار صفة ربوبيته له لأن وصف الرب مؤذن بالعناية والإبلاغ إلى الكمال. وأجري على الرب صفة العزيز لإبطال تدخلهم في تصرفاته، وصفة الوهاب لإبطال جعلهم الحرمان من الخير تابعا لرغباتهم دون موادة الله تعالى.والعزيز: الذي لا يغلبه شيء، والوهاب: الكثير المواهب فإن النبوءة رحمة عظيمة فلا يخول إعطاؤها إلا لشديد العزة وافر الموهبة.[١٠][سورة ص (٣٨) : آية ١٠]أم لهم ملك السماوات والأرض وما بينهما فليرتقوا في الأسباب (١٠)إضراب انتقالي إلى رد يأتي على جميع مزاعمهم ويشمل بإجماله جميع النقوض التفصيلية لمزاعمهم بكلمة جامعة كالحوصلة فيشبه **التذييل** لما يتضمنه من عموم الملك وعموم الأماكن المقتضي عموم العلم وعموم التصرف ينعى عليهم قولهم في المغيبات بلا علم وتحكمهم في مراتب الموجودات بدون قدرة ولا غنى.." (٢)

"واجتلاب النفع للنفس بدون اكتراث بنفع الآخر. وهذا ليس من شأن التحاب بين الأخوين والإنصاف منهما فهو ظلم وما كان من الحق أن يسأله ذلك أعطاه أو منعه، ولأنه تطاول عليه في الخطاب ولامه على عدم سماح نفسه بالنعجة، وهذا ظلم أيضا.والإضافة في قوله: بسؤال نعجتك للتعريف، أي هذا السؤال الخاص المتعلق بنعجة معروفة، أي هذا السؤال بحذافره مشتمل على ظلم، وإضافة سؤال من إضافة المصدر إلى مفعوله. وتعليق إلى نعاجه ب «سؤال» تعليق على وجه تضمين «سؤال» معنى الضم، كأنه قيل: بطلب ضم نعجتك إلى نعاجه.فهذا جواب قولهما: فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٣/١٩٨

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٣/٢١٦

ثم أعقبه بجواب قولهما:واهدنا إلى سواء الصراط إذ قال: وإن كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات المفيد أن بغي أحد المتعاشرين على عشيره متفش بين الناس غير الصالحين من المؤمنين، وهو كناية عن أمرهما بأن يكونا من المؤمنين الصالحين وأن ما فعله أحدهما ليس من شأن الصالحين.وذكر غالب أحوال الخلطاء أراد به الموعظة لهما بعد القضاء بينهما على عادة أهل الخير من انتهاز فرص الهداية فأراد داود عليه السلام أن يرغبهما في إيثار عادة الخلطاء الصالحين وأن يكره إليهما الظلم والاعتداء. ويستفاد من المقام أنه يأسف لحالهما، وأنه أراد تسلية المظلوم عما جرى عليه من خليطه، وأن له أسوة في أكثر الخلطاء.وفي **تذييل** كلامه بقوله: وقليل ما هم حث لهما أن يكونا من الصالحين لما هو متقرر في النفوس من نفاسة كل شيء قليل، قال تعالى: قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث [المائدة: ١٠٠] . والسبب في ذلك من جانب الحكمة أن الدواعي إلى لذات الدنيا كثيرة والمشي مع الهوى محبوب ومجاهدة النفس عزيزة الوقوع، فالإنسان محفوف بجواذب السيئات، وأما دواعي الحق والكمال فهو الدين والحكمة، وفي أسباب الكمال إعراض عن محركات." (١)

"الشهوات، وهو إعراض عسير لا يسلكه إلا من سما بدينه وهمته إلى الشرف النفساني وأعرض عن الداعي الشهواني، فذلك هو العلة في هذا الحكم بالقلة.وزيادة ما بعد قليل لقصد الإبهام كما تقدم آنفا في قوله: جند ما هنالك [ص: ١١] ، وفي هذا الإبهام إيذان بالتعجب من ذلك بمعونة السياق والمقام كما أفادت زيادتها في قول امرئ القيس:وحديث الركب يوم هنا ... وحديث ما على قصرهمعنى التلهف والتشوق.وقد اختلف المفسرون في ماهية هاذين الخصمين، فقال السدي والحسن ووهب بن منبه: كانا ملكين أرسلهما الله في صورة رجلين لداود عليه السلام لإبلا غ هذا المثل إليه عتابا له. ورواه الطبري عن أنس مرفوعا. وقيل كانا أخوين شقيقين من بني إسرائيل، أي ألهمهما الله إيقاع هذا الوعظ.واعلم أن سوق هذا النبأ عقب التنويه بداود عليه السلام ليس إلا تتميما للتنويه به لدفع ما قد يتوهم أنه ينقض ما ذكر من فضائله مما جاء في كتاب «صمويل الثاني» من كتب اليهود في ذكر هذه القصة من أغلاط باطلة تنافي مقام النبوءة فأريد بيان المقدار الصادق منها **وتذييله** بأن ما صدر عن داود عليه السلام يستوجب العتاب ولا يقتضي العقاب ولذلك ختمت بقوله تعالى: وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب [ص: ٤٠] . وبهذاتعلم أن ليس لهذا النبأ تعلق بالمقصد الذي سيق لأجله ذكر داود ومن عطف عليه من الأنبياء.وهذا النبأ الذي تضمنته الآية يشير به إلى قصة تزوج داود عليه السلام زوجة (أوريا الحثي) من رجال جيشه وكان داود رآها فمال إليها ورام تزوجها فسأله أن يتنازل له عنها وكان في شريعتهم مباحا أن الرجل يتنازل عن زوجه إلى غيره لصداقة بينهما فيطلقها ويتزوجها الآخر بعد مضي عدتها وتحقق براءة رحمها كما كان ذلك في صدر الإسلام.وخرج أوريا في غزو مدينة (ربة) للعمونيين وقيل في غزو." (٢)

"العلماء في الخليفة شروطا كلها تحوم حول الحيلولة بينه وبين اتباع الهوى وما يوازيه من الوقوع في الباطل، وهي:التكليف، والحرية، والعدالة، والذكورة، وأما شرط كونه من قريش عند الجمهور فلئلا يضعف أمام القبائل

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٣/٢٣٦

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٣/٢٣٧

بغضاضة.وانتصب فيضلك بعد فاء السببية في جواب النهي. ومعنى جواب النهي جواب المنهي عنه فهو السبب في الضلال وليس النهي سببا في الضلال. وهذا بخلاف طريقة الجزم في جواب النهي.وسبيل الله: الأعمال التي تحصل منها مرضاته وهي الأعمال التي أمر الله بها ووعد بالجزاء عليها، شبهت بالطريق الموصل إلى الله، أي إلى مرضاته. وجملة: إن الذين يضلون عن سبيل الله إلى آخرها يظهر أنها مما خاطب الله به داود، وهي عند أصحاب العدد آية واحدة من قوله: يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض إلى يوم الحساب، فهي في موقع العلة للنهي، فكانت (إن) مغنية عن فاء التسبب والترتب، فالشيء الذي يفضي إلى العذاب الشديد خليق بأن ينهى عنه، وإن كانت الجملة كلاما منفصلا عن خطاب داود كانت معترضة ومستأنفة استئنافا بيانيا لبيان خطر الضلال عن سبيل الله.والعموم الذي في قوله الذين يضلون عن سبيل الله يكسب الجملة وصف **التذييل** أيضا وكلا الاعتبارين موجب لعدم عطفها. وجيء بالموصول للإيماء إلى أن الصلة علة لاستحقاق العذاب. واللام في لهم عذاب للاختصاص، والباء في بما نسوا يوم الحساب سببية.و (ما) مصدرية، أي بسبب نسيانهم يوم الحساب، وتتعلق الباء بالاستقرار الذي ناب عنه المجرور في قوله: لهم عذاب.والنسيان: مستعار للإعراض الشديد لأنه يشبه نسيان المعرض عنه كما في قوله تعالى: نسوا الله فنسيهم [التوبة: ٦٧] ، وهو مراتب أشدها إنكار البعث والجزاء، قال تعالى: فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا إنا نسيناكم [السجدة: ١٤] . ودونه مراتب كثيرة تكون على وفق مراتب العذاب لأنه إذا كان السبب ذا مراتب كانت المسببات تبعا لذلك.." (١)

"الاستفهام، وحذفت همزة الوصل من فعل (اتخذنا) لأنها لا تثبت مع همزة الاستفهام لعدم صحة الوقف على همزة الاستفهام، فجملة أتخذناهم بدل من جملة ما لنا لا نرى رجالا. وأم حرف إضراب، والتقدير: بل زاغت عنهم أبصارنا.والزيغ: الميل عن الجهة، أي مالت أبصارنا عن جهتهم فلم تنظرهم.و (ال) في الأبصار عوض عن المضاف إليه، أي أبصارنا، فيكون المعنى: أكان تحقيرنا إياهم في الدنيا خطأ. وكني عنه باتخاذهم سخريا لأن في فعل أتخذناهم إيماء إلى أنهم ليسوا بأهل للسخرية، وهذا تندم منهم على الاستسخار بهم.وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف أتخذناهم بهمزة وصل على أن الجملة صفة رجالا ثانية وعليه تكون أم منقطعة للإضراب عن قولهم أتخذناهم سخريا أي بل زاغت عنهم الأبصار.والسخري: اسم مصدر سخر منه، إذا استهزأ به، فالسخري الاستهزاء، وهو دال على شدة الاستهزاء لأن ياءه في الأصل ياء نسب وياء النسب تأتي للمبالغة في الوصف.وقرأ نافع وحمزة والكسائي وأبو جعفر وخلف بضم السين. وقرأه الباقون بكسر السين كما تقدم في سورة المؤمنين.[٦٤][سورة ص (٣٨) : آية ٦٤]إن ذلك لحق تخاصم أهل النار (٦٤)**تذييل** وتنهية لوصف حال الطاغين وأتباعهم، وعذابهم، وجدالهم. وتأكيد الخبر بحرف التوكيد منظور فيه لما يلزم الخبر من التعريض بوعيد المشركين وإثبات حشرهم وجزائهم بأنه حق، أي ثابت كقوله: وإن الدين لواقع [الذاريات: ٦] .." (٢)

"خلق آدم وشقاء الشيطان، فيكون ضمير هو ضمير شأن يفسره ما بعده وما يبين به ما بعده من قوله: إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين [ص: ٧١] جعل هذا كالمقدمة للقصة تشويقا لتلقيها فيكون المراد بالنبأ نبأ خلق

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٤٥/٢٣

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٩٣/٢٣

آدم وما جرى بعده، ويكون ضمير يختصمون عائدا إلى الملأ الأعلى لأن الملأ جماعة. ويراد بالاختصام الاختلاف الذي جرى بين الشيطان وبين من بلغ إليه من الملائكة أمر الله بالسجود لآدم، فالملائكة هم الملأ الأعلى وكان الشيطان بينهم فعد منهم قبل أن يطرد من السماء.ويجوز أن تكون جملة قل هو نبأ عظيم إلخ **تذييلا** للذي سبق من قوله: وإن للمتقين لحسن مآب [ص: ٤٩] إلى هنا، **تذييلا** يشعر بالتنويه به وبطلب الإقبال على التدبر فيه والاعتبار به. وعليه يكون ضمير هو ضميرا عائدا إلى الكلام السابق على تأويله بالمذكور فلذلك أتي لتعريفه بضمير المفرد.والمراد بالنبأ: خبر الحشر وما أعد فيه للمتقين من حسن مآب، وللطاغين من شر مآب، ومن سوء صحبة بعضهم لبعض، وتراشقهم بالتأنيب والخصام بينهم وهم في العذاب، وترددهم في سبب أن لم يجدوا معهم المؤمنين الذين كانوا يعدونهم منالأشرار. ووصف النبأ ب عظيم تهويل على نحو قوله تعالى: عم يتساءلون عن النبإ العظيم الذي هم فيه مختلفون [النبأ: ١- ٣] . وعظمة هذا النبأ بين الأنباء من نوعه من أنباء الشر مثل قوله: فساد كبير [الأنفال: ٧٣] ، فتم الكلام عند قوله تعالى: أنتم عنه معرضون.فتكون جملة ما كان لي من علم بالملإ الأعلى إلى قوله: نذير مبين استئنافا للاستدلال على صدق النبأ بأنه وحي من الله ولولا أنه وحي لما كان للرسول صلى الله عليه وسلم قبل بمعرفة هذه الأحوال على حد قوله تعالى: وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون [آل عمران: ٤٤] ، ونظائر هذا الاستدلال كثيرة في القرآن.." (١)

"أو يشق عليه، ومادة التفعل تدل على معالجة ما ليس بسهل، فالمتكلف هو الذي يتطلب ما ليس له أو يدعي علم ما لا يعلمه.فالمعنى هنا: ما أنا بمدع النبوءة باطلا من غير أن يوحى إلي وهو رد لقولهم:كذاب [ص: ٤] وبذلك كان كالنتيجة لقوله: ما أسئلكم عليه من أجر لأن المتكلف شيئا إنما يطلب من تكلفه نفعا، فالمعنى: وما أنا ممن يدعون ما ليس لهم. ومنهحديث الدارقطني عن ابن عمر قال: خرج رسول الله في بعض أسفاره فمر على رجل جالس عند مقراة له (أي حوض ماء) ، فقال عمر: يا صاحب المقراة أولغت السباع الليلة في مقراتك؟فقال له النبيء صلى الله عليه وسلم: يا صاحب المقراة لا تخبره، هذا متكلف لها ما حملت في بطونها ولنا ما بقي شراب وطهور.وفي «الصحيحين» عن ابن مسعود أنه قال: «يا أيها الناس من علم منكم علما فليقل به ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم، قال الله لرسوله: قل ما أسئلكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين.وأخذ من قوله: وما أنا من المتكلفين أن ما جاء به من الدين لا تكلف فيه، أي لا مشقة في تكاليفه وهو معنى سماحة الإسلام، وهذا استرواح مبني على أن من حكمة الله أن يجعل بين طبع الرسول صلى الله عليه وسلم وبين روح شريعته تناسبا ليكون إقباله على تنفيذ شرعه بشراشره لأن ذلك أنفى للحرج عنه في القيام بتنفيذ ما أمر به.وتركيب ما أنا من المتكلفين أشد في نفي التكلف من أن يقول: ما أنا بمتكلف، كما تقدم بيانه عند قوله تعالى: قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين في سورة البقرة [٦٧] .وجملة إن هو إلا ذكر للعالمين بدل اشتمال من جملة وما أنا من المتكلفين اشتمال نفي الشيء على ثبوت ضده، فلما نفى بقوله: وما أنا من المتكلفين أن يكون تقول القرآن على الله، ثبت من ذلك أن القرآن ذكر للناس ذكرهم الله به، أي ليس هو بالأساطير أو الترهات. ولك أن تجعلها **تذييلا** إذ لا منافاة

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٣/٢٩٦

بينهما هنا. وهذا الإخبار عن موقع القرآن لدى جميع أمة الدعوة لا خصوص المشركين الذين كان في مجادلتهم لأنه لما ثبت أن النبيء صلى الله عليه وسلم." (١)

"لا يرجو من معانديه أجرا. وثبت بذلك أنه ليس بمتقول ما لم يوح إليه انتقل إلى إثبات أن القرآن ذكر للناس قاطبة فيدخل في ذلك مشركو أهل مكة وغيرهم من الناس، فكأنه قيل يستغني الله عنكم بأقوام آخرين كما قال تعالى: إن تكفروا فإن الله غني عنكم [الزمر: ٧] .وعموم العالمين يكسب الجملة معنى **التذييل** للجملتين قبلها.والقصر الذي اشتملت عليه جملة إن هو إلا ذكر للعالمين قصر قلب إضافي، أي هو ذكر لا أساطير ولا سحر ولا شعر ولا غير ذلك للرد على المشركين ما وسموا به القرآن من غير صفاته الحقيقية.وجملة ولتعلمن نبأه بعد حين عطف على جملة إن هو إلا ذكر للعالمين باعتبار ما يشتمل عليه القصر من جانب الإثبات، أي وستعلمون خبر هذا القرآن بعد زمان علما جزما فيزول شككم فيه، فالكلام إخبار عن المستقبل كما هو مقتضى وجود نون التوكيد.والنبأ: الخبر، وأصل الخبر: الصدق، أي الموافقة للواقع، فإذا قيل: أتاني نبأ كذا، فمعناه الخبر عن حاله في الواقع، فإضافة النبأ إلى ما يضاف إليه على معنى اللام إذ معنى اللام هو أصل معاني الإضافة، قال تعالى: وهل أتاك نبأ الخصم [ص: ٢١] ، أي ستعلمون صدق وصف هذا القرآن أنه الحق، وهذا كما قال تعالى: سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق [فصلت: ٥٣] . وفسر النبأ بمعنى المفعول، أي ما أنبأ به القرآن من إنذاركم بالعذاب، فهو تهديد. وكلا الاحتمالين واقع فإن من المخاطبين من عجل له عذاب السيف يوم بدر، وبقيتهم رأوا ذلك رأي العين منهم من علموا دخول الناس في الإسلام فماتوا بغيظهم ومنهم من شاهدوا فتح مكة وآمنوا، أو رأوا قبائل العرب تدخل في الدين أفواجا فعلموا نبأ صدق القرآن وما وعد به بعد حين فازدادوا إيمانا.وحين كل فريق ما مضى عليه من زمن بين هذا الخطاب وبين تحقق الصدق.والحين: الزمن من ساعة إلى أربعين سنة. فختم الكلام بتسجيل التبليغ وأن فائدة ما أبلغهم لهم لا للنبيء صلى الله عليه وسلم. وختم بالمواعدة لوقت يقينهم بنبيئه، وهذا مؤذن بانتهاء الكلام ومراعاة حسن الختام.." (٢)

"الاهتمام لورود فاعبد الله، قال في «إيضاح المفصل» في شرح قول صاحب «المفصل» في الديباجة «الله أحمد على أن جعلني من علماء العربية» ، الله أحمد على طريقة إياك نعبد [الفاتحة: ٥] تقديما للأهم، وما قيل:إنه للحصر لا دليل عليه والتمسك فيه بنحو بل الله فاعبد [الزمر: ٦٦] ضعيف لورودفاعبد الله اهـ. ونقل عنه أنه كتب في «حاشيته على الإيضاح» هنالك قوله: (لا دليل فيه على الحصر فإن المعبودية من صفاته تعالى الخاصة به، فالاختصاص مستفاد من الحال لا من التقديم) اهـ.وهو ضغث على إبالة فإنه لم يقتصر على منع دليل شهد به الذوق السليم عند أيمة الاستعمال وعلى سند منعه بتوهمه أن التقديم الذي لوحظ في مقام يجب أن يلاحظ في كل مقام، كأن الكلام قد جعل قوالب يؤتى بها في كل مقام، وذلك ينبو عنه اختلاف المقامات البلاغية، حتى جعل الاختصاص بالعبادة مستفادا من القرينة لا من التقديم، كأن القرينة لو سلم وجودها تمنع من التعويل على دلالة النطق.[٣][سورة الزمر (٣٩) : آية ٣]ألا لله الدين الخالص والذين

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٣٠٩/٢٣

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٣١٠/٢٣

اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار (٣)ألا لله الدين الخالص استئناف للتخلص إلى استحقاقه تعالى الإفراد بالعبادة وهو غرض السورة وأفاد التعليل للأمر بالعبادة الخالصة لله لأنه إذا كان الدين الخالص مستحقا لله وخاصا به كان الأمر بالإخلاص له مصيبا محزه فصار أمر النبيء صلى الله عليه وسلم بإخلاص العبادة له مسببا عن نعمة إنزال الكتاب إليه ومقتضى لكونه مستحق الإخلاص في العبادة اقتضاء الكلية لجزئياتها.وبهذا العموم أفادت الجملة معنى **التذييل** فتحملت ثلاثة مواقع كلها تقتضي الفصل.وافتتحت الجملة بأداة التنبيه تنويها بمضمونها لتتلقاه النفس بشراشرها وذلك هو ما رجح اعتبار الاستئناف فيها، وجعل معنى التعليل حاصلا تبعا من ذكر إخلاص عام بعد إخلاص خاص وموردهما واحد.واللام في لله الدين الخالص لام الملك الذي هو بمعنى الاستحقاق، أي لا يحق الدين الخالص، أي الطاعة غير المشوبة إلا له على نحو الحمد لله [الفاتحة: ٢] .." (١)

"[٥][سورة الزمر (٣٩) : آية ٥]خلق السماوات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار (٥)خلق السماوات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى.هذه الجملة بيان لجملة هو الله الواحد القهار [الزمر: ٤] فإن خلق هذه العوالم والتصرف فيها على شدتها وعظمتها يبين معنى الوحدانية ومعنى القهارية، فتكون جملة هو الله الواحد القهار ذات اتصالين: اتصال بجملة لو أراد الله أن يتخذ ولدا [الزمر: ٤] كاتصال **التذييل**، واتصال بجملة خلق السماوات والأرض بالحق اتصال التمهيد.وقد انتقل من الاستدلال باقتضاء حقيقة الإلهية نفي الشريك إلى الاستدلال بخلق السماوات والأرض على أنه المنفرد بالخلق إذ لا يستطيع شركاؤهم خلق العوالم.والباء في بالحق للملابسة، أي خلقها خلقا ملابسا للحق وهو هنا ضد البعث، أي خلقهما خلقا ملابسا للحكمة والصواب والنفع لا يشوب خلقهما عبث ولا اختلال قال تعالى: وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما إلا بالحق [الدخان: ٣٨- ٣٩] .وجملة يكور الليل بيان ثان وهو كتعداد الجمل في مقام الاستدلال أو الامتنان.وأوثر المضارع في هذه الجملة للدلالة على تجدد ذلك وتكرره، أو لاستحضار حالة التكوير تبعا لاستحضار آثارها فإن حالة تكوير الله الليل على النهار غير مشاهدة وإنما المشاهد أثرها وتجدد الأثر يدل على تجدد التأثير.والتكوير حقيقته: اللف واللي، يقال: كور العمامة على رأسه إذا لواها ولفها، ومثلت به هنا هيئة غشيان الليل على النهار في جزء من سطح الأرض وعكس ذلك علىالتعاقب بهيئة كور العمامة، إذ تغشى اللية اللية التي قبلها. وهو تمثيل بديع قابل للتجزئة بأن تشبه الأرض بالرأس، ويشبه تعاور الليل والنهار عليها بلف طيات العمامة، ومما يزيده إبداعا إيثار مادة التكوير الذي هو معجزة علمية من معجزات القرآن المشار إليها في المقدمة الرابعة والموضحة في المقدمة العاشرة، فإن مادة التكوير جائية من اسم الكرة، وهي الجسم المستدير من جميع." (٢)

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٣١٧/٢٣

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٣٢٨/٢٣

"والمعنى: أن الله وعدهم أن يلاقوا حسنة إذا هم هاجروا من ديار الشرك. وليس حسن العيش ولا ضده مقصورا على مكان معين وقد وقع التصريح بما كني عنه هنا في قوله تعالى: قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها [النساء: ٩٧] .والمراد: الإيماء إلى الهجرة إلى الحبشة. قال ابن عباس في قوله تعالى: قل يا عباد الذين آمنوا اتقوا ربكم يريد جعفر بن أبي طالب والذين خرجوا معه إلى الحبشة.ونكتة الكناية هنا إلقاء الإشارة إليهم بلطف وتأنيس دون صريح الأمر لما في مفارقة الأوطان من الغم على النفس، وأما الآية التي في سورة النساء فإنها حكاية توبيخ الملائكة لمن لم يهاجروا.وموقع جملة إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب موقع **التذييل** لجملة للذين أحسنوا وما عطف عليها لأن مفارقة الوطن والتغرب والسفر مشاق لا يستطيعها إلا صابر، فذيل الأمر به بتعظيم أجر الصابرين ليكون إعلاما للمخاطبين بأن أجرهم على ذلك عظيم لأنهم حينئذ من الصابرين الذين أجرهم بغير حساب.والصبر: سكون النفس عند حلول الآلام والمصائب بأن لا تضجر ولا تضطرب لذلك، وتقدم عند قوله تعالى: وبشر الصابرين في سورة البقرة [١٥٥] . وصيغة العموم في قوله: الصابرين تشمل كل من صبر على مشقة في القيام بواجبات الدين وامتثال المأمورات واجتناب المنهيات، ومراتب هذا الصبر متفاوتة وبقدرها يتفاوت الأجر.والتوفية: إعطاء الشيء وافيا، أي تاما. والأجر: الثواب في الآخرة كما هو مصطلح القرآن.وقوله: بغير حساب كناية عن الوفرة والتعظيم لأن الشيء الكثير لا يتصدى لعده، والشيء العظيم لا يحاط بمقداره فإن الإحاطة بالمقدار ضرب من الحساب وذلكشأن ثواب الآخرة الذي لا يخطر على قلب بشر.." (١)

"مع التهكم لأنهميتمنون ما يحجب عنهم حر النار فعبر عن طبقات النار بالظلل إشارة إلى أنهم لا واقي لهم من حر النار على نحو تأكيد الشيء بما يشبه ضده، وقوله لهم ترشيح للاستعارة.وأما إطلاق الظلل على الطبقات التي تحتهم فهو من باب المشاكلة ولأن الطبقات التي تحتهم من النار تكون ظللا لكفار آخرين لأن جهنم دركات كثيرة.ذلك يخوف الله به عباده.**تذييل** للتهديد بالوعيد من قوله تعالى: قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم [الزمر: ١٥] الآية، أو استئناف بياني بتقدير سؤال يخطر في نفس السامع لوصف عذابهم بأنه ظلل من النار من فوقهم وظلل من تحتهم أن يقول سائل: ما يقع إعداد العذاب لهم في الآخرة بعد فوات تدارك كفرهم؟ فأجيب بأن الله جعل ذلك العذاب في الآخرة لتخويف الله عباده حين يأمرهم بالاستقامة ويشرع لهم الشرائع ليعلموا أنهم إذا لم يستجيبوا لله ورسله تكون ذلك عاقبتهم. ولما كان وعيد الله خبرا منه ولا يكون إلا صدقا حقق لهم في الآخرة ما توعدهم به في الحياة وتخويف الله به معناه أنه يخوفهم بالإخبار به وبوصفه، أما إذاقتهم إياه فهي تحقيق للوعيد.ويعلم من هذا بطريق المقابلة جعل الجنة لترغيب عباده في التقوى، إلا أنه طوى ذكره لأن السياق موعظة لأهل الشرك فالله جعل الجنة وجهنم إتماما لحكمته ومراده من نظام الحياة الدنيا ليكون الناس فيها على أكمل ما ترتقي إليه النفس الزكية. والظاهر أن الجنة جعلها الله مسكنا لأهل النفوس المقدسة من الملائكة والناس مثل الرسل فلذلك هي مخلوقة من قبل ظهور التكليف، وأما جهنم فيحتمل أنها مقدمة وهو ظاهرحديث: «اشتكت

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٣٥٥/٢٣

النار إلى ربها فقالت: أكل بعضي بعضا فأذن لها بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف» .ويحتمل أنها تخلق يوم الجزاء ويتأول الحديث.وقوله تعالى: ذلك إشارة إلى ما وصف من الخسران والعذاب بتأويل المذكور.." (١)

"أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب [الزمر: ١٨] لأن التفريع يقتضي اتصالا وارتباطا بين المفرع والمفرع عليه وذلك، كالتفريع في قول لبيد:أفتلك أم وحشية مسبوعة ... خذلت وهادية الصوار قوامهاإذ فرع تشبيها على تشبيه لاختلاف المشبه بهما.وكلمة العذاب كلام وعيد الله إياهم بالعذاب في الآخرة. ومعنى حق تحققت في الواقع، أي كانت كلمة العذاب المتوعد بها حقا غير كذب، فمعنى حق هنا تحقق، وحق كلمة العذاب عليهم ضد هدي الله الآخرين، وكونهم في النار ضد كونالآخرين لهم البشرى، وترتيب المتضادين جرى على طريقة شبه اللف والنشر المعكوس، نظير قوله تعالى: إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ختم الله على قلوبهم إلى قوله: ولهم عذاب عظيم [البقرة: ٦، ٧] بعد قوله: والذين يؤمنون بما أنزل إليك إلى قوله: أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون [البقرة: ٤، ٥] ، فإن قوله: ختم الله على قلوبهم ضد لقوله: أولئك على هدى من ربهم وقوله: ولهم عذاب عظيم ضد قوله: أولئك هم المفلحون.و (من) من قوله تعالى: أفمن حق عليه كلمة العذاب روي عن ابن عباس أن المراد بها أبو لهب وولده ومن تخلف عن الإيمان من عشيرة النبيء صلى الله عليه وسلم، فيكون (من) مبتدأ حذف خبره. والتقدير: تنقذه من النار، كما دل عليه ما بعده وتكون جملة أفأنت تنقذ من في النار **تذييلا**، أي أنت لا تنقذ الذين في النار. والهمزة للاستفهام الإنكاري، والهمزة الثانية كذلك. وإحداهما تأكيد للأخرى التي قبلها للاهتمام بشأن هذا الاستفهام الإنكاري على نحو تكرير (أن) في قول قس بن ساعدة:لقد علم الحي اليمانون أنني ... إذ قلت: أما بعد، أني خطيبهاوالذي درج عليه صاحب «الكشاف» وتبعه شارحوه أن (من) في قوله: أفمن حق عليه كلمة العذاب شرطية، بناء على أن الفاء في قوله: أفأنت تنقذ من في النار." (٢)

"وعدم تأثرهم بحيث كان القرآن مستوفيا لأسباب اهتداء الناس به فكانوا منهم من اهتدى به ومنهم من ضل عنه.ويجوز أن تكون الإشارة إلى أحسن الحديث وهو الكتاب، أي ذلك القرآن هدى الله، أي دليل هدى الله. ومقصده: اهتدى به من شاء الله اهتداءه، وكفر به من شاء الله ضلاله.فجملة ومن يضلل الله فما له من هاد **تذييل** للاستئناف البياني.ومعنى من يشاء على تقدير: من يشاء هديه، أي من تعلقت مشيئته، وهي إرادته بأنه يهتدي فخلقه متأثرا بتلك المشيئة فقدر له الاهتداء، وفهم من قوله من يشاء أنه لا يهدي به من لم يشأ هديه وهو ما دلت عليه المقابلة بقوله: ومن يضلل الله فما له من هاد، أي من لم يشأ هديه فلم يقلع عن ضلاله فلا سبيل لهديه.والمعنى: أن ذلك لنقص في الضال لا في الكتاب الذي من شأنه الهدى.[٢٤][سورة الزمر (٣٩) : آية ٢٤]أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون (٢٤)أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة.الجملة اعتراض بين الثناء على القرآن فيما مضى وقوله الآتي: ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل [الزمر: ٢٧] .وجعلها المفسرون تفريعا على جملة ذلك

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٣٦٢/٢٣

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٣٦٩/٢٣

هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد [الزمر: ٢٣] بدلالة مجموع الجملتين على فريقين: فريق مهتد، وفريق ضال، ففرع على ذلك هذا الاستفهام المستعمل في معنى مجازي. وجعل المفسرون في الكلام حذفا، وتقدير المحذوف: كمن أمن العذاب أو كمن هو في النعيم. وجعلوا الاستفهام تقريريا أو إنكاريا، والمقصود: عدم التسوية بين من هو في العذاب وهو الضال ومن هو في النعيم وهو الذي هداه الله، وحذف حال الفريق الآخر لظهوره من المقابلة التي اقتضاها الاستفهام بناء على أن هذا التركيب نظير قوله: أفمن حق عليه كلمة العذاب [الزمر: ١٩] وقوله:." (١)

"مقام الإضمار للإيماء إلى أن ما يلاقونه من العذاب مسبب على ظلمهم، أي شركهم.والمعنى: أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب فلا يجد وقاية تنجيه من ذوق العذاب فيقال لهم: ذوقوا العذاب.ويجوز أن يكون المراد بالظالمين جميع الذين أشركوا بالله من الأمم غير خاص بالمشركين المتحدث عنهم، فيكون الظالمين إظهارا على أصله لقصد التعميم، فتكون الجملة في معنى **التذييل**، أي ويقال لهؤلاء وأشباههم، ويظهر بذلك وجه تعقيبه بقوله تعالى: كذب الذين من قبلهم [الزمر: ٢٥] .وجاء فعل وقيل بصيغة المضي وهو واقع في المستقبل لأنه لتحقق وقوعه نزل منزلة فعل مضى. ويجوز أن يكون جملة وقيل للظالمين في موضع الحال بتقدير (قد) ولذلك لا يحتاج إلى تأويل صيغة المضي على معنى الأمر المحقق وقوعه.والذوق: مستعار لإحساس ظاهر الجسد لأن إحساس الذوق باللسان أشد من إحساس ظاهر الجلد فوجه الشبه قوة الجنس.والمذوق: هو العذاب فهو جزاء ما اكتسبوه في الدنيا من الشرك وشرائعه، فجعل المذوق نفس ما كانوا يكسبون مبالغة مشيرة إلى أن الجزاء وفق أعمالهم وأن الله عادل في تعذيبهم.وأوثر تكسبون على (تعملون) لأن خطابهم كان في حال اتقائهم سوء العذاب ولا يخلو حال المعذب من التبرم الذي هو كالإنكار على معذبه. فجيء بالصلة الدالة على أن ما ذاقوه جزاء ما اكتسبوه قطعا لتبرمهم.." (٢)

"على الغالب في الاستفهام التقريري وهي طريقة إرخاء العنان للمقرر بحيث يفتح له باب الإنكار علما من المتكلم بأن المخاطب لا يسعه الإنكار فلا يلبث أن يقر بالإثبات. ويجوز أن يكون الاستفهام إنكاريا ردا لاعتقادهم أنهم ناجون من النار الدال عليه تصميمهم على الإعراض عن التدبر في دعوة القرآن.والكافرون: هم الذين كفروا بالله فأثبتوا له الشركاء أو كذبوا الرسل بعد ظهور دلالة صدقهم، والتعريف في (الكافرين) للجنس المفيد للاستغراق فشمل الكافرين المتحدث عنهم شمولا أوليا. وتكون الجملة مفيدة **للتذييل** أيضا، ويكون اقتضاء مصير الكافرين المتحدث عنهم إلى النار ثابتا بشبه الدليل الذي يعم مصير جميع الجنس الذي هم من أصنافه. وليس في الكلام إظهار في مقام الإضمار.والمثوى: اسم مكان الثواء، وهو القرار، فالمثوى المقر.[٣٣- ٣٥][سورة الزمر (٣٩) : الآيات ٣٣ إلى ٣٥]والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون (٣٣) لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك جزاء المحسنين (٣٤) ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون (٣٥)الذي جاء بالصدق هو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم. والصدق: القرآن كما تقدم آنفا في قوله: وكذب بالصدق إذ جاءه [الزمر: ٣٢] .وجملة وصدق به صلة موصول محذوف تقديره: والذي

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٣٩٢/٢٣

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٣٩٤/٢٣

صدق به، لأن المصدق غير الذي جاء بالصدق، والقرينة ظاهرة لأن الذي صدق غير الذي جاء بالصدق فالعطف عطف جملة كاملة وليس عطف جملة صلة.." (١)

"والتوكل: تفويض أمور المفوض إلى من يكفيه إياه، وتقدم في قوله: فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين في سورة آل عمران [١٥٩] .وجملة عليه يتوكل المتوكلون يجوز أن تكون مما أمر بأن يقوله تذكرا من النبيء صلى الله عليه وسلم وتعليما للمسلمين فتكون الجملة **تذييلا** للتي قبلها لأنها أعم منها باعتبار القائلين لأن حسبي الله يؤول إلى معنى: توكلت على الله، أي حسبي أنا وحسب كل متوكل، أي كل مؤمن يعرف الله حق معرفته ويعتمد على كفايته دون غيره، فتعريف المتوكلونللعموم العرفي، أي المتوكلون الحقيقيون إذ لا عبرة بغيرهم.ويجوز أن تكون من كلام الله تعالى خاطب به رسوله صلى الله عليه وسلم ولم يأمره بأن يقوله فتكون الجملة تعليلا للأمر بقول: حسبي الله، أي اجعل الله حسبك، لأن أهل التوكل يتوكلون على الله دون غيره وهم الرسل والصالحون وإذ قد كنت من رفيقهم فكن مثلهم في ذلك على نحو قوله تعالى: أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده [الأنعام: ٩٠] .وتقديم المجرور على يتوكل لإفادة الاختصاص لأن أهل التوكل الحقيقيين لا يتوكلون إلا على الله تعالى، وذلك تعريض بالمشركين إذ اعتمدوا في أمورهم على أصنامهم.[٣٩- ٤٠][سورة الزمر (٣٩) : الآيات ٣٩ إلى ٤٠]قل يا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل فسوف تعلمون (٣٩) من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم (٤٠)لما أبلغهم الله من الموعظة أقصى مبلغ، ونصب لهم من الحجج أسطع حجة، وثبت رسوله صلى الله عليه وسلم أرسخ تثبيت، لا جرم أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بأن يوادعهم موادعة مستقرب النصر، ويواعدهم ما أعد لهم من خسر.وعدم عطف جملة قل هذه على جملة قل حسبي الله [الزمر: ٣٨] لدفع توهم أن يكون أمره قل حسبي الله لقصد إبلاغه إلى المشركين نظير ترك العطف في البيت المشهور في علم المعاني:." (٢)

"وتقديم الخبر المجرور وهو لله على المبتدأ لإفادة الحصر.واللام للملك، أي قصر ملك الشفاعة على الله تعالى لا يملك أحد الشفاعة عنده.وجميعا حال من الشفاعة مفيدة للاستغراق، أي لا يشذ جزئي من جزئيات حقيقة الشفاعة عن كونه ملكا لله وقد تأكد بلازم هذه لحال ما دل عليه الحصر من انتفاء أن يكون شيء من الشفاعة لغير الله.وجملة له ملك السماوات والأرض لتعميم انفراد الله بالتصرف في السماوات والأرض الشامل للتصرف في مؤاخذة المخلوقات وتسيير أمورهم فموقعها موقع **التذييل** المفيد لتقرير الجملة التي قبله وزيادة. والمراد الملك بالتصرف بالخلق وتصريف أحوال العالمين ومن فيهما، فإذا كان ذلك الملك له فلا يستطيع أحد صرفه عن أمر أراد وقوعه إلى ضد ذلك الأمر في مدة وجود السماوات والأرض، وهذا إبطال لأن تكون لآلهتهم شفاعة لهم في أحوالهم في الدنيا. وعطف عليه ثم إليه ترجعون للإشارة إلى إثبات البعث وإلى أنه لا يشفع أحد عند الله بعد الحشر إلا من أذنه الله بذلك.وثم للترتيب الرتبي كشأنها في عطف الجمل، ذلك لأن مضمون إليه ترجعون أن لله ملك الآخرة كما كان له ملك الدنيا وملك الآخرة أعظم لسعة مملوكاته وبقائها. وتقديم إليه على ترجعون للاهتمام والتقوي وللرعاية على الفاصلة.[٤٥][سورة الزمر (٣٩) : آية ٤٥]وإذا ذكر الله وحده اشمأزت

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٧/٢٤

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١٩/٢٤

قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون (٤٥)عطف على جملة اتخذوا من دون الله شفعاء [الزمر: ٤٣] لإظهار تناقضهم في أقوالهم المشعر بأن ما يقولونه أقضية سفسطائية يقولونها للتنصل من دمغات الحجج التي جبههم بها القرآن، فإنهم يعتذرون تارة على إشراكهم بأن شركاءهم شفعاء لهم عند الله.وهذا يقتضي أنهم معترفون بأن الله هو إلههم وإله شركائهم، ثم." (١)

"الأخذ لأن ذلك الأخذ كان تحقيقا لكلمات الله، أي تصديقا لما أخبرهم به من الوعيد، فالمراد ب الذين كفروا جميع الكافرين، فالكلام تعميم بعد تخصيص فهو **تذييل** لأن المراد بالأحزاب الأمم المعهودة التي ذكرت قصصها فيكون الذين كفروا أعم. وبذلك يكون التشبيه في قوله:وكذلك حقت كلمات ربك جاريا على أصل التشبيه من المغايرة بين المشبه والمشبه به، وليس هو من قبيل قوله تعالى: وكذلك جعلناكم أمة وسطا [البقرة: ١٤٣] ونظائره.ويجوز أن يكون المراد ب الذين كفروا عين المراد بقوله آنفا: ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا [غافر: ٤] أي مثل أخذ قوم نوح والأحزاب حقت كلمات ربك على كفار قومك، أي حقت عليهم كلمات الوعيد إذا لم يقلعوا عن كفرهم.و (كلمات الله) هي أقواله التي أوحى بها إلى الرسل بوعيد المكذبين، وعلى الذين كفروا يتعلق ب حقت.وقوله: أنهم أصحاب النار يجوز أن يكون بدلا من كلمة ربك بدلا مطابقا فيكون ضمير أنهم عائد إلى الذين كفروا، أي حق عليهم أن يكونوا أصحاب النار، وفي هذا إيماء إلى أن الله غير معاقب أمة الدعوة المحمدية بالاستئصال لأنه أراد أن يخرج منهم ذرية مؤمنين.ويجوز أن يكون على تقدير لام التعليل محذوفة على طريقة كثرة حذفها قبل (أن) .والمعنى: لأنهم أصحاب النار، فيكون ضمير أنهم عائدا إلى جميع ما ذكر قبله من قوم نوح والأحزاب من بعدهم ومن الذين كفروا.وقرأ الجمهور كلمة ربك بالإفراد. وقرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر بصيغة الجمع، والإفراد هنا مساو للجمع لأن المراد به الجنس بقرينة أن الضمير المجرور ب (على) تعلق بفعل حقت وهو ضمير جمع فلا جرم أن تكون الكلمة جنسا صادقا بالمتعدد بحسب تعدد أزمان كلمات الوعيد وتعدد الأمم المتوعدة.." (٢)

"في الحديث «اللهم أعط منفقا خلفا، وممسكا تلفا»أي كل منفق وممسك.والمراد: إبلا غ هؤلاء المؤمنين أعلى درجات الرضى والقبول يوم الجزاء بحيث لا ينالهم العذاب ويكونون في بحبوحة النعيم ولا يعتريهم ما يكدرهم من نحو التوبيخ والفضيحة. وقد جاء هذا المعنى في آيات كثيرة كقوله: فوقاهم الله شر ذلك اليوم [الإنسان: ١١] .وجملة ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته **تذييل**، أي وكل من وقي السيئات يوم القيامة فقد نالته رحمة الله، أي نالته الرحمة كاملة ففعل رحمته مراد به تعظيم مصدره.وقد دل على هذا المراد في هذه الآية قوله: وذلك هو الفوز العظيم إذ أشير إلى المذكور من وقاية السيئات إشارة للتنويه والتعظيم. ووصف الفوز بالعظيم لأنه فوز بالنعيم خالصا من الكدرات التي تنقص حلاوة النعمة.وتنوين يومئذ عوض عن المضاف إليه، أي يوم إذ تدخلهم جنات عدن.[١٠][سورة غافر (٤٠) : آية ١٠]إن الذين كفروا ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون (١٠)مقابلة سؤال الملائكة للمؤمنين بالنعيم الخالص يوم القيامة

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٤/٢٨

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٤/٨٨

بما يخاطب به المشركون يومئذ من التوبيخ والتنديم وما يراجعون به من طلب العفو مؤذنة بتقدير معنى الوعد باستجابة دعاء الملائكة للمؤمنين، فطي ذكر ذلك ضرب من الإيجاز.والانتقال منه إلى بيان ما سيحل بالمشركين يومئذ ضرب من الأسلوب الحكيم لأن قوله: إن الذين كفروا ينادون الآيات مستأنف استئنافا بيانيا كأن سائلا." (١)

"أدمج معها امتنان، ولذلك عقب الأمران بقوله: وما يتذكر إلا من ينيب.وصيغة المضارع في يريكم وينزل تدل على أن المراد إراءة متجددة وتنزيل متجدد وإنما يكون ذلك في الدنيا، فتعين أن الخطاب مستأنف مراد به المؤمنون وليس من بقية خطاب المشركين في جهنم، ويزيد ذلك تأييدا قوله: فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون [غافر: ١٤] .وعدي فعلا (يري) وينزل إلى ضمير المخاطبين وهم المؤمنون لأنهم الذين انتفعوا بالآيات فآمنوا وانتفعوا بالرزق فشكروا بالعمل بالطاعات فجعل غيرهم بمنزلة غير المقصودين بالآيات لأنهم لم ينتفعوا بها كما قال تعالى: وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون [العنكبوت: ٤٣] فجعل غير العالمين كمن لا يعقل ولا يفقه.ولذلك ذيلت إراءة الآيات وإنزال الرزق لهم بقوله: وما يتذكر إلا من ينيب أي من آمن ونبذ الشرك لأن الشرك يصد أهله عن الإنصاف وإعمال النظر في الأدلة.والإنابة: التوبة، وفي صيغة المضارع إشارة إلى أن الإنابة المحصلة للمطلوب هي الإنابة المتجددة المتكررة، وإذ قد كان المخاطبون منيبين إلى الله كان قوله: وما يتذكر إلا من ينيب دالا بدلالة الاقتضاء على أنهم رأوا الآيات واطمأنوا بها وأنهم عرفوا قدر النعمة وشكروها فكان بين الإنابة وبين التذكر تلازم عادي، ولذلك فجملة وما يتذكر إلا من ينيب **تذييل**.وتقديم لكم على مفعول ينزل وهو رزقا لكمال الامتنان بأن جعل تنزيل الرزق لأجل الناس ولو أخر المجرور لصار صفة ل رزقا فلا يفيد أن التنزيل لأجل المخاطبين بل يفيد أن الرزق صالح للمخاطبين وبين المعنيين بون بعيد، فكان تقديم المجرور في الترتيب على مفعول الفعل على خلاف مقتضى الظاهر لأن حق المفعول أن يتقدم على غيره من متعلقات الفعل وإنما خولف الظاهر لهذه النكتة.." (٢)

"منهم والمعنى: إذ قلوب الذين تنذرهم، يعني المشركين، فأما قلوب الصالحين يومئذ فمطمئنة.والقلوب: البضعات الصنوبرية التي تتحرك حركة مستمرة ما دام الجسم حيا فتدفع الدم إلي الشرايين التي بها حياة الجسم.والحناجر: جمع حنجرة بفتح الحاء وفتح الجيم وهي الحلقوم. ومعنى القلوب لدى الحناجر: أن القلوب يشتد اضطراب حركتها من فرط الجزع مما يشاهده أهلها من بوارق الأهوال حتى تتجاوز القلوب مواضعها صاعدة إلى الحناجر كما قال تعالى في ذكر يوم الأحزاب: وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر [الأحزاب: ١٠] .وكاظم: اسم فاعل من كظم كظوما، إذا احتبس نفسه (بفتح الفاء) . فمعنى كاظمين: اكنين لا يستطيعون كلاما. فعلى هذا التأويل لا يقدر ل كاظمين مفعول لأنه عومل معاملة الفعل اللازم. ويقال: كظم كظما، إذا سد شيئا مجرى ماء أو بابا أو طريقا فهو كاظم، فعلى هذا يكون المفعول مقدرا. والتقدير: كاظمينها، أي كاظمين حناجرهم إشفاقا من أن تخرج منها قلوبهم من شدة الاضطراب. وانتصب كاظمين على الحال من ضمير الغائب في قوله: أنذرهم على أن الحال حال مقدرة. ويجوز أن يكون حالا من القلوب على المجاز العقلي بإسناد

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٤/٩٤

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٤/١٠٣

الكاظم إلى القلوب وإنما الكاظم أصحاب القلوب كما في قوله تعالى: فويل لهم مما كتبت أيديهم [البقرة: ٧٩] وإنما الكاتبون هم بأيديهم.وجملة ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع في موضع بدل اشتمال من جملة القلوب لدى الحناجر لأن تلك الحالة تقتضي أن يستشرفوا إلى شفاعة من اتخذوهمليشفعوا لهم عند الله فلا يلفون صديقا ولا شفيعا. والحميم: المحب المشفق.والتعريف في للظالمين للاستغراق ليعم كل ظالم، أي مشرك فيشمل الظالمين المنذرين، ومن مضى من أمثالهم فيكون بمنزلة **التذييل** ولذلك فليس ذكر الظالمين من الإظهار في مقام الإضمار.." (١)

"حديث أم زرع:«زوجي رفيع العماد، طويل النجاد، كثير الرماد، قريب البيت من الناد» فحذفت الياء من كلمة (الناد) وهي معرفة.وقرأ ابن كثير يوم التنادي بإثبات الياء على الأصل اعتبارا بأن الفاصلة هي قوله: فما له من هاد.ويوم تولون بدل من يوم التناد، والتولي: الرجوع، والإدبار: أن يرجع من الطريق التي وراءه، أي من حيث أتى هربا من الجهة التي ورد إليها لأنه وجد فيها ما يكره، أي يوم تفرون من هول ما تجدونه. ومدبرين حال مؤكدة لعاملها وهو تولون.وجملة ما لكم من الله من عاصم في موضع الحال. والمعنى: حالة لا ينفعكم التولي.والعاصم: المانع والحافظ. ومن الله متعلق ب عاصم، ومن المتعلقة به للابتداء، تقول: عصمه من الظالم، أي جعله في منعة مبتدأة من الظالم. وضمن فعل (عصم) معنى: أنقذ وانتزع، ومعنى: من الله من عذابه وعقابه لأن المنع إنما تتعلق به المعاني لا الذوات. ومن الداخلة على عاصم مزيدة لتأكيد النفي.وأغنى الكلام على تعدية فعل: أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب [غافر: ٣٠] عن إعادته هنا.وجملة ومن يضلل الله فما له من هاد عطف على جملة إني أخاف عليكم يوم التناد لتضمنها معنى: إني أرشدتكم إلى الحذر من يوم التنادي.وفي الكلام إيجاز بحذف جمل تدل عليها الجملة المعطوفة. والتقدير: هذا إرشاد لكم فإن هداكم الله عملتم به وإن أعرضتم عنه فذلك لأن الله أضلكم ومن يضلل الله فما له من هاد، وفي هذه الجملة معنى **التذييل**.ومعنى إسناد الإضلال والإغواء ونحوهما إلى الله أن يكون قد خلق نفس." (٢)

"إنا كلفيهافكلتا الجملتين جواب لهم مؤيس من حصول التخفيف عنهم. والمعنى: نحن مستوون في العذاب وهو حكم الله فلا مطمع في التقصي من حكمه فقد جوزي كل فريق بما يستحق.وما في هذه الجملة الثانية من عموم تعلق فعل الحكم بين العباد ما يجعل هذا البدل بمنزلة **التذييل**، أي أن الله حكم بين العباد كلهم بجزاء أعمالهم فكان قسطنا من الحكم هذا العذاب. فكلمة بين هنا مستعملة في معناها الحقيقي وهو المكان المتوسط، أي وقع حكمه وقضاؤه في مجمعهم الذي حضره من حكم عليه ومن حكم له ومن لم يتعرض للحكومة لأنه من أهل الكرامة بالجنة، فليست كلمة (بين) هنا بمنزلة (بين) في قوله تعالى:فاحكم بينهم بما أنزل الله [المائدة: ٤٨] فإنها في ذلك مستعملة مجازا في التفرقة بين المحق والمبطل.وفي هذه الآية عبرة لزعماء الأمم وقادتهم أن يحذروا الارتماء بأنفسهم في مهاوي الخسران فيوقعوا المقتدين بهم في تلك المهاوي فإن كان إقدامهم ومغامرتهم بأنفسهم وأممهم على علم بعواقب ذلك كانوا أحرياء بالمذمة والخزي في الدنيا ومضاعفة العذاب في الآخرة، إذ ما كان لهم أن يغروا بأقوام وكلوا أمورهم بقادتهم عن حسن ظن فيهم، أن يخونوا أمانتهم فيهم كما قال تعالى:

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١١٤/٢٤

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١٣٧/٢٤

وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم [العنكبوت: ١٣] ، وإن كان قحمهم أنفسهم في مضائق الزعامة عن جهل بعواقب قصورهم وتقصيرهم فإنهم ملومون على عدم التوثق من كفاءتهم لتدبير الأمة فيخبطوا بها خبط عشواء حتى يزلوا بها فيهووا بها من شواهق بعيدة فيصيروا رميما، ويلقوا في الآخرة جحيما.[٤٩- ٥٠][سورة غافر (٤٠) : الآيات ٤٩ إلى ٥٠]وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب (٤٩) قالوا أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال (٥٠)لما لم يجدوا مساغا للتخفيف من العذاب في جانب كبرائهم، وتنصل كبراؤهم." (١)

"واليوم كناية عن القلة، أي يخفف عنا ولو زمنا قليلا. ومن العذاب بيان ل يوما لأنه أريد به المقدار فاحتاج إلى البيان على نحو التمييز. ويجوز تعلقه ب يخفف.وجواب خزنة جهنم لهم بطريق الاستفهام التقريري المراد به: إظهار سوء صنيعهم بأنفسهم إذ لم يتبعوا الرسل حتى وقعوا في هذا العذاب، وتنديمهم على ما أضاعوه في حياتهم الدنيا من وسائل النجاة من العقاب. وهو كلام جامع يتضمن التوبيخ، والتنديم، والتحسير، وبيان سبب تجنب الدعاء لهم، وتذكيرهم بأن الرسل كانت تحذرهم من الخلود في العذاب.والواو في قوله: أولم تك تأتيكم رسلكم لم يعرج المفسرون على موقعها. وهي واو العطف عطف بها (خزنة جهنم) كلامهم على كلام الذين في النار من قبيل طريقة عطف المتكلم كلاما على كلام صدر من المخاطب إيماء إلى أن حقه أن يكون من بقية كلامه وأن لا يغفله، وهو ما يلقب بعطف التلقين كقوله تعالى: قال إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي [البقرة: ١٢٤] فإن أهل النار إذا تذكروا ذلك علموا وجاهة تنصل خزنة جهنم من الشفاعة لهم، وتفريع فادعوا على ذلك ظاهر على كلا التقديرين.وهمزة الاستفهام مقدمة من التأخير على التقديرين، لوجوب صدارتها.وجملة وما دعاء الكافرين إلا في ضلال يجوز أن تكون من كلام خزنة جهنم تذييلا لكلامهم يبين أن قولهم: فادعوا مستعمل في التنبيه على الخطأ، أي دعاؤكم لم ينفعكم لأن دعاء الكافرين في ضلال والواو اعتراضية، ويجوز أن تكون من كلام الله تعالى تذييلا واعتراضا.والبينات: الحجج الواضحة والدعوات الصريحة إلى اتباع الهدى. فلم يسعهم إلا الاعتراف بمجيء الرسل إليهم بالبينات فقالوا: بلى فرد عليهم خزنة جهنم بالتنصل من أن يدعوا الله بذلك، إلى إيكال أمرهم إلى أنفسهم بقولهم: فادعوا تفريعا على اعترافهم بمجيء الرسل إليهم بالبينات.." (٢)

"ويجوز أن يكون اسم الجلالة مبتدأ والموصول صفة له ويكون الخبر قوله:ذلكم الله ربكم [غافر: ٦٤] ويكون جملة إن الله لذو فضل معترضة، أو أن يكون اسم الجلالة مبتدأ والموصول خبرا.واعتبار الجملة مستأنفة أحسن من اعتبار اسم الجلالة بدلا لأنه أنسب بالتوقيف على سوء شكرهم، وبمقام تعداد الدلائل وأسعد بقوله: الله الذي جعل لكم الأرض قرارا [غافر: ٦٤] ، فتكون الجملة واقعة موقع التعليل لجملة إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين [غافر: ٦٠] ، أي تسببوا لأنفسهم بذلك العقاب لأنهم كفروا نعمة الله إذ جعل لهم الليل والنهار. وعلى هذه الاعتبارات كلها فقد سجلت هذه الآية على الناس تقسيمهم إلى: شاكر نعمة، وكفورها، كما سجلت عليهم الآية السابقة تقسيمهم إلى:

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٦٣/٢٤

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١٦٥/٢٤

مؤمن بوحدانية الله، وكافر بها.وهذه الآية للتذكير بنعمة الله تعالى على الخلق كما اقتضاه لام التعليل في قوله:لكم واقتضاه **التذييل** بقوله: إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون. وأدمج في التذكير بالنعمة استدلال على انفراده تعالى بالتصرف بالخلق، والتدبير الذي هو ملازم حقيقة الإلهية.وابتدئ الاستدلال بدلائل الأكوان العلوية وآثارها الواصلة إلى الأكوان السفلية، وهي مظهر النعمة بالليل والنهار فهما تكوينان عظيمان دالان على عظيم قدرة مكونهما ومنظمهما وجاعلهما متعاقبين، فنيطت بهما أكثر مصالح هذا العالم ومصالح أهله، فمن مصالح العالم حصول التعادل بين الضياء والظلمة، والحرارة والبرودة لتكون الأرض لائقة بمصالح من عليها فتنبت الكلأ وتنضج الثمار، ومن مصالح سكان العالم سكون الإنسان والحيوان في الليل لاسترداد النشاط العصبي الذي يعييه عمل الحواس والجسد في النهار، فيعود النشاط إلى المجموع العصبي في الجسد كله وإلى الحواس، ولولا ظلمة الليل لكان النوم غير." (١)

"وتقدم الكلام على الليل والنهار في سورة البقرة [١٦٤] عند قوله تعالى: إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار، وفي مواضع أخرى.وجملة إن الله لذو فضل على الناس اعتراض هو **كالتذييل** لجملة الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه لأن الفضل يشمل جعل الليل والنهار وغير ذلك من النعم، ولأن الناس يعم المخاطبين بقوله: جعل لكم وغيرهم من الناس.وتنكير فضل للتعظيم لأن نعم الله تعالى عظيمة جليلة ولذلك قال: لذو فضل ولم يقل: لمتفضل، ولا لمفضل، فعدل إلى إضافة (ذو) إلى فضل لتأتي التنكير المشعر بالتعظيم. وعدل عن نحو: له فضل، إلى لذو فضل لما يدل عليه (ذو) من شرف ما يضاف هو إليه.والاستدراك ب لكن ناشيء عن لازم لذو فضل على الناس لأن الشأن أن يشكر الناس ربهم على فضله فكان أكثرهم كافرا بنعمه، وأي كفر للنعمة أعظم من أن يتركوا عبادة خالقهم المتفضل عليهم ويعبدوا ما لا يملك لهم نفعا ولا ضرا.وخرج ب أكثر الناس الأقل وهم المؤمنون فإنهم أقل ولو أعجبك كثرة الخبيث [المائدة: ١٠٠] . والعدول عن ضمير (الناس) في قوله: ولكن أكثر الناس لا يشكرون إلى الاسم الظاهر ليتكرر لفظ الناس عند ذكر عدم الشكر كما ذكر عند التفضل عليهم فيسجل عليهم الكفران بوجه أصرح.وقد علمت مما تقدم وجه اختلاف المنفيات في قوله: ولكن أكثر الناس لا يعلمون [غافر: ٥٧] وقوله: ولكن أكثر الناس لا يؤمنون [غافر: ٥٩] وقوله:ولكن أكثر الناس لا يشكرون، فقد أتبع كل غرض أريد إثباته بما يناسب حال منكريه.." (٢)

": «ليسوا بشيء»أي ليسوا بشيء معتد به فيما يقصدهم الناس لأجله، وقال عباس بن مرداس:وقد كنت في الحرب ذا تدراء ... فلم أعط شيئا ولم أمنعوتقدم عند قوله تعالى: لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل في سورة العقود [٦٨] ، إذ ليس المعنى على إنكار أن يكونوا عبدوا شيئا لمنافاته لقولهم: ضلوا عنا المقتضي الاعتراف الضمني بعبادتهم.وفسر كثير من المفسرين قولهم: بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا أنه إنكار لعبادة الأصنام بعد الاعتراف بها لاضطرابهم من الرعب فيكون من نحو قوله تعالى: ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين [الأنعام: ٢٣] . ويجوز أن يكون لهم في ذلك الموقف مقالان، وهذا كله قبل أن يحشروا في النار هم وأصنامهم فإنهم يكونون متماثلين حينئذ كما قال تعالى: إنكم

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٨٤/٢٤

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١٨٦/٢٤

وما تعبدون من دون الله حصب جهنم.وجملة كذلك يضل الله الكافرين **تذييل** معترض بين أجزاء القول الذي يقال لهم.ومعنى الإشارة تعجيب من ضلالهم، أي مثل ضلالهم ذلك يضل الله الكافرين. والمراد بالكافرين: عموم الكافرين، فليس هذا من الإظهار في مقام الإضمار. والتشبيه في قوله:كذلك يضل الله الكافرين يفيد تشبيه إضلال جميع الكافرين بإضلاله هؤلاء الذين يجادلون في آيات الله، فتكون جملة كذلك يضل الله الكافرين **تذييلا**، أي مثل إضلال الذين يجادلون في آيات الله يضل الله جميع الكافرين، فيكون إضلال هؤلاء الذين يجادلون مشبها به إضلال الكافرين كلهم، والتشبيه كناية عن كون إضلال الذين يجادلون في آيات الله بلغ قوة نوعه بحيث ينظر به كل ما خفي من أصناف الضلال، وهو كناية عن كون مجادلة هؤلاء في آيات الله أشد الكفر.والتشبيه جار على أصله وهو إلحاق ناقص بكامل في وصف ولا يكون من قبيل." (١)

"بالشكر، فنبه هنا على أن في تلك المنن آيات دالة على ما يجب لله من الوحدانية والقدرة والحكمة.ولذلك كان قوله: يريكم آياتهمفيدا مفاد **التذييل** لما في قوله: اتهمن العموم لأن الجمع المعرف بالإضافة من صيغ العموم، أي يريكم آياته في النعم المذكورات وغيرها من كل ما يدل على وجوب توحيده وتصديق رسله ونبذ المكابرة فيما يأتونهم به من آيات صدقهم.وقد جيء في جانب إراءة الآيات بالفعل المضارع لدلالته على التجدد لأن الإنسان كلما انتفع بشيء من النعم علم ما في ذلك من دلالة على وحدانية خالقها وقدرتهوحكمته. والإراءة هنا بصرية، عبر بها عن العلم بصفات الله إذ كان طريق ذلك العلم هو مشاهدة تلك الأحوال المختلفة فمن تلك المشاهدة ينتقل العقل إلى الاستدلال، وفيه إشارة إلى أن دلالة وجود الخالق ووحدانيته وقدرته برهانية تنتهي إلى اليقين والضرورة.وإضافة الآيات إلى ضمير الجلالة لزيادة التنويه بها، والإرشاد إلى إجادة النظر العقلي في دلائلها، وأما كونها جائية من لدن الله وكون إضافتها من الإضافة إلى ما هو في معنى الفاعل، فذلك أمر مستفاد من إسناد فعل ريكمإلى ضميره تعالى. وفرع على إراءة الآيات استفهام إنكاري عليهم من أجل إنكارهم ما دلت عليه تلك الآيات.و (أي) اسم استفهام يطلب به تمييز شيء عن مشاركه فيما يضاف إليه (أي) ، وهو هنا مستعمل في إنكار أن يكون شيء من آيات الله يمكن أن ينكر دون غيره من الآيات فيفيد أن جميع الآيات صالح للدلالة على وحدانية الله وقدرته لا مساغ لادعاء خفائه وأنهم لا عذر لهم في عدم الاستفادة من إحدى الآيات.." (٢)

"قريناكم فعجلنا قراكم ... قبيل الصبح مرداة طحوناوالإذاقة: تخييل من ملائمات الطعام المشبه به.والخزي: الذل. وإضافة عذاب إلى الخزي من إضافة الموصوف إلى الصفة بدليل مقابلته بقوله: ولعذاب الآخرة أخزى، أي أشد إخزاء من إخزاء عذاب الدنيا، وذلك باعتبار أن الخزي وصف للعذاب من باب الوصف بالمصدر أو اسم المصدر للمبالغة في كون ذلك العذاب مخزيا للذي يعذب به. ومعنى كون العذاب مخزيا: أنه سبب خزي فوصف العذاب بأنه خزي بمعنى مخز من باب المجاز العقلي، ويقدر قبل الإضافة: لنذيقهم عذابا خزيا، أي مخزيا، فلما أريدت إضافة الموصوف إلى صفته قيل:عذاب الخزي، للمبالغة أيضا لأن إضافة الموصوف إلى الصفة مبالغة في الاتصاف حتى جعلت الصفة بمنزلة شخص آخر يضاف

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٤/٢٠٥

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٤/٢١٨

إليه الموصوف وهو قريب من محسن التجريدفحصلت مبالغتان في قوله: عذاب الخزي مبالغة الوصف بالمصدر، ومبالغة إضافة الموصوف إلى الصفة.وجملة ولعذاب الآخرة أخزى احتراس لئلا يحسب السامعون أن حظ أولئك من العقاب هو عذاب الإهلاك بالريح فعطف عليه الإخبار بأن عذاب الآخرة أخزى، أي لهم ولكل من عذب عذابا في الدنيا لغضب الله عليه. وأخزى: اسم تفضيل جرى على غير قياس، وقياسه أن يقال: أشد إخزاء، لأنه لا يقال: خزاه، بمعنى أخزاه، أي أهانه، ومثل هذا في صوغ اسم التفضيل كثير في الاستعمال.وجملة وهم لا ينصرون **تذييل**، أي لا ينصرهم من يدفع العذاب عنهم، ولا من يشفع لهم، ولا من يخرجهم منه بعد مهلة.." (١)

"وقرأ أبو جعفر وربأت بهمزة بعد الموحدة من (ربأ) بالهمز، إذا ارتفع.إن الذي أحياها لمحي الموتى إنه على كل شيء قدير إدماج لإثبات البعث في أثناء الاستدلال على تفرده تعالى بالخلق والتدبير، ووقوعه على عادة القرآن في التفنن وانتهاز فرص الهدى إلى الحق.والجملة استئناف ابتدائي والمناسبة مشابهة الإحياءين، وحرف التوكيد لمراعاة إنكار المخاطبين إحياء الموتى.وتعريف المسند إليه بالموصولية لما في الموصول من تعليل الخبر، وشبه إمداد الأرض بماء المطر الذي هو سبب انبثاق البزور التي في باطنها التي تصير نباتا بإحياء الميت، فأطلق على ذلك أحياها على طريق الاستعارة التبعية، ثم ارتقي من ذلك إلى جعل ذلك الذي سمي إحياء لأنه شبيه الإحياء دليلا على إمكان إحياء الموتى بطريقة قياسالشبه، وهو المسمى في المنطق قياس التمثيل، وهو يفيد تقريب المقيس بالمقيس عليه.وليس الاستدلال بالشبه والتمثيل بحجة قطعية، بل هو إقناعي ولكنه هنا يصير حجة لأن المقيس عليه وإن كان أضعف من المقيس إذ المشبه لا يبلغ قوة المشبه به، فالمشبه به حيث كان لا يقدر على فعله إلا الخالق الذي اتصف بالقدرة التامة لذاته فقد تساوى فيه قويه وضعيفه، وهم كانوا يحيلون إحياء الأموات استنادا للاستبعاد العادي، فلما نظر إحياء الأموات بإحياء الأرض المشبه تم الدليل الإقناعي المناسب لشبهتهم الإقناعية. وقد أشار إلى هذا **تذييله** بقوله: إنه على كل شيء قدير.[٤٠][سورة فصلت (٤١) : آية ٤٠]إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير (٤٠)إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا استئناف ابتدائي قصد به تهديد الذين أهملوا الاستدلال بآيات الله على توحيده.." (٢)

"يدخل الجنة، وحذف مقابل: من يأتي آمنا وهو: من يأتي خائفا، وهم أهل النار.اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير الجملة **تذييل** لجملة إن الذين يلحدون في آياتنا إلخ، كما دل عليه قوله عقبه:إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم [فصلت: ٤١] الآية، أي لا يخفى علينا إلحادهم ولا غيره من سيىء أعمالهم. وإنما خص الإلحاد بالذكر ابتداء لأنه أشنع أعمالهم ومصدر أسوائها.والأمر في قوله: اعملوا ما شئتم مستعمل في التهديد، أو في الإغراء المكنى به عن التهديد.وجملة: إنه بما تعملون بصير وعيد بالعقاب على أعمالهم على وجه الكناية.وتوكيده ب (إن) لتحقيق معنييه الكنائي والصريح، وهو تحقيق إحاطة علم الله بأعمالهم لأنهم كانوا شاكين في ذلك كما تقدم في قصة الثلاثة الذين نزل فيهم قوله تعالى: وما كنتم

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٦١/٢٤

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٣٠٣/٢٤

تستترون أن يشهد عليكم سمعكم [فصلت: ٢٢] الآية.والبصير: العليم بالمبصرات.[٤١، ٤٢][سورة فصلت (٤١) : الآيات ٤١ إلى ٤٢]إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وإنه لكتاب عزيز (٤١) لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد (٤٢)أعقب تهديدهم على الإلحاد في آيات الله على وجه العموم بالتعرض إلى إلحادهم في آيات القرآن وهو من ذكر الخاص بعد العام للتنويه بخصال القرآن وأنه ليس بعرضة لأن يكفر به بل هو جدير بأن يتقبل بالاقتداء والاهتداء بهديه، فلهذه الجملة اتصال في المعنبجملة: إن الذين يلحدون في آياتنا [فصلت: ٤٠] واتصال في الموقع بجملة اعملوا ما شئتم [فصلت: ٤٠] .." (١)

"أن الله أخر القضاء بينهم وبين المؤمنين إلى أجل اقتضته حكمته، فأما قوم موسى فقد قضى بينهم باستئصال قوم فرعون، وبتمثيل الآشوريين باليهود بعد موسى، وبخراب بيت المقدس، وزوال ملك إسرائيل آخرا. وهذا الكلام داخل في إتمام التسلية للرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين في استبطاء النصر.والكلمة هي كلمة الإمهال إلى يوم القيامة بالنسبة لبعض المكذبين، والإمهال إلى يوم بدر بالنسبة لمن صرعوا ببدر.والتعبير عن الجلالة بلفظ ربك لما في معنى الرب من الرأفة به والانتصار له، ولما في الإضافة إلى ضمير الرسول صلى الله عليه وسلم من التشريف. وكلا الأمرين تعزيز للتسلية.ولك أن تجعل كلمة (بين) دالة على أخرى مقدرة على سبيل إيجاز الحذف.والتقدير: بينهم وبين المؤمنين، أي بما يظهر به انتصار المؤمنين، فإنه يكثر أن يقال: بين كذا وبين كذا، قال تعالى: وحيل بينهم وبين ما يشتهون [سبأ: ٥٤] .ومعنى سبقت أي تقدمت في علمه على مقتضى حكمته وإرادته.والأجل المسمى: جنس يصدق بكل ما أجل به عقابهم في علم الله. وأما ضمير وإنهم لفي شك منه مريب فهو خاص بالمشركين الشاكين في البعث والشاكين في أن الله ينصر رسوله والمؤمنين.والريب: الشك، فوصف شك ب مريب من قبيل الإسناد المجازي لقصد المبالغة بأن اشتق له من اسمه وصف كقولهم: ليل أليل! وشعر شاعر.[٤٦][سورة فصلت (٤١) : آية ٤٦]من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد (٤٦)هذا من مكملات التسلية ومن مناسبات ذكر الأجل المسمى. وفيه معنى **التذييل** لأن من في الموضعين مفيدة للعموم سواء اعتبرت شرطية أو." (٢)

"تصديقهم بالقسم، فيكون معنى الآية قريبا من معنى قوله تعالى: قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم [الرعد: ٤٣] وقوله تعالى: قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا [العنكبوت: ٥٢] .وليس معنى الآية إنكارا على المشركين أنهم لم يكتفوا بشهادة الله على صدق القرآن ولا على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم لأنهم غير معترفين بأن الله شهد بذلك فلا يظهر توجه الإنكار إليهم. ولقد دلت كلمات المفسرين في تفسير هذه الآية على تردد في استخراج معناها من لفظها.وقوله: أنه على كل شيء شهيد بدل اشتمال من بربك والتقدير: أو لم يكفهم ربك علمه بكل شيء، أي فهو يحقق ما وعدك من دمغهم بالحجة الدالة على صدقك، أو فمن استشهد به فقد صدق لأن الله لا يقر من استشهد به كاذبا فلا يلبث أن يأخذه.وفي الآية على الوجه الثاني من وجهي قوله: أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد إشارة إلى أن الله لا يصدق

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٣٠٥/٢٤

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٣١٨/٢٤

من كذب عليه فلا يتم له أمر وهو معنى قول أيمة أصول الدين: إن دلالة المعجزة على الصدق أن تغيير الله العادة لأجل تحدي الرسول صلى الله عليه وسلم قائم مقام قوله: صدق عبدي فيما أخبر به عني.[٥٤][سورة فصلت (٤١) : آية ٥٤]ألا إنهم في مرية من لقاء ربهم ألا إنه بكل شيء محيط (٥٤)**تذييلان** للسورة وفذلكتان افتتحا بحرف التنبيه اهتماما بما تضمناه. فأما **التذييل** الأول فهو جماع ما تضمنته السورة من أحوال المشركين المعاندين إذ كانت أحوالهم المذكورة فيها ناشئة عن إنكارهم البعث فكانوا في مأمن من التفكير فيما بعد هذه الحياة، فانحصرت مساعيهم في تدبير الحياة الدنيا وانكبوا على ما يعود عليهم بالنفع فيها.." (١)

"وضمير إنهم عائد إليهم كما عاد ضمير الجمع في سنريهم [فصلت: ٥٣] .وأما **التذييل** الثاني فهو جامع لكل ما تضمنته السورة من إبطال لأقوالهم وتقويم لاعوجاجهم، لأن ذلك كله من آثار علم الله تعالى بالغيب والشهادة. وتأكيد الجملتين بحرف التأكيد مع أن المخاطب بهما لا يشك في ذلك لقصد الاهتمام بهما واستدعاء النظر لاستخراج ما تحويانه من المعاني والجزئيات.والمرية بكسر الميم وهو الأشهر فيها واتفقت عليه القراءات المتواترة، وبكسر الميم وهو لغة مثل: خفية وخفية. والمرية: الشك. وحرف الظرفية مستعار لتمكن الشك بهم حتى كأنهم مظروفون فيه ومن ابتدائية وتعدى بها أفعال الشك إلى الأمر المشكوك فيه بتنزيل متعلق الفعل منزلة مثار الفعل بتشبيه المفعول بالمنشأ كأن الشك جاء من مكان هوالمشكوك فيه.وفي تعليقه بذات الشيء مع أن الشك إنما يتعلق بالأحكام مبالغة على طريقة إسناد الأمور إلى الأعيان والمراد أوصافها، فتقدير في مرية من لقاء ربهم: في مرية من وقوع لقاء ربهم وعدم وقوعه كقوله تعالى: وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا [البقرة: ٢٣] أي في ريب من كونه منزلا. وأطلق الشك على جزمهم بعدم وقوع البعث لأن جزمهم خلي عن الدليل الذي يقتضيه، فكان إطلاق الشك عليه تعريضا بهم بأن الأولى بهم أن يكونوا في شك على الأقل.ووصف الله بالمحيط مجاز عقلي لأن المحيط بكل شيء هو علمه فأسندت الإحاطة إلى اسم الله لأن (المحيط) صفة من أوصافه وهو العلم.وبهاتين الفذلكتين آذن بانتهاء الكلام فكان من براعة الختام.." (٢)

"الصفات المعبر عنها بصفات السلوب مقدمة في ترتيب علم الكلام على صفات المعاني- عندنا-والصفات المعنوية.والاستغفار لمن في الأرض: طلب المغفرة لهم بحصول أسبابها لأن الملائكة يعلمون مراتب المغفرة وأسبابها، وهم لكونهم من عالم الخير والهدى يحرصون على حصول الخير للمخلوقات وعلى اهتدائهم إلى الإيمان بالله والطاعات ويناجون نفوس الناس بدواعي الخير، وهي الخواطر الملكية. فالمراد ب لمن في الأرض [الشورى: ٥] من عليها يستحقون استغفار الملائكة كما قال تعالى: الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم [غافر: ٧] ثم قال: وقهم السيئات في سورة المؤمن [٩] . وقد أثبت القرآن أن الملائكة يلعنون من تحق عليه اللعنة بقوله تعالى: أولئك عليهم لعنة الله والملائكة في سورة البقرة [١٦١] . فعموم من في الأرض هنا مخصوص بما دلت عليه آية سورة المؤمن.وجملة ألا إن الله هو الغفور الرحيم [الشورى:

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢١/٢٥

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٢/٢٥

٥] تذييل لجملة والملائكة يسبحون بحمد ربهم [الشورى: ٥] إلى آخرها لإبطال وهم المشركين أن شركاءهم يشفعون لهم، ولذلك جيء في هذه الجملة بصيغة القصر بضمير الفصل، أي أن غير الله لا يغفر لأحد. وصدرت بأداة التنبيه للاهتمام بمفادها. وقد أشارت الآية إلى مراتب الموجودات، وهي:والمقصود رفع التبعية عن النبيء صلى الله عليه وسلم من عدم استجابتهم للتوحيد، أي لا تخش أن نسألك على عدم اهتدائهم إذ ما عليك إلا البلاغ، وتقدم في قوله: وما أنت عليهم بوكيل في سورة الأنعام [١٠٧] .وإذ قد كان الحفيظ الوكيل بمعنى كان إثبات كون الله حفيظا عليهم ونفي كون الرسول صلى الله عليه وسلم وكيلا عليهم مفيدا قصر الكون حفيظا عليهم على الله تعالى دون الرسول صلى الله عليه وسلم بطريق غير أحد طرق القصر المعروفة فإن هذا من صريح القصر ومنطوقه لا من مفهومه وهو الأصل في القصر وإن كان قليلا، ومنه قول السموأل:." (١)

"ويجوز أن يكون المنفي جنس الحجة المفيدة، بمعونة القرينة مثل: لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب. والمعنى: أن الاستمرار على الاحتجاج عليهم بعد ما أظهر لهم من الأدلة يكون من العبث، وهذا تعريض بأنهم مكابرون. وأيا ما كان فليس هذا النفي مستعملا في النهي عن التصدي للاحتجاج عليهم فقد حاجهم القرآن في آيات كثيرة نزلت بعد هذه وحاجهم النبيء صلى الله عليه وسلم في قضية الرجم وقد قال الله تعالى: ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن [العنكبوت: ٤٦] فالاستثناء صريح في مشروعية مجادلتهم.و (بين) المكررة في قوله: بيننا وبينكم ظرف موزع على جماعات أو أفراد ضمير المتكلم المشارك. وضمير المخاطبين، كما يقال: قسم بينهم، وهذا مخالف ل (بين) المتقدم آنفا.والمراد بالجمع في قوله: الله يجمع بيننا الحشر لفصل القضاء، فيومئذ يتبين المحق من المبطل، وهذا كلام منصف. ولما كان مثل هذا الكلام لا يصدر إلا من الواثق بحقه كان خطابهم به مستعملا في المتاركة والمحاجزة، أي سأترك جدالكم ومحاجتكم لقلة جدواها فيكم وأفوض أمري إلى الله يقضي بيننا يوم يجمعنا، فهذا تعريض بأن القضاء سيكون له عليهم. وتقديم المسند إليه على الخبر الفعلي في قوله: الله يجمع بيننا للتقوي، أي تحقيق وقوع هذا الجمع وإلا فإن المخاطبين وهم اليهود يثبتون البعث.و (بين) هنا ظرف موزع مثل الذي في قوله: لا حجة بيننا وبينكم.وجملة وإليه المصير عطف على جملة يجمع بيننا. والتعريف في المصير للاستغراق، أي مصير الناس كلهم، فبذلك كانت الجملة تذييلا بما فيها من العموم، أي مصيرنا ومصيركم ومصير الخلق كلهم.وهذه الجمل الأربع تقتضي المحاجزة بين المؤمنين وبين اليهود وهي محاجزة في المقاولة ومتاركة في المقاتلة في ذلك الوقت حتى أذن الله في قتالهم لما ظاهروا الأحزاب.." (٢)

"كقوله: ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين [سبأ: ٢٩] وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب [ص: ١٦] .والإشفاق: رجاء وقوع ما يكره، أي مشفقون من أهوالها، وتقدم في قوله: وهم من خشيته مشفقون [الأنبياء: ٢٨] . وإنما جعل الإشفاق من ذات الساعة لإفادة تعظيم أهوالها حتى كأن أحوالها هي ذاتها، على طريقة إسناد الحكم ونحوه إلى الأعيان نحو حرمت عليكم الميتة [المائدة: ٣] ، فهم يتوخون النجاة منها بالطاعة والتقوى، أي فهم لا يستعجلون بها وإنما

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٣٤/٢٥

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٦٤/٢٥

يغتنمون بقاءهم في الدنيا للعمل الصالح والتوبة.والمراد ب الذين لا يؤمنون: المشركون، وعبر عنهم بالموصول لأن الصلة تدل على علة استعجالهم بها، والمراد بالذين آمنوا: المسلمون فإن هذا لقب لهم، ففي الكلام احتباك، تقديره: يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها فلا يشفقون منها والذين آمنوا مشفقون منها فلا يستعجلون بها.وعطفت على مشفقون منها جملة ويعلمون أنها الحق لإفادة أن إشفاقهم منها إشفاق عن يقين وجزم لا إشفاق عن تردد وخشية أن يكشف الواقع على صدق الإخبار بها وأنه احتمال مساو عندهم. وتعريف الحق في قوله: أنها الحق تعريف الجنس وهو يفيد قصر المسند على المسند إليه قصر مبالغة لكمال الجنس في المسند إليه نحو: عنترة الشجاع، أي يوقنون بأنها الحق كل الحق، وذلك لظهور دلائل وقوعها حتى كأنه لا حق غيره.ألا إن الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد.الجملة **تذييل** لما قبلها بصريحها وكنايتها لأن صريحها إثبات الضلال للذين يكذبون بالساعة وكنايتها إثبات الهدى للذين يؤمنون بالساعة. وهذا **التذييل** فذلكة للجملة التي قبلها.." (١)

"في الحصول في الخارج فإن الضيف أو الوافد ينزل أول قدومه في منزل إكرام ثم يحضر إليه القرى ثم يخالطه رب المنزل ويقترب منه.وجملة ذلك هو الفضل الكبير **تذييل**. والإشارة إلى مضمون قوله: في روضات الجنات لهم ما يشاؤن عند ربهم بتأويل: ذلك المذكور. وجيء باسم إشارة البعيد استعارة لكون المشار إليه بعيد المكانة بعد ارتفاع مجازي وهو الشرف.والفضل يجوز أن يكون مصدرا بمعنى الشرف والتفوق على الغير فيكون في معنى: فضلهم، ويجوز أن يكون اسما لما يتفضل به من عطاء فيكون في معنى: ذلك فضلنا عليهم، وفي هذا الأخير دلالة على أن ثواب الأعمال فضل من الله لأن طاعة العباد واجبة عليهم فإذا أدوها فقد فعلوا ما لا يسعهم إلا فعله فلو لم يثابوا على ذلك لم يكن عدم إثابتهم ظلما.وضمير الفصل يفيد قصرا ادعائيا للمبالغة في أعظمية الفضل، والفضل يصلح لأن يعتبر كالمضاف إلى المفعول، أي فضل الله عليهم، وأن يعتبر كالمضاف إلى الفاعل فضلهم، أي شرفهم وبركتهم فيؤول معنى القصر إلى أن الفضل الذي حصل للذين آمنوا وعملوا الصالحات أكبر فضل.[٢٣][سورة الشورى (٤٢) : آية ٢٣]ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات قل لا أسئلكم عليه أجرا إلا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا إن الله غفور شكور (٢٣)ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات.اسم الإشارة مؤكد لنظيره الذي قبله، أي ذلك المذكور الذي هو فضل يحصل لهم في الجنة هو أيضا بشرى لهم من الحياة الدنيا.والعائد من الصلة إلى الموصول محذوف تقديره: الذي يبشر الله به عباده. وحذفه هنا لتنزيله منزلة الضمير المنصوب باعتبار حذف الجار على طريقة حذفه في نحو قوله:واختار موسى قومه [الأعراف: ١٥٥] بتقدير: من قومه، فلما عومل معاملة المنصوب حذف كما يحذف الضمير المنصوب.." (٢)

"وفي رواية: أن الأنصار قالوا له يوما: أنفسنا وأموالنا لك، فنزلت. وقيل نزل ذلك الذي يبشر الله عباده إلى قوله: إنه عليم بذات الصدور [الشورى: ٢٣، ٢٤] . ولأجل ذلك قال فريق: إن هذه الآيات مدنية كما تقدم في أول السورة وهي أخبار واهية.وتضمنت الآية أن النبيء صلى الله عليه وسلم منزه عن أن يتطلب من الناس جزاء على تبليغ الهدى إليهم

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٥/٧٠

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٥/٨٠

فإن النبوءة أعظم مرتبة في تعليم الحق وهي فوق مرتبة الحكمة، والحكماء تنزهوا عن أخذ الأجر على تعليم الحكمة، فإن الحكمة خير كثير والخير الكثير لا تقابله أعراض الدنيا، ولذلك أمر الله رسله بالتنزه عن طلب جزاء على التبليغ، فقال حكاية عن نوح وما أسئلكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين [الشعراء: ١٠٩] . وكذلك حكى عن هود وصالح ولوط وشعيب.ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا إن الله غفور شكور.**تذييل** لجملة ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات والمعنى:وكلما عمل مؤمن حسنة زدناه حسنا من ذلك الفضل الكبير. وهذا في معنى قوله تعالى:والله يضاعف لمن يشاء [البقرة: ٢٦١] والواو اعتراضية.والاقتراف: افتعال من القرف، وهو الاكتساب، فالاقتراف مبالغة في الكسب نظير الاكتساب، وليس خاصا باكتساب السوء وإن كان قد غلب فيه، وأصله من قرف الشجرة، إذا قشر قرفها، بكسر القاف، وهو لحاؤها، أي قشر عودها، وتقدم عند قوله تعالى:وليقترفوا ما هم مقترفون في سورة الأنعام [١١٣] ، وعند قوله: وأموال اقترفتموها في سورة براءة [٢٤] .والحسنة: الفعلة ذات الحسن صفة مشبهة غلبت في استعمال القرآن والسنة على الطاعة والقربة فصارت بمنزلة الجوامد علما بالغلبة وهي مشتقة من الحسن وهو جمال الصورة. والحسن: ضد القبح وهو صفة في الذات تقتضي قبول منظرها في نفوس الرائين وميلهم إلى مداومة مشاهدتها. وتوصف المعنويات بالحسن فيراد به كون الفعل أو الصفة محمودة عند العقول مرغوبا في الاتصاف بها.." (١)

"ولما كانت الحسنة مأخوذة من الحسن جعلت الزيادة فيها من الزيادة في الحسن مراعاة لأصل الاشتقاق فكان ذكر الحسن من الجناس المعبر عنه بجناس الاشتقاق نحو قوله تعالى: فأقم وجهك للدين القيم [الروم: ٤٣] ، وصار المعنى نزد له فيها مماثلا لها.ويتعين أن الزيادة فيها زيادة من غير عمله ولا تكون الزيادة بعمل يعمله غيره لأنها تصير عملا يستحق الزيادة أيضا فلا تنتهي الزيادة فتعين أن المراد الزيادة في جزاء أمثالها عند الله. وهذا معنى قوله تعالى: من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها [الأنعام: ١٦٠] وقوله والله يضاعف لمن يشاء [البقرة: ٢٦١] ،وقول النبيء صلى الله عليه وسلم: «من هم بحسنة فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف». وجملة إن الله غفور شكور **تذييل** وتعليل للزيادة لقصد تحقيقها بأن الله كثيرة مغفرته لمن يستحقها، كثير شكره للمتقربين إليه. والمقصود بالتعليل هو وصف الشكور، وأما وصف الغفور فقد ذكر للإشارة إلى ترغيب المقترفين السيئات في الاستغفار والتوبة ليغفر لهم فلا يقنطوا من رحمة الله.[٢٤][سورة الشورى (٤٢) : آية ٢٤]أم يقولون افترى على الله كذبا فإن يشإ الله يختم على قلبك ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته إنه عليم بذات الصدور (٢٤)إضراب انتقالي عطفا على قوله: أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله [الشورى: ٢١] وهو الكلام المضرب عنه والمنتقل منه، والمراد الانتقال إلى توبيخآخر، فالهمزة المقدرة بعد أم للاستفهام التوبيخي، فإنهم قالوا ذلك فاستحقوا التوبيخ عليه. والمعنى: أم قالوا افترى ويقولونه.وجيء بفعل يقولون بصيغة المضارع ليتوجه التوبيخ لاستمرارهم على هذا القول الشنيع مع ظهور دلائل بطلانه. فإذا كان قولهم هذا شنعا من القول فاستمرارهم عليه أشنع.." (٢)

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٥/٨٤

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٥/٨٥

"منه أن الله يمحو باطل المشركين وبهتانهم ويحقق ما جاء به رسوله صلى الله عليه وسلم.وعلى مراعاة هذا المعنى جرى جمع من أهل التفسير مثل الكسائي وابن الأنباري والزجاج والزمخشري ولم يجعلوا ويمح عطفا على فعل الجزاء لأن المتبادر أن هذا وعد من الله بإظهار الإسلام، ووعيد المشركين بأن دينهم زائل. وهذا هو المتبادر من رفع ويحق باتفاق القراء على رفعه، والمراد بالمحو على هذا: الإزالة. والمراد بالباطل:الباطل المعهود وهو دين الشرك. وبالحق: الحق المعهود، وهو الإسلام.أو يكون المعنى أن من شأن الله تعالى أن يزيل الباطل ويفضحه بإيجاد أسباب زواله وأن يوضح الحق بإيجاد أسباب ظهوره، حتى يكون ظهوره فاضحا لبطلان الباطل فلو كان القرآن مفترى على الله لفضح الله بطلانه وأظهر الحق، فالمراد بالباطل: جنس الباطل، وبالحق جنس الحق، وتكون الجملة **كالتذييل** للتفريع. والمعنى الأول أنسب بالاستئناف، ولإفادته الوعيد بإزالة ما هم عليه ونصر المسلمين عليهم.وعلى كلا المعنيين فقوله: ويمح الله الباطل كلام مستأنف ليس معطوفا على جزاء الشرط إذ ليس المعنى على: إن يشأ الله يمح الباطل، بل هو تحقيق لمحوه للباطل كقوله تعالى: إن الباطل كان زهوقا [الإسراء: ٨١] ، كما دل عليه رفع ويحق الحق بكلماته، ففعل يمح مرفوع وحقه ظهور الواو في آخره، ولكنها حذفت تخفيفا في النطق، وتبع حذفها في النطق حذفها في الرسم اعتبارا بحال النطق كما حذف واو سندع الزبانية [العلق: ١٨] وواو ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير [الإسراء: ١١] . وذكر في «الكشاف» أن الواو ثبتت في بعض المصاحف ولم يعينه ولا ذكره غيره فيما رأيت.وإظهار اسم الجلالة في قوله: ويمح الله الباطل دون أن يقول: ويمح الباطل، لتقوية تمكن المسند إليه من الذهن ولإظهار عناية الله بمحو الباطل. وإنما عدل على الجملة الاسمية في صوغ ويمح الله الباطل فلم يقل: والله يمحو الباطل، لأنه أريد أن ما في إفادة المضارع من التجدد والتكرير إيماء إلى أن هذا شأن الله وعادته لا تتخلف ولم يقصد تحقيق ذلك وتثبيته لأن إفادة." (١)

"[سورة الشورى (٤٢) : آية ٢٧]ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء إنه بعباده خبير بصير (٢٧)عطف على جملة ويزيدهم من فضله [الشورى: ٢٦] أو على المجموع من جملة ويستجيب الذين آمنوا [الشورى: ٢٦] ومن جملة ويزيدهم من فضله.وموقع معناها موقع الاستدراك والاحتراس فإنها تشير إلى جواب عن سؤال مقدر في نفس السامع إذا سمع أن الله يستجيب للذين آمنوا وأنه يزيدهم من فضله أن يتساءل في نفسه: أن مما يسأل المؤمنون سعة الرزق والبسطة فيه فقد كان المؤمنون أيام صدر الإسلام في حاجة وضيق رزق إذ منعهم المشركون أرزاقهم وقاطعوا معاملتهم، فيجاب بأن الله لو بسط الرزق للناس كلهم لكان بسطه مفسدا لهم لأن الذي يستغني يتطرقه نسيان الالتجاء إلى الله، ويحمله على الاعتداء على الناس فكان من خير المؤمنين الآجل لهم أن لا يبسط لهم في الرزق، وكان ذلك منوطا بحكمة أرادها الله من تدبير هذا العالم تطرد في الناس مؤمنهم وكافرهم قال تعالى: إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى [العلق: ٦، ٧] . وقد كان في ذلك للمؤمن فائدة أخرى، وهي أن لا يشغله غناه عن العمل الذي به يفوز في الآخرة فلا تشغله أمواله عنه، وهذا الاعتبار هو الذي أشار إليه النبيء صلى الله عليه وسلم حين قال للأنصار لما تعرضوا له بعد صلاة الصبح وقد جاءه مال من البحرين «فو الله ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٨٧/٢٥

بسطت على من قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم» .وقد وردت هذه الآية موردا كليا لأن قوله لعباده يعم جميع العباد. ومن هذه الكلية تحصل فائدة المسئول عليه الجزئي الخاص بالمؤمنين مع إفادة الحكمة العامة من هذا النظام التكويني، فكانت هذه الجملة بهذا الاعتبار بمنزلة **التذييل** لما فيها من العموم، أي أن الله أسس نظام هذا العالم على قوانين عامة وليس من حكمته أن يخص أولياءه وحزبه بنظام تكويني دنيوي ولكنه خصهم بمعاني القرب." (١)

"الأكملون في الخسران وتسمى (أل) هذه دالة على معنى الكمال وهو مستفاد من تعريف الجزءين المفيد للقصر الادعائي حيث نزل خسران غيرهم منزلة عدم الخسران. فالمعنى:لا خسران يشبه خسرانهم، فليس في قوله: إن الخاسرين إظهار في مقام الإضمار كما توهم، وقد تقدم نظيره في قوله: قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامةفي سورة الزمر [١٥] .والخسران: تلف مال التاجر، واستعير هنا لانتفاء الانتفاع بما كان صاحبه يعده للنفع، فإنهم كانوا يأملون نعيم أنفسهم والأنس بأهليهم حيثما اجتمعوا، فكشف لهم في هذا الجمع عن انتفاء الأمرين، أو لأنهم كانوا يحسبون أن لا يحيوا بعد الموت فحسبوا أنهم لا يلقون بعده ألما ولا توحشهم فرقة أهليهم فكشف لهم ما خيب ظنهم فكانوا كالتاجر الذي أمل الربح فأصابه الخسران. وقوله: يوم القيامة يتعلق بفعل خسروا لا بفعل قال.وجملة ألا إن الظالمين في عذاب مقيم **تذييل** للجمل التي قبلها من قوله:وترى الظالمين لما رأوا العذاب [الشورى: ٤٤] الآيات. لأن حالة كونهم في عذاب مقيم أعم من حالة تلهفهم على أن يردوا إلى الدنيا، وذلهم وسماعهم الذم.وإعادة لفظ الظالمين إظهار في مقام الإضمار اقتضاه أن شأن **التذييل** أن يكون مستقل الدلالة على معناه لأنه كالمثل. وليست هذه الجملة من قول المؤمنين إذ لا قبل للمؤمنين بأن يحكموا هذا الحكم، على أن أسلوب افتتاحه يقتضي أنه كلام من بيدهالحكم يوم القيامة وهو ملك يوم الدين، فهو كلام من جانب الله، أي وهم مع الندم وذلك الذل والخزي بسماع ما يكرهون في عذاب مستمر. وافتتحت الجملة بحرف التنبيه لكثرة ذلك في **التذييلات** لأهميتها.والمقيم: الذي لا يرتحل. ووصف به العذاب على وجه الاستعارة، شبه المستمر الدائم بالذي اتخذ دار إقامة لا يبرحها." (٢)

"[٤٦][سورة الشورى (٤٢) : آية ٤٦]وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل (٤٦)وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله.عطف على جملة ألا إن الظالمين في عذاب مقيم [الشورى: ٤٥] أي هم في عذاب دائم لا يجدون منه نصيرا. وهو رد لمزاعمهم أن آلهتهم تنفعهم عند الله.وجملة ينصرونهم صفة ل أولياء للدلالة على أن المراد هنا ولاية خاصة، وهي ولاية النصر، كما كان قوله سابقا ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده [الشورى: ٤٤] مرادا به ولاية الإرشاد.ومن زائدة في النفي لتأكيد نفي الولي لهم. وقوله: من دون الله صفة ثانية ل أولياء وهي صفة كاشفة. ومن زائدة لتأكيد تعلق ظرف دون بالفعل.ومن يضلل الله فما له من سبيل.**تذييل** لجملة وما كان لهم من أولياء ينصرونهم، وتقدم آنفا الكلام على نظيره وهو من يضلل الله فما له من ولي من بعده.وسبيل نكرة في سياق النفي فيعم كل سبيل مخلص من الضلال ومن آثاره والمقصود هنا ابتداء هو سبيل الفرار من العذاب المقيم كما يقتضيه السياق.

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٥/٩٢

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٥/١٢٩

وبذلك لم يكن ما هنا تأكيدا لما تقدم من قوله: ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده.[٤٧][سورة الشورى (٤٢) : آية ٤٧]استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله ما لكم من ملجإ يومئذ وما لكم من نكير (٤٧)بعد أن قطع خطابهم عقب قوله: فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا [الشورى:٣٦] بما تخلص به إلى الثناء على فرق المؤمنين، وما استتبع ذلك من التسجيل على المشركين." (١)

"يتلقى بهما نعمة ربه وبلاءه وكيف لم يفطر على الخلق الأكمل ليتلقى النعمة بالشكر، والضر بالصبر والضراعة، وسؤالا أيضا عن سبب إذاقة الإنسان النعمة مرة والبؤس مرة فيبطر ويكفر وكيف لم يجعل حاله كفافا لا لذات له ولا بلايا كحال العجماوات فكان جوابه: أن الله المتصرف في السماوات والأرض يخلق فيهما ما يشاء من الذوات وأحوالها. وهو جواب إجمالي إقناعي يناسب حضرة الترفع عن الدخول في المجادلة عن الشؤون الإلهية.وفي قوله: يخلق ما يشاء من الإجمال ما يبعث المتأمل المنصف على تطلب الحكمة في ذلك فإن تطلبها انقادت له كما أومأ إلى ذلك **تذييل** هذه الجملة بقوله: إنه عليم قدير، فكأنه يقول: عليكم بالنظر في الحكمة في مراتب الكائنات وتصرف مبدعها، فكما خلق الملائكة على أكمل الأخلاق في جميع الأحوال، وفطر الدواب على حد لا يقبل كمال الخلق،كذلك خلق الإنسان على أساس الخير والشر وجعله قابلا للزيادة منهما على اختلاف مراتب عقول أفراده وما يحيط بها من الاقتداء والتقليد، وخلقه كامل التمييز بين النعمة وضدها ليرتفع درجات وينحط دركات مما يختاره لنفسه، ولا يلائم فطر الإنسان على فطرة الملائكة حالة عالمه المادي إذ لا تأهل لهذا العالم لأن يكون سكانه كالملائكة لعدم الملاءمة بين عالم المادة وعالم الروح. ولذلك لما تم خلق الفرد الأول من الإنسان وآن أوان تصرفه مع قرينته بحسب ما بزغ فيهما من القوى، لم يلبث أن نقل من عالم الملائكة إلى عالم المادة كما أشار إليه قوله تعالى: قال اهبطا منها جميعا [طه: ١٢٣] .ولكن الله لم يسد على النوع منافذ الكمال فخلقه خلقا وسطا بين الملكية والبهيمية إذ ركبه من المادة وأودع فيه الروح ولم يخله عن الإرشاد بواسطة وسطاء وتعاقبهم في العصور وتناقل إرشادهم بين الأجيال، فإن اتبع إرشادهم التحق بأخلاق الملائكة حتى يبلغالمقامات التي أقامته في مقام الموازنة بين بعض أفراده وبين الملائكة في التفاضل. وقد أشار إلى ذلك قوله تعالى: قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى [طه: ١٢٣، ١٢٤] ،." (٢)

"وتأكيد الخبر ب (إن) للاهتمام به لأن الخبر مستعمل في تثبيت قلب النبيء صلى الله عليه وسلم بالشهادة له بهذا المقام العظيم فالخبر مستعمل في لازم معناه، على أنه مستعمل أيضا للتعريض بالمنكرين لهديه فيكون في التأكيد ملاحظة تحقيقه وإبطال إنكارهم. فكما أن الخبر مستعمل في لازمين من لوازم معناه فكذلك التأكيد ب (إن) مستعمل في غرضين من أغراضه، وكلا الأمرين مما ألحق باستعمال المشترك في معنييه.وتنكير صراط للتعظيم مثل تنكير (عظم) في قول أبي خراش:فلا وأبي الطير المربة في الضحى ... على خالد لقد وقعن على عظمولأن التنكير أنسب بمقام التعريض بالذين لم

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٥/١٣٠

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٥/١٣٧

يأبهوا بهدايته.وعدل عن إضافة صراط إلى اسم الجلالة ابتداء لقصد الإجمال الذي يعقبه التفصيل بأن يبدل منه بعد ذلك صراط الله ليتمكن بهذا الأسلوب المعنى المقصود فضل تمكن على نحو قوله: اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم [الفاتحة:٦، ٧] .وإجراء وصف اسم الجلالة باسم الموصول وصلته للإيماء إلى أن سبب استقامة الصراط الذي يهدي إليه النبيء بأنه صراط الذي يملك ما في السماوات وما في الأرض فلا يعزب عنه شيء مما يليق بعباده، فلما أرسل إليهم رسولا بكتاب لا يرتاب في أن ما أرسل لهم فيه صلاحهم.ألا إلى الله تصير الأمور.**تذييل** وتنهية للسورة بختام ما احتوت عليه من المجادلة والاحتجاج بكلام قاطع جامع منذر بوعيد للمعرضين فاجع ومبشر بالوعد لكل خاشع. وافتتحت الجملة بحرفالتنبيه لاسترعاء أسماع الناس.." (١)

"واسم الإشارة موجه إلى المركوب حينما يقول الراكب هذه المقالة من دابة أو سفينة.والتسخير: **التذييل** والتطويع. وتسخير الله الدواب هو خلقه إياها قابلة للترويض فاهمة لمراد الراكب، وتسخير الفلك حاصل بمجموع خلق البحر صالحا لسبح السفن على مائه، وخلق الرياح تهب فتدفع السفن على الماء، وخلق حيلة الإنسان لصنع الفلك، ورصد مهاب الرياح، ووضع القلوع والمجاذيف، ولولا ذلك لكانت قوة الإنسان دون أن تبلغ استخدام هذه الأشياء القوية. ولهذا عقب بقوله: وما كنا له مقرنين أي مطيقين، أي بمجرد القوة الجسدية، أي لولا التسخير المذكور، فجملة وما كنا له مقرنين في موضع الحال من ضمير لنا أي سخرها لنا في حال ضعفنا بأن كان تسخيره قائما مقام القوة.والمقرن: المطيق، يقال: أقرن، إذا أطاق، قال عمرو بن معديكرب:لقد علم القبائل ما عقيل ... لنا في النائبات بمقرنيناوختم هذا الشكر والثناء بالاعتراف بأن مرجعنا إلى الله، أي بعد الموت بالبعث للحساب والجزاء، وهذا إدماج لتلقينهم الإقرار بالبعث. وفيه تعريض بسؤال إرجاع المسافر إلى أهله فإن الذي يقدر على إرجاع الأموات إلى الحياة بعد الموت يرجى لإرجاع المسافر سالما إلى أهله.والانقلاب: الرجوع إلى المكان الذي يفارقه. والجملة معطوفة على جملة التنزيه عطف الخبر على الإنشاء. وفي هذا تعريض بتوبيخ المشركين على كفران نعمة الله بالإشراك وبنسبة العجز عن الإحياء بعد الموت لأن المعنى: وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون لتشكروا بالقلب واللسان فلم تفعلوا، ولملاحظة هذا المعنى أكد الخبر. وفيه تعريض بالمؤمنين بأن يقولوا هذه المقالة كما شكروا لله ما سخر لهم من الفلك والأنعام.." (٢)

"البنات، لقول المشركين: إن الملائكة بنات الله من سروات الجن، أي أمهاتهم سروات الجن، أي شريفات الجن فسروات جمع سرية. وحكى القرطبي أن المبرد قال: الجزء هاهنا البنات، يقال: أجزأت المرأة، إذا ولدت أنثى. وفي «اللسان» عن الزجاج أنه قال:أنشدت بيتا في أن معنى جزء معنى الإناث ولا أدري البيت أقديم أم مصنوع، وهو:إن أجزأت حرة يوما فلا عجب ... قد تجزيء الحرة المذكار أحياناوفي «تاج العروس» : أن هذا البيت أنشده ثعلب، وفي «اللسان» أنشد أبو حنيفة:زوجتها من بنات الأوس مجزئة ... للعوسج الرطب في أبياتها زجلونسبه الماوردي في تفسيره إلى أهل اللغة. وجزم صاحب «الكشاف» بأن هذا المعنى كذب على العرب وأن البيتين مصنوعان.والجعل هنا معناه: الحكم على الشيء بوصفه

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٥٥/٢٥

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١٧٥/٢٥

حكما لا مستند له فكأنه صنع باليد والصنع باليد يطلق عليه الجعل.وجملة إن الإنسان لكفور مبين تذييل يدل على استنكار ما زعموه بأنه كفر شديد. والمراد ب الإنسان هؤلاء الناس خاصة.والمبين: الموضح كفره في أقواله الصريحة في كفر نعمة الله.[١٦، ١٧][سورة الزخرف (٤٣) : الآيات ١٦ إلى ١٧]أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين (١٦) وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم (١٧)أم للإضراب وهو هنا انتقالي لانتقال الكلام من إبطال معتقدهم بنوة الملائكة لله تعالى بما لزمه من انتقاص حقيقة الإلهية، إلى إبطاله بما يقتضيه من." (١)

"فلام ليتخذ لام التعليل تعليلا لفعل قسمنا، أي قسمنا بينهم معيشتهم، أي أسباب معيشتهم ليستعين بعضهم ببعض فيتعارفوا ويتجمعوا لأجل حاجة بعضهم إلى بعض فتتكون من ذلك القبائل والمدن.وعلى هذا يكون قوله: بعضهم بعضا عاما في كل بعض من الناس إذ ما من أحد إلا وهو مستعمل لغيره وهو مستعمل لغير آخر.ويجوز أن تكون اسما من السخرية وهي الاستهزاء. وحكاه القرطبي ولم يعين قائله وبذلك تكون اللام للعاقبة مثل فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا [القصص: ٨]وهو على هذا تعريض بالمشركين الذين استهزؤوا بالمؤمنين كقوله تعالى: فاتخذتموهم سخريا في سورة قد أفلح المؤمنون [١١٠] . وقد جاء لفظ السخري بمعنى الاستهزاء في آيات أخرى كقوله تعالى: فاتخذتموهم سخريا حتى أنسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون [المؤمنون: ١١٠] وقوله: أتخذناهم سخريا أم زاغت عنهم الأبصار [ص: ٦٣] .ولعل الذي عدل ببعض المفسرين عن تفسير آية سورة الزخرف بهذا المعنى استنكارهم أن يكون اتخاذ بعضهم لبعض مسخرة علة لفعل الله تعالى في رفعه بعضهم فوق بعض درجات، ولكن تأويل اللفظ واسع في نظائره وأشباهه. وتأويل معنى اللام ظاهر.وجملة ورحمت ربك خير مما يجمعون تذييل للرد عليهم، وفي هذا التذييل رد ثان عليهم بأن المال الذي جعلوه عماد الاصطفاء للرسالة هو أقل من رحمة الله فهي خير مما يجمعون من المال الذي جعلوه سبب التفضيل حين قالوا: لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم [الزخرف: ٣١] فإن المال شيء جمعه صاحبه لنفسه فلا يكون مثل اصطفاء الله العبد ليرسله إلى الناس.ورحمة الله: هي اصطفاؤه عبده للرسالة عنه إلى الناس، وهي التي في قوله: أهم يقسمون رحمت ربك، والمعنى: إذا كانوا غير قاسمين أقل أحوالهم فكيف يقسمون ما هو خير من أهم أمورهم." (٢)

"كما ذكرناه هنالك، فظهرتالمناسبة بين وصفهم بالعشا وبين ما في هذا الانتقال لوصفهم بالصم العمي.وعطف ومن كان في ضلال مبين فيه معنى التذييل لأنه أعم من كل من الصم والعمي باعتبار انفرادهما، وباعتبار أن الصمم والعمى لما كانا مجازين قد يكون تعلقهما بالمسموع والمبصر جزئيا في حالة خاصة فكان الوصف بالكون في الضلال المبين تنبيها على عموم الأحوال وهو مع ذلك ترشيح للاستعارة لأن اجتماع الصمم والعمى أبين ضلالا.[٤١، ٤٢][سورة الزخرف (٤٣) : الآيات ٤١ إلى ٤٢]فإما نذهبن بك فإنا منهم منتقمون (٤١) أو نرينك الذي وعدناهم فإنا عليهم مقتدرون (٤٢)تفريع على جملة أفأنت تسمع الصم [الزخرف: ٤٠] إلى آخرها المتضمنة إيماء إلى التأييس من اهتدائهم، والصريحة في تسلية النبيء صلى الله عليه وسلم من شدة الحرص في دعوتهم، فجاء هنا تحقيق وعد بالانتقام منهم، ومعناه: الوعد بإظهار

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٧٧/٢٥

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٠٢/٢٥

الدين إن كان في حياة النبيء صلى الله عليه وسلم أو بعد وفاته، ووعيدهم بالعقاب في الدنيا قبل عقاب الآخرة، فلأجل الوفاء بهذين الغرضين ذكر في هذه الجملة أمران: الانتقام منهم لا محالة، وكون ذلك واقعا في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم أو بعد وفاته. والمفرع هو فإنا منهم منتقمون وما ذكر معه، فمراد منه تحقق ذلك على كل تقدير.و (إما) كلمتان متصلتان أصلهما (إن) الشرطية و (ما) زائدة بعد (إن) ، وأدغمت نون (إن) في الميم من حرف (ما) ، وزيادة (ما) للتأكيد، ويكثر اتصال فعل الشرط بعد (إن) المزيدة بعدها (ما) بنون التوكيد زيادة في التأكيد، ويكتبونها بهمزة وميم وألف تبعا لحالة النطق بها.والذهاب به هنا مستعمل للتوفي بقرينة قوله: أو نرينك الذي وعدناهم لأن الموت مفارقة للأحياء فالإماتة كالانتقال به، أي تغييبه ولذلك يعبر عن الموت بالانتقال.والمعنى: فإما نتوفينك فإنا منهم منتقمون بعد وفاتك.." (١)

"طرو الاختلافبين أتباعه مع وجود الشريعة المانعة من مثله كأنه حدث عقب بعثة عيسى وإن كان بينه وبينها زمان طويل دبت فيه بدعتهم، واستعمال اللفظ في حقيقته ومجازه شائع لأن المدار على أن تكون قرينة المجاز مانعة من إرادة المعنى الحقيقي وحده على التحقيق. وهذا الاختلاف أجمل هنا ووقع تفصيله في آيات كثيرة تتعلق بما تلقى به اليهود دعوة عيسى، وآيات تتعلق بما أحدثه النصارى في دين عيسى من زعم بنوته من الله وإلهيته.ويجوز أن تكون من في قوله: من بينهم ابتدائية متعلقة ب (اختلف) أي نشأ الاختلاف من بينهم دون أن يدخله عليهم غيرهم، أي كان دينهم سالما فنشأ فيهم الاختلاف.وعلى هذا الوجه يختص الخلاف بأتباع عيسى عليه السلام من النصارى إذ اختلفوا فرقا وابتدعوا قضية بنوة عيسى من الله فتكون الفاء خالصة للتعقيب المجازي.وفرع على ذكر الاختلاف تهديد بوعيد للذين ظلموا بالعذاب يوم القيامة تفريع التذييل على المذيل، فالذين ظلموا يشمل جميع الذين أشركوا مع الله غيره في الإلهية إن الشرك لظلم عظيم [لقمان: ١٣] ، وهذا إطلاق الظلم غالبا في القرآن، فعلم أن الاختلاف بين الأحزاب أفضى بهم أن صار أكثرهم مشركين بقرينة ما هو معروف في الاستعمال من لزوم مناسبة التذييل للمذيل، بأن يكون التذييل يعم المذيل وغيره فيشمل عموم هذا التذييل مشركي العرب المقصودين من هذه الأمثال والعبر، ألا ترى أنه وقع في سورة مريم [٣٧] قوله فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم فجعلت الصلة فعل كفروا لأن المقصود من آية سورة مريم الذين كفروا من النصارى ولذلك أردف بقوله: لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين [مريم: ٣٨] لما أريد التخلص إلى إنذار المشركين بعد إنذار النصارى.." (٢)

"و (الأنفس) فاعل تلذ وحذف المفعول لظهوره من المقام.وقرأ نافع وابن عامر وحفص عن عاصم وأبو جعفر ما تشتهيه بهاء ضمير عائد إلى ما الموصولة وكذلك هو مرسوم في مصحف المدينة ومصحف الشام، وقرأه الباقون ما تشتهيبحذف هاء الضمير، وكذلك رسم في مصحف مكة ومصحف البصرة ومصحف الكوفة. والمروي عن عاصم قارئ الكوفة روايتان: إحداهما أخذ بها حفص والأخرى أخذ بها أبو بكر. وحذف العائد المتصل المنصوب بفعل أو وصف من صلة الموصول كثير في الكلام.وقوله: وأنتم فيها خالدون بشارة لهم بعدم انقطاع الحبرة وسعة الرزق ونيل الشهوات، وجيء

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢١٧/٢٥

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٥٠/٢٥

فيه بالجملة الاسمية الدالة على الدوام والثبات تأكيدا لحقيقة الخلود لدفع توهم أن يراد به طول المدة فحسب.وتقديم المجرور للاهتمام، وعطف على بعض ما يقال لهم مقول آخر قصد منه التنويه بالجنة وبالمؤمنين إذ أعطوها بسبب أعمالهم الصالحة، فأشير إلى الجنة باسم إشارة البعيد تعظيما لشأنها وإلا فإنها حاضرة نصب أعينهم.وجملة وتلك الجنة التي أورثتموها الآية **تذييل** للقول. واسم الإشارة مبتدأ والجنة خبره، أي تلك التي ترونها هي الجنة التي سمعتم بها ووعدتم بدخولها. وجملة التي أورثتموها بما كنتم تعملون صفة للجنة.واستعير أورثتموها لمعنى: أعطيتموها دون غيركم، بتشبيه إعطاء الله المؤمنين دون غيرهم نعيم الجنة بإعطاء الحاكم مال الميت لوارثه دون غيره من القرابة لأنه أولى به وآثر بنيله.والباء في بما كنتم تعملون للسببية وهي سببية بجعل الله ووعده، ودل قوله كنتم تعملون على أن عملهم الذي استحقوا به الجنة أمر كائن متقرر، وأن عملهم ذلك متكرر متجدد، أي غير منقطع إلى وفاتهم.." (١)

"والنكتة في العدول عن الأداة الصريحة في الامتناع هنا إيهامهم في بادىء الأمر أن فرض الولد لله محل نظر، وليتأتى أن يكون نظم الكلام موجها حتى إذا تأملوه وجدوه ينفي أن يكون لله ولد بطريق المذهب الكلامي. ويدل لهذا ما رواه في «الكشاف» أن النضر بن عبد الدار بن قصي قال: إن الملائكة بنات الله فنزل قوله تعالى: قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين. فقال النضر: ألا ترون أنه قد صدقني، فقال له الوليد بن المغيرة: ما صدقك ولكن قال: ما كان للرحمان ولد فأنا أول الموحدين من أهل مكة. وروي مجمل هذا المعنى عن السدي فكان في نظم الآية على هذا النظم إيجاز بديع، وإطماع للخصوم بما إن تأملوه استبان وجه الحق فإن أعرضوا بعد ذلك عد إعراضهم نكوصا.وتحتمل الآية وجوها أخر من المعاني. منها: أن يكون المعنى إن كان للرحمان ولد في زعمكم فأنا أول العابدين لله، أي فأنا أول المؤمنين بتكذيبكم، قاله مجاهد، أي بقرينة **تذييله** بجملة سبحان رب السماوات والأرض الآية.ومنها، أن يكون حرف إن للنفي دون الشرط، والمعنى: ما كان للرحمان ولد فتفرع عليه: أنا أول العابدين لله، أي أتنزه عن إثبات الشريك له، وهذا عن ابن عباس وقتادة وزيد بن أسلم وابنه. ومنها: تأويل العابدين أنه اسم فاعل من عبد يعبد من باب فرح، أي أنف وغضب، قاله الكسائي، وطعن فيه نفطويه بأنه إنما يقال في اسم فاعل عبد يعبد عبد وقلما يقولون: عابد والقرآن لا يأتي بالقليل من اللغة. وقرأ الجمهور ولد بفتح الواو وفتح اللام. وقرأه حمزة والكسائي ولد بضم الواو وسكون اللام جمع ولد.وجملة سبحان رب السماوات والأرض رب العرش عما يصفون، يجوز أن تكون تكملة لما أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يقوله، أي قل: إن كان للرحمن ولد على الفرض،والتقدير: مع تنزيه عن تحقق ذلك في نفس الأمر. فيكون لهذه الجملة حكم التالي في جزأي القياس الشرطي الاستثنائي.." (٢)

"وليس في ضمير يصفون التفات لأن تقدير الكلام:قل لهم إن كان للرحمن ولد.ويجوز أن تكون كلاما مستأنفا من جانب الله تعالى لإنشاء تنزيهه عما يقولون فتكون معترضة بين جملة قل إن كان للرحمن ولد وجملة وهو الذي في السماء إله [الزخرف: ٨٤] . ولهذه الجملة معنى **التذييل** لأنها نزهت الله عن جميع ما يصفونه به من نسبة الولد وغير ذلك.ووصفه

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٥/٢٥٦

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٥/٢٦٥

بربوبية أقوى الموجودات وأعمها وأعظمها، لأنه يفيد انتفاء أن يكون له ولد لانتفاء فائدة الولادة، فقد تم خلق العوالم ونظام نمائها ودوامها، وعلم من كونه خالقها أنه غير مسبوق بعدم وإلا لاحتاج إلى خالق يخلقه، واقتضى عدم السبق بعدم أنه لا يلحقه فناء فوجود الولد له يكون عبثا.[٨٣][سورة الزخرف (٤٣) : آية ٨٣]فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون (٨٣)اعتراض بتفريع عن تنزيه الله عما ينسبونه إليه من الولد والشركاء، وهذا تأييس من إجداء الحجة فيهم وأن الأولى به متاركتهم في ضلالهم إلى أن يحين يوم يلقون فيه العذاب الموعود. وهذا متحقق في أيمة الكفر الذين ماتوا عليه، وهم الذين كانوا متصدين لمحاجة النبيء صلى الله عليه وسلم ومجادلته والتشغيب عليه مثل أبي جهل وأمية بن خلف وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة والوليد بن المغيرة والنضر بن عبد الدار ممن قتلوا يوم بدر.و (اليوم) هنا محتمل ليوم بدر وليوم القيامة وكلاهما قد وعدوه، والوعد هنا بمعنى الوعيد كما دل عليه السياق.والخوض حقيقته: الدخول في لجة الماء ماشيا، ويطلق مجازا على كثرة الحديث، والأخبار والاقتصار على الاشتغال بها، وتقدم في قوله: وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم في سورة الأنعام." (١)

"مجازاة، فمن الحق الذي خلقت السماوات والأرض وما بينهما لأجله مكافأة كل عامل بما يناسب عمله ويجازيه، وتقدم عند قوله تعالى: أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق في سورة الروم [٨] .والاستدراك في قوله: ولكن أكثرهم لا يعلمون ناشىء عما أفاده نفي أن يكون خلق المخلوقات لعبا وإثبات أنه للحق لا غير من كون شأن ذلك أن لا يخفى ولكن جهل المشركين هو الذي سول لهم أن يقولوا ما نحن بمنشرين [الدخان: ٣٥] .وجملة الاستدراك تذييل، وقريب من معنى الآية قوله: وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق وإن الساعة لآتية في آخر سورة الحجر [٨٥] .[٤٠- ٤٢][سورة الدخان (٤٤) : الآيات ٤٠ إلى ٤٢]إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين (٤٠) يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا ولا هم ينصرون (٤١) إلا من رحم الله إنه هو العزيز الرحيم (٤٢)هذه الجملة تتنزل من التي قبلها منزلة النتيجة من الاستدلال ولذلك لم تعطف، والمعنى: فيوم الفصل ميقاتهم إعلاما لهم بأن يوم القضاء هو أجل الجزاء، فهذا وعيد لهم وتأكيد الخبر لرد إنكارهم.ويوم الفصل: هو يوم الحكم، لأنه يفصل فيه الحق من الباطل وهو من أسماء يوم القيامة قال تعالى: لأي يوم أجلت ليوم الفصل [المرسلات: ١٢، ١٣] .والميقات: اسم زمان التوقيت، أي التأجيل، قال تعالى: إن يوم الفصل كان ميقاتا [النبأ: ١٧] ، وتقدم عند قوله تعالى: قل هي مواقيت للناس والحج في سورة البقرة [١٨٩] وحذف متعلق الميقات لظهوره من المقام، أي ميقات جزائهم.وأضيف الميقات إلى ضمير المخبر عنهم لأنهم المقصود من هذا الوعيد وإلا فإن يوم الفصل ميقات جميع الخلق مؤمنيهم وكفارهم.والتأكيد ب أجمعين للتنصيص على الإحاطة والشمول، أي ميقات." (٢)

"لجزائهم كلهم لا يفلت منه أحد منهم تقوية في الوعيد وتأييسا من الاستثناء.ويوم لا يغني مولى بدل من يوم الفصل أو عطف بيان. وفتحة يوم لا يغني فتحة إعراب لأن يوم أضيف إلى جملة ذات فعل معرب.والمولى: القريب والحليف، وتقدم

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٦٦/٢٥

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٣١١/٢٥

عند قوله تعالى: وإني خفت الموالي من ورائي في سورة مريم [٥] . وتنكير مولى في سياق النفي لإفادة العموم، أي لا يغني أحد من الموالي كائنا من كان عن أحد من مواليه كائنا من كان.وشيئا مفعول مطلق لأن المراد شيئا من إغناء. وتنكير شيئا للتقليل وهو الغالب في تنكير لفظ شيء، كما قال تعالى: وشيء من سدر قليل [سبأ: ١٦] . ووقوعه في سياق النفي للعموم أيضا، يعني أي إغناء كان في القلة بله الإغناء الكثير. والمعنى:يوم لا تغني عنهم مواليهم، فعدل عن ذلك إلى التعميم لأنه أوسع فائدة إذ هو بمنزلة **التذييل**.والإغناء: الإفادة والنفع بالكثير أو القليل، وضميرا ولا هم ينصرون راجعان إلى ما رجع إليه ضمير أهم خير [الدخان: ٣٧] ، وهو اسم الإشارة من قوله: إن هؤلاء ليقولون [الدخان: ٣٤] . والمعنى: أنهم لا يغني عنهم أولياؤهم المظنون بهم ذلك ولا ينصرهم مقيضون آخرون ليسوا من مواليهم تأخذهم الحمية أو الغيرة أو الشفقة فينصرونهم.والنصر: الإعانة على العدو وعلى الغالب، وهو أشد الإغناء. فعطف ولا هم ينصرون على لا يغني مولى عن مولى شيئا زيادة في نفي عدم الإغناء.فمحصل المعنى أنه لا يغني موال عن مواليه بشيء من الإغناء حسب مستطاعه ولا ينصرهم ناصر شديد الاستطاعة هو أقوى منهم يدفع عنهم غلب القوي عليهم، فالله هو الغالب لا يدفعه غالب. وبني فعل ينصرون إلى المجهول ليعم نفي كل ناصر مع إيجاز العبارة.." (١)

"ووقاهم عذاب الجحيم فضلا من ربك ذلك هو الفوز العظيم (٥٧) .عطف على وزوجناهم بحور عين وهذا تذكير بنعمة السلامة مما ارتبك فيه غيرهم. وذلك مما يحمد الله عليه كما ورد أن من آداب من يرى غيره في شدة أو بأس أن يقول: الحمد لله الذي عافاني مما هو فيه. وضمير وقاهم عائد إلى ضمير المتكلم في وزوجناهم على طريقة الالتفات.وفضلا حال من المذكورات. والخطاب للنبيء صلى الله عليه وسلم.وذكر الرب إظهار في مقام الإضمار ومقتضى الظاهر أن يقال: فضلا منه أو منا.ونكتة هذا الإظهار تشريف مقام النبيء صلى الله عليه وسلم والإيماء إلى أن ذلك إكرام له لإيمانهم به.وجملة ذلك هو الفوز العظيم **تذييل**، والإشارة في ذلك هو الفوز العظيم لتعظيم الفضل ببعد المرتبة. وأتي بضمير الفصل لتخصيص الفوز بالفضل المشار إليه وهو قصر لإفادة معنى الكمال كأنه لا فوز غيره.[٥٨، ٥٩][سورة الدخان (٤٤) : الآيات ٥٨ إلى ٥٩]فإنما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون (٥٨) فارتقب إنهم مرتقبون (٥٩)الفاء للتفريع إشارة إلى أن ما بعدها متفرع عما قبلها حيث كان المذكور بعد الفاء فذلكة للسورة، أي إجمال لأغراضها بعد تفصيلها فيما مضى إحضارا لتلك الأغراض وضبطا لترتب علتها.وضمير يسرناه عائد إلى الكتاب المفهوم من المقام والمذكور في قوله." (٢)

"فجملة والذين كفروا عطف على جملة هذا هدى والمناسبة أن القرآن من جملة آيات الله وأنه مذكر بها، فالذين كفروا بآيات الله كفروا بالقرآن في عموم الآيات، وهذا واقع موقع **التذييل** لما تقدمه ابتداء من قوله: ويل لكل أفاك أثيم [الجاثية: ٧] .وجيء بالموصول وصلته لما تشعر به الصلة من أنهم حقيقون بالعقاب.واستحضروا في هذا المقام بعنوان الكفر دون عنواني الإصرار والاستكبار اللذين استحضروا بهما في قوله: ثم يصر مستكبرا [الجاثية: ٨] لأن الغرض هنا النعي عليهم إهمالهم الانتفاع بالقرآن وهو النعمة العظمى التي جاءتهم من الله فقابلوها بالكفران عوضا عن الشكر، كما جاء في قوله

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٣١٢/٢٥

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٣٢٠/٢٥

تعالى: وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون [الواقعة: ٨٢] .والرجز: أشد العذاب، قال تعالى: فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون [البقرة: ٥٩] . ويجوز أن يكون حرف من للبيان فالعذاب هو الرجز ويجوز أن يكون للتبعيض، أي عذاب مما يسمى بالرجز وهو أشده.وأليم يجوز أن يكون وصفا ل عذاب فيكون مرفوعا وكذلك قرأه الجمهور.ويجوز أن يكون وصفا ل رجز فيكون مجرورا كما قرأه ابن كثير وحفص عن عاصم.[١٢][سورة الجاثية (٤٥) : آية ١٢]الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون (١٢)استئناف ابتدائي للانتقال من التذكير بما خلق الله من العوالم وتصاريف أحوالها من حيث إنها دلالات على الوحدانية، إلى التذكير بما سخر الله للناس من المخلوقات وتصاريفها من حيث كانت منافع للناس تقتضي أن يشكروا مقدرها." (١)

"عباس «أنها نزلت لما دعته قريش إلى دين آبائه» قال البغوي: كانوا يقولون له: ارجعإلى دين آبائك فإنهم أفضل منك.وجملة إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا تعليل للنهي عن اتباع أهواء الذين لا يعلمون، ويتضمن تعليل الأمر باتباع شريعة الله فإن كونهم لا يغنون عنه من الله شيئا يستلزم أن في مخالفة ما أمر الله من اتباع شريعته ما يوقع في غضب الله وعقابه فلا يغني عنه اتباع أهوائهم من عقابه.والإغناء: جعل الغير غنيا، أي غير محتاج، فالآثم المهدد من قدير غير غني عن الذي يعاقبه ولو حماه من هو كفء لمهدده أو أقدر منه لأغناه عنه وضمن فعل الإغناء معنى الدفع فعدي ب (عن) . وانتصب شيئا على المفعول المطلق، ومن الله صفة ل شيئا ومن بمعنى بدل، أي لن يغنوا عنك بدلا من عذاب الله، أي قليلا من الإغناء البديل من عقاب الله فالكلام على حذف مضاف، وتقدم عند قوله تعالى: إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا في آل عمران [١٠] .وعطف على هذا التعليل تعليل آخر وهو وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض أي إنهم ظالمون وأنت لست من الظالمين في شيء فلا يجوز أن تتبعهم في شيء وإنما يتبعهم من هم أولياؤهم. وذيل ذلك بقوله: والله ولي المتقين وهو يفيد أن النبيء صلى الله عليه وسلم الله وليه لأن النبيء صلى الله عليه وسلم أول المتقين.[٢٠][سورة الجاثية (٤٥) : آية ٢٠]هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون (٢٠)إن كانت الإشارة إلى الكلام المتقدم وما فيه من ضرب المثل بموسى وقومه ومن تفضيل شريعة محمد على شريعة موسى عليهما الصلاة والسلام والأمر بملازمة اتباعها والتحذير من اتباع رغائب الذين لا يعلمون، فهذه الجملة بمنزلة **التذييل** لما قبلها والتهيئة لأغراضها تنبيها لما في طيها من عواصم عن الشك والباطل بمنزلة قوله تعالى بعد عدة آيات في آخر سورة الأحقاف [٣٥] (١) بلاغ وقوله في سورة الأنبياء______________(١) في المطبوعة (الفتح) وهو خطأ.." (٢)

"حسبان استواء الكافرين والمؤمنين خطر ببال السامع أن يسأل كيف واقع حال الفريقين فأجيب بأن حال محياهم هو مقياس حال مماتهم، أي حالهم في الآخرة مختلف كما هو في الدنيا مختلف، فالمؤمنون يحيون في الإقبال على ربهم ورجاء فضله، والكافرون يعيشون معرضين عن عبادة ربهم آيسين من البعث والجزاء. وهذا ليس عين الجواب ولكنه من الاكتفاء بعلة الجواب عن ذكره. والتقدير: حال الفريقين مختلف في الآخرة كما كان مختلفا في الحياة.وجملة ساء ما يحكمون**تذييل** لما

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٣٣٥/٢٥

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٣٤٩/٢٥

قبلها من إنكار حسبانهم وما اتصل بذلك الإنكار من المعاني. واعلم أن هذه الآية وإن كان موردها في تخالف حالي المشركين والمؤمنين فإن نوط الحكم فيها بصلة الذين اجترحوا السيئاتيجعل منها إيماء إلى تفاوت حالي المسيئين والمحسنين من أهل الإيمان وإن لم يحسب أحد من المؤمنين ذلك وعن تميم الداري أنه بات ليلة يقرأ هذه الآية ويركع ويسجد ويبكي إلى الصباح. وروي مثل ذلك عن الربيع بن خيثم وعن الفضيل بن عياض: أنه كان كثيرا ما يردد من أول الليل هذه الآية ثم يقول: ليت شعري من أي الفريقين أنت. يخاطب نفسه فكانت هذه الآية تسمى مبكاة العابدين.والمحيا والممات: مصدران ميميان أو اسما زمان، أي حياتهم وموتهم، وهو على كلا الاعتبارين بتقدير مضاف، أي حالة محياهم وحالات مماتهم.[٢٢][سورة الجاثية (٤٥) : آية ٢٢]وخلق الله السماوات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون (٢٢)الجملة معترضة والواو اعتراضية وهو اعتراض بين الكلام المتقدم وبين ما فرع عليه من قوله: أفرأيت من اتخذ إلهه هواه [الجاثية: ٢٣] هو كالدليل على انتفاء أن يكون الذين اجترحوا السيئات الذين هم في بحبوحة عيش مدة حياتهم أن يكونوا في نعيم بعد مماتهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات مدة حياتهم فكان جزاؤهم النعيم بعد." (١)

"[٢٧- ٢٩][سورة الجاثية (٤٥) : الآيات ٢٧ الى ٢٩]ولله ملك السماوات والأرض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون (٢٧) وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون (٢٨) هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون (٢٩)ولله ملك السماوات والأرض.اعتراض تذييل لقوله: قل الله يحييكم ثم يميتكم [الجاثية: ٢٦] أي لله لا لغيره ملك السماوات والأرض، أي فهو المتصرف في أحوال ما حوته السماوات والأرض من إحياء وإماتة، وغير ذلك بما أوجد من أصولها وما قدر من أسبابها ووسائلها فليس للدهر تصرف ولا لما سوى الله تعالى. وتقديم المجرور على المسند إليه لإفادة التخصيص لرد معتقدهم من خروج تصرف غيره في بعض ما في السماوات والأرض كقولهم في الدهر.ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون (٢٧) وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون (٢٨) هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون (٢٩) .لما جرى ذكر يوم القيامة أعقب بإنذار الذين أنكروه من سوء عاقبتهم فيه.والمبطلون: الآتون بالباطل في معتقداتهم وأقوالهم وأعمالهم إذ الباطل ما ضاد الحق. والمقصود منه ابتداء هنا هو الشرك بالله فإنه أعظم الباطل ثم تجيء درجات الباطل متنازلة وما من درجة منها إلا وهي خسارة على فاعلها بقدر فعلته وقد أنذر الله الناس وهو العليم بمقادير تلك الخسارة.ويوم تقوم الساعة ظرف متعلق ب يخسر، وقدم عليه للاهتمام به واسترعاء الأسماع لما يرد من وصف أحواله.ويومئذ توكيد ل يوم تقوم الساعة وتنوينه عوض عن المضاف إليه المحذوف لدلالة ما أضيف إليه يوم عليه، أي يوم إذ تقوم الساعة يخسر المبطلون فالتأكيد بتحقيقمضمون الخبر ولتهويل ذلك اليوم.." (٢)

"الكتب على الرسل، وآمن برسالتي كيف يكون انحطاطكم عن درجته، وقد جاءكم كتاب فأعرضتم عنه، فهذا كقوله: أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم [الأنعام: ١٥٧] ، وهذا تحريك للهمم. ونظير هذه الآية آية

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٣٥٥/٢٥

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٣٦٦/٢٥

سورة فصلت [٥٢] قل أرأيتم إن كان من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو في شقاق بعيد سوى أن هذه أقحم فيها قوله: وشهد شاهد من بني إسرائيل فإن المشركين كانت لهم مخالطة مع بعض اليهود في مكة ولهم صلة بكثير منهم في التجارة بالمدينة وخيبر فلما ظهرت دعوة النبيء صلى الله عليه وسلم كانوا يسألون من لقوه من اليهود عن أمر الأديان والرسل فكان اليهود لا محالة يخبرون المشركين ببعض الأخبار عن رسالة موسى وكتابه وكيف أظهره الله على فرعون. فاليهود وإن كانوا لا يقرونبرسالة محمد صلى الله عليه وسلم فهم يتحدثون عن رسالة موسى عليه السلام بما هو مماثل لحال النبيء صلى الله عليه وسلم مع قومه وفيه ما يكفي لدفع إنكارهم رسالته.فالاستفهام في أرأيتم تقريري للتوبيخ ومفعولا أرأيتم محذوفان. والتقدير:أرأيتم أنفسكم ظالمين. والضمير المستتر في إن كان عائد إلى القرآن المعلوم من السياق أو إلى ما يوحى إلي في قوله آنفا إن أتبع إلا ما يوحى إلي [الأحقاف: ٩] . وجملة وكفرتم به في موضع الحال من ضمير أرأيتم. ويجوز أن يكون عطفا على فعل الشرط. وكذلك جملة وشهد شاهد من بني إسرائيل لأن مضمون كلتا الجملتين واقع فلا يدخل في حيز الشرط، وجواب الشرط محذوف دل عليه سياق الجدل. والتقدير:أفترون أنفسكم في ضلال.وجملة إن الله لا يهدي القوم الظالمين **تذييل** لجملة جواب الشرط المقدرة وهي تعليل أيضا. والمعنى: أتظنون إن تبين أن القرآن وحي من الله وقد كفرتم بذلك فشهد شاهد على حقية ذلك توقنوا أن الله لم يهدكم لأنكم ظالمون وأن الله لا يهدي الظالمين.وضميرا كان ومثله عائدان إلى القرآن الذي سبق ذكره مرات من قوله:تنزيل الكتاب من الله [الأحقاف: ٢] وقوله: ائتوني بكتاب من قبل هذا [الأحقاف: ٤] .." (١)

"المراد بالإنسان من قوله: ووصينا الإنسان [الأحقاف: ١٥] غير معين بل المراد الجنس المستعمل في الاستغراق كما قدمناه. والجملة مستأنفة استئنافا بيانيا لأن ما قبلها من الوصف والحث يحدث ترقب السامع لمعرفة فائدة ذلك فكان قوله: أولئك الذين يتقبل عنهم إلى آخره جوابا لترقية.وعموم أحسن ما عملوا يكسب الجملة فائدة **التذييل**، أي الإحسان بالوالدين والدعاء لهما وللذرية من أفضل الأعمال فهو من أحسن ما عملوا. وقد تقبل منهم كل ما هو أحسن ما عملوا. والتقبل: ترتب آثار العمل من ثواب على العمل واستجابة للدعاء.وفي هذا إيماء إلى أن هذا الدعاء مرجو الإجابة لأن الله تولى تلقينه مثل الدعاء الذي في سورة الفاتحة ودعاء آخر سورة البقرة.وعدي فعل يتقبل بحرف (عن) ، وحقه أن يعدى بحرف (من) تغليبا لجانب المدعو لهم وهم الوالدان والذرية، لأن دعاء الولد والوالد لأولئك بمنزلة النيابة عنهم في عبادة الدعاء وإذا كان العمل بالنيابة متقبلا علم أن عمل المرء لنفسه متقبل أيضا ففي الكلام اختصار كأنه قيل: أولئك يتقبل منهم ويتقبل عن والديهم وذريتهم أحسن ما عملوا.وقرأ الجمهور يتقبل ويتجاوز بالياء التحتية مضمومة مبنيين للنائب وأحسن مرفوع على النيابة عن الفاعل ولم يذكر الفاعل لظهور أن المتقبل هو الله وقرأهما حمزة والكسائي وحفص عن عاصم وخلف بنونين مفتوحتين ونصب أحسن.وقوله: في أصحاب الجنة في موضع الحال من اسم الإشارة، أي كائنين في أصحاب الجنة حين يتقبل أحسن ما عملوا ويتجاوز عن سيئاتهم لأن أصحاب الجنة متقبلأحسن أعمالهم ويتجاوز عن سيئاتهم، وذكر

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٩/٢٦

هذا للتنويه بهم بأنهم من الفريق المشرفين كما يقال: أكرمه في أهل العلم.وانتصب وعد الصدق على الحال من التقبل والتجاوز المفهوم من معاني يتقبل ويتجاوز، فجاء الحال من المصدر المفهوم من الفعل كما أعيد." (١)

"وزعم أبو حيان أن مثله مقصور على السماع. قلت: وهو راجع إلى تنازع العاملين.وعلى هذا الرأي يكون قوله تعالى هنا ولم يعي دالا على سعة علمه تعالى بدقائق ما يقتضيه نظام السماوات والأرض ليوجدهما وافيين به. وتكون دلالته على أنه قدير على إيجادهما بدلالة الفحوى أو يكون إيكال أمر قدرته على خلقهما إلى علم المخاطبين، لأنهم لم ينكروا ذلك، وإنما قصد تنبيههم إلى ما في نظام خلقهما من الدقائق والحكم ومن جملتها لزوم الجزاء على عمل الصالحات والسيئات. وعليه أيضا تكون تعدية فعل يعي بالباء متعينة.وقرأ الجمهور بقادر بالموحدة بصيغة اسم الفاعل. وقرأه يعقوب يقدر بتحتية في أوله على أنه مضارع من القدرة، وتكون جملة يقدر في محل خبر أن.وجملة إنه على كل شيء قدير **تذييل** لجملة بلى لأن هذه تفيد القدرة على خلق السماوات والأرض وإحياء الموتى وغير ذلك من الموجودات الخارجة عن السماوات والأرض. وتأكيد الكلام بحرف (أن) لرد إنكارهم أن يمكن إحياء الله الموتى، لأنهم لما أحالوا ذلك فقد أنكروا عموم قدرته تعالى على كل شيء.ولهذه النكتة جيء في القدرة على إحياء الموتى بوصف بقادر، وفي القدرة على كل شيء بوصف قدير الذي هو أكثر دلالة على القدرة من وصف قادر.[٣٤][سورة الأحقاف (٤٦) : آية ٣٤]ويوم يعرض الذين كفروا على النار أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون (٣٤)موقع هذا الكلام أن عرض المشركين على النار من آثار الجزاء الواقع بعد البعث، فلما ذكر في الآية التي قبلها الاستدلال على إمكان البعث أعقب بها." (٢)

"فهل يهلك إلا القوم الفاسقون.فرع على جملة كأنهم يوم يرون ما يوعدون إلى من نهار، أي فلا يصيب العذاب إلا المشركين أمثالهم. والاستفهام مستعمل في النفي، ولذلك صح الاستثناء منه كقوله تعالى: ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه [البقرة: ١٣٠] .ومعنى التفريع أنه قد اتضح مما سمعت أنه لا يهلك إلا القوم الفاسقون، وذلك من قوله: قل ما كنت بدعا من الرسل [الأحقاف: ٩] ، وقوله: لتنذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين إلى قوله: ولا هم يحزنون [الأحقاف: ١٢، ١٣] ، وقوله: ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى [الأحقاف: ٢٧] الآية.والإهلاك مستعمل في معنييه الحقيقي والمجازي، فإن ما حكي فيما مضى بعضه إهلاك حقيقي مثل ما في قصة عاد، وما في قوله: ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى، وبعضه مجازي وهو سوء الحال، أي عذاب الآخرة: وذلك فيما حكي من عذاب الفاسقين.وتعريف القوم تعريف الجنس، وهو مفيد العموم، أي كل القوم الفاسقين فيعم مشركي مكة الذين عناهم القرآن فكان لهذا التفريع معنى **التذييل**.والتعبير بالمضارع في قوله: فهل يهلك على هذا الوجه لتغليب إهلاك المشركين الذي لما يقع على إهلاك الأمم الذين قبلهم. ولك أن تجعل التعريف تعريف العهد، أي القوم المتحدث عنهم في قوله: كأنهم يوم يرون ما يوعدون الآية،

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٣٥/٢٦

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٦٥/٢٦

فيكون إظهارا فيمقام الإضمار للإيماء إلى سبب إهلاكهم أنه الإشراك.والمراد بالفسق هنا الفسق عن الإيمان وهو فسق الإشراك. وأفاد الاستثناء أن غيرهم لا يهلكون هذا الهلاك، أو هم الذين آمنوا وعملوا الصالحات.." (١)

"به فجع الفرسان فوق خيولهم ... كما فجعت تحت الستور العواتقتساقط من أيديهم البيض حيرة ... وزعزع عن أجيادهن المخانقوفي هذه الآية محسن الطباق مرتين بين الذين كفروا والذين آمنوا وبين الحق والباطل. وفي بيتي الزمخشري محسن الطباق مرة واحدة بين فوق وتحت.واتباع الباطل واتباع الحق تمثيليتان لهيئتي العمل بما يأمر به أيمة الشرك أولياءهم وما يدعو إليه القرآن، أي عملوا بالباطل وعمل الآخرون بالحق.ووصف الحق بأنه من ربهم تنويه به وتشريف لهم.كذلك يضرب الله للناس أمثالهم.**تذييل** لما قبله، أي مثل ذلك التبيين للحالين يبين الله الأحوال للناس بيانا واضحا.والمعنى: قد بينا لكل فريق من الكافرين والمؤمنين حاله تفصيلا وإجمالا، وما تفضي إليه من استحقاق المعاملة بحيث لم يبق خفاء في كنه الحالين، ومثل ذلك البيان يمثل الله للناس أحوالهم كيلا تلتبس عليهم الأسباب والمسببات.ومعنى يضرب: يلقي وهذا إلقاء تبيين بقرينة السياق، وتقدم عند قوله تعالى:أن يضرب مثلا ما في سورة البقرة [٢٦] .والأمثال: جمع مثل بالتحريك وهو الحال التي تمثل صاحبها، أي تشهره للناس وتعرفهم به فلا يلتبس بنظائره. واللام للأجل، والمراد بالناس جميع الناس. وضمير أمثالهم للناس.والمعنى: كهذا التبيين يبين الله للناس أحوالهم فلا يبقوا في غفلة عن شؤون أنفسهم محجوبين عن تحقق كنههم بحجاب التعود لئلا يختلط الخبيث بالطيب، ولكي يكونوا على بصيرة في شؤونهم، وفي هذا إيماء إلى وجوب التوسم لتمييز المنافقين عن المسلمين حقا، فإن من مقاصد السورة التحذير من المنافقين.." (٢)

"»(١) .واللام في قوله: لذنبك لام التعيين بينت مفعولا ثانيا لفعل استغفر واللام في قوله وللمؤمنين لام العلة، أو بمعنى (عن) والمفعول محذوف، أي استغفر الذنوب لأجل المؤمنين، وفي الكلام حذف، تقديره: وللمؤمنين لذنوبهم.وجملة والله يعلم متقلبكم ومثواكم **تذييل** جامع لأحوال ما تقدم. فالمتقلب:مصدر بمعنى التقلب، أوثر جلبه هنا لمزاوجة قوله: ومثواكم. والتقلب: العمل المختلف ظاهرا كان كالصلاة، أو باطنا كالإيمان والنصح.والمثوى: المرجع والمثال، أي يعلم الله أحوالكم جميعا من مؤمنين وكافرين، وقدر لها جزاءها على حسب علمه بمراتبها ويعلم مصائركم وإنما أمركم ونهاكم وأمركم بالاستغفار خاصة لإجراء أحكام الأسباب على مسبباتها فلا تيأسوا ولا تهملوا.[٢٠، ٢١][سورة محمد (٤٧) : الآيات ٢٠ الى ٢١]ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت فأولى لهم (٢٠) طاعة وقول معروف فإذا عزم الأمر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم (٢١)ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت فأولى لهم (٢٠) طاعة وقول معروفقد ذكرنا أن هذه السورة أنزلت بالمدينة وقد بدت قرون نفاق المنافقين، فلما جرىفي هذه السورة وصف حال المنافقين أعقب ذلك بوصف أجلى مظاهر نفاقهم، وذلك حين يدعى المسلمون إلى الجهاد فقد يضيق الأمر بالمنافقين إذ كان تظاهرهم بالإسلام سيلجئهم إلى الخروج للقتال مع المسلمين،

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٦٩/٢٦

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٧٧/٢٦

وذلك أمر ليس بالهين لأنه تعرض لإتلافهم النفوس دون أن يرجو منه نفعا في الحياة الأبدية إذ هم لا يصدقون بها فيصبحوا في حيرة. وكان حالهم هذا مخالفا لحال الذين آمنوا الذي تمنوا أن ينزل القرآن بالدعوة إلى القتال ليلاقوا المشركين فيشفوا منهم غليلهم، فبهذه المناسبة حكي تمني المؤمنين نزول حكم القتال لأنه يلوح به تمييز حال المنافقين، ويبدو منه الفرق بين حال الفريقين وقد بين كره القتال لديهم في سورة براءة.فالمقصود من هذه الآية هو قوله: فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض الآية، وما قبله توطئة له بذكر سببه، وأفاد تقديمه____________(١) رواه مسلم وأبو داود.." (١)

"فيحصل له العلم بكل واحد منهم إذا لحن في قوله، وهم لا يخلو واحد منهم من اللحن في قوله، فمعرفة الرسول بكل واحد منهم حاصلة وإنما ترك الله تعريفه إياهم بسيماهم ووكله إلى معرفتهم بلحن قولهم إبقاء على سنة الله تعالى في نظام الخلق بقدر الإمكان لأنها سنة ناشئة عن الحكمة فلما أريد تكريم الرسول صلى الله عليه وسلم بإطلاعه على دخائل المنافقين سلك الله في ذلك مسلك الرمز.واللام في ولتعرفنهم لام القسم المحذوف.ولحن القول: الكلام المحال به إلى غير ظاهره ليفطن له من يراد أن يفهمه دون أنيفهمه غيره بأن يكون في الكلام تعريض أو تورية أو ألفاظ مصطلح عليها بين شخصين أو فرقة كالألفاظ العلمية قال القتال الكلائي:ولقد وحيت لكم لكيما تفهموا ... ولحنت لحنا ليس بالمرتابكان المنافقون يخاطبون النبيء صلى الله عليه وسلم بكلام تواضعوه فيما بينهم، وكان النبيء صلى الله عليه وسلم يأخذهم بظاهر كلامهم فنبهه الله إليه فكان بعد هذا يعرف المنافقين إذا سمع كلامهم.والله يعلم أعمالكم.تذييل، فهو لعمومه خطاب لجميع الأمة المقصود منه التعليم وهو مع ذلك كناية عن لازمه وهو الوعيد لأهل الأعمال السيئة على أعمالهم، والوعد لأهل الأعمال الصالحة على أعمالهم، وتنبيه لأهل النفاق بأن الله يوشك أن يفضح نفاقهم كما قال آنفا أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم [محمد: ٢٩] .واجتلاب المضارع في قوله: يعلم للدلالة على أن علمه بذلك مستمر.." (٢)

"الدين الدماميني في شرحه «المزج على المغني» ، وذكر في شرحه الذي بالقول المشتهر ب «الحواشي الهندية» أن تمثيل الزمخشري في «المفصل» بقوله: ها إن زيدا منطلق يقتضي جواز: ها أنا أفعل، لكن الرضي قال: لم أعثر بشاهد على وقوع ذلك.وجملة والله الغني وأنتم الفقراء تذييل للشيء قبلها فالله الغني المطلق، والغني المطلق لا يسأل الناس مالا في شيء، والمخاطبون فقراء فلا يطمع منهم البذل فتعين أن دعاءهم لينفقوا في سبيل الله دعاء بصرف أموالهم في منافعهم كما أشار إلى ذلك قوله:ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه.والتعريف باللام في الغني وفي الفقراء تعريف الجنس، وهو فيهما مؤذن بكمال الجنس في المخبر عنه، ولما وقعا خبرين وهما معرفتان أفادا الحصر، أي قصر الصفة على الموصوف، أي قصر جنس الغني على الله وقصر جنس الفقراء على المخاطبين ب أنتم وهو قصر ادعائي فيهما مرتب على دلالة أل على معنى كمال الجنس، فإن كمال الغنى لله لا محالة لعمومه ودوامه، وإن كان يثبت بعض جنس الغنى لغيره. وأما كمال الفقر للناس فبالنسبة

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٠٦/٢٦

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١٢٢/٢٦

إلى غنى الله تعالى وإن كانوا قد يغنون في بعض الأحوال لكن ذلك غنى قليل وغير دائم.وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم.عطف على قوله: وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم [محمد: ٣٦] . والتولي:الرجوع، واستعير هنا لاستبدال الإيمان بالكفر، ولذلك جعل جزاؤه استبدال قوم غيرهمكما استبدلوا دين الله بدين الشرك.والاستبدال: التبديل، فالسين والتاء للمبالغة، ومفعوله قوما أو المستبدل به محذوف دل على تقديره قوله غيركم، فعلم أن المستبدل به هو ما أضيف إليه (غير) لتعين انحصار الاستبدال في شيئين، فإذا ذكر أحدهما علم الآخر. والتقدير: يستبدل قوما بكم لأن المستعمل في فعل الاستبدال والتبديل أن يكون المفعول هو المعوض ومجرور الباء هو العوض كقوله: أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير." (١)

"أثبتت له على طريقة التخييلية. ولما كان من عواقب تلك السكينة أنها كانت سببا لزوال ما يلقيه الشيطان في نفوسهم من التأويل لوعد الله إياهم بالنصر على غير ظاهره، وحمله على النصر المعنوي لاستبعادهم أن يكون ذلك فتحا، فلما أنزل الله عليهم السكينة اطمأنت نفوسهم، فزال ما خامرها وأيقنوا أنه وعد الله وأنه واقع فانقشع عنهم ما يوشك أن يشكك بعضهم فيلتحق بالمنافقين الظانين بالله ظن السوء فإن زيادة الأدلة تؤثر رسوخ المستدل عليه في العقل وقوة التصديق. وهذا اصطلاح شائع في القرآن وجعل ذلك الازدياد كالعلة لإنزال السكينة في قلوبهم لأن الله علم أن السكينة إذ حصلت في قلوبهم رسخ إيمانهم، فعومل المعلوم حصوله من الفعل معاملة العلة وأدخل عليه حرف التعليل وهو لام- كي- وجعلت قوة الإيمان بمنزلة إيمان آخر دخل على الإيمان الأسبق لأن الواحد من أفراد الجنس إذا انضمإلى أفراد أخر زادها قوة فلذلك علق بالإيمان ظرف مع في قوله: مع إيمانهم فكان في ذلك الحادث خير عظيم لهم كما كان فيه خير للنبيء صلى الله عليه وسلم بأن كان سببا لتشريفه بالمغفرة العامة ولإتمام النعمة عليه ولهدايته صراطا مستقيما ولنصره نصرا عزيزا، فأعظم به حدثا أعقب هذا الخير للرسول صلى الله عليه وسلم ولأصحابه.ولله جنود السماوات والأرض وكان الله عليما حكيما.تذييل للكلام السابق لأنه أفاد أن لا عجب في أن يفتح الله لك فتحا عظيما وينصرك على أقوام كثيرين أشداء نصرا صحبه إنزال السكينة في قلوب المؤمنين بعد أن خامرهم الفشل وانكسار الخواطر، فالله من يملك جميع وسائل النصر وله القوة القاهرة في السماوات والأرض وما هذا نصر إلا بعض مما لله من القوة والقهر.والواو اعتراضية وجملة التذييل معترضة بين جملة ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم وبين متعلقها وهو ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات [الفتح: ٥] الآية.وأطلق على أسباب النصر الجنود تشبيها لأسباب النصر بالجنود التي تقاتل وتنتصر.." (٢)

"وفي تعقيب جملة هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين بجملة التذييل إشارة إلى أن المؤمنين من جنود الله وأن إنزال السكينة في قلوبهم تشديد لعزائمهم فتخصيصهم بالذكر قبل هذا العموم وبعده تنويه بشأنهم، ويومىء إلى ذلك قوله بعد ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات الآية.فمن جنود السماوات: الملائكة الذين أنزلوا يوم بدر، والريح التي أرسلت على العدو يوم الأحزاب، والمطر الذي أنزل يوم بدر فثبت الله به أقدام المسلمين. ومن جنود الأرض جيوش المؤمنين وعديد

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٣٨/٢٦

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١٥٠/٢٦

القبائل الذين جاءوا مؤمنين مقاتلين مع النبيء صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة مثل بني سليم، ووفود القبائل الذين جاءوا مؤمنين طائعين دون قتال في سنة الوفود.والجنود: جمع جند، والجند اسم لجماعة المقاتلين لا واحد له من لفظه وجمعه باعتبار تعدد الجماعات لأن الجيش يتألف من جنود: مقدمة وميمنة وميسرة وقلب وساقة.وتقديم المسند على المسند إليه في ولله جنود السماوات والأرض لإفادة الحصر، وهو حصر ادعائي إذ لا اعتداد بما يجمعه الملوك والفاتحون من الجنود لغلبة العدو بالنسبة لما لله من الغلبة لأعدائه والنصر لأوليائه. وجملة وكان الله عليما حكيما **تذييل** لما قبله من الفتح والنصر وإنزال السكينة في قلوب المؤمنين.والمعنى: أنه عليم بأسباب الفتح والنصر وعليم بما تطمئن به قلوب المؤمنين بعد البلبلة وأنه حكيم يضع مقتضيات علمه في مواضعها المناسبة وأوقاتها الملائمة.[٥][سورة الفتح (٤٨) : آية ٥]ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزا عظيما (٥)اللام للتعليل متعلقة بفعل ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم [الفتح: ٤] فما بعد اللام علة لعلة إنزال السكينة فتكون علة لإنزال السكينة أيضا بواسطة أنه علة العلة.." (١)

"وكرر وصف من الأعراب هنا ليظهر أن هذه المقالة قصد بها الذين نزل فيهم قوله: سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا [الفتح: ١١] فلا يتوهم السامعون أن المعني بالمخلفين كل من يقع منه التخلف.وأسند ستدعون إلى المجهول لأن الغرض الأمر بامتثال الداعي وهو ولي أمر المسلمين بقرينة قوله بعد في **تذييله** ومن يطع الله ورسوله [الفتح: ١٧] ودعوة خلفاء الرسول صلى الله عليه وسلم من بعده ترجع إلى دعوة الله ورسولهلقوله: (ومن أطاع أمري فقد أطاعني). وعدي فعل ستدعون بحرف إلى لإفادة أنها مضمنة معنى المشي، وهذا فرق دقيق بين تعدية فعل الدعوة بحرف إلى وبين تعديته باللام نحو قولك: دعوت فلانا لما نابني، قال طرفة:وإن أدع للجلى أكن من حماتها وقد يتعاقب الاستعمالان بضرب من المجاز والتسامح.والقوم أولو البأس الشديد يتعين أنهم قوم من العرب لأن قوله تعالى: تقاتلونهم أو يسلمون يشعر بأن القتال لا يرفع عنهم إلا إذا أسلموا، وإنما يكون هذا حكما في قتال مشركي العرب إذ لا تقبل منهم الجزية. فيجوز أن يكون المراد هوازن وثقيف. وهذا مروي عن سعيد بن جبير، وعكرمة وقتادة، وذلك غزوة حنين وهي بعد غزوة خيبر، وأما فتح مكة فلم يكن فيه قتال. وعن الزهري ومقاتل: أنهم أهل الردة لأنهم من قبائل العرب المعروفة بالبأس، وكان ذلك صدر خلافة أبي بكر الصديق. وعن رافع بن خديج أنه قال:والله لقد كنا نقرأ هذه الآية ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد فلا نعلم من هم حتىدعانا أبو بكر إلى قتال بني حنيفة فعلمنا أنهم هم، وعن ابن عباس وعطاء بن أبي رباح، وعطاء الخراساني، والحسن هم فارس والروم.وجملة تقاتلونهم أو يسلمون إما حال من ضمير ستدعون، وإما بدل اشتمال من مضمون تدعون.." (٢)

"و (أو) للترديد بين الأمرين والتنويع في حالة تدعون، أي تدعون إلى قتالهم وإسلامهم، وذلك يستلزم الإمعان في مقاتلتهم والاستمرار فيها ما لم يسلموا، فبذلك كان أو يسلمون حالا معطوفا على جملة تقاتلونهم وهو حال من ضمير

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٥١/٢٦

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١٧١/٢٦

تدعون.وقوله: وإن تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا أليما تعبير بالتوالي الذي مضى، وتحذير من ارتكاب مثله في مثل هذه الدعوة بأنه تول يوقع في الإثم لأنه تول عن دعوة إلى واجب وهو القتال للجهاد. فالتشبيه في قوله: كما توليتم من قبل تشبيه في مطلق التولي لقصد التشويه وليس تشبيها فيما يترتب على ذلك التولي.[١٧][سورة الفتح (٤٨) : آية ١٧]ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار ومن يتول يعذبه عذابا أليما (١٧)جملة معترضة بين جملة وإن تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا أليما [الفتح:١٦] وبين جملة ومن يطع الله ورسوله الآية قصد منها نفي الوعيد عن أصحاب الضرارة تنصيصا على العذر للعناية بحكم التولي والتحذير منه.وجملة من يطع الله إلخ **تذييل** لجملة فإن تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا [الفتح:١٦] الآية لما تضمنته من إيتاء الأجر لكل مطيع من المخاطبين وغيرهم، والتعذيب لكل متول كذلك، مع ما في جملة ومن يطع الله من بيان أن الأجر هو إدخال الجنات، وهو يفيد بطريق المقابلة أن التعذيب الأليم بإدخالهم جهنم. وقرأ نافع وابن عامر ندخله ونعذبه بنون العظمة على الالتفات من الغيبة إلى التكلم. وقرأ الجمهور يدخله بالياء التحتية جريا على أسلوب الغيبة بعود الضمير إلى اسم الجلالة.." (١)

"لهم وشكرهم على حبهم نصر النبيء صلى الله عليه وسلم بالفعل ولذلك رتب عليه قوله: فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا.والسكينة هنا هي: الطمأنينة والثقة بتحقيق ما وعدهم الله من الفتح والارتياض على ترقبه دون حسرة فترتب على علمه ما في قلوبهم إنزاله السكينة عليهم، أي على قلوبهم فعبر بضميرهم عوضا عن ضمير قلوبهم لأن قلوبهم هي نفوسهم.وعطف أثابهم على فعل رضي الله. ومعنى أثابهم: أعطاهم ثوابا، أي عوضا، كما يقال في هبة الثواب، أي عوضهم عن المبايعة بفتح قريب. والمراد: أنه وعدهم بثواب هو فتح قريب ومغانم كثيرة، ففعل أثابهم مستعمل في المستقبل. وهذا الفتح هو فتح خيبر فإنه كان خاصا بأهل الحديبية وكان قريبا من يوم البيعة بنحو شهر ونصف.والمغانم الكثيرة المذكورة هنا هي: مغانم أرض خيبر والأنعام والمتاع والحوائط فوصفت ب كثيرة لتعدد أنواعها وهي أول المغانم التي كانت فيها الحوائط.وفائدة وصف المغانم بجملة يأخذونها تحقيق حصول فائدة هذا الوعد لجميع أهل البيعة قبل أن يقع بالفعل ففيه زيادة تحقيق لكون الفتح قريبا وبشارة لهم بأنهم لا يهلك منهم أحد قبل رؤية هذا الفتح.وجملة وكان الله عزيزا حكيما معترضة، وهي مفيدة **تذييل** لجملة وأثابهم فتحا قريبا ومغانم كثيرة يأخذونها لأن تيسير الفتح لهم وما حصل لهم فيه من المغانم الكثيرة من أثر عزة الله التي لا يتعاصى عليها شيء صعب، ومن أثر حكمته في ترتيب المسببات على أسبابها في حالة ليظن الرائي أنها لا تيسر فيها أمثالها.[٢٠][سورة الفتح (٤٨) : آية ٢٠]وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه وكف أيدي الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطا مستقيما (٢٠)وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذههذه الجملة مستأنفة استئنافا بيانيا نشأ عن قوله: وأثابهم فتحا قريبا ومغانم كثيرة يأخذونها [الفتح: ١٨، ١٩] إذ علم أنه فتح خيبر، فحق لهم ولغيرهم أن يخطر ببالهم أن." (٢)

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٧٢/٢٦

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١٧٦/٢٦

"ولهذا أوثرت مادة الظفر في قوله: من بعد أن أظفركم عليهم دون أن يقال: من بعد أن نصركم عليهم، لأن الظفر هو الفوز بالمطلوب فلا يقتضي وجود قتال فالظفر أعم من النصر، أي من بعد أن أنالكم ما فيه نفعكم وهو هدنة الصلح وأن تعودوا إلى العمرة في العام القابل.ومناسبة تعريف ذلك المكان بهذه الإضافة الإشارة إلى أن جمع المشركين نزلوا من أرض الحرم المكي إذ نزلوا من جبل التنعيم وهو من الحرم وكانوا أنصارا لأهل مكة.ويتعلق قوله: من بعد أن أظفركم عليهم بفعل كف باعتبار تعديته إلى المعطوف على مفعوله، أعني: وأيديكم عنهم لأنه هو الكف الذي حصل بعد ظفر المسلمين بفئة المشركين على حسب تلك الرواية والقرينة ظاهرة من قوله: من بعد أن أظفركم عليهم. وهذا إشارة إلى أن كف أيدي بعضهم عن بعض كان للمسلمين إذا منوا على العدو بعد التمكن منه. فعدي أظفركم ب (على) لتضمينه معنى أيدكم وإلا فحقه أن يعدى بالباء.وجملة وكان الله بما تعملون بصيرا **تذييل** للتي قبلها، والبصير بمعنى العليم بالمرئيات، أي عليما بعملكم حين أحطتم بهم وسقتموهم إلى النبيء صلى الله عليه وسلم تظنون أنكم قاتلوهم أو آسروهم.وقرأ الجمهور تعملون بتاء الخطاب. وقرأه أبو عمرو وحده بياء الغيبة، أي عليما بما يعملون من انحدارهم على غرة منكم طامعين أن يتمكنوا من أن يغلبوكم وفي كلتا القراءتين اكتفاء، أي كان الله بما تعملون ويعملون بصيرا، أو بما يعملون وتعملون بصيرا، لأن قوله: كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم يفيد عملا لكل فريق، أي علم نواياكم فكفها لحكمة استبقاء قوتكم وحسن سمعتكم بين قبائل العرب وأن لا يجد المشركون ذريعة إلى التظلم منكم بالباطل." (١)

"وجيء بفعل كانوا لدلالتها على أن هذه الأحقية راسخة فيهم حاصلة في الزمن الماضي، أي في قدر الله تعالى.والمعنى: أن نفوس المؤمنين كانت متهيئة لقبول كلمة التقوى والتزامها بما أرشدها الله إليه. والمفضل عليه مقدر دل عليه ما تقدم، أي أحق بها من الذين كفروا والذين جعل الله في قلوبهم الحمية لأن الله قدر لهم الاستعداد للإيمان دون الذين أصروا على الكفر.وأهل الشيء مستحقه، والمعنى أنهم كانوا أهل كلمة التقوى لأنها تناسب ضمائرهم وما انطوت عليه قلوبهم. وهذه الأهلية مثل الأحقية متفاوتة في الناس وكلما اهتدى أحد من المشركين إلى الإسلام دل اهتداؤه على أنه حصلت له هذه الأهلية للإسلام.وجملة وكان الله بكل شيء عليما **تذييل**، أي وسبق في علم الله ذلك في عموم ما أحاط به علم الله من الأشياء مجرى تكوينه على نحو علمه.[٢٧][سورة الفتح (٤٨) : آية ٢٧]لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا (٢٧)استئناف بياني ناشيء عن قوله: فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين [الفتح: ٢٦] ودحض ما خامر نفوس فريق من الفشل أو الشك أو التحير وتبيين ما أنعم الله به على أهل بيعة الرضوان من ثواب الدنيا والآخرة إلى كشف شبهة عرضت للقوم في رؤيا رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم. ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رؤيا قبل خروجه إلى الحديبية، أو وهوفي الحديبية: كأنه وأصحابه قد دخلوا مكة آمنين وحلقوا وقصروا. هكذا كانت الرؤيا مجملة ليس فيها وقوع حج ولا عمرة، والحلاق والتقصير مناسب لكليهما.." (٢)

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٨٦/٢٦

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١٩٧/٢٦

"وانتصب فضلا من الله ونعمة على المفعول المطلق المبين للنوع من أفعال حبب وزين وكره لأن ذلك التحبيب والتزيين والتكريه من نوع الفضل والنعمة.وجملة والله عليم حكيم **تذييل** لجملة واعلموا أن فيكم رسول الله إلى آخرها إشارة إلى أن ما ذكر فيها من آثار علم الله وحكمته.. والواو اعتراضية.[٩][سورة الحجرات (٤٩) : آية ٩]وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين (٩)لما جرى قوله: أن تصيبوا قوما بجهالة [الحجرات: ٦] الآية كان مما يصدق عليه إصابة قوم أن تقع الإصابة بين طائفتين من المؤمنين لأن من الأخبار الكاذبة أخبار النميمة بين القبائل وخطرها أكبر مما يجري بين الأفراد والتبين فيها أعسر، وقد لا يحصل التبين إلا بعد أن تستعر نار الفتنة ولا تجدي الندامة. وفي «الصحيحين» عن أنس بن مالك: أن الآية نزلت في قصة مرور رسول الله صلى الله عليه وسلم على مجلس فيه عبد الله بن أبي بن سلول ورسول الله صلى الله عليه وسلم على حمار فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وبال الحمار، فقال عبد الله بن أبي: خل سبيل حمارك فقد آذانا نتنه. فقال له عبد الله بن رواحة: والله إن بول حماره لأطيب من مسكك فاستبا وتجالدا وجاء قوماهما الأوس والخزرج، فتجالدوا بالنعال والسعف فرجع إليهمرسول الله فأصلح بينهم ... فنزلت هذه الآية. وفي «الصحيحين» عن أسامة بن زيد:وليس فيه أن الآية نزلت في تلك الحادثة.ويناكد هذا أن تلك الوقعة كانت في أول أيام قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة. وهذه السورة نزلت سنة تسع من الهجرة وأن أنس بن مالك لم يجزم بنزولها في ذلك لقوله:فبلغنا أن نزلت فيهم وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما. اللهم أن تكون هذه الآية ألحقت بهذه السورة بعد نزول الآية بمدة طويلة.." (١)

"وجعل الفيء إلى أمر الله غاية للمقاتلة، أي يستمر قتال الطائفة الباغية إلى غاية رجوعها إلى أمر الله، وأمر الله هو ما في الشريعة من العدل والكف عن الظلم، أي حتى تقلع عن بغيها، وأتبع مفهوم الغاية ببيان ما تعامل به الطائفتان بعد أن تفي الباغية بقوله:فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل، والباء للملابسة والمجرور حال من ضمير فأصلحوا.والعدل: هو ما يقع التصالح عليه بالتراضي والإنصاف وأن لا يضر بإحدى الطائفتين فإن المتالف التي تلحق كلتا الطائفتين قد تتفاوت تفاوتا شديدا فتجب مراعاة التعديل.وقيد الإصلاح المأمور به ثانيا بقيد أن تفيء الباغية بقيد بالعدل ولم يقيد الإصلاح المأمور به، وهذا القيد يقيد به أيضا الإصلاح المأمور به أولا لأن القيد من شأنه أن يعود إليه لاتحاد سبب المطلق والمقيد، أي يجب العدل في صورة الإصلاح فلا يضيعوا بصورة الصلح منافع عن كلا الفريقين إلا بقدر ما تقتضيه حقيقة الصلح من نزول عن بعض الحق بالمعروف.ثم أمر المسلمين بالعدل بقوله: وأقسطوا أمرا عاما **تذييلا** للأمر بالعدل الخاص في الصلح بين الفريقين، فشمل ذلك هذا الأمر العام أن يعدلوا في صورة ما إذا قاتلوا التي تبغي، ثم قال: فإن فاءت فأصلحوا بينهما. وهذا إصلاح ثان بعد الإصلاح المأمور به ابتداء. ومعناه: أن الفئة التي خضعت للقوة وألقت السلاح تكون مكسورة الخاطر شاعرة بانتصار الفئة الأخرى عليها فأوجب على المسلمين أن يصلحوا بينهما بترغيبهما في إزالة الإحن والرجوع إلى أخوة الإسلام لئلا يعود التنكر بينهما.قال أبو بكر بن العربي: ومن العدل في صلحهم أن لا يطالبوا بما جرى بينهم مدة

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٣٨/٢٦

القتال من دم ولا مال فإنه تلف على تأويل وفي طلبهم به تنفير لهم عن الصلح واستشراء في البغي وهذا أصل في المصلحة اهـ. ثم قال: لا ضمان عليهم في نفس ولا مال عندنا المالكية. وقال أبو حنيفة يضمنون. وللشافعي فيه قولان. فأما ما كان قائما رد بعينه وانظر هل ينطبق." (١)

"قوله:فأصلحوا بينهما، وقوله: فأصلحوا بينهما بالعدل [الحجرات: ٩] قد أردف بالتعليل فحصل تقريره، ثم عقب بالتفريع فزاده تقريرا.وقد حصل من هذا النظم ما يشبه الدعوى وهي كمطلوب القياس، ثم ما يشبه الاستدلال بالقياس، ثم ما يشبه النتيجة.ولما تقرر معنى الأخوة بين المؤمنين كمال التقرر عدل عن أن يقول: فأصلحوا بين الطائفتين، إلى قوله: بين أخويكم فهو وصف جديد نشأ عن قوله: إنما المؤمنون إخوة، فتعين إطلاقه على الطائفتين فليس هذا من وضع الظاهر موضع الضمير فتأمل.وأوثرت صيغة التثنية في قوله: أخويكم مراعاة لكون الكلام جار على طائفتين من المؤمنين فجعلت كل طائفة كالأخ للأخرى. وقرأ الجمهور بين أخويكم بلفظ تثنية الأخ، أي بين الطائفة والأخرى مراعاة لجريان الحديث على اقتتال طائفتين. وقرأ الجمهور بين أخويكم بلفظ تثنية الأخ على تشبيه كل طائفة بأخ. وقرأ يعقوب فأصلحوا بين إخوتكم بتاء فوقية بعد الواو على أنه جمع أخ باعتبار كل فرد من الطائفتين كالأخ.والمخاطب بقوله: واتقوا الله لعلكم ترحمون جميع المؤمنين فيشمل الطائفتين الباغية والمبغي عليها، ويشمل غيرهما ممن أمروا بالإصلاح بينما ومقاتلة الباغية، فتقوى كل بالوقوف عند ما أمر الله به كلا مما يخصه، وهذا يشبه **التذييل**. ومعنى لعلكم ترحمون: ترجى لكم الرحمة من الله فتجري أحوالكم على استقامة وصلاح. وإنما اختيرت الرحمة لأن الأمر بالتقوى واقع إثر تقرير حقيقة الأخوة بين المؤمنين وشأن تعامل الإخوة الرحمة فيكون الجزاء عليها من جنسها." (٢)

"وهو ما يدل على سوء ورواية الرفع أرجح وهي التي يقتضيها استشهاد سيبويه ببيت بعده في باب ظن. ولعل ما وقع في «ديوان الحماسة» من تغييرات أبي تمام التي نسب إليه بعضها في بعض أبيات الحماسة لأنه رأى النصب أصح معنى.فالمراد بالألقاب في الآية الألقاب المكروهة بقرينة ولا تنابزوا. واللقب ما أشعر بخسة أو شرف سواء كان ملقبا به صاحبه أم اخترعه له النابز له.وقد خصص النهي في الآية بالألقاب التي لم يتقادم عهدها حتى صارت كالأسماء لأصحابها وتنوسي منها قصد الذم والسب خص بما وقع في كثير من الأحاديثكقول النبيء صلى الله عليه وسلم: «أصدق ذو اليدين»،وقوله لأبي هريرة «يا أبا هر»، ولقب شاول ملك إسرائيل في القرآن طالوت، وقول المحدثين الأعرج لعبد الرحمن بن هرمز، والأعمش لسليمان من مهران.وإنما قال ولا تلمزوا بصيغة الفعل الواقع من جانب واحد وقال: ولا تنابزوا بصيغة الفعل الواقع من جانبين، لأن اللمز قليل الحصول فهو كثير في الجاهلية في قبائل كثيرة منهم بنو سلمة بالمدينة قاله ابن عطية.بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون.**تذييل** للمنهيات المتقدمة وهو تعريض قوي بأن ما نهوا عنه فسوق وظلم، إذ لا مناسبة بين مدلول هذه الجملة وبين الجمل التي قبلها لولا معنى التعريض بأن ذلك فسوق وذلك مذموم ومعاقب عليه فدل قوله: بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان، على أن ما نهوا عنه مذموم لأنه فسوق يعاقب

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٤٢/٢٦

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٤٥/٢٦

عليه ولا تزيله إلا التوبة فوقع إيجاز بحذف جملتين في الكلام اكتفاء بما دل عليه **التذييل**، وهذا دال على اللمز والتنابز معصيتان لأنهما فسوق.وفي الحديث «سباب المسلم فسوق». ولفظ الاسم هنا مطلق على الذكر، أي التسمية، كما يقال: طار اسمه." (١)

"وعن الطبري صاحب «العدة» في فروع الشافعية أنها صغيرة، قال المحلي وأقره الرافعي ومن تبعه. قلت: وذكر السجلماسي في نظمه في المسائل التي جرى بها عمل القضاة في فاس فقال:ولا تجرح شاهدا بالغيبه ... لأنها عمت بها المصيبهوذكر في شرحه: أن القضاة عملوا بكلام الغزالي.وأما عموم البلوى فلا يوجب اغتفار ما عمت به إلا عند الضرورة والتعذر كما ذكر ذلك عن أبي محمد بن أبي زيد.وعندي: أن ضابط ذلك أن يكثر في الناس كثرة بحيث يصير غير دال على استخفاف بالوازع الديني فحينئذ يفارقها معنى ضعف الديانة الذي جعله الشافعية جزءا من ماهية الغيبة.واتقوا الله إن الله تواب رحيم.عطف على جمل الطلب السابقة ابتداء من قوله: اجتنبوا كثيرا من الظن هذا **كالتذييل** لها إذ أمر بالتقوى وهي جماع الاجتناب والامتثال فمن كان سالما من التلبس بتلك المنهيات فالأمر بالتقوى يجنبه التلبس بشيء منها في المستقبل، ومن كان متلبسا بها أو ببعضها فالأمر بالتقوى يجمع الأمر بالكف عما هو متلبس به منها.وجملة إن الله تواب رحيم **تذييل** **للتذييل** لأن التقوى تكون بالتوبة بعد التلبس بالإثم فقيل: إن الله تواب وتكون التقوى ابتداء فيرحم الله المتقي، فالرحيم شامل للجميع.." (٢)

"الفصائل، وفي العائلات، وكذلك بحسب ما خلده التاريخ الصادق للأمم والأفراد فما يترك آثارا لأفرادها وخلالا في سلائلهاقال النبيء صلى الله عليه وسلم: «الناس معادن كمعادن الذهب والفضة خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا». فإن في خلق الأنباء آثارا من طباع الآباء الأدنين أو الأعلين تكون مهيئة نفوسهم للكمال أو ضده وأن للتهذيب والتربية آثارا جمة في تكميل النفوس أو تقصيرها وللعوائد والتقاليد آثارها في الرفعة والضعة وكل هذه وسائل لإعداد النفوس إلى الكمال والزكاء الحقيقي الذي تخططه التقوى.وجملة إن الله عليم خبير **تذييل**، وهو كناية عن الأمر بتزكية نواياهم في معاملاتهم وما يريدون من التقوى بأن الله يعلم ما في نفوسهم ويحاسبهم عليه.[١٤][سورة الحجرات (٤٩) : آية ١٤]قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا إن الله غفور رحيم (١٤)كان من بين الوفود التي وفدت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة تسع المسماة سنة الوفود، وفد بني أسد بن خزيمة وكانوا ينزلون بقرب المدينة، وكان قدومهم المدينة عقب قدوم وفد بني تميم الذي ذكر في أول السورة، ووفد بنو أسد في عدد كثير وفيهم ضرار بن الأزور، وطليحة بن عبد الله (الذي ادعى النبوءة بعد وفاة النبيء صلى الله عليه وسلم أيام الردة) ، وكانت هذه السنة سنة جدب ببلادهم فأسلموا وكانوا يقولون للنبيء صلى الله عليه وسلم أتتك العرب بأنفسها على ظهور رواحلها وجئناك بالأثقال والعيال والذراري ولم نقاتلك كما قاتلكمحارب خصفة وهوازن وغطفان. يفدون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويروحون بهذه المقالة ويمنون عليه ويريدون أن يصرف إليهم

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٤٩/٢٦

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٥٧/٢٦

الصدقات، فأنزل الله فيهم هذه الآيات إلى آخر السورة لوقوع القصتين قصة وفد بني تميم وقصة وفد بني أسد في أيام متقاربة، والأغراض المسكوة بالجفاء متناسبة. وقال السدي: نزلت في الأعراب المذكورين في سورة الفتح [١١] في قوله تعالى: سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا الآية.." (١)

"لك الخيران وارت بك الأرض واحدا والاستفهام في أتعلمون الله بدينكم مستعمل في التوبيخ وقد أيد التوبيخ بجملة الحال في قوله: والله يعلم ما في السماوات وما في الأرض.وفي هذا تجهيل إذ حاولوا إخفاء باطنهم عن المطلع على كل شيء.وجملة والله بكل شيء عليم **تذييل** لأن كل شيء أعم من ما في السماوات وما في الأرض فإن الله يعلم صفاته ويعلم الموجودات التي هي أعلى من السماوات كالعرش.[١٧][سورة الحجرات (٤٩) : آية ١٧]يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين (١٧)استئناف ابتدائي أريد به إبطال ما أظهره بنو أسد للنبيء صلى الله عليه وسلم من مزيتهم إذ أسلموا من دون إكراه بغزو.والمن: ذكر النعمة والإحسان ليراعيه المحسن إليه للذاكر، وهو يكون صريحا مثل قول سبرة بن عمرو الفقعسي:أتنسى دفاعي عنك إذ أنت مسلم ... وقد سال من ذل عليك قراقرويكون بالتعريض بأن يذكر المان من معاملته مع الممنون عليه ما هو نافعه مع قرينة تدل على أنه لم يرد مجرد الإخبار مثل قول الراعي مخاطبا عبد الملك بن مروان:فآزرت آل أبي خبيب وافدا ... يوما أريد لبيعتي تبديلاأبو خبيب: كنية عبد الله بن الزبير.وكانت مقالة بني أسد مشتملة على النوعين من المن لأنهم قالوا: ولم نقاتلك كما قاتلك محارب وغطفان وهوازن وقالوا: وجئناك بالأثقال والعيال.وأن أسلموا منصوب بنزع الخافض وهو باء التعدية، يقال: من عليه." (٢)

"[سورة الحجرات (٤٩) : آية ١٨]إن الله يعلم غيب السماوات والأرض والله بصير بما تعملون (١٨)ذيل تقويمهم على الحق بهذا **التذييل** ليعلموا أن الله لا يكتم، وأنه لا يكذب، لأنه يعلم كل غائبة في السماء والأرض فإنهم كانوا في الجاهلية لا تخطر ببال كثير منهم أصول الصفات الإلهية. وربما علمها بعضهم مثل زهير في قوله:فلا تكتمن الله ما في نفوسكم ... ليخفى فمهما يكتم الله يعلمولعل ذلك من آثار تنصره.وتأكيد الخبر ب أن لأنهم بحال من ينكر أن الله يعلم الغيب فكذبوا على النبيء صلى الله عليه وسلم مع علمهم أنه مرسل من الله فكان كذبهم عليه مثل الكذب على الله.وقد أفادت هذه الجملة تأكيد مضمون جملتي والله يعلم ما في السماوات وما في الأرض، والله بكل شيء عليم [الحجرات: ١٦] ولكن هذه زادت بالتصريح بأنه يعلم الأمور الغائبة لئلا يتوهم متوهم أن العمومين في الجملتين قبلها عمومان عرفيان قياسا على علم البشر.وجملة والله بصير بما تعملون معطوف على جملة إن الله يعلم غيب السماوات والأرض عطف الأخص على الأعم لأنه لما ذكر أنه يعلم الغيب وكان شأن الغائب أن لا يرى عطف عليه علمه بالمبصرات احتراسا من أن يتوهموا أن الله يعلم خفايا النفوس وما يجول في الخواطر ولا يعلم المشاهدات نظير قول كثير من الفلاسفة: إن الخالق يعلم الكليات ولا يعلم الجزئيات، ولهذا أوثر هنا وصف بصير. وقرأ الجمهور بما تعملون بتاء الخطاب، وقرأه ابن كثير بياء الغيبة.." (٣)

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٦٣/٢٦

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٦٩/٢٦

(٣) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٧١/٢٦

"الاضمحلال تدخل تحت حقيقة النقص فقد يفنى بعض أجزاء الجسد ويبقى بعضه، وقد يأتي الفناء على جميع أجزائه، على أنه إذا صح أن عجب الذنب لا يفنى كان فناء الأجساد نقصا لا انعداما.وعطف على قوله: قد علمنا ما تنقص الأرض منهم قوله: وعندنا كتاب حفيظ عطف الأعم على الأخص، وهو بمعنى **تذييل** لجملة قد علمنا ما تنقص الأرض منهم أي وعندنا علم بكل شيء علما ثابتا فتنكير كتاب للتعظيم، وهو تعظيم التعميم، أي عندنا كتاب كل شيء.وحفيظ فعيل: إما بمعنى فاعل، أي حافظ لما جعل لإحصائه من أسماء الذوات ومصائرها. وتعيين جميع الأرواح لذواتها التي كانت مودعة فيها بحيث لا يفوت واحد منها عن الملائكة الموكلين بالبعث وإعادة الأجساد وبث الأرواح فيها. وإما بمعنى مفعول، أي محفوظ ما فيه مما قد يعتري الكتب المألوفة من المحو والتغيير والزيادة والتشطيب ونحو ذلك.والكتاب: المكتوب، ويطلق على مجموع الصحائف. ثم يجوز أن يكون الكتاب حقيقة بأن جعل الله كتبا وأودعها إلى ملائكة يسجلون فيها الناس حين وفياتهم ومواضع أجسادهم ومقار أرواحهم وانتساب كل روح إلى جسدها المعين الذي كانت حالة فيه حال الحياة الدنيا صادقا بكتب عديدة لكل إنسان كتابه، وتكون مثل صحائف الأعمال الذي جاء فيه قوله تعالى: إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد [ق: ١٧، ١٨] ، وقوله: ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا [الإسراء: ١٣، ١٤] . ويجوز أن يكون مجموع قوله: وعندنا كتاب تمثيلا لعلم الله تعالى بحال علم من عنده كتاب حفيظ يعلم به جميع أعمال الناس.والعندية في قوله: وعندنا كتاب مستعارة للحياطة والحفظ من أن يتطرق إليه ما يغير ما فيه أو من يبطل ما عين له.." (١)

"لأن المعروف أن النداء من مكان قريب لا يخفى على السامعين بخلاف النداء من كان بعيد.وبالحق بمعنى: بالصدق وهو هنا الحشر، وصف بالحق إبطالا لزعم المشركين أنه اختلاق.والخروج: مغادرة الدار أو البلد، وأطلق الخروج على التجمع في المحشر لأن الحي إذا نزحوا عن أرضهم قيل: خرجوا، يقال: خرجوا بقضهم وقضيضهم.واسم الإشارة جيء به لتهويل المشار إليه وهو يوم يسمعون الصيحة بالحق فأريدكمال العناية بتمييزه لاختصاصه بهذا الخبر العظيم. ومقتضى الظاهر أن يقال: هو يوم الخروج.ويوم الخروج علم بالغلبة على يوم البعث، أي الخروج من الأرض.وجملة إنا نحن نحيي ونميت وإلينا المصير **تذييل**، أي هذا الإحياء بعد أن أمتناهم هو من شؤوننا بأنا نحييهم ونحيي غيرهم ونميتهم ونميت غيرهم.والمقصود هو قوله: ونميت، وأما قوله: نحيي فإنه لاستيفاء معنى تصرف الله في الخلق.وتقديم إلينا في إلينا المصير للاهتمام. والتعريف في المصير إما تعريف الجنس، أي كل شيء صائر إلى ما قدرناه له وأكبر ذلك هو ناموس الفناء المكتوب على جميع الأحياء وإما تعريف العهد، أي المصير المتحدث عنه، وهو الموت لأن المصير بعد الموت إلى حكم الله.وعندي أن هذه الآيات من قوله: واستمع يوم يناد المناد إلى قوله المصير مكان قريب هي مع ما تفيده من تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم مبشر بطريقة التوجيه البديعي إلى تهديد المشركين بعذاب يحل بهم في الدنيا عقب نداء يفزعهم فيلقون إثره حتفهم، وهو عذاب

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٦/٢٨٣

يوم بدر فخوطب النبيء صلى الله عليه وسلم بترقب يوم يناديهم فيه مناد إلى الخروج وهو نداء الصريخ الذي صرخ بأبي جهل ومن معه بمكة بأن عير قريش وفيها أبو سفيان قد لقيها المسلمون ببدر وكان المنادي." (١)

"ويجوز أن يكون توعدون من الوعد، أي الإخبار بشيء يقع في المستقبل مثل قوله: إن وعد الله حق [لقمان: ٣٣] فوزنه تفعلون. والمراد بالوعد الوعد بالبعث.ووصف لصادق مجاز عقلي إذ الصادق هو الموعد به على نحو فهو في عيشة راضية [الجاثية: ٢١] .والدين: الجزاء. والمراد إثبات البعث الذي أنكروه.ومعنى لواقع واقع في المستقبل بقرينة جعله مرتبا في الذكر على ما يوعدون وإنما يكون حصول الموعود به في الزمن المستقبل وفي ذكر الجزاء زيادة على الكناية به عن إثبات البعث تعريض بالوعيد على إنكار البعث.وكتب في المصاحف إنما متصلة وهو على غير قياس الرسم المصطلح عليه من بعد لأنهما كلمتان لم تصيرا كلمة واحدة، بخلاف إنما التي هي للقصر. ولم يكن الرسم في زمن كتابة المصاحف في أيام الخليفة عثمان قد بلغ تمام ضبطه.[٧- ٩][سورة الذاريات (٥١) : الآيات ٧ إلى ٩]والسماء ذات الحبك (٧) إنكم لفي قول مختلف (٨) يؤفك عنه من أفك (٩)هذا قسم أيضا لتحقيق اضطراب أقوالهم في الطعن في الدين وهو **كالتذييل** للذي قبله، لأن ما قبله خاص بإثبات الجزاء. وهذا يعم إبطال أقوالهم الضالة فالقسم لتأكيد المقسم عليه لأنهم غير شاعرين بحالهم المقسم على وقوعه، ومتهالكون على الاستزادة منه، فهم منكرون لما في أقوالهم من اختلاف واضطراب جاهلون به جهلا مركبا والجهل المركب إنكار للعلم الصحيح. والقول في القسم ب السماء كالقول في القسم ب الذاريات [الذاريات: ١] .ومناسبة هذا القسم للمقسم عليه في وصف السماء بأنها ذات حبك، أي طرائق لأن المقسم عليه: إن قولهم مختلف طرائق قددا ولذلك وصف المقسم به ليكون إيماء إلى نوع جواب القسم.." (٢)

"والمسرفون: المفرطون في العصيان، وذلك بكفرهم وشيوع الفاحشة فيهم، فالمسرفون: القوم المجرمون، عدل عن ضميرهم إلى الوصف الظاهر، لتسجيل إفراطهم في الإجرام.[٣٥- ٣٧][سورة الذاريات (٥١) : الآيات ٣٥ إلى ٣٧]فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين (٣٥) فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين (٣٦) وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم (٣٧)هذه الجملة ليست من حكاية كلام الملائكة بل هي **تذييل** لقصة محاورة الملائكة مع إبراهيم، والفاء في فأخرجنا فصيحة لأنها تفصح عن كلام مقدر هو ما ذكر في سورة هود من مجيء الملائكة إلى لوط وما حدث بينه وبين قومه، فالتقدير: فحلوا بقرية لوط فأمرناهم بإخراج من كان فيها من المؤمنين فأخرجوهم. وضمير «أخرجنا» ضمير عظمة الجلالة.وإسناد الإخراج إلى الله لأنه أمر به الملائكة أن يبلغوه لوطا، ولأن الله يسر إخراج المؤمنين ونجاتهم إذ أخر نزول الحجارة إلى أن خرج المؤمنون وهم لوط وأهله إلا امرأته.وعبر عنهم ب المؤمنين للإشارة إلى أن إيمانهم هو سبب نجاتهم، أي إيمانهم بلوط. والتعبير عنه ب المسلمين لأنهم آل نبيء وإيمان الأنبياء إسلام قال تعالى:ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون [البقرة: ١٣٢] .وضمير فيها عائد إلى القرية ولم يتقدم لها ذكر لكونها معلومة من آيات أخرى كقوله: ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء [الفرقان: ٤٠] .وتفريع فما وجدنا

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٣٣١/٢٦

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٣٤٠/٢٦

تفريع خبر على خبر، وفعل وجدنا معنى علمنا لأن (وجد) من أخوات (ظن) فمفعوله الأول قوله: من المسلمين و (من) مزيدة لتأكيد النفي وقوله: فيها في محل المفعول الثاني.." (١)

"والأيد: القوة. وأصله جمع يد، ثم كثر إطلاقه حتى صار اسما للقوة، وتقدم عند قوله تعالى: واذكر عبدنا داود ذا الأيد في سورة ص [١٧] .والمعنى: بنيناها بقدرة لا يقدر أحد مثلها.وتقديم السماء على عامله للاهتمام به، ثم بسلوك طريقة الاشتغال زاده تقوية ليتعلق المفعول بفعله مرتين: مرة بنفسه، ومرة بضميره، فإن الاشتغال في قوة تكرر الجملة. وزيد تأكيده **بالتذييل** بقوله: وإنا لموسعون. والواو اعتراضية.والموسع: اسم فاعل من أوسع، إذا كان ذا وسع، أي قدرة. وتصاريفه جائية من السعة، وهي امتداد مساحة المكان ضد الضيق، واستعير معناها للوفرة في أشياء مثل الإفراد مثل عمومها في ورحمتي وسعت كل شيء [الأعراف: ١٥٦] ، ووفرة المال مثل لينفق ذو سعة من سعته [الطلاق: ٧] ، وقوله: على الموسع قدره [البقرة: ٢٣٦] ، وجاء في أسمائه تعالى الواسع إن الله واسع عليم. وهو عند إجرائه على الذات يفيد كمال صفاته الذاتية: الوجود، والحياة، والعلم، والقدرة، والحكمة، قال تعالى: إن الله واسع عليم [البقرة: ١١٥] ومنه قوله هنا: وإنا لموسعون.وأكد الخبر بحرف (إن) لتنزيل المخاطبين منزلة من ينكر سعة قدرة الله تعالى، إذ أحالوا إعادة المخلوقات بعد بلاها.[٤٨][سورة الذاريات (٥١) : آية ٤٨]والأرض فرشناها فنعم الماهدون (٤٨)القول في تقديم الأرض على عامله، وفي مجيء طريقة الاشتغال كالقول في والسماء بنيناها [الذاريات: ٤٧] . وكذلك القول في الاستدلال بذلك على إمكان البعث.من دقائق فخر الدين: أن ذكر الأمم الأربع للإشارة إلى أن الله عذبهم بما هو من أسباب وجودهم، وهو التراب والماء والهواء والنار، وهي عناصر الوجود، فأهلك قوم لوط بالحجارة وهي من طين، وأهلك قوم فرعون بالماء، وأهلك عادا بالريح وهو هواء، وأهلك ثمودا بالنار.." (٢)

"واستغنى هنا عن إعادة بأيد [الذاريات: ٤٧] لدلالة ما قبله عليه.والفرش: بسط الثوب ونحوه للجلوس والاضطجاع، وفي فرشناها استعارة تبعية، شبه تكوين الله الأرض على حالة البسط بفرش البساط ونحوه.وفي هذا الفرش دلالة على قدرة الله وحكمته إذ جعل الأرض مبسوطة لما أراد أن يجعل على سطحها أنواع الحيوان يمشي عليها ويتوسدها ويضطجع عليها ولو لم تكن كذلك لكانت محدودبة تؤلم الماشي بله المتوسد والمضطجع.ولما كان في فرشها إرادة جعلها مهدا لمن عليها من الإنسان أتبع فرشناها بتفريع ثناء الله على نفسه على إجادة تمهيدها تذكيرا بعظمته ونعمته، أي فنعم الماهدون نحن.وصيغة الجمع في قوله: الماهدون للتعظيم مثل ضمير الجمع في [...] (١) ،وروعي في وصف خلق الأرض ما يبدو للناس من سطحها لأنه الذي يهم الناس في الاستدلال على قدرة الله وفي الامتنان عليهم بما فيه لطفهم والرفق بهم، دون تعرض إلى تكويرها إذ لا يبلغون إلى إدراكه، كما روعي في ذكر السماء ما يبدو من قبة أجوائها دون بحث عن ترامي أطرافها وتعدد عوالمها لمثل ذلك. ولذلك أتبع الاعتراض **بالتذييل** بقوله:فنعم الماهدون المراد منه تلقين الناس الثناء على الله فيما صنع لهم فيها من منةليشكروه بذلك الثناء كما في قوله: الحمد لله رب العالمين [الفاتحة: ٢] .[٤٩][سورة الذاريات (٥١) : آية

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٧/٢٧

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١٦/٢٧

٤٩]ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون (٤٩)لما أشعر قوله: فرشناها فنعم الماهدون [الذاريات: ٤٨] بأن في ذلك نعمة على الموجودات التي على الأرض، أتبع ذلك بصفة خلق تلك الموجودات لما فيه من دلالة على تفرد الله تعالى بالخلق المستلزم لتفرده بالإلهية فقال: ومن كل شيء خلقنا زوجين والزوج: الذكر والأنثى. والمراد بالشيء: النوع من جنس الحيوان. وتثنية زوج هنا لأنه أريد به ما يزوج من ذكر وأنثى.ـــــــــــــــــــ(١) كلمة غير واضحة في المطبوعة.." (١)

"الانتصاف من المظلوم للظالم بالأخذ من حسناته وإعطائها للمظلوم، وهو كناية عن عدم انتقاص حظوظهم من الجزاء على الأعمال الصالحة.ومن عملهم متعلق ب ما ألتناهم و (من) للتبعيض، و (من) التي في قوله: من شيء لتوكيد النفي وإفادة الإحاطة والشمول للنكرة.كل امرئ بما كسب رهين.جملة معترضة بين جملة وما ألتناهم من عملهم وبين جملة وأمددناهم بفاكهة [الطور: ٢٢] ، قصد منها تعليل الجملة التي قبلها وهي بما فيها من العموم صالحة للتذييل مع التعليل، وكل امرئ يعم أهل الآخرة كلهم. وليس المراد كل امرئ من المتقين خاصة.والمعنى: انتفى إنقاصنا إياهم شيئا من عملهم لأن كل أحد مقرون بما كسب ومرتهن عنده والمتقون لما كسبوا العمل الصالح كان لازما لهم مقترنا بهم لا يسلبون منه شيئا، والمراد بما كسبوا: جزاء ما كسبوا لأنه الذي يقترن بصاحب العمل وأما نفسالعمل نفسه فقد انقضى في إبانه.وفي هذا التعليل كنايتان: إحداهما: أن أهل الكفر مقرونون بجزاء أعمالهم، وثانيتهما: أن ذريات المؤمنين الذين ألحقوا بآبائهم في النعيم ألحقوا بالجنة كرامة لآبائهم ولولا تلك الكرامة لكانت معاملتهم على حسب أعمالهم. وبهذا كان لهذه الجملة هنا وقع أشد حسنا مما سواه مع أنها صارت من حسن التتميم.والكسب: يطلق على ما يحصله المرء بعلمه لإرادة نفع نفسه.ورهين: فعيل بمعنى مفعول من الرهن وهو الحبس.[٢٢، ٢٣][سورة الطور (٥٢) : الآيات ٢٢ إلى ٢٣]وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون (٢٢) يتنازعون فيها كأسا لا لغو فيها ولا تأثيم (٢٣)عطف على في جنات ونعيم [الطور: ١٧] إلخ.." (٢)

"فظل العذارى يرتمين بلحمها ... وشحم كهداب الدمقس المفتلوالكأس: إناء تشرب فيه الخمر لا عروة له ولا خرطوم، وهو مؤنث، فيجوز أن يكون هنا مرادا به الإناء المعروف ومرادا به الجنس، وتقدم قوله في سورة الصافات [٤٥] يطاف عليهم بكأس من معين، وليس المراد أنهم يشربون في كأس واحدة بأخذ أحدهم من آخر كأسه. ويجوز أن يراد بالكأس الخمر، وهو من إطلاق اسم المحل على الحال مثل قولهم: سال الوادي وكما قال الأعشى:نازعتهم قضب الريحان (البيت السابق آنفا) .وجملة لا لغو فيها ولا تأثيم يجوز أن تكون صفة ل «كأس» وضمير لا لغو فيها عائدا إلى «كأس» ووصف الكأس ب لا لغو فيها ولا تأثيم. إن فهم الكأس بمعنى الإناء المعروف فهو على تقدير: لا لغو ولا تأثيم يصاحبها، فإن (في) للظرفية المجازية التي تؤول بالملابسة، كقوله تعالى: وجاهدوا في الله حق جهاده [الحج: ٧٨]وقول النبيء صلى الله عليه وسلم: «ففيهما- أي والديك- فجاهد»، أي جاهد ببرهما، أو تأول (في) بمعنى التعليلكقول النبيء صلى الله عليه وسلم: «دخلت امرأة النار في هرة حبستها حتى ماتت جوعا». وإن فهم الكأس مرادا به الخمر كانت (في) مستعارة للسببية، أي لا لغو يقع بسبب شربها. والمعنى على كلا الوجهين أنها لا يخالط شاربيها اللغو والإثم بالسباب والضرب ونحوه،

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٧/٢٧

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٥١/٢٧

أي أن الخمر التي استعملت الكأس لها ليست كخمور الدنيا، ويجوز أن تكون جملة لا لغو فيها ولا تأثيم مستأنفة ناشئة عن جملة يتنازعون فيها كأسا، ويكون ضمير فيها عائدا إلى جنات من قوله: إن المتقين في جنات [الطور: ١٧] مثلضمير فيها كأسا، فتكون في الجملة معنى **التذييل** لأنه إذا انتفى اللغو والتأثيم عن أن يكونا في الجنة انتفى أن يكونا في كأس شرب أهل الجنة.ومثل هذين الوجهين يأتي في قوله تعالى: إن للمتقين مفازا حدائق وأعنابا." (١)

"والمعية في قوله: معكم ظاهرها أنها للمشاركة في وصف التربص.ولما كان قوله: من المتربصين مقدرا معه «بكم» لمقابلة قولهم: نتربص به ريب المنون [الطور: ٣٠] كان في الكلام توجيه بأنه يبقى معهم يتربص هلاكهم حين تبدو بوادره، إشارة إلى أن وقعة بدر إذ أصابهم من الحدثان القتل والأسر، فتكون الآية مشيرة إلى صريح قوله تعالى في سورة براءة [٥٢] قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا إنا معكم متربصون.وإنما قال هنا: من المتربصين ليشير إلى أن النبيء صلى الله عليه وسلم يتربص بهم ريب المنون في جملة المتربصين من المؤمنين، وذلك ما في آية سورة براءة على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين.وقد صيغ نظم الكلام في هذه الآية على ما يناسب الانتقال من غرض إلى غرض وذلك بما هي به من شبه **التذييل** بقوله: قل تربصوا فإني معكم من المتربصين إذ تمت به الفاصلة.[٣٢][سورة الطور (٥٢) : آية ٣٢]أم تأمرهم أحلامهم بهذا أم هم قوم طاغون (٣٢)أم تأمرهم أحلامهم بهذا.إضراب انتقال دعا إليه ما في الاستفهام الإنكاري المقدر بعد أم من معنى التعجيب من حالهم كيف يقولون مثل ذلك القول السابق ويستقر ذلك في إدراكهم وهم يدعون أنهم أهل عقول لا تلتبس عليهم أحوال الناس فهم لا يجهلون أن محمدا صلى الله عليه وسلم ليس بحال الكهان ولا المجانين ولا الشعراء وقد أبى عليهم الوليد بن المغيرة أن يقول مثل ذلك في قصة معروفة.قال الزمخشري: وكانت قريش يدعون أهل الأحلام والنهى والمعنى: أم تأمرهم أحلامهم المزعومة بهذا القول.والإشارة في قوله: بهذا إلى المذكور من القول المعرض به في قوله: فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون [الطور: ٢٩] ، والمصرح به في قوله: أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون [الطور: ٣٠] ، وهذا كما يقول من يلوم عاقلا على فعل فعله ليس من شأنه أن." (٢)

"ولام الأمر في فليأتوا مستعملة في أمر التعجيز كقوله حكاية عن قول إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب [البقرة: ٢٥٨] .وقوله: إن كانوا صادقين أي في زعمهم أنه تقوله، أي فإن لم يأتوا بكلام مثله فهم كاذبون. وهذا إلهاب لعزيمتهم ليأتوا بكلام مثل القرآن ليكون عدم إتيانهم بمثله حجة على كذبهم وقد أشعر نظم الكلام في قوله: فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين الواقع موقعا شبيها **بالتذييل** والمختوم بكلمة الفاصلة، أنه نهاية غرض وأن ما بعده شروع في غرض آخر كما تقدم في نظم قوله: قل تربصوا فإني معكم من المتربصين [الطور:٣١] .[٣٥، ٣٦][سورة الطور (٥٢) : الآيات ٣٥ إلى ٣٦]أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون (٣٥) أم خلقوا السماوات والأرض بل لا يوقنون (٣٦)أم خلقوا من غير شيء.إضراب انتقالي إلى إبطال ضرب آخر من شبهتهم في إنكارهم البعث، وقد علمت في أول

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٥٣/٢٧

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٦٣/٢٧

السورة أن من أغراضها إثبات البعث والجزاء على أن ما جاء بعده من وصف يوم الجزاء وحال أهله قد اقتضته مناسبات نشأت عنها تلك التفاصيل، فإذ وفي حق ما اقتضته تلك المناسبات ثني عنان الكلام إلى الاستدلال على إمكان البعث وإبطال شبهتهم التي تعللوا بها من نحو قولهم: أإذا كنا عظاما ورفاتا أإنا لمبعوثون خلقا جديدا [الإسراء: ٤٩] .فكان قوله تعالى: أم خلقوا من غير شيء الآيات أدلة على أن ما خلقه الله من بدء الخلق أعظم من إعادة خلق الإنسان. وهذا متصل بقوله آنفا إن عذاب ربك لواقع [الطور: ٧] لأن شبهتهم المقصود ردها بقوله: إن عذاب ربك لواقع هي قولهم: أإذا كنا عظاما ورفاتا أإنا لمبعوثون [الإسراء: ٤٩] ، ونحو ذلك.فحرف (من) في قوله: من غير شيء يجوز أن يكون للابتداء، فيكون معنى الاستفهام المقدر بعد (أم) تقريريا. والمعنى: أيقرون أنهم خلقوا بعد أن كانوا عدما فكلما خلقوا من عدم في نشأتهم الأولى ينشأون من عدم في النشأة الآخرة، وذلك إثبات لإمكانالبعث، فيكون في معنى قوله تعالى: فلينظر الإنسان مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب إنه على رجعه لقادر [الطارق: ٥- ٨]." (١)

"فليأت مستمعهم، أي من استمع منهم لأجلهم، أي أرسلوه للسمع. ومثل هذا الإسناد شائع في القرآن وتقدم عند قوله تعالى: وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب وما بعده من الآيات في سورة البقرة [٤٩] .و (في) للظرفية وهي ظرفية مجازية اشتهرت حتى ساوت الحقيقة لأن الراقي في السلم يكون كله عليه، فالسلم له كالظرف للمظروف، وإذ كان في الحقيقة استعلاء ثم شاع في الكلام فقالوا: صعد في السلم، ولم يقولوا: صعد على السلم ولذلك اعتبرت ظرفية حقيقية، أي حقيقة عرفية بخلاف الظرفية في قوله تعالى: ولأصلبنكم في جذوع النخل [طه: ٧١] لأنه لم يشتهر أن يقال: صلبه في جذع، بل يقال: صلبه على جذع، فلذلك كانت استعارة، فلا منافاة بين قول من زعم أن الظرفية مجازية وقول من زعمها حقيقة.والفاء في فليأت مستمعهم بسلطان مبين لتفريع هذا الأمر التعجيزي على النفي المستفاد من استفهام الإنكار. فالمعنى: فما يأتي مستمع منهم بحجة تدل على صدق دعواهم. فلام الأمر مستعمل في إرادة التعجيز بقرينة انتفاء أصل الاستماع بطريق استفهام الإنكار.والسلطان: الحجة، أي حجة على صدقهم في نفي رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، أو في كونه على وشك الهلاك.والمراد بالسلطان ما يدل على اطلاعهم على الغيب من أمارات كأن يقولوا: آية صدقنا فيما ندعيه وسمعناه من حديث الملإ الأعلى، أننا سمعنا أنه يقع غدا حادث كذا وكذا مثلا، مما لا قبل للناس بعلمه، فيقع كما قالوا ويتوسم منه صدقهم فيما عداه. وهذا معنى وصف السلطان بالمبين، أي المظهر لصحة الدعوى.وهذا تحد لهم بكذبهم فلذلك اكتفى بأن يأتي بعضهم بحجة دون تكليف جميعهم بذلك على نحو قوله: فأتوا بسورة من مثله [البقرة: ٢٣] أي فليأت من يتعهد منهم بالاستماع بحجة. وهذا بمنزلة **التذييل** للكلام على نحو ما تقدم في قوله: قل تربصوا فإني معكم من المتربصين [الطور: ٣١] وقوله: فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين [الطور: ٣٤] .." (٢)

"فيكون الخبر في قوله: فهم يكتبون مستعملا في معناه من إفادة النسبة الخبرية.ويجوز أن تكون الكتابة على حقيقتها، أي فهم يسجلون ما اطلعوا عليه من الغيب ليبقى معلوما لمن يطلع عليه ويكون الخبر من قوله: فهم يكتبون مستعملا في

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٦٧/٢٧

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٧٣/٢٧

معنى الفرض والتقدير تبعا لفرض قوله: عندهم الغيب، ويكون من باب قوله تعالى: أعنده علم الغيب فهو يرى [النجم: ٣٥] وقوله: وقال لأوتين مالا وولدا أطلع الغيب [مريم:٧٧، ٧٨] .وحاصل المعنى: أنهم لا قبل لهم بإنكار ما جحدوه ولا بإثبات ما أثبتوه.[٤٢][سورة الطور (٥٢) : آية ٤٢]أم يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون (٤٢)انتقال من نقض أقوالهم وإبطال مزاعمهم إلى إبطال نواياهم وعزائمهم من التبييت للرسول صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين ولدعوة الإسلام من الإضرار والإخفاق وفي هذا كشف لسرائرهموتنبيه للمؤمنين للحذر من كيدهم.وحذف متعلق كيدا ليعم كل ما يستطيعون أن يكيدوه فكانت هذه الجملة بمنزلة التتميم لنقض غزلهم والتذييل بما يعم كل عزم يجري في الأغراض التي جرت فيها مقالاتهم.والكيد والمكر متقاربان وكلاهما إظهار إخفاء الضر بوجوه الإخفاء تغريرا بالمقصود له الضر.وعدل عن الإضمار إلى الإظهار في قوله: فالذين كفروا هم المكيدون وكان مقتضى الظاهر أن يقال فهم المكيدون لما تؤذن به الصلة من وجه حلول الكيد بهم لأنهم كفروا بالله، فالله يدافع عن رسوله صلى الله عليه وسلم وعن المؤمنين وعن دينه كيدهم ويوقعهم فيما نووا إيقاعهم فيه.وضمير الفصل أفاد القصر، أي الذين كفروا المكيدون دون من أرادوا الكيد به.." (١)

"وإطلاق اسم الكيد على ما يجازيهم الله به عن كيدهم من نقض غزلهم إطلاق على وجه المشاكلة بتشبيه إمهال الله إياهم في نعمة إلى أن يقع بهم العذاب بفعل الكائد لغيره، وهذا تهديد صريح لهم، وقد تقدم قوله: ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين في سورة الأنفال [٣٠] . ومن مظاهر هذا التهديد ما حل بهم يوم بدر على غير ترقب منهم.والقول في تفريع فالذين كفروا هم المكيدون كالقول في تفريع قوله: فهم من مغرم مثقلون [الطور: ٤٠] .[٤٣][سورة الطور (٥٢) : آية ٤٣]أم لهم إله غير الله سبحان الله عما يشركون (٤٣)هذا آخر سهم في كنانة الرد عليهم وأشد رمي لشبح كفرهم، وهو شبح الإشراك وهو أجمع ضلال تنضوي تحته الضلالات وهو إشراكهم مع الله آلهة أخرى.فلما كان ما نعي عليهم من أول السورة ناقضا لإقوالهم ونواياهم، وكان ما هم فيه من الشرك أعظم لم يترك عد ذلك عليهم مع اشتهاره بعد استيفاء الغرض المسوق له الكلام بهذه المناسبة، ولذلك كان هذا المنتقل إليه بمنزلة التذييل لما قبله لأنه ارتقاء إلى الأهم في نوعه والأهم يشبه الأعم فكان كالتذييل، ونظيره في الارتقاء في كمال النوع قوله تعالى: فك رقبة أو إطعام إلى قوله: ثم كان من الذين آمنوا [البلد: ١٣- ١٧] الآية.وقد وقع قوله: سبحان الله عما يشركون إتماما للتذييل وتنهية المقصود من فضح حالهم.وظاهر أن الاستفهام المقدر بعد أم استفهام إنكاري. واعلم أن الآلوسي نقل عن «الكشف على الكشاف» كلاما في انتظام الآيات من قوله تعالى: يقولون شاعر إلى قوله: أم لهم إله غير الله فيه نكت وتدقيق فانظره.." (٢)

"والزيغ: الميل عن القصد، أي ما مال بصره إلى مرئي آخر غير ما ذكر، والطغيان:تجاوز الحد.وجملة لقد رأى من آيات ربه الكبرى تذييل، أي رأى آيات غير سدرة المنتهى، وجنة المأوى، وما غشي السدرة من البهجة والجلال، رأى من آيات الله الكبرى.والآيات: دلائل عظمة الله تعالى التي تزيد الرسول ارتفاعا.[١٩- ٢٣][سورة النجم (٥٣) : الآيات ١٩ الى ٢٣]أفرأيتم اللات والعزى (١٩) ومناة الثالثة الأخرى (٢٠) ألكم الذكر وله الأنثى (٢١) تلك إذا قسمة ضيزى (٢٢)

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٧٧/٢٧

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٧٨/٢٧

إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى (٢٣)أفرأيتم اللات والعزى (١٩) ومناة الثالثة الأخرى (٢٠) ألكم الذكر وله الأنثى (٢١) تلك إذا قسمة ضيزى (٢٢) إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان.لما جرى في صفة الوحي ومشاهدة رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام ما دل على شؤون جليلة من عظمة الله تعالى وشرف رسوله صلى الله عليه وسلم وشرف جبريل عليه السلام إذ وصف بصفات الكمال ومنازل العزة كما وصف النبيء صلى الله عليه وسلم بالعروج في المنازل العليا، كان ذلك مما يثير موازنة هذه الأحوال الرفيعة بحال أعظم آلهتهم الثلاث في زعمهم وهي: اللات، والعزى، ومناة التي هي أحجار مقرها الأرض لا تملك تصرفا ولا يعرج بها إلى رفعة.فكان هذا التضاد جامعا خياليا يقتضي تعقيب ذكر تلك الأحوال بذكر أحوال هاته.فانتقل الكلام من غرض إثبات أن النبيء صلى الله عليه وسلم موحى إليه بالقرآن، إلى إبطال عبادة الأصنام، ومناط الإبطال قوله: إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان.فالفاء لتفريع الاستفهام وما بعده على جملة أفتمارونه على ما يرى [النجم: ١٢] المفرعة على جملة ما كذب الفؤاد ما رأى [النجم: ١١] .والروية في أفرأيتم يجوز أن تكون بصرية تتعدى إلى مفعول واحد فلا تطلب مفعولا ثانيا ويكون الاستفهام تقريريا تهكميا، أي كيف ترون اللات." (١)

"فيما يأتي من الزمان قربا نسبيا بالنسبة لما مضى من الزمان ابتداء من خلق السماء والأرض على نحوقول النبيء صلى الله عليه وسلم «بعثت أنا والساعة كهاتين»وأشار بسبابته والوسطى فإن تحديد المدة من وقت خلق العالم أو من وقت خلق الإنسان أمر لا قبل للناس به وما يوجد في كتب اليهود مبني على الحدس والتوهمات، قال ابن عطية: «وكل ما يروى من التحديد في عمر الدنيا فضعيف واهن» اه.وفائدة هذا الاعتبار أن يقبل الناس على نبذ الشرك وعلى الاستكثار من الأعمال الصالحات واجتناب الآثام لقرب يوم الجزاء.والساعة: علم بالغلبة على وقت فناء هذا العالم. ويجوز أن يراد بالساعة ساعة معهودة أنذروا بها في آيات كثيرة وهي ساعة استئصال المشركين بسيوف المسلمين.وإن حمل القرب على المجاز، أي الدلالة على الإمكان، فالمعنى: اتضح للناس ما كانوا يجدونه محالا من فناء العالم فإن لحصول المثل والنظائر إقناعا بإمكان أمثالها التي هي أقوى منها.وعطف وانشق القمر عطف جملة على جملة.والخبر مستعمل في لازم معناه وهو الموعظة إن كانت الآية نزلت بعد انشقاق القمر كما تقدم لأن علمهم بذلك حاصل فليسوا بحاجة إلى إفادتهم حكم هذا الخبر وإنما هم بحاجة إلى التذكير بأن من أمارات حلول الساعة أن يقع خسف في القمر بما تكررت موعظتهم به كقوله تعالى: فإذا برق البصر وخسف القمر [القيامة: ٧، ٨] الآية إذ ما يأمنهم أن يكون ما وقع من انشقاق القمر أمارة على اقتراب الساعة فما الانشقاق إلا نوع من الخسف فإن أشراط الساعة وعلاماتها غير محدودة الأزمنة في القرب والبعد من مشروطها.[٢][سورة القمر (٥٤) : آية ٢]وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر (٢)يجوز أن يكون تذييلا للإخبار

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٠٢/٢٧

بانشقاق القمر فيكون المراد ب آية في قوله: وإن يروا آية القمر. فقد جاء في بعض الآثار: أن المشركين لما رأوا انشقاق." (١)

"الجمع لمزاوجة ضمير الجمع المضاف إليه، وللإشارة إلى أن لهم أصنافا متعددة من الأهواء: من حب الرئاسة، ومن حسد المؤمنين على ما آتاهم الله، ومن حب اتباع ملة آبائهم، ومنمحبة أصنامهم، وإلف لعوائدهم، وحفاظ على أنفتهم.وكل أمر مستقر.هذا تذييل للكلام السابق من قوله: وإن يروا آية يعرضوا إلى قوله: أهواءهم [القمر: ٢، ٣] ، فهو اعتراض بين جملة وكذبوا وجملة ولقد جاءهم من الأنباء [القمر:٤] ، والواو اعتراضية وهو جار مجرى المثل.وكل من أسماء العموم. وأمر: اسم يدل على جنس عال ومثله شيء، وموجود، وكائن، ويتخصص بالوصف كقوله تعالى: وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به [النساء: ٨٣] وقد يتخصص بالعقل أو العادة كما تخصص شيء في قوله تعالى عن ريح عاد تدمر كل شيء [الأحقاف: ٢٥] أي من الأشياء القابلة للتدمير. وهو هنا يعم الأمور ذوات التأثير، أي تتحقق آثار مواهيها وتظهر خصائصها ولو اعترضتها عوارض تعطل حصول آثارها حينا كعوارض مانعة من ظهور خصائصها، أو مدافعات يراد منها إزالة نتائجها فإن المؤثرات لا تلبث أن تتغلب على تلك الموانع والمدافعات في فرص تمكنها من ظهور الآثار والخصائص.والكلام تمثيل شبهت حالة تردد آثار الماهية بين ظهور وخفاء إلى إبان التمكن من ظهور آثارها بحالة سير السائر إلى المكان المطلوب في مختلف الطرق بين بعد وقرب إلى أن يستقر في المكان المطلوب. وهي تمثيلية مكنية لأن التركيب الذي يدل على الحالة المشبه بها حذف ورمز إليه بذكر شيء من روادف معناه وهو وصف مستقر.ومن هذا المعنى قوله تعالى: لكل نبإ مستقر وسوف تعلمون [الأنعام: ٦٧] وقد أخذه الكميت بن زيد في قوله:فالآن صرت إلى أمي ... ة والأمور إلى مصائر." (٢)

"فالمراد بالاستقرار الذي في قوله: مستقر الاستقرار في الدنيا.وفي هذا تعريض بالإيماء إيماء إلى أن أمر دعوة محمد صلى الله عليه وسلم سيرسخ ويستقر بعد تقلقله.ومستقر: بكسر القاف اسم فاعل من استقر، أي قر، والسين والتاء للمبالغة مثل السين والتاء في استجاب.وقرأ الجمهور برفع الراء من مستقر. وقرأه أبو جعفر بخفض الراء على جعل كل أمر عطفا على الساعة [القمر: ١] . والتقدير: واقترب كل أمر. وجعل مستقر صفة أمر.والمعنى: أن إعراضهم عن الآيات وافتراءهم عليها بأنها سحر ونحوه وتكذيبهم الصادق وتمالؤهم على ذلك لا يوهن وقعها في النفوس ولا يعوق إنتاجها. فأمر النبيء صلى الله عليه وسلم صائر إلى مصير أمثاله الحق من الانتصار والتمام واقتناع الناس به وتزايد أتباعه، وأن اتباعهم أهواءهم واختلاق معاذيرهم صائر إلى مصير أمثاله الباطلة من الانخذال والافتضاح وانتقاص الأتباع.وقد تضمن هذا التذييل بإجماله تسلية للنبيء صلى الله عليه وسلم وتهديدا للمشركين واستدعاء لنظر المترددين.[٤، ٥][سورة القمر (٥٤) : الآيات ٤ إلى ٥]ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر (٤) حكمة بالغة فما تغن النذر (٥)عطف على جملة وكذبوا واتبعوا أهواءهم [القمر: ٣] أي جاءهم في القرآن من أنباء الأمم ما فيه مزدجر لهؤلاء، أو أريد بالأنباء الحجج الواردة في القرآن،

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٧١/٢٧

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١٧٣/٢٧

أي جاءهم ما هو أشد في الحجة من انشقاق القمر. ومن الأنباء بيان ما فيه مزدجر قدم على المبين ومن بيانية.والمزدجر: مصدر ميمي، وهو مصاغ بصيغة اسم المفعول الذي فعله زائد على." (١)

"بالتخفيف إذا ضبطه وعينه كما قال تعالى: إنا كل شيء خلقناه بقدر [القمر: ٤٩] ومحل على أمر النصب على الحال من الماء.واكتفى بهذا الخبر عن بقية المعنى، وهو طغيان الطوفان عليهم اكتفاء بما أفاده تفريع ففتحنا أبواب السماء كما تقدم انتقالا إلى وصف إنجاء نوح من ذلك الكرب العظيم، فجملة وحملناه معطوفة على التفريع عطف احتراس.والمعنى: فأغرقناهم ونجيناه.وذات ألواح ودسر صفة السفينة، أقيمت مقام الموصوف هنا عوضا عن أن يقال: وحملناه على الفلك لأن في هذه الصفة بيان متانة هذه السفينة وإحكام صنعها. وفي ذلك إظهار لعناية الله بنجاة نوح ومن معه فإن الله أمره بصنع السفينة وأوحى إليه كيفية صنعها ولم تكن تعرف سفينة قبلها، قال تعالى: وأوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون واصنع الفلك بأعيننا ووحينا [هود: ٣٦، ٣٧] ، وعادة البلغاء إذا احتاجوا لذكر صفة بشيء وكان ذكرها دالا على موصوفها أن يستغنوا عن ذكر الموصوف إيجازا كما قال تعالى: أن اعمل سابغات [سبأ: ١١] ، أي دروعا سابغات.والحمل: رفع الشيء على الظهر أو الرأس لنقله وتحمل أثقالكم [النحل: ٧] وله مجازات كثيرة.والألواح: جمع لوح، وهو القطعة المسواة من الخشب.والدسر: جمع دسار، وهو المسمار.وعدي فعل (حملنا) إلى ضمير نوح دون من معه من قومه لأن هذا الحمل كان إجابةلدعوته ولنصره فهو المقصود الأول من هذا الحمل، وقد أشار إلى ذلك قوله تعالى:فأنجيناه والذين معه برحمة منا [الأعراف: ٧٢] وقوله: فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك [المؤمنون: ٢٨] ونحوه من الآيات الدالة على أنه المقصود بالإنجاء وأن نجاة قومه بمعيته، وحسبك قوله تعالى في **تذييل** هذه الآية جزاء لمن كان كفر فإن الذي كان كفر هو نوح كفر به قومه.." (٢)

"مستعمل في معنى التحضيض على التذكر بهذه الآية واستقصاء خبرها مثل الاستفهام في قول طرفة:إذا القوم قالوا من فتى ... البيتوالتحضيض موجه إلى جميع من تبلغه هذه الآيات ومن زائدة للدلالة على عموم الجنس في الإثبات على الأصح من القولين.ومدكر أصله: مذتكر مفتعل من الذكر بضم الذال، وهو التفكر في الدليل فقلبت تاء الافتعال دالا لتقارب مخرجيهما، وأدغم الذال في الدال لذلك، وقراءة هذه الآية مروية بخصوصها عن النبيء صلى الله عليه وسلم. وتقدم في سورة يوسف [٤٥] وادكر بعد أمة.[١٦][سورة القمر (٥٤) : آية ١٦]فكيف كان عذابي ونذر (١٦)تفريع على القصة بما تضمنته من قوله: ففتحنا أبواب السماء [القمر: ١١] إلى آخره. و (كيف) للاستفهام عن حالة العذاب. وهو عذاب قوم نوح بالطوفان والاستفهام مستعمل في التعجيب من شدة هذا العذاب الموصوف. والجملة في معنى **التذييل** وهو تعريض بتهديد المشركين أن يصيبهم عذاب جزاء تكذيبهم الرسول صلى الله عليه وسلم وإعراضهم وأذاهم كما أصاب قوم نوح.وحذف ياء المتكلم من نذر وأصله: نذري. وحذفها في الكلام في الوقف فصيح وكثر في القرآن عند الفواصل.والنذر: جمع نذير الذي هو اسم مصدر أنذر كالنذارة وتقدم آنفا في هذه السورة وإنما جمعت لتكرر النذارة من الرسول لقومه طلبا

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٧٤/٢٧

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١٨٤/٢٧

للإيمانهم.[١٧][سورة القمر (٥٤) : آية ١٧]ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر (١٧)لما كانت هذه النذارة بلغت بالقرآن والمشركون معرضون عن استماعه حارمين أنفسهم من فوائده ذيل خبرها بتنويه شأن القرآن بأنه من عند الله وأن الله يسره." (١)

"والهشيم: ما يبس وجف من الكلأ ومن الشجر، وهو مشتق من الهشم وهو الكسر لأن اليابس من ذلك يصير سريع الانكسار. والمراد هنا شيء خاص منه وهو ما جف من أغصان العضاة والشوك وعظيم الكلأ كانوا يتخذون منه حظائر لحفظ أغنامهم من الريح والعادية ولذلك أضيف الهشيم إلى المحتظر. وهو بكسر الظاء المعجمة: الذي يعمل الحظيرة ويبنيها، وذلك بأنه يجمع الهشيم ويلقيه على الأرض ليرصفه بعد ذلك سياجالحظيرته فالمشبه به هو الهشيم المجموع في الأرض قبل أن يسيج ولذلك قال: كهشيم المحتظر ولم يقل: كهشيم الحظيرة، لأن المقصود بالتشبيه حالته قبل أن يرصف ويصفف وقبل أن تتخذ منه الحظيرة.والمحتظر: مفتعل من الحظيرة، أي متكلف عمل الحظيرة.والقول في تعدية أرسلنا إلى ضمير ثمود [القمر: ٢٣] كالقول في أرسلنا عليهم ريحا صرصرا [القمر: ١٩] .[٣٢][سورة القمر (٥٤) : آية ٣٢]ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر (٣٢)تكرير ثان بعد نظيريه السالفين في قصة قوم نوح وقصة عاد **تذييلا** لهذه القصة كما ذيلت بنظيريه القصتان السالفتان اقتضى التكرير مقام الامتنان والحث على التدبر بالقرآن لأن التدبر فيه يأتي بتجنب الضلال ويرشد إلى مسالك الاهتداء فهذا أهم من تكرير فكيف كان عذابي ونذر [القمر: ٣٠] فلذلك أوثر.[٣٣-٣٥][سورة القمر (٥٤) : الآيات ٣٣ إلى ٣٥]كذبت قوم لوط بالنذر (٣٣) إنا أرسلنا عليهم حاصبا إلا آل لوط نجيناهم بسحر (٣٤) نعمة من عندنا كذلك نجزي من شكر (٣٥)القول في مفرداته كالقول في نظائره، وقصة قوم لوط تقدمت في سورة الأعراف وغيرها.." (٢)

"وصيغة الأمر مستعملة في الإهانة والمجازاة.والمس مستعمل في الإصابة على طريقة المجاز المرسل.وسقر: علم على جهنم، وهو مشتق من السقر بسكون القاف وهو التهاب في النار، ف سقر وضع علما لجهنم، ولذلك فهو ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث، لأن جهنم اسم مؤنث معنى اعتبروا فيه أن مسماه نار والنار مؤنثة.والآية تتحمل معنى آخر، وهو أن يراد بالضلال ضد الهدى وأن الإخبار عن المجرمين بأنهم ليسوا على هدى، وأن ما هم فيه باطل وضلال، وذلك في الدنيا، وأن يراد بالسعر نيران جهنم وذلك في الآخرة فيكون الكلام على التقسيم.أو يكون السعر بمعنى الجنون، يقال: سعر بضمتين وسعر بسكون العين، أي جنون، من قول العرب ناقة مسعورة، أي شديدة السرعة كأن بها جنونا كما تقدم عند قوله تعالى: إنا إذا لفي ضلال وسعر في هذه السورة [٢٤] .وروي عن ابن عباس وفسر به أبو علي الفارسي قائلا: لأنهم إن كانوا في السعير لم يكونوا في ضلال لأن الأمر قد كشف لهم وإنما وصف حالهم في الدنيا، وعليه فالضلال والسعر حاصلان لهم في الدنيا.[٤٩][سورة القمر (٥٤) : آية ٤٩]إنا كل شيء خلقناه بقدر (٤٩)استئناف وقع **تذييلا** لما قبله من الوعيد والإنذار والاعتبار بما حل بالمكذبين، وهو أيضا توطئة لقوله: وما أمرنا إلا واحدة [القمر: ٥٠] إلخ.والمعنى: إنا

---

(١) التحرير والتنوير ابن عاشور ١٨٧/٢٧

(٢) التحرير والتنوير ابن عاشور ٢٠٣/٢٧

خلقنا وفعلنا كل ما ذكر من الأفعال وأسبابها وآلالتها وسلطناه على مستحقيه لأنا خلقنا كل شيء بقدر، أي فإذا علمتم هذا فانتبهوا إلى أن ما أنتم عليه من التكذيب والإصرار مماثل لما كانت عليه الأمم السالفة.واقتران الخبر بحرف (إن) يقال فيه ما قلناه في قوله: إن المجرمين في ضلال وسعر [القمر: ٤٧] .." (١)

"والخلق أصله: إيجاد ذات بشكل مقصود فهو حقيقة في إيجاد الذوات، ويطلق مجازا على إيجاد المعاني التي تشبه الذوات في التميز والوضوح كقوله تعالى: وتخلقون إفكا [العنكبوت: ١٧] .فإطلاقه في قوله: إنا كل شيء خلقناه بقدر من استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه.وشيء معناه موجود من الجواهر والأعراض، أي خلقنا كل الموجودات جواهرها وأعراضها بقدر.والقدر: بتحريك الدال مرادف القدر بسكونها وهو تحديد الأمور وضبطها.والمراد: أن خلق الله الأشياء مصاحب لقوانين جارية على الحكمة، وهذا المعنى قد تكرر في القرآن كقوله في سورة الرعد [٨] وكل شيء عنده بمقدار ومما يشمله عموم كل شيء خلق جهنم للعذاب.وقد أشار إلى أن الجزاء من مقتضى الحكمة قوله تعالى: أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون [المؤمنون: ١١٥] وقوله: وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق وإن الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل إن ربك هو الخلاق العليم [الحجر: ٨٥، ٨٦] وقوله: وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين[الدخان: ٣٨- ٤٠] فترى هذه الآيات وأشباهها تعقب ذكر كون الخلق كله لحكمة بذكر الساعة ويوم الجزاء.فهذا وجه تعقيب آيات الإنذار والعقاب المذكورة في هذه السورة **بالتذييل** بقوله: إنا كل شيء خلقناه بقدر بعد قوله: أكفاركم خير من أولئكم [القمر: ٤٣] وسيقول: ولقدأهلكنا أشياعكم[القمر: ٥١] .فالباء في بقدر للملابسة، والمجرور ظرف مستقر، فهو في حكم المفعول الثاني لفعل خلقناه لأنه مقصود بذاته، إذ ليس المقصود الإعلام بأن كل شيء مخلوق لله، فإن ذلك لا يحتاج إلى الإعلام به بله تأكيده بل المقصود إظهار معنى العلم والحكمة في الجزاء كما في قوله تعالى في سورة الرعد [٨] وكل شيء عنده بمقدار.." (٢)

"ومما يستلزمه معنى القدر أن كل شيء مخلوق هو جار على وفق علم الله وإرادته لأنه خالق أصول الأشياء وجاعل القوى فيها لتنبعث عنها آثارها ومتولداتها، فهو عالم بذلك ومريد لوقوعه. وهذا قد سمي بالقدر في اصطلاح الشريعة كماجاء في حديث جبريل الصحيح في ذكر ما يقع به الإيمان: «وتؤمن بالقدر خيره وشره» .وأخرج مسلم والترمذي عن أبي هريرة: «جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله صلى الله عليه وسلم في القدر فنزلت: يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر إنا كل شيء خلقناه بقدر[القمر: ٤٨، ٤٩] . ولم يذكر راوي الحديث تعيين معنى القدر الذي خاصم فيه كفار قريش فبقي مجملا ويظهر أنهم خاصموا جدلا ليدفعوا عن أنفسهم التعنيف بعبادة الأصنام كما قالوا: لو شاء الرحمن ما عبدناهم [الزخرف: ٢٠] ، أي جدلا للنبيء صلى الله عليه وسلم بموجب ما يقوله من أن كل كائن بقدر الله جهلا منهم بمعاني القدر.قال عياض في «الإكمال» «ظاهره أن المراد بالقدر هنا مراد الله ومشيئته وما سبق به قدره من

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢١٦/٢٧

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢١٧/٢٧

ذلك، وهو دليل مساق القصة التي نزلت بسببها الآية» اه. وقال الباجي في «المنتقى» : «يحتمل من جهة اللغة معاني:أحدها: أن يكون القدر هاهنا بمعنى مقدر لا يزاد عليه ولا ينقص كما قال تعالى:قد جعل الله لكل شيء قدرا [الطلاق: ٣] .والثاني: أن المراد أنه بقدرته، كما قال: بلى قادرين على أن نسوي بنانه [القيامة:٤] .والثالث: بقدر، أي نخلقه في وقته، أي نقدر له وقتا نخلقه فيه» اه.قلت: وإذ كان لفظ (قدر) جنسا، ووقع معلقا بفعل متعلق بضمير كل شيء الدال على العموم كان ذلك اللفظ عاما للمعاني كلها فكل ما خلقه الله فخلقه بقدر، وسبب النزول لا يخصص العموم، ولا يناكد موقع هذا **التذييل** على أن السلف كانوا يطلقونسبب النزول على كل ما نزلت الآية للدلالة عليه ولو كانت الآية سابقة على ما عدوه من السبب.واعلم أن الآية صريحة في أن كل ما خلقه الله كان بضبط جاريا على حكمة،." (١)

"وأما تعيين ما خلقه الله مما ليس مخلوقا له من أفعال العباد مثلا عند القائلين بخلق العباد أفعالهم كالمعتزلة أو القائلين بكسب العبد كالأشعرية، فلا حجة بالآية عليهم لاحتمال أن يكون مصب الإخبار هو مضمون خلقناه أو مضمون بقدر، ولاحتمال عموم كل شيء للتخصيص، ولاحتمال المراد بالشيء ما هو، وليس نفي حجية هذه الآية على إثبات القدر الذي هو محل النزاع بين الناس بمبطل ثبوت القدر من أدلة أخرى.وحقيقة القدر الاصطلاحي خفية فإن مقدار تأثر الكائنات بتصرفات الله تعالى وبتسبب أسبابها ونهوض موانعها لم يبلغ علم الإنسان إلى كشف غوامضه ومعرفة ما مكن الله الإنسان من تنفيذ لما قدره الله، والأدلة الشرعية والعقلية تقتضي أن الأعمال الصالحة والأعمال السيئة سواء في التأثر لإرادة الله تعالى وتعلق قدرته إذا تعلقت بشيء، فليست نسبة آثار الخير إلى الله دون نسبة أثر الشر إليه إلا أدبا مع الخالق لقنه الله عبيده، ولولا أنها منسوبة في التأثر لإرادة الله تعالى لكانت التفرقة بين أفعال الخير وأفعال الشر في النسبة إلى الله ملحقة باعتقاد المجوس بأن للخير إلها وللشر إلها، وذلك باطلقول النبيء صلى الله عليه وسلم: «وتؤمن بالقدر خيره وشره»، وقوله: «القدرية مجوس هذه الأمة» رواه أبو داود بسنده إلى ابن عمر مرفوعا. وانتصب كل شيء على المفعولية ل خلقناه على طريقة الاشتغال، وتقديمه على خلقناه ليتأكد مدلوله بذكر اسمه الظاهر ابتداء، وذكر ضميره ثانيا، وذلك هو الذي يقتضي العدول إلى الاشتغال في فصيح الكلام العربي فيحصل توكيد للمفعول بعد أن حصل تحقيق نسبة الفعل إلى فاعله بحرف إن المفيد لتوكيد الخبر وليتصل قوله:بقدر بالعامل فيه وهو خلقناه، لئلا يلتبس بالنعت لشيء لو قيل: إنا خلقنا كل شيء بقدر، فيظن أن المراد: أنا خلقنا كل شيء مقدر فيبقى السامع منتظرا لخبر إن.[٥٠][سورة القمر (٥٤) : آية ٥٠]وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر (٥٠)عطف على قوله: إنا كل شيء خلقناه بقدر [القمر: ٤٩] فهو داخل في **التذييل**، أي." (٢)

"[سورة القمر (٥٤) : آية ٥٣]وكل صغير وكبير مستطر (٥٣)هذا **كالتذييل** لقوله: وكل شيء فعلوه في الزبر [القمر: ٥٢] فكل صغير وكبير أعم من كل شيء فعلوه، والمعنى: وكل شيء حقير أو عظيم مستطر، أي مكتوب مسطور، أي في علم الله تعالى أي كل ذلك يعلمه الله ويحاسب عليه، فمستطر: اسم مفعول من سطر إذا كتب سطورا قال تعالى:

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢١٨/٢٧

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢١٩/٢٧

وكتاب مسطور [الطور: ٢] .وهذا كقوله تعالى: وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين [الأنعام: ٥٩] وقوله: لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين [سبأ: ٣] .فالصغير: مستعار للشيء الذي لا شأن له ولا يهتم به الناس ولا يؤاخذ عليه فاعله، أو لا يؤاخذ عليه مؤاخذة عظيمة. والكبير: مستعار لضده ويدخل في ذلك ما له شأن من الصلاح وما له شأن من الفساد وما هو دون ذلك، وذلك أفضل الأعمال الصالحة وما دونه من الأعمال الصالحة، وكذلك كبائر الإثم والفواحش وما دونها من اللمم والصغائر.والمستطر: كناية عن علم الله به وذلك كناية عن الجزاء عليه مكان ذلك جامعا للتبشير والإنذار.[٥٤، ٥٥][سورة القمر (٥٤) : الآيات ٥٤ إلى ٥٥]إن المتقين في جنات ونهر (٥٤) في مقعد صدق عند مليك مقتدر (٥٥)استئناف بياني لأنه لما ذكر أن كل صغير وكبير مستطر على إرادة أنه معلوم ومجازى عليه وقد علم جزاء المجرمين من قوله: إن المجرمين في ضلال وسعر [القمر: ٤٧] كانت نفس السامع بحيث تتشوف إلى مقابل ذلك من جزاء المتقين وجريا على عادة القرآن منتعقيب النذارة بالبشارة والعكس.وافتتاح هذا الخبر بحرف إن للاهتمام به.." (١)

"[سورة الرحمن (٥٥) : آية ١٣]فبأي آلاء ربكما تكذبان (١٣)الفاء للتفريع على ما تقدم من المنن المدمجة مع دلائل صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وحقية وحي القرآن، ودلائل عظمة الله تعالى وحكمته باستفهام عن تعيين نعمة من نعم الله يتأتى لهم إنكارها، وهو **تذييل** لما قبله.و (أي) استفهام عن تعيين واحد من الجنس الذي تضاف إليه وهي هنا مستعملة في التقرير بذكر ضد ما يقربه مثل قوله: ألم نشرح لك صدرك [الشرح: ١] . وقد بينته عند قوله تعالى: امعشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكمفي سورة الأنعام [١٣٠] ، أي لا يستطيع أحد منكم أن يجحد نعم الله.والآلاء: النعم جمع: إلي بكسر الهمزة وسكون اللام، وألي بفتح الهمزة وسكون اللام وياء في آخره ويقال ألو بواو عوض الياء وهو النعمة.وضمير المثنى في ربكما تكذبان خطاب لفريقين من المخاطبين بالقرآن. والوجه عندي أنه خطاب للمؤمنين والكافرين الذين ينقسم إليهما جنس الإنسان المذكور في قوله:خلق الإنسان [الرحمن: ٣] وهم المخاطبون بقوله: ألا تطغوا في الميزان [الرحمن: ٨] الآية والمنقسم إليهما الأنام المتقدم ذكره، أي أن نعم الله على الناس لا يجحدها كافر بله المؤمن، وكل فريق يتوجه إليه الاستفهام بالمعنى الذي يناسب حاله.والمقصود الأصلي: التعريض بالمشركين وتوبيخهم على أن أشركوا في العبادة مع المنعم غير المنعم، والشهادة عليهم بتوحيد المؤمنين، والتكذيب مستعمل في الجحود والإنكار.وقيل التثنية جرت على طريقة في الكلام العربي أن يخاطبوا الواحد بصيغة المثنى كقوله تعالى: ألقيا في جهنم كل كفار عنيد [ق: ٢٤] ذكر ذلك الطبري والنسفي.ويجوز أن تكون التثنية قائمة مقام تكرير اللفظ لتأكيد المعنى مثل: لبيك وسعديك، ومعنى هذا أن الخطاب لواحد وهو الإنسان.وقال جمهور المفسرين: هو خطاب للإنس والجن، وهذا بعيد لأن القرآن." (٢)

"والمراد بالإنسان آدم وهو أصل الجنس وقوله: من صلصال تقدم نظيره في سورة الحجر [٢] .والصلصال: الطين اليابس.والفخار: الطين المطبوخ بالنار ويسمى الخزف. وظاهر كلام المفسرين أن قوله:كالفخار صفة ل صلصال. وصرح

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٢٤/٢٧

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٤٣/٢٧

بذلك الكواشي في «تلخيص التبصرة» ولم يعرجوا على فائدة هذا الوصف. والذي يظهر لي أن يكون كالفخار حالا من الإنسان، أي خلقه من صلصال فصار الإنسان كالفخار في صورة خاصة وصلابة.والمعنى أنه صلصال يابس يشبه يبس الطين المطبوخ والمشبه غير المشبه به، وقد عبر عنه بالحمأ المسنون، والطين اللازب، والتراب.والجان: الجن والمراد به إبليس وما خرج عنه من الشياطين، وقد حكى الله عنه قوله: خلقتني من نار وخلقته من طين [ص: ٧٦] .والمارج: هو المختلط وهو اسم فاعل بمعنى اسم المفعول مثل دافق، وعيشة راضية، أي خلق الجان من خليط من النار، أي مختلط بعناصر أخرى إلا أن الناس أغلب عليه كما كان التراب أغلب على تكوين الإنسان مع ما فيه من عنصر النار وهو الحرارة الغريزية والمقصود هنا هو خلق الإنسان بقرينة **تذييله** بقوله: فبأي آلاء ربكما تكذبان [الرحمن: ١٦] وإنما قرن بخلق الجان إظهارا لكمال النعمة في خلق الإنسان من مادة لينة قابلا للتهذيب والكمال وصدور الرفق بالموجودات التي معه على وجه الأرض.وهو أيضا تذكير وموعظة بمظهر من مظاهر قدرة الله وحكمته في خلق نوع الإنسان وجنس الجان.وفيه إيماء إلى ما سبق في القرآن النازل قبل هذه السورة من تفضيل الإنسان على الجان إذ أمر الله الجان بالسجود للإنسان، وما ينطوي في ذلك من وفرة مصالح الإنسانعلى مصالح الجان، ومن تأهله لعمران العالم لكونه مخلوقا من طينته إذ الفضيلة تحصل من مجموع أوصاف لا من خصوصيات مفردة.." (١)

"وإكرامه، وقد دخل في الجلال جميع الصفات الراجعة إلى التنزيه عن النقص وفي الإكرام جميع صفات الكمال الوجودية وصفات الجمال كالإحسان.وتفريع فبأي آلاء ربكما تكذبان إنما هو تفريع على جملة ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام كما علمت من أنه يتضمن معاملة خلقه معاملة العظيم الذي لا تصدر عنه السفاسف، الكريم الذي لا يقطع إنعامه، وذلك من الآلاء العظيمة.[٢٨][سورة الرحمن (٥٥) : آية ٢٨]فبأي آلاء ربكما تكذبان (٢٨)تكرير كما تقدم وهذا الموقع ينادي على أن ليست هذه الجملة **تذييلا** لجملة كل من عليها فان [الرحمن: ٢٦] ، ولا أن جملة كل من عليها فان تتضمن نعمة إذ ليس في الفناء نعمة.[٢٩][سورة الرحمن (٥٥) : آية ٢٩]يسئله من في السماوات والأرض كل يوم هو في شأن (٢٩)يسئله من في السماوات والأرض.استئناف، والمعنى أن الناس تنقرض منهم أجيال وتبقى أجيال وكل باق محتاج إلى أسباب بقائه وصلاح أحواله فهم في حاجة إلى الذي لا يفنى وهو غير محتاج إليهم. ولما أفضى الإخبار إلى حاجة الناس إليه تعالى أتبع بأن الاحتياج عام أهل الأرض وأهل السماء. فالجميع يسألونه، فسؤال أهل السماوات وهم الملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض ويسألون رضى الله تعالى، ومن في الأرض وهم البشر يسألونه نعم الحياة والنجاة في الآخرة ورفع الدرجات في الآخرة. وحذف مفعول يسئله لإفادة التعميم، أي يسألونه حوائجهم ومهامهم من طلوع الشمس إلى غروبها.كل يوم هو في شأن.يجوز أن تكون الجملة حالا من ضمير النصب في يسئله أو **تذييلا** لجملة يسئله من في السماوات والأرض، أي كل يوم هو في شأن من الشؤون." (٢)

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٤٥/٢٧

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٥٤/٢٧

"وكتب أيه في المصحف بهاء ليس بعدها ألف وهو رسم مراعى فيه حال النطق بالكلمة في الوصل إذ لا يوقف على مثله، فقرأها الجمهور بفتحة على الهاء دون ألف في حالتي الوصل والوقف. وقرأها أبو عمرو والكسائي بألف بعد الهاء في الوقف. وقرأه ابن عامر بضم الهاء تبعا لضم الياء التي قبلها وهذا من الإتباع.[٣٢][سورة الرحمن (٥٥) : آية ٣٢]فبأي آلاء ربكما تكذبان (٣٢)تكرير لنظائره وليس هو خطابا للثقلين ولا **تذييلا** للجملة التي قبله إذ ليس في الجملة التي قبله ذكر نعمة على الثقلين بل هي تهديد لهما.[٣٣][سورة الرحمن (٥٥) : آية ٣٣]يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان (٣٣)هذا مقول قول محذوف يدل عليه سياق الكلام السابق واللاحق، وليس خطاباللإنس والجن في الحياة الدنيا. والتقدير: فنقول لكم كما في قوله تعالى: ويوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس [الأنعام: ١٢٨] الآية، أي فنقول: يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس، وتقدم في سورة الأنعام.والمعشر: اسم للجمع الكثير الذي يعد عشرة عشرة دون آحاد.وهذا إعلان لهم بأنهم في قبضة الله تعالى لا يجدون منجى منها، وهو ترويع للضالين والمضلين من الجن والإنس بما يترقبهم من الجزاء السيء لأن مثل هذا لا يقال لجمع مختلط إلا والمقصود أهل الجناية منهم فقوله: يا معشر الجن والإنس عام مراد به الخصوص بقرينة قوله بعده يرسل عليكما شواظ [الرحمن: ٣٥] إلخ.والنفوذ والنفاذ: جواز شيء عن شيء وخروجه منه. والشرط مستعمل في التعجيز، وكذلك الأمر الذي هو جواب هذا الشرط من قوله: فانفذوا، أي وأنتم لا تستطيعون الهروب.." (١)

"[سورة الرحمن (٥٥) : آية ٦٠]هل جزاء الإحسان إلا الإحسان (٦٠)**تذييل** للجمل المبدوءة بقوله: ولمن خاف مقام ربه جنتان [الرحمن: ٤٦] ، أي لأنهم أحسنوا فجازاهم ربهم بالإحسان.والإحسان الأول: الفعل الحسن، والإحسان الثاني: إعطاء الحسن، وهو الخير، فالأول من قولهم: أحسن في كذا، والثاني من قولهم: أحسن إلى فلان.والاستفهام مستعمل في النفي، ولذلك عقب بالاستثناء فأفاد حصر مجازاة الإحسان في أنها إحسان، وهذا الحصر إخبار عن كونه الجزاء الحق ومقتضى الحكمة والعدل، وإلا فقد يتخلف ذلك لدى الظالمين، قال تعالى: وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون [الواقعة: ٨٢] وقال: فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما [الأعراف: ١٩٠] .وعلم منه أن جزاء الإساءة السوء قال تعالى: جزاء وفاقا [النبأ: ٢٦] .[٦١][سورة الرحمن (٥٥) : آية ٦١]فبأي آلاء ربكما تكذبان (٦١)القول فيه مثل القول في نظائره.[٦٢- ٦٩][سورة الرحمن (٥٥) : الآيات ٦٢ إلى ٦٩]ومن دونهما جنتان (٦٢) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٦٣) مدهامتان (٦٤) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٦٥) فيهما عينان نضاختان (٦٦)فبأي آلاء ربكما تكذبان (٦٧) فيهما فاكهة ونخل ورمان (٦٨) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٦٩)عطف على قوله: جنتان [الرحمن: ٤٦] ، أي ومن دون تينك الجنتين جنتان، أي لمن خاف مقام ربه.ومعنى من دونهما يحتمل أن (دون) بمعنى (غير) ، أي ولمن خاف مقام." (٢)

"فالجملة عطف على جملة قل إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى قوله:ومتاعا للمقوين [الواقعة: ٤٩- ٧٣] ، وهي **تذييل**.والتسبيح: التنزيه، وقد تقدم عند قوله تعالى: ونحن نسبح بحمدك في سورة البقرة [٣٠] .واسم الرب: هو ما يدل

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٥٨/٢٧

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٧١/٢٧

على ذاته وجماع صفاته وهو اسم الجلالة، أي بأن يقول: سبحان الله، فالتسبيح لفظ يتعلق بالألفاظ. ولما كان الكلام موضوعا للدلالة على ما في النفس كان تسبيح الاسم مقتضيا تنزيه مسماه وكان أيضا مقتضيا أن يكون التسبيح باللفظ مع الاعتقاد لا مجرد الاعتقاد لأن التسبيح لما علق بلفظ اسم تعين أنه تسبيح لفظي، أي قل كلاما فيه معنى التنزيه، وعلقه باسم ربك، فكل كلام يدل على تنزيه الله مشمول لهذا الأمر ولكن محاكاة لفظ القرآن أولى وأجمع بأن يقول: سبحان الله. ويؤيد هذا ماقالته عائشة رضي الله عنها «إنه لما نزل قوله تعالى: فسبح بحمد ربك واستغفره [النصر: ٣] كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في سجوده: سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي يتأول القرآن» أي يتأوله على إرادة ألفاظه. والباء الداخلة على باسم زائدة لتوكيد اللصوق، أي اتصال الفعل بمفعوله وذلك لوقوع الأمر بالتسبيح عقب ذكر عدة أمور تقتضيه حسبما دلت عليه فاء الترتيب فكان حقيقا بالتقوية والحث عليه، وهذا بخلاف قوله: سبح اسم ربك الأعلى [الأعلى: ١] لوقوعه في صدر جملته كقوله: يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا [الأحزاب: ٤١، ٤٢] .وهذا الأمر شامل للمسلمين بقرينة أن القرآن متلو لهم وأن ما تفرع الأمر عليه لا يختص علمه بالنبيء صلى الله عليه وسلم فلما أمر بالتسبيح لأجله فكذلك من علمه من المسلمين. والمعنى: إذ علمتم ما أنزلنا من الدلائل وتذكرتم ما في ذلك من النعم فنزهوا الله وعظموه بقصارى ما تستطيعون.." (١)

"والتصلية: مصدر صلاه المشدد، إذا أحرقه وشواه، يقال: صلى اللحم تصلية، إذا شواه، وهو هنا من الكلام الموجه لإيهامه أنه يصلى له الشواء في نزله على طريقة التهكم، أي يحرق بها. والجحيم: يطلق على النار المؤججة، ويطلق علما على جهنم دار العذاب الآخرة. [٩٥][سورة الواقعة (٥٦) : آية ٩٥] إن هذا لهو حق اليقين (٩٥) **تذييل** لجميع ما اشتملت عليه السورة من المعاني المثبتة. والإشارة إلى ذلك بتأويل المذكور من تحقيق حق وإبطال باطل. والحق: الثابت. واليقين: المعلوم جزما الذي لا يقبل التشكيك. وإضافة حق إلى اليقين من إضافة الصفة إلى الموصوف، أي لهو اليقين الحق. وذلك أن الشيء إذا كان كاملا في نوعه وصف بأنه حق ذلك الجنس، كما في الحديث: «لأبعثن معكم أمينا حق أمين». فالمعنى: أن الذي قصصنا عليك في هذه السورة هو اليقين حق اليقين، كما يقال: زيد العالم حق عالم. ومآل هذا الوصف إلى توكيد اليقين، فهو بمنزلة ذكر مرادف الشيء وإضافة المترادفين تفيد معنى التوكيد، فلذلك فسروه بمعنى: أن هذا يقين اليقين وصواب الصواب. نريد: أنه نهاية الصواب. قال ابن عطية: وهذا أحسن ما قيل فيه. ويجوز أن تكون الإضافة بيانية على معنى (من) ، وحقيقته على معنى اللام بتقدير: لهو حق الأمر اليقين، وسيجيء نظير هذا التركيب في سورة الحاقة. وسأبين هنا لك ما يزيد على ما ذكرته هنا فانظره هنا لك. وقد اشتمل هذا **التذييل** على أربعة مؤكدات وهي: (إن) ، ولام الابتداء، وضمير الفصل، وإضافة شبه المترادفين.." (٢)

"فإن الإحياء والإماتة مما يشتمل عليه معنى ملك السماوات والأرض لأنهما من أحوال ما عليهما، وتخصيص هذين بالذكر للاهتمام بهما لدلالتهما على دقيق الحكمة في التصرف في السماء والأرض ولظهور أن هاذين الفعلين لا يستطيع

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٣٢٨/٢٧

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٣٥٠/٢٧

المخلوق ادعاء أن له عملا فيهما، وللتذكير بدليل إمكان البعث الذي جحده المشركون، وللتعريض بإبطال زعمهم إلهية أصنامهم كما قال تعالى: ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا [الفرقان: ٣] ، ومن هذين الفعلين جاء وصفه تعالى بصفة «المحيي المميت» .وتقدم ذكر الإحياء والإماتة عند قوله تعالى: وكنتم أمواتا فأحياكم في أول سورة البقرة [٢٨] .وجملة وهو على كل شيء قدير تفيد مفاد **التذييل** لجملة يحيي ويميت لتعميم ما دل عليه قوله: يحيي ويميت من بيان جملة له ملك السماوات والأرض، وإنما عطفت بالواو وكان حق **التذييل** أن يكون مفصولا لقصد إيثار الإخبار عن الله تعالى بعموم القدرة على كل موجود، وذلك لا يفيت قصد **التذييل**، لأن **التذييل** يحصل بالمعنى.[٣][سورة الحديد (٥٧) : آية ٣]هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم (٣)هو الأول والآخر والظاهر والباطن.استئناف في سياق تبيين أن له ملك السماوات والأرض، بأن ملكه دائم في عموم الأزمان وتصرف فيهما في كل الأحوال، إذ هو الأول الأزلي، وأنه مستمر من قبل وجود كل محدث ومن بعد فنائه إذ الله هو الباقي بعد فناء ما في السماوات والأرض، وذلك يظهر من دلالة الآثار على المؤثر فإن دلائل تصرفه ظاهرة للمتبصر بالعقل وهو معنى الظاهر كما يأتي، وأن كيفيات تصرفاته محجوبة عن الحس وذلك معنى الباطن تعالى كما سيأتي.فضمير هو ليس ضمير فصل ولكنه ضمير يعبر عن اسم الجلالة لاعتبارنا الجملة مستأنفة، ولو جعلته ضمير فصل لكانت أوصاف الأول والآخر والظاهر والباطن أخبارا عن ضمير هو العزيز الحكيم [الحديد: ١] .." (١)

"ويرجح هذا المعنى أن ظاهر الأمر في قوله: آمنوا بالله ورسوله [الحديد: ٧] أنه لطلب إيجاد الإيمان كما تقدم في تفسيرها وأن الآية مكية.وقرأ الجمهور أخذ بالبناء للفاعل ونصب ميثاقكم على أن الضمير عائد إلى اسم الجلالة، وقرأه أبو عمرو أخذ بالبناء للنائب ورفع ميثاقكم.[٩][سورة الحديد (٥٧) : آية ٩]هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات إلى النور وإن الله بكم لرؤف رحيم (٩)استئناف ثالث انتقل به الخطاب إلى المؤمنين، فهذه الآية يظهر أنها مبدأ الآيات المدنية في هذه السورة ويزيد ذلك وضوحا عطف قوله: وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله [الحديد: ١٠] الآيات كما سيأتي قريبا.والخطاب هنا وإن كان صالحا لتقرير ما أفادته جملة وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم [الحديد: ٨] ولكن أسلوب النظم وما عطف على هذه الجملة يقتضيان أن تكون استئنافا انتقاليا هو من حسن التخلص إلى خطاب المسلمين، ولا تفوته الدلالة على تقرير ما قبله لأن التقرير يحصل من انتساب المعنيين: معنى الجملة السابقة، ومعنى هذه الجملة الموالية.فهذه الجملة بموقعها ومعناها وعلتها وما عطف عليها أفادت بيانا وتأكيدا وتعليلا **وتذييلا** وتخلصا لغرض جديد، وهي أغراض جمعتها جمعا بلغ حد الإعجاز في الإيجاز، مع أن كل جملة منها مستقلة بمعنى عظيم من الاستدلال والتذكير والإرشاد والامتنان.والرؤوف: من أمثلة المبالغة في الاتصاف بالرأفة وهي كراهية إصابة الغير بضر.والرحيم: من الرحمة وهي محبة إيصال الخير إلى الغير.وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر وحفص عن عاصم لرؤف بواو بعد الهمزة." (٢)

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٣٥٩/٢٧

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٣٧١/٢٧

"التفضيل مسلوب المفاضلة للمبالغة مثل ما في قول: قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه [يوسف: ٣٣] ، أي حبيب إلي دون ما يدعونني إليه من المعصية.وعبر ب الحسنى لبيان أن الدرجة هي درجة الحسنى ليكون للاحتراس معنى زائدعلى التأكيد وهو ما فيه من البيان.والحسنى: لقب قرآني إسلامي يدل على خيرات الآخرة، قال تعالى: للذين أحسنوا الحسنى وزيادة [يونس: ٢٦] .وقوله: منكم حال من من أنفق أصله نعت قدم للاهتمام تعجيلا بهذا الوصف.وجيء باسم الإشارة في قوله: أولئك أعظم درجة دون الضمير لما تؤذن به الإشارة من التنويه والتعظيم، وللتنبيه على أن المشار إليهم جديرون بما يذكر بعد اسم الإشارة، لأجل ما ذكر قبله من الإخبار ومثله قوله: أولئك على هدى من ربهم [البقرة:٤] بعد قوله: هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب [البقرة: ٣] إلخ.وقرأ الجمهور وكلا وعد الله الحسنى بنصب كلا على أنه مفعول أول مقدم على فعله على طريقة الاشتغال بالضمير المحذوف اختصارا. وقرأه ابن عامر بالرفع على الابتداء وهما وجهان في الاشتغال متساويان.وهذه الآية أصل في تفاضل أهل الفضل فيما فضلوا فيه، وأن الفضل ثابت للذين أسلموا بعد الفتح من أهل مكة وغيرهم. وبئس ما يقوله بعض المؤرخين من عبارات تؤذن بتنقيص من أسلموا بعد الفتح من قريش مثل كلمة «الطلقاء» وإنما ذلك من أجل حزازات في النفوس قبلية أو حزبية، والله يقول: ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون [الحجرات: ١١] .وجملة والله بما تعملون خبير **تذييل**، والواو اعتراضية، والمعنى: أن الله يعلم أسباب الإنفاق وأوقاته وأعذاره، ويعلم أحوال الجهاد ونوايا المجاهدين فيعطي كل عامل على نية عمله.." (١)

"جنات، والكلام على حذف مضافين تقديرهما: إعلام بدخول جنات كما دل عليه قوله: خالدين فيها.وجملة بشراكم إلى آخرها مقول قول محذوف، والتقدير: يقال لهم، أي يقال من جانب القدس، تقوله الملائكة، أو يسمعون كلاما يخلقه الله يعلمون أنه من جانب القدس.وجملة ذلك هو الفوز العظيم يحتمل أن يكون من بقية الكلام المحكي بالقول المبشر به، ويحتمل أن يكون من الحكاية التي حكيت في القرآن، وعلى الاحتمالين فالجملة **تذييل** تدل على مجموع محاسن ما وقعت به البشرى. واسم الإشارة للتعظيم والتنبيه، وضمير الفصل لتقوية الخبر.[١٣، ١٤][سورة الحديد (٥٧) : الآيات ١٣ إلى ١٤]يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب (١٣) ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور (١٤)يوم يقول بدل من يوم ترى المؤمنين [الحديد: ١٢] بدلا مطابقا إذا اليوم هو عين اليوم المعرف في قوله: يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم [الحديد: ١٢] .والقول في فتحة يوم تقدم في نظره قريبا.وعطف المنافقات على المنافقون كعطف المؤمنات على المؤمنين في الآية [١٢] قبل هذه.والذين آمنوا تغليب للذكور لأن المخاطبين هم أصحاب النور وهو للمؤمنين والمؤمنات.." (٢)

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٣٧٦/٢٧

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٣٨١/٢٧

"مشهور من أن الأسير والجاني قد يتخلصان من المؤاخذة بفدية تبذل عنهما.فعطف ولا من الذين كفروا قصد منه تعليل أن لا محيص لهم من عذاب الكفر،مثل الذين كفروا، أي الذين أعلنوا الكفر حتى كان حالة يعرفون بها. وهذا يقتضي أن المنافقين كانوا هم والكافرون في صعيد واحد عند أبواب جهنم، ففيه احتراس من أن يتوهم الكافرون الصرحاء من ضمير لا يؤخذ منكم فدية أن ذلك حكم خاص بالمنافقين تعلقا بأقل طمع، فليس ذكر ولا من الذين كفروا مجرد استطراد.والمأوى: المكان الذي يؤوى إليه، أي يصار إليه ويرجع، وكني به عن الاستمرار والخلود.وأكد ذلك بالصريح بجملة مأواكم النار هي مولاكم! أي ترجعون إليها كما يرجع المستنصر إلى مولاه لينصره أو يفادي عنه، فاستعير المولى للمقر على طريقة التهكم.ويجوز مع ذلك أن يجعل المولى اسم مكان الولي، وهو القرب والدنو، أي مقركم، كقول لبيد:فغدت كلا الفرجين تحسب أنه ... مولى المخافة خلفها وأمامهاأي مكان المخافة ومقرها.وبئس المصير **تذييل** يشمل جميع ما يصيرون إليه من العذاب. وقد يحصل العلم للمؤمنين بما أجابوا به أهل النفاق لأنهم صاروا إلى دار الحقائق.[١٦][سورة الحديد (٥٧) : آية ١٦]ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون (١٦)قد علم من صدر تفسير هذه السورة أن هذه الآية نزلت بمكة سنة أربع أو خمس." (١)

"لذكر الله، ولكن هذه بمنزلة العلة فصلت ولم تعطف، وهذا يقتضي أن تكون مما نزل مع قوله تعالى:ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم الآية.والخطاب في قوله: اعلموا للمؤمنين على طريقة الالتفات إقبالا عليهم للاهتمام.وقوله: أن الله يحي الأرض بعد موتها استعارة تمثيلية مصرحة ويتضمن تمثيلية مكنية بسبب تضمنه تشبيه حال ذكر الله والقرآن في إصلاح القلوب بحال المطر في إصلاحه الأرض بعد جدبها. وطوي ذكر الحالة المشبه بها ورمز إليها بلازمها وهو إسناد إحياء الأرض إلى الله لأن الله يحيي الأرض بعد موتها بسبب المطر كما قال تعالى: والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها (١) [النحل: ٦٥] .والمقصود الإرشاد إلى وسيلة الإنابة إلى الله والحث على تعهد النفس بالموعظة، والتذكير بالإقبال على القرآن وتدبره وكلام الرسول صلى الله عليه وسلم وتعليمه وأن في اللجأ إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم نجاة وفي المفزع إليهما عصمة وقدقال النبيء صلى الله عليه وسلم: «تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا كتاب الله وسنتي» .وقال: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع لذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به». وقوله: قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون استئناف بياني لجملة أن الله يحي الأرض بعد موتها لأن السامع قوله: اعلموا أن الله يحي الأرض بعد موتها يتطلبمعرفة الغرض من هذا الإعلام فيكون قوله: قد بينا لكم الآيات جوابا عن تطلبه، أي أعلمناكم بهذا تبيينا للآيات.ويفيد بعمومه مفاد **التذييل** للآيات السابقة من أول

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٧/٣٨٩

السورة مكيها ومدنيها لأن____________(١) في المطبوعة (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها) وهذا خطأ، لأنه جمع بين آيتين، والمثبت هو الصواب والله أعلم. [.....]."(١)

"وهذا الكلام يجمع الإشارة إلى ما قدمناه من أن الله تعالى وضع نظام هذا العالم على أن تترتب المسببات على أسبابها، وقدر ذلك وعلمه، وهذا مثل قوله: وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب [فاطر: ١١] ونحو ذلك.والبرء: بفتح الباء: الخلق ومن أسمائه تعالى البارئ، وضمير النصب في نبرأها عائد إلى الأرض أو إلى الأنفس.وجملة إن ذلك على الله يسير رد على أهل الضلال من المشركين وبعض أهل الكتاب الذين لا يثبتون لله عموم العلم ويجوزون عليه البداء وتمشي الحيل، ولأجل قصد الرد على المنكرين أكد الخبر ب (إن) .والتعليل بلام العلة و (كي) متعلق بمقدر دل عليه هذا الإخبار الحكيم، أي أعلمناكم بذلك لكي لا تأسوا على ما فاتكم إلخ، أي لفائدة استكمال مدركاتكم وعقولكم فلا تجزعوا للمصائب لأن من أيقن أن ما عنده من نعمة دنيوية مفقود يوما لا محالة لم يتفاقم جزعه عند فقده لأنه قد وطن نفسه على ذلك، وقد أخذ هذا المعنى كثير في قوله:فقلت لها يا عز كل مصيبة ... إذا وطنت يوما لها النفس ذلتوقوله: ولا تفرحوا بما آتاكم تتميم لقوله: لكيلا تأسوا على ما فاتكم فإن المقصود من الكلام أن لا يأسوا عند حلول المصائب لأن المقصود هو قوله: ما أصاب من مصيبة ... إلا في كتاب ثم يعلم أن المسرات كذلك بطريق الاكتفاء فإن من المسرات ما يحصل للمرء عن غير ترقب وهو أوقع في المسرة كمل أدبه بطريق المقابلة.والفرح المنفي هو الشديد منه البالغ حد البطر، كما قال تعالى في قصة قارون إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين [القصص: ٧٦] . وقد فسره **التذييل** من قوله:والله لا يحب كل مختال فخور.والمعنى: أخبرتكم بذلك لتكونوا حكماء بصراء فتعلموا أن لجميع ذلك أسبابا وعللا، وأن للعالم نظاما مرتبطا بعضه ببعض، وأن الآثار حاصلة عقب مؤثراتها." (٢)

"ساوى الحقيقة، وعلى هذه القراءة فعائد الموصول محذوف لأنه ضمير متصل منصوب بفعل، والتقدير: بما آتاكموه، وفيه إدماج المنة مع الموعظة تذكيرا بأن الخيرات من فضل الله. وقرأه أبو عمرو وحده بهمزة واحدة على أنه من (أتى) ، إذا حصل، فعائد الموصول هو الضمير المستتر المرفوع ب (أتى) ، وفي هذه القراءة مقابلة آتاكم ب (فاتكم) وهو محسن الطباق ففي كلتا القراءتين محسن.[٢٤][سورة الحديد (٥٧) : آية ٢٤]الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد (٢٤)يجوز أن يكون الذين يبخلون ابتداء كلام على الاستئناف لأن الكلام الذي قبله ختم **بالتذييل** بقوله: والله لا يحب كل مختال فخور [الحديد: ٢٣] فيكون الذين يبخلون مبتدأ وخبره محذوفا يدل عليه جواب الشرط وهو فإن الله هو الغني الحميد.والتقدير: فإن الله غني عنهم وحامد للمنفقين.ويجوز أن يكون متصلا بما قبله على طريقة التخلص فيكون الذين يبخلون بدلا من كل مختال فخور، أو خبرا لمبتدأ محذوف هو ضمير كل مختال فخور.تقديره: هم الذين يبخلون، وعلى هذا الاحتمال الأخير فهو من حذف المسند إليه اتباعا للاستعمال كما سماه السكاكي، وفيه وجوه أخر لا نطول بها.والمراد ب الذين يبخلون: المنافقون، وقد وصفهم الله بمثل هذه الصلة في سورة النساء، وأمرهم الناس

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٣٩٤/٢٧

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٤١١/٢٧

بالبخل هو الذي حكاه الله عنهم بقوله: هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا [المنافقون: ٧] ، أي على المؤمنين.وجملة ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد **تذييل** لأن من يتول يعم الذين يبخلون وغيرهم فإن الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل أي في سبيل الله وفي النفقات الواجبة قد تولوا عن أمر الله و (من) شرطية عامة.." (١)

"والجملة مفيدة للقصر بدون ضمير فصل لأن تعريف المسند إليه والمسند من طرق القصر، فالقراءة بضمير الفصل تفيد تأكيد القصر.[٢٥][سورة الحديد (٥٧) : آية ٢٥]لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز (٢٥)استئناف ابتدائي ناشىء عما تقدم من التحريض على الإنفاق في سبيل الله وعن ذكر الفتح وعن **تذييل** ذلك بقوله: ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد [الحديد: ٢٤] ، وهو إعذار للمتولين من المنافقين ليتداركوا صلاحهم باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم والتدبر في هدي القرآن وإنذار لهم إن يرعووا وينصاعوا إلى الحجة الساطعة بأنه يكون تقويم عوجهم بالسيوف القاطعة وهو ما صرح لهم به في قوله في سورة الأحزاب [٦٠، ٦١] لئن لم ينتهالمنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا وقوله في سورة التحريم [٩] يا أيها النبيء جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم لئلا يحسبوا أن قوله: ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد [الحديد: ٢٤] مجرد متاركة فيطمئنوا لذلك.وتأكيد الخبر بلام القسم وحرف التحقيق راجع إلى ما تضمنه الخبر من ذكر ما في إرسال رسل الله وكتبه من إقامة القسط للناس، ومن التعريض بحمل المعرضين على السيف إن استمروا على غلوائهم.وجمع (الرسل) هنا لإفادة أن ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ليس بدعا من الرسل، وأن مكابرة المنافقين عماية عن سنة الله في خلقه فتأكيد ذلك مبني على تنزيل السامعين منزلة من ينكر أن الله أرسل رسلا قبل محمد صلى الله عليه وسلم لأن حالهم في التعجب من دعواه الرسالة كحال من ينكر أن الله أرسل رسلا من قبل. وقد تكرر مثل هذا في مواضع من القرآن كقوله تعالى: قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات [آل عمران: ١٨٣] .." (٢)

"وجملة والله ذو الفضل العظيم **تذييل** يعم الفضل الذي آتاه الله أهل الكتاب المؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم وغيره من الفضل.." (٣)

"والاشتكاء: مبالغة في الشكوى وهي ذكر ما آذاه، يقال: شكا وتشكى واشتكى وأكثرها مبالغة. اشتكى، والأكثر أن تكون الشكاية لقصد طلب إزالة الضر الذي يشتكي منه بحكم أو نصر أو إشارة بحيلة خلاص.وتعلق فعل التجادل بالكون في زوجها على نية مضاف معلوم من المقام في مثل هذا بكثرة: أي في شأن زوجها وقضيته كقوله تعالى: يجادلنا في قوم لوط [هود: ٧٤] ، وقوله: ولا تخاطبني في الذين ظلموا [المؤمنون: ٢٧] وهو من المسألة الملقبة في «أصول الفقه» بإضافة التحليل والتحريم إلى الأعيان في نحو حرمت عليكم الميتة [المائدة: ٣] .والتحاور تفاعل من حار إذا أجاب.

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٤١٣/٢٧

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٤١٥/٢٧

(٣) التحرير والتنويرابن عاشور ٤٣٣/٢٧

فالتحاور حصول الجواب من جانبين، فاقتضت مراجعة بين شخصين.والسماع في قوله: والله يسمع تحاوركما مستعمل في معناه الحقيقي المناسب لصفات الله إذ لا صارف يصرف عن الحقيقة. وكون الله تعالى عالما بما جرى من المحاورة معلوم لا يراد من الإخبار به إفادة الحكم، فتعين صرف الخبر إلى إرادة الاعتناء بذلك التحاور والتنويه به وبعظيم منزلته لاشتماله على ترقب النبيء صلى الله عليه وسلم ما ينزله عليه من وحي، وترقب المرأة الرحمة، وإلا فإن المسلمين يعلمون أن الله عالم بتحاورهما.وجملة: والله يسمع تحاوركما في موضع الحال من ضمير تجادلك. وجيء بصيغة المضارع لاستحضار حالة مقارنة علم الله لتحاورهما زيادة في التنويه بشأن ذلك التحاور.وجملة الله سميع بصير **تذييل** لجملة والله يسمع تحاوركما أي: أن الله عالم بكل صوت وبكل مرئي. ومن ذلك محاورة المجادلة ووقوعها عند النبيء صلى الله عليه وسلم. وتكرير اسم الجلالة في موضع إضماره ثلاث مرات لتربية المهابة وإثارة تعظيم منته تعالى ودواعي شكره.[٢][سورة المجادلة (٥٨) : آية ٢]الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن أمهاتهم إن أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم وإنهم ليقولون منكرا من القول وزورا وإن الله لعفو غفور." (١)

"مس استمتاع قبل أن يكفر وهو كناية عن الجماع في اصطلاح القرآن، كما قال: وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن [البقرة: ٢٣٧] .ولذلك جعلت الكفارة عتق رقبة لأنه يفتدي بتلك الرقبة رقبة زوجه.وقد جعلها الله تعالى موعظة بقوله: ذلكم توعظون به. واسم الإشارة في قوله:ذلكم عائد إلى تحرير رقبة. والوعظ: التذكير بالخير والتحذير من الشر بترغيب أو ترهيب، أي فرض الكفارة تنبيه لكم لتتفادوا مسيس المرأة التي طلقت أو تستمروا على مفارقتها مع الرغبة في العود إلى معاشرتها لئلا تعودوا إلى الظهار. ولم يسم الله ذلك كفارة هنا وسماها النبيء صلى الله عليه وسلم كفارة كما في حديث سلمة بن صخر البياضي في «جامع الترمذي» وإنما الكفارة من نوع العقوبة في أحد قولين عن مالك وهو قول الشافعي حكاه عنه ابن العربي في «الأحكام» .فالمظاهر ممنوع من الاستمتاع بزوجته المظاهر منها، أي ممنوع من علائق الزوجية، وذلك يقتضي تعطيل العصمة ما لم يكفر لأنه ألزم نفسه ذلك فإن استمتع بها قبل الكفارة كلها فليتب إلى الله وليستغفر وتتعين عليه الكفارة ولا تتعدد الكفارة بسبب الاستمتاع قبل التكفير لأنه سبب واحد فلا يضر تكرر مسببه، وإنما جعلت الكفارة زجرا ولذلك لم يكن وطء المظاهر امرأته قبل الكفارة زنا. وقدروى أبو داود والترمذي حديث سلمة بن صخر البياضي أنه ظاهر من امرأته ثم وقع عليها قبل أن يكفر فأمره النبيء صلى الله عليه وسلم بكفارة واحدة،وهو قول جمهور العلماء. وعن مجاهد وعبد الرحمن بن مهدي أن عليه كفارتين.وتفاصيل أحكام الظهار في صيغته وغير ذلك مفصلة في كتب الفقه.وقوله: والله بما تعملون خبير **تذييل** لجملة ذلكم توعظون به، أي والله عليم بجميع ما تعملونه من هذا التكفير وغيره.[٤][سورة المجادلة (٥٨) : آية ٤]فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله وللكافرين عذاب أليم (٤)فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٩/٢٨

قبل أن يتماسا فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا.رخصة لمن لم يجد عتق رقبة أن ينتقل إلى صيام شهرين متتابعين لأنه لما لم يجد." (١)

"وجملة أحصاه الله ونسوه في موضع الحال من (ما عملوا) .والمقصود من الحال هو ما عطف عليها من قوله: ونسوه لأن ذلك محل العبرة.وبه تكون الحال مؤسسة لا مؤكدة لعاملها، وهو فينبئهم، أي علمه الله علما مفصلا من الآن، وهم نسوه، وذلك تسجيل عليهم بأنهم متهاونون بعظيم الأمر وذلك من الغرور، أي نسوه في الدنيا بله الآخرة فإذا أنبئوا به عجبوا قال تعالى: ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا [الكهف: ٤٩] .وجملة والله على كل شيء شهيد **تذييل**. والشهيد: العالم بالأمور المشاهدة.[٧][سورة المجادلة (٥٨) : آية ٧]ألم تر أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم (٧)استئناف ابتدائي هو تخلص من قوله تعالى: أحصاه الله ونسوه [المجادلة: ٦] إلى ذكر علم الله بأحوال المنافقين وأحلافهم اليهود. فكان المنافقون يناجي بعضهم بعضا ليري للمسلمين مودة بعض المنافقين لبعض فإن المنافقين بتناجيهم يظهرون أنهم طائفة أمرها واحد وكلمتها واحدة، وهم وإن كانوا يظهرون الإسلام يحبون أن تكون لهم خيفة في قلوب المسلمين يتقون بها بأسهم إن اتهموا بعضهم بالنفاق أو بدرت من أحدهم بادرة تنم بنفاقه، فلا يقدم المؤمنون على أذاه لعلمهم بأن له بطانة تدافع عنه. وكانوا إذا مر بهم المسلمون نظروا إليهم فحسب المارون لعل حدثا حدث من مصيبة، وكان المسلمون يومئذ على توقع حرب مع المشركين في كل حين فيتوهمون أن مناجاة المتناجين حديث عن قرب العدو أو عن هزيمة للمسلمين في السرايا التي يخرجون فيها، فنزلت هذه الآيات لإشعار المنافقين بعلم الله بماذا يتناجون، وأنه مطلع رسوله صلى الله عليه وسلم على دخيلتهم ليكفوا عن الكيد للمسلمين.." (٢)

"وجملة إن الله بكل شيء عليم **تذييل** لجملة ثم ينبئهم بما عملوا فأغنت أن غناء فاء السببية كقول بشار:إن ذاك النجاح في التبكير وتأكيد الجملة ب أن للاهتمام به وإلا فإن المخاطب لا يتردد في ذلك. وهذا التعريض بالوعيد يدل على أن النهي عن التناجي كان سابقا على نزول هذه الآية والآيات بعدها.[٨][سورة المجادلة (٥٨) : آية ٨]ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالإثم والعدوان ومعصية الرسول وإذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير (٨)ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالإثم والعدوان ومعصية الرسول.إن كانت هذه الآية والآيتان اللتان بعدها نزلت مع الآية التي قبلها حسبما يقتضيه ظاهر ترتيب التلاوة كان قوله تعالى: نهوا عن النجوى مؤذنا بأنه سبق نهي عن النجوى قبل نزول هذه الآيات، وهو ظاهر قول مجاهد وقتادة: نزلت في قوم من اليهود والمنافقين نهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التناجي بحضرة المؤمنين فلم ينتهوا، فنزلت، فتكون الآيات الأربع نزلت لتوبيخهم وهو ما اعتمدناه آنفا.وإن كانت نزلت بعد الآية

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٩/٢٨

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٥/٢٨

التي قبلها بفترة كان المراد النهي الذي أشار إليه قوله تعالى: ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة [المجادلة: ٧] كما تقدم، بأن لم ينتهوا عن النجوى بعد أن سمعوا الوعيد عليها بقوله تعالى: ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة، فالمراد ب الذين نهوا عن النجوى هم الذين عنوا بقوله: ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم [المجادلة: ٧] الآية.وثم في قوله: ثم يعودون للتراخي الرتبي لأن عودتهم إلى النجوى بعد أن نهوا عنها أعظم من ابتداء النجوى لأن ابتداءها كان إثما لما اشتملت عليه نجواهم من نوايا سيئة نحو النبيء صلى الله عليه وسلم والمسلمين، فأما عودتهم إلى النجوى بعد أن نهوا عنها فقد زادوا به تمردا على النبيء صلى الله عليه وسلم ومشاقة للمسلمين.فالجملة مستأنفة استئنافا ابتدائيا اقتضاه استمرار المنافقين على نجواهم.." (١)

"والدرجات مستعارة للكرامة فإن الرفع في الآية رفعا مجازيا، وهو التفضيل والكرامة وجيء للاستعارة بترشيحها بكون الرفع درجات. وهذا الترشيح هو أيضا استعارة مثل الترشيح في قوله تعالى: ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه [الرعد: ٢٥] وهذا أحسن الترشيح. وقد تقدم نظيره في قوله تعالى في سورة الأنعام [٨٣] نرفع درجات من نشاء.وقال عبد الله بن مسعود وجماعة من أهل التفسير: إن قوله: والذين أوتوا العلم درجات كلام مستأنف وتم الكلام عند قوله: منكم قال ابن عطية: ونصب بفعل مضمر ولعله يعني: نصب درجات بفعل هو الخبر عن المبتدأ، والتقدير: جعلهم.وجملة والله بما تعملون خبير **تذييل**، أي الله عليم بأعمالكم ومختلف نياتكم من الامتثالكقول النبيء صلى الله عليه وسلم «لا يكلم أحد في سبيل الله. والله أعلم بمن يكلم في سبيله»الحديث.[١٢][سورة المجادلة (٥٨) : آية ١٢]يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ذلك خير لكم وأطهر فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم (١٢)استئناف ابتدائي عاد به إلى ذكر بعض أحوال النجوى وهو من أحوالها المحمودة.والمناسبة هي قوله تعالى: وتناجوا بالبر والتقوى [المجادلة: ٩] . فهذه الصدقة شرعها الله تعالى وجعل سببها مناجاة الرسول صلى الله عليه وسلم، فذكرت عقب آي النجوى لاستيفاء أنواع النجوى من محمود ومذموم. وقد اختلف المتقدمون في سبب نزول هذه الآية، وحكمة مشروعية صدقة المناجاة. فنقلت عن ابن عباس وقتادة وجابر بن زياد وزيد بن أسلم ومقاتل أقوال في سبب نزولها متخالفة، ولا أحسبهم يريدون منها إلا حكاية أحوال للنجوى كانت شائعة، فلما نزل حكم صدقة النجوى أقل الناس من النجوى. وكانت عبارات الأقدمينتجري على التسامح فيطلقون على أمثلة الأحكام وجزئيات الكليات اسم أسباب النزول، كما ذكرناها في المقدمة الخامسة من مقدمات هذا التفسير، وأمسك مجاهد فلم يذكر لهذه الآية سببا واقتصر على قوله: نهوا عن مناجاة الرسول حتى يتصدقوا.." (٢)

"ثم تجاوز الله عنهم رحمة بهم بقوله تعالى: فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة الآية. وقد علم من الاستفهام التوبيخي أي بعضا لم يفعل ذلك.و (إذ) ظرفية مفيدة للتعليل، أي فحين لم تفعلوا فأقيموا الصلاة.وفاء فإذ لم تفعلوا لتفريع ما بعدها على الاستفهام التوبيخي.وجملة وتاب الله عليكم معترضة، والواو اعتراضية. وما تتعلق به (إذ) محذوف دل عليه قوله: وتاب الله عليكم تقديره: خففنا عنكم وأعفيناكم من أن تقدموا صدقة قبل مناجاة الرسول صلى

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٨/٢٨

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٤٢/٢٨

الله عليه وسلم. وفاء فأقيموا الصلاة عاطفة على الكلام المقدر وحافظوا على التكاليف الأخرى وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله. أي فذلك لا تسامح فيه، قيل لهم ذلك لئلا يحسبوا أنهم كلما ثقل عليهم فعل مما كلفوا به يعفون منه.وإذ قد كانت الزكاة المفروضة سابقة على الأمر بصدقة النجوى على الأصح كان فعل آتوا مستعملا في طلب الدوام مثل فعل فأقيموا.واعلم أنه يكثر وقوع الفاء بعد (إذ) ومتعلقها كقوله تعالى: وإذ لم يهتدوا بهفسيقولون هذا إفك قديم في سورة الأحقاف [١١] . وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف في سورة الكهف [١٦] .وجملة والله خبير بما تعملون تذييل لجملة فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وهو كناية عن التحذير من التفريط في طاعة الله ورسوله.[١٤، ١٥][سورة المجادلة (٥٨) : الآيات ١٤ إلى ١٥]ألم تر إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون (١٤) أعد الله لهم عذابا شديدا إنهم ساء ما كانوا يعملون (١٥)هذه حالة أخرى من أحوال أهل النفاق هي توليهم اليهود مع أنهم ليسوا من أهل ملتهم لأن المنافقين من أهل الشرك.." (١)

"أكدارها لتخلص إلى عالم الخلود طاهرة، فإن هي سلكت مسلك التزكية تخلصت إلى عالم الخلود زكية ويزيدها الله زكاء وارتياضا يوم البعث. وإن انغمست مدة الحياة في حمأة النقائص وصلصال الرذائل جاءت يوم القيامة على ما كانت عليه تشويها لحالها لتكون مهزلة لأهل المحشر.وقد تبقى في النفوس الزكية خلائق لا تنافي الفضيلة ولا تناقض عالم الحقيقة مثل الشهوات المباحة ولقاء الأحبة قال تعالى: الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون [الزخرف: ٦٧- ٧٠] .وفي الحديث: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن رجلامن أهل الجنة يستأذن ربه أن يزرع، فيقول الله: أو لست فيما شئت قال: بلى ولكن أحب أن أزرع، فأسرع وبذر فيبادر الطرف نباته واستواؤه واستحصاده وتكويره أمثال الجبال.وكان رجل من أهل البادية عند النبيء صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله لا نجد هذا إلا قرشيا أو أنصاريا فإنهم أصحاب زرع فأما نحن فلسنا بأصحاب زرع، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم إقرارا لما فهمه الأعرابي» .وفي حديث جابر بن عبد الله عن مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يبعث كل عبد على ما مات عليه». قال عياض في «الإكمال» : هو عام في كل حالة مات عليها المرء. قال السيوطي: يبعث الزمار بمزماره. وشارب الخمر بقدحه اهـ. قلت: ثم تتجلى لهم الحقائق على ما هي عليه إذ تصير العلوم على الحقيقة.وختم هذا الكلام بقوله تعالى: ألا إنهم هم الكاذبون وهو تذييل جامع لحال كذبهم الذي ذكره الله بقوله: ويحلفون على الكذب [المجادلة: ١٤] . فالمراد أن كذبهم عليكم لا يماثله كذب، حتى قصرت صفة الكاذب عليهم بضمير الفصل في قوله: إنهم هم الكاذبون وهو قصر ادعائي للمبالغة لعدم الاعتداد بكذب غيرهم. وأكد ذلك بحرف التوكيد توكيدا لمفاد الحصر الادعائي، وهو أن كذب غيرهم كلا كذب في جانب كذبهم، وبأداة الاستفتاح المقتضية استمالة السمع لخبرهم لتحقيق تمكن صفة الكذب منهم حتى أنهم يلازمهم يوم البعث.[١٩][سورة المجادلة (٥٨) : آية ١٩]استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون." (٢)

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٨/٤٧

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٨/٥٣

"تقع بعد فعل علم يقين أو ظن ولا بعد ما فيه معنى القول، فهي مصدرية وليست مخففة من الثقيلة.ولهم في الآخرة عذاب النار عطف على جملة ولولا أن كتب الله عليهم الآية، أو على جملة هو الذي أخرج الذين كفروا [الحشر: ٢] ، وليس عطفا على جواب لولا فإن عذاب النار حاق عليهم وليس منتفيا. والمقصود الاحتراس من توهم أن الجلاء بدل من عذاب الدنيا ومن عذاب الآخرة.[٤][سورة الحشر (٥٩) : آية ٤]ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فإن الله شديد العقاب (٤)الإشارة إلى جميع ما ذكر من إخراج الذين كفروا من ديارهم، وقذف الرعب في قلوبهم، وتخريب بيوتهم، وإعداد العذاب لهم في الآخرة.والباء للسببية وهي جارة للمصدر المنسبك من (أن) وجملتها.والمشاقة: المخاصمة والعداوة قال تعالى: ويقول أين شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم [النحل: ٢٧] وقد تقدم نظيره في أول الأنفال.والمشاقة كالمحادة مشتقة من الاسم. وهو الشق، كما اشتقت المحادة من الحد، كما تقدم في أول سورة المجادلة. وتقدم في سورة النساء [٣٥] وإن خفتم شقاق بينهما.وقد كان بنو النضير ناصبوا المسلمين العداء بعد أن سكنوا المدينة وأضروا المنافقين وعاهدوا مشركي أهل مكة كما علمت آنفا.وجملة ومن يشاق الله فإن الله شديد العقاب تذييل، أي شديد العقاب لكل من يشاققه من هؤلاء وغيرهم.." (١)

"وقوله: فما أوجفتم عليه خبر عن (ما) الموصولة قرن بالفاء لأن الموصول كالشرط لتضمنه معنى التسبب كما تقدم آنفا في قوله: فبإذن الله [الحشر: ٥] .وهو بصريحه امتنان على المسلمين بأن الله ساق لهم أموال بني النضير دون قتال، مثل قوله تعالى: وكفى الله المؤمنين القتال [الأحزاب: ٢٥] ، ويفيد مع ذلك كناية بأن يقصد بالإخبار عنه بأنهم لم يوجفوا عليه لازم الخبر وهو أنه ليس لهم سبب حق فيه.والمعنى: فما هو من حقكم، أو لا تسألوا قسمته لأنكم لم تنالوه بقتالكم ولكن الله أعطاه رسوله صلى الله عليه وسلم نعمة منه بلا مشقة ولا نصب.والإيجاف: نوع من سير الخيل. وهو سير سريع بإيقاع وأريد به الركض للإغارة لأنه يكون سريعا.والركاب: اسم جمع للإبل التي تركب. والمعنى: ما أغرتم عليه بخيل ولا إبل.وحرف (على) في قوله تعالى: فما أوجفتم عليه للتعليل، وليس لتعدية أوجفتم لأن معنى الإيجاف لا يتعدى إلى الفيء بحرف الجر، أو متعلق بمحذوف هو مصدر أوجفتم، أي إيجافا لأجله.ومن في قوله: من خيل زائدة داخلة على النكرة في سياق النفي ومدخول من في معنى المفعول به ل أوجفتم أي ما سقتم خيلا ولا ركابا.وقوله: ولكن الله يسلط رسله على من يشاء استدراك على النفي الذي في قوله تعالى: فما أوجفتم عليه لرفع توهم أنه لا حق فيه لأحد. والمراد: أن الله سلط عليه رسوله صلى الله عليه وسلم. فالرسول أحق به. وهذا التركيب يفيد قصرا معنويا كأنه قيل: فما سلطكم الله عليهم ولكن سلط عليهم رسوله صلى الله عليه وسلم.وفي قوله تعالى: ولكن الله يسلط رسله على من يشاء إيجاز حذف لأن التقدير:ولكن الله سلط عليهم رسوله صلى الله عليه وسلم. والله يسلط رسله على من يشاء وكان هذا بمنزلة التذييل لعمومه وهو دال على المقدر.." (٢)

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٨/٧٤

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٨/٧٩

"وعموم من يشاء لشمول أنه يسلط رسله على مقاتلين ويسلطهم على غير المقاتلين.والمعنى: وما أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وسلم إنما هو بتسليط الله رسوله صلى الله عليه وسلم عليهم، وإلقاء الرعب في قلوبهم والله يسلط رسله على من يشاء. فأغنى التذييل عن المحذوف، أي فلا حق لكم فيه فيكون من مال الله يتصرف فيه رسوله صلى الله عليه وسلم وولاة الأمور من بعده.فتكون الآية تبيينا لما وقع في قسمة فيء بني النضير. ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقسمه على جميع الغزاة ولكن قسمه على المهاجرين سواء كانوا ممن غزوا معه أم لم يغزوا إذ لم يكن للمهاجرين أموال. فأراد أن يكفيهم ويكفي الأنصار ما منحوه المهاجرين من النخيل. ولم يعط منه الأنصار إلا ثلاثة لشدة حاجتهم وهم أبو دجانة (سماك بن خزينة) ، وسهل بن حنيف، والحارث بن الصمة. وأعطى سعد بن معاذ سيف أبي الحقيق.وكل ذلك تصرف باجتهاد الرسول صلى الله عليه وسلم لأن الله جعل تلك الأموال له.فإن كانت الآية نزلت بعد أن قسمت أموال النضير كانت بيانا بأن ما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم حق، أمره الله به، أو جعله إليه، وإن كانت نزلت قبل القسمة، إذروي أن سبب نزولها أن الجيش سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم تخميس أموال بني النضير مثل غنائم بدر فنزلت هذه الآية، كانت الآية تشريعا لاستحقاق هذه الأموال.قال أبو بكر ابن العربي: «لا خلاف بين العلماء أن الآية الأولى خاصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم» أي هذه الآية الأولى من الآيتين المذكورتين في هذه السورة خاصة بأموال بني النضير، وعلى أنها خاصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم يضعها حيث يشاء. وبذلك قال عمر بن الخطاب بمحضر عثمان، وعبد الرحمان بن عوف، والزبير، وسعد، وهو قول مالك فيماروى عنه ابن القاسم وابن وهب. قال: كانت أموال بني النضير صافية لرسول الله صلى الله عليه وسلم، واتفقوا على أن النبيء صلى الله عليه وسلم لم يخمسها. واختلف في القياس عليها كل مال لم يوجف عليه. قال ابن عطية:." (١)

"والدولة بفتح الدال: النوبة في الغلبة والملك. ولذلك أجمع القراء المشهورون على قراءتها في هذه الآية بضم الدال.وقرأ الجمهور كي لا يكون دولة بنصب دولة على أنه خبر يكون. واسم يكون ضمير عائد إلى ما أفاء الله، وقرأه هشام عن ابن عامر، وأبو جعفر برفع دولة على أن يكون تامة ودولة فاعله.وقرأ الجمهور يكون بتحتية في أوله. وقرأه أبو جعفر تكون بمثناة فوقية جريا على تأنيث فاعله. واختلف الرواة عن هشام فبعضهم روى عنه موافقة (أي جعفر) في تاء تكون وبعضهم روى عنه موافقة الجمهور في الياء.والخطاب في قوله تعالى: بين الأغنياء منكم للمسلمين لأنهم الذين خوطبوا في ابتداء السورة بقوله: ما ظننتم أن يخرجوا [الحشر: ٢] ثم قوله: ما قطعتم من لينة [الحشر: ٥] وما بعده. وجعله ابن عطية خطابا للأنصار لأن المهاجرين لم يكن لهم في ذلك الوقت غنى.والمراد ب الأغنياء الذين هم مظنة الغنى، وهم الغزاة لأنهم أغنياء بالمغانم والأنفال.وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب.اعتراض ذيل به حكم فيء بني النضير إذ هو أمر بالأخذ بكل ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ومما جاءت به هذه الآيات في شأن فيء النضير، والواو اعتراضية، والقصد من هذا التذييل إزالة ما في نفوس بعض الجيش من حزازة حرمانهم مما أفاء الله على رسوله صلى

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٨٠/٢٨

الله عليه وسلم من أرض النضير.والإيتاء مستعار لتبليغ الأمر إليهم، جعل تشريعه وتبليغه كإيتاء شيء بأيديهم كما قال تعالى: خذوا ما آتيناكم بقوة [البقرة: ٦٣ و٩٣] واستعير الأخذ أيضا لقبول الأمر والرضى به والعمل.." (١)

"وأعيد اللام مع البدل لربطه بالمبدل منه لانفصال ما بينهما بطول الكلام من تعليل **وتذييل** وتحذير. ولإفادة التأكيد.وكثيرا ما يقترن البدل بمثل العامل في المبدل منه على وجه التأكيد اللفظي، وتقدم في قوله تعالى: تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا في سورة العقود [١١٤] . فبقي احتمال أن يكون قيدا لذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل [الحشر: ٧] ، فيتعين أن يكون قوله: للفقراء إلى آخره مسوقا لتقييد استحقاق هؤلاء الأصناف وشأن القيود الواردة بعد مفردات أن ترجع إلى جميع ما قبلها، فيقتضي هذا أن يشترط الفقر في كل صنف من هذهالأصناف الأربعة، لأن مطلقها قد قيد بقيد عقب إطلاق، والكلام بأواخره فليس يجري هنا الاختلاف في حمل المطلق على المقيد، ولا تجري الصور الأربع في حمل المطلق على المقيد من اتحاد حكمهما وجنسهما. ولذلك قال مالك وأبو حنيفة: لا يعطى ذوو القربى إلا إذا كانوا فقراء لأنه عوض لهم عما حرموه من الزكاة. وقال الشافعي وكثير من الفقهاء: يشترط الفقر فيما عدا ذوي القربى لأنه حق لهم لأجل القرابة للنبيء صلى الله عليه وسلم. قال إمام الحرمين: أغلظ الشافعي الرد على مذهب أبي حنيفة بأن الله علق الاستحقاق بالقرابة ولم يشترط الحاجة، فاشتراطها وعدم اعتبار القرابة يضاره ويحاده.قلت: هذا محل النزاع فإن الله ذكر وصف اليتامى ووصف ابن السبيل ولم يشترط الحاجة.واعتذر إمام الحرمين للحنفية بأن الصدقات لما حرمت على ذوي القربى كانت فائدة ذكرهم في خمس الفيء والمغانم أنه لا يمتنع صرفه إليهم امتناع صرف الصدقات، ثم قال: لا تغتر بالاعتذار فإن الآية نص على ثبوت الاستحقاق تشريفا لهم فمن علله بالحاجة فوت هذا المعنى اه.وعند التأمل تجد أن هذا الرد مدخول، والبحث فيه يطول. ومحله مسائل الفقه والأصول.ومن العلماء والمفسرين من جعل جملة للفقراء المهاجرين ابتدائية على حذف." (٢)

"وذكرت قصص من هذا القبيل في التفاسير، قيل: نزلت هذه الآية في قصة أبي طلحة وقيل غير ذلك.وجملة ولو كان بهم خصاصة في موضع الحال.ولو وصلية وهي التي تدل على مجرد تعليق جوابها بشرط يفيد حالة لا يظن حصول الجواب عند حصولها. والتقدير: لو كان بهم خصاصة لآثروا على أنفسهم فيعلم أن إيثارهم في الأحوال التي دون ذلك بالأحرى دون إفادة الامتناع. وقد بينا ذلك عند قوله تعالى: فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا ولو افتدى به في سورة آل عمران [٩١] .والخصاصة: شدة الاحتياج.وتذكير فعل كان لأجل كون تأنيث الخصاصة ليس حقيقيا، ولأنه فصل بين كان واسمها بالمجرور. والباء للملابسة.وجملة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون **تذييل**، والواو اعتراضية، فإن **التذييل** من قبيل الاعتراض في آخر الكلام على الرأي الصحيح. **وتذييل** الكلام بذكر فضل من يوقون شح أنفسهم بعد قوله: ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة يشير إلى أن إيثارهم على أنفسهم حتى في حالة الخصاصة هو سلامة من شح الأنفس فكأنه قيل لسلامتهم من شح الأنفس ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون.والشح بضم الشين وكسرها:

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٨٦/٢٨

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٨٨/٢٨

غريزة في النفس بمنع ما هو لها، وهو قريب من معنى البخل. وقال الطيبي: الفرق بين الشح والبخل عسير جدا وقد أشار في «الكشاف» إلى الفرق بينهما بما يقتضي أن البخل أثر الشح وهو أن يمنع أحد ما يراد منه بذله وقد قال تعالى: وأحضرت الأنفس الشح [النساء: ١٢٨] أي جعل الشح حاضرا معها لا يفارقها، وأضيف في هذه الآية إلى النفس لذلك فهو غريزة لا تسلم منها نفس.وفي الحديث في بيان أفضل الصدقة «أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقروتأمل الغنى»ولكن النفوس تتفاوت في هذا المقدار فإذا غلب." (١)

"الآية. وظاهر أن هذه المحاجة لا تقع إلا في يوم الجزاء وبعد موت الكافر على الكفر دون من أسلموا.وقول: فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها من تمام المثل. أي كان عاقبة الممثل بهما خسرانهما معا. وكذلك تكون عاقبة الفريقين الممثلين أنهما خائبان فيما دبرا وكادا للمسلمين.وجملة وذلك جزاء الظالمين **تذييل**، والإشارة إلى ما يدل عليه فكان عاقبتهما أنهما في النار من معنى، فكانت عاقبتهما سوأى والعاقبة السوأى جزاء جميع الظالمين المعتدين على الله والمسلمين، فكما كانت عاقبة الكافر وشيطانه عاقبة سوء كذلك تكون عاقبة الممثلين بهما وقد اشتركا في ظلم أهل الخير والهدى.[١٨][سورة الحشر (٥٩) : آية ١٨]يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون (١٨)انتقال من الامتنان على المسلمين بما يسر الله من فتح قرية بني النضير بدون قتال، وما أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وسلم منهم، ووصف ما جرى من خيبتهم وخيبة أملهم في نصرة المنافقين، ومن الإيذان بأن عاقبة أهل القرى الباقية كعاقبة أسلافهم. وكذلك موقف أنصارهم معهم، إلى الأمر بتقوى الله شكرا له على ما منح وما وعد من صادق الوعد فإن الشكر جزاء العبد عن نعمة ربه إذ لا يستطيع جزاء غير ذلك فأقبل على خطاب الذين آمنوا بالأمر بتقوى الله.ولما كان ما تضمنته السورة من تأييد الله إياهم وفيض نعمه عليهم كان من منافع الدنيا، أعقبه بتذكيرهم بالإعداد للآخرة بقوله: ولتنظر نفس ما قدمت لغد أي لتتأمل كل نفس فيما قدمته للآخرة.وجملة ولتنظر نفس ما قدمت لغد، عطف أمر على أمر آخر. وهي معترضة بين جملة اتقوا الله وجملة إن الله خبير بما تعملون. وذكر." (٢)

"وإظهار اسم الجلالة في قوله تعالى: كالذين نسوا الله دون أن يقال: نسوه لاستفظاع هذا النسيان فعلق باسم الله الذي خلقهم وأرشدهم.والقصر المستفاد من ضمير الفصل في قوله: أولئك هم الفاسقون قصر ادعائي للمبالغة في وصفهم بشدة الفسق حتى كأن فسق غيرهم ليس بفسق في جانب فسقهم.واسم الإشارة للتشهير بهم بهذا الوصف.والفسق: الخروج من المكان الموضوع للشيء فهو صفة ذم غالبا لأنه مفارقة للمكان اللائق بالشيء، ومنه قيل: فسقت الرطبة إذا خرجت من قشرها، فالفاسقون هم الآتونبفواحش السيئات ومساوئ الأعمال وأعظمها الإشراك.وجملة أولئك هم الفاسقون مستأنفة استئنافا بيانيا لبيان الإبهام الذي أفاده قوله:فأنساهم أنفسهم كأن السامع سأل: ماذا كان إثر إنساء الله إياهم أنفسهم؟ فأجيب بأنهم بلغوا بسبب ذلك منتهى الفسق في الأعمال السيئة حتى حق عليهم أن يقال: إنه لا فسق بعد فسقهم.[٢٠][سورة الحشر (٥٩) : آية ٢٠]لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٨/٩٤

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٨/١١٠

(٢٠)تذييل لجملة يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد [الحشر: ١٨] إلخ. لأنه جامع لخلاصة عاقبة الحالين: حال التقوى والاستعداد للآخرة، وحال نسيان ذلك وإهماله، ولكلا الفريقين عاقبة عمله. ويشمل الفريقين وأمثالهم.والجملة أيضا فذلكة لما قبلها من حال المتقين والذين نسوا الله ونسوا أنفسهم لأن ذكر مثل هذا الكلام بعد ذكر أحوال المتحدث عنه يكون في الغالب للتعريض بذلك المتحدث عنه كقولك عند ما ترى أحدا يؤذي الناس:«المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»، فمعنى الآية كناية عن كون المؤمنين هم أصحاب الجنة، وكون الذين نسوا الله هم أهل النار فتضمنت الآية وعدا للمتقين ووعيدا للفاسقين.." (١)

"والخشوع: التطأطؤ والركوع، أي لرأيته ينزل أعلاه إلى الأرض.والتصدع: التشقق، أي لتزلزل وتشقق من خوفه الله تعالى.والخطاب في لرأيته لغير معين فيعم كل من يسمع هذا الكلام والرؤية بصرية، وهي منفية لوقوعها جوابا لحرف لو الامتناعية.والمعنى: لو كان كذلك لرأيت الجبل في حالة الخشوع والتصدع.وجملة وتلك الأمثال نضربها للناس تذييل لأن ما قبلها سيق مساق المثل فذيل بأن الأمثال التي يضربها الله في كلامه مثل المثل أراد منها أن يتفكروا فإن لم يتفكروا بها فقد سجل عليهم عنادهم ومكابرتهم، فالإشارة بتلك إلى مجموع ما مر على أسماعهم من الأمثال الكثيرة، وتقدير الكلام: ضربنا هذا مثلا، وتلك الأمثال نضربها للناس.وضرب المثل سوقه، أطلق عليه الضرب بمعنى الوضع كما يقال: ضرب بيتا، وقد تقدم بيان ذلك عند قوله تعالى: إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما في سورة البقرة [٢٦] .[٢٢][سورة الحشر (٥٩) : آية ٢٢]هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم (٢٢)لما تكرر في هذه السورة ذكر اسم الله وضمائره وصفاته أربعين مرة منها أربع وعشرون بذكر اسم الجلالة وست عشرة مرة بذكر ضميره الظاهر، أو صفاته العلية. وكان ما تضمنته السورة دلائل على عظيم قدرة الله وبديع تصرفه وحكمته.وكان مما حوته السورة الاعتبار بعظيم قدرة الله إذ أيد النبيء صلى الله عليه وسلم والمسلمين ونصرهم على بني النضير ذلك النصر الخارق للعادة، وذكر ما حل بالمنافقين أنصارهم وأن ذلك لأنهم شاقوا الله ورسوله وقوبل ذلك بالثناء على المؤمنين بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم الذين نصروا الدين، ثم الأمر بطاعة الله والاستعداد ليوم الجزاء، والتحذير من الذين أعرضوا عن كتاب الله ومن سوء عاقبتهم، وختم ذلك." (٢)

"وإلى هذا القسم تنضوي صفة لا إله إلا هو [الحشر: ٢٣] وهذه الصفة هي الأصل في التهيؤ للتدبر والنظر في بقية الصفات، فإن الإشراك أصل الضلالات، والمشركون هم الذين يغرون اليهود، والمنافقون بين يهود ومشركين تستروا بإظهار الإسلام، فالشرك هو الذي صد الناس عن الوصول إلى مسالك الهدى، قال تعالى: وما زادوهم غير تتبيب [هود: ١٠١] .وصفة عالم الغيب [الحشر: ٢٢] فإن من أصول الشرك إنكار الغيب الذي من آثاره إنكار البعث والجزاء، وعلى الاسترسال في الغي وأعمال السيئات وإنكار الوحي والرسالة. وهذا ناظر إلى قوله تعالى: لك بأنهم شاقوا الله ورسوله[الأنفال: ١٣] الآية.وكذلك ذكر صفات «الملك، والعزيز، والجبار، والمتكبر» ، لأنها تناسب ما أنزله ببني النضير من الرعب والخزي

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٨/١١٤

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٨/١١٧

والبطشة.القسم الثاني: متعلق بما اجتناه المؤمنون من ثمرة النصر في قصة بني النضير، وتلك صفات: السلام المؤمن [الحشر: ٢٣] لقوله: فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب [الحشر: ٦] ، أي لم يتجشم المسلمون للغنى مشقة ولا أذى ولا قتالا.وكذلك صفتا الرحمن الرحيم [الحشر: ٢٢] لمناسبتهما لإعطاء حظ في الفيء للضعفاء.القسم الثالث: متعلق بما يشترك فيه الفريقان المذكوران في هذه السورة فيأخذ كل فريق حظه منها، وهي صفات: «القدوس، المهيمن، الخالق، البارئ، المصور» .له الأسماء الحسنى.**تذييل** لما عدد من صفات الله تعالى، أي له جميع الأسماء الحسنى التي بعضها الصفات المذكورة آنفا.والمراد بالأسماء الصفات، عبر عنها بالأسماء لأنه متصف بها على ألسنة خلقه ولكونها بالغة منتهى حقائقها بالنسبة لوصفه تعالى بها فصارت كالأعلام على ذاته تعالى.." (١)

"وقوله: إن كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي شرط ذيل به النهي من قوله: لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء. وهذا مقام يستعمل في مثله الشرط بمنزلة التتميم لما قبله دون قصد تعليق ما قبله بمضمون فعل الشرط، أي لا يقصد أنه إذا انتفى فعل الشرط انتفى ما علق عليه كما هو الشأن في الشروط بل يقصد تأكيد الكلام الذي قبله بمضمون فعل الشرط فيكون كالتعليل لما قبله، وإنما يؤتى به في صورة الشرط مع ثقة المتكلم بحصول مضمون فعل الشرط بحيث لا يتوقع من السامع أن يحصل منه غير مضمون فعل الشرط فتكون صيغة الشرط مرادا بها التحذير بطريق المجاز المرسل في المركب لأن معنى الشرط يلزمه التردد غالبا. ولهذا يؤتى بمثل هذا الشرط إذا كان المتكلم واثقا بحصول مضمونه متحققا صحة ما يقوله قبل الشرط. كما ذكر في «الكشاف» في قوله تعالى: إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا أول المؤمنين في سورة الشعراء [٥١] ، في قراءة من قرأ أن كنا أول المؤمنين بكسر همزة (إن) وهي قراءة شاذة فتكون (إن) شرطية مع أنهم متحققون أنهم أول المؤمنين فطمعوا في مغفرة خطاياهم لتحققهم أنهم أول المؤمنين، فيكون الشرط في مثله بمنزلة التعليل وتكون أداة الشرط مثل (إذ) أو لام التعليل.وقد يأتي بمثل هذا الشرط من يظهر وجوب العمل على مقتضى ما حصل من فعل الشرط وأن لا يخالف مقتضاه كقوله تعالى: واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه [الأنفال: ٤١] إلى قوله: إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا [الأنفال: ٤١] ، أي فإيمانكم ويقينكم مما أنزلنا يوجبان أن ترضوا بصرف الغنيمة للأصناف المعينة من عندالله. ومنه كثير في القرآن إذا تتبعت مواقعه.ويغلب أن يكون فعل الشرط في مثله فعل كون إيذانا بأن الشرط محقق الحصول.وما وقع في هذه السورة من هذا القبيل فالمقصود استقرار النهي عن اتخاذ عدو الله أولياء وعقب بفرض شرطه موثوق بأن الذين نهوا متلبسون بمضمون فعل الشرط بلا ريب، فكان ذكر الشرط مما يزيد تأكيد الانكفاف.ولذلك يجاء بمثل هذا الشرط في آخر الكلام إذ هو يشبه التتميم **والتذييل**، وهذا من دقائق الاستعمال في الكلام البليغ.." (٢)

"قال في «الكشاف» في قوله تعالى: إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها في سورة الفرقان [٤٢] و (لولا) في مثل هذا الكلام جار من حيث المعنى لا من حيث الصنعة مجرى التقييد للحكم المطلق. وقال هنا إن كنتم خرجتم متعلق

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٢٦/٢٨

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١٣٦/٢٨

ب لا تتخذوا وقول النحويين في مثله على أنه شرط جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه. اه. يعني أن فرقا بين كلام النحويين وبين ما اختاره هو من جعله متعلقا ب لا تتخذوا فإنه جعل جواب الشرط غير منوي. قلت: فينبغي أن يعد كلامه من فروق استعمال الشروط مثل فروق الخبر وفروق الحال المبوب لكليهما في كتاب «دلائل الإعجاز» . وكلام النحاة جرى على غالب أحوال الشروط التي تتأخر عن جوابها نحو: اقبل شفاعة فلان إن شفع عندك، وينبغي أن يتطلب لتقديم ما يدل على الجواب المحذوف إذا حذف نكتة في غير ما جرى على استعمال الشرط بمنزلة **التذييل** والتتميم.وأداة الشرط في مثله تشبه أن الوصلية و (لو) الوصلية، ولذلك قال في «الكشاف» هنا: إن جملة إن كنتم خرجتم متعلقة ب لا تتخذوا يعني تعلق الحال بعاملها، أي والحال حال خروجكم في سبيل الله وابتغائكم مرضاته بناء على أن شرط أن. و (لو) الوصليتين يعتبر حالا. ولا يعكر عليه أن شرطهما يقترن بواو الحال لأن ابن جني والزمخشري سوغا خلو الحال في مثله عن الواو والاستعمال يشهد لهما.والمعنى: لا يقع منكم اتخاذ عدوي وعدوكم أولياء ومودتهم، مع أنهم كفروا بما جاءكم من الحق، وأخرجوكم لأجل إيمانكم. إن كنتم خرجتم من بلادكم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي، فكيف توالون من أخرجوكم وكان إخراجهم إياكم لأجلي وأنا ربكم.والمراد بالخروج في قوله: إن كنتم خرجتم الخروج من مكة مهاجرة إلى المدينة. فالخطاب خاص بالمهاجرين على طريقة تخصيص العموم في قوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء روعي في هذا التخصيص قرينة سبب نزول الآية على حادث حاطب بن أبي بلتعة.وجهادا، وابتغاء مرضاتي مصدران منصوبان على المفعول لأجله.." (١)

"الدين الحق كما قال إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك، ولا يكون ذلك بمصانعة لا يفهمون منها أنهم منكم بمحل المودة والعناية فيزدادوا تعنتا في كفرهم.وحكاية قول إبراهيم لأبيه وما أملك لك من الله من شيء إكمال لجملة ما قاله إبراهيم لأبيه وإن كان المقصود من الاستثناء مجرد وعده بالاستغفار له فبني عليه ما هو من بقية كلامه لما فيه من الدلالة على أن الاستغفار له قد لا يقبله الله.والواو في وما أملك لك من الله من شيء يجوز أن تكون للحال أو للعطف.والمعنى متقارب، ومعنى الحال أوضح وهو **تذييل**.ومعنى الملك في قوله: وما أملك القدرة، وتقدم في قوله تعالى: قل فمن يملك من الله شيئا في سورة العقود [١٧] .ومن شيء عام للمغفرة المسئولة وغيرها مما يريده الله به.ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير.الأظهر أن يكون هذا من كلام إبراهيم وقومه وجملة إلا قول إبراهيم إلى آخرها معترضة بين أجزاء القول فهو مما أمر المسلمون أن يأتسوا به، وبه يكون الكلام شديدالاتصال مع قوله: لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة [الممتحنة: ٦] .ويحتمل أن يكون تعليما للمؤمنين أن يقولوا هذا الكلام ويستحضروا معانيه ليجري عملهم بمقتضاه فهو على تقدير أمر بقول محذوف والمقصود من القول العمل بالقول فإن الكلام يجدد المعنى في نفس المتكلم به ويذكر السامع من غفلته. وهذا تتميم لما أوصاهم به من مقاطعة الكفار بعد التحريض على الائتساء بإبراهيم ومن معه.فعلى المعنى الأول يكون حكاية لما قاله إبراهيم وقومه بما يفيد حاصل معانيه فقد يكون هو معنى ما حكاه الله عن إبراهيم من قوله:." (٢)

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٣٧/٢٨

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١٤٦/٢٨

"كريمة دفعوه عنها بضرب أنفه بالرمح لئلا يكون نتاجها هجينا. وإذا تقدم أن هذه السورة نزلت عام فتح مكة وكان تزوج النبيء صلى الله عليه وسلم أم حبيبة في مدة مهاجرتها بالحبشة وتلك قبل فتح مكة كما صرح به ابن عطية وغيره. يعني فتكون آية عسى الله أن يجعل بينكم إلخ نزلت قبل نزول أول السورة ثم ألحقت بالسورة.وإما أن يكون كلام ابن عباس على وجه المثال لحصول المودة مع بعض المشركين، وحصول مثل تلك المودة يهيىء صاحبه إلى الإسلام واستبعد ابن عطية صحة ما روي عن ابن عباس.وعسى فعل مقاربة وهو مستعمل هنا في رجاء المسلمين ذلك من الله أو مستعملة في الوعد مجردة عن الرجاء. قال في «الكشاف» : كما يقول الملك في بعض الحوائج عسى أو لعل فلا تبقى شبهة للمحتاج في تمام ذلك.وضمير منهم عائد إلى العدو من قوله: لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء [الممتحنة: ١] .وجملة والله قدير تذييل. والمعنى: أنه شديد القدرة على أن يغير الأحوال فيصير المشركون مؤمنين صادقين وتصيرون أوداء لهم.وعطف على التذييل جملة والله غفور رحيم، أي يغفر لمن أنابوا إليه ويرحمهم فلا عجب أن يصيروا أوداء لكم كما تصيرون أوداء لهم.[٨][سورة الممتحنة (٦٠) : آية ٨]لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين (٨)استئناف هو منطوق لمفهوم الأوصاف التي وصف بها العدو في قوله تعالى: وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم [الممتحنة: ١] وقوله: إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء [الممتحنة: ٢] ، المسوقة مساق التعليل للنهي عن اتخاذ عدو الله أولياء، استثنى الله أقواما من المشركين غير مضمرين العداوة للمسلمين وكان دينهم شديد المنافرة مع دين الإسلام.." (١)

"والبر: حسن المعاملة والإكرام. وهو يتعدى بحرف الجر، يقال: بر به، فتعديته هنا بنفسه على نزع الخافض.والقسط: العدل. وضمن تقسطوا معنى تفضوا فعدي ب (إلى) وكان حقه أن يعدى باللام. على أن اللام و (إلى) يتعاقبان كثيرا في الكلام، أي أن تعاملوهم بمثل ما يعاملونكم به من التقرب، فإن معاملة أحد بمثل ما عامل به من العدل.وجملة وإن الله يحب المقسطين تذييل، أي يحب كل مقسط فيدخل الذين يقسطون للذين حالفوهم في الدين إذا كانوا مع المخالفة محسنين معاملتهم.وعن ابن وهب قال: سألت ابن زيد عن قوله تعالى: لا ينهاكم الله الآية قال:نسخها القتال، قال الطبري: لا معنى لقول من قال: ذلك منسوخ، لأن بر المؤمن بمن بينه وبينه قرابة من أهل الحرب أو بمن لا قرابة بينه وبينه غير محرم إذا لم يكن في ذلك دلالة على عورة لأهل الإسلام. اه.ويؤخذ من هذه الآية جواز معاملة أهل الذمة بالإحسان وجواز الاحتفاء بأعيانهم.[٩][سورة الممتحنة (٦٠) : آية ٩]إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون (٩)فلذلك لما تقدم وحصر لحكم الآية المتقدمة. وهي تؤذن بانتهاء الغرض المسوق له الكلام من أوله.والقصر المستفاد من جملة إنما ينهاكم الله إلى آخرها قصر قلب لرد اعتقاد من ظن أو شك في جواز صلة المشركين على الإطلاق. والذين تحققت فيهم هذه الصفات يوم نزول الآية هم مشركو أهل مكة، وأن تولوهم بدل اشتمال من الذين قاتلوكم.." (٢)

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٥١/٢٨

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١٥٣/٢٨

"ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم.أي هذا حكم الله، وهو عدل بين الفريقين إذ ليس لأحد أن يأخذ بأحد جانبيه ويترك الآخر. قال الزهري: لولا العهد لأمسك النساء ولم يرد إلى أزواجهم صداق. وجملة يحكم بينكم يجوز كونها حالا من اسم الجلالة أو حالا من حكم الله مع تقدير ضمير يربط الجملة بصاحب الحال تقديره: يحكمه بينكم، وأن تكون استئنافا.وقوله: والله عليم حكيم **تذييل** يشير إلى أن هذا حكم يقتضيه علم الله بحاجات عباده وتقتضيه حكمته إذ أعطى كل ذي حق حقه.وقد كانت هذه الأحكام التي في هذه الآيات من التراد في المهور شرعا في أحوال مخصوصة اقتضاها اختلاط الأمر بين أهل الشرك والمؤمنين وما كان من عهد المهادنة بين المسلمين والمشركين في أوائل أمر الإسلام خاصا بذلك الزمان بإجماع أهل العلم، قالهابن العربي والقرطبي وأبو بكر الجصاص.[١١][سورة الممتحنة (٦٠) : آية ١١]وإن فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار فعاقبتم فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون (١١)عطف على جملة وسئلوا ما أنفقتم [الممتحنة: ١٠] فإنها لما ترتب على نزولها إباء المشركين من أن يردوا إلى أزواج النساء اللاء بقين على الكفر بمكة واللاء فررن من المدينة والتحقن بأهل الكفر بمكة مهورهن التي كانوا أعطوها نساءهم، عقبت بهذه الآية لتشريع رد تلك المهور من أموال المسلمين فيما بينهم.روي أن المسلمين كتبوا إلى المشركين يعلمونهم بما تضمنته هذه الآية من التراد بين الفريقين في قوله تعالى: وسئلوا ما أنفقتم وليسئلوا ما أنفقوا [الممتحنة: ١٠] .فامتنع المشركون من دفع مهور النساء اللاتي ذهبت إليهم فنزل قوله تعالى: وإن فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار الآية.." (١)

"وقد تقدم أن عمر طلق زوجتيه قريبة وأم جرول، فلم تكونا ممن لحق بالمشركين، وإنما بقيتا بمكة إلى أن طلقهما عمر. وأحسب أن جميعهن إنما طلقهن أزواجهن عند نزول قوله تعالى: ولا تمسكوا بعصم الكوافر [الممتحنة: ١٠] .**والتذييل** بقوله: واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون تحريض للمسلمين على الوفاء بما أمرهم الله وأن لا يصدهم عن الوفاء ببعضه معاملة المشركين لهم بالجور وقلة النصفة، فأمر بأن يؤدي المسلمون لإخوانهم مهور النساء اللاء فارقوهن ولم يرض المشركون بإعطائهم مهورهن ولذلك أتبع اسم الجلالة بوصف الذي أنتم به مؤمنون لأن الإيمان يبعث على التقوى والمشركون لما لم يؤمنوا بما أمر الله انتفى منهم وازع الإنصاف، أي فلا تكونوا مثلهم.والجملة الاسمية في الصلة للدلالة على ثبات إيمانهم.[١٢][سورة الممتحنة (٦٠) : آية ١٢]يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم (١٢)هذه تكملة لامتحان النساء المتقدم ذكره في قوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الآية [الممتحنة: ١٠] . وبيان لتفصيل آثاره. فكأنه يقول: فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار وبينوا لهن شرائع الإسلام. وآية الامتحان عقب صلح الحديبية في شأن من هاجرن من مكة إلى المدينة بعد الصلح وهن:أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وسبيعة الأسلمية، وأميمة بنت بشر، وزينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٦١/٢٨

صحة للأخبار التي تقول: إن الآية نزلت في فتح مكة ومنشؤها التخليط في الحوادث واشتباه المكرر بالأنف.روى البخاري ومسلم عن عائشة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمتحن من هاجر." (١)

"شاهدوه من دلائل رسالته، وكما أكد علمهم ب قد أكد حصول المعلوم ب (أن) المفتوحة، فحصل تأكيدان للرسالة. والمعنى: فكيف لا يجري أمركم على وفق هذا العلم.والإتيان بعد قد بالمضارع هنا للدلالة على أن علمهم بذلك مجدد بتجدد الآيات والوحي، وذلك أجدى بدوام امتثاله لأنه لو جيء بفعل المضي لما دل على أكثر من حصول ذلك العلم فيما مضى. ولعله قد طرأ عليه ما يبطله، وهذا كالمضارع في قوله:قد يعلم الله المعوقين منكم في سورة الأحزاب [١٨] .والزيغ: الميل عن الحق، أي لما خالفوا ما أمرهم رسولهم جعل الله في قلوبهم زيغا، أي تمكن الزيغ من نفوسهم فلم ينفكوا عن الضلال.وجملة والله لا يهدي القوم الفاسقين **تذييل**، أي وهذه سنة الله في الناس فكان قوم موسى الذين آذوه من أهل ذلك العموم.وذكر وصف الفاسقين جاريا على لفظ القوم للإيماء إلى الفسوق الذي دخل في مقومات قوميتهم. كما تقدم عند قوله تعالى: إن في خلق السماوات والأرض إلى قوله: لآيات لقوم يعقلون في البقرة [١٦٤] .فالمعنى: الذين كان الفسوق عن الحق سجية لهم لا يلطف الله بهم ولا يعتني بهم عناية خاصة تسوقهم إلى الهدى، وإنما هو طوع الأسباب والمناسبات.[٦][سورة الصف (٦١) : آية ٦]وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين (٦)عطف على جملة وإذ قال موسى لقومه [الصف: ٥] فعلى الوجه الأول في موقع التي قبلها فموقع هذه مساو له.وأما على الوجه الثاني في الآية السابقة فإن هذه مسوقة مساق التتميم لقصة موسى بذكر مثال آخر لقوم حادوا عن طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم من غير إفادة." (٢)

"واسم الإسلام علم للدين الذي جاء به النبيء صلى الله عليه وسلم، وهو جامع لما فيه خير الدنيا والآخرة فكان ذكر هذا الاسم في الجملة الحالية زيادة في تشنيع حال الذين أعرضوا عنه، أي وهو يدعى إلى ما فيه خيره وبذلك حق عليه وصف أظلم.وجملة والله لا يهدي القوم الظالمين تأييس لهم من الإقلاع عن هذا الظلم، أي أن الذين بلغوا هذا المبلغ من الظلم لا طمع في صلاحهم لتمكن الكفر منهم حتى خالط سجاياهم وتقوم مع قوميتهم، ولذلك أقحم لفظ القوم للدلالة على أن الظلم بلغ حد أن صار من مقومات قوميتهم كما تقدم في قوله تعالى: لآيات لقوم يعقلون في سورة البقرة [١٦٤] . وتقدم غير مرة.وهذا يعم المخبر عنهم وأمثالهم الذين افتروا على عيسى، ففيها معنى **التذييل**.وأسند نفي هديهم إلى الله تعالى لأن سبب انتفاء هذا الهدي عنهم أثر من آثار تكوين عقولهم ومداركهم على المكابرة بأسباب التكوين التي أودعها الله في نظام تكون الكائنات وتطورها من ارتباط المسببات بأسبابها مع التنبيه على أن الله لا يتدارك أكثرهم بعنايته، فمغير فيهم بعض القوى المانعة لهم من الهدى غضبا عليهم إذ لم يخلفوا بدعوة تستحق التبصر بسبب نسبتها إلى جانب الله تعالى حتى يتميز لهم الصدق من الكذب والحق من الباطل.[٨][سورة الصف (٦١) : آية ٨]يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٦٤/٢٨

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١٧٩/٢٨

والله متم نوره ولو كره الكافرون (٨)استئناف بياني ناشيء عن الإخبار عنهم بأنهم افتروا على الله الكذب في حال أنهم يدعون إلا الإسلام لأنه يثير سؤال سائل عما دعاهم إلى هذا الافتراء. فأجيب بأنهم يريدون أن يخفوا الإسلام عن الناس ويعوقوا انتشاره ومثلت حالتهم بحالة نفر يبتغون الظلام للتلصص أو غيره مما يراد فيه الاختفاء.فلاحت له ذبالة مصباح تضيء للناس، فكرهوا ذلك وخشوا أن يشع نوره على الناس فتفتضح ترهاتهم، فعمدوا إلى إطفائه بالنفخ عليه فلم ينطفيء،." (١)

"موضع الحال، وهذا الوجه يناسب قوله تعالى: لما يلحقوا بهم لأن اللحوق هو معنى الاتصال.وموضع جملة لما يلحقوا بهم موضع الحال، وينشأ عن هذا المعنى إيماء إلى أن الأمم التي تدخل في الإسلام بعد المسلمين الأولين يصيرون مثلهم، وينشأ منه أيضا رمز إلى أنهم يتعربون لفهم الدين والنطق بالقرآن فكم من معان جليلة حوتها هذه الآية سكت عنها أهل التفسير.وهذه بشارة غيبية بأن دعوة النبيء صلى الله عليه وسلم ستبلغ أمما ليسوا من العرب وهم فارس، والأرمن، والأكراد، والبربر، والسودان، والروم، والترك، والتتار، والمغول، والصين، والهنود، وغيرهم وهذا من معجزات القرآن من صنف الإخبار بالمغيبات.وفي الآية دلالة على عموم رسالة النبيء صلى الله عليه وسلم لجميع الأمم.والنفي ب (لما) يقتضي أن المنفي بها مستمر الانتفاء إلى زمن التكلم فيشعر بأنه مترقب الثبوت كقوله تعالى: ولما يدخل الإيمان في قلوبكم [الحجرات: ١٤] ، أي وسيدخل كما في «الكشاف» ، والمعنى: أن آخرين هم في وقت نزول هذه الآية لم يدخلوا في الإسلام ولم يلتحقوا بمن أسلم من العرب وسيدخلون في أزمان أخرى.واعلم أنقول النبيء صلى الله عليه وسلم «لو كان الإيمان بالثريا لناله رجال من هؤلاء»إيماء إلى مثال مما يشمله قوله تعالى: وآخرين منهم لأنه لم يصرح في جواب سؤال السائل بلفظ يقتضي انحصار المراد ب آخرين في قوم سلمان. وعن عكرمة: هم التابعون. وعن مجاهد: هم الناس كلهم الذين بعث إليهم محمد صلى الله عليه وسلم. وقال ابن عمر: هم أهل اليمن.وقوله: وهو العزيز الحكيم تذييل للتعجيب من هذا التقدير الإلهي لانتشار هذا الدين في جميع الأمم. فإن العزيز لا يغلب قدرته شيء. والحكيم تأتي أفعاله عن قدر محكم.[٤][سورة الجمعة (٦٢) : آية ٤]ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم." (٢)

"بعضهم: افتخر اليهود بأنهم أهل كتاب.والعرب لا كتاب لهم. فأبطل الله ذلك بشبههم بالحمار يحمل أسفارا.ومعنى حملوا: عهد بها إليهم وكلفوا بما فيها فلم يفوا بما كلفوا، يقال: حملت فلانا أمر كذا فاحتمله، قال تعالى: إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا سورة الأحزاب [٧٢] .وإطلاق الحمل وما تصرف منه على هذا المعنى استعارة، بتشبيه إيكال الأمر بحمل الحمل على ظهر الدابة، وبذلك كان تمثيل حالهم بحال الحمار يحمل أسفارا تمثيلا للمعنى المجازي بالمعنى الحقيقي. وهو من لطائف القرآن.وثم للتراخي الرتبي فإن عدم وفائهم بما عهد إليهم أعجب من تحملهم إياه.وجملة يحمل أسفارا في موضع الحال من الحمار أو في موضع الصفة لأن تعريف الحمار هنا تعريف جنس فهو معرفة لفظا نكرة معنى، فصح في الجملة اعتبار الحالية والوصف.وهذا التمثيل

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٨٩/٢٨

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢١٢/٢٨

مقصود منه تشنيع حالهم وهو من تشبيه المعقول بالمحسوس المتعارف، ولذلك ذيل بذم حالهم بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله.وبئس فعل ذم، أي ساء حال الذين كذبوا بكتاب الله فهم قد ضموا إلى جهلهم بمعاني التوراة تكذيبا بآيات الله وهي القرآن.ومثل القوم، فاعل بئس. وأغنى هذا الفاعل عن ذكر المخصوص بالذم لحصول العلم بأن المذموم هو حال القوم المكذبين فلم يسلك في هذا التركيب طريق الإبهام على شرط التفسير لأنه قد سبقه ما بينه بالمثل المذكور قبله في قوله: كمثل الحمار يحمل أسفارا. فصار إعادة لفظ المثل ثقيلا في الكلام أكثر من ثلاث مرات.وهذا من تفننات القرآن. والذين كذبوا صفة القوم.وجملة والله لا يهدي القوم الظالمين **تذييل** إخبارا عنهم بأن سوء حالهم لا يرجى لهم منه انفكاك لأن الله حرمهم اللطف والعناية بإنقاذهم لظلمهم بالاعتداء." (١)

"و (ما) موصولة وعائدة الصلة محذوف وحذفه أغلبي في أمثاله.والأيدي مجاز في اكتساب الأعمال لأن اليد يلزمها الاكتساب غالبا. ومصدق «ما قدمت أيديهم» سيئاتهم ومعاصيهم بقرينة المقام.وتقدم نظير هذه الآية في سورة البقرة وما ذكرته هنا أتم مما هنالك فأجمع بينهما.والتقديم: أصله جعل الشيء مقدما، أي سابقا غيره في مكان يقعوه فيه غيره.واستعير هنا لما سلف من العمل تشبيها له بشيء يسبقه المرء إلى مكان قبل وصوله إليه.وجملة والله عليم بالظالمين، أي عليم بأحوالهم وبأحوال أمثالهم من الظالمين فشمل لفظ الظالمين اليهود فإنهم من الظالمين. وقد تقدم معنى ظلمهم في الآية قبلها.وقد وصف اليهود بالظالمين في آيات كثيرة، وتقدم عند قوله تعالى: ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله [البقرة: ١٤٠] والمقصود أن إحجامهم عن تمني الموت لما في نفوسهم من خوف العقاب على ما فعلوه في الدنيا، فكني بعلم الله بأحوالهم عن عدم انفلاتهم من الجزاء عليها ففي هذا وعيد لهم.[٨][سورة الجمعة (٦٢) : آية ٨]قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون (٨)تصريح بما اقتضاه **التذييل** من الوعيد وعدم الانفلات من الجزاء عن أعمالهم ولو بعد زمان وقوعها لأن طول الزمان لا يؤثر في علم الله نسيانا، إذ هو عالم الغيب والشهادة. وموقع هذه الجملة موقع بدل الاشتمال من جملة فتمنوا الموت إن كنتم صادقين [الجمعة: ٦] ، وإعادة فعل قل من قبيل إعادة العامل في المبدل منه كقوله تعالى: تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا في سورة العقود [١١٤] .ووصف الموت ب الذي تفرون منه للتنبيه على أن هلعهم من الموت خطأ كقول علقمة:." (٢)

"[سورة المنافقون (٦٣) : آية ٢]اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله إنهم ساء ما كانوا يعملون (٢)استئناف بياني لأن تكذيب الله تعالى إياهم في قولهم للنبيء صلى الله عليه وسلم: نشهد إنك لرسول الله [المنافقون: ١] يثير في أنفس السامعين سؤالا عن أيمانهم لدى النبيء صلى الله عليه وسلم بأنهم مؤمنون به وأنهم لا يضمرون بغضه فأخبر الله عنهم بأنهم اتخذوا أيمانهم تقية يتقون بها وقد وصفهم الله بالحلف بالأيمان الكاذبة في آيات كثيرة من القرآن.والجنة: ما يستتر به ويتقى ومنه سميت الدرع جنة.والمعنى: جعلوا أيمانهم كالجنة يتقى بها ما يلحق من أذى. فلما شبهت الأيمان بالجنة على طريقة التشبيه البليغ، أتبع ذلك بتشبيه الحلف باتخاذ الجنة، أي استعمالها، ففي اتخذوا استعارة تبعية، وليس هذا خاصا بحلف عبد

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢١٤/٢٨

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢١٨/٢٨

الله بن أبي أنه قال: «لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل» ، كما تقدم في ذكر سبب نزولها، بل هو أعم، ولذلك فالوجه حمل ضمائر الجمع في قوله: اتخذوا أيمانهم الآية على حقيقتها، أي اتخذ المنافقون كلهم أيمانهم جنة، أي كانت تلك تقيتهم، أي تلك شنشنة معروفة فيهم.فصدوا عن سبيل الله تفريع لصدهم عن سبيل الله على الحلف الكاذب لأن اليمين الفاجرة من كبائر الإثم لما فيها من الاستخفاف بجانب الله تعالى ولأنهم لما حلفوا على الكذب ظنوا أنهم قد أمنوا اتهام المسلمين إياهم بالنفاق فاستمروا على الكفر والمكر بالمسلمين وذلك صد عن سبيل الله، أي إعراض عن الأعمال التي أمر الله بسلوكها.وفعل (صدوا) هنا قاصر الذي قياس مضارعه يصد بكسر الصاد.وجملة إنهم ساء ما كانوا يعملون تذييل لتفظيع حالهم عن السامع. وساء من أفعال الذم تلحق ببئس على تقدير تحويل صيغة فعلها عن فعل المفتوح العين إلى فعل المضمومها لقصد إفادة الذم مع إفادة التعجب بسبب ذلك التحويل كما نبه عليه صاحب «الكشاف» وأشار إليه صاحب «التسهيل» .." (١)

"والعدو: اسم يقع على الواحد والجمع. والمراد: الحذر من الاغترار بظواهرهم الخلابة لئلا يخلص المسلمون إليهم بسرهم ولا يتقبلوا نصائحهم خشية المكائد.والخطاب للنبيء صلى الله عليه وسلم ليبلغه المسلمين فيحذروهم.قاتلهم الله أنى يؤفكون.تذييل فإنه جمع على الإجمال ما يغني عن تعداد مذامهم (كقوله أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم [النساء: ٦٣] ، مسوق للتعجيب من حال توغلهم في الضلالة والجهالة بعدولهم عن الحق.فافتتح التعجيب منهم بجملة أصلها دعاء بالإهلاك والاستئصال ولكنها غلب استعمالها في التعجب أو التعجيب من سوء الحال الذي جره صاحبه لنفسه فإن كثيرا منالكلم التي هي دعاء بسوء تستعمل في التعجيب من فعل أو قول مكروه مثل قولهم: ثكلته أمه، وويل أمه. وتربت يمينه. واستعمال ذلك في التعجب مجاز مرسل للملازمة بين بلوغ الحال في السوء وبين الدعاء على صاحبه بالهلاك، إذ لا نفع له ولا للناس في بقائه، ثم الملازمة بين الدعاء بالهلاك وبين التعجب من سوء الحال. فهي ملازمة بمرتبتين كناية رمزية.وأنى هنا اسم استفهام عن المكان. وأصل أنى ظرف مكان وكثر تضمينه معنى الاستفهام في استعمالاته، وقد يكون للمكان المجازي فيفسر بمعنى (كيف) كقوله تعالى: قلتم أنى هذا في سورة عمران [١٦٥] ، وفي قوله: أنى لهم الذكرى في سورة الدخان [١٣] . ومنه قوله هنا أنى يؤفكون، والاستفهام هنا مستعمل في التعجيب على وجه المجاز المرسل لأن الأمر العجيب من شأنه أن يستفهم عن حال حصوله.فالاستفهام عنه من لوازم أعجوبته. فجملة أنى يؤفكون بيان للتعجيب الإجمالي المفاد بجملة قاتلهم الله.." (٢)

"وقوله: ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون، دليل على قول علماء أصول الفقه «النهي اقتضاء كف عن فعل» .والإشارة ب ذلك إلى اللهو عن ذكر الله بسبب الأموال والأولاد، أي ومن يله عن ذكر الله، أي يترك ذكر الله الذي أوجبه مثل الصلاة في الوقت ويترك تذكر الله، أي مراعاة أوامره ونواهيه.ومتى كان اللهو عن ذكر الله بالاشتغال بغير الأموال وغير الأولاد كان أولى بحكم النهي والوعيد عليه.وأفاد ضمير الفصل في قوله: فأولئك هم الخاسرون قصر صفة الخاسر على الذين

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٣٦/٢٨

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٤٢/٢٨

يفعلون الذي نهوا عنه، وهو قصر ادعائي للمبالغة في اتصافهم بالخسران كأن خسران غيرهم لا يعد خسرانا بالنسبة إلى خسرانهم.والإشارة إليهم ب فأولئك للتنبيه على أنهم استحقوا ما بعد اسم الإشارة بسبب ما ذكر قبل اسم الإشارة، أعني اللهو عن ذكر الله.[١٠][سورة المنافقون (٦٣) : آية ١٠]وأنفقوا من ما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين (١٠)هذا إبطال ونقض لكيد المنافقين حين قالوا: لا تنفقوا على من عند رسول الله [المنافقون: ٧] ، وهو يعم الإنفاق على الملتفين حول رسول الله صلى الله عليه وسلم والإنفاق على غيرهم فكانت الجملة **كالتذييل**.وفعل أنفقوا مستعمل في الطلب الشامل للواجب والمستحب فإن مدلول صيغة:افعل، مطلق الطلب، وهو القدر المشترك بين الوجوب والندب.وفي قوله: من ما رزقناكم إشارة إلى أن الإنفاق المأمور به شكر لله على ما رزق المنفق فإن الشكر صرف العبد ما أنعم الله به عليه فيما خلق لأجله، ويعرف ذلك من تلقاء الشريعة.." (١)

"ومجيء الأجل حلول الوقت المحدد للاتصال بين الروح والجسد وهو ما علمه الله من طاقة البدن للبقاء حيا بحسب قواه وسلامته من العوارض المهلكة.وهذا إرشاد من الله للمؤمنين ليكونوا على استعداد للموت في كل وقت، فلا يؤخروا ما يهمهم عمله سؤال ثوابه فما من أحد يؤخر العمل الذي يسره أن يعمله وينال ثوابه إلا وهو معرض لأن يأتيه الموت عن قريب أو يفاجئه، فعليه بالتحرز الشديد من هذا التفريط في كل وقت وحال، فربما تعذر عليه التدارك بفجأة الفوات، أو وهن المقدرة فإنه إن كان لم تطاوعه نفسه على العمل الصالح قبل الفوات فكيف يتمنى تأخير الأجل المحتوم.والله خبير بما تعملون.عطف على جملة لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم [المنافقون: ٩] . أو **تذييل** والواو اعتراضية.ويفيد بناء الخبر على الجملة الاسمية تحقيق علم الله بما يعمله المؤمنون. ولما كان المؤمنون لا يخامرهم شك في ذلك كان التحقيق والتقوي راجعا إلى لازم الخبر وهو الوعد والوعيد والمقام هنا مقامهما لأن الإنفاق المأمور به منه الواجب المندوب. وفعلهما يستحق الوعد. وترك أولهما يستحق الوعيد.وإيثار وصف خبير دون: عليم، لما تؤذن به مادة خبير من العلم بالأمور الخفية ليفيد أنه تعالى عليم بما ظهر من الأعمال وما بطن مثل أعمال القلب التي هي العزائم والنيات، وإيقاع هذه الجملة بعد ذكر ما يقطعه الموت من ازدياد الأعمال الصالحة إيماء إلى أن ما عسى أن يقطعه الموت من العزم على العمل إذا كان وقته المعين له شرعا ممتدا كالعمر للحج على المستطيع لمن لم يتوقع طرو مانع. وكالوقت المختار للصلوات، أن حيلولة الموت دون إتمامه لا يرزيء المؤمن ثوابه لأن المؤمن إذا اعتاد حزبا أو عزم على عمل صالح ثم عرض له ما منعه منه أن الله يعطيه أجره.ومن هذا القبيل: أن من هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة كما في الحديث الصحيح.." (٢)

"عن الشركاء وعن النقائص لا مقتضى لها إلا انفراده بتملكها وإيجادها وما فيها من الاحتياج إليه وتصرفه فيها تصرف المالك المتفرد في ملكه.وفي هذه الجملة تنويه بإقبال أهل السماوات والأرض على تسبيح الله وتجديد ذلك التسبيح.فتقديم المسند على المسند إليه لإفادة تخصيصه بالمسند إليه، أي قصر تعلق لام الاستحقاق بالملك عليه تعالى فلا ملك لغيره وهو قصر ادعائي مبني على عدم الاعتداد بما لغير الله من ملك لنقصه وعدم خلوه عن الحاجة إلى غيره من هو

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٨/٢٥٢

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٨/٢٥٦

له بخلاف ملكهتعالى فهو الملك المطلق الداخل في سلطانه كل ذي ملك.وجملة وله الحمد مضمونها سبب لتسبيح الله ما في السماوات وما في الأرض، إذ التسبيح من الحمد، فلا جرم أن كان حمد ذوي الإدراك مختصا به تعالى إذ هو الموصوف بالجميل الاختياري المطلق فهو الحقيق بالحمد والتسبيح.فهذا القصر ادعائي لعدم الاعتداد بحمد غيره لنقصان كمالاتهم وإذا أريد بالحمد ما يشمل الشكر أو يفضي إليه كما في الحديث «الحمد رأس الشكر لم يشكر الله عبد لم يحمده» وهو مقتضى المقام من تسفيه أحلام المشركين في عبادتهم غيره فالشكر أيضا مقصور عليه تعالى لأنه المنعم الحق بنعم لا قبل لغيره بإسدائها، وهو المفيض على المنعمين ما ينعمون به في الظاهر، قال تعالى: وما بكم من نعمة فمن الله [النحل: ٥٣] كما تقدم في تفسير أول سورة الفاتحة.وجملة وهو على كل شيء قدير معطوفة على اللتين قبلها وهي بمنزلة **التذييل** لهما والتبيين لوجه القصرين فيهما، فإن التقدير على كل شيء هو صاحب الملك الحق وهو المختص بالحمد الحق.وفي هذا **التذييل** وعد للشاكرين ووعيد وترهيب للمشركين.والاقتصار على ذكر وصف قدير هنا لأن المخلوقات التي تسبح الله دالة على صفة القدرة أولا لأن من يشاهد المخلوقات يعلم أن خالقها قادر.[٢][سورة التغابن (٦٤) : آية ٢]هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله بما تعملون بصير." (١)

"وإليه المصير.عطف على جملة وصوركم لأن التصوير يقتضي الإيجاد فأعقب بالتذكير بأن بعد هذا الإيجاد فناء ثم بعثا للجزاء.والمصير مصدر ميمي لفعل صادر بمعنى رجع وانتهى، ولذلك يعدى بحرف الانتهاء، أي ومرجعكم إليه يعني بعد الموت وهو مصير الحشر للجزاء.وتقديم إليه على المصير للرعاية على الفاصلة مع إفادة الاهتمام بتعلق ذلك المصير بتصرف الله المحض. وليس مرادا بالتقديم قصر لأن المشركين لا يصدقون بهذا المصير من أصله بله أن يدعوا أنه مصير إلى غيره حتى يرد عليهم بالقصر.وهذه الجملة أشد ارتباطا بجملة خلق السماوات والأرض بالحق منها بجملة وصوركم فأحسن صوركم كما يظهر بالتأمل.[٤][سورة التغابن (٦٤) : آية ٤]يعلم ما في السماوات والأرض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور (٤)كانوا ينفون الحشر بعلة أنه إذا تفرقت أجزاء الجسد لا يمكن جمعها ولا يحاط بها.وقالوا أإذا ضللنا في الأرض أإنا لفي خلق جديد [السجدة: ١٠] ، فكان قوله تعالى:يعلم ما في السماوات والأرض ويعلم ما تسرون وما تعلنون دحضا لشبهتهم، أي أن الذي يعلم ما في السماوات والأرض لا يعجزه تفرق أجزاء البدن إذا أراد جمعها. والذي يعلم السر في نفس الإنسان، والسر أدق وأخفى من ذرات الأجساد المتفرقة، لا تخفعليه مواقع تلك الأجزاء الدقيقة ولذلك قال تعالى: أيحسب الإنسان ألن نجمع عظامه بلى قادرين على أن نسوي بنانه [القيامة: ٣، ٤] .فالمقصود هو قوله: ويعلم ما تسرون كما يقتضيه الاقتصار عليه في **تذييله** بقوله:والله عليم بذات الصدور ولم يذكر أنه عليم بأعمال الجوارح، ولأن الخطاب للمشركين في مكة على الراجح. وذلك قبل ظهور المنافقين فلم يكن قوله: ويعلم ما تسرون وما تعلنون تهديدا على ما يبطنه الناس من الكفر.." (٢)

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٦١/٢٨

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٦٦/٢٨

"وأما عطف وما تعلنون فتتميم للتذكير بعموم تعلق علمه تعالى بالأعمال.وقد تضمن قوله: ويعلم ما تسرون وما تعلنون وعيدا ووعدا ناظرين إلى قوله:فمنكم كافر ومنكم مؤمن [التغابن: ٢] فكانت الجملة لذلك شديدة الاتصال بجملة هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن [التغابن: ٢] .وإعادة فعل يعلم للتنبيه على العناية بهذا التعلق الخاص للعلم الإلهي بعد ذكر تعلقه العام في قوله: يعلم ما في السماوات والأرض تنبيها على الوعيد والوعد بوجه خاص.وجملة والله عليم بذات الصدور **تذييل** لجملة ويعلم ما تسرون لأنه يعلم ما يسره جميع الناس من المخاطبين وغيرهم.وذات الصدور صفة لموصوف محذوف نزلت منزلة موصوفها، أي صاحبات الصدور، أي المكتومة فيها.والتقدير: بالنوايا والخواطر ذات الصدور كقوله: وحملناه على ذات ألواح [القمر:١٣] وتقدم بيانه عند قوله تعالى: إنه عليم بذات الصدور في سورة الأنفال [٤٣] .[٥][سورة التغابن (٦٤) : آية ٥]ألم يأتكم نبأ الذين كفروا من قبل فذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم (٥)انتقال من التعريض الرمزي بالوعيد الأخروي في قوله: والله بما تعملون بصير [التغابن: ٢] ، إلى قوله: وإليه المصير [التغابن: ٣] ، وقوله: ويعلم ما تسرون وما تعلنون [التغابن: ٤] ، إلى تعريض أوضح منه بطريق الإيماء إلى وعيد لعذاب دنيوي وأخروي معا فأن ما يسمى في باب الكناية بالإيمان أقل لوازم من التعريض والرمز فهو أقرب إلى التصريح.وهذا الإيماء بضرب المثل بحال أمم تلقوا رسلهم بمثل ما تلقى به المشركون محمدا صلى الله عليه وسلمتحذيرا لهم من أن يحل بهم مثل ما حل بأولئك، فالجملة ابتدائية لأنها عد لصنف ثان من أصناف كفرهم وهو إنكار الرسالة.فالخطاب لخصوص الفريق الكافر بقرينة قوله: الذين كفروا من قبل فهذا." (١)

"ويجوز أن يراد: واستغنى الله عن إعادة دعوتهم لأن فيما أظهر لهم من البينات على أيدي رسلهم ما هو كاف لحصول التصديق بدعوة رسلهم لولا المكابرة فلذلك عجل لهم بالعذاب.وعلى الوجهين فمتعلق استغنى محذوف دل عليه قوله: فكفروا وقوله:بالبينات والتقدير: واستغنى الله عن إيمانهم.وجملة والله غني حميد **تذييل**، أي غني عن كل شيء فيما طلب منهم، حميد لمن امتثل وشكر.[٧][سورة التغابن (٦٤) : آية ٧]زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير (٧)هذا ضرب ثالث من ضروب كفر المشركين المخاطبين بقوله: ألم يأتكم [التغابن:٥] إلخ، وهو كفرهم بإنكارهم البعث والجزاء.والجملة ابتدائية. وهذا الكلام موجه إلى النبيء صلى الله عليه وسلم بقرينة قوله: قل بلى. وليس هذا من الإظهار في مقام الإضمار ولا من الالتفات بل هو ابتداء غرض مخاطب به غير من كان الخطاب جاريا معهم.وتتضمن الجملة تصريحا بإثبات البعث ذلك الذي أوتي إليه فيما مضى يفيد بالحق في قوله: خلق السماوات والأرض بالحق [التغابن: ٣] وبقوله: يعلم ما في السماوات والأرض [التغابن: ٤] كما علمته آنفا.والزعم: القول الموسوم بمخالفة الواقع خطأ فمنه الكذب الذي لم يتعمد قائله أن يخالف الواقع في ظن سامعه. ويطلق على الخبر المستغرب المشكوك في وقوع ما أخبر به، وعن شريح: لكل شيء كنية وكنية الكذب زعموا (أراد بالكنية الكناية) . فبين الزعم والكذب

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٨/٢٦٧

عموم وخصوص وجهي.وفي الحديث «بئس مطية الرجل إلى الكذب زعموا»(١) ، أي قول الرجل_____________(١) رواه أبو داود عن حذيفة بن اليمان بسند فيه انقطاع." (١)

"وجملة ثم لتنبؤن بما عملتم ارتقاء في الإبطال.وثم للتراخي الرتبي فإن إنباءهم بما عملوا أهم من إثبات البعث إذ هو العلة للبعث.والإنباء: الإخبار، وإنباؤهم بما عملوا كناية عن محاسبتهم عليه وجزائهم عماعملوه، فإن الجزاء يستلزم علم المجازى بعمله الذي جوزي عليه فكان حصول الجزاء بمنزلة إخباره بما عمله كقوله تعالى: إلينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا [لقمان: ٢٣] .وهذا وعيد وتهديد بجزاء سيىء لأن المقام دليل على أن عملهم سيىء وهو تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم وإنكار ما دعاهم إليه.وجملة وذلك على الله يسير تذييل، والواو اعتراضية.واسم الإشارة: إما عائد إلى البعث المفهوم من لتبعثن مثل قوله: اعدلوا هو أقرب للتقوى [المائدة: ٨] أي العدل أقرب للتقوى، وإما عائد إلى معنى المذكور من مجموع لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم.وأخبر عنه ب يسير دون أن يقال: واقع كما قال: وإن الدين لواقع [الذاريات:٦] ، لأن الكلام لرد إحالتهم البعث بعلة أن أجزاء الجسد تفرقت فيتعذر جمعها فذكروا بأن العسير في متعارف الناس لا يعسر على الله وقد قال في الآية الأخرى وهو الذي يبدؤا الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه [الروم: ٢٧] .[٨][سورة التغابن (٦٤) : آية ٨]فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا والله بما تعملون خبير (٨)من جملة القول المأمور رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يقوله.والفاء فصيحة تفصح عن شرط مقدر، والتقدير: فإذا علمتم هذه الحجج وتذكرتم ما حل بنظرائكم من العقاب وما ستنبؤون به من أعمالكم فآمنوا بالله ورسوله والقرآن، أي بنصه.." (٢)

"والمراد بالنور الذي أنزل الله، القرآن، وصف بأنه نور على طريقة الاستعارة لأنه أشبه النور في إيضاح المطلوب باستقامة حجته وبلاغة كلامه قال تعالى: وأنزلنا إليكم نورا مبينا [النساء: ١٧٤] . وأشبه النور في الإرشاد إلى السلوك القويم وفي هذا الشبه الثاني تشاركه الكتب السماوية، قال تعالى: إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور [المائدة: ٤٤] ، وقرينة الاستعارة قوله: الذي أنزلنا، لأنه من مناسبات المشبه لاشتهار القرآن بين الناس كلهم بالألقاب المشتقة من الإنزال والتنزيل عرف ذلك المسلمون والمعاندون. وهو إنزال مجازي أريد به تبليغ مراد الله إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد تقدم عند قوله تعالى: والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك في سورة البقرة [٤] وفي آيات كثيرة.وإنما جعل الإيمان بصدق القرآن داخلا في حيز فاء التفريع لأن ما قبل الفاء تضمن أنهم كذبوا بالقرآن من قوله: ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهدوننا [التغابن: ٦] كما قال المشركون من أهل مكة، والإيمان بالقرآن يشمل الإيمان بالبعث فكان قوله تعالى: والنور الذي أنزلنا شاملا لما سبق الفاء من قوله: زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا [التغابن: ٧] إلخ.وفي قوله: الذي أنزلنا التفات من الغيبة إلى المتكلم لزيادة الترغيب في الإيمان بالقرآن تذكيرا بأنه منزل من الله لأن ضمير التكلم أشد دلالة على معاده من ضمير الغائب، ولتقوية داعي المأمور.وجملة والله بما تعملون خبير تذييل لجملة فآمنوا بالله ورسوله يقتضي وعدا إن آمنوا، ووعيدا إن لم يؤمنوا.وفي ذكر اسم الجلالة إظهار في مقام الإضمار لتكون الجملة مستقلة جارية مجرى المثل

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٧٠/٢٨

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٧٢/٢٨

والكلم الجوامع، ولأن الاسم الظاهر أقوى دلالة من الضمير لاستغنائه عن تطلب المعاد. وفيه من تربية المهابة ما في قول الخليفة «أمير المؤمنين يأمركم بكذا» .والخبير: العليم، وجيء هنا بصفة «الخبير» دون: البصير، لأن ما يعلمونه منه محسوسات ومنه غير محسوسات كالمعتقدات، ومنها الإيمان بالبعث، فعلق بالوصف الدال على تعلق العلم الإلهي بالموجودات كلها، بخلاف قوله فيما." (١)

"بالله ورسوله والقرآن، فوزان هذا القصر وزان قوله: فما ربحت تجارتهم [البقرة: ١٦]وقول النبيء صلى الله عليه وسلم (١) : «إنما المفلس الذي يفلس يوم القيامة». وأفاد تعريف جزأي جملة ذلك يوم التغابن قصر المسند على المسند إليه أي قصر جنس يوم التغابن على يوم الجمعة المشار إليه باسم الإشارة، وهو من قبيل قصر الصفة على الموصوف قصرا ادعائيا، أي ذلك يوم الغبن لا أيام أسواقكم ولا غيرها، فإن عدم أهمية غبن الناس في الدنيا جعل غبن الدنيا كالعدم وجعل يوم القيامة منحصرا فيه جنس الغبن.وأما لام التعريف في قوله: التغابن فهي لام الجنس، ومن هذا المعنى قوله تعالى: قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة [الزمر: ١٥] . وقوله في ضده يرجون تجارة لن تبور [فاطر: ٢٩] . هذا هو المتعين في تفسير هذه الآية وأكثر المفسرين مر بها مرا. ولم يحتلب منها درا. وها أنا ذا كددت ثمادي، فعسى أن يقع للناظر كوقع القراح من الصادي، والله الهادي.يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخلهجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير.معطوفة على جملة فآمنوا بالله ورسوله [التغابن: ٨] وهو تفصيل لما أجمل في قوله:والله بما تعملون خبير [التغابن: ٨] الذي هو **تذييل**.ومن شرطية والفعل بعدها مستقبل، أي من يؤمن من المشركين بعد هذه الموعظة نكفر عنه ما فرط من سيئاته.والمراد بالسيئات: الكفر وما سبقه من الأعمال الفاسدة.وتكفير السيئات: العفو عن المؤاخذة بها وهو مصدر كفر مبالغة في كفر. وغلب استعماله في العفو عما سلف من السيئات وأصله: استعارة الستر للإزالة مثل الغفران أيضا.وانتصب صالحا على الصفة لمصدر وهو مفعول مطلق محذوف تقديره: عملا صالحا.وقرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر نكفر وندخله بنون العظمة على الالتفات من الغيبة إلى التكلم لأن مقام الوعد مقام إقبال فناسبه ضمير التكلم.وقرأ هما الباقون بياء الغيبة على مقتضى الظاهر لأن ضمير الجلالة يؤذن بعناية الله بهذا الفريق. وجملة ذلك الفوز العظيم **تذييل**.[سورة التغابن (٦٤) : آية ١٠]والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير (١٠)وقوله: والذين كفروا وكذبوا، أي كفروا وكذبوا من قبل واستمروا على كفرهم وتكذيبهم فلم يستجيبوا لهذه الدعوة ثبت لهم أنهم أصحاب النار. ولذلك جيء في جانب الخبر عنهم بالجملة الاسمية الدالة على الثبات لعراقتهم في الكفر والتكذيب.وجيء لهم باسم الإشارة لتمييزهم تمييزا لا يلتبس معه غيرهم بهم مثل قوله:أولئك على هدى من ربهم [البقرة: ٥] مع ما يفيده اسم الإشارة من أن استحقاقهم لملازمة النار ناشىء عن الكفر والتكذيب بآيات الله وهذا

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٧٣/٢٨

وعيد.وجملة وبئس المصير اعتراض تذييلي لزيادة تهويل الوعيد.[١١]______________(١) ذكره البخاري تعليقا في بعض أبواب الأدب من «صحيحه» .." (١)

"والمعنى: أن المؤمن مرتاض بالأخلاق الإسلامية متبع لوصايا الله تعالى فهو مجاف لفاسد الأخلاق من الجزع والهلع يتلقى ما يصيبه من مصيبة بالصبر والتفكر في أن الحياة لا تخلو من عوارض مؤلمة أو مكدرة. قال تعالى: وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون [البقرة: ١٥٥- ١٥٧] ، أي أصحاب الهدى الكامل لأنه هدى متلقى من التعاليم الإلهية الحق المعصومة من الخطل كقوله هنا: يهد قلبه.وهذا الخبر في قوله: ومن يؤمن بالله يهد قلبه إيماء إلى الأمر بالثبات والصبر عند حلول المصائب لأنه يلزم من هدي الله قلب المؤمن عند المصيبة ترغيب المؤمنين في الثبات والتصبر عند حلول المصائب فلذلك ذيل بجملة والله بكل شيء عليم فهو تذييل للجملة التي قبلها وارد على مراعاة جميع ما تضمنته من أن المصائب بإذن الله، ومن أن الله يهدي قلوب المؤمنين للثبات عند حلول المصائب ومن الأمر بالثبات والصبر عند المصائب، أي يعلم جميع ذلك.وفيه كناية عن مجازاة الصابرين بالثواب لأن فائدة علم الله التي تهم الناس هو التخلق ورجاء الثواب ورفع الدرجات.[١٢][سورة التغابن (٦٤) : آية ١٢]وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن توليتم فإنما على رسولنا البلاغ المبين (١٢)عطف على جملة ومن يؤمن بالله يهد قلبه [التغابن: ١١] لأنها تضمنت أن المؤمنين متهيئون لطاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فيما يدعوانهم إليه من مصالح الأعمال كما يدل عليه تذييل الكلام بقوله: وعلى الله فليتوكل المؤمنون [آل عمران: ١٢٢] ، ولأن طلب الطاعة فرع عنتحقق الإيمان كمافي حديث معاذ «أن النبيء صلى الله عليه وسلم لما بعثه إلى اليمن قال له: إنك ستأتي قوما أهل كتاب فأول ما تدعوهم إليه فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة»الحديث.." (٢)

"به قال تعالى: إن بعض الظن إثم [الحجرات: ١٢] وقال: أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين [الحجرات: ٦] .والعفو: ترك المعاقبة على الذنب بعد الاستعداد لها. ولو مع توبيخ.والصفح: الإعراض عن المذنب، أي ترك عقابه على ذنبه دون التوبيخ.والغفر: ستر الذنب وعدم إشاعته.والجمع بينها هنا إيماء إلى تراتب آثار هذه العداوة وما تقتضيه آثارها من هذه المعاملات الثلاث. وحذف متعلق الأفعال الثلاثة لظهور أن المراد من أولادكم وأزواجكم فيما يصدر منهم مما يؤذيكم، ويجوز أن يكون حذف المتعلق لإرادة عموم الترغيب في العفو.وإنما يعفو المرء ويصفح ويغفر عن المذنب إذا كان ذنبه متعلقا بحق ذلك المرء وبهذه الأفعال المذكورة هنا مطلقة وفي أدلة الشريعة تقييدات لها.وجملة فإن الله غفور رحيم دليل جواب الشرط المحذوف المؤذن بالترغيب في العفو والصفح والغفر فالتقدير وأن تعفوا وتصفحوا وتغفروا يحب الله ذلك منكم لأن الله غفور رحيم، أي للذين يغفرون ويرحمون، وجمع وصف رحيم الخصال الثلاث.[١٥][سورة التغابن (٦٤) : آية ١٥]إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم (١٥)تذييل لأن فيه تعميم أحوال الأولاد بعد أن ذكر حال

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٧٧/٢٨

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٨٠/٢٨

خاص ببعضهم.وأدمج فيه الأموال لأنها لم يشملها طلب الحذر ولا وصف العداوة. وقدم ذكر الأموال على الأولاد لأن الأموال لم يتقدم ذكرها بخلاف الأولاد.ووجه إدماج الأموال هنا أن المسلمين كانوا قد أصيبوا في أموالهم من المشركين فغلبوهم على أموالهم ولم تذكر الأموال في الآية السابقة لأن الغرض هو التحذير من أشد الأشياء اتصالا بهم وهي أزواجهم وأولادهم. ولأن فتنة هؤلاء مضاعفة لأن الداعي إليها يكون من أنفسهم ومن مساعي الآخرين وتسويلهم. وجرد عن ذكر." (١)

"الأزواج هنا اكتفاء لدلالة فتنة الأولاد عليهن بدلالة فحوى الخطاب، فإن فتنتهن أشد من فتنة الأولاد لأن جرأتهن على التسويل لأزواجهن ما يحاولنه منهم أشد من جرأة الأولاد.والقصر المستفاد من نماقصر موصوف على صفة، أي ليست أموالكم وأولادكم إلا فتنة. وهو قصر ادعائي للمبالغة في كثرة ملازمة هذه الصفة للموصوف إذ يندر أن تخلو أفراد هذين النوعين، وهما أموال المسلمين وأولادهم عن الاتصاف بالفتنة لمن يتلبس بهما.والإخبار بتنةللمبالغة. والمراد: أنهم سبب فتنة سواء سعوا في فعل الفتن أملم يسعوا. فإن الشغل بالمال والعناية بالأولاد فيه فتنة.ففي هذه الآية من خصوصيات علم المعاني التذييل والإدماج، وكلاهما من الإطناب، والاكتفاء وهو من الإيجاز، وفيها الإخبار بالمصدر وهوتنة، والإخبار به من المبالغة فهذه أربعة من المحسنات البديعية، وفيها القصر، وفيها التعليل، وهو من خصوصيات الفصل، وقد يعد من محسنات البديع أيضا فتلك ست خصوصيات.وفصلت هذه الجملة عن التي قبلها لأنها اشتملت على التذييل والتعليل وكلاهما من مقتضيات الفصل.والفتنة: اضطراب النفس وحيرتها من جراء أحوال لا تلائم من عرضت له، وتقدم عند قوله تعالى والفتنة أشد من القتل في سورة البقرة [١٩١] .أخرج أبو داود عن بريدة قال: «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخطب يوم الجمعة حتى جاء الحسن والحسين يعثران ويقومان فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المنبر فأخذهما وجذبهما ثم قرأنما أموالكم وأولادكم فتنة. وقال: رأيت هذين فلم أصبر، ثم أخذ في خطبته». وذكر ابن عطية: أن عمر قال لحذيفة: كيف أصبحت فقال: أصبحت أحب الفتنة وأكره الحق. فقال عمر: ما هذا؟ فقال: أحب ولدي وأكره الموت.وقوله: الله عنده أجر عظيمعطف على جملة إنما أموالكم وأولادكم فتنةلأن قوله: نده أجر عظيمكناية عن الجزاء عن تلك الفتنة لمن يصابر نفسه على مراجعة ما تسوله من الانحراف عن مرضاة الله إن كان في ذلك تسويل. والأجر العظيم على إعطاء حق المال والرأفة بالأولاد، أي والله يؤجركم عليها.لقول النبيء صلى الله عليه وسلم «من ابتلي من هذه البنات بشيء وكن له سترا من النار» .وفي حديث آخر «إن الصبر على سوء خلق الزوجة عبادة». والأحاديث كثيرة في هذا المعنى منها ما رواه حذيفة: فتنة الرجل في أهله وماله تكفرها الصلاة والصدقة.[١٦][سورة التغابن (٦٤) : آية ١٦]فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيرا لأنفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون (١٦)فاء فصيحة وتفريع على ما تقدم، أي إذا علمتم هذا فاتقوا الله فيما يجب من التقوى." (٢)

"في معاملة الأولاد والأزواج ومصارف في الأموال فلا يصدكم حب ذلك والشغل به عن الواجبات، ولا يخرجكم الغضب ونحوه عن حد العدل المأمور به، ولا حب المال عن أداء حقوق الأموال وعن طلبها من وجوه الحلال. فالأمر

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٨/٢٨٥

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٨/٢٨٦

بالتقوى شامل للتحذير المتقدم وللترغيب في العفو كما تقدم ولما عدا ذلك.والخطاب للمؤمنين.وحذف متعلق (اتقوا) لقصد تعميم ما يتعلق بالتقوى من جميع الأحوال المذكورة وغيرها وبذلك يكون هذا الكلام **كالتذييل** لأن مضمونه أعم من مضمون ما قبله.ولما كانت التقوى في شأن المذكورات وغيرها قد يعرض لصاحبها التقصير في إقامتها حرصا على إرضاء شهوة النفس في كثير من أحوال تلك الأشياء زيد تأكيد الأمر بالتقوى بقوله: ما استطعتم.وما مصدرية ظرفية، أي مدة استطاعتكم ليعم الأزمان كلها ويعم الأحوال." (١)

"وانتصب خيرا على الصفة لمصدر محذوف دل عليه أنفقوا. والتقدير: إنفاقا خيرا لأنفسكم. هذا قول الكسائي والفراء فيكون خيرا اسم تفضيل. وأصله: أخير، وهو محذوف الهمزة لكثرة الاستعمال، أي الإنفاق خير لكم من الإمساك. وعن سيبويه أنه منصوب على أنه مفعول به لفعل مضمر دل عليه أنفقوا. والتقدير: ائتوا خيرا لأنفسكم. وجملة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون **تذييل**.ومن اسم شرط وهي من صيغ العموم: أي كل من يوق شح نفسه والعموم يدل على أن من مراد بها جنس لا شخص معين ولا طائفة، وهذا حب اقتضاه حرص أكثر الناس على حفظ المال وادخاره والإقلال من نفع الغير به وذلك الحرص يسمى الشح.والمعنى: أن الإنفاق يقي صاحبه من الشح المنهي عنه فإذا يسر على المرء الإنفاق فيما أمر الله به فقد وقي شح نفسه وذلك من الفلاح.ولما كان ذلك فلاحا عظيما جيء في جانبه بصيغة الحصر بطريقة تعريف المسند، وهو قصر جنس المفلحين على جنس الذين وقوا شح أنفسهم، وهو قصر ادعائي للمبالغة في تحقيق وصف المفلحين الذين وقوا شح أنفسهم نزل الآن فلاح غيرهم بمنزلة العدم.وإضافة شح إلى النفس للإشارة إلى أن الشح من طباع النفس فإن النفوس شحيحة بالأشياء المحببة إليها قال تعالى: وأحضرت الأنفس الشح [النساء: ١٢٨] .وفي الحديث لما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أفضل الصدقة قال: «أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى. وأن لا تدع حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان»وتقدم نظيره ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون في سورة الحشر." (٢)

"والمعنى: الأمر بضبط أيام العدة والإتيان على جميعها وعدم التساهل فيها لأن التساهل فيها ذريعة إلى أحد أمرين إما التزويج قبل انتهائها فربما اختلط النسب، وإما تطويل المدة على المطلقة في أيام منعها من التزوج لأنها في مدة العدة لا تخلو من حاجة إلى من يقوم بها.وأما فوات أمد المراجعة إذا كان المطلق قد ثاب إلى مراجعة امرأته.والتعريف في العدة للعهد فإن الاعتداد مشروع من قبل كما علمته آنفا والكلام على تقدير مضاف لأن المحصى أيام العدة.والمخاطب بضمير أحصوا هم المخاطبون بضمير إذا طلقتم فيأخذ كل من يتعلق به هذا الحكم حظه من المطلق والمطلقة ومن يطلع على مخالفة ذلك من المسلمين وخاصة ولاة الأمور من الحكام وأهل الحسبة فإنهم الأولى بإقامة شرائع الله في الأمة وبخاصة إذا رأوا تفشي الاستخفاف بما قصدته الشريعة. وقد بينا ذلك في باب مقاصد القضاء من كتابي «مقاصد الشريعة» .ففي العدة مصالح كثيرة وتحتها حقوق مختلفة اقتضتها تلك المصالح الكثيرة وأكثر تلك الحقوق للمطلق والمطلقة وهي تستتبع حقوقا للمسلمين

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٨٧/٢٨

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٨٩/٢٨

وولاة أمورهم في المحافظة على تلك الحقوق وخاصة عند التحاكم.واتقوا الله ربكم.اعتراض بين جملة وأحصوا العدة وجملة لا تخرجوهن من بيوتهن والواو اعتراضية.وحذف متعلق اتقوا الله ليعم جميع ما يتقى الله فيه فيكون هذا من قبيل الاعتراض **التذييلي** وأول ما يقصد بأن يتقى الله فيه ما سيق الكلام لأجله.فقوله: واتقوا الله ربكم تحذير من التساهل في أحكام الطلاق والعدة. ذلك أن أهل الجاهلية لم يكونوا يقيمون للنساء وزنا وكان قرابة المطلقات قلما يدافعن عنهن فتناسى الناس تلك الحقوق وغمصوها فلذلك كانت هذه الآيات." (١)

"ووجه الشبه إنما يراعى بما يسمح به عرف الكلام مثل قولهم: «النحو في الكلام كالملح في الطعام» فإن وجه التشبيه أنه لا يصلح الكلام بدونه وليس ذلك بمقتض أن يكون الكثير من النحو في الكلام مفسدا ككثرة الملح في الطعام.ووقوع حدود الله خبرا عن اسم الإشارة الذي أشير به إلى أشياء معينة يجعل إضافة حدود إلى اسم الجلالة مرادا منها تشريف المضاف وتعظيمه.والمعنى: وتلك مما حد الله فلا تفيد تعريف الجمع بالإضافة عموما لصرف القرينة عن إفادة ذلك لظهور أن تلك الأشياء المعينة ليست جميع حدود الله.ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه.عطف على جملة، وتلك حدود الله. فهو تتميم وهو المقصود من **التذييل** وإذ قد كان حدود الله جمعا معرفا بالإضافة كان مفيدا للعموم إذ لا صارف عن إرادة العموم بخلاف إضافة حدود الله السابق.والمعنى: من يتعد شيئا من حدود الله فقد ظلم نفسه، وبهذا تعلم أن ليس في قوله:ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه إظهار في مقام الإضمار لاختلاف هذين المركبين بالعموم والخصوص وجيء بهذا الإطناب لتهويل أمر هذا التعدي.وأخبر عن متعديها بأنه ظلم نفسه للتخويف تحذيرا من تعدي هذه الحدود فإن ظلم النفس هو الجريرة عليها بما يعود بالإضرار وذلك منه ظلم لها في الدنيا بتعريض النفس لعواقب سيئة تنجر من مخالفة أحكام الدين لأن أحكامه صلاح للناس فمن فرط فيها فاتته المصالح المنطوية هي عليها.قال: ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون. [المائدة: ٦] .ومنه ظلم للنفس في الآخرة بتعريضها للعقاب المتوعد به على الإخلال بأحكام الدين قال تعالى: أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين [الزمر: ٥٦-٥٨]." (٢)

"فهذا الاستئناف البياني وقع عقب الوعد تذكيرا بأن الله علم مواعيده وهيأ لها مقادير حصولها لأنه جعل لكل شيء قدرا.ولها موقع التعليل لجملة وأحصوا العدة [الطلاق: ١] فإن العدة من الأشياء فلما أمر الله بإحصاء أمرها علل ذلك بأن تقدير مدة العدة جعله الله، فلا يسوغ التهاون فيه.ولهذا موقع **التذييل** لجملة وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه [الطلاق: ١] ، أي الذي وضع تلك الحدود قد جعل لكل شيء قدرا لا يعدوه كما جعل الحدود.ولها موقع التعليل لجملة فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف، لأن المعنى إذا بلغن القدر الذي جعله الله لمدة العدة فقد حصل المقصد الشرعي الذي أشار إليه قوله تعالى: لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا [الطلاق: ١] فالمعنى:

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٨/٢٩٨

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٨/٣٠٥

فإن لم يحدث الله أمر المراجعة فقد رفق بكم وحط عنكم امتداد العدة.ولها موقع التعليل لجملة وأقيموا الشهادة لله فإن الله جعل الشهادة قدرا لرفع النزاع.فهذه الجملة جزء آية وهي تحتوي على حقائق من الحكمة.ومعنى لكل شيء لكل موجود، أي لكل حادث فالشيء الموجود سواء كان ذاتا أو معنى من المعاني قال تعالى: وكل شيء فعلوه في الزبر [القمر: ٥٢] . فعموم قوله:لكل شيء صريح في أن ما وعد الله به يجعل له حين تكوينه قدرا.قال الراغب في «مفرداته» : وذلك أن فعل الله ضربان: ضرب أوجده بالفعل، ومعنى إيجاده بالفعل أنه أبدعه كاملا دفعة لا تعتريه الزيادة والنقصان إلى أن يشاء أن يغنيه أو يبدله كالسماوات وما فيها. ومنها ما جعل أصوله موجودة بالفعل وأجزاءه بالصلاحية وقدره على وجه لا يتأتى منه غير ما قدره فيه كتقديره في النواة أن ينبت منها النخل دون أن ينبت منها تفاح أو زيتون. وتقديره نطفة الإنسان لأن يكون منها إنسان دون حيوان آخر. فتقدير الله على وجهين: أحدهما بالحكم." (١)

"والتعاسر صدور العسر من الجانبين. وهو تفاعل من قولكم: عسرت فلانا، إذا أخذته على عسره، ويقال: تعاسر البيعان إذا لم يتفقا.فمعنى تعاسرتم اشتد الخلاف بينكم ولم ترجعوا إلى وفاق، أي فلا يبقى الولد بدون رضاعة.وسين الاستقبال مستعمل في معنى التأكيد، كقوله: قال سوف أستغفر لكم ربي في سورة يوسف [٩٨] . وهذا المعنى ناشيء عن جعل علامة الاستقبال كناية عن تجدد ذلك الفعل في أزمنة المستقبل تحقيقا لتحصيله.وهذا الخبر مستعمل كناية أيضا عن أمر الأب باستئجار ظئر للطفل بقرينة تعليق له بقوله: فسترضع.فاجتمع فيه ثلاث كنايات: كناية عن موعظة الأب، وكناية عن موعظة الأم، وكناية عن أمر الأب بالاسترضاع لولده.[٧][سورة الطلاق (٦٥) : آية ٧]لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا (٧)**تذييل** لما سبق من أحكام الإنفاق على المعتدات والمرضعات بما يعم ذلك. ويعم كل إنفاق يطالب به المسلم من مفروض ومندوب، أي الإنفاق على قدر السعة.والسعة: هي الجدة من المال أو الرزق.والإنفاق: كفاية مؤونة الحياة من طعام ولباس وغير ذلك مما يحتاج إليه.ومن هنا ابتدائية لأن الإنفاق يصدر عن السعة في الاعتبار، وليست من هذه ك (من) التي في قوله تعالى: ومما رزقناهم ينفقون [الأنفال: ٣] لأن النفقة هنا ليست بعضا من السعة، وهي هناك بعض الرزق فلذلك تكون (من) من قوله: فلينفق مما آتاه الله تبعيضية.." (٢)

"الإنفاق قادرا على الاكتساب لينفق من يجب عليه إنفاقه أو ليكمل له ما ضاق عنه ماله، يجبر على الاكتساب. وأما من لا قدرة له على الاكتساب وليس له ما ينفق منه فنفقته أو نفقة من يجب عليه إنفاقه على مراتبها تكون على بيت مال المسلمين. وقد قال عمر بن الخطاب:«وأن رب الصريمة ورب الغنيمة إن تملك ماشيتهما يأتيني ببينة يقول يا أمير المؤمنين يا أمير المؤمنين، أفتاركهم أينا» ، رواه مالك في «الموطأ» .وفي عجز الزوج عن إنفاق زوجه إذا طلبت الفراق لعدم النفقة خلاف. فمن الفقهاء من رأى ذلك موجبا بينهما بعد أجل رجاء يسر الزوج وقدر بشهرين، وهو قول مالك.ومنهم من لم ير التفريق بين الزوجين بذلك وهو قول أبي حنيفة، أي وتنفق من بيت مال المسلمين.والذي يقتضيه النظر أنه إن

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٣١٤/٢٨

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٣٣٠/٢٨

كان بيت المال قائما فإن من واجبه نفقة الزوجين المعسرين وإن لم يتوصل إلى الإنفاق من بيت المال كان حقا أن يفرق القاضي بينهما ولا يترك المرأة وزوجها في احتياج. ومحل بسط ذلك في مسائل الفقه.وجملة سيجعل الله بعد عسر يسرا تكملة **للتذييل** فإن قوله: لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها يناسب مضمون جملة لينفق ذو سعة من سعته.وقوله: سيجعل الله إلخ تناسب مضمون ومن قدر عليه رزقه إلخ. وهذاالكلام خبر مستعمل في بعث الترجي وطرح اليأس عن المعسر من ذوي العيال. ومعناه:عسى أن يجعل الله بعد عسركم يسرا لكم فإن الله يجعل بعد عسر يسرا. وهذا الخبر لا يقتضي إلا أن من تصرفات الله أن يجعل بعد عسر قوم يسرا لهم، فمن كان في عسر رجا أن يكون ممن يشمله فضل الله، فيبدل عسره باليسر.وليس في هذا الخبر وعد لكل معسر بأن يصير عسره يسرا. وقد يكون في المشاهدة ما يخالف ذلك فلا فائدة في التكلف بأن هذا وعد من الله للمسلمين الموحدين يومئذ بأن الله سيبدل عسرهم باليسر، أو وعد للمنفقين الذين يمتثلون لأمر الله ولا يشحون بشيء مما يسعه مالهم. وانظر قوله تعالى: فإن مع العسر يسرا [الشرح: ٥] .." (١)

"يعود لشرب شيء عند بعض أزواجه في غير يوم نوبتها أو كان وعد أن يحرم مارية على نفسه بدون يمين على الرواية الأخرى. كان ذلك غير يمين فكان أمر الله إياه بأن يكفر عن يمينه إما لأن ذلك يجري مجرى اليمين لأنه إنما وعد لذلك تطمينا لخاطر أزواجه فهو التزام لهن فكان بذلك ملحقا باليمين وبذلك أخذ أبو حنيفة ولم يره مالك يمينا ولا نذرا فقال في «الموطأ» : ومعنقول رسول الله صلى الله عليه وسلم «من نذر أن يعصي الله فلا يعصه»أن ينذر الرجل أن يمشي إلى الشام أو إلى مصر مما ليس لله بطاعة إن كلم فلانا، فليس عليه في ذلك شيء إن هو كلمه لأنه ليس لله في هذه الأشياء طاعة فإن حلف فقال: «والله لا آكل هذا الطعام ولا ألبس هذا الثوب فإنما عليه كفارة يمين» اه.وقد اختلف هل كفر النبيء صلى الله عليه وسلم عن يمينه تلك.فالتحلة على هذا التفسير عند مالك هي: جعل الله ملتزم مثل هذا في حل من التزام ما التزمه. أي موجب التحلل من يمينه.وعند أبي حنيفة: هي ما شرعه الله من الخروج من الأيمان بالكفارات وإن كان النبيء صلى الله عليه وسلم صدر منه يمين عند ذلك على أن لا يعود فتحلة اليمين هي الكفارة عند الجميع.وجملة والله مولاكم **تذييل** لجملة قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم. والمولى:الولي، وهو الناصر ومتولي تدبير ما أضيف إليه، وهو هنا كناية عن الرؤوف والميسر، كقوله تعالى: يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر [البقرة: ١٨٥] .وعطف عليها جملة وهو العليم الحكيم أي العليم بما يصلحكم فيحملكم على الصواب والرشد والسداد وهو الحكيم فيما يشرعه، أي يجري أحكامه على الحكمة. وهي إعطاء الأفعال ما تقتضيه حقائقها دون الأوهام والتخيلات.واختلف فقهاء الإسلام فيمن حرم على نفسه شيئا مما أحل الله له على أقوال كثيرة أنهاها القرطبي إلى ثمانية عشر قولا وبعضها متداخل في بعض باختلاف الشروط والنيات فتؤول إلى سبعة.أحدها: لا يلزمه شيء سواء كان المحرم زوجا أو غيرها. وهو قول الشعبي ومسروق وربيعة من التابعين وقاله أصبغ بن الفرج من أصحاب مالك.." (٢)

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٣٣٢/٢٨

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٣٤٨/٢٨

"معناها وهو اختصاص النور بهم في ذلك اليوم بحيث يميزه الناس من بين الأنوار يومئذ.وسعي النور: امتداده وانتشاره. شبه ذلك باشتداد مشي الماشي وذلك أنه يحف بهم حيثما انتقلوا تنويها بشأنهم كما تنشر الأعلام بين يدي الأمير والقائد وكما تساق الجياد بين يدي الخليفة.وإنما خص بالذكر من الجهات الأمام واليمين لأن النور إذا كان بين أيديهم تمتعوا بمشاهدته وشعروا بأنه كرامة لهم ولأن الأيدي هي التي تمسك بها الأمور النفيسة وبها بايعوا النبيء صلى الله عليه وسلم على الإيمان والنصر. وهذا النور نور حقيقي يجعله الله للمؤمنين يوم القيامة. والباء للملابسة، ويجوز أن تكون بمعنى (عن) .وقد تقدم نظير هذا في سورة الحديد وما ذكرناه هنا أوسع.وجملة يقولون ربنا أتمم لنا نورنا إلى آخرها حال من ضمير نورهم، وظاهره أن تكون حالا مقارنة، أي يقولون ذلك في ذلك اليوم، ودعاؤهم طلب للزيادة من ذلك النور، فيكون ضمير يقولون عائد إلى جميع الذين آمنوا مع النبيء صلى الله عليه وسلم يومئذ، أو يقول ذلك من كان نوره أقل من نور غيره ممن هو أفضل منه يومئذ فيكون ضمير يقولون علىإرادة التوزيع على طوائف الذين آمنوا في ذلك اليوم.وإتمام النور إدامته أو الزيادة منه على الوجهين المذكورين آنفا وكذلك الدعاء بطلب المغفرة لهم هو لطلب دوام المغفرة، وذلك كله أدب مع الله وتواضع له مثل ما قيل في استغفار النبيء صلى الله عليه وسلم في اليوم سبعين مرة.ويظهر بذلك وجه **التذييل** بقولهم: إنك على كل شيء قدير المشعر بتعليل الدعاء كناية عن رجاء إجابته لهم.[٩][سورة التحريم (٦٦) : آية ٩]يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير (٩)لما أبلغ الكفار ما سيحل بهم في الآخرة تصريحا بقوله: يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم [التحريم: ٧] ،." (١)

"وهذا مختار صاحب «الكشاف» في تفسير هذه الآية. ومبناه على أن تعليق أفعال العلم عن العمل لا يستقيم إلا إذا لم يذكر للفعل مفعول فإذا ذكر مفعول لم يصح تعليق الفعل عن المفعول الثاني، وحاصله: أن التقدير ليعلم الذين يقال في حقهم أيهم أحسن عملا على نحو قوله تعالى: ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا [مريم: ٦٩] أي: لننزعن الذين يقال فيهم: أيهم أشد.وجوز صاحب «التقريب» أن يكون التقدير: ليعلم جواب سؤال سائل: أيكم أحسن عملا.قلت: ولك أن تجعل جملة: أيكم أحسن عملا مستأنفة وتجعل الوقف على قوله: ليبلوكم ويكون الاستفهام مستعملا في التحضيض على حسن العمل كما هو في قول طرفة:إذا القوم قالوا من فتى خلت أنني ... عنيت فلم أكسل ولم أتبلدفجعل الاستفهام تحضيضا.وأحسن تفضيل، أي أحسن عملا من غيره، فالأعمال الحسنة متفاوتة في الحسن إلى أدناها، فأما الأعمال السيئة فإنها مفهومة بدلالة الفحوى لأن البلوى في أحسن الأعمال تقتضي البلوى في السيئات بالأولى لأن إحصاءها والإحاطة بها أولى في الجزاء لما يترتب عليها من الاجتراء على الشارع، ومن الفساد في النفس، وفي نظام العالم، وذلك أولى بالعقاب عليه ففي قوله: ليبلوكم أيكم أحسن عملا إيجاز.وجملة: وهو العزيز الغفور **تذييل** لجملة: ليبلوكم أيكم أحسن عملا إشارة إلى أن صفاته تعالى تقتضي تعلقا بمتعلقاتها لئلا تكون معطلة في بعض الأحوال والأزمان فيفضي ذلك إلى نقائضها، فأما العزيز فهو الغالب الذي لا يعجز عن شيء، وذكره مناسب للجزاء المستفاد من قوله: ليبلوكم أيكم

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٨/٣٧١

أحسن عملا كما تقدم آنفا، أي ليجزيكم جزاء العزيز، فعلم أن المراد الجزاء على المخالفات والنكول عن الطاعة. وهذاحظ المشركين الذين شملهم ضمير الخطاب في قوله ليبلوكم.." (١)

"وجاءت جملة ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت تقريرا لقوله:خلق سبع سماوات طباقا.فإن نفي التفاوت يحقق معنى التطابق، أي التماثل. والمعنى: ما ترى في خلق الله السماوات تفاوتا. وأصل الكلام: ما ترى فيهن ولا في خلق الرحمان من تفاوت فعبر بخلق الرحمان لتكون الجملة **تذييلا** لمضمون جملة: خلق سبع سماوات طباقا، لأن انتفاء التفاوت عما خلقه الله متحقق في خلق السماوات وغيرها، أي كانت السماوات طباقا لأنها من خلق الرحمان، وليس فيما خلق الرحمان من تفاوت ومن ذلك نظام السماوات.والتفاوت بوزن التفاعل: شدة الفوت، والفوت: البعد، وليست صيغة التفاعل فيه لحصول فعل من جانبين ولكنها مفيدة للمبالغة.ويقال: تفوت الأمر أيضا، وقيل: إن تفوت، بمعنى حصل فيه عيب.وقرأ الجمهور من تفاوت. وقرأه حمزة والكسائي وخلف من تفوت بتشديد الواو دون ألف بعد الفاء، وهي مرسومة في المصحف بدون ألف كما هو كثير في رسم الفتحات المشبعة.وهو هنا مستعار للتخالف وانعدام التناسق لأن عدم المناسبة يشبه البعد بين الشيئين تشبيه معقول بمحسوس.والخطاب لغير معين، أي لا ترى أيها الرائي تفاوتا.والمقصود منه التعريض بأهل الشرك إذ أضاعوا النظر والاستدلال بما يدل على وحدانية الله تعالى بما تشاهده أبصارهم من نظام الكواكب، وذلك ممكن لكل من يبصر، قال تعالى: أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج [ق:٦] فكأنه قال: ما ترون في خلق الرحمان من تفاوت، فيجوز أن يكون خلق الرحمن بمعنى المفعول كما في قوله تعالى: هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه [لقمان: ١١] ، ويراد منه السماوات، والمعنى: ما ترى في السماوات من تفاوت، فيكون العدول عن الضمير لتتأتى الإضافة إلى اسمه الرحمن المشعر بأن تلك المخلوقات فيها رحمة بالناس كما سيأتي.." (٢)

"ويجوز أن يكون خلق مصدرا فيشمل خلق السماوات وخلق غيرها فإن صنع الله رحمة للناس لو استقاموا كما صنع لهم وأوصاهم، فتفيد هذه الجملة مفاد **التذييل** في أثناءالكلام على وجه الاعتراض ولا يكون إظهارا في مقام الإضمار.والتعبير بوصف الرحمن دون اسم الجلالة إيماء إلى أن هذا النظام مما اقتضته رحمته بالناس لتجري أمورهم على حالة تلائم نظام عيشهم، لأنه لو كان فيما خلق الله تفاوت لكان ذلك التفاوت سببا لاختلال النظام فيتعرض الناس بذلك لأهوال ومشاق، قال تعالى: وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر [الأنعام: ٩٧] وقال: هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق [يونس: ٥] .وأيضا في ذلك الوصف تورك على المشركين إذ أنكروا اسمه تعالى: الرحمن وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا [الفرقان: ٦٠] .وفرع عليه قوله: فارجع البصر إلخ. والتفريع للتسبب، أي انتفاء رؤية التفاوت، جعل سببا للأمر بالنظر ليكون نفي التفاوت معلوما عن يقين دون تقليد للمخبر.ورجع البصر: تكريره والرجع: العود إلى الموضع الذي يجاء منه، وفعل: رجع يكون قاصرا ومتعديا إلى مفعول بمعنى: أرجع، فارجع هنا فعل أمر من رجع المتعدي.والرجع يقتضي

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٥/٢٩

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١٧/٢٩

سبق حلول بالموضع، فالمعنى: أعد النظر، وهو النظر الذي دل عليه قوله: ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت أي أعد رؤية السماوات وأنها لا تفاوت فيها إعادة تحقيق وتبصر، كما يقال: أعد نظرا.والخطاب في قوله: ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت وقوله: فارجع البصر إلخ. خطاب لغير معين.وصيغة الأمر مستعملة في الإرشاد للمشركين مع دلالته على الوجوب للمسلمين فإن النظر في أدلة الصفات واجب لمن عرض له داع إلى الاستدلال.." (١)

"وباتصال (كل) بحرف (ما) المصدرية الظرفية اكتسب التركيب معنى الشرط وشابه أدوات الشرط في الاحتياج إلى جملتين مرتبة إحداهما على الأخرى.وجيء بفعلي ألقي وسألهم ماضيين لأن أكثر ما يقع الفعل بعد كلما أن يكون بصيغة المضي لأنها لما شابهت الشرط استوى الماضي والمضارع معها لظهور أنه للزمن المستقبل فأوثر فعل المضي لأنه أخف.والفوج: الجماعة أي جماعة ممن حق عليهم الخلود، وتقدم عند قوله تعالى:ويوم نحشر من كل أمة فوجا في سورة النمل [٨٣] .وجيء بالضمائر العائدة إلى الفوج ضمائر جمع في قوله: سألهم إلخ. لتأويل الفوج بجماعة أفراده كما في قوله: وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا [الحجرات: ٩] .وخزنة النار: الملائكة الموكل إليهم أمر جهنم وهو جمع خازن للموكل بالحفظ وأصل الخازن: الذي يخزن شيئا، أي يحفظه في مكان حصين، فإطلاقه على الموكلين مجاز مرسل.وجملة ألم يأتكم نذير بيان لجملة سألهم كقوله: فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد [طه: ١٢٠] .والاستفهام في ألم يأتكم نذير للتوبيخ والتنديم ليزيدهم حسرة.والنذير: المنذر، أي رسول منذر بعقاب الله وهو مصوغ على غير قياس كما صيغ بمعنى المسمع السميع في قول عمرو بن معد يكرب:أمن رياحنة الداعي السميع والمراد أفواج أهل النار من جميع الأمم التي أرسلت إليهم الرسل فتكون جملة:كلما ألقي فيها فوج إلخ بمعنى **التذييل**.وجملة: قالوا بلى قد جاءنا نذير معترضة بين كلام خزنة جهنم اعتراضا يشير إلى أن الفوج قاطع كلام الخزنة بتعجيل الاعتراف بما وبخوهم عليه وذلك من شدة الخوف.وفصلت الجملة لوجهين لأنها اعتراض، ولوقوعها في سياق المحاورة كما تقدم غير مرة كقوله تعالى: قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها في سورة البقرة [٣٠] . وكان." (٢)

"لآياته تعلق العامل بمعموله كقولهم: شكرا لك، فكل من (سحقا) واللام المتعلقة به مستعمل في معنييه.ولأصحاب السعير يعم المخاطبين بالقرآن وغيرهم فكان هذا الدعاء بمنزلة **التذييل** لما فيه من العموم تبعا للجمل التي قبله.وقرأ الجمهور فسحقا بسكون الحاء. وقرأه الكسائي وأبو جعفر بضم الحاء وهو لغة فيه وذلك لاتباع ضمة السين.[١٢][سورة الملك (٦٧) : آية ١٢]إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير (١٢)اعتراض يفيد استئنافا بيانيا جاء على سنن أساليب القرآن من تعقيب الرهبة بالرغبة، فلما ذكر ما أعد للكافرين المعرضين عن خشية الله أعقبه بما أعد للذين يخشون ربهم بالغيب من المغفرة والثواب للعلم بأنهم يترقبون ما يميزهم عن أحوال المشركين.وقدم المغفرة تطمينا لقلوبهم لأنهم يخشون المؤاخذة على ما فرط منهم من الكفر قبل الإسلام ومن اللمم ونحوه، ثم أعقبت بالبشارة بالأجر العظيم، فكان الكلام جاريا على قانون تقديم التخلية على التحلية، أو تقديم دفع الضر على جلب النفع، والوصف بالكبير بمعنى العظيم نظير ما

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٨/٢٩

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٥/٢٩

تقدم آنفا في قوله: إن أنتم إلا في ضلال كبير [الملك: ٩] .وتنكير مغفرة للتعظيم بقرينة مقارنته ب أجر كبير وبقرينة التقديم.وتقديم المسند على المسند إليه في جملة لهم مغفرة ليتأتى تنكير المبتدإ، ولإفادة الاهتمام، وللرعاية على الفاصلة وهي نكت كثيرة.[١٣- ١٤][سورة الملك (٦٧) : الآيات ١٣ إلى ١٤]وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور (١٣) ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير (١٤)عطف على الجمل السابقة عطف غرض على غرض، وهو انتقال إلى غرض آخر لمناسبة حكاية أقوالهم في الآخرة بذكر أقوالهم في الدنيا وهي الأقوال التي." (١)

"فعول بمعنى فاعل يستوي فيه المذكر والمؤنث، وتقدم في قوله تعالى: إنها بقرة لا ذلول الآية في سورة البقرة [٧١] ، فاستعير الذلول للأرض في تذليل الانتفاع بها مع صلابة خلقتها تشبيها بالدابة المسوسة المرتاضة بعد الصعوبة على طريقة المصرحة.والمناكب: تخييل للاستعارة لزيادة بيان تسخير الأرض للناس فإن المنكب هو ملتقى الكتف مع العضد، جعل المناكب استعارة لأطراف الأرض أو لسعتها.وفرع على هذه الاستعارة الأمر في فامشوا في مناكبها فصيغة الأمر مستعملة في معنى الإدامة تذكيرا بما سخر الله لهم من المشي في الأرض امتنانا بذلك.ومناسبة وكلوا من رزقه أن الرزق من الأرض. والأمر مستعمل في الإدامة أيضا للامتنان، وبذلك تمت استعارة الذلول للأرض لأن فائدة تذليل الذلول ركوبها والأكل منها. فالمشي على الأرض شبيه بركوب الذلول، والأكل مما تنبته الأرض شبيه بأكل الألبان والسمن وأكل العجول والخرفان ونحو ذلك. وجمع المناكب تجريد للاستعارة لأن الذلول لها منكبان والأرض ذات متسعات كثيرة.وكل هذا تذكير بشواهد الربوبية والإنعام ليتدبروا فيتركوا العناد، قال تعالى: كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون [النحل: ٨١] .وأما عطف وإليه النشور فهو تتميم وزيادة عبر أسطر لمناسبة ذكر الأرض فإنها مثوى الناس بعد الموت.والمعنى: إليه النشور منها، وذلك يقتضي حذفا، أي وفيها تعودون.وتعريف النشور تعريف الجنس فيعم أي كل نشور، ومنه نشور المخاطبين فكان قوله: وإليه النشور بمنزلة **التذييل**.والقصر المستفاد من تعريف جزأي هو الذي جعل لكم الأرض قصر قلب بتنزيل المخاطبين منزلة من يعتقد أن الأصنام خلقت الأرض لأن اعتقادهم إلهيتها يقتضي إلزامهم بهذا الظن الفاسد وإن لم يقولوه.وتقديم المجرور في جملة وإليه النشور للاهتمام.ومناسبة ذكر النشور هو ذكر خلق الأرض فإن البعث يكون من الأرض.." (٢)

"وأقحم الشرط بين فعل الرؤية وما سد مسد مفعوليه.والفاء في قوله: فمن يأتيكم [الملك: ٣٠] رابطة لجواب الشرط لأنه لما وقع بعد ما أصله المبتدأ والخبر وهو المفعولان المقدران رجح جانب الشرط.والمعية في قوله: ومن معي معية مجازية، وهي الموافقة والمشاركة في الاعتقاد والدين، كما في قوله تعالى: محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار [الفتح:٢٩] الآية، أي الذين آمنوا معه، وقوله: والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم [التحريم: ٨] كما أطلقت على الموافقة في الرأي والفهم في قول أبي هريرة: «أنا مع ابن أخي» ، يعني موافق لأبي سلمة بن عبد الرحمان، وذلك حين اختلف أبو سلمة وابن عباس في المتوفى عنها الحامل إذا وضعت حملها قبل مضي عدة الوفاة.والاستفهام بقوله: فمن يجير الكافرين إلخ إنكاري، أي لا يجيرهم منه مجير، أي أظننتم أن تجدوا مجيرا لكم إذا هلكنا فذلك متعذر فماذا ينفعكم هلاكنا.والعذاب

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٩/٢٩

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٣٢/٢٩

المذكور هنا ما عبر عنه بالوعد في الآية قبلها.وتنكير عذاب للتهويل.والمراد ب الكافرين جميع الكافرين فيشمل المخاطبين.والكلام بمنزلة **التذييل**، وفيه حذف، تقديره: من يجيركم من عذاب فإنكم كافرون ولا مجير للكافرين.وذكر وصف الكافرين لما فيه من الإيماء إلى علة الحكم لأنه وصف إذا علق به حكم أفاد تعليل ما منه اشتقاق الوصف.وقرأ الجمهور بفتحة على ياء أهلكني، وقرأها حمزة بإسكان الياء.وقرأ الجمهور ياء معي بفتحة. وقرأها أبو بكر عن عاصم وحمزة والكسائي بسكون الياء.[٢٩][سورة الملك (٦٧) : آية ٢٩]قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا فستعلمون من هو في ضلال مبين (٢٩)." (١)

"وهذا الانتقال تضمن وعدا ووعيدا، بإضافة السبيل إلى الله ومقابلة من ضل عنه بالمهتدين.وعموم من ضل عن سبيله وعموم المهتدين يجعل هذه الجملة مع كونها كالدليل هي أيضا من **التذييل**.وهو بعد هذا كله تمهيد وتوطئة لقوله: فلا تطع المكذبين [القلم: ٨] .[٨- ٩][سورة القلم (٦٨) : الآيات ٨ إلى ٩]فلا تطع المكذبين (٨) ودوا لو تدهن فيدهنون (٩)تفريع على جملة إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله [القلم: ٧] إلى آخرها، باعتبار ما تضمنته من أنه على الهدى، وأن الجانب الآخر في ضلال السبيل، فإن ذلك يقتضي المشادة معهم وأن لا يلين لهم في شيء، فإن أذاهم إياه آل إلى محاربة الحق والهدى، وتصلب فيما هم عليه من الضلال عن سبيل الله فلا يستأهلون به لينا ولكن يستأهلون إغلاظا.روي عن الكلبي وزيد بن أسلم والحسن بألفاظ متقاربة تحوم حول أن المشركين ودوا أن يمسك النبيء صلى الله عليه وسلم عن مجاهرتهم بالتضليل والتحقير فيمسكوا عن أذاه، ويصانع بعضهم بعضا فنهاه الله عن إجابتهم لما ودوا.ومعنى ودوا: أحبوا.وليس المراد أنهم ودوا ذلك في نفوسهم فأطلع الله عليه رسوله صلى الله عليه وسلم لعدم مناسبته لقوله: فلا تطع المكذبين.وورد في كتب السيرة أن المشركين تقدموا للنبيء صلى الله عليه وسلم بمثل هذا العرض ووسطوا في ذلك عمه أبا طالب وعتبة بن ربيعة.فينتظم من هذا أن قوله فلا تطع المكذبين نهي عن إجابتهم إلى شيء عرضوه عليه عند ما قرعهم بأول هذه السورة وبخاصة من وقع معنى التعريض البديع الممزوج بالوعيد بسوء المستقبل من قوله: فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون إلى قوله:بالمهتدين [القلم: ٥- ٧] فلعلهم تحدثوا أو أوعزوا إلى من يخبر الرسول صلى الله عليه وسلم أو صارحوه بأنفسهم بأنه إن ساءه قولهم فيه إنه لمجنون [القلم: ٥١] فقد." (٢)

"والجمع والإيعاء في قوله: وجمع فأوعى مرتب ثانيهما على أولهما، فيدل ترتب الثاني على الأول أن مفعول جمع المحذوف هو شيء مما يوعى، أي يجعل في وعاء.والوعاء: الظرف، أي جمع المال فكنزه ولم ينفع به المحاويج، ومنه جاء فعل فأوعى إذا شح.وفي الحديث: «ولا توعي فيوعى عليك». وفي قوله: جمع إشارة إلى الحرص، وفي قوله: فأوعى إشارة إلى طول الأمل. وعن قتادة جمع فأوعى كان جموعا للخبيث، وهذا تفسير حسن، أي بأن يقدر ل جمع مفعول يدل عليه السياق، أي وزاد على إدباره وتوليه أنه جمع الخبائث. وعليه يكون فأوعى مستعارا لملازمته ما فيه من خصال الخبائث واستمراره عليها فكأنها مختزنة لا يفرط فيها.[١٩- ٢١][سورة المعارج (٧٠) : الآيات ١٩ إلى ٢١]إن الإنسان خلق

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٩/٥٣

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٩/٦٨

هلوعا (١٩) إذا مسه الشر جزوعا (٢٠) وإذا مسه الخير منوعا (٢١)معترضة بين من أدبر وتولى وجمع فأوعى [المعارج: ١٧- ١٨] وبين الاستثناء إلا المصلين [المعارج: ٢٢] إلخ.وهي تذييل لجملة وجمع فأوعى تنبيها على خصلة تخامر نفوس البشر فتحملهم على الحرص لنيل النافع وعلى الاحتفاظ به خشية نفاده لما فيهم من خلق الهلع. وهذا تذييل لوم وليس في مساقه عذر لمن جمع فأوعى، ولا هو تعليل لفعله.وموقع حرف التوكيد ما تتضمنه الجملة من التعجيب من هذه الخصلة البشرية، فالتأكيد لمجرد الاهتمام بالخبر ولفت الأنظار إليه والتعريض بالحذر منه.والمقصود من التذييل هو قوله: وإذا مسه الخير منوعا وأما قوله: إذا مسه الشر جزوعا فتمهيد وتتميم لحالتيه.فالمراد بالإنسان: جنس الإنسان لا فرد معين كقوله تعالى: إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى [العلق: ٦- ٧] وقوله: خلق الإنسان من عجل [الأنبياء: ٣٧] ، ونظائر ذلك كثيرة في القرآن.." (١)

"ب (لا) يجوز الاقتران بالفاء وتركه. ولم أره لغيره وكلام «الكشاف» يقتضي أن الاقتران بالفاء واجب إلا إذا قصدت مزية أخرى.[١٤- ١٥][سورة الجن (٧٢) : الآيات ١٤ الى ١٥]وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا (١٤) وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا (١٥)وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون.قرأ الجمهور وأبو جعفر بكسر الهمزة. وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص وخلف بفتحها وهو من قول الجن وهو عطف على المجرور بالباء. والمقصود بالعطف قوله: فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا وما قبله توطئة له، أي أصبحنا بعد سماع القرآن منا المسلمون، أي الذين اتبعوا ما جاء به الإسلام مما يليق بحالهم ومنا القاسطون، أي الكافرون المعرضون وهذا تفصيل لقولهم: وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك [الجن: ١١] لأن فيه تصريحا بأن دون ذلك هو ضد الصلاح.والظاهر أن من منتهى ما حكي عن الجن من المدركات التي عبر عنها بالقول وما عطف عليه.فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا (١٤) وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا (١٥) .الظاهر أن هذا خارج عن الكلام المحكي عن الجن، وأنه كلام من جانب الله تعالللموعظة المشركين من الناس فهو في معنى التذييل. وإنما قرن بالفاء لتفريعه على القصة لاستخلاص العبرة منها، فالتفريع تفريع كلام على كلام وليس تفريع معنى الكلام على معنى الكلام الذي قبله.والتحري: طلب الحرا بفتحتين مقصورا واويا، وهو الشيء الذي ينبغي أن يفعل، يقال: بالحري أن تفعل كذا، وأحرى أن تفعل.والرشد: الهدى والصواب، وتنوينه للتعظيم.والمعنى: أن من آمن بالله فقد توخى سبب النجاة وما يحصل به الثواب لأن الرشد سبب ذلك.والقاسط: اسم فاعل قسط من باب ضرب قسطا بفتح القاف وقسوطا بضمها، أي جار فهو كالظلم يراد به ظلم المرء نفسه بالإشراك. وفي «الكشاف» :." (٢)

"أحوال الحكم الذي للمستثنى منه، بل قصارى ما يقتضيه أنه كالنقض في المناظرة يحصل بإثبات جزئي من جزئيات ما نفاه الكلام المنقوص، فليس قوله تعالى: إلا من ارتضى من رسول بمقتض أن الرسول يطلع على جميع غيب الله، وقد بين النوع المطلع عليه بقوله:ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم.وقرأ رويس عن يعقوب ليعلم بضم الياء وفتح اللام مبنيا للمفعول على أن قد أبلغوا نائب عن الفاعل، والفاعل المحذوف حذف للعلم به، أي ليعلم الله أن قد أبلغوا.وأحاط بما

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٦٦/٢٩

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٣٦/٢٩

لديهم وأحصى كل شيء عددا.الواو واو الحال أو اعتراضية لأن مضمونها تذييل لجملة ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم، أي أحاط بجميع ما لدى الرسل من تبليغ وغيره، وأحاط بكل شيء مما عدا ذلك، فقوله: وأحاط بما لديهم تعميم بعد تخصيص ما قبله بعلمه بتبليغهم ما أرسل إليهم، وقوله: وأحصى كل شيء عددا تعميم أشمل بعد تعميم ما.وعبر عن العلم بالإحصاء على طريق الاستعارة تشبيها لعلم الأشياء بمعرفة الأعدادلأن معرفة الأعداد أقوى، وقوله: عددا ترشيح للاستعارة.والعدد: بالفك اسم لمعدود وبالإدغام مصدر عد، فالمعنى هنا: وأحصى كل شيء معدودا، وهو نصب على الحال، بخلاف قوله تعالى: وعدهم عدا [مريم: ٩٤] . وفرق العرب بين المصدر والمفعول لأن المفعول أوغل في الاسمية من المصدر فهو أبعد عن الإدغام لأن الأصل في الإدغام للأفعال.." (١)

"منفعل بحرفي زيادة وهما الميم والنون كانت الكلمة معرضة للثقل إذا ألحق بها حرف زائد آخر ثالث، وهو هاء التأنيث فيحصل فيها ثقل يجنبه الكلام البالغ غاية الفصاحة ألا ترى أنها لم تجر على التذكير في قوله: إذا السماء انفطرت [الانفطار: ١] إذ ليس في الفعل إلا حرف مزيد واحد وهو النون إذ لا اعتداد بهمزة الوصل لأنها ساقطة في حالة الوصل، فجاءت بعدها تاء التأنيث.وجملة كان وعده مفعولا صفة أخرى ل يوما، وهذا الوصف إدماج للتصريح بتحقيق وقوع ذلك اليوم بعد الإنذار به الذي هو مقتض لوقوعه بطريق الكناية استقصاء في إبلاغ ذلك إلى علمهم وفي قطع معذرتهم.وضمير وعده عائد إلى يوما الموصوف، وإضافة (وعد) إليه من إضافة المصدر إلى مفعوله على التوسع، أي الوعد به، أي بوقوعه.[١٩][سورة المزمل (٧٣) : آية ١٩]إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا (١٩)تذييل أي تذكرة لمن يتذكر فإن كان من منكري البعث آمن به وإن كان مؤمنا استفاق من بعض الغفلة التي تعرض للمؤمن فاستدرك ما فاته، وبهذا العموم الشامل لأحوال المتحدث عنهم وأحوال غيرهم كانت الجملة تذييلا.والإشارة ب هذه إلى الآيات المتقدمة من قوله: إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهدا عليكم [المزمل: ١٥] .وتأكيد الكلام بحرف التأكيد لأن المواجهين به ابتداء هم منكرون كون القرآن تذكرة وهدى فإنهم كذبوا بأنه من عند الله ووسموه بالسحر وبالأساطير، وذلك من أقوالهم التي أرشد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصبر عليها قال تعالى: واصبر على ما يقولون [المزمل: ١٠] .والتذكرة: اسم لمصدر الذكر بضم الذال، الذي هو خطور الشيء في البال، فالتذكرة: الموعظة لأنه تذكر الغافل عن سوء العواقب، وهذا تنويه بآيات القرآن وتجديد للتحريض على التدبر فيه والتفكر على طريقة التعريض.." (٢)

"ووصف القرض بالحسن يفيد الصدقة المراد بها وجه الله تعالى والسالمة من المن والأذى، والحسن متفاوت.والحسن في كل نوع هو ما فيه الصفات المحمودة في ذلك النوع في بابه، ويعرف المحمود من الصدقة من طريق الشرع بما وصفه القرآن في حسن الصدقات وما ورد في كلام النبيء صلى الله عليه وسلم من ذلك.وقد تقدم في سورة البقرة [٢٤٥] قوله: من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة وفي سورة التغابن [١٧] إن تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم.وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا.تذييل لما سبق من الأمر في قوله: فاقرؤا ما تيسر منه وأقيموا

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٩/٢٥١

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٩/٢٧٧

الصلاة وآتوا الزكاة وأقرضوا الله قرضا حسنا، فإن قوله: من خير يعم جميع فعل الخير.وفي الكلام إيجاز حذف. تقدير المحذوف: وافعلوا الخير وما تقدموا لأنفسكم منه تجدوه عند الله، فاستغني عن المحذوف بذكر الجزاء على الخير.وما شرطية. ومعنى تقديم الخير: فعله في الحياة، شبه فعل الخير في مدة الحياة لرجاء الانتفاع بثوابه في الحياة الآخرة بتقديم العازم على السفر ثقله وأدواته وبعض أهله إلى المحل الذي يروم الانتهاء إليه ليجد ما ينتفع به وقت وصوله.ومن خير بيان لإبهام ما الشرطية.والخير: هو ما وصفه الدين بالحسن ووعد على فعله بالثواب.ومعنى تجدوه تجدوا جزاءه وثوابه، وهو الذي قصده فاعله، فكأنه وجد نفس الذي قدمه، وهذا استعمال كثير في القرآن والسنة أن يعبر عن عوض الشيء وجزائه باسم المعوض عنه والمجازى به، ومنهقول النبيء صلى الله عليه وسلم في الذي يكنز المال ولا يؤدي حقه «مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع يأخذ بلهزمتيه يقول: أنا مالك أنا كنزك». وضمير الغائب في تجدوه هو المفعول الأول ل (تجدوا) ومفعوله الثاني خيرا.." (١)

"والضمير المنفصل الذي بينهما ضمير فعل، وجاز وقوعه بين معرفة ونكرة خلافا للمعروف في حقيقة ضمير الفصل من وجوب وقوعه بين معرفتين لأن أفعل من كذا، أشبه المعرفة في أنه لا يجوز دخول حرف التعريف عليه.وخيرا: اسم تفضيل، أي خيرا مما تقدمونه إذ ليس المراد أنكم تجدونه من جنس الخير، بل المراد مضاعفة الجزاء، لما دل عليه قوله تعالى: إن تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم [التغابن: ١٧] وغير ذلك من كثير من الآيات.وأفاد ضمير الفصل هنا مجرد التأكيد لتحقيقه.وعطف وأعظم أجرا على خيرا أو هو منسحب عليه تأكيد ضمير الفصل (١) .وانتصب أجرا على أنه تمييز نسبة ل أعظم لأنه في معنى الفعل. فالتقدير:وأعظم أجره، كما تقول: وجدته منبسطا كفا، والمعنى: أن أجره خير وأعظم مما قدمتوه.واستغفروا الله إن الله غفور رحيم.يجوز أن تكون الواو للعطف فيكون معطوفا على جملة وما تقدموا لأنفسكم إلخ، فيكون لها حكم **التذييل** إرشادا لتدارك ما عسى أن يعرض من التفريط في بعض ما أمره الله بتقديمه من خير فإن ذلك يشمل الفرائض التي يقتضي التفريط في بعضها توبة منه.ويجوز أن تكون الواو للاستئناف وتكون الجملة استئنافا بيانيا ناشئا عن الترخيص في ترك بعض القيام إرشادا من الله لما يسد مسد قيام الليل الذي يعرض تركه بأن يستغفر المسلم ربه إذا انتبه من أجزاء الليل، وهو مشمول لقوله تعالى:______________(١) ضمير الفصل هنا وقع بين معرفة وهو الضمير المفعول الأول لفعل «تجدوه» ، وبين ما هو بمنزلة المعرفة وهو اسم التفضيل لشبهه بالمعرفة في امتناع دخول حرف التعريف عليه كما ذكره في «المفصل» «والكشاف» .." (٢)

"ومشيئة الله ذلك تعلق علمه بسلوك المهتدين والضالين.ومحل كذلك نصب بالنيابة عن المفعول المطلق لأن الجار والمجرور هنا صفة لمصدر محذوف دلت عليه الصفة، والتقدير: يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء إضلالا وهديا كذلك الإضلال والهدي. وليس هذا من قبيل قوله تعالى: وكذلك جعلناكم أمة وسطا [البقرة: ١٤٣] .وقدم وصف المفعول المطلق للاهتمام بهذا التشبيه لما يرشد إليه من تفصيل عند التدبر فيه، وحصل من تقديمه محسن الجمع ثم التقسيم إذ جاء تقسيمه

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٩/٢٨٨

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٩/٢٨٩

بقوله يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء.وما يعلم جنود ربك إلا هو.كلمة جامعة لإبطال التخرصات التي يتخرصها الضالون ومرضى القلوب عند سماعالأخبار عن عالم الغيب وأمور الآخرة من نحو: ما هذا به أبو جهل في أمر خزنة جهنم يشمل ذلك وغيره، فلذلك كان لهذه الجملة حكم **التذييل**.والجنود: جمع جند وهو اسم لجماعة الجيش واستعير هنا للمخلوقات التي جعلها الله لتنفيذ أمره لمشابهتها الجنود في تنفيذ المراد.وإضافة رب إلى ضمير النبيء صلى الله عليه وسلم إضافة تشريف، وتعريض بأن من شأن تلك الجنود أن بعضها يكون به نصر النبيء صلى الله عليه وسلم. ونفي العلم هنا نفي للعلم التفصيلي بأعدادها وصفاتها وخصائصها بقرينة المقام، فإن العلم بعدد خزنة جهنم قد حصل للناس بإعلام من الله لكنهم لا يعلمون ما وراء ذلك.وما هي إلا ذكرى للبشر.فيه معان كثيرة أعلاها أن يكون هذا تتمة لقوله: وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا على أن يكون جاريا على طريقة الأسلوب الحكيم، أي أن النافع لكم أن تعلموا أن الخبر عن خزنة النار بأنهم تسعة عشر فائدته أن يكون ذكرى." (١)

"[٣٢- ٣٧][سورة المدثر (٧٤) : الآيات ٣٢ الى ٣٧]كلا والقمر (٣٢) والليل إذ أدبر (٣٣) والصبح إذا أسفر (٣٤) إنها لإحدى الكبر (٣٥) نذيرا للبشر (٣٦)لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر (٣٧)كلا.كلا حرف ردع وإبطال. والغالب أن يقع بعد كلام من متكلم واحد أو من متكلم وسامع مثل قوله تعالى: قال أصحاب موسى إنا لمدركون قال كلا إن معي ربي سيهدين [الشعراء: ٦١، ٦٢] فيفيد الردع عما تضمنه الكلام المحكي قبله. ومنه قوله تعالى:كلا سنكتب ما يقول في سورة مريم [٧٩] ، ويجوز تقديمه على الكلام إذا أريد التعجيل بالردع والتشويق إلى سماع ما بعده، وهو هنا محتمل لأن يكون إبطالا لما قبله من قولهم: فإذا أراد الله بهذا مثلا، فيكون ما بينهما اعتراضا ويكون قوله والقمر ابتداء كلام فيحسن الوقف على كلا. ويحتمل أن يكون حرف إبطال مقدما على الكلام الذي بعده من قوله: إنها لإحدى الكبر نذيرا للبشر تقديم اهتمام لإبطال ما يجيء بعده من مضمون قوله: نذيرا للبشر، أي من حقهم أن ينتذروا بها فلم ينتذر أكثرهم على نحو معنى قوله: وأنى له الذكرى [الفجر: ٢٣] فيحسن أن توصل في القراءة بما بعدها.أدبر والليل إذ أدبر (٣٣) والصبح إذا أسفر (٣٤) إنها لإحدى الكبر (٣٥) نذيرا للبشر (٣٦) لمنشاء منكم أن يتقدم أو يتأخر (٣٧) .الواو المفتتح بها هذه الجملة واو القسم، وهذا القسم يجوز أن يكون **تذييلا** لما قبله مؤكدا لما أفادته كلا من الإنكار والإبطال لمقالتهم في شأن عدة خزنة النار، فتكون جملة إنها لإحدى الكبر تعليلا للإنكار الذي أفادته كلا ويكون ضمير إنها عائدا إلى سقر [المدثر: ٢٦] ، أي هي جديرة بأن يتذكر بها فلذلك كان من لم يتذكر بها حقيقا بالإنكار عليه وردعه.وجملة القسم على هذا الوجه معترضة بين الجملة وتعليلها، ويحتمل أن يكون القسم صدرا للكلام الذي بعده وجملة إنها لإحدى الكبر جواب القسم والضمير راجع إلى سقر، أي أن سقر لأعظم الأهوال، فلا تجزي في معاد ضمير إنها جميع الاحتمالات التي جرت في ضمير وما هي إلا ذكرى [المدثر: ٣١] .." (٢)

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٣١٩/٢٩

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٣٢١/٢٩

"ولما كان تكوينه علقة هو مبدأ خلق الجسم عطف عليه قوله: فخلق بالفاء، لأن العلقة يعقبها أن تصير مضغة إلى أن يتم خلق الجسد وتنفخ فيه الروح.وضمير فخلق عائد إلى ربك [القيامة: ٣٠] . وكذلك عطف فسوى بالفاء.والتسوية: جعل الشيء سواء، أي معدلا مقوما قال تعالى: فسواهن سبع سماوات [البقرة: ٢٩] وقال: الذي خلق فسوى [الأعلى: ٢] ، أي فجعله جسدا من عظم ولحم. ومفعول (خلق) ومفعول (سوى) محذوفان لدلالة الكلام عليهما، أي فخلقه فسواه. وعقب ذلك بخلقه ذكرا أو أنثى زوجين ومنهما يكون التناسل أيضا.وقرأ الجمهور تمنى بالفوقية على أنه وصف ل نطفة. وقرأه حفص ويعقوب بالتحتية على أنه وصف مني.وجملة أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى واقعة موقع النتيجة من الدليل لأن خلق جسم الإنسان من عدم وهو أمر ثابت بضرورة المشاهدة، أحق بالاستبعاد من إعادة الحياة إلى الجسم بعد الموت سواء بقي الجسم غير ناقص أو نقص بعضه أو معظمه فهو إلى بث الحياة فيه وإعادة ما فني من أجزائه أقرب من إيجاد الجسم من عدم.والاستفهام إنكار للمنفي إنكار تقرير بالإثبات وهذا غالب استعمال الاستفهام التقريري أن يقع على نفي ما يراد إثباته ليكون ذلك كالتوسعة على المقرر إن أراد إنكارا كناية عن ثقة المتكلم بأن المخاطب لا يستطيع الإنكار.وقد جاء في هذا الختام بمحسن رد العجز على الصدر، فإن السورة افتتحت بإنكار أن يحسب المشركون استحالة البعث، وتسلسل الكلام في ذلك بأفانين من الإثبات والتهديد والتشريط والاستدلال، إلى أن أفضى إلى استنتاج أن الله قادر على أن يحيي الموتى وهو المطلوب الذي قدم في قوله: أيحسب الإنسان ألن نجمع عظامه بلى قادرين على أن نسوي بنانه [القيامة: ٣، ٤] .وتعميم الموتى في قوله: أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى بعد جرياناًسلوب الكلام على خصوص الإنسان الكافر أو خصوص كافر معين، يجعل جملة أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى تذييلا.." (١)

"مشيئا وعموم الأشخاص يستلزم عموم الأحوال والأزمنة، أي ما تشاءون شيئا في وقت من الأوقات أو في حال من الأحوال.وقد علل ارتباط حصول مشيئتهم بمشيئة الله، بأن الله عليم حكيم، أي عليم بوسائل إيجاد مشيئتهم الخير، حكيم بدقائق ذلك مما لا تبلغ إلى معرفة دقائقه بالكنه عقول الناس، لأن هنالك تصرفات علوية لا يبلغ الناس مبلغ الاطلاع على تفصيلها ولكن حسبهم الاهتداء بآثارها وتزكية أنفسهم للصد عن الإعراض عن التدبر فيها.وما نافية، والاستثناء من عموم الأشياء المشيئة وأحوالها وأزمانها، ولما كان ما بعد أداة الاستثناء حرف مصدر تعين أن المستثنى يقدر مصدرا، أي إلا شيء الله (بمعنى مشيئته) ، وهو صالح لاعتبار المعنى المصدري ولاعتبار الحالة، ولاعتبار الزمان، لأن المصدر صالح لإرادة الثلاثة باختلاف التأويل فإن قدر مضاف كان المعنى: إلا حال مشيئة الله، أو إلا زمن مشيئته، وإن لم يقدر مضاف كان المعنى: لا مشيئة لكم في الحقيقة إلا تبعا لمشيئة الله.وإيثار اجتلاب أن المصدرية من إعجاز القرآن.ويجوز أن يكون فعلا تشاؤن ويشاء الله منزلين منزلة اللازم فلا يقدر لهما مفعولان على طريقة قول البحتري:أن يرى مبصر ويسمع واع ويكون الاستثناء من أحوال، أي وما تحصل مشيئتكم في حال من الأحوال إلا في حال حصول مشيئة الله. وفي هذا كله إشارة إلى دقة كنه مشيئة العبد تجاه مشيئة الله وهو المعنى الذي جمع الأشعري التعبير عنه بالكسب، فقيل فيه «أدق من كسب الأشعري» .ففي الآية تنبيه الناس إلى هذا المعنى الخفي ليرقبوه في أنفسهم فيجدوا آثاره الدالة عليه قائمة متوافرة،

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٣٦٨/٢٩

ولهذا أطنب وصف هذه المشيئة بالتذييل بقوله: إن الله كان عليما حكيما فهو تذييل أو تعليل لجملة يدخل من يشاء في رحمته [الإنسان: ٣١] ، أي لأنه واجب له العلم والحكمة فهو أعلم فمن شاء أن يدخله في رحمته ومن شاء أبعده عنها.." (١)

"وجملة وما أدراك ما يوم الفصل في موضع الحال من يوم الفصل، والواو واو الحال والرابط لجملة الحال إعادة اسم صاحب الحال عوضا عن ضميره، مثل القارعة ما القارعة [القارعة: ١، ٢] . والأصل: وما أدراك ما هو، وإنما أظهر في مقام الإضمار لتقوية استحضار يوم الفصل قصدا لتهويله.وما استفهامية مبتدأ وأدراك خبر، أي أعلمك. وما يوم الفصل استفهام علق به فعل أدراك عن العمل في مفعولين، وما الاستفهامية مبتدأ أيضاويوم الفصل خبر عنها والاستفهامان مستعملان في معنى التهويل والتعجيب.[١٥][سورة المرسلات (٧٧) : آية ١٥]ويل يومئذ للمكذبين (١٥)حمل هذه الجملة عن نظائرها الآتية في هذه السورة يقتضي أن تجعل استئنافا لقصد تهديد المشركين الذين يسمعون القرآن، وتهويل يوم الفصل في نفوسهم ليحذروه، وهو متصل في المعنى بجملة إنما توعدون لواقع [المرسلات: ٧] اتصال أجزاء النظم، فموقع جملة ويل يومئذ للمكذبين ابتداء الكلام، وموقع جملة فإذا النجوم طمست [المرسلات:٨] التأخر، وإنما قدمت لتؤذن بمعنى الشرط. وقد حصل من تغيير النظم على هذا الوجه أن صارت جملة ويل يومئذ للمكذبين بمنزلة التذييل، فحصل في هذا النظم أسلوب رائع، ومعان بدائع. وبعض المفسرين جعل هذه الجملة جواب (إذا) أي يتعلق (إذا) بالاستقرار الذي في الخبر وهو للمكذبين. والتقدير: إذا حصل كذا وكذا حل الويل للمكذبين وهو كالبيان لقوله: إنما توعدون لواقع، فيحصل تأكيد الوعيد، ولا يرد على هذا عرو الجواب عن الفاء الرابطة للجواب لأن جواب (إذا) جواب صوري، وإنما هو متعلق (إذا) عومل معاملة الجواب في المعنى.ثم إن هذه الجملة صالحة لمعنى الخبرية ولمعنى الإنشاء لأن تركيب (ويل له) يستعمل إنشاء بكثرة.والويل: أشد السوء والشر.." (٢)

"وعلى الوجه الأول يكون المراد بالمكذبين كذبوا بالقرآن، وعلى الوجه الثاني في معنى الجملة جميع الذين كذبوا الرسل وما جاءوهم به، وبذلك العموم أفادت الجملة مفاد التذييل، ويشمل ذلك المشركين الذين كذبوا بالقرآن والبعث إذ هم المقصود من هذه المواعظ وهم الموجه إليهم هذا الكلام، فخوطبوا بقوله: إنما توعدون لواقع.[١٦][سورة المرسلات (٧٧) : آية ١٦]ألم نهلك الأولين (١٦)استئناف بخطاب موجه إلى المشركين الموجودين الذين أنكروا البعث معترض بين أجزاء الكلام المخاطب به أهل الشرك في المحشر.ويتضمن استدلالا على المشركين الذين في الدنيا، بأن الله انتقم من الذين كفروا بيوم البعث من الأمم سابقهم ولاحقهم ليحذروا أن يحل بهم ما حل بأولئك الأولينوالآخرين.والاستفهام للتقرير استدلالا على إمكان البعث بطريقة قياس التمثيل.والمراد بالأولين الموصوفون بالأولية أي السبق في الزمان، وهذا يقر به كل جيل منهم مسبوق بجيل كفروا.فالتعريف في الأولين تعريف العهد، والمراد بالأولين جميع أمم الشرك الذين كانوا قبل مشركي عصر النبوة.والإهلاك: الإعدام والإماتة. وإهلاك الأولين له حالتان: حالة غير اعتيادية تنشأ عن غضب الله تعالى، وهو إهلاك

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٤١٣/٢٩

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٤٢٧/٢٩

الاستئصال مثل إهلاك عاد وثمود، وحالة اعتيادية وهي ما سن الله عليه نظام هذا العالم من حياة وموت.وكلتا الحالتين يصح أن تكون مرادا هنا، فأما الحالة غير الاعتيادية فهي تذكير بالنظر الدال على أن الله لا يرضى عن الذين كذبوا بالبعث.وأما الحالة الاعتيادية فدليل على أن الذي أحيا الناس يميتهم فلا يتعذر أن يعيد إحياءهم.." (١)

"[سورة المرسلات (٧٧) : الآيات ١٧ إلى ١٨]ثم نتبعهم الآخرين (١٧) كذلك نفعل بالمجرمين (١٨)حرف (ثم) للتراخي الرتبي لأن التهديد أهم من الإخبار عن أهل المحشر، لأنه الغرض من سوق هذا كله، ولأن إهلاك الآخرين أشد من إهلاك الأولين لأنه مسبوق بإهلاك آخر.ووقعت جملة كذلك نفعل بالمجرمين موقع البيان لجملة ألم نهلك الأولين ثم نتبعهم الآخرين [المرسلات: ١٦، ١٧] ، وهو **كالتذييل** يبين سبب وقوع إهلاك الأولين وأنه سبب لإيقاع الإهلاك بكل مجرم، أي تلك سنة الله في معاملة المجرمين فلا محيص لكم عنها.وذكر وصف المجرمين إيماء إلى أن سبب عقابهم بالإهلاك هو إجرامهم.والإشارة في قوله: كذلك إلى الفعل المأخوذ من نفعل، أي مثل ذلك الفعل نفعل.و (المجرمون) من ألقاب المشركين في اصطلاح القرآن قال تعالى: إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون [المطففين: ٢٩] وسيأتي في هذه السورة كلوا وتمتعوا قليلا إنكم مجرمون [المرسلات: ٤٦] .[١٩][سورة المرسلات (٧٧) : آية ١٩]ويل يومئذ للمكذبين (١٩)تقرير لنظيره المتقدم تأكيدا للتهديد وإعادة لمعناه.التهديد: من مقامات التكرير كقول الحارث بن عياد:قربا مربط النعامة مني الذي كرره مرارا متوالية في قصيدته اللامية التي أثارت حرب البسوس.." (٢)

"تلك الآياتوعن أمثالها هو أنه يجب التنبه إلى مسألة الوحدات في تحقق التناقض.[٣٧][سورة المرسلات (٧٧) : آية ٣٧]ويل يومئذ للمكذبين (٣٧)تكرير لتهديد المشركين متصل بقوله: هذا يوم لا ينطقون [المرسلات: ٣٥] الآية على أول الوجهين في موقع ذلك، أو هو وارد لمناسبة قوله: هذا يوم لا ينطقون على ثاني الوجهين المذكورين فيه فيكون تكريرا لنظيره الواقع بعد قوله: انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون [المرسلات: ٢٩] إلى قوله: صفر [المرسلات: ٣٣] اقتضى تكريره عقبه أن جملة هذا يوم لا ينطقون إلخ تتضمن حالة من أحوالهم يوم الحشر لم يسبق ذكرها فكان تكرير ويل يومئذ للمكذبين بعدها لوجود مقتضي تكرير الوعيد للسامعين.[٣٨- ٣٩][سورة المرسلات (٧٧) : الآيات ٣٨ إلى ٣٩]هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين (٣٨) فإن كان لكم كيد فكيدون (٣٩)تكرير لتوبيخهم بعد جملة انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون [المرسلات: ٢٩] شيع به القول الصادر بطردهم وتحقيرهم، فإن المطرود يشيع بالتوبيخ، فهو مما يقال لهم يومئذ، ولم تعطف بالواو لأنها وقعت موقع **التذييل** للطرد، وذلك من مقتضيات الفصل سواء كان التكرير بإعادة اللفظ والمعنى، أم كان بإعادة المعنى والغرض.والإشارة إلى المشهد الذي يشاهدونه من حضور الناس ومعدات العرض والحساب لفصل القضاء بالجزاء.والإخبار عن اسم الإشارة بأنه يوم الفصل باعتبار أنهم يتصورون ما كانوا يسمعون في الدنيا من محاجة عليهم لإثبات يوم يكون فيه الفصل وكانوا ينكرون ذلك اليوم وما يتعذرون بما يقع فيه، فصارت صورة ذلك اليوم حاضرة في تصورهم دون

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٤٢٨/٢٩

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٤٢٩/٢٩

إيمانهم به، فكانوا الآن متهيئين لأن يوقنوا بأن هذا هو اليوم الذي كانوا يوعدون بحلوله، وقد عرف ذلك اليوم من قبل بأنه يوم الفصل [المرسلات: ١٣] ، أي القضاء وقد رأوا أهبة القضاء.." (١)

"والربط كما تقدمت الإشارة إليه عند قوله تعالى: إن البقر تشابه علينا [البقرة: ٧٠] وتفصيله عند قوله: إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة في سورة آل عمران [٩٦] .والإشارة بقوله: كذلك إلى النعيم المشاهد إن كانت الجملة التي فيها إشارة موجهة إلى المتقين، أو الإشارة إلى النعيم الموصوف في قوله: في ظلال وعيون إن كانت الجملة المشتملة على اسم الإشارة موجهة إلى المكذبين.والجملة على كل تقدير تفيد معنى **التذييل** بما اشتملت عليه من شبه عموم كذلك، ومن عموم المحسنين، فاجتمع فيها التعليل **والتذييل**.[٤٥][سورة المرسلات (٧٧) : آية ٤٥]ويل يومئذ للمكذبين (٤٥)هي على الوجه الأول في جملة إن المتقين في ظلال وعيون [المرسلات: ٤١] تكرير لنظائرها واليوم المضاف إلى (إذ) ذات تنوين العوض هو يوم صدور تلك المقالة.وأما على الوجه الثاني في جملة إن المتقين في ظلال وعيون [المرسلات: ٤١] إلخ فهي متصلة بتلك الجملة لمقابلة ذكر نعيم المؤمنين المطنب في وصفه بذكر ضده للمشركين بإيجاز حاصل من كلمة ويل لتحصل مقابلة الشيء بضده ولتكون هذه الجملة تأكيدا لنظائرها، واليوم المضاف إلى (إذ) يوم غير مذكور ولكنه مما يقتضيه كون المتقين في ظلال وعيون وفواكه ليعلم بأن ذلك يكون لهم في يوم القيامة.[٤٦][سورة المرسلات (٧٧) : آية ٤٦]كلوا وتمتعوا قليلا إنكم مجرمون (٤٦)خطاب للمشركين الموجودين الذين خوطبوا بقوله تعالى: إنما توعدون لواقع [المرسلات: ٧] ، وهو استئناف ناشيء عن قوله: إنا كذلك نجزي المحسنين [المرسلات: ٤٤] إذ يثير في نفوس المكذبين المخاطبين بهذه القوارع ما يكثر خطوره في نفوسهم من أنهم في هذه الدنيا في نعمة محققة وأن ما يوعدون به غير واقع فقيل لهم: كلوا وتمتعوا قليلا.فالأمر في قوله: كلوا وتمتعوا مستعمل في الإمهال والإنذار، أي ليس أكلكم وتمتعكم بلذات الدنيا بشيء لأنه تمتع قليل ثم مأواكم العذاب الأبدي قال." (٢)

"ببغداد سنة ٤٧٥، ومقاتلة الشيعة وأهل السنة بها سنة ٤٤٥، وأعقبتها حوادث شر بينهم متكررة إلى أن اصطلحوا في سنة ٥٠٢ وزال الشر بينهم، وقتال الباطنية المعروفين بالإسماعيلية لأهل السنة في ساوة وغيرها من سنة ٤٩٤ إلى سنة ٥٢٣. ثم انقلبت إلى مقاتلات سياسية. ثم انقلبوا أنصارا للإسلام في الحروب الصليبية، وغير ذلك من المقاتلات الناشئة عن التكفير والتضليل. لا نذكر غيرها من مقاتلات الدول والأحزاب التي نخرت عظم الإسلام. وتطرقت كل جهة منه حتى البلد الحرام.فالآية تنادي على التعجيب والتحذير من فعل الأمم في التقاتل للتخالف حيث لم يبلغوا في أصالة العقول أو في سلامة الطوايا إلى الوسائل التي يتفادون بها عن التقاتل، فهم ملومون من هذه الجهة، ومشيرة إلى أن الله تعالى لو شاء لخلقهم من قبل على صفة أكمل مما هم عليه حتى يستعدوا بها إلى الاهتداء إلى الحق وإلى التبصر في العواقب قبل ذلك الإبان، فانتفاء المشيئة راجع إلى حكمة الخلقة، واللوم والحسرة راجعان إلى التقصير في امتثال الشريعة، ولذلك قال: ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد فأعاد ولو شاء الله ما اقتتلوا تأكيدا للأول وتمهيدا لقوله: ولكن الله يفعل ما يريد

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٤٤١/٢٩

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٤٤٥/٢٩

ليعلم الواقف على كلام الله تعالى أن في هدى الله تعالى مقنعا لهم لو أرادوا الاهتداء، وأن في سعة قدرته تعالى عصمة لهم لو خلقهم على أكمل من هذا الخلق كما خلق الملائكة. فالله يخلق ما يشاء ولكنه يكمل حال الخلق بالإرشاد والهدى، وهم يفرطون في ذلك.[٢٥٤][سورة البقرة (٢) : آية ٢٥٤]يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون (٢٥٤)موقع هذه الآية مثل موقع من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا [البقرة: ٢٤٥] الآية لأنه لما دعاهم إلى بذل نفوسهم للقتال في سبيل الله فقال: وقاتلوا في سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم [البقرة: ٢٤٤] شفعه بالدعوة إلى بذل المال في الجهاد بقوله: من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة [البقرة: ٢٤٥] على طريقة قوله:وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله [الأنفال: ٧٢] ، وكانت هذه الآية في قوة التذييل لآية من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا لأن صيغة هذه الآية." (١)

"ولا يشفعون إلا لمن ارتضى [الأنبياء: ٢٨] ، وثبتت للرسول عليه السلام في أحاديث كثيرة وأشير إليها بقوله تعالى: عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا [الإسراء: ٧٩] وفسرت الآية بذلك في الحديث الصحيح، ولذلك كان من أصول اعتقادنا إثبات الشفاعةللنبيء صلى الله عليه وسلم، وأنكرها المعتزلة وهم مخطئون في إنكارها وملبسون في استدلالهم، والمسألة مبسوطة في كتب الكلام.والشفاعة المنفية هنا مراد بها الشفاعة التي لا يسع المشفوع إليه ردها، فلا يعارض ماورد من شفاعة النبيء صلى الله عليه وسلم في الأحاديث الصحيحة لأن تلك كرامة أكرمه الله تعالى بها وأذن له فيها إذ يقول: «اشفع تشفع»فهي ترجع إلى قوله تعالى: من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه [البقرة: ٢٥٥] وقوله: ولا يشفعون إلا لمن ارتضى [الأنبياء: ٢٨] وقوله: ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له [سبأ: ٢٣] .وقوله: والكافرون هم الظالمون صيغة قصر نشأت عن قوله: لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة فدلت على أن ذلك النفي تعريض وتهديد للمشركين فعقب بزيادة التغليظ عليهم والتنديد بأن ذلك التهديد والمهدد به قد جلبوه لأنفسهم بمكابرتهم فما ظلمهم الله، وهذا أشد وقعا على المعاقب لأن المظلوم يجد لنفسه سلوا بأنه معتدى عليه، فالقصر قصر قلب، بتنزيلهم منزلة من يعتقد أنهم مظلومون. ولك أن تجعله قصرا حقيقيا ادعائيا لأن ظلمهم لما كان أشد الظلم جعلوا كمن انحصر الظلم فيهم.والمراد بالكافرين ظاهرا المشركون، وهذا من بدائع بلاغة القرآن، فإن هذه الجملة صالحة أيضا لتذييل الأمر بالإنفاق في سبيل الله، لأن ذلك الإنفاق لقتال المشركين الذين بدأوا الدين بالمناوأة، فهم الظالمون لا المؤمنون الذين يقاتلونهم لحماية الدين والذب عن حوزته. وذكر الكافرين في مقام التسجيل فيه تنزيه للمؤمنين عن أن يتركوا الإنفاق إذ لا يظن بهم ذلك، فتركه والكفر متلازمان، فالكافرون يظلمون أنفسهم، والمؤمنون لا يظلمونها، وهذا كقوله تعالى: وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة [فصلت: ٦، ٧] ، وذلك أن القرآن يصور المؤمنين في أكمل مراتب الإيمان ويقابل حالهم بحال الكفار تغليظا وتنزيها، ومن هذه الآية وأمثالها اعتقد بعض فرق الإسلام أن المعاصي تبطل الإيمان كما قدمناه.." (٢)

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٣/٣

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١٦/٣

"و (بهت) فعل مبني للمجهول يقال بهته فبهت بمعنى أعجزه عن الجواب فعجز أو فاجأه بما لم يعرف دفعه قال تعالى: بل تأتيهم بغتة فتبهتهم [الأنبياء: ٤٠] وقال عروة العذري:فما هو إلا أن أراها فجاءة ... فأبهت حتى ما أكاد أجيبومنه البهتان وهو الكذب الفظيع الذي يبهت سامعه.وقوله: والله لا يهدي القوم الظالمين **تذييل** هو حوصلة الحجة على قوله الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور، وإنما انتفى هدي الله لقوم الظالمين لأن الظلم حائل بين صاحبه وبين التنازل إلى التأمل من الحجج وإعمال النظر فيما فيه النفع إذ الذهن في شاغل عن ذلك بزهوه وغروره.والآية دليل على جواز المجادلة والمناظرة في إثبات العقائد، والقرآن مملوء بذلك، وأما ما نهي عنه من الجدل فهو جدال المكابرة والتعصب وترويج الباطل والخطإ.[٢٥٩][سورة البقرة (٢) : آية ٢٥٩]أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير (٢٥٩)تخيير في التشبيه على طريقة التشبيه، وقد تقدم بيانها عند قوله تعالى: أو كصيب من السماء [البقرة: ١٩] لأن قوله: ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم [البقرة: ٢٥٨] في معنى التمثيل والتشبيه كما تقدم، وهو مراد صاحب «الكشاف» بقوله: «ويجوز أن يحمل على المعنى دون اللفظ كأنه قيل: أرأيت كالذي حاج أو كالذي مر» وإذ قد قرر بالآية قبلها ثبوت انفراد الله بالإلهية، وذلك أصل الإسلام، أعقب بإثبات البعث الذي إنكاره أصل أهل الإشراك.." (١)

"مسائل الحجب من الفرائض، وبحسب الأحوجية إلى المال،كتفضيل الذكر على الأنثى لأنه يعول غيره والأنثى يعولها غيرها. والتفت في هذا الباب إلى أصحاب الأموال فترك لهم حق التصرف في ثلث أموالهم يعينون من يأخذه بعد موتهم على شرط ألا يكون وارثا، حتى لا يتوسلوا بذلك إلى تنفيل وارث على غيره.وجعلت الشريعة من الانتزاع انتزاعا مندوبا إليه غير واجب، وذلك أنواع المواساة بالصدقات والعطايا والهدايا والوصايا وإسلاف المعسر بدون مراباة وليس في الشريعة انتزاع أعيان المملوكات من الأصول فالانتزاع لا يعدو انتزاع الفوائد بالعدالة والمساواة.وجملة قول معروف إلى آخرها مستأنفة استئنافا بيانيا. وتنكير قول معروف للتقليل، أي أقل قول معروف خير من صدقة يتبعها أذى. والمعروف هو الذي يعرفه الناس، أي لا ينكرونه. فالمراد به القول الحسن وهو ضد الأذى.والمغفرة هنا يراد بها التجاوز عن الإساءة أي تجاوز المتصدق عن الملح أو الجافي في سؤاله إلحاحه أو جفاءه مثل الذي يسأل فيقول: أعطني حق الله الذي عندك أو نحو ذلك، ويراد بها أيضا تجاوز الله تعالى عن الذنوب بسبب تلك الصدقة إذا كان معها قول معروف، وفي هذا تعريض بأن الأذى يوشك أن يبطل ثواب الصدقة.وقوله: والله غني حليم **تذييل** للتذكير بصفتين من صفات الله تعالى ليتخلق بهما المؤمنون وهما: الغنى الراجع إليه الترفع عن مقابلة العطية بما يبرد غليل شح نفس المعطي، والحلم الراجع إليه العفو والصفح عن رعونة بعض العفاة.والإبطال جعل الشيء باطلا أي زائلا غير نافع لما أريد منه. فمعنى بطلان العمل عدم ترتب أثره الشرعي عليه سواء كان العمل واجبا أم كان متطوعا به، فإن كان العمل واجبا فبطلانه عدم إجزائه بحيث لا تبرأ ذمة المكلف من تكليفه

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٣٤/٣

بذلك العمل وذلك إذا اختل ركن أو شرط من العمل. وإن كان العمل متطوعا به رجع البطلان إلى عدم الثواب على العمل لمانع شرعي من اعتبار ثوابه وهو المراد هنا جمعا بين أدلة الشريعة.." (١)

"وهذا أحسن وأدق من أن نجعل المعنى تمثيل إنفاق الكافر بحال تراب على صفوان أصابه وابل فجرفه، وأن وجه الشبه هو سرعة الزوال وعدم القرار كقوله تعالى: مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف[إبراهيم: ١٨] فإن مورد تلك الآية مقام آخر.ولك (١) أن تجعل كاف التشبيه في قوله تعالى: كالذي ينفق ماله صفة لمصدر محذوف دل عليه ما في لفظ صدقاتهم من معنى الإنفاق وحذف مضاف بين الكاف وبين اسم الموصول، والتقدير إنفاقا كإنفاق الذي ينفق ماله رئاء الناس.وقد روعي في هذا التمثيل عكس التمثيل لمن ينفق ماله في سبيل الله بحبة أغلت سبعمائة حبة.فالتشبيه تشبيه مركب معقول بمركب محسوس. ووجه الشبه الأمل في حالة تغر بالنفع ثم لا تلبث ألا تأتي لآملها بما أمله فخاب أمله. ذلك أن المؤمنين لا يخلون من رجاء حصول الثواب لهم من صدقاتهم، ويكثر أن تعرض الغفلة للمتصدق فيتبع صدقته بالمن والأذى اندفاعا مع خواطر خبيثة.وقوله: لا يقدرون على شيء مما كسبوا أوقع موقعا بديعا من نظم الكلام تنهال به معان كثيرة فهو بموقعه كان صالحا لأن يكون حالا من الذي ينفق ماله رئاء الناسفيكون مندرجا في الحالة المشبهة، وإجراء ضمير كسبوا ضمير جمع لتأويل الذي ينفق بالجماعة، وصالحا لأن يكون حالا من مثل صفوان باعتبار أنه مثل على نحو ما جوز في قوله تعالى: أو كصيب من السماء [البقرة: ١٩] إذ تقديره فيه كمثل ذوي صيب فلذلك جاء ضميره بصيغة الجمع رعيا للمعنى وإن كان لفظ المعاد مفردا، وصالحا لأن يجعل استينافا بيانيا لأن الكلام الذي قبله يثير سؤال سائل عن مغبة أمر المشبه، وصالحا لأن يجعل تذييلا وفذلكة لضرب المثل فهو عود عن بدء قوله: لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى [البقرة: ٢٦٤] إلى آخر الكلام.______________(١) هذا مقابل قولنا في الصفحة السابقة «هو حال من ضمير تبطلوا» .." (٢)

"وصالحا لأن يجعل حالا من صفوان أي لا يقدرون على شيء مما كسبوا منه وحذف عائد الصلة لأنه ضمير مجرور بما جر به اسم الموصول. ومعنى لا يقدرون لا يستطيعون أن يسترجعوه ولا انتفعوا بثوابه فلم يبق لهم منه شيء.ويجوز أن يكون المعنى لا يحسنون وضع شيء مما كسبوا موضعه، فهم يبذلون ما لهم لغير فائدة تعود عليهم في آجلهم، بدليل قوله: الله لا يهدي القوم الكافرين.والمعنى فتركه صلدا لا يحصدون منه زرعا كما في قوله: فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها [الكهف: ٤٢] .وجملة والله لا يهدي القوم الكافرين تذييل والواو اعتراضية وهذا التذييل مسوق لتحذير المؤمنين من تسرب أحوال الكافرين إلى أعمالهم فإن من أحوالهم المن على من ينفقون وأذاه.[٢٦٥][سورة البقرة (٢) : آية ٢٦٥]ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير (٢٦٥)عطف مثل الذين ينفقون أموالهم في مرضاة الله على مثل الذي ينفق ماله رئاء الناس، لزيادة بيان ما بين المرتبتين من البون وتأكيدا للثناء على المنفقين بإخلاص، وتفننا في التمثيل. فإنه قد مثله فيما

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٤٧/٣

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٤٩/٣

سلف بحبة أنبتت سبع سنابل، ومثله فيما سلف تمثيلا غير كثير التركيب لتحصل السرعة بتخيل مضاعفة الثواب، فلما مثل حال المنفق رئاء بالتمثيل الذي مضى أعيد تمثيل حال المنفق ابتغاء مرضاة الله بما هو أعجب في حسن التخيل فإن الأمثال تبهج السامع كلما كانت أكثر تركيبا وضمنت الهيأة المشبه بها أحوالا حسنةتكسبها حسنا ليسري ذلك التحسين إلى المشبه، وهذا من جملة مقاصد التشبيه.." (١)

"وقوله: كذلك يبين الله لكم الآيات **تذييل**، أي كهذا البيان الذي فيه تقريب المعقول بالمحسوس بين الله نصحا لكم، رجاء تفكركم في العواقب حتى لا تكونوا على غفلة. والتشبيه في قوله: كذلك يبين الله لكم الآيات نحو ما في قوله تعالى: وكذلك جعلناكم أمة وسطا [البقرة: ١٤٣] .[٢٦٧][سورة البقرة (٢) : آية ٢٦٧]يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه واعلموا أن الله غني حميد (٢٦٧)إفضاء إلى المقصود وهو الأمر بالصدقات بعد أن قدم بين يديه مواعظ وترغيب وتحذير. وهي طريقة بلاغية في الخطابة والخطاب. فربما قدموا المطلوب ثم جاؤوا بما يكسبه قبولا عند السامعين، وربما قدموا ما يكسب القبول قبل المقصود كما هنا. وهذا من ارتكاب خلاف مقتضى الظاهر في ترتيب الجمل، ونكتة ذلك أنه قد شاع بين الناسالترغيب في الصدقة وتكرر ذلك في نزول القرآن فصار غرضا دينيا مشهورا، وكان الاهتمام بإيضاحه والترغيب في أحواله والتنفير من نقائصه أجدر بالبيان. ونظير هذا قول علي في خطبته التي خطبها حين دخل سفيان الغامدي- أحد قواد أهل الشام- بلد الأنبار- وهي من البلاد المطيعة للخليفة علي- وقتلوا عاملها حسان بن حسان البكري: «أما بعد فإن من ترك الجهاد رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل، وشمله البلاء، وديث بالصغار، وضرب على قلبه، وسيم الخسف، ومنع النصف. ألا وإني قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلا ونهارا وقلت لكم اغزوهم قبل أن يغزوكم، فو الله ما غزي قوم في عقر دارهم إلا ذلوا، فتواكلتم. هذا أخو غامد قد وردت خيله الأنباء» إلخ. وانظر كلمة «الجهاد» في هذه الخطبة فلعل أصلها القتال كما يدل عليه قوله بعده إلى قتال هؤلاء فحرفها قاصد أو غافل ولا إخالها تصدر عن علي رضي الله عنه.." (٢)

"أراد فاهنئي. ويطلق تارة على لازمه من عدم الرؤية فيدل على التسامح في الأمر المكروه كقول الطرماح:لم يفتنا بالوتر قوم وللض ... يم رجال يرضون بالإغماضفإذا أرادوا المبالغة في التغافل عن المكروه الشديد قالوا أغمض عينه على قذى وذلك لأن إغماض الجفن مع وجود القذى في العين. لقصد الراحة من تحرك القذى، قال عبد العزيز بن زرارة الكلائي (١) :وأغمضت الجفون على قذاها ... ولم أسمع إلى قال وقيلوالاستثناء في قوله: إلا أن تغمضوا فيه على الوجه الأول من جعل الكلام إخبارا، هو تقييد للنفي. وأما على الوجه الثاني من جعل النفي بمعنى النهي فهو من تأكيد الشيء بما يشبه ضده أما لا تأخذوه إلا إذا تغاضيتم عن النهي وتجاهلتموه.وقوله: واعلموا أن الله غني حميد **تذييل**، أي غني عن صدقاتكم التي لا تنفع الفقراء، أو التي فيها استساغة الحرام. حميد، أي شاكر لمن تصدق صدقة طيبة. وافتتحه باعلموا للاهتمام بالخبر كما تقدم عند قوله تعالى: واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه [البقرة: ٢٢٣] ، أو نزل المخاطبون الذين نهوا عن الإنفاق من

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٥٠/٣

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٥٥/٣

الخبيث منزلة من لا يعلم أن اللهغني فأعطوا لوجهه ما يقبله المحتاج بكل حال ولم يعلموا أنه يحمد من يعطي لوجهه من طيب الكسب.والغني الذي لا يحتاج إلى ما تكثر حاجة غالب الناس إليه، ولله الغنى المطلق فلا يعطى لأجله ولامتثال أمره إلا خير ما يعطيه أحد للغني عن المال.والحميد من أمثلة المبالغة، أي شديد الحمد لأنه يثني على فاعلي الخيرات.ويجوز أن يكون المراد أنه محمود، فيكون حميد بمعنى مفعول، أي فتخلقوا بذلك لأن صفات الله تعالى كمالات، فكونوا أغنياء القلوب عن الشح محمودين على صدقاتكم، ولا تعطوا صدقات تؤذن بالشح ولا تشكرون عليها.[٢٦٨]____________(١) الكلائي نسبة إلى الكلاء بوزن جبار محلة بالبصرة قرب الشاطئ. والكلاء الشاطي. وهذه الأبيات قالها بعد أن مكث عاما بباب معاوية لم يؤذن له ثم أذن له وأدناه وأولاه مصر، وقبله:دخلت على معاوية بن حرب ... ولكن بعد يأس من دخولوما نلت الدخول عليه حتى ... حللت محلة الرجل الذليل." (١)

"والفحشاء اسم لفعل أو قول شديد السوء واستحقاق الذم عرفا أو شرعا. مشتق من الفحش- بضم الفاء وسكون الحاء- تجاوز الحد. وخصه الاستعمال بالتجاوز في القبيح، أي يأمركم بفعل قبيح. وهذا ارتقاء في التحذير من الخواطر الشيطانية التي تدعو إلى الأفعال الذميمة، وليس المراد بالفحشاء البخل لأن لفظ الفحشاء لا يطلق على البخل وإن كان البخيل يسمى فاحشا. وإطلاق الأمر على وسوسة الشيطان وتأثير قوته في النفوس مجاز لأن الأمر في الحقيقة من أقسام الكلام. والتعريف في الفحشاء تعريف الجنس.والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم.عطف على جملة الشيطان يعدكم الفقر لإظهار الفرق بين ما تدعو إليه وساوس الشيطان وما تدعو إليه أوامر الله تعالى، والوعد فيه حقيقة لا محالة. والقول في تقديم اسم الجلالة على الخبر الفعلي في قوله: والله يعدكم على طريقة القول في تقديم اسم الشيطان في قوله: الشيطان يعدكم الفقر.ومعنى «واسع» أنه واسع الفضل، والوصف بالواسع مشتق من وسع المتعدي- إذا عم بالعطاء ونحوه- قال الله تعالى: ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما [غافر: ٧] ، وتقول العرب: «لا يسعني أن أفعل كذا» ، أي لا أجد فيه سعة،وفي حديث علي في وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قد وسع الناس بشره وخلقه». فالمعنى هنا أنه وسع الناس والعالمين بعطائه.[٢٦٩][سورة البقرة (٢) : آية ٢٦٩]يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب (٢٦٩)هذه الجملة اعتراض **وتذييل** لما تضمنته آيات الإنفاق من المواعظ والآداب وتلقين الأخلاق الكريمة، مما يكسب العاملين به رجاحة العقل واستقامة العمل.." (٢)

"أنتجه ذكاء أهل العقول من أنظارهم المتفرعة على أصول الهدى الأول. وقد مهد قدماء الحكماء طرائق من الحكمة فنبعت ينابيع الحكمة في عصور متقاربة كانت فيها مخلوطة بالأوهام والتخيلات والضلالات. بين الكلدانيين والمصريين والهنود والصين، ثم درسها حكماء اليونان فهذبوا وأبدعوا، وميزوا علم الحكمة عن غيره، وتوخوا الحق ما استطاعوا فأزالوا أوهاما عظيمة وأبقوا كثيرا. وانحصرت هذه العلوم في طريقتي سقراط وهي نفسية، وفيثاغورس وهي رياضية عقلية. والأولى يونانية والثانية لإيطاليا اليونانية. وعنهما أخذأفلاطون، واشتهر أصحابه بالإشراقيين، ثم أخذ عنه أفضل تلامذته وهو

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٥٨/٣

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٦٠/٣

أرسطاطاليس وهذب طريقته ووسع العلوم، وسميت أتباعه بالمشائين، ولم تزل الحكمة من وقت ظهوره معولة على أصوله إلى يومنا هذا.ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وهو الذي شاء الله إيتاءه الحكمة.والخير الكثير منجر إليه من سداد الرأي والهدى الإلهي، ومن تفاريع قواعد الحكمة التي تعصم من الوقوع في الغلط والضلال بمقدار التوغل في فهمها واستحضار مهمها لأننا إذا تتبعنا ما يحل بالناس من المصائب نجد معظمها من جراء الجهالة والضلالة وأفن الرأي.وبعكس ذلك نجد ما يجتنيه الناس من المنافع والملائمات منجرا من المعارف والعلم بالحقائق، ولو أننا علمنا الحقائق كلها لاجتنبنا كل ما نراه موقعا في البؤس والشقاء.وقرأ الجمهور ومن يؤت بفتح المثناة الفوقية بصيغة المبني للنائب، على أن ضمير يؤت نائب فاعل عائد على من الموصولة وهو رابط الصلة بالموصول. وقرأ يعقوب ومن يؤت الحكمة- بكسر المثناة الفوقية- بصيغة البناء للفاعل. فيكون الضمير الذي في فعل يؤت عائدا إلى الله تعالى، وحينئذ فالعائد ضمير نصب محذوف والتقدير: ومن يؤته الله.وقوله: وما يذكر إلا أولوا الألباب **تذييل** للتنبيه على أن من شاء الله إيتاء الحكمة هو ذو اللب. وأن تذكر الحكمة واستصحاب إرشادها بمقدار استحضار اللب وقوته واللب في الأصل خلاصة الشيء وقلبه، وأطلق هنا على عقل الإنسان لأنه أنفع شيء فيه." (١)

"[٢٧٠][سورة البقرة (٢) : آية ٢٧٠]وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه وما للظالمين من أنصار (٢٧٠)وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه.**تذييل** للكلام السابق المسوق للأمر بالإنفاق وصفاته المقبولة والتحذير من المثبطات عنه ابتداء من قوله: يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم [البقرة: ٢٦٧] .والمقصود من هذا **التذييل** التذكير بأن الله لا يخفى عليه شيء من النفقات وصفاتها، وأدمج النذر مع الإنفاق فكان الكلام جديرا بأن يكون **تذييلا**.والنذر التزام قربة أو صدقة بصيغة الإيجاب على النفس كقوله علي صدقة وعلي تجهيز غاز أو نحو ذلك، ويكون مطلقا ومعلقا على شيء. وقد عرفت العرب النذر من الجاهلية، فقد نذر عبد المطلب أنه إن رزق عشرة أولاد ليذبحن عاشرهم قربانا للكعبة، وكان ابنه العاشر هو عبد الله ثاني الذبيحين، وأكرم بها مزية، ونذرت نتيلة زوج عبد المطلب- لما افتقدت ابنها العباس وهو صغير- أنها إن وجدته لتكسون الكعبة الديباج ففعلت. وهي أول من كسا الكعبة الديباج.وفي حديث البخاري أن عمر بن الخطاب قال: «يا رسول الله إني نذرت في الجاهلية أن أعتكف ليلة في المسجد الحرام، فقال أوف بنذرك» .وفي الأمم السالفة كان النذر، وقد حكى الله عن امرأة عمران إني نذرت لك ما في بطني محررا [آل عمران: ٣٥] . والآية دلت على مشروعيته في الإسلام ورجاء ثوابه، لعطفه على ما هو من فعل الخير سواء كان النذر مطلقا أم معلقا، لأن الآية أطلقت، ولأن قوله: فإن الله يعلمه مراد به الوعد بالثواب.وفي الحديث الصحيح عن عمر وابنه عبد الله وأبي هريرة عن النبيء صلى الله عليه وسلم: «إن النذر لا يقدم شيئا ولا يؤخر، ولا يرد شيئا ولا يأتي ابن آدم بشيء لم يكن قدر له، ولكنه يستخرج به من البخيل». ومساقه الترغيب في النذر غير المعلق لا إبطال فائدة النذر. وقد مدح الله عباده فقال: يوفون بالنذر [الإنسان:٧] .وفي «الموطأ» عن النبيء صلى الله عليه وسلم: «من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٦٤/٣

أن يعصي الله فلا يعصه» .و (من) في قوله: من نفقة ومن نذر بيان لما أنفقتم ونذرتم، ولما كان شأن البيان أن يفيد معنى زائدا على معنى المبين، وكان معنى البيان هنا عين معنى المبين، تعين." (١)

"[سورة البقرة (٢) : آية ٢٨١]واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون (٢٨١)جيء بقوله: واتقوا يوما تذييلا لهاته الأحكام لأنه صالح للترهيب من ارتكاب ما نهي عنه والترغيب في فعل ما أمر به أو ندب إليه، لأن في ترك المنهيات سلامة من آثامها، وفي فعل المطلوبات استكثارا من ثوابها، والكل يرجع إلى اتقاء ذلك اليوم الذي تطلب فيه السلامة وكثرة أسباب النجاح.وفي «البخاري» عن ابن عباس أن هذه آخر آية نزلت. وعن ابن عباس هي آخر ما نزل فقال جبريل: «يا محمد ضعها على رأس ثمانين ومائتين من البقرة» . وهذا الذي عليه الجمهور، قاله ابن عباس والسدي والضحاك وابن جريج وابن جبير ومقاتل. وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاش بعد نزولها واحدا وعشرين يوما، وقيل واحدا وثمانين، وقيل سبعة أيام، وقيل تسعة، وقيل ثلاث ساعات. وقد قيل: إن آخر آية هي آية الكلالة، وقيل غير ذلك، وقد استقصى الأقوال صاحب الإتقان.وقرأه الجمهور ترجعون بضم التاء وفتح الجيم، وقرأ يعقوب بفتح التاء وكسر الجيم.[٢٨٢][سورة البقرة (٢) : آية ٢٨٢]يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا فإن كان الذي عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا ولا تسئموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا إلى أجله ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها وأشهدوا إذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم (٢٨٢)لما اهتم القرآن بنظام أحوال المسلمين في أموالهم فابتدأ بما به قوام عامتهم منمواساة الفقير وإغاثة الملهوف، ووضح ذلك بما فيه عبرة للمعتبر، ثم عطف عليه." (٢)

"وزيد في التحذير بقوله: وليتق الله ربه، وذكر اسم الجلالة فيه مع إمكان الاستغناء بقوله: «وليتق ربه» لإدخال الروع في ضمير السامع وتربية المهابة.وقوله: الذي اؤتمن وقع فيه ياء هي المدة في آخر (الذي) ووقع بعده همزتان أولاهما وصلية وهي همزة الافتعال، والثانية قطعية أصلية، فقرأه الجمهور بكسر ذال الذي وبهمزة ساكنة بعد كسرة الذال لأن همزة الوصل سقطت في الدرج فبقيت الهمزة على سكونها إذ الداعي لقلب الهمزة الثانية مدا قد زال، وهو الهمزة الأولى، ففي هذه القراءة تصحيح للهمزة إذ لا داعي للإعلال.وقرأه ورش عن نافع، وأبو عمرو، وأبو جعفر: الذيتمن بياء بعد ذال الذي، ثم فوقية مضمومة: اعتبارا بأن الهمزة الأصلية قد انقلبت واوا بعد همزة الافتعال الوصلية لأن الشأن ضم همزة الوصل مجانسة لحركة تاء الافتعال عند البناء للمجهول، فلما حذفت همزة الوصل في الدرج بقيت الهمزة الثانية واوا بعد كسرة ذال

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٣/٦٥

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٣/٩٧

(الذي) فقلبت الواو ياء ففي هذه القراءة قلبان.وقرأه أبو بكر عن عاصم: الذي اوتمن بقلب الهمزة واوا تبعا للضمة مشيرا بها إلى الهمزة.وهذا الاختلاف راجع إلى وجه الأداء فلا مخالفة فيه لرسم المصحف.ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه والله بما تعملون عليم.وصاية ثانية للشهداء تجمع الشهادات في جميع الأحوال فإنه أمر أن يكتب الشاهد بالعدل، ثم نهى عن الامتناع من الكتابة بين المتداينين، وأعقب ذلك بالنهي عن كتمان الشهادة كلها. فكان هذا النهي- بعمومه- بمنزلة التذييل لأحكام الشهادة في الدين.." (١)

"فيسرق، وإن عزم عليه ورجع عن فعله اختيارا لغير مانع منعه، فلا خلاف في عدم المؤاخذة به وهو موردحديث «من هم بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة»وإن رجع لمانع قهره على الرجوع ففي المؤاخذة به قولان. أي إن قوله تعالى: يحاسبكم به الله محمول على معنى يجازيكم وأنه مجمل تبينه موارد الثواب والعقاب في أدلة شرعية كثيرة، وإن من سمى ذلك نسخا من السلف فإنما جرى على تسمية سبقت ضبط المصطلحات الأصولية فأطلق النسخ على معنى البيان وذلك كثير في عبارات المتقدمين وهذه الأحاديث، وما دلت عليه دلائل قواعد الشريعة، هي البيان لمن يشاء في قوله تعالى: فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء.وفي «صحيح البخاري» عن ابن عباس «أن هذه الآية نسخت بالتي بعدها» أي بقوله:لا يكلف الله نفسا إلا وسعها [البقرة: ٢٨٦] كما سيأتي هنالك.وقد تبين بهذا أن المشيئة هنا مترتبة على أحوال المبدى والمخفى، كما هو بين.وقرأ الجمهور: فيغفر ويعذب بالجزم، عطفا على يحاسبكم، وقرأه ابن عامر، وعاصم، وأبو جعفر، ويعقوب: بالرفع على الاستئناف بتقدير فهو يغفر، وهم وجهان فصيحان، ويجوز النصب ولم يقرأ به إلا في الشاذ.وقوله: والله على كل شيء قدير تذييل لما دل على عموم العلم، بما يدل على عموم القدرة.[٢٨٥][سورة البقرة (٢) : آية ٢٨٥]آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير (٢٨٥)قال الزجاج: «لما ذكر الله في هذه السورة أحكاما كثيرة، وقصصا، ختمها بقوله:آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه تعظيما لنبيه صلى الله عليه وسلم وأتباعه، وتأكيدا وفذلكة لجميع ذلك المذكور من قبل» . يعني: أن هذا انتقال من المواعظ، والإرشاد،." (٢)

"لا إله إلا هو العزيز الحكيم.تذييل لتقرير الأحكام المتقدمة. وتقدم معنى العزيز الحكيم في قوله تعالى:فاعلموا أن الله عزيز حكيم وفي افتتاح السورة بهذه الآيات براعة استهلال لنزولها في مجادلة نصارى نجران، ولذلك تكرر في هذا الطالع قصر الإلهية على الله تعالى في قوله:الله لا إله إلا هو وقوله: هو الذي يصوركم وقوله: لا إله إلا هو.[٧][سورة آل عمران (٣) : آية ٧]هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب (٧)هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات.استئناف ثالث بإخبار عن شأن من شؤون الله تعالى، متعلق بالغرض المسوق له الكلام: وهو تحقيق إنزاله القرآن والكتابين من قبله،

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٢٥/٣

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١٣١/٣

فهذا الاستئناف مؤكد لمضمون قوله: نزل عليك الكتاب بالحق [آل عمران: ٣] وتمهيد لقوله: منه آيات محكمات لأن الآيات نزلت في مجادلة وفد نجران، وصدرت بإبطال عقيدتهم في إلاهية المسيح:فالإشارة إلى أوصاف الإله الحقة، توجه الكلام هنا إلى إزالة شبهتهم في شأن زعمهم اعتراف نصوص القرآن بإلهية المسيح إذ وصف فيها بأنه روح الله وأنه يحي الموتى وأنه كلمة الله، وغير ذلك فنودي عليهم بأن ما تعلقوا به تعلق اشتباه وسوء بأويل.وفي قوله: هو الذي أنزل عليك الكتاب قصر صفة إنزال القرآن على الله تعالى: لتكون الجملة، مع كونها تأكيدا وتمهيدا، إبطالا أيضا لقول المشركين: إنما يعلمه بشر [النحل:١٠٣] وقولهم: أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا [الفرقان: ٥] . وكقوله:وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون إنهم عن السمع لمعزولون [الشعراء: ٢١٠- ٢١٢] ذلك أنهم قالوا: هو قول كاهن، وقول شاعر، واعتقدوا أن أقوال الكهان وأقوال الشعراء من إملاء الأرئياء (جمع رئي) .." (١)

"وزيدت كلمة (عند) للدلالة على أن من هنا للابتداء الحقيقي دون المجازي، أي هو منزل من وحي الله تعالى وكلامه، وليس كقوله: ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك [النساء: ١٩٧] .وجملة وما يذكر إلا أولوا الألباب تذييل، ليس من كلام الراسخين، مسوق مساق الثناء عليهم في اهتدائهم إلى صحيح الفهم.والألباب: العقول. وتقدم عند قوله تعالى: واتقون يا أولي الألباب في سورة البقرة [١٩٧] .[٨، ٩][سورة آل عمران (٣) : الآيات ٨ إلى ٩]ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب (٨) ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد (٩)دعاء علمه النبيء صلى الله عليه وسلم، تعليما للأمة: لأن الموقع المحكي موقع عبرة ومثار لهواجس الخوف من سوء المصير إلى حال الذين في قلوبهم زيغ فما هم إلا من عقلاء البشر، لا تفاوت بينهم وبين الراسخين في الإنسانية، ولا في سلامة العقول والمشاعر، فما كان ضلالهم إلا عن حرمانهم التوفيق، واللطف، ووسائل الاهتداء.وقد علم من تعقيب قوله: هو الذي أنزل عليك الكتاب [آل عمران: ٧] الآيات بقوله: ربنا لا تزغ قلوبنا أن من جملة ما قصد بوصف الكتاب بأن منه محكما ومنه متشابها، إيقاظ الأمة إلى ذلك لتكون على بصيرة في تدبر كتابها: تحذيرا لها من الوقوع في الضلال، الذي أوقع الأمم في كثير منه وجود المتشابهات في كتبها، وتحذيرا للمسلمين من اتباع البوارق الباطلة مثل ما وقع فيه بعض العرب من الردة والعصيان، بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، لتوهم أن التدين بالدين إنما كان لأجل وجود الرسول بينهم، ولذلك كان أبو بكر يدعو بهذه الآية في صلاته مدة ارتداد من ارتد من العرب، ففي «الموطأ» ، عن الصنابحي: أنه قال: «قدمت المدينة في خلافة أبي بكر الصديق فصليت." (٢)

"وقرأ نافع وأبو جعفر ويعقوب: ترونهم- بتاء الخطاب- وقرأه الباقون بياء الغيبة:على أنه حال من وأخرى كافرة، أو من فئة تقاتل في سبيل الله أي مثلي عدد المرئيين. إن كان الراءون هم المشركين، أو مثلي عدد الرائين، إن كان الراءون هم المسلمين لأن كليهما جرى ضميره على الغيبة وكلتا الرؤيتين قد وقعت يوم بدر. وكل فئة علمت رؤيتها وتحديث بهاته الآية. وعلى هذه القراءة يكون العدول عن التعبير بفئتكم وفئتهم إلى قوله: فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة، لقصد صلوحية

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٥٣/٣

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١٦٩/٣

ضمير الغيبة لكلتا الفئتين، فيفيد اللفظ آيتين على التوزيع، بطريقة التوجيه.و «رأي العين» مصدر مبين لنوع الرؤية: إذ كان «فعل رأى» يحتمل البصر والقلب، وإضافته إلى العين دليل على أنه يستعمل مصدرا لرأى القلبية، كيف والرأي اسم للعقل، وتشاركها فيها رأى البصرية، بخلاف الرؤية فخاصة بالبصرية.وجملة والله يؤيد بنصره من يشاء **تذييل** لأن تلك الرؤية كيفما فسرت تأييد للمسلمين، قال تعالى: وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهمليقضي الله أمرا كان مفعولا[الأنفال: ٤٤] .[١٤][سورة آل عمران (٣) : آية ١٤]زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب (١٤)زين.استئناف نشأ عن قوله: لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم [آل عمران: ١٠] إذ كانت إضافة أموال وأولاد إلى ضمير «هم» دالة على أنها معلومة للمسلمين. قصد منه عظة المسلمين ألا يغتروا بحال الذين كفروا فتعجبهم زينة الدنيا، وتلهيهم عن التهمم بما به الفوز في الآخرة فإن التحذير من الغايات يستدعي التحذير من البدايات. وقد صدر هذا الوعظ والتأديب ببيان مدخل هذه الحالة إلى النفوس، حتى يكونوا على أشد الحذر منها لأن ما قارنته النفس ينساب إليها مع الأنفاس.." (١)

"ومن يخرج الحي من الميت في سورة يونس [٣١] . وهذا رمز إلى ظهور الهدى والملك في أمة أمية، وظهور ضلال الكفر في أهل الكتابين، وزوال الملك من خلفهم بعد أن كان شعار أسلافهم، بقرينة افتتاح الكلام بقوله: اللهم مالك الملك إلخ.وقرأ نافع، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم، وأبو جعفر، وخلف: «الميت» بتشديد التحتية. وقرأه ابن كثير، وابن عامر، وأبو عمرو، وأبو بكر عن عاصم، ويعقوب:بسكون التحتية وهما وجهان في لفظ الميت.وقوله: وترزق من تشاء بغير حساب هو **كالتذييل** لذلك كله.والرزق ما ينتفع به الإنسان فيطلق على الطعام والثمار كقوله: وجد عندها رزقا [آل عمران: ٣٧] وقوله: فليأتكم برزق منه [الكهف: ١٩] ، ويطلق على أعم من ذلك مما ينتفع به كما في قوله تعالى: يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب. وعندهم قاصرات الطرف أتراب- ثم قال- إن هذا لرزقنا ما له من نفاد [ص: ٥١- ٥٤] وقوله: قل من يرزقكم من السماوات والأرض قل الله ومن ثم سميت الدراهم والدنانير رزقا: لأن بها يعوض ما هو رزق، وفي هذا إيماء إلى بشارة للمسلمين بما أخبئ لهم من كنوز الممالك الفارسية والقيصرية وغيرها.[٢٨][سورة آل عمران (٣) : آية ٢٨]لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير (٢٨)استئناف عقب به الآي المتقدمة، المتضمنة عداء المشركين للإسلام وأهله، وحسد اليهود لهم، وتوليهم عنه: من قوله: إن الذين كفروا لن تغني عنهم [آل عمران: ١١٦] إلى هنا.فالمناسبة أن هذه كالنتيجة لما تقدمها:نهى الله المؤمنين- بعد ما بين لهم بغي المخالفين وإعراضهم- أن يتخذوا الكفار أولياء من دون المؤمنين لأن اتخاذهم أولياء- بعد أن سفه الآخرون دينهم وسفهوا أحلامهم في اتباعه- يعد ضعفا في الدين وتصويبا للمعتدين.." (٢)

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٧٨/٣

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢١٥/٣

"و (المصير) : هو الرجوع، وأريد به البعث بعد الموت وقد علم مثبتو البعث لا يكون إلا إلى الله، فالتقديم في قوله: وإلى الله لمجرد الاهتمام، وهذا تعريض بالوعيد أكد به صريح التهديد الذي قبله.[٢٩][سورة آل عمران (٣) : آية ٢٩]قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في السماوات وما في الأرض والله على كل شيء قدير (٢٩)انتقال من التحذير المجمل إلى ضرب من ضروب تفصيله، وهو إشعار المحذر باطلاع الله على ما يخفونه من الأمر.وذكر الصدور هنا والمراد البواطن والضمائر: جريا على معروف اللغة من إضافة الخواطر النفسية إلى الصدر والقلب، لأن الانفعالات النفسانية وترددات التفكر ونوايا النفوس كلها يشعر لها بحركات في الصدور.وزاد أو تبدوه فأفاد تعميم العلم تعليما لهم بسعة علم الله تعالى لأن مقام إثبات صفات الله تعالى يقتضي الإيضاح.وجملة ويعلم ما في السماوات وما في الأرض معطوفة على جملة الشرط فهي معمولة لفعل قل، وليست معطوفة على جواب الشرط: لأن علم الله بما في السماوات وما في الأرض ثابت مطلقا غير معلق على إخفاء ما في نفوسهم وإبدائه وما في الجملة من التعميم يجعلها في قوة **التذييل**.وقوله: والله على كل شيء قدير إعلام بأنه مع العلم ذو قدرة على كل شيء، وهذا من التهديد إذ المهدد لا يحول بينه وبين تحقيق وعيده إلا أحد أمرين: الجهل بجريمة المجرم، أو العجز عنه، فلما أعلمهم بعموم علمه، وعموم قدرته، علموا أن الله لا يفلتهم من عقابه.وإظهار اسم الله دون ضميره فلم يقل وهو على كل شيء قدير: لتكون الجملة مستقلة فتجري مجرى المثل، والجملة لها معنى **التذييل**. والخطاب للمؤمنين تبعا لقوله:لا يتخذ المؤمنون الكافرين [آل عمران: ٢٨] الآية.." (١)

"فأصحاب الرأي الأول يرون تعليق المحبة بذات الله في هذه الآية ونحوها مجازا بتشبيه الرغبة في مرضاته بالمحبة، وأصحاب الرأي الثاني يرونه حقيقة وهو الصحيح.ومن آثار المحبة تطلب القرب من المحبوب والاتصال به واجتناب فراقه. ومن آثارها محبة ما يسره ويرضيه، واجتناب ما يغضبه، فتعليق لزوم اتباع الرسول على محبة الله تعالى لأن الرسول دعا إلى ما يأمر الله به وإلى إفراد الوجهة إليه، وذلك كمال المحبة.وأما إطلاق المحبة في قوله: يحببكم الله فهو مجاز لا محالة أريد به لازم المحبة وهو الرضى وسوق المنفعة ونحو ذلك من تجليات لله يعلمها سبحانه. وهما المعبر عنهما بقوله: يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم فإن ذلك دليل المحبة وفي القرآن:وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم [المائدة: ١٨] .وتعليق محبة الله إياهم على فاتبعوني المعلق على قوله: إن كنتم تحبون الله ينتظم منه قياس شرطي اقتراني. ويدل على الحب المزعوم إذا لم يكن معه اتباع الرسول فهو حب كاذب، لأن المحب لمن يحب مطيع، ولأن ارتكاب ما يكرهه المحبوب إغاضة له وتلبس بعدوه وقد قال أبو الطيب:أأحبه وأحب فيه ملامة ... إن الملامة فيه من أعدائهفعلم أن حب العدو لا يجامع الحب وقد قال العتابي:تود عدوي ثم تزعم أنني ... صديقك ليس النوك عنك بعازبوجملة والله غفور رحيم في قوة **التذييل** مثل جملة والله على كل شيء قدير [البقرة: ٢٨٤] المتقدمة. ولم يذكر متعلق للصفتين ليكون الناس ساعين في تحصيل أسباب المغفرة والرحمة.[٣٢][سورة آل عمران (٣) : آية ٣٢]قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين (٣٢)عودة إلى الموعظة بطريق الإجمال البحت: فذلكة للكلام، وحرصا على الإجابة،- فابتدأ الموعظة أولا بمقدمة

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٢٢/٣

وهي قوله: إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا [آل عمران: ١٠]- ثم شرع في الموعظة بقوله: قل للذين كفروا ستغلبون [آل عمران: ١٢] الآية.." (١)

"وإنما يكون ذلك في الآخرة، فذكر عذاب الدنيا هنا إدماج. فإن كان هذا مما خاطب الله به عيسى فهو مستعمل في صريح معناه، وإن كان كلاما من الله في القرآن خوطب به النبيء صلى الله عليه وسلم والمسلمون، صح أن يكون مرادا منه أيضا التعريض بالمشركين في ظلمهم محمدا صلى الله عليه وسلم عن مكابرة منهم وحسد. وتقدم تفسير إسناد المحبة إلى الله عند قوله: قل إن كنتم تحبون الله في هذه السورة.وجملة وما لهم من ناصرين **تذييل** لجملة فأعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والآخرة أي ولا يجدون ناصرين ينصرونهم علينا في تعذيبهم الذي قدره الله تعالى.واعلم أن قوله فأعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والآخرة قضية جزئية لا تقتضي استمرار العذابين:فأما عذاب الدنيا فهو يجري على نظام أحوال الدنيا: من شدة وضعف وعدم استمرار، فمعنى انتفاء الناصرين لهم منه انتفاء الناصرين في المدة التي قدرها الله لتعذيبهم في الدنيا، وهذا متفاوت، وقد وجد اليهود ناصرين في بعض الأزمان مثل قصة استير في الماضي وقضية فلسطين في هذا العصر.وأما عذاب الآخرة: فهو مطلق هنا، ومقيد في آيات كثيرة بالتأبيد، كما قال: وما هم بخارجين من النار [البقرة: ١٦٧] .وجملة والله لا يحب الظالمين **تذييل** للتفصيل كله فهي **تذييل** ثان لجملة فأعذبهم عذابا شديدا بصريح معناها، أي أعذبهم لأنهم ظالمون والله لا يحب الظالمين **وتذييل** لجملة وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات إلى آخرها، بكناية معناها لأن انتفاء محبة الله الظالمين يستلزم أنه يحب الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلذلك يعطيهم ثوابهم وافيا.ومعنى كونهم ظالمين أنهم ظلموا أنفسهم بكفرهم وظلم النصارى الله بأن نقصوه بإثبات ولد له وظلموا عيسى بأن نسبوه ابنا لله تعالى، وظلمه اليهود بتكذيبهم إياه وأذاهم.." (٢)

"وعذاب الدنيا هو زوال الملك وضرب الذلة والمسكنة والجزية، والتشريد في الأقطار، وكونهم يعيشون تبعا للناس، وعذاب الآخرة هو جهنم. ومعنى وما لهم من ناصرين أنهم لا يجدون ناصرا يدفع عنهم ذلك وإن حاوله لم يظفر به وأسند فنوفيهم إلى نون العظمة تنبيها على عظمة مفعول هذا الفاعل إذ العظيم يعطي عظيما. والتقدير فيوفيهم أجورهم في الدنيا والآخرة بدليل مقابله في ضدهم من قوله: فأعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والآخرة وتوفية الأجور في الدنيا تظهر في أمور كثيرة: منها رضا الله عنهم، وبركاته معهم، والحياة الطيبة، وحسن الذكر. وجملة والله لا يحب الظالمين **تذييل**، وفيها اكتفاء: أي ويحب الذين آمنوا وعملوا الصالحات.وقرأ الجمهور: فنوفيهم- بالنون- وقرأه حفص عن عاصم، ورويس عن يعقوب، فيوفيهم بياء الغائب على الالتفات.[٥٨][سورة آل عمران (٣) : آية ٥٨]ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم (٥٨)**تذييل**: فإن الآيات والذكر أعم من الذي تلي هنا، واسم الإشارة إلى الكلام السابق من قوله تعالى: إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه [آل عمران: ٤٥] وتذكير اسم الإشارة لتأويل المشار إليه بالكلام أو بالمذكور. وجملة نتلوه حال من اسم الإشارة على حد وهذا بعلي شيخا [هود: ٧٢] وهو استعمال عربي فصيح وإن خالف في صحة مجيء الحال

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٢٨/٣

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٦١/٣

من اسم الإشارة بعض النحاة.وقوله: من الآيات خبر ذلك أي إن تلاوة ذلك عليك من آيات صدقك في دعوى الرسالة فإنك لم تكن تعلم ذلك، وهو ذكر وموعظة للناس، وهذا أحسن من جعل نتلوه خبرا عن المبتدأ، ومن وجوه أخرى. والحكيم بمعنى المحكم، أو هو مجاز عقلي أي الحكيم عالمه أو تاليه.." (١)

"فهؤلاء أحق به ممن انتسبوا إليه لكنهم نقضوا أصول شرعه وهم المشركون، ومن الذين انتسبوا إليه وأنسوا ذكر شرعه، وهم اليهود والنصارى، ومن هذا المعنقول النبيء صلى الله عليه وسلم، لما سأل عن صوم اليهود، يوم عاشوراء فقالوا: هو يوم نجى الله فيه موسى فقال: «نحن أحق بموسى منهم» وصامه وأمر المسلمين بصومه.وقوله: والله ولي المؤمنين **تذييل** أي هؤلاء هم أولى الناس بإبراهيم، والله ولي إبراهيم، والذين اتبعوه، وهذا النبيء، والذين آمنوا لأن **التذييل** يشمل المذيل قطعا، ثم يشمل غيره تكميلا كالعام على سبب خاص. وفي قوله: والله ولي المؤمنين بعد قوله:كان إبراهيم يهوديا [آل عمران: ٦٧] تعريض بأن الذين لم يكن إبراهيم منهم ليسوا بمؤمنين.[٦٩][سورة آل عمران (٣) : آية ٦٩]ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون (٦٩)استئناف مناسبته قوله: فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون- إلى قوله- إن أولى الناس بإبراهيم [آل عمران: ٦٤- ٦٨] إلخ. والمراد بأهل الكتاب هنا اليهود خاصة، ولذلك عبر عنهم بطائفة من أهل الكتاب لئلا يتوهم أنهم أهل الكتاب الذين كانت المحاجة معهم في الآيات السابقة.والمراد بالطائفة جماعة منهم من قريظة، والنضير، وقينقاع، دعوا عمار بن ياسر، ومعاذ بن جبل، وحذيفة بن اليمان، إلى الرجوع إلى الشرك.وجملة لو يضلونكم مبينة لمضمون جملة ودت، على طريقة الإجمال والتفصيل. فلو شرطية مستعملة في التمني مجازا لأن التمني من لوازم الشرط الامتناعي. وجواب الشرط محذوف يدل عليه فعل ودت تقديره: لو يضلونكم لحصل مودودهم، والتحقيق أن التمني عارض من عوارض لو الامتناعية في بعض المقامات. وليس هو معنى أصليا من معاني لو. وقد تقدم نظير هذا في قوله تعالى: يود أحدهم لو يعمر ألف سنة في سورة البقرة." (٢)

"واسع وثوب واسع، ويطلق الاتساع وما يشتق منه على وفاء شيء بالعمل الذي يعمله نوعه دون مشقة يقال: فلان واسع البال، وواسع الصدر، وواسع العطاء. وواسع الخلق، فتدل على شدة أو كثرة ما يسند إليه أو يوصف به أو يعلق به من أشياء ومعان، وشاع ذلك حتى صار معنى ثانيا.وواسع من صفات الله وأسمائه الحسنى وهو بالمعنى المجازي لا محالة لاستحالة المعنى الحقيقي في شأنه تعالى، ومعنى هذا الاسم عدم تناهي التعلقات لصفاته ذات التعلق فهو واسع العلم، واسع الرحمة، واسع العطاء، فسعة صفاته تعالى أنها لا حد لتعلقاتها، فهو أحق الموجودات بوصف واسع، لأنه الواسع المطلق.وإسناد وصف واسع إلى اسمه تعالى إسناد مجازي أيضا لأن الواسع صفاته ولذلك يؤتى بعد هذا الوصف أو ما في معناه من فعل السعة بما يميز جهة السعة من تمييز نحو:وسع كل شيء علما، ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما. فوصفه في هذه الآية بأنه واسع هو سعة الفضل لأنه وقع **تذييلا** لقوله: ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.وأحسب أن وصف الله بصفة واسع في العربية من مبتكرات القرآن.وقوله: عليم صفة ثانية بقوة علمه أي كثرة متعلقات صفة علمه تعالى.ووصفه بأنه

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٣/٢٦٢

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٣/٢٧٨

عليم هنا لإفادة أنه عليم بمن يستأهل أن يؤتيه فضله ويدل على علمه بذلك ما يظهر من آثار إرادته وقدرته الجارية على وفق علمه متى ظهر للناس ما أودعه الله من فضائل في بعض خلقه، قال تعالى: الله أعلم حيث يجعل رسالته [الأنعام: ١٢٤] .وجملة يختص برحمته من يشاء بدل بعض من كل لجملة إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء فإن رحمته بعض مما هو فضله.وجملة والله ذو الفضل العظيم **تذييل** وتقدم تفسير نظيره عند قوله تعالى: واللهيختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيمفي سورة البقرة [١٠٥] .." (١)

"وفي هذه الآية إشارة بينة على أن من الخطأ أن يوزن حال الدين الإسلامي بميزان أحوال بعض المسلمين أو معظمهم كما يفعله بعض أهل الأنظار القاصرة من الغربيين وغيرهم إذ يجعلون وجهة نظرهم التأمل في حالة الأمم الإسلامية ويستخلصون من استقرائها أحكاما كلية يجعلونها قضايا لفلسفتهم في كنه الديانة الإسلامية.وهذه الآية صريحة في إثبات المشيئة للإنسان العاقل فيما يأتي ويدع، وأنه لا عذر له إذا قال: هذا أمر قدر، وهذا مكتوب عند الله، فإن تلك كلمات يضعونها في غير محالها، وبذلك يبطل قول الجبرية، ويثبت للعبد كسب أو قدرة على اختلاف التعبير.[٢٩][سورة التكوير (٨١) : آية ٢٩]وما تشاؤن إلا أن يشاء الله رب العالمين (٢٩)يجوز أن تكون **تذييلا** أو اعتراضا في آخر الكلام.ويجوز أن تكون حالا. والمقصود التكميل والاحتراس في معنى لمن شاء منكم أن يستقيم، أي ولمن شاء له ذلك من العالمين، وتقدم في آخر سورة الإنسان قوله تعالى:إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا وما تشاؤن إلا أن يشاء الله إن الله كان عليما حكيما [الإنسان: ٢٩، ٣٠] .والفرق بينهما أن في هذه الآية وصف الله تعالى ب رب العالمين وهو مفيد التعليل لارتباط مشيئة من شاء الاستقامة من العالمين لمشيئة الله ذلك لأنه رب العالمين فهو الخالق فيهم دواعي المشيئة وأسباب حصولها المتسلسلة وهو الذي أرشدهم للاستقامة على الحق، وبهذا الوصف ظهر مزيد الاتصال بين مشيئة الناس الاستقامة بالقرآن وبين كون القرآن ذكرا للعالمين.وأما آية سورة الإنسان فقد ذيلت: إن الله كان عليما حكيما [الإنسان: ٣٠] أي فهو بعلمه وحكمته ينوط مشيئته لهم الاستقامة بمواضع صلاحيتهم لها فيفيد أن من لم يشأ أن يتخذ إلى ربه سبيلا قد حرمه الله تعالى من مشيئته الخير بعلمه وحكمته كناية عن شقائهم.." (٢)

"وقد تقدم عند قوله تعالى: وما أملك لك من الله من شيء في سورة الممتحنة [٤] .وعموم نفس الأولى والثانية في سياق النفي يقتضي عموم الحكم في كل نفس.وشيئا اسم يدل على جنس الموجود، وهو متوغل في الإبهام يفسره ما يقترن به في الكلام من تمييز أو صفة أو نحوهما، أو من السياق، ويبينه هنا ما دل عليه فعل لا تملك ولام العلة، أي شيئا يغني عنها وينفعها كما في قوله تعالى: وما أغني عنكم من الله من شيء في سورة يوسف [٦٧] ، فانتصب شيئا على المفعول به لفعل لا تملك، أي ليس في قدرتها شيء ينفع نفسا أخرى.وهذا يفيد تأييس المشركين من أن تنفعهم أصنامهم يومئذ كما قال تعالى: وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء [الأنعام: ٩٤] .والأمر يومئذ لله وجملة والأمر يومئذ لله **تذييل**، والتعريف في الأمر للاستغراق. والأمر هنا بمعنى: التصرف والإذن وهو واحد الأوامر، أي لا يأمر إلا الله ويجوز أن

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٣/٢٨٤

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٣٠/١٦٧

يكون الأمر مرادفا للشيء فتغيير التعبير للتفنن.والتعريف على كلا الوجهين تعريف الجنس المستعمل لإرادة الاستغراق، فيعم كلالأمور وبذلك العموم كانت الجملة **تذييلا**.وأفادت لام الاختصاص مع عموم الأمر أنه لا أمر يومئذ إلا لله وحده لا يصدر من غيره فعل، وليس في هذا التركيب صيغة حصر ولكنه آيل إلى معنى الحصر على نحو ما تقدم في قوله تعالى: الحمد لله [الفاتحة: ٢] .وفي هذا الختام رد العجز على الصدر لأن أول السورة ابتدئ بالخبر عن بعض أحوال يوم الجزاء وختمت السورة ببعض أحواله.." (١)

"البذخ ويجلبونه من أقاصي البلاد وينفقون فيه الأموال. ولما كانت الواو اعتراضية لم يكن البذخ ويجلبونه من أقاصي البلاد وينفقون فيه الأموال. ولما كانت الواو اعتراضية لم يكن إشكال في وقوع فاء الجواب بعدها. والفاء إما أن تكون فصيحة، والتقدير: إذا علمتم الأوصاف لهذا الرحيق فليتنافس فيه المتنافسون، أو التقدير: وفي ذلك فلتتنافسوا فليتنافس فيه المتنافسون فتكون الجملة في قوة **التذييل** لأن المقدر هو تنافس المخاطبين، والمصرح به تنافس جميعالمتنافسين فهو تعميم بعد تخصيص، وإما أن تكون الفاء فاء جواب لشرط مقدر في الكلام يؤذن به تقديم المجرور لأن تقديم المجرور كثيرا ما يعامل معاملة الشرط، كماروي قول النبيء صلى الله عليه وسلم: «كما تكونوا يول عليكم»بجزم «تكونوا» و «يول» ، فالتقدير: إن علمتم ذلك فليتنافس فيه المتنافسون. وإما أن تكون الفاء تفريعا على محذوف على طريقة الحذف على شريطة التفسير، والتقدير: وتنافسوا صيغة أمر في ذلك، فليتنافس المتنافسون فيه، ويكون الكلام مؤذنا بتوكيد فعل التنافس لأنه بمنزلة المذكور مرتين، مع إفادة التخصص بتقديم المجرور.وجملة: وفي ذلك فليتنافس المتنافسون معترضة بين جملة: يسقون من رحيق إلخ وجملة: ومزاجه من تسنيم والتنافس: تفاعل من نفس عليه بكذا إذا شح به عليه ولم يره أهلا له وهو من قبيل الاشتقاق من الشيء النفيس، وهو الرفيع في نوعه المرغوب في تحصيله. وقد قيل: إن الأصل في هذه المادة هو النفس. فالتنافس حصول النفاسة بين متعدد.ولام الأمر في فليتنافس مستعملة في التحريض والحث.ومزاجه: ما يمزج به. وأصله مصدر مازج بمعنى مزج، وأطلق على الممزوج به فهو من إطلاق المصدر على المفعول، وكانوا يمزجون الخمر لئلا تغلبهم سورتها فيسرع إليهم مغيب العقول لأنهم يقصدون تطويل حصة النشوة للالتذاذ بدبيب السكر في العقل دون أن يغته غتا فلذلك أكثر ما تشرب الخمر المعتقة الخالصة تشرب ممزوجة بالماء. قال كعب بن زهير:شجت بذي شبم من ماء محقبة ... صاف بأبطح أضحى وهو مشمول." (٢)

"وجملة وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله في موضع الحال والواو واو الحال أو عاطفة على الحال التي قبلها.والمقصود التعجيب من ظلم أهل الأخدود أنهم يأتون بمثل هذه الفظاعة لا لجرم من شأنه أن ينقم من فاعله فإن كان الذين خددوا الأخدود يهودا كما كان غالب أهل اليمن يومئذ فالكلام من تأكيد الشيء بما يشبه ضده أي ما نقموا منهم شيئا ينقم بل لأنهم آمنوا بالله وحده كما آمن به الذين عذبوهم. ومحل التعجيب أن الملك ذا نواس وأهل اليمن كانوا متهودين فهم يؤمنون بالله وحده ولا يشركون به فكيف يعذبون قوما آمنوا بالله وحده مثلهم وهذا مثل قوله تعالى: قل يا أهل الكتاب هل تنقمون

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٨٥/٣٠

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٠٧/٣٠

منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل [المائدة: ٥٩] وإن كان الذين خددوا الأخدود مشركين (فإن عرب اليمن بقي فيهم من يعبد الشمس) فليس الاستثناء من تأكيد الشيء بما يشبه ضده لأن شأن تأكيد الشيء بما يشبه ضده أن يكون ما يشبه ضد المقصود هو في الواقع من نوع المقصود فلذلك يؤكد به المقصود وما هنا ليس كذلك لأن الملك وجنده نقموا منهم الإيمان بالله حقيقة إن كان الملك مشركا.وإجراء الصفات الثلاث على اسم الجلالة وهي: العزيز. الحميد. الذي له ملك السماوات والأرض لزيادة تقرير أن ما نقموه منهم ليس من شأنه أن ينقم بل هو حقيق بأن يمدحوا به لأنهم آمنوا برب حقيق بأن يؤمن به لأجل صفاته التي تقتضي عبادته ونبذ ما عداه لأنه ينصر مواليه ويثيبهم ولأنه يملكهم، وما عداه ضعيف العزة لا يضر ولا ينفع ولايملك منهم شيئا فيقوى التعجيب منهم بهذا.وجملة: والله على كل شيء شهيد **تذييل** بوعيد للذين اتخذوا الأخدود وبوعد الذين عذبوا في جنب الله، ووعيد لأمثال أولئك من كفار قريش وغيرهم من كل من تصدوا لأذى المؤمنين ووعد المسلمين الذين عذبهم المشركون مثل بلال وعمار وصهيب وسمية.." (١)

"ويجيء فيه الوجهان المتقدمان من الخطاب والغيبة على القراءتين.والإيثار: اختيار شيء من بين متعدد.والمعنى: تؤثرون الحياة الدنيا بعنايتكم واهتمامكم.ولم يذكر المؤثر عليه لأن الحياة الدنيا تدل عليه، أي لا تتأملون فيما عدا حياتكم هذه ولا تتأملون في حياة ثانية، فالمشركون لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكروا بالحياة الآخرة وأخبروا بها لم يعيروا سمعهم ذلك وجعلوا ذلك من الكلام الباطل وهذا مورد التوبيخ.واعلم أن للمؤمنين حظا من هذه الموعظة على طول الدهر، وذلك حظ مناسب لمقدار ما يفرط فيه أحدهم مما ينجيه في الآخرة إيثارا لما يجتنيه من منافع الدنيا التي تجر إليه تبعة في الآخرة على حسب ما جاءت به الشريعة، فأما الاستكثار من منافع الدنيا مع عدم إهمال أسباب النجاة في الآخرة فذلك ميدان للهمم وليس ذلك بمحل ذم قال تعالى:وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا [القصص: ٧٧] .وجملة: والآخرة خير وأبقى عطف على جملة التوبيخ عطف الخبر على الإنشاء لأن هذا الخبر يزيد إنشاء التوبيخ توجيها وتأييدا بأنهم في إعراضهم عن النظر في دلائل حياة آخرة قد أعرضوا عما هو خير وأبقى.وأبقى: اسم تفضيل، أي أطول بقاء،وفي حديث النهي عن جر الإزار «وليكن إلى الكعبين فإنه أتقى وأبقى». [١٨، ١٩][سورة الأعلى (٨٧) : الآيات ١٨ إلى ١٩]إن هذا لفي الصحف الأولى (١٨) صحف إبراهيم وموسى (١٩)**تذييل** للكلام وتنويه به بأنه من الكلام النافع الثابت في كتب إبراهيم موسى عليهما السلام، قصد به الإبلاغ للمشركين الذين كانوا يعرفون رسالة إبراهيم ورسالة موسى، ولذلك أكد هذا الخبر ب إن ولام الابتداء لأنه مسوق إلى المنكرين.." (٢)

"والفساد: سوء حال الشيء ولحاق الضر به قال تعالى: وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل [البقرة: ٢٠٥] . وضد الفساد الصلاح قال تعالى:ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها [الأعراف: ٥٦] وكان ما أكثروه من الفساد سببا في غضب الله عليهم، والله لا يحب الفساد فصب عليهم العذاب.والصب حقيقته: إفراغ ما في الظرف، وهو هنا مستعار لحلول العذاب دفعة وإحاطته بهم كما يصب الماء على المغتسل أو يصب المطر على الأرض، فوجه الشبه

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٤٤/٣٠

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٩٠/٣٠

مركب من السرعة والكثرة ونظيره استعارة الإفراغ في قوله تعالى: ربنا أفرغ علينا صبرا [البقرة:٢٥٠] ونظير الصب قولهم: شن عليهم الغارة.وكان العذاب الذي أصاب هؤلاء عذابا مفاجئا قاضيا.فأما عاد فرأوا عارض الريح فحسبوه عارض مطر فما لبثوا حتى أطارتهم الريح كل مطير.وأما ثمود أخذتهم الصيحة.وأما فرعون فحسبوا البحر منحسرا فما راعهم إلا وقد أحاط بهم.والسوط: آلة ضرب تتخذ من جلود مضفورة تضرب بها الخيل للتأديب ولتحملها على المزيد في الجري.وعن الفراء أن كلمة سوط عذاب يقولها العرب لكل عذاب يدخل فيه السوط (أي يقع بالسوط) ، يريد أن حقيقتها كذلك ولا يريد أنها في هذه الآية كذلك.وإضافة سوط إلى عذاب من إضافة الصفة إلى الموصوف، أي صب عليهم عذابا سوطا، أي كالسوط في سرعة الإصابة فهو تشبيه بليغ.وجملة: إن ربك لبالمرصاد **تذييل** وتعليل لإصابتهم بسوط عذاب إذا قدر جواب القسم محذوفا. ويجوز أن تكون جواب القسم كما تقدم آنفا.فعلى كون الجملة **تذييلا** تكون تعليلا لجملة فصب عليهم ربك سوط عذاب تثبيتا للنبيء صلى الله عليه وسلم بأن الله ينصر رسله وتصريحا للمعاندين بما عرض لهم به." (١)

"ففاء التفريع مرتبطة بجملة: إن ربك لبالمرصاد [الفجر: ١٤] بما فيها من العموم الذي اقتضاه كونها **تذييلا**.والمعنى: هذا شأن ربك الجاري على وفق علمه وحكمته.فأما الإنسان الكافر فيتوهم خلاف ذلك إذ يحسب أن ما يناله من نعمة وسعة في الدنيا تكريما من الله له، وما يناله من ضيق عيش إهانة أهانه الله بها.وهذا التوهم يستلزم ظنهم أفعال الله تعالى جارية على غير حكمة قال تعالى: ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ [فصلت: ٥٠] .فأعلم الله رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالحقيقة الحق ونبههم لتجنب تخليط الدلائل الدقيقة السامية، وتجنب تحكيم الواهمة والشاهية، وذكرهم بأن الأحوال الدنيوية أعراض زائلة ومتفاوتة الطول والقصر، وفي ذلك كله إبطال لمعتقد أهل الشرك وضلالهم الذي كان غالبا على أهل الجاهلية ولذلك قال النابغة في آل غسان الذين لم يكونوا مشركين وكانوا متدينين بالنصرانية:مجلتهم ذات الإله ودينهم ... قويم فما يرجون غير العواقبولا يحسبون الخير لا شر بعده ... ولا يحسبون الشر ضربة لازبوقد أعقب الله ذلك بالردع والإبطال بقوله: كلا فمناط الردع والإبطال كلا القولين لأنهما صادران عن تأويل باطل وشبهة ضالة كما ستعرفه عند قوله تعالى: فأكرمه ونعمهواقتصار الآية على تقتير الرزق في مقابلة النعمة دون غير ذلك من العلل والآفات لأن غالب أحوال المشركين المتحدث عنهم صحة المزاج وقوة الأبدان فلا يهلكون إلا بقتل أو هرم فيهم وفي ذويهم، قال النابغة:تغشى متالف لا ينظرنك الهرما." (٢)

"وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو ربي في الموضعين بفتح الياء. وقرأ الباقون بسكونها.وقرأ الجمهور فقدر عليه بتخفيف الدال. وقرأه ابن عامر وأبو جعفر بتشديد الدال.وقرأ نافع: أكرمن، وأهانن بياء بعد النون في الوصل وبحذفها في الوقف.وقرأهما ابن كثير بالياء في الوصل والوقف، وقرأهما ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي ويعقوب بدون ياء في الوصل والوقف. وهو مرسوم في المصحف بدون نون بعد الياءين ولا منافاة بين الرواية واسم المصحف. وكلا ردع عن هذا القول

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٣٢٢/٣٠

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٣٢٥/٣٠

أي ليس ابتلاء الله الإنسان بالنعيم وبتقتير الرزق مسببا على إرادة الله تكريم الإنسان ولا على إرادته إهانته.وهذا ردع مجمل لم يتعرض القرآن لتبيينه اكتفاء **بتذييل** أحوال الأمم الثلاث في نعمتهم بقوله: إن ربك لبالمرصاد [الفجر: ١٤] بعد قوله: فصب عليهم ربك سوط عذاب [الفجر: ١٣] .بل لا تكرمون اليتيم ولا تحاضون على طعام المسكين ١٨ وتأكلون التراث أكلا لما ١٩ وتحبون المال حبا جما ٢٠بل إضراب انتقالي. والمناسبة بين الغرضين المنتقل منه والمنتقل إليه مناسبة المقابلة لمضمون فأكرمه ونعمه من جهة ما توهموه أن نعمة مالهم وسعة عيشهم تكريم من الله لهم، فنبههم الله على أنهم إن أكرمهم الله فإنهم لم يكرموا عبيده شحا بالنعمة إذ حرموا أهل الحاجة من فضول أموالهم وإذ يستزيدون من المال ما لا يحتاجون إليه وذلك دحض لتفخرهم بالكرم والبذل.فجملة: لا تكرمون اليتيم استئناف كما يقتضيه الإضراب، فهو إما استئناف ابتداء كلام، وإما اعتراض بين كلا وأختها كما سيأتي وإكرام اليتيم: سدخلته، وحسن معاملته، لأنه مظنة الحاجة لفقد عائله، ولاستيلائهم على الأموال التي يتركها الآباء لأبنائهم الصغار. وقد كانت الأموال في الجاهلية يتداولها رؤساء العائلات.." (١)

"فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها ولا يخاف عقباها ١٥ أي صاح عليهم ربهم صيحة غضب. والمراد بهذه الدمدمة صوت الصاعقة والرجفة التي أهلكوا بها قال تعالى: فأخذتهم الصيحة[الحجر: ٧٣] ، وإسناد ذلك إلى الله مجاز عقلي لأن الله هو خالق الصيحة وكيفياتها. فوزن دمدم فعلل، وقال أكثر المفسرين: دمدم عليهم أطبق عليهم الأرض، يقال: دمم عليه القبر، إذا أطبقه ودمدم مكرر دمم للمبالغة مثل كبكب، وعليه فوزن دمدم فعلل.وفرع على «دمدم عليهم» فسواها أي فاستووا في إصابتها لهم، فضمير النصب عائد إلى الدمدمة المأخوذة من «دمدم عليهم» .ومن فسروا «دمدم» بمعنى: أطبق عليهم الأرض قالوا معنى «سواها» : جعل الأرض مستوية عليهم لا تظهر فيها أجسادهم ولا بلادهم، وجعلوا ضمير المؤنث عائدا إلى الأرض المفهومة من فعل «دمدم» فيكون كقوله تعالى: لو تسوى بهم الأرض [النساء:٤٢] .وبين فسواها هنا وقوله: وما سواها [الشمس: ٧] قبله محسن الجناس التام.والعقبى: ما يحصل عقب فعل من الأفعال من تبعة لفاعله أو مثوبة، ولما كان المذكور عقابا وغلبة وكان العرف أن المغلوب يكنى في نفسه الأخذ بالثأر من غالبه فلا يهدأ له بال حتى يثأر لنفسه، ولذلك يقولون: الثار المنيم، أي الذي يزيل النوم عن صاحبه، فكان الذي يغلب غيره يتقي حذرا من أن يتمكن مغلوبه من الثأر، أخبر الله أنه الغالب الذي لا يقدر مغلوبه على أخذ الثار منه، وهذا كناية عن تمكن الله من عقاب المشركين، وأن تأخير العذاب عنهم إمهال لهم وليس عن عجز فجملة ولا يخاف عقباها **تذييل** للكلام وإيذان بالختام.ويجوز أن يكون قوله: ولا يخاف عقباها تمثيلا لحالهم في الاستئصال بحال من لم يترك من يثأر له فيكون المثل كناية عن هلاكهم عن بكرة أبيهم لم يبق منهم أحد.." (٢)

"والذاكرين الله كثيرا والذاكرات [الأحزاب: ٣٥] وهو إيجاز لفظي لظهور المحذوف ومثله قوله: (فآوى) ، (فهدى) ، (فأغنى) .[٤][سورة الضحى (٩٣) : آية ٤]وللآخرة خير لك من الأولى (٤)عطف على جملة: والضحى [الضحى:

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٣٣٢/٣٠

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٣٧٥/٣٠

١] فهو كلام مبتدأ به، والجملة معطوفة على الجمل الابتدائية وليست معطوفة على جملة جواب القسم بل هي ابتدائية فلما نفي القلى بشر بأن آخرته خير من أولاه، وأن عاقبته أحسن من بدأته، وأن الله خاتم له بأفضل مما قد إعطاء في الدنيا وفي الآخرة.وما في تعريف «الآخرة» والأولى من التعميم يجعل معنى هذه الجملة في معنى **التذييل** الشامل لاستمرار الوحي وغير ذلك من الخير.والآخرة: مؤنث الآخر، والأولى: مؤنث الأول، وغلب لفظ الآخرة في اصطلاح القرآن على الحياة الآخرة وعلى الدار الآخرة كما غلب لفظ الأولى على حياةالناس التي قبل انخرام هذا العالم، فيجوز أن يكون المراد هنا من كلا اللفظين كلا معنييه فيفيد أن الحياة الآخرة خير له من هذه الحياة العاجلة تبشيرا له بالخيرات الأبدية، ويفيد أن حالاته تجري على الانتقال من حالة إلى أحسن منها، فيكون تأنيث الوصفين جاريا على حالتي التغليب وحالتي التوصيف، ويكون التأنيث في هذا المعنى الثاني لمراعاة معنى الحالة.ويومىء ذلك إلى أن عودة نزول الوحي عليه هذه المرة خير من العودة التي سبقت، أي تكفل الله بأن لا ينقطع عنه نزول الوحي من بعد.فاللام في «الآخرة» والأولى لام الجنس، أي كل آجل أمره هو خير من عاجله في هذه الدنيا وفي الأخرى.واللام في قوله: لك لام الاختصاص، أي خير مختص بك وهو شامل لكل ما له تعلق بنفس النبيء صلى الله عليه وسلم في ذاته وفي دينه وفي أمته، فهذا وعد من الله بأن ينشر دين الإسلام وأن يمكن أمته من الخيرات التي يأملها النبيء صلى الله عليه وسلم لهم. وقد." (١)

"والنهر: الزجر بالقول مثل أن يقول: إليك عني. ويستفاد من النهي عن القهر والنهر النهي عما هو أشد منهما في الأذى كالشتم والضرب والاستيلاء على المال وتركه محتاجاوليس من النهر نهي السائل عن مخالفة آداب السؤال في الإسلام.وقوله: وأما بنعمة ربك فحدث مقابل قوله: ووجدك عائلا فأغنى [الضحى:٨] .فإن الإغناء نعمة فأمره الله أن يظهر نعمة الله عليه بالحديث عنها وإعلان شكرها.وليس المراد بنعمة ربك نعمة خاصة وإنما أريد الجنس فيفيد عموما في المقام الخطابي، أي حدث ما أنعم الله به عليك من النعم، فحصل في ذلك الأمر شكر نعمة الإغناء، وحصل الأمر بشكر جميع النعم لتكون الجملة **تذييلا** جامعا.فإن جعل قوله: وأما السائل فلا تنهر مقابل قوله ووجدك عائلا فأغنى على طريقة اللف والنشر المشوش كان قوله: وأما بنعمة ربك فحدث مقابل قوله: ووجدك ضالا فهدى [الضحى: ٧] على طريقة اللف والنشر المشوش أيضا.وكان المراد بنعمة ربه نعمة الهداية إلى الدين الحق.والتحديث: الإخبار، أي أخبر بما أنعم الله عليك اعترافا بفضله، وذلك من الشكر، والقول في تقديم المجرور وهو بنعمة ربك على متعلقه كالقول في تقديم فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر والخطاب للنبيء صلى الله عليه وسلم، فمقتضى الأمر في المواضع الثلاثة أن تكون خاصة به، وأصل الأمر الوجوب، فيعلم أن النبيء صلى الله عليه وسلم واجب عليه ما أمر به، وأما مخاطبة أمته بذلك فتجري على أصل مساواة الأمة لنبيها فيما فرض عليه ما لم يدل دليل على الخصوصية، فأما مساواة الأمة له في منع قهر اليتيم ونهر السائل فدلائله كثيرة مع ما يقتضيه أصل المساواة.وأما مساواة الأمة له في الأمر بالتحدث بنعمة الله فإن نعم الله على نبيه

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٣٩٧/٣٠

صلى الله عليه وسلم شتى منها ما لا مطمع لغيره من الأمة فيه مثل نعمة الرسالة ونعمة القرآن ونحو ذلك من مقتضيات الاصطفاء الأكبر، ونعمة الرب في الآية مجملة.." (١)

"وقوله: خالدين فيها أبدا بشارة بأنها مسكنهم الخالد.ووصف الجنات ب تجري من تحتها الأنهار لبيان منتهى حسنها.وجري النهر مستعار لانتقال السيل تشبيها لسرعة انتقال الماء بسرعة المشي.والنهر: أخدود عظيم في الأرض يسيل فيه الماء فلا يطلق إلا على مجموع الأخدود ومائه. وإسناد الجري إلى الأنهار توسع في الكلام لأن الذي يجري هو ماؤها وهو المعتبر في ماهية النهر.وجعل جزاء الجماعة جمع الجنات فيجوز أن يكون على وجه التوزيع، أي لكل واحد جنة كقوله تعالى: يجعلون أصابعهم في آذانهم [البقرة: ١٩] وقولك: ركب القوم دوابهم، ويجوز أن يكون لكل أحد جنات متعددة والفضل لا ينحصر قال تعالى: ولمن خاف مقام ربه جنتان [الرحمن: ٤٦] .وجملة: رضي الله عنهم حال من ضمير خالدين، أي خالدين خلودا مقارنا لرضى الله عنهم، فهم في مدة خلودهم فيها محفوفون بآثار رضى الله عنهم، وذلك أعظم مراتب الكرامة قال تعالى: ورضوان من الله أكبر [التوبة: ٧٢] ورضى الله تعلق إحسانه وإكرامه لعبده.وأما الرضى في قوله: ورضوا عنه فهو كناية عن كونهم نالهم من إحسان الله ما لا مطلب لهم فوقه كقول أبي بكر في حديث الغار: «فشرب حتى رضيت» ، وقول مخرمة حين أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم قباء: «رضي مخرمة» . وزاده حسن وقع هنا ما فيه من المشاكلة.ذلك لمن خشي ربه تذييل آت على ما تقدم من الوعد للذين آمنوا والوعيد للذين كفروا بين به سبب العطاء وسبب الحرمان وهو خشية الله تعالى بمنطوق الصلة ومفهومها.والإشارة إلى الجزاء المذكور في قوله: جزاؤهم عند ربهم يعني أن السبب الذي أنالهم ذلك الجزاء هو خشيتهم الله فإنهم لما خشوا الله توقعوا غضبه إذا لم." (٢)

"يصغوا إلى منيقول لهم: إني رسول الله إليكم، فأقبلوا على النظر في دلائل صدق الرسول فاهتدوا وآمنوا، وأما الذين آثروا حظوظ الدنيا فأعرضوا عن دعوة رسول من عند الله ولم يتوقعوا غضب مرسله فبقوا في ضلالهم.فما صدق: «من خشي ربه» هم المؤمنون، واللام للملك، أي ذلك الجزاء للمؤمنين الذين خشوا ربهم فإذا كان ذلك ملكا لهم لم يكن شيء منه ملكا لغيرهم فأفاد حرمان الكفرة المتقدم ذكرهم وتم التذييل.وفي ذكر الرب هنا دون أن يقال: ذلك لمن خشي الله، تعريض بأن الكفار لم يرعوا حق الربوبية إذ لم يخشوا ربهم فهم عبيد سوء.." (٣)

"[سورة العاديات (١٠٠) : آية ١١]إن ربهم بهم يومئذ لخبير (١١)جملة مستأنفة استئنافا بيانيا ناشئا عن الإنكار، أي كان شأنهم أن يعلموا اطلاع الله عليهم إذا بعثر ما في القبور، وأن يذكروه لأن وراءهم الحساب المدقق، وتفيد هذه الجملة مفاد التذييل.وقوله: يومئذ متعلق بقوله: لخبير، أي عليم.والخبير: مكنى به عن المجازي بالعقاب والثواب، بقرينة تقييده بيومئذ لأن علم الله بهم حاصل من وقت الحياة الدنيا، وأما الذي يحصل من علمه بهم يوم بعثرة القبور، فهو العلم الذي يترتب عليه الجزاء.وتقديم بهم على عامله وهو لخبير للاهتمام به ليعلموا أنهم المقصود بذلك.وتقديم المجرور على العامل

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٤٠٣/٣٠

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٤٨٦/٣٠

(٣) التحرير والتنويرابن عاشور ٤٨٧/٣٠

المقترن بلام الابتداء مع أن لها الصدر سائغ لتوسعهم في المجرورات والظرف كما تقدم آنفا في قوله: لربه لكنود [العاديات: ٦] وقوله: على ذلك لشهيد [العاديات: ٧] وقوله: لحب الخير لشديد [العاديات: ٨] . وقد علمت أن ابن هشام ينازع في وجوب صدارة لام الابتداء التي في خبر إن." (١)

"فيجيء على القول: أن السورة مكية بأجمعها أن يكون المراد بالمصلين عين المراد بالذي يكذب بالدين، ويدع اليتيم، ولا يحض على طعام المسكين، فقوله للمصلين إظهار في مقام الإضمار كأنه قيل: فويل له على سهوه عن الصلاة، وعلى الرياء، وعلى منع الماعون، دعا إليه زيادة تعداد صفاته الذميمة بأسلوب سليم عن تتابع ست صفات لأن ذلك التتابع لا يخلو من كثرة تكرار النظائر فيشبه تتابع الإضافات الذي قيل إنه مناكد للفصاحة، مع الإشارة بتوسط ويل له إلى أن الويل ناشيء عن جميع تلك الصفات التي هو أهلها وهذا المعنى أشار إليه كلام «الكشاف» بغموض.فوصفهم ب «المصلين» إذن تهكم، والمراد عدمه، أي الذين لا يصلون، أي ليسوا بمسلمين كقوله تعالى: قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين [المدثر: ٤٣، ٤٤] وقرينة التهكم وصفهم ب الذين هم عن صلاتهم ساهون وعلى القول بأنها مدنية أو أن هذه الآية وما بعدها منها مدنية يكون المرادبالمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون المنافقين. وروى هذا ابن وهب وأشهب عن مالك، فتكون الفاء في قوله: فويل للمصلين من هذه الجملة لربطها بما قبلها لأن الله أراد ارتباط هذا الكلام بعضه ببعض.وجيء في هذه الصفة بصيغة الجمع لأن المراد ب الذي يكذب بالدين: جنس المكذبين على أظهر الأقوال. فإن كان المراد به معينا على بعض تلك الأقوال المتقدمة كانت صيغة الجمع **تذييلا** يشمله وغيره فإنه واحد من المتصفين بصفة ترك الصلاة، وصفة الرياء، وصفة منع الماعون.وقوله: الذين هم عن صلاتهم ساهون صفة للمصلين مقيدة لحكم الموصوف فإن الويل للمصلي الساهي عن صلاته لا للمصلي على الإطلاق.فيكون قوله الذين هم عن صلاتهم ساهون ترشيحا للتهكم الواقع في إطلاق وصف المصلين عليهم.وعدي ساهون بحرف عن لإفادة أنهم تجاوزوا إقامة صلاتهم وتركوها ولا علاقة لهذه الآية بأحكام السهو في الصلاة.." (٢)

"السابقة بتمامها بما فيها من واو العطف في نظيرتها السابقة وتكون جملة: ولا أنا عابد ما عبدتم معترضة بين التأكيد والمؤكد.والمقصود من التأكيد تحقيق تكذيبهم في عرضهم أنهم يعبدون رب محمد صلى الله عليه وسلم.[٦][سورة الكافرون (١٠٩) : آية ٦]لكم دينكم ولي دين (٦)**تذييل** وفذلكة للكلام السابق بما فيه من التأكيدات، وقد أرسل هذا الكلام إرسال المثل وهو أجمع وأوجز من قول قيس بن الخطيم:نحن بما عندنا وأنت بما ... عندك راض والرأي مختلفووقع في «تفسير الفخر» هنا: «جرت عادة الناس بأن يتمثلوا بهذه الآية عند المتاركة وذلك غير جائز لأنه تعالى ما أنزل القرآن ليتمثل به بل ليتدبر فيه ثم يعمل بموجبه» اهـ.وهذا كلام غير محرر لأن التمثل به لا ينافي العمل بموجبه وما التمثل به إلا من تمام بلاغته واستعداد للعمل به. وهذا المقدار من التفسير تركه الفخر في المسودة.وقدم في كلتا الجملتين المسند على المسند إليه ليفيد قصر المسند إليه على المسند، أي دينكم مقصور على الكون بأنه لكم لا يتجاوزكم إلى الكون لي، وديني مقصور على

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٥٠٧/٣٠

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٥٦٧/٣٠

الكون بأنه لا يتجاوزني إلى كونه لكم، أي لأنهم محقق عدم إسلامهم. فالقصر قصر إفراد، واللام في الموضعين لشبه الملك وهو الاختصاص أو الاستحقاق.والدين: العقيدة والملة، وهو معلومات وعقائد يعتقدها المرء فتجري أعماله على مقتضاها، فلذلك سمي دينا لأن أصل معنى الدين المعاملة والجزاء.وقرأ الجمهور دين بدون ياء بعد النون على أن ياء المتكلم محذوفة للتخفيف مع بقاء الكسرة على النون. وقرأه يعقوب بإثبات الياء في الوصل والوقف. وقد كتبت هذه الكلمة في المصحف بدون ياء اعتمادا على حفظ الحفاظ لأن الذي يثبت الياء مثل يعقوب يشبع الكسرة إذ ليست الياء إلا مدة للكسرة فعدم رسمها في الخط لا يقتضي إسقاطها في اللفظ.." (١)

"ومقتضى الظاهر أن يقول: فسبح بحمده، لتقدم اسم الجلالة في قوله: إذا جاء نصر الله فعدل عن الضمير إلى الاسم الظاهر وهو ربك لما في صفة (رب) وإضافتها إلى ضمير المخاطب من الإيماء إلى أن من حكمة ذلك النصر والفتح ودخول الناس في الإسلام نعمة أنعم الله بها عليه إذا حصل هذا الخير الجليل بواسطته فذلك تكريم له وعناية به وهو شأن تلطف الرب بالمربوب، لأن معناه السيادة المرفوقة بالرفق والإبلاغ إلى الكمال.وقد انتهى الكلام عند قوله: واستغفره وقدروي: «أن النبيء صلى الله عليه وسلم كان في قراءته يقف عند واستغفره ثم يكمل السورة». إنه كان توابا **تذييل** للكلام السابق كله وتعليل لما يقتضي التعليل فيه من الأمر باستغفار ربه باعتبار الصريح من الكلام السابق كما سيتبين لك.وتواب: مثال مبالغة من تاب عليه. وفعل تاب المتعدي بحرف (على) يطلق بمعنى:وفق للتوبة، أثبته في «اللسان» و «القاموس» ، وهذا الإطلاق خاص بما أسند إلى الله.وقد اشتملت الجملة على أربع مؤكدات هي: إن، وكان، وصيغة المبالغة في التواب، وتنوين التعظيم فيه.وحيث كان توكيد ب (إن) هنا غير مقصود به رد إنكار ولا إزالة تردد إذ لا يفرضان في جانب المخاطب صلى الله عليه وسلم، فقد تمحض (إن) لإفادة الاهتمام بالخبر بتأكيده. وقد تقرر أن من شأن (إن) إذا جاءت على هذا الوجه أن تغني غناء فاء الترتيب والتسبب وتفيد التعليل وربط الكلام بما قبله كما تفيده الفاء، وقد تقدم غير مرة، منها عند قوله تعالى: إنك أنت العليم الحكيم في سورة البقرة [٣٢] ، فالمعنى: هو شديد القبول لتوبة عباده كثير قبوله إياها.وإذ قد كان الكلام **تذييلا** وتعليلا للكلام السابق تعين أن حذف متعلق توابا يقدر بنحو: على التائبين. وهذا المقدر مراد به العموم، وهو عموم." (٢)

"إلى الله والدا.وفيه الإيماء إلى أن من يكون مولودا مثل عيسى لا يكون إلها لأنه لو كان الإله مولودا لكان وجوده مسبوقا بعدم لا محالة، وذلك محال لأنه لو كان مسبوقا بعدم لكان مفتقرا إلى من يخصصه بالوجود بعد العدم، فحصل من مجموع جملة: لم يلد ولم يولدإبطال أن يكون الله والدا لمولود، أو مولودا من والد بالصراحة. وبطلت إلهية كل مولود بطريق الكناية فبطلت العقائد المبنية على تولد الإله مثل عقيدة (زرادشت) الثانوية القائلة بوجود إلهين: إله الخير وهو الأصل، وإله الشر وهو متولد عن إله الخير، لأن إله الخير وهو المسمى عندهم (يزدان) فكر فكرة سوء فتولد منه إله الشر المسمى عندهم (أهرمن) ، وقد أشار إلى مذهبهم أبو العلاء بقوله:قال أناس باطل زعمهم ... فراقبوا الله ولا تزعمنفكر (يزدان) على غرة

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٥٨٤/٣٠

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٥٩٦/٣٠

... فصيغ من تفكيره (أهرمن)وبطلت عقيدة النصارى بإلهية عيسى عليه السلام بتوهمهم أنه ابن الله وأن ابن الإله لا يكون إلا إلها بأن الإله يستحيل أن يكون له ولد فليس عيسى بابن لله، وبأن الإله يستحيل أن يكون مولودا بعد عدم. فالمولود المتفق على أنه مولود يستحيل أن يكون إلها فبطل أن يكون عيسى إلها.فلما أبطلت الجملة الأولى إلهية إله غير الله بالأصالة، وأبطلت الجملة الثانية إلهية غير الله بالاستحقاق، أبطلت هذه الجملة إلهية غير الله بالفرعية والتولد بطريق الكناية.وإنما نفي أن يكون الله والدا وأن يكون مولودا في الزمن الماضي، لأن عقيدة التولد ادعت وقوع ذلك في زمن مضى، ولم يدع أحد أن الله سيتخذ ولدا في المستقبل.[٤][سورة الإخلاص (١١٢) : آية ٤]ولم يكن له كفوا أحد (٤)في معنى **التذييل** للجمل التي قبلها لأنها أعم من مضمونها لأن تلك الصفات المتقدمة صريحها وكنايتها وضمنيها لا يشبهه فيها غيره، مع إفادة هذه انتفاء." (١)

"شبيه له فيما عداها مثل صفات الأفعال كما قال تعالى: إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له [الحج: ٧٣] .والواو في قوله: ولم يكن له كفوا اعتراضية، وهي واو الحال، كالواو في قوله تعالى: وهل نجازي إلا الكفور [سبأ: ١٧] فإنها **تذييل** لجملة ذلك جزيناهم بما كفروا [سبأ: ١٧] ، ويجوز كون الواو عاطفة إن جعلت الواو الأولى عاطفة فيكون المقصود من الجملة إثبات وصف مخالفته تعالى للحوادث وتكون استفادة معنى **التذييل** تبعا للمعنى، والنكت لا تتزاحم.والكفؤ: بضم الكاف وضم الفاء وهمزة في آخره. وبه قرأ نافع وأبو عمرو وأبو بكر عن عاصم وأبو جعفر، إلا أن الثلاثة الأولين حققوا الهمزة وأبو جعفر سهلها ويقال:«كفء» بضم الكاف وسكون الفاء وبالهمز، وبه قرأ حمزة ويعقوب، ويقال: كفوا بالواو عوض الهمز، وبه قرأ حفص عن عاصم وهي لغات ثلاث فصيحة.ومعناه: المساوي والمماثل في الصفات.وأحد هنا بمعنى إنسان أو موجود، وهو من الأسماء النكرات الملازمة للوقوع في حيز النفي.وحصل بهذا جناس تام مع قوله: قل هو الله أحد وتقديم خبر (كان) على اسمها للرعاية على الفاصلة وللاهتمام بذكر الكفؤ عقب الفعل المنفي ليكون أسبق إلى السمع.وتقديم المجرور بقوله: له على متعلقه وهو كفوا للاهتمام باستحقاق الله نفي كفاءة أحد له، فكان هذا الاهتمام مرجحا تقديم المجرور على متعلقه وإن كان الأصل تأخير المتعلق إذا كان ظرفا لغوا. وتأخيره عند سيبويه أحسن ما لم يقتض التقديم مقتض كما أشار إليه في «الكشاف» .وقد وردت في فضل هذه السورة أخبار صحيحة وحسنة استوفاها المفسرون. وثبتفي الحديث الصحيح في «الموطأ» و «الصحيحين» من طرق عدة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن».." (٢)

"روى مالك في «الموطأ» ، عن أنس بن مالك، قال: كان أبو طلحة أكثر أنصاري بالمدينة مالا، وكان أحب أمواله بئر حاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، فلما نزل قوله تعالى: لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون جاء أبو طلحة، فقال: «يا رسول الله إن الله قال: لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون، وإن أحب أموالي بئر حاء وإنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله، فقال

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٦١٩/٣٠

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٦٢٠/٣٠

النبيء صلى الله عليه وسلم فبخ (١) ذلك مال رابح، ذلك مال رابح، وقد سمعت ما قلت وإني أرى أن تجعلها في الأقربين، فقال: أفعل يا رسول الله. فجعلها لحسان بن ثابت، وأبي بن كعب.وقد بين الله خصال البر في قوله: ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس في سورة البقرة [١٧٧] .فالبر هو الوفاء بما جاء به الإسلام مما يعرض للمرء في أفعاله، وقد جمع الله بينه وبين التقوى في قوله: وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان [المائدة: ٢] فقابل البر بالإثم كما في قول النبيء صلى الله عليه وسلم في حديث النواس بن سمعان المتقدم آنفا.وقوله: وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم **تذييل** قصد به تعميم أنواع الإنفاق، وتبيين أن الله لا يخفى عليه شيء من مقاصد المنفقين، وقد يكون الشيء القليل نفيسا بحسب حال صاحبه كما قال تعالى: والذين لا يجدون إلا جهدهم [التوبة: ٧٩] .______________(١) في رواية يحيى بن يحيى عن مالك فبخ بفاء قبل الباء الموحدة ووقع في رواية عبد الله بن يوسف عن مالك في «صحيح البخاري» بخ بدون الفاء.." (١)

"وظاهر الآية أنه إذا تحققت الاستطاعة وجب الحج على المستطيع على الفور، وذلك يندرج تحت مسألة اقتضاء الأمر الفور أو عدم اقتضائه إياه، وقد اختلف علماء الإسلام في أن الحج واجب على الفور أو على التراخي. فذهب إلى أنه على الفور البغداديون من المالكية: ابن القصار، وإسماعيل بن حماد، وغيرهما، وتأولوه من قول مالك، وهو الصحيح من مذهب أبي حنيفة، وهو قول أحمد بن حنبل، وداوود الظاهري.وذهب جمهور العلماء إلى أنه على التراخي وهو الصحيح من مذهب مالك ورواية ابن نافع وأشهب عنه وهو قول الشافعي وأبي يوسف. واحتج الشافعي بأن الحج فرض قبل حج النبيء صلى الله عليه وسلم بسنين، فلو كان على الفور لما أخره لعذر لبينه أي لأنه قدوة للناس. وقال جماعة: إذا بلغ المرء الستين وجب عليه الفور بالحج إن كان مستطيعا خشية الموت، وحكاه ابن خويز منداد عن ابن القاسم.ومعنى الفور أن يوقعه المكلف في الحجة التي يحين وقتها أولا عند استكمال شرط الاستطاعة.وقوله: ومن كفر فإن الله غني عن العالمين ظاهره أنه مقابل قوله من استطاع إليه سبيلا فيكون المراد بمن كفر من لم يحج مع الاستطاعة، ولذلك قال جمع من المحققين: إن الإخبار عنه بالكفر هنا تغليظ لأمر ترك الحج. والمراد كفر النعمة. ويجوزأيضا أن يراد تشويه صنعه بأنه كصنيع من لا يؤمن بالله ورسله وفضيلة حرمه. وقال قوم:أراد ومن كفر بفرض الحج، وقال قوم بظاهره: إن ترك الحج مع القدرة عليه كفر. ونسب للحسن. ولم يلتزم جماعة من المفسرين أن يكون العطف للمقابلة وجعلوها جملة مستقلة.**كالتذييل**، بين بها عدم اكتراث الله بمن كفر به.وعندي أنه يجوز أن يكون المراد بمن كفر من كفر بالإسلام، وذلك تعريض بالمشركين من أهل مكة بأنه لا اعتداد بحجهم عند الله وإنما يريد الله أن يحج المؤمنون به والموحدون له.." (٢)

"تبيض وجوه وتسود وجوه» قال مالك: إنما هذه لأهل القبلة. يعني أنها ليست للذين تفرقوا واختلفوا من الأمم قبلنا بدليل قوله أكفرتم بعد إيمانكم ورواه أبو غسان مالك الهروي عن مالك عن ابن عمر، وروي مثل هذا عن ابن عباس، وعلى

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٤/٧

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٤/٢٤

هذا الوجه فالمراد الذين أحدثوا بعد إيمانهم كفرا بالردة أو بشنيع الأقوال التي تفضي إلى الكفر ونقض الشريعة، مثل الغرابية من الشيعة الذين قالوا بأن النبوءة لعلي، ومثل غلاة الإسماعيلية أتباع حمزة بن علي، وأتباع الحاكم العبيدي، بخلاف من لم تبلغ به مقالته إلى الكفر تصريحا ولا لزوما بينا مثل الخوارج والقدرية كما هو مفصل في كتب الفقه والكلام في حكم المتأولين ومن يؤول قولهم إلى لوازم سيئة.وذوق العذاب مجاز للإحساس وهو مجاز مشهور علاقته التقييد.[١٠٨، ١٠٩][سورة آل عمران (٣) : الآيات ١٠٨ إلى ١٠٩]تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وما الله يريد ظلما للعالمين (١٠٨) ولله ما في السماوات وما في الأرض وإلى الله ترجع الأمور (١٠٩)**تذييلات**، والإشارة في قوله تلك إلى طائفة من آيات القرآن السابقة من هذه السورة كما اقتضاه قوله نتلوها عليك بالحق.والتلاوة اسم لحكاية كلام لإرادة تبليغه بلفظه وهي كالقراءة إلا أن القراءة تختص بحكاية كلام مكتوب فيتجه أن تكون الطائفة المقصودة بالإشارة هي الآيات المبدوءة بقوله تعالى إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم [آل عمران: ٥٩] إلى هنا لأن ما قبله ختم **بتذييل** قريب من هذا **التذييل**، وهو قوله: ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم [آل عمران:٥٨] فيكون كل **تذييل** مستقلا بطائفة الجمل التي وقع هو عقبها.وخصت هذه الطائفة من القرآن بالإشارة لما فيها من الدلائل المثبتة صحة عقيدة الإسلام، والمبطلة لدعاوي الفرق الثلاث من اليهود والنصارى." (١)

"والمشركين، مثل قوله إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم [آل عمران: ٥٩] وقوله وما من إله إلا إله واحد [المائدة: ٧٤] الآية. وقوله فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم [آل عمران: ٦٦] الآية. وقوله إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه [آل عمران: ٦٨] الآية. وقوله ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة [آل عمران: ٧٩] الآية. وقوله وإذ أخذ الله ميثاق النبيين [آل عمران: ٨١] الآية. وقوله فأتوا بالتوراة فاتلوها [آل عمران: ٩٣] وقوله إن أول بيت وضعللناس للذي ببكة مباركا[آل عمران: ٩٦] ، وما تخلل ذلك من أمثال ومواعظ وشواهد.والباء في قوله بالحق للملابسة، وهي ملابسة الإخبار للمخبر عنه، أي لما في نفس الأمر والواقع، فهذه الآيات بينت عقائد أهل الكتاب وفصلت أحوالهم في الدنيا والآخرة.ومن الحق استحقاق كلا الفريقين لما عومل به عدلا من الله، ولذا قال وما الله يريد ظلما للعالمين أي لا يريد أن يظلم الناس ولو شاء ذلك لفعله، لكنه وعد بأن لا يظلم أحدا فحق وعده، وليس في الآية دليل للمعتزلة على استحالة إرادة الله تعالى الظلم إذ لا خلاف بيننا وبين المعتزلة في انتفاء وقوعه، وإنما الخلاف في جواز ذلك واستحالته.وجيء بالمسند فعلا لإفادة تقوى الحكم، وهو انتفاء إرادة ظلم العالمين عن الله تعالى، وتنكير (ظلما) في سياق النفي يدل على انتفاء جنس الظلم عن أن تتعلق به إرادة الله، فكل ما يعد ظلما في مجال العقول السليمة منتف أن يكون مراد الله تعالى.وقوله ولله ما في السماوات وما في الأرض [البقرة: ٢٨٤] عطف على **التذييل**: لأنه إذا كان له ما في السموات وما في الأرض فهو يريد صلاح حالهم، ولا حاجة له بإضرارهم إلا للجزاء على أفعالهم. فلا يريد ظلمهم، وإليه ترجع الأشياء كلها فلا يفوته ثواب محسن ولا جزاء مسيء.وتكرير اسم الجلالة ثلاث مرات في الجمل الثلاث التي بعد الأولى." (٢)

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٤/٤٦

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٤/٤٧

"(١١٥)تذييل للجمل المفتتحة بقوله تعالى: من أهل الكتاب أمة قائمة [آل عمران: ١١٣] إلى قوله من الصالحين [آل عمران: ١١٤] وقرأ الجمهور: تفعلوا- بالفوقية- فهو وعد للحاضرين، ويعلم منه أن الصالحين السابقين مثلهم، بقرينة مقام الامتنان، ووقوعه عقب ذكرهم، فكأنه قيل: وما تفعلوا من خير ويفعلوا. ويجوز أن يكون التفاتا لخطاب أهل الكتاب. وقرأه حمزة، والكسائي، وحفص، وخلف- بياء الغيبة- عائدا إلى أمة قائمة.والكفر: ضد الشكر أي هو إنكار وصول النعمة الواصلة. قال عنترة:نبئت عمرا غير شاكر نعمتي ... والكفر مخبثة لنفس المنعموقال تعالى واشكروا لي ولا تكفرون وأصل الشكر والكفر أيتعديا إلى واحد، ويكون مفعولهما النعمة كما في البيت. وقد يجعل مفعولهما المنعم على التوسع في حذف حرف الجر، لأن الأصل شكرت له وكفرت له. قال النابغة:شكرت لك النعمى وقد جمع بين الاستعمالين قوله تعالى واشكروا لي ولا تكفرون [البقرة: ١٥٢] وقد عدي تكفرون هنا إلى مفعولين: أحدهما نائب الفاعل، لأن الفعل ضمن معنى الحرمان. والضمير المنصوب عائد إلى خير بتأويل خير بجزاء فعل الخير على طريقة الاستخدام وأطلق الكفر هنا على ترك جزاء فعل الخير، تشبيها لفعل الخير بالنعمة. كأنفاعل الخير أنعم على الله تعالى بنعمته مثل قوله إن تقرضوا الله قرضا حسنا [التغابن: ١٧] فحذف المشبه ورمز إليه بما ه من لوازم العرفية. وهو الكفر، على أن في القرينة استعارة مصرحة مثل ينقضون عهد الله [البقرة: ٢٧] . وقد امتن الله علينا إذ جعل طاعتنا إياه كنعمة عليه تعالى، وجعل ثوابها شكرا، وترك ثوابها كفرا فنفاه. وسمى نفسه الشكور.وقد عدي الكفر أن هنا إلى النعمة على أصل تعديته.." (١)

"فأقبل أقوام لئام أذلة ... يعضون من غيظ رؤوس الأباهموقوله: عليكم على فيه للتعليل، والضمير المجرور ضمير المسلمين، وهو من تعليق الحكم بالذات بتقدير حالة معينة، أي على التئامكم وزوال البغضاء، كما فعل شاس بن قيس اليهودي فنزل فيه قوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين [آل عمران: ١٠٠] ، ونظير هذا التعليق قول الشاعر:لتقرعن على السن من ندم ... إذا تذكرت يوما بعض أخلاقيومن الغيظ (من) للتعليل. والغيظ: غضب شديد يلازمه إرادة الانتقام.وقوله: قل موتوا بغيظكم كلام لم يقصد به مخاطبون معينون لأنه دعاء على الذين يعضون الأنامل من الغيظ، وهم يفعلون ذلك إذا خلوا، فلا يتصور مشافهتهم بالدعاء على التعيين ولكنه كلام قصد إسماعه لكل من يعلم من نفسه الاتصاف بالغيظ على المسلمين وهو قريب من الخطاب الذي يقصد به عموم كل مخاطب نحو: ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤسهم [السجدة: ١٢] .والدعاء عليهم بالموت بالغيظ صريحه طلب موتهم بسبب غيظهم، وهو كناية عن ملازمة الغيظ لهم طول حياتهم إن طالت أو قصرت، وذلك كناية عن دوام سبب غيظهم، وهو حسن حال المسلمين، وانتظام أمرهم، وازدياد خيرهم، وفي هذا الدعاء عليهم بلزوم ألم الغيظ لهم، وبتعجيل موتهم به، وكل من المعنيين المكني بهما مراد هنا، والتكني بالغيظ وبالحسد عن كمال المغيظ منه المحسود مشهور، والعرب تقول: فلان محسد، أي هو في حالة نعمة وكمال.إن الله عليم بذات الصدور.تذييل لقوله: عضوا عليكم الأنامل من الغيظ وما بينها كالاعتراض أي أن الله مطلع عليهم وهو مطلعك على دخائلهم.." (٢)

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٥٩/٤

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٦٧/٤

"الدلالة على تكرمة الله تعالى إياهم بأن بشرهم بشرى لأجلهم كما في التصريح بذلك في قوله تعالى: ألم نشرح لك صدرك [الشرح: ١] .والبشرى اسم لمصدر بشر كالرجعى، والبشرى خبر بحصول ما فيه نفع ومسرة للمخبر به، فإن الله لما وعدهم بالنصر أيقنوا به فكان في تبيين سببه وهو الإمداد بالملائكة طمأنة لنفوسهم لأن النفوس تركن إلى الصور المألوفة.والطمأنة والطمأنينة: السكون وعدم الاضطراب، واستعيرت هنا ليقين النفس بحصول الأمر تشبيها للعلم الثابت بثبات النفس أي عدم اضطرابها، وتقدمت عند قوله تعالى: ولكن ليطمئن قلبي- في سورة البقرة [٢٦٠]-.وعطف ولتطمئن على بشرى فكان داخلا في حيز الاستثناء فيكون استثناء من علل، أي ما جعله الله لأجل شيء إلا لأجل أن تطمئن قلوبكم به.وجملة وما النصر إلا من عند الله تذييل أي كل نصر هو من الله لا من الملائكة. وإجراء وصفي العزيز الحكيم هنا لأنهما أولى بالذكر في هذا المقام، لأن العزيز ينصر من يريد نصره، والحكيم يعلم من يستحق نصره وكيف يعطاه.وقوله: ليقطع طرفا متعلق ب (النصر) باعتبار أنه علة لبعض أحوال النصر، أي ليقطع يوم بدر طرفا من المشركين.والطرف- بالتحريك- يجوز أن يكون بمعنى الناحية، ويخص بالناحية التي هي منتهى المكان، قال أبو تمام:كانت هي الوسط المحمي فاتصلت ... بها الحوادث حتى أصبحت طرفافيكون استعارة لطائفة من المشركين كقوله تعالى: أولم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها [الرعد: ٤١] ويجوز أن يكون بمعنى الجزء المتطرف من الجسد." (١)

"(١٢٩)تذييل لقوله: أو يتوب عليهم أو يعذبهم مشير إلى أن هذين الحالين على التوزيع بين المشركين، ولما كان مظنة التطلع لمعرفة تخصيص فريق دون فريق، أو تعميم العذاب، ذيله بالحوالة على إجمال حضرة الإطلاق الإلهية، لأن أسرار تخصيص كل أحد بما يعين له، أسرار خفية لا يعلمها إلا الله تعالى، وكل ميسر لما خلق له.[١٣٠- ١٣٢][سورة آل عمران (٣) : الآيات ١٣٠ إلى ١٣٢]يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربوا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون (١٣٠) واتقوا النار التي أعدت للكافرين (١٣١) وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون (١٣٢)لولا أن الكلام على يوم أحد لم يكمل، إذ هو سيعاد عند قوله تعالى: قد خلت من قبلكم سنن إلى قوله: يستبشرون بنعمة من الله ... [آل عمران: ١٧١] الآية لقلنا إن قوله: يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربوا اقتضاب تشريع، ولكنه متعين لأن نعتبره استطرادا في خلال الحديث عن يوم أحد، ثم لم يظهر وجه المناسبة في وقوعه في هذا الأثناء. قال ابن عطية: ولا أحفظ سببا في ذلك مرويا. وقال الفخر: من الناس من قال:لما أرشد الله المؤمنين إلى الأصلح لهم في أمر الدين والجهاد أتبع ذلك بما يدخل في الأمر والنهي فقال: يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربوا فلا تعلق لها بما قبلها.وقال القفال: لما أنفق المشركون على جيوشهم أموالا جمعوها من الربا، خيف أن يدعو ذلك المسلمين إلى الإقدام على الربا. وهذه مناسبة مستبعدة. وقال ابن عرفة: لما ذكر الله وعيد الكفار عقبه ببيان أن الوعيد لا يخصهم بل يتناول العصاة، وذكر أحد صورالعصيان وهي أكل الربا. وهو في ضعف ما قبله، وعندي بادىء ذي بدء أن لا حاجة إلى اطراد المناسبة، فإن مدة نزول السورة قابلة، لأن تحدث في خلالها حوادث ينزل فيها قرآن فيكون من جملة تلك." (٢)

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٧٨/٤

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٨٤/٤

"[سورة آل عمران (٣) : آية ١٣٦]أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين (١٣٦)استئناف للتنويه بسداد عملهم: من الاستغفار، وقبول الله منهم.وجيء باسم الإشارة لإفادة أن المشار إليهم صاروا أحرياء بالحكم الوارد بعد اسم الإشارة، لأجل تلك الأوصاف التي استوجبوا الإشارة لأجلها.وهذا الجزاء وهو المغفرة وعد من الله تعالى، تفضلا منه: بأن جعل الإقلاع عن المعاصي سببا في غفران ما سلف منها. وأما الجنات فإنما خلصت لهم لأجل المغفرة، ولو أخذوا بسالف ذنوبهم لما استحقوا الجنات فالكل فضل منه تعالى.وقوله: ونعم أجر العاملين **تذييل** لإنشاء مدح الجزاء. والمخصوص بالمدح محذوف تقديره هو. والواو للعطف على جملة جزاؤهم مغفرة فهو من عطف الإنشاء على الإخبار، وهو كثير في فصيح الكلام، وسمي الجزاء أجرا لأنه كان عن وعد للعامل بما عمل. والتعريف في (العاملين) للعهد أي: ونعم أجر العاملين هذا الجزاء، وهذا تفضيل له والعمل المجازى عليه أي إذا كان لأصناف العاملين أجور، كما هو المتعارف، فهذا نعم الأجر لعامل.[١٣٧][سورة آل عمران (٣) : آية ١٣٧]قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين (١٣٧)استئناف ابتدائي: تمهيد لإعادة الكلام على ما كان يوم أحد، وما بينهما استطراد، كما علمت آنفا، وهذا مقدمة التسلية والبشارة الآيتين. ابتدئت هاته المقدمة بحقيقة تاريخية: وهي الاعتبار بأحوال الأمم الماضية.." (١)

"قياسيا. وفي القرآن إطلاق السنة على هذا المعنى كثيرا: فلن تجد لسنت الله تبديلا [فاطر: ٤٣] وفسروا السنن هنا بسنن الله في الأمم الماضية.والمعنى: قد مضت من قبلكم أحوال للأمم، جارية على طريقة واحدة، هي عادة الله في الخلق، وهي أن قوة الظالمين وعتوهم على الضعفاء أمر زائل، والعاقبة للمتقين المحقين، ولذلك قال: فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين أي المكذبين برسل ربهم وأريد النظر في آثارهم ليحصل منه تحقق ما بلغ من أخبارهم، أو السؤال عن أسباب هلاكهم، وكيف كانوا أولي قوة، وكيف طغوا على المستضعفين، فاستأصلهم الله أو لتطمئن نفوس المؤمنين بمشاهدة المخبر عنهم مشاهدة عيان، فإن للعيانبديع معنى لأن بلغتهم أخبار المكذبين، ومن المكذبين عاد وثمود وأصحاب الأيكة وأصحاب الرس، وكلهم في بلاد العرب يستطيعون مشاهدة آثارهم، وقد شهدها كثير منهم في أسفارهم.وفي الآية دلالة على أهمية علم التاريخ لأن فيه فائدة السير في الأرض، وهي معرفة أخبار الأوائل، وأسباب صلاح الأمم وفسادها. قال ابن عرفة: «السير في الأرض حسي ومعنوي، والمعنوي هو النظر في كتب التاريخ بحيث يحصل للناظر العلم بأحوال الأمم، وما يقرب من العلم، وقد يحصل به من العلم ما لا يحصل بالسير في الأرض لعجز الإنسان وقصوره» .وإنما أمر الله بالسير في الأرض دون مطالعة الكتب لأن في المخاطبين من كانوا أميين، ولأن المشاهدة تفيد من لم يقرأ علما وتقوى علم من قرأ التاريخ أو قص عليه.[١٣٨][سورة آل عمران (٣) : آية ١٣٨]هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين (١٣٨)**تذييل** يعم المخاطبين الحاضرين ومن يجيء بعدهم من الأجيال، والإشارة إما إلى ما تقدم بتأويل المذكور، وإما إلى حاضر في الذهن عند تلاوة الآية وهو القرآن.." (٢)

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٩٥/٤

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٩٧/٤

"مؤجلا يؤكد معنى إلا بإذن الله لأن قوله: بإذن الله يفيد أن له وقتا قد يكون قريبا وقد يكون بعيدا فهو كقوله تعالى: كتاب الله عليكم [النساء:٢٤] بعد قوله: حرمت عليكم أمهاتكم [النساء: ٢٣] الآية.ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين.عطف على الجملة المعترضة.أي من يرد الدنيا دون الآخرة، كالذي يفضل الحياة على الموت في سبيل الله أو كالذين استعجلوا للغنيمة فتسببوا في الهزيمة، وليس المراد أن من أراد ثواب الدنيا وحظوظها يحرم من ثواب الآخرة وحظوظها، فإن الأدلة الشرعية دلت على أن إرادة خير الدنيا مقصد شرعي حسن، وهل جاءت الشريعة إلا لإصلاح الدنيا والإعداد لحياة الآخرة الأبدية الكاملة، قال الله تعالى: فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة [آل عمران:١٤٨] وقال تعالى: قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين أي الغنيمة أو الشهادة، وغير هذا من الآيات والأحاديث كثير. وجملة وسنجزي الشاكرين تذييل يعم الشاكرين ممن يريد ثواب الدنيا ومن يريد ثواب الآخرة. ويعم الجزاء كل بحسبه، أي يجزي الشاكرين جزاء الدنيا والآخرة أو جزاء الدنيا فقط.[١٤٦- ١٤٨][سورة آل عمران (٣) : الآيات ١٤٦ إلى ١٤٨]وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين (١٤٦) وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين (١٤٧) فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين." (١)

"وقوله: فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة إعلام بتعجيل إجابة دعوتهم لحصول خيري الدنيا والآخرة، فثواب الدنيا هو الفتح والغنيمة، وثواب الآخرة هو ما كتب لهم حينئذ من حسن عاقبة الآخرة، ولذلك وصفه بقوله: وحسن ثواب الآخرة لأنه خير وأبقى. وتقدم الكلام على الثواب عند قوله تعالى- في سورة البقرة [١٠٣]- لمثوبة من عند الله خير.وجملة والله يحب المحسنين تذييل أي يحب كل محسن، وموقع التذييل يدل على أن المتحدث عنهم هم من الذين أحسنوا، فاللام للجنس المفيد معنى الاستغراق، وهذه من أكبر الأدلة على أن (ال) الجنسية إذا دخلت على جمع أبطلت منه معنى الجمعية، وأن الاستغراق المفاد من (ال) إذا كان مدخولها مفردا وجملة سواء.[١٤٩، ١٥٠][سورة آل عمران (٣) : الآيات ١٤٩ إلى ١٥٠]يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين (١٤٩) بل الله مولاكم وهو خير الناصرين (١٥٠)استئناف ابتدائي للانتقال من التوبيخ واللوم والعتاب إلى التحذير، ليتوسل منه إلى معاودة التسلية، على ما حصل من الهزيمة، وفي ضمن ذلك كله، من الحقائق الحكمية والمواعظ الأخلاقية والعبر التاريخية، ما لا يحصيه مريد إحصائه.والطاعة تطلق على امتثال أمر الآمر وهو معروف، وعلى الدخول تحت حكمالغالب، فيقال طاعت قبيلة كذا وطوع الجيش بلاد كذا.والذين كفروا شائع في اصطلاح القرآن أن يراد به المشركون، واللفظ صالح بالوضع لكل كافر من مشرك وكتابي، مظهر أو منافق.والرد على الأعقاب: الارتداد، والانقلاب: الرجوع، وقد تقدم القول فيهما عند قوله: أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم [آل عمران: ١٤٤] فالظاهر أنه." (٢)

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١١٥/٤

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١٢١/٤

"عصياننا لأن المقام ليس مقام اجتهاد، فإن شأن الحرب الطاعة للقائد من دون تأويل، أو لأن التأويل كان بعيدا فلم يعذروا فيه، أو لأنه كان تأويلا لإرضاء حب المال، فلم يكن مكافئا لدليل وجوب طاعة الرسول.وإنما قال: ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ليدل على أن ذلك الصرف بإذن الله وتقديره، كما كان القتل بإذن الله وأن حكمته الابتلاء، ليظهر للرسول وللناس من ثبت على الإيمان من غيره، ولأن في الابتلاء أسرارا عظيمة في المحاسبة بين العبد وربه سبحانه وقد أجمل هذا الابتلاء هنا وسيبينه.وعقب هذا الملام بقوله: ولقد عفا عنكم تسكينا لخواطرهم، وفي ذلك تلطف معهم على عادة القرآن في تقريع المؤمنين، وأعظم من ذلك تقديم العفو على الملام في ملام الرسول- عليه السلام- في قوله تعالى: عفا الله عنك لم أذنت لهم [التوبة: ٤٣] ، فتلك رتبة أشرف من رتبة تعقيب الملام بذكر العفو، وفيه أيضا دلالة على صدق إيمانهم إذعجل لهم الإعلام بالعفو لكيلا تطير نفوسهم رهبة وخوفا من غضب الله تعالى.وفي **تذييله** بقوله: والله ذو فضل على المؤمنين تأكيد ما اقتضاه قوله: ولقد عفا عنكم والظاهر أنه عفو لأجل التأويل، فلا يحتاج إلى التوبة، ويجوز أن يكون عفوا بعد ما ظهر منهم من الندم والتوبة، ولأجل هذا الاحتمال لم تكن الآية صالحة للاستدلال على الخوارج والمعتزلة القائلين بأن المعصية تسلب الإيمان.[١٥٣][سورة آل عمران (٣) : آية ١٥٣]إذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم فأثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم والله خبير بما تعملون." (١)

"وكلمة من بعده هنا مستعملة في لازم معناها وهو المغايرة والمجاوزة: أي فمن الذي ينصركم دونه أو غيره أي دون الله، فالضمير ضمير اسم الجلالة لا محالة، واستعمال (بعد) في مثل هذا شائع في القرآن قال تعالى: فمن يهديه من بعد الله [الجاثية: ٢٣] وأصل هذا الاستعمال أنه كالتمثيلية المكنية: بأن مثلت الحالة الحاصلة من تقدير الانكسار بحالة من أسلم الذي استنصر به وخذله فتركه وانصرف عنه لأن المقاتل معك إذا ولى عنك فقد خذللك فحذف ما يدل على الحالة المشبه بها ورمز إليه بلازمة وهو لفظ من بعده.وجملة وعلى الله فليتوكل المؤمنون **تذييل** قصد به الأمر بالتوكل المستند إلى ارتكاب أسباب نصر الله تعالى: من أسباب عادية وهي الاستعداد، وأسباب نفسانية وهي تزكية النفس واتباع رضى الله تعالى.[١٦١][سورة آل عمران (٣) : آية ١٦١]وما كان لنبي أن يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون (١٦١)الأظهر أنه عطف على مجموع الكلام عطف الغرض رعلى الغرض وموقعه عقب جملة: إن ينصركم الله فلا غالب لكم [آل عمران: ١٦٠] . الآية لأنها أفادت أن النصر بيد الله والخذل بيده، وذلك يستلزم التحريض على طلب مرضاته ليكون لطيفا بمن يرضونه. وإذ قد كانت هذه النصائح والمواعظ موجهة إليهم ليعملوا بها فيما يستقبل من غزواتهم، نبهوا إلى شيء يستخف به الجيش في الغزوات، وهو الغلول ليعلموا أن ذلك لا يرضي الله تعالى فيحذروه ويكونوا مما هو أدعى لغضب الله أشد حذرا فهذه مناسبة التحذير من الغلول ويعضد ذلك أن سبب هزيمتهم يوم أحد هو تعجلهم إلى أخذ الغنائم.والغلول: تعجل بأخذ شيء من غال الغنيمة.ولا تجد غير هذا يصلح لأن يكون مناسبا

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٤/١٣٠

لتعقيب آية النصر بآية الغلول، فإن غزوةأحد التي أتت السورة على قصتها لم يقع فيها غلول ولا كائن للمسلمين فيها غنيمة وما ذكره بعض المفسرين من قضية غلول وقعت يوم بدر." (١)

"وضمير يستبشرون بنعمة من الله يجوز أن يعود إلى الذين لم يلحقوا بهم فتكون الجملة حالا من الذين لم يلحقوا بهم أي لا خوف عليهم ولا حزن فهم مستبشرون بنعمة من الله، ويحتمل أن يكون تكريرا لقوله: ويستبشرون بالذين لم يلحقوا والضمير ل الذين قتلوا في سبيل الله، وفائدة التكرير تحقيق معنى البشارة كقوله: ربنا هؤلاء الذين أغوينا أغويناهم كما غوينا [القصص: ٦٣] فكرر أغويناهم، ولأن هذا استبشار منه عائد لأنفسهم، ومنه عائد لرفاقهم الذين استجابوا لله من بعد القرح، والأولى عائدة لإخوانهم. والنعمة: هي ما يكون به صلاح، والفضل: الزيادة في النعمة.وقوله: وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين قرأه الجمهور- بفتح همزة (أن) – على أنه عطف على بنعمة من الله وفضل، والمقصود من ذلك تفخيم ما حصل لهم من الاستبشار وانشراح الأنفس بأن جمع الله لهم المسرة الجثمانية الجزئية والمسرة العقلية الكلية، فإن إدراك الحقائق الكلية لذة روحانية عظيمة لشرف الحقائق الكلية وشرف العلم بها، وحصول المسرة للنفس من انكشافها لها وإدراكها، أي استبشروا بأن علموا حقيقة كلية وسرا جليلا من أسرار العلم بصفات الله وكمالاته، التي تعم آثارها، أهل الكمال كلهم، فتشمل الذين أدركوها وغيرهم، ولولا هذا المعنى الجليل لم يكن داع إلى زيادة وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين إذ لم يحصل بزيادته زيادة نعمة وفضل للمستبشرين من جنس النعمة والفضل الأولين، بل حصلت نعمة وفضل آخران. وقرأه الكسائي- بكسر همزة (إن) – على أنه عطف على جملة يستبشرون في معنى **التذييل** فهو غير داخل فيما استبشر به الشهداء. ويجوز أن تكون الجملة على هذا الوجه ابتداء كلام، فتكون الواو للاستئناف.وجملة الذين استجابوا لله والرسول صفة للمؤمنين أو مبتدأ خبره للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم وهذه الاستجابة تشير إلى ما وقع إثر أحد من الإرجاف بأن المشركين، بعد أن بلغوا الروحاء، خطر لهم أن لو لحقوا المسلمين فاستأصلوهم. وقد مر ذكر هذا وما وقع لمعبد بن أبي معبد الخزاعي عند قوله." (٢)

"ضمير الفصل عليه، فعلى قراءة الفوقية فالمحذوف مضاف حل المضاف إليه محله، أي لا تحسبن الذين يبخلون خيرا وعلى قراءة التحتية: ولا يحسبن الذين يبخلون بخلهم خيرا.والبخل- بضم الباء وسكون الخاء- ويقال: بخل بفتحهما، وفعله في لغة أهل الحجاز مضموم العين في الماضي والمضارع. وبقية العرب تجعله بكسر العين في الماضي وفتحها في المضارع، وبلغة غير أهل الحجاز جاء القرآن لخفة الكسرة والفتحة ولذا لم يقرأ إلا بها. وهو ضد الجود، فهو الانقباض عن إعطاء المال بدون عوض، هذا حقيقته، ولا يطلق على منع صاحب شيء غير مال أن ينتفع غيره بشيئه بدون مضرة عليه إلا مجازا، وقدورد في أثر عن النبيء صلى الله عليه وسلم: «البخيل الذي أذكر عنده فلا يصلي علي»ويقولون:بخلت العين بالدموع، ويرادف البخل الشح، كما يرادف الجود السخاء والسماح.وقوله: بل هو شر لهم تأكيد لنفي كونه خيرا، كقول امرئ القيس:«وتعطو برخص غير شثن» وهذا كثير في كلام العرب، على أن في هذا المقام إفادة نفي توهم الواسطة بين الخير والشر.وجملة سيطوقون واقعة موقع العلة لقوله: بل هو شر لهم.ويطوقون يحتمل أنه مشتق من الطاقة، وهي تحمل ما

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٤/١٥٤

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٤/١٦٧

فوق القدرة أي سيحملون ما بخلوا به، أي يكون عليهم وزرا يوم القيامة، والأظهر أنه مشتق من الطوق، وهو ما يلبس تحت الرقبة فوق الصدر، أي تجعل أموالهم أطواقا يوم القيامة فيعذبون بحملها، وهذاكقوله صلى الله عليه وسلم: «من اغتصب شبرا من أرض طوقه من سبع أرضين يوم القيامة». والعرب يقولون في أمثالهم تقلدها (أي الفعلة الذميمة) طوق الحمامة. وعلى كلا الاحتمالين فالمعنى أنهم يشهرون بهذه المذمة بين أهل المحشر، ويلزمون عقاب ذلك. وقوله: ولله ميراث السماوات والأرض **تذييل** لموعظة الباخلين وغيرهم: بأن المال مال الله، وما منبخيل إلا سيذهب ويترك ماله، والمتصرف." (١)

"الذين يفرحون [آل عمران: ١٨٨]- بتاء الخطاب- يكون خطابا لغير معين ليعم كل مخاطب، ويكون قوله: فلا تحسبنهم اعتراضا بالفاء أيضا والخطاب للنبيء صلى الله عليه وسلم مع ما في حذفالمفعول الثاني لفعل الحسبان الأول، وهو محل الفائدة، من تشويق السامع إلى سماع المنهي عن حسبانه. وقرأ الجمهور فلا تحسبنهم:- بفتح الباء الموحدة- على أن الفعل لخطاب الواحد وقرأه ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب- بضم الباء الموحدة- على أنه لخطاب الجمع، وحيث إنهما قرءا أوله- بياء الغيبة- فضم الباء- يجعل فاعل (يحسبن) ومفعوله متحدين أي لا يحسبون أنفسهم، واتحاد الفاعل والمفعول للفعل الواحد من خصائص أفعال الظن كما هنا وألحقت بها أفعال قليلة، وهي: (وجد) و (عدم) و (فقد) .وأما سين «تحسبنهم» فالقراءات مماثلة لما في سين يحسبن.[١٨٩][سورة آل عمران (٣) : آية ١٨٩]ولله ملك السماوات والأرض والله على كل شيء قدير (١٨٩)**تذييل** بوعيد يدل على أن الله لا يخفى عليه ما يكتمون من خلائقهم.[١٩٠-١٩٤][سورة آل عمران (٣) : الآيات ١٩٠ إلى ١٩٤]إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب (١٩٠) الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار (١٩١) ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار (١٩٢) ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار (١٩٣) ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد." (٢)

"لأنه حقه فله أن لا يفعله، وإن لوحظ ما فيه من تحقيق مقصد الشريعة من رفع التهارج وقع الخصومات، كان الإشهاد واجبا نظير ما تقدم في قوله تعالى: إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه [البقرة: ٢٨٢] وللشريعة اهتمام بتوثيق الحقوق لأن ذلك أقوم لنظام المعاملات. وأياما كان فقد جعل الله الوصي غير مصدق في الدفع إلا ببينة عند مالك قال ابن الفرس: لولا أنه يضمن إذا أنكره المحجور لم يكن للأمر بالتوثق فائدة، ونقل الفخر عن الشافعي موافقة قول مالك، إلا أن الفخر احتج بأن ظاهر الأمر للوجوب وهو احتجاج واه لأنه لا أثر لكون الأمر للوجوب أو للندب في ترتب حكم الضمان، إذ الضمان من آثار خطاب الوضع، وسببه هو انتفاء الإشهاد، وأما الوجوب والندب فمن خطاب التكليف وأثرهما العقاب والثواب. وقال أبو حنيفة: هو مصدق بيمينه لأنه عده أمينا، وقيل: لأنه رأى الأمر للندب. وقد علمت أن

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٨٢/٤

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١٩٥/٤

محمل الأمر بالإشهاد لا يؤثر في حكم الضمان. وجاء بقوله: وكفى بالله حسيبا **تذييلا** لهذه الأحكام كلها، لأنها وصيات وتحريضات فوكلالأمر فيها إلى مراقبة الله تعالى. والحسيب: المحاسب. والباء زائدة للتوكيد.[٧][سورة النساء (٤) : آية ٧]للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا (٧)استئناف ابتدائي، وهو جار مجرى النتيجة لحكم إيتاء أموال اليتامى، ومجرى المقدمة لأحكام المواريث التي في قوله تعالى: يوصيكم الله في أولادكم [النساء: ١١] .ومناسبة تعقيب الآي السابقة بها: أنهم كانوا قد اعتادوا إيثار الأقوياء والأشداء بالأموال، وحرمان الضعفاء، وإبقاءهم عالة على أشدائهم حتى يكونوا في مقادتهم، فكان الأولياء يمنعون عن محاجيرهم أموالهم، وكان أكبر العائلة يحرم إخوته من الميراث معه فكان أولئك لضعفهم يصبرون على الحرمان، ويقنعون بالعيش في ظلال أقاربهم، لأنهم إن نازعوهم أطردوهم وحرموهم، فصاروا عالة على الناس.وأخص الناس بذلك النساء فإنهن يجدن ضعفا من أنفسهن، ويخشين عار الضيعة." (١)

"ختم هذه الفرائض المتعلقة بالأولاد والوالدين، وهي أصول الفرائض بقوله:آباؤكم وأبناؤكم الآية، فهما إما مسند إليهما قد ما للاهتمام، وليتمكن الخبر في ذهن السامع إذ يلقي سمعه عند ذكر المسند إليهما بشراشره، وإما أن تجعلهما خبرين عن مبتدأ محذوف هو المسند إليه، على طريقة الحذف المعبر عنه عند علماء المعاني بمتابعة الاستعمال، وذلك عند ما يتقدم حديث عن شيء ثم يراد جمع الخبر عنه كقول الشاعر:فتى غير محجوب الغنى عن صديقه ... ولا مظهر الشكوى إذا النعل وزلتبعد قوله:سأشكر عمرا إن تدانت منيتي ... أيادي لم تمنن وإن هي جلتأي: المذكورون آباؤكم وأبناؤكم لا شك في ذلك. ثم قال: لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا فهو إما مبتدأ وإما حال، بمعنى أنهم غير مستوين في نفعكم متفاوتون تفاوتايتبع تفاوت الشفقة الجبلية في الناس ويتبع البرور ومقدار تفاوت الحاجات. فرب رجل لم تعرض له حاجة إلى أن ينفعه أبواه وأبناؤه، وربما عرضت حاجات كثيرة في الحالين، وربما لم تعرض فهم متفاوتون من هذا الاعتبار الذي كان يعتمده أهل الجاهلية في قسمة أموالهم، فاعتمدوا أحوالا غير منضبطة ولا موثوقا بها، ولذلك قال تعالى: لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا فشرع الإسلام ناط الفرائض بما لا يقبل التفاوت وهي الأبوة والبنوة، ففرض الفريضة لهم نظرا لصلتهم الموجبة كونهم أحق بمال الأبناء أو الآباء.**والتذييل** بقوله: الله كان عليما حكيما واضح المناسبة.[١٢][سورة النساء (٤) : آية ١٢]ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد فإن كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار وصية من الله والله عليم حليم (١٢)ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد فإن كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين.." (٢)

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٤٧/٤

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٦٢/٤

"يوصيكم الله بذلك وصية منه فهو ختم للأحكام بمثل ما بدئت بقوله: يوصيكم الله [النساء: ١١] وهذا من رد العجز على الصدر.وقوله: والله عليم حليم **تذييل**، وذكر وصف العلم والحلم هنا لمناسبة أن الأحكام المتقدمة إبطال لكثير من أحكام الجاهلية، وقد كانوا شرعوا مواريثهم تشريعا مثاره الجهل والقساوة. فإن حرمان البنت والأخ للأم من الإرث جهل بأن صلة النسبة من جانب الأم مماثلة لصلة نسبة جانب الأب. فهذا ونحوه جهل، وحرمانهم الصغار من الميراث قساوة منهم.وقد بينت الآيات في هذه السورة الميراث وأنصباءه بين أهل أصول النسب وفروعه وأطرافه وعصمة الزوجية، وسكتت عما عدا ذلك من العصبة وذوي الأرحام وموالي العتاقة وموالي الحلف، وقد أشار قوله تعالى: وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله في سورة الأنفال [٧٥] وقوله: وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله في سورة الأحزاب [٦] إلى ما أخذ منه كثير من الفقهاء توريث ذوي الأرحام.وأشار قوله الآتي قريبا ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والأقربون والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم [النساء: ٣٣] إلى ما يؤخذ منه التوريث بالولاء على الإجمال كما سنبينه، وبين النبيء صلى الله عليه وسلم توريث العصبة بمارواه رواه أهل الصحيح عن ابن عباس أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: «ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقي فهو لأولى رجل ذكر»ومارواه الخمسة- غير النسائي- عن أبي هريرة: أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: «أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم فمن مات وترك مالا فماله لموالي العصبة ومن ترك كلا أو ضياعا فأنا وليه»وسنفصل القول في ذلك في مواضعه المذكورة.[١٣، ١٤][سورة النساء (٤) : الآيات ١٣ إلى ١٤]تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم (١٣) ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين (١٤)." (١)

"وقال ابن مسعود، وابن عباس، والضحاك، وقتادة: الفاحشة هنا البغض والنشوز، فإذا نشزت جاز له أن يأخذ منها. قال ابن عطية: وظاهر قول مالك بإجازة أخذ الخلع عن الناشز يناسب هذا إلا أني لا أحفظ لمالك نصا في الفاحشة في هذه الآية.وقرأ الجمهور: مبينة- بكسر التحتية- اسم فاعل من بين اللازم بمعنى تبين، كما في قولهم في المثل «بين الصبح لذي عينين» . وقرأه ابن كثير، وأبو بكر عن عاصم، وخلف- بفتح التحتية- اسم مفعول من بين المتعدي أي بينها وأظهرها بحيث أشهد عليهن بها.عاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيراأعقب النهي عن إكراه النساء والإضرار بهن بالأمر بحسن المعاشرة معهن، فهذا اعتراض فيه معنى **التذييل** لما تقدم من النهي، لأن حسن المعاشرة جامع لنفي الإضرار والإكراه، وزائد بمعاني إحسان الصحبة.والمعاشرة مفاعلة من العشرة وهي المخالطة، قال ابن عطية: وأرى اللفظة من أعشار الجزور لأنها مقاسمة ومخالطة، أي فأصل الاشتقاق من الاسم الجامد وهو عدد العشرة. وأنا أراها مشتقة من العشيرة أي الأهل، فعاشره جعله من عشيرته، كما يقال:آخاه إذا جعله أخا. أما العشيرة فلا يعرف أصل اشتقاقها. وقد قيل: إنها من العشرة أي اسم العدد وفيه نظر.والمعروف ضد المنكر وسمي الأمر المكروه منكرا لأن النفوس لا

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٤/٢٦٧

تأنس به، فكأنه مجهول عندها نكرة، إذ الشأن أن المجهول يكون مكروها ثم أطلقوا اسم المنكر على المكروه، وأطلقوا ضده على المحبوب لأنه تألفه النفوس. والمعروف هنا ما حدده الشرع ووصفه العرف.." (١)

"عليه وسلم. وقد كان بعض المسلمين في الزمن الأول يتوهم أن أمة الرجل إذا زوجها من زوج لا يحرم على السيد قربانها، مع كونها ذات زوج. وقد رأيت منقولا عن مالك: أن رجلا من ثقيف كان فعل ذلك في زمان عمر، وأن عمر سأله عن أمته التي زوجها وهل يطؤها، فأنكر، فقال له: لو اعترفت لجعلتك نكالا.وقوله: كتاب الله عليكم **تذييل**، وهو تحريض على وجوب الوقوف عند كتاب الله، ف عليكم نائب مناب (الزموا) ، وهو مصير بمعنى اسم الفعل، وذلك كثير في الظروف والمجرورات المنزلة منزلة أسماء الأفعال بالقرينة، كقولهم: إليك، ودونك، وعليك. وكتاب الله مفعوله مقدم عليه عند الكوفيين، أو يجعل منصوبا ب (عليكم) محذوفا دل عليه المذكور بعده، على أنه تأكيد له، تخريجا على تأويل سيبويه في قول الراجز: يا أيها المائح دلوي دونك ... إني رأيت الناس يحمدونكويجوز أن يكون كتاب مصدرا نائبا مناب فعله، أي كتب الله ذلك كتابا، وعليكم متعلقا به.وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين.عطف على قوله: حرمت عليكم أمهاتكم [النساء: ٢٣] وما بعده، وبذلك تلتئمالجمل الثلاث في الخبرية المراد بها الإنشاء، وفي الفعلية والماضوية.وقرأ الجمهور: وأحل لكم بالبناء للفاعل، والضمير المستتر عائد إلى اسم الجلالة من قوله: كتاب الله عليكم.وأسند التحليل إلى الله تعالى إظهارا للمنة، ولذلك خالف طريقة إسناد التحريم إلى المجهول في قوله: حرمت عليكم أمهاتكم لأن التحريم مشقة فليس المقام فيه مقام منة.وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم، وأبو جعفر: وأحل- بضم الهمزة وكسر الحاء- على البناء للنائب على طريقة حرمت عليكم أمهاتكم.." (٢)

"وقوله: والله أعلم بإيمانكم اعتراض جمع معاني شتى، أنه أمر، وقيد للأمر في قوله تعالى: ومن لم يستطع منكم طولا إلخ وقد تحول الشهوة والعجلة دون تحقيق شروط الله تعالى، فأحالهم على إيمانهم المطلع عليه ربهم. ومن تلك المعاني أنه تعالى أمر بنكاح الإماء عند العجز عن الحرائر، وكانوا في الجاهلية لا يرضون بنكاح الأمة وجعلها حليلة، ولكن يقضون منهن شهواتهم بالبغاء، فأراد الله إكرام الإماء المؤمنات، جزاء على إيمانهن، وإشعارا بأن وحدة الإيمان قربت الأحرار من العبيد، فلما شرع ذلك كله ذيله بقوله: والله أعلم بإيمانكم، أي بقوته، فلما كان الإيمان، هو الذي رفع المؤمنين عند الله درجات كان إيمان الإماء مقنعا للأحرار بترك الاستنكاف عن تزوجهن، ولأنه رب أمة يكون إيمانها خيرا من إيمان رجل حر، وهذا كقوله إن أكرمكم عند الله أتقاكم [الحجرات: ١٣] . وقد أشار إلى هذا الأخير صاحب «الكشاف» ، وابن عطية.وقوله: بعضكم من بعض **تذييل** ثان أكد به المعنى الثاني المراد من قوله: واللهأعلم بإيمانكمفإنه بعد أن قرب إليهم الإماء من جانب الوحدة الدينية قربهن إليهم من جانب الوحدة النوعية، وهو أن الأحرار والعبيد كلهم من بني آدم ف (من) اتصالية.وفرع عن الأمر بنكاح الإماء بيان كيفية ذلك فقال: فانكحوهن بإذن أهلهن وشرط الإذن لئلا يكون سرا وزنى، ولأن نكاحهن دون ذلك اعتداء على حقوق أهل الإماء.والأهل هنا بمعنى السادة المالكين، وهو إطلاق شائع على

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٨٦/٤

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٧/٥

سادة العبيد في كلام الإسلام. وأحسب أنه من مصطلحات القرآن تلطفا بالعبيد، كما وقع النهي أن يقول العبد لسيده: سيدي، بل يقول: مولاي. ووقع في حديث بريرة «أن أهلها أبوا إلا أن يكون الولاء لهم» .والآية دليل على ولاية السيد لأمته، وأنه إذا نكحت الأمة بدون إذن السيد فالنكاح مفسوخ، ولو أجازه سيدها. واختلف في العبد: فقال الشعبي: والأوزاعي، وداود: هو كالأمة. وقال مالك، وأبو حنيفة، وجماعة من التابعين: إذا أجازه السيد جاز، ويحتج بها لاشتراط أصل الولاية في المرأة، احتجاجا ضعيفا، واحتج بها." (١)

"وقوله: ذلك لمن خشي العنت منكم إشارة إلى الحكم الصالح لأن يتقيد بخشية العنت، وذلك الحكم هو نكاح الإماء.والعنت: المشقة، قال تعالى: ولو شاء الله لأعنتكم [البقرة: ٢٢٠] وأريد به هنا مشقة العزبة التي تكون ذريعة إلى الزنا، فلذلك قال بعضهم: أريد العنت الزنا.وقوله: وأن تصبروا خير لكم أي إذا استطعتم الصبر مع المشقة إلى أن يتيسر له نكاح الحرة فذلك خير، لئلا يوقع أبناءه في ذل العبودية المكروهة للشارع لولا الضرورة، ولئلا يوقع نفسه في مذلة تصرف الناس في زوجه.وقوله: والله غفور رحيم أي إن خفتم العنت ولم تصبروا عليه، وتزوجتم الإماء، وعليه فهو مؤكد لمعنى الإباحة. مؤذن بأن إباحة ذلك لأجل رفع الحرج، لأن الله رحيم بعباده. غفور فالمغفرة هنا بمعنى التجاوز عما ما يقتضي مقصد الشريعة تحريمه، فليس هنا ذنب حتى يغفر.[٢٦][سورة النساء (٤) : آية ٢٦]يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم (٢٦)**تذييل** يقصد منه استئناس المؤمنين واستنزال نفوسهم إلى امتثال الأحكام المتقدمة من أول السورة إلى هنا، فإنها أحكام جمة وأوامر ونواه تفضي إلى خلع عوائد ألفوها، وصرفهم عن شهوات استباحوها، كما أشار إليه قوله بعد هذا ويريد الذين يتبعونالشهوات[النساء: ٢٧] ، أي الاسترسال على ما كانوا عليه في الجاهلية، فأعقب ذلك ببيان أن في ذلك بيانا وهدى. حتى لا تكون شريعة هذه الأمة دون شرائع الأمم التي قبلها، بل تفوقها في انتظام أحوالها، فكان هذا كالاعتذار على ما ذكر من المحرمات. فقوله: يريد الله ليبين لكم تعليل لتفصيل الأحكام في مواقع الشبهات كي لا يضلوا كما ضل من قبلهم، ففيه أن هذه الشريعة أهدى مما قبلها.وقوله: ويهديكم سنن الذين من قبلكم بيان لقصد إلحاق هذه الأمة بمزايا الأمم التي قبلها.." (٢)

"[سورة النساء (٤) : آية ٢٨]يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا (٢٨)أعقب الاعتذار الذي تقدم بقوله: يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم [النساء: ٢٦] بالتذكير بأن الله لا يزال مراعيا رفقه بهذه الأمة وإرادته بها اليسر دون العسر، إشارة إلى أن هذا الدين بين حفظ المصالح ودرء المفاسد، في أيسر كيفية وأرفقها، فربما ألغت الشريعة بعض المفاسد إذا كان في الحمل على تركها مشقة أو تعطيل مصلحة، كما ألغت مفاسد نكاح الإماء نظرا للمشقة على غير ذي الطول. والآيات الدالة على هذا المعنى بلغت مبلغ القطع كقوله: وما جعل عليكم في الدين من حرج [الحج:٧٨] وقوله: يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر [البقرة: ١٨٥] وقوله: ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم [الأعراف: ١٥٧] ،وفي الحديث الصحيح: «إن هذا الدين يسر ولن يشاد هذا الدين أحد إلا غلبه»، وكذلك كان

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٥/١٥

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٥/١٨

يأمر أصحابه الذين يرسلهم إلى بث الدين فقال لمعاذ وأبي موسى: «يسرا ولا تعسرا» وقال: (إنما بعثتم مبشرين لا منفرين) . وقال لمعاذ لما شكا بعض المصلين خلفه من تطويله «أفتان أنت» . فكان التيسير من أصول الشريعة الإسلامية، وعنه تفرعت الرخص بنوعيها.وقوله: وخلق الإنسان ضعيفا **تذييل** وتوجيه للتخفيف، وإظهار لمزية هذا الدين وأنه أليق الأديان بالناس في كل زمان ومكان، ولذلك فما مضى من الأديان كان مراعى فيه حال دون حال، ومن هذا المعنى قوله تعالى: الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا الآية في سورة الأنفال [٦٦] . وقد فسر بعضهم الضعف هنا بأنه الضعف من جهة النساء. قال طاووس «ليس يكون الإنسان في شيء أضعف منه في أمر النساء» وليس مراده حصر معنى الآية فيه، ولكنه مما روعي في الآية لا محالة، لأن من الأحكام المتقدمة ما هو ترخيص في النكاح." (١)

"[سورة النساء (٤) : آية ٣٢]ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن وسئلوا الله من فضله إن الله كان بكل شيء عليما (٣٢)عطف على جملة: لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ولا تقتلوا أنفسكم [النساء:٢٩] .والمناسبة بين الجملتين المتعاطفتين: أن التمني يحبب للمتمني الشيء الذي تمناه، فإذا أحبه أتبعه نفسه فرام تحصيله وافتتن به، فربما بعثه ذلك الافتتان إلى تدبير الحيل لتحصيله إن لم يكن بيده، وإلى الاستئثار به عن صاحب الحق فيغمض عينه عن ملاحظة الواجب من إعطاء الحق صاحبه وعن مناهي الشريعة التي تضمنتها الجمل المعطوف عليها. وقد أصبح هذا التمني في زماننا هذا فتنة لطوائف من المسلمين سرت لهم من أخلاق الغلاة في طلب المساواة مما جر أمما كثيرة إلى نحلة الشيوعية فصاروا يتخبطون لطلب التساوي في كل شيء ويعانون إرهاقا لم يحصلوا منه على طائل.فالنهي عن التمني وتطلع النفوس إلى ما ليس لها جاء في هذه الآية عاما، فكان **كالتذييل** للأحكام السابقة لسد ذرائعها وذرائع غيرها، فكان من جوامع الكلم في درء الشرور. وقد كان التمني من أعظم وسائل الجرائم، فإنه يفضي إلى الحسد، وقد كان أول جرم حصل في الأرض نشأ عن الحسد. ولقد كثر ما انتبهت أموال، وقتلت نفوس للرغبة في بسطة رزق، أو فتنة نساء، أو نوال ملك، والتاريخ طافح بحوادث من هذا القبيل.والذي يبدو أن هذا التمني هو تمني أموال المثرين، وتمني أنصباء الوارثين، وتمني الاستئثار بأموال اليتامى ذكورهم وإناثهم، وتمني حرمان النساء من الميراث ليناسب ما سبق من إيتاء اليتامى أموالهم. وإنصاف النساء في مهورهن، وترك مضارتهن إلجاء إلى إسقاطها، ومن إعطاء أنصباء الورثة كما قسم الله لهم. وكل ذلك من تفضيل بعض الناس على بعض في الرزق.." (٢)

"والنصيب: الحظ والمقدار، وهو صادق على الحظ في الآخرة والحظ في الدنيا، وتقدم آنفا.والاكتساب: السعي للكسب، وقد يستعار لحصول الشيء ولو بدون سعي وعلاج.و (من) للتبعيض أو للابتداء، والمعنى يحتمل أن يكون استحق الرجال والنساء كل حظه من الأجر والثواب المنجر له من عمله، فلا فائدة في تمني فريق أن يعمل عمل فريق آخر، لأن الثواب غير منحصر في عمل معين، فإن وسائل الثواب كثيرة فلا يسوءكم النهي عن تمني ما فضل الله به بعضكم على بعض. ويحتمل أن المعنى: استحق كل شخص، سواء كان رجلا أم امرأة، حظه من منافع الدنيا المنجر له مما سعى إليه

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٢/٥

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٨/٥

بجهده، أو الذي هوبعض ما سعى إليه، فتمني أحد شيئا لم يسع إليه ولم يكن من حقوقه، هو تمن غير عادل، فحق النهي عنه أو المعنى استحق أولئك نصيبهم مما كسبوا، أي مما شرع لهم من الميراث ونحوه، فلا يحسد أحد أحدا على ما جعل له من الحق، لأن الله أعلم بأحقية بعضكم على بعض.وقوله: وسئلوا الله من فضله إن كان عطفا على قوله: للرجال نصيب مما اكتسبوا إلخ، الذي هو علة النهي عن التمني، فالمعنى: للرجال مزاياهم وحقوقهم، وللنساء مزاياهن وحقوقهن، فمن تمنى ما لم يعد لصنفه فقد اعتدى، لكن يسأل الله من فضله أن يعطيه ما أعد لصنفه من المزايا، ويجعل ثوابه مساويا لثواب الأعمال التي لم تعد لصنفه، كماقال النبيء صلى الله عليه وسلم للنساء: «لكن أفضل الجهاد حج مبرور»وإن كان عطفا على النهي في قوله: ولا تتمنوا فالمعنى: لا تتمنوا ما في يد الغير واسألوا الله من فضله فإن فضل الله يسع الإنعام على الكل، فلا أثر للتمني إلا تعب النفس. وقرأ الجمهور:وسئلوا- بإثبات الهمزة بعد السين الساكنة وهي عين الفعل- وقرأه ابن كثير، والكسائي- بفتح السين وحذف الهمزة بعد نقل حركتها إلى السين الساكن قبلها تخفيفا-.وقوله: إن الله كان بكل شيء عليما **تذييل** مناسب لهذا التكليف، لأنه متعلق بعمل النفس لا يراقب فيه إلا ربه.." (١)

"والتحيت: قشرت، أي قددت، بمعنى: أنه أخذ جلدا من باطن عنق بعير وعمله سوطا ليضرب به امرأتيه، يهددهما بأن السوط قد جف وصلح لأن يضرب به.وقد ثبت في «الصحيح» أن عمر بن الخطاب قال: (كنا معشر المهاجرين قوما نغلب نساءنا فإذا الأنصار قوم تغلبهم نساؤهم فأخذ نساؤنا يتأدبن بأدب نساء الأنصار) . فإذا كان الضرب مأذونا فيه للأزواج دون ولاة الأمور، وكان سببه مجرد العصيان والكراهية دون الفاحشة، فلا جرم أنه أذن فيه لقوم لا يعدون صدوره من الأزواج إضرارا ولا عارا ولا بدعا من المعاملة في العائلة، ولا تشعر نساؤهم بمقدار غضبهم إلا بشيء من ذلك.وقوله: فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن مقصود منه الترتيب كما يقتضيه ترتيب ذكرها مع ظهور أنه لا يراد الجمع بين الثلاثة، والترتيب هو الأصلوالمتبادر في العطف بالواو، قال سعيد بن جبير: يعظها، فإن قبلت، وإلا هجرها، فإن هي قبلت، وإلا ضربها، ونقل مثله عن علي.واعلم أن الواو هنا مراد بها التقسيم باعتبار أقسام النساء في النشوز.وقوله: فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا احتمال ضمير الخطاب فيه يجري على نحو ما تقدم في ضمائر تخافون وما بعده، والمراد الطاعة بعد النشوز، أي إن رجعن عن النشوز إلى الطاعة المعروفة. ومعنى: فلا تبغوا عليهن سبيلا فلا تطلبوا طريقا لإجراء تلك الزواجر عليهن، والخطاب صالح لكل من جعل له سبيل على الزوجات في حالة النشوز على ما تقدم.والسبيل حقيقته الطريق، وأطلق هنا مجازا على التوسل والتسبب والتذرع إلى أخذ الحق، وسيجيء عند قوله تعالى: ما على المحسنين من سبيل في سورة براءة [٩١] ، وانظر قوله الآتي وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا.وعليهن متعلق ب (سبيلا) لأنه ضمن معنى الحكم والسلطان، كقوله تعالى: ما على المحسنين من سبيل [التوبة: ٩١] .وقوله: إن الله كان عليا كبيرا **تذييل** للتهديد، أي إن الله علي عليكم، حاكم فيكم، فهو يعدل بينكم، وهو كبير، أي قوي قادر، فبوصف العلو يتعين امتثال أمره ونهيه، وبوصف القدرة يحذر بطشه عند عصيان أمره ونهيه.." (٢)

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٣٢/٥

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٤٢/٥

"يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن» . قيل:«ومن يا رسول الله» قال: «من لا يأمن جاره بوائقه»وفيه عن عائشة، قلت: «يا رسول الله إن لي جارين فإلى أيهما أهدي» قال إلى أقربهما منك بابا»وفي «صحيح مسلم» : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي ذر «إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهده جيرانك». واختلف في حد الجوار: فقال ابن شهاب، والأوزاعي: أربعون دارا من كل ناحية، وروي في ذلك حديث: وليس عن مالك في ذلك حد، والظاهر أنه موكول إلى ما تعارفه الناس.وقوله: والصاحب بالجنب هو المصاحب الملازم للمكان، فمنه الضيف، ومنه الرفيق في السفر، وكل من هو ملم بك لطلب أن تنفعه، وقيل: أراد الزوجة.وابن السبيل هو الغريب المجتاز بقوم غير ناو الإقامة، لأن من أقام فهو الجار الجنب. وكلمة (ابن) فيه مستعملة في معنى الانتساب والاختصاص، كقولهم: أبو الليل،وقولهم في المثل: أبوها وكيالها. والسبيل: الطريق السابلة، فابن السبيل هو الذي لازم الطريق سائرا، أي مسافرا، فإذا دخل القبيلة فهو ليس من أبنائها، فعرفوه بأنه ابن الطريق، رمى به الطريق إليهم، فكأنه ولده. والوصاية به لأنه ضعيف الحيلة، قليل النصير، إذ لا يهتدي إلى أحوال قوم غير قومه، وبلد غير بلده.وكذلك ما ملكت أيمانكم لأن العبيد في ضعف الرق والحاجة وانقطاع سبل الخلاص من سادتهم، فلذلك كانوا أحقاء بالوصاية.وجملة: إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا **تذييل** لجملة الأمر بالإحسان إلى من سماهم بذم موانع الإحسان إليهم الغالبة على البشر. والاختيال: التكبر، افتعال مشتق من الخيلاء، يقال: خال الرجل خولا وخالا. والفخور: الشديد الفخر بما فعل، وكلا الوصفين منشأ للغلظة والجفاء، فهما ينافيان الإحسان المأمور به، لأن المراد الإحسان في المعاملة وترك الترفع على من يظن به سبب يمنعه من الانتقام.ومعنى نفي محبة الله تعالى نفي رضاه وتقريبه عمن هذا وصفه، وهذا تعريض بأخلاق أهل الشرك، لما عرفوا به من الغلظة والجفاء، فهو في معنى التحذير من بقايا الأخلاق التي كانوا عليها.." (١)

"وقوله: إن الله كان عفوا غفورا **تذييل** لحكم الرخصة إذ عفا عن المسلمين فلم يكلفهم الغسل أو الوضوء عند المرض، ولا ترقب وجود الماء عند عدمه، حتى تكثر عليهم الصلوات فيعسر عليهم القضاء.[٤٤، ٤٥][سورة النساء (٤) : الآيات ٤٤ إلى ٤٥]ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل (٤٤) والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا (٤٥)استئناف كلام راجع إلى مهيع الآيات التي سبقت من قوله: واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا [النساء: ٣٦] فإنه بعد نذارة المشركين وجه الإنذار لأهل الكتاب، ووقعت آيات تحريم الخمر وقت الصلاة، وآيات مشروعية الطهارة لها فيما بينهما، وفيه مناسبة للأمر بترك الخمر في أوقات الصلوات والأمر بالطهارة، لأن ذلك من الهدى الذي لم يسبق لليهود نظيره، فهم يحسدون المسلمين عليه، لأنهم حرموا من مثله وفرطوا في هدى عظيم، وأرادوا إضلال المسلمين عداء منهم.وجملة ألم تر- إلى- الكتاب جملة يقصد منها التعجيب، والاستفهام فيها تقريري عن نفي فعل لا يود المخاطب انتفاءه عنه، ليكون ذلك محرضا على الإقرار بأنهفعل، وهو مفيد مع ذلك للتعجيب، وتقدم نظيرها في قوله تعالى: ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم في سورة آل عمران [٢٣] .وجملة يشترون حالية فهي قيد لجملة ألم تر، وحالة اشترائهم الضلالة وإن كانت غير مشاهدة بالبصر فقد نزلت منزلة المشاهد المرئي، لأن شهرة

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٥/٥١

الشيء وتحققه تجعله بمنزلة المرئي.والنصيب تقدم عند قوله: وللرجال نصيب [النساء: ٧] في هذه السورة، وفي اختياره هنا إلقاء احتمال قلته في نفوس السامعين، وإلا لقيل: أوتوا الكتاب، وهذا نظير قوله تعالى بعد." (١)

"هذا فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم وإن كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم [النساء: ١٤١] ، أي نصيب من الفتح أو من النصر.والمراد بالكتاب التوراة، لأن اليهود هم الذين كانوا مختلطين مع المسلمين بالمدينة، ولم يكن فيها أحد من النصارى.والاشتراء مجاز في الاختيار والسعي لتحصيل الشيء، لأن المشتري هو آخذ الشيء المرغوب فيه من المتبايعين، والبائع هو باذل الشيء المرغوب فيه لحاجته إلى ثمنه، هكذا اعتبر أهل العرف الذي بنيت عليه اللغة وإلا فإن كلا المتبايعين مشتر وشار، فلا جرم أن أطلق الاشتراء مجازا على الاختيار، وقد تقدم نظيره في قوله تعالى: أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى في سورة البقرة [١٦] . وهذا يدل على أنهم اقتحموا الضلالة عن عمد لضعف إيمانهم بكتابهم وقلة جدوى علمهم عليهم.وقوله: ويريدون أن تضلوا السبيل أي يريدون للمؤمنين الضلالة لئلا يفضلوهم بالاهتداء، كقوله: ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق [البقرة: ١٠٩] . فالإرادة هنا بمعنى المحبة كقوله تعالى: يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم. ولك أن تجعل الإرادة على الغالب في معناها وهو الباعث النفساني على العمل، أي يسعون لأن تضلوا، وذلك بإلقاء الشبه والسعي في صرف المسلمين عن الإيمان، وقد تقدم آنفا قوله تعالى: ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما [النساء: ٢٧] .وجملة والله أعلم بأعدائكم معترضة، وهي تعريض فإن إرادتهم الضلالة للمؤمنين عن عداوة وحسد.وجملة وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا [النساء: ٤٥] تذييل لتطمئن نفوس المؤمنين بنصر الله، لأن الإخبار عن اليهود بأنهم يريدون ضلال المسلمين، وأنهم أعداء للمسلمين، من شأنه أن يلقي الروع في قلوب المسلمين، إذ كان اليهود المحاورون للمسلمين ذوي عدد وعدد، وبيدهم الأموال، وهم مبثوثون في المدينة وما حولها: من قينقاع." (٢)

"بالمتعدد، فيشمل صحف إبراهيم، وصحف موسى، وما أنزل بعد ذلك. والحكمة:النبوءة، والملك: هو ما وعد الله به إبراهيم أن يعطيه ذريته وما آتى الله داوود وسليمان وملوك إسرائيل.وضمير منهم يجوز أن يعود إلى ما عاد إليه ضمير يحسدون. وضمير به يعود إلى الناس المراد منه محمد- عليه السلام-: أي فمن الذين أوتوا نصيبا من الكتاب من آمن بمحمد، ومنهم من أعرض. والتفريع في قوله: فمنهم على هذا التفسير ناشيء على قوله أم يحسدون الناس. ويجوز أن يعود ضمير فمنهم إلى آل إبراهيم، وضمير به إلى إبراهيم، أي فقد آتيناهم ما ذكر. ومن آله من آمن به، ومنهم من كفر مثل أبيه آزر، وامرأة ابن أخيه لوط، أي فليس تكذيب اليهود محمدا بأعجب من ذلك، سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا [الإسراء: ٧٧] ، ليكون قد حصل الاحتجاج عليهم في الأمرين في إبطال مستند تكذيبهم بإثبات أن إتيان النبوءة ليس ببدع، وأن محمدا من آل إبراهيم، فليس إرساله بأعجب من إرسال موسى. وفي تذكيرهم بأن هذه سنة الأنبياء حتى لا يعدوا تكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم ثلمة في نبوءته، إذ لا يعرف رسولا أجمع أهل دعوته على تصديقه من إبراهيم فمن

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٧١/٥

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٧٢/٥

بعده.وقوله: وكفى بجهنم سعيرا تهديد ووعيد للذين يؤمنون بالجبت والطاغوت.وتفسير هذا التركيب تقدم آنفا في قوله تعالى: وكفى بالله وليا من هذه السورة [النساء:٤٥] .[٥٦، ٥٧][سورة النساء (٤) : الآيات ٥٦ إلى ٥٧]إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيزا حكيما (٥٦) والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا (٥٧)تهديد ووعيد لجميع الكافرين، فهي أعم مما قبلها، فلها حكم **التذييل**، ولذلك فصلت. والإصلاء: مصدر أصلاه، ويقال: صلاه صليا، ومعناه شي اللحم على النار،." (١)

"[سورة النساء (٤) : الآيات ٦٩ إلى ٧٠]ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا (٦٩) ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما (٧٠)**تذييل** لجملة: وإذا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما [النساء: ٦٧] وإنما عطفت باعتبار إلحاقها بجملة: ومن يطع الله والرسول على جملة ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به [النساء: ٦٦] . وجيء باسم الإشارة في جملة جواب الشرط للتنبيه على جدارتهم بمضمون الخبر عن اسم الإشارة لأجل مضمون الكلام الذي قبل اسم الإشارة. والمعية معية المنزلة في الجنة وإن وإن كانت الدرجات متفاوتة.ومعنى من يطع من يتصف بتمام معنى الطاعة، أي أن لا يعصي الله ورسوله.ودلت (مع) على أن مكانة مدخولها أرسخ وأعرف،وفي الحديث الصحيح «أنت مع من أحببت». والصديقون هم الذين صدقوا الأنبياء ابتداء، مثل الحواريين والسابقين الأولين من المؤمنين. وأما الشهداء فهم من قتلوا في سبيل إعلاء كلمة الله. والصالحون الذين لزمتهم الاستقامة.و (حسن) فعل مراد به المدح ملحق بنعم ومضمن معنى التعجب من حسنهم، وذلك شأن فعل- بضم العين- من الثلاثي أن يدل على مدح أو ذم بحسب مادته مع التعجب.وأصل الفعل حسن- بفتحتين- فحول إلى فعل- بضم العين- لقصد المدح والتعجب.وأولئك فاعل حسن. ورفيقا تمييز، أي ما أحسنهم حسنوا من جنس الرفقاء.والرفيق يستوي فيه الواحد والجمع،وفي حديث الوفاة «الرفيق الأعلى» .وتعريف الجزأين في قوله: ذلك الفضل من الله يفيد الحصر وهو حصر ادعائي لأن فضل الله أنواع، وأصناف، ولكنه أريد المبالغة في قوة هذا الفضل، فهو كقولهم: أنت الرجل.**والتذييل** بقوله: وكفى بالله عليما للإشارة إلى أن الذين تلبسوا بهذه المنقبة، وإن لم يعلمهم الناس، فإن الله يعلمهم والجزاء بيده فهو يوفيهم الجزاء على قدر ما علم منهم، وقد تقدم نظيره في هذه السورة.." (٢)

"القتال، وأوجبت عليه تبليغ المؤمنين الأمر بالقتال وتحريضهم عليه، فعبر عنه بقوله: لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين [النساء: ٨٤] وهذا الأسلوب طريق من طرق الحث والتحريض لغير المخاطب، لأنه إيجاب القتال على الرسول، وقد علم إيجابه على جميع المؤمنين بقوله: فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة [النساء: ٧٤] فهو أمر للقدوة بما يجب اقتداء الناس به فيه. وبين لهم علة الأمر وهي رجاء كف بأس المشركين، ف (عسى) هنا مستعارة للوعد. والمراد بهم هنا كفار مكة، فالآيات تهيئة لفتح مكة.وجملة والله أشد بأسا وأشد تنكيلا **تذييل** لتحقيق الرجاء أو الوعد،

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٥/٨٩

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٥/١١٦

والمعنى أنه أشد بأسا إذا شاء إظهار ذلك، ومن دلائل المشيئة امتثال أوامره التي منها الاستعداد وترقب المسببات من أسبابها.والتنكيل عقاب يرتدع به رائيه فضلا عن الذي عوقب به.[٨٥][سورة النساء (٤) : آية ٨٥]من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شيء مقيتا (٨٥)استئناف فيه معنى **التذييل** والتعليل لقوله: لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين [النساء: ٨٤] وهو بشارة للرسول- عليه الصلاة والسلام- بأن جهاد المجاهدين بدعوته يناله منه نصيب عظيم من الأجر، فإن تحريضه إياهم وساطة بهم في خيرات عظيمة، فجاءت هذه الآية بهذا الحكم العام على عادة القرآن في انتهاز فرص الإرشاد. ويعلم من عمومها أن التحريض على القتال في سبيل الله من الشفاعة الحسنة، وأن سعي المثبطين للناس من قبيل الشفاعة السيئة، فجاءت هذه الآية إيذانا للفريقين بحالتهما. والمقصود مع ذلك الترغيب في التوسط في الخير والترهيب من ضده.والشفاعة: الوساطة في إيصال خير أو دفع شر، سواء كانت بطلب من المنتفع أم لا، وتقدمت في قوله تعالى: ولا يقبل منها شفاعة في سورة البقرة [٤٨] ،وفي الحديث «اشفعوا." (١)

"فلتؤجروا». ووصفها بالحسنة وصف كاشف لأن الشفاعة لا تطلق إلا على الوساطة في الخير، وأما إطلاق الشفاعة على السعي في جلب شر فهو مشاكلة، وقرينتها وصفها بسيئة، إذ لا يقال (شفع) للذي سعى بجلب سوء.والنصيب: الحظ من كل شيء: خيرا كان أو شرا، وتقدم في قوله تعالى: أولئك لهم نصيب مما كسبوا في سورة البقرة [٢٠٢] .والكفل- بكسر الكاف وسكون الفاء- الحظ كذلك، ولم يتبين لي وجه اشتقاقه بوضوح. ويستعمل الكفل بمعنى المثل، فيؤخذ من التفسيرين أن الكفل هو الحظ المماثل لحظ آخر، وقال صاحب «اللسان» : لا يقال هذا كفل فلان حتى يكون قد هيئ لغيره مثله، ولم يعز هذا، ونسبه الفخر إلى ابن المظفر، ولم يذكر ذلك أحد غير هذين فيما علمت، ولعله لا يساعد عليه الاستعمال. وقد قال الله تعالى: يؤتكم كفلين من رحمته [الحديد: ٢٨] . وهل يحتج بما قاله ابن المظفر- وابن المظفر هو محمد بن الحسن بن المظفر الحاتمي الأديب معاصر المتنبي-. وفي مفردات الراغب أن الكفل هو الحظ من الشر والشدة، وأنه مستعار من الكفل وهو الشيء الرديء، فالجزاء في جانب الشفاعة الحسنة بأنه نصيب إيماء إلى أنه قد يكون له أجر أكثر من ثواب من شفع عنده.وجملة وكان الله على كل شيء مقيتا **تذييل** لجملة من يشفع شفاعة حسنةالآية، لإفادة أن الله يجازي على كل عمل بما يناسبه من حسن أو سوء.والمقيت الحافظ، والرقيب، والشاهد، والمقتدر. وأصله عند أبي عبيدة الحافظ. وهو اسم فاعل من أقات إذا أعطى القوت، فوزنه مفعل وعينه واو. واستعمل مجازا في معاني الحفظ والشهادة بعلاقة اللزوم، لأن من يقيت أحدا فقد حفظه من الخصاصة أو من الهلاك، وهو هنا مستعمل في معنى الاطلاع، أو مضمن معناه، كما ينبيء عنه تعديته بحرف (على) . ومن أسماء الله تعالى المقيت، وفسره الغزالي بموصل الأقوات. فيؤول إلى معنى الرازق، إلا أنه أخص، وبمعنى المستولي على الشيء القادر عليه، وعليه يدل قوله تعالى: وكان الله على كل شيء مقيتا فيكون راجعا إلى القدرة والعلم.." (٢)

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٤٣/٥

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١٤٤/٥

"السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فإذا قال الراد: «وعليكم السلام» إلخ، كان قد ردها بأحسن منها بزيادة الواو، وهذا وهم.ومعنى (ردوها) ردوا مثلها، وهذا كقولهم: عندي درهم ونصفه، لظهور تعذر رد ذات التحية، وقوله تعالى: إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها [النساء: ١٧٦] فعاد ضمير «وهو» وهاء «يرثها» إلى اللفظين لا إلى الذاتين، ودل الأمر على وجوب رد السلام، ولا دلالة في الآية على حكم الابتداء بالسلام، فذلك ثابت بالسنة للترغيب فيه. وقد ذكروا أن العرب كانوا لا يقدمون اسم المسلم عليه المجرور بعلى في ابتداء السلام إلا في الرثاء، في مثل قول عبدة بن الطيب:عليك السلام الله قيس بن عاصم ... ورحمته ما شاء أن يترحماوفي قول الشماخ:عليك سلام من أمير وباركت ... يد الله في ذاك الأديم الممزقيرثي عثمان بن عفان أو عمر بن الخطاب.روى أبو داوود أن جابر بن سليم سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: عليك السلام يا رسول الله، فقال له: «إن عليك السلام تحية الموتى، قل، السلام عليك». **والتذييل** بقوله: إن الله كان على كل شيء حسيبا لقصد الامتنان بهذه التعليمات النافعة.والحسيب: العليم وهو صفة مشبهة: من حسب- بكسر السين- الذي هو من أفعال القلب، فحول إلى فعل- بضم عينه- لما أريد به أن العلم وصف ذاتي له، وبذلك نقصت تعديته فاقتصر على مفعول واحد، ثم ضمن معنى المحصي فعدي إليه بعلى. ويجوز كونه من أمثلة المبالغة. قيل: الحسيب هنا بمعنى المحاسب، كالأكيل والشريب. فعلى كلامهم يكون **التذييل** وعدا بالجزاء على قدر فضل رد السلام، أو بالجزاء السيء على ترك الرد من أصله، وقد أكد وصف الله بحسيب بمؤكدين: حرف (إن) وفعل (كان) الدال على أن ذلك وصف مقرر أزلي.." [(١)]

"وقوله: ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر إلخ رخصة لهم في وضع الأسلحة عند المشقة، وقد صار ما هو أكمل في أداء الصلاة رخصة هنا، لأن الأمور بمقاصدها وما يحصل عنها من المصالح والمفاسد، ولذلك قيد الرخصة مع أخذ الحذر.وسبب الرخصة أن في المطر شاغلا للفريقين كليهما، وأما المرض فموجب للرخصة لخصوص المريض.وقوله: إن الله أعد للكافرين عذابا مهينا **تذييل** لتشجيع المسلمين لأنه لما كرر الأمر بأخذ السلاح والحذر، خيف أن تثور في نفوس المسلمين مخافة من العدو من شدة التحذير منه، فعقب ذلك بأن الله أعد لهم عذابا مهينا، وهو عذاب الهزيمة والقتل والأسر، كالذي في قوله: قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم [التوبة: ١٤] ، فليس الأمر بأخذ الحذر والسلاح إلا لتحقيق أسباب ما أعد الله لهم، لأن الله إذا أراد أمرا هيأ أسبابه. وفيهتعليم المسلمين أن يطلبوا المسببات من أسبابها، أي إن أخذتم حذركم أمنتم من عدوكم.[١٠٣][سورة النساء (٤) : آية ١٠٣]فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم فإذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا (١٠٣)القضاء: إتمام الشيء كقوله: فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا [البقرة: ٢٠٠] . والظاهر من قوله: فإذا قضيتم الصلاة أن المراد من الذكر هنا النوافل، أو ذكر اللسان كالتسبيح والتحميد، (فقد كانوا في الأمن يجلسون إلى أن يفرغوا من التسبيح ونحوه) ، فرخص لهم حين الخوف أن يذكروا الله على كل حال والمراد القيام والقعود والكون على الجنوب ما كان من ذلك في أحوال

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٥/١٤٧

الحرب لا لأجل الاستراحة.وقوله: فإذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة تفريع عن قوله: وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم [النساء: ١٠١] إلى آخر الآية. فالاطمئنان مراد." (١)

"وقوله ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهماستئناف أثاره قوله: ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم، والمخاطب كل من يصلح للمخاطبة من المسلمين. والكلام جار مجرى الفرض والتقدير، أو مجرى التعريض ببعض بني ظفر الذين جادلوا عن بني أبيرق.والقول في تركيب ها أنتم هؤلاءتقدم في سورة البقرة [٨٥] عند قوله تعالى: ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم، وتقدم نظيره في آل عمران [١١٩] ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم.و (أم) في قوله: أم من يكون عليهم وكيلامنقطعة للإضراب الانتقالي. و (من) استفهام مستعمل في الإنكار.والوكيل مضى الكلام عليه عند قوله تعالى: وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل في سورة آل عمران [١٧٣] .[١١٠- ١١٣][سورة النساء (٤) : الآيات ١١٠ إلى ١١٣]ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما (١١٠) ومن يكسب إثما فإنما يكسبه على نفسه وكان الله عليما حكيما (١١١) ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا وإثما مبينا (١١٢) ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شيء وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما (١١٣)اعتراض بتذييل بين جملة ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهموبين جملة: ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك[النساء: ١٠٩- ١١٣] .وعمل السوء هو العصيان ومخالفة ما أمر به الشرع ونهى عنه. وظلم النفس شاع إطلاقه في القرآن على الشرك والكفر، وأطلق أيضا على ارتكاب المعاصي. وأحسن." (٢)

"دفع بعض الأضرار، وتقليم الأظفار لفائدة تيسير العمل بالأيدي، وكذلك ثقب الآذان للنساء لوضع الأقراط والتزين، وأما ما ورد في السنة من لعن الواصلات والمتنمصات والمتفلجات للحسن فمما أشكل تأويله. وأحسب تأويله أن الغرض منه النهي عن سمات كانت تعد من سمات العواهر في ذلك العهد، أو من سمات المشركات، وإلا فلو فرضنا هذه منهيا عنها لما بلغ النهي إلى حد لعن فاعلات ذلك. وملاك الأمر أن تغييرخلق الله إنما يكون إنما إذا كان فيه حظ من طاعة الشيطان، بأن يجعل علامة لنحلة شيطانية، كما هو سياق الآية واتصال الحديث بها. وقد أوضحنا ذلك في كتابي المسمى:«النظر الفسيح على مشكل الجامع الصحيح» .وجملة ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا تذييل دال على أن ما دعاهم إليه الشيطان: من تبتيك آذان الأنعام، وتغيير خلق الله، إنما دعاهم إليه لما يقتضيه من الدلالة على استشعارهم بشعاره، والتدين بدعوته، وإلا فإن الشيطان لا ينفعه أن يبتك أحد أذن ناقته، أو أن يغير شيئا من خلقته، إلا إذا كان ذلك للتأثر بدعوته.وقوله: يعدهم ويمنيهم استئناف لبيان أنه أنجز عزمه فوعد ومنى وهو لا يزال يعد ويمني، فلذلك جيء بالمضارع. وإنما لم يذكر أنه يأمرهم فيبتكون آذان الأنعام ويغيرون خلق الله لظهور وقوعه لكل أحد.وجيء باسم الإشارة في قوله: أولئك مأواهم جهنم لتنبيه السامعين إلى ما يرد بعد اسم الإشارة من الخبر وأن المشار إليهم أحرياء به عقب ما تقدم من ذكر صفاتهم.والمحيص: المراغ والملجأ، من حاص إذا نفر وراغ، وفي حديث هر قل «فحاصوا حيصة

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٨٨/٥

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١٩٥/٥

حمر الوحش إلى الأبواب» . وقال جعفر بن علبة الحارثي:ولم ندر إن حصنا من الموت حيصة ... كم العمر باق والمدى متطاولروي: حصنا وحيصة– بالحاء والصاد المهملتين– ويقال: جاض أيضا– بالجيم والضاد المعجمة–، وبهما روي بيت جعفر أيضا.." (١)

"[سورة النساء (٤) : آية ١٢٢]والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا وعد الله حقا ومن أصدق من الله قيلا (١٢٢)عطف على جملة أولئك مأواهم جهنم [النساء: ١٢١] جريا على عادة القرآن في تعقيب الإنذار بالبشارة، والوعيد بالوعد.وقوله: وعد الله مصدر مؤكد لمضمون جملة: سندخلهم جنات تجري إلخ، وهي بمعناه، فلذلك يسمي النحاة مثله مؤكدا لنفسه، أي مؤكدا لما هو بمعناه.وقوله: حقا مصدر مؤكد لمضمون سندخلهم جنات، إذ كان هذا في معنى الوعد، أي هذا الوعد أحققه حقا، أي لا يتخلف. ولما كان مضمون الجملة التي قبلهخاليا عن معنى الإحقاق كان هذا المصدر مما يسميه النحاة مصدرا مؤكدا لغيره.وجملة ومن أصدق من الله تذييل للوعد وتحقيق له: أي هذا من وعد الله، ووعود الله وعود صدق، إذ لا أصدق من الله قيلا. فالواو اعتراضية لأن التذييل من أصناف الاعتراض وهو اعتراض في آخر الكلام، وانتصب قيلا على تمييز نسبة من أصدق من الله.والاستفهام إنكاري.والقيل: القول، وهو اسم مصدر بوزن فعل يجيء في الشر والخير.[١٢٣، ١٢٤][سورة النساء (٤) : الآيات ١٢٣ إلى ١٢٤]ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا (١٢٣) ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا." (٢)

"(١٢٤)الأظهر أن قوله: ليس بأمانيكم استئناف ابتدائي للتنويه بفضائل الأعمال، والتشويه بمساويها، وأن في (ليس) ضميرا عائدا على الجزاء المفهوم من قوله: يجز به، أي ليس الجزاء تابعا لأماني الناس ومشتهاهم، بل هو أمر مقدر من الله تعالى تقديرا بحسب الأعمال، ومما يؤيد أن يكون قوله: ليس بأمانيكم استئنافا ابتدائيا أنه وقع بعد تذييل مشعر بالنهاية وهو قوله: ومن أصدق من الله قيلا [النساء: ١٢٢] . ومما يرجحه أن في ذلك الاعتبار إبهاما في الضمير، ثم بيانا له بالجملة بعده، وهي: من يعمل سوءا يجز به وأن فيه تقديم جملة ليس بأمانيكم عن موقعها الذي يترقب في آخر الكلام، فكان تقديمها إظهارا للاهتمام بها، وتهيئة لإبهام الضمير. وهذه كلها خصائص من طرق الإعجاز في النظم. وجملة من يعمل سوءا يجز به استئناف بياني ناشيء عن جملة ليس بأمانيكم لأن السامع يتساءل عن بيان هذا النفي المجمل. ولهذا الاستئناف موقع من البلاغة وخصوصية تفوت بغير هذا النظم الذي فسرناه. وجعل صاحب «الكشاف» الضمير المستتر عائدا على وعد الله، أي ليس وعد الله بأمانيكم فتكون الجملة من تكملة الكلام السابق حالا من وعد الله [النساء: ١٢٢] ، وتكون جملة من يعمل سوءا يجز به استئنافا ابتدائيا محضا.روى الواحدي في أسباب النزول بسنده إلى أبي صالح، وروى ابن جرير بسنده إلى مسروق، وقتادة، والسدي، والضحاك، وبعض الروايات يزيد على بعض، أن سببنزولها: أنه وقع تحاج بين المسلمين وأهل الكتاب: اليهود والنصارى، كل فريق يقول للآخرين: نحن خير منكم، ويحتج لذلك ويقول: لن يدخل

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٠٦/٥

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٠٧/٥

الجنة إلا من كان على ديننا.فأنزل الله ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب الآيات مبين أن كل من اتبع هدى الله فهو من أهل الجنة وكل من ضل وخالف أمر الله فهو مجازى بسوء عمله، فالذين آمنوا من اليهود قبل بعثة عيسى وعملوا الصالحات هم من أهل الجنة وإن لم يكونوا على دين عيسى، فبطل قول النصارى: لن يدخل الجنة إلا من كان على ديننا والذين آمنوا بموسى وعيسى قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وعملوا الصالحات يدخلون الجنة، فبطل قول المسلمين واليهود: لن يدخل الجنة إلا من كان على ديننا فكانت هذه الآية حكما فصلا بين الفرق، وتعليما لهم أن ينظروا في توفر حقيقة الإيمان الصحيح، وتوفر العمل الصالح معه، ولذلك جمع الله أماني الفرق الثلاث بقوله:." (١)

"وجملة «وهو محسن» حال قصد منها اتصافه بالإحسان حين إسلامه وجهه لله، أي خلع الشرك قاصدا الإحسان، أي راغبا في الإسلام لما رأى فيه من الدعوة إلى الإحسان.ومعنى واتبع ملة إبراهيم حنيفا أنه اتبع شريعة الإسلام التي هي على أسس ملة إبراهيم. فهذه ثلاثة أوصاف بها يكمل معنى الدخول في الإسلام، ولعلها هي: الإيمان، والإحسان، والإسلام. ولك أن تجعل معنى أسلم وجهه لله أنه دخل في الإسلام، وأن قوله: وهو محسن مخلص راغب في الخير، وأن اتباع ملة إبراهيم عنى به التوحيد.وتقدم أن حنيفا معناه مائلا عن الشرك أو متعبدا. وإذا جعلت معنى قوله: وهو محسن أي عامل الصالحات كان قوله: واتبع ملة إبراهيم حنيفا بمنزلة عطف المرادف وهو بعيد.وقوله: واتخذ الله إبراهيم خليلا عطف ثناء إبراهيم على مدح من اتبع دينه زيادة تنويه بدين إبراهيم، فأخبر أن الله اتخذ إبراهيم خليلا. والخليل في كلام العرب الصاحب الملازم الذي لا يخفى عنه شيء من أمور صاحبه، مشتق من الخلال، وهو النواحي المتخللة للمكان فترى الودق يخرج من خلاله [النور: ٤٣] فجرنا خلالهما نهرا [الكهف: ٣٣] . هذا أظهر الوجوه في اشتقاق الخليل. ويقال: خل وخل- بكسر الخاء وضمها- ومؤنثه: خلة- بضم الخاء-، ولا يقال- بكسر الخاء-، قال كعب:أكرم بها خلة لو أنها صدقت وجمعها خلائل. وتطلق الخلة- بضم الخاء- على الصحبة الخالصة لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة [البقرة: ٢٥٤] ، وجمعها خلال من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال [إبراهيم: ٣١] . ومعنى اتخاذ الله إبراهيم خليلا شدة رضى الله عنه، إذ قد علم كل أحد أن الخلة الحقيقية تستحيل على الله فأريد لوازمها وهي الرضى، واستجابة الدعوة، وذكره بخير، ونحو ذلك.وجملة ولله ما في السماوات وما في الأرض إلخ **تذييل** جعل كالاحتراس، علىأن المراد بالخليل لازم معنى الخلة، وليست هي كخلة الناس مقتضية المساواة أو التفضيل، فالمراد منها الكناية عن عبودية إبراهيم في جملة ما في السماوات وما في الأرض. والمحيط: العليم.." (٢)

"أن ابنة محمد بن مسلمة كانت عند رافع بن خديج فكره منها أمرا، أي كبرا فأراد طلاقها، فقالت له: أمسكني واقسم لي ما بدا لك. فنزلت الآية في ذلك.وقرأ الجمهور: أن يصالحا- بتشديد الصاد وفتح اللام- وأصله يتصالحا، فأدغمت التاء في الصاد، وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف: «أن يصلحا» - بضم التحتية وتخفيف الصاد وكسر اللام- أي يصلح كل واحد منهما شأنهما بما يبدو من وجوه المصالحة.والتعريف في قوله: والصلح خير تعريف الجنس وليس

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٠٨/٥

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢١١/٥

تعريف العهد، لأن المقصود إثبات أن ماهية الصلح خير للناس، فهو **تذييل** للأمر بالصلح والترغيب فيه، وليس المقصود أن الصلح المذكور آنفا، وهو الخلع، خير من النزاع بين الزوجين، لأن هذا، وإن صح معناه، إلا أن فائدة الوجه الأول أوفر، ولأن فيه التفادي عن إشكال تفضيل الصلح على النزاع في الخيرية مع أن النزاع لا خير فيه أصلا. ومن جعل الصلحالثاني عين الأول غرته القاعدة المتداولة عند بعض النحاة، وهي: أن لفظ النكرة إذا أعيد معرفا باللام فهو عين الأولى. وهذه القاعدة ذكرها ابن هشام الأنصاري في «مغني اللبيب» في الباب السادس، فقال: يقولون: «النكرة إذا أعيدت نكرة كانت غير الأولى، وإذا أعيدت معرفة، أو أعيدت المعرفة معرفة أو نكرة كانت الثانية عين الأولى» ، ثم ذكر أن في القرآن آيات ترد هذه الأحكام الأربعة كقوله تعالى: الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا [الروم: ٥٤] وقوله: أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير [النساء: ١٢٨] زدناهم عذابا فوق العذاب [النحل: ٨٨] والشيء لا يكون فوق نفسه أن النفس بالنفس [المائدة: ٤٥] يسئلك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء [النساء: ١٥٣] ، وأن في كلام العرب ما يرد ذلك أيضا. والحق أنه لا يختلف في ذلك إذا قامت قرينة على أن الكلام لتعريف الجنس لا لتعريف العهد، كما هنا. وقد تقدم القول في إعادة المعرفة نكرة عند قوله تعالى: وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة في سورة البقرة [١٩٣] . ويأتي عند قوله تعالى: وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه في سورة الأنعام [٣٧] .وقوله خير ليس هو تفضيلا ولكنه صفة مشبهة، وزنه فعل، كقولهم: سمح وسهل، ويجمع على خيور. أو هو مصدر مقابل الشر، فتكون إخبارا بالمصدر. وأما." (١)

"ثم وسع الله عليهما إن لم تنجح المصالحة بينهما فأذن لهما في الفراق بقوله: وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته.وفي قوله: يغن الله كلا من سعته إشارة إلى أن الفراق قد يكون خيرا لهما لأن الفراق خير من سوء المعاشرة. ومعنى إغناء الله كلا: إغناؤه عن الآخر. وفي الآية إشارة إلى أن إغناء الله كلا إنما يكون عن الفراق المسبوق بالسعي في الصلح.وقوله: وكان الله واسعا حكيما **تذييل** وتنهية للكلام في حكم النساء.[١٣١- ١٣٣][سورة النساء (٤) : الآيات ١٣١ إلى ١٣٣]ولله ما في السماوات وما في الأرض ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله وإن تكفروا فإن لله ما في السماوات وما في الأرض وكان الله غنيا حميدا (١٣١) ولله ما في السماوات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا (١٣٢) إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديرا (١٣٣)جملة لله ما في السماوات وما في الأرض معترضة بين الجمل التي قبلها المتضمنة التحريض على التقوى والإحسان وإصلاح الأعمال من قوله:وإن تحسنوا وتتقوا [النساء: ١٢٨] وقوله: وإن تصلحوا وتتقوا [النساء: ١٢٩] وبين جملة ولقد وصينا الآية. فهذه الجملة تضمنت **تذييلات** لتلك الجمل السابقة، وهي مع ذلك تمهيد لما سيذكر بعدها من قوله: ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب إلخ لأنها دليل لوجوب تقوى الله.والمناسبة بين هذه الجملة والتي سبقتها: وهي جملة يغن الله كلا من سعته [النساء: ١٣٠] أن الذي له ما في

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢١٦/٥

السماوات وما في الأرض قادر على أن يغني كل أحد من سعته. وهذا تمجيد لله تعالى، وتذكير بأنه رب العالمين، وكناية عن عظيم سلطانه واستحقاقه للتقوى.." (١)

"وجملة ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم عطف على جملة إن الله لا يغفر أن يشرك به [النساء: ١١٦] .وجعل الأمر بالتقوى وصية: لأن الوصية قول فيه أمر بشيء نافع جامع لخير كثير، فلذلك كان الشأن في الوصية إيجاز القول لأنها يقصد منها وعي السامع، واستحضاره كلمة الوصية في سائر أحواله. والتقوى تجمع الخيرات، لأنها امتثال الأوامر واجتناب المناهي، ولذلك قالوا: ما تكرر لفظ في القرآن ما تكرر لفظ التقوى، يعنون غير الأعلام، كاسم الجلالة.وفي الحديث عن العرباض بن سارية: وعظنا رسول الله موعظة وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، فقلنا يا رسول الله: كأنها موعظة مودع فأوصنا، قال:«أوصيكم بتقوى الله عز وجل والسمع والطاعة». فذكر التقوى في أن اتقوا الله إلخ تفسير لجملة وصينا، فأن فيه تفسيرية. والإخبار بأن الله أوصى الذين أوتوا الكتاب من قبل بالتقوى مقصود منه إلهاب همم المسلمين للتهمم بتقوى الله لئلا تفضلهم الأمم الذين من قبلهم من أهل الكتاب، فإن للائتساء أثرا بالغا في النفوس، كما قال تعالى: يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم [البقرة: ١٨٣] ، والمراد بالذين أوتوا الكتاب اليهود والنصارى، فالتعريف في الكتاب تعريف الجنس فيصدق بالمتعدد.والتقوى المأمور بها هنا منظور فيها إلى أساسها وهو الإيمان بالله ورسله ولذلك قوبلت بجملة وإن تكفروا فإن لله ما في السماوات وما في الأرض.وبين بها عدم حاجته تعالى إلى تقوى الناس، ولكنها لصلاح أنفسهم، كما قال إن تكفروا فإن الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر [الزمر: ٧] . فقوله: فإن لله ما في السماوات وما في الأرض كناية عن عدم التضرر بعصيان من يعصونه، ولذلك جعلهاجوابا للشرط، إذ التقدير فإنه غني عنكم. وتأيد ذلك القصد **بتذييلها** بقوله: وكان الله غنيا حميدا أي غنيا عن طاعتكم، محمودا لذاته، سواء حمده الحامدون وأطاعوه، أم كفروا وعصوه.وقد ظهر بهذا أن جملة وإن تكفروا معطوفة على جملة أن اتقوا الله فهي من تمام الوصية، أي من مقول القول المعبر عنه ب وصينا، فيحسن الوقف على قوله حميدا.." (٢)

"وأما جملة ولله ما في السماوات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا فهي عطف على جملة ولقد وصينا، أتى بها تمهيدا لقوله: إن يشأ يذهبكم فهي مراد بها معناها الكنائي الذي هو التمكن من التصرف بالإيجاد والإعدام، ولذلك لا يحسن الوقف على قوله: وكيلا. فقد تكررت جملة ولله ما في السماوات وما في الأرض هنا ثلاث مرات متتاليات متحدة لفظا ومعنى أصليا، ومختلفة الأغراض الكنائية المقصودة منها، وسبقتها جملة نظيرتهن: وهي ما تقدم من قوله: ولله ما في السماوات وما في الأرض وكان الله بكل شيء محيطا [النساء: ١٢٦] . فحصل تكرارها أربع مرات في كلام متناسق.فأما الأولى السابقة فهي واقعة موقع التعليل لجملة إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء [النساء: ١١٦] ، ولقوله: ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا [النساء: ١١٦] ، **والتذييل** لهما، والاحتراس لجملة واتخذ الله إبراهيم خليلا [النساء: ١٢٥] ، كما ذكرناه آنفا. وأما الثانية التي بعدها فواقعة موقع التعليل لجملة يغن الله كلا من سعته. وأما الثالثة التي تليها

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٥/٢١٩

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٥/٢٢٠

فهي علة للجواب المحذوف، وهو جواب قوله: وإن تكفروا فالتقدير: وإن تكفروا فإن الله غني عن تقواكم وإيمانكم فإن له ما في السماوات وما في الأرض وكان ولا يزال غنيا حميدا. وأما الرابعة التي تليها فعاطفة على مقدر معطوف على جواب الشرط تقديره: وإن تكفروا بالله وبرسوله فإن الله وكيل عليكم ووكيل عن رسوله وكفى بالله وكيلا.وجملة إن يشأ يذهبكم واقعة موقع التفريع عن قوله: غنيا حميدا. والخطاب بقوله: أيها الناس للناس كلهم الذين يسمعون الخطاب تنبيها لهم بهذا النداء. ومعنى يأت بآخرين يوجد ناسا آخرين يكونون خيرا منكم في تلقي الدين.وقد علم من مقابلة قوله: أيها الناس بقوله: بآخرين أن المعنى بناس آخرين غير كافرين، على ما هو الشائع في الوصف بكلمة آخر أو أخرى، بعد ذكر مقابلللموصوف، أن يكون الموصوف بكلمة آخر بعضا من جنس ما عطف هو عليه باعتبار ما جعله المتكلم جنسا في كلامه، بالتصريح أو التقدير. وقد ذهب بعض علماء اللغة إلى لزوم ذلك، واحتفل بهذه المسألة الحريري في «درة الغواص» . وحاصلها: أن الأخفش الصغير، والحريري، والرضي، وابن يسعون، والصقلي، وأبا حيان، ذهبوا إلى اشتراط اتحاد جنس الموصوف بكلمة آخر وما تصرف منها مع جنس ما عطف هو." (١)

"[سورة النساء (٤) : آية ١٣٦]يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا (١٣٦)**تذييل** عقب به أمر المؤمنين بأن يكونوا قوامين بالقسط شهداء لله، فأمرهم الله عقب ذلك بما هو جامع لمعاني القيام بالقسط والشهادة لله: بأن يؤمنوا بالله ورسله وكتبه، ويدوموا على إيمانهم، ويحذروا مسارب ما يخل بذلك.ووصف المخاطبين بأنهم آمنوا، وإردافه بأمرهم بأن يؤمنوا بالله ورسله إلى آخره يرشد السامع إلى تأويل الكلام تأويلا يستقيم به الجمع بين كونهم آمنوا وكونهم مأمورين بإيمان، ويجوز في هذا التأويل خمسة مسالك:المسلك الأول: تأويل الإيمان في قوله: يا أيها الذين آمنوا بأنه إيمان مختل منه بعض ما يحق الإيمان به، فيكون فيها خطاب لنفر من اليهود آمنوا، وهم عبد الله بن سلام، وأسد وأسيد ابنا كعب، وثعلبة بن قيس، وسلام ابن أخت عبد الله بن سلام، وسلمة ابن أخيه، ويامين بن يامين، سألوا النبيء صلى الله عليه وسلم أن يؤمنوا به وبكتابه، كما آمنوا بموسى وبالتوراة، وأن لا يؤمنوا بالإنجيل، كما جاء في رواية الواحدي عن الكلبي، ورواه غيره عن ابن عباس.المسلك الثاني: أن يكون التأويل في الإيمان المأمور به أنه إيمان كامل لا تشوبه كراهية بعض كتب الله، تحذيرا من ذلك. فالخطاب للمسلمين لأن وصف الذين آمنوا صار كاللقب للمسلمين، ولا شك أن المؤمنين قد آمنوا بالله وما عطف على اسمه هنا، فالظاهر أن المقصود بأمرهم بذلك: إما زيادة تقرير ما يجب الإيمان به، وتكرير استحضارهم إياه حتى لا يذهلوا عن شيء منه اهتماما بجميعه وإما النهي عن إنكار الكتاب المنزل علموسى وإنكار نبوءته، لئلا يدفعهم بغض اليهود وما بينهم وبينهم من الشنآن إلى مقابلتهم بمثل ما يصرح به اليهود من تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وإنكار نزول القرآن وإما أريد به التعريض بالذين يزعمون أنهم يؤمنون بالله ورسله." (٢)

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٥/٢٢١

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٥/٢٢٩

"وجملة إن المنافقين مستأنفة استئنافا بيانيا، ثانيا إذ هي عود إلى أحوال المنافقين.وتأكيد الخبر ب (إن) لإفادة أنه لا محيص لهم عنه.والدرك: اسم جمع دركة، ضد الدرج اسم جمع درجة. والدركة المنزلة في الهبوط. فالشيء الذي يقصد أسفله تكون منازل التدلي إليه دركات، والشيء الذي يقصد أعلاه تكون منازل الرقي إليه درجات، وقد يطلق الاسمان على المنزلة الواحدة باختلاف الاعتبار وإنما كان المنافقون في الدرك الأسفل، أي في أذل منازل العذاب، لأن كفرهم أسوأ الكفر لما حف به من الرذائل.وقرأ الجمهور: في الدرك- بفتح الراء- على أنه اسم جمع دركة ضد الدرجة.وقرأه عاصم. وحمزة، والكسائي، وخلف- بسكون الراء- وهما لغتان وفتح الراء هو الأصل، وهو أشهر.والخطاب في ولن تجد لهم نصيرا لكل من يصح منه سماع الخطاب، وهو تأكيد للوعيد، وقطع لرجائهم، لأن العرب ألفوا الشفاعات والنجدات في المضائق. فلذلك كثر في القرآن **تذييل** الوعيد بقطع الطمع في النصير والفداء ونحوهما.واستثنى من هذا الوعيد من آمن من المنافقين، وأصلح حاله، واعتصم بالله دون الاعتزاز بالكافرين، وأخلص دينه لله، فلم يشبه بتردد ولا تربص بانتظار من ينتصر من الفريقين: المؤمنين والكافرين، فأخبر أن من صارت حاله إلى هذا الخير فهو مع المؤمنين، وفي لفظ (مع) إيماء إلى فضيلة من آمن من أول الأمر ولم يصم نفسه بالنفاق لأن (مع) تدخل على المتبوع وهو الأفضل.وجيء باسم الإشارة في قوله: فأولئك مع المؤمنين لزيادة تمييز هؤلاء الذين تابوا، وللتنبيه على أنهم أحرياء بما سيرد بعد اسم الإشارة.وقد علم الناس ما أعد الله للمؤمنين بما تكرر في القرآن، ولكن زاده هنا تأكيدا بقوله: وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما. وحرف التنفيس هنا دل على أن المراد من الأجر أجر الدنيا وهو النصر وحسن العاقبة وأجر الآخرة، إذ الكل مستقبل، وأن ليس المراد منه الثواب لأنه حصل من قبل.." (١)

"[سورة النساء (٤) : آية ١٤٧]ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرا عليما (١٤٧)**تذييل** لكلتا الجملتين: جملة إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار مع الجملة المتضمنة لاستثناء من يتوب منهم ويؤمن، وما تضمنته من التنويه بشأن المؤمنين من قوله:وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما [النساء: ١٤٦] .والخطاب يجوز أن يراد به جميع الأمة، ويجوز أن يوجه إلى المنافقين على طريقة الالتفات من الغيبة إلى الخطاب ارتفاقا بهم.والاستفهام في قوله: ما يفعل الله بعذابكم أريد به الجواب بالنفي فهو إنكاري، أي لا يفعل بعذابكم شيئا.ومعنى يفعل يصنع وينتفع، بدليل تعديته بالباء. والمعنى أن الوعيد الذي توعد به المنافقون إنما هو على الكفر والنفاق، فإذا تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله غفر لهم العذاب، فلا يحسبوا أن الله يعذبهم لكراهة في ذاتهم أو تشف منهم، ولكنه جزاء السوء، لأن الحكيم يضع الأشياء مواضعها، فيجازي على الإحسان بالإحسان، وعلى الإساءة بالإساءة، فإذا أقلع المسيء عن الإساءة أبطل الله جزاءه بالسوء، إذ لا ينتفع بعذاب ولا بثواب، ولكنها المسببات تجري على الأسباب. وإذا كان المؤمنون قد ثبتوا على إيمانهم وشكرهم،. وتجنبوا موالاة المنافقين والكافرين، فالله لا يعذبهم، إذ لا موجب لعذابهم.وجملة وكان الله شاكرا عليما اعتراض في آخر الكلام، وهو إعلام

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٤٤/٥

بأن الله لا يعطل الجزاء الحسن عن الذين يؤمنون به ويشكرون نعمه الجمة، والإيمان بالله وصفاته أول درجات شكر العبد ربه.." (١)

"ووجه هذه المبالغة: أن كفرهم قد اشتمل على أحوال عديدة من الكفر، وعلى سفالة في الخلق، أو سفاهة في الرأي بمجموع ما حكي عنهم من تلك الصلاة، فإن كل خصلة منها إذا انفردت هي كفر، فكيف بها إذا اجتمعت.وحقا مصدر مؤكد لمضمون الجملة التي قبله، أي حقهم حقا أيها السامع بالغين النهاية في الكفر، ونظير هذا قولهم: (جدا) . والتوكيد في مثل هذا لمضمون الجملة التي قبله على ما أفادته الجملة، وليس هو لرفع المجاز، فهو تأكيد لما أفادته الجملة من الدلالة على معنى النهاية لأن القصر مستعمل في ذلك المعنى، ولم يقصد بالتوكيد أن يصير القصر حقيقيا لظهور أن ذلك لا يستقيم، فقول بعض النحاة، في المصدر المؤكد لمضمون الجملة: إنه يفيد رفع احتمال المجاز، بناء منهم على الغالب في مفاد التأكيد.وأعتدنا معناه هيأنا وقدرنا، والتاء في أعتدنا بدل من الدال عند كثير من علماء اللغة، وقال كثير منهم: التاء أصلية، وأنه بناء على حدة هو غير بناء عد. وقال بعضهم: إن عتد هو الأصل وأن عد أدغمت منه التاء في الدال، وقد ورد البناءان كثيرا في كلامهم وفي القرآن.وجيء بجملة والذين آمنوا بالله ورسله إلى آخرها لمقابلة المسيئين بالمحسنين، والنذارة بالبشارة على عادة القرآن. والمراد بالذين آمنوا المؤمنون كلهم وخاصة من آمنوا من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام. فهم مقصودون ابتداء لما أشعر به موقع هذه الجملة بعد ذكر ضلالهم ولما اقتضاه **تذييل** الجملة بقوله: وكان الله غفورا رحيما أي غفورا لهم ما سلف من كفرهم، رحيما بهم.والقول في الإتيان بالموصول وباسم الإشارة في هذه الجملة كالقول في مقابله.وقوله: بين أحد منهم تقدم الكلام على مثله في قوله تعالى: لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون في سورة البقرة [١٣٦] .." (٢)

"وقد تقدم الكلام على معنى هذا الرفع، وعلى الاختلاف في أن عيسى- عليه السلام- بقي حيا أو أماته الله، عند قوله تعالى: إني متوفيك ورافعك إلي في سورة آل عمران [٥٥] .**والتذييل** بقوله: وكان الله عزيزا حكيما ظاهر الموقع لأنه لما عز فقد حق لعزه أن يعز أولياءه، ولما كان حكيما فقد أتقن صنع هذا الرفع فجعله فتنة للكافرين، وتبصرة للمؤمنين، وعقوبة ليهوذا الخائن.[١٥٩][سورة النساء (٤) : آية ١٥٩]وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا (١٥٩)عطف على جملة وما قتلوه [النساء: ١٥٧] . وهذا الكلام إخبار عنهم، وليس أمرا لهم، لأن وقوع لام الابتداء فيه ينادي على الخبرية. وإن نافية ومن أهل الكتاب صفة لموصوف محذوف تقديره: أحد.والضمير المجرور عائد لعيسى: أي ليومنن بعيسى، والضمير في موته يحتمل أن يعود إلى أحد أهل الكتاب، أي قبل أن يموت الكتابي، ويؤيده قراءة أبي بن كعب إلا ليؤمنن به قبل موته. وأهل الكتاب يطلق على اليهود والنصارى فأما النصارى فهم مؤمنون بعيسى من قبل، فيتعين أن يكون المراد بأهل الكتاب اليهود. والمعنى أن اليهود مع شدة كفرهم بعيسى لا يموت أحد منهم إلا وهو يؤمن بنبوته قبل موته، أي ينكشف له ذلك عند الاحتضار قبل انزهاق روحه، وهذه منة من الله بها على عيسى،

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٤٥/٥

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١٢/٦

إذ جعل أعداءه لا يخرجون من الدنيا إلا وقد آمنوا به جزاء له على ما لقي من تكذيبهم، لأنه لم يتمتع بمشاهدة أمة تتبعه. وقيل: كذلك النصراني عند موته ينكشف له أن عيسى عبد الله.وعندي أن ضمير به راجع إلى الرفع المأخوذ من فعل رفعه الله إليه [النساء:١٥٨] ، ويعم قوله أهل الكتاب اليهود، والنصارى، حيث استووا مع اليهود في اعتقاد وقوع الصلب.." (١)

"الانسياق الضروري مفقود عنده. وعلى هذا الوجه يكون الوجوب غير شرعي، ولا عقلي نظري، بل هو من الأمور الضرورية التي لا يستطاع دفعها فلا عجب أن تقع المؤاخذة بتعمد مخالفتها.وثاني الجوابين: بالتسليم، غير أن ما وقر في جبلة البشر من استطلا ع الحوادث والأخبار الجديدة، والإصغاء لكل صاحب دعوة، أمر يحمل كل من دعاه الرسول إلى الدين على أن يستمع لكلامه، ويتلقى دعوته وتحديه ومعجزته، فلا يشعر إلا وقد سلكت دعوته إلى نفس المدعو، فحركت فيه داعية النظر، فهو ينجذب إلى تلقي الدعوة، رويدا رويدا، حتى يجد نفسه قد وعاها وعلمها علما لا يستطيع بعده أن يقول: إني لا أنظر المعجزة، أو لا أصغي إلى الدعوة. فإن هو أعرض بعد ذلك فقد اختار العمى على الهدى، فكان مؤاخذا، فلو قدرنا أحدا مر برسول يدعو فشغله شاغل عن تعرف أمره والإصغاء لكلامه والنظر في أعماله، لسلمنا أنه لا يكون مخاطبا، وأن هذا الواحد وأمثاله إذا أفحم الرسول لا تتعطل الرسالة، ولكنه خسر هديه، وسفه نفسه.ولا يرد علينا أن من سمع دعوة الرسول فجعل أصابعه في أذنيه وأعرض هاربا حينئذ، لا يتوجه إليه وجوب المعرفة، لأن هذا ما صنع صنعه إلا بعد أن علم أنه قد تهيأ لتوجه المؤاخذة عليه إذا سمع فعصى، وكفى بهذا شعورا منه بتوجه التكليف إليه فيكون مؤاخذا على استحبابه العمى على الهدى، كما قال تعالى في قوم نوح: وإني كلما دعوتهم- أي إلى الإيمان- لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم [نوح: ٧] .والإظهار في مقام الإضمار في قوله: بعد الرسل دون أن يقال: بعدهم، للاهتمام بهذه القضية واستقلالها في الدلالة على معناها حتى تسير مسرى الأمثال.ومناسبة **التذييل** بالوصفين في قوله: عزيزا حكيما: أما بوصف الحكيم فظاهرة،." (٢)

"ليكون **تذييلا** وتأكيدا لما سبقه، إذ قد تهيأ من القوارع السالفة ما قامت به الحجة، واتسعت المحجة، فكان المقام للأمر باتباع الرسول والإيمان. وكذلك شأن الخطيب إذا تهيأت الأسماع، ولانت الطباع.ويسمى هذا بالمقصد من الخطاب، وما يتقدمه بالمقدمة. على أن الخطاب بيا أيها الناس يعني خصوص المشركين في الغالب، وهو المناسب لقوله: فآمنوا خيرا لكم.والتعريف في الرسول للعهد، وهو المعهود بين ظهرانيهم. (والحق) هو الشريعة والقرآن، ومن ربكم متعلق ب جاءكم، أو صفة للحق، و (من) للابتداء المجازي فيهما، وتعدية جاء إلى ضمير المخاطبين ترغيب لهم في الإيمان لأن الذي يجيء مهتما بناس يكون حقا عليهم أن يتبعوه، وأيضا في طريق الإضافة من قوله ربكم ترغيب ثان لما تدل عليه من اختصاصهم بهذا الدين الذي هو آت من ربهم، فلذلك أتي بالأمربالإيمان مفرعا على هاته الجمل بقوله: فآمنوا خيرا لكم.وانتصب خيرا على تعلقه بمحذوف لازم الحذف في كلامهم لكثرة الاستعمال، فجرى مجرى الأمثال، وذلك فيما دل على الأمر والنهي

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٤/٦

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٤٣/٦

من الكلام نحو انتهوا خيرا لكم [النساء: ١٧١] ، ووراءك أوسع لك، أي تأخر، وحسبك خيرا لك، وقول عمر بن أبي ربيعة:فواعديه سرحتي مالك ... أو الربى بينهما. أسهلافنصبه مما لم يختلف فيه عن العرب، واتفق عليه أئمة النحو، وإنما اختلفوا في المحذوف: فجعله الخليل وسيبويه فعلا أمرا مدلولا عليه من سياق الكلام، تقديره: ايت أو اقصد، قالا: لأنك لما قلت له: انته، أو افعل، أو حسبك، فأنت تحمله على شيء آخر أفضل له. وقال الفراء من الكوفيين: هو في مثله صفة مصدر محذوف، وهو لا يتأتى فيما كان منتصبا بعد نهي، ولا فيما كان منتصبا بعد غير متصرف، نحو: وراءك وحسبك.وقال الكسائي والكوفيون: نصب بكان محذوفة مع خبرها، والتقدير: يكن خيرا. وعندي:أنه منصوب على." (١)

"وقوله: وكفى بالله وكيلا **تذييل**، والوكيل الحافظ، والمراد هنا حافظ ما في السماوات والأرض، أي الموجودات كلها. وحذف مفعول (كفى) للعموم، أي كفى كل أحد، أي فتوكلوا عليه، ولا تتوكلوا على من تزعمونه ابنا له. وتقدم الكلام على هذا التركيب عند قوله تعالى: وكفى بالله وكيلا في هذه السورة.[١٧٢، ١٧٣][سورة النساء (٤) : الآيات ١٧٢ إلى ١٧٣]لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا (١٧٢) فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا أليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا (١٧٣)استئناف واقع موقع تحقيق جملة له ما في السماوات وما في الأرض [النساء: ١٧١] أو موقع الاستدلال على ما تضمنته جملة سبحانه أن يكون له ولد [النساء: ١٧١] .والاستنكاف: التكبر والامتناع بأنفة، فهو أشد من الاستكبار، ونفي استنكاف المسيح: إما إخبار عن اعتراف عيسى بأنه عبد الله، وإما احتجاج على النصارى بما يوجد في أناجيلهم. قال الله تعالى حكاية عنه قال إني عبد الله آتاني الكتاب [مريم: ٣٠] إلخ.وفي نصوص الإنجيل كثير مما يدل على أن المسيح عبد الله وأن الله إلهه وربه، كما في مجادلته مع إبليس، فقد قال له المسيح «للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد» .وعدل عن طريق الإضافة في قوله: بدا للهفأظهر الحرف الذي تقدر الإضافة عليه: لأن التنكير هنا أظهر في العبودية، أي عبدا من جملة العبيد، ولو قال: عبد الله لأوهمت الإضافة أنه العبد الخصيص، أو أن ذلك علم له.." (٢)

"المال ليست من الأفعال المشتملة على صفة حسن وقبيح بينة إلا إذا كان فيها حرمان لمن هو حقيق بالمؤاساة والمبرة، ولأن المصدر مع (أن) يتعين أن يكون بمعنى المستقبل، فكيف يصح أن يراد ب أن تضلوا ضلالا قد مضى، وسيجيء زيادة بيان لهذا عند قوله تعالى: أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا في سورة الأنعام [١٥٦] .وعن عمر أنه كان إذا قرأ هذه الآية يقول: «اللهم من بينت له الكلالة فلم تبين لي» .رواه الطبري، وفي سنده انقطاع، وقد ضعفوه.وقوله: والله بكل شيء عليم **تذييل**. وفي هذه الآية إيذان بختم الكلام، كقوله:هذا بلاغ للناس ولينذروا به [إبراهيم: ٥٢] الآية، وكقوله تعالى في حكاية كلام صاحبموسى ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا [الكهف: ٨٢] . فتؤذن بختام السورة.وتؤذن

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٤٩/٦

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٥٩/٦

بختام التنزيل إن صح أنها آخر آية نزلت كما ذلك في بعض الروايات، وإذا صح ذلك فلا أرى اصطلاح علماء بلدنا على أن يختموا تقرير دروسهم بقولهم: «والله أعلم» إلا تيمنا بمحاكاة ختم التنزيل.." (١)

"أي ليعن بعضكم بعضا على البر والتقوى. وفائدة التعاون تيسير العمل، وتوفير المصالح، وإظهار الاتحاد والتناصر، حتى يصبح ذلك خلقا للأمة. وهذا قبل نزول قوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا [التوبة: ٢٨] .وقوله: ولا تعاونوا على الإثم والعدوان تأكيد لمضمون وتعاونوا على البر والتقوى لأن الأمر بالشيء، وإن كان يتضمن النهي عن ضده، فالاهتمام بحكم الضد يقتضي النهي عنه بخصوصه. والمقصود أنه يجب أن يصد بعضكم بعضا عن ظلم قوم لكم نحوهم شنآن.وقوله: واتقوا الله الآية **تذييل**. وقوله: شديد العقاب تعريض بالتهديد.[٣][سورة المائدة (٥) : آية ٣]حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم (٣)حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب.استئناف بياني ناشيء عن قوله: أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم [المائدة: ١] ، فهو بيان لما ليس بحلال من الأنعام.ومعنى تحريم هذه المذكورات تحريم أكلها، لأنه المقصود من مجموع هذه المذكورات هنا. وهي أحوال من أحوال الأنعام تقتضي تحريم أكلها. وأدمج فيها نوع من الحيوان ليس من أنواع الأنعام وهو الخنزير، لاستيعاب محرمات الحيوان. وهذا الاستيعاب دليل لإباحة ما سوى ذلك، إلا ما ورد في السنة من تحريم الحمر الأهلية، على اختلاف بين العلماء في معنى تحريمها، والظاهر أنه تحريم منظور فيه إلى حالة." (٢)

"بعد ذلك صيدا في الجهة التي كان يجوسها الجارح أو عرف أثر كلبه فيه فعن مالك: لا يؤكل، وعن بعض أصحابه:يؤكل. وأما إذا وجد الصائد سهمه في مقاتل الصيد فإنه يؤكل لا محالة.وأحسب أن قوله تعالى: مما أمسكن عليكم احتراز عن أن يجد أحد صيدا لم يصده هو، ولا رأى الجارح حين أمسكه، لأن ذلك قد يكون موته على غير المعتاد فلا يكون ذكاة، وأنه لا يحرم على من لم يتصد للصيد أن يأكل صيدا رأى كلب غيره حين صاده إذا لم يجد الصائد قريبا، أو ابتاعه من صائده، أو استعطاه إياه.وقوله: واذكروا اسم الله عليه أمر بذكر الله على تعالى الصيد، ومعناه أن يذكره عند الإرسال لأنه قد يموت بجرح الجارح، وأما إذا أمسكه حيا فقد تعين ذبحه فيذكر اسم الله عليه حينئذ. ولقد أبدع إيجاز كلمة «عليه» ليشمل الحالتين. وحكم نسيان التسمية وتعمد تركها معلوم من كتب الفقه والخلاف، والدين يسر.وقد اختلف الفقهاء: في أن الصيد رخصة، أو صفة من صفات الذكاة. فالجمهور ألحقوه بالذكاة، وهو الراجح، ولذلك أجازوا أكل صيد الكتابي دون المجوسي. وقال مالك: هو رخصة للمسلمين فلا يؤكل صيد الكتابي ولا المجوسي ولا قوله تعالى: يا

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٦٨/٦

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٨٨/٦

أيهاالذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم[المائدة: ٩٤] . وهو دليل ضعيف: لأنه وارد في غير بيان الصيد، ولكن في حرمة الحرم. وخالفه أشهب، وابن وهب، من أصحابه. ولا خلاف في عدم أكل صيد المجوسي إلا رواية عن أبي ثور إذ ألحقهم بأهل الكتاب فهو اختلاف في الأصل لا في الفرع.وقوله: واتقوا الله الآية **تذييل** عام ختمت به آية الصيد، وهو عام المناسبة." (١)

"وقوله: ولكن يريد ليطهركم إشارة إلى أن من حكمة الأمر بالغسل والوضوء التطهير وهو تطهير حسي لأنه تنظيف، وتطهير نفسي جعله الله فيه لما جعله عبادة فإن العبادات كلها مشتملة على عدة أسرار: منها ما تهتدي إليه الأفهام ونعبر عنها بالحكمة ومنها ما لا يعلمه إلا الله، ككون الظهر أربع ركعات، فإذا ذكرت حكم للعبادات فليس المراد أن الحكم منحصرة فيما علمناه وإنما هو بعض من كل وظن لا يبلغ منتهى العلم، فلما تعذر الماء عوض بالتيمم، ولو أراد الحرج لكلفهم طلب الماء ولو بالثمن أو ترك الصلاة إلى أن يوجد الماء ثم يقضون الجميع. فالتيمم ليس فيه تطهير حسي وفيه التطهير النفسي الذي في الوضوء لما جعل التيمم بدلا عن الوضوء، كما تقدم في سورة النساء.وقوله وليتم نعمته عليكم أي يكمل النعم الموجودة قبل الإسلام بنعمة الإسلام، أو ويكمل نعمة الإسلام بزيادة أحكامه الراجعة إلى التزكية والتطهير مع التيسير في أحوال كثيرة. فالإتمام إما بزيادة أنواع من النعم لم تكن، وإما بتكثير فروع النوع من النعم.وقوله: لعلكم تشكرون أي رجاء شكركم إياه. جعل الشكر علة لإتمام النعمة على طريقة المجاز بأن استعيرت صيغة الرجاء إلى الأمر لقصد الحث عليه وإظهاره في صورة الأمر المستقرب الحصول.[٧][سورة المائدة (٥) : آية ٧]واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به إذ قلتم سمعنا وأطعنا واتقوا الله إن الله عليم بذات الصدور (٧)عطف على جملة ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج [المائدة: ٦] الآية الواقعة **تذييلا** لقوله: يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة [المائدة: ٦] الآية.والكلام مرتبط بما افتتحت به السورة من قوله: أوفوا بالعقود لأن في التذكير بالنعمة تعريضا بالحث على الوفاء.ذكرهم بنعم مضت تذكيرا يقصد منه الحث على الشكر وعلى الوفاء." (٢)

"تناذرها الراقون من سوء سمعها أي من سوء طاعتها للرقية، أي عدم نجاح الرقية في سمها. وعقب ذلك بالأمر بالتقوى لأن النعمة تستحق أن يشكر مسديها. وشكر الله تقواه.وجملة إن الله عليم بذات الصدور **تذييل** للتحذير من إضمار المعاصي ومن توهم أن الله لا يعلم إلا ما يبدو منهم. وحرف (إن) أفاد أن الجملة علة لما قبلها على الأسلوب المقرر في البلاغة في قول بشار:إن ذاك النجاح في التبكير [٨][سورة المائدة (٥) : آية ٨]يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون (٨)لما ذكرهم بالنعمة عقب ذلك بطلب الشكر للمنعم والطاعة له، فأقبل على خطابهم بوصف الإيمان الذي هو منبع النعم الحاصلة لهم.فالجملة استئناف نشأ عن ترقب السامعين بعد تعداد النعم. وقد تقدم نظير هذه الآية في سورة النساء، ولكن آية سورة النساء [١٣٥] تقول: كونوا قوامين بالقسط شهداء لله وما هنا بالعكس.ووجه ذلك أن الآية التي في سورة النساء

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١١٨/٦

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١٣٢/٦

وردت عقب آيات القضاء في الحقوق المبتدأة بقوله: إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله [النساء:١٠٥] ، ثم تعرضت لقضية بني أبيرق في قوله: ولا تكن للخائنين خصيما [النساء: ١٠٥] ، ثم أردفت بأحكام المعاملة بين الرجال والنساء، فكان الأهم." (١)

"تعليق هذا الشرط إشعار بالاستقبال. والمضارع المقترن بأن وهو أن يهلك مستعمل في مجرد المصدرية.والمراد ب من في الأرض حينئذ من كان في زمن المسيح وأمه من أهل الأرض فقد هلكوا كلهم بالضرورة. والتقدير: من يملك أن يصد الله إذ أراد إهلاك المسيح وأمه ومن في الأرض يومئذ.ولك أن تلتزم كون الشرط للاستقبال باعتبار جعل من في الأرض جميعا بمعنى نوع الإنسان، فتعليق الشرط باعتبار مجموع مفاعيل يهلك على طريقة التغليب فإن بعضها وقع هلكه وهو أم المسيح، وبعضها لم يقع وسيقع وهو إهلاك من في الأرض جميعا، أي إهلاك جميع النوع، لأن ذلك أمر غير واقع ولكنه ممكن الوقوع.والحاصل أن استعمال هذا الشرط من غرائب استعمال الشروط في العربية، ومرجعه إلى استعمال صيغة الشرط في معنى حقيقي ومعنى مجازي تغليبا للمعنى الحقيقي، لأن من في الأرض يعم الجميع وهو الأكثر. ولم يعطه المفسرون حقه من البيان. وقد هلكت مريم أم المسيح- عليهما السلام- في زمن غير مضبوط بعد رفع المسيح.**والتذييل** بقوله: ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء فيه تعظيم شأن الله تعالى. ورد آخر عليهم بأن الله هو الذي خلق السماوات والأرض وملك ما فيها من قبل أن يظهر المسيح، فالله هو الإله حقا، وأنه يخلق ما يشاء، فهو الذي خلق المسيح خلقا غير معتاد، فكان موجب ضلال من نسب له الألوهية. وكذلك قوله: والله على كل شيء قدير.[١٨][سورة المائدة (٥) : آية ١٨]وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما وإليه المصير (١٨)مقال آخر مشترك بينهم وبين اليهود يدل على غباوتهم في الكفر إذ." (٢)

"ليس من مقدور الناس، أي ومن اهتم باستنقاذها والذب عنها فكأنما أحيى الناس جميعا بذلك التوجيه الذي بيناه آنفا، أو من غلب وازع الشرع والحكمة على داعي الغضب والشهوة فانكف عن القتل عند الغضب.ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم إن كثيرا منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون.**تذييل** لحكم شرع القصاص على بني إسرائيل، وهو خبر مستعمل كناية عن إعراضهم عن الشريعة، وأنهم مع ما شدد عليهم في شأن القتل ولم يزالوا يقتلون، كما أشعر به قوله بعد ذلك، أي بعد أن جاءتهم رسلنا بالبينات. وحذف متعلق «مسرفون» لقصد التعميم.والمراد مسرفون في المفاسد التي منها قتل الأنفس بقرينة قوله: في الأرض، فقد كثر في استعمال القرآن ذكر في الأرض [البقرة: ٦٠] مع ذكر الإفساد.وجملة ثم إن كثيرا منهم عطف على جملة ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات.و (ثم) للتراخي في الرتبة، لأن مجيء الرسل بالبينات شأن عجيب، والإسراف في الأرض بعد تلك البينات أعجب. وذكر في الأرض لتصوير هذا الإسراف عند السامع وتفظيعه، كما في قوله تعالى: ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها [الأعراف: ٥٦] . وتقديم في الأرض للاهتمام وهو يفيد زيادة تفظيع الإسراف

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٣٤/٦

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١٥٥/٦

فيها مع أهمية شأنها.وقرأ الجمهور رسلنا- بضم السين-. وقرأه أبو عمرو ويعقوب- بإسكان السين-.[٣٣، ٣٤][سورة المائدة (٥) : الآيات ٣٣ إلى ٣٤]إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم (٣٣) إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم (٣٤)." (١)

"من قواد الأندلس، وفرسانهم لجأوا إلى صاحب قشتالة (بلاد النصارى) بعد كائنة (اللسانة) -كذا- واستنصروا به على المسلمين واعتصموا بحبل جواره وسكنوا أرض النصارى فهل يحل لأحد من المسلمين مساعدتهم ولأهل مدينة أو حصن أن يأووهم. فأجابوا بأن ركونهم إلى الكفار واستنصارهم بهم قد دخلوا به في وعيد قوله تعالى: ومن يتولهم منكم فإنه منهم فمن أعانهم فهو معين على معصية الله ورسوله، هذا ما داموا مصرين على فعلهم فإن تابوا ورجعوا عما هم عليه من الشقاق والخلاف فالواجب على المسلمين قبولهم (١) .فاستدلالهم في جوابهم بهذه الآية يدل على أنهم تأولوها على معنى أنه منهم في استحقاق المقت والمذمة، وهذا الذي فعلوه، وأجاب عنه الفقهاء هو أعظم أنواع الموالاة بعد موالاة الكفر. وأدنى درجات الموالاة المخالطة والملابسة في التجارة ونحوها. ودون ذلك ما ليس بموالاة أصلا، وهو المعاملة. وقد عامل النبيء صلى الله عليه وسلم يهود خيبر مساقاة على نخل خيبر، وقد بينا شيئا من تفصيل هذا عند قوله تعالى: لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين في سورة آل عمران [٢٨] .وجملة إن الله لا يهدي القوم الظالمين **تذييل** للنهي، وعموم القوم الظالمين شمل اليهود والنصارى، وموقع الجملة **التذييلية** يقتضي أن اليهود والنصارى من القوم الظالمين بطريق الكناية. والمراد بالظالمين الكافرون.وقوله: فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم تفريع لحالة من موالاتهم أريد وصفها للنبيء صلى الله عليه وسلم لأنها وقعت في حضرته. والمرض هنا أطلق على النفاق كما تقدمفي قوله تعالى: في قلوبهم مرض في سورة البقرة [١٠] . أطلق عليه مرض لأنه كفر مفسد للإيمان.__________(١) انظر «جامع المعيار» . [.....]."(٢)

"وجملة ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء **تذييل**. واسم الإشارة إشارة إلى مجموع صفات الكمال المذكورة.وواسع وصف بالسعة، أي عدم نهاية التعلق بصفاته ذات التعلق، وتقدم بيانه عند قوله تعالى: قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم في سورة آل عمران [٧٣] .[٥٥، ٥٦][سورة المائدة (٥) : الآيات ٥٥ إلى ٥٦]إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون (٥٥) ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون (٥٦)جملة إنما وليكم الله ورسوله إلى آخرها متصلة بجملة يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض [المائدة: ٥١] وما تفرع عليها من قوله فترى الذين في قلوبهم مرض- إلى قوله- فأصبحوا خاسرين [المائدة: ٥٢، ٥٣] . وقعت جملة يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه [المائدة: ٥٤] بين الآيات معترضة، ثم اتصل الكلام بجملة إنما وليكم الله ورسوله. فموقع هذه الجملة موقع التعليل للنهي، لأن ولايتهم لله ورسوله مقررة عندهم فمن كان الله وليه لا تكون أعداء الله أولياءه. وتفيد هذه الجملة تأكيدا للنهي عن ولاية اليهود والنصارى. وفيه تنويه بالمؤمنين بأنهم أولياء

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٧٩/٦

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٣١/٦

الله ورسوله بطريقة تأكيد النفي أو النهي بالأمر بضده، لأن قوله: إنما وليكم الله ورسوله يتضمن أمرا بتقرير هذه الولاية ودوامها، فهو خبر مستعمل في معنى الأمر، والقصر المستفاد من (إنما) قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا.ومعنى كون الذين آمنوا أولياء للذين آمنوا أن المؤمنين بعضهم أولياء بعض، كقوله تعالى: والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض [التوبة: ٧١] . وإجراء صفتي يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة على الذين آمنوا للثناء عليهم، وكذلك جملة وهم راكعون.." (١)

"لأن العمى والصمم يوقعان في الضلال عن الطريق وانعدام استفادة ما ينفع. فالجمع بين العمى والصمم جمع في الاستعارة بين أصناف حرمان الانتفاع بأفضل نافع، فإذا حصل الإعراض عن ذلك غلب الهوى على النفوس، لأن الانسياق إليه في الجبلة، فتجنبه محتاج إلى الوازع، فإذا انعدم الوازع جاء سوء الفعل، ولذلك كان قوله: فعموا وصموا مرادا منه معناه الكنائي أيضا، وهو أنهم أساءوا الأعمال وأفسدوا، فلذلك استقام أن يعطف عليه قوله ثم تاب الله عليهم. وقد تأكد هذا المراد بقوله في تذييل الآية والله بصير بما يعملون.وقوله: ثم تاب الله عليهم أي بعد ذلك الضلال والإعراض عن الرشد وما أعقبه من سوء العمل والفساد في الأرض. وقد استفيد من قوله: ألا تكون فتنة وقوله:ثم تاب الله عليهم أنهم قد أصابتهم الفتنة بعد ذلك العمى والصمم وما نشأ عنها عقوبة لهم، وأن الله لما تاب عليهم رفع عنهم الفتنة، ثم عموا وصموا، أي عادوا إلى ضلالهم القديم وعملهم الذميم، لأنهم مصرون على حسبان أن لا تكون فتنة فأصابتهم فتنةأخرى.وقد وقف الكلام عند هذا العمى والصمم الثاني ولم يذكر أن الله تاب عليهم بعده، فدل على أنهم أعرضوا عن الحق إعراضا شديدا مرة ثانية فأصابتهم فتنة لم يتب الله عليهم بعدها.ويتعين أن ذلك إشارة إلى حادثين عظيمين من حوادث عصور بني إسرائيل بعد موسى- عليه السلام، والأظهر أنهما حادث الأسر البابلي إذ سلط الله عليهم (بختنصر) ملك (أشور) فدخل بيت المقدس مرات سنة ٦٠٦ وسنة ٥٩٨ وسنة ٥٨٨ قبل المسيح.وأتى في ثالثتها على مدينة أورشليم فأحرقها وأحرق المسجد وحمل جميع بني إسرائيل إلى بابل أسارى، وأن توبة الله عليهم كان مظهرها حين غلب (كورش) ملك (فارس) على الآشوريين واستولى على بابل سنة ٥٣٠ قبل المسيح فأذن لليهود أن يرجعوا إلى بلادهم ويعمروها فرجعوا وبنوا مسجدهم.." (٢)

"وصموا ثانية غير الذين عموا وصموا أول مرة، ولكنهم لما كانوا خلفا عن سلف، وكانوا قد أورثوا أخلاقهم أبناءهم اعتبروا كالشيء الواحد، كقولهم: بنو فلان لهم ترات مع بني فلان.وقوله: كثير منهم بدل من الضمير في قوله: ثم عموا وصموا، قصد منه تخصيص أهل الفضل والصلاح منهم في كل عصر بأنهم برآء مما كان عليه دهماؤهم صدعا بالحق وثناء على الفضل.وإذ قد كان مرجع الضميرين الأخيرين في قوله: ثم عموا وصموا هو عين مرجع الضميرين الأولين في قوله: فعموا وصموا كان الإبدال من الضميرين الأخيرين المفيد تخصيصا من عمومهما، مفيدا تخصيصا من عموم الضميرين الذين قبلهما بحكم المساواة بين الضمائر، إذ قد اعتبرت ضمائر أمة واحدة، فإن مرجع تلك الضمائر هو قوله بني إسرائيل [المائدة: ٧٠] . ومن الضروري أنه لا تخلوا أمة ضالة في كل جيل من وجود صالحين فيها، فقد كان في المتأخرين منهم أمثال عبد

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٦/٢٣٩

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٦/٢٧٧

الله بن سلام، وكان في المتقدمين يوشع وكالب اللذين قال الله في شأنها قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب [المائدة: ٢٣] .وقوله: والله بصير بما يعملون **تذييل**. والبصير مبالغة في المبصر، كالحكيم بمعنى المحكم، وهو هنا بمعنى العليم بكل ما يقع في أفعالهم التي من شأنها أن يبصرها الناس سواء ما أبصره الناس منها أم ما لم يبصروه، والمقصود من هذا الخبر لازم معناه، وهو الإنذار والتذكير بأن الله لا يخفى عليه شيء، فهو وعيد لهم على ما ارتكبوه بعد أن تاب الله عليهم.وقرأ نافع، وابن كثير، وابن عامر، وعاصم، وأبو جعفر ألا تكون- بفتح نون تكون على اعتبار (أن) حرف مصدر ناصب للفعل. وقرأ أبو عمرو، وحمزة، ويعقوب، وخلف- بضم النون- على اعتبار (أن) مخففة من (أن) أخت (إن) المكسورة الهمزة، وأنإذا خففت يبطل عملها المعتاد وتصير داخلة على جملة. وزعم بعض النحاة أنها مع ذلك عاملة، وأن اسمها ملتزم الحذف، وأن خبرها ملتزم كونه جملة.." (١)

"المسيح، لأن الذين قالوا: إن الله هو المسيح.أرادوا الاتحاد بالله وأنه هو هو. وهذا قول اليعاقبة كما تقدم آنفا، وفي سورة النساء.وذلك شرك لا محالة، بل هو أشد، لأنهم أشركوا مع الله غيره ومزجوه به فوقعوا في الشرك وإن راموا تجنب تعدد الآلهة، فقد أبطل الله قولهم بشهادة كلام من نسبوا إليه الإلهية إبطالا تاما.وإن كانت الجملة من كلام الله تعالى فهو **تذييل** لإثبات كفرهم وزيادة تنبيه علبطلان معتقدهم وتعريض بهم بأنهم قد أشركوا بالله من حيث أرادوا التوحيد. والضمير المقترن بإن ضمير الشأن يدل على العناية بالخبر الوارد بعده. ومعنى حرم الله عليه الجنة منعها منه، أي من الكون فيها.والمأوى: المكان الذي يأوي إليه الشيء، أي يرجع إليه.وجملة وما للظالمين من أنصار يحتمل أيضا أن تكون من كلام المسيح- عليه السلام- على احتمال أن يكون قوله: إنه من يشرك بالله من كلامه، ويحتمل أن تكون من كلام الله تعالى **تذييلا** لكلام المسيح على ذلك الاحتمال، أو **تذييلا** لكلام الله تعالى على الاحتمال الآخر. والمراد بالظالمين المشركون إن الشرك لظلم عظيم [لقمان: ١٣] ، أي ما للمشركين من أنصار ينصرونهم لينقذوهم من عذاب النار.فالتقدير: ومأواه النار لا محالة ولا طمع له في التخلص منه بواسطة نصير، فبالأحرى أن لا يتخلص بدون نصير.[٧٣، ٧٤][سورة المائدة (٥) : الآيات ٧٣ إلى ٧٤]لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم (٧٣) أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم (٧٤)استئناف قصد منه الانتقال إلى إبطال مقالة أخرى من مقالات طوائف." (٢)

"والمس مجاز في الإصابة، لأن حقيقة المس وضع اليد على الجسم، فاستعمل في الإصابة بجامع الاتصال، كقوله تعالى: والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون [الأنعام: ٤٩] ، فهو دال على مطلق الإصابة من غير تقييد بشدة أو ضعف، وإنما يرجع في الشدة أو الضعف إلى القرينة، مثل أليم هنا، ومثل قوله بما كانوا يفسقون [الأنعام: ٤٩] في الآية الأخرى، وقال يزيد بن الحكم الكلابي من شعراء الحماسة:مسسنا من الآباء شيئا وكلنا ... إلى حسب في قومه غير واضعأي تتبعنا أصول آبائنا.والمراد ب الذين كفروا عين المراد ب الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة فعدل عن التعبير عنهم

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٦/٢٧٩

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٦/٢٨١

بضميرهم إلى الصلة المقررة لمعنى كفرهم المذكور آنفا بقوله: لقد كفر الذين قالوا إلخ، لقصد تكرير تسجيل كفرهم وليكون اسم الموصول موميئا إلى سبب الحكم المخبر به عنه. وعلى هذا يكون قوله منهم بيانا للذين كفروا قصد منه الاحتراس عن أن يتوهم السامع أن هذا وعيد لكفار آخرين.ولما توعدهم الله أعقب الوعيد بالترغيب في الهداية فقال: أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه. فالتوبة هي الإقلاع عما هو عليه في المستقبل والرجوع إلى الاعتقاد الحق.والاستغفار طلب مغفرة ما سلف منهم في الماضي والندم عما فرط منهم من سوء الاعتقاد.وقوله والله غفور رحيم **تذييل** بثناء على الله بأنه يغفر لمن تاب واستغفر ما سلف منه، لأن غفور رحيم من أمثلة المبالغة يدلان على شدة الغفران وشدة الرحمة، فهو وعد بأنهم إن تابوا واستغفروه رفع عنهم العذاب برحمته وصفح عما سلف منهم بغفرانه.[٧٥][سورة المائدة (٥) : آية ٧٥]ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون." (١)

"وصفهم الله بقوله: يدخلون في دين الله أفواجا [النصر: ٢] . وكان قصر الزمان واتساع المكان حائلين دون رسوخ شرائع الإسلام فيما بينهم، فكانوا في حاجة إلى الانتهاء عن أمور كثيرة فاشية فيهم في مدة نزول هذه السورة، وهي أيام حجة الوداع وما تقدمها وماتأخر عنها.وجملة ولا تعتدوا معترضة، لمناسبة أن تحريم الطيبات اعتداء على ما شرع الله، فالواو اعتراضية. وبما في هذا النهي من العموم كانت الجملة **تذييلا**.والاعتداء افتعال العدو، أي الظلم. وذكره في مقابلة تحريم الطيبات يدل على أن المراد النهي عن تجاوز حد الإذن المشروع، كما قال تلك حدود الله فلا تعتدوها [البقرة: ٢٢٩] . فلما نهى عن تحريم الحلال أردفه بالنهي عن استحلال المحرمات وذلك بالاعتداء على حقوق الناس، وهو أشد الاعتداء، أو على حقوق الله تعالى في أمره ونهيه دون حق الناس، كتناول الخنزير أو الميتة. ويعم الاعتداء في سياق النهي جميع جنسه مما كانت عليه الجاهلية من العدوان، وأعظمه الاعتداء على الضعفاء كالوأد، وأكل مال اليتيم، وعضل الأيامى، وغير ذلك.وجملة إن الله لا يحب المعتدين **تذييل** للتي قبلها للتحذير من كل اعتداء.وقوله: وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا تأكيد للنهي عن تحريم الطيبات وهو معطوف على قوله: لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم أي أن الله وسع عليكم بالحلال فلا تعتدوه إلى الحرام فتكفروا النعمة ولا تتركوه بالتحريم فتعرضوا عن النعمة.واقتصر على الأكل لأن معظم ما حرمه الناس على أنفسهم هو المآكل. وكأن الله يعرض بهم بأن الاعتناء بالمهمات خير من التهمم بالأكل، كما قال ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا [المائدة: ٩٣] الآية. وبذلك أبطل." (٢)

"فدلالة هذا من دلالة الاقتضاء لظهور أن ليست الكفارة على صدور الحلف بل على عدم العمل بالحلف لأن معنى الكفارة يقتضي حصول إثم، وذلك هو إثم الحنث.وعن الشافعي أنه استدل بقوله: كفارة أيمانكم إذا حلفتم على جواز تقديم الكفارة على وقوع الحنث، فيحتمل أنه أخذ بظاهر إضافة كفارة إلى أيمانكم، ويحتمل أنه أراد أن الحلف هو سبب السبب فإذا عزم الحالف على عدم العمل بيمينه بعد أن حلف جاز له أن يكفر قبل الحنث لأنه من تقديم العوض، ولا بأس به. ولا أحسب أنه يعني غير ذلك. وليس مراده أن مجرد الحلف هو موجب الكفارة. وإذ قد كان في الكلام دلالة

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٨٤/٦

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١٧/٧

اقتضاء لا محالة فلا وجه للاستدلال بلفظ الآية على صحة تقديم الكفارة.وأصل هذا الحكم قول مالك بجواز التكفير قبل الحنث إذا عزم على الحنث. ولم يستدل بالآية. فاستدل بها الشافعي تأييدا للسنة. والتكفير بعد الحنث أولى.وعقب الترخيص الذي رخصه الله للناس في عدم المؤاخذة بأيمان اللغو فقال واحفظوا أيمانكم. فأمر بتوخي البر إذا لم يكن فيه حرج ولا ضر بالغير، لأن في البر تعظيم اسم الله تعالى. فقد ذكرنا في سورة البقرة أنهم جرى معتادهم بأن يقسموا إذا أرادوا تحقيق الخبر، أو إلجاء أنفسهم إلى عمل يعزمون عليه لئلا يندموا عن عزمهم، فكان في قوله واحفظوا أيمانكم زجر لهم عن تلك العادة السخيفة. وهذا الأمر يستلزم الأمر بالإقلال من الحلف لئلا يعرض الحالف نفسه للحنث. والكفارة ما هي إلا خروج من الإثم. وقد قال تعالى لأيوب- عليه السلام-: وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث [ص: ٤٤] . فنزهه عن الحنث بفتوى خصه بها.وجملة كذلك يبين الله لكم آياته **تذييل**. ومعنى كذلك كهذا البيان يبين الله، فتلك عادة شرعه أن يكون بينا، وقد تقدم القول في نظيره في قوله تعالى: وكذلك جعلناكم أمة وسطا في سورة البقرة." (١)

"وأنت لنا والله ذي العرش قدوة ... إذا صدنا عن شربها المتكلفنقول: أبو ثور أحل شرابها ... وقول أبي ثور أسد وأعرفوحذف متعلق منتهون لظهوره، إذ التقدير: فهل أنتم منتهون عنهما، أي عنالخمر والميسر، لأن تفريع هذا الاستفهام عن قوله: إنما يريد الشيطان يعين أنهما المقصود من الانتهاء.واقتصار الآية على تبيين مفاسد شرب الخمر وتعاطي الميسر دون تبيين ما في عبادة الأنصاب والاستقسام بالأزلام من الفساد، لأن إقلاع المسلمين عنهما قد تقرر قبل هذه الآية من حين الدخول في الإسلام لأنهما من مآثر عقائد الشرك، ولأنه ليس في النفوس ما يدافع الوازع الشرعي عنهما بخلاف الخمر والميسر فإن ما فيهما من اللذات التي تزجي بالنفوس إلى تعاطيهما قد يدافع الوزاع الشرعي، فلذلك أكد النهي عنهما أشد مما أكد النهي عن الأنصاب والأزلام.[٩٢][سورة المائدة (٥) : آية ٩٢]وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا فإن توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين (٩٢)عطفت جملة وأطيعوا على جملة فهل أنتم منتهون [المائدة: ٩١] ، وهي **كالتذييل**، لأن طاعة الله ورسوله تعم ترك الخمر والميسر والأنصاب والأزلام وتعم غير ذلك من وجوه الامتثال والاجتناب. وكرر وأطيعوا اهتماما بالأمر بالطاعة. وعطف واحذروا على أطيعوا أي وكونوا على حذر. وحذف مفعول احذروا لينزل الفعل منزلة اللازم لأن القصد التلبس بالحذر في أمور الدين، أي الحذر من الوقوع فيما يأباه الله ورسوله، وذلك أبلغ من أن يقال واحذروهما، لأن الفعل اللازم يقرب معناه من معنى أفعال السجايا، ولذلك يجيء اسم الفاعل منه على زنة فعل كفرح ونهم.." (٢)

"الفاء يقع في كلامهم على خلاف الغالب، والأظهر أنهم يرمون به إلى كون جملة الجواب اسمية تقديرا فيرمزون بالفاء إلى مبتدأ محذوف جعل الفعل خبرا عنه لقصد الدلالة على الاختصاص أو التقوي، فالتقدير: فهو ينتقم الله منه، لقصد الاختصاص للمبالغة في شدة ما يناله حتى كأنه لا ينال غيره، أو لقصد التقوي، أي تأكيد حصول هذا الانتقام. ونظيرهفمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا [الجن: ١٣] فقد أغنت الفاء عن إظهار المبتدأ فحصل التقوي مع إيجاز. هذا قول

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٠/٧

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٣٠/٧

المحققين مع توجيهه، ومن النحاة من قال: إن دخول الفاء وعدمه في مثل هذا سواء، وإنه جاء على خلاف الغالب.وقوله: والله عزيز ذو انتقام **تذييل**. والعزيز الذي لا يحتاج إلى ناصر، ولذلك وصف بأنه ذو انتقام، أي لأن من صفاته الحكمة، وهي تقتضي الانتقام من المفسد لتكون نتائج الأعمال على وفقها.[٩٦][سورة المائدة (٥) : آية ٩٦]أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما واتقوا الله الذي إليه تحشرون (٩٦)استئناف بياني نشأ عن قوله: يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم [المائدة:٩٥] فإنه اقتضى تحريم قتل الصيد على المحرم وجعل جزاء فعله هدي مثل ما قتل من النعم، فكان السامع بحيث يسأل عن صيد البحر لأن أخذه لا يسمى في العرف قتلا، وليس لما يصاد منه مثل من النعم ولكنه قد يشك لعل الله أراد القتل بمعنى التسبب في الموت، وأراد بالمثل من النعم المقارب في الحجم والمقدار، فبين الله للناس حكم صيد البحر وأبقاه على الإباحة، لأن صيد البحر ليس من حيوان الحرم، إذ ليس في شيء من أرض الحرم بحر. وقد بينا عند قوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم [المائدة: ٩٥] أن أصل الحكمة في حرمة الصيد على المحرم هي حفظ حرمة الكعبة وحرمها.." (١)

"(٩٩)استئناف ابتدائي **وتذييل** لما سبق من حظر الصيد للمحرم وإباحة صيد البحر والامتنان بما جعل للكعبة من النعم عليهم ليطمئنوا لما في تشريع تلك الأحكام من تضييق على تصرفاتهم ليعلموا أن ذلك في صلاحهم، فذيل بالتذكير بأن الله منهم بالمرصاد يجازي كل صانع بما صنع من خير أو شر. وافتتاح الجملة ب اعلموا للاهتمام بمضمونها كما تقدم عند قوله تعالى: واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه في سورة البقرة [٢٢٣] . وقد استوفى قوله: أن الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم أقسام معاملته تعالى فهو شديد العقاب لمن خالف أحكامه وغفور لمن تاب وعمل صالحا. وافتتاح الجملة بلفظ اعلموا للاهتمام بالخبر كما تقدم عند قوله تعالى: واعلموا أنكم ملاقوه في سورة البقرة [٢٢٣] .وجملة ما على الرسول إلا البلاغ معترضة ذيل بها التعريض بالوعيد والوعد.ومضمونها إعذار الناس لأن الرسول قد بلغ إليهم ما أراد الله منهم فلا عذر لهم في التقصير، والمنة لله ولرسوله فيما أرشدهم إليه من خير.والقصر ليس بحقيقي لأن على الرسول أمورا أخر غير البلاغ مثل التعبد لله تعالى،والخروج إلى الجهاد، والتكاليف التي كلفه الله بها مثل قيام الليل، فتعين أن معنى القصر:ما عليه إلا البلاغ، أي دون إلجائكم إلى الإيمان، فالقصر إضافي فلا ينافي أن على الرسول أشياء كثيرة. والإتيان بحرف (على) دون (اللام) ونحوها مؤذن بأن المردود شيء يتوهم أنه لازم للرسول من حيث أنه يدعي الرسالة عن الله تعالى.وقوله: والله يعلم ما تبدون وما تكتمون عطف على جملة اعلموا أن الله شديد العقاب. وهي تتميم للتعريض بالوعيد والوعد تذكيرا بأنه لا يخفى عليه شيء من أعمالهم ظاهرها وباطنها. وتقديم المسند إليه على الخبر الفعلي هنا لإفادة تقوي الحكم وليس لإفادة التخصيص لنبو المقام عن ذلك.." (٢)

"وقوله قالوا حسبنا أي كافينا، إذا جعلت (حسب) اسما صريحا وما وجدنا هو الخبر، أو كفانا إذا جعلت (حسب) اسم فعل وما وجدنا هو الفاعل. وقد تقدم ذلك عند قوله تعالى وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل في سورة آل عمران [١٧٣]

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٥١/٧

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٦١/٧

.و (على) في قوله: ما وجدنا عليه آباءنا مجاز في تمكن التلبس، وتقدم في قوله تعالى: أولئك على هدى من ربهم [البقرة: ٥] .وقوله: أولو كان آباؤهم لا يعلمون إلخ، تقدم القول على نظيره في سورة البقرة [١٧٠] عند قوله: وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم الآية.وليس لهذه الآية تعلق بمسألة الاجتهاد والتقليد كما توهمه جمع من المفسرين، لأن هذه الآية في تنازع بين أهل ما أنزل الله وأهل الافتراء على الله، فأما الاجتهاد والتقليد في فروع الإسلام فذلك كله من اتباع ما أنزل الله. فتحميل الآية هذه المسألة إكراه للآية على هذا المعنى.[١٠٥][سورة المائدة (٥) : آية ١٠٥]يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون (١٠٥)تذييل جرى على مناسبة في الانتقال فإنه لما ذكر مكابرة المشركين وإعراضهم عن دعوة الخير عقبه بتعليم المسلمين حدود انتهاء المناظرة والمجادلة إذا ظهرت المكابرة، وعذر المسلمين بكفاية قيامهم بما افترض الله عليهم من الدعوة إلى الخير، فأعلمهم هنا أن ليس تحصيل أثر الدعاء على الخير بمسؤولين عنه، بل على الداعي بذل جهده وما عليه إذا لم يصغ المدعو إلى الدعوة، كما قال تعالى: إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء [القصص: ٥٦] .وعليكم اسم فعل بمعنى الزموا، وذلك أن أصله أن يقال: عليك أن تفعل كذا، فتكون جملة من خبر مقدم ومبتدأ مؤخر، وتكون (على) دالة على استعلاء." (١)

"ولذلك فرع عنه قوله: فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم، أي فلما قضيت بوفاتي، لأن مباشر الوفاة هو ملك الموت. والوفاة الموت، وتوفاه الله أماته، أي قضى به وتوفاه ملك الموت قبض روحه وأماته.وقد تقدم ذلك عند قوله تعالى إني متوفيك في سورة آل عمران [٥٥] . والمعنى:أنك لما توفيتني قد صارت الوفاة حائلا بيني وبينهم فلم يكن لي أن أنكر عليهم ضلالهم، ولذلك قال كنت أنت الرقيب عليهم، فجاء بتضير الفصل الدال على القصر، أي كنت أنت الرقيب لا أنا إذ لم يبق بيني وبين الدنيا اتصال. والمعنى أنك تعلم أمرهم وترسل إليهم من يهديهم متى شئت. وقد أرسل إليهم محمدا صلى الله عليه وسلم وهداهم بكل وجوه الاهتداء.وأقصى وجوه الاهتداء إبلاغهم ما سيكون في شأنهم يوم القيامة.وقوله: وأنت على كل شيء شهيد تذييل، والواو اعتراضية إذ ليس معطوفا على ما تقدم لئلا يكون في حكم جواب فلما.وقوله: إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم فوض أمرهم إلى الله فهو أعلم بما يجازيهم به لأن المقام مقام إمساك عن إبداء رغبة لشدة هول ذلك اليوم، وغاية ما عرض به عيسى أنه جوز المغفرة لهم رحمة منه بهم.وقوله: فإنك أنت العزيز الحكيم ذكر العزيز كناية عن كونه يغفر عن مقدرة، وذكر الحكيم لمناسبته للتفويض، أي المحكم للأمور العالم بما يليق بهم.[١١٩][سورة المائدة (٥) : آية ١١٩]قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم (١١٩)جواب عن قول عيسى، فلذلك فصلت الجملة على طريقة الحوار.." (٢)

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٧٦/٧

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١١٧/٧

"ومعنى نفع الصدق أنه إن كان الخبر عن أمر حسن ارتكبه المخبر فالصدق حسن والمخبر عنه حسن فيكون نفعا محضا وعليه جزاءان، كما في قول عيسى: سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق[المائدة: ١١٦] إلى آخره، وإن كان الخبر عن أمر قبيح فإن الصدق لا يزيد المخبر عنه قبحا لأنه قد حصل قبيحا سواء أخبر عنه أم لم يخبر، وكان لقبحه مستحقا أثرا قبيحا مثله. وينفع الصدق صاحبه مرتكب ذلك القبيح فيناله جزاء الصدق فيخف عنه بعض العقاب بما ازداد من وسائل الإحسان إليه.وجملة: لهم جنات مبينة لجملة: ينفع باعتبار أنها أكمل أحوال نفع الصدق.وجملة تجري من تحتها الأنهار صفة ل جنات وخالدين حال. وكذلك جملة رضي الله عنهم ورضوا عنه.ومعنى: رضوا عنه المسرة الكاملة بما جازاهم به من الجنة ورضوانه. وأصل الرضا أنه ضد الغضب، فهو المحبة وأثرها من الإكرام والإحسان. فرضى الله مستعمل في إكرامه وإحسانه مثل محبته في قوله: يحبهم. ورضى الخلق عن الله هو محبته وحصول ما أملوه منه بحيث لا يبقى في نفوسهم متطلع.واسم الإشارة في قوله ذلك لتعظيم المشار إليه، وهو الجنات والرضوان.[١٢٠][سورة المائدة (٥) : آية ١٢٠]لله ملك السماوات والأرض وما فيهن وهو على كل شيء قدير (١٢٠)**تذييل** مؤذن بانتهاء الكلام، لأن هذه الجملة جمعت عبودية كل الموجودات لله تعالى، فناسبت ما تقدم من الرد على النصارى، وتضمنت أن جميعها في تصرفه تعالى فناسبت ما تقدم من جزاء الصادقين. وفيها معنى التفويض لله تعالى في كل ما ينزل، فآذنت بانتهاء نزول القرآن على القول بأن سورة المائدة آخر ما نزل، وباقتراب وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم لما في الآية من معنى التسليم لله وأنه الفعال لما يريد.." (١)

"أهل الكتاب، كقوله قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم [الأحقاف: ١٠] . وقيل: أريد بهم أهل الكتاب، أي الذين كتموا الشهادة، فيكون الذين خسروا بدلا من الذين آتيناهم الكتاب.[٢١][سورة الأنعام (٦) : آية ٢١]ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته إنه لا يفلح الظالمون (٢١)عطف على جملة الذين خسروا أنفسهم [الأنعام: ٢٠] . فالمراد بهم المشركون مثل قوله: ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه. وقد تقدم نظيره في سورة البقرة [١١٤] . والمراد بافترائهم عقيدة الشرك في الجاهلية بما فيها من تكاذيب، وبتكذيبهم الآيات تكذيبهم القرآن بعد البعثة. وقد جعل الآتي بواحدة من هاتين الخصلتين أظلم الناس فكيف بمن جمعوا بينهما.وجملة: إنه لا يفلح الظالمون **تذييل**، فلذلك فصلت، أي إذا تحقق أنهم لا أظلم منهم فهم غير مفلحين، لأنه لا يفلح الظالمون فكيف بمن بلغ ظلمه النهاية، فاستغنى بذكر العلة عن ذكر المعلول.وموقع (إن) في هذا المقام يفيد معنى التعليل للجملة المحذوفة، كما تقرر في كلام عبد القاهر. وموقع ضمير الشأن معها أفاد الاهتمام بهذا الخبر اهتمام تحقيق لتقع الجملة الواقعة تفسيرا له في نفس السامع موقع الرسوخ.والافتراء الكذب المتعمد. وقوله: كذبا مصدر مؤكد له، وهو أعم من الافتراء.والتأكيد يحصل بالأعم، كما قدمناه في قوله تعالى: ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب في سورة المائدة [١٠٣] ، وقد نفى فلاحهم فعم كل فلاح في الدنيا والآخرة، فإن الفلاح المعتد به في نظر الدين في الدنيا هو الإيمان والعمل، وهو سبب فلاح الآخرة.[٢٢- ٢٤][سورة الأنعام (٦) : الآيات ٢٢ إلى ٢٤]ويوم نحشرهم جميعا ثم

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١١٩/٧

نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون (٢٢) ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين (٢٣) انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون (٢٤)." (١)

"ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين في سورة الحجر [٢] . وهذا التفسير يغني عن الاحتمالات التي تحير فيها المفسرون وهي لا تلائم نظم الآية، فبعضها يساعده صدرها وبعضها يساعده عجزها وليس فيها ما يساعده جميعها.وقوله: ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ارتقاء في إبطال قولهم حتى يكون بمنزلة التسليم الجدلي في المناظرة، أي لو أجيبت أمنيتهم وردوا إلى الدنيا لعادوا للأمر الذي كان النبيء ينهاهم عنه، وهو التكذيب وإنكار البعث، وذلك لأن نفوسهم التي كذبت فيما مضى تكذيب مكابرة بعد إتيان الآيات البينات، هي النفوس التي أرجعت إليهم يوم البعث فالعقل العقل والتفكير التفكير، وإنما تمنوا ما تمنوا من شدة الهول فتوهموا التخلص منه بهذا التمني فلو تحقق تمنيهم وردوا واستراحوا من ذلك الهول لغلبت أهواؤهم رشدهم فنسوا ما حل بهم ورجعوا إلى ما ألفوا من التكذيب والمكابرة.وفي هذا دليل على أن الخواطر الناشئة عن عوامل الحس دون النظر والدليل لا قرار لها في النفس ولا تسير على مقتضاها إلا ريثما يدوم ذلك الإحساس فإذا زال أثره، فالانفعال به يشبه انفعال العجماوات من الزجر والسوط ونحوهما. ويزول بزواله حتى يعاوده مثله.وقوله: وإنهم لكاذبون **تذييل** لما قبله. جيء بالجملة الاسمية الدالة على الدوام والثبات، أي أن الكذب سجية لهم قد تطبعوا عليها من الدنيا فلا عجب أن يتمنوا الرجوع ليؤمنوا فلو رجعوا لعادوا لما كانوا عليه فإن الكذب سجيتهم. وقد تضمن تمنيهم وعدا،فلذلك صح إدخاله في حكم كذبهم دخول الخاص في العام، لأن **التذييل** يؤذن بشمول ما ذيل به وزيادة. فليس وصفهم بالكذب بعائد إلى التمني بل إلى ما تضمنه من الوعد بالإيمان وعدم التكذيب بآيات الله.[٢٩][سورة الأنعام (٦) : آية ٢٩]وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين (٢٩)يجوز أن يكون عطفا على قوله لعادوا لما نهوا عنه [الأنعام: ٢٨] فيكون جواب لو، أي." (٢)

"بحال من يحمل حملا ثقيلا. وذكر على ظهورهم هنا مبالغة في تمثيل الحالة، كقوله تعالى: وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم [الشورى: ٣٠] . فذكر الأيدي لأن الكسب يكون باليد، فهو يشبه تخييل الاستعارة ولكنه لا يتأتى التخييل في التمثيلية لأن ما يذكر فيها صالح لاعتباره من جملة الهيئة، فإن الحمل على الظهر مؤذن بنهاية ثقل المحمول على الحامل.ومن لطائف التوجيه وضع لفظ الأوزار في هذا التمثيل فإنه مشترك بين الأحمال الثقيلة وبين الذنوب، وهم إنما وقعوا في هذه الشدة من جراء ذنوبهم فكأنهم يحملونها لأنهم يعانون شدة آلامها.وجملة: ألا ساء ما يزرون **تذييل**. و (ألا) حرف استفتاح يفيد التنبيه للعناية بالخبر. وساء ما يزرون إنشاء ذم. ويزرون بمعنى يحملون، أي ساء ما يمثل من حالهم بالحمل. وما يزرون فاعل ساء. والمخصوص بالذم محذوف، تقديره:حملهم.[٣٢][سورة الأنعام (٦) : آية ٣٢]وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو وللدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون (٣٢)لما جرى ذكر الساعة وما يلحق المشركين فيها من الحسرة على ما فرطوا ناسب أن يذكر الناس بأن الحياة الدنيا زائلة وأن عليهم أن يستعدوا للحياة الآخرة. فيحتمل أن يكون جوابا لقول

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٧٢/٧

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١٨٦/٧

المشركين: إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين [الأنعام: ٢٩] .فتكون الواو للحال، أي تقولون إن هي إلا حياتنا الدنيا ولو نظرتم حق النظر لوجدتم الحياة الدنيا لعبا ولهوا وليس فيها شيء باق، فلعلمتم أن وراءها حياة أخرى فيها من الخيرات ما هو أعظم مما في الدنيا وإنما يناله المتقون، أي المؤمنون، فتكون الآية إعادة لدعوتهم إلى الإيمان والتقوى، ويكون الخطاب في قوله: أفلا تعقلون التفاتا من الحديث عنهم بالغيبة إلى خطابهم بالدعوة.." (١)

"ويحتمل أنه اعتراض **بالتذييل** لحكاية حالهم في الآخرة، فإنه لما حكى قولهم: يا حسرتنا على ما فرطنا فيها [الأنعام: ٣١] علم السامع أنهم فرطوا في الأمور النافعة لهم في الآخرة بسبب الانهماك في زخارف الدنيا، فذيل ذلك بخطاب المؤمنين تعريفا بقيمة زخارف الدنيا وتبشيرا لهم بأن الآخرة هي دار الخير للمؤمنين، فتكون الواو عطفت جملة البشارة على حكاية النذارة. والمناسبة هي التضاد. وأيضا في هذا نداء على سخافة عقولهم إذ غرتهم في الدنيا فسول لهم الاستخفاف بدعوة الله إلى الحق. فيجعل قوله:أفلا تعقلون خطابا مستأنفا للمؤمنين تحذيرا لهم من أن تغرهم زخارف الدنيا فتلهيهم عن العمل للآخرة.وهذا الحكم عام على جنس الحياة الدنيا، فالتعريف في الحياة تعريف الجنس، أي الحياة التي يحياها كل أحد المعروفة بالدنيا، أي الأولى والقريبة من الناس، وأطلقت الحياة الدنيا على أحوالها، أو على مدتها.واللعب: عمل أو قول في خفة وسرعة وطيش ليست له غاية مفيدة بل غايته إراحة البال وتقصير الوقت واستجلاب العقول في حالة ضعفها كعقل الصغير وعقل المتعب، وأكثره أعمال الصبيان. قالوا ولذلك فهو مشتق من اللعاب، وهو ريق الصبي السائل.وضد اللعب الجد.واللهو: ما يشتغل به الإنسان مما ترتاح إليه نفسه ولا يتعب في الاشتغال به عقله.فلا يطلق إلا على ما فيه استمتاع ولذة وملائمة للشهوة.وبين اللهو واللعب العموم والخصوص الوجهي. فهما يجتمعان في العمل الذي فيه ملاءمة ويقارنه شيء من الخفة والطيش كالطرب واللهو بالنساء. وينفرد اللعب في لعبالصبيان. وينفرد اللهو في نحو الميسر والصيد.وقد أفادت صيغة وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو قصر الحياة على اللعب واللهو، وهو قصر موصوف على صفة. والمراد بالحياة الأعمال التي يحب الإنسان الحياة لأجلها، لأن الحياة مدة وزمن لا يقبل الوصف بغير أوصاف الأزمان من طول أو قصر،." (٢)

"استعمال شائع، وليس فيه شيء من اللوم ولا من التوبيخ، كما توهمه كثير من المفسرين.وقوله: ولو شاء الله لجمعهم على الهدى شرط امتناعي دل على أن الله لم يشأ ذلك، أي لو شاء الله أن يجمعهم على الهدى لجمعهم عليه فمفعول المشيئة محذوف لقصد البيان بعد الإبهام على الطريقة المسلوكة في فعل المشيئة إذا كان تعلقه بمفعوله غير غريب وكان شرطا لإحدى أدوات الشرط كما هنا، وكقوله: إن يشأ يذهبكم [النساء:١٣٣] .ومعنى: لجمعهم على الهدى لهداهم أجمعين. فوقع تفنن في أسلوب التعبير فصار تركيبا خاصيا عدل به على التركيب المشهور في نحو قوله تعالى: فلو شاء لهداكم أجمعين [الأنعام: ١٤٩] للإشارة إلى تمييز الذين آمنوا من أهل مكة على من بقي فيها من المشركين، أي لو شاء لجمعهم مع المؤمنين على ما هدى إليه المؤمنين من قومهم.والمعنى: لو شاء الله أن يخلقهم بعقول قابلة للحق لخلقهم بها فلقبلوا

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٩٢/٧

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١٩٣/٧

الهدى،ولكنه خلقهم على ما وصف في قوله: وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا [الأنعام: ٢٥] الآية، كما تقدم بيانه. وقد قال تعالى: ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة [هود: ١١٨] ، وبذلك تعلم أن هذه مشيئة كلية تكوينية، فلا تعارض بين هذه الآية وبين قوله تعالى في آخر هذه السورة [١٤٨] سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا الآية. فهذا من المشيئة المتعلقة بالخلق والتكوين لا من المشيئة المتعلقة بالأمر والتشريع. وبينهما بون، سقط في مهواته من لم يقدر له صون.وقوله: فلا تكونن من الجاهلين تذييل مفرع على ما سبق.والمراد ب الجاهلين يجوز أن يكون من الجهل الذي هو ضد العلم، كما في قوله تعالى خطابا لنوح إني أعظك أن تكون من الجاهلين [هود: ٤٦] ، وهو ما حمل عليه المفسرون هنا. ويجوز أن يكون من الجهل ضد الحلم، أي لا تضق صدرا بإعراضهم.وهو أنسب بقوله: وإن كان كبر عليك إعراضهم. وإرادة كلا المعنيين ينتظم مع مفاد الجملتين: جملة: وإن كان كبر عليك إعراضهم وجملة ولو شاء الله لجمعهم على الهدى. ومع كون هذه الجملة تذييلا للكلام السابق فالمعنى: فلا يكبر عليك إعراضهم." (١)

"وجملة: والحمد لله رب العالمين يجوز أن تكون معطوفة على جملة: ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك بما اتصل بها. عطف غرض على غرض. ويجوز أن تكون اعتراضا تذييليا فتكون الواو اعتراضية. وأيا ما كان موقعها ففي المراد منها اعتبارات ثلاثة:أحدها: أن تكون تلقينا للرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين أن يحمدوا الله على نصره رسله وأولياءهم وإهلاك الظالمين، لأن ذلك النصر نعمة بإزالة فساد كان في الأرض، ولأن في تذكير الله الناس به إيماء إلى ترقب الأسوة بما حصل لمن قبلهم أن يترقبوا نصر الله كما نصر المؤمنين من قبلهم فيكون الحمد لله مصدرا بدلا من فعله، عدل عن نصبه وتنكيره إلى رفعه وتعريفه للدلالة على معنى الدوام والثبات، كما تقدم في قوله تعالى:الحمد لله في سورة الفاتحة [٢] .ثانيها: أن يكون الحمد لله كناية عن كون ما ذكر قبله نعمة من نعم الله تعالى لأن من لوازم الحمد أن يكون على نعمة، فكأنه قيل: فقطع دابر القوم الذين ظلموا.وتلك نعمة من نعم الله تقتضي حمده.ثالثها: أن يكون إنشاء حمد لله تعالى من قبل جلاله مستعملا في التعجيب من معاملة الله تعالى إياهم وتدريجهم في درجات الإمهال إلى أن حق عليهم العذاب.ويجوز أن يكون إنشاء الله تعالى ثناء على نفسه، تعريضا بالامتنان على الرسول والمسلمين.واللام في الحمد للجنس، أي وجنس الحمد كله الذي منه الحمد على نعمة إهلاك الظالمين.وفي ذلك كله تنبيه على أنه يحق الحمد لله عند هلاك الظلمة، لأن هلاكهم صلاح للناس، والصلاح أعظم النعم، وشكر النعمة واجب. وهذا الحمد شكر لأنه مقابل نعمة.وإنما كان هلاكهم صلاحا لأن الظلم تغيير للحقوق وإبطال للعمل بالشريعة، فإذا تغير الحق والصلاح جاء الدمار والفوضى وافتتن الناس في حياتهم فإذا هلك الظالمون عاد العدل، وهو ميزان قوام العالم.." (٢)

"والضمير المجرور بالباء عائد إلى السمع والأبصار والقلوب، على تأويلها بالمذكور فلذلك لم يقل بها. وهذا استعمال قليل في الضمير، ولكنه فصيح. وقد تقدم في تفسير قوله تعالى: إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه ليفتدوا به في سورة المائدة [٣٦] ، وعند قوله: وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا في سورة

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٠٦/٧

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٣٢/٧

النساء [٤] ، وإيثاره هنا على أن يقال: يأتيكم بها، لدفع توهم عود الضمير إلى خصوص القلوب.والكلام جار مجرى التهديد والتخويف، اختير فيه التهديد بانتزاع سمعهم وأبصارهم وسلب الإدراك من قلوبهم لأنهم لم يشكروا نعمة هذه المواهب بل عدموا الانتفاع بها، كما أشار إليه قوله آنفا وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها [الأنعام: ٢٥] . فكان ذلك تنبيها لهم على عدم إجداء هذه المواهب عليهم مع صلاحيتها للانتفاع، وناسب هنا أن يهددوا بزوالها بالكلية إن داموا على تعطيل الانتفاع بها فيما أمر به خالقها.وقوله انظر تنزيل للأمر المعقول منزلة المشاهد، وهو تصريف الآيات مع الإعراض عنها حتى إن الناظر يستطيع أن يراها، فأما الأمر فهو مستعمل في التعجيب من حال إعراضهم.والجملة مستأنفة استئنافا ابتدائيا تتنزل منزلة **التذييل** للآيات السابقة، فإنه لما غمرهم بالأدلة على الوحدانية وصدق الرسول، وأبطل شبههم عقب ذلك كله بالتعجيب من قوة الأدلة مع استمرار الإعراض والمكابرة، وقد تقدم قريب منه عند قوله تعالى: انظر كيف يفترون على الله الكذب في سورة النساء [٥٠] . وهذا تذكير لهم بأن الله هو خالق أسماعهم وأبصارهم وألبابهم فما كان غيره جديرا بأن يعبدون.وتصريف الآيات اختلاف أنواعها بأن تأتي مرة بحجج من مشاهدات في السماوات والأرض، وأخرى بحجج من دلائل في نفوس الناس، ومرة بحجج من أحوال الأمم الخالية التي أنشأها الله، فالآيات هنا هي دلائل الوحدانية، فهي متحدة في الغاية مختلفة." (١)

"المسئولة.وقد حصل بذلك بيان حقيقة الرسالة تلك الحقيقة التي ضل عن إدراكها المعاندون. وهذا معنى قوله تعالى: وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين [الأنعام: ٤٨] .وإذ قد كان القصر إضافيا كان لا محالة ناظرا إلى قلب اعتقادهم بالنسبة لمطالبهم باتباع مقترحاتهم، أي لا أتبع في التبليغ إليكم إلا ما يوحى إلي. فليس في هذا الكلام ما يقتضي قصر تصرف الرسول- عليه الصلاة والسلام- على العمل بالوحي حتى يحتج بها من ينفي من علمائنا جواز الاجتهاد للنبيء صلى الله عليه وسلم في أمور الدين لأن تلك مسألة مستقلة لها أدلة للجانبين، ولا مساس لها بهذا القصر. ومن توهمه فقد أساء التأويل.قل هل يستوي الأعمى والبصير أفلا تتفكرون.هذا ختام للمجادلة معهم **وتذييل** للكلام المفتتح بقوله قل لا أقول لكم عندي خزائن الله، أي قل لهم هذا **التذييل** عقب ذلك الاستدلال.وشبهت حالة من لا يفقه الأدلة ولا يفكك بين المعاني المتشابهة بحالة الأعمى الذي لا يعرف أين يقصد ولا أين يضع قدمه. وشبهت حالة من يميز الحقائق ولا يلتبس عليه بعضها ببعض بحالة القوي البصر حيث لا تختلط عليه الأشباح. وهذا تمثيل لحال المشركين في فساد الوضع لأدلتهم وعقم أقيستهم، ولحال المؤمنين الذين اهتدوا ووضعوا الأشياء مواضعها، أو تمثيل لحال المشركين التي هم متلبسون بها والحال المطلوبة منهم التي نفروا منها ليعلموا أي الحالين أولى بالتخلق.وقوله أفلا تتفكرون استفهام إنكار. وهو معطوف بالفاء على الاستفهام الأول، لأنه مترتب عليه لأن عدم استواء الأعمى والبصير بديهي لا يسعهم إلا الاعتراف بعدم استوائهما فلا جرم أن يتفرع عليه إنكار عدم تفكرهم في أنهم بأيهما أشبه. والكلام على الأمر بالقول مثل ما تقدم عند قوله تعالى: قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة [الأنعام: ٤٠] .." (٢)

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٣٥/٧

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٤٣/٧

"إلى طلب طردهم هو احتقار في حسد والحسد يكون أعظم ما يكون إذا كان الحاسد يرى نفسه أولى بالنعمة المحسود عليها، فكان ذلك الداعي فتنة عظيمة في نفوس المشركين إذ جمعت كبرا وعجبا وغرورا بما ليس فيهم إلى احتقار للأفاضل وحسد لهم، وظلم لأصحاب الحق، وإذ حالت بينهم وبين الإيمان والانتفاع بالقرب من مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم.والتشبيه مقصود منه التعجيب من المشبه بأنه بلغ الغاية في العجب.واسم الإشارة عائد إلى الفتون المأخوذ من «فتنا» كما يعود الضمير على المصدر في نحو اعدلوا هو أقرب للتقوى، أي فتنا بعضهم ببعض فتونا يرغب السامع في تشبيهه وتمثيله لتقريب كنهه فإذا رام المتكلم أن يقربه له بطريقة التشبيه لم يجد له شبيها في غرائبه وفظاعته إلا أن يشبهه بنفسه إذ لا أعجب منه، على حد قولهم: والسفاعة كاسمها.وليس ثمة إشارة إلى شيء متقدم مغاير للمشبه. وجيء باسم إشارة البعيد للدلالة على عظم المشار إليه. وقد تقدم تفصيل مثل هذا التشبيه عند قوله تعالى: وكذلك جعلناكم أمة وسطا في سورة البقرة [١٤٣] .والمراد بالبعض المنصوب المشركون فهم المفتونون، وبالبعض المجرور بالباء المؤمنون، أي فتنا عظماء المشركين في استمرار شركهم وشرك مقلديهم بحال الفقراء من المؤمنين الخالصين كما دل عليه قوله: ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا [الأنعام:٥٣] فإن ذلك لا يقوله غير المشركين، وكما يؤيده قوله تعالى في **تذييله** أليس الله بأعلم بالشاكرين.والقول يحتمل أن يكون قولا منهم في أنفسهم أو كلاما قالوه في ملئهم. وأيا ما كان فهم لا يقولونه إلا وقد اعتقدوا مضمونه، فالقائلون أهؤلاء من الله عليهم هم المشركون.واللام في قوله: ليقولوا لام التعليل، ومدخولها هو أثر العلة دال عليها بعد طيها." (١)

"ولا شك أن الذين استمعوا القرآن ممن أنزل عليه صلى الله عليه وسلم قد اهتدوا واستفاقوا، فمن أجل ذلك تأهلوا لامتلاك العالم ولاقوا.ومن في قوله من بيننا ابتدائية. و (بين) ظرف يدل على التوسط، أي من الله عليهم مختارا لهم من وسطنا، أي من عليهم وتركنا، فيؤول إلى معنى من دوننا.وقوله: أليس الله بأعلم بالشاكرين **تذييل** للجملة كلها، فهو من كلام الله تعالى وليس من مقول القول، ولذلك فصل. والاستفهام تقريري. وعدي بأعلم بالباء لأنه بصيغة التفضيل صار قاصرا. والمعنى أن الله أعلم بالشاكرين من عباده فلذلك من على الذين أشاروا إليه بقولهم: أهؤلاء من الله عليهم بمنة الإيمان والتوفيق.ومعنى علمه تعالى بالشاكرين أنه أعلم بالذين جاءوا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم مستجيبين لدعوته بقريحة طالبين النجاة من الكفر راغبين في حسن العاقبة، فهو يلطف بهم ويسهل لهم الإيمان ويحببه إليهم ويزينه في قلوبهم ويزيدهم يوما فيوما تمكنا منه وتوفيقا وصلاحا، فهو أعلم بقلوبهم وصدقهم من الناس الذين يحسبون أن رثاثة حال بعض المؤمنين تطابق حالة قلوبهم في الإيمان فيأخذون الناس ببزاتهم دون نياتهم. فهذا **التذييل** ناظر إلى قوله:إنما يستجيب الذين يسمعون [الأنعام: ٣٦] .وقد علم من قوله: أليس الله بأعلم بالشاكرين أنه أيضا أعلم بأضدادهم. ضد الشكر هو الكفر، كما قال تعالى: لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد [إبراهيم: ٧] فهو أعلم بالذين يأتون الرسول- عليه الصلاة والسلام- مستهزئين متكبرين لا هم لهم إلا تحقير الإسلام والمسلمين، وقد استفرغوا وسعهم ولبهم في مجادلة الرسول صلى الله عليه وسلم وتضليل الدهماء في حقيقة الدين. ففي الكلام تعريض بالمشركين.[٥٤][سورة الأنعام (٦) : آية ٥٤]وإذا

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٥٣/٧

جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فأنه غفور رحيم (٥٤)عطف على قوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم [الأنعام: ٥٢] وهو ارتقاء في إكرام الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي. فهم المراد بقوله: الذين يؤمنون بآياتنا.." (١)

"(٥٥)الواو استئنافية كما تقدم في قوله: وكذلك فتنا بعضهم ببعض [الأنعام: ٥٣] .والجملة **تذييل** للكلام الذي مضى مبتدئا بقوله تعالى: وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم [الأنعام: ٥١] .والتفصيل: التبيين والتوضيح، مشتق من الفصل، وهو تفرق الشيء عن الشيء. ولما كانت الأشياء المختلطة إذا فصلت يتبين بعضها من بعض أطلق التفصيل على التبيين بعلاقة اللزوم، وشاع ذلك حتى صار حقيقة، ومن هذا القبيل أيضا تسمية الإيضاح تبيينا وإبانة، فإن أصل الإبانة القطع. والمراد بالتفصيل الإيضاح، أي الإتيان بالآيات الواضحة الدلالةعلى المقصود منها.والآيات: آيات القرآن. والمعنى نفصل الآيات ونبينها تفصيلا مثل هذا التفصيل الذي لا فوقه تفصيل، وهو تفصيل يحصل به علم المراد منها بينا.وقوله: ولتستبين عطف على علة مقدرة دل عليها قوله: وكذلك نفصل الآيات لأن المشار إليه التفصيل البالغ غاية البيان، فيعلم من الإشارة إليه أن الغرض منه اتضاح العلم للرسول. فلما كان ذلك التفصيل بهذه المثابة علم منه أنه علة لشيء يناسبه وهو تبين الرسول ذلك التفصيل، فصح أن تعطف عليه علة أخرى من علم الرسول صلى الله عليه وسلم، وهي استبانته سبيل المجرمين. فالتقدير مثلا: وكذلك التفصيل نفصل الآيات لتعلم بتفصيلها كنهها، ولتستبين سبيل المجرمين، ففي الكلام إيجاز الحذف.وهكذا كلما كان استعمال (كذلك) نفعل بعد ذكر أفعال عظيمة صالحا الفعل المذكور بعد الإشارة لأن يكون علة لأمر من شأنه أن يعلل بمثله صح أن تعطف عليه علة أخرى كما هنا، وكما في قوله: وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين [الأنعام: ٧٥] بخلاف ما لا يصلح، ولذلك فإنه إذا أريد ذكر علة بعده ذكرت بدون عطف، نحو قوله: وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس [البقرة: ١٤٣] .وسبيل المجرمين طريقهم وسيرتهم في الظلم والحسد والكبر واحتقار الناس والتصلب في الكفر.." (٢)

"وجملة: والله أعلم بالظالمين **تذييل**، أي الله أعلم مني ومن كل أحد بحكمة تأخير العذاب وبوقت نزوله، لأنه العليم الخبير الذي عنده ما تستعجلون به. والتعبير بالظالمين إظهار في مقام ضمير الخطاب لإشعارهم بأنهم ظالمون في شركهم إذ اعتدوا على حق الله، وظالمون في تكذيبهم إذ اعتدوا على حق الله ورسوله، وظالمون في معاملتهم الرسول صلى الله عليه وسلم.[٥٩][سورة الأنعام (٦) : آية ٥٩]وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين (٥٩)عطف على جملة: والله أعلم بالظالمين [الأنعام: ٥٨] على طريقة التخلص.والمناسبة في هذا التخلص هي الإخبار بأن الله أعلم بحالة الظالمين، فإنها غائبة عن عيان الناس، فالله أعلم بما يناسب حالهم من تعجيل الوعيد أو تأخيره، وهذا انتقال لبيان اختصاصه تعالى بعلم الغيب وسعة علمه ثم سعة قدرته وأن الخلق في قبضة قدرته. وتقديم الظرف لإفادة الاختصاص، أي عنده لا عند غيره. والعندية

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٧/٢٥٦

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٧/٢٦٠

عندية علم واستئثار وليست عندية مكان.والمفاتح جمع مفتح- بكسر الميم- وهو الآلة التي يفتح بها المغلق، وتسمى المفتاح. وقد قيل: إن مفتح أفصح من مفتاح، قال تعالى: وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوأ بالعصبة أولي القوة [القصص: ٧٦] .والغيب ما غاب على علم الناس بحيث لا سبيل لهم إلى علمه، وذلك يشمل الأعيان لمغيبة كالملائكة والجن، والأعراض الخفية، ومواقيت الأشياء.ومفاتح الغيب هنا استعارة تخييلية تنبني على مكنية بأن شبهت الأمور المغيبة عن الناس بالمتاع النفيس الذي يدخر بالمخازن والخزائن المستوثق عليها بأقفال بحيث لا يعلم ما فيها إلا الذي بيده مفاتحها. وأثبتت لها المفاتح على سبيل التخييلية. والقرينة." (١)

"وفي الآية الأخرى قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم [السجدة: ١١] ، وسمي في الآثار عزرائيل، ونقل عن ابن عباس: أن لملك الموت أعوانا. فالجمع بين الآيتين ظاهر.وعلق فعل التوفي بضمير أحدكم الذي هو في معنى الذات. والمقصود تعليق الفعل بحال من أحوال أحدكم المناسب للتوفي، وهو الحياة، أي توفت حياته وختمتها، وذلك بقبض روحه.وقرأ الجمهور توفته- بمثناة فوقية بعد الفاء-. وقرأ حمزة وحده توفاه رسلنا وهي في المصحف مرسومة- بنتأة بعد الفاء- فتصلح لأن تكون مثناة فوقية وأن تكون مثناة تحتية على لغة الإمالة. وهي التي يرسم بها الألفات المنقلبة عن الياءات. والوجهان جائزان في إسناد الفعل إلى جمع التكسير.وجملة: وهم لا يفرطون حال. والتفريط: التقصير في العمل والإضاعة في الذوات. والمعنى أنهم لا يتركون أحدا قد تم أجله ولا يؤخرون توفيه.والضمير في قوله: ردوا عائد إلى أحد باعتبار تنكيره الصادق بكل أحد، أي ثم يرد المتوفون إلى الله. والمراد رجوع الناس إلى أمر الله يوم القيامة، أي ردوا إلى حكمه من نعيم وعذاب، فليس في الضمير التفات.والمولى هنا بمعنى السيد، وهو اسم مشترك يطلق على السيد وعلى العبد.والحق- بالجر- صفة ل مولاهم، لما في مولاهم من معنى مالكهم، أي مالكهم الحق الذي لا يشوب ملكه باطل يوهن ملكه. وأصل الحق أنه الأمر الثابت فإن كل ملك غير ملك الخالقية فهو مشوب باستقلال مملوكه عند استقلالا تفاوتا، وذلك يوهن الملك ويضعف حقيته.وجملة: ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين تذييل ولذلك ابتدئ بأداة الاستفتاح المؤذنة بالتنبيه إلى أهمية الخبر. والعرب يجعلون التذييلات مشتملة على اهتمام أو عموم أو كلام جامع.." (٢)

"(٨٧)جملة ووهبنا عطف على جملة آتيناها [الأنعام: ٨٣] لأن مضمونها تكرمة وتفضيل. وموقع هذه الجملة وإن كانت معطوفة هو موقع التذييل للجمل المقصود منها إبطال الشرك وإقامة الحجج على فساده وعلى أن الصالحين كلهم كانوا على خلافه.والوهب والهبة: إعطاء شيء بلا عوض، وهو هنا مجاز في التفضل والتيسير.ومعنى هبة يعقوب لإبراهيم أنه ولد لابنه إسحاق في حياة إبراهيم وكبر وتزوج في حياته فكان قرة عين لإبراهيم.وقد مضت ترجمة إبراهيم- عليه السلام- عند قوله تعالى: وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات [البقرة: ١٢٤] . وترجمة إسحاق، ويعقوب، عند قوله تعالى: ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب [البقرة: ١٣٢] وقوله: وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق [البقرة: ١٣٣] كل ذلك في سورة البقرة.وقوله: كلا هدينا اعتراض، أي كل هؤلاء هديناهم يعني إبراهيم وإسحاق ويعقوب، فحذف المضاف إليه لظهوره

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٧٠/٧

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٧٩/٧

وعوض عنه التنوين في «كل» تنوين عوض عن المضاف إليه كما هو المختار.وفائدة ذكر هديهما التنويه بإسحاق ويعقوب، وأنهما نبيئان نالا هدى الله كهديه إبراهيم، وفيه أيضا إبطال للشرك، ودمغ، لقريش ومشركي العرب، وتسفيه لهم بإثبات أن الصالحين المشهورين كانوا على ضد معتقدهم كما سيصرح به في قوله: ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون [الأعراف: ٨٨] .وجملة: ونوحا هدينا من قبل عطف على الاعتراض، أي وهدينا نوحا من قبلهم. وهذا استطراد بذكر بعض من أنعم الله عليهم بالهدى، وإشارة إلى أن الهدى هو الأصل، ومن أعظم الهدى التوحيد كما علمت.." (١)

"والولد أيضا، وهذا إبطال ثالث بطريق الكلية بعد أن أبطل إبطالا جزئيا، والمعنى أن الموجودات كلها متساوية في وصف المخلوقية، ولو كان له أولاد لكانوا غير مخلوقين.وجملة: وهو بكل شيء عليم **تذييل** لإتمام تعليم المخاطبين بعض صفات الكمال الثابتة لله تعالى، فهي جملة معطوفة على جملة: وخلق كل شيء باعتبار ما فيها من التوصيف لا باعتبار الرد. ولكون هذه الجملة الأخيرة بمنزلة **التذييل** عدل فيها عن الإضمار إلى الإظهار في قوله: بكل شيء دون أن يقول «به» لأن **التذييلات** يقصد فيها أن تكون مستقلة الدلالة بنفسها لأنها تشبه الأمثال في كونها كلاما جامعا لمعان كثيرة.[١٠٢][سورة الأنعام (٦) : آية ١٠٢]ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل (١٠٢)وقوع اسم الإشارة بعد إجراء الصفات والأخبار المتقدمة، للتنبيه على أن المشار إليه حقيق بالأخبار والأوصاف التي ترد بعد اسم الإشارة، كما تقدم عند قوله: ذلكم الله فأنى تؤفكون[الأنعام: ٩٥] قبل هذا، وقوله تعالى: أولئك على هدى من ربهم في سورة البقرة [٥] .والمشار إليه هو الموصوف بالصفات المضمنة بالأخبار المتقدمة، ولذلك استغني عن اتباع اسم الإشارة ببيان أو بدل، والمعنى: ذلكم المبدع للسماوات والأرض والخالقكل شيء والعليم بكل شيء هو الله، أهو الذي تعلمونه. وقوله: ربكم صفة لاسم الجلالة. وجملة: لا إله إلا هو حال من ربكم أو صفة. وقوله: خالق كل شيء صفة ل ربكم أو لاسم الجلالة، وإنما لم نجعله خبرا لأن الإخبار قد تقدم بنظائره في قوله: وخلق كل شيء.." (٢)

"رضي الله عنهم- وتمسكوا بعموم هذه الآية كما ورد في حديث البخاري عن عكرمة عن عائشة. وأثبتها الجمهور، ونقل عن أبي بن كعب وابن عباس- رضي الله عنهما-، وعليه يكون العموم مخصوصا. وقد تعرض لها عياض في «الشفاء» . وقد سئل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجاب بجواب اختلف الرواة في لفظه، فحجب الله بذلك الاختلاف حقيقة الأمر إتماما لمراده ولطفا بعباده.وقوله: وهو يدرك الأبصار معطوف على جملة: لا تدركه الأبصار فإسناد الإدراك إلى ضمير اسمه تعالى إما لأن فعل يدرك استعير لمعنى ينال، أي لا تخرج عن تصرفه كما يقال: لحقه فأدركه، فالمعنى يقدر على الإبصار، أي على المبصرين، وإما لاستعارة فعل يدرك لمعنى يعلم لمشاكلة قوله: لا تدركه الأبصار أي لا تعلمه الأبصار. وذلك كناية عن العلم بالخفيات لأن الأبصار هي العدسات الدقيقة التي هي واسطة إحساس الرؤية أو هي نفس الإحساس وهو أخفى. وجمعه باعتبار المدركين.وفي قوله: لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار محسن الطباق.وجملة: وهو اللطيف

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٣٣٧/٧

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٤١٢/٧

الخبير معطوفة على جملة: لا تدركه الأبصار فهي صفةأخرى. أو هي **تذييل** للاحتراس دفعا لتوهم أن من لا تدركه الأبصار لا يعلم أحوال من لا يدركونه.واللطيف: وصف مشتق من اللطف أو من اللطافة. يقال: لطف- بفتح الطاء- بمعنى رفق، وأكرم، واحتفى. ويتعدى بالباء وباللام باعتبار ملاحظة معنى رفق أو معنى أحسن. ولذلك سميت الطرفة والتحفة التي يكرم بها المرء لطفا (بالتحريك) ، وجمعها ألطاف. فالوصف من هذا لاطف ولطيف فيكون اللطيف اسم فاعل بمعنى المبالغة يدل على حذف فعل من فاعله، ومنه قوله تعالى عن يوسف إن ربي لطيف لما يشاء [يوسف:١٠٠] . ويقال لطف- بضم الطاء- أي دق وخف ضد ثقل وكثف.." (١)

"واللطيف: صفة مشبهة أو اسم فاعل. فإن اعتبرت وصفا جاريا على لطف- بضم الطاء- فهي صفة مشبهة تدل على صفة من صفات ذات الله تعالى، وهي صفة تنزيهه تعالى عن إحاطة العقول بماهيته أو إحاطة الحواس بذاته وصفاته، فيكون اختيارها للتعبير عن هذا الوصف في جانب الله تعالى هو منتهى الصراحة والرشاقة في الكلمة لأنها أقرب مادة في اللغة العربية تقرب معنى وصفه تعالى بحسب ما وضعت له اللغة من متعارف الناس، فيقرب أن تكون من المتشابه، وعليه فتكون أعم من مدلول جملة لا تدركه الأبصار، فتتنزل من الجملة التي قبلها منزلة **التذييل** أو منزلة الاستدلال على الجزئية بالكلية فيزيد الوصف قبله تمكنا. وعلى هذا المعنى حملها الزمخشري في «الكشاف» لأنه أنسب بهذا المقام وهو من معاني الكلمة المشهورة في كلام العرب، واستحسنه الفخر وجوزه الراغب والبيضاوي، وهو الذي ينبغي التفسير به في كل موضع اقترن فيه وصف اللطيف بوصف الخبير كالذي هنا والذي في سورة الملك.وإن اعتبر اللطيف اسم فاعل من لطف- بفتح الطاء- فهو من أمثلة المبالغة يدل على وصفه تعالى بالرفق والإحسان إلى مخلوقاته وإتقان صنعه في ذلك وكثرة فعله ذلك، فيدل على صفة من صفات الأفعال. وعلى هذا المعنى حمله سائر المفسرين والمبينين لمعنى اسمه اللطيف في عداد الأسماء الحسنى. وهذا المعنى هو المناسب في كل موضع جاء فيه وصفه تعالى به مفردا معدى باللام أو بالباء نحو إن ربي لطيف لما يشاء [يوسف:١٠٠] ، وقوله: الله لطيف بعباده [الشورى: ١٩] . وبه فسر الزمخشري قوله تعالى: الله لطيف بعباده فلله دره، فإذا حمل على هذا المحمل هنا كان وصفا مستقلا عما قبله لزيادة تقرير استحقاقه تعالى للإفراد بالعبادة دون غيره.و «خبير» صفة مشبهة من خبر- بضم الباء- في الماضي، خبرا- بضم الخاء وسكون الباء- بمعنى علم وعرف، فالخبير الموصوف بالعلم بالأمور التي شأنها أن يخبر عنها علما موافقا للواقع.." (٢)

"ووقوع الخبير بعد اللطيف على المحمل الأول وقوع صفة أخرى هي أعم من مضمون وهو يدرك الأبصار، فيكمل **التذييل** بذلك ويكون **التذييل** مشتملا على محسن النشر بعد اللف وعلى المحمل الثاني موقعه موقع الاحتراس لمعنى اللطيف، أي هو الرفيق المحسن الخبير بمواقع الرفق والإحسان وبمستحقيه.[١٠٤][سورة الأنعام (٦) : آية ١٠٤]قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما أنا عليكم بحفيظ (١٠٤)هذا انتقال من محاجة المشركين، وإثبات الوحدانية لله بالربوبية من قوله: إن الله فالق الحب والنوى - إلى قوله- وهو اللطيف الخبير [الأنعام: ٩٥- ١٠٣] .

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٤١٦/٧

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٤١٧/٧

فاستؤنف الكلام بتوجيه خطاب للنبيء- عليه الصلاة والسلام- مقول لفعل أمر بالقول في أول الجملة، حذف على الشائع من حذف القول للقرينة في قوله: وما أنا عليكم بحفيظ [الأنعام:١٠٤] . ومناسبة وقوع هذا الاستئناف عقب الكلام المسوق إليهم من الله تعالى أنه كالتوقيف والشرح والفذلكة للكلام السابق فيقدر: قل يا محمد قد جاءكم بصائر.وبصائر جمع بصيرة، والبصيرة: العقل الذي تظهر به المعاني والحقائق، كما أن البصر إدراك العين الذي تتجلى به الأجسام، وأطلقت البصائر على ما هو سبب فيها.وإسناد المجيء إلى البصائر استعارة للحصول في عقولهم، شبه بمجيء شيء كان غائبا، تنويها بشأن ما حصل عندهم بأنه كالشيء الغائب المتوقع مجيئه كقوله تعالى: جاء الحق وزهق الباطل [الإسراء: ٨١] . وخلو فعل «جاء» عن علامة التأنيث مع أن فاعله جمع مؤنث لأن الفعل المسند إلى جمع تكسير مطلقا أو جمع مؤنث يجوز اقترانه بتاء التأنيث وخلوه عنها.و (من) ابتدائية تتعلق ب «جاء» أو صفة ل بصائر، وقد جعل خطاب الله بها." (١)

"والحفيظ: الحارس ومن يجعل إليه نظر غيره وحفظه، وهو بمنزلة الوكيل إلا أن الوكيل يكون مجعولا له الحفظ من جانب الشيء المحفوظ، والحفيظ أعم لأنه يكون من جانبه ومن جانب مواليه. وهذا قريب من معنى قوله وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل [الأنعام: ٦٦] .والإتيان بالجملة الاسمية هنا دقيق، لأن الحفيظ وصف لا يفيد غيره مفاده، فلا يقوم مقامه فعل حفظ، فالحفيظ صفة مشبهة يقدر لها فعل منقول إلى فعل- بضم العين- لم ينطق به مثل الرحيم.ولا يفيد تقديم المسند إليه في الجملة الاسمية اختصاصا خلافا لما يوهمه ظاهر تفسير الزمخشري وإن كان العلامة التفتازاني مال إليه، وسكت عنه السيد الجرجاني وهو وقوف مع الظاهر. وتقديم عليكم على بحفيظ للاهتمام ولرعاية الفاصلة.[١٠٥][سورة الأنعام (٦) : آية ١٠٥]وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون (١٠٥)جملة معترضة تذييلا لما قبلها. والواو اعتراضية فهو متصل بجملة: قد جاءكم بصائر من ربكم [الأنعام: ١٠٤] التي هي من خطاب الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بتقدير «قل» كما تقدم، والإشارة بقوله: وكذلك إلى التصريف المأخوذ من قوله: نصرف الآيات.أي ومثل ذلك التصريف نصرف الآيات. وتقدم نظيره غير مرة وأولها قوله: وكذلك جعلناكم أمة وسطا في سورة البقرة [١٤٣] .والقول في تصريف الآيات تقدم في قوله تعالى: انظر كيف نصرف الآيات في هذه السورة [٤٦] .وقوله: وليقولوا درست معطوف على وكذلك نصرف الآيات وقد." (٢)

"فتكون هذه الآية في معنى قوله:ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله [الأنعام: ٣٤] . ففيها تأنيس للرسول صلى الله عليه وسلم وتطمين له وللمؤمنين بحلول النصر الموعود به في إبانه.وقوله: وهو السميع العليم تذييل لجملة: وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته أي: وهو المطلع على الأقوال، العليم بما في الضمائر، وهذا تعريض بالوعيد لمن يسعى لتبديل كلماته، فالسميع العالم بأصوات المخلوقات، التي منها ما توحي به شياطين الإنس والجن، بعضهم إلى بعض، فلا يفوته منها شيء والعالم أيضا بمن يريد أن يبدل كلمات الله، على المعاني المتقدمة، فلا يخفى عليه ما يخوضون فيه:من تبييت الكيد والإبطال له.والعليم أعم، أي: العليم بأحوال

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٤١٨/٧

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٤٢١/٧

الخلق، والعليم بمواقع كلماته، ومحال تمامها، والمنظم بحكمته لتمامها، والموقت لآجال وقوعها.فذكر هاتين الصفتين هنا: وعيد لمن شملته آيات الذم السابقة، ووعد لمن أمر بالإعراض عنهم وعن افترائهم، وبالتحاكم معهم إلى الله، والذين يعلمون أن الله أنزل كتابه بالحق.[١١٦][سورة الأنعام (٦) : آية ١١٦]وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون (١١٦)أعقب ذكر عناد المشركين، وعداوتهم للرسول صلى الله عليه وسلم، وولايتهم للشياطين، ورضاهم بما توسوس لهم شياطين الجن والإنس، واقترافهم السيئات طاعة." (١)

"الخبر ووصله بالذي قبله، بحيث تغني غناء فاء التفريع، وتفيد التعليل، ولما اشتملت الآيات المتقدمة على بيان ضلال الضالين، وهدى المهتدين، كان قوله: إن ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين تذييلا لجميع تلك الأغراض.وتعريف المسند إليه بالإضافة في قوله: إن ربك لتشريف المضاف إليه، وإظهار أن هدي الرسول عليه الصلاة والسلام هو الهدى، وأن الذين أخبر عنهم بأنهم مضلون لا حظ لهم في الهدى لأنهم لم يتخذوا الله ربا لهم. وقدقال أبو سفيان يوم أحد: «لنا العزى ولا عزى لكم- فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أجيبوه قولوا: «الله مولانا ولا مولى لكم» .وأعلم اسم تفضيل للدلالة على أن الله لا يعزب عن علمه أحد من الضالين، ولا أحد من المهتدين، وأن غير الله قد يعلم بعض المهتدين وبعض المضلين، ويفوته علم كثير من الفريقين، وتخفى عليه دخيلة بعض الفريقين.والضمير في قوله: هو أعلم ضمير الفصل، لإفادة قصر المسند على المسند إليه، فالأعلمية بالضالين والمهتدين مقصورة على الله تعالى، لا يشاركه فيها غيره، ووجهه هذا القصر أن الناس لا يشكون في أن علمهم بالضالين والمهتدين علم قاصر، لأن كل أحد إذا علم بعض أحوال الناس تخفى عليهم أحوال كثير من الناس، وكلهم يعلم قصور علمه، ويتحقق أن ثمة من هو أعلم من العالم منهم، لكن المشركين يحسبون أن الأعلمية وصف لله تعالى ولآلهتهم، فنفي بالقصر أن يكون أحد يشارك الله في وصف الأعلمية المطلقة.ومن موصولة، وإعرابها نصب بنزع الخافض وهو الباء، كما دل عليه وجود الباء في قوله: وهو أعلم بالمهتدين لأن أفعل التفضيل." (٢)

"وحمزة، والكسائي، وخلف:- بضم الياء- على معنى أنهم يضللون الناس، والمعنى واحد، لأن الضال من شأنه أن يضل غيره، ولأن المضل لا يكون في الغالب إلا ضالا، إلا إذا قصد التغرير بغيره. والمقصود التحذير منهم وذلك حاصل على القراءتين.والباء في بأهوائهم للسببية على القراءتين. والباء في بغير علم للملابسة، أي يضلون منقادين للهوى، ملابسين لعدم العلم. والمراد بالعلم: الجزم المطابق للواقع عن دليل، وهذا كقوله تعالى: إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون [الأنعام: ١١٦] . ومن هؤلاء قادة المشركين في القديم، مثل عمرو بن لحي، أول من سن لهم عبادة الأصنام وبحر البحيرة وسيب السائبة وحمى الحامي، ومن بعده مثل الذين قالوا: (ما قتل الله أولى بأن نأكله مما قتلنا بأيدينا) .وقوله: إن ربك هو أعلم بالمعتدين تذييل، وفيه إعلام للرسول صلى الله عليه وسلم بتوعد الله هؤلاء الضالين المضلين، فالإخبار بعلم الله بهم كناية عن أخذه إياهم بالعقوبة وأنه لا يفلتهم، لأن كونه عالما بهم لا يحتاج إلى الإخبار به. وهو وعيد لهم أيضا، لأنهم

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٨-أ/٢٢

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٨-أ/٢٩

يسمعون القرآن ويقرأ عليهم حين الدعوة. وذكر المعتدين، عقب ذكر الضالين، قرينة على أنهم المراد وإلا لم يكن لانتظام الكلام مناسبة، فكأنه قال: إن ربك هو أعلم بهم وهم معتدون، وسماهم الله معتدين. والاعتداء: الظلم، لأنهم تقلدوا الضلال من دون حجة ولا نظر، فكانوا معتدين على أنفسهم، ومعتدين على كل من دعوه إلى موافقتهم.." (١)

"الإطباق، كما هنا، فإنه أريد تخفيف أحد الحروف الثلاثة المتحركة المتوالية من (يتصعد) ، فسكنت التاء ثم أدغمت في الصاد إدغام المقارب للتخفيف. وقرأه ابن كثير:يصعد- بسكون الصاد وفتح العين، مخففا. وقرأه أبو بكر، عن عاصم: يصاعد- بتشديد الصاد بعدها ألف- وأصله يتصاعد.وجملة كأنما يصعد في موضع الحال من ضمير: صدره أو من صدره، مثل حال المشرك حين يدعى إلى الإسلام أو حين يخلو بنفسه، فيتأمل في دعوة الإسلام، بحال الصاعد، فإن الصاعد يضيق تنفسه في الصعود، وهذا تمثيل هيئة معقولة بهيئة متخيلة، لأن الصعود في السماء غير واقع.والسماء يجوز أن يكون بمعناه المتعارف، ويجوز أن يكون السماء أطلق على الجو الذي يعلو الأرض. قال أبو علي الفارسي: «لا يكون السماء المظلة للأرض، ولكن كماقال سيبويه (١) القيدود الطويل في غير سماء- أي في غير ارتفاع صعدا» أراد أبو علي الاستظهار بكلام سيبويه على أن اسم السماء يقال للفضاء الذاهب في ارتفاع (وليست عبارة سيبويه تفسيرا للآية) .وحرف في يجوز أن يكون بمعنى (إلى) ، ويجوز أن يكون بمعنى الظرفية: إما بمعنى كأنه بلغ السماء وأخذ يصعد في منازلها، فتكون هيئة تخييلية، وإما على تأويل السماء بمعنى الجو.وجملة: كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون تذييل للتي قبلها، فلذلك فصلت.__________(١) في باب ما تقلب فيه الواو ياء من «كتاب» سيبويه، أي كما أطلق سيبويه في كلامه السماء على الارتفاع.." (٢)

"والرجس: الخبث والفساد، ويطلق على الخبث المعنوي والنفسي. والمراد هنا خبث النفس وهو رجس الشرك، كما قال تعالى: وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم [التوبة: ١٢٥] أي مرضا في قلوبهم زائدا على مرض قلوبهم السابق، أي أرسخت المرض في قلوبهم، وتقدم في سورة المائدة [٩٠] إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فالرجس يعم سائر الخباثات النفسية، الشاملة لضيق الصدر وحرجه، وبهذا العموم كان تذييلا، فليس خاصا بضيق الصدر حتى يكون من وضع المظهر موضع المضمر.وقوله: كذلك نائب عن المفعول المطلق المراد به التشبيه والمعنى: يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون جعلا كهذا الضيق والحرج الشديد الذي جعله في صدور الذين لا يؤمنون.وعلى في قوله: على الذين لا يؤمنون تفيد تمكن الرجس من الكافرين، فالعلاوة مجاز في التمكن، مثل: أولئك على هدى من ربهم [البقرة: ٥] والمراد تمكنه من قلوبهم وظهور آثاره عليهم. وجيء بالمضارع في يجعل لإفادة التجدد في المستقبل، أي هذه سنة الله في كل من ينصرف عن الإيمان، ويعرض عنه.والذين لا يؤمنون موصول يومىء إلى علة الخبر، أي يجعل الله الرجس متمكنا منهم لأنهم يعرضون عن تلقيه بإنصاف، فيجعل الله قلوبهم متزائدة بالقساوة. والموصوليعم كل من يعرض عن الإيمان، فيشمل المشركين المخبر عنهم، ويشمل غيرهم من كل من يدعى إلى الإسلام فيعرض عنه، مثل يهود المدينة

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٨-أ/٣٦

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٨-أ/٦٠

والمنافقين وغيرهم. وبهذا العموم صارت الجملة **تذييلا**، وصار الإتيان بالموصول جاريا على مقتضى الظاهر، وليس هو من الإظهار في مقام الإضمار.." (١)

"الكفار، وإذا صح ما نقل عنه وجب تأويله بأنه صدر منه قبل علمه بإجماع أهل العلم على أن المشركين لا يغفر لهم.ولك أن تجعل (ما) على هذا الوجه موصولة، فإنها قد تستعمل للعاقل بكثرة. وإذا جعل قوله: خالدين من جملة المقول في الحشر كان تأويل الآية: أن الاستثناء لا يقصد به إخراج أوقات ولا حالة، وإنما هو كناية، يقصد منه أن هذا الخلود قدره الله تعالى، مختارا لا مكره له عليه، إظهارا لتمام القدرة ومحض الإرادة، كأنه يقول: لو شئت لأبطلت ذلك. وقد يعضد هذا بأن الله ذكر نظيره في نعيم أهل الجنة في قوله: فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ [هود: ١٠٦، ١٠٨] فانظر كيف عقب قوله: إلا ما شاء ربك في عقاب أهل الشقاوة بقوله: إن ربك فعال لما يريد [هود:١٠٧] وكيف عقب قوله: إلا ما شاء ربك في نعيم أهل السعادة بقوله:عطاء غير مجذوذ [هود: ١٠٨] فأبطل ظاهر الاستثناء بقوله: عطاء غير مجذوذ فهذا معنى الكناية بالاستثناء، ثم المصير بعد ذلك إلى الأدلة الدالة على أن خلود المشركين غير مخصوص بزمن ولا بحال. ويكون هذا الاستثناء من تأكيد الشيء بما يشبه ضده.وقوله: إن ربك حكيم عليم **تذييل**، والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم فإن كان قوله: خالدين فيها إلا ما شاء الله من بقية المقول لأولياء الجن في الحشر كان قوله: إن ربك حكيم عليم جملة معترضة بين الجمل المقولة، لبيان أن ما رتبه الله على الشرك من الخلود رتبه بحكمته وعلمه، وإن كان قوله: خالدين إلخ كلاما مستقلا معترضا كان قوله: إن ربك حكيم عليم **تذييلا** للاعتراض، وتأكيدا للمقصود." (٢)

"من المشيئة من جعل استحقاق الخلود في العذاب منوطا بالموافاة على الشرك. وجعل النجاة من ذلك الخلود منوطة بالإيمان.والحكيم: هو الذي يضع الأشياء في مناسباتها، والأسباب لمسبباتها. والعليم:الذي يعلم ما انطوى عليه جميع خلقه من الأحوال المستحقة للثواب والعقاب.[١٢٩][سورة الأنعام (٦) : آية ١٢٩]وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون (١٢٩)وهو من تمام الاعتراض، أو من تمام **التذييل**، على ما تقدم من الاحتمالين، الواو للحال: اعتراضية، كما تقدم، أو للعطف على قوله: إن ربك حكيم عليم [الأنعام:١٢٨] .والإشارة إلى التولية المأخوذة من: نولي، وجاء اسم الإشارة بالتذكير لأن تأنيث التولية لفظي لا حقيقي، فيجوز في إشارته ما جاز في فعله الرافع للظاهر، والمعنى: وكما ولينا ما بين هؤلاء المشركين وبين أوليائهم نولي بين الظالمين كلهم بعضهم مع بعض.والتولية يجيء من الولاء ومن الولاية، لأن كليهما يقال في فعله المتعدي: ولى، بمعنى جعل وليا، فهو من باب أعطى يتعدى إلى مفعولين، كذا فسروه، وظاهر كلامهم أنه يقال: وليت ضبة تميما إذا حالفت بينهم، وذلك أنه يقال: تولت ضبة تميما بمعنى حالفتهم، فإذا عدي الفعل بالتضعيف قيل: وليت ضبة تميما، فهو من قبيل قوله: نوله ما تولى [النساء: ١١٥] أي نلزمه ما ألزم نفسه فيكون معنى: نولي بعض

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٨-أ/٦١

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٨-أ/٧٢

الظالمين بعضا نجعل بعضهم أولياء بعض، ويكون ناظرا إلى قوله: وقال أولياؤهم من الإنس [الأنعام:١٢٨] . وجعل الفريقين ظالمين لأن الذي يتولى قوما يصير منهم." (١)

"استعارة تمثيلية مكنية، شبهت حالة المؤمنين الفائزين في عملهم، مع حالة المشركين، بحالة الغالب على امتلاك دار عدوه، وطوي المركب الدال على الهيئة المشبه بها، ورمز إليه بذكر ما هو من روادفه، وهو عاقبة الدار، فإن التمثيلية تكون مصرحة، وتكون مكنية، وإن لم يقسموها إليهما، لكنه تقسيم لا محيص منه. ويجوز أن تكون الدار مستعارة للحالة التي استقر فيها أحد، تشبيها للحالة بالمكان في الاحتواء، فتكون إضافة عاقبة إلى الدار إضافة بيانية، أي العاقبة الحسنى التي هي حاله، فيكون الكلام استعارة مصرحة.ومن محاسنها هنا: أنها بنت على استعارة المكانة للحالة في قوله: اعملوا على مكانتكم فصار المعنى: اعملوا في داركم ما أنتم عاملون فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار. وفي الكلام مع ذلك إيماء إلى أن عاقبة تلك الدار، أي بلد مكة، أن تكون للمسلمين، كقوله تعالى: أن الأرض يرثها عبادي الصالحون [الأنبياء: ١٠٥] وقد فسر قوله: من تكون له عاقبة الدار بغير هذا المعنى.وقرأ الجمهور: من تكون- بتاء فوقية- وقرأه حمزة، والكسائي، بتحتية، لأن تأنيث عاقبة غير حقيقي، فلما وقع فاعلا ظاهرا فيجوز فيه أن يقرن بعلامة التأنيث وبدونها.وجملة: إنه لا يفلح الظالمون تذييل للوعيد يتنزل منزلة التعليل، أي لأنه لا يفلح الظالمون، ستكون عقبى الدار للمسلمين، لا لكم، لأنكم ظالمون.والتعريف في الظالمون للاستغراق، فيشمل هؤلاء الظالمين ابتداء، والضمير المجعول اسم (إن) ضمير الشأن تنبيها على الاهتمام بهذا الخبر وأنه أمر عظيم.." (٢)

"[سورة الأنعام (٦) : آية ١٤٠]قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين (١٤٠)تذييل جعل فذلكة للكلام السابق، المشتمل على بيان ضلالهم في قتل أولادهم، وتحجير بعض الحلال على بعض من أحل له.وتحقيق الفعل ب قد للتنبيه على أن خسرانهم أمر ثابت، فيفيد التحقيق التعجيب منهم كيف عموا عما هم فيه من خسرانهم. وعن سعيد بن جبير قال ابن عباس: إذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين ومائة من سورة الأنعام: قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم- إلى- وما كانوا مهتدين. أي من قوله تعالى وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا [الأنعام: ١٣٦] وجعلها فوق والثلاثين ومائة تقريبا، وهي في العد السادسة والثلاثون ومائة.ووصف فعلهم بالخسران لأن حقيقة الخسران نقصان مال التاجر، والتاجر قاصد الربح وهو الزيادة، فإذا خسر فقد باء بعكس ما عمل لأجله (ولذلك كثر في القرآن استعارة الخسران لعمل الذين يعملون طلبا لمرضاة الله وثوابه فيقعون في غضبه وعقابه، لأنهم أتعبوا أنفسهم فحصلوا عكس ما تعبوا لأجله) ذلك أن هؤلاء الذين قتلوا أولادهم قد طلبوا نفع أنفسهم بالتخلص من أضرار في الدنيا محتمل لحاقها بهم من جراء بناتهم، فوقعوا في أضرار محققة في الدنيا وفي الآخرة، فإن النسل نعمة من الله على الوالدين يأنسون به ويجدونه لكفاية مهماتهم، ونعمة على القبيلة تكثر وتعتز، وعلى

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٨-أ/٧٣

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٨-أ/٩٣

العالم كله بكثرة من يعمره وبما ينتفع به الناس من مواهب النسل وصنائعه، ونعمة على النسل نفسه بما يناله من نعيم الحياة وملذاتها. ولتلك الفوائد اقتضت حكمة الله إيجاد نظام." (١)

"بقوله تعالى: فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم، كما أشرنا إليه هنالك لأن الجرائم التي عدت عليهم هنالك كلها مما أحدثوه بعد موسى عليه السلام. فقوله تعالى: ذلك جزيناهم ببغيهم يراد منه البغي الذي أحدثوه زمن موسى. في مدة التيه، مما أخبر الله به عنهم: مثل قولهم: لن نصبر على طعام واحد [البقرة: ٦١] وقولهم: فاذهب أنت وربك فقاتلا [المائدة: ٢٤] وعبادتهم العجل. وقد عد عليهم كثير من ذلك في سورة البقرة.ومناسبة تحريم هذه المحرمات للكون جزاء لبغيهم: أن بغيهم نشأ عن صلابة نفوسهم وتغلب القوة الحيوانية فيهم على القوة الملكية، فلعل الله حرم عليهم هذه الأمور تخفيفا من صلابتهم، وفي ذلك إظهار منته على المسلمين بإباحة جميع الحيوان لهم إلا ما حرمه القرآن وحرمته السنة مما لم يختلف فيه العلماء وما اختلفوا فيه.ولم يذكر الله تحريم لحم الخنزير، مع أنه مما شمله نص التوراة، لأنه إنما ذكر هنا ما خصوا بتحريمه مما لم يحرم في الإسلام، أي ما كان تحريمه موقتا.وتقديم المجرور على عامله في قوله: ومن البقر والغنم حرمنا عليهم للاهتمام ببيان ذلك، لأنه مما يلتفت الذهن إليه عند سماع تحريم كل ذي ظفر فيترقب الحكم بالنسبة إليهما فتقديم المجرور بمنزلة الافتتاح ب (أما) .وجملة: ذلك جزيناهم ببغيهم تذييل يبين علة تحريم ما حرم عليهم.واسم الإشارة في قوله: ذلك جزيناهم مقصود به التحريم المأخوذ من قوله:حرمنا فهو في موضع مفعول ثان: ل جزيناهم قدم." (٢)

"على عامله ومفعوله الأول للاهتمام به والتثبيت على أن التحريم جزاء لبغيهم.وجملة: وإنا لصادقون تذييل للجملة التي قبلها قصدا لتحقيق أن الله حرم عليهم ذلك، وإبطالا لقولهم: إن الله لم يحرم علينا شيئا وإنما حرمنا ذلك على أنفسنا اقتداء بيعقوب فيما حرمه على نفسه لأن اليهود لما انتبزوا بتحريم الله عليهم ما أحله لغيرهم مع أنهم يزعمون أنهم المقربون عند الله دون جميع الأمم، أنكروا أن يكون الله حرم عليهم ذلك وأنه عقوبة لهم فكانوا يزعمون أن تلك المحرمات كان حرمها يعقوب على نفسه نذرا لله فاتبعه أبناؤه اقتداء به. وليس قولهم بحق: لأن يعقوب إنما حرم على نفسه لحوم الإبل وألبانها، كما ذكره المفسرون وأشار إليه قوله تعالى: كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة في سورة آل عمران [٩٣] .وتحريم ذلك على نفسه لنذر أو مصلحة بدنية لا يسري إلى من عداه من ذريته. وأن هذه الأشياء التي ذكر الله تحريمها على بني إسرائيل مذكور تحريمها في التوراة فكيف ينكرون تحريمها.فالتأكيد للرد على اليهود ونظير قوله هنا: وإنا لصادقون قوله في سورة آل عمران [٩٣] . عقب قوله: كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل. قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إنكنتم صادقينإلى قوله: قل صدق الله [آل عمران: ٩٣- ٩٥] .[١٤٧][سورة الأنعام (٦) : آية ١٤٧]فإن كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين (١٤٧)تفريع على الكلام السابق الذي أبطل تحريم ما حرموه، ابتداء من قوله: ثمانية أزواج [الأنعام: ١٤٣] الآيات أي: فإن لم يرعووا بعد هذا البيان." (٣)

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٨-أ/١١٣

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٨-أ/١٤٣

(٣) التحرير والتنويرابن عاشور ٨-أ/١٤٤

"وكذبوك في نفي تحريم الله ما زعموا أنه حرمه فذكرهم ببأس الله لعلهم ينتهون عما زعموه، وذكرهم برحمته الواسعة لعلهم يبادرون بطلب ما يخولهم رحمته من اتباع هدي الإسلام، فيعود ضمير: كذبوك إلى المشركين وهو المتبادر من سياق الكلام: سابقه ولا حقه، وعلى هذا الوجه يجوز أن يكون في قوله: فقل ربكم ذو رحمة واسعة تنبيه لهم بأن تأخير العذاب عنهم هو إمهال داخل في رحمة الله رحمة مؤقتة، لعلهم يسلمون. وعليه يكون معنى فعل: كذبوك الاستمرار، أي إن استمروا على التكذيب بعد هذه الحجج.ويجوز أن يعود الضمير إلى الذين هادوا [الأنعام: ١٤٦] ، تكملة للاستطراد وهو قول مجاهد والسدي: أن اليهود قالوا لم يحرم الله علينا شيئا وإنما حرمنا ما حرم إسرائيل على نفسه، فيكون معنى الآية: فرض تكذيبهم قوله: وعلى الذين هادوا حرمنا [الأنعام: ١٤٦] إلخ، لأن أقوالهم تخالف ذلك فهم بحيث يكذبون ما في هذه الآية، ويشتبه عليهم الإمهال بالرضى، فقيل لهم: ربكم ذو رحمة واسعة. ومن رحمته إمهاله المجرمين في الدنيا غالبا.وقوله: ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين فيه إيجاز بحذف تقديره: وذو بأس ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين إذا أراده. وهذا وعيد وتوقع وهو **تذييل**، لأن قوله: عن القوم المجرمين يعمهم وغيرهم وهو يتضمن أنهم مجرمون.[١٤٨][سورة الأنعام (٦) : آية ١٤٨]سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون." (١)

"الزكاة وهو بإجماع الصحابة، وأما الجهاد فغير داخل في قوله: إلا بالحق، ولكن قتل الأسير في الجهاد إذا كان لمصلحة كان حقا، وقد فصلنا الكلام على نظير هذه الآية في سورة الإسراء.والإشارة بقوله: ذلكم وصاكم به إلى مجموع ما ذكر، ولذلك أفرد اسم الإشارة باعتبار المذكور، ولو أتى بإشارة الجمع لكان ذلك فصيحا، ومنه: كل أولئك كان عنه مسؤلا [الإسراء: ٣٦] .وتقدم معنى الوصاية عند قوله: أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا [الأنعام: ١٤٤] آنفا.وقوله: لعلكم تعقلون رجاء أن يعقلوا، أي يصيروا ذوي عقول لأن ملابسة بعض هذه المحرمات ينبيء عن خساسة عقل، بحيث ينزل ملابسوها منزلة من لا يعقل، فلذلك رجي أن يعقلوا.وقوله: ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون **تذييل** جعل نهاية للآية، فأومأ إلى تنهية نوع من المحرمات وهو المحرمات الراجع تحريمها إلى إصلاح الحالة الاجتماعية للأمة، بإصلاح الاعتقاد، وحفظ نظام العائلة والانكفاف عن المفاسد، وحفظ النوع بترك التقاتل.[١٥٢][سورة الأنعام (٦) : آية ١٥٢]ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون (١٥٢)ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده.عطف جملة: ولا تقربواعلى الجملة التي فسرت فعل: أتل [الأنعام: ١٥١] عطف محرمات ترجع إلى حفظ قواع التعامل بين الناس لإقامة قواعد الجامعة الإسلامية ومدنيتها وتحقيق ثقة الناس بعضهم ببعض.." (٢)

"هذا الاحتراس من الامتنان، فتولى الله خطاب الناس فيه بطريق التكلم مباشرة زيادة في المنة، وتصديقا للمبلغ، فالوصاية بإيفاء الكيل والميزان راجعة إلى حفظ مال المشتري في مظنة الإضاعة، لأن حالة الكيل والوزن حالة غفلة المشتري،

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٨-أ/١٤٥

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٨-أ/١٦٢

إذ البائع هو الذي بيده المكيال أو الميزان، ولأن المشتري لرغبته في تحصيل المكيل أو الموزون قد يتحمل التطفيف، فأوصي البائع بإيفاء الكيل والميزان. وهذا الأمر يدل بفحوى الخطاب على وجوب حفظ المال فيما هو أشد من التطفيف، فإن التطفيف إن هو إلا مخالسة قدر يسير من المبيع، وهو الذي لا يظهر حين التقدير فأكل ما هو أكثر من ذلك من المال أولى بالحفظ، وتجنب الاعتداء عليه.ويجوز أن تكون جملة: لا نكلف نفسا إلا وسعها**تذييلا** للجمل التي قبلها، تسجيلا عليهم بأن جميع ما دعوا إليه هو في طاقتهم ومكنتهم. وقد تقدم ذلك عند قوله تعالى: لا يكلف الله نفسا إلا وسعها في آخر سورة البقرة [٢٨٦] .وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى.هذا جامع كل المعاملات بين الناس بواسطة الكلام وهي الشهادة، والقضاء، والتعديل، والتجريح، والمشاورة، والصلح بين الناس، والأخبار المخبرة عن صفات الأشياء في المعاملات: من صفات المبيعات، والمؤاجرات، والعيوب وفي الوعود، والوصايا، والأيمان وكذلك المدائح والشتائم كالقذف، فكل ذلك داخل فيما يصدر عن القول.والعدل في ذلك أن لا يكون في القول شيء من الاعتداء على الحقوق:." (١)

"من مزاعمكم الكاذبة فيما حرمتم وفصلتم، فهذاهو الوجه في تفسير قوله: وبعهد الله أوفوا.وتقديم المجرور على عامله للاهتمام بأمر العهد وصرف ذهن السامع عند، ليتقرر في ذهنه ما يرد بعده من الأمر بالوفاء، أي إن كنتم ترون الوفاء بالعهد مدحة فعهد الله أولى بالوفاء وأنتم قد اخترتموه، فهذا كقوله تعالى: يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير- ثم قال- وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله [البقرة: ٢١٧] .ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون.تكرار لقوله المماثل له قبله، وقد علمت أن هذا **التذييل** ختم به صنف من أصناف الأحكام. وجاء مع هذه الوصية بقوله: لعلكم تذكرونلأن هذه المطالب الأربعة عرف بين العرب أنها محامد، فالأمر بها، والتحريض عليها تذكير بما عرفوه في شأنها ولكنهم تناسوه بغلبة الهوى وغشاوة الشرك على قلوبهم.وقرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم في رواية أبي بكر، وأبو جعفر، ويعقوب: تذكرون- بتشديد الذال لإدغام التاء الثانية في الذال بعد قلبها-، وقرأ حمزة، والكسائي، وعاصم في رواية حفص، وخلف- بتخفيف الذال على حذف التاء الثانية تخفيفا-.[١٥٣][سورة الأنعام (٦) : آية ١٥٣]وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون." (٢)

"(١٥٣)الواو عاطفة على جملة: ألا تشركوا به شيئا [الأنعام: ١٥١] لتماثل المعطوفات في أغراض الخطاب وترتيبه، وفي تخلل **التذييلات** التي عقبت تلك الأغراض بقوله: لعلكم تعقلون [الأنعام: ١٥١]- لعلكم تذكرون[الأنعام: ١٥٢]- لعلكم تتقون وهذا كلام جامع لاتباع ما يجيء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم من الوحي في القرآن.وقرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وأبو جعفر: أن- بفتح الهمزة وتشديد النون-.وعن الفراء والكسائي أنه معطوف على: ما حرم ربكم [الأنعام: ١٥١] ، فهو في موضع نصب بفعل: أتل والتقدير: وأتل عليكم أن هذا صراطي مستقيما.وعن أبي علي الفارسي: أن قياس قول سيبويه أن تحمل (أن) ، أي تعلق على قوله:فاتبعوه، والتقدير: ولأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه، على

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٨-أ/١٦٦

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٨-أ/١٧٠

قياس قول سيبويه في قوله تعالى: لإيلاف قريش [قريش: ١] . وقال في قوله تعالى: وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا [الجن: ١٨] المعنى: ولأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا اه.ف أن مدخولة للام التعليل محذوفة على ما هو المعروف من حذفها مع (أن) و (أن) . وتقدير النظم: واتبعوا صراطي لأنه صراط مستقيم، فوقع تحويل في النظم بتقدير التعليل على الفعل الذي حقه أن يكون معطوفا، فصار التعليل معطوفا لتقديمه ليفيد تقديمه تفرع المعلل وتسببه، فيكون التعليل بمنزلة الشرط بسبب هذا التقديم، كأنه قيل: لما كان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه.وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف: وإن- بكسر الهمزة وتشديد النون- فلا تحويل في نظم الكلام، ويكون قوله: فاتبعوه تفريعا على إثبات الخبر بأن صراطه مستقيم.وقرأ ابن عامر، ويعقوب: «وأن» -." (١)

"همزة التعدية كما قاله النحاة، في نحو: ذهبت بزيد، أنه بمعنى أذهبته، فيكون المعنى فتفرقكم عن سبيله، أي لا تلاقونوالضمير المضاف إليه في: سبيله يعود إلى الله تعالى بقرينة المقام، فإذا كان ضمير المتكلم في قوله: صراطي عائدا لله كان في ضمير سبيله التفاتا عن سبيلي.روى النسائي في «سننه» ، وأحمد، والدارمي في «مسنديهما» ، والحاكم في «المستدرك» ، عن عبد الله بن مسعود، قال: خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما خطا ثم قال: هذا سبيل الله، ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله (أي عن يمين الخط المخطوط أولا وعن شماله) ثم قال: «هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليها» ثم قرأ: وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله.وروى أحمد، وابن ماجه، وابن مردويه، عن جابر بن عبد الله قال: «كنا عند النبيء صلى الله عليه وسلم فخط خطا وخط خطين عن يمينه وخط خطين عن يساره ثم وضع يده في الخط الأوسط (أي الذي بين الخطوط الأخرى) فقال: هذه سبيل الله، ثم تلا هذه الآية: وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون»وما وقع في الرواية الأولى (وخط خطوطا) هو باعتبار مجموع ما على اليمين والشمال. وهذا رسمه على سبيل التقريب:وقوله: ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون **تذييل** تكرير لمثليه السابقين، فالإشارة ب ذلكم إلى الصراط، والوصاية به معناها الوصاية بما يحتوي عليه.وجعل الرجاء للتقوى لأن هذه السبيل تحتوي على ترك المحرمات، وتزيد بما تحتوي عليه من فعل الصالحات، فإذا اتبعها السالك فقد." (٢)

"لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا [الأنعام: ١٥٨] فحد لهم بذلك حدا هو من مظهر عدله، أعقب ذلك ببشرى من مظاهر فضله وعدله. وهي الجزاء على الحسنة بعشر أمثالها والجزاء على السيئة بمثلها، فقوله:من جاء بالحسنة إلى آخره استئناف ابتدائي جرى على عرف القرآن في الانتقال بين الأغراض.فالكلام **تذييل** جامع لأحوال الفريقين اللذين اقتضاهما قوله: لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا [الأنعام: ١٥٨] . وهذا بيان لبعض الإجمال الذي في قوله: لا ينفع نفسا إيمانها الآية، كما تقدم آنفا.وجاء بالحسنة معناه عمل الحسنة: شبه عمله الحسنة بحال المكتسب، إذ يخرج يطلب رزقا من وجوهه أو احتطاب أو صيد فيجيء أهله بشيء. وهذا كما

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٨-أ/١٧١

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٨-أ/١٧٤

استعير له اسم التجارة في قوله تعالى: فما ربحت تجارتهم [البقرة: ١٦] .فالباء للمصاحبة، والكلام تمثيل، ويجوز حمل المجيء على حقيقته، أي مجيء إلى الحساب على أن يكون المراد بالحسنة أن يجيء بكتابتها في صحيفة أعماله.وأمثال الحسنة ثواب أمثالها، فالكلام على حذف مضاف بقرينة قوله: فلا يجزى إلا مثلها، أو معناه تحسب له عشر حسنات مثل التي جاء بها كمافي الحديث: «كتبها الله عنده عشر حسنات»ويعرف من ذلك أن الثواب على نحو ذلك الحساب كما دل عليه قوله: فلا يجزى إلا مثلها.والأمثال: جمع مثل وهو المماثل المساوي، وجيء له باسم عدد المؤنث وهو عشر اعتبارا بأن الأمثال صفة لموصوف محذوف دل عليه الحسنة." (١)

"والتنبئة: الإخبار، والمراد بها إظهار آثار الإيمان والكفر واضحة يوم الحساب، فيعلموا أنهم كانوا ضالين، فشبه ذلك العلم بأن الله أخبرهم بذلك يومئذ وإلا فإن الله نبأهم بما اختلفوا فيه من زمن الحياة الدنيا، أو المراد ينبئكم مباشرة بدون واسطة الرسل إنباء لا يستطيع الكافر أن يقول: هذا كذب على الله، كماورد في حديث الحشر: «فيسمعهم الداعي ليس بينهم وبين الله حجاب». [١٦٥][سورة الأنعام (٦) : آية ١٦٥]وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم في ما آتاكم إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم (١٦٥)يظهر أن هذا دليل على إمكان البعث، وعلى وقوعه، لأن الذي جعل بعض الأجيال خلائف لما سبقها، فعمروا الأرض جيلا بعد جيل، لا يعجزه أن يحشرها جميعا بعد انقضاء عالم حياتها الأولى. ثم إن الذي دبر ذلك وأتقنه لا يليق به أن لا يقيم بينهم ميزان الجزاء على ما صنعوا في الحياة الأولى لئلا يذهب المعتدون والظالمون فائزين بما جنوا، وإذا كان يقيم ميزان الجزاء على الظالمين فكيف يترك إثابة المحسنين، وقد أشار إلى الشق الأول قوله: وهو الذي جعلكم خلائف الأرض، وأشار إلى الشق الثاني قوله:ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم في ما آتاكم. ولذلك أعقبه **بتذييله**: إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم.فالخطاب موجه إلى المشركين الذين أمر الرسول عليه الصلاة والسلام بأن يقول لهم: أغير الله أبغي ربا [الأنعام: ١٦٤] وذلك يذكر بأنهم سيصيرون إلى ما صار إليه أولئك.." (٢)

"وعطف قوله: ورفع بعضكم فوق بعض درجات يجري على الاحتمالين في المخاطب بقوله: جعلكم خلائف الأرض فهو أيضا عبرة وعظة، لعدم الاغترار بالقوةوالرفعة، ولجعل ذلك وسيلة لشكر تلك النعمة والسعي في زيادة الفضل لمن قصر عنها والرفق بالضعيف وإنصاف المظلوم.ولذلك عقبه بقوله: ليبلوكم في ما آتاكم أي ليخبركم فيما أنعم به عليكم من درجات النعم حتى يظهر للناس كيف يضع أهل النعمة أنفسهم في مواضعها اللائقة بها وهي المعبر عنها بالدرجات. والدرجات مستعارة لتفاوت النعم. وهي استعارة مبنية على تشبيه المعقول بالمحسوس لتقريبه.والإيتاء مستعار لتكوين الرفعة في أربابها تشبيها للتكوين بإعطاء المعطي شيئا لغيره.والبلو: الاختبار، وقد تقدم عند قوله تعالى: ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع [البقرة: ١٥٥] . والمراد به ظهور موازين العقول في الانتفاع والنفع بمواهب الله فيها وما يسره لها من الملائمات والمساعدات، فالله يعلم مراتب الناس، ولكن سمى ذلك بلوى لأنها لا تظهر للعيان إلا بعد العمل، أي ليعلمه الله علم

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٨-أ/١٩٥

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٨-أ/٢٠٩

الواقعات بعد أن كان يعلمه علم المقدرات، فهذا موقع لام التعليل، وقريب منه قول إياس بن قبيصة الطائي:وأقبلت والخطي يخطر بيننا ... لأعلم من جبانها من شجاعهاوجملة: إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم **تذييل** للكلام وإيذان بأن المقصود منه العمل والامتثال فلذلك جمع هنا بين صفة سريع العقاب وصفة لغفور ليناسب جميع ما حوته هذه السورة.." (١)

"يعسر السلوك فيه، ويستعار لحالة النفس عند الحزن والغضب والأسف، لأنهم تخيلوا للغاضب والآسف ضيقا في صدره لما وجدوه يعسر منه التنفس من انقباض أعصاب مجاري النفس، وفي معنى الآية قوله تعالى: فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك إنما أنت نذير [هود: ١٢] .ولتنذر متعلق ب أنزل على معنى المفعول لأجله، واقترانه بلام التعليل دون الإتيان بمصدر منصوب لاختلاف فاعل العامل وفاعل الإنذار. وجعل الإنذار به مقدما في التعليل لأنه الغرض الأهم لإبطال ما عليه المشركون من الباطل وما يخلفونه في الناس من العوائد الباطلة التي تعانى إزالتها من الناس بعد إسلامهم.ذكرى يجوز أن يكون معطوفا على لتنذر به، باعتبار انسباكه بمصدر فيكون في محل جر، ويجوز أن يكون العطف عطف جملة، ويكون ذكرى مصدرا بدلا من فعله، والتقدير: وذكر ذكرى للمؤمنين، فيكون في محل نصب فيكون اعتراضا.وحذف متعلق لتنذر، وصرح بمتعلق ذكرى لظهور تقدير المحذوف من ذكر مقابله المذكور، والتقدير: لتنذر به الكافرين، وصرح بمتعلق الذكرى دون متعلق لتنذر تنويها بشأن المؤمنين وتعريضا بتحقير الكافرين تجاه ذكر المؤمنين.[٣][سورة الأعراف (٧) : آية ٣]اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون (٣)بيان لجملة: لتنذر به [الأعراف: ٢] بقرينة **تذييلها** بقوله: قليلا ما تذكرون.فالخطاب موجه للمشركين ويندرج فيه المسلمون بالأولى، فبعد." (٢)

"والمجرور في موضع الحال من فاعل تتبعوا، أي لا تتبعوا أولياء متخذينها دونه، فإن المشركين وإن كانوا قد اعترفوا لله بالإلهية واتبعوا أمره بزعمهم في كثير من أعمالهم: كالحج ومناسكه، والحلف باسمه، فهم أيضا اتبعوا الأصنام بعبادتها أو نسبة الدين إليها، فكل عمل تقربوا به إلى الأصنام، وكل عمل عملوه امتثالا لأمر ينسب إلى الأصنام، فهم عند عمله يكونون متبعين اتباعا فيه إعراض عن الله وترك للتقرب إليه، فيكون اتباعا من دون الله، فيدخل في النهي، وبهذا النهي قد سدت عليهم أبواب الشرك وتأويلاته كقولهم: ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى [الزمر: ٣] فقد جاء قوله: ولا تتبعوا من دونه أولياء في أعلى درجة من الإيجاز واستيعاب المقصود.وأفاد مجموع قوله: اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء مفاد صيغة قصر، كأنه قال: لا تتبعوا إلا ما أمر به ربكم، أي دون ما يأمركم به أولياؤكم، فعدل عن طريق القصر لتكون جملة: ولا تتبعوا من دونه أولياء مستقلة صريحة الدلالة اهتماما بمضمونها على نحو قول السموأل أو الحارثي:تسيل على حد الظبات نفوسنا ... وليست على غير الظبات تسيلوجملة: قليلا ما تذكرون هي في موضع الحال من لا تتبعوا، وهي حال سببية وكاشفة لصاحبها، وليست مقيدة للنهي: لظهور أن المتبعين أولياء من دون الله ليسوا إلا قليلي التذكر.

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٨-أ/٢١١

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٨-ب/١٤

ويجوز جعل الجملة اعتراضا **تذييليا**. ولفظ (قليلا) يجوز أن يحمل على حقيقته لأنهم قد يتذكرون ثم يعرضون عن التذكر في أكثر أحوالهم فهم في غفلة معرضون، ويجوز أن يكون (قليلا) مستعارا لمعنى النفي والعدم على وجه التلميح كقوله تعالى:فقليلا ما يؤمنون [البقرة: ٨٨] (فإن الإيمان لا يوصف بالقلة والكثرة) .والتذكر مصدر الذكر- بضم الذال- وهو حضور الصورة في الذهن.." (١)

"جرم أن يسأل عن ذلك المرسل إليهم، ولما كان المقصود الأهم من السؤال هو الأمم، لإقامة الحجة عليهم في استحقاق العقاب، قدم ذكرهم على ذكر الرسل، ولما تدل عليه صلة (الذي) وصلة (ال) من أن المسئول عنه هو ما يتعلق بأمر الرسالة، وهو سؤال الفريقين عن وقوع التبليغ.ولما دل على هذا المعنى التعبير: ب الذين أرسل إليهم والتعبير: ب المرسلين لم يحتج إلى ذكر جواب المسئولين لظهور أنه إثبات التبليغ والبلاغ.والفاء في قوله: فلنقصن عليهم للتفريع والترتيب على قوله: فلنسئلن، أي لنسألنهم ثم نخبرهم بتفصيل ما أجمله جوابهم، أي فلنقصن عليهم تفاصيل أحوالهم، أي فعلمنا غني عن جوابهم ولكن السؤال لغرض آخر.وقد دل على إرادة التفصيل تنكير علم في قوله: بعلم أي علم عظيم، فإن تنوين (علم) للتعظيم، وكمال العلم إنما يظهر في العلم بالأمور الكثيرة، وزاد ذلك بيانا قوله:وما كنا غائبين الذي هو بمعنى: لا يعزب عن علمنا شيء يغيب عنا ونغيب عنه.والقص: الإخبار، يقال: قص عليه، بمعنى أخبره، وتقدم في قوله تعالى: يقص الحق في سورة الأنعام [٥٧] .وجملة: وما كنا غائبين معطوف على فلنقصن عليهم بعلم، وهي في موقع **التذييل**.والغائب ضد الحاضر، وهو هنا كناية عن الجاهل، لأن الغيبة تستلزم الجهالة عرفا، أي الجهالة بأحوال المغيب عنه، فإنها ولو بلغته." (٢)

"عملا صالحا وآخر سيئا وذلك لم تتعرض له هذه الآية، إذ ليس من غرض المقام، وتعرضت له آيات آخري.[١٠][سورة الأعراف (٧) : آية ١٠]ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون (١٠)عطف على جملة: ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون [الأعراف: ٣] فهذا تذكير لهم بأن الله هو ولي الخلق، لأنه خالقهم على وجه الأرض، وخالق ما به عيشهم الذي به بقاء وجودهم إلى أجل معلوم، وتوبيخ على قلة شكرها، كما دل عليه **تذييل** الجملة بقوله: قليلا ما تشكرون فإن النفوس التي لا يزجرها التهديد قد تنفعها الذكريات الصالحة، وقد قال أحد الخوارج وطلب منه أن يخرج إلى قتال الحجاج بن يوسف وكان قد أسدى إليه نعما:أأقاتل الحجاج عن سلطانه ... بيد تقر بأنها مولاتهوتأكيد الخبر بلام القسم وقد، المفيد للتحقيق، تنزيل للذين هم المقصود من الخطاب منزلة من ينكر مضمون الخبر لأنهم لما عبدوا غير الله كان حالهم كحال من ينكر أن الله هو الذي مكنهم من الأرض، أو كحال من ينكر وقوع التمكين من أصله.والتمكين جعل الشيء في مكان، وهو يطلق على الإقدار على التصرف، على سبيل الكناية، وقد تقدم ذلك عند قوله تعالى: مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم في سورة الأنعام [٦] وهو مستعمل هنا في معناه الكنائي

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٨-ب/١٧

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٨-ب/٢٧

لا الصريح، أي جعلنا لكم قدرة، أي أقدرناكم على أمور الأرض وخولناكم التصرف في مخلوقاتها، وذلك بما أودع الله في البشر من قوة العقل والتفكير." (١)

"سورة الأعراف: ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين الآية فأشار إلىالشجرة بعد أن صارت معروفة لهما زيادة في إغرائهما بالمعصية بالأكل من الشجرة، فقد وزعت الوسوسة وتذييلها على السورتين على عادة القرآن في الاختصار في سوق القصص اكتفاء بالمقصود من مغزى القصة لئلا يصير القصص مقصدا أصليا للتنزيل.والإشارة بقوله: عن هذه الشجرة إلى شجرة معينة قد تبين لآدم بعد أن وسوس إليه الشيطان أنها الشجرة التي نهاه الله عنها، فأراد إبليس إقدامه على المعصية وإزالة خوفه بإساءة ظنه في مراد الله تعالى من النهي.والاستثناء في قوله: إلا أن تكونا ملكين استثناء من علل، أي ما نهاكما لعلة وغرض إلا لغرض أن تكونا ملكين، فتعين تقدير لام التعليل قبل (أن) وحذف حروف الجر الداخلة على (أن) مطرد في كلام العرب عند أمن اللبس.وكونهما ملكين أو خالدين علة للنهي: أي كونكما ملكين هو باعث النهي، إلا أنه باعث باعتبار نفي حصوله لا باعتبار حصوله، أي هو علة في الجملة، ولذلك تأوله سيبويه والزمخشري بتقدير: كراهة أن تكونا. وهو تقدير معنى لا تقدير إعراب، كما تقدم في سورة الأنعام، وقيل حذفت (لا) بعد (أن) وحذفها موجود، وبذلك تأول الكوفيون وقد تقدم القول فيه. وقد أوهم إبليس آدم وزوجه أنهما متمكنان أن يصيرا ملكين من الملائكة، إذا أكلا من الشجرة، وهذا من تدجيله وتلبيسه إذ ألفى آدم وزوجه غير متبصرين في حقائق الأشياء، ولا عالمين المقدار الممكن في انقلاب الأعيان وتطور الموجودات، وكانا يشاهدان تفضيل الملائكة عند الله تعالى وزلفاهم وسعة مقدرتهم، فأطمعهما إبليس أن يصيرا من الملائكة إذا أكلا من الشجرة، وقيل المراد التشبيه البليغ أي إلا أن تكونا في القرب والزلفى كالملكين، وقد مثل لهما بما يعرفان من كمال الملائكة.." (٢)

"والإسراف تقدم عند قوله تعالى: ولا تأكلوها إسرافا في سورة النساء [٦] ، وهو تجاوز الحد المتعارف في الشيء أي: ولا تسرفوا في الأكل بكثرة أكل اللحوم والدسم لأن ذلك يعود بأضرار على البدن وتنشأ منه أمراض معضلة.وقد قيل إن هذه الآية جمعت أصول حفظ الصحة من جانب الغذاء فالنهي عن السرف نهي إرشاد لا نهي تحريم بقرينة الإباحة اللاحقة في قوله: قل من حرم زينة الله- إلى قوله- والطيبات من الرزق [الأعراف: ٣٢] ، ولأن مقدار الإسراف لا ينضبط فلا يتعلق به التكليف، ولكن يوكل إلى تدبير الناس مصالحهم، وهذا راجع إلى معنى القسط الواقع في قوله سابقا: قل أمر ربي بالقسط [الأعراف: ٢٩] فإن ترك السرف من معنى العدل.وقوله: إنه لا يحب المسرفين تذييل، وتقدم القول في نظيره في سورة الأنعام.[٣٢][سورة الأعراف (٧) : آية ٣٢]قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون (٣٢)استئناف معترض بين الخطابات المحكية والموجهة، وهو موضع إبطال مزاعم أهل الجاهلية فيما حرموه من اللباس والطعام وهي زيادة تأكيد لإباحة التستر في

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٨-ب/٣٣

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٨-ب/٥٩

المساجد، فابتدئ الكلام السابق بأن اللباس نعمة من الله. وثني بالأمر بإيجاب التستر عند كل مسجد، وثلث بانكاران يوجد تحريم اللباس." (١)

"بمنزلة **التذييل** خطابا لسامعي القرآن، أي قال الله لهم ذلك وهم لا يعلمون أن لكل ضعفا فلذلك سألوا التغليظ على القادة فأجيبوا بأن التغليظ قد سلط على الفريقين.وعطفت جملة: وقالت أولاهم لأخراهم على جملة: قالت أخراهم لأولاهم لأنهم لم يدخلوا في المحاورة ابتداء فلذلك لم تفصل الجملة.والفاء في قولهم: فما كان لكم علينا من فضل فاء فصيحة، مرتبة على قول الله تعالى لكل ضعف حيث سوى بين الطائفتين في مضاعفة العذاب. و (ما) نافية. و (من) زائدة لتأكيد نفي الفضل، لأن إخبار الله تعالى بقوله: (لكل ضعف) سبب للعلم بأن لا مزية لأخراهم عليهم في تعذيبهم عذابا أقل من عذابهم، فالتقدير: فإذا كان لكل ضعف فما كان لكم من فضل، والمراد بالفضل الزيادة من العذاب.وقوله:فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون يجوز أن يكون من كلام أولاهم: عطفوا قولهم:فذوقوا العذاب على قولهم: فما كان لكم علينا من فضل بفاء العطف الدالة على الترتب. فالتشفي منهم فيما نالهم من عذاب الضعف ترتب على تحقق انتفاء الفضل بينهم في تضعيف العذاب الذي أفصح عنه إخبار الله بأن لهم عذابا ضعفا.وصيغة الأمر في قولهم: فذوقوا مستعملة في الإهانة والتشفي.والذوق استعمل مجازا مرسلا في الإحساس بحاسة اللمس، وقد تقدم نظائره غير مرة.والباء سببية، أي بسبب ما كنتم تكسبون مما أوجب لكم مضاعفة العذاب، وعبربالكسب دون الكفر لأنه أشمل لأحوالهم، لأن إضلالهم لأعقابهم كان بالكفر وبحب الفخر والإغراب بما علموهم وما سنوا لهم، فشمل ذلك كله أنه كسب.." (٢)

"آلة الخياطة المسمى بالإبرة، والفعال ورد اسما مرادفا للمفعل في الدلالة على آلة الشيء كقولهم حزام ومحزم، وإزار ومئزر، ولحاف وملحف، وقناع ومقنع.والسم: الخرت الذي في الإبرة يدخل فيه خيط الخائط، وهو ثقب ضيق، وهو بفتح السين في الآية بلغة قريش وتضم السين في لغة أهل العالية. وهي ما بين نجد وبين حدود أرض مكة.والقرآن أحال على ما هو معروف عند الناس من حقيقة الجمل وحقيقة الخياط، ليعلم أن دخول الجمل في خرت الإبرة محال متعذر ما داما على حاليهما المتعارفين.والإشارة في قوله: وكذلك إشارة إلى عدم تفتح أبواب السماء الذي تضمنه قوله: لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة أي، ومثل ذلك الانتفاء، أي الحرمان نجزي المجرمين لأنهم بإجرامهم، الذي هو التكذيب والإعراض، جعلوا أنفسهم غير مكترثين بوسائل الخير والنجاة، فلم يتوخوها ولا تطلبوها، فلذلك جزاهم الله عن استكبارهم أن أعرض عنهم، وسد عليهم أبواب الخيرات.وجملة وكذلك نجزي المجرمين **تذييل** يؤذن بأن الإجرام هو الذي أوقعهم في ذلك الجزاء، فهم قد دخلوا في عموم المجرمين الذين يجزون بمثل ذلك الجزاء، وهم المقصود الأول منهم، لأن عقاب المجرمين قد شبه عقاب المجرمين بعقاب هؤلاء، فعلم أنهم مجرمون، وأنهم في الرعيل الأول من المجرمين، حتى شبه عقاب عموم المجرمين بعقاب هؤلاءوكانوا مثلا لذلك العموم.والإجرام: فعل الجرم- بضم الجيم- وهو الذنب، وأصل: أجرم صار ذا جرم، كما يقال: ألبن

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٨-ب/٩٥

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٨-ب/١٢٤

وأثمر وأخصب.والمهاد- بكسر الميم- ما يمهد أي يفرش، و «غواش» جمع غاشية وهي ما يغشى الإنسان، أي يغطيه كاللحاف، شبه ما هو تحتهم من النار." (١)

"بالمهاد، وما هو فوقهم منها بالغواشي، وذلك كناية عن انتفاء الراحة لهم في جهنم، فإن المرء يحتاج إلى المهاد والغاشية عند اضطجاعه للراحة، فإذا كان مهادهم وغاشيتهم النار. فقد انتفت راحتهم، وهذا ذكر لعذابهم السوء بعد أن ذكر حرمانهم من الخير.وقوله: غواش وصف لمقدر دل عليه قوله: من جهنم، أي ومن فوقهم نيران كالغواشي. وذيله بقوله: وكذلك نجزي الظالمين ليدل على أن سبب ذلك الجزاء بالعقاب: هو الظلم. وهو الشرك. ولما كان جزاء الظالمين قد شبه بجزاء الذين كذبوا بالآيات واستكبروا عنها، علم أن هؤلاء المكذبين من جملة الظالمين. وهم المقصود الأول من هذا التشبيه، بحيث صاروا مثلا لعموم الظالمين، وبهذين العمومين كان الجملتان تذييلين.وليس في هذه الجملة الثانية وضع الظاهر موضع المضمر: لأن الوصفين، وإن كانا صادقين معا على المكذبين المشبه عقاب أصحاب الوصفين بعقابهم. فوصف المجرمين أعم مفهوما من وصف الظالمين، لأن الإجرام يشمل التعطيل والمجوسية بخلاف الإشراك. وحقيقة وضع المظهر موقع المضمر إنما تتقوم حيث لا يكون للاسم الظاهر المذكور معنى زائد على معنى الضمير.[٤٢][سورة الأعراف (٧) : آية ٤٢]والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا إلا وسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون (٤٢)أعقب الإنذار والوعيد للمكذبين، بالبشارة والوعد للمؤمنين المصدقين على عادة القرآن في تعقيب أحد الغرضين بالآخر.وعطف على: الذين كذبوا بآياتنا [الأعراف: ٤٠] أي: وإن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إلخ، لأن بين مضمون الجملتين مناسبة متوسطة بين كمال الاتصال." (٢)

"وإذ كانت جملة لنا من شفعاء واقعة في حيز الاستفهام، فالتي عطفت عليها تكون واقعة في حيز الاستفهام، فلذلك تعين رفع الفعل المضارع في القراءات المشهورة، ورفعه بتجرده عن عامل النصب وعامل الجزم، فوقع موقع الاسم كما قدره الزمخشري تبعا للفراء، فهو مرفوع بنفسه من غير احتياج إلى تأويل الجملة التي قبله، بردها إلى جملةفعلية، بتقدير: هل يشفع لنا شفعاء كما قدره الزجاج، لعدم الملجئ إلى ذلك، ولذلك انتصب: فنعمل في جواب نرد كما انتصب فيشفعوا في جواب فهل لنا من شفعاء.والمراد بالعمل في قولهم: فنعمل ما يشمل الاعتقاد، وهو الأهم، مثل اعتقاد الوحدانية والبعث وتصديق الرسول عليه الصلاة والسلام، لأن الاعتقاد عمل القلب، ولأنه تترتب عليه آثار عملية، من أقوال وأفعال وامتثال. والمراد بالصلة في قوله: الذي كنا نعمل ما كانوا يعملونه من أمور الدين بقرينة سياق قولهم: قد جاءت رسل ربنا بالحق أي فنعمل ما يغاير ما صممنا عليه بعد مجيء الرسول عليه الصلاة والسلام.وجملة: قد خسروا أنفسهم مستأنفة استئنافا ابتدائيا تذييلا وخلاصة لقصتهم، أي فكان حاصل أمرهم أنهم خسروا أنفسهم من الآن وضل عنهم ما كانوا يفترون.والخسارة مستعارة لعدم الانتفاع بما يرجى منه النفع، وقد تقدم بيان ذلك عند قوله تعالى: الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون في سورة الأنعام، [١٢] وقوله: فأولئك الذين خسروا أنفسهم في أول هذه السورة [٩] . والمعنى: أن ما أقحموا فيه نفوسهم من

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٨-ب/١٢٨

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٨-ب/١٢٩

الشرك والتكذيب قد تبين أنه مفض بهم إلى تحقق الوعيد فيهم، يوم يأتي تأويل ما توعدهم به القرآن، فبذلك تحقق أنهم خسروا أنفسهم من الآن، وإن كانوا لا يشعرون.." (١)

"وبأن المشركين ظلموا بنكث العهد بقوله: فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته [الأعراف: ٣٧] وتوعدهم وذكرهم أحوال أهل الآخرة، وعقب ذلك عاد إلى ذكر القرآن بقوله: ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم [الأعراف: ٥٢] وأنهاه **بالتذييل** بقوله: قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون [الأعراف: ٥٣] .فلا جرم تهيأت الأسماع والقلوب لتلقي الحجة على أن الله إله واحد، وأن آلهة المشركين ضلال وباطل، ثم لبيان عظيم قدرته ومجده فلذلك استؤنف بجملة إن ربكم الله الآية، استئنافا ابتدائيا عاد به التذكير إلى صدر السورة في قوله: ولا تتبعوا من دونه أولياء [الأعراف: ٣] ، فكان ما في صدر السورة بمنزلة المطلوب المنطقي، وكان ما بعده بمنزلة البرهان، وكان قوله: إن ربكم الله بمنزلة النتيجة للبرهان، والنتيجة مساوية للمطلوب إلا أنها تؤخذ أوضح وأشد تفصيلا.فالخطاب موجه إلى المشركين ابتداء، ولذلك كان للتأكيد بحرف (إن) موقعه لرد إنكار المشركين انفراد الله بالربوبية. وإذ كان ما اشتملت عليه هذه الآية يزيد المسلمين بصيرة بعظم مجد الله وسعة ملكه، ويزيدهم ذكرى بدلائل قدرته، كان الخطاب صالحا لتناول المسلمين، لصلاحية ضمير الخطاب لذلك، ولا يكون حرف (إن) بالنسبة إليهم سدى، لأنه يفيد الاهتمام بالخبر، لأن فيه حظا للفريقين، ولأن بعض ما اشتمل عليه (ما) هو بالمؤمنين أعلق مثل ادعوا ربكم تضرعا وخفية [الأعراف: ٥٥] وقوله: إن رحمت الله قريب من المحسنين [الأعراف: ٥٦] وبعضه بالكافرين أنسب مثل قوله: كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون [الأعراف: ٥٧] .وقد جعل المخبر عنه الرب، والخبر اسم الجلالة: لأن المعنى أن الرب لكم المعلوم عندكم هو الذي اسمه الدال على ذاته: الله، لا غيره ممن ليس." (٢)

"من اجتنائه مثل الشوك الشديد، فالأسد غير مسخر بهذا المعنى ولكنه بحيث يسخر إذا شاء الإنسان الانتفاع بلحمه أو جلده بحيلة لصيده بزبية أو نحوها، ولذلك قال الله تعالى: وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه [الجاثية: ١٣] باعتبار هذا المجاز على تفاوت في قوة العلاقة. فقوله: والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره أطلق التسخير فيه مجازا على جعلها خاضعة للنظام الذي خلقها الله عليه بدون تغيير، مع أن شأن عظمها أن لا يستطيع غيره تعالى وضعها على نظام محدود منضبط.ولفظ الأمر في قوله: بأمره مستعمل مجازا في التصريف بحسب القدرة الجارية على وفق الإرادة. ومنه أمر التكوين المعبر عنه في القرآن بقوله: إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون [يس: ٨٢] لأن (كن) تقريب لنفاذ القدرة المسمى بالتعلق التسخيري عند تعلق الإرادة التنجيزي أيضا فالأمر هنا من ذلك، وهو تصريف نظامالموجودات كلها.وجملة: ألا له الخلق والأمر مستأنفة استئناف **التذييل** للكلام السابق من قوله:الذي خلق السماوات والأرض لإفادة تعميم الخلق. والتقدير: لما ذكر آنفا ولغيره.فالخلق: إيجاد الموجودات، والأمر تسخيرها للعمل الذي خلقت لأجله.وافتتحت الجملة بحرف التنبيه لتعي نفوس السامعين هذا الكلام الجامع.واللام الجارة لضمير الجلالة لام الملك. وتقديم

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٨-ب/١٥٧

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٨-ب/١٥٩

المسند هنا لتخصيصه بالمسند إليه.والتعريف في الخلق والأمر تعريف الجنس، فتفيد الجملة قصر جنس الخلق وجنس الأمر على الكون في ملك الله تعالى، فليس لغيره شيء من هدا الجنس، وهو قصر إضافي معناه: ليس لآلهتهم شيء من الخلق ولا من الأمر، وأما قصر الجنس في الواقع على الكون في ملك الله تعالى فذلك يرجع فيه إلى القرائن، فالخلق مقصور حقيقة على الكون في ملكه تعالى، وأما الأمر." (١)

"فهو مقصور على الكون في ملك الله قصرا ادعائيا لأن لكثير من الموجودات تدبير أمور كثيرة، ولكن لما كان المدبر مخلوقا لله تعالى كان تدبيره راجعا إلى تدبير الله كما قيل في قصر جنس الحمد في قوله: الحمد لله [الفاتحة: ٢] .وجملة تبارك الله رب العالمين **تذييل** معترضة بين جملة إن ربكم الله وجملة ادعوا ربكم تضرعا وخفية [الأعراف: ٥٥] إذ قد تهيأ المقام للتذكير بفضل الله على الناس، وبنافع تصرفاته، عقب ما أجرى من إخبار عن عظيم قدرته وسعة علمه وإتقان صنعه.وفعل تبارك في صورة اشتقاقه يؤذن بإظهار الوصف على صاحبه المتصف به مثل: تثاقل، أظهر الثقل في العمل، وتعالل، أي أظهر العلة، وتعاظم: أظهر العظمة، وقد يستعمل بمعنى ظهور الفعل على المتصف به ظهورا بينا حتى كأن صاحبه يظهره، ومنه: تعالى الله [النمل: ٦٣] أي ظهر علوه، أي شرفه على الموجودات كلها، ومنه تبارك أي ظهرت بركته.والبركة: شدة الخير، وقد تقدم الكلام عليها عند قوله تعالى: إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا في سورة آل عمران [٩٦] ، وقوله: وهذا كتاب أنزلناه مبارك في سورة الأنعام [٩٢] . فبركة الله الموصوف بها هي مجده ونزاهته وقدسه، وذلك جامعصفات الكمال، ومن ذلك أن له الخلق والأمر.واتباع اسم الجلالة بالوصف وهو رب العالمين في معنى البيان لاستحقاقه البركة والمجد، لأنه مفيض خيرات الإيجاد والإمداد، ومدبر أحوال الموجودات، بوصف كونه رب أنواع المخلوقات، ومضى الكلام على العالمين في سورة الفاتحة [٢] .[٥٥][سورة الأعراف (٧) : آية ٥٥]ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين (٥٥)استئناف جاء معترضا بين ذكر دلائل وحدانية الله تعالى بذكر عظيم قدرته على تكوين أشياء لا يشاركه غيره في تكوينها. فالجملة معترضة بين." (٢)

"يتعلق بالجبال لأن النحت يتعلق بحجارة الجبال، وانتصب بيوتا على الحال من الجبال، أي صائرة بعد النحت بيوتا، كما يقال: خط هذا الثوب قميصا، وابر هذه القصبة قلما، لأن الجبل لا يكون حاله حال البيوت وقت النحت، ولكن يصير بيوتا بعد النحت.ومحل الامتنان هو أن جعل منازلهم قسمين: قسم صالح للبناء فيه، وقسم صالح لنحت البيوت، قيل: كانوا يسكنون في الصيف القصور، وفي الشتاء البيوت المنحوتة في الجبال.وتفريع الأمر بذكر آلاء الله على قوله: واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد تفريع الأعم على الأخص، لأنه أمرهم بذكر نعمتين، ثم أمرهم بذكر جميع النعم التي لا يحصونها، فكان هذا بمنزلة **التذييل**.وفعل: فاذكروا مشتق من المصدر، الذي هو بضم الذال، وهو التذكر بالعقل والنظر النفساني، وتذكر الآلاء يبعث على الشكر والطاعة وترك الفساد، فلذلك عطف نهيهم عن الفساد في الأرض على الأمر بذكر آلاء الله.ولا تعثوا معناه ولا تفسدوا، يقال: عثي كرضي، وهذا الأفصح، ولذلك جاء في الآية- بفتح الثاء- حين

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٨-ب/١٦٩

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٨-ب/١٧٠

أسند إلى واو الجماعة، ويقال عثا يعثو- من باب سما- عثوا وهي لغة دون الأولى، وقال كراع، كأنه مقلوب عاث. والعثي والعثو كله بمعنى أفسد أشد الإفساد.ومفسدين حال مؤكدة لمعنى تعثوا وهو وإن كان أعم من المؤكد فإن التأكيد يحصل ببعض معنى المؤكد.[٧٥، ٧٦][سورة الأعراف (٧) : الآيات ٧٥ إلى ٧٦]قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون (٧٥) قال الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كافرون." (١)

"آية أخرى، في القرآن: أن الله جعل عالي تلك القرى سافلا، وذلك هو الخسف وهو من آثار الزلازل. ومن المستقرب أن يكون البحر الميت هنالك قد طغى على هذه الآبار أو البراكين من آثار الزلزال.وتنكير: مطرا للتعظيم والتعجيب أي: مطرا عجيبا من شأنه أن يهلك القرى.وتفرع عن هذه القصة العجيبة الأمر بالنظر في عاقبتهم بقوله: فانظر كيف كان عاقبة المجرمين فالأمر للإرشاد والاعتبار. والخطاب يجوز أن يكون لغير معين بل لكل من يتأتى منه الاعتبار، كما هو شأن إيراد **التذييل** بالاعتبار عقب الموعظة، لأن المقصود بالخطاب كل من قصد بالموعظة، ويجوز أن يكون الخطاب للنبيء صلى الله عليه وسلم تسلية له على ما يلاقيه من قومه الذين كذبوا بأنه لا ييأس من نصر الله، وأن شأن الرسل انتظار العواقب.والمجرمون فاعلوا الجريمة، وهي المعصية والسيئة، وهذا ظاهر في أن الله عاقبهم بذلك العقاب على هذه الفاحشة، وأن لوطا عليه السلام أرسل لهم لنهيهم عنها، لا لأنهم مشركون بالله، إذ لم يتعرض له في القرآن بخلاف ما قص عن الأمم الأخرى، لكن تمالئهم على فعل الفاحشة واستحلالهم إياها يدل على أنهم لم يكونوا مؤمنين بالله، وبذلك يؤذن قوله تعالى في سورة التحريم [١٠] : ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأت نوح وامرأت لوط، فيكون إرسال لوط عليه السلام بإنكار تلك الفاحشة ابتداء بتطهير نفوسهم، ثم يصف لهم الإيمان، إذ لا شك أن لوطا عليه السلام بلغهم الرسالة عن الله تعالى، وذلك يتضمن أنه دعاهم إلى الإيمان، إلا أن اهتمامه الأول كان بإبطال هذه الفاحشة، ولذلك وقع الاقتصار في إنكاره عليهم ومجادلتهم إياه على ما يخص تلك الفاحشة، وقد علم أنالله أصابهم بالعذاب عقوبة، على تلك الفاحشة، كما قال في." (٢)

"الله إياه بالنصر على قومه، أو لعلمه بسنة الله في رسله ومن كذبهم بإخبار الله تعالى إياه بذلك، ولولا ذلك لجاز أن يتأخر الحكم بين الفريقين إلى يوم الحساب، وليس هو المراد من كلامه لأنه لا يناسب قوله: فاصبروا إذا كان خطابا للفريقين، فإن كان خطابا للمؤمنين خاصة صح إرادة الحكمين جميعا.وأدخل نفسه في المحكوم بينهم بضمير المشاركة لأن الحكم المتعلق بالفريق الذين آمنوا به يعتبر شاملا له لأنه مؤمن برسالة نفسه.وجملة: وهو خير الحاكمين **تذييل** بالثناء على الله بأن حكمه عدل محض لا يحتمل الظلم عمدا ولا خطأ، وغيره من الحاكمين يقع منه أحد الأمرين أو كلاهما.وخير: اسم تفضيل أصله أخير فخففوه لكثرة الاستعمال." (٣)

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٨-ب/٢٢١

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٨-ب/٢٣٨

(٣) التحرير والتنويرابن عاشور ٨-ب/٢٥١

"التذكير بأن ما حل بأولئك من عذاب الله يماثل هيئة مكر الماكر بالممكور فلا يحسبوا الإمهال إعراضاعنهم، وليحذروا أن يكون ذلك كفعل الماكر بعدوه.والمكر حقيقته: فعل يقصد به ضر أحد في هيئة تخفى أو هيئة يحسبها منفعة. وهو هنا استعارة للإمهال والإنعام في حال الإنعام في حال الإمهال، فهي تمثيلية، شبه حال الأنعام مع الإمهال وتعقيبه بالانتقام بحال المكر، وتقدم في سورة آل عمران [٥٤] عند قوله: ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين.وقوله: فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون مترتب ومتفرع عن التعجيب في قوله: أفأمنوا مكر الله لأن المقصود منه تفريع أن أهل القرى المذكورين خاسرون لثبوت أنهم أمنوا مكر الله، والتقدير: أفأمنوا مكر الله فهم قوم خاسرون.وإنما صيغ هذا التفريع بصيغة تعم المخبر عنهم وغيرهم ليجري مجرى المثل ويصير **تذييلا** للكلام، ويدخل فيه المعرض بهم في هذه الموعظة وهم المشركون الحاضرون، والتقدير: فهم قوم خاسرون، إذ لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون.والخسران- هنا- هو إضاعة ما فيه نفعهم بسوء اعتقادهم، شبه ذلك بالخسران وهو إضاعة التاجر رأس ماله بسوء تصرفه، لأنهم باطمئنانهم إلى السلامة الحاضرة، وإعراضهم عن التفكر فيما يعقبها من الأخذ الشبيه بفعل الماكر قد خسروا الانتفاع بعقولهم وخسروا أنفسهم.وتقدم قوله تعالى: الذين خسروا أنفسهم في سورة الأنعام [١٢] ، وقوله:فأولئك الذين خسروا أنفسهم في أول السورة [٩] .وتقدم أن إطلاق المكر على أخذ الله مستحقي العقاب بعد إمهالهم: أن ذلك تمثيل عند قوله تعالى: ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين في سورة آل عمران [٥٤] .واعلم أن المراد بأمن مكر الله في هذه الآية هو الأمن الذي من نوع أمن أهل القرى المكذبين، الذي ابتدئ الحديث عنه من قوله: وما أرسلنا في قرية من نبيء إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون [الأعراف: ٩٤] ثم قوله: أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا الآيات، وهو الأمن الناشئ عن تكذيب خبر الرسول- صلى الله عليه وسلم -، وعن الغرور بأن دين الشرك هو الحق فهو أمن." (١)

"ممتنعا وهذا فاسد، فتعين: إما أن تكون جملة ونطبع معطوفة على جملة الاستفهام برمتها فلها حكمها من العطف على أخبار الأمم الماضية والحاضرة.والتقدير: وطبعنا على قلوبهم، ولكنه صيغ بصيغة المضارع للدلالة على استمرار هذا الطبع وازدياده آنا فآنا، وإما أن تجعل (الواو) للاستئناف والجملة مستأنفة، أي: ونحن نطبع على قلوبهم في المستقبل كما طبعنا عليها في الماضي، ويعرف الطبع عليها في الماضي بأخبار أخرى كقوله تعالى: إن الذين كفروا سواء عليهم [البقرة: ٦] الآية، فتكون الجملة **تذييلا** لتنهية القصة، ولكن موقع الواو في أول الجملة يرجح الوجه الأول، وكأن صاحب «المفتاح» يأبى اعتبار الاستئناف من معاني الواو.وجملة: فهم لا يسمعون معطوفة بالفاء على نطبع متفرعا عليه، والمراد بالسماع فهم مغزى المسموعات لا استكاك الآذان، بقرينة قوله: ونطبع على قلوبهم.وتقدم معنى الطبع عند قوله تعالى: بل طبع الله عليها بكفرهم في سورة النساء [١٥٥] .[١٠١، ١٠٢][سورة الأعراف (٧) : الآيات ١٠١ إلى ١٠٢]تلك القرى نقص عليك من أنبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين (١٠١) وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين (١٠٢)لما تكرر ذكر القرى التي كذب أهلها رسل الله بالتعيين وبالتعميم، صارت للسامعينكالحاضرة المشاهدة الصالحة لأن يشار إليها، فجاء اسم الإشارة لزيادة إحضارها في أذهان

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٩/٢٤

السامعين من قوم محمد صلى الله عليه وسلم، ليعتبروا حالهم بحال أهل القرى، فيروا أنهم سواء فيفيئوا إلى الحق.وجملة: تلك القرى مستأنفة استئناف الفذلكة لما قبلها من القصص من قوله:لقد أرسلنا نوحا إلى قومه [الأعراف: ٥٩] ثم قوله تعالى: وما أرسلنا في قرية من نبيء [الأعراف: ٩٤] الآية.والقرى يجوز أن يكون خبرا عن اسم الإشارة لأن استحضار القرى في." (١)

"وخاطب موسى قومه بذلك تطمينا لقلوبهم، وتعليما لهم بنصر الله إياهم لأنه علم لأنه بوحي الله إليه.وجملة: إن الأرض لله **تذييل** وتعليل للأمر بالاستعانة بالله والصبر، أي: افعلوا ذلك لأن حكم الظلم لا يدوم، ولأجل هذا المعنى فصلت الجملة.وقوله: إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده كناية عن ترقب زوال استعباد فرعون إياهم، قصد منها صرف اليأس عن أنفسهم الناشئ عن مشاهدة قوة فرعون وسلطانه، بأن الله الذي خوله ذلك السلطان قادر على نزعه منه لأن ملك الأرض كلها لله فهو الذي يقدر لمن يشاء ملك شيء منها وهو الذي يقدر نزعه.فالمراد من الأرض هنا الدنيا لأنه أليق **بالتذييل** وأقوى في التعليل، فهذا إيماء إلى أنهم خارجون من مصر وسيملكون أرضا أخرى.وجملة: والعاقبة للمتقين **تذييل**، فيجوز أن تكون الواو اعتراضية، أي: عاطفة على ما في قوله: إن الأرض لله من معنى التعليل، فيكون هذا تعليلا ثانيا للأمر بالاستعانة والصبر، وبهذا الاعتبار أوثر العطف بالواو على فصل الجملة مع أن مقتضى **التذييل** أن تكون مفصولة.والعاقبة حقيقتها نهاية أمر من الأمور وآخره، كقوله تعالى: فكان عاقبتهما أنهما في النار [الحشر: ١٧] ، وقد تقدم ذكرها عند قوله تعالى: قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين في أول سورة الأنعام [١١] ، فإذا عرفت العاقبة باللامكان المراد منها انتهاء أمر الشيء بأحسن من أوله ولعل التعريف فيها من قبيل العلم بالغلبة. وذلك لأن كل أحد يود أن يكون آخر أحواله خيرا من أولها لكراهة مفارقة الملائم، أو للرغبة في زوال المنافر، فلذلك أطلقت العاقبة معرفة على انتهاء الحال بما يسر ويلائم، كما قال تعالى: والعاقبة للتقوى [طه: ١٣٢] . وفي حديث أبي سفيان قول هرقل: «وكذلك الرسل تبتلى ثم تكون لهم العاقبة» فلا تطلق المعرفة على عاقبة السوء.فالمراد بالعاقبة هنا عاقبة أمورهم في الحياة الدنيا ليناسب قوله إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده." (٢)

"وتشمل عاقبة الخير في الآخرة لأنها أهم ما يلاحظه المؤمنون.والمتقون: المؤمنون العاملون.وجيء في جملتي: إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين بلفظين عامين، وهما: من يشاء من عباده والمتقين، لتكون الجملتان **تذييلا** للكلام وليحرص السامعون على أن يكونوا من المتقين.وقد علم من قوله: والعاقبة للمتقين أن من يشاء الله أن يورثهم الأرض هم المتقون إذا كان في الناس متقون وغيرهم، وأن تمليك الأرض لغيرهم إما عارض وإما لاستواء أهل الأرض في عدم التقوى.[١٢٩][سورة الأعراف (٧) : آية ١٢٩]قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون (١٢٩)قالوا حكاية جواب قوم موسى إياه، فلذلك فصلت جملة القول على طريقة المحاورة، وهذا الخبر مستعمل في الشكاية واستئثارهم موسى ليدعو ربه أن يفرج كربهم.والإيذاء: الإصابة بالأذى،

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٩/٢٩

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٩/٦٠

والأذى ما يؤلم ويحزن من قول أو فعل، وقد تقدم عند قوله تعالى: لن يضروكم إلا أذى في سورة آل عمران [١١١] ، وقوله: فصبروا على ما كذبوا وأوذوا في سورة الأنعام [٣٤] ، وهو يكون ضعيفا وقويا، ومرادهم هنا القوي منه، وهو ما لحقهم من الاستعباد وتكليفهم الأعمال الشاقة عليهم في خدمة فرعون وما توعدهم به فرعون بعد بعثة موسى من القطع والصلب وقتل الأبناء، وكأنهم أرادوا التعريض بنفاد صبرهم وأن الأذى الذي مسهم بعد بعثة موسى لم يكن بداية الأذى، بل جاء بعد طول مدة في الأذى، فلذلك جمعوا في كلامهم ما لحقهم قبل بعثة موسى.وقد توهم بعض المفسرين أن هذا امتعاض منهم مما لحقهم بسبب موسى وبواسطتهمستندا إلى أن قتل الذكور منهم كان قبل مجيء موسى بسبب توقع ولادة موسى، وكان الوعيد بمثله بعد مجيئه بسبب دعوته، وليس ذلك بمتجه لأنه لو كان هو المراد لما كان للتعبير بقوله: من قبل أن تأتينا موقع، والإتيان والمجيء مترادفان، فذكر المجيء بعد الإتيان ليس لاختلاف المعنى، ولكنه للتفنن وكراهية إعادة اللفظ.." (١)

"والمشارق والمغارب جمع باعتبار تعدد الجهات، لأن الجهة أمر نسبي تتعد بتعدد الأمكنة المفروضة، والمراد بهما إحاطة الأمكنة.والأرض أرض الشام وهي الأرض المقدسة وهي تبتدئ من السواحل الشرقية الشمالية للبحر الأحمر وتنتهي إلى سواحل بحر الروم وهو البحر المتوسط وإلى حدود العراق وحدود بلاد العرب وحدود بلاد الترك.والتي باركنا فيها صفة للأرض أو لمشارقها ومغاربها لأن ما صدقيهما متحدان، أي قدرنا لها البركة، وقد مضى الكلام على البركة عند قوله تعالى: لفتحنا عليهم بركات في هذه السورة [٩٦] . أي أعضناهم عن أرض مصر التي أخرجوا منها أرضا هي خير من أرض مصر.وتمت كلمت ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون.عطف على جملة: وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون إلخ ... والمقصود من هذا الخبر هو قوله: بما صبروا تنويها بفضيلة الصبر وحسن عاقبته، وبذلك الاعتبار عطفت هذه الجملة على التي قبلها، وإلا فإن كلمة الله الحسنى على بني إسرائيل تشملإيراثهم الأرض التي بارك الله فيها، فتتنزل من جملة: وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون إلى آخرها منزلة **التذييل** الذي لا يعطف، فكان مقتضى العطف هو قوله بما صبروا.وكلمة: هي القول، وهو هنا يحتمل أن يكون المراد به اللفظ الذي وعد الله بني إسرائيل على لسان موسى في قوله: عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض [الأعراف: ١٢٩] أو على لسان إبراهيم وهي وعد تمليكهم الأرض المقدسة، فتمام الكلمة تحقق وعدها، شبه تحققها بالشيء إذا استوفى أجزاءه، ويحتمل أنها كلمة الله في علمه وقدره وهي إرادة الله إطلاقهم من استعباد القبط وإرادته تمليكهم الأرض المقدسة كقوله: وكلمته ألقاها إلى مريم [النساء: ١٧١] .وتمام الكلمة بهذا المعنى ظهور تعلقها التنجيزي في." (٢)

"وجعل المسند فعلا ماضيا، لإفادة أن وصف التكذيب قديم راسخ فيهم، فكان رسوخ ذلك فيهم سببا في أن خلق الطبع والختم على قلوبهم فلا يشعرون بنقائصهم، ولا يصلحون أنفسهم، فلا يزالون متكبرين معرضين غاوين.ومعنى كذبوا بآياتنا إنهم ابتدأوا بالتكذيب، ولم ينظروا، ولم يهتموا بالتأمل في الآيات فداموا على الكبر وما معه، فصرف الله قلوبهم عن الانتفاع بالآيات، وليس المراد الإخبار بأنهم حصل منهم التكذيب، لأن ذلك قد علم من قوله: وإن يروا كل آية لا يؤمنوا

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٦١/٩

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٧٧/٩

بها.والغفلة انصراف العقل والذهن عن تذكر شيء بقصد أو بغير قصد، وأكثر استعماله في القرآن فيما كان عن قصد بإعراض وتشاغل، والمذموم منها ما كان عن قصد، وهو مناط التكليف والمؤاخذة، فأما الغفلة عن غير قصد فلا مؤاخذة عليها، وهي المقصود منقول علماء أصول الفقه: يمتنع تكليف الغافل.وللتنبيه على أن غفلتهم عن قصد صيغ الإخبار عنهم بصيغة كانوا عنها غافلين للدلالة على استمرار غفلتهم. وكونها دأبا لهم، وإنما تكون كذلك إذا كانوا قد التزموها، فأما لو كانت عن غير قصد. فإنها قد تعتريهم وقد تفارقهم.[١٤٧][سورة الأعراف (٧) : آية ١٤٧]والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت أعمالهم هل يجزون إلا ما كانوا يعملون (١٤٧)يجوز أن تكون هذه الجملة معطوفة على جملة سأصرف عن آياتي [الأعراف: ١٤٦] إلى آخر الآيات على الوجهين السابقين ويجوز أن يكون معطوفة على جملة ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا[الأعراف: ١٤٦] ، ويجوز أن تكون **تذييلا** معترضا بين القصتين وتكون الواو اعتراضية، وأيا ما كان فهي آثارها الإخبار عنهم بأنهم إن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا، فإن ذلك لما كان هو الغالب على المتكبرين الجاحدين للآيات، وكان لا تخلو جماعة المتكبرين من فريق قليل يتخذ سبيل الرشد عن حلم وحب للمحمدة، وهم بعض سادة المشركين وعظماؤهم في كل عصر، كانوا قد يحسب السامع أن ستنفعهم أعمالهم، أزيل هذا التوهم بأن أعمالهم لا تنفعهم مع التكذيب بآيات الله." (١)

"الذين دعوا إلى عبادة العجل، لأن هارون أنكره عليهم فكرهوه لذلك، ويجوز أن تكون شماتة الأعداء كلمة جرت مجرى المثل في الشيء الذي يلحق بالمرء سوءا شديدا، سواء كان للمرء أعداء أو لم يكونوا، جريا على غالب العرف.ومعنى ولا تجعلني مع القوم الظالمين لا تحسبني واحدا منهم، ف (جعل) بمعنى ظن كقوله تعالى: وجعلوا الملائكة الذين هم عند الرحمن إناثا [الزخرف: ١٩] . والقوم الظالمون هم الذين أشركوا بالله عبادة العجل، ويجوز أن يكون المعنى: ولا تجعلني في العقوبة معهم، لأن موسى قد أمر بقتل الذين عبدوا العجل، ف (جعل) على أصلها.وجملة: قال رب اغفر لي جواب عن كلام هارون، فلذلك فصلت. وابتدأ موسى دعاءه فطلب المغفرة لنفسه تأدبا مع الله فيما ظهر عليه من الغضب، ثم طلب المغفرة لأخيه فيما عسى أن يكون قد ظهر منه من تفريط أو تساهل في ردع عبدة العجل عن ذلك.وذكر وصف الإخوة هناك زيادة في الاستعطاف عسى الله أن يكرم رسوله بالمغفرة لأخيه كقول نوح: رب إن ابني من أهلي [هود: ٤٥] .والإدخال في الرحمة استعارة لشمول الرحمة لهما في سائر أحوالهما، بحيث يكونان منها، كالمستقر في بيت أو نحوه مما يحوي، فالإدخال استعارة أصلية وحرف (في) استعارة تبعية، أوقع حرفه الظرفية موقع باء الملابسة.وجملة: وأنت أرحم الراحمين **تذييل**، والواو للحال أو اعتراضية، وأرحم الراحمين الأشد رحمة من كل راحم.[١٥٢، ١٥٣][سورة الأعراف (٧) : الآيات ١٥٢ إلى ١٥٣]إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين (١٥٢) والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم (١٥٣)يجوز أن قوله: إن الذين اتخذوا العجل إلى

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٠٧/٩

قوله: الدنيا من تمام كلام موسى، فبعد أن دعا لأخيه بالمغفرة أخبر أن الله غضب على الذين عبدوا العجل. وأنه سيظهر أثر عضبه عليهم، وستنالهم ذلة في الدنيا وذلك بوحي تلقاه، وانتهى كلام." (١)

"وكذلك اختلاف التعبير في قوله هنا: وكلوا وقوله في سورة البقرة [٥٨] فكلوا فإنه قد قيل لهم بما يرادف فاء التعقيب، كما جاء في سورة البقرة، لأن التعقيب معنى زائد على مطلق الجمع الذي تفيده واو العطف، واقتصر هنا على حكاية أنه قيل لهم، وكانت آية البقرة أولى بحكاية ما دلت عليه فاء التعقيب، لأن آية البقرة سيقت مساق التوبيخ فناسبها ما هو أدل على المنة، وهو تعجيل الانتفاع بخيرات القرية، وآيات الأعراف سيقت لمجرد العبرة بقصة بني إسرائيل.ولأجل هذا الاختلاف ميزت آية البقرة بإعادة الموصول وصلته في قوله: فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا [البقرة: ٥٩] وعوض عنه هنا بضمير الذين ظلموا، لأن القصد في آية البقرة بيان سبب إنزال العذاب عليهم مرتين أشير إلى أولاهما بما يومئ إليه الموصول من علة الحكم، وإلى الثانية بحرف السببية، واقتصر هنا على الثاني.وقد وقع في سورة البقرة [٥٩] لفظ فأنزلنا ووقع هنا لفظ فأرسلنا ولما قيد كلاهما بقوله: من السماء كان مفادهما واحدا، فالاختلاف لمجرد التفنن بين القصتين.وعبر هنا بما كانوا يظلمون وفي البقرة [٥٩] بما كانوا يفسقون لأنه لما اقتضى الحال في القصتين تأكيد وصفهم بالظلم وأدي ذلك في البقرة [٥٩] بقوله: فأنزلنا على الذين ظلموا، استثقلت إعادة لفظ الظلم هنالك ثالثة، فعدل عنه إلى ما يفيد مفاده، وهو الفسق، وهو أيضا أعم، فهو أنسب بتذييل التوبيخ، وجيء هنا بلفظ يظلمون لئلا يفوت تسجيل الظلم عليهم مرة ثالثة، فكان تذييل آية البقرة أنسب بالتغليظ في ذمهم، لأن مقام التوبيخ يقتضيه.ووقع في هذه الآية فبدل الذين ظلموا منهم ولم يقع لفظ منهم في سورة البقرة، ووجه زيادتها هنا التصريح بأن تبديل القول لم يصدر من جميعهم، وأجمل ذلك في سورة البقرة لأن آية البقرة لما سيقت مساق التوبيخ ناسب إرهابهم بما يوهم أن الذين فعلوا ذلك هم جميع القوم، لأن تبعات بعض القبيلة تحمل على جماعتها.وقدم في سورة البقرة [٥٨] قوله: وادخلوا الباب سجدا على قوله: وقولوا حطة [البقرة: ٥٨] وعكس هنا وهو اختلاف في الإخبار لمجرد التفنن، فإن كلا القولين واقع قدم أو أخر.." (٢)

"اللهاث بضم اللام، لأنه من الأدواء، وليس بصوت.ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون.جملة مبينة لجملة: واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا الآيتين، والمثال الحال أي ذلك التمثيل مثل للمشركين المكذبين بالقرآن، تشبيه بليغ، لأن حالة الكلب المشتبه شبيهة بحال المكذبين وليست عينها.والإشارة بذلك إلى الذي آتيناه آياتنا، وهو صاحب القصة، هو مثل المشركين،لأنهم شابهوه في أنهم أتوا القرآن فكذبوا به، فكانت حالهم كحال ذلك المكذب، والأظهر أن تكون الإشارة إلى المثل في قوله: كمثل الكلب أي حال الكلب المذكورة كحال المشركين المكذبين في أنهم كانوا يودون معرفة دين إبراهيم، ويتمنون مساواة أهل الكتاب في العلم والفضل، فكانوا بذلك في عناء وحيرة في الجاهلية فلما جاءهم رسول منهم بكتاب مبين انتقلوا إلى عناء معاندته كقوله تعالى: أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم [الأنعام: ١٥٧] وهذا تأويل ما روي عن عبادة بن الصامت أن آية واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا إلى آخرها نزلت في

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١١٨/٩

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١٤٥/٩

قريش.وفرع على ذلك الأمر بقوله: فاقصص القصص لعلهم يتفكرون أي اقصص هذه القصة وغيرها، وهذا **تذييل** للقصة الممثل بها يشملها وغيرها من القصص التي في القرآن، فإن في القصص تفكرا وموعظة، فيرجى منه تفكرهم وموعظتهم، لأن للأمثال واستحضار النظائر شأنا عظيما في اهتداء النفوس بها وتقريب الأحوال الخفية إلى النفوس الذاهلة أو المتغافلة، لما في التنظير بالقصة المخصوصة من تذكر مشاهدة الحالة بالحواس، بخلاف التذكير المجرد عن التنظير بالشيء المحسوس.[١٧٧][سورة الأعراف (٧) : آية ١٧٧]ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون (١٧٧)جملة مستأنفة لأنها جعلت إنشاء ذم لهم، بأن كانوا في حالة شنيعة." (١)

"وظلموا أنفسهم.والظلم هنا على حقيقته فإنهم ظلموا أنفسهم بما أحلوه بها من الكفر الذي جعلهم مذمومين في الدنيا ومعذبين في الآخرة.وتقديم المفعول للاختصاص، أي ما ظلموا إلا أنفسهم، وشأن العاقل أن لا يؤذي نفسه، وفيه إزالة تبجحهم بأنهم لم يتبعوا محمدا صلى الله عليه وسلم ظنا منهم أن ذلك يغيظه ويغيظ المسلمين، وإنما يضرون أنفسهم.وجملة: وأنفسهم كانوا يظلمون يجوز أن تكون معطوفة على الصلة باعتبار أنهم معروفون بمضمون هذه الجملة عند النبيء والمسلمين، ويجوز أن تكون معطوفة على جملة: ساء مثلا القوم فتكون **تذييلا** للجملة التي قبلها إخبارا عنهم بأنهم في تكذيبهم، وانتفاء من القصص ما ظلموا إلا أنفسهم.وقوله: كانوا يظلمون أقوى في إفادة وصفهم بالظلم من أن يقال: وظلموا أنفسهم، كما تقدم في قوله تعالى: وليكون من الموقنين في سورة الأنعام [٧٥] .[١٧٨][سورة الأعراف (٧) : آية ١٧٨]من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون (١٧٨)هذه الجملة **تذييل** للقصة والمثل وما أعقبا به من وصف حال المشركين، فإن هذه الجملة تحصل ذلك كله وتجري مجرى المثل، وذلك أعلى أنواع **التذييل**، وفيها تنويه بشأن المهتدين وتلقين للمسلمين للتوجه إلى الله تعالى بطلب الهداية منه والعصمة من مزالق الضلال، أي فالذين لم يهتدوا إلى الحق بعد أن جاءهم دلت حالهم على أن الله غضب عليهم فحرمهم التوفيق.والهداية حقيقتها إبانة الطريق، وتطلق على مطلق الإرشاد لما فيه النفع سواء اهتدى المهدي إلى ما هدي إليه أم لم يهتد، قال تعالى: إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا [الإنسان: ٣] وقال: وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى [فصلت: ١٧] .ثم قد علم أن الفعل الذي يسند إلى الله تعالى إنما يراد به أتقن أنواع تلك الماهية وأدومها، ما لم تقم القرينة على خلاف ذلك، فقوله: من يهد الله يعني به من يقدر الله اهتداءه، وليس المعنى من يرشده الله بالأدلة أو بواسطة الرسل،." (٢)

"الخير من العمل كما تقدم عند قوله تعالى: ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في هذه السورة [٩] ، وفي قوله: فما ربحت تجارتهم في سورة البقرة [١٦] .[١٧٩][سورة الأعراف (٧) : آية ١٧٩]ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون (١٧٩)عطف على جملة: واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا [الأعراف: ١٧٥] ، والمناسبة أن صاحب القصة المعطوف عليها انتقل من صورة الهدى إلى الضلال، لأن الله لما خلقه خلقه ليكون من أهل جهنم، مع مالها من

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٧٩/٩

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ١٨٠/٩

المناسبة للتذييل الذي ختمت به القصة وهو قوله: من يهد الله فهو المهتدي [الأعراف: ١٧٨] الآية.وتأكيد الخبر بلام القسم وبقد لقصد تحقيقه لأن غرابته تنزل سامعه خالي الذهن منه منزلة المتردد في تأويله، ولأن المخبر عنهم قد وصفوا ب لهم قلوب لا يفقهون بها- إلى قوله- بل هم أضل، والمعني بهم المشركون، وهم ينكرون أنهم في ضلال ويحسبون أنهم يحسنون صنعا، وكانوا يحسبون أنهم أصحاب أحلام وأفهام، ولذلك قالواللرسول صلى الله عليه وسلم في معرض التهكم قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر [فصلت:٥] .والذرء الخلق وقد تقدم في قوله: وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا في سورة الأنعام [١٣٦] .واللام في لجهنم للتعليل، أي خلقنا كثيرا لأجل جهنم.وجهنم مستعملة هنا في الأفعال الموجبة لها بعلاقة المسببية، لأنهم خلقوا لأعمال الضلالة المفضية إلى الكون في جهنم، ولم يخلقوا لأجل جهنم، لأن جهنم لا يقصد إيجاد خلق لتعميرها، وليست اللام لام العاقبة لعدم انطباق حقيقتها عليها، وفي «الكشاف» جعلهم لإغراقهم في الكفر، وأنهم لا يأتي منهم إلا أفعال أهل النار، مخلوقين للنار دلالة على تمكنهم فيما يؤهلهم لدخول النار اه، وهذا." (١)

"في سورة الأنعام [١٠٩] . وروي هذا المعنى عن مجاهد، والسدي، والكلبي ويجوز أن يراد بآية ءاية من القرآن يقترحون فيها مدحا لهم ولأصنامهم، كما قال الله عنهم: قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله [يونس: ١٥] روي عن جابر بن زيد وقتادة:كان المشركون إذا تأخر الوحي يقولون للنبيء هلا أتيت بقرآن من عندك يريدون التهكم.ولولا حرف تحضيض مثل (هلا) .والاجتباء الاختيار، والمعنى: هلا اخترت آية وسألت ربك أن يعطيكها، أي هلا أتيتنا بما سألناك غير آية القرآن فيجيبك الله إلى ما اجتبيت، ومقصدهم من ذلك نصب الدليل على أنه بخلاف ما يقول لهم إنه رسول الله، وهذا من الضلال الذي يعتري أهل العقول السخيفة في فهم الأشياء على خلاف حقائقها وبحسب من يتخيلون لها ويفرضون.والجواب الذي أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يجيب به وهو قوله: قل إنما أتبع ما يوحى إلي من ربي صالح للمعنيين، فالاتباع مستعمل في معنى الاقتصار والوقوف عند الحد، أي لا أطلب آية غير ما أوحى الله إلي، ويعضد هذا مافي الحديث الصحيح أنرسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما من الأنبياء إلا أوتي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة»ويكون المعنى:إنما أنتظر ما يوحى إلي ولا أستعجل نزول القرآن إذا تأخر نزوله فيكون الاتباع متعلقا بالزمان.هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون.مستأنفة لابتداء كلام في التنويه بشأن القرآن منقطعة عن المقول للانتقال من غرض إلى غرض بمنزلة التذييل لمجموع أغراض السورة، والخطاب للمسلمين.ويجوز أن تكون من تمام القول المأمور بأن يجيبهم به، فيكون الخطاب للمشركين ثم وقع التخلص لذكر المؤمنين بقوله: وهدى ورحمة لقوم يؤمنون.والإشارة ب هذا بصائر إلى القرآن، ويجوز أن تكون الإشارة إلى ما تقدم من السورة أو من المحاجة الأخيرة منها، وإفراد اسم الإشارة لتأويل المشار إليه بالمذكور.." (٢)

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ١٨٢/٩

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٣٧/٩

"فهي تفيد معنى التعليل ولهذا فصلت الجملة.والمخاطب بهذه الجملة: إما الملائكة، فتكون من جملة الموحى به إليهم إطلاعا لهم على حكمة فعل الله تعالى. لزيادة تقريبهم، ولا يريبك إفراد كاف الخطاب في اسم الإشارة لأن الأصل في الكاف مع اسم الإشارة الإفراد والتذكير، وإجراؤها على حسب حال المخاطب بالإشارة جائز وليس بالمتعين، وإما من تبلغهم الآية من المشركين الأحياء بعد يوم بدر، ولذا فالجملة معترضة للتحذير من الاستمرار على مشاقة الله ورسوله.والقول في إفراد الكاف هو هو إذ الخطاب لغير معين والمراد نوع خاص، ويجوز أن يكون المخاطب به النبيء صلى الله عليه وسلم.والمشار إليه ما أمروا به من ضرب الأعناق وقطع البنان.وإفراد اسم الإشارة بتأويله بالمذكور، وتقدم غير مرة.والمشاقة العداوة بعصيان وعناد، مشتقة من الشق- بكسر الشين- وهو الجانب، هو اسم بمعنى المشقوق أي المفرق، ولما كان المخالف والمعادي يكون متباعدا عن عدوه فقد جعل كأنه في شق آخر، أي ناحية أخرى، والتصريح بسبب الانتقام تعريض للمؤمنين ليستزيدوا من طاعة الله ورسوله، فإن المشيئة لما كانت سبب هذا العقاب العظيم فيوشك ما هو مخالفة للرسول بدون مشاقة أن يوقع في عذاب دون ذلك، وخليق بأن يكون ضدها وهو الطاعة موجبا للخير.وجملة: من يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب**تذييل** يعم كل من يشاقق الله ويعم أصناف العقائد.والمراد من قوله: إن الله شديد العقابالكناية عن عقاب المشاقين وبذلك يظهر الارتباط بين الجزاء وبين الشرط باعتبار لازم الخبر وهو الكناية عن تعلق مضمون ذلك الخبر بمن حصل منه مضمون الشرط، كقول عنترة:إن تغد في، دوني القناع فإنني ... طب بأخذ الفارس المستلئميريد فإني لا يخفى علي من يستر وجهه مني وأني أتوسمه وأعرفه.[١٤][سورة الأنفال (٨) : آية ١٤]ذلكم فذوقوه وأن للكافرين عذاب النار (١٤)الخطاب في ذلكم فذوقوه للمشركين الذين قتلوا، والذين قطعت بنانهم أي يقال." (١)

"لهم هذا الكلام حيث تضرب أعناقهم وبنانهم بأن يلقى في نفوسهم حينما يصابون إن إصابتهم كانت لمشاقتهم الله ورسوله، فإنهم كانوا يسمعون توعد الله إياهم بالعذاب والبطش كقوله: يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون [الدخان: ١٦] وقوله: وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام [الأنفال: ٣٤] ونحو ذلك وكانوا لا يخلون من اختلاج الشك نفوسهم، فإذا رأوا القتل الذي لم يألفوه، ورأى الواحد منهم نفسه مضروبا بالسيف، ضربا لا يستطيع له دفاعا، علم أن وعيد الله تحقق فيه، فجاش في نفسه أن ذلك لمشاقته الله ورسوله، ولعلهم كانوا يرون إصابات تصيبهم من غير مرئي، فجملة:ذلكم فذوقوه مقول قول محذوف تقديره: قائلين، هو حال من ضمير فاضربوا فوق الأعناق [الأنفال: ١٢] .واسم الإشارة راجع إلى الضرب المأخوذ من قوله: فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان [الأنفال: ١٢] وهو مبتدأ وخبره محذوف، فإما أن يقدر ذلك هو العقاب الموعود، وإما أن يكون مما دل عليه قوله: أنهم شاقوا الله ورسوله[الأنفال:١٣] فالتقدير ذلك بأنكم شاققتم الله ورسوله.وتفريع فذوقوه على جملة: ذلكم بما قدر فيها تفريع للشماتة على تحقيق الوعيد، فصيغة الأمر مستعملة في الشماتة والإهانة، وموقع فذوقوه اعتراض بين الجملة والمعطوف في قوله: وأن للكافرين، والاعتراض يكون بالفاء كما في قول النابغة:ضباب بني الطوالة فاعلميه ... ولا يغررك نأيي واغترابيقالوا وفي قوله: وأن للكافرين عذاب النار للعطف على المقول فهو من جملة القول، والتعريف في الكافرين للاستغراق وهو **تذييل**.والمعنى: ذلكم، أي ضرب

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٨٤/٩

الأعناق، عقاب الدنيا، وأن لكم عذاب النار في الآخرة مع جميع الكافرين، والذوق مجاز في الإحساس والعلاقة الإطلاق.وقوله: وأن للكافرين عذاب النار عطف على الخبر المحذوف أي ذلكم العذاب وأن عذاب النار لجميع الكافرين.." (١)

"وضمير منه عائد إلى اسم الجلالة و (من) الابتداء المجازي لتشريف ذلك الإبلاء ويجوز عود الضمير إلى المذكور من القتل والرمي ويكون (من) للتعليل والسببية.وقوله: إن الله سميع عليم تذييل للكلام و (إن) هذا مقيدة للتعليل والربط أي فعل ذلك لأنه سميع عليم، فقد سمع دعاء المؤمنين واستغاثتهم وعلم أنهم لعنايته ونصره فقبل دعاءهم ونصرهم.[١٨][سورة الأنفال (٨) : آية ١٨]ذلكم وأن الله موهن كيد الكافرين (١٨)الإشارة ب ذلكم إلى البلاء الحسن وهذه الإشارة لمجرد تأكيد المقصود من البلاء الحسن وأن ذلك البلاء علة للتوهين.واسم الإشارة يفتتح به الكلام لمقاصد يجمعها التنبيه على أهمية ما يرد بعده كقوله تعالى: هذا وإن للطاغين لشر مآب [ص: ٥٥] ويجيء في الكلام الوارد تعليلا كقوله تعالى: ذلك بما قدمت أيديكم [الأنفال: ٥١] .وعليه فاسم الإشارة هنا مبتدأ حذف خبره وعطف عليه جملة: وأن الله موهن كيد الكافرين.وقوله: وأن الله بفتح همزة (أن) ، فما بعدها في تأويل مصدر، مجرور بلام التعليل محذوفة، والتقدير ولتوهين كيد الكافرين.ويجوز أن تكون الإشارة ب ذلكم إلى الأمرين، وهو ما اقتضاه قوله: وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى [الأنفال: ١٧] من تعليل الرمي بخذل المشركين وهزمهم وإبلاء المؤمنين البلاء الحسن.وإفراد اسم الإشارة مع كون المشار إليه اثنين على تأويل المشار إليه بالمذكور كماتقدم في نظيره في سورة البقرة.وكيد الكافرين هو قصدهم الإضرار بالمسلمين في صورة ليست ظاهرها بمضرة، وذلك أن جيش المشركين الذين جاءوا لإنقاذ العير لما علموا بنجاة عيرهم، وظنوا خيبة المسلمين الذين خرجوا في طلبها، أبوا أن يرجعوا إلى مكة، وأقاموا على بدر لينحروا ويشربوا الخمر ويضربوا الدفوف فرحا وافتخارا بنجاة عيرهم،." (٢)

"يعلمهم الله صدق التوجه إليه، ويكون موقع ولن تغني عنكم فئتكم شيئا زيادة تقرير لمضمون إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وقوله: وإن تعودوا نعد أي لا تعتمدوا إلا على نصر الله.فموقع قوله: ولن تغني عنكم فئتكم شيئا بمنزلة التعليل لتعليق مجيء الفتح على أن تستفتحوا المشعر بأن النصر غير مضمون الحصول إلا إذا استنصروا بالله تعالى وجملة ولو كثرت في موضع الحال، ولو إتصالية، وصاحب الحال متصف بضد مضمونها، أي: ولو كثرت فكيف وفئتكم قليلة، وعلى هذا الوجه يكون في قوله: وأن الله مع المؤمنين إظهار في مقام الإضمار، لأن مقتضى الظاهر أن يقال: وإن الله معكم، فعدل إلى الاسم الظاهر للإيماء إلى أن سبب عناية الله بهم هو إيمانهم. فهذان تفسيران للآية والوجدان يكون كلاهما مرادا.والفتح حقيقته إزالة شيء مجعول حاجزا دون شيء آخر، حفظا له من الضياع أو الافتكاك والسرقة، فالجدار حاجز، والباب حاجز، والسد حاجز، والصندوق حاجز، والعدل تجعل فيه الثياب والمتاع حاجز، فإذا أزيل الحاجز أو فرج فيه فرجة يسلك منها إلى المحجوز سميت تلك الإزالة فتحا، وذلك هو المعنى الحقيقي، إذ هو المعنى الذي لا يخلو عن اعتباره جميع استعمال

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٨٥/٩

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٢٩٧/٩

مادة الفتح وهو بهذا المعنى يستعار لإعطاء الشيء العزيز النوال استعارة مفردة أو تمثيلية وقد تقدم عند قوله تعالى: فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء [الأنعام: ٤٤] وقوله تعالى: ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات الآية في سورة الأعراف [٩٦] فالاستفتاح هنا طلب الفتح أي النصر، والمعنى إن تستنصروا الله فقد جاءكم النصر.وكثر إطلاق الفتح على حلول قوم بأرض أو بلد غيرهم في حرب أو غارة، وعلى النصر، وعلى الحكم، وعلى معان أخر، على وجه المجاز أو الكناية وقوله: وأن الله مع المؤمنين وقرأه نافع، وابن عامر، وحفص عن عاصم، وأبو جعفر، بفتح همزة إن على تقدير لام التعليل عطفا على قوله: وأن الله موهن كيد الكافرين [الأنفال:١٨] .وقرأه الباقون بكسر الهمزة، فهو **تذييل** للآية في معنى التعليل، لأن **التذييل** لما فيه من العموم يصلح لإفادة تعليل المذيل، لأنه بمنزلة المقدمة الكبرى للمقدمة الصغرى.." (١)

"الآخرة، والحاصل أن الإجمال مقصود للحث على التقوى وتحقق فائدتها والتعريض بالتحذير من التفريط فيها، فلا يحصل التكفير ولا المغفرة بأي احتمال.وقوله: والله ذو الفضل العظيم **تذييل** وتكميل وهو كناية عن حصول منافع أخرى لهم من جراء التقوى.[٣٠][سورة الأنفال (٨) : آية ٣٠]وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين (٣٠)يجوز أن يكون عطف قصة على قصة من قصص تأييد الله رسوله عليه الصلاة والسلام والمؤمنين فيكون إذ متعلقا بفعل محذوف تقديره واذكر إذ يمكر بك الذين كفروا، على طريقة نظائره الكثيرة في القرآن.ويجوز أن يكون عطفا على قوله: إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض [الأنفال:٢٦] فهو متعلق بفعل (اذكروا) من قوله واذكروا إذ أنتم قليل [الأنفال: ٢٦] ، فإن المكر بالرسول عليه الصلاة والسلام مكر بالمسلمين ويكون ما بينهما اعتراضا. فهذا تعداد لنعم النصر، التي أنعم الله بها على رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين، في أحوال ما كان يظن الناس أن سيجدوا منها مخلصا، وهذه نعمة خاصة بالنبيء صلى الله عليه وسلم. والإنعام بحياته وسلامته نعمة تشمل المسلمين كلهم، وهذا تذكير بأيام مقامهم بمكة، وما لاقاه المسلمون عموما وما لاقاه النبيء صلى الله عليه وسلم خصوصا وأن سلامة النبيء صلى الله عليه وسلم سلامة لأمته.والمكر إيقاع الضر خفية، وتقدم عند قوله تعالى: ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين في آل عمران [٥٤] ، وعند قوله تعالى: أفأمنوا مكر الله في سورة الأعراف [٩٩] .والإتيان بالمضارع في موضع الماضي الذي هو الغالب مع إذ استحضار للحالة التي دبروا فيها المكر، كما في قوله تعالى: والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا [فاطر:٩] .ومعنى: ليثبتوك ليحبسوك يقال أثبته إذا حبسه ومنعه من الحركة وأوثقه، والتعبير بالمضارع في ليثبتوك، ويقتلوك، ويخرجوك، لأن تلك الأفعال مستقبلة بالنسبة لفعل المكر إذ غاية مكرهم تحصيل واحد من هذه الأفعال.وأشارت الآية إلى تردد قريش في أمر النبي صلى الله عليه وسلم حين اجتمعوا." (٢)

"وقرأ الجمهور: يعملون- بياء الغائب- وقرأه رويس عن يعقوب- بتاء الخطاب.والتولي: الإعراض وقد تقدم عند قوله تعالى: فإن توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين في سورة العقود [٩٢] .والمولى الذي يتولى أمر غيره ويدفع عنه

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٣٠١/٩

(٢) التحرير والتنويرابن عاشور ٣٢٧/٩

وفيه معنى النصر.والمعنى وإن تولوا عن هاته الدعوة فالله مغن لكم عن ولائهم، أي لا يضركم توليهم فقوله: أن الله مولاكم يؤذن بجواب محذوف تقديره: فلا تخافوا توليهم فإن الله مولاكم وهو يقدر لكم ما فيه نفعكم حتى لا تكون فتنة. وهذاكقول النبيء صلى الله عليه وسلم لمسيلمة الكذاب «ولئن توليت ليعفرنك الله»وإنما الخسارة عليهم إذ حرموا السلامة والكرامة.وافتتاح جملة جواب الشرط ب فاعلموا لقصد الاهتمام بهذا الخبر وتحقيقه، أي لا تغفلوا عن ذلك،كما مر آنفا عند قوله تعالى: واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه [الأنفال: ٢٤] .وجملة: نعم المولى ونعم النصير مستأنفة لأنها إنشاء ثناء على الله فكانت بمنزلة **التذييل**.وعطف على نعم المولى قوله: ونعم النصير لما في المولى من معنى النصر كما تقدم وقد تقدم بيان عطف قوله تعالى: ونعم الوكيل على قوله: حسبنا الله سورة آل عمران." (١)

"الربع الثاني من الحزب الأربعينفي المصحف الكريم (ت)عباد اللهموعدنا في هذه الحصة مع الربع الثاني من الحزب الأربعين في المصحف الكريم، ابتداء من قوله تعالى: ﴿إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم﴾ إلى قوله تعالى في (سورة العنكبوت المكية): ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون﴾.ـــــــلقد نبهنا عند الشروع في تفسير (سورة القصص المكية) إلى ان أكبر جزء من آياتها تشغله قصة موسى مع فرعون وقومه، ثم قصة قارون مع قوم موسى، فهما القصتان الوحيدتان الواردتان في هذه السورة، أما بقية الآيات التي تتخللهما فهي للتعقيب **والتذييل** واستخلاص المثلات والعبر، وها هو كتاب الله بعدما عرض من القصة الأولى ما يعزز مركز الرسول ويؤكد صدق رسالته، ويكون عبرة له ولأمته، يشرع في الحديث عن قصة قارون الذي كان من قوم موسى فبغى عليهم.ومن وصف كتاب الله لقارون يكتشف المومنون نموذجا غريبا من حياة المترفين الأغرار، وما هم عليه من كبر." (٢)

"رد عليهم بما يكشف عن جهلهم وجهل جميع الحاسدين، لأن الحاسد لغباوته يسخط على قدر الله، ويعترض عليه لإنعامه- سبحانه- على المحسود والله- تعالى- هو صاحب التصرف المطلق في الإعطاء والمنع فكان من الواجب على هؤلاء الذين لا يودون أن ينزل أى خير على المؤمنين أن يريحوا أنفسهم من هذا العناء، وأن يتحولوا عن ذلك الغباء، لأن الله- تعالى- يهب خيره لمن يشاء.والاختصاص بالشيء: الانفراد به، تقول: اختص فلان بكذا أى انفرد به، ويستعمل متعديا إلى المفعول به، فتقول: اخصصت فلانا بكذا أى أفردته به وجعلته مقصورا عليه.وعلى هذا الوجه ورد الاختصاص في الآية الكريمة.وقيد- سبحانه- اختصاص رحمته بمن يشاء ليعلم الناس جميعا، أن إفراد بعض عباده بالرحمة منوط بمشيئته وحدها، وليس لأحد كائنا من كان أى تأثير في ذلك.ومفعول المشيئة محذوف كما هو الشأن فيه إذا تقدم عليه كلام أو تأخر عنه. أى: يختص برحمته من يشاء اختصاصه بها، وهي تتناول النبوة. والقرآن، والنصر، وكل ذلك مما لا يود الكافرون إنزاله على المؤمنين.وقوله تعالى: والله ذو الفضل العظيم **تذييل** لما سبق أى كل خير يناله العباد في دينهم أو دنياهم إنما هو من عنده- تعالى- يتفضل به عليهم، وفي ذلك إشعار للحاسدين بأن يقلعوا عن حسدهم، وتعريض باليهود وغيرهم ممن

---

(١) التحرير والتنويرابن عاشور ٣٤٨/٩

(٢) التيسير في أحاديث التفسيرمحمد المكي الناصري ٥٤٩/٤

حسدوا محمدا صلى الله عليه وسلم على أن آتاه الله النبوة، فكأنه- سبحانه- يقول لهم: إني أصطفى للنبوة من أشاء من عبادي وهي لا تدرك بالأماني، ولكني أهبها لمن هو أهل لها.وبذلك تكون الآية الكريمة قد حذرت المؤمنين مما يبيته لهم الكافرون من حقد وبغضاء وبشرتهم بأن ما يبيتونه لن يضرهم ما داموا معتصمين بكتاب ربهم، وسنة نبيهم.ثم انتقل القرآن إلى الحديث عن موضع النسخ الذي أثار اليهود حوله الشبهات، وجادلوا فيه النبي صلى الله عليه وسلم.لقد استنكر اليهود أن يبدل الله آية بآية، أو حكما بحكم، وقالوا: ألا ترون إلى محمد صلى الله عليه وسلم يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمر بخلافه، ويقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا، ما هذا من شأن الأنبياء وما هذا القرآن إلا من كلام محمد، يقوله من تلقاء نفسه، وهو كلام يناقض بعضه بعضا.ولم يترك القرآن الكريم تلك الشبهات التي أثارها اليهود حول شريعة الإسلام بدون." (١)

"الاستشكال. وقد روى العلماء في سبب نزولها عدة روايات منها: ما رواه البخاري عن عروة بن الزبير قال: سألت عائشة- رضي الله عنها- قلت لها: أرأيت قوله- تعالى-: إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ...فو الله ما على أحد جناح أن لا يطوف بالصفا والمروة؟ قالت بئس ما قلت يا ابن أختي!! إن هذه الآية لو كانت كما أولتها لكانت: لا جناح عليه أن لا يطوف بهما، ولكن الآية أنزلت في الأنصار. كانوا قبل أن يسلموا يهلون لمناة الطاغية، التي كانوا يعبدونها عند المشعر. فكان من أهل يتحرج أن يتطوف بالصفا والمروة. فلما أسلموا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك؟ فقالوا:يا رسول الله: إنا كنا نتحرج أن نطوف بين الصفا والمروة، فأنزل الله- تعالى- هذه الآية.قال عائشة: وقد سن رسول الله صلى الله عليه وسلم الطواف بينهما، فليس لأحد أن يترك الطواف بينهما «١» .وهناك رواية لمسلم عن عروة عن عائشة تشبه ما جاء في رواية البخاري، وهناك رواية للنسائى عن زيد بن حارثة قال: كان على الصفا والمروة صنمان من نحاس يقال لهما «إساف ونائلة» كان المشركون إذا طافوا تمسحوا بهما.وهناك رواية للطبراني وابن أبي حاتم بإسناد حسن من حديث ابن عباس قال: قالت الأنصار: إن السعى بين الصفا والمروة من أمر الجاهلية فأنزل الله هذه الآية «٢» .فيؤخذ من هذه الروايات أن بعض المسلمين كانوا يتحرجون من السعى بين الصفا والمروة لأسباب من أهمها أن هذا السعى كان من شعائرهم في الجاهلية فقد كانوا يهلون- أى يحرمون- لمناة، ثم يسعون بينهما ليتمسحوا بصنمين عليهما، وهم لا يريدون أن يعملوا في الإسلام شيئا مما كان من أمر الجاهلية لأن دين الإسلام الذي خالط أعماق قلوبهم هز أرواحهم هزا قويا وجعلهم ينظرون بجفوة وازدراء واحتراس إلى كل ما كانوا عليه في الجاهلية من أعمال تتنافى مع تعاليم دينهم الجديد، فنزلت هذه الآية الكريمة لتزيل التحرج الذي كان يتردد في صدورهم من السعى بين الصفا والمروة.وهذا يدل على قوة إيمانهم، وصفاء يقينهم، وتحرزهم من كل قول أو عمل يشم منه رائحة التعارض مع العقيدة التي جعلتهم يخلصون عبادتهم لله الواحد القهار.وقوله ومن تطوع خيرا فإن الله شاكر عليم تذييل قصد منه الإتيان بحكم كلى في أفعال الخيرات كلها، وقيل إنه تذييل لما أفادته الآية من الحث على السعى بين الصفا

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٢٤٠/١

والمروة.ـــــــــــــــــ(١) أخرجه البخاري في كتاب الحج ج ٢ ص ١٩٣(٢) راجع تفسير القاسمى ج ٢ ص ٣٤٤.." (١)

"وكانوا حديثي عهد بكفر.فكأن المحرم ليس ما لم يعلم أن اسم الله ذكر عليه، بل المحرم ما علم أن غير اسم الله من الأوثان والأنداد ونحو ذلك قد ذكر عليه.فأنت ترى أن تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير كان لاستقذار الأكل من هذه الثلاثة، أى:لعلة ذاتية فيها، أما تحريم ما أهل به لغير الله فليس لعلة فيه، ولكن للتوجه به إلى غير الله.وهي علة روحية تنافى سلامة القلب، وطهارة الروح، ووحدة المتجه فما ذكر عليه سوى اسم الله من الذبائح ملحق بالنجاسة المادية والقذارة الحقيقة، وفي ذلك حض للناس على إخلاص العبادة لله- تعالى-، وزجر لهم عن التقرب إلى أحد سواه.وقوله- تعالى-: فمن اضطر غير با غ ولا عاد فلا إثم عليه بيان لحالات الضرورة التي يباح للإنسان فيها أن يأكل من تلك المحرمات.واضطر من الاضطرار وهو الاحتياج إلى الشيء. يقال: اضطره إلى هذا الشيء. أى:أحوجه وألجأه إليه مأخوذ من الإضرار، وهو حمل الإنسان على أمر بكرهه، وقهره عليه بقوة يناله بدفعها الهلاك.وبا غ من البغاء وهو الطلب. تقول: بغيته بغاء وبغيا وبغية أى: طلبته.وعاد اسم فاعل بمعنى متعد، تقول. عدا طوره إذا تجاوز حده وتعداه إلى غيره فهو عاد، ومنه قوله- تعالى- في شأن قوم لوط: بل أنتم قوم عادون.ولغير منصوب على الحال من الضمير المستتر في اضطر وهي هنا بمعنى النفي ولذا عطف عليها لا.والمعنى: فمن ألجأته ضرورة إلى أكل شيء من هذه المحرمات: حالة كونه غير با غ: أى غير طالب للمحرم وهو يجد غيره، أو غير طالب له لإشباع لذته، أو غير طالب له على جهة الاستئثار به على مضطر آخر، أو غير ساع في فساد ولا عاد أى: وغير متجاوز ما يسد الجوع، ويحفظ الحياة فلا إثم عليه أى: فلا إثم عليه في أكله من هذه المحرمات.وبهذا نرى لونا من ألوان سماحة الإسلام ويسره في تشريعاته، التي أقامها الله- تعالى- على رفع الحرج، ودفع الضرر، قال- تعالى-: وما جعل عليكم في الدين من حرج وقال- تعالى-: يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر.وقوله: إن الله غفور رحيم تذييل قصد به الامتنان. أى: إن الله- تعالى- موصوف بهذين الوصفين الجليلين، ومن كان كذلك كان من شأنه أن يعفو عن الخطايا، ويغفر الذنوب،." (٢)

"خاف: من الخوف، وهو في الأصل حالة تعترى النفس عند الانقباض من شر يتوقع حصوله على سبيل الظن أو على سبيل العلم.والجنف: الميل والجور. يقال: جنف في وصيته وأجنف، مال وجار، فهو جنف وأجنف.وقيل: أجنف مختص بالوصية وجنف في مطلق الميل عن الحق. ويقال: جنف وجنف عن طريقه جنفا وجنوفا.والإثم: العمل الذي يبغضه الله. يقال: أثم فهو آثم وأثيم.قال بعضهم: والمراد بالجنف هنا: الميل عن الحق في الوصية خطأ، بقرينة مقابلته بالإثم وهو الميل عن الحق فيها عمدا.هذا، ويرى جمهور العلماء أن هذه الآية الكريمة واردة في الوصي يرى أن الموصى قد حاد في وصيته عن حدود العدل، فللوصي حينئذ أن يصلح فيها بحيث يجعلها متفقة مع ما شرعه الله، وهو في هذه الحالة لا إثم عليه لأنه قد غير الباطل بالحق وعلى هذا الرأى يكون المعنى: أن الوصي إذا رأى في الوصية ميلا عن الحق خطأ أو عمدا

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٣٢١/١

(٢) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٣٥٣/١

وأصلح بين الموصى لهم يردهم إلى الوجه المشروع فلا إثم عليه في التغيير في الوصية. والضمير في قوله: بينهم عائد على الموصى لهم.ويرى آخرون أن هذه الآية واردة في شأن كل من يبغى الإصلاح من الناس، بأن يرى الموصى يوصى، فظهر له- أى هذا المصلح- أن الموصى قد جانب العدل والصواب في وصيته، فيأخذ في الإصلاح، بأن يرشده بأن فعله هذا لا يتفق مع شريعة العدل التي أمر بها الله، ويحاول قدر استطاعته أن يزيل ما حدث من خلاف بين الموصى والموصى لهم.وعلى هذا الرأى يكون المعنى: إن خرج الموصى في وصيته عن حدود العدالة، ورأى أمارات ذلك منه من يريد الإصلاح من الناس، وتوقع أن شرا سيترتب على هذه الوصية التي فيها جور، أو شاهد نزاعا بين الموصى لهم بسبب ذلك، فلا إثم على هذا المصلح في أن يصلح بين الموصى والموصى لهم، وأن يرشد الموصى إلى سلوك طريق العدل والحق. وعليه فيكون الضمير في قوله: بينهم يعود على الموصى والموصى لهم.ويبدو لنا أن الرأى الأول أقرب إلى الصواب، لأن سياق الآية يؤيده، إذ هي بمنزلة الاستثناء من قوله- تعالى-: فمن بدله بعد ما سمعه.. وهذا إنما يكون بعد موت الموصى لا في حياته.وقوله: إن الله غفور رحيم **تذييل** أتى به- سبحانه- للوعد بالثواب للمصلح على إصلاحه، فإن من يغفر الذنوب ويرحم المذنبين تكون مغفرته ورحمته أقرب إلى من يقصد بعمله الإصلاح ولو اعتمد على ظن غالب أو أخطأ وجه الصواب فيما أتى من أعمال.." (١)

"ما هاجمهم المشركون عنده أو فيه.قال ابن كثير ما ملخصه: وقد دلت الآية على الأمر بقتال المشركين في الحرم إذا بدءوا بالقتال فيه دفعا لصولتهم، كما بايع النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه يوم الحديبية تحت الشجرة على القتال، لما تألبت عليه بطون قريش ومن والاهم من أحياء ثقيف والأحابيش عامئذ، ثم كف الله القتال بينهم فقال: وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم «١» .وقال صلى الله عليه وسلم لخالد بن الوليد ومن معه يوم الفتح: إن عرض لكم أحد من قريش فاحصدوهم حصدا حتى توافونى على الصفا.. فما عرض لهم أحد إلا أناموه وأصيب من المشركين نحو اثنى عشر رجلا» «٢» .ولم يقل- سبحانه- فإن قاتلوكم فقاتلوهم، وإنما قال فإن قاتلوكم فاقتلوهم تبشيرا للمؤمنين بالغلبة عليهم، وإشعارا بأن هؤلاء المشركين من الخذلان والضعف بحالة أمر الله المؤمنين معها بقتلهم لا بقتالهم فهم لضعفهم لا يحتاجون من المؤمنين إلا إلى القتل.وقوله: كذلك جزاء الكافرين **تذييل** لما قبله. واسم الإشارة ذلك يعود إلى قتل المقاتلين أينما وجدوا.والجزاء: ما يقع في مقابلة الإحسان أو الإساءة، فيطلق على ما يثاب به المحسن، وعلى ما يعاقب به المسيء. والمراد به في الآية العقاب.أى: مثل هذا الجزاء العادل من القتل والردع يجازى الله الكافرين الذين قاتلوا المؤمنين وأخرجوهم من ديارهم.ثم فتح القرآن للكافرين الذين قاتلوا المسلمين التوبة فقال: فإن انتهوا فإن الله غفور رحيم.الانتهاء: أصله مطاوع نهى. يقال: نهاه فانتهى ثم توسع فيه فأطلق على الكف عن الشيء، لأن النهى هو طلب ترك الشيء.أى: فإن انتهوا عن الكفر وعن مقاتلتكم فكفوا عنهم ولا تتعرضوا لهم فإن الله غفور رحيم. وكل من تاب من كفر أو معصية فشأن الله معه أن يغفر له ويرحمه.ونظير هذه الآية قوله- تعالى-: قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٣٧٨/١

«٣» وإنما قلنا فإن انتهوا عن الكفر وعن القتال لأن سياق الحديث عن الكافرين المقاتلين للمؤمنين،______________(١) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٢٢٧.(٢) تفسير القاسمى ج ٢ ص ٤٧٦.(٣) تفسير الآلوسى ج ٢ ص ٧٦.." [1]

"أما علماء الخلف فيؤولون إتيان الله بما يتناسب مع ذاته- سبحانه-، ولذا فسروا إتيانه بأمره أو بأسه في الدنيا.وقد عبر صاحب الكشاف عن وجهة نظر هؤلاء بقوله: «إتيان الله: إتيان أمره وبأسه كقوله و يأتي أمر ربكجاءهم بأسنا ويجوز أن يكون المأتى به محذوفا، بمعنى أن يأتيهم الله ببأسه أو بنقمته للدلالة عليه بقوله- قبل ذلك- «فإن الله عزيز حكيم» . فإن قلت: لم يأتيهم العذاب في الغمام؟ قلت: لأن الغمام مظنته الرحمة، فإذا نزل منه العذاب كان الأمر أفظع وأهول لأن الشر إذا جاء من حيث لا يحتسب كان أغم كما أن الخير إذا جاء من حيث لا يحتسب كان أسر، فكيف إذا جاء الشر من حيث يحتسب الخير ولذلك كانت الصاعقة من العذاب المستفظع لمجيئها من حيث يتوقع الغيث: وقضي الأمر أى: تم أمر إهلاكهم وتدميرهم وفرغ منه» «١» .وقال الجمل ما ملخصه: وقوله: إلا أن يأتيهم الله استئناف مفرغ من مقدر، أى ليس لهم شيء ينتظرونه إلا إتيان العذاب وهذا مبالغة في توبيخهم وقوله: والملائكة بالرفع عطفا على اسم الجلالة أى، وتأتيهم الملائكة فإنهم وسائط في إتيان أمره- تعالى-، بل هم الآتون ببأسه على الحقيقة. وقرأ الحسن وأبو جعفر: والملائكة بالجر عطفا على ظلل، أى إلا أن يأتيهم في ظلل وفي الملائكة. وقوله وقضي الأمر فيه وجهان:أحدهما: أن يكون معطوفا على يأتيهم داخلا في حيز الانتظار ويكون ذلك من وضع الماضي موضع المستقبل والأصل ويقضى الأمر وإنما جيء به كذلك لأنه محقق كقوله: أتى أمر الله.والثاني: أن يكون جملة مستأنفة برأسها أخبر الله- تعالى- بأنه قد فرغ من أمرهم فهو من عطف الجمل وليس داخلا في حيز الانتظار» «٢» .ثم ختم- سبحانه- هذه الآية بقوله: وإلى الله ترجع الأمور أى إليه وحده- سبحانه- لا إلى غيره ولا إلى أحد معه تصير الأمور خيرها وشرها وسيجازى الذين أساءوا بما عملوا وسيجازى الذين أحسنوا بالحسنى.فالجملة الكريمة **تذييل** قصد به تأكيد قضاء أمره، ونفاذ حكمه، وتمام قدرته.ثم بين- سبحانه- أن كفر الكافرين ليس سببه نقصان الدليل على صحة إيمان المؤمنين،______________(١) تفسير الكشاف ج ١ ص ٢٥٣.(٢) حاشية الجمل على الجلالين ج ١ ص ١٦٦. [.....]."[2]

"أى، والذين اتقوا الله- تعالى- وصانوا أنفسهم عن كل سوء فوق أولئك الكافرين مكانة ومكانا يوم القيامة، لأن تقواهم قد رفعتهم إلى أعلى عليين، أما الذين كفروا فإن كفرهم قد هبط بهم إلى النار وبئس القرار.قال صاحب الكشاف: فإن قلت: لم قال «من الذين آمنوا» ثم قال: والذين اتقوا؟قلت: ليريك أنه لا يسعد عنده إلا المؤمن التقى، وليكون بعثا للمؤمنين على التقوى إذا سمعوا ذلك «١» .وقيدت الفوقية بيوم القيامة للتنصيص على دوامها، لأن ذلك اليوم هو مبدأ الحياة الأبدية، ولإدخال السرور والتسلية على قلوب المؤمنين حتى لا يتسرب اليأس إلى قلوبهم بسبب إيذاء الكافرين لهم في الدنيا.وقوله: والله يرزق من يشاء بغير حساب **تذييل** قصد به تشريف المؤمنين، وبيان عظم ثوابهم.أى: والله يرزق من يشاء بغير حساب من المرزوق. أو بلا حصر وعد لما يعطيه. أو أنه لا يخاف نفاد ما في خزائنه حتى يحتاج إلى حساب لما يخرج

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٤١١/١

(٢) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٤٥١/١

منها. فهو- سبحانه- الذي يعطى ويمنع، وليس عطاؤه في الدنيا دليل رضاه عن المعطى فقد يعطى الكافر وهو غير راض عنه، أما عطاؤه في الآخرة فهو دليل رضاه عمن أعطاه.قال الأستاذ الإمام: إن الرزق بلا حساب ولا سعى في الدنيا إنما يصح بالنسبة إلى الأفراد، فإنك ترى كثيرا من الأبرار وكثيرا من الفجار أغنياء موسرين متمتعين بسعة الرزق، وكثيرا من الفريقين فقراء معسرين، والمتقى يكون دائما أسعد حالا وأكثر احتمالا، ومحلا لعناية الله به فلا يؤلمه الفقر كما يؤلم الفاجر لأنه يجد في التقوى مخرجا من كل ضيق ... وأما الأمم فأمرها على غير هذا، فإن الأمة التي تروتها فقيرة ذليلة لا يمكن أن تكون متقية لأسباب نقم الله وسخطه..وليس من سنة الله أن يرزق الأمة العزة والثروة وهي لا تعمل، وإنما يعطيها بعملها ويسلبها بزللها..» «٢» .ثم بين- سبحانه- أحوال الناس، وأنهم في حاجة إلى الرسل ليبشروهم وينذروهم ويحكموا بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه فقال- تعالى-:______________(١) تفسير الكشاف ج ١ ص ٢٥٥.(٢) تفسير المنار ج ٢ ص ٢٧٤ بتلخيص.." (١)

"بينهم، ولا طمع له في غيرهم، ولا ملجأ له سواهم، لأنهم أربابه الذين تمكنوا منه، وتمكن منهم بقوة ورسوخ.وبعضهم جعل الضمير في قوله: فيه يعود إلى الحق، والضمير في قوله: أوتوه يعود إلى الكتاب. أى: وما اختلف في الحق إلا الذين أوتوا الكتاب.ويرى بعض العلماء أن عودة الضمير في كليهما إلى الحق أو إلى الكتاب جائز، وأن المعنى على التقديرين واحد، لأن الكتاب أنزل ملابسا للحق ومصاحبا له، فإذا اختلف في الكتاب اختلف في الحق الذي فيه وبالعكس على طريقة قياس المساواة في المنطق والجملة الكريمة تحذير شديد من الوقوع فيما وقع فيه غيرهم من اختلاف يؤدى إلى البغي والتنازع والإعراض عن الحق.ثم بين- سبحانه- حال المؤمنين بعد بيانه لحال الغاوين فقال- تعالى فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه.أى: فهدى الله الذين آمنوا وصدقوا رسله إلى الحق الذي اختلف فيه أهل الضلالة، وذلك الهدى بفضل توفيقه لهم وتيسيره لأمرهم.والفاء في قوله: فهدى فصيحة لأنها أفصحت عن كلام مقدر وهو المعطوف عليه المحذوف.والتقدير: إذا كان هذا شأن الضالين المختلفين في الحق، فقد هدى الله بفضله الذين آمنوا إلى الصواب.وبين- سبحانه- أن الذين رزقهم الهداية هم الذين آمنوا، للإشعار بأن سبب هدايتهم للحق هو إيمانهم وتقواهم، واستجابتهم للداعي الذي دعاهم إلى الطريق المستقيم.وأسند الهداية إليه- سبحانه- لأنه هو خالقها، ولأن قلوب العباد بيديه فهو يقلبها كيف يشاء، وهذا لا ينافي أن للعبد اختيارا وكسبا فهو إذا سار في طريق الحق رزقه الله النور المشرق الذي يهديه، وإن سار في طريق الضلالة واستحب العمى على الهدى سلب الله عنه توفيقه بسبب إيثاره الضلالة على الهداية.وقوله- تعالى- في ختام هذه الآية: والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم تذييل قصد به بيان كمال سلطانه، وتمام قدرته.أى: والله وحده هو الهادي من يشاء من عباده إلى طريق الحق الذي لا يضل سالكه، فليس لأحد سلطان بجوار سلطانه، ولو أراد أن يكون الناس جميعا مهديين لكانوا، ولكن حكمته." (٢)

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٤٥٥/١

(٢) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٤٦١/١

"ولم يتعرض- سبحانه- هنا لبقية المحتاجين كالسائلين والغارمين إما اكتفاء بذكرهم في مواضع أخرى، وإما بناء على دخولهم تحت عموم قوله- تعالى-: في آخر الآية وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم فإنه شامل لكل خير واقع في أى مصرف كان.قال الجمل و «ذا» اسم موصول بمعنى الذي والعائد محذوف، و «ما» على أصلها من الاستفهام ولذلك لم يعمل فيها يسألونك، وهي مبتدأ وذا خبره، والجملة محلها النصب بيسألون. والمعنى يسألونك أى الشيء الذي ينفقونه» «١» .وقوله: وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم **تذييل** قصد به الحض على فعل الخير، لأن المؤمن عند ما يشعر بأن الله يرى عمله ويجازيه عليه بما يستحقه، يشجعه ذلك على الاستمرار في عمل الخير. وإذا كان بعضنا يكثر من عمل الخير عند ما يعلم أن شخصا ذا جاه يسره هذا العمل، فكيف يكون الحال عند ما يعلم المؤمن التقى أن الذي يرى عمله ويكافئه عليه هو الله الذي لا تخفى عليه خافية، والذي يعطى من يشاء بغير حساب.قال بعض العلماء: وقد اختلف في هذه الآية. فقيل إنها منسوخة بآية الزكاة وهي قوله- تعالى-: إنما الصدقات للفقراء ... وقيل- وهو الأولى- إنها غير منسوخة، وهي لبيان صدقة التطوع فإنه متى أمكن الجمع فلا نسخ» «٢» .وقوله: كتب عليكم القتال وهو كره لكم حض لهم على بذل النفس في سبيل إعلاء كلمة الله، بعد أن حضهم في الآية السابقة على بذل المال.والكره- بضم الكاف- بمعنى الكراهية بدليل قوله- تعالى-: وعسى أن تكرهوا شيئا.. أى أن القتال لشدة ويلاته، وما فيه من إزهاق الأرواح كأنه الكراهة نفسها فهو من وضع المصدر موضع اسم المفعول مبالغة، وقرئ وهو كره لكم- بفتح الكاف- فيكون فيه معنى الإكراه، لأن الكره بالفتح ما أكرهت عليه. وقيل هما لغتان بمعنى واحد وهو الكراهية.ويرى كثير من المفسرين أن القتال إنما كان مكروها للنفوس لما فيه من التعرض للجراح وقطع الأطراف، وإزهاق الأرواح والإنسان ميال بطبعه إلى الحياة، وأيضا لما فيه من إخراج المال ومفارقة الوطن والأهل، والحيلولة بين المقاتل وبين طمأنينته ونومه وطعامه، فهو مهما يكن أمره فيه ويلات وشدائد، ومشقات تتلوها مشقات، ولكن كون القتال مكروها للنفوس لا ينافي الإيمان ولا يعنى أن المسلمين كرهوا فرضيته، لأن امتثال الأمر قد يتضمن مشقة، ولكن إذا_____________(١) حاشية الجمل ج ١ ص ١٧٠.(٢) تفسير آيات الأحكام ج ١ ص ١١٤ لفضيلة الأستاذ محمد على السائس.." [(١)]

"والمعنى: لا يعاقبكم الله- تعالى- ولا يلزمكم بكفارة ما صدر عنكم من الأيمان اللاغية فضلا منه- سبحانه- وكرما.واليمين اللغو هي التي لا يقصدها الحالف، بل تجرى على لسانه عادة من غير قصد، وقد ذكر العلماء صورا لها منها- كما يقول ابن كثير:ما رواه عطاء عن عائشة أنها قالت: «اللغو في اليمين هو كلام الرجل في بيته كلا والله وبلى والله» وفي رواية عن الزهري عن عروة عنها أنها قالت: «اللغو في اليمين هو ما يكون بين القوم يتدارءون في الأمر- أى يتناقشون ويتذاكرون فيه- فيقول هذا لا والله وبلى والله وكلا والله لا تعقد عليه قلوبهم» أى تجرى على ألسنتهم ألفاظ اليمين ولكن بدون قصد يمين: - ومنها ما جاء عن عروة عنها أنها كانت تتأول هذه الآية يعنى قوله- تعالى-: لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم وتقول: هو الشيء يحلف عليه أحدكم لا يريد منه إلا الصدق فيكون على غير ما حلف عليه» .ثم بين- سبحانه- اليمين التي هي موضع المحاسبة والمعاقبة فقال: ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم.أى: لا يؤاخذكم الله في

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٤٦٨/١

اليمين التي لم تصدر عن روية وتفكير ولكن يؤاخذكم أى يعاقبكم في الآخرة بما قصدته قلوبكم وتعمدتم فيه الكذب في اليمين، بأن يحلف أحدكم على شيء كذب ليعتقد السامع صدقه، وتلك هي اليمين الغموس- أى التي تغمس صاحبها في النار- ويدخل فيها الأيمان التي يحلفها شهود الزور والكاذبون عند التقاضي ومن يشابههم في تعمد الكذب.ويرى جمهور العلماء أن هذه اليمين لا كفارة فيها وإنما كفارتها التوبة الصادقة ورد الحقوق إلى أصحابها إن ترتب على اليمين الكاذبة ضياع حق أو حكم بباطل.ويرى الإمام الشافعى أنه يجب فيها فوق ذلك الكفارة.والباء في قوله: بما للسببية، وما مصدرية أى، لا يؤاخذكم باللغو ولكن يؤاخذكم بالكسب، أو موصولة والعائد محذوف أى ولكن يؤاخذكم بالذي كسبته قلوبكم.وقوله: والله غفور حليم **تذييل** لتأكيد معنى عدم المؤاخذة في اللغو. أى والله غفور حيث لم يؤاخذكم باللغو حليم حيث لم يعاجل المخطئين بالعقوبة.وبعد بيان هذه الأحكام في الأيمان العامة، عقب- سبحانه- ذلك ببيان حكم اليمين الخاصة فقال: للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر فإن فاؤ فإن الله غفور رحيم.." (١)

"المصحوبة بالأذى فلا يقبلها. حليم فلا يعجل بالعقوبة على مستحقها، فهو- سبحانه- يمهل ولا يهمل.والجملة الكريمة **تذييل** لما قبله مشتملة على الوعد والوعيد، والترغيب والترهيب.وقوله- تعالى-: يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى نداء منه- سبحانه- للمؤمنين يكرر فيه نهيهم عن المن والأذى، لأنهما يؤديان إلى ذهاب الأجر من الله- تعالى- وإلى عدم الشكر من الناس ولذا جاء في الحديث الشريف: «إياكم والامتنان بالمعروف فإنه يبطل الشكر ويمحق الأجر» .ثم أكد- سبحانه- هذا النهى عن المن والأذى بذكر مثلين فقال في أولهما: كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر.والمعنى: يا من آمنتم بالله- تعالى- لا تبطلوا صدقاتكم بأن تحبطوا أجرها، وتمحقوا ثمارها، بسبب المن والأذى، فيكون مثلكم في هذا الإبطال لصدقاتكم بسبب ما ارتكبتم من آثام، كمثل المنافق الذي ينفق ماله من أجل أن يرى الناس منه ذلك ولا يبغى به رضاء الله ولا ثواب الآخرة، لأنه كفر بالله، وكفر بحساب الآخرة.وفي هذا التشبيه تنفير شديد من المن والأذى لأنه- سبحانه- شبه حال المتصدق المتصف بهما في إبطال عمله بسببهما بحال هذا المنافق المرائى الذي لا يؤمن بالله واليوم الآخر.وقوله: كالذي.. الكاف في محل نصب على أنها نعت لمصدر محذوف أى: لا تبطلوها إبطالا كابطال الذي ينفق ماله رئاء الناس ... أو في محل نصب على الحال من فاعل تبطلوا أى لا تبطلوها مشابهين الذي ينفق ماله رئاء الناس.وقوله: رئاء منصوب على أنه مفعول لأجله أى: كالذي ينفق ماله من أجل رئاء الناس.وأما المثال الثاني فقال- سبحانه-: فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شيء مما كسبوا.الصفوان اسم جنس جمعى واحده صفوانة كشجر وشجرة وهو الحجر الكبير الأملس، مأخوذ من الصفاء وهو خلوص الشيء مما يشوبه. يقال: يوم صفوان أى صافى الشمس. وقيل هو مفرد كحجر. والوابل المطر الشديد. يقال: وبلت السماء تبل وبلا ووبولا. اشتد مطرها والصلد هو الشيء الأجرد النقي من التراب الذي كان عليه. ومنه رأس أصلد إذا كان لا ينبت شعرا، والأصلد الأجرد الذي لا ينبت شيئا مأخوذ من صلد يصلد صلدا فهو صلد.." (٢)

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٥٠٢/١

(٢) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٦٠٧/١

"والجملة الكريمة تذييل مقرر لمضمون ما قبله، وفيها إشارة إلى أن الإنفاق المصحوب بالمن والأذى والرياء ليس من صفات المؤمنين وإنما هو من صفات الكافرين، فعلى المؤمنين أن يجتنبوا هذه الصفات التي لا تليق بهم.والذي ينظر في هذه الآيات الكريمة يرى أن الله- تعالى- قد حذر المنفقين من المن والأذى في ثلاث آيات متواليات، كما حذرهم من الرياء، وساق أكثر من تشبيه لتقبيح الصدقات التي لا تكون خالصة لوجه الله فلماذا كل هذا التشديد في النهى؟والجواب عن ذلك: أن المن والأذى في الإنفاق كثيرا ما يحصلان بسبب استعلاء كاذب، أو رغبة في إذلال المحتاج وإظهاره بمظهر الضعيف: وكلا الأمرين لا يليق بالنفس المؤمنة المخلصة، ولا يتلاقى مطلقا مع الحكم التي من أجلها شرعت الصدقات بل إنه ليتنافر معها تنافرا تاما لأن الصدقات شرعها الله لتهذيب النفوس وتطهير القلوب ولتربط بين الأغنياء والفقراء برباط المحبة والمودة والإخاء، فإذا ما صاحبها المن والأذى أثمرت نقيض ما شرعت له، لأنها تثير في نفس المعطى بسبب ذلك الكبر والخيلاء وغير ذلك من الصفات الذميمة، وتثير في نفس الآخذ شعورا بالحقد والانتقام ممن أعطاه ثم آذاه وبذلك تنقطع الروابط، ويتمزق المجتمع، وتتحول المحبة إلى عداوة.ولقد تحدث الإمام الرازي عن الآثار السيئة للمن والأذى فقال ما ملخصه:وإنما كان المن مذموما لوجوه:الأول: أن الفقير الآخذ للصدقة منكسر القلب لأجل حاجته إلى صدقة، فإذا أضاف المعطى إلى ذلك إظهار الإنعام زاد ذلك في انكسار قلبه فيكون في حكم المضرة بعد المنفعة، وفي حكم المسيء إليه بعد أن أحسن إليه.والثاني: أن إظهار المن يبعد أهل الحاجة عن الرغبة في صدقته إذا اشتهر من طريق ذلك.الثالث: أن المعطى يجب أن يعتقد أن هذه النعمة من الله- تعالى- عليه- وأن يعتقد أن لله عليه نعما عظيمة حيث وفقه لهذا العمل ومتى كان الأمر كذلك امتنع عن أن يجعل ما ينفقه منة على الغير.الرابع: أن المعطى في الحقيقة هو الله، ومتى اعتقد العبد ذلك استنار قلبه، أما إذا اعتقد غير ذلك فإنه يكون في درجة البهائم الذين لا يترقى نظرهم عن المحسوس إلى المعقول، وعن الآثار إلى المؤثر ... وأما الأذى فيتناول كل ذلك وغيره مما يسيء إلى الفقير بأن يقول له: فرج الله عنى منك، وأنت أبدا تأتى إلى بما يؤلم. إلخ «١» .______________(١) تفسير الفخر الرازي ج ٧ ص ٤٩.." (١)

"والحكمة مشتقة من حكم بمعنى منع، لأنها تمنع صاحبها من الوقوع في الخطأ والضلال ومنه سميت الحديدة التي في اللجام وتجعل في فم الفرس حكمة لأنها تمنعه من الجموح. أو هي في الأصل مصدر من الإحكام وهو الإتقان في علم أو عمل أو قول أو فيها كلها.والحكمة بالنسبة للإنسان صفة نفسية هي أساس المعرفة السليمة التي توافق الحق، وتوجه الإنسان نحو عمل الخير، وتمنعه من عمل الشر، فهي فيه مانعة ضابطة تسير به نحو الكمال والاستقامة وللعلماء في المراد بها في الآية الكريمة أقوال كثيرة أرجحها أن المراد بها إصابة الحق في القول والعمل، أو هي العلم النافع الذي يكون معه العمل به.والمعنى: أن الله- تعالى- الفاعل لكل شيء يؤت الحكمة لمن يشاء من عباده ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا لأن الإنسان إذا أوتى الحكمة يكون قد اهتدى إلى العلم النافع، وإلى العمل الصالح الموافق لما علمه، وإلى الإيمان بالحق وإلى الاستجابة لكل خير والابتعاد عن كل شر، وبذلك يكون سعيدا في دنياه وأخراه.وفي الصحيحين عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا حسد- أى لا غبطة- إلا في اثنتين: رجل أتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق،

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٦٠٩/١

ورجل آتاه الله- تعالى- الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها» .ثم قال- تعالى-: وما يذكر إلا أولوا الألباب.والألباب جمع لب وهو في الأصل خلاصة الشيء وقلبه، وأطلق هنا على عقل الإنسان لأنه أنفع شيء فيه.والمراد بأولى الألباب هنا أصحاب العقول السليمة التي تخلصت من شوائب الهوى، ودوافع الشر، فقد جرت عادة القرآن ألا يستعمل هذا التعبير إلا مع أصحاب العقول المستقيمة.أى: وما يتعظ بهذه التوجيهات القرآنية، وينتفع بثمارها إلا أصحاب العقول الراجحة والنفوس الصافية التي اهتدت إلى الحق وعملت به، والتي أنفقت في سبيل الله أجود الأموال وأطيبها لا أصحاب العقول الفاسدة التي استحوذ عليها الشيطان فأنساها ذكر الله، والتي ترى أن البخل بالمال هو الحكمة، وأن الإنفاق في سبيل الله هو نوع من الإسراف والتبذير.فالجملة الكريمة **تذييل** قصد به مدح أولئك المؤمنين الصادقين، الذين استجابوا لتوجيهات دينهم، فأصابوا الحق في أقوالهم وأعمالهم.." (١)

"فإن تعذر على المدين المحتاج أن يدفع للدائن رهنا يكون الاعتماد على الأمانة التي هي صفة من صفات الصادقين.فيا له من تشريع حكيم، بين للناس ما يصلح شأنهم في دينهم وفي دنياهم.ثم أمر الله تعالى- عباده بأن يؤدوا الشهادة على وجهها وألا يكتموها فقال- تعالى-:ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه. أى: وعليكم- أيها المؤمنون- ألا تمتنعوا عن أدائها إذا دعيتم إليها وألا تخفوها فإن الذي يخفيها ويمتنع عن أدائها يكون معاقبا من الله- تعالى- بسبب ارتكابه لما نهى عنه.وقد أسند- سبحانه- الإثم إلى القلب خاصة مع أن الإثم يسند إلى الشخص، لأن الإثم في كتمان الشهادة عمل القلب لا عمل الجوارح، ولأن القلب أساس كل خير وكل شر، ففي الحديث الشريف: ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب» .قال صاحب الكشاف: فإن قلت: هلا اقتصر على قوله فإنه آثم وما فائدة ذكر القلب والجملة هي الآثمة لا القلب وحده؟ قلت: كتمان الشهادة هو أن يضمرها ولا يتكلم بها. فلما كان إثما مقترنا بالقلب أسند إليه لأن إسناد الفعل إلى الجارحة التي يعمل بها أبلغ، ألا تراك تقول إذا أردت التوكيد: هذا مما أبصرته عيني، ووعاه قلبي. ولأن القلب هو رئيس الأعضاء فكأنه قيل: ومن يكتمها فقد تمكن الإثم من أصل نفسه، وملك أشرف مكان فيه: ولئلا يظن أن كتمان الشهادة من الآثام التي تتعلق باللسان فقط. وليعلم أن القلب أصل متعلقه ومعدن اقترافه، واللسان ترجمان عنه. ولأن أفعال القلوب أعظم من أفعال سائر الجوارح، وهي لها كالأصول التي تتشعب عنها. ألا ترى أن أصل الحسنات والسيئات الإيمان والكفر. وهما من أفعال القلوب فإذا جعل كتمان الشهادة من آثام القلوب فقد شهد له بأنه من معاظم الذنوب.وقوله: آثم خبر إن وقلبه رفع بآثم على الفاعلية كأنه قيل: فإنه يأثم قلبه. ويجوز أن يرتفع قلبه بالابتداء. وآثم خبر مقدم. والجملة خبر إن والضمير للشأن» «١» .ثم ختم- سبحانه- الآية بقوله: والله بما تعملون عليم أى: والله- تعالى- عليم بكل أعمالكم وأقوالكم وسائر شئونكم وسيجازى المحسنين إحسانا، والمسيئين سوءا فعليكم أيها المؤمنون أن تستجيبوا لأوامر الله، وأن تجتنبوا ما نهاكم عنه حتى تكونوا من

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٦١٩/١

السعداء.فالجملة الكريمة تذييل قصد به الوعد الحسن للمؤمنين الصادقين، والوعيد الشديد للعصاة_______________(١)
تفسير الكشاف ج ١ صفحة ٣٢٩.." (١)

"الاستئناف أى فهو يغفر. وقرأ الباقون بإسكانهما عطفا على جواب الشرط وهو قوله:يحاسبكم.وقوله: والله على كل شيء قدير تذييل مقرر لمضمون ما قبله فإن كمال قدرته- سبحانه- على جميع الأشياء موجب لقدرته على ما سبق ذكره من المحاسبة لعباده، وإثابة من يشاء إثابته وتعذيب من يشاء تعذيبه، فهو القاهر فوق عباده، وهو الحكيم الخبير.ثم ختم- سبحانه- سورة البقرة بآيتين كريمتين في أولاهما أن رسالة النبي صلى الله عليه وسلم امتداد للرسالات السماوية السابقة وخاتمة لها ومهيمنة عليها، وبين في الثانية أنه- سبحانه- لم يكلف الناس إلا بما في قدرتهم، وأنهم سيحاسبون على أعمالهم، وأن من شأن الأخيار أن يكثروا من التضرع إليه بخالص الدعاء. قال- تعالى-:[سورة البقرة (٢) : الآيات ٢٨٥ الى ٢٨٦]آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير (٢٨٥) لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين (٢٨٦)وقوله: آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون استئناف قصد به الإخبار عن الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بما يشرفهم ويعلى من أقدارهم ومنازلهم.أى: صدق الرسول صلى الله عليه وسلم بما أنزل إليه من ربه في هذه السورة وغيرها من العقائد والأحكام." (٢)

"بيوت غيركم بدون استئذان منهم.ثم بين- سبحانه- حالة أخرى توجب عليهم الاستئذان، فقال: فإن لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم ...أى: فإن لم تجدوا في هذه البيوت أحدا، بأن كانت خالية من سكانها لظرف من الظروف، فلا يصح لكم- أيضا- أن تدخلوها، حتى يؤذن لكم في دخولها ممن يملك الإذن بذلك.قال صاحب الكشاف: «وذلك أن الاستئذان لم يشرع لئلا يطلع الدامر- أى الداخل بغير إذن- على عورة، ولا تسبق عينه إلى ما لا يحل النظر إليه فقط، وإنما شرع لئلا يوقف على الأحوال التي يطويها الناس في العادة عن غيرهم، ويتحفظون من اطلاع أحد عليها، ولأنه تصرف في ملك غيرك، فلا بد من أن يكون برضاه. وإلا أشبه الغصب والتغلب» «١» .فالآية الأولى لبيان حكم دخول البيوت المسكونة بأهلها، وهذه لبيان حكم دخول البيوت الخالية من سكانها.وقوله- تعالى-: وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم بيان لما يجب عليهم في حالة عدم الإذن لهم بالدخول.أى: وإن قيل لكم من جهة أهل البيت ارجعوا ولا تدخلوا، فارجعوا ولا تلحوا في طلب الدخول، فإن هذا الرجوع هو أطهر لأخلاقكم، وأبقى لمرءوتكم. من الإلحاح في الاستئذان، ومن الوقوف على أبواب أصحابها قد تكون أحوالهم لا تسمح لكم بالدخول عليهم.وقوله- سبحانه-: والله بما تعملون عليم تذييل قصد به التحذير من مخالفة ما أمر الله- تعالى- به، وما نهى- سبحانه- عنه.أى: والله- تعالى- لا تخفى عليه خافية من أعمالكم، فأصلحوها، والتزموا باتباع ما أمركم به، وما نهاكم عنه، فإنه- سبحانه- سيجازيكم

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٦٥٥/١

(٢) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٦٥٨/١

عليها بما تستحقون من ثواب أو عقاب.فالمقصود من هذا الإخبار: إفادة لازمه وهو المجازاة على هذه الأعمال.وقوله- سبحانه-: ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم بمنزلة الاستثناء من الأحكام التي اشتملت عليها الآيتان السابقتان.فقد ذكر المفسرون أنه لما نزلت آية الاستئذان، قال بعض الصحابة يا رسول الله. كيف____________(١) تفسير الكشاف ج ٣ ص ٢٢٨. [.....]."(١)

"العباد الذين هداهم الله- سبحانه- إلى ما يحبه ويرضاه، هؤلاء الرجال الذين يعبدونه ويقدسونه في تلك المساجد التي أمر- سبحانه- بتشييدها وتعظيم قدرها، وصيانتها من كل سوء أو نجس، إنهم يسبحونه وينزهونه عن كل نقص، ويتقربون إليه بالصلوات وبالطاعات. في تلك المساجد في أول النهار وفي آخره، وفي غير ذلك من الأوقات.وخص- سبحانه- أوقات الغدو والآصال بالذكر، لشرفها وكونها أشهر ما تقع فيه العبادات.وقوله- تعالى-: رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله مدح وتكريم لهؤلاء الرجال.أى: يسبح لله- تعالى- في تلك المساجد بالغدو والآصال، رجال من شأنهم ومن صفاتهم، أنهم لا يشغلهم، «تجارة» مهما عظمت، «ولا بيع» ، مهما اشتدت حاجتهم إليه «عن ذكر الله» أى: عن تسبيحه وتحميده وتكبيره وتمجيده وطاعته.ولا تشغلهم- أيضا- هذه التجارات والبيوع عن «إقام الصلاة» في مواقيتها بخشوع وإخلاص، وعن «إيتاء الزكاة» للمستحقين لها. وذلك لأنهم «يخافون يوما» هائلا شديدا هو يوم القيامة الذي «تتقلب فيه القلوب والأبصار» أى تضطرب فيه القلوب والأبصار فلا تثبت من شدة الهول والفزع.ثم بين- سبحانه- الأسباب التي حملتهم على الإكثار من هذه الطاعات فقال:ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله.أى: إنهم يكثرون من تسبيح الله بالغدو والآصال، دون أن يشغلهم عن ذلك أى شاغل، لأنهم يرجون منه- سبحانه- أن يجزيهم أحسن الجزاء على أعمالهم، وأن يزيدهم من فضله وإحسانه، بما يليق بكرمه وامتنانه.«والله» - تعالى- «يرزق من يشاء» أن يرزقه «بغير حساب» أى: بدون حدود، ولا قيود، وبدون حصر لما يعطيه، لأن خزائنه لا تنقص ولا تنفد، حتى يحتاج إلى عد وحساب لما يخرج منها.فالجملة الكريمة **تذييل** قصد به التقرير للزيادة التي يتطلع إليها هؤلاء الرجال الصالحون، ووعد منه- عز وجل- بأنه سيرزقهم رزقا يزيد عما يتوقعونه.وبذلك نرى الآيات قد طوفت بنا مع نور الله- عز وجل- ومثلت له بما من شأنه أن يجعل النفوس يشتد استمساكها بالحق الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من عند ربه، ومدحت مدحا عظيما أولئك الرجال الأخيار، الذين يكثرون من طاعة الله- تعالى- في بيوته." (٢)

"ثم عقب- سبحانه- على هذه السخرية منهم بقوله: إن الله خبير بما تعملونأى:إن الله- تعالى- مطلع اطلاعا تاما على ظواهركم وبواطنكم فلا يحتاج منكم إلى قسم أو توكيد لأقوالكم، وقد علم- سبحانه- أنكم كاذبون في حلفكم.ثم يأمر- سبحانه- رسوله صلى الله عليه وسلم أن يرشدهم إلى الطاعة الصادقة. لا طاعتهم الكاذبة فيقول: قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول طاعة ظاهرة وباطنة، طاعة مصحوبة بصدق الاعتقاد، وكمال الإخلاص، فإن هذه الطاعة هي المقبولة منكم.وقوله- سبحانه- فإن تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم تحذير لهم من التمادي في نفاقهم وكذبهم.أى: مرهم-

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ١١٠/١٠

(٢) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ١٣١/١٠

أيها الرسول الكريم- بالطاعة الصادقة، فإن توليتم- أيها المنافقون- عن دعوة الحق وأعرضتم عن الصراط المستقيم، فإن الرسول الكريم ليس عليه سوى ما حملناه إياه. وهو التبليغ والإنذار والتبشير، وأما أنتم فعليكم ما حملتم، أى: ما أمرتم به من الطاعة له صلى الله عليه وسلم وهو قد فعل ما كلفناه به، أما أنتم فحذار أن تستمروا في نفاقكم.ثم أرشدهم- سبحانه- إلى طريق الفوز والفلاح فقال: وإن تطيعوه تهتدوا.أى: وإن تطيعوا أيها المنافقون- رسولنا صلى الله عليه وسلم في كل ما يأمركم به أو ينهاكم عنه، تهتدوا إلى الحق، وتظفروا بالسعادة.وقوله- تعالى-: وما على الرسول إلا البلاغ المبين **تذييل** مقرر لما قبله. من أن مغبة الإعراض عائدة عليهم. كما أن فائدة الطاعة راجعة لهم.أى: وما على الرسول الذي أرسلناه لإرشادكم إلى ما ينفعكم إلا التبليغ الواضح، والنصح الخالص، والتوجيه الحكيم.وبذلك ترى هذه الآيات الكريمة قد كشفت عن رذائل المنافقين، وحذرتهم من التمادي في نفاقهم، وأرشدتهم إلى ما يفيدهم ويسعدهم، كما وضحت ما يجب أن يكون عليه المؤمنون الصادقون من طاعة لله- تعالى- ولرسوله صلى الله عليه وسلم.ثم تركت السورة الكريمة الحديث عن المنافقين، لتسوق وعد الله الذي لا يتخلف للمؤمنين الصادقين، قال- تعالى-:." (١)

"وقوله- تعالى-: وجعلنا بعضكم لبعض فتنة بيان لسنة من سنن الله- تعالى- في خلقه، اقتضتها حكمته ومشيئته.أى: اختبرنا بعضكم ببعض، وبلونا بعضكم ببعض، ليظهر قوى الإيمان من ضعيفه، إذ أن قوى الإيمان لتصديقه بقضاء الله وقدره يثبت على الحق ويلتزم بما أمره الله- تعالى- به، أما ضعيف الإيمان فإنه يحسد غيره على ما آتاه الله- تعالى- من فضله. كما حسد المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم على منصب النبوة الذي أعطاه الله- تعالى- إياه وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم «١» .قال القرطبي: قوله- تعالى-: وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون أى: إن الدنيا دار بلاء وامتحان، فأراد- سبحانه- أن يجعل بعض العبيد فتنة لبعض على العموم في جميع الناس، فالصحيح: فتنة للمريض. والغنى: فتنة للفقير.. ومعنى هذا، أن كل واحد مختبر بصاحبه، فالغنى ممتحن بالفقير، فعليه أن يواسيه ولا يسخر منه، والفقير ممتحن بالغنى، فعليه أن لا يحسده. ولا يأخذ منه إلا ما أعطاه، وأن يصبر كل واحد منهما على الحق.. والرسول المخصوص بكرامة النبوة فتنة لأشراف الناس من الكفار في عصره ...فالفتنة: أن يحسد المبتلى المعافى. والصبر: أن يحبس كلاهما نفسه، هذا عن البطر وذاك عن الضجر.. «٢» .والاستفهام في قوله- تعالى-: أتصبرون للتقرير. أى: أتصبرون على هذا الابتلاء والاختبار فتنالوا من الله- تعالى- الأجر، أم لا تصبرون فيزداد همكم وغمكم؟ويصح أن يكون الاستفهام بمعنى الأمر. أى: اصبروا على هذا الابتلاء كما في قوله- تعالى-: ... وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم.. «٣» أى: أسلموا.. وكما في قوله- سبحانه-: فهل أنتم منتهون أى: انتهوا عن الخمر والميسر.ثم ختم- سبحانه- الآية الكريمة بقوله وكان ربك بصيرا أى: وكان ربك أيها الرسول الكريم- بصيرا بأحوال النفوس الطاهرة والخفية، وبتقلبات القلوب وخلجاتها.فاصبر على أذى قومك، فإن العاقبة لك ولأتباعك المؤمنين.فهذا **التذييل** فيه ما فيه من التسلية والتثبيت لفؤاد النبي صلى الله عليه وسلم.ثم حكت السورة للمرة الرابعة تطاول المشركين وجهالاتهم، وردت عليهم بما يخزيهم، وبينت

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ١٠/١٤٥

ما أعد لهم من عذاب في يوم لا ينفعهم فيه الندم.______________(١) سورة الزخرف الآية ٣١.(٢) تفسير القرطبي ج ١٣ ص ١٨.(٣) سورة آل عمران الآية ٢٠.." (١)

"وقوله يضاعف له العذاب يوم القيامة بدل من «يلق» بدل كل من كل. أى:يضاعف العذاب يوم القيامة لمن يرتكب شيئا من ذلك ويخلد فيه مهانا أى: ويخلد في ذلك العذاب خلودا مصحوبا بالذلة والهوان والاحتقار.ثم استثنى- سبحانه- التائبين من هذا العذاب المهين فقال: إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ...أى: يضاعف العذاب لمن يرتكب شيئا من تلك الكبائر. ويخلد فيه مهانا، إلا من تاب عنها توبة صادقة نصوحا، وآمن بالله- تعالى- إيمانا حقا، وداوم على إتيان الأعمال الصالحة، فأولئك التائبون المؤمنون المواظبون على العمل الصالح «يبدل الله- تعالى- سيئاتهم حسنات» بأن يمحو- سبحانه- سوابق معاصيهم- بفضله وكرمه- ويثبت بدلها لواحق طاعاتهم، أو بأن يحب إليهم الإيمان، ويكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان، ويجعلهم من الراشدين.قال الإمام ابن كثير ما ملخصه: وقوله: فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما في معناه قولان:أحدهما: أنهم بدلوا مكان عمل السيئات بعمل الصالحات. قال ابن عباس: هم المؤمنون. كانوا من قبل إيمانهم على السيئات، فرغب الله بهم عن ذلك فحولهم إلى الحسنات فأبدلهم مكان السيئات الحسنات..والثاني: أن تلك السيئات الماضية تنقلب بنفس التوبة النصوح حسنات، وما ذاك إلا أنه كلما تذكر ما مضى ندم واسترجع واستغفر فينقلب الذنب طاعة بهذا الاعتبار..روى الطبراني عن أبى فروة أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أرأيت رجلا عمل الذنوب كلها، ولم يترك حاجة ولا داجة فهل له من توبة؟ فقال له صلى الله عليه وسلم: «أأسلمت؟ قال:نعم.قال: فافعل الخيرات، واترك السيئات. فيجعلها الله لك خيرات كلها.قال: «وغدراتى وفجراتي؟ قال: نعم.» فما زال يكبر حتى توارى «١» .وقوله- تعالى-: وكان الله غفورا رحيما اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ما قبله.أى: وكان الله- تعالى- واسع المغفرة والرحمة لمن تاب إليه وأناب.______________(١) راجع تفسير ابن كثير ج ٦ ص ١٣٩.." (٢)

"وقوله- سبحانه- إنه لا يفلح الظالمون تذييل قصديه ببان سنة من سننه- تعالى- التي لا تتخلف أى إنه- سبحانه- قد اقتضت سنته أن لا يفوز الظالمون بمطلوب بل الذين يفوزون بالعاقبة الحميدة هم الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا.ولكن هذا الرد المهذب الحكيم من موسى- عليه السلام-، لم يعجب فرعون المتطاول المغرور فأخذ في إلقاء الدعاوى الكاذبة، التي حكاها القرآن عنه في قوله: وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري.أى: وقال فرعون لقومه- على سبيل الكذب والفجور- يا أيها الأشراف من أتباعى.إنى ما علمت لكم من إله سواي.وقوله هذا يدل على ما بلغه من طغيان وغرور، فكأنه يقول لهم: إنى لم أعلم بأن هناك إلها لكم سواي، ومالا أعلمه فلا وجود له.وقد قابل قومه هذا الهراء والهذيان، بالسكوت والتسليم، شأن الجهلاء الجبناء وصدق الله إذ يقول: فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوما فاسقين «١» ثم تظاهر بعد ذلك بأنه جاد في دعواه أمام قومه بأنه لا إله لهم سواه، وأنه حريص على معرفة الحقيقة، فقال

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ١٠/١٨٤

(٢) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ١٠/٢٢٠

لوزيره هامان: فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي أطلع إلى إله موسى.والصرح: البناء الشاهق المرتفع. أى: فاصنع لي يا هامان من الطين آجرا قويا، ثم هيئ لي منه بناء عاليا مكشوفا. أصعد عليه، لعلى أرى إله موسى من فوقه. والمراد بالظن في قوله: وإني لأظنه من الكاذبين اليقين. أى: وإنى لمتيقن أن موسى من الكاذبين في دعواه أن هناك إلها غيرى.. في هذا الكون.وهكذا. استخف فرعون بعقول قومه الجاهلين الجبناء، فأفهمهم أنه لا إله لهم سواه، وأن موسى كاذب فيما ادعاه.وشبيه بهذه الآية قوله- تعالى- وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب. أسباب السماوات فأطلع إلى إله موسى. وإني لأظنه كاذبا وكذلك زين لفرعون سوء عمله، وصد عن السبيل. وما كيد فرعون إلا في تباب. «٢»قال ابن كثير: وذلك لأن فرعون، بنى هذا الصرح، الذي لم ير في الدنيا بناء أعلى منه،______________(١) سورة الزخرف الآية ٥٤. [.....](٢) سورة غافر الآيتان ٣٦، ٣٧.." (١)

"أما معظم الرسل من قبلك- كموسى وعيسى وزكريا ويحيى وداود وسليمان فكانت مع تباعد زمانها عنك- أيضا- إلى غيرهم من بنى إسرائيل، ومن الأمم الأخرى. المتناثرة في أطراف الجزيرة العربية.فالمراد بالقوم على هذا الرأى: العرب المعاصرون له صلى الله عليه وسلم كما قال- تعالى-:لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون.ولعل هذا الرأى أقرب إلى سياق الآيات، وإلى إقامة الحجة على مشركي قريش، الذين وقفوا من الرسول صلى الله عليه وسلم موقف المكذب لرسالته، المعادى لدعوته.وقوله- سبحانه-: لعلهم يتذكرون **تذييل** قصد به حضهم على التذكر والاعتبار.أى: أرسلناك إليهم كي يتذكروا ما ترشدهم إليه، ويعتبروا بما جئتهم به، ويخشوا سوء عاقبة مخالفة إنذارك لهم.ثم أبطل- سبحانه- ما يتعللون به من معاذير فقال: ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم، فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين.ولولا الأولى: امتناعية، تدل على امتناع الجواب لوجود الشرط، وجوابها محذوف لدلالة الكلام عليه، و «أن» وما في حيزها في محل رفع بالابتداء.ولولا الثانية: تحضيضية، وجوابها قوله فنتبع آياتك.. وجملة فيقولوا عطف على أن تصيبهم ومن جملة ما في حيز لولا الأولى.والمعنى: ولولا أن تصيب هؤلاء المشركين مصيبة أى عقوبة شديدة. بسبب اقترافهم الكفر والمعاصي فيقولوا على سبيل التعلل عند نزول العقوبة بهم ربنا أى:يا ربنا هلا أرسلت إلينا رسولا من عندك فنتبع آياتك الدالة على صدقه ونكون من المؤمنين به وبما جاء به من آيات من عندك.أى: ولولا قولهم هذا، وتعللهم بأنهم ما حملهم على الكفر، إلا عدم مجيء رسول إليهم يبشرهم وينذرهم.. لولا ذلك لما أرسلناك إليهم، ولكنا أرسلناك إليهم لنقطع حجتهم، ونزيل تعللهم، ونثبت لهم أن استمرارهم على كفرهم- بعد إرسالك إليهم، كان بسبب عنادهم وجحودهم، واستحواذ الشيطان عليهم.قال الإمام ابن كثير: قوله- تعالى-: ولولا أن تصيبهم مصيبة أى: وأرسلناك إليهم- يا محمد لتقيم عليهم الحجة، ولتقطع عذرهم إذا جاءهم عذاب من الله بسبب كفرهم، فيحتجوا بأنهم لم يأتهم رسول ولا نذير، كما قال- تعالى- بعد ذكره إنزال كتابه." (٢)

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ١٠/٤٠٨

(٢) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ١٠/٤١٥

"والاستفهام في قوله: ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله.. للنفي والإنكار.أى: ولا أحد أضل ممن اتبع هواه وشيطانه، دون أن تكون معه هداية من الله– تعالى– تهديد إلى طريق الحق، لأن هذا الضال قد استحب العمى على الهدى. وآثر الغواية على الرشد.وقوله– سبحانه–: إن الله لا يهدي القوم الظالمين **تذييل** مبين لسنة الله– تعالى– في خلقه.أى: إنه– سبحانه– جرت سنته أن لا يهدى القوم الظالمين إلى طريق الحق بسبب إصرارهم على الباطل، وتجاوزهم لكل حدود الحق والخير.ثم أكد– سبحانه– قطع أعذارهم وحججهم بقوله: ولقد وصلنا لهم القول، لعلهم يتذكرون.وقوله. وصلنا من الوصل الذي هو ضد القطع، والتضعيف فيه للتكثير.أى: ولقد أنزلنا هذا القرآن عليك– أيها الرسول الكريم– متتابعا، وأنت أوصلته إليهم كذلك، ليتصل تذكيرك لهم، عن طريق ما اشتمل عليه من عقائد وآداب وأحكام وقصص.لعلهم يتذكرون أى: ليكون ذلك أقرب إلى تذكرهم وتعقلهم وتدبرهم، لأن استماعهم في كل يوم. أو بين الحين والحين إلى جديد منه، أدعى إلى تذكرهم واعتبارهم.فالمقصود بالآية الكريمة. قطع كل حجة لهم، وبيان أن القرآن الكريم قد أنزله– سبحانه– متتابعا ولم ينزله جملة واحدة، لحكم من أعظمها اتصال التذكير بهداياته بين حين وآخر، على حسب ما يجد في المجتمع من أحداث.وبذلك نرى الآيات الكريمة، قد أقامت ألوانا من الحجج والبراهين، على صدق النبي صلى الله عليه وسلم فيما يبلغه عن ربه، وعلى أن هذا القرآن من عند الله، كما حكت جانبا من شبهات المشركين، وردت عليها بما يبطلها.ثم تمدح السورة الكريمة بعد ذلك، طائفة من أهل الكتاب، استقامت قلوبهم، وخلصت نفوسهم من العناد، فاستقبلوا آيات الله– تعالى– ومن جاء بها استقبالا يدل على صدق إيمانهم، فقال– تعالى–:." (١)

"وقد ذكر المفسرون في سبب نزول الآية الأولى روايات منها ما أخرجه الترمذي، من أنها نزلت في سعد بن أبي وقاص، وذلك أنه حين أسلم، قالت له أمه حمنة بنت سفيان:يا سعد بلغني أنك صبأت، فو الله لا يظلني سقف بيت، وإن الطعام والشراب على حرام، حتى تكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ... فجاء سعد إلى النبي صلى الله عليه وسلم فشكى إليه ما قالته أمه.فنزلت هذه الآية.. فجاء سعد إليها فقال لها: يا أماه لو كانت لك مائة نفس، فخرجت نفسا نفسا ما تركت ديني، فكلي إن شئت، وإن شئت فلا تأكلى، فلما يئست منه أكلت وشربت ... » «١»وقوله: حسنا منصوب على أنه نعت لمصدر محذوف. أى: ووصينا الإنسان بوالديه إيصاء حسنا، وعبر بالمصدر للمبالغة في وجوب الإحسان إليهما، بأن يكون بارا بهما، وعطوفا عليهما، وسخيا معهما.وقوله– سبحانه–: وإن جاهداك معطوف على ما قبله بإضمار القول: أى:ووصينا الإنسان بوالديه حسنا، وقلنا له إن جاهداك أى: إن حملاك وأمراك لتشرك بي في العبادة أو الطاعة ما ليس لك به علم فلا تطعهما في ذلك، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.وقوله– سبحانه–: ما ليس لك به علم بيان للواقع، فهذا القيد لا مفهوم له، لأنه ليس هناك من إله في هذا الكون، سوى الله عز وجل.وقوله تعالى: إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون **تذييل** المقصود به التحذير من معصيته– سبحانه–.أى: إلى مرجعكم جميعا– أيها الناس– يوم القيامة، فأحاسبكم على أعمالكم حسابا دقيقا، وأجازى الذين أساءوا بما عملوا، وأجازى الذين أحسنوا بالحسنى.والذين آمنوا وعملوا الأعمال الصالحات لندخلنهم بفضلنا وإحساننا في الصالحين أى في زمرة الأقوام الصالحين

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٤١٨/١٠

الذين رضينا عنهم، ورضوا عنا.ثم يرسم القرآن الكريم بعد ذلك صورة واضحة لأصحاب القلوب المريضة، والنفوس الضعيفة، ويحكى جانبا من أقوالهم الفاسدة، ودعاواهم الكاذبة فيقول:______________(١) راجع تفسير القرطبي ج ١٣ ص ٣٢٨.." [١]

"بعض المعاصي، فأقول لك: إن الذنب ليس ذنب الصلاة، وإنما الذنب ذنب هذا المرتكب للمعاصي، لأنه لم يؤد الصلاة أداء مصحوبا بالخشوع والإخلاص ... وإنما أداها دون أن يتأثر بها قلبه.. ولعلها تنهاه في يوم من الأيام ببركة مداومته عليها، كما جاء في الحديث الشريف:«إن الصلاة ستنهاه» .وقوله- سبحانه-: ولذكر الله أكبر أى: ولذكر الله- تعالى- بجميع أنواعه من تسبيح وتحميد وتكبير وغير ذلك من ألوان العبادة والذكر، أفضل وأكبر من كل شيء آخر، لأن هذا الذكر لله- تعالى- في كل الأحوال، دليل على صدق الإيمان، وحسن الصلة بالله- تعالى-.قال الآلوسى ما ملخصه: قوله- تعالى-: ولذكر الله أكبر، قال ابن عباس، وابن مسعود، وابن عمر.. أى: ولذكر الله- تعالى- إياكم، أكبر من ذكركم إياه- سبحانه-..وروى عن جماعة من السلف أن المعنى: ولذكر العبد لله- تعالى-، أكبر من سائر الأعمال.أخرج الإمام أحمد عن معاذ بن جبل قال: ما عمل ابن آدم عملا أنجى له من عذاب الله يوم القيامة، من ذكر الله- تعالى-..وقيل: المراد بذكر الله: الصلاة. كما في قوله- تعالى-: فاسعوا إلى ذكر الله، أى: إلى الصلاة، فيكون المعنى: وللصلاة أكبر من سائر الطاعات، وإنما عبر عنها به، للإيذان بأن ما فيها من ذكر الله- تعالى- هو العمدة في كونها مفضلة على الحسنات، ناهية عن السيئات» «١» .ويبدو لنا أن المراد بذكر الله- تعالى- هنا: ما يشمل كل قول طيب وكل فعل صالح، يأتيه المسلم بإخلاص وخشوع، وعلى رأس هذه الأقوال والأفعال: التسبيح والتحميد والتكبير والتهليل، والصلاة وما اشتملت عليه من أقوال وأفعال..وأن المسلم متى أكثر من ذكر الله- تعالى-، كان ثوابه- سبحانه- له، وثناؤه عليه، أكبر وأعظم من كل قول ومن كل فعل.وقوله- سبحانه-: والله يعلم ما تصنعون **تذييل** قصد به الترغيب في إخلاص العبادة لله، والتحذير من الرياء فيها.______________(١) تفسير الآلوسى ج ٢٠ ص ١٦٥.." [٢]

"أى: هذا الكتاب ليس أساطير الأولين اكتتبها الرسول صلى الله عليه وسلم كما زعم المبطلون-، بل هو آيات بينات واضحات راسخات، في صدور المؤمنين به، الذين حفظوه وتدبروه وعملوا بتوجيهاته وإرشاداته، وعملوا بما فيه من حكم وأحكام وعقائد وآداب.ووصف الله- تعالى- المؤمنين بهذا القرآن بالعلم على سبيل المدح لهم، والإعلاء من شأنهم، حيث استطاعوا عن طريق ما وهبهم- سبحانه- من علم نافع، أن يوقنوا بأن هذا من عند الله، ولو كان من عند غير الله، لوجدوا فيه اختلافا كثيرا.وقوله- سبحانه-: وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون **تذييل** المقصود به ذم الذين تجاوزوا كل حق وصدق في أحكامهم وتصرفاتهم.أى: وما يجحد آياتنا مع وضوحها وسطوعها، وينكر كونها من عند الله- تعالى-، إلا الظالمون المتجاوزون لكل ما هو حق، ولكل ما هو صدق.ثم قصت علينا السورة الكريمة بعد ذلك طرفا من أقوال المشركين الفاسدة وأمرت الرسول صلى الله عليه وسلم أن يرد عليهم بما يزهق باطلهم، كما قصت علينا لونا من ألوان جهالاتهم،

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ١٦/١١

(٢) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٤٣/١١

حيث استعجلوا العذاب الذي لا يستعجله عاقل. فقال- تعالى-:[سورة العنكبوت (٢٩) : الآيات ٥٠ الى ٥٥]وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين (٥٠) أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون (٥١) قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا يعلم ما في السماوات والأرض والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون (٥٢) ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون (٥٣) يستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة بالكافرين (٥٤)يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون (٥٥)." [١]

"ثم بين- سبحانه- مظهرا من مظاهر قدرته فقال: يخرج الحي من الميت كإخراجه الإنسان من النطفة، والنبات من الحب، والمؤمن من الكافر ويخرج الميت من الحي كما في عكس هذه الأمور، كإخراجه النطفة من الإنسان، والحب من النبات، والكافر من المؤمن.ويحي الأرض بالنبات بعد موتها: أى: بعد قحطها وجدبها، كما قال- سبحانه-: وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت، وأنبتت من كل زوج بهيج، وقوله- تعالى-: وكذلك تخرجون **تذييل** قصد به تقريب إمكانية البعث من العقول والأفهام. أى: ومثل هذا الإخراج البديع للنبات من الأرض، وللحي من الميت، نخرجكم- أيها الناس- من قبوركم يوم القيامة، للحساب والجزاء.ثم أورد- سبحانه- بعد ذلك أنواعا من الأدلة على قدرته التي لا يعجزها شيء، فقال- تعالى- ومن آياته أن خلقكم من تراب، ثم إذا أنتم بشر تنتشرون.والآيات: جمع آية، وتطلق على الآية القرآنية، وعلى الشيء العجيب، كما في قوله- تعالى-: وجعلنا ابن مريم وأمه آية.. والمراد بها هنا: الأدلة الواضحة، والبراهين الساطعة، الدالة على وحدانية الله- تعالى- وقدرته.والمعنى: ومن آياته- سبحانه- الدالة على عظمته، وعلى كمال قدرته، أنه خلقكم من تراب، أى: خلق أباكم آدم من تراب، وأنتم فروع عنه.و «إذا» في قوله: ثم إذا أنتم بشر تنتشرون هي الفجائية.أى: خلقكم بتلك الصورة البديعة من مادة التراب التي لا يرى فيها رائحة للحياة، ثم صرتم بعد خلقنا إياكم في أطوار متعددة، بشرا تنشرون في الأرض، وتمشون في مناكبها، وتتقلبون فيها تارة عن طريق الزراعة، وتارة عن طريق التجارة، وتارة عن طريق الأسفار.. كل ذلك طلبا للرزق، ولجمع الأموال.وعبر- سبحانه- بثم المفيدة للتراخي، لأن انتشارهم في الأرض لا يتأتى إلا بعد مرورهم بأطوار متعددة، منها أطوار خلقهم في بطون أمهاتهم، وأطوار طفولتهم وصباهم، إلى أن يبلغوا سن الرشد.قال الشوكاني: وإذا الفجائية وإن كانت أكثر ما تقع بعد الفاء، لكنها وقعت هنا بعد ثم، بالنسبة إلى ما يليق بهذه الحالة الخاصة، وهي أطوار الإنسان، كما حكاها الله- تعالى- في." [٢]

"آخر، تعقبه مرحلة أخرى أشد منه في الضعف، وهي مرحلة الشيب والهرم والشيخوخة التي هي أرذل العمر، وفيها يصير الإنسان أشبه ما يكون بالطفل الصغير في كثير من أحواله..يخلق- سبحانه- ما يشاء خلقه وهو العليم بكل شيء القدير على كل شيء.فأنت ترى أن هذه الآية قد جمعت مراحل حياة الإنسان بصورها المختلفة.ثم بين- سبحانه- ما يقوله المجرمون عند ما يبعثون من قبورهم للحساب فقال:ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة.والمراد بالساعة:

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٤٨/١١

(٢) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٧٥/١١

يوم القيامة، وسميت بذلك لأنها تقوم في آخر ساعة من عمر الدنيا، أو لأنها تقع بغتة، والمراد بقيامها: حصولها ووجودها، وقيام الخلائق في ذلك الوقت للحساب أى: وحين تقوم الساعة ويرى المجرمون أنفسهم وقد خرجوا من قبورهم للحساب بسرعة ودهشة، يقسمون بأنهم ما لبثوا في قبورهم أو في دنياهم، غير وقت قليل من الزمان.قال ابن كثير: يخبر الله- تعالى- عن جهل الكفار في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا فعلوا ما فعلوا من عبادة الأصنام، وفي الآخرة يكون منهم جهل عظيم- أيضا- فمنه إقسامهم بالله أنهم ما لبثوا في الدنيا إلا ساعة واحدة. ومقصودهم بذلك عدم قيام الحجة عليهم، وأنهم لم ينظروا حتى يعذر إليهم «١» .وقوله: كذلك كانوا يؤفكون **تذييل** قصد به بيان ما جبلوا عليه من كذب.ويؤفكون من الإفك بمعنى الكذب. يقال: أفك الرجل، إذا صرف عن الخير والصدق أى: مثل هذا الكذب الذي تفوهوا به في الآخرة كانوا يفعلون في الدنيا، فهم في الدارين لا ينفكون عن الكذب وعن اختلاق الباطل.ثم حكى- سبحانه- ما قاله أهل العلم والإيمان في الرد عليهم، فقال: وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث.أى: وقال الذين أوتوا العلم والإيمان من الملائكة والمؤمنين الصادقين في الرد على هؤلاء المجرمين: لقد لبثتم في علم الله وقضائه بعد مفارقتكم الدنيا إلى يوم البعث، أى: إلى الوقت الذي حدده- سبحانه- لبعثكم، والفاء في قوله- تعالى-: فهذا يوم البعث هي__________(١) تفسير ابن كثير ج ٦ ص ٣٣١.." (١)

"وجوههم، وأمر الملائكة فقلعت أوتاد خيامهم، وأطفأت نيرانهم وقذفت في قلوبهم الرعب..فقال كل سيد قوم لقومه: يا بنى فلان: النجاء النجاء «١» .وقوله- سبحانه-: وكان الله بما تعملون بصيرا **تذييل** قصد به بيان مظهر آخر من مظاهر فضله- تعالى- عليهم.أى: جاءتكم تلك الجنود الكثيرة. فأرسلنا عليهم ريحا شديدة، وأرسلنا عليهم من عندنا جنودا لم تروها، وكنا فوق كل ذلك مطلعين على أعمالكم من حفر الخندق وغيره وسامعين لدعائكم، وقد أجبناه لكم، حيث رددنا أعداءكم عنكم دون أن ينالوا خيرا.ثم فصل- سبحانه- ما حدث للمؤمنين في هذه الغزوة، بعد هذا الإجمال، فقال:إذ جاؤكم من فوقكم أى: من أعلى الوادي من جهة المشرق. والجملة بدل من قوله إذ جاءتكم جنود. والمراد بالذين جاءوا من تلك الجهة: قبائل غطفان وهوازن..وانضم إليهم بنو قريظة بعد أن نقضوا عهودهم.ومن أسفل منكم أى: ومن أسفل الوادي من جهة المغرب، وهم قريش ومعهم أحابيشهم وحلفاؤهم.وقوله: وإذ زاغت الأبصار معطوف على ما قبله، داخل معه في حيز التذكير.أى: واذكروا وقت أن زاغت أبصاركم، ومالت عن كل شيء حولها، وصارت لا تنظر إلا إلى أولئك الأعداء. يقال: زاغ البصر يزيغ زيغا وزيغانا إذا مال وانحرف. ويقال- أيضا:زاغ البصر، إذا مل وتعب بسبب استدامة شخوصه من شدة الهول.وقوله وبلغت القلوب الحناجر بيان آخر لما أصاب المسلمين من بلاء بسبب إحاطة جيوش الأحزاب بهم.والحناجر: جمع حنجرة، وهي جوف الحلقوم، والمراد أن قلوبكم فزعت فزعا شديدا، حتى لكأنها قد انتقلت من أماكنها إلى أعلى، حتى قاربت أن تخرج من أفواهكم.فالآية تصور ما أصاب المسلمين من فزع وكرب في غزوة الأحزاب، تصويرا بديعا مؤثرا، يرسم حركات القلوب، وملامح الوجوه، وخلجات النفوس.وقوله- سبحانه- وتظنون بالله الظنونا بيان

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ١٠١/١١

لما دار في عقولهم من أفكار، حين رأوا الأحزاب وقد أحاطوا بالمدينة.______________(١) راجع تفسير الآلوسى ج ٢١ ص ١٥٦.." [١]

"أى: قل- أيها الرسول الكريم- لهؤلاء المنافقين: لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل، لأن كل إنسان لا بد له من نهاية تنتهي عندها حياته، سواء أكانت تلك النهاية عن طريق القتل بالسيف، أم عن طريق الموت على الفراش.وما دام الأمر كذلك، فعلى هؤلاء المنافقين أن يعلموا: أن الجبن لا يؤخر الحياة، وأن الشجاعة لا تقدمها عن موعدها. وصدق الله إذ يقول: ولكل أمة أجل، فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون.وقوله: إن فررتم.. جوابه محذوف لدلالة ما سبق عليه. أى: إن فررتم لن ينفعكم فراركم.وقوله: وإذا لا تمتعون إلا قليلا **تذييل** قصد به زجرهم عن الجبن الذي استولى عليهم.أى: إن فراركم من الموت أو القتل، إن نفعكم- على سبيل الفرض- لفترة من الوقت، فلن ينفعكم طويلا، لأنكم لن تتمتعوا بالحياة بعد هذا الفرار إلا وقتا قليلا، ثم ينزل بكم قضاء الله- تعالى- الذي لا مرد لكم منه، فما تفرون منه هو نازل بكم قطعا.ثم أمر الله- تعالى- رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقرعهم بحجة أخرى لا يستطيعون الرد عليها، فقال: قل من ذا الذي يعصمكم من الله، إن أراد بكم سوءا أو أراد بكم رحمة.أى: قل- أيها الرسول- لهؤلاء الجاهلين: من هذا الذي يملك أن يدفع ما يريده الله-." [٢]

"ولفظ «قليل» خبر مقدم و «ما» مزيدة للإبهام وللتعجب من قلتهم. و «هم» مبتدأ مؤخر.فكأنه- سبحانه- يقول: ما أقل هؤلاء المؤمنين الذين يعملون الصالحات ويحرصون على إعطاء كل ذي حق حقه، والجملة الكريمة اعتراض **تذييلى**.وبهذا نرى أن داود- عليه السلام- قد قضى بين الخصمين، بما يحق الحق ويبطل الباطل.ثم بين- سبحانه- ما حاك بنفس داود- عليه السلام- بعد أن دخل عليه الخصمان، وبعد أن حكم بينهما بالحكم السابق فقال: وظن داود أنما فتناه، فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب.والظن معناه: ترجيح أحد الأمرين على الآخر.وفتناه: بمعنى امتحناه واختبرناه وابتليناه، مأخوذ من الفتن بمعنى الابتلاء والاختبار.أى: وظن داود- عليه السلام- أن دخول الخصمين عليه بهذه الطريقة، إنما هو لأجل الاعتداء عليه. وأن ذلك لون من ابتلاء الله- تعالى- له، وامتحانه لقوة إيمانه، ولكن لما لم يتحقق هذا الظن، وإنما الذي تحقق هو القضاء بينهما بالعدل، استغفر ربه من ذلك الظن، «وخر راكعا» أى: ساجدا لله- تعالى- وعبر عنه بالركوع لأنه في كل منهما انحناء وخضوع لله- عز وجل- «وأناب» أى: ورجع داود إلى الله- تعالى- بالتوبة وبالمداومة على العبادة والطاعة.واسم الإشارة في قوله- تعالى-: فغفرنا له ذلك ... يعود إلى الظن الذي استغفر منه ربه، وهو ظنه بأن حضور الخصمين إليه بهذه الطريقة غير المألوفة، القصد منها الاعتداء عليه، فلما ظهر له أنهما حضرا إليه في خصومة بينهما ليحكم فيها، استغفر ربه من ذلك الظن السابق، فغفر الله- تعالى- له.فقوله: - تعالى-: فغفرنا له ذلك أى: فغفرنا له ذلك الظن الذي استغفر منه..وإن له عندنا لزلفى أى: لقربة منا ومكانة سامية وحسن مآب أى: وحسن مرجع في الآخرة وهو الجنة.ثم ختم- سبحانه- هذه القصة، بتلك التوجيهات الحكيمة، والآداب القويمة، التي وجهها- سبحانه- إلى

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ١١/١٨٢

(٢) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ١١/١٨٧

كل حاكم في شخص داود- عليه السلام- فقال: يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض ... والخليفة: هو من يخلف غيره وينوب منابه. فهو فعيل بمعنى." (١)

"وقوله- تعالى-: لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية ... بيان لحسن عاقبة المؤمنين، بعد بيان سوء عاقبة من حقت عليهم كلمة العذاب..والغرف جمع غرفة، وتطلق على الحجرة التي تكون مرتفعة عن الأرض.أى: هذا حال الذين حقت عليهم كلمة العذاب، أما حال الذين اتقوا ربهم فيختلف اختلافا تاما عن غيرهم، فإن الله- تعالى- قد أعد لهم- على سبيل التكريم والتشريف- غرفا من فوقها غرف أخرى مبنية..ووصفت بذلك للإشارة إلى أنها معدة ومهيأة لنزولهم فيها، قبل أن يقدموا عليها، زيادة في تكريمهم وحسن لقائهم.وهذه الغرف جميعها «تجرى من تحتها الأنهار» ليكون ذلك أدعى إلى زيادة سرورهم.وقوله- تعالى- وعد الله لا يخلف الله الميعاد **تذييل** مؤكد لمضمون ما قبله من كون المتقين لهم تلك الغرف المبنية. ولفظ «وعد» مصدر منصوب بفعل مقدر.أى: وعدهم- تعالى- بذلك وعدا لا يخلفه، لأنه- سبحانه- ليس من شأنه أن يخلف الموعد الذي يعده لعباده.وقد ذكر الإمام ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية بعض الأحاديث، منها ما رواه الإمام أحمد عن أبى مالك الأشعرى، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها، أعدها الله لمن أطعم الطعام، وألان الكلام، وتابع الصيام، وصلى والناس نيام» «١» .وبذلك نرى هذه الآيات الكريمة قد بشرت المتقين بأحسن البشارات وأكرمها، وتوعدت المصرين على كفرهم وفجورهم باستحالة إنقاذهم من عذاب النار.ثم ضرب- سبحانه- مثلا لسرعة زوال الحياة الدنيا، وقرب اضمحلال بهجتها.كما بين حال من شرح الله صدره للإسلام فقال- تعالى-:.__________(١) راجع تفسير ابن كثير ج ٧ ص ٨١.." (٢)

"أى: والملائكة ينزهون ربهم- تعالى- عن كل ما لا يليق بجلاله وكماله، خوفا منه- سبحانه-، ورهبة لذاته.وقوله: ويستغفرون لمن في الأرض معطوف على يسبحون. والمراد بمن في الأرض: المؤمنون بصفة خاصة، لأنهم هم الذين يستحقون ذلك، كما قال- تعالى- في آية أخرى: الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به، ويستغفرون للذين آمنوا.أى: أن الملائكة ينزهون الله- تعالى- عما لا يليق به. ويطلبون للمؤمنين من أهل الأرض عفو الله- تعالى- ورحمته وغفرانه.وقوله: ألا إن الله هو الغفور الرحيم **تذييل** قصد به الثناء على الله- تعالى- بما هو أهله.أى: ألا إن الله- تعالى- وحده، هو الواسع المغفرة والرحمة لمن يشاء من عباده، لا يمنعه من ذلك مانع، ولا يحاسبه على ما يفعل محاسب.ثم بين- سبحانه- سوء عاقبة المشركين فقال: والذين اتخذوا من دونه أولياء الله حفيظ عليهم وما أنت عليهم بوكيل.أى: والذين اتخذوا من دون الله- تعالى- شفعاء وشركاء ليقربوهم إليه زلفى، الله- تعالى- وحده رقيب عليهم، وسيجازيهم بما يستحقون من عقاب يوم القيامة، وما أنت- أيها الرسول الكريم- عليهم بحفيظ أو رقيب على أعمالهم، وإنما أنت عليك البلاغ ونحن علينا الحساب.ثم بين- سبحانه- الحكمة من إنزال هذا القرآن على الرسول صلى الله عليه وسلم كما بين أنواعا من الأدلة عن كمال قدرته، ووجوب إفراده بالعبادة والخضوع، ووجوب التحاكم إلى شريعته عند الاختلاف والتنازع. فقال- تعالى-

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ١٤٨/١٢

(٢) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٢١٠/١٢

:[سورة الشورى (٤٢) : الآيات ٧ الى ١٢]وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير (٧) ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة ولكن يدخل من يشاء في رحمته والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير (٨) أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولي وهو يحي الموتى وهو على كل شيء قدير (٩) وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله ذلكم الله ربي عليه توكلت وإليه أنيب (١٠) فاطر السماوات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا يذرؤكم فيه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير (١١)له مقاليد السماوات والأرض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه بكل شيء عليم (١٢)." [١]

"بتعريفهم، لأن التعريف تنويه وتشهير، فكأنه قال: ويهب لمن يشاء الفرسان الأعلام المذكورين الذين لا يخفون عليكم، ثم أعطى بذلك كلا الجنسين حقه من التقديم والتأخير، وعرف أن تقديمهن لم يكن لتقدمهن، ولكن لمقتض آخر، فقال: ذكرانا وإناثا، كما قال:إنا خلقناكم من ذكر وأنثى.. «١» .وقوله- تعالى- إنه عليم قدير **تذييل** قصد به تأكيد قدرته وحكمته. أى: إنه- سبحانه- واسع العلم بأحوال عباده وبما يصلحهم، قدير على كل شيء، فهو يفعل ما يفعله عن قدرة واختيار، لا مكره له ولا معقب لحكمه.ثم بين- سبحانه- الطرق التي بها يقع التكليم منه- تعالى- للمختارين من عباده فقال:وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا، أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء ...فهذه الآية الكريمة قد دلت على أن تكليم الله- تعالى- للبشر وقع على ثلاثة أوجه:الأول: عن طريق الوحى، وهو الإعلام في خفاء وسرعة عن طريق الإلقاء في القلب يقظة أو مناما، ويشمل الإلهام والرؤيا المنامية.والوحى مصدر أوحى، وقد غلب استعماله فيما يلقى للمصطفين الأخيار من الكلمات الإلهية.والثاني: عن طريق الإسماع من وراء حجاب، أى حاجز، بأن يسمع النبي كلاما دون أن يرى من يكلمه، كما حدث لموسى. عليه السلام- عند ما كلمه ربه- عز وجل-، وهذا الطريق هو المقصود بقوله- تعالى-: أو من وراء حجاب.والثالث: عن طريق إرسال ملك، وظيفته أن يبلغ الرسول ما أمره الله بتبليغه له، وهو المقصود بقوله- تعالى- أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء.وهذا الطريق الثالث قد وضحه الحديث الذي رواه الإمام البخاري عن عائشة- رضى الله عنها- أن الحارث بن هشام، سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، كيف يأتيك الوحى؟ فقال صلى الله عليه وسلم أحيانا يأتينى مثل صلصلة الجرس- وهو أشده على- أى: أحيانا يأتينى مشابها صوته وقوع الحديد بعضه على بعض- فيفصم عنى وقد وعيت عنه ما قال، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعى ما يقول.قالت عائشة: ولقد رأيته صلى الله عليه وسلم ينزل عليه الوحى في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه،__________(١) تفسير الكشاف ج ٤ ص ٢٣٢.." [٢]

"ثم بين- سبحانه- حسن عاقبة من يسلك هذا الطريق القويم فقال: أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ...واسم الإشارة يعود إلى الإنسان باعتبار الجنس. أى: أولئك الموصوفون بما ذكر من الصفات الجميلة، هم الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا من الأعمال الطيبة المتقبلة عندنا.. ونتجاوز عن سيئاتهم فلا نعاقبهم عليها، لكثرة توبتهم إلينا.. بل

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ١٤/١٣

(٢) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٥٠/١٣

نجعلهم في عداد أصحاب الجنة الخالدين فيها، والمتنعمين بخيراتها.فالجار والمجرور في قوله أصحاب الجنة في محل نصب على الحال، على سبيل التشريف والتكريم، كما تقول: أكرمني الأمير في أصحابه، أى: حالة كوني معدودا من أصحابه.وقوله- تعالى-: وعد الصدق الذي كانوا يوعدون **تذييل** مؤكد لما قبله. ولفظ وعد مصدر لفعل مقدر. أى: وعدهم الله- تعالى- وعد الصدق الذي كانوا يوعدون به على ألسنة الرسل في الدنيا.هذا، وقد ذكر بعض المفسرين أن هاتين الآيتين نزلتا في شأن أبي بكر الصديق- رضى الله عنه-، وقد استجاب الله دعاءه، فأسلم أبواه وأولاده جميعا.. «١» .وبعد أن ساق- سبحانه- هذه الصورة الوضيئة لأصحاب الجنة، أتبع ذلك ببيان صورة سيئة لنوع آخر من الناس، فقال- تعالى-:[سورة الأحقاف (٤٦) : الآيات ١٧ الى ٢٠]والذي قال لوالديه أف لكما أتعدانني أن أخرج وقد خلت القرون من قبلي وهما يستغيثان الله ويلك آمن إن وعد الله حق فيقول ما هذا إلا أساطير الأولين (١٧) أولئك الذين حق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين (١٨) ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون (١٩) ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون (٢٠)__________(١) راجع تفسير القرطبي ج ١٦ ص ١٩٤.." [(١)]

"وجاء «اقتتلوا» بلفظ الجمع، لأن لفظ الطائفة وإن كان مفردا في اللفظ إلا أنه جمع في المعنى، فروعى فيه المعنى هنا. وروعي فيه اللفظ في قوله بينهما.قالوا: والنكتة في ذلك أنهم في حال القتال يكونون مختلطين فلذا جاء الأسلوب بصيغة الجمع، وفي حال الصلح يكونون متميزين متفرقين فلذا جاء الأسلوب بصيغة التثنية.ثم بين- سبحانه- حكمه في حال اعتداء إحداهما على الأخرى فقال: فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله.والبغي: التعدي وتجاوز الحد والامتناع عن قبول الصلح المؤدى إلى الصواب.أى: فإن بغت إحدى الطائفتين على الأخرى، وتجاوزت حدود العدل والحق، فقاتلوا- أيها المؤمنون- الفئة الباغية، حتى تفيء وترجع إلى حكم الله- تعالى- وأمره، وحتى تقبل الصلح الذي أمرناكم بأن تقيموه بينهم.وقوله: فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا بيان لما يجب على المؤمنين أن يفعلوه مع الفئة الباغية، إذا ما قبلت الصلح ورجعت إلى حكم الله- تعالى-.أى: فإن رجعت الفئة الباغية عن بغيها، وقبلت الصلح، وأقلعت عن القتال، فأصلحوا بين الطائفتين إصلاحا متسما بالعدل التام وبالقسط الكامل.وقيد- سبحانه- الإصلاح بالعدل. ثم أكد ذلك بالأمر بالقسط حتى يلتزم الذين يقومون بالصلح بينهما العدالة التي لا يشوبها أى حيف أو جور على إحدى الطائفتين.وقوله: إن الله يحب المقسطين **تذييل** المقصود به حض المؤمنين على التقيد بالعدل في أحكامهم، لأن الله- تعالى- يحب من يفعل ذلك.وقوله: إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم.. استئناف مقرر لمضمون ما قبله من الأمر بوجوب الإصلاح بين المتخاصمين.أى: إنما المؤمنون إخوة في الدين والعقيدة، فهم يجمعهم أصل واحد وهو الإيمان، كما يجمع الإخوة أصل واحد وهو النسب، وكما ان أخوة النسب داعية إلى التواصل والتراحم والتناصر في جلب الخير، ودفع الشر، فكذلك الأخوة في الدين تدعوكم إلى التعاطف والتصالح، وإلى تقوى الله وخشيته، ومتى تصالحتم

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ١٣/١٩٣

واتقيتم الله- تعالى- كنتم أهلا لرحمته ومثوبته.قال صاحب الكشاف: فإن قلت: فلم خص الاثنان بالذكر دون الجمع في قوله: فأصلحوا بين أخويكم-؟." (١)

"وقوله: يحيي ويميت صفة أخرى من صفاته- عز وجل- أى: هو الخالق للحياة لمن شاء أن يحييه، وهو الخالق للموت لمن أراد أن يميته.وهذه الجملة خبر لمبتدأ محذوف، وهي في الوقت نفسه بدل اشتمال مما قبلها إذ الإحياء والإماتة، مما يشتمل عليه ملك السموات والأرض.وخص- سبحانه- هاتين الصفتين بالذكر، لأنه هو المتفرد بهما، ولا يستطيع أحد أن يدعى أن له عملا فيهما، ومن ادعى ذلك كانت دعواه من قبيل المغالطة والمجادلة بالباطل، إذ الموجد الحقيقي لهما هو الله- عز وجل- وما سواه فهو سبب لهما.وقوله- تعالى-: وهو على كل شيء قدير **تذييل** مؤكد لما قبله. أى: وهو- سبحانه- على كل شيء من الأشياء التي من جملتها ما ذكر- قدير على إيجادها أو إعدامها.ثم ذكر- سبحانه- صفات أخرى من صفاته الجليلة فقال: هو الأول والآخر، والظاهر والباطن، وهو بكل شيء عليم.أى: هو- سبحانه- الأول والسابق على جميع الموجودات، إذ هو موجدها ومحدثها ابتداء. فهو موجود قبل كل شيء وجودا لا حد ولا وقت لبدايته.والآخر أى: الباقي بعد هلاك وفناء جميع الموجودات، كما قال- تعالى-:كل شيء هالك إلا وجهه.وآثر لفظ الآخر على لفظ الباقي ليتم الطباق بين الوصفين المتقابلين ...وهو الظاهر أى: الظاهر وجوده عن طريق مخلوقاته التي أوجدها بقدرته إذ من المعروف عند كل عاقل أن كل مخلوق لا بد له من خالق، وكل موجود لا بد له من موجد.فلفظ الظاهر مشتق من الظهور الذي هو ضد الخفاء، والمراد به هنا ظهور الأدلة العقلية والنقلية على وجوده ووحدانيته وقدرته وعلمه.ويجوز أن يكون مشتقا من الظهور، بمعنى الغلبة والعلو على الغير، كما في قوله- تعالى-: إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ...وعليه يكون المعنى: وهو الغالب العالي على كل شيء.وهو الباطن من البطون بمعنى الخفاء والاستتار، أى: وهو- سبحانه- المحتجب بكنه ذاته عن أن تدركه الأبصار، أو أن تحيط بحقيقة ذاته العقول، كما قال- تعالى-." (٢)

"في شأنهم: هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا. ولله خزائن السماوات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون «١» .وقوله- سبحانه-: ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد **تذييل** المقصود به ذم هؤلاء البخلاء على بخلهم.وجواب الشرط محذوف، أغنت عنه جملة فإن الله هو الغني الحميد والغنى: هو الموصوف بالغنى- وهي صفة من صفات الله- عز وجل- إذ هو الغنى غنى مطلقا، والخلق جميعا في حاجة إلى عطائه- سبحانه- والحميد: وصف مبالغة من الحمد. والمراد به أنه- تعالى- كثير الحمد والعطاء للمنفقين في وجوه الخير.أى: ومن يعرض عن هدايات الله- تعالى- وعن إرشاداته ... فلن يضر الله شيئا، فإن الله- تعالى- هو صاحب الغنى المطلق الذي لا يستغنى عن عطائه أحد، وهو- سبحانه- كثير الحمد والعطاء لمن استجاب لأمره فأنفق مما رزقه الله بدون اختيال أو تفاخر أو أذى.ثم بين- سبحانه- أن حكمته قد اقتضت أن يرسل رسله إلى الناس، ليهدوهم إلى طريق الحق، وأن الناس منهم من اتبع الرسل، ومنهم من أعرض

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٣٠٩/١٣

(٢) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ١٩٨/١٤

عنهم، ومنهم من ابتدع أمورا من عند نفسه لم يرعها حق رعايتها.. فقال- تعالى-:[سورة الحديد (٥٧) : الآيات ٢٥ الى ٢٧]لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز (٢٥) ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون (٢٦) ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الإنجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون (٢٧)______________(١) سورة المنافقون الآية ٧.." (١)

"قلت: «معناه التوقع، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمجادلة كانا يتوقعان أن يسمع الله- تعالى- مجادلتها وشكواها، وينزل في ذلك ما يفرج كربها» «١» .والسماع في قوله- تعالى-: سمع بمعنى علم الله- تعالى- التام بما دار بين تلك المرأة، وبين الرسول صلى الله عليه وسلم واستجابته- سبحانه- لشكواها، وحكمه في تلك المسألة، بما يبطل ما كان شائعا بشأنها قبل نزول هذه الآية.وقوله: تجادلك من المجادلة، وهي المفاوضة على سبيل المغالبة والمنازعة، وأصلها من جدلت الحبل: إذا أحكمت فتله.وقوله: تشتكي من الشكو، وأصله فتح الشكوة- وهي سقاء صغير يجعل فيه الماء- وإظهار ما فيها، ثم شاع هذا الاستعمال في إظهار الإنسان لما يؤلمه ويؤذيه، وطلب إزالته.والمعنى: قد سمع الله- تعالى- سماعا تاما، قول هذه المرأة التي تجادلك- أيها الرسول الكريم- في شأن ما دار بينها وبين زوجها، وفيما صدر عنه في حقها من الظهار، وسمع- سبحانه- شكواها إليه، والتماسها منه- عز وجل- حل قضيتها، وتفريج كربتها، وإزالة ما نزل بها من مكروه.وقال- سبحانه- التي تجادلك بأسلوب الاسم الموصول للإشعار بأنها كانت في نهاية الجدال والشكوى، وفي أقصى درجات التوكل على ربها، والأمل في تفريج كربتها، رحمة بها وبزوجها وبأبنائها.وقوله- سبحانه-: والله يسمع تحاوركما جملة حالية، والتحاور: مراجعة الكلام من الجانبين. يقال: حاور فلان فلانا في الكلام إذا راجعه فيما يقوله.أى: والحال أن الله- تعالى- يسمع ما يدور بينك- أيها الرسول الكريم- وبين تلك المرأة، من مراجعة في الكلام، ومن أخذ ورد في شأن قضيتها.والمقصود بذلك، بيان الاعتناء بشأن هذا التحاور، والتنويه بأهميته، وأنه- تعالى- قد تكرم وتفضل بإيجاد التشريع الحكيم لحل هذه القضية.وعبر- سبحانه- بصيغة المضارع، لزيادة التنويه بشأن ذلك التحاور، واستحضار صورته في ذهن السامع، ليزداد عظة واعتبارا.وجملة: إن الله سميع بصير **تذييل** قصد به التعليل لما قبله بطريق التحقيق.______________(١) تفسير الكشاف ج ٤ ص ٧٠.." (٢)

"ثم غدا الضيف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لقد عجب الله الليلة من فلان وفلانة» وأنزل الله فيهما: ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة.. «١» .وقوله- سبحانه-: ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون **تذييل** قصد به حض الناس على التحلي بفضيلة السخاء والكرم.والشح: يرى بعضهم أنه بمعنى البخل، ويرى آخرون أن الشح غريزة في النفس تحملها على الإمساك والتقتير، وأما البخل فهو المنع ذاته، فكأن البخل أثر

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ١٤/٢٢٦

(٢) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ١٤/٢٤٥

من آثار الشح.قال صاحب الكشاف: «الشح» - بالضم والكسر وقد قرئ بهما-: اللؤم، وأن تكون نفس المرء كزة حريصة على المنع كما قال الشاعر:يمارس نفسا بين جنبيه كزة ... إذا هم بالمعروف قالت له مهلاوقد أضيف إلى النفس لأنه غريزة فيها، وأما البخل فهو المنع نفسه، ومنه قوله- تعالى-: وأحضرت الأنفس الشح ... «٢» .أى: ومن يوق- بتوفيق الله وفضله- شح نفسه وحرصها على الإمساك، فيخالفها فيما تأمره به من المنع والتقتير. فأولئك الذين يخالفونها هم المفلحون، الفائزون برضا الله- عز وجل-.ومن الأحاديث التي وردت في النهى عن الشح، ما أخرجه مسلم- في صحيحه- عن جابر بن عبد الله، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم، واستحلوا محارمهم» «٣» .ثم مدح- سبحانه- كل من سار على نهج المهاجرين والأنصار في قوة الإيمان، وفي طهارة القلب، وسماحة النفس فقال- تعالى-: والذين جاؤ من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا....قال الآلوسى: قوله: والذين جاؤ من بعدهم ... عطف عند الأكثرين أيضا على المهاجرين، والمراد بهؤلاء: قيل: الذين هاجروا حين قوى الإسلام، فالمجيء حسى، وهو مجيئهم إلى المدينة، وضمير من بعدهم، للمهاجرين الأولين.______________(١) تفسير الآلوسى ج ٢٨ ص ٥٢. وراجع تفسير القرطبي ج ١٨ ص ٢٤.(٢) تفسير الكشاف ج ٤ ص ٨٤.(٣) تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٣٣٩.." [1]

"وقد أعطى الرسول صلى الله عليه وسلم المؤمنين مهور نسائهم- اللاحقات بالمشركين- من الغنيمة «١» .ثم ختم- سبحانه- الآية الكريمة بقوله: واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون أى:واتقوا الله- تعالى- أيها المؤمنون- في كل شئونكم، ونفذوا ما أمركم به أو نهاكم عنه، فإن الإيمان الحق به- عز وجل- يستلزم منكم ذلك.فالمقصود بهذا **التذييل**، الحض على الوفاء بما أمر الله- تعالى- به، بدون تهاون أو تقاعس.وبعد أن بين- سبحانه- حكم النساء المؤمنات المهاجرات من دار الكفر إلى دار الإسلام، أتبع ذلك بأمر النبي صلى الله عليه وسلم بمبايعتهن وغيرهن على عدم الإشراك بالله تعالى-، وعلى اجتناب الفواحش ما ظهر منها وما بطن، فقال- تعالى-:[سورة الممتحنة (٦٠) : آية ١٢]يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم (١٢)فهذه الآية الكريمة، اشتملت على أحكام متممة للأحكام المشتملة عليها الآيتان السابقتان عليها.فكأن الله- تعالى- يقول: إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن- الله أعلم بإيمانهن- فإن علمتموهن مؤمنات، فلا ترجعوهن إلى الكفار.. وبايعهن أيها الرسول الكريم على إخلاص العبادة لله- تعالى-.قال القرطبي ما ملخصه: وفي صحيح مسلم عن عائشة قالت: كانت المؤمنات إذا هاجرن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يمتحن بهذه الآية.. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أقررن بذلك من قولهن، قال لهن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «انطلقن فقد بايعتكن» .______________(١) تفسير الكشاف ج ٤ ص ٥١٩.." [2]

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٢٩٩/١٤

(٢) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٣٤٣/١٤

"«وقد» في قوله- تعالى-: وقد تعلمون أني رسول الله إليكم للتحقيق، والجملة حالية، وجيء بالمضارع بعد «قد» للدلالة على أن علمهم بصدقه متجدد بتجدد ما يأتيهم به من آيات ومعجزات.قال الجمل: قوله: وقد تعلمون أني رسول الله إليكم قد للتحقيق. أى: تحقيق علمهم. أى: لا للتقريب ولا للتقليل، وفائدة ذكرها التأكيد، والمضارع بمعنى الماضي.أى: وقد علمتم، وعبر بالمضارع ليدل على استصحاب الحال، وعلى أنها مقررة للإنكار.فإن العلم برسالته يوجب تعظيمه، ويمنع إيذاءه لأن من عرف الله- تعالى- وعظمته، عظم رسوله «١» .ثم بين- سبحانه- ما ترتب على إيثارهم الغي على الهدى، فقال: فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم.والزيغ: هو الميل عن طريق الحق، يقال: زاغ يزيغ زيغا وزيغانا، إذا مال عن الجادة، وأزاغ فلان فلانا، إذا حوله عن طريق الخير إلى طريق الشر.أى: فلما أصروا على الميل عن الحق مع علمهم به. واستمروا على ذلك دون أن تؤثر المواعظ في قلوبهم ... أمال الله- تعالى- قلوبهم عن قبول الهدى. لإيثارهم الباطل على الحق، والضلالة على الهداية.كما قال- تعالى-: ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين، نوله ما تولى، ونصله جهنم وساءت مصيرا «٢» .وقوله- سبحانه-: والله لا يهدي القوم الفاسقين تذييل قصد به التقرير لما قبله، من أن الزيغ يؤدى إلى عدم الهداية، وبيان سنة من سنن الله في خلقه، وهي أن من استحب العمى على الهدى، وأصر على ذلك.. كانت عاقبته الخسران.أى: وقد اقتضت حكمة الله- تعالى- أن لا يهدى القوم الخارجين عن طريق الحق، إلى ما يسعدهم في حياتهم وبعد مماتهم، لأنهم هم الذين اختاروا طريق الشقاء، وأصروا على سلوكها.______________(١) حاشية الجمل على الجلالين ج ٤ ص ٣٣٦.(٢) سورة النساء الآية ١١٥.." [(١)]

"هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، ويعلم آخرين منهم لما يلحقوا بهم أى: لم يجيئوا بعد وسيجيئون ... وهم كل من آمن بالرسول من بعد الصحابة إلى يوم القيامة.قال صاحب الكشاف: وقوله: وآخرين مجرور عطف على الأميين يعنى: أنه بعثه في الأميين الذين على عهده، وفي آخرين من الأميين الذين لم يلحقوا بهم بعد، وسيلحقون بهم، وهم الذين بعد الصحابة.وقيل: لما نزلت قيل: من هم يا رسول الله، فوضع يده على سلمان ثم قال: «لو كان الإيمان عند الثريا لتناوله رجال من هؤلاء» .وقيل: هم الذين يأتون من بعدهم إلى يوم القيامة.ويجوز أن ينتصب عطفا على المنصوب في ويعلمهم أى يعلمهم ويعلم آخرين، لأن التعليم إذا تناسق إلى آخر الزمان كان كله مستندا إلى أوله، فكأنه هو الذي تولى كل ما وجد منه.. «١» .والمتأمل في هذه الآية الكريمة يراها تشير إلى أن دعوة النبي صلى الله عليه وسلم ستبلغ غير المعاصرين له صلى الله عليه وسلم وأنهم سيتبعونها، ويؤمنون بها، ويدافعون عنها..وهذا ما أيده الواقع، فقد دخل الناس في دين الله أفواجا من العرب ومن غير العرب، ومن أهل المشارق والمغارب..فالآية الكريمة تخبر عن معجزة من معجزات القرآن الكريم، ألا وهي الإخبار عن أمور مستقبلة أيدها الواقع المشاهد.وقوله- تعالى-: وهو العزيز الحكيم تذييل المقصود به بيان أن قدرته- تعالى- لا يعجزها شيء، وأن حكمته هي أسمى الحكم وأسداها.أى: وهو- سبحانه- العزيز الذي لا يغلب قدرته شيء، الحكيم فيما يريده ويقدره ويوجده.واسم الإشارة في قوله: ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ... يعود إلى ما تقدم ذكره من كرمه- تعالى- على عباده، حيث اختص

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ١٤/٣٥٧

رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بهذه الرسالة الجامعة لكل خير وبركة، وحيث وفق من وفق من الأميين وغيرهم، إلى اتباع هذا الرسول الكريم..____________(١) تفسير الكشاف ج ٤ ص ٥٣٠.." [1]

"نبذوا هذا العهد، وألقوا بما فوق أكتافهم من أحمال، وانقادوا لأهوائهم وشهواتهم انقياد الأعمى لقائده..ولفظ «ثم» في قوله ثم لم يحملوها للتراخي النسبي، لأن عدم وفائهم بما عهد إليهم، أشد عجبا من تحملهم لهذه العهود.وشبههم، بالحمار الذي هو مثل في البلادة والغباء، لزيادة التشنيع عليهم، والتقبيح لحالهم، حيث زهدوا وأعرضوا عن الانتفاع بأثمن شيء نافع، - وهو كتاب الله- كما هو شأن الحمار الذي لا يفرق فيما يحمله على ظهره بين الشيء النافع والشيء الضار.وجملة «يحمل أسفارا» في موضع الحال من الحمار، أو في موضع جر على أنها صفة للحمار، باعتبار أن المقصود به الجنس، فهو معرفة لفظا، نكرة معنى.قال صاحب الكشاف: فإن قلت: «يحمل» ما محله؟ قلت: محله النصب على الحال، أو الجر على الوصف، لأن لفظ الحمار هنا، كلفظ اللئيم في قول الشاعر: ولقد أمر على اللئيم يسبني.. «١» .ثم أضاف- سبحانه- إلى ذم هؤلاء اليهود ذما آخر فقال: بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله....وبئس فعل ذم، وفاعله ما بعده وهو قوله: مثل القوم وقد أغنى هذا الفاعل عن ذكر المخصوص بالذم، لحصول العلم بأن المذموم هو حال هؤلاء القوم الذين وصفهم- سبحانه- بأنهم قد كذبوا بآياته.أى: بئس المثل مثل هؤلاء القوم الذين كذبوا بآيات الله- تعالى- الدالة على وحدانيته وقدرته، وعلى صدق أنبيائه فيما يبلغونه عنه- تعالى-.وقوله: والله لا يهدي القوم الظالمين **تذييل** قصد به بيان الأسباب التي أدت إلى عدم توفيق الله- تعالى- لهم إلى الهداية.أى: والله- تعالى- قد اقتضت حكمته، أن لا يهدى إلى طريق الخير، من ظلم نفسه، بأن آثر الغي على الرشد، والعمى على الهدى، والشقاوة على السعادة، لسوء استعداده، وانطماس بصيرته.ثم أمر الله- تعالى- نبيه صلى الله عليه وسلم أن يتحدى اليهود، وأن يرد على مزاعمهم ردا يخرس____________(١) راجع تفسير الكشاف ج ٤ ص ٥٣٠.." [2]

"وقوله- سبحانه-: إنهم ساء ما كانوا يعملون **تذييل** قصد به بيان قبح أحوالهم، وسوء عاقبتهم.و «ساء» : فعل ماض بمعنى بئس في إفادة الذم، و «ما» موصولة والعائد محذوف.أى: إن هؤلاء المنافقين بئس ما كانوا يقولونه من أقوال كاذبة، وساء ما كانوا يفعلونه من أفعال قبيحة، سيكونون بسببها يوم القيامة في الدرك الأسفل من النار.واسم الإشارة في قوله- تعالى- بعد ذلك: ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا يعود إلى ما تقدم ذكره من الكذب، ومن الصد عن سبيل الله، ومن قبح الأقوال والأفعال.أى: ذلك الذي ذكر من حالهم الذي دأبوا عليه من الكذب والخداع والصد عن سبيل الله ... سببه أنهم آمنوا أى: نطقوا بكلمة الإسلام بألسنتهم دون أن يستقر الإيمان في قلوبهم، ثم كفروا، أى: ثم ارتكسوا في الكفر واستمروا عليه، وظهر منهم ما يدل على رسوخهم فيه ظهورا جليا، كقولهم: أنؤمن كما آمن السفهاء ... وكقولهم للمجاهدين:لا تنفروا في الحر....فطبع على قلوبهم أى: فختم الله- تعالى- عليها بالكفر نتيجة إصرارهم عليه، فصاروا، بحيث لا يصل إليها الإيمان.فهم لا يفقهون أى: فهم لا يدركون حقيقة الإيمان أصلا، ولا يشعرون به، ولا يفهمون حقائقه

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٣٧٩/١٤

(٢) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٣٨٢/١٤

لانطماس بصائرهم.وقوله: ذلك مبتدأ، وقوله بأنهم آمنوا ثم كفروا ... خبر: والباء للسببية.وثم للتراخي النسبي، لأن إبطان الكفر مع إظهار الإيمان أعظم من الكفر الصريح، وأشد ضررا وقبحا.قال صاحب الكشاف: فان قلت: المنافقون لم يكونوا إلا على الكفر الثابت الدائم، فما معنى قوله: آمنوا ثم كفروا؟.قلت: فيه ثلاثة أوجه: أحدها: آمنوا: أى نطقوا بكلمة الشهادة، وفعلوا كما يفعل من يدخل في الإسلام، ثم كفروا. أى: ثم ظهر كفرهم بعد ذلك وتبين بما أطلع الله عليه المؤمنين من قولهم: إن كان ما يقوله محمد صلى الله عليه وسلم حقا فنحن حمير..والثاني: آمنوا، أى: نطقوا بالإيمان عند المؤمنين، ثم نطقوا بالكفر عند شياطينهم استهزاء بالإسلام، كقوله- تعالى-: وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا، وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم.." (١)

"الكذب زعموا، ويتعدى إلى المفعولين تعدى العلم، كما قال الشاعر:وإن الذي قد عاش يا أم مالك يموت، ولم أزعمك عن ذاك معزلا و «أن» مع ما في حيزها قائم مقامهما «١» .وبلى حرف يذكر في الجواب لإثبات النفي في كلام سابق، والمراد هنا: إثبات ما نفوه وهو البعث.أى: زعم الذين كفروا من أهل مكة وأشباههم من المشركين، أنهم لن يبعثوا يوم القيامة، لأن البعث وما يترتب عليه من حساب، في زعمهم محال.قل لهم- أيها الرسول الكريم- على سبيل الجزم واليقين، كذبتم فيما تزعمونه من أنه لا بعث ولا حساب.. والله لتبعثن يوم القيامة، ثم لتنبؤن بما عملتموه في الدنيا من أعمال سيئة، ولتحاسبن عليها حسابا عسيرا، يترتب عليه الإلقاء بكم في النار.وجيء في نفى زعمهم بالجملة القسمية، لتأكيد أمر البعث الذي نفوه بحرف لن ولبيان ان البعث وما يترتب عليه من ثواب وعقاب، أمر ثابت ثبوتا قطعيا. وجملة ثم لتنبؤن بما عملتم ارتقاء في الإيطال. وثم للتراخي النسبي.أى: قل لهم إنكم لا تبعثون فحسب، بل ستبعثون، ثم تجدون بعد ذلك ما هو أشد من البعث، ألا وهو إخباركم بأعمالكم السيئة، ثم الإلقاء بكم في النار بعد ذلك.فالمراد بالإنباء لازمه، وهو ما يترتب عليه من حساب وعقاب.واسم الإشارة في قوله: وذلك على الله يسير يعود إلى البعث وما يترتب عليه من حساب.أى: وذلك البعث والحساب، يسير وهين على الله- تعالى- لأنه- سبحانه- لا يعجزه شيء، ولا يحول دون تنفيذ قدرته حائل.فهذا التذييل المقصود به إزالة ما توهموه وزعموه من أن البعث أمر محال، كما قالوا:أإذا ضللنا في الأرض أإنا لفي خلق جديد.والفاء في قوله- تعالى- فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا.. هي الفصيحة، أى: التي تفصح عن شرط مقدر.والمراد بالنور: القرآن الكريم، كما قال- تعالى-: وكذلك أوحينا إليك روحا من________(١) تفسير الكشاف ج ٤ ص ٥٤٨.." (٢)

"أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان، ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا «١» .والمعنى: إذا علمتم ما ذكرناه لكم- أيها المشركون- فاتركوا العناد، وآمنوا بالله- تعالى- ورسوله صلى الله عليه وسلم إيمانا حقا، وآمنوا- أيضا- بالقرآن الكريم الذي أنزلناه على عبدنا ورسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ليكون هذا القرآن معجزة ناطقة بصدقه صلى الله عليه وسلم.وجملة والله بما تعملون خبير تذييل قصد به الوعد والوعيد، أى: والله- تعالى- مطلع اطلاعا تاما على

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٤٠٢/١٤

(٢) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٤٢٧/١٤

كل تصرفاتكم، وسيمنحكم الخير إن آمنتم، وسيلقى بكم في النار إن بقيتم على كفركم.ثم حذرهم- سبحانه- من أهوال يوم القيامة فقال- تعالى-: يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن.والظرف يوم متعلق بقوله- تعالى- قبل ذلك: ثم لتنبؤن بما عملتم.والمراد بيوم الجمع: يوم القيامة. سمى بذلك لأنه اليوم الذي يجتمع فيه الأولون والآخرون في مكان واحد للحساب والجزاء.وسمى- أيضا بيوم التغابن، لأنه اليوم الذي يغبن فيه أهل الحق أهل الباطل.والتغابن تفاعل من الغبن بمعنى الخسران والنقص، يقال غبن فلان فلانا إذا بخسه حقه، بأن أخذ منه سلعة بثمن أقل من ثمنها المعتاد، وأكثر ما يستعمل الغبن في البيع والشراء، وفعله من باب ضرب، ويطلق الغبن على مطلق الخسران أى: قل- أيها الرسول الكريم- لهؤلاء الجاحدين للبعث: لتبعثن يوم القيامة ثم لتنبؤن بما عملتم يوم القيامة يوم يجتمع الخلائق للحساب فيغبن فيه أهل الحق أهل الباطل، ويغبن فيه المؤمنون الكافرين، لأن أهل الإيمان ظفروا بالجنة، وبالمقاعد التي كان سيظفر بها الكافرون لو أنهم آمنوا، ولكن الكافرين استمروا على كفرهم فخسروا مقاعدهم في الجنة، ففاز بها المؤمنون.قال القرطبي: يوم التغابن أى: يوم القيامة ... وسمى يوم القيامة بيوم التغابن، لأنه غبن أهل الجنة أهل النار.أى: أن أهل الجنة أخذوا الجنة، وأهل النار أخذوا النار على طريق المبادلة فوقع الغبن على الكافرين لأجل مبادلتهم الخير بالشر، والنعيم بالعذاب.______________(١) سورة الشورى الآية ٥٢.." (١)

"فالمراد بالإظهار: الاطلاع، وهو مشتق من الظهور بمعنى التغلب.وعبر بالإظهار عن الاطلاع، لأن حفصة وعائشة كانتا حريصتين على عدم معرفة ما دار بينهما في هذا الشأن، فلما أطلع الله- تعالى- نبيه على ذلك كانتا بمنزلة من غلبتا على أمرهما.وقوله- سبحانه-: عرف بعضه وأعرض عن بعض بيان للمسلك السامي الذي سلكه صلى الله عليه وسلم في معاتبته لحفصة على إفشائها لما أمرها أن تكتمه والمفعول الأول لعرف محذوف أى: عرفها بعضه.أى: فحين خاطب صلى الله عليه وسلم حفصة في شأن الحديث الذي أفشته، اكتفى بالإشارة إلى جانب منه، ولم يذكر لها تفاصيل ما قاله لها سابقا. لسمو أخلاقه صلى الله عليه وسلم إذ في ذكر التفاصيل مزيد من الخجل والإحراج لها.قال بعضهم: ما زال التغافل من فعل الكرام وما استقصى كريم قط وقال الشاعر:ليس الغبي بسيد في قومه ... لكن سيد قومه المتغابوإنما عرفها صلى الله عليه وسلم ببعض الحديث، ليوقفها على خطئها وعلى أنه كان من الواجب عليها أن تحفظ سره صلى الله عليه وسلم.قالوا: ولعل حفصة رضى الله عنها- قد فعلت ذلك، ظنا منها أنه لا حرج في إخبار عائشة بذلك، أو أنها اجتهدت فأخطأت، ثم تابت وندمت على خطئها.ثم حكى- سبحانه- ما قالته حفصة للرسول صلى الله عليه وسلم وما رد به عليها فقال: فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير.أى: فلما سمعت من الرسول صلى الله عليه وسلم ما يدل على أنه قد اطلع على ما قالته لعائشة، قالت له: من أخبرك بما دار بيني وبينها؟ فأجابها صلى الله عليه وسلم بقوله: أخبرنى بذلك الله- تعالى- العليم بجميع أحوال عباده وتصرفاتهم.. الخبير بما تكنه الصدور، وبما يدور في النفوس من هواجس وخواطر.وإنما قالت له صلى الله عليه وسلم: من أنبأك هذا لتتأكد من أن عائشة لم تخبره صلى الله عليه وسلم بما دار بينهما في هذا الشأن ... فلما قال لها صلى الله عليه وسلم: نبأني العليم الخبير تحقق ظنها في كتمان عائشة لما قالته لها، وتيقنت

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٤٢٨/١٤

أن الذي أخبره بذلك هو الله- عز وجل-.وفي **تذييل** الآية الكريمة بقوله: العليم الخبير إشارة حكيمة وتنبيه بليغ، إلى أن من الواجب على كل عاقل، أن يكون ملتزما لكتمان الأسرار التي يؤتمن عليها، وأن إذاعتها- ولو في أضيق الحدود- لا تخفى على الله- عز وجل- لأنه- سبحانه- عليم بكل معلوم،." (١)

"الابتداء كانت في حكم الموت.. وقيل: لأن أقوى الناس داعيا إلى العمل، من نصب موته بين عينيه، فقدم لأنه فيما يرجع على الغرض الذي سيقت له الآية أهم.قال قتادة: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الله- تعالى- أذل ابن آدم بالموت، وجعل الدنيا دار حياة، ثم دار موت، وجعل الآخرة دار جزاء ثم دار بقاء..»وعن أبي الدرداء أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لولا ثلاث ما طأطأ ابن آدم رأسه: الفقر والمرض والموت، وإنه مع ذلك لوثاب..»وقال العلماء: الموت ليس بعدم محض، ولا فناء صرف، وإنما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقته، وحيلولة بينهما، وتبدل حال، وانتقال من دار إلى دار، والحياة عكس ذلك.. «١» .وأوثر بالذكر من المخلوقات الموت والحياة، لأنهما أعظم العوارض لجنس الحيوان، الذي هو أعجب موجود على ظهر الأرض، والذي الإنسان نوع منه، وهو المقصود بالمخاطبة، إذ هو الذي رضى بحمل الأمانة التي عجزت عن حملها السموات والأرض..والتعريف في الموت والحياة للجنس. و «أحسن» أفعل تفضيل، لأن الأعمال التي يقوم بها الناس في هذه الحياة متفاوتة في الحسن من الأدنى إلى الأعلى.وجملة «وهو العزيز الغفور» **تذييل** قصد به أن جميع الأعمال تحت قدرته وتصرفه.أى: وهو- سبحانه- الغالب الذي لا يعجزه شيء الواسع المغفرة لمن شاء أن يغفر له ويرحمه من عباده، كما قال- تعالى-: وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى.ثم بين- سبحانه- مظهرا آخر من مظاهر قدرته التي لا يعجزها شيء فقال: الذي خلق سبع سماوات طباقا....والجملة الكريمة صفة للعزيز الغفور، أو عطف بيان أو بدل، أو خبر لمبتدأ محذوف.وطباقا صفة لسبع سموات. وهي مصدر طابق مطابقة وطباقا، من قولك: طابق فلان النعل، إذا جعله طبقة فوق أخرى، وهو جمع طبق، كجبل وجبال، أو جمع طبقة كرحبة ورحاب.. أى: هو- سبحانه- لا غيره الذي أوجد وخلق على غير مثال سابق سبع_______________(١) راجع تفسير القرطبي ج ١٨ ص ٢٠٦.." (٢)

"والسوط: آلة تتخذ من الجلود القوية، يضرب بها الجاني، وإضافتها إلى العذاب، من إضافة الصفة إلى الموصوف. أى: فصب عليهم ربك عذابا. «سوطا» أى: كالسوط في سرعته، وشدته وتتابعه، فهو تشبيه بليغ.وعبر- سبحانه- على إنزال العذاب بهم بالصب- وهو الإفراغ لما في الظرف بقوة- للإيذان بكثرته وتتابعه.وسميت أنواع العذاب النازلة بهم سوطا تسمية للشيء باسم آلته..قال صاحب الكشاف: وذكر السوط. إشارة إلى أن ما أحله بهم في الدنيا من العذاب العظيم بالقياس إلى ما أعد لهم في الآخرة، كالسوط إذا قيس إلى سائر ما يعذب به.وعن عمر بن عبيد: كان الحسن إذا أتى على هذه الآية قال: إن عند الله أسواطا كثيرة، فأخذهم بسوط منها.. «١» .وقوله- سبحانه-: إن ربك لبالمرصاد **تذييل** وتعليل لإصابتهم بسوط عذاب.والمرصاد في الأصل: اسم للمكان الذي يجلس فيه الجالس لترقب أو رؤية شيء ما.والمراد: إن

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٤٧٠/١٤

(٢) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٩/١٥

ربك- أيها الرسول الكريم- يرصد عمل كل إنسان، ويحصيه عليه، ويجازيه به، دون أن يخفى عليه- سبحانه- شيء في الأرض أو السماء.وفي هذه الآيات الكريمة تخويف شديد للكافرين، وتهديد لهم على إصرارهم في جحودهم، وأنهم إذا ما ساروا في طريق الجحود والعناد، فسيصيبهم ما أصاب هؤلاء الطغاة.ثم ذكر- سبحانه- حال الإنسان عند اليسر والعسر، والغنى والفقر، والسراء والضراء فقال:[سورة الفجر (٨٩) : الآيات ١٥ الى ٣٠]فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن (١٥) وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن (١٦) كلا بل لا تكرمون اليتيم (١٧) ولا تحاضون على طعام المسكين (١٨) وتأكلون التراث أكلا لما (١٩)وتحبون المال حبا جما (٢٠) كلا إذا دكت الأرض دكا دكا (٢١) وجاء ربك والملك صفا صفا (٢٢) وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى (٢٣) يقول يا ليتني قدمت لحياتي (٢٤)فيومئذ لا يعذب عذابه أحد (٢٥) ولا يوثق وثاقه أحد (٢٦) يا أيتها النفس المطمئنة (٢٧) ارجعي إلى ربك راضية مرضية (٢٨) فادخلي في عبادي (٢٩)وادخلي جنتي (٣٠)______________(١) تفسير الكشاف ج ٤ ص ٧٤٨. [.....]."[1]

"فالآيتان السابقتان تنفيان الاتحاد بينه صلى الله عليه وسلم وبينهم في المعبود، وهاتان الآيتان تنفيان الاتحاد في العبادة، والمقصود من ذلك المبالغة التامة في البراءة من معبوداتهم الباطلة، ومن عباداتهم الفاسدة، وأنه صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين، لا يعبدون إلا الله- عز وجل-، وهم بذلك يكونون قد اهتدوا إلى العبادة الصحيحة.وقوله- تعالى- : لكم دينكم ولي دين تذييل مؤكد لما قبله. والدين: يطلق بمعنى العقيدة التي يعتقدها الإنسان ويدين بها، وبمعنى الملة التي تجرى أقواله وأفعاله على مقتضاها، وبمعنى الحساب والجزاء. ومنه قولهم: دنت فلانا بما صنع، أى: جازيته على صنيعه.واللفظ هنا شامل لكل ذلك، أى: لكم- أيها الكافرون- دينكم وعقيدتكم التي تعتقدونها ولا تتجاوزكم إلى غيركم من المؤمنين الصادقين، فضلا عن رسولهم ومرشدهم صلى الله عليه وسلم، ولى ديني وعقيدتي التي هي عقيدة التوحيد، والتي بايعنى عليها أتباعى المؤمنون، وهي مقصورة علينا، وأنتم محرومون منها، وسترون سوء عاقبة مخالفتكم لي.وقدم- سبحانه- المسند على المسند إليه، لإفادة القصد والاختصاص فكأنه قيل: لكم دينكم لا لغيركم، ولى ديني لا لغيري والله- تعالى- هو أحكم الحاكمين بيني وبينكم.وبذلك نرى السورة الكريمة، قد قطعت كل أمل توهم الكافرون عن طريقه الوصول إلى مهادنة النبي صلى الله عليه وسلم، وإلى الاستجابة لشيء من مطالبهم الفاسدة، وإنما هو صلى الله عليه وسلم بريء براءة تامة منهم ومن معبوداتهم وعباداتهم.وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.." [2]

"الوقود- بفتح الواو- هو ما توقد به النار كالحطب وغيره. وأصله من وقدت النار تقد إذا اشتعلت. والوقود- بضم الواو- المصدر عند أكثر اللغويين.والمعنى: إن الذين كفروا بالحق لما جاءهم، وعموا وصموا عن الاستجابة له، لن تنفعهم أموالهم ولا أولادهم يوم القيامة، ولن تدفع عنهم شيئا من عذاب الله الذي استحقوه بسبب كفرهم، واغترارهم بكثرة المال، وعزة النفر، وقوة العصبية وقد أكد- سبحانه- هذا الحكم ردا على مزاعمهم الباطلة من أن ذلك سينفعهم فقد حكى

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٣٨٨/١٥

(٢) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٥٢٧/١٥

القرآن عنهم أنهم قالوا: نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين فبين- سبحانه- أنه بسبب كفرهم الذي أصروا عليه، لن تنفعهم أموالهم ولا أولادهم أى نفع من وقوع عذاب الله عليهم.ومن في قوله من الله لابتداء الغاية وشيئا منصوب على المصدرية. أى شيئا من الإغناء. أو النفع، لأن الذي ينفع الناس يوم القيامة إنما هو إيمانهم وعملهم الصالح.والإشارة في قوله وأولئك هم وقود النار لأولئك الكافرين الذين غرهم بالله الغرور.أى: وأولئك الكافرون الذين اغتروا بأموالهم وأولادهم ولم يعيروا أسماعهم أى التفات إلى الحق هم وقود النار أى حطبها. أى أن النار يشتد اشتعالها فيهم حتى لكأنهم هم مادتها التي بها تتقد وتشتعل.وجيء بالإشارة في قوله وأولئك لاستحضارهم في الأذهان حتى لكأنهم بحيث يشار إليهم، وللتنبيه على أنهم أحرياء بما سيأتى من الخبر وهو قوله هم وقود النار. وكانت الإشارة للبعيد، للإشعار بغلوهم في الكفر، وانغماسهم فيه إلى منتهاه، ولذلك كانت العقوبة شديدة.وقوله وأولئك مبتدأ، وهم ضمير فصل والخبر قوله: وقود النار والجملة مستأنفة مقررة لعدم الإغناء. وفي هذا **التذييل** تهديد شديد للكفار الذين اغتروا بأموالهم وأولادهم ببيان أن ما اغتروا به لن يحول بينهم وبين الخلود في النار.." (١)

"الذي قال: أنبئكم به، فلا يكون بالكلام حينئذ حاجة إلى ضمير» «١» .وثانى هذه النعم عبر عنه- سبحانه- بقوله خالدين فيها أى أن هؤلاء الذين اتقوا ربهم خالدون في تلك الجنات التي فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين خلودا أبديا، بخلاف أولئك المنعمين بنعم الدنيا فإن نعيمهم إلى فناء وزوال.وثالث هذه النعم قوله- تعالى- وأزواج مطهرة.والأزواج: جمع زوجة وهي المرأة يختص بها الرجل. أى ولهم في تلك الجنات أزواج مطهرة غاية التطهير من كل دنس وقذر حسى ومعنوي، فقد وصف- سبحانه- هؤلاء الأزواج بصفة واحدة جامعة لكل ما يتمناه الرجل في المرأة.ورابع هذه النعم قوله- تعالى- ورضوان من الله وهذه النعمة هي أعظم النعم وأجلها أى لهم رضا عظيم من خالق الخلق، ومبدع الكون، ومنشئ الوجود. وهو مصدر كالرضا، ولكن يزيد عليه أنه الرضا العظيم، لأن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى، ولأن التنكير قصد به التفخيم والتعظيم.وقوله من الله صفة لرضوان مؤكدة لما أفاده التنكير من الفخامة.روى الشيخان عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله- عز وجل- يقول لأهل الجنة يوم القيامة: يا أهل الجنة فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، فيقول: هل رضيتم؟فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك؟ فيقول: أنا أعطيكم أفضل من ذلك؟ قالوا: يا ربنا وأى شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا» «٢» .هذه هي اللذائذ والمتع والنعم التي أعدها الله- تعالى- لعباده المتقين.ثم ختم- سبحانه- الآية بقوله: والله بصير بالعباد أى أنه- سبحانه- عليم بأحوال عباده، لا تخفى عليه خافية من شئونهم. وسيجازى الذين أساءوا بما عملوا، ويجازى الذين أحسنوا بالحسنى. ففي هذا **التذييل** وعد للمتقين ووعيد للمسيئين.ثم حكى- سبحانه- أقوال هؤلاء المتقين ومدحهم على إيمانهم وصلاحهم فقال- تعالى- الذين يقولون ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار أى أن هذه الجنات وغيرها من أنواع النعم قد أعدها الله- تعالى- لهؤلاء المتقين الذين يضرعون إلى الله ملتمسين منه

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٣٨/٢

المغفرة_____________(١) تفسير ابن جرير ج ٣ ص ٢٠٦ طبعة مصطفى الحلبي الطبعة الثانية سنة ١٣٧٣ هـ ١٩٥٤ م(٢) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق. باب صفة الجنة والنار ج ٩ ص ١٤٨. [.....]."[(١)]

"والاستفهام في قوله أأسلمتم للحض على أن يسلموا وجوههم الله، ويتبعوا الرسول صلى الله عليه وسلم كما اتبعه المسلمون.والمعنى: فإن جادلوك في الدين- يا محمد- بعد أن تبين لكل عاقل صدقك، فقل لهؤلاء المعاندين إنى أسلمت وجهى الله وكذلك أتباعى أسلموا وجوههم الله، وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أسلموا تسلموا فقد تبين لكم أنى على حق، ومن شأن العاقل أنه إذا تبين له الحق أن يدخل فيه وأن يترك العناد والمكابرة.قال صاحب الكشاف: وقوله أأسلمتم يعنى أنه قد أتاكم من البينات ما يوجب الإسلام ويقتضى حصوله لا محالة فهل أسلمتم أم أنتم بعد على كفركم وهذا كقولك لمن لخصت له المسألة ولم تبق من طرق البيان طريقا إلا سلكته: هل فهمتها لا أم لك. ومنه قوله- تعالى- فهل أنتم منتهون بعد ما ذكر الصوارف عن الخمر والميسر. وفي هذا الاستفهام استقصار- أى عد المخاطب قاصرا- وتعيير بالمعاندة وقلة الإنصاف، لأن المنصف إذا تجلت له الحجة لم يتوقف في إذعانه للحق «١» .ثم بين- سبحانه- ما يترتب على إسلامهم من نتائج، وما يترتب على إعراضهم من شرور تعود عليهم فقال: فإن أسلموا فقد اهتدوا، وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد.أى: فإن أسلموا وجوههم الله وصدقوا بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فقد اهتدوا إلى طريق الحق، لأن هذا الإسلام هو الدين الذي ارتضاه الله للناس وإن أعرضوا عن هذا الطريق المستقيم، فإن إعراضهم لن يضرك- أيها الرسول الكريم- لأن الذي عليك إنما هو تبليغ الناس ما أمرك الله بتبليغه إياهم. وهو- سبحانه- بصير بخلقه لا تخفى عليه خافية من أقوالهم أو أفعالهم، وسيجازى كل إنسان بما يستحقه.وعبر بالماضي في قوله فقد اهتدوا مبالغة في الإخبار بوقوع الهدى لهم وقوله فإنما عليك البلاغ قائم مقام جواب الشرط أى وإن تولوا لا يضرك توليهم شيئا إذ ما عليك إلا البلاغ وقد أديته على أكمل وجه وأبلغه.وقوله والله بصير بالعباد تذييل فيه عزاء للنبي صلى الله عليه وسلم عن كفرهم، وإشارة إلى أحوالهم، وإنذار بسوء مصيرهم، لأنه- سبحانه- عليم بنفوس الناس جميعا وسيجازى كل إنسان بما يستحقه، وفيه كذلك وعد للمؤمنين بحسن العاقبة، وجزيل الثواب._____________(١) تفسير الكشاف ج ١ ص ٣٤٧.." [(٢)]

"وسيجازيهم على أعمالهم بما يستحقون فاحذروا التعرض لعقابه، وقوله وإلي المصير تذييل مقرر لمضمون ما قبله ومحقق لوقوعه. هذا، ولبعض العلماء كلام طويل عن التقية- وهي أن يظهر الإنسان خلاف ما يبطن مخافة الأذى الشديد- فقد قال الآلوسى ما ملخصه:«وفي الآية دليل على مشروعية التقية، وعرفوها بالمحافظة على النفس أو العرض من شر الأعداء..والعدو قسمان:الأول: من كانت عداوته مبنية على اختلاف الدين كالكافر والمسلم.والثاني: من كانت عداوته مبنية على أغراض دنيوية كالمال والمتاع والإمارة، ومن هنا صارت التقية قسمين:أما القسم الأول فالحكم الشرعي فيه أن كل مؤمن وقع في محل لا يمكن له فيه أن يظهر دينه لتعرض المخالفين له بالعداوة فإنه يجب عليه أن يهاجر من ذلك المكان

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٢/٥٢

(٢) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٢/٦٠

إلى مكان يستطيع فيه أن يظهر دينه، إلا إذا كان ممن لهم عذر شرعي كالنساء والصبيان والعجزة فقد قال تعالى: إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا. إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم، وكان الله عفوا غفورا.وإذا كان التخويف بالقتل ونحوه جاز له المكث والموافقة لهم ظاهرا بقدر الضرورة مع السعي في حيلة للخروج والفرار بدينه.والموافقة لهم حينئذ رخصة، وإظهار ما في قلبه عزيمة فلو مات مات شهيدا بدليل ما روى من أن مسيلمة الكذاب أخذ رجلين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال لأحدهما: «أتشهد أن محمدا رسول الله؟ قال: نعم، نعم، نعم فقال له: أتشهد أنى رسول الله؟ قال: نعم. ثم دعا الثاني فقال له أتشهد أن محمدا رسول الله؟ قال نعم. فقال له: أتشهد أنى رسول الله؟ قال إنى أصم، قالها ثلاثا، فضرب عنقه، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «أما هذا المقتول فقد مضى على صدقه ويقينه فهنيئا له. وأما الآخر فقد قبل رخصة الله فلا تبعة عليه» .وأما القسم الثاني وهو من كانت عداوته بسبب المال والإمارة وما إلى ذلك، فقد اختلف في وجوب هجرة صاحبه، فقال بعضهم تجب لأن الله قد نهى عن إضاعة المال. وقال آخرون لا تجب، لأنها لمصلحة دنيوية ولا يعود على من تركها نقصان في الدين.وعد قوم من باب التقية الجائزة مداراة الكفار والفسقة والظلمة وإلانة الكلام لهم والتبسم." (١)

"ممن يوجه إليهم الخطاب، قل لهم على سبيل الإرشاد والتحذير إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه من ولاية الكفار أو غيرها من الأقوال والأفعال يعلمه الله فيجازيكم عليه بما تستحقون.وفي أمر النبي صلى الله عليه وسلم بتوجيه هذا القول إلى المخاطبين ترهيب لهم من الآمر وهو الله- تعالى- لأن هذا التنويع في الخطاب من شأنه أن يربى المهابة في القلوب. وذلك- والله المثل الأعلى- كأن يقول الملك للمخالفين من رعيته: أحذركم من مخالفتي، ثم يأمر أحد أصفيائه بأن يكرر هذا التحذير وأن يبين لهم سوء عاقبة المخالفين.وقوله ويعلم ما في السماوات وما في الأرض جملة مستأنفة وليست معطوفة على جواب الشرط وهو يعلمه الله، وذلك لأن علمه- سبحانه- بما في السموات والأرض ليس متوقفا على شرط فلذلك جيء به مستأنفا. وهذا من باب ذكر العام بعد الخاص وهو علم ما في صدوركم تأكيدا له وتقريرا.وقوله والله على كل شيء قدير **تذييل** قصد به الإخبار بأنه مع علمه الواسع المحيط، ذو قدرة نافذة على كل شيء وهذا لون من التهديد والتحذير لأن الذي يتوعد غيره بشيء لا يحول بينه وبين تحقيق هذا الشيء إلا أحد أمرين: الجهل بجريمة المجرم، أو العجز عن تنفيذ وعيده، فلما أعلمهم- سبحانه- بأنه محيط بكل شيء وقادر على كل شيء، ثبت أنه- سبحانه متمكن من تنفيذ وعيده.قال صاحب الكشاف: «وقوله والله على كل شيء قدير أى: هو قادر على عقوبتكم وهذا بيان لقوله ويحذركم الله نفسه لأن نفسه وهي ذاته المميزة من سائر الذوات، متصفة بعلم ذاتى لا يختص بمعلوم دون معلوم. فهي متعلقة بالمعلومات كلها وبقدرة ذاتية لا تختص بمقدور دون مقدور، فهي قادرة على المقدورات كلها فكان حقها أن تحذر وتتقى فلا يجسر أحد على قبيح ولا يقصر عن واجب فإنه مطلع عليه لا محالة فلا حق به العقاب. ولو علم بعض عبيد السلطان أنه أراد الاطلاع على أحواله، فوكل همه بما يورد ويصدر، ونصب عليه عيونا، وبث من يتجسس عن بواطن أموره: لأخذ حذره

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٢/٧٧

وتيقظ في أمره، واتقى كل ما يتوقع فيه الاسترابة به، فما بال من علم أن العالم بالذات- يعنى أن علمه بذاته لا بعلم زائد عن ذاته كعلم الحوادث وهذا عند المعتزلة- الذي يعلم السر وأخفى مهيمن عليه وهو آمن. اللهم إنا نعوذ بك من اغترارنا بسترك» «١» .ثم كرر- سبحانه- التحذير من الحساب يوم القيامة وما يقع فيه من أهوال ورغب المؤمنين______________(١) تفسير الكشاف ج ١ ص ٣٢٥.." (١)

"وإن في ذلك التسلسل دليلا على أن الله- تعالى- قد اقتضت حكمته أن يجعل في الإنسانية من يهديها إلى الصراط المستقيم فقد ابتدأت الهداية بآدم أبى البشر كما قال- تعالى-: ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى ثم جاء من بعده بقرون لا يعلمها إلا الله نوح- عليه السلام- فمكث يدعو الناس إلى وحدانية الله وإلى مكارم الأخلاق «ألف سنة إلا خمسين عاما» ثم جاء من بعد ذلك إبراهيم- عليه السلام- فدعا الناس إلى عبادة الله وحده، فكان هو صفوة الخلق وفيهم النبوة فمن إسماعيل بن إبراهيم كان محمد صلى الله عليه وسلم الذي ختمت به الرسالات السماوية.ومن إسحاق وبنيه كان عدد من الأنبياء كداود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون..ومن فرع إسحاق كان آل عمران وهم ذريته وأقاربه كزكريا ويحيى وعيسى الذي كان آخر نبي من هذا الفرع.وفي التعبير بالاصطفاء تنبيه إلى أن آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران صفوة الخلق، إذ أن الرسل والأنبياء جميعا من نسلهم.وقوله على العالمين أى على عالمي زمانهم. أى أهل زمان كل واحد منهم.ثم صرح- سبحانه- بعد ذلك بتسلسل هذه الصفوة الكريمة بعضها من بعض فقال ذرية بعضها من بعض وأصل الذرية- كما يقول القرطبي- فعلية من الذر، لأن الله- تعالى- أخرج الخلق من صلب آدم كالذر حين أشهدهم على أنفسهم- وقيل هو مأخوذ من ذرأ الله الخلق يذرؤهم ذرءا خلقهم، ومنه الذرية وهي نسل الثقلين» «١» .والمعنى: أن أولئك المصطفين الأخيار بعضهم من نسل بعض، فهم متصلو النسب، فنوح من ذرية آدم، وآل إبراهيم من ذرية نوح، وآل عمران من ذرية آل إبراهيم، فهم جميعا سلسلة متصلة الحلقات في النسب، والخصال الحميدة.وقوله ذرية منصوب على الحال من آل إبراهيم وآل عمران. ثم ختم- سبحانه- الآية بقوله: والله سميع عليم أى هو- سبحانه- سميع لأقوال عباده في شأن هؤلاء المصطفين الأخيار وفي شأن غيرهم عليم بأحوال خلقه علما تاما بحيث لا تخفى عليه خافية تصدر عنهم.والجملة الكريمة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها، ومؤكد له.ثم حكى سبحانه ما قالته امرأة عمران عند ما أحست بعلامات الحمل فقال تعالى: إذ قالت امرأت عمران رب إني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني والظرف «إذ» في محل النصب______________(١) تفسير القرطبي ج ٢ ص ١٠٧.." (٢)

"دليل واضح على صحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم لأنه لم يرو أحد من موافق ولا مخالف أنهم أجابوا إلى ذلك» «١» .ثم أكد- سبحانه- صدق ما أخبر به عن عيسى وغيره فقال: إن هذا لهو القصص الحق، وما من إله إلا الله وإن الله لهو العزيز الحكيم.أى إن الذي قصصناه عليك وأخبرناك به يا محمد من شأن عيسى ومن كل شأن من الشئون لهو القصص الثابت الذي لا مجال فيه الإنكار منكر، ولا لتشكيك متشكك.وقد أكد- سبحانه- صدق هذا القصص بحرف

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٧٩/٢

(٢) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٨٥/٢

إن وباللام في قوله لهو وبضمير الفصل «هو» وبالقصر الذي تضمنه تعريف الطرفين وذلك ليكون الرد حاسما على كل منكر ما أخبر الله به في شأن عيسى- عليه السلام- وفي كل ما قصه على نبيه صلى الله عليه وسلم.وقوله وما من إله إلا الله نفى قاطع لأن يكون هناك إله سوى الله- تعالى- وإثبات بأن الألوهية الحقة إنما هي الله رب العالمين.وقد أكد- سبحانه- نفى الألوهية عن غيره بكلمة من المفيدة لاستغراق النفي استغراقا مستمرا ثابتا مؤكدا.وقوله وما من إله إلا الله «ما» نافية، و «إله» في قوله من إله مبتدأ ومن مزيدة فيه، وإلا الله خبره والتقدير: وما إله إلا الله، وزيدت من للاستغراق والعموم.وقوله وإن الله لهو العزيز الحكيم تذييل قصد به تأكيد قصر الألوهية على الله- تعالى- وحده، أى وإن الله- تعالى- لهو المنفرد بالألوهية وحده لأنه هو الغالب الذي يقهر ولا يقهر، الحكيم في كل ما يخلقه ويدبره.وفي هذا التذييل أيضا رد على أولئك الضالين الذين يزعمون أن المسيح إله ويعتقدون مع ذلك أنه صلب ولم يستطع أن يدافع عن نفسه.ثم ختم- سبحانه- تلك المحاجة بقوله: فإن تولوا فإن الله عليم بالمفسدين.أى فإن أعرضوا عن اتباعك وتصديقك بعد هذه الآيات البينات والحجج الواضحات التي أخبرناك بها وقصصناها عليك، فأنذرهم بسوء العاقبة، وأخبرهم أن الله- تعالى- عليم بهم، وبما يقولونه ويفعلونه من فساد في الأرض، وسيعاقبهم على ذلك العقاب الأليم.فقوله فإن الله عليم بالمفسدين قائم مقام جواب الشرط، أى فإن تولوا فأخبرهم بأنهم مفسدون وأن لهم سوء العقبى لأن الله عليم بإفسادهم ولن يتركهم بدون عقوبة.______________(١) تفسير الكشاف ج ١ ص ٢٦٩.." (١)

"حقيقة وإنما أراد أنكم تستجيزون محاجته فيما تدعون علمه، فكيف تحاجونه فيما لا علم لكم به البتة» «١» .وقوله- تعالى- والله يعلم وأنتم لا تعلمون تذييل قصد به تأكيد علم الله الشامل، ونفى العلم عن أهل الكتاب في شأن إبراهيم.أى والله- تعالى- يعلم حال إبراهيم ودينه، ويعلم كل شيء في هذا الوجود، وأنتم لا تعلمون ذلك ثم صرح- سبحانه- ببراءة إبراهيم من كل دين يخالف دين الإسلام فقال- تعالى: ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين.وقوله حنيفا من الحنف وهو ميل عن الضلال إلى الاستقامة، بعكس الجنف فهو ميل عن الاستقامة إلى الضلال ويقال: تحنف الرجل أى تحرى طريق الاستقامة.أى: ما كان إبراهيم- عليه السلام- في يوم من الأيام يهوديا كما قال اليهود، ولا نصرانيا كما قال النصارى ولكنه كان حنيفا أى مائلا عن العقائد الزائفة متحريا طريق الاستقامة وكان «مسلما» أى مستسلما لله- تعالى- منقادا له مخلصا له العبادة وما كان من المشركين الذين يشركون مع الله آلهة أخرى بأن يقولوا إن الله ثالث ثلاثة، أو يقولوا عزير ابن الله أو المسيح ابن الله أو غير ذلك من الأقوال الباطلة والأفعال الفاسدة.ففي هذه الآية الكريمة تنويه بشأن إبراهيم، وتعريض بأولئك الكافرين من أهل الكتاب الذين ادعوا أن إبراهيم كان يهوديا أو نصرانيا بأنهم هم المشركون بخلاف إبراهيم فقد كان مبرأ من ذلك.أخرج الامام مسلم والترمذي وأبو داود عن أنس رضى الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا خير البرية. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ذاك إبراهيم عليه السلام» .ثم أصدر- سبحانه- حكمه الحاسم العادل في هذه القضية التي كثر الجدل فيها فقال:إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين.وقوله- تعالى- أولى أفعل تفضيل من الولي وهو

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٢/١٣١

القرب.والمعنى: إن أقرب الناس من إبراهيم، وأخصهم به، وأحقهم بالانتساب إليه أصناف ثلاثة:____________(١) تفسير الفخر الرازي ج ٨ ص ٩٥.." (١)

"أولهم: بينه الله بقوله للذين اتبعوه أى الذين أجابوا دعوته في حياته واتبعوا دينه وشريعته بعد مماته.وقد أكد الله- تعالى- حكمه هذا بحرف إن وبأفعل التفضيل أولى وباللام في قوله للذين اتبعوه ليرد على أقاويل أهل الكتاب ومفترياتهم حيث زعموا أنه كان يهوديا أو نصرانيا.وثانى هذه الأصناف: بينه- سبحانه- بقوله وهذا النبي والمراد به محمد صلى الله عليه وسلم الداعي إلى التوحيد الذي دعا إليه إبراهيم.والجملة الكريمة من عطف الخاص على العام للاهتمام به. وللإشعار بأنه صلى الله عليه وسلم قد تلقى الهداية من السماء كما تلقاها إبراهيم- عليه السلام- وثالث هذه الأصناف: بينه الله- تعالى- بقوله والذين آمنوا أى: والذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم واتبعوه.وفي هذا تنويه بشأن الأمة الإسلامية، وتقرير بأن أتباع محمد صلى الله عليه وسلم أحق بالانتساب إلى إبراهيم من أهل الكتاب لأن المؤمنين طلبوا الحق وآمنوا به، أما أهل الكتاب فقد باعوا دينهم بدنياهم، وتركوا الحق جريا وراء شهواتهم.وقوله والله ولي المؤمنين تذييل مقصود به تبشير المؤمنين بأن الله- تعالى- هو ناصرهم ومتولى أمورهم.قال ابن كثير عند تفسيره لهذا الآية: يقول الله- تعالى- إن أحق الناس بمتابعة إبراهيم الخليل الذين اتبعوه على دينه، وهذا النبي يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا من أصحابه المهاجرين والأنصار ومن تبعهم بعدهم. فعن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «إن لكل نبي ولاية من النبيين، وإن وليي منهم أبى خليل ربي عز وجل إبراهيم عليه السلام. ثم قرأ: إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه الآية «١» .ثم حكى- سبحانه- أن بعض أهل الكتاب لا يكتفون بما هم فيه من ضلال، بل يحاولون أن يضلوا غيرهم فقال- تعالى- ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم.وقوله- تعالى- ودت من الود وهو محبة الشيء وتمنى حصوله ووقوعه.أى تمنت وأحبت جماعة من أهل الكتاب إضلالكم وإهلاككم عن الحق- أيها المؤمنون- وذلك بأن ترجعوا عن دين الإسلام الذي هداكم الله إليه، إلى دين الكفر الذي يعتنقه أولئك الكافرون من أهل الكتاب.____________(١) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٣٧٣.." (٢)

"يشهدون بأن الرسول حق، وجاءتهم البينات اليقينية الملزمة التي تؤيد إيمانهم وشهادتهم، ومع كل ذلك استحبوا العمى على الهدى، واختاروا الكفر على الإيمان، واستولى عليهم التعصب بالباطل فأرداهم وحرمهم من هداية الله حتى يغيروا ما بأنفسهم ويتوبوا عن غيهم، ويصلحوا ما أفسدوه، ويخلصوا وينيبوا إلى خالقهم وبارئهم.قال صاحب الكشاف: «قوله كيف يهدي الله قوما أى كيف يلطف بهم وليسوا من أهل اللطف، لما علم الله من تصميمهم على كفرهم، ودل على تصميمهم بأنهم كفروا بعد إيمانهم، وبعد ما شهدوا بأن الرسول حق وبعد ما جاءتهم الشواهد من القرآن وسائر المعجزات التي تثبت بمثلها النبوة- وهم اليهود- كفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد أن كانوا مؤمنين به، وذلك حين عاينوا ما يوجب قوة إيمانهم من البينات.فإن قلت: علام عطف قوله وشهدوا؟ قلت: فيه وجهان: أن يعطف على ما في إيمانهم من معنى

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٢/١٣٧

(٢) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٢/١٣٨

الفعل، لأن معناه بعد أن آمنوا. ويجوز أن تكون الواو للحال بإضمار «قد» . بمعنى كفروا وقد شهدوا أن الرسول حق» «١» .وقوله- تعالى- والله لا يهدي القوم الظالمين جملة حالية أو معترضة.والمعنى: أنه- سبحانه- قد مضت سنته في خلقه أنه لا يهدى إلى الحق أولئك الذين آثروا الكفر على الإيمان، عن تعمد وإصرار، ووضعوا الشيء في غير موضعه مع علمهم بسوء صنيعهم.وفي **تذييل** الآية الكريمة بهذه الجملة مع إطلاق لفظ الظلم، إشعار بأنهم قد ظلموا أنفسهم.بإيقاعها في مهاوي الردى والعذاب وظلموا الرسول الذي شهدوا له بأن ما جاء به هو الحق ثم كفروا به، وظلموا الحقائق والبراهين التي نطقت بأحقية الإيمان وببطلان الكفر ثم تركوا هذه الحقائق والبراهين وانقادوا لأهوائهم وشهواتهم ومطامعهم.وإن الظلم متى سيطر على النفوس أفقدها رشدها وإدراكها للأمور إدراكا سليما، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول: «اتقوا الظلم فإنه ظلمات يوم القيامة» .ثم بين- سبحانه- عاقبة هؤلاء الظالمين فقال: أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.قال الراغب: اللعن: الطرد والإبعاد على سبيل السخط، وذلك من الله- تعالى- في__________(١) تفسير الكشاف ج ١ ص ٣٨١.." (١)

"أم في الأعمال، فإذا كان كل ما حصل من باب ما ينبغي أن يكون فقد حصل الصلاح، فكان الصلاح دالا على أكمل الدرجات «١» .ثم بين- سبحانه- أنه لن يضيع شيئا مما قدموه من أعمال صالحة، بل سيكافئهم على ذلك بما هو أفضل وأبقى فقال: وما يفعلوا من خير فلن يكفروه أى أن هؤلاء الذين وصفهم بتلك الصفات الطيبة لن يضيع الله شيئا مما قدموه من عمل صالح، وإنما سيجازيهم بما هم أهله من ثواب جزيل، وأجر كبير بدون أى نقصان أو حرمان.وما في قوله: وما يفعلوا من خير شرطية. وفعل الشرط قوله: يفعلوا وجوابه قوله: فلن يكفروه.ومن في قوله: من خير لتأكيد العموم أى ما يفعلوا من أى خير سواء أكان قليلا أم كثيرا فلن يحرموا ثوابه.وأصل الكفر: الستر والتغطية. وقد صح تعدية الفعل كفر إلى مفعولين لأنه هنا بمعنى حرم.ولذا قال صاحب الكشاف: فإن قلت لم عدى إلى مفعولين، وشكر وكفر لا يتعديان إلا إلى واحد تقول: شكر النعمة وكفرها؟ قلت: ضمن معنى الحرمان فكأنه قيل: فلن يحرموه بمعنى: فلن يحرموا جزاءه» «٢» .وقوله: والله عليم بالمتقين **تذييل** مقرر لمضمون ما قبله. أى هو- سبحانه- عليم بأحوال عباده وسيجازى المتقين بما يستحقون من ثواب، وسيجازى الكافرين بما يستحقون من عقاب.فأنت ترى أن هذه الآيات الكريمة قد أنصفت المؤمنين الصادقين من أهل الكتاب، ووصفتهم بجملة من الصفات الطيبة.وصفتهم بأنهم طائفة ثابتة على الحق. وأنهم يتلون آيات آناء الليل وأطراف النهار، وأنهم مكثرون من التضرع إلى الله في صلواتهم وسجودهم، وأنهم يؤمنون بالله واليوم الآخر وأنهم يأمرون بالمعروف، وأنهم ينهون عن المنكر، وأنهم يسارعون في الخيرات، وأنهم من الصالحين.ثم بشرهم- سبحانه- بعد وصفهم بهذه الصفات الكريمة بأن ما يقدموه من خير فلن يحرموا ثوابه، لأنه- سبحانه- عليم بأحوال عباده ولن يضيع أجر من أحسن عملا.__________(١) تفسير الفخر الرازي ج ٨ ص ٢٠٣.(٢) تفسير الكشاف ج ١ ص ٤٠٣.." (٢)

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ١٧٣/٢

(٢) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٢٢٩/٢

"ولأن من المتعارف عليه بين الناس أن الإنسان يلجأ إلى ماله وولده عند الشدائد، إذ المال يدفع به الإنسان عن نفسه في الفداء وما يشبهه من المغارم، والأولاد يدافعون عن أبيهم لنصرته ممن يعتدى عليه.وكرر حرف النفي مع المعطوف في قوله: ولا أولادهم، لتأكيد عدم غناء أولادهم عنهم، ولدفع توهم ما هو متعارف من أن الأولاد لا يقعدون عن الذب عن آبائهم.فالمقصود من الجملة الكريمة نفى الانتفاع بالأموال والأولاد في حالة اجتماعهما، وفي حالة انفراد أحدهما عن الآخر، لأن المال قد يكون أكثر نفعا في مواضع خاصة، والأولاد قد يكونون أكثر نفعا من المال في مواطن أخرى، فبتكرار النفي تأكد عدم انتفاع الكفار بهذين النوعين في أية حال من الأحوال.فإن قيل: لقد نص القرآن على أن الكفار لا تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم يوم القيامة، مع أن المؤمنين كذلك لا تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم فلماذا خص الكافرين بالذكر؟.فالجواب أن الكافرين هم الذين اغتروا بأموالهم وأولادهم، وهم الذين اعتقدوا أنهم سينجون من العقاب بسبب ذلك، أما المؤمنون فإنهم لم يعتقدوا هذا الاعتقاد، ولم يغتروا بما منحهم الله من نعم، وإنما اعتقدوا أن الأموال والأولاد فتنة، ولم يعتمدوا في نجاتهم من عقاب الله يوم القيامة إلا على فضله ورحمته، وعلى إيمانهم الصادق، وعملهم الصالح.ومن في قوله: من الله ابتدائية، والجار والمجرور متعلق بتغني.وقوله: شيئا منصوب على أنه مفعول مطلق أى: لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم شيئا من الإغناء والدفع. وتنكير شيئا للتقليل.وقوله: وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون **تذييل** قصد به بيان سوء عاقبتهم، وما أعد لهم من عذاب شديد.أى وأولئك الكافرون المغترون بأموالهم وأولادهم، هم أصحاب النار الذين سيلازمونها ويصلون سعيرها، ولن يصرفهم من عذاب الله أى ناصر من أموال أو أولاد أو غيرهما.وقد أكد- سبحانه- هذا الحكم العادل بعدة مؤكدات منها: التعبير باسم الإشارة المتضمن السلب من كل قوة كانوا يعتزون بها، ومنها: ذكر مصاحبتهم للنار وخلودهم فيها أى ملازمتهم لها ملازمة أبدية، ومنها: ما اشتملت عليه الجملة الكريمة من معنى القصر أى أولئك أصحاب النار الذين يلازمونها ولا يخرجون منها إلى غيرها بل هم خالدون فيها.ثم ضرب- سبحانه- مثلا لبطلان ما كان ينفقه هؤلاء الكافرون من أموال في الدنيا فقال:." (١)

"العداوة بمثلها وتتقوا الله- تعالى- في كل ما نهاكم عنه، وتمتثلوا أمره في كل ما أمركم به، إن فعلتم ذلك لا يضركم كيدهم وتدبيرهم السيئ شيئا من الضرر ببركة هاتين الفضيلتين: الصبر والتقوى، فإنهما جامعتان لمحاسن الطاعات، ومكارم الأخلاق.وإن لم تفعلوا ذلك أصابكم الضرر، واستمكنوا منكم بكيدهم ومكرهم. قال الجمل ما ملخصه: وقوله: لا يضركم وردت فيه قراءتان سبعيتان:إحداهما: بضم الضاد وضم الراء مع التشديد- من ضر يضر.والثانية: لا يضركم- بكسر الضاد وسكون الراء- من ضار يضير. والفعل في كليهما مجزوم جوابا للشرط، وجزمه على القراءة الثانية «يضركم» ظاهر، وعلى القراءة الأولى «يضركم» يكون مجزوما بسكون مقدر على آخره منع من ظهوره اشتغال المحل بحركة الإتباع للتخلص من التقاء الساكنين، وأصل الفعل يضرركم- بوزن ينصركم- نقلت حركة الراء الأولى إلى الضاد ثم أدغمت في الثانية، وحركت الثانية بالضم اتباعا لحركة الضاد» «١» .وقوله: شيئا نصب على المصدرية. أى لا يضركم كيدهم شيئا من الضرر لا قليلا ولا كثيرا بسبب اعتصامكم بالصبر والتقوى.وقوله: إن الله بما يعملون محيط **تذييل** قصد به إدخال الطمأنينة على قلوب

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٢٣١/٢

المؤمنين، والرعب في قلوب أعدائهم.. أى إنه- سبحانه- محيط بأعمالهم وبكل أحوالهم، ولا تخفى عليه خافية منها، وسيجازيهم عليها بما يستحقونه من عذاب أليم بسبب نياتهم الخبيثة، وأقوالهم الذميمة. وأفعالهم القبيحة.وبهذا نرى أن الآيات الكريمة قد نهت المؤمنين بأسلوب بليغ حكيم عن مصافاة من يخالفونهم في الدين، وذكرت لهم من صفات وأحوال هؤلاء المخالفين ما يحملهم على منابذتهم والحذر منهم والبعد عنهم، وأرشدتهم إلى ما يعينهم على النصر عليهم وعلى التخلص من آثار مكرهم وكيدهم.وإنها لوصايا حكيمة وتوجيهات سديدة، وإرشادات عالية، ما أحوج المسلمين في كل زمان ومكان إلى العمل بها لكي يفلحوا في دنياهم وآخرتهم.تدبر معى- أخى القارئ- هذه الآيات مرة أخرى فماذا ترى؟إنك تراها توجه إلى المؤمنين نداء محببا إلى نفوسهم، محركا لحرارة العقيدة في قلوبهم..حيث نادتهم بصفة الإيمان، ونهتهم في هذا النداء عن اتخاذ أولياء وأصفياء لهم من غير إخوانهم______________(١) حاشية الجمل على الجلالين ج ١ ص ٣٠٨.." [1]

"يا رسول الله: قل لي قولا ينفعني وأقلل على لعل أعقله: فقال له: «لا تغضب» فأعاد عليه حتى أعاد عليه مرارا كل ذلك يقول: «لا تغضب» .وعن أبي بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من سره أن يشرف له البنيان وترفع له الدرجات فليعف عن من ظلمه ويعط من حرمه، ويصل من قطعه» «١» .وكظم الغيظ والعفو عن الناس هاتان الصفتان إنما تكونان محمودتين عند ما تكون الإساءة متعلقة بذات الإنسان، أما إذا كانت الإساءة متعلقة بالدين بأن انتهك إنسان حرمة من حرمات الله ففي هذه الحالة يجب الغضب من أجل حرمات الله، ولا يصح العفو عمن انتهك هذه الحرمة.فلقد وصفت السيدة عائشة النبي صلى الله عليه وسلم بأنه كان لا يغضب لنفسه فإذا انتهكت حرمات الله لم يقم لغضبه شيء.وقوله: والله يحب المحسنين **تذييل** مقرر لمضمون ما قبله.والإحسان معناه الإتقان والإجادة. وأل في المحسنين إما للجنس أى والله- تعالى- يحب كل محسن في قوله وعمله، ويكون هؤلاء الذين ذكر الله صفاتهم داخلين دخولا أوليا.وإما أن تكون للعهد فيكون المعنى: والله- تعالى- يحب هؤلاء المحسنين الذين من صفاتهم أنهم ينفقون أموالهم في كل حال من أحوالهم، ويكظمون غيظهم، ويعفون عمن ظلمهم.أما الصفة الرابعة من صفات هؤلاء المتقين فقد ذكرها- سبحانه- في قوله: والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم، ومن يغفر الذنوب إلا الله، ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون.والفاحشة من الفحش وهو مجاوزة الحد في السوء. والمراد بها الفعلة البالغة في القبح كالزنا والسرقة وما يشبههما من الكبائر.والمعنى: سارعوا أيها المؤمنون إلى جنة عرضها السموات والأرض أعدها خالقكم- عز وجل- للمتقين الذين من صفاتهم أنهم ينفقون أموالهم في السراء والضراء، ويكظمون غيظهم، ويعفون عن الناس، وأنهم إذا فعلوا فعلة فاحشة متناهية في القبح، أو ظلموا أنفسهم، بارتكاب أى نوع من أنواع الذنوب «ذكروا الله» أى تذكروا حقه العظيم، وعذابه______________(١) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٤٠٥.." [2]

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٢/٢٤٠

(٢) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٢/٢٦٤

"وفي الإشارة إليهم بأولئك الدالة على البعد، إشعار بعلو منزلتهم في الفضل، وسمو مكانتهم عند الله- تعالى-.وقوله وجنات تجري من تحتها الأنهار معطوف على مغفرة أى لهم بجانب هذه المغفرة جنات تجرى من تحت أشجارها وثمرها الأنهار.وقوله خالدين فيها حال مقدرة من الضمير المجرور في جزاؤهم لأنه مفعول به في المعنى، إذ هو بمعنى أولئك يجزيهم الله- تعالى- جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها.فأنت ترى أن الله- تعالى- قد وعد أصحاب هذه الصفات بأمور ثلاثة:وعدهم بغفران ذنوبهم وهذا منتهى الأماني والآمال.ووعدهم بإدخالهم في جناته التي يتوفر لهم فيها وتشتهيه الأنفس وتلذ الأعين.ووعدهم بالخلود في تلك الجنات حتى يتم لهم السرور والحبور.وقوله- تعالى- ونعم أجر العاملين تذييل قصد به مدح ما أعد لهم من جزاء، حتى يرغب في تحصيله العقلاء.والمخصوص بالمدح محذوف أى ونعم أجر العاملين هذا الجزاء الذي وعدهم الله به مغفرة وجنات خالدين فيها.وبذلك نرى السورة الكريمة قبل أن تفصل الحديث عن غزوة أحد، قد ذكرت المؤمنين بطرف مما حدث من بعضهم فيها، وبالنتائج الطيبة التي حصلوا عليها من غزوة بدر، ثم أمرتهم بتقوى الله، وبالمسارعة إلى الأعمال الصالحة التي توصلهم إلى رضاه.ثم أخذت السورة الكريمة بعد ذلك تتحدث عن غزوة أحد وعن آثارها في نفوس المؤمنين، فبدأت بالإشارة إلى سنن الله في المكذبين بآياته لتخفف عن المؤمنين مصابهم، ثم أمرتهم بالصبر والثبات ونهتهم عن الوهن والجزع لأنهم هم الأعلون. وإن تكن قد أصابتهم جراح فقد أصيب المشركون بأمثالها، والله- تعالى- فيما حدث في غزوة أحد حكم، منها: تمييز الخبيث من الطيب، وتمحيص القلوب واتخاذ الشهداء، ومحق الكافرين.استمع إلى القرآن الكريم وهو يسوق تلك المعاني بأسلوبه الذي يبعث الأمل في قلوب المؤمنين. ويرشدهم إلى ما يقويهم ويثبتهم، ويمسح بتوجيهاته دموعهم، ويخفف عنه آلامهم فيقول:." (١)

"ثم مدح- سبحانه- الذين يبتغون بأعمالهم ثواب الآخرة فقال: ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها.أى ومن يرد بعمله وجهاده ثواب الآخرة وما ادخره الله فيها لعباده المتقين من أجر جزيل نؤته منها ما نشاء من عطائنا الذين تشتهيه النفوس، وتقر له العيون.وقوله وسنجزي الشاكرين تذييل مقرر لمضمون ما قبله، ووعد من عطاء الله لمن شكره على نعمه ويثبت على شرعه.أى وسنجزى الشاكرين في دنياهم بما يسعدهم ويرضيهم، وسنجزيهم في الآخرة بما يشرح صدورهم، ويدخل البهجة على نفوسهم.فأنت ترى أن الآية الكريمة قد تضمنت تحريض المؤمنين على القتال. وتحذيرهم من الجبن والفرار، لأن الجبن لا يؤخر الحياة، كما أن الإقدام لا يؤدى إلى الموت قبل حلول وقته، فإن أحدا لا يموت قبل أجله، وإن خاض المهالك واقتحم المعارك.كما تضمنت دعوة المؤمنين إلى الزهد في متع الحياة الدنيا، وإلى أن يجعلوا مقصدهم الأكبر في تحصيل ما ينفعهم في آخرتهم، فإن هذا هو المقصد الأسمى، والمطلب الأعلى: قال- تعالى- من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه، ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب «١» .وإن الذين خالفوا وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركوا أماكنهم التي أمرهم بالثبات فيها جريا وراء الغنائم، لم يحصلوا منها شيئا، بل فقدوها وفقدوا أرواحهم وعزتهم وكرامتهم، وكان فعلهم هذا من أسباب هزيمة المسلمين في غزوة أحد.كما تضمنت وعدا من الله- تعالى- بأن يزيد الشاكرين من فضله وإحسانه، وأن يكافئهم على شكرهم إياه بما هم أهل له من نصر وخير وفير.ثم بين- سبحانه- ما كان عليه

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٢٦٨/٢

أتباع الأنبياء السابقين من إيمان عميق، وعزم وثيق، حتى يتأسى بهم كل ذي عقل سليم، فقال- تعالى-: وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير، فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا.وكلمة كأين مركبة من كاف التشبيه وأى الاستفهامية المنونة، ثم هجر معنى جزأيها وصارت كلمة واحدة بمعنى كم الخبرية الدالة على الكثير.____________(١) سورة الشورى الآية ٢٠.." (١)

"وقد نفى- سبحانه- هذه الأوصاف الثلاثة عن هؤلاء المؤمنين الصادقين مع أن واحدا منها يكفى نفيه لنفيها لأنها متلازمة- وذلك لبيان قبح ما يقعون فيه من أضرار فيما لو تمكن واحد من هذه الأوصاف من نفوسهم.وجاء ترتيب هذه الأوصاف في نهاية الدقة بحسب حصولها في الخارج، فإن الوهن الذي هو خور في العزيمة إذا تمكن من النفس أنتج الضعف الذي هو لون من الاستسلام والفشل. ثم تكون بعدهما الاستكانة التي يكون معها الخضوع لكل مطالب الأعداء وإذا وصل الإنسان إلى هذه المرحلة في حياته كان الموت أكرم له من هذه الحياة.وقوله والله يحب الصابرين **تذييل** قصد به حض المؤمنين على تحمل المكاره وعلى مقاساة الشدائد ومعاناة المكاره من أجل إعلاء دينهم حتى يفوزوا برضا الله ورعايته كما فاز أولئك الأنقياء الأوفياء.أى والله- تعالى- يحب الصابرين على آلام القتال، ومصاعب الجهاد، ومشاق الطاعات، وتبعات التكاليف التي كلف الله- تعالى- بها عباده.ثم أتبع- سبحانه- محاسنهم الفعلية، ببيان محاسنهم القولية فقال- تعالى- وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا، وثبت أقدامنا، وانصرنا على القوم الكافرين.أى أن هؤلاء الأنقياء الأوفياء الصابرين ما كان لهم من قول في مواطن القتال وفي عموم الأحوال إلا الضراعة إلى الله- بثلاثة أمور:أولها: حكاه القرآن عنهم في قوله: ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا.أى: إنهم يدعون الله- تعالى- بأن يغفر لهم ذنوبهم ما كان صغيرا منها وما كان كبيرا: وأن يغفر لهم إسرافهم في أمرهم أى ما تجاوزوه من الحدود التي حدها لهم وأمرهم بعدم تجاوزها.وثانيها: حكاه القرآن عنهم في قوله وثبت أقدامنا اى اجعلنا يا ربنا ممن يثبت لحرب أعدائك وقتالهم ولا تجعلنا ممن يوليهم الأدبار.وثالثها: حكاه القرآن عنهم في قوله وانصرنا على القوم الكافرين أى اجعل النصر لنا يا ربنا على أعدائك وأعدائنا الذين جحدوا وحدانيتك، وكذبوا نبيك وضلوا ضلالا بعيدا.وتأمل معى- أخى القارئ- هذه الدعوات الكريمة تراها قد جمعت ما جمعت من صدق اليقين، وحسن الترتيب.." (٢)

"فهم قد التمسوا- أولا- من خالقهم مغفرة ذنوبهم والتجاوز عما وقعوا فيه من أخطاء وهذا يدل على سلامة قلوبهم وتواضعهم واستصغار أعمالهم مهما عظمت أمام فضل الله ونعمه.ثم التمسوا منه- ثانيا- تثبيت أقدامهم عند لقاء الأعداء حتى لا يفروا من أمامهم.ثم التمسوا منه- ثالثا- النصر على الكافرين وهو غاية القتال، لأن الانتصار عليهم يؤدى إلى منع وقوع الفتنة في الأرض، وإلى إعلاء كلمة الحق.قال صاحب الكشاف: قوله وما كان قولهم إلخ هذا القول وهو إضافة الذنوب والإسراف إلى أنفسهم مع كونهم ربانيين هضما لها واستقصارا. والدعاء بالاستغفار منها مقدما على طلب تثبيت الأقدام في مواطن الحرب والنصرة على العدو، ليكون طلبهم إلى ربهم عن زكاة وطهارة وخضوع. وهو أقرب إلى الاستجابة»

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٢٨٦/٢

(٢) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٢٨٨/٢

«١» .وكان هنا ناقصة، وقوله قولهم بالنصب خبرها واسمها المصدر المتحصل من «أن» وما بعدها في قوله إلا أن قالوا والاستثناء مفرغ.أى: ما كان قولهم في ذلك المقام وفي غيره من المواطن إلا قولهم هذا الدعاء أى هو دأبهم وديدنهم.ثم بين- سبحانه- الثمار التي ترتبت على هذا الدعاء الخاشع والإيمان الصادق والعمل الخالص لوجهه- سبحانه- فقال: فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة، والله يحب المحسنين.والفاء في قوله فآتاهم لترتيب ما بعدها على ما قبلها.أى أن هؤلاء الذين آمنوا بالله حق الإيمان وجاهدوا في سبيله حق الجهاد لم يخيب الله- تعالى- سعيهم ولم يقفل بابه عن إجابة دعائهم، وإنما أعطاهم الله- تعالى- ثواب الدنيا من النصر والغنيمة وقهر الأعداء، وصلاح الحال.كما أعطاهم حسن ثواب الآخرة بأن منحهم رضوانه ورحمته ومثوبته وإنما خص ثواب الآخرة بالحسن للتنبيه على عظمته وفضله ومزيته، وأنه هو المعتد به عنده- تعالى- لأنه غير زائل، وغير مشوب بتنغيص أو قلق.وقوله والله يحب المحسنين **تذييل** مقرر لمضمون ما قبله، فإن محبة الله- تعالى- للعبد مبدأ كل خير وسعادة.وبذلك نرى أن هذه الآيات الكريمة قد قررت في مطلعها حقيقة ثابتة. وهي أن محمدا صلى الله عليه وسلم_____________(١) تفسير الكشاف ج ١ ص ٤٢٤.." [(١)]

"وقوله ثم صرفكم عنهم ليبتليكم عطف على جواب «إذا» المقدر، وما بينهما اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه.والتقدير: منع الله نصره عنكم بسبب فشلكم وتنازعكم ومعصيتكم لنبيكم ثم ردكم عنهم دون أن تنالوا ما تبتغون ليبتليكم أى ليعاملكم الله- تعالى- معاملة من يمتحن غيره، ليتميز قوى الإيمان من ضعيفه وليتبين لكم الصابر المخلص من غيره.وجاء العطف بثم في قوله ثم صرفكم للإشعار بالتفاوت الكبير بين المقصد الأصلى الذي خرجوا من أجله وهو النصر والحصول على الغنيمة وبين النتيجة التي انتهوا إليها وهي العودة مقهورين.وكان التعبير بكلمة صرفكم دون كلمة «هزمتم» لأن ما حدث في أحد لم يكن هزيمة وإن لم يكن نصرا. لأن الهزيمة تقتضي أن يولى المسلمون الأدبار وأن يتحكم فيهم أعداؤهم وما حدث في أحد لم يكن كذلك، وإنما كان زيادة في عدد الشهداء من المسلمين عن عدد القتلى من المشركين لأن بعض المسلمين خالفوا وصية نبيهم صلى الله عليه وسلم وتطلعوا إلى زهرة الدنيا وزينتها بطريقة تتعارض مع ما يقتضيه الإيمان الصادق فكان من الله- تعالى- التأديب لهم.. وفي هذا التعبير ثم صرفكم عنهم تسلية لهم عما أصابهم، وتخفيف لمصابهم فكأنه- سبحانه- يقول لهم: إن ما حدث في أحد إنما هو نوع من الصرف عن الغاية التي من أجلها خرجتم لحكم من أهمها: تمييز الخبيث من الطيب، وتربيتكم على تحمل المصائب والآلام، وتأديبكم بالأدب المناسب حتى لا تعودوا مرة أخرى إلى مخالفة رسولكم صلى الله عليه وسلم.ثم ختم- سبحانه- الآية الكريمة بما يمسح آلامهم ويذهب الحسرة من قلوبهم فقال- تعالى- ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين.أى: ولقد عفا- سبحانه- عما صدر منكم تفضلا منه وكرما، والله تعالى هو صاحب الفضل المطلق الدائم على المؤمنين.ولقد أكد- سبحانه- هذا العفو باللام وبقد وبالتعبير بالماضي، ليفتح أمامهم طريق الأمل، وليحفزهم على التوبة الصادقة والإيمان العميق، حتى لا ييأسوا من رحمة الله.**والتذييل** بقوله والله ذو فضل على المؤمنين مؤكد لمضمون ما قبله.قال الآلوسى: «إيذان بأن ذلك العفو، ولو كان بعد التوبة، بطريق التفضل

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٢/٢٨٩

لا الوجوب أى: شأنه أن يتفضل عليهم بالعفو في جميع الأحوال أديل لهم أو أديل عليهم، إذ الابتلاء أيضا رحمة» «١» .______________(١) تفسير الآلوسى ج ٤ ص ٩٠.." (١)

"وعليه درع يجر أطرافها وبيده راية سوداء، فقيل له: أليس قد أنزل الله عذرك؟ فقال: بلى ولكني أحب أن أكثر المسلمين بنفسي «١» .هذا، وقد أصدر- سبحانه- حكمه العادل على أولئك المنافقين فقال: هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان. يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون.أى هم يوم أن قالوا هذا القول الباطل قد بينوا حالهم، وهتكوا أستارهم وكشفوا عن نفاقهم لمن كان يظن أنهم مؤمنون، لأنهم قبل أن يقولوا: «لو نعلم قتالا لاتبعناكم» كانوا يتظاهرون بالإيمان، وما ظهرت منهم أمارة تؤذن بكفرهم، فلما انخذلوا عن عسكر المؤمنين وقالوا ما قالوا تباعدوا بذلك عن الإيمان المظنون بهم واقتربوا من الكفر.أو المعنى: هم لأهل الكفر أقرب نصرة منهم لأهل الإيمان، لأن تقليلهم سواد المسلمين بالانخذال فيه تقوية للمشركين.قال الجمل: «وقوله هم مبتدأ، وقوله أقرب خبره، وقوله للكفر وقوله للإيمان متعلقان بأقرب، لأن أفعل التفضيل في قوة عاملين. فكأنه قيل: قربوا من الكفر وقربوا من الإيمان، وقربهم للكفر في هذا اليوم أشد لوجود العلامة وهي خذلانهم للمؤمنين» «٢» .وقوله يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم جملة مستأنفة مبينة لحالهم مطلقا لا في ذلك اليوم فحسب.أى أن هؤلاء القوم من صفاتهم الذميمة أنهم يقولون بألسنتهم قولا يخالف ما انطوت عليه قلوبهم من كفر، وما امتلأت به نفوسهم من بغضاء لكم- أيها المؤمنون-.قال صاحب الكشاف: وذكر الأفواه مع القلوب تصوير لنفاقهم، وأن إيمانهم موجود في أفواههم معدوم في قلوبهم، بخلاف صفة المؤمنين في مواطأة قلوبهم لأفواههم» «٣» .وقوله والله أعلم بما يكتمون تذييل قصد به زجرهم وتوعدهم بسوء المصير بسبب نفاقهم وخداعهم.أى والله- تعالى- أعلم منكم- أيها المؤمنون- بما يضمره هؤلاء المنافقون من كفر ومن كراهية لدينكم، لأنه- سبحانه- يعلم ما ظهر وما خفى من أمورهم، وقد كشف الله لكم______________(١) تفسير القرطبي ج ٤ ص ٢٦٦.(٢) حاشية الجمل على الجلالين ج ١ ص ٣٣٤ بتصرف يسير.(٣) تفسير الكشاف ج ١ ص ٤٣٧.." (٢)

"هذا جماعة من المتأولين، منهم: ابن مسعود وابن عباس وأبو وائل.قالوا: ومعنى سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة هو الذي ورد في الحديث عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه- أى شدقيه- ثم يقول له. أنا مالك أنا كنزك. ثم تلا هذه الآية: ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله «١» .ويرى بعض العلماء أن هذا الوعيد على سبيل التمثيل، وأن الظاهر غير مراد ومعنى قوله سيطوقون ما بخلوا به عند هذا البعض: سيكلفون أن يأتوا بمثل ما بخلوا به من أموالهم يوم القيامة عقوبة لهم، فلا يأتون لأنهم ليس في قدرتهم ذلك.أو المعنى: سيلزمون وبال ما بخلوا به لزوم الطوق، ويتحملون وزر ذلك يوم القيامة.فالآية الكريمة تدعو المؤمنين إلى الجود والسخاء من أجل إعلاء كلمة الله، وتتوعد البخلاء بأقسى ألوان الوعيد وأفظعها. وتبين أن كل ما في هذا الكون إنما هو ملك لله- تعالى- وحده، فهو المعطى وهو المانع، ولذا قال- تعالى: ولله

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٢/٢٩٩

(٢) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٢/٣٣٢

ميراث السماوات والأرض والله بما تعملون خبير.والميراث: مصدر كالميعاد. وأصله موراث فقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها. والمراد به ما يتوارث.والمعنى: أن الله– تعالى– وحده لا لأحد غيره ما في السموات والأرض مما يتوارثه أهلهما من مال وغيره، فما بال هؤلاء القوم يبخلون عليه بما يملكه، ولا ينفقونه في سبيله. وعلى هذا يكون الكلام جاريا على حقيقته ولا مجاز فيه.ويصح أن يكون المعنى: أن الله– تعالى– يرث من هؤلاء ما في أيديهم مما بخلوا به من مال وغيره وينتقل منهم إليه حين يميتهم ويفنيهم، وتبقى الحسرة والندامة عليهم. وعلى هذا يكون الكلام على سبيل المجاز.قال الزجاج: أى أن الله– تعالى– يفني أهلهما. فيفنيان بما فيهما، فليس لأحد فيهما ملك.فخوطبوا بما يعلمون، لأنهم يجعلون ما يرجع إلى الإنسان ميراثا، ملكا له» .وقوله والله بما تعملون خبير تذييل قصد به حضهم على الإنفاق، ونهيهم عن البخل،__________(١) تفسير القرطبي ج ٤ ص ٢٩١ والشجاع: الثعبان الذكر الذي يقوم على ذنبه ويراقب الراجل والفارس، والأقرع: هو الذي يكون أملس الجلد كثير السم. والزبيبتان النكتتان السوداوان فوق عينيه.." (١)

"ولأنهم قد تحملوا من الأذى في سبيل الله، ولأنهم قد جاهدوا أعداء الله وأعداءهم حتى استشهدوا وهم يقاتلون من أجل إعلاء كلمة الله.وقوله فالذين هاجروا مبتدأ، وهو تفصيل لعمل العامل منهم على سبيل التعظيم له، والتفخيم لشأنه. وخبره قوله لأكفرن عنهم سيئاتهم.وقوله وأخرجوا من ديارهم معطوف على هاجروا. وجمع بينهما للإشعار بأنهم قد تركوا أوطانهم تارة باختيارهم ليبحثوا عن مكان أصلح لنماء دعوتهم، وانتشار الحق الذي اعتنقوه، وتارة بغير اختيارهم بل تركوها مجبرين ومضطرين بعد أن ألجأهم أعداؤهم إلى الخروج منها بسبب ما نالهم منهم من ظلم واعتداء.وقوله وأوذوا في سبيلي معطوف على ما قبله. والمراد من الإيذاء ما هو أعم من أن يكون بالإخراج من الديار، أو غير ذلك مما كان يصيب المؤمنين من جهة المشركين.وجمع– سبحانه– بين قوله وقاتلوا وقتلوا للإشارة إلى أن للقسمين ثوابا وأنهم لن يصيبهم إلا إحدى الحسنيين: النصر أو الشهادة، وقوله: لأكفرن عنهم سيئاتهم جواب قسم محذوف، أى والله لأكفرن عنهم سيئاتهم.وقدم– سبحانه– تكفير سيئاتهم على إدخالهم الجنة، لأن التخلية– كما يقولون– مقدمة على التحلية، فهو أولا طهرهم من الذنوب والآثام ونقاهم منها، ثم أدخلهم بعد ذلك جنته وأعطاهم فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.وقوله ثوابا مصدر مؤكد لما قبله، لأن المعنى لأثيبنهم على ما عملوه ثوابا عظيما.وقوله من عند الله صفة لقوله ثوابا وهو وصف مؤكد لأن الثواب لا يكون إلا من عنده– تعالى–، لكنه صرح به– سبحانه– تعظيما للثواب وتفخيما لشأنه.وقوله والله عنده حسن الثواب تذييل مقرر لمضمون ما قبله.وقد ختم– سبحانه– الآية بهذه الجملة الكريمة لبيان اختصاصه بالثواب الحسن كأن كل جزاء للأعمال في الدنيا لا يعد حسنا بجوار ما أعده– سبحانه– في الآخرة لعباده المتقين.وبذلك نرى أن هذه الآيات الكريمة قد دعت المؤمنين إلى الإكثار من ذكر الله وإلى التفكر السليم في عجائب صنعه، وساقت لنا ألوانا من الدعوات الطيبات الخاشعات التي تضرع بها الأخيار إلى خالقهم، وبينت لنا الثواب الجزيل والعطاء العظيم الذي

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٣٥٣/٢

منحه الله لهم في مقابل إيمانهم الصادق، وعملهم الصالح، فقد جرت سنته- سبحانه- أنه لا يضيع أجر من أحسن عملا، وأنه لا يرد دعاء الأبرار من عباده.." (١)

"ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف.والاستعفاف عن الشيء تركه. يقال: عف الرجل عن الشيء واستعف إذا أمسك عنه.والعفة: الامتناع عما لا يحل.أى: ومن كان من الأولياء أو الأوصياء على أموال اليتامى غنيا فليستعفف أى فليتنزه عن أكل مال اليتيم، وليقنع بما أعطاه الله من رزق وفير إشفاقا على مال اليتيم. ومن كان فقيرا من هؤلاء الأوصياء فليأكل بالمعروف، بأن يأخذ من مال اليتيم على قدر حاجته الضرورية وأجر سعيه وخدمته له. فقد روى أبو داود عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إنى فقير ليس لي شيء ولي يتيم. قال فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: كل من مال يتيمك غير مسرف ولا مبادر ولا متأثل» «١» . أى غير مسرف في الأخذ، ولا مبادر أى متعجل، ولا جامع منه ما يتجاوز حاجتك.ثم بين- سبحانه- ما ينبغي على الأوصياء عند انتهاء وصايتهم على اليتامى وعند دفع أموالهم إليهم فقال: فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا.أى: فإذا أردتم أيها الأولياء أن تدفعوا إلى اليتامى أموالهم التي تحت أيديكم بعد البلوغ والرشد، فأشهدوا عليهم عند الدفع بأنهم قبضوها وبرئت عنها ذممكم، لأن هذا الإشهاد أبعد عن التهمة، وأنفى للخصومة، وأدخل في الأمانة وبراءة الساحة.وقوله- تعالى- وكفى بالله حسيبا أى كفى بالله محاسبا لكم على أعمالكم وشاهدا عليكم في أقوالكم وأفعالكم، ومجازيا إياكم بما تستحقون من خير أو شر، لأنه- سبحانه- لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء. وإنكم إن أفلتم من حساب الناس في الدنيا فلن تفلتوا من حساب الله الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، فعليكم أن تتحروا الحلال في كل تصرفاتكم. ففي هذا **التذييل** وعيد شديد لكل جاحد لحق غيره، ولكل معتد على أموال الناس وحقوقهم، ولا سيما اليتامى الذين فقدوا الناصر والمعين.هذا، وقد أخذ العلماء من هذه الآية الكريمة جملة من الأحكام منها: ١- أن على الأوصياء أن يختبروا اليتامى بتتبع أحوالهم في الاهتداء إلى ضبط الأموال وحسن التصرف فيها، وأن يمرونهم على ذلك بحسب ما يليق بأحوالهم.ويرى جمهور العلماء أن هذا الاختبار يكون قبل البلوغ. ويرى بعضهم أن هذا الاختبار يكون بعد البلوغ.______________(١) تفسير القرطبي ج ٥ ص ٤١.." (٢)

"وذلك للتشديد في تنفيذها، إذ هي مظنه الإهمال، أو مظنة الإخفاء، ولأنها مال يعطى بغير عوض فكان إخراجها شاقا على النفس، فكان من الأسلوب البليغ الحكيم العناية بتنفيذها، وكان من مظاهر هذه العناية تقديمها في الذكر.وقد وضح هذا المعنى صاحب الكشاف فقال: فإن قلت: لم قدمت الوصية على الدين والدين مقدم عليها في الشريعة؟ قلت: لما كانت الوصية مشبهة للميراث في كونها مأخوذة من غير عوض، كان إخراجها مما يشق على الورثة ويتعاظمهم ولا تطيب أنفسهم بها، فكان أداؤها مظنة للتفريط، بخلاف الدين فإن نفوسهم مطمئنة إلى أدائه، فلذلك قدمت على الدين بعثا على وجوبها والمسارعة إلى إخراجها مع الدين.فإن قلت: ما معنى أو؟ قلت معناها الإباحة، وأنه إذا كان أحدهما أو كلاهما، قدم

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٣٧٨/٢

(٢) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٤٥/٣

على قسمة الميراث كقولك: جالس الحسن أو ابن سيرين. فأو هنا جيء بها للتسوية بينهما في الوجوب» «١» .وقوله- تعالى- غير مضار يفيد النهى للمورث عن إلحاق الضرر بورثته عن طريق الوصية أو بسبب الديون.والضرر بالورثة عن طريق الوصية يتأتى بأن يوصى المورث بأكثر من الثلث، أو به فأقل مع قصده الإضرار بالورثة فقد روى النسائي في سننه عن ابن عباس أنه قال: الضرار في الوصية من الكبائر» . وقال قتادة: كره الله الضرار في الحياة وعند الممات ونهى عنه.والضرر بالورثة بسبب الدين يتأتى بأن يقر بدين لشخص ليس له عليه دين دفعا للميراث عن الورثة، أو يقر بأن الدين الذي كان له على غيره قد استوفاه ووصل إليه، مع أنه لم يحصل شيء من ذلك.وقد ذكر- سبحانه- هذه الجملة وهي قوله غير مضار بعد حديثه عن ميراث الإخوة والأخوات من الأم، تأكيدا لحقوقهم، وتحريضا على أدائها، لأن حقوقهم مظنة الضياع والإهمال. ولا يزال الناس إلى الآن يكادون يهملون نصيب الإخوة لأم.وقوله وصية من الله نصبت كلمة وصية فيه على أنها مصدر مؤكد أى: يوصيكم الله بذلك وصية. والتنوين فيها للتفخيم والتعظيم. والجار والمجرور وهو من الله متعلق بمحذوف وقع صفة لوصية: أى وصية كائنة من الله فمن خالفها كان مستحقا لعقابه.وقوله والله عليم حليم **تذييل** قصد به تربية المهابة في القلوب من خالقها العليم_______________(١) تفسير الكشاف ج ١ ص ٤٨.." [1]

"٣- ويرى فريق ثالث أن المراد بهم إخوان المؤاخاة، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يؤاخى بين الرجلين من أصحابه وكانت تلك المؤاخاة سببا في التوارث ثم نسخ ذلك بآية الأنفال السابقة.٤- وقال أبو مسلم الأصفهاني: المراد بهم الأزواج، إذ النكاح يسمى عقدا.والذي نراه أولى هو القول الأول لكثرة الآثار التي تؤيده، ولأنه هو الذي رجحه جمهور المفسرين، وعليه يكون المعنى: والذين عقدت حلفهم أيمانكم وهم الذين تحالفتم معهم على التناصر وغيره فآتوهم نصيبهم أى فأعطوهم نصيبهم من الميراث وفاء بالعقود والعهود.قال ابن جرير عند تفسيره لهذه الآية الكريمة. وأولى الأقوال بالصواب في تأويل قوله- تعالى- والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم قول من قال: والذين عقدت أيمانكم على المحالفة، وهم الحلفاء، وذلك أنه معلوم عند جميع أهل العلم بأيام العرب وأخبارها: أن عقد الحلف بينها كان يكون بالأيمان والعهود والمواثيق على نحو ما قد ذكرنا من الروايات في ذلك «١» .وقال ابن كثير: وقوله والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم أى والذين تحالفتم بالأيمان المؤكدة أنتم وهم فآتوهم نصيبهم من الميراث كما وعدتموهم في الأيمان المغلظة، إن الله شاهد بينكم في تلك العقود والمعاهدات. وقد كان هذا في ابتداء الإسلام ثم نسخ بعد ذلك، وأمروا أن يوفوا من عاقدوا ولا ينشئوا بعد نزول هذه الآية معاقدة «٢» .ثم ختم- سبحانه- الآية الكريمة بقوله إن الله كان على كل شيء شهيدا أى إن الله- تعالى- كان وما زال عالما بجميع الأشياء، ومطلعا على جليها وخفيها، وسيجازى الذين يتمسكون بشريعته بما يستحقون من ثواب. وسيجازى الذين ينحرفون عنها بما يستحقون من عقاب.فالجملة الكريمة **تذييل** قصد به الوعد لمن أطاع الله والوعيد لمن عصاه.ثم بين- سبحانه- حقوق الرجال وحقوق النساء، وما يجب لكل فريق نحو الآخر، ودعا أهل الخير إلى

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٧٥/٣

محاولة الإصلاح بين الزوجين إذا ما دب الخلاف بينهما فقال- تعالى-:______________(١) تفسير ابن جرير ج ٥ ص ٥٥.(٢) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٤٨٩.." (١)

"تؤذوهن بألسنتكم أو بأيديكم أو بغير ذلك، بل اجعلوا ما كان منهن كأنه لم يكن، وحاولوا التقرب إليهن بألوان المودة والرحمة.إن الله كان عليا كبيرا فاحذروا مخالفة أمره، فإن قدرته- سبحانه- عليكم أعظم من قدرتكم على نسائكم.فالجملة الكريمة **تذييل** قصد به حث الأزواج على قبول توبة النساء، وتحذيرهم من ظلمهن إذا ما تركن النشوز، وعدن إلى طريق الطاعة والإنابة.قال بعضهم: وذكر هاتين الصفتين في هذا الموضع في غاية الحسن، وبيانه من وجوه:الأول: أن المقصود منه تهديد الأزواج على ظلم النساء. والمعنى: أنهن إن ضعفن عن دفع ظلمكم وعجزن عن الانتصاف منكم، فالله- سبحانه- ينتصف لهن منكم لأنه على قاهر كبير.الثاني: لا تبغوا عليهن إذا أطعنكم لعلو أيديكم، فإن الله أعلى منكم وأكبر من كل شيء.الثالث: أنه- سبحانه- مع علوه وكبريائه لا يكلفكم إلا ما تطيقون، كذلك لا تكلفوهن محبتكم، فإنهن لا يقدرن على ذلك.الرابع: أنه مع علوه وكبريائه لا يؤاخذ العاصي إذا تاب، بل يغفر له، فإذا تاب المرأة عن نشوزها فأنتم أولى بأن تتركوا عقوبتها وتقبلوا توبتها.الخامس: أنه- تعالى مع علوه وكبريائه اكتفى من العبد بالظواهر ولم يهتك السرائر فأنتم أولى أن تكتفوا بظاهر حال المرأة، وأن لا تقعوا في التفتيش عما في قلبها وضميرها من الحب والبغض» «١» .ثم بين- سبحانه- ما يجب عمله إذا ما نشب خلاف بين الزوجين فقال- تعالى-: وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها، إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما إن الله كان عليما خبيرا.والمراد بالخوف هنا العلم. والخطاب لولاة الأمور وصلحاء الأمة. وقيل لأهل الزوجين.والمراد بالشقاق ما يحصل بين الزوجين من خلاف ومعاداة. وسمى الخلاف شقاقا لأن المخالف يفعل ما يشق على صاحبه، أو لأن كل واحد من الزوجين صار في شق وجانب غير الذي فيه صاحبه.______________(١) تفسير الفخر الرازي ج ١٠ ص ٩١.." (٢)

"يرى بعضهم أن للحكمين أن يلزما الزوجين بما يريانه بدون إذنهما، لأن الله- تعالى- سماهما حكمين، والحكم هو الذي يحسم الخلاف بما تقتضيه المصلحة سواء أرضى المحكوم عليه أم لم يرض ولأن القاضي هو الذي كلفهما بهذه المهمة فلهما أن يتصرفا بما يريانه خيرا بدون إذن الزوجين ولأن عليا- رضى الله عنه- عند ما بعث الحكمين لحسم الخلاف الذي نشب بين أخيه عقيل وبين زوجته قال لهما: أتدريان ما عليكما؟ إن عليكما إن رأيتم أن تجمعا جمعتما وإن رأيتما أن تفرقا فرقتما ...وإلى هذا الرأى اتجه ابن عباس والشعبي ومالك وأحمد بن حنبل وغيرهم.ويرى الحسن وأبو حنيفة وغيرهما أنه ليس للحكمين أن يفرقا بين الزوجين إلا برضاهما لأنهما وكيلان للزوجين، ولأن الآية الكريمة قد بينت أن عملهما هو الإصلاح فإن عجزا عنه فقد انتهت مهمتهما، ولأن الطلاق من الزوج وحده، ولا يتولاه غيره إلا بالنيابة عنه.ثم ختم- سبحانه- الآية الكريمة بقوله: إن الله كان عليما خبيرا أى: إنه- سبحانه- عليم بظواهر الأمور وبواطنها. خبير بأحوال النفوس وطرق علاجها، ولا يخفى عليه شيء من تصرفات الناس وأعمالهم، وسيحاسبهم عليها.فالجملة الكريمة **تذييل** المقصود منه الوعيد

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ١٣٥/٣

(٢) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ١٤١/٣

للحكمين إذا ما سلكوا طريقا يخالف الحق والعدل.وبهذا نرى أن هاتين الآيتين الكريمتين قد بينتا جانبا هاما مما يجب للرجال على النساء، ومما يجب للنساء على الرجال، فقد مدحت أولاهما النساء الصالحات المطيعات الحافظات لحق أزواجهن، ورسمت العلاج الناجع الذي يجب على الرجال أن يستعملوه إذا ما حدث نشوز من زوجاتهم، وحذرت الرجال من البغي على النساء إذا ما تركن النشوز وعدن إلى الطاعة والاستقامة فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان عليا كبيرا. ثم طلبت الآية الثانية من ولاة الأمور وصلحاء الأمة أن يتدخلوا بين الزوجين إذا ما نشب خلاف بينهما، وأن يكون هذا التدخل عن طريق حكمين عدلين عاقلين يتوليان الإصلاح بينهما، ويقضيان بما فيه مصلحة الزوجين، وقد وعد- سبحانه- بالتوفيق بين الزوجين متى صلحت النيات، وصفت النفوس، ومالت القلوب نحو التسامح والتعاطف قال- تعالى- إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما إن الله كان عليما خبيرا.وبهذا التشريع الحكيم تسعد الأمم والأسر، وتنال ما تصبو إليه من رقى واستقرار.وبعد هذا البيان الحكيم الذي ساقته السورة الكريمة فيما يتعلق بأحكام الأسرة ووسائل." (١)

"ومطاوعتهم له هي التي دفعتهم إلى البخل وإلى الرياء وإلى عدم الإيمان بالحق الذي آمن به العقلاء من الناس.والمراد بالشيطان هنا: كل ما يغرى الإنسان بالشر ويدفعه إليه من الإنس أو الجن.والقرين: هو المصاحب الملازم للإنسان. فهو فعيل بمعنى مفاعل، كخليط بمعنى المخالط.وساء هنا: بمعنى بئس. وقرينا تمييز مفسر للضمير المستكن في ساء. والمخصوص بالذم محذوف وهو الشيطان الذي يدفع الإنسان إلى الشرور والآثام.والمعنى ومن يكن الشيطان مقارنا ومصاحبا له فبئس المصاحب وبئس المقارن الشيطان لأنه يدعوه إلى المعاصي التي تفضى به إلى النار.وفي الآية الكريمة إشارة إلى أن قرناء السوء يفسدون الأخلاق: لأن عدوى الأخلاق تسرى بالمجاورة، كما تسرى عدوى الأمراض البدنية.والمقصود من الجملة الكريمة نهى الناس عن طاعة شياطين الإنس والجن الذين يحرضون على ارتكاب الفواحش والقبائح، ويزينون لأتباعهم الشرور والآثام.ثم وبخ- سبحانه- هؤلاء الذين يؤثرون رضا الناس على رضا الله، والذين كفروا بالحق بعد إذ جاءهم فقال-: وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله.والمعنى: وأى ضرر على هؤلاء الكافرين البخلاء المرائين لو أنهم آمنوا بالله- تعالى- حق الإيمان، وآمنوا باليوم الآخر وما فيه من ثواب وعقاب، وأنفقوا مما رزقهم الله من فضله ابتغاء وجهه؟.إنه لا ضرر مطلقا من إيمانهم وإنفاقهم واستجابتهم للحق، بل إن الخير كل الخير في اتباع ذلك، والشر كل الشر فيما هم عليه من كفر وبخل ورياء.فالجملة الكريمة توبيخ لهم على سلوكهم الطريق المعوج وتركهم للطريق المستقيم.وإلى هذا المعنى أشار صاحب الكشاف بقوله: قوله وماذا عليهم. وأى تبعة عليهم في الإيمان والإنفاق في سبيل الله. والمراد الذم والتوبيخ. وإلا فكل منفعة ومفلحة في ذلك: وهذا كما يقال للمنتقم: ما ضرك لو عفوت وللعاق: ما كان يرزؤك لو كنت بارا. وقد علم أنه لا مضرة ولا مرزأة في العفو والبر. ولكنه ذم وتجهيل وتوبيخ بمكان المنفعة» «١» .وقوله وكان الله بهم عليما **تذييل** قصد به تهديدهم على إيثارهم طريق الغي على طريق الرشد.__________(١) تفسير الكشاف ج ١ ص ٥١١. [.....]"(٢)

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ١٤٣/٣

(٢) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ١٥١/٣

"والتيمم لغة: القصد. يقال تيممت الشيء أى قصدته.ويطلق في الشرع على القصد إلى التراب لمسح الوجه واليدين به.وأما الصعيد- بوزن فعيل- فيطلق على وجه الأرض البارز، ترابا كان أو غيره. وقيل يطلق على التراب خاصة.والطيب: الطاهر الذي لم تلوثه نجاسة ولا قذر.أى: إذا لم تجدوا ماء للتطهر به أو وجدتموه ولكنكم عجزتم عن استعماله فاقصدوا ترابا طاهرا بارزا على وجه الأرض لكي تستعملوه في طهارتكم عوضا عن الماء.وقوله فامسحوا بوجوهكم وأيديكم بيان لكيفية التيمم.أى: اقصدوا ترابا على ظاهر الأرض طاهرا فامسحوا منه بوجوهكم وأيديكم.وقوله إن الله كان عفوا غفورا **تذييل** قصد به بيان أنه- سبحانه- متصف بالعفو فلا يختار لعباده إلا السهل اليسير الذي يسهل عليهم أداؤه من غير مشقة مرهقة، وأنه هو الغفار الذي يغفر للمقصرين والمخطئين ذنوبهم متى تابوا إليه واستغفروه مما صدر عنهم من ذنوب.هذا ومن الأحكام والآداب التي أخذها العلماء من هذه الآية ما يأتى:١- أن من الواجب على المسلم عند ما يتهيأ للصلاة أن يتجنب كل ما يتعارض مع الخشوع فيها، لأن الصلاة مناجاة ووقوف بين يدي الله- تعالى-، ومن شأن المناجى لله- تعالى- أن يتفرغ لذلك، وأن يكون على درجة من العلم والفهم تمكنه من الوقوف الخاشع بين يدي الله رب العالمين.٢- أن الصلاة محرمة على السكران حال سكره حتى يصحو. فإذا أداها حال سكره تكون باطلة، وكذلك الحكم بالنسبة للمحدث أو الجنب حتى يتطهر.٣- استدل بهذه الآية- من قال بأن المراد بالصلاة مواضعها- على أنه يحرم على السكران دخول المسجد، لما يتوقع منه من التلويث وفحش القول، ويقاس عليه كل ذي نجاسة يخشى معها التلويث والسباب ونحوه.٤- استدلوا بقوله- تعالى-: حتى تعلموا ما تقولون على أن المسلم منهى عن الصلاة حال النعاس أو ما يشبهه، لأنه في هذه الحالة لا يعلم ما يقول ويؤيد ذلك ما رواه البخاري عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إذا نعس أحدكم وهو يصلى فليرقد حتى يذهب عنه النوم. فان أحدكم إذا صلى وهو ناعس لا يدرى لعله يستغفر فيسب نفسه) .." (١)

"أى: والله- تعالى- أعلم بأعدائكم منكم- أيها المؤمنون- وقد أخبركم بأحوالهم وبما يبيتون لكم من شرور فاحذروهم ولا تلتفتوا إلى أقوالهم وأعدوا العدة لتأديبهم دفاعا عن دينكم وعقيدتكم.وقوله وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا **تذييل** قصد به غرس الطمأنينة في نفوس المؤمنين بأن العاقبة لهم.أى: وكفى بالله وليا يتولى أموركم، ويصلح بالكم، وكفى بالله نصيرا يدفع عنكم مكرهم وشرورهم وما دام الأمر كذلك فاكتفوا بولايته ونصرته. واعتصموا بحبله، وأطيعوا أمره، ولا تكونوا في ضيق من مكر أعدائكم فإن الله ناصركم عليهم بفضله وإحسانه.وقوله وكفى فعل ماض. ولفظ الجلالة فاعل والباء مزيدة فيه لتأكيد الكفاية. ووليا ونصيرا منصوبان على التمييز. وقيل على الحال.وكرر- سبحانه- الفعل كفى لإلقاء الطمأنينة في قلوب المؤمنين، لأن التكرار في مثل هذا المقام يكون أكثر تأثيرا في القلب، وأشد مبالغة فيما سيق الكلام من أجله.فكأنه- سبحانه- يقول لهم: اكتفوا بولاية الله ونصرته، وكفاكم الله الولاية والنصرة والمعونة. ومن كان الله كافيه نصره على عدوه فاطمئنوا ولا تخافوا.ثم ذكر- سبحانه- ألوانا من الأقوال والأعمال القبيحة التي كان اليهود يقولونها ويفعلونها للإساءة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وإلى المسلمين فقال: من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه.وتحريف الشيء إمالته وتغييره.

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ١٦١/٣

ومنه قولهم: طاعون يحرف القلوب، أى يميلها ويجعلها على حرف، أى جانب وطرف. وأصله من الحرف يقال: حرف الشيء عن وجهه، صرفه عنه.والجملة الكريمة بيان للموصول وهو قوله- تعالى- الذين أوتوا نصيبا من الكتاب.ويجوز أن يكون قوله من الذين هادوا خبر لمبتدأ محذوف. وقوله يحرفون الكلم عن مواضعه صفة له.أى من الذين هادوا قوم أو فريق من صفاتهم أنهم يحرفون الكلم عن مواضعه أى يميلونه عن مواضعه، ويجعلون مكانه غيره، ويفسرونه تفسيرا سقيما بعيدا عن الحق والصواب.قال الفخر الرازي: في كيفية التحريف وجوه:أحدها: أنهم كانوا يبدلون اللفظ بلفظ آخر. مثل تحريفهم اسم «ربعة» عن موضعه في التوراة بوضعهم «آدم طويل» ، وكتحريفهم الرجم بوضعهم الجلد بدله.الثاني: أن المراد بالتحريف إلقاء الشبه الباطلة، والتأويلات الفاسدة، وصرف اللفظ من." (١)

"فالآية الكريمة دعوة لليهود إلى الإيمان بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من قبل أن يطبع الله- تعالى- على قلوبهم ويذهب بنورها فلا تتجه إلى الحق ولا تميل إليه. أو من قبل أن يلعنهم ويطردهم من رحمته ويجعلهم عبرة للمعتبرين.وأصحاب السبت هم قوم من اليهود حرم الله عليهم الصيد في يوم السبت، فتحايلوا على استحلال ما حرمه الله بحيل قبيحة، فأنزل الله عليهم عذابه، ومسخهم قردة ...وقد ذكر الله قصتهم بشيء من التفصيل في سورة الأعراف «١» .وكلمة «أو» في الآية الكريمة لمنع الخلو. فجوز أن يعاقب الله طائفة منهم بعقوبة من هاتين العقوبتين، ويعاقب طائفة أخرى منهم بالعقوبة الثانية إن هم استمروا في ضلالهم وطغيانهم.والضمير المنصوب في قوله «نلعنهم» يعود لأصحاب الوجوه. أو للذين أوتوا الكتاب على طريقة الالتفات.وقوله وكان أمر الله مفعولا أى كان وما زال جميع ما أمر الله به وقضاه نافذا لا محالة لأنه- سبحانه- لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء:والجملة الكريمة **تذييل** قصد به تهديد هؤلاء الضالين المعاندين حتى يثوبوا إلى رشدهم، ويدخلوا في صفوف المؤمنين.وقوله إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء. استئناف مسوق لتقرير ما قبله من الوعيد، ولتأكيد وجوب امتثال الأمر بالإيمان، لأنه لا مغفرة إذا انتفى الإيمان.والمراد بالشرك هنا: مطلق الكفر فيدخل فيه كفر اليهود دخولا أوليا.والمعنى: إن الله لا يغفر لكافر مات على كفره، ويغفر ما دون الكفر من الذنوب والمعاصي لمن يشاء أن يغفر له إذا مات من غير توبة. فمن مات من المسلمين بدون توبة من الذنوب التي اقترفها فأمره مفوض إلى الله، إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة، وإن شاء عذبه ثم أدخله الجنة.وقوله ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما استئناف مشعر بتعليل عدم غفران الشرك، وزيادة في تشنيع حال المشرك.أى. ومن يشرك بالله في عبادته غيره من خلقه، فقد ارتكب من الآثام ما لا تتعلق به المغفرة، لأنه بهذا الإشراك قد افترى الكذب العظيم على الله، واقترف الإفك المبين، وفعل أعظم ذنب في الوجود:__________(١) راجع كتابنا «بنوا إسرائيل في القرآن والسنة» ج ٢ من ص ٥٢- ٦٠.." (٢)

"احترقت جلودهم وتلاشت أعطيناهم بدل الجلود المحترقة جلودا غير محترقة مغايرة للمحترقة.فالتبديل على هذا تبديل حقيقى مادى. بمعنى أن يخلق الله- تعالى- مكان الجلود المحترقة جلودا أخرى جديدة مغايرة للمحترقة.ويرى بعضهم أن

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ١٧٠/٣

(٢) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ١٧٧/٣

الجملة الكريمة كناية عن دوام العذاب لهم. وقد ذكر هذا الرأى الفخر الرازي فقال: ويمكن أن يقال: هذا استعارة عن الدوام وعدم الانقطاع. كما يقال لمن يراد وصفه بالدوام: كلما انتهى فقد ابتدأ. وكلما وصل إلى آخره فقد ابتدأ من أوله. فكذا قوله كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها. يعنى: كلما ظنوا أنهم نضجوا واحترقوا وانتهوا إلى الهلاك، أعطيناهم قوة جديدة من الحياة. فيكون المقصود بيان دوام العذاب وعدم انقطاعه) «١» . والذي نراه أن حمل التبديل على حقيقته أولى، لأنه ليس لنا أن نعدل في كلام الله عن الحقيقة إلى المجاز، إلا عند الضرورة. وهنا لا ضرورة لذلك، لأن تبديل الجلود داخل تحت قدرة الله- تعالى- ولأن هذا المعنى الذي ذكره الإمام الرازي يتأتى مع حمل اللفظ على حقيقته إذ كلمة «كل» تدل على دوام العذاب وعدم انقطاعه، ولأن كثيرا من السلف قد فسروا الآية على الوجه الأول، فقد روى عن ابن عمر أنه قال: تلا رجل عند عمر هذه الآية قال: فقال عمر: أعدها على. فأعادها. فقال معاذ بن جبل: عندي تفسيرها: تبدل جلودهم في كل ساعة مائة مرة. فقال عمر: هكذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقوله ليذوقوا العذاب جملة تعليلية لقوله بدلناهم أى بدلناهم جلودا غيرها ليقاسوا شدة العذاب، وليحسوا به في كل مرة كما يحس الذائق للشيء الذي يذوقه. وقوله إن الله كان عزيزا حكيما تذييل قصد به تأكيد التهديد والوعيد الذي اشتملت عليه الآية الكريمة. أى: أن الله- تعالى كان وما زال عزيزا لا يغلبه غالب، ولا يمنع عقابه مانع (حكيما) في تدبيره وتقديره وتعذيب من يعذبه وإثابة من يثيبه. وقوله والذين آمنوا وعملوا الصالحات بيان لحسن الثواب الذي وعد الله به عباده المؤمنين في مقابلة بيان العقاب الذي أعده للكافرين. وتلك عادة القرآن في تربية النفوس. إنه يسوق عاقبة الكافرين ثم يتبعها بحسن عاقبة المؤمنين أو العكس، ليحمل العقلاء على الابتعاد عن طريق الكفر والعصيان، وليغريهم بالسير______________(١) تفسير الفخر الرازي ج ١٠ ص ١٣٥." (١)

"والمفضول. وأنه لا يجوز. بل المراد كونهم في الجنة بحيث يتمكن كل واحد منهم من رؤية الأخر، وإن بعد المكان، لأن الحجاب إذا زال شاهد بعضهم بعضا: وإذا أرادوا الزيارة والتلاقي قدروا عليه. فهذا هو المراد من هذه المعية. ثم قال: وقد دلت الآية على أنه لا مرتبة بعد النبوة في الفضل والعلم إلا هذا الوصف. وهو كون الإنسان صديقا ولذا أينما ذكر في القرآن الصديق والنبي لم يجعل بينهما واسطة كما قال- تعالى- في صفة إدريس إنه كان صديقا نبيا «١» . وقوله- تعالى وحسن أولئك رفيقا تذييل مقرر لما قبله مؤكد للترغيب في العمل الصالح الذي يوصل المسلم إلى صحبة هؤلاء الكرام. وقوله حسن فعل مراد به المدح ملحق بنعم. ومضمن معنى التعجب من حسنهم. واسم الإشارة أولئك يعود إلى كل صنف من هذه الأصناف الأربعة وهم النبيون ومن بعدهم. والرفيق: هو المصاحب الذي يلازمك في عمل أو سفر أو غيرهما. وسمى رفيقا لأنك ترافقه ويرافقك ويستعين كل واحد منكما بصاحبه في قضاء شئونه. وهو مشتق من الرفق بمعنى لين الجانب، ولطف المعاشرة. ولم يجمع، لأن صيغة فعيل يستوي فيها الواحد وغيره. والمعنى وحسن كل واحد من أولئك الأخيار- وهم الأنبياء ومن بعدهم- رفيقا ومصاحبا في الجنة لأن رفقة كل واحد منهم تشرح الصدور، وتبهج النفوس. والمخصوص بالمدح محذوف أى: وحسن كل واحد من المذكورين رفيقا أو وحسن المذكورون أو الممدوحون رفيقا، لأن حسن لها حكم نعم. وقوله

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ١٨٦/٣

أولئك فاعل حسن. ورفيقا تمييز.قال صاحب الكشاف وقوله وحسن أولئك رفيقا فيه معنى التعجب كأنه قيل:وما أحسن أولئك رفيقا. ولاستقلاله بمعنى التعجب قرئ وحسن بسكون السين) «٢» .واسم الإشارة ذلك في قوله ذلك الفضل من الله يعود إلى ما ثبت للمطيعين من أجر جزيل، ومزيد هداية، وحسن رفقة. وهو مبتدأ. وقوله الفضل صفته، والجار والمجرور______________(١) تفسير الفخر الرازي ج ١٠ ص ١٧١.(٢) تفسير الكشاف ج ١ ص ٥٣١ [.....]."[١]

"متعلق بمحذوف خبره. أى: ذلك الفضل العظيم كائن من الله- تعالى- لا من غيره.وقوله وكفى بالله عليما **تذييل** قصد به الإشارة إلى أن أولئك الأخيار. الذين قدموا أحسن الأعمال، واستحقوا أفضل الجزاء، وإن لم يعلمهم الناس فإن الله- تعالى- يعلمهم، وقد كافأهم بما يستحقون.أى: كفى به- سبحانه- عليما بمن يستحق فضله وعطاءه وبمن لا يستحق، فهو- سبحانه- الذي لا تخفى عليه خافية من شئون خلقه.وفي هذه الجملة الكريمة حض للمسلم على التزود من العمل الصالح، لأنه- سبحانه- ما دام يعلم أحوال عباده وسيحاسبهم على أعمالهم، فجدير بالعاقل أن يرغب في الطاعة وأن ينفر من المعصية.هذا، وقد وردت أحاديث كثيرة تشير إلى أن المؤمنين الصادقين سيكونون يوم القيامة مع أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.ومن هذه الأحاديث ما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه عن ربيعة بن كعب الأسلمى أنه قال. كنت أبيت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيته بوضوئه وحاجته فقال لي. (سل) : فقلت أسألك مرافقتك في الجنة. فقال أو غير ذلك؟ قلت: هو ذاك. قال: فأعنى على نفسك بكثرة السجود.ومنها ما رواه الإمام أحمد عن سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من قرأ ألف آية في سبيل الله، كتب يوم القيامة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا» .ومنها ما رواه الترمذي عن أبى سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء» قال ابن كثير: وأعظم من هذا كله بشارة، ما ثبت في الصحيح والمسانيد وغيرهما من طرق متواترة عن جماعة من الصحابة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم؟فقال «المرء مع من أحب» .قال أنس: فما فرح المسلمون فرحهم بهذا الحديث «١» .______________(١) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٥٢٣.." [٢]

"كله بيد الله، وأنه لا يحصل أمر من الأمور إلا بقضاء الله سهل عليه ذلك. ودلت الآية على أنه صلى الله عليه وسلم لو لم يساعده على القتال غيره لم يجز له التخلف عن الجهاد» «١» .وقوله: عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأسا وأشد تنكيلا بشارة للمؤمنين، ووعد منه- سبحانه- بحسن عاقبتهم وسوء عاقبة الكافرين. وعسى حرف ترج. وهو هنا يفيد التحقق واليقين، لأنه صادر عن الله- تعالى-، الذي لا يخلف وعده. وفي التعبير بها تعليم للمؤمنين الأدب في القول حتى لا يجزمون بأمر يتعلق بالمستقبل، بل يسددون ويقاربون ويباشرون الأسباب ثم بعد ذلك يتركون النتائج لله- تعالى- والمعنى: قاتل يا محمد في سبيل الله وحرض المؤمنين على ذلك، عسى الله- تعالى- أن يكف بأس الذين كفروا أى يمنع قتالهم وصولتهم وطغيانهم والله أشد بأسا أى أشد صولة وأعظم سلطانا، وأقدر بأسا على ما يريده وأشد تنكيلا

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٢١٠/٣

(٢) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٢١١/٣

أى أشد عقوبة وتعذيبا.والتنكيل: مصدر من قول القائل نكلت بفلان فأنا أنكل به تنكيلا إذا أوجعته عقوبة، وجعلته عبرة لغيره. وأصله التعذيب بالنكل وهو القيد، ثم استعمل في كل تعذيب بلغ الغاية في الشدة والألم.وأفعل التفضيل أشد ليس على بابه، لأن بأس المشركين لا قيمة له بجانب بأس الله- تعالى- وقوته ونفاذ أمره. وعذابهم لغيرهم من الضعفاء لا وزن له بجانب عذابه- سبحانه- للظالمين، لأن عذابهم لغيرهم يمكن التخلص منه أما عذابه- سبحانه- فلا يمكن التخلص منه ولأن عذابهم لغيرهم سينتهي مهما طال، أما عذابه- سبحانه- للكافرين الظالمين فهو باق دائم لا ينتهى ولا يزول.والمقصود من هذا **التذييل** تهديد الكافرين بسوء المصير وتشجيع المؤمنين على قتالهم، وبشارتهم النصر عليهم:قال القرطبي: قوله- تعالى- عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا إطماع، والإطماع من الله- تعالى- واجب لأن إطماع الكريم إيجاب..فإن قال قائل: نحن نرى الكفار في بأس وشدة، وقلتم: إن عسى بمعنى اليقين فأين ذلك الوعد؟ قيل له: قد وجد هذا الوعد ولا يلزم وجوده على الاستمرار والدوام. فمتى وجد ولو لحظة مثلا فقد صدق الوعد فقد كف الله بأس المشركين في بدر الصغرى. وفي الحديبية وفي______________(١) تفسير الفخر الرازي ج ١٠ ص ٢٠٤." (١)

"وقتالهم في سبيل الله، وهو الشفاعة الحسنة يكن له نصيب منها، أى يكن له من شفاعته تلك نصيب، وهو الحظ من ثواب الله وجزيل كرامته. ومن يشفع وتر أهل الكفر بالله على المؤمنين به، فيقاتلهم وذلك هو الشفاعة السيئة يكن له كفل منها. يعنى بالكفل: النصيب والحظ من الوزر والإثم، وهو مأخوذ من كفل البعير والمركب، وهو الكساء أو الشيء يهيأ عليه شبيه بالسرج على الدابة. يقال: جاء فلان مكتفلا: إذا جاء على مركب قد وطئ له ... وقد قيل: إن الآية عنى بها شفاعة الناس بعضهم لبعض. وغير مستنكر أن تكون الآية نزلت فيما ذكر، ثم عم بذلك كل شافع بخير أو شر.وإنما اخترنا ما قلنا من القول في ذلك لأنه في سياق الآية التي أمر الله نبيه فيها بحض المؤمنين على القتال. فكان ذلك بالوعد لمن أجاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والوعيد لمن أبى إجابته أشبه منه من الحث على شفاعة الناس بعضهم لبعض التي لم يجر لها ذكر قبل. ولا لها ذكر بعد «١» .وقوله وكان الله على كل شيء مقيتا **تذييل** قصد به تعريف الناس أنه- سبحانه- سيجازى كل إنسان بعمله، حتى يكثروا من فعل الخير ويقلعوا عن فعل الشر.ومقيتا: أى مقتدرا. من أقات على الشيء اقتدر عليه. ومنه قول الزبير ابن عبد المطلب:وذي ضغن كففت النفس عنه ... وكنت على مساءته مقيتاأى: وكنت على رد إساءته مقتدرا.أو مقيتا: معناها حفيظا من القوت وهو ما يمسك الرمق من الرزق وتحفظ به الحياة:والمعنى: وكان الله تعالى- وما زال على كل شيء مقتدرا لا يعجزه شيء، وحفيظا على أحوال الناس لا يغيب عنه شيء من ذلك، وسيجازيهم بما يستحقون من ثواب أو عقاب.هذا وقد وردت أحاديث متعددة في الحض على الشفاعة الحسنة، ومن ذلك ما أخرجه الشيخان عن أبى موسى الأشعرى قال: «كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتاه طالب حاجة أقبل على جلسائه فقال: «اشفعوا تؤجروا ويقضى الله على لسان نبيه ما أحب» .قال صاحب الكشاف: والشفاعة الحسنة هي التي روعي بها حق مسلم، ودفع بها عنه شر أو جلب إليه خير، وابتغى بها وجه الله، ولم تؤخذ عليها رشوة، وكانت في أمر جائز، لا في حد من حدود الله ولا في حق من الحقوق- يعنى الواجبة عليه- والسيئة ما كانت بخلاف ذلك.وعن مسروق: أنه شفع شفاعة.

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٢٤١/٣

فأهدى إليه المشفوع له جارية. فغضب وردها. وقال:لو علمت ما في قلبك ما تكلمت في حاجتك. ولا أتكلم فيما بقي منها» «٢» . ______________(١) تفسير ابن جرير ج ٥ ص ٢٨٦(٢) تفسير الكشاف ج ١ ص ٥٤٢.." [1]

"وبعد أن أمر الله- تعالى- عباده بالشفاعة الحسنة ونهاهم عن الشفاعة السيئة، أتبع ذلك بتعليمهم أدب اللقاء والمقابلة حتى تزيد المودة والمحبة بينهم فقال- تعالى-: وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها.والتحية: تفعلة من حييت والأصل تحيية مثل ترضية وتسمية فأدغموا الياء في الياء. قال الراغب: أصل التحية من الحياة، بأن يقال حياك الله، أى: جعل لك حياة، وذلك إخبار ثم جعل دعاء تحية. يقال: حيا فلان فلانا تحية إذا قال له ذلك «١» .وكان من عادة العرب إذا لقى بعضهم بعضا أن يقولوا على سبيل المودة: حياك الله فلما جاء الإسلام أبدل ذلك بالسلام والأمان بأن يقول المسلم لأخيه المسلم: السلام عليكم وأضيف إليها الدعاء برحمة الله وبركاته.قال ابن كثير: قوله- تعالى- وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها أى: إذا سلم عليكم المسلم فردوا عليه بأفضل مما سلم، أوردوا عليه بمثل ما سلم. فالزيادة مندوبة والمماثلة مفروضة. فعن سلمان الفارسي قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: السلام عليكم يا رسول الله. فقال «وعليك السلام ورحمة الله» ثم جاء آخر فقال: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وعليك السلام ورحمة الله وبركاته. ثم جاء ثالث فقال: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته فقال له: (وعليك) فقال له الرجل:يا رسول الله، بأبى أنت وأمى أتاك فلان وفلان فسلما عليك فرددت عليهما أكثر مما رددت على.فقال (إنك لم تترك لنا شيئا) قال الله- تعالى-: وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها فرددناها عليك. وفي الحديث دلالة على أنه لا زيادة في السلام على هذه الصفة:السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. إذ لو شرع أكثر من ذلك لزاده رسول الله صلى الله عليه وسلم «٢» .فأنت ترى أن الآية الكريمة تدعو المؤمنين إلى أن يردوا التحية على من يحيونهم وأن يفشوا هذه التحية بينهم، لأن إفشاءها يؤدى إلى توثيق علاقات المحبة والمودة بين المسلمين.وقد ورد في الحض على إفشاء السلام أحاديث كثيرة منها ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا.ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم» .وقوله إن الله كان على كل شيء حسيبا تذييل قصد به بعث الناس على امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه.______________(١) مفردات القرآن للراغب الاصفهاني ص ١٤٠(٢) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٥٣١.." [2]

"فلا يقع منه في المستقبل ما وقع منه في الماضي، ولهذا قال الإمام الزيلعى:«وبهذا النوع من القتل أى القتل الخطأ- لا يأثم إثم القتل، وإنما يأثم إثم ترك التحرز والمبالغة في التثبت، لأن الأفعال المباحة لا تجوز مباشرتها إلا بشرط ألا تؤذى أحدا. فإذا آذى أحدا فقد تحقق ترك الحرز» .وقوله وكان الله عليما حكيما تذييل قصد به زجر الناس عن اتباع الهوى وعن مخالفة شريعته.أى: وكان الله وما زال عليما بالنفوس وخباياها وحركاتها وبكل شيء في هذا الكون: حكيما في كل ما شرع وقضى. وسيحاسب الناس على أقوالهم. وأعمالهم يوم القيامة. وسيجازيهم بما يستحقون من خير أو من شر.وبهذا نرى أن

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٣/٢٤٣

(٢) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٣/٢٤٤

الآية الكريمة قد بينت أن المؤمن إذا قتل على سبيل الخطأ أخاه المؤمن أو قتل رجلا من قوم كافرين ولكن بيننا وبينهم ميثاق أمان فعليه في كل حالة من هاتين الحالتين عتق رقبة ودية. أما إذا قتل المؤمن رجلا مؤمنا ولكن كان من قوم كافرين محاربين لنا وليس بيننا وبينهم عهد ولا ميثاق فعلى القاتل تحرير رقبة فقط. فإن لم يستطع تحرير رقبة فعليه صيام شهرين متتابعين توبة من الله. وبهذه الأحكام الحكيمة تربى النفوس على الاحتراس والاحتياط وأخذ الحذر، وتصان الدماء عن أن تذهب هدرا، وتعوض أسرة القتيل عن فقيدها بما يخفف آلامها، ويجبر خاطرها، وتعوض الجماعة الإسلامية بتحرير رقبة مؤمنة تعمل لصالح الجماعة بحرية وانطلاق بعد أن كانت تعمل لخدمة سيدها فحسب.ثم بين– سبحانه– بعد ذلك سوء عاقبة من يقتل مؤمنا متعمدا فقال: ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما.أى: ومن يقتل مؤمنا متعمدا قتله فجزاؤه الذي يستحقه بسبب هذه الجناية الكبيرة «جهنم خالدا فيها» أى باقيا فيها مدة طويلة لا يعلم مقدارها إلا الله وغضب الله عليه بسبب ما ارتكبه من منكر ولعنه أى طرده من رحمته وأعد له من وراء ذلك كله عذابا عظيما يوم القيامة.هذا وقد ساق المفسرون جملة من الآيات والأحاديث التي تهدد مرتكب هذه الكبيرة بالعذاب الشديد واختلفوا في حكمها هل هي منسوخة أولا؟ وهل للقاتل عمدا توبة أو لا؟وقد أفاض الإمام ابن كثير في بيان كل ذلك فقال ما ملخصه:«هذا تهديد شديد ووعيد أكيد لمن تعاطى هذا الذنب العظيم والذي هو مقرون بالشرك بالله." (١)

"وقد رجح هذا المعنى ابن جرير فقال ما ملخصه: قوله كذلك كنتم من قبل أى كذلك كنتم تخفون إيمانكم في وقومكم من المشركين، وأنتم مقيمون بين أظهرهم، كما كان هذا الذي قتلتموه مقيما بين أظهر قومه من المشركين مستخفيا بدينه منهم فمن الله عليكم أى: فرفع منكم ما كنتم فيه من الخوف من أعدائكم بإظهار دينه وإعزاز أهله، حتى أمكنكم إظهار ما كنتم تستخفون به من توحيده وعبادته ... «١» .والذي يبدو لنا أن الآية الكريمة تتسع لهذين التفسيرين، إلا أن التفسير الأول الذي جرى عليه صاحب الكشاف أشمل وأنسب لسياق الآية لأن المقصد الرئيسى الذي تدعو إليه الآية الكريمة هو نهى المؤمنين عن سوء الظن بمن أظهر الإسلام وعن الاعتداء عليه. وأمرهم بان يعاملوا الناس بظواهرهم أما بواطنهم فأمرها إلى الله وحده.والفاء في قوله فتبينوا فصيحة. أى: إذا كان الأمر كذلك فتبينوا نعمة الله عليكم وداوموا على شكرها، وقيسوا أحوال غيركم بما سبق من أحوالكم، واقبلوا ظواهر الناس بدون فحص عن بواطنهم، ولا تصدروا أحكامكم عليهم إلا بعد التثبت والتأكد من صحتها ولا تشهروا سيوفكم في وجوههم إلا بعد التأكد من كفرهم وعدوانهم.وقوله: إن الله كان بما تعملون خبيرا تذييل قصد به تحذيرهم من مخالفة أمره.أى: إن الله مطلع على دقيق الأمور وجليلها، خبير بما تسره نفوسكم وما تعلنه، لا يخفى عليه شيء من ظواهركم وبواطنكم، وسيحاسبكم على كل ذلك، وسيجازيكم بما تستحقون من خير أو شر.هذا وقد أخذ العلماء من هذه الآية أن الكافر إذا نطق بالشهادتين حرم قتله لأنه قد اعتصم بعصام الإسلام المانع من إهدار دمه وماله وأهله.كما أخذوا منها وجوب التثبت في الأحكام وفي الأقوال. وأخذ الناس بظواهرهم حتى يثبت خلاف ذلك.قال الفخر الرازي: اعلم أن المقصود من هذه الآية المبالغة في تحريم قتل المؤمنين. وأمر

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٣/٢٦١

المجاهدين بالتثبت فيه، لئلا يسفكوا دما حراما بتأويل ضعيف «٢» .وقال بعض العلماء: وقد دلت الآية على حكمة عظيمة في حفظ الجامعة الدينية، وهي بث الثقة والأمان بين أفراد الأمة وطرح ما من شأنه إدخال الشك لأنه إذا فتح هذا الباب عسر______________(١) تفسير الطبري ج ٥ ص ٢٢٦.(٢) تفسير الفخر الرازي ج ١١ ص ٢.." [1]

"ولا نفقة معهم توصلهم مبتغاهم ولا يهتدون سبيلا أى: ولا يعرفون الطريق التي توصلهم إلى دار هجرتهم.قال القرطبي: والحيلة: لفظ عام لأنواع أسباب التخلص. والسبيل: سبيل المدينة. فيما ذكر مجاهد والسدى وغيرهما. والصواب أنه عام في جميع السبل.والاستثناء في قوله إلا المستضعفين منقطع- على الصحيح- لأن هؤلاء الذين قعدوا عن الهجرة لعجزهم، خارجون من أولئك الذين ظلموا أنفسهم بقعودهم عن الهجرة مع قدرتهم على ذلك.وفي ذكر الولدان مبالغة في أمر الهجرة حتى لكأنها لو استطاعها غير المكلفين لقاموا بها، وإشعار بأن على أوليائهم أن يهاجروا بهم معهم متى تمكنوا من ذلك.وقوله فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم. بيان لحكم هؤلاء المستضعفين الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا.أى: أن هؤلاء الذين قعدوا عن الهجرة لأعذار حالت بينهم وبينها «عسى الله أن يعفو عنهم» أى: يتجاوز عنهم بفضله ورحمته بسبب عدم استطاعتهم للهجرة.قال الجمل: وعسى ولعل في كلام الله واجبتان، وإن كانتا رجاء وطمعا في كلام المخلوقين، لأن المخلوق هو الذي تعرض له الشكوك والظنون. والباري منزه عن ذلك، وإذا أطمع- سبحانه- عبده وصله «١» .وقال الآلوسى: وفي قوله عسى الله أن يعفو عنهم إيذان بأن ترك الهجرة أمر خطير حتى ان المضطر الذي تحقق عدم وجوبها عليه ينبغي له أن يعد تركها ذنبا، ولا يأمن. ويترصد الفرصة ويعلق قلبه بها» «٢» .وقوله وكان الله عفوا غفورا **تذييل** مقرر لما قبله بأتم وجه أى وكان الله- تعالى-.وما زال كثير العفو عن عباده فيما يقعون فيه من تقصير، كثير المغفرة لمن تاب إليه وأناب.ثم رغب- سبحانه- في الهجرة من أجل إعلاء دينه بأسمى ألوان الترغيب فقال: ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة.وقوله: مراغما اسم مكان أى يجد في الأرض متحولا ومهاجرا.______________(١) حاشية الجمل على الجلالين ج ١ ص ٤١٨(٢) تفسير الآلوسى ج ٥ ص ١٢٧." [2]

"أى: ولا حرج ولا إثم عليكم- أيها المؤمنون- في أن تضعوا أسلحتكم في أغمادها فلا تحملوها إن كان بكم أذى من مطر يثقل معه حمل السلاح أو كنتم مرضى بحيث يشق عليكم حملها، ومع كل هذا فلا بد من أخذ الحذر من أعدائكم، بأن تكونوا على يقظة تامة من مكرهم، وعلى أحسن استعداد لدحرهم إذا ما باغتوكم بالهجوم.وقوله إن الله أعد للكافرين عذابا مهينا **تذييل** قصد به تشجيع المؤمنين على مقاتلة أعدائهم وأخذ الحذر منهم.أى: إن الله- تعالى- أعد لأعدائكم الكافرين عذابا مذلا لهم في الدنيا والآخرة. أما في الدنيا فبنصركم عليهم وإذهاب صولتهم ودولتهم، كما قال- تعالى- قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين.وأما في الآخرة فبالعذاب الذي يهينهم ويذلهم ولا يستطيعون منه نجاة أو مهربا. وإذا كان الأمر كذلك فباشروا- أيها المؤمنون- الأسباب التي توصلكم إلى النصر عليهم.هذا، ومن الأحكام والآداب التي أخذها العلماء من هذه الآية ما يأتى:١- قال الآلوسى: تعلق بظاهر قوله-

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٢٦٧/٣

(٢) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٢٧٨/٣

تعالى- وإذا كنت فيهم. من خص صلاة الخوف بحضرته صلى الله عليه وسلم كالحسن بن زيد ونسب ذلك أيضا لأبى يوسف، ونقله عنه الجصاص في كتاب الأحكام، وعامة الفقهاء على خلافه فإن الأئمة بعده صلى الله عليه وسلم نوابه، وقوام بما كان يقوم به فيتناولهم حكم الخطاب الوارد له عليه الصلاة والسلام كما في قوله خذ من أموالهم صدقة وقد أخرجه أبو داود والنسائي وابن حبان وغيرهم عن ثعلبة بن زهدم. قال: كنا مع سعيد بن العاص بطبرستان فقال: أيكم صلى مع رسول الله صلاة الخوف؟ فقال حذيفة: أنا. ثم وصف له ذلك فصلوا كما وصف، وكان ذلك بمحضر من الصحابة ولم ينكره أحد منهم. وهم الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم، وهذا يحل محل الإجماع «١» .٢- أخذ العلماء من هذه الآية الكريمة مشروعية صلاة الخوف وصفتها وأنه يطلب فيها حمل السلاح إلا لعذر. وقد روى المفسرون في سبب نزول هذه الآية روايات منها ما أخرجه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي وغيرهم عن أبى عياش الزرقي قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعسفان فاستقبلنا المشركون عليهم خالد بن الوليد. وهم بيننا وبين القبلة. فصلى بنا النبي صلى الله عليه وسلم الظهر فقالوا: قد كانوا على حال لو أصبنا غرتهم ثم قالوا: تأتى عليهم الآن صلاة هي أحب إليهم______________(١) تفسير الآلوسى ج ٥ ص ١٣٤- بتصريف يسير-." (١)

"وقوله «إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا» **تذييل** المقصود به تأكيد ما قبله من الأمر بالمحافظة على الصلاة.أى: إن الصلاة كانت على المؤمنين فرضا محددا بأوقات لا يجوز مجاوزتها بل لا بد من أدائها في أوقاتها سفرا وحضرا، وأمنا وخوفا.والمراد بالكتاب هنا: المكتوب. وبالموقوت: المحدد بأوقات من وقت كمضروب من ضرب.وقد رجح ابن جرير هذا المعنى بقوله: وأولى المعاني بتأويل الكلمة قول من قال: إن الصلاة كانت على المؤمنين فرضا موقوتا. أى فرضا وقت لهم وقت وجوب أدائه. لأن الموقوت إنما هو مفعول من قول القائل: وقت الله عليك فرضه فهو يقته. ففرضه عليك موقوت، إذا أخبر أنه جعل له وقتا يجب عليك أداؤه «١» .وقد أكد الله- تعالى- فرضية الصلاة ووجوب أدائها في أوقاتها بإن المفيدة للتأكيد، وبكان المفيدة للدوام والاستمرار. وبالتعبير عن الصلاة بأنها كتاب، وهو تعبير عن الوصف بالمصدر فيفيد فضل توكيد، وبقوله على المؤمنين فإن هذا التركيب يفيد الإلزام والحتمية. وكل ذلك لكي يحافظ المؤمنون عليها محافظة تامة دون أن يشغلهم عنها شاغل، أو يحول بينهم وبين أدائها حائل.وقوله ولا تهنوا في ابتغاء القوم تشجيع للمؤمنين على مواصلة قتال أعدائهم بصبر وعزيمة.وقوله تهنوا من الوهن وهو الضعف والتخاذل. والابتغاء مصدر ابتغى بمعنى بغى المتعدى أى طلب.أى: ولا تضعفوا- أيها المؤمنون- في ابتغاء العدو وطلبه، ولا تقعد بكم الآلام عن متابعته وملاحقته حتى يتم الله لكم النصر عليه.ثم رغبهم- سبحانه- في مواصلة طلب أعدائهم بأسلوب منطقي رصين فقال: إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون، وترجون من الله ما لا يرجون.أى: لا تتوانوا- أيها المؤمنون- عن ملاحقة أعدائكم ومقاتلتهم مهما تحملتم من آلام، وما أصبتم به من جراح، لأن ما أصابكم من آلام وجراح قد أصيب أعداؤكم بمثله أو أكثر منه، ولأن الآلام التي

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٢٩٠/٣

تحسونها هم يحسون مثلها أو أكثر منها. وفضلا عن ذلك فأنتم ترجون________________(١) تفسير ابن جرير ج ٥ ص ٢٦٢ بتصرف وتلخيص.." (١)

"سرقها فاعف عنه. فقال لها كذبت. إن الله لا يؤاخذ عبده في أول مرة «١» .وقوله يستخفون من الناس ولا يستخفون من اللهبيان لأحوالهم القبيحة التي تجعلهم محل غضب الله وسخطه.والاستخفاء معناه الاستتار. يقال استخفيت من فلان. أى: تواريت منه واستترت.أى: أن هؤلاء الذين من طبيعتهم الخيانة والوقوع في الآثام يستترون من الناس عند ما يقعون في المنكرات حياء منهم وخوفا من ضررهم ولا يستخفون من اللهأى: ولا يشعرون برقابة الله عليهم، واطلاعه على جميع أحوالهم، بل يرتكبون ما يرتكبون من آثام بدون حياء منه مع أنه- سبحانه- هو الأحق بأن يستحى منه، ويخشى من عقابه.وقوله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطابيان لشمول علمه- سبحانه- بكل حركاتهم وسكناتهم.أى: أن هؤلاء الخائنين يرتكبون السوء بدون حياء من الله، مع أنه- سبحانه- معهم في كل حركاتهم وسكناتهم بعلمه واطلاعه على أقوالهم وأعمالهم ولا يخفى عليه شيء من أمرهم حين «يبيتون» أى يضمرون ويدبرون ويقدرون في أذهانهم مالا يرضاه الله- من القول كأن يرتكبوا المنكرات ثم يمسحونها في غيرهم حتى لا يفتضح أمرهم.قال صاحب الكشاف: وكفى بهذه الآية ناعية على الناس ما هم فيه من قلة الحياء والخشية من ربهم، مع علمهم- إن كانوا مؤمنين- أنهم في حضرته لا سترة ولا غفلة ولا غيبة، وليس إلا الكشف الصريح والافتضاح.وقوله يبيتونأى: يدبرون ويزورون وأصله أن يكون ليلا ما لا يرضى من القولوهو تدبير طعمة أن يرمى الدرع في دار غيره.فإن قلت: كيف سمى التدبير قولا وإنما هو معنى في النفس؟ قلت: لما حدث بذلك نفسه سمى قولا على المجاز. ويجوز أن يكون المراد بالقول: الحلف الكاذب الذي حلف به طعمة بعد أن بيته وتوريكه الذنب على اليهودي «٢» .وقوله وكان الله بما يعملون محيطاتذييل قصد به التهديد والوعيد. أى وكان الله- تعالى- محيطا إحاطة تامة بما يعمله هؤلاء الخائنون وغيرهم ولا يغيب عن علمه شيء من تصرفاتهم، وسيحاسبهم عليها يوم القيامة.________________(١) تفسير الكشاف ج ١ ص ٥٦٣(٢) تفسير الكشاف ج ١ ص ٥٦٣. وقوله «وتوريكه الذنب» يقال: ورك فلان ذنبه على غيره أى رماه به.." (٢)

"والمراد بظلم النفس: الأعمال السيئة التي يعود ضررها ابتداء على فاعلها نفسه كشرب الخمر، وترك الصلاة أو الصيام وما يشبه ذلك.وإنما فسروا كل جملة بهذا التفسير المغاير للأخرى لوجود المقابلة بينهما.وإلى هذا المعنى أشار صاحب الكشاف بقوله: ومن يعمل سوءاأى عملا قبيحا يسوء به غيره كما فعل طعمة بقتادة واليهودي أو يظلم نفسهبما يختص به كالحلف الكاذب. وقيل ومن يعمل سوءا من ذنب دون الشرك أو يظلم نفسه بالشرك. وهذا بعث لطعمة على الاستغفار والتوبة أو لقومه لما فرط منهم من نصرته والذب عنه «١» .والتعبير «بثم» في قوله ثم يستغفر اللهللإشارة إلى ما بين المعصية والاستغفار من تفاوت معنوي شاسع. إذ المعصية تؤدى بفاعلها إلى الخسران أما الاستغفار الذي تصحبه التوبة الصادقة فيؤدى إلى الفلاح والسعادة.وقوله يجد الله غفورا رحيمايفيد أن الله- تعالى- يستجيب لطلب الغفران من عبده متى تاب

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٣/٢٩٤

(٢) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٣/٣٠٠

إليه وأناب، لأنه- سبحانه- قد وصف نفسه بأنه كثير المغفرة والرحمة لعباده، متى أقبلوا على طاعته بقلب سليم، ونية صادقة.ثم بين- سبحانه- بأن الأفعال السيئة يعود ضررها على صاحبها وحده فقال- تعالى- ومن يكسب إثما فإنما يكسبه على نفسه، وكان الله عليما حكيما.والكسب كما يقول الراغب- ما يتحراه الإنسان مما فيه اجتلاب نفع وتحصيل حظ، ككسب المال. وقد يستعمل فيما يظن الإنسان أنه يجلب منفعة له ثم استجلب به مضرة. وقد ورد في القرآن في فعل الصالحات والسيئات فمما استعمل في الصالحات قوله: أو كسبت في إيمانها خيرا. ومما استعمل في السيئات قوله: إن الذين يكسبون الإثم «٢» .ومنه قوله- تعالى- هنا ومن يكسب إثما فإنما يكسبه على نفسهأى. ومن يرتكب إثما من الآثام التي نهى الله عن ارتكابها، فإن ضرر ذلك يعود على نفسه وحدها. وما دام الأمر كذلك فعلى العاقل أن يبتعد عن الذنوب والآثام حتى ينجو من العقاب.وقوله وكان الله عليما حكيما**تذييل** قصد به التحذير من سوء عاقبة اكتساب الآثام.أى: وكان الله عليما بما في قلوب الناس وبما يقولون ويفعلون، حكيما في كل ما قدر وقضى.______________(١) تفسير الكشاف ج ١ ص ٥٦٣ بتصرف يسير.(٢) مفردات القرآن للراغب الأصفهاني ص ٣٤٠." [١]

"والاستفهام في قوله ومن أصدق من الله قيلا للنفي. والقيل مصدر كالقول أى: هذا ما وعد الله به عباده المؤمنين، وما وعد الله به عباده فهو متحقق الوقوع لا محالة، لأنه لا أحد أصدق من الله قولا. فالجملة الكريمة **تذييل** قصد به تأكيد ما سبقه من وعد الله لعباده المؤمنين بالجنة.وقوله قيلا منصوب على أنه تمييز نسبة من قوله ومن أصدق من الله ثم بين- سبحانه- أن الوصول إلى رضوانه لا يكون بالأمانى والأوهام وإنما يكون بالإيمان والعمل الصالح فقال: ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب، من يعمل سوءا يجز به. ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا.والأمانى: جمع أمنية. وهي ما يتمناه الإنسان ويرغب فيه ويشتهيه من أشياء متنوعة.كحصوله على الخير الوفير في الدنيا، وعلى الجنة في الآخرة. وهي مأخوذة من التمني.وقد روى المفسرون في سبب نزول هذه الآية روايات منها قول قتادة: ذكر لنا أن المسلمين وأهل الكتاب افتخروا. فقال أهل الكتاب: نبينا قبل نبيكم، وكتابنا قبل كتابكم فنحن أولى منكم. وقال المسلمون: نحن أولى بالله منكم، ونبينا خاتم النبيين. وكتابنا يقضى على الكتب التي كانت قبله. فأنزل الله: ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب. الآية.وقال مجاهد: قالت العرب لن نبعث ولن نعذب. وقالت اليهود والنصارى لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى. فأنزل الله- تعالى- ليس بأمانيكم. الآية «١» .والضمير في قوله ليس يعود إلى ما تقدم ذكره من الوعد المتقدم وهو نيل الثواب ودخول الجنة.والخطاب لجميع الفرق التي حدث بينها تنازع في شأن الدين الحق، وفي شأن ما يترتب على ذلك من ثواب.والمعنى: ليس ما وعد الله به من الثواب أو إدخال الجنة، أو ليس ما تحاورتم فيه حاصلا بمجرد أمانيكم- أيها المسلمون- أو أمانى أهل الكتاب أو غيرهم، وإنما ما تمنيتموه جميعا يحصل بالإيمان الصادق، وبالعمل الصالح، وبالسعي والجد في طاعة الله، فقد اقتضت سنة الله- تعالى- أن من يعمل خيرا يجد خيرا، ومن يعمل سوءا يجز به أى: من يرتكب

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٣/٣٠٢

معصية مؤمنا كان أو كافرا يجازه الله بها عاجلا أو آجلا إلا إذا تاب، أو تفضل الله عليه بالمغفرة إذا كان مؤمنا.____________(١) تفسير ابن جرير ج ٥ ص ٣٨٨.." (١)

"قال الآلوسى قوله- تعالى-: من يعمل سوءا يجز به أى: عاجلا أو آجلا. فقد أخرج الترمذي وغيره عن أبى بكر الصديق قال: كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية. فقال رسول الله: يا أبا بكر ألا أقرئك آية نزلت على؟ فقلت: بلى يا رسول الله. فأقرأنيها فلا أعلم إلا أنى وجدت انفصاما في ظهري.. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم. مالك يا أبا بكر؟ قلت بأبى أنت وأمى يا رسول الله وأينا لم يعمل السوء. وإنا لمجزيون بكل سوء عملناه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما أنت وأصحابك يا أبا بكر المؤمنون فتجزون بذلك في الدنيا حتى تلقوا الله- تعالى- ليس عليكم ذنوب. وأما الآخرون فيجمع لهم ذلك حتى يجزون يوم القيامة.وأخرج مسلم وغيره عن أبى هريرة قال: لما نزلت هذه الآية شق ذلك على المسلمين وبلغت منهم ما شاء الله- تعالى- فشكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: سددوا وقاربوا فإن كل ما أصاب المسلم كفارة حتى الشوكة يشاكها والنكبة ينكبها.قال الآلوسى: والأحاديث بهذا المعنى أكثر من أن تحصى. ولهذا أجمع عامة العلماء على أن الأمراض والأسقام ومصائب الدنيا وهمومها- وإن قلت مشقتها- يكفر الله- تعالى- بها الخطيئات، والأكثرون على أنها- أيضا ترفع بها الدرجات، وهو الصحيح المعول عليه. فقد صح في غير ما طريق «ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها إلا كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة» «١» .وقوله- تعالى- ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا تذييل قصد به تأكيد ما قبله من أن ثواب الله لا ينال إلا بالإيمان والعمل الصالح، وأن عقابه سيحل بمن يعمل السوء.أى: أن من يعمل السوء سيجازى به، ولا يجد هذا المرتكب للسوء أحدا سوى الله- سبحانه- يلي أمره ويحامى عنه، ولا نصيرا ينصره ويحاول إنجاءه من عقاب الله- تعالى- ثم بين- سبحانه- حسن عاقبة المؤمنين فقال: ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا.أى: ومن يعمل من الأعمال الصالحات سواء أكان العامل ذكرا أم أنثى ما دام متحليا بصفة الإيمان، فأولئك العاملون بالأعمال الصالحة يدخلون الجنة جزاء عملهم ولا ينقصون شيئا من ثواب أعمالهم، ولو كان هذا الشيء نقيرا وهو النقطة التي تكون في ظهر النواة ويضرب بها المثل في القلة والحقارة.ومن في قوله من الصالحات للتبعيض أى: بعض الأعمال الصالحات لأن الإنسان____________(١) تفسير الآلوسى ج ٥ ص ١٥٢.." (٢)

"أى: لا أحد أحسن دينا، وأصوب طريقا ممن أخلص نفسه لله، وأتقن أعماله الصالحة على الوجه الذي يرضاه الله- تعالى- واتبع ملة إبراهيم الذي كان مبتعدا عن كل الملل الزائفة المعوجة ومتجها إلى الدين الحق، والمنهاج المستقيم.والمراد بملة إبراهيم: شريعته التي كان يدين الله عليها، ومنهاجه الذي يوافق منهاج الإسلام الذي أتى به محمد- عليه الصلاة والسلام.وحنيفا من الحنف وهو الميل عن الضلال إلى الاستقامة. وضده الجنف يقال: تحنف فلان أى تحرى طريق الاستقامة.وقوله واتخذ الله إبراهيم خليلا تذييل جيء به للترغيب في اتباع ملة إبراهيم، وللتنويه بشأنه- عليه السلام- وبشأن

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٣/٣١٩

(٢) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٣/٣٢١

من اتبع طريقته.والخليل في كلام العرب: هو الصاحب الملازم الذي لا يخفى عليه شيء من أمور صاحبه.مشتق من الخلة وهي صفاء المودة التي توجب الاختصاص بتخلل الأسرار.قال الآلوسى: والخليل مشتق من الخلة- بضم الخاء- وهي إما من الخلال- بكسر الخاء- فإنها مودة تتخلل النفس وتخالطها مخالطة معنوية. فالخليل من بلغت مودته هذه المرتبة.وإما من الخلل على معنى أن كلا من الخليلين يصلح خلل الآخر. وإما من الخل- بالفتح- وهو الطريق في الرمل، لأنهما يتوافقان على طريقة. وإما من الخلة- بفتح الخاء- بمعنى الخصلة لأنهما يتوافقان في الخصال والأخلاق. وأطلق الخليل على إبراهيم، لأن محبة الله تعالى، قد تخللت نفسه وخالطتها مخالطة تامة، أو لتخلقه بأخلاق الله تعالى «١» .والمعنى: واتخذ الله إبراهيم حنيفا له من بين خلقه، لأنه- عليه السلام- كان خالص المحبة لخالقه- عز وجل- ومبغضا لكل ما يبغضه الله من الشريك والأعمال السيئة، وغيورا على إعلاء كلمة الله وعلى تمكين دينه في الأرض فوصفه الله- تعالى- بهذا الوصف الجليل، وأسبغ عليه الكثير من ألوان نعمه وفضله.قال الجمل: وقوله واتخذ الله إبراهيم خليلا في خليلا وجهان، فإن عدينا اتخذ لاثنين كان مفعولا ثانيا وإلا كان حالا. وهذه الجملة عطف على الجملة الاستفهامية التي معناها الخبر للتنبيه على شرف المتبوع وأنه جدير بأن يتبع لاصطفاء الله له بالخلة، وفائدة هذه الجملة تأكيد وجوب اتباع ملته، لأن من بلغ من الزلفى عند الله أن اتخذه خليلا جديرا بأن تتبع ملته.وأظهر اسم إبراهيم في مقام الإضمار لتفخيم شأنه، والتنصيص على أنه متفق على مدحه «٢» .ـــــــــــــــــ(١) تفسير الآلوسى ج ٥ ص ١١٥(٢) حاشية الجمل على الجلالين ج ١ ص ١٤٨." [1]

"فالجملة الكريمة مستأنفة لبيان مظاهر قدرته ورحمته بعباده. والخطاب في قوله: ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله والمراد بالذين أوتوا الكتاب: اليهود والنصارى ومن قبلهم من الأمم. والمراد بالكتاب: جنس الكتب الإلهية.وقوله: وإياكم معطوف على الموصول. وقوله من قبلكم متعلق بأوتوا أو بوصينا وقوله: أن اتقوا الله أن مصدرية في محل جر بتقدير حرف الجر.والمعنى: ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم من الأمم السابقة وإياكم أى:وصينا كلا منهم ومنكم بتقوى الله. أى بمراقبته وخشيته وتنفيذ أوامره والبعد عن نواهيه.وقوله: وإن تكفروا فإن لله ما في السماوات وما في الأرض معطوف على وصينا بتقدير قلنا. أى وصيناهم ووصيناكم بتقوى الله، وقلنا لكم ولهم: إن تكفروا فاعلموا أنه- سبحانه- هو مالك الملك والملكوت ولن يضره كفركم ومعاصيكم، كما أنه- سبحانه- لن ينفعه شكركم وتقواكم، وإنما وصاكم وإياهم بما وصى لرحمته بكم لا لحاجته إليكم. كما قال- تعالى- في آية أخرى: إن تكفروا فإن الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم.ويرى صاحب الكشاف أن قوله- تعالى- وإن تكفروا عطف على اتقوا، فقد قال:وقوله: وإن تكفروا فإن لله ما في السماوات وما في الأرض عطف على اتقوا. لأن المعنى:أمرناهم وأمرناكم بالتقوى، وقلنا لهم ولكم: إن تكفروا فإن لله ما في السموات وما في الأرض. والمعنى: إن لله الخلق كله وهو خالقهم ومالكهم والمنعم عليهم بأصناف النعم كلها، فحقه أن يكون مطاعا في خلقه غير معصى. يتقون عقابه ويرجون ثوابه. ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من الأمم السابقة ووصيناكم أن اتقوا الله. يعنى: أنها وصية قديمة ما زال يوصى الله بها عباده، لستم بها مخصوصين: لأنهم بالتقوى يسعدون عنده، وبها ينالون النجاة في العاقبة. وقلنا لهم ولكم: وإن تكفروا فإن لله في سماواته

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٣/٣٢٣

وأرضه من الملائكة والثقلين من يوحده ويعبده ويتقيه «١» .وجواب الشرط في قوله «وإن تكفروا محذوف، والتقدير: إن تكفرا بما وصاكم به فلن يضره كفركم فإنه- سبحانه- له ما في السموات وما في الأرض ثم ختم- سبحانه- الآية بقوله:وكان الله غنيا حميدا أى: وكان الله وما زال غنيا عن خلقه وعن عبادتهم، مستحقا لأن يحمده الحامدون لكثرة نعمه عليهم فالجملة الكريمة **تذييل** مقرر لما قبله.ثم أكد- سبحانه- هيمنته على هذا الكون وملكيته له فقال: ولله ما في السماوات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا.______________(١) تفسير الكشاف ج ١ ص ٨٥٤.." [١]

"ثواب الدنيا يعنى عرض الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة يعنى: أن جزاءه في الدنيا منها هو ما يصيب من المغنم. وأما ثوابه في الآخرة فنار جهنم «١» .والذي نراه أولى أن الآية الكريمة تخاطب الناس عامة، فتبين لهم أن خير الدنيا بيد الله وخير الآخرة أيضا بيد الله، فإن اتقوه نالوا الخيرين، وتنبههم إلى أن من الواجب عليهم ألا يشغلهم طلب خير الدنيا عن طلب خير الآخرة. بل عليهم أن يقدموا ثواب الآخرة على ثواب الدنيا.عملا بقوله- تعالى- في آية أخرى: وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا. ولا نرى مقتضيا لتخصيص الآية بالمنافقين كما- يرى ابن جرير- رحمه الله.وقوله- تعالى- وكان الله سميعا عليما **تذييل** قصد به حض الناس على الإخلاص في أقوالهم وأعمالهم.أى: وكان الله- تعالى- سميعا لكل ما يجهر به الناس ويسرونه، بصيرا بأحوالهم الظاهرة والخفية، وسيجازيهم بما يستحقونه من ثواب أو عقاب، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.ثم وجه- سبحانه- بعد ذلك نداءين متتاليين إلى المؤمنين أمرهم فيهما بالمداومة على التمسك بفضيلة العدل في جميع الظروف والأحوال، وبالثبات على الإيمان الحق الذي ينالون به ثواب الله ورضاه، وتوعد الذين ينحرفون عن طريق الحق بسوء العاقبة فقال- تعالى-:[سورة النساء (٤) : الآيات ١٣٥ الى ١٣٦]يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا (١٣٥) يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا (١٣٦)______________(١) تفسير ابن جرير ج ٥ ص ٣٩١.." [٢]

"والمراد بالهوى في قوله: فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا الخضوع للشهوات والميل مع نزعات النفس الأمارة بالسوء.وقوله أن تعدلوا في موضع المفعول لأجله ويحتمل أن يكون بمعنى العدل فيكون علة للمنهى عنه، ويكون في الجملة مضاف مقدر. والمعنى: فلا تتبعوا الهوى والميل مع الشهوات كراهة أن تعدلوا بين الناس ويحتمل أن يكون بمعنى العدول عن الحق فيكون علة للنهى بتقدير لا، أى: أنهاكم عن اتباع الهوى لئلا تميلوا عن الحق وتتركوا العدل.قال ابن كثير: أى: لا يحملنكم الهوى والعصبية وبغض الناس إليكم، على ترك العدل في شئونكم. بل الزموا العدل على أى حال كان. كما قال- تعالى- ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى. ومن هذا قول عبد الله بن رواحة لما بعثه النبي صلى الله عليه وسلم يخرص على أهل خيبر ثمارهم وزروعهم، فأرادوا أن يرشوه ليرفق بهم، فقال: والله لقد جئتكم من عند أحب الخلق

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٣٣٨/٣

(٢) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٣٤١/٣

إلى. ولأنتم أبغض الخلق إلى. وما يحملني حبى إياه وبغضي لكم على أن لا أعدل فيكم. فقالوا: بهذا قامت السموات والأرض «١» .وقوله- تعالى- وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا **تذييل** قصد به تهديدهم ووعيدهم على ترك العدل، وعلى الامتناع عن الشهادة بالحق.قال الفخر الرازي ما ملخصه: وفي الآية قراءتان. فقد قرأ الجمهور تلووا- بواوين قبلهما لام ساكنة- بمعنى الدفع والإعراض من قولهم: لواه حقه إذا مطله ودفعه. أو بمعنى التحريف والتبديل من قولهم لوى الشيء إذا فتله.وقرأ ابن عامر وحمزة تلوا بلام مضمومة بعدها واو ساكنة- من الولاية بمعنى مباشرة الشيء والاشتغال به «٢» .والمعنى على قراءة الجمهور: وإن تلووا ألسنتكم عن الشهادة بالحق بأن تحرفوها وتقيموها على غير وجهتها أو تعرضوا عنها رأسا وتتركوها يعاقبكم الله عقابا شديدا فإنه- سبحانه- عليم بدقائق الأشياء، خبير بخفايا النفوس، وسيجازى كل إنسان بما يستحقه.والمعنى على القراءة الثانية: وإن تلوا الشهادة فتباشروها على وجهها يعطكم الله أجرا حسنا، وإن تعرضوا عنها وتتركوها يعاقبكم الله عقابا أليما، فإن الله- تعالى- خبير بكل أقوالكم وأعمالكم.______________(١) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٥٦٥.(٢) تفسير الفخر الرازي ج ١١ ص ٧٤.." (١)

"وقوله: إن شكرتم جوابه محذوف دل عليه ما تقدم. أى: إن شكرتم وآمنتم فما الذي يفعله بعذابكم؟وقدم الشكر على الإيمان، لأن الشكر سبب في الإيمان، إذ الإنسان عند ما يرى نعم الله، ويتفكر فيها ويقدرها حق قدرها، يسوقه ذلك إلى الإيمان الحق، فالشكر يؤدى إلى الإيمان والإيمان متى رسخ واستقر في القلب ارتفع بصاحبه إلى أسمى ألوان الشكر وأعظمها. فعطف الإيمان على الشكر من باب عطف المسبب على السبب.وقوله: وكان الله شاكرا عليما **تذييل** قصد به تأكيد ما سبق من الله- سبحانه- لا يعذب عباده الشاكرين المؤمنين.أى: وكان الله شاكرا لعباده على طاعتهم. أى مثيبهم ومجازيهم الجزاء الحسن على طاعتهم، عليما بجميع أقوالهم وأفعالهم، وسيجازى كل إنسان بما يستحقه. فالمراد بالشكر منه- سبحانه- مجازاة عباده بالثواب الجزيل على طاعتهم له ووقوفهم عند أمره ونهيه.وسمى- سبحانه- ثواب الطائعين شكرا منه، للتنويه بشأن الطاعة، وللتشريف للمطيع، ولتعليم عباده أن يشكروا للمحسنين إحسانهم. فمن لا يشكر الناس لا يشكر الله، ورحم الله الإمام ابن القيم حيث يقول:وهو الشكور. فلن يضيع سعيهم ... لكن يضاعفه بلا حسبانما للعباد عليه حق واجب ... هو أوجب الأجر العظيم الشانكلا ولا عمل لديه بضائع ... إن كان بالإخلاص والإحسانإن عذبوا فبعدله، أو نعموا ... فبفضله، والحمد للرحمنوإلى هنا نرى أن الآيات الكريمة التي بدأت بقوله- تعالى-: بشر المنافقين قد كشفت عن حقيقة النفاق والمنافقين في المجتمع الإسلامى، وأماطت اللثام عن طباعهم المعوجة، وأخلاقهم القبيحة، ومسالكهم الخبيثة، وهممهم الساقطة، ومصيرهم الأليم. وذلك لكي يحذرهم المؤمنون، ويتنبهوا إلى مكرهم وسوء صنيعهم. ثم نرى الآيات الكريمة خلال ذلك تفتح باب التوبة للتائبين من المنافقين وغيرهم وتعدهم إن تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله بالأجر العظيم. وأخيرا تجيء تلك اللفتة العجيبة المؤثرة العميقة. أخيرا بعد ذكر العقاب المفزع الذي توعد الله به المنافقين، وبعد ذكر الأجر العظيم الذي وعد الله به المؤمنين. أخيرا بعد كل ذلك تجيء الآية الكريمة التي تنفى بأبلغ أسلوب أن يكون

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٣/٣٤٥

هناك عذاب من الله لعباده الشاكرين المؤمنين، لأنه- سبحانه- وهو الغنى الحميد، قد اقتضت حكمته وعدالته أن لا يعذب إلا من يستحق العذاب، وأنه- سبحانه- سيجازى الشاكرين المؤمنين." (١)

"والخلاصة أن الإسلام يحب لأتباعه أن يلتزموا النطق بالكلمة الطيبة، ويكره لهم أن يجهروا بالسوء من القول إلا في حالة وقوع ظلم عليهم، ففي هذه الحالة يجوز لهم أن يجهروا بالسوء من القول حتى يرتدع الظالم عن ظلمه.والاستثناء في قوله إلا من ظلم استثناء منقطع، فتكون إلا بمعنى لكن.أى: لا يحب الله الجهر بالسوء من القول لكن من ظلم له أن يجهر بالسوء لكي يدفع ما وقع عليه من ظلم.ويحتمل أن يكون متصلا فيكون المعنى: لا يحب الله الجهر بالسوء من القول من أحد إلا ممن ظلم فإنه يجوز له أن يجهر بالسوء من القول لرفع الظلم عنه فيكون الاستثناء من الفاعل المحذوف وهو- من أحد- أو: لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا جهر من ظلم فإنه ليس بخارج عن محبة الله لأن دفع الظلم واجب. فيكون الكلام على تقدير مضاف محذوف.وقوله: وكان الله سميعا عليما **تذييل** قصد به التحذير من التعدي في الجهر المأذون فيه، ووعد للمظلوم بأنه- تعالى- يسمع شكواه ودعاءه، ويعلم ظلم ظالمه.أى: وكان الله سميعا لكل ما يسر به المسرون أو يجهر به المجاهرون، عليما بما يدور في النفوس من بواعث وهواجس، وسيجازى كل إنسان بأقواله وأعماله، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر.ثم أكد- سبحانه- هذا المعنى، وحض على العفو والصفح وفعل الخير فقال: إن تبدوا خيرا أو تخفوه أو تعفوا عن سوء، فإن الله كان عفوا قديرا.أى: إن تظهروا- أيها الناس- خيرا من طاعة وبر وقول حسن، وفعل حسن، أو تخفوه أى، تخفوا هذا الخير بأن تعملوه سرا أو تعفوا عن سوء بأن تصفحوا عمن أساء إليكم، يكافئكم الله- تعالى- على ذلك مكافأة حسنة، ويتجاوز عن خطاياكم، فإن الله كان عفوا قديرا أى: كثير العفو عن العصاة مع كمال قدرته على مؤاخذتهم ومعاقبتهم فاقتدوا بهذه الصفات الحميدة لتنالوا محبة الله ورضاه.فالآية الكريمة تدعو الناس إلى الإكثار من فعل الخير سواء أكان سرا أم جهرا، كما تدعو إلى العفو عن المسيئين إليهم.قال ابن كثير: وفي الحديث الصحيح: «ما نقص مال من صدقة. وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا. وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله» «١» . ____________(١) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٥٧١.." (٢)

"وتسمية ما يقال عند ترك الإرسال حجة مع استحالة أن يكون لأحد عليه- سبحانه- حجة مجاز. بتنزيل المعذرة في القبول عنده- تعالى- بمقتضى كرمه ولطفه منزلة الحجة القاطعة التي لا مرد لها «١» .وقوله: حجة اسم يكون. وخبره قوله «للناس» وقوله: على الله حال من حجة.وقوله: بعد الرسل أى: بعد إرسال الرسل وتبليغ الشريعة على ألسنتهم وهو متعلق بالنفي أى: لتنتفى حجتهم واعتذارهم بعد إرسال الرسل.قال ابن كثير: وقد ثبت في الصحيحين عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا أحد أغير من الله، ومن أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن. ولا أحد أحب إليه المدح من الله، ومن أجل ذلك مدح نفسه، ولا أحد أحب إليه العذر من الله، ومن أجل ذلك بعث النبيين مبشرين ومنذرين وفي لفظ آخر: «ومن أجل ذلك أرسل رسله وأنزل كتبه» «٢» .وقوله: وكان الله عزيزا حكيما **تذييل**

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٣/٣٦٣

(٢) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٣/٣٦٦

قصد به بيان قدرته التي لا تغالب وحكمته التي لا يحيط أحد بكنهها. أى: وكان الله- تعالى- وما زال هو القادر الغالب على كل شيء، الحكيم في جميع أفعاله وتصرفاته، وسيجازى الذين أساؤا بما عملوا، وسيجازى الذين أحسنوا بالحسنى.هذا وللمرحوم الأستاذ الإمام محمد عبده كلام نفيس في كتابه (رسالة التوحيد) عن: حاجة البشر إلى إرسال الرسل، وعن وظيفتهم- عليهم الصلاة والسلام- ومما قاله في ذلك: الرسل يرشدون العقل إلى معرفة الله وما يجب أن يعرف من صفاته. ويبينون الحد الذي يجب أن يقف عنده في طلب ذلك العرفان. على وجه لا يشق عليه الاطمئنان إليه، ولا يرفع ثقته بما آتاه الله من القوة.الرسل يبينون للناس ما اختلفت عليه عقولهم وشهواتهم. وتنازعته مصالحهم ولذاتهم.فيفصلون في تلك المخاصمات بأمر الله الصادع. ويؤيدون بما يبلغون عنه ما تقوم به المصالح العامة. ولا يفوت به المصالح الخاصة.الرسل يضعون لهم بأمر الله حدودا عامة. يسهل عليهم أن يردوا إليها أعمالهم. كاحترام الدماء البشرية إلا بحق. مع بيان الحق الذي تهدر له، وحظر تناول شيء مما كسبه الغير إلا بحق. مع بيان الحق الذي يبيح تناوله. واحترام الأعراض. مع بيان ما يباح وما يحرم من الأبضاع.___________(١) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٥٨٨(٢) تفسير الآلوسى ج ٦ ص ١٨." (١)

"وقوله: وكان ذلك على الله يسيرا **تذييل** قصد به تحقير شأنهم، وبيان أنه- سبحانه- لا يعبأ بهم.والمراد: وكان ذلك- أى: انتفاء غفران ذنوبهم، وانتفاء هدايتهم إلى طريق الخير، وقذفهم في جهنم وبئس المهاد- كان كل ذلك على الله يسيرا. أى: هينا سهلا لأنه- سبحانه- لا يستعصى على قدرته شيء.ثم وجه- سبحانه- نداء إلى الناس جميعا يأمرهم فيه بالإيمان وينهاهم عن الكفر فقال:يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم.أى: يا أيها المكلفون من الناس جميعا، قد جاءكم الرسول المشهود له بالصدق في رسالته، بالهدى ودين الحق من ربكم، فآمنوا به وصدقوه وأطيعوه، يكن إيمانكم خيرا لكم في الدنيا والآخرة.فالخطاب في الآية الكريمة للناس أجمعين، سواء أكان عربيا أم غير عربي أبيض أم أسود، بعيدا أم قريبا ... لأن رسالته صلى الله عليه وسلم عامة وشاملة للناس جميعا.والمراد بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم فأل فيه للعهد: وإيراده بعنوان الرسالة لتأكيد وجوب طاعته.وقوله: بالحق متعلق بمحذوف على أنه حال أيضا من الرسول. أى: جاءكم الرسول ملتبسا بالحق الذي لا يحوم حوله باطل.وقوله: من ربكم متعلق بمحذوف على أنه حال أيضا من الحق. أو متعلق بجاء. أى:جاءكم من عند الله- تعالى- وليس متقولا.ويرى بعضهم أن قوله خيرا خبر لكان المحذوفة مع اسمها، أى: فآمنوا به يكن إيمانكم خيرا لكم.ويرى آخرون أنه صفة لمصدر محذوف. أى: فآمنوا إيمانا خيرا لكم. وهي صفة مؤكدة على حد أمس الدابر لا يعود، لأن الإيمان لا يكون إلا خيرا.فأنت ترى أن هذه الجملة الكريمة قد حضت الناس على الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم لأنه لم يجئهم بشيء باطل وإنما جاءهم بالحق الثابت الموافق لفطرة البشر أجمعين، ولأنه لم يجئهم بما جاءهم به من عند نفسه وإنما جاءهم بما جاءهم به من عند الله- تعالى-. ولأنه لم يجئهم بما يفضى بهم إلى الشرور

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٣/٣٩٤

والآثام، وإنما جاءهم بما يوصلهم إلى السعادة في الدنيا وإلى الفوز برضا الله في الآخرة.تلك هي عاقبة المؤمنين، أما عاقبة الكافرين فقد حذر- سبحانه- منها بقوله: وإن." (١)

"أى: انتهوا عما أنتم فيه من ضلال يا معشر أهل الكتاب، واتركوا القول بالتثليث، يكن انتهاؤكم خيرا لكم، بعبادتكم لله وحده تكونون قد خرجتم من ظلمات الشرك إلى نور الوحدانية.وقوله: إنما الله إله واحد إثبات لوحدانية الله- تعالى- بأقوى طريق. أى: إن المعبود بحق ليس إلا واحد، وهو الله- تعالى- ذو الجلال والإكرام، الخالق لهذا الكون، والمدبر لأمره.وقوله: سبحانه أن يكون له ولد تنزيه له- جل وعلا- عن صفات المخلوقين، وتوبيخ لمن وصفه بصفات لا تليق به.وسبحان منصوب بفعل مقدر من لفظه: أى: أسبحه تسبيحا وأنزهه تنزيها عن أن يكون له ولد، لأن الأبوة والبنوة من صفات المخلوقين، وهو- سبحانه- منزه عن صفات المخلوقين، قال- تعالى-: ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.وقوله له ما في السماوات وما في الأرض جملة مستأنفة مسوقة لتعليل التنزيه أى أنه- سبحانه- مالك لجميع الموجودات علويها وسفليها، ولا يخرج عن ملكه منها شيء.قال- تعالى- إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا ومن كان شأنه كذلك تنزه عن أن يلد أو يولد أو يكون له شريك في ملكه.وقوله: وكفى بالله وكيلا **تذييل** قصد به بيان سعة قدرته- سبحانه وهيمنته على هذا الكون. والوكيل: هو الحافظ والمدبر لأمر غيره.أى: وكفى بالله وكيلا يكل إليه الخلق كلهم أمورهم، فهو الغنى عنهم وهم الفقراء إليه.ومفعول كفى محذوف للعموم. أى: كفى كل أحد وكالة الله وحفظه وتدبيره، فتوكلوا عليه وحده، ولا تتوكلوا على من تزعمونه ابنا له.ثم بين- سبحانه- أن المسيح عيسى- عليه السلام- عبد من عباد الله- تعالى-، وأنه لن يستنكف أبدا عن عبادة الله والإذعان لأمره فقال: ن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون.وأصل ستنكف- يقول القرطبي: نكف، فالياء والسين والتاء زوائد. يقال: نكفت من الشيء واستنكفت منه وأنكفته أى: نزهته عما يستنكف منه. ومنه الحديث: سئل- رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سبحان الله فقال: «إنكاف الله من كل سوء» .يعنى: تنزيهه وتقديسه عن الأنداد والأولاد.." (٢)

"وقد تكفلت كتب الفروع ببسط الكلام عن هذه الأحكام وأمثالها. هذا، وقوله- تعالى- يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شيء عليم **تذييل** قصد به إظهار جانب من فضل الله- تعالى- على عباده، وتحذيرهم من مخالفة شرعه وأمره.أى: يبين الله لكم هذه الأحكام المتعلقة بالمواريث كما يبين لكم غيرها خشية أن تضلوا طريق الحق في ذلك. بأن تعطوا من لا يستحق أو تهملوا من يستحق، والله- تعالى- عليم بكل شيء لا تخفى عليه خافية من أحوالكم، وسيحاسبكم على أعمالكم، فيجازى المتبع لشرعه بالثواب العظيم، ويجازى المخالف له بالعذاب الأليم.والمفعول في قوله: يبين الله لكم أن تضلوا محذوف، والمصدر المنسبك من أن والفعل مفعول لأجله بتقدير مضاف محذوف أى: يبين الله لكم الحلال والحرام وجميع الأحكام خشية أن تضلوا.ويجوز أن يكون المصدر هو مفعول قوله يبين أى: يبين الله لكم ضلالكم لتجتنبوه، فإن الشر يعرف ليجتنب، والخير يعرف ليفعل.ويرى بعضهم أن الكلام على تقدير (اللام ولا) في طرفي «أن» والمعنى: يبين الله

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٣/٣٩٨

(٢) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٣/٤٠٤

لكم ذلك لئلا تضلوا.ثم أما بعد: فهذا تفسير وسيط لسورة النساء.تلك السورة التي نظمت المجتمع الإسلامى تنظيما دقيقا حكيما.نظمته فيما يتعلق بأوضاعه الداخلية، ونظمته فيما يتعلق بأوضاعه الخارجية. أما فيما يتعلق بأوضاعه الداخلية، فقد رأينا فيما سبق، كيف ساقت الأحكام والآداب والتوجيهات التي تكون مجتمعا فاضلا، يعرف الفرد فيه واجبه نحو خالقه، وواجبه نحو نفسه، وواجبه نحو غيره.مجتمعا تقوم الأسرة فيه على دعائم ثابتة من الأمان والاطمئنان، والمحبة والمودة والوئام.مجتمعا رجاله يكرمون نساءه، ويعطفون عليهن، ويعاشروهن بالمعروف. ونساؤه يحترمن رجاله، ويؤدين ما عليهن نحوهم من حقوق بأدب، وعفة، وإخلاص، ووفاء.مجتمعا حكامه يحكمون بالعدل، ويراقبون الله في أقوالهم وأعمالهم. المحكومون فيه يطيعون حكامهم فيما يأمروهم به من حق وخير.مجتمعا يرى أفراده أن خيراته وأمواله. هي أمانة في أعناقهم جميعا، وأن ثمارها ومنافعها ستعود عليهم جميعا. لذا فهم يحرصون على استغلال ما يملكونه منها فيما يرضى الله، وفيما يعود." (١)

"وقوله: محلي جمع محل بمعنى مستحل. والصيد مصدر بمعنى الاصطياد. أو اسم للحيوان المصيد.وقوله: غير محلي الصيد حال من الضمير في لكم.وقوله: وأنتم حرم، حال من الضمير في محلي والمعنى: يا أيها الذين آمنوا كونوا أوفياء بعهودكم مع الله ومع أنفسكم ومع غيركم، فقد أحل الله- تعالى- بهيمة الأنعام لتنتفعوا بها فضلا منه وكرما، إلا أنه- سبحانه- حرم عليكم أشياء رحمة بكم فاجتنبوها، كما حرم عليكم الاصطياد أو الانتفاع بالمصيد وأنتم محرمون بحج أو عمرة، سواء كنتم في الحل أم كنتم في الحرم، ويدخل في حكم المحرم من كان في الحرم وليس محرما.وذلك لأن المحرم أو من كان في أرض الحرم يجب عليه أن يكون مشتغلا بما يرضى الله، وأن يحترم هذه الأماكن المقدسة التي جعلها الله أماكن أمان، واطمئنان وعبادة لله رب العالمين.وقد دعا الله- تعالى- المؤمنين إلى الوفاء بالعقود وناداهم بوصف الإيمان، ليحثهم على امتثال ما كلفهم به، لأن الشأن في المؤمن أن يمتثل لما أمره الله به أو لما نهاه عنه.روى ابن أبي حاتم، أن رجلا أتى عبد الله بن مسعود فقال: اعهد إلى. فقال له: إذا سمعت الله يقول يا أيها الذين آمنوا فارعها سمعك فإنه خير يأمر به، أو شر ينهى عنه وقوله: إن الله يحكم ما يريد **تذييل** قصد به بيان مشيئة الله النافذة، وإرادته الشاملة، وحكمه الذي لا يعقب عليه معقب.أى: إن الله يحكم بما يريد أن يحكم به من الأحكام التي تتعلق بالحلال وبالحرام وبغيرهما، بمقتضى مشيئته المبنية على الحكم البالغة، دون أن ينازعه منازع، أو يعارضه معارض، فاستجيبوا- أيها المؤمنون- لحكمه لتنالوا السعادة في الدنيا والآخرة.هذا، وقد أخذ العلماء من هذه الآية الكريمة وجوب الوفاء بالعهود التي شرعها الله- تعالى- وهذا المعنى ترى سورة المائدة زاخرة به في كثير من آياتها.فأنت ترى في مطلعها هذه الآية الكريمة التي تحض على الوفاء بالعقود، ثم ترى الآية الثانية منها تنهى عن الإخلال بشيء من شعائر الله، ثم تراها بعد ذلك بقليل تذكر المؤمنين بنعم الله عليهم وبميثاقه الذي واثقهم به: واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به. ثم تحكى أن من الأسباب التي أدت إلى طرد بنى إسرائيل من رحمة الله، نقضهم لمواثيقهم. فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم.." (٢)

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٤١٣/٣

(٢) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٢٤/٤

"فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من دل على خير فله مثل أجر فاعله» «١» وروى الإمام مسلم- أيضا- عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا. ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه. لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا» «٢» .وقوله- تعالى- واتقوا الله إن الله شديد العقاب **تذييل** قصد به إنذار الذين يتعاونون على الإثم والعدوان. أى: اتقوا الله- أيها الناس- واخشوه فيما أمركم ونهاكم، فإنه- سبحانه شديد العقاب لمن خالف أمره، وانحرف عن طريقه القويم.وبذلك نرى أن الآية الكريمة قد نهت المؤمنين عن استحلال ما حرمه الله عليهم من محارم، وعن الإخلال بشيء من أحكامها، كما نهتهم عن أن يحملهم بغضهم لغيرهم على الاعتداء عليه وأمرتهم بأن يتعاونوا على فعل الخير الذي ينفعهم وينفع غيرهم من الناس وعلى ما يوصلهم إلى طاعته- سبحانه- وحسن مثوبته، ولا يتعاونوا على الأفعال التي يأثم فاعلها، وعلى مجاوزة حدود الله بالاعتداء على غيرهم. ثم حذرتهم في نهايتها من العقاب الشديد الذي ينزله سبحانه- بكل من عصاه، وانحرف عن هداه.ثم شرع- سبحانه- في بيان المحرمات التي أشار إليها قبل ذلك بقوله: إلا ما يتلى عليكم فبين ما يحرم أكله من الحيوان لأسباب معينة فقال- تعالى-:__________(١) صحيح مسلم- كتاب الإمارة- ج ٦ ص ٤١- طبعة مصطفى الحلبي سنة ١٣٨٠ هـ سنة ١٩٦٠(٢) صحيح مسلم- كتاب العلم- ج ٨ ص ٦٢." (١)

"كلفكم به فإنه- تعالى- لا يعجزه شيء، وسيجازى كل إنسان بما يستحقه من خير أو شر.فالجملة الكريمة **تذييل** قصد به التحذير من مخالفة أمر الله، وانتهاك محارمه. هذا ومن الأحكام التي أخذها العلماء من هذه الآية ما يأتى:١- إباحة التمتع بالطيبات التي أحلها الله- تعالى- لعباده، والتي تستطيبها النفوس الكريمة، والعقول القويمة، من مطعومات ومشروبات وغير ذلك مما أحله- سبحانه- لعباده.وفي هذا المعنى وردت آيات كثيرة منها، قوله- تعالى-: قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده، والطيبات من الرزق، قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة «١» .٢- إباحة الصيد بالجوارح بشرط كونها معلمة، وعلامة كونها معلمة أن تسترسل إذا أرسلت، وتنزجر إذا زجرت، وتمسك الصيد ولا تأكل منه، وتعود إلى صاحبها متى دعاها.ويدخل في الجوارح- عند جمهور الفقهاء- كل حيوان يصنع صنيع الكلب، وكل طير كذلك، لأن قوله- تعالى- من الجوارح، يعم كل حيوان يصنع صنيع الكلب. وكان التعبير بمكلبين، لأن الكلاب أكثر الحيوانات استعمالا للصيد.وقد جاء في حديث عدى بن حاتم الذي رواه الإمام أحمد وأبو داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: «ما علمت من كلب أو باز ثم أرسلته وذكرت اسم الله عليه فكل ما أمسك عليك» .ويرى بعض الفقهاء أن الصيد لا يكون إلا بالكلاب خاصة.قال القرطبي ما ملخصه: وقد ذكر بعض من صنف في أحكام القرآن أن الآية تدل على أن الإباحة تتناول ما علمناه من الجوارح وهو ينتظم الكلب وسائر جوارح الطير. وذلك يوجب إباحة سائر وجوه الانتفاع، فدل على جواز بيع الكلب والجوارح والانتفاع بها وبسائر وجوه المنافع إلا ما خصه الدليل. وهو الأكل من الجوارح. أى: الكواسب من الكلاب وسباع الطير.وليس في قوله مكلبين دليل على أنه إنما أبيح صيد الكلاب خاصة، وإن كان قد تمسك به من قصر الإباحة على الكلاب خاصة» «٢» .٣- استدل بعض الفقهاء بقوله- تعالى- فكلوا مما

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٣٣/٤

أمسكن عليكم على أن الكلب وما يشبهه من الجوارح إذا أكل من الصيد الذي أمسكه، فإنه في هذه الحالة لا يحل الأكل منه، لأنه لم يمسك لمن أرسله وإنما أمسك لنفسه وبهذا قال الشافعية والحنابلة.______________(١) سورة الأعراف الآية ٣٢.(٢) تفسير القرطبي ج ٦ ص ٦٦.." (١)

"أخذه، فبين له القرآن الكريم أن الأقرب إلى التقوى التامة أن يحسن معاملة عدوه، وأن لا يعتدى على حق من حقوقه.قال صاحب الكشاف، قوله: اعدلوا هو أقرب للتقوى نهاهم أولا أن تحملهم البغضاء على ترك العدل، ثم استأنف فصرح لهم بالأمر بالعدل تأكيدا وتشديدا، ثم استأنف فذكر لهم وجه الأمر بالعدل وهو قوله أقرب للتقوى أى: العدل أقرب للتقوى، وأدخل في مناسبتها.وفيه تنبيه على أن وجوب العدل مع الكفار الذين هم أعداء الله إذا كان بهذه الصفة من القوة فما الظن بوجوبه مع المؤمنين الذين هم أولياؤه وأحباؤه» «١» .ثم ختم- سبحانه- الآية بقوله: واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون.أى: واتقوا الله أيها المؤمنون- في كل ما تأتون وما تذرون، وصونوا أنفسكم عما لا يرضيه، وافعلوا ما أمركم به، إن الله- تعالى- لا تخفى عليه خافية من أعمالكم، وسيجازيكم يوم القيامة بما تستحقونه على حسب أعمالكم فالجملة الكريمة تذييل قصد به التحذير من مخالفة أوامر الله، ومن انتهاك حرماته.وبذلك نرى الآية الكريمة قد أمرت المؤمنين بالمداومة على طاعة الله في جميع الأوقات والأحوال، وبأداء الشهادات على وجهها بدون محاباة ولا ظلم، وبوجوب العدل في معاملة الأعداء والأصدقاء، وبمراقبة الله- تعالى- وخشيته في السر والعلانية.قال الآلوسى: وقد تقدم نظير هذه الآية في سورة النساء يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله «٢» - ولم يكتف بذلك لمزيد من الاهتمام بالعدل والمبالغة في إطفاء ثائرة الغيظ. وقيل: لاختلاف السبب، فإن الأولى نزلت في المشركين، وهذه في اليهود. وذكر بعض المحققين وجها لتقديم القسط هناك وتأخيره هنا، وهو أن آية النساء جيء بها في معرض الإقرار على نفسه ووالديه وأقاربه. بدأ فيها بالقسط الذي هو العدل من غير محاباة نفس، ولا والد ولا قرابة. والتي هنا جيء بها في معرض ترك العداوة فبدأ فيها بالقيام لله- تعالى- لأنه أردع للمؤمنين، ثم ثنى بالشهادة بالعدل فجيء في كل معرض بما يناسبه» «٣» .ثم بين- سبحانه- حسن عاقبة المؤمنين، وسوء عاقبة الكافرين فقال- تعالى- وعد الله بفضله وإحسانه الذين آمنوا إيمانا حقا وعملوا الأعمال الصالحات التي نالوا بها رضا الله، وعدهم بأن لهم مغفرة عظيمة ولهم أجر عظيم لا يعرف مقداره إلا______________(١) تفسير الكشاف ج ١ ص ٦١٣(٢) الآية ١٣٥ من سورة النساء.(٣) تفسير الآلوسى ج ٦ ص ٨٣." (٢)

"التقرير. وللإشارة إلى أنه- سبحانه- هو الذي قضى على موضع قوة أعدائهم، ومناط شدتهم إذ الأيدى هي من أهم وسائل البطش والقتل.أى: أنه- سبحانه- قد منع أيديهم عن أن تمتد إليكم بالأذى عقيب همهم بذلك دفاعا عنكم- أيها المؤمنون- وحماية لكم من الشرور، فقابلوا ذلك بالشكر لخالقكم. وقوله:واتقوا الله معطوف على قوله: اذكروا وقوله: وعلى الله فليتوكل المؤمنون أمر لهم بالاعتماد على الله وحده.أى: داوموا على شكر نعم الله عليكم، وصونوا أنفسكم عن كل ما نهاكم عنه، وعليه وحده اعتمدوا وتوكلوا فإنه- سبحانه- هو الفعال لما يريد، وهو الذي يدفع الشر عمن توكل

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٤٩/٤

(٢) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٧٤/٤

عليه، ويعطى الخير لمن شكره وأطاعه.فالجملة الكريمة تذييل مقرر لما قبله، من وجوب المداومة على طاعة الله وشكره على نعمه.وإلى هنا نرى أن السورة الكريمة قد وجهت إلى المؤمنين خمسة نداءات، أمرتهم في أول نداء منها بالوفاء بالعقود. ونهتهم في الثاني عن إحلال شعائر الله، وأرشدتهم في النداء الثالث إلى ما يجب عليهم أن يفعلوه إذا أرادوا الدخول في الصلاة، وأمرتهم في النداء الرابع بالمداومة على القيام بالتكاليف التي كلفهم- سبحانه- بها وبالتزام العدل في أقوالهم وأحكامهم، ثم أمرتهم في النداء الخامس بالتنبه إلى نعم الله ومداومة شكره عليها حيث نجاهم- سبحانه- مما أراده لهم أعداؤهم من شرور واستئصال وبعد هذه النداءات والتكليفات التي كلف الله- تعالى- بها المؤمنين، شرعت السورة الكريمة في الحديث عن أحوال أهل الكتاب من اليهود، فذكرت ما أخذه الله عليهم من عهود موثقة، وموقفهم منها، وعقوبتهم على نقضهم لها. فقال- تعالى-:." (١)

"فتارة يخلق الإنسان من ذكر وأنثى كما هو المعتاد بين الناس، وتارة يخلقه بدون أب أو أم كما هو الشأن في خلق آدم، وتارة يخلقه بدون أب كما هو الشأن في خلق عيسى، إلى ذلك من مخلوقاته التي ليست مقصورة على نوع واحد بل هي شاملة لهذا الكون بما فيه من إنسان وحيوان وجماد، فكل ما تعلقت إرادته بإيجاده أوجده، وكل ما تعلقت إرادته بإعدامه أعدمه، لا راد لمشيئته ولا معقب لحكمه ولا حائل دون نفاذ قدرته.وقوله: والله على كل شيء قدير تذييل مقرر لمضمون ما قبله.أي: والله- تعالى- قدير على كل شيء ومالك لكل شيء ومهيمن على كل شيء لا يغلبه شيء طلبه، ولا يعجزه أمر أراده وما عيسى وأمه إلا من مخلوقاته وعبيده، وحاشا للمخلوق العاجز أن يكون إلها من دون الله- عز وجل-.فهذه الآية الكريمة تحكى أقوال النصارى الباطلة في شأن عيسى- عليه السلام- وترد عليهم بما يزهق باطلهم، ويثبت أن عيسى إنما هو عبد من عباد الله وأن العبادة إنما تكون لله الواحد القهار.ثم ساق- سبحانه- بعض دعاوى أهل الكتاب الباطلة وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يرد عليهم بما يخرس ألسنتهم فقال- تعالى-:[سورة المائدة (٥) : آية ١٨]وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما وإليه المصير (١٨)قال الإمام ابن كثير: روى محمد بن إسحاق وابن أبى حاتم وابن جرير عن ابن عباس قال:أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة من اليهود فكلموه وكلمهم ودعاهم إلى الله- تعالى- وحذرهم نقمته فقالوا: ما تخوفنا يا محمد؟ نحن أبناء الله وأحباؤه كقول النصارى فأنزل الله- تعالى- فيهم.وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه.. الآية «١» .وقوله- تعالى- وقالت اليهود والنصارى حكاية لما صدر عن الفريقين من أقاويل فاسدة ودعاوى باطلة، يدل على سفاهة عقولهم، وبلادة تفكيرهم، حيث قالوا في حق الله- تعالى-______________(١) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٣٥." (٢)

"وقوله- سبحانه- يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء بيان لعموم قدرته، وشمول إرادته.أى أنه- سبحانه- يغفر لمن يشاء أن يغفر له من خلقه، وهم المؤمنون به وبرسله، ويعذب من يشاء أن يعذبه منهم، وهم المنحرفون عن طريق الحق

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٧٧/٤

(٢) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٩٥/٤

والهدى، لا راد لقضائه. ولا معقب لحكمه.وقوله ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما وإليه المصير **تذييل** قصد به تأكيد ما قبله من عموم قدرته، وشمول إرادته وهيمنته على سائر خلقه.أى: ولله- تعالى- وحده ملك جميع الموجودات وهو صاحب التصرف المطلق فيها، إيجادا وإعداما، وإحياء وإماتة، وإليه وحده مصير الخلق يوم القيامة فيجازيهم على ما عملوا من خير أو شر. قال- تعالى- فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره. ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره. وبذلك تكون الآية الكريمة قد أبطلت حجة اليهود والنصارى الذين زعموا أنهم أبناء الله وأحباؤه وأثبتت بالمنطق الواضح أنهم كذابون فيما يدعون وأنه لا فضل لأحد على أحد إلا بالإيمان والعمل الصالح.وبعد أن بين- سبحانه- فساد أقوال أهل الكتاب وبطلان عقائدهم، ورد عليهم بما لا يدع للعاقل متمسكا بتلك الضلالات. أتبع ذلك بتوجيه نداء آخر إليهم تكريرا لوعظهم، وتحريضا لهم على اتباع الحق فقال- تعالى-[سورة المائدة (٥) : آية ١٩]يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير (١٩)أخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: قال معاذ بن جبل، وسعد بن عبادة وعقبة بن وهب لليهود: يا معشر اليهود، اتقوا الله وأسلموا، فو الله إنكم لتعلمون أنه رسول الله. لقد كنتم تذكرونه لنا قبل مبعثه، وتصفونه لنا بصفته. فقال رافع بن حرملة ووهب بن يهوذا: ما قلنا هذا لكم، وما أنزل الله من كتاب من بعد موسى، ولا أرسل بشيرا ولا نذيرا بعده، فأنزل الله." (١)

"وهنا يسوق الله- تعالى- ما يبطل معاذيرهم، بإثبات أن البشير والنذير قد جاءهم فقال- تعالى-: فقد جاءكم بشير ونذير.والفاء هنا للافصاح عن كلام مقدر قبلها. والتقدير. لا تعتذروا بقولكم ما جاءنا من بشير ولا نذير، فقد جاءكم رسولنا الذي يبشركم بالخير إن آمنتم وينذركم بسوء المصير إذا ما بقيتم على كفركم. والتنكير هنا في قوله: بشير ونذير للتعظيم من شأن الرسول صلى الله عليه وسلم الذي هو خاتم النبيين، والذي أرسله الله- تعالى- رحمة للعالمين.وقوله: بشير ونذير وإن كانا وصفين للرسول صلى الله عليه وسلم إلا أن ثانيهما قد عطف على أولهما لتغايرهما في المعنى، لأن التبشير عمل يختلف عن الإنذار، وكلاهما من وظائف النبوة.وقوله- تعالى- والله على كل شيء قدير **تذييل** قصد به شمول قدرة الله وأنه- سبحانه- لا يعجزه شيء. أى: والله على كل شيء قدير، فلا يعجزه أن يرسل رسله تترى، كما لا يعجزه أيضا أن يرسلهم على فترات متباعدة.وبذلك نرى الآية الكريمة قد بينت سمو الرسالة المحمدية وعظمتها، وأنها جاءت والناس في أشد الحاجة إليها، وأنه لا عذر لأهل الكتاب في عدم الاستجابة لها بعد أن بلغتهم، وبشرتهم بالخير إن آمنوا وأطاعوا، وبالعذاب الأليم إن استمروا على كفرهم وضلالهم.وبعد أن بين- سبحانه- جانبا من رذائل أهل الكتاب، ومن أقوالهم الباطلة في حق الرسول الذي أرسله الله- تعالى- لهدايتهم وسعادتهم وإخراجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان.بعد كل ذلك ساق- سبحانه- جانبا مما حدث بين موسى- عليه السلام- وبين قومه بنى إسرائيل، ومما لقيه منهم من سفاهة وجبن وتخاذل وعصيان. إذ في ذلك تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم عما شاهده منهم من عناد وجحود. استمع إلى القرآن وهو يحكى بعض قصص بنى إسرائيل مع نبيهم موسى فيقول:[سورة المائدة (٥) : الآيات ٢٠ الى ٢٦]وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمت الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين (٢٠)

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٤/٩٨

يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين (٢١) قالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون (٢٢) قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين (٢٣) قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون (٢٤)قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين (٢٥) قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين (٢٦)." [١]

"بحث الأرض على طعمه- أي: أكله- ليخفيه إلى وقت الحاجة إليه، لأن عادة الغراب فعل ذلك، فتنبه قابيل بذلك على مواراة أخيه» «١» .«والسوءة» ما تسوء رؤيته من الجسد، والمراد بها هنا: جميع جسد الميت وقيل: المراد بها العورة، لأنها تسوء ناظرها. وخصت بالذكر مع أن المراد مواراة جميع الجسد للاهتمام بها، لأن سترها آكد.وهذه الآية الكريمة مرتبطة بكلام يسبقها لم يذكره القرآن الكريم لفهمه من السياق.والتقدير: أن القاتل بعد أن ارتكب جريمته. ورأى جثة أخيه أمامه ملقاة في العراء. تحير ماذا يفعل فيها حتى لا يتركها عرضة لنهش السباع والطيور. فبعث الله غرابا يبحث أى:يحفر وينبش بمنقاره ورجليه متعمقا في الأرض ليريه أى: ليعلم ذلك القاتل ويعرفه كيف يواري سوأة أخيه أى: كيف يستر في التراب جسم أخيه بعد أن فارقته الحياة، وأصبح عرضة للتغير والتعفن.وقوله- تعالى- قال يا ويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي بيان لما اعترى هذا القاتل من تحسر وندم.وكلمة يا ويلتى أصلها: يا ويلتي. وهي كلمة جزع وتحسر. تستعمل عند وقوع المصيبة العظيمة كأن المتحسر ينادى ويلته ويطلب حضورها، بعد تنزيلها منزلة من ينادى. ولا يكون ذلك إلا في أشد الأحوال ألما، والويلة كالويل: ومعناهما الفضيحة والبلية والهلاك.أى: قال القاتل لأخيه ظلما وحسدا بجزع وحسرة- بعد أن أرى غرابا يحفر حفرة ليدفن فيها شيئا- قال يا ويلتى أى: يا فضحيتي وبليتي أقبلى فهذا وقتك، لأنى قد نزلت بي أسبابك.وقوله: أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي أى: أضعفت عن الحيلة التي تجعلني مثل هذا الغراب فأستر جسد أخى في التراب كما دفن الغراب بمنقاره ورجليه في الأرض ما أراد دفنه؟! والاستفهام في أعجزت للتعجب من عدم اهتدائه إلى ما اهتدى إليه الغراب، مع أنه إنسان فيه عقل، والغراب طائر من أخس الطيور.وقوله: فأواري معطوف على قوله: أن أكون.وقوله: فأصبح من النادمين، **تذييل** قصد به بيان ما أصاب قابيل بعد أن قتل أخاه عدوانا وحسدا، ولم يعرف كيف يستر جثته إلا من الغراب.__________(١) تفسير القرطبي ج ٦ ص ١٢٥." [٢]

"سبحانه- المالك لكل شيء، والخالق لكل شيء وهو صاحب السلطان المطلق في خلقه، فله- سبحانه- أن يعذب من يشاء تعذيبه وله أن يرحم من يشاء رحمته.قال الآلوسى: وكان الظاهر لحديث: «سبقت رحمتي غضبى» ، تقديم المغفرة على التعذيب، وإنما عكس هنا، لأن التعذيب للمصر على السرقة، والمغفرة للتائب منها. وقد قدمت السرقة في الآية أولا ثم ذكرت التوبة بعدها فجاء هذا اللاحق على ترتيب السابق.أو لأن المراد بالتعذيب القطع، وبالمغفرة التجاوز عن حق الله- تعالى- والأول في الدنيا والثاني في الآخرة، فجيء به على ترتيب الوجود. ولأن المقام مقام الوعيد «١» .وقوله: والله على

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ١٠١/٤

(٢) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ١٢٤/٤

كل شيء قدير **تذييل** مؤكد لما قبله، ومقرر لشمول قدرته- سبحانه- على كل شيء.هذا وقد تكلم العلماء عن معنى السرقة، وعن شروط إقامة حدها، وعن طريقة إثباتها.وعن غير ذلك من المسائل المتعلقة بها، تكلموا عن كل ذلك باستفاضة في كتب الفقه وفي بعض كتب التفسير.ونرى أنه لا بأس من ذكر خلاصة لبعض المسائل التي تحدثوا عنها فنقول:١- عرف الفقهاء السرقة شرعا بأنها أخذ العاقل البالغ مقدارا مخصوصا من المال على طريق الاستخفاء من حرز بمكان أو حافظ وبدون شبهة.٢- وقد ذهب بعض الفقهاء من أهل الظاهر إلى أنه متى سرق السارق شيئا قطعت يده به، سواء أكان قليلا أم كثيرا، لعموم هذه الآية.ولكن جمهور الفقهاء يرون أنه لا تقطع يد السارق إلا إذا بلغ المسروق قدرا معينا من المال، وقد تفاوتت أنظارهم في هذا القدر.فالاحناف يرون أنه لا قطع إلا في عشرة دراهم فصاعدا، أو فيما قيمته عشرة دراهم. ومن حججهم ما رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا قطع فيما دون عشرة دراهم» .والمالكية والشافعية يرون أنه لا قطع إلا في ربع دينار أو فيما قيمته ذلك.ومن حججهم ما روى عن عائشة أنها قالت: «تقطع يد السارق في ربع دينار فصاعدا» .قال القرطبي: وظاهر الآية العموم في كل سارق وليس كذلك لقوله صلى الله عليه وسلم «لا تقطع يد______________(١) تفسير الآلوسى ج ٦ ص ١٣٥." (١)

"نبيه إلى ما يجب عليه نحوهم إذا ما تحاكموا إليه فقال: فإن جاؤك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم، وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئا، وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط، إن الله يحب المقسطين.أى: فإن جاءك هؤلاء اليهود متحاكمين إليك- يا محمد- في قضاياهم، فأنت مخير بين أن تحكم بما أراك الله، وبين أن تتركهم وتهملهم وتعرض عنهم، وإن تعرض عنهم، فيما احتكموا فيه إليك، قاصدين مضرتك وإيذاءك فلا تبال بشيء من كيدهم، لأن الله حافظك وناصرك عليهم، وإن اخترت الحكم في قضاياهم، فليكن حكمك بالعدل الذي أمرت به، لأن الله- تعالى- يحب العادلين في أحكامهم.والفاء في قوله: فإن جاؤك للإفصاح أى: إذا كان هذا حالهم وتلك صفاتهم فإن جاءوك متحاكمين إليك فيما شجر بينهم من خصومات فاحكم بينهم أو أعرض عنهم.وجاء التعبير بإن المفيدة للشك- مع أنهم قد جاءوا إليه- للإيذان بأنهم كانوا مترددين في التحاكم إليه صلى الله عليه وسلم وأنهم ما ذهبوا إليه إلا ظنا منهم بأنه سيحكم فيهم بما يتفق مع أهوائهم، فلما حكم فيهم بما هو الحق كبتوا وندموا على مجيئهم إليه.قال أبو السعود: وقوله: وإن تعرض عنهم بيان لحال الأمرين إثر تخييره صلى الله عليه وسلم بينهما.وتقديم حال الإعراض، للمسارعة إلى بيان أنه لا ضرر فيه، حيث كان مظنة الضرر، لما أنهم كانوا لا يتحاكمون إليه إلا لطلب الأيسر والأهون عليهم، فإذا أعرض عنهم وأبى الحكومة بينهم شق ذلك عليهم فتشتد عداوتهم ومضارتهم له، فأمنه الله بقوله: فلن يضروك شيئا من الضر «١» .وكان التعبير بإن أيضا في قوله وإن حكمت فاحكم بينهم للإشارة إلى أنه صلى الله عليه وسلم ليس حريصا على الحكم بينهم بل هو زاهد فيه، لأنهم ليسوا طلاب حق وانصاف بل هم يريدون الحكم كما يهوون ويشتهون، والدليل على ذلك أن التوراة التي بين أيديهم فيها حكم الله، إلا أنهم جاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤملين أن يقضى بينهم بغير ما أنزل الله، فيشيعوا ذلك بين الناس، ويعلنوا عدم صدقه في نبوته، فلما حكم بما أنزل الله خاب أملهم وانقلبوا صاغرين.وقوله: إن الله يحب المقسطين **تذييل** مقرر لما قبله من

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٤/١٤٧

وجوب الحكم بينهم بالعدل إذا ما اختار أن يقضى بينهم.يقال: أقسط الحاكم في حكمه، إذا عدل وقضى بالحق فهو مقسط أى عادل ومنه قوله-______________(١) تفسير أبي السعود ج ٢ ص ٢٩." (١)

"هذا، وبعد أن وصف الله- تعالى- اليهود وأشباههم بجملة من الصفات القبيحة، وخير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أن يحكم فيهم بشرع الله وبين أن يعرض عنهم. بعد كل ذلك أنكر عليهم مسالكهم الخبيثة، وعجب كل عاقل من حالهم فقال- تعالى-: وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين أى أن أمر هؤلاء اليهود لمن أعجب العجب، لأنهم يحكمونك- يا محمد- في قضاياهم مع أنهم لم يتبعوا شريعتك ومع أن كتابهم التوراة قد ذكر حكم الله صريحا واضحا فيما يحكمونك فيه.فالاستفهام في قوله: وكيف يحكمونك للتعجب من أحوالهم حيث حكموا من لا يؤمنون به في قضية حكمها بين أيديهم، ظنا منهم أنه سيحكم بينهم بما اتفقوا عليه مما يرضى أهواءهم وشهواتهم.وقوله: وعندهم التوراة جملة حالية من الواو في يحكمونك والعامل ما في الاستفهام من التعجيب.قال صاحب الكشاف: فإن قلت فيها حكم الله ما موضعه من الإعراب؟ قلت: إما أن ينتصب على الحال من التوراة، وكلمة التوراة هي مبتدأ والخبر عندهم، وإما أن يرتفع خبرا عنها كقولك: وعندهم التوراة ناطقة بحكم الله. وإما أن لا يكون له محل وتكون جملة مبينة، لأن عندهم ما يغنيهم عن التحكيم كما تقول: عندك زيد ينصحك ويشير عليك بالصواب فما تصنع بغيره «١» .وقوله ثم يتولون من بعد ذلك معطوف على يحكمونك- وجاء العطف بثم المفيدة للتراخي للإشارة إلى التفاوت الكبير بين ما في التوراة من حق وبين ما هم عليه من باطل ومخادعة.واسم الإشارة ذلك يعود إلى حكم الله الذي في التوراة، والذي حكم به النبي صلى الله عليه وسلم أى: كيف يحكمونك يا محمد في قضاياهم والحال أنهم عندهم التوراة فيها حكم الله واضحا فيما تحاكموا إليك فيه، ثم هم يعرضون من بعد تحكيمك عن حكمك الموافق لما قضى الله به في كتابهم التوراة.وقوله: وما أولئك بالمؤمنين تذييل مقرر لمضمون ما قبله.ونفى الإيمان عنهم مع حذف متعلقه لقصد التعميم.أى: وما أولئك الذين جاءوا يتحاكمون إليك من اليهود بالمؤمنين لا بكتابهم التوراة. لأنهم______________(١) تفسير الكشاف ج ١ ص ٣٣٦." (٢)

"والمراد بالثمن القليل: حظوظ الدنيا وشهواتها من نحو الرياسة والمال والجاه وما إلى ذلك من متع الحياة الدنيا.أى: ولا تستبدلوا بأحكام آياتي التي اشتملت عليها التوراة أحكاما أخرى تغايرها وتخالفها، لكي تأخذوا في مقابل هذا الاستبدال ثمنا قليلا من حظوظ الدنيا وشهواتها كالمال والجاه وما يشبه ذلك.وليس وصف الثمن بالقلة من الأوصاف المخصصة للنكرات، بل هو من الأوصاف اللازمة للثمن المحصل في مقابل استبدال الآيات لأنه لا يكون إلا قليلا- وإن بلغ ما بلغ من أعراض الدنيا- بالنسبة لطاعة الله، والرجاء في رحمته ورضاه.وهذا النهى الذي اشتملت عليه هاتان الجملتان الكريمتان: فلا تخشوا، ولا تشتروا وإن كان موجها في الأصل إلى رؤساء اليهود وأحبارهم. إلا أنه يتناول الناس جميعا في كل زمان ومكان، لأنه نهى عن رذائل يجب أن يبتعد عنها كل إنسان يتأتى له الخطاب.وإلى هذا المعنى أشار الآلوسى بقوله: فلا

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ١٥٩/٤

(٢) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ١٦٢/٤

تخشوا الناس خطاب لرؤساء اليهود وعلمائهم بطريق الالتفات- إذ انتقل من الحديث عن الأحبار السابقين منهم إلى خطاب هؤلاء المعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم ويتناول غير أولئك المخاطبين بطريق الدلالة» «١» .ثم ختم- سبحانه- الآية ببيان سوء عاقبة من يفعل فعل اليهود، فيحكم بغير شريعة الله فقال- تعالى- ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون.أى: كل من رغب عن الحكم بما أنزل الله: وقضى بغيره من الأحكام، فأولئك هم الكافرون بما أنزله- سبحانه- لأنهم كتموا الحق الذي كان من الواجب عليهم إظهاره والعمل به. والجملة الكريمة- كما يقول الآلوسى- **تذييل** مقرر لمضمون ما قبلها أبلغ تقرير، وتحذير من الإخلال به أشد تحذير.هذا ومن الأحكام التي أخذها العلماء من هذه الآية ما يأتى:١- سمو منزلة التوراة التي أنزلها الله- تعالى- على نبيه موسى- عليه السلام، فقد أضاف- سبحانه- إنزالها إليه، فكان لهذه الإضافة ما لها من الدلالة على علو مقامها، كما بين- سبحانه- شرفها الذاتي بذكر ما اشتملت عليه من هداية إلى الحق، ومن نور يكشف للناس ما اشتبه عليهم من أمور دينهم ودنياهم.وهذا السمو إنما هو للتوراة التي لم تمتد إليها أيدى اليهود بالتحريف والتبديل، والزيادة______________(١) تفسير الآلوسى ج ٦ ص ١٤٥." (١)

"وقوله: فهو يعود إلى التصدق المدلول عليه بالفعل (تصدق) والضمير في قوله له يعود إلى العافي المتصدق وهو المجنى عليه أو من يقوم مقامه.والمعنى: فمن تصدق بما ثبت له من حق القصاص، بأن عفا عن الجاني فإن هذا التصدق يكون كفارة لذنوب هذا المتصدق، حيث قدم العفو مع تمكنه من القصاص.وقيل إن الضمير في له يعود على الجاني فيكون المعنى: فمن تصدق بما ثبت له من حق القصاص، بأن عفا عن الجاني، فإن هذا التصدق يكون كفارة له. أى لذنوب الجاني، بأن لا يؤاخذه الله بعد ذلك العفو. وأما المتصدق فأجره على الله.وقد رجح ابن جرير عودة الضمير إلى العافي المتصدق وهو المجنى عليه أو ولى دمه فقال:وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب: قول من قال: عنى به: فمن تصدق به فهو كفارة له أى المجروح، ولأنه لأن تكون الهاء في قوله (له) عائدة على (من) أولى من أن تكون عائدة على من لم يجر له ذكر إلا بالمعنى دون التصريح، إذ الصدقة هي المكفرة ذنب صاحبها دون المتصدق عليه في سائر الصدقات) «١» .وقوله: ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون **تذييل** قصد به التحذير من مخالفة حكم الله. أى: ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون لأنفسهم، حيث تركوا الحكم العدل واتجهوا إلى الحكم الجائر الظالم.قال الرازي: وفيه سؤال وهو أنه- تعالى-. قال: أولا: فأولئك هم الكافرون وثانيا هم الظالمون والكفر أعظم من الظلم، فلماذا ذكر أعظم التهديدات أولا وأى فائدة في ذكر الأخف بعده؟وجوابه: أن الكفر من حيث إنه إنكار لنعمة المولى وجحود لها فهو كفر، ومن حيث إنه يقتضى إبقاء النفس في العقاب الدائم الشديد فهو ظلم على النفس. ففي الآية الأولى ذكر الله ما يتعلق بتقصيره في حق الخالق- سبحانه- وفي هذه الآية ذكر ما يتعلق بالتقصير في حق نفسه» «٢» .هذا، ومما أخذه العلماء من هذه الآية ما يأتى:١- أن الآية الكريمة- ككثير غيرها- تنعى على بنى إسرائيل إهمالهم لأحكام الله- تعالى- وتهافتهم على ما يتفق مع

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ١٦٧/٤

أهوائهم.ـــــــــــــــ(١) تفسير ابن جرير ج ٦ ص ٢٦٢ بتصريف وتلخيص.(٢) تفسير الفخر الرازي ج ١٢ ص ١٢." (١)

"بمجيء محمد صلى الله عليه وسلم سبب لاهتداء الناس إلى نبوته. ولما كان أشد وجوه الاختلاف والمنازعة بين المسلمين وبين اليهود، والنصارى في ذلك، لا جرم أعاده الله- تعالى- مرة أخرى تنبيها على أن الإنجيل يدل دلالة ظاهرة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فكان هدى في هذه المسألة التي هي أشد المسائل احتياجا إلى البيان والتقرير.وأما كونه موعظة: فلاشتمال الإنجيل على النصائح والمواعظ والزواجر البليغة المتأكدة.وإنما خصها بالمتقين، لأنهم هم الذين ينتفعون بها» «١» .وقوله- تعالى-: وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه أمر من الله- تعالى- لأتباع سيدنا عيسى- عليه السلام- الذين وجدوا قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم بأن يحكموا فيما بينهم بمقتضى أحكام الإنجيل بدون تحريف أو تبديل. أما الذين وجدوا بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم فمن الواجب عليهم أن يصدقوه ويتبعوا شريعته، لأن الشريعة التي جاء بها صلى الله عليه وسلم نسخت ما قبلها من شرائع.قال الآلوسى ما ملخصه، قوله: وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه أمر مبتدأ لهم بأن يحكموا ويعلموا بما فيه من الأمور التي من جملتها دلائل رسالته صلى الله عليه وسلم وما قررته شريعته الشريفة من أحكام، وأما الأحكام المنسوخة فليس الحكم بها حكما بما أنزل الله، بل هو إبطال وتعطيل له إذ هو شاهد بنسخها وانتهاء وقت العمل بها، لأن شهادته بصحة ما ينسخها من الشريعة الأحمدية شاهدة بنسخها. واختار كونه أمرا مبتدأ الجبائي.وقيل هو حكاية للأمر الوارد عليهم بتقدير فعل معطوف على قوله وآتيناه.أى: - وآتينا عيسى ابن مريم الإنجيل فيه هدى ونور- وقلنا ليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه. وحذف القول- لدلالة ما قبله عليه- كثير في الكلام. ومنه قوله- تعالى-:والملائكة يدخلون عليهم من كل باب، سلام عليكم.واختار ذلك على بن عيسى.وقرأ حمزة وليحكم- بكسر اللام وفتح الميم- بأن مضمرة- بعد لام كي- والمصدر معطوف على هدى وموعظة على تقدير كونهما معللين. أي: وآتيناه ليحكم «٢» .وقوله: ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون تذييل مقرر ومؤكد لوجوب الامتثال لأحكام الله- تعالى-. أى: ومن لم يحكم بما أنزل الله، فأولئك هم المتمردون الخارجون عن جادة الحق. وعن السنن القويم، والصراط المستقيم.ـــــــــــــــ(١) تفسير الرازي ج ١٢ ص ٩(٢) تفسير الآلوسى ج ٦ ص ١٥٠." (٢)

"الباطلة، لا بد أن يصيبها العقاب الشديد بسبب ذلك.وعبر- سبحانه- عما يصيبهم من عقاب بأنه بسبب ارتكابهم لبعض الذنوب، للإشارة بأن لهم ذنوبا كثيرة بعضها كاف لإنزال العقوبة الشديدة بهم.وقوله: وإن كثيرا من الناس لفاسقون اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ما قبله، ومتضمن تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم عما لقيه من مخالفيه ولا سيما اليهود.أى: وإن كثيرا من الناس لخارجون عن طاعتنا، ومتمردون على أحكامنا، ومتبعون لخطوات الشيطان الذي استحوذ عليهم، وإذا كان الأمر كذلك فلا تبتئس يا محمد عما لقيته من أصحاب النفوس المريضة، بل اصبر حتى يحكم الله بينك وبينهم.ثم ختم- سبحانه- هذه الآية الكريمة بتوبيخ أولئك الذين يرغبون عن حكم الله إلى حكم غيره فقال: أفحكم

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ١٧١/٤

(٢) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ١٧٧/٤

الجاهلية يبغون.فالهمزة هنا للاستفهام الإنكارى التوبيخي. والفاء للعطف على مقدر يستدعيه المقام.والمعنى: أينصرفون عن حكمك بما أنزل الله ويعرضون عنه فيبغون حكم الجاهلية مع أن ما أنزله الله إليك من قرآن فيه الأحكام العادلة التي ترضى كل ذي عقل سليم، ومنطق قويم.وقدم- سبحانه- المفعول «أفحكم» لإفادة التخصيص المفيد لتأكيد الإنكار والتعجيب من أحوال أولئك اليهود الذين يريدون حكم الجاهلية.إذ أن التولي عن حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حكم آخر منكر عجيب. وطلب حكم الجاهلية أقبح وأعجب.والمراد بالجاهلية: الملة الجاهلية التي هي متابعة الهوى، والمداهنة في الأحكام، فيكون ذلك توبيخا لليهود بأنهم مع كونهم أهل كتاب يبغون حكم الملة الجاهلية. وعدم الأخذ بشريعة المساواة. فيكون ذلك- أيضا- تعييرا لهم لاقتدائهم بأهل الجاهلية.قال الآلوسى: فقد روى أن بنى النضير لما تحاكموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في خصومة قتيل وقعت بينهم وبين بنى قريظة، طلب بعضهم من رسول الله أن يحكم بينهم بما كان عليه أهل الجاهلية من التفاضل، فقال صلى الله عليه وسلم: «القتلى سواء» - أى: متساوون- فقال بنو النضير: نحن لا نرضى بحكمك، فنزلت هذه الآية» «١» .وقوله- تعالى- ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون إنكار منه- سبحانه- لأن يكون هناك حكم أحسن من حكمه أو مساو له.______________(١) تفسير الآلوسى ج ٦ ص ١٥٦.." (١)

"ومن في قوله: من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء بيانية.أى: مبينة لأولئك الذين يستهزئون بدين الله ويجعلونه موضع عبثهم.والمراد بالذين أوتوا الكتاب: اليهود والنصارى.وسموا بذلك لأن أصل شرعهم ينتمى إلى كتاب منزل هو التوراة والإنجيل.وفي وصفهم بذلك هنا، توبيخ لهم، حيث إنهم استهزءوا بالدين الحق، مع أن كتابهم ينهاهم عن ذلك.والمراد بالكفار هنا المشركون الذين لا كتاب لهم.وقرأ الجمهور الكفار بالنصب عطفا على الذين اتخذوا دينكم المبين بقوله: من الذين أوتوا الكتاب.وقرأ أبو عمرو والكسائي الكفار بالجر عطفا على الذين أوتوا الكتاب.وقوله: أولياء أى: نصراء وأصفياء. وهو المفعول الثاني لقوله لا تتخذوا والآية الكريمة تنهى المؤمنين عن ولاية كل عدو لله- تعالى- ولهم سواء أكان هذا العدو من أهل الكتاب أم من المشركين لأن الجميع يشتركون في الاستهزاء بتعاليم الإسلام، وفي العبث بشعائره.وقوله: واتقوا الله إن كنتم مؤمنين تذييل قصد به استنهاض همتهم لامتثال أمر الله- تعالى- وإلهاب نفوسهم حتى يتركوا موالاة أعدائهم بسرعة ونشاط.أى: واتقوا الله في سائر ما أمركم به وما نهاكم عنه، فلا تضعوا موالاتكم في غير موضعها، ولا تخالفوا لله أمرا. إن كنتم مؤمنين حقا، ممتثلين صدقا، فإن وصفكم بالإيمان يحتم عليكم الطاعة التامة لله رب العالمين.ثم ذكر- سبحانه- بعض مظاهر استهزاء أولئك الضالين بالدين وشعائره، فقال- تعالى-: وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا.والمراد بالنداء للصلاة: الإعلام بها عن طريق الأذان.قال القرطبي: كان إذا أذن المؤذن وقام المسلمون إلى الصلاة قالت اليهود: قاموا لا قاموا، وكانوا يضحكون إذا ركع المسلمون وسجدوا. وقالوا في حق الأذان: لقد ابتدعت شيئا لم نسمع به فيما مضى من الأمم. فمن أين لك صياح مثل صياح العير؟ فما أقبحه من صوت، وما أسمجه من أمر «١» .______________(١) تفسير القرطبي ج ٦ ص ٢٢٤.." (٢)

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ١٨٦/٤

(٢) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٢٠٤/٤

"ثم حكى- سبحانه- لونا آخر من رذائلهم فقال: وترى كثيرا منهم يسارعون في الإثم والعدوان وأكلهم السحت.والرؤية في قوله: وترى بصرية.والإثم: هو كل قول أو عمل لا يرضاه الله- تعالى-.والعدوان: مجاوزة الحد في الظلم والتعدي. والسحت: هو المال الحرام كالرشوة وغيرها.أى: وترى- أيها الرسول الكريم أو أيها السامع- كثيرا من هؤلاء اليهود، يسارعون في ارتكاب الآثام وفي التعدي والظلم وأكل المال الحرام بدون تردد أو تريث. والتعبير بقوله:وترى يفيد أن ارتكابهم لهذه المنكرات لم يكن خافيا أو مستورا، وإنما هم يرتكبونها مجاهرة وعلانية، لأن فضيلة الحياء قد نضبت من وجوههم.والمسارعة في الشيء: المبادرة إليه بسرعة وخفة ونشاط، وأكثر استعمالها في الخير كما قال- تعالى- أولئك يسارعون في الخيرات «١» نسارع لهم في الخيرات «٢» وقد استعملت هنا في مسارعتهم في الإثم والعدوان وأكلهم السحت، للإشارة إلى أنهم كانوا يقدمون على هذه المنكرات وكأنهم محقون فيها.والتعدية بحرف في تؤذن بأنهم مغمورون في الآثام وأنهم يتنقلون فيها من حال إلى حال أخرى شر منها، حتى لكأن السير في طريق الحق والصدق والفضيلة صار غير مألوف عندهم.وقوله: لبئس ما كانوا يعملون **تذييل** قصد به تقبيح أعمالهم التي يأباها الدين والخلق الكريم.أى: لبئس شيئا كانوا يعملونه هذه المنكرات التي منها مسارعتهم في الإثم والعدوان وأكلهم السحت.وهذه الجملة هي حكم من الله- تعالى- عليهم بذم أعمالهم. وقد جمع- سبحانه- في حكمه بين صيغة الماضي كانوا وصيغة المضارع يعملون للإشارة إلى أن هذا العمل القبيح كان منهم في الماضي، وأنهم قد استمروا عليه في حاضرهم ومستقبلهم بدون توبة أو ندم.وقد أكد- سبحانه- هذا الحكم بالقسم، وباللام الموطئة للقسم، وبكلمة بئس الدالة على______________(١) سورة المؤمنون. الآية ٦١.(٢) سورة المؤمنون الآية ٥٦.." (١)

"وأكل السحت، ولم يذكر العدوان- الذي ورد في الآية السابقة إيماء إلى أن العدوان يزجرهم عنه المسلمون ولا يلتجئون في زجرهم إلى غيرهم لأن الاعتماد في النصرة على غير المجنى عليه ضعف» «١» .وقوله: لبئس ما كانوا يصنعون **تذييل** قصد به ذم علماء اليهود بسبب تركهم لفضيلة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.وقوله: يصنعون من الصنع وهو العمل بدقة ومهارة وإحكام.أى: والله لبئس الصنع صنعهم حيث تركوا نهى عامتهم عن قول الإثم وأكل السحت.وقد تكلم المفسرون عن السر في أن الله تعالى- ذم اليهود بقوله: لبئس ما كانوا يعملون وذم علماءهم وفقهاءهم بقوله: لبئس ما كانوا يصنعون.وقد أجاد الكلام عن ذلك الإمام الرازي فقال: والمعنى، أن الله- تعالى- استبعد من علماء أهل الكتاب أنهم ما نهوا سفلتهم وعوامهم عن المعاصي، وذلك يدل على أن تارك النهى عن المنكر بمنزلة مرتكبه، لأنه- تعالى- ذم الفريقين.. بل نقول: إن ذم تارك النهى عن المنكر أقوى، لأنه- سبحانه- قال في المقدمين على الإثم والعدوان وأكل السحت لبئس ما كانوا يعملون وقال في العلماء التاركين للنهى عن المنكر لبئس ما كانوا يصنعون والصنع أقوى من العمل، لأن العمل إنما يسمى صناعة إذا صار راسخا متمكنا، فجعل جرم العاملين ذنبا غير راسخ. وذنب التاركين للنهى عن المنكر ذنبا راسخا. والأمر في الحقيقة كذلك، لأن المعصية مرض الروح، وعلاجه العلم بالله وبصفاته وبأحكامه، فإذا حصل هذا العلم وما زالت المعصية كان كمثل المرض الذي شرب صاحبه الدواء إلا أن المرض بقي كما هو» «٢» .وقال ابن جرير: كان العلماء

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٤/٢١١

يقولون: ما في القرآن آية أشد توبيخا للعلماء من هذه الآية، ولا أخوف عليهم منها «٣» .وقال ابن كثير: روى الإمام أحمد عن جرير قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من قوم يكون بين أظهرهم من يعمل بالمعاصي، هم أعز منه وأمنع، ولم يغيروا، إلا أصابهم الله منه بعذاب.وروى ابن أبى حاتم عن يحيى بن يعمر قال: خطب على بن أبى طالب، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس!! إنما هلك من كان قبلكم بركوبهم المعاصي ولم ينههم الربانيون______________(١) تفسير التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر بن عاشور ج ٦ ص ٢٤٨(٢) تفسير الفخر الرازي ج ١٢ ص ٣٩(٣) تفسير ابن جرير ج ٦ ص ٢٩٨." [1]

"على الكتابيين في ذلك العصر الذي نزل فيه القرآن» «١» .وقوله: كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله أى: كلما أرادوا حرب الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وهيئوا الأسباب لذلك وحاولوا تفريق كلمتهم وإثارة العداوة بينهم. كلما فعلوا ذلك أفسد الله عليهم خطتهم، وأحبط مكرهم، وألقى الرعب في قلوبهم.والتعبير بهذه الجملة الكريمة جاء على وفق ما جرى عليه العرب من أنهم كانوا إذا أرادوا حربا بالإغارة على غيرهم أوقدوا نارا يسمونها نار الحرب.والتعبير هنا لذلك على سبيل المجاز إذ عبر- سبحانه- عن إثارة الحروب بإيقاد نارها.باعتبار أن الحروب في ذاتها وبما تشتمل عليه من مذابح بشرية تشبه النار المستعرة في أخطارها ومصائبها.وقوله: ويسعون في الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين **تذييل** مقرر لما قبله من الصفات الذميمة التي دمغ الله- تعالى- بها اليهود.أى: أن حال هؤلاء اليهود أنهم يجتهدون في الكيد للإسلام وأهله وأنهم يسعون سعيا حثيثا للإفساد في الأرض عن طريق إثارة الفتن، وإيقاظ الأحقاد بين الناس. والله- تعالى- لا يحب المفسدين بل يبغضهم ويمقتهم، لإيثارهم الضلالة على الهدى، والشر على الخير.وبهذا نرى الآية الكريمة قد ردت على اليهود في نسبتهم البخل إلى الله- تعالى- وبينت أنه- سبحانه- هو الواسع الفضل، الجزيل العطاء وكشفت عن جوانب من رذائلهم وعنادهم وأوضحت أنه- سبحانه- يبغضهم لأنهم يفسدون في الأرض ولا يصلحون.ولقد بسطنا القول في مظاهر فسادهم في الأرض في غير هذا الموطن فارجع إليه إن شئت «٢» .وبعد أن حكى- سبحانه- ما حكى من رذائل أهل الكتاب وخصوصا اليهود عقب ذلك بفتح باب الخير لهم متى آمنوا واتقوا فقال- تعالى:[سورة المائدة (٥) : الآيات ٦٥ الى ٦٦]ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم (٦٥) ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون (٦٦)______________(١) تفسير الفخر الرازي ج ١٢ ص ٤٥(٢) راجع كتابنا «بنو إسرائيل في القرآن والسنة» ج ٢ من ص ٢٨٨ إلى ص ٣٢٠." [2]

"وهناك آثار تشهد بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحرس من بعض أصحابه فلما نزلت هذه الآية صرفهم عن حراسته.فقد أخرج الترمذي والحاكم وابن أبي حاتم وابن جرير عن عائشة قالت: كان رسول الله يحرس ليلا حتى نزلت والله يعصمك من الناس فأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من القبة فقال لهم: «أيها الناس انصرفوا لقد عصمني الله»

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٤/٢١٣

(٢) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٤/٢١٩

«١» .وقوله: إن الله لا يهدي القوم الكافرين **تذييل** قصد به تعليل عصمته صلى الله عليه وسلم وتثبيت قلبه أى: إن الله- تعالى- لا يهدى القوم الكافرين إلى طريق الحق بسبب عنادهم وإيثارهم الغي على الرشد. ولا يوصلهم إلى ما يريدونه من قتلك ومن القضاء على دعوتك، بل سينصرك عليهم ويجعل العاقبة لك.وبعد هذا التثبيت والتكريم لنبيه. أمره- سبحانه- أن يصارح أهل الكتاب بما هم عليه من باطل وأن يدعوهم إلى اتباع الحق الذي جاء به فقال- تعالى-:[سورة المائدة (٥) : آية ٦٨]قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين (٦٨)قال الآلوسى: أخرج ابن إسحاق وابن جرير وغيرهما عن ابن عباس قال: جاء جماعة من اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا محمد ألست تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه، وتؤمن بما عندنا من التوراة، وتشهد أنها من الله حق، فقال النبي صلى الله عليه وسلم بلى، ولكنكم أحدثتم وجحدتم ما فيها مما أخذ عليكم من الميثاق وكتمتم منها ما أمركم أن تبينوه للناس فبرئت من أحداثكم. قالوا: فإن لم تأخذ بما في أيدينا فإنا على الحق والهدى ولا نؤمن بك ولا نتبعك فأنزل الله قل يا أهل الكتاب لستم على شيء الآية «٢» .والمعنى: قل يا محمد لهؤلاء اليهود والنصارى الذين امتدت أيديهم إلى كتبهم بالتغيير والتبديل. قل لهم يا أهل الكتاب لستم على شيء يعتد به من الدين أو العلم أو المروءة______________(١) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٧٨.(٢) تفسير الآلوسى ج ٦ ص ٢٠٠." (١)

"حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم.أى: لستم على شيء يقام له وزن من أمر الدين حتى تعملوا بما جاء في التوراة والإنجيل، من أقوال تبشر برسالة محمد صلى الله عليه وسلم وحتى تؤمنوا بما أنزل إليكم من ربكم من قرآن كريم يهدى إلى الرشد: لأنكم مخاطبون به، ومطالبون بتنفيذ أوامره ونواهيه، ومحاسبون حسابا عسيرا على الكفر به، وعدم الإذعان لما اشتمل عليه.والتعبير بقوله- تعالى- لستم على شيء فيه ما فيه من الاستخفاف بهم، والتهوين من شأنهم، أى: لستم على شيء يعتد به ألبتة من أمر الدين. وذلك كما يقول القائل عن أمر من الأمور: هذا الأمر ليس بشيء يريد تحقيره وتصغير شأنه. وفي الأمثال، أقل من لا شيء.فالجملة الكريمة تنفى عنهم أن يكون في أيديهم شيء من الحق والصواب ماداموا لم يؤمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم الذي بشرت به التوراة والإنجيل وأنزل الله عليه القرآن وهو الكتاب المهيمن على الكتب السماوية السابقة.وقوله: وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا جملة مستأنفة مبينة لغلوهم في العناد والجحود، وناعية عليهم عدم انتفاعهم بما يشفى النفوس، ويصلح القلوب.والضمير في قوله منهم يعود إلى أهل الكتاب.أى: وإن ما أنزلناه إليك يا محمد من هدايات وخيرات ليزيدن هؤلاء الضالين من أهل الكتاب طغيانا على طغيانهم. وكفرا على كفرهم لأن نفوسهم لا تميل إلى الحق والخير وإنما تنحدر نحو الباطل والشر.وقوله: فلا تأس على القوم الكافرين **تذييل** قصد به تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم والفاء للإفصاح.والأسى: الحزن. يقال: أسى فلان على كذا يأسى أسى إذا حزن.أى: إذا كان شأن الكثيرين كذلك فلا تحزن عليهم، ولا تتأسف على القوم الكافرين فإنهم هم الذين استحبوا العمى على الهدى، وفي المؤمنين غنى لك عنهم.وليس المراد نهيه صلى الله عليه وسلم عن الحزن والأسى، لأنهما أمران طبيعيان لا قدرة للإنسان

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٤/٢٢٦

عن صرفهما، وإنما المراد نهيه عن لوازمهما، كالإكثار من محاولة تجديد شأن المصائب وتعظيم أمرها وبذلك تتجدد الآلام ويحزن القلب.ثم بين- سبحانه- بعد ذلك أن الناس أمامه سواء وأنه لا تفاضل بينهم إلا بالإيمان والعمل الصالح، وأن الايمان الحق يقطع ما قبله من عقائد زائفة. وأفعال سيئة فقال- تعالى-:." (١)

"وهذا- كما قلنا مرارا- من إنصاف القرآن للناس في أحكامه، ودقته في ألفاظه، واحتراسه فيما يصدر من أحكامه.وقوله: والله بصير بما يعملون تذييل قصد به بطلان حسبانهم المذكور، والبصير مبالغة في المبصر وهو هنا بمعنى العليم بكل ما يكون منهم من أعمال سواه أبصرها الناس أم لم يبصروها.والمقصود من هذا الخبر لازم معناه، وهو الإنذار والتذكير بأن الله لا يخفى عليه شيء.وسيحاسبهم على أعمالهم.أى: والله- تعالى- عليم بما يعملونه علم من يبصر كل شيء دون أن تخفى عليه خافية، وسيجازيهم على أعمالهم بما يستحقونه من عذاب أليم.هذا، وقد تكلم المفسرون عن وقت التوبة التي كانت بعد عماهم وصممهم وعن العمى والصمم الذي أصابهم بعد ذلك وقد أجمل الإمام الرازي كلامهم فقال:والآية تدل على أن عماهم وصممهم عن الهداية إلى الحق حصل مرتين. واختلف المفسرون في المراد بهاتين المرتين على وجوه:الأول: المراد أنهم عموا وصموا في زمان زكريا ويحيي وعيسى- عليهم السلام- ثم تاب الله على بعضهم حيث وفق بعضهم للإيمان: ثم عموا وصموا كثير منهم في زمان محمد صلى الله عليه وسلم بأن أنكروا نبوته. وقلة منهم هي التي آمنت به.الثاني: المراد أنهم عموا وصموا حين عبدوا العجل، ثم تابوا عنه فتاب الله عليهم، ثم عموا وصموا كثير منهم بالتعنت وهو طلبهم رؤية الله جهرة.الثالث: قال القفال: ذكر الله- تعالى- في سورة الإسراء ما يجوز أن يكون تفسيرا لهذه الآية فقال: وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا «١» .والذي نراه أن تحديد عماهم وصممهم وتوبتهم بزمان معين أو بجريمة أو جرائم معينة تابوا بعدها هذا التحديد غير مقنع.ولعل أحسن منه أن نقول: إن القرآن الكريم يصور ما عليه بنو إسرائيل من صفات ذميمة، وطبائع معوجة، ومن نقض للعهود والمواثيق. فهم أخذ الله عليهم العهود فنقضوها، وأرسل إليهم الرسل فاعتدوا عليهم وظنوا أن عدوانهم هذا شيء هين ولن يصيبهم بسببه عقاب_____________(١) تفسير الفخر الرازي ج ١٢ ص ٥٧." (٢)

"يستطع إحداها، فقد بين سبحانه له حكما آخر فقال: فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام.أى: فمن لم يجد ما يكفر حنثه في يمينه من إطعام أو كساء أو تحرير رقبة فعليه حينئذ أن يصوم ثلاثة أيام، تطهيرا لنفسه، وتكفيرا عن ذنبه، وتقوية لإرادته وعزيمته.واسم الإشارة في قوله: ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم يعود إلى المذكور من الإطعام والكساء وتحرير الرقبة والصوم.أى: ذلك الذي شرعناه لكم كفارة لأيمانكم إذا حلفتم وحنثتم فيها، وخالفتم طريق الحق الذي أمركم الله تعالى باتباعه.وقوله: واحفظوا أيمانكم أمر من الله تعالى لعباده بأن يصونوا أنفسهم عن الحنث في أيمانهم، وعن الإكثار منها لغير ضرورة، فإن الإكثار من الحلف بغير ضرورة يؤدى إلى قلة الحياء من الله تعالى. كما أن الحلف الكاذب يؤدى إلى سخطه سبحانه على الحالف وبغضه له.وقوله: كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون تذييل قصد به التذكير بنعم الله حتى

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٢٢٧/٤

(٢) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٢٣٥/٤

يداوم الناس على شكرها وطاعة واهبها عز وجل.أى: مثل هذا البيان البديع الجامع لوجوه الخير والفلاح، يبين الله لكم آياته المشتملة على الأحكام الميسرة، والتشريعات الحكيمة، والهدايات الجليلة لعلكم بذلك تستمرون على شكر الله وطاعته، وتواظبون على خشيته ومراقبته فتنالون ما وعدكم من فلاح وسعادة.هذا، ومن الأحكام التي أخذها العلماء من هذه الآية ما يأتى:١- أن اليمين اللغو لا مؤاخذة فيها. أى: لا عقوبة عليها في الآخرة ولا كفارة لها في الدنيا لقوله تعالى: لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم.ونعنى بها- كما سبق أن أشرنا- أن يقول الرجل من غير قصد الحلف لا والله وبلى والله.ومع هذا فمن الأفضل للمؤمن ألا يلجأ إلى الحلف إلا إذا كانت هناك ضرورة تدعو لذلك لأن الإكثار من الحلف يسقط مهابة الإنسان، وقد يفضى به إلى الاستهانة بالآداب الحميدة التي شرعها الله.قال تعالى: ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم «١» .٢- أن اليمين التي يحلفها الحالف بالقصد والنية وهو كاذب فيها، يستحق صاحبها العذاب______________(١) سورة النحل الآية ٩٤.." (١)

"والمعنى: ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح أى: حرج أو إثم فيما طعموا أى فيما تناولوه من خمر أو ما يشبهها من محرمات قبل أن يحرمها الله- تعالى- وكذلك لا إثم ولا حرج على من مات قبل التحريم.وقوله: إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات تحريض للمؤمنين على الازدياد من الإيمان والتقوى والعمل الصالح.أى: إذا ما اتقوا الله وخافوه وتلقوا أوامره بالقبول، وثبتوا على الإيمان، وأكثروا من الأعمال الصالحات.وقوله: ثم اتقوا وآمنوا معطوف على ما قبله.أى: ثم استمروا على تقواهم وامتلاء قلوبهم بخشية الله، والإيمان الحق به- سبحانه- فتكرير التقوى والإيمان هنا لبيان أنه يجب استمرارهم ومواظبتهم على ذلك، مع تمسكهم بما يقتضيه الإيمان والتقوى من فعل الخير وابتعاد عن الشر.وقوله: ثم اتقوا وأحسنوا معطوف على ما قبله- أيضا- لتأكيد معنى الاستمرار على هذه التقوى طول مدة حياتهم مع إحسانهم إلى أنفسهم بالإكثار من العمل الصالح، وإلى غيرهم بما يستطيعونه من إسداء الخير إليه.وقوله: والله يحب المحسنين **تذييل** قصد به تأكيد ما قبله من الحض على الإيمان والتقوى والإحسان، ومدح المتمسكين بتلك الصفات الحميدة.أى: والله- تعالى- يحب المحسنين إلى أنفسهم بإلزامها بالوقوف عند حدود الله، والاستجابة له فيما أمر أو نهى أو أحل أو حرم برغبة ومسارعة، وإلى غيرهم بمديد العون إليهم.فالآية الكريمة من مقاصدها بيان جانب من مظاهر رحمة الله بعباده، ورأفته بهم حيث بين لهم: أن من شرب الخمر أو لعب الميسر أو فعل ما يشبههما من محرمات، ثم مات قبل أن ينزل الأمر بتحريم هذه الأشياء فإن الله- تعالى- لا يؤاخذه على ذلك. لأن المؤاخذة على الفعل تبدأ من وقت تحريمه لا من قبل تحريمه.وكذلك الحال بالنسبة لمن وقع في هذه الأشياء قبل أن تحرم فإن الله لا يؤاخذه عليها، وإنما يؤاخذه عليها بعد نزول تحريمها وهذا من فضل الله على عباده، ورحمته بهم.هذا، وقد تعددت أقوال المفسرين حول مسألتين تتعلقان بهذه الآية الكريمة.أما المسألة الأولى فهي: كيف شرط الله في رفع الجناح أى الإثم عن المطعومات والمشروبات الإيمان والتقوى، مع أن الجناح مرفوع عن المباح من هذه الأشياء حتى عن الكافرين؟." (٢)

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٤/٢٦٧

(٢) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٤/٢٨٧

"الأخيار، وزادوا عليهم رضا الله- عز وجل-.والفاء في قوله: فاتقوا الله يا أولي الألباب لعلكم تفلحون للافصاح عن كلام مقدر، والتقدير:إذا كان الأمر كما بينت لكم- أيها الناس- من أنه لا يستوي الخبيث والطيب، لأن أهل الخبيث سيعاقبون ويندمون مهما كثروا وأهل الطيب سيثابون ويفرحون، إذا كان الأمر كذلك فاتقوا الله يا أصحاب العقول السليمة بأن تجتنبوا كل ما هو خبيث، وتقبلوا على كل ما هو طيب، لعلكم بسبب هذه التقوى والخشية من الله تنالون الفلاح والنجاح في دنياكم وآخرتكم.والجملة الكريمة **تذييل** قصد به تأكيد ما مر من الترغيب في الطاعات والتحذير من المعاصي.قال الفخر الرازي: لما ذكر- سبحانه- هذه الترغيبات الكثيرة في الطاعة، والتحذيرات من المعصية. أتبعها بوجه آخر يؤكدها فقال: فاتقوا الله يا أولي الألباب لعلكم تفلحون:أى: فاتقوا الله بعد هذه البيانات الجليلة والتعريفات القوية، ولا تقدموا على مخالفته لعلكم تصيرون فائزين بالمطالب الدنيوية والدينية العاجلة والآجلة «١» .وبعد هذا الحديث المستفيض عن الحلال والحرام في شريعة الإسلام اتجهت آيات السورة الكريمة إلى تربية المسلمين وإرشادهم إلى الآداب التي يجب أن يتمسكوا بها ونهيهم عن الأسئلة التي لا خير يرجى من وراء إثارتها.. فقال تعالى:[سورة المائدة (٥) : الآيات ١٠١ الى ١٠٢]يا أيها الذين آمنوا لا تسئلوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم وإن تسئلوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم عفا الله عنها والله غفور حليم (١٠١) قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين (١٠٢)وقد ذكر المفسرون في سبب نزول هاتين الآيتين روايات متعددة، منها ما حكاه القرطبي في قوله: روى البخاري ومسلم وغيرهما- واللفظ للبخاري- عن أنس قال: قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله من أبي؟ قال: «أبوك فلان» .______________(١) تفسير الفخر الرازي ج ١٣ ص ١٠٤ وراجعه في تفسير هذه الآيات إذا كنت تبغى المزيد من العلم والمعرفة، فقد أجاد في هذا المقام وأبدع- رحمه الله-." (١)

"وقال القرطبي: قوله- تعالى- وإن تسئلوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم فيه غموض.وذلك أن في أول الآية النهى عن السؤال، ثم قال: وإن تسئلوا.. إلخ. فأباحه لهم.فقيل: المعنى وإن تسألوا عن غيرها فيما مست الحاجة إليه، فحذف المضاف ولا يصح حمله على غير الحذف.قال الجرجاني: الكناية في «عنها» ترجع إلى أشياء أخر، كقوله تعالى: ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين يعنى آدم، ثم قال: ثم جعلناه نطفة أى: ابن آدم، لأن آدم لم يجعل نطفة في قرار مكين، لكن لما ذكر الإنسان وهو آدم دل على إنسان مثله، وعرف ذلك بقرينة الحال.فالمعنى: وإن تسألوا عن أشياء- أخر- حين ينزل القرآن من تحليل أو تحريم أو حكم، أو مست حاجتكم إلى التفسير، فإذا سألتم فحينئذ تبد لكم فقد أباح- سبحانه- هذا النوع من السؤال» «١» .والضمير في قوله عفا الله عنها يعود إلى أشياء، والجملة في محل جر صفه أخرى لأشياء.أى: أن هذه الأشياء التي نهيتم عن السؤال عنها هي مما عفا الله عنه- رحمة منه وفضلا- حيث لم يكلفكم بها. ولم يفضحكم ببيانها.ويجوز أن يعود الضمير إلى الأسئلة المدلول عليها بقوله لا تسئلوا فتكون الجملة مستأنفة، ويكون المعنى: عفا الله عن أسئلتكم السالفة التي سألتموها قبل النهى، وتجاوز- سبحانه- عن معاقبتكم عليها رحمة منه وكرما فمن الواجب عليكم بعد ذلك ألا تعودوا إلى مثلها أبدا.قال صاحب المنار: ولا مانع عندنا يمنعنا من إرادة المعنيين معا. فإن كل ما تدل عليه

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٣٠٧/٤

عبارات القرآن من المعاني الحقيقة والمجازية والكناية يجوز عندنا أن يكون مرادا منها مجتمعة تلك المعاني أو منفردة ما لم يمنع مانع من ذلك كأن تكون تلك المعاني مما لا يمكن اجتماعها شرعا أو عقلا، فحينئذ لا يصح أن تكون كلها مرادة بل يرجح بعضها على بعض بطرق الترجيح المعروفة من لفظية ومعنوية.وقوله والله غفور حليم اعتراض **تذييلى** مقرر لعفوه- سبحانه- أى: عفا الله عن كل ذلك، وهو- سبحانه- واسع المغفرة والحلم والصفح ولذا لم يكلفكم بما يشق عليكم، ولم يؤاخذكم بما فرط منكم من أقوال وأعمال قبل النهى عنها.ثم بين- سبحانه- بعض مظاهر العبر والعظات والحكم من وراء نهيهم عن الأسئلة التي____________(١) تفسير القرطبي ج ٦ ص ٣٢٣." (١)

"وكان دعاؤه يا حي يا قيوم، وذكروا من بين من أحياهم سام بن نوح «١» .وبعد أن ذكر- سبحانه- بعض المعجزات التي أعطاها لعيسى لكي ينفع بها الناس، أتبعها بذكر ما دفعه عنه من مضار فقال: وإذ كففت بني إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات.أى: واذكر نعمتي عليك وقت أن صرفت عنك اليهود الذين أرادوا السوء، وسعوا في قتلك وصلبك مع أنك قد بشرتهم وأنذرتهم وجئتهم بالمعجزات الواضحات التي تشهد بصدقك في نبوتك.وقوله فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين **تذييل** قصد به ذمهم وتسجيل الحقد والجحود عليهم.أى: لقد أعطيناك يا عيسى ما أعطيناك من النعم والمعجزات لتكون دليلا ناطقا بصدقك، وشاهدا يحمل الناس على الإيمان بنبوتك، ولكن الكافرين من بنى إسرائيل الذين أرسلت إليهم لم يصدقوا ما جئتهم به من معجزات واضحات، بل سارعوا إلى تكذيبك قائلين: ما هذا الذي جئتنا به يا عيسى إلا سحر ظاهر، وتخييل بين.وهكذا نرى أن الكافرين من بنى إسرائيل، لم تزدهم البينات التي جاء بها عيسى إلا جحودا وعنادا.ثم حكى- سبحانه- بعد ذلك ما قاله الحواريون لعيسى، وما طلبوه منه، مما يدل على إكرام الله- تعالى- لنبيه عيسى فقال:[سورة المائدة (٥) : الآيات ١١١ الى ١١٥]وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون (١١١) إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين (١١٢) قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين (١١٣) قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين (١١٤) قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين (١١٥)____________(١) تفسير الآلوسى ج ٢ ص ١٦٩. [.....]."(٢)

"التعنت. وإنما هم يريدون نزولها لتلك الأسباب السابقة التي يبغون من ورائها الأكل وزيادة الإيمان واليقين والشهادة أمام الذين لم يحضروا نزولها بكمال قدرة الله وصدق عيسى في نبوته.ثم حكى- سبحانه- ما تضرع به عيسى بعد أن سمع من الحواريين ما قالوه في سبب طلبهم لنزول المائدة من السماء فقال- تعالى- قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين.وقوله: اللهم أى: يا الله. فالميم المشددة عوض عن حرف النداء، ولذلك لا يجتمعان. وهذا التعويض خاص بنداء الله ذي الجلال والإكرام.وقوله: عيدا أى سرورا

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٣١٠/٤

(٢) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٣٣٥/٤

وفرحا لنا، لأن كلمة العيد تستعمل بمعنى الفرح والسرور.قال القرطبي: والعيد واحد الأعياد. وأصله من عاد يعود أى: رجع وقيل ليوم الفطر والأضحى عيد، لأنهما يعودان كل سنة. وقال الخليل: العيد كل يوم يجمع الناس فيه كأنهم عادوا إليه، وقال ابن الأنباري: سمى عيدا للعود إلى المرح والفرح فهو يوم سرور» «١» .والمعنى: قال عيسى بضراعة وخشوع- بعد أن سمع من الحواريين حجتهم- اللهم ربنا أى: يا الله يا ربنا ومالك أمرنا، ومجيب سؤالنا. أتوسل إليك أن تنزل علينا مائدة من السماء. أى: أطعمة كائنة من السماء، هذه الأطعمة تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا أى:يكون يوم نزولها عيدا نعظمه ونكثر من التقرب إليك فيه نحن الذين شاهدناها، ويكون- أيضا- يوم نزولها عيدا وسرورا وبهجة لمن سيأتى بعدنا ممن لم يشاهدنا.قال ابن كثير. قال السدى: أى نتخذ ذلك اليوم الذي نزلت فيه عيدا نعظمه نحن ومن بعدنا. وقال سفيان الثوري: يعنى يوما نصلى فيه. وقال قتادة: أرادوا أن يكون لعقبهم من بعدهم. وقال سلمان الفارسي: يعنى يوما نصلى فيه. وقال قتادة: أرادوا أن يكون لعقبهم من بعدهم. وقال سلمان الفارسي: تكون عظة لنا ولمن بعدنا «٢» .وقوله: وآية منك معطوف على قوله عيدا.أى: تكون هذه المائدة النازلة من السماء عيدا لأولنا وآخرنا، وتكون أيضا- دليلا- وعلامة منك- سبحانك- على صحة نبوتي ورسالتي، فيصدقونى فيما أبلغه عنك، ويزداد يقينهم بكمال قدرتك.وقوله: وارزقنا وأنت خير الرازقين تذييل بمثابة التعليل لما قبله. أى: أنزلها علينا يا ربنا وأرزقنا من عندك رزقا هنيئا رغدا، فإنك أنت خير الرازقين، وخير المعطين، وكل عطاء من______________(١) تفسير القرطبي ج ٦ ص ٣٦٧(٢) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ١١٦." (١)

"وقوله يقص الحق أى: يتبع الحق والحكمة فيما يحكم به ويقدره وهو خير الفاصلين أى: القاضين بين عباده.قال ابن جرير: وهو خير الفاصلين أى: وهو من ميز بين المحق والمبطل وأعدلهم، لأنه لا يقع في حكمه وقضائه حيف إلى أحد لوسيلة إليه ولا لقرابة ولا مناسبة، ولا في قضائه جور لأنه لا يأخذ الرشوة في الأحكام فيجور، فهو أعدل الحكام وخير الفاصلين» «١» .ثم بين- سبحانه- حالهم فيما لو كان أمر إنزال العذاب عليهم بيد النبي عليه الصلاة والسلام فقال: قل لو أن عندي أى: قل لهم يا محمد لو أن في قدرتي وإمكانى العذاب الذي تتعجلونه، لقضى الأمر بيني وبينكم.قال صاحب الكشاف أى: لأهلكتكم عاجلا غضبا لربي. وامتعاضا من تكذيبكم به، ولتخلصت منكم سريعا» «٢» .وجملة والله أعلم بالظالمين تذييل، أى: والله أعلم منى ومن كل أحد بحكمة تأخير العذاب وبوقت نزوله، لأنه العليم. الخبير الذي عنده ما تستعجلون به.والتعبير بالظالمين إظهار في مقام ضمير الخطاب لإشعارهم بأنهم ظالمون في شركهم وظالمون في تكذيبهم لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم.قال ابن كثير: فإن قيل: فكيف الجمع بين هذه الآية وبين ما ثبت في الصحيحين عن عائشة أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله، هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟فقال: «لقد لقيت من قومك، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهى فلم أستفق إلا بقرن الثعالب «٣» فرفعت رأسى فإذا أنا بسحابة قد أظلتنى فنظرت فيها فإذا جبريل فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا به عليك وقد بعث إليك ملك الجبال

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٤/٣٤٠

لتأمره بما شئت فيهم، قال فناداني ملك الجبال وسلم على ثم قال يا محمد: إن الله قد سمع قول قومك لك. وأنا ملك الجبال وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك فإن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين، فقلت له: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا شريك له» .فقد عرض عليه عذابهم واستئصالهم فاستأناهم وسأل لهم التأخير لعل الله أن يخرج من أصلابهم من لا يشرك به شيئا.____________(١) تفسير ابن جرير ج ٧ ص ١٣٥.(٢) تفسير الكشاف ج ٢ ص ٣٠ طبعة بيروت.(٣) قرن الثعالب أو قرن المنازل: اسم مكان على بعد يوم وليلة من مكة وهو ميقات أهل نجد.." [(١)]

"ثم صرح- سبحانه- بأن مصير الخلق جميعا إليه فقال: ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق أى: ثم رد الله- تعالى- هؤلاء الذين توفتهم الملائكة إلى مالكهم الحق الذي لا يشوب ملكه باطل ليتولى حسابهم وجزاءهم على أعمالهم.فالضمير في ردوا يعود على الخلائق الذين توفتهم الملائكة والمدلول عليهم بأحد. والسر في الإفراد أولا والجمع ثانيا وقوع التوفي على الأفراد والرد على الاجتماع. أى: ردوا بعد البعث فيحكم فيهم بعدله. قال- تعالى- قل إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم.وقيل إن الضمير في ردوا يعود على الملائكة. أى: ثم ردوا أولئك الرسل بعد إتمام مهمتهم بإماتة جميع الناس فيموتون هم أيضا. وجملة ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين.تذييل ولذلك ابتدئ بأداة الاستفتاح المؤذنة بالتنبيه إلى أهمية الخبر.أى: ألا له الحكم النافذ لا لغيره وهو- سبحانه- أسرع الحاسبين لأنه لا يحتاج إلى ما يحتاج إليه الخلائق من تفكر واشتغال بحساب عن حساب.وبذلك تكون هذه الآيات الثلاث قد أقامت أقوى البراهين وأصحها على كمال قدرة الله، ونفاذ إرادته، ومحاسبته لعباده يوم القيامة على ما قدموا وأخروا.ثم ساق القرآن لونا آخر من الدلائل الدالة على كمال قدرة الله وسابغ رحمته وفضله وإحسانه فقال- تعالى-: قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر.قال صاحب الكشاف: ظلمات البر والبحر مجاز عن مخاوفهما وأهوالهما.يقال لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب، أى اشتدت ظلمته حتى عاد كالليل» «١» .وقيل: حمله على الحقيقة أولى فظلمة البر هي ما اجتمع فيه من ظلمة الليل ومن ظلمة السحاب فيحصل من ذلك الخوف الشديد لعدم الاهتداء إلى الطريق الصواب، وظلمة البحر ما اجتمع فيه من ظلمة الليل وظلمة الرياح العاصفة والأمواج الهائلة فيحصل من ذلك أيضا الخوف الشديد من الوقوع في الهلاك.والتضرع: المبالغة في الضراعة مع الذل والخضوع. والخفية- بالضم والكسر- الخفاء والاستتار. وللكرب الغم الشديد مأخوذ من كرب الأرض وهو إثارتها وقلبها بالحفر. فالغم يثير النفس كما يثير الأرض كاربها.____________(١) تفسير الكشاف ج ٢ ص ٣٣.." [(٢)]

"وثانيها: أنه- تعالى- خصه بالرفعة والاتصال إلى الدرجات العالية وهي قوله نرفع درجات من نشاء.وثالثها: أنه جعله عزيزا في الدنيا وذلك لأنه- تعالى- جعل أشرف الناس وهم الأنبياء والرسل من نسله وذريته وأبقى هذه الكرامة في نسله إلى يوم القيامة، لأن من أعظم أنواع السرور علم المرء بأنه يكون من عقبه الأنبياء والملوك «١» .والإشارة في قوله- تعالى- وتلك حجتنا إلى جميع ما تكلم به إبراهيم في مجادلة قومه في شأن وحدانية الله وبطلان الشرك.وأضاف- سبحانه- الحجة إليه مع ذكر اللفظ الدال على العظمة وهو «نا» تنويها بشأنها وتفخيما لأمرها، والمراد بالحجة جنسها لا فرد من

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٨٦/٥

(٢) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٩٤/٥

أفرادها.أى: وتلك الحجة التي لا يمكن نقضها أو مغالبتها في إثبات الحق وتزييف الباطل أعطيناها إبراهيم ليكون مستعليا بها على قومه، قاطعا لألسنتهم عن المجادلة والمخاصمة.وجملة آتيناها في محل نصب على الحال والعامل فيها معنى الإشارة.وقوله على قومه متعلق «بحجتنا» إن جعل خبرا لتلك، وبمحذوف إن جعل بدله. أى:آتيناها حجة ودليلا على قومه الكثيرين لتكون الغلبة عليهم.وقوله نرفع درجات من نشاء أى نرفع من شئنا من عبادنا درجات عالية من العلم والحكمة.والدرجات في الأصل تطلق على مراقى السلم. والمراد بها هنا المراتب المعنوية في الخير على سبيل التمثيل، فقد شبهت حالة المفضل على غيره بحال المرتقى في سلم إذا ارتفع من درجة إلى درجة.والجملة مستأنفة على سبيل التقرير لما قبلها، وقيل هي حال من فاعل آتينا أى حال كوننا رافعين.ومفعول المشيئة محذوف. أى: من نشاء رفعه على حسب ما تقتضيه حكمتنا. وقد دل قوله من نشاء على أن هذا التكريم لا يكون لكل أحد لأنه لو كان حاصلا لكل الناس لم يحصل الرفع ولا التفضيل.وقوله- تعالى- إن ربك حكيم عليم **تذييل** مقرر لمضمون ما قبله، أى: إن ربك الذي______________(١) تفسير الفخر الرازي ج ٤ ص ٨٢.." (١)

"إن المتأمل في هذه الآيات يراها قد رسمت للإنسان علاقته بربه علاقة ينال بها السعادة والثواب، ورسمت له علاقته بأسرته بحيث تقوم على المودة والمحبة وسدت في وجهه أبواب الشر التي تؤدى إلى انتهاك حرمات الأنفس والأموال والأعراض، وقد أطلق العلماء على هذه الآيات الكريمة اسم «الوصايا العشر» نظرا **لتذييل** آياتها الثلاث بقوله- تعالى- ذلكم وصاكم به.روى الترمذي- بسنده- عن ابن مسعود أنه قال: من سره أن ينظر إلى وصية محمد التي عليها خاتمه فليقرأ هذه الآيات قل تعالوا أتل. إلى قوله: لعلكم تتقون.وروى الحاكم وصححه، وابن أبي حاتم عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:«أيكم يبايعني على هؤلاء الآيات الثلاث، ثم تلا قوله- تعالى-: قل تعالوا أتل. حتى فرغ منها ثم قال: من وفى بهن فأجره على الله، ومن انتقص منهن شيئا فأدركه الله في الدنيا كانت عقوبته، ومن أخره إلى الآخرة كان أمره إلى الله، إن شاء الله أخذه، وإن شاء عفا عنه» «١» .وروى البيهقي عن على بن أبي طالب- رضى الله عنه- قال: لما أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يعرض نفسه على قبائل العرب، خرج إلى منى وأنا وأبو بكر معه، فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على منازل القوم ومضاربهم. فسلم عليهم وردوا السلام، وكان في القوم مفروق بن عمرو وهاني بن قبيصة______________(١) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ١٨٧.." (٢)

"الرياح سحابا ثقالا من كثرة ما فيها من الماء، سقناه- أى السحاب إلى «بلد ميت» أى إلى أرض لا نبات فيها ولا مرعى، فاهتزت وربت وأخرجت النبات والمرعى. فأطلق- سبحانه- الموت على الأرض التي لا نبات فيها، وأطلق الحياة على الأرض الزاخرة بالنبات والمرعى لأن حياتها بذلك.قال- تعالى-: والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه إلى بلد ميت، فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور «١» .وقوله: فأنزلنا به الماء أى: فأنزلنا في هذا البلد الميت الماء الذي يحمله السحاب. فالباء في به للظرفية.وقيل إن الضمير في به للسحاب، أى: فأنزلنا بالسحاب الماء وعليه فتكون الباء

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ١١٨/٥

(٢) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٢١٢/٥

للسببية.وقوله: فأخرجنا به من كل الثمرات أى: فأخرجنا بهذا الماء من كل أنواع الثمرات المعتادة في كل بلد، تخرج به على الوجه الذي أجرى الله العادة بها ودبرها.فليس المراد أن كل بلد ميت تخرج منه جميع أنواع الثمار التي خلقها الله، متى نزل به الماء، وإنما المراد أن كل بلد تخرج منه الثمار التي تناسب تربته على حسب مشيئة الله وفضله وإحسانه، إذ من المشاهد أن البلاد تختلف أرضها فيما تخرجه، وهذا أدل على قدرة الله، وواسع رحمته.وقوله: كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون إشارة إلى إخراج الثمرات، أو إلى إحياء البلد الميت.أى: مثل ما أحيينا الأرض بعد موتها وجعلناها زاخرة بأنواع الثمرات بسبب نزول الماء عليها، نخرج الموتى من الأرض ونبعثهم أحياء في اليوم الآخر لنحاسبهم على أعمالهم، فالتشبيه في مطلق الإخراج من العدم. وهذا رد على منكري البعث بدليل ملزم، لأن من قدر على إخراج النبات من الأرض بعد نزول الماء عليها، قادر- أيضا- على إخراج الموتى من قبورهم.وقوله: لعلكم تذكرون **تذييل** قصد به الحث على التدبر والتفكر، أى: لعلكم تذكرون وتعتبرون بما وصفنا لكم فيزول إنكاركم للبعث والحساب.قال الشيخ القاسمى: «من أحكام الآية كما قال الجشمي: أنها تدل على عظم نعمة الله____________(١) آية ٩ من سورة فاطر.." (١)

"قال الآلوسى: قوله إن كنتم مؤمنين جوابه محذوف ثقة بدلالة المذكور عليه، أو المذكور هو الجواب على الخلاف المشهور. وأيا ما كان فالمراد بيان ترتب ما ذكر عليه لا التشكيك في إيمانهم، وهو يكفى في التعليق بالشرط.والمراد بالإيمان: التصديق. ولا خفاء في اقتضائه ما ذكر، على معنى أنه من شأنه ذلك لا أنه لازم له حقيقة.وقد يراد بالإيمان الإيمان الكامل والأعمال شرط فيه أو شطر، فالمعنى: إن كنتم كاملى الإيمان، فإن كمال الإيمان يدور على تلك الخصال الثلاثة: الاتقاء، والإصلاح، وإطاعة الله- تعالى-.ويؤيد إرادة الكمال قوله- سبحانه- بعد ذلك إنما المؤمنون ... إذ المراد به قطعا الكاملون في الإيمان وإلا لم يصح الحصر..» «١» .وعلى أية حال ففي هذا **التذييل** تنشيط للمخاطبين، وحث لهم على الامتثال والطاعة، ودعوة لهم إلى أن يكون إيمانهم إيمانا عميقا راسخا، متفقا مع كل ما جاءهم به رسولهم صلى الله عليه وسلم من هدايات وإرشادات، ومتساميا عن كل ما يخدش صفاءه ونقاءه من متع وشهوات.ثم وصف- سبحانه- المؤمنين الصادقين بخمس صفات، وبشرهم بأعلى الدرجات، فقال في بيان صفتهم الأولى: إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم.. فالجملة الكريمة مستأنفة وهي مسوقة لبيان أحوال المؤمنين الذين هم أهل لرضا الله وحسن ثوابه، حتى يتأسى بهم غيرهم.وقوله وجلت من الوجل وهو استشعار الخوف. يقال: وجل يوجل وجلا فهو وجل، إذا خاف وفزع.والمراد بذكر الله: ذكر صفاته الجليلة، وقدرته النافذة، ورحمته الواسعة، وعقابه الشديد، وعلمه المحيط بكل شيء، وما يستتبع ذلك من حساب وثواب وعقاب.والمعنى: إنما المؤمنون الصادقون الذين إذا ذكر اسم الله وذكرت صفاته أمامهم، خافت قلوبهم وفزعت، استعظاما لجلاله وتهيبا من سلطانه، وحذرا من عقابه، ورغبة في ثوابه، وذلك لقوة إيمانهم، وصفاء نفوسهم، وشدة مراقبتهم لله- عز وجل- ووقوفهم عند أمره ونهيه..____________(١) تفسير الآلوسى ج ٩ ص ١٦٤.." (٢)

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٥/٢٩٢

(٢) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٦/٢٩

"ثم بين- سبحانه- بعض مظاهر فضله عليهم ورحمته بهم في هذا الإمداد فقال: وما جعله الله إلا بشرى، ولتطمئن به قلوبكم، وما النصر إلا من عند الله، إن الله عزيز حكيم فالآية الكريمة كلام مستأنف ساقه- سبحانه- لبيان بعض مظاهر فضله على المؤمنين، ولبيان أن المؤثر الحقيقي هو الله وحده حتى يزدادوا ثقة به، وحتى لا يقنطوا من النصر عند قلة أسبابه.أى: وما جعل الله- تعالى- هذا الإمداد بالملائكة إلا بشارة لكم- أيها المؤمنون- بالنصر على أعدائكم في هذه الغزوة الحاسمة وقوله بشرى مفعول لأجله مستثنى من أعم العلل.وقوله: ولتطمئن به قلوبكم معطوف عليه: أى: ولتسكن بهذا الإمداد قلوبكم، ويزول عنكم الخوف، وتهاجموا أعداءكم بنفوس لا يداخلها الإحجام أو التردد..- وقوله: وما النصر إلا من عند الله، أى: ليس النصر بالملائكة أو غيرهم إلا كائنا من عند الله وحده، لأنه- سبحانه- هو الخالق لكل شيء، والقادر على كل شيء..وإن الوسائل مهما عظمت، والأسباب مهما كثرت، لا تؤدى إلى النتيجة المطلوبة والغاية المرجوة، إلا إذا أيدتها إرادة الله وقدرته ورعايته.وقوله: إن الله عزيز حكيم أى: غالب لا يقهره شيء، ولا ينازعه منازع حكيم في تدبيره وأفعاله.فالجملة الكريمة **تذييل** قصد به التعليل لما قبله، وفيه إشعار بأن النصر الواقع على الوجه المذكور من مقتضيات حكمته البالغة- سبحانه-.ثم حكى- سبحانه- بعد ذلك بعض المنن الأخرى التي منحها للمؤمنين قبل أن يلتحموا مع أعدائهم في بدر فقال: إذ يغشيكم النعاس أمنة منه، وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به، ويذهب عنكم رجز الشيطان، وليربط على قلوبكم، ويثبت به الأقدام.وقوله: يغشيكم بتشديد الشين من التغشية بمعنى التغطية من غشاه تغشية أى:غطاه.والنعاس: أول النوم قبل أن يثقل، وفعله- على الراجح- على وزن منع.والأمنة: مصدر بمعنى الأمن. وهو طمأنينة القلب وزوال الخوف، يقال: أمنت من كذا أمنة وأمنا وأمانا بمعنى.قال الجمل: في قوله: إذ يغشيكم النعاس ثلاث قراءات سبعية.." (١)

"وقوله ليبلي من البلاء بمعنى الاختبار. وهو يكون بالنعمة لإظهار الشكر، كما يكون بالمحنة لإظهار الصبر. والمراد به هنا: الإحسان والنعمة والعطاء، ليزداد المؤمنون شكرا لربهم الذي وهبهم ما وهب من نعم.واللام للتعليل متعلقة بمحذوف مؤخر.والمعنى، ولكي يحسن- سبحانه- إلى عباده المؤمنين، وينعم عليهم بالنصر والغنائم، ليزدادوا شكرا له، فعل ما فعل من خذلان الكافرين وإذلالهم.وقوله إن الله سميع عليم **تذييل** قصد به الحض على طاعة الله، والتحذير من معصيته، أى: إن الله سميع لأقوالكم ودعائكم، عليم بضمائركم وقلوبكم، فاستبقوا الخيرات لتنالوا المزيد من رعايته ونصره.ثم يقرر- سبحانه- سنة من سننه التي لا تتخلف، وهي تقوية الحق وتوهين الباطل، وليزداد المؤمنون إيمانا على إيمانهم، وثباتا على ثباتهم فيقول: ذلكم وأن الله موهن كيد الكافرين.قال الإمام الرازي: قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو موهن- بفتح الواو وتشديد الهاء والتنوين. من التوهين. تقول وهنت الشيء أى ضعفته-، كيد بالنصب على المفعولية. وقرأ حفص عن عاصم موهن كيد بالإضافة. وقرأ الباقون موهن بالتخفيف، - من أوهننه فأنا موهنه بمعنى أضعفته- وكيد بالنصب وتوهين الله كيدهم ومكرهم يكون بأشياء منها: إطلاع المؤمنين على عوراتهم، وإلقاء الرعب في قلوبهم، وتفريق كلمتهم، «١» .واسم الإشارة ذلكم يعود إلى ما سبق من نعمة الإبلاء والقتل والرمي وغير ذلك من النعم. وهو مبتدأ وخبره محذوف، وقوله: وأن الله موهن.... معطوف

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٤٨/٦

عليه.المعنى: ذلكم الذي منحته إياكم من العطاء الحسن، والقتل للمشركين، والإمداد بالملائكة، وإنزال الماء عليكم. ذلكم كله نعم منى إليكم، ويضاف إلى ذلك كله أنه- سبحانه- مضعف لكيد الكافرين ومفسد لمكرهم بكم.قال ابن كثير: وهذه بشارة أخرى مع ما حصل من النصر، فإنه أعلمهم بأنه مضعف كيد الكافرين فيما يستقبل، مصغر أمرهم، وأنهم في تبار ودمار» «٢» وبعد أن ذكر- سبحانه- عباده المؤمنين بما حباهم به من منن في غزوة بدر، ليستمروا على طاعتهم له ولرسوله.. أتبع ذلك بتوجيه الخطاب إلى الكافرين الذين حملهم الرسوخ في الكفر على أن يدعو الله أن يجعل______________(١) تفسير الفخر الرازي ج ٥ ص ١٤١.(٢) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٢٩٦.." [١]

"عليكم بالهزيمة والذلة. وعلى المؤمنين بالنصر والعزة، ولن تستطيع فئتكم وجماعتكم- ولو كثرت- أن تدفع عنكم شيئا من تلك الهزيمة وهذه الذلة، فإن الكثرة والقوة لا وزن لها ولا قيمة إذا لم يكن الله مع أصحابها بعونه وتأييده.وقوله: وأن الله مع المؤمنين تذييل قصد به تثبيت المؤمنين، وإلقاء الطمأنينة في نفوسهم.أى: وأن الله مع المؤمنين بعونه وتأييده، ومن كان الله معه فلن يغلبه غالب مهما بلغت قوته.قال الجمل: «قرأ نافع وابن عامر وحفص عن عاصم بفتح «أن» والباقون بكسرها.فالفتح من أوجه:أحدها: أنه على لام العلة والمعلل تقديره، ولأن الله مع المؤمنين كان كيت وكيت.والثاني: أن التقدير: ولأن الله مع المؤمنين امتنع عنادهم. والثالث أنه خبر مبتدأ محذوف.أى: والأمر أن الله مع المؤمنين.والوجه الأخير يقرب في المعنى من قراءة الكسر لأنه استئناف «١» .هذا وما جرينا عليه من أن الخطاب في قوله- تعالى- إن تستفتحوا.. للمشركين هو رأى جمهور المفسرين.ومنهم من يرى أن الخطاب في الآية الكريمة للمؤمنين، وعليه يكون المعنى: إن تستفتحوا ... أى تطلبوا- أيها المؤمنون- النصر على أعدائكم فقد جاءكم الفتح أى: فقد جاءكم النصر من عند الله كما طلبتم.وإن تنتهوا أى عن المنازعة في أمر الأنفال، وعن التكاسل في طاعة الله ورسوله، فهو أى هذا الانتهاء خير لكم.وإن تعودوا إلى المنازعات والتكاسل نعد عليكم بالإنكار وتهييج الأعداء.ولن تغني عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت أى: ولن تفيدكم كثرتكم شيئا مهما كثرت إن لم يكن الله معكم بنصره.وأن الله- تعالى- مع المؤمنين الصادقين في إيمانهم وطاعتهم له.والذي يبدو لنا أن كون الخطاب للكافرين أرجح، لأن أسباب النزول تؤيده، فقد سبق أن بينا أن الكافرين عند خروجهم إلى بدر تعلقوا بأستار الكعبة وقالوا: اللهم انصر أهدى الجندين.. وأن أبا جهل قال حين التقى القوم:______________(١) حاشية الجمل على الجلالين ج ٢ ص ٢٣٦. [.....]."[٢]

"والمراد بالتذكر في قوله: اذكروا أن يتنبهوا بعقولهم وقلوبهم إلى نعم الله، وأن يداوموا على شكرها حتى يزيدهم- سبحانه- من فضله.وإذ ظرف بمعنى وقت. وأنتم مبتدأ، أخبر عنه بثلاثة أخبار بعده وهي قليل ومستضعفون وتخافون.والمراد بالناس: كفار قريش، أوهم وغيرهم من كفار العرب والفرس والروم.وقوله: فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات بيان لما من به عليهم من نعم بعد أن كانوا محرومين منها.أى: اذكروا وقت أن كنتم قلة ضعيفة مستضعفة تخشى- أن يأخذها أعداؤها أخذا سريعا، فرفع الله عنكم بفضله هذه الحال، وأبدلكم خيرا منها، بأن آواكم إلى المدينة، وألف بين قلوبكم يا

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٦/٦٦

(٢) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٦/٦٨

معشر المهاجرين والأنصار وأيدكم بنصره في غزوة بدر، وقذف في قلوب أعدائكم الرعب منكم ورزقكم من الطيبات أى: ورزقكم من الغنائم التي أحلها لكم بعد أن كانت محرمة على الذين من قبلكم، كما رزقكم- أيضا بكثير من المطاعم والمشارب الطيبة التي لم تكن متوفرة لكم قبل ذلك.وقوله لعلكم تشكرون **تذييل** قصد به حضهم على مداومة الشكر والطاعة لله- عز وجل- أى: نقلكم الله- تعالى- من الشدة إلى الرخاء، ومن القلة إلى الكثرة، ومن الضعف إلى القوة، ومن الخوف إلى الأمن، ومن الفقر إلى الغنى.. حتى تستمروا على طاعة الله وشكره، ولا يشغلكم عن ذلك أى شاغل.قال ابن جرير: قال قتادة في قوله- تعالى- واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض..:«كان هذا الحي من العرب أذل الناس ذلا، وأشقاه عيشا وأجوعه بطونا، وأعراه جلودا، وأبينه ضلالا، من عاش منهم عاش شقيا، ومن مات منهم ردى في النار، يؤكلون ولا يأكلون، والله ما نعلم قبيلا من حاضر أهل الأرض يومئذ كانوا أشر منهم منزلا، حتى جاء الله بالإسلام، فمكن به في البلاد، ووسع به في الرزق، وجعلكم به ملوكا على رقاب الناس. فبالاسلام أعطى الله ما رأيتم، فاشكروا الله على نعمه، فإن ربكم منعم يحب الشكر، وأهل الشكر في مزيد من الله- تعالى-» «١» .وبذلك نرى أن هذه الآيات الثلاثة قد جمعت بين الترغيب والترهيب والتذكير ... الترغيب______________(١) تفسير ابن جرير ج ٩ ص ٢٢٠.." [1]

"ولما كان حب الأموال والأولاد والاشتغال بهم من أهم دواعي الإقدام على الخيانة، نبه- سبحانه- إلى ذلك فقال: واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة، وأن الله عنده أجر عظيم.أى: واعلموا- أيها المؤمنون- أنما أموالكم وأولادكم فتنة، أى امتحان واختبار لكم من الله- تعالى- ليتبين قوى الإيمان من ضعيفه.أما قوى الإيمان فلا يشغله ماله وولده عن طاعة الله، وأما ضعيف الإيمان فيشغله ذلك عن طاعة الله، ويجعله يعيش حياته عبدا لأمواله، ومطيعا لمطالب أولاده حتى ولو كانت هذه الطاعة متنافية مع تعاليم دينه وآدابه.وقال صاحب المنار: الفتنة هي الاختبار والامتحان بما يشق على النفس فعله أو تركه، أو قبوله أو إنكاره.وأموال الإنسان عليها مدار حياته، وتحصيل رغائبه وشهواته، ودفع كثير من المكاره عنه، فهو يتكلف في طلبها المشاق، ويركب الصعاب، ويكلفه الشرع فيها التزام الحلال واجتناب الحرام، ويرغبه في القصد والاعتدال في إنفاقها.وأما الأولاد فحبهم- كما يقول الأستاذ الامام- ضرب من الجنون يلقيه الفاطر الحكيم في قلوب الأمهات والآباء، فيحملهم على بذل كل ما يستطاع بذله في سبيلهم.روى أبو ليلى من حديث أبى سعيد الخدري مرفوعا «الولد ثمرة القلب، وإنه مجبنة مبخلة محزنة» . فحب الولد قد يحمل الوالدين على اقتراف الآثام، وعلى الجبن، وعلى البخل، وعلى الحزن.فالواجب على المؤمن اتقاء خطر الفتنة الأولى يكسب المال من وجوهه الحلال، وإنفاقه في وجوهه المشروعة.. واتقاء خطر الفتنة الثانية باتباع ما أوجبه الله على الآباء من حسن تربية الأولاد على الدين والفضائل، وتجنبهم أسباب المعاصي والرذائل» «١» .وقوله وأن الله عنده أجر عظيم**تذييل** قصد به ترغيب المؤمنين في طاعة الله، بعد أن حذرهم من فتنة المال والولد.أى: واعلموا أن الله عنده أجر عظيم لمن آثر طاعته ورضاه على جمع المال وحب الأولاد، فكونوا- أيها المؤمنون-

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٧٩/٦

من حزب المؤثرين لحب الله على حب الأموال والأولاد لتنالوا السعادة في الدنيا والآخرة.______________(١) تفسير المنار ج ٩ ص ٥٩٤- بتصرف وتلخيص.." (١)

"ثم ختم سبحانه- نداءاته للمؤمنين بهذا النداء الذي يهديهم إلى سبل الخير والفلاح فقال- سبحانه- يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا، ويكفر عنكم سيئاتكم، ويغفر لكم، والله ذو الفضل العظيم.والفرقان في كلام العرب- كما يقول ابن جرير- مصدر من قولهم فرقت بين الشيء والشيء أفرق بينهما فرقا وفرقانا- أى أفرق وأفصل بينهما.وقد اختلف أهل التأويل في العبارة عند تأويل قوله يجعل لكم فرقانا فقال بعضهم:يجعل لكم مخرجا. وقال بعضهم نجاة، وقال بعضهم فصلا وفرقا بين حقكم وباطل من يبغيكم السوء من أعدائكم.. وكل ذلك متقارب المعنى، وإن اختلفت العبارة..» «١» .وقال الآلوسى: فرقانا أى: هداية ونورا في قلوبكم تفرقون به بين الحق والباطل- كما روى عن ابن جريج وابن زيد- أو نصرا يفرق به بين الحق والباطل بإعزاز المؤمنين وإذلال الكافرين- كما قال الفراء- أو نجاة في الدارين- كما هو كلام السدى- أو مخرجا من الشبهات- كما جاء عن مقاتل- أو ظهورا يشهر أمركم وينشر صيتكم- كما يشعر به كلام محمد بن إسحاق- من بت أفعل كذا حتى سطع الفرقان أى الصبح. وكل المعاني ترجع إلى الفرق بين أمرين. وجوز البعض من المحققين الجمع بينها» «٢» .ونحن مع هذا البعض من المحققين في جواز الجمع بين هذه المعاني فيكون المعنى: يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله بأن تصونوا أنفسكم عن كل ما يغضبه، وتطيعوه في السر والعلن يجعل لكم فرقانا أى هداية في قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل ونصرا تعلو به كلمتكم على كلمة أعدائكم، ومخرجا من الشبهات التي تقلق النفوس، ونجاة مما تخافون،..وفضلا عن كل ذلك فإنه- سبحانه- يكفر عنكم سيئاتكم، أى يسترها عليكم في الدنيا، ويغفر لكم أى: ويغفر لكم يوم القيامة ما فرط منكم من ذنوب بلطفه وإحسانه وقوله: والله ذو الفضل العظيم تذييل قصد به التعليل لما قبله، والتنبيه على أن ما وعد به- سبحانه- المؤمنين على تقواهم إنما هو تفضل منه لهم، فهو- سبحانه- صاحب العطاء الجزيل، والخير العميم. لمن أطاعه واتقاه، وصان نفسه عما يسخطه ويغضبه.فأنت ترى أنه- سبحانه- قد رتب على تقواه وعلى الخوف منه نعما عظمى، ومننا كبرى، وأى نعم يتطلع إليها المؤمنون أفضل من هداية القلوب وتكفير الخطايا والذنوب؟.اللهم لا تحرمنا من هذه النعم والمنن بفضلك وإحسانك، فأنت وحدك صاحب العطاء العميم، وأنت وحدك ذو الفضل العظيم، وأنت وحدك على كل شيء قدير.______________(١) تفسير ابن جرير ج ٩ ص ٢٢٤- بتصرف وتلخيص.(٢) تفسير الآلوسى ج ٩ ص ١٩٦.." (٢)

"وسمى يوم بدر بيوم الفرقان، لأنه اليوم الذي فرق الله فيه بين الحق والباطل وقوله والله على كل شيء قدير تذييل قصد به بيان أن ما أصابه المؤمنون يوم بدر من غنيمة ونصر إنما هو بقدرة الله التي لا يعجزها شيء فعليهم أن يداوموا على طاعته وشكره ليزيدهم من عطائه وفضله.هذا، وقد ذكر العلماء عند تفسيرهم لهذه الآية جملة من المسائل والأحكام من أهمها ما يأتى:١- أن هذه الآية وضحت أن غنائم الحرب تخمس فيجعل الخمس الأول منها لله وللرسول ولذي القربى

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٨٢/٦

(٢) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٨٣/٦

واليتامى والمساكين وابن السبيل، والأربعة الأخماس الباقية بينت السنة أنها تقسم على الجيش: للراجل سهم، وللفارس ثلاثة أسهم أو سهمان.قال ابن كثير: ويؤيد هذا ما رواه البيهقي بإسناد صحيح عن عبد الله بن شقيق عن رجل قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم، وهو بوادي القرى، وهو معترض فرسا فقلت: يا رسول الله، ما تقول في الغنيمة، فقال: لله خمسها وأربعة أخماسها للجيش، قلت: فما أحد أولى به من أحد، قال: لا، ولا السهم تستخرجه من جيبك، ليس أنت أحق به من أخيك المسلم «١» .وقال بعض العلماء: أفادت الآية أن الواجب في المغنم تخميسه، وصرف الخمس إلى من ذكره الله- تعالى- وقسمة الباقي بين الغانمين بالعدل، للراجل سهم، وللفارس ثلاثة أسهم، سهم له وسهمان لفرسه. هكذا قسم النبي صلى الله عليه وسلم الغنائم عام خيبر.ومن الفقهاء من يقول: للفارس سهمان. والأول هو الذي دلت عليه السنة الصحيحة، ولأن الفرس يحتاج إلى مؤنة نفسه وسائسه، ومنفعة الفارس به أكثر من منفعة رجلين.ويجب قسمتها بينهم بالعدل، فلا يحابي أحدا، لا لرئاسته ولا لنسبه ولا لفضله وفي صحيح البخاري أن سعد بن أبي وقاص رأى أن له فضلا على من دونه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم «هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم» ؟ «٢» .ذهب جمهور العلماء إلى أن المقصود بإيتاء لفظ الجلالة في قوله فأن لله خمسه:التبرك والتعظيم والحض على إخلاص النية عند القسمة وعلى الامتثال والطاعة له- سبحانه-.وليس المقصود أن يقسم الخمس على ستة منها الله- تعالى-، فإنه- سبحانه- له الدنيا والآخرة، وله ما في السموات وما في الأرض وما بينهما.______________(١) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٣١١.(٢) تفسير القاسمى ج ٨ ص ٢٩٩٧.." (١)

"وقوله ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة بدل من قوله ليقضي بإعادة الحروف، أو هو متعلق بقوله مفعولا.والمراد بالهلاك والحياة هنا ما يشمل الحسى والمعنوي منهما.والمراد بالبينة الحجة الظاهرة الدالة على حقية الإسلام وبطلان الكفر.قال الآلوسى: أى: ليموت من يموت عن حجة عاينها، ويعيش من يعيش عن حجة شاهدها، فلا يبقى محل للتعلل بالأعذار، فإن وقعة بدر من الآيات الواضحة والحجج الغر المحجلة.ويجوز أن يراد بالحياة: الإيمان، وبالموت: الكفر على سبيل الاستعارة أو المجاز المرسل بأن يراد بالبينة: إظهار كمال القدرة الدالة على الحجة الدامغة.أى: ليصدر كفر من كفر وإيمان من آمن عن وضوح وبينة وإلى هذا ذهب قتادة وابن إسحاق. والظاهر أن عن هنا بمعنى بعد كقوله- تعالى- عما قليل ليصبحن نادمين.وقرأ نافع وابن كثير وأبو بكر ويعقوب حيي على وزن تعب- بفك الإدغام.وقرأ الباقون بإدغام الياء الأولى في الثانية على وزن شد ومد «١» .وقوله وإن الله لسميع عليم **تذييل** قصد به الترغيب في الإيمان- والترهيب من الكفر، أى: وإن الله لسميع لأقوال أهل الإيمان والكفر عليم بما تنطوى عليه قلوبهم وضمائرهم، وسيجازى- سبحانه- كل إنسان بما يستحقه من ثواب أو عقاب على حساب ما يعلم وما يسمع منه.ثم يبين- سبحانه- بعض وجوه نعمه على المؤمنين، وتدبيره الخفى لنصرهم وفوزهم فيقول: إذ يريكهم الله في منامك قليلا، ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الأمر، ولكن الله سلم إنه عليم بذات الصدور.أى: اذكر يا محمد فضل الله عليك وعلى أصحابك، حيث أراك في منامك الكافرين قليلا عددهم، ضئيلا وزنهم فأخبرت بذلك أتباعك فازدادوا ثباتا واطمئنانا وجرأة على عدوهم ولو أراكهم

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ١٠١/٦

كثيرا أى: ولو أراك الأعداء عددا كثيرا لفشلتم أى: لتهيبتم الإقدام عليهم، لكثرة عددهم، من الفشل وهو ضعف مع جبن ولتنازعتم في الأمر أى:في أمر الإقدام عليهم والإحجام عنهم. فمنكم من يرى هذا ومنكم من يرى ذلك.______________(١) تفسير الآلوسى ج ١٠ ص ٧- بتصرف وتلخيص.." [(١)]

"وقوله ولكن الله سلم بيان لمحل النعمة. أى: ولكن الله- تعالى- بفضله وإحسانه أنعم عليكم بالسلامة من الفشل والتنازع وتفرق الآراء في شأن القتال: حيث ربط على قلوبكم، ورزقكم الجرأة على أعدائكم وعدم المبالاة بهم بسبب رؤيا نبيكم.وقوله: إنه عليم بذات الصدور **تذييل** يدل على شمول علمه- سبحانه-.أى: إنه- سبحانه- عليم بكل ما يحصل في القلوب وما يخطر بها من شجاعة وجبن.ومن صبر وجزع ولذلك دير ما دبر.قال الفخر الرازي، قال مجاهد: أرى الله النبي صلى الله عليه وسلم كفار قريش في منامه قليلا، فأخبر بذلك أصحابه فقالوا: رؤيا النبي حق. القوم قليل، فصار ذلك سببا لجرأتهم وقوة قلوبهم.فإن قيل: رؤية الكثير قليلا غلط، فكيف يجوز من الله- تعالى- أن يفعل ذلك؟قلنا: ذهبنا أنه- تعالى- يفعل ما يشاء ويحكم ما يريده وأيضا لعله- سبحانه- أراه البعض دون البعض فحكم الرسول على أولئك الذين رآهم بأنهم قليلون «١» .ونستطيع أن نضيف إلى ما أجاب به الفخر الرازي أنه يجوز أن يكون المراد بالقلة:الضعف وهوان الشأن..أى: أن المشركين وإن كانوا في حقيقتهم يقاربون الألف- أى أكثر من ثلاثة أمثال المؤمنين- إلا أنهم لا قوة لهم ولا وزن، فهم كثير عددهم ولكن قليل غناؤهم، قليل وزنهم في المعركة. لأنهم ينقصهم الإيمان الصحيح الذي يقوى القلوب، ويدفع النفوس إلى الإقدام لنصرة الحق لكي تفوز برضا الله وحسن مثوبته.وإلى هذا المعنى أشار صاحب المنار بقوله: وقد تقدم أن النبي صلى الله عليه وسلم قدر عدد المشركين بألف وأخبر أصحابه بذلك، ولكنه أخبرهم مع هذا أنه رآهم في منامه قليلا، لا أنهم قليل في الواقع، فالظاهر أنهم أولوا الرؤيا بأن بلاءهم يكون قليلا، وأن كيدهم يكون ضعيفا، فتجرءوا وقويت قلوبهم «٢» .هذا، ونسب الى الحسن أنه ذكر أن هذه الآراء كانت في اليقظة، وأن المراد من المنام العين التي هي موضع النوم. قال الزمخشري. وهذا تفسير فيه تعسف. وما أحسب الرواية صحيحة فيه عن الحسن.وقال الآلوسى: وعن الحسن أنه فسر المنام بالعين، لأنها مكان النوم كما يقال للقطيفة______________(١) تفسير الفخر الرازي ج ٥ ص ١٦٩.(٢) تفسير المنار ج ١٠ ص ٢٢.." [(٢)]

"والمعنى: كونوا أيها المؤمنون- ثابتين عند لقاء الأعداء، ومكثرين من ذكر الله وطاعته، وصابرين في كل المواطن.. واحذروا أن تتشبهوا بأولئك المشركين الذين خرجوا من مكة بطرا ورئاء الناس أى خرجوا غرورا وفخرا وتظاهرا بالشجاعة والحمية ... حتى ينالوا الثناء منهم..وقوله: ويصدون عن سبيل الله معطوف على بطرا والسبيل: الطريق الذي فيه سهولة. والمراد بسبيل الله: دينه. لأنه يوصل الناس إلى الخير والفلاح.أى: خرجوا بطريق بما أوتوا من نعم ومرائين بها الناس، وصادين إياهم عن دين الإسلام الذي باتباعه يصلون إلى السعادة والنجاح.وعبر عن بطرهم وريائهم بصيغة الاسم الدال على التمكن والثبوت، وعن صدهم بصيغة الفعل الدال على التجدد والحدوث، للإشعار بأنهم كانوا مجبولين على البطر والمفاخرة والرياء،

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ١٠٨/٦

(٢) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ١٠٩/٦

وأن هذه الصفات دأبهم وديدنهم، أما الصد عن سبيل الله فلم يحصل منهم إلا بعد أن دعا الرسول صلى الله عليه وسلم الناس إلى الإسلام.وقوله: والله بما يعملون محيط **تذييل** قصد به التحذير من الاتصاف بهذه الصفات الذميمة، لأنه- سبحانه- محيط بكل صغيرة وكبيرة وسيجازى الذين أساءوا بما عملوا، ويجازى الذين أحسنوا بالحسنى. فعلى المؤمنين أن يخلصوا لله- تعالى- أعمالهم.وقوله: وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم.. تذكير للمؤمنين بما خدع به الشيطان الكافرين من وعود كاذبة، وأماني باطلة.والمراد بهذا التذكير: حضهم على المداومة على طاعة الله وشكره، حيث إنه- سبحانه- لم يجعلهم كأولئك الذين استحوذ عليهم الشيطان.والمعنى: احذروا- أيها المؤمنون- أن تتشبهوا بأولئك الذين خرجوا من ديارهم بطرا ومفاخرة.. واذكروا وقت أن زين لهم الشيطان أعمالهم في معاداتكم، بأن وسوس لهم بأنهم على الحق وأنتم على الباطل، وحسن لهم ما جبلوا عليه من غرور ومراءاة، وأوهمهم بأن النصر سيكون لهم عند لقائكم، بأن قال لهم لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم أى: لن يغلبكم أحد من الناس، لا محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه، ولا غيرهم من قبائل العرب، وإنى مجير ومعين وناصر لكم، إذ المراد بالجار هنا: الذي يجير غيره. أى: يؤمنه مما يخاف ويخشى.قال الآلوسى: أى: ألقى في روعهم وخيل لهم أنهم لا يغلبون لكثرة عددهم، وعددهم، وأوهمهم أن اتباعهم إياه فيما يظنون أنها قربات- تجعله مجيرا لهم، وحافظا إياهم عن السوء." (١)

"أى: ذلك الذي نزل بكم- أيها الكافرون- من الضرب وعذاب النار، سببه ما قدمته أيديكم من عمل سيء، وفعل قبيح، وقول منكر، وجحود للحق. وأن الله- تعالى- ليس بذي ظلم لكم ولا لغيركم، لأن حكمته- سبحانه- قد اقتضت ألا يعذب أحدا إلا بسبب ذنب ارتكبه، وجرم اقترفه.فاسم الإشارة «ذلك» يعود إلى الضرب وعذاب الحريق، وهو مبتدأ، وخبره قوله بما قدمت أيديكم.والمراد بالأيدى: الأنفس والذوات. والتعبير بالأيدى عن ذلك من قبيل التعبير بالجزء عن الكل.وخصت الأيدى بالذكر، للدلالة على التمكن من الفعل وإرادته، وأن أكثر الأفعال يكون عن طريق البطش بالأيدى. ولأن نسبة الفعل إلى اليد تفيد الالتصاق به، والاتصال بذاته.وقوله: وأن الله ليس بظلام للعبيد خبر لمبتدأ محذوف، والجملة اعتراض **تذييلى** مقرر لمضمون ما قبله.أى: ذلك الذي نزل بكم سببه ما قدمته أيديكم، والأمر أن الله- تعالى- ليس بمعذب لعبيده من غير ذنب جنوه.ويجوز أن يكون معطوفا على (ما) المجرورة بالباء. أى: ذلك بسبب ما قدمته أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد.قال بعض العلماء: فإن قيل ما سر التعبير بقوله بظلام بالمبالغة، مع أن نفى نفس الظلم أبلغ من نفى كثرته، ونفى الكثرة لا ينفى أصله، بل ربما يشعر بوجوده، وبرجوع النفي للقيد؟.وأجيب بأجوبة:منها: أنه نفى لأصل الظلم وكثرته، باعتبار آحاد من ظلم، كأنه قيل ظالم لفلان ولفلان وهلم جرا، فلما جمع هؤلاء عدل إلى بظلام لذلك، أى: لكثرة الكمية فيه.ومنها: أنه إذا انتفى الظلم الكثير، انتفى الظلم القليل، لأن من يظلم للانتفاع بالظلم، فإذا ترك كثيره، مع زيادة نفعه في حق من يجوز عليه النفع والضر، كان لقليله مع قلة نفعه أكثر تركا.ومنها: أن «ظلاما» للنسب كعطار، أى: لا ينسب إليه الظلم أصلا.." (٢)

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ١١٦/٦

(٢) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ١٢٦/٦

"جاءهم بالحق، ولقد حكى الله عنهم نفاقهم وضلالهم وانغماسهم في الآثام في آيات كثيرة، ومن ذلك قوله- تعالى- : وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآلهتك قال سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم وإنا فوقهم قاهرون «١» .ولقد وصف الله- تعالى- قوم فرعون بهوان الشخصية، وتفاهة العقل، والخروج عن كل مكرمة فقال: فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوما فاسقين «٢» وذلك لأن الأمة التي تترك الظالم وبطانته يعيثون في الأرض فسادا، لا تستحق الحياة، ولا يكون مصيرها إلا إلى التعاسة والخسران.وقوله كفروا بآيات الله تفسير لصنيعهم الباطل، ودأبهم على الفساد والضلال.والمراد بآيات الله: ما يعم المتلوة في كتب الله- تعالى-، والبراهين والمعجزات الدالة على صدق الأنبياء فيما يبلغونه عن ربهم.وفي إضافتها إلى الله: تعظيم لها وتشريف، وتنبيه إلى قوة دلالتها على الحق والخير.وقوله: فأخذهم الله بذنوبهم معطوف على قوله كفروا بآيات الله لبيان ما ترتب على كفرهم من عقوبات أليمة.وفي التعبير بالأخذ إشارة إلى شدة العذاب، فهو- سبحانه- قد أخذهم كما يؤخذ الأسير الذي لا يستطيع الفكاك من آسره.والباء في قوله: بذنوبهم للسببية أى كفروا بآيات الله فعاقبهم- سبحانه- بسبب كفرهم وفسوقهم عن أمره.ويجوز أن تكون للملابسة، أى: أخذهم وهم ملتبسون بذنوبهم دون أن يتوبوا منها، أو يقلعوا عنها.وعلى الوجهين فالجملة الكريمة تدل على كمال عدل الله- تعالى- لأنه ما عاقبهم إلا لأنهم استحقوا العقاب.والمراد بذنوبهم: كفرهم وما ترتب عليه من فسوق وعصيان، وأصل الذنب: الأخذ بذنب الشيء أى بمؤخرته، ثم أطلق على الجريمة، لأن مرتكبها يعاقب بعدها.وقوله: إن الله قوي شديد العقاب **تذييل** مقرر لمضمون ما قبله من الأخذ الشديد، بسبب الكفر والمعاصي.______________(١) سورة الأعراف الآية ١٢٧.(٢) سورة الزخرف الآية ٥٤.." (١)

"به الناس من تعقل وتدبر للأمور، لأن لفظ الدواب وإن كان يطلق على الناس، إلا أنه عند إطلاقه عليهم يلقى ظلا خاصا يجعل العقول تتجه إلى أن هؤلاء الذين أطلق عليهم اللفظ هم إلى الدواب التي لا تعقل أقرب منهم إلى الآدميين العقلاء، وفي وصفه- سبحانه- لهم بأنهم شر الدواب زيادة توبيخ لهم، لأنهم ليسوا دواب فحسب بل هم شرها وأخسها.وقوله: فهم لا يؤمنون **تذييل** جيء به على وجه الاعتراض بالبيان أى: أنهم- بسبب إصرارهم على الكفر- صار الإيمان بعيدا عنهم، وأنهم سواء أنذروا أو لم ينذروا مستمرون في الضلال والعناد.وقوله: الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة.. بدل من الموصول الأول وهو قوله: الذين كفروا.. أو عطف بيان له.أى: إن شر الدواب عند الله الذين أصروا على الكفر ورسخوا فيه، الذين عاهدت منهم أى: أخذت منهم عهدهم، ثم ينقضون عهدهم في كل مرة دون أن يفوا بعهودهم ولو مرة واحدة من المرات المتعددة.فقوله: عاهدت مضمن معنى الأخذ، ولذا عدى بمن.قال الآلوسى: قوله: الذين عاهدت منهم.. بدل من الموصول الأول، أو عطف بيان، أو نعت، أو خبر مبتدأ محذوف، أو نصب على الذم، وعائد الموصول قيل: ضمير الجمع المجرور، والمراد: عاهدتهم، ومن للإيذان بأن المعاهدة- التي هي عبارة عن إعطاء العهد وأخذه من الجانبين- معتبرة هنا من حيث أخذه صلى الله عليه وسلم، إذ هو المناط لما نعى عليهم من النقض، لا إعطاؤه- عليه الصلاة والسلام إياهم عهده كأنه قيل: الذين أخذت منهم عهدهم، وقال أبو حيان: تبعيضية، لأن المباشر

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ١٢٩/٦

بعضهم لا كلهم..» «١» .وقوله: ثم ينقضون عهدهم في كل مرة معطوف على الصلة.وكان العطف «بثم» المفيدة للتراخي، للإيذان بالتفاوت الشديد بين ما أخذ عليهم من عهود، وبين ما تردوا فيه من نقض لها، واستهانة بها.وجيء بصيغة المضارع ينقضون المفيدة للحال والاستقبال، للدلالة على تعدد النقض وتجدده، وأنهم على نيته في كل مرة يعاهدون فيها غيرهم.وقوله: وهم لا يتقون في موضع الحال من فاعل ينقضون.أى: أن هؤلاء القوم دأبهم نقض العهود والمواثيق في كل وقت، ومع ذلك فحالهم وشأنهم______________(١) تفسير الآلوسى ج ١٠ ص ٢٢.." (١)

"وقوله: والله مع الصابرين تذييل مقرر لمضمون ما قبله.أى: والله- تعالى- مع الصابرين بتأييده ورعايته ونصره، فاحرصوا على أن تكونوا من المؤمنين الصادقين لتنالوا منه- سبحانه- ما يسعدكم في دنياكم وآخرتكم.هذا، ومن العلماء من يرى أن هذه الآية قد نسخت الآية السابقة عليها، ومنهم من يرى غير ذلك.قال الآلوسى: قوله: إن يكن منكم عشرون.. شرط في معنى الأمر بمصابرة الواحد العشرة، والوعد بأنهم إن صبروا غلبوا- بعون الله وتأييده- فالجملة خبرية لفظا إنشائية معنى.والمعنى: ليصبرن الواحد لعشرة وليست بخبر محض ...وقوله: الآن خفف الله عنكم.. أخرج البخاري وغيره عن ابن عباس- رضى الله عنهما- قال: لما نزلت إن يكن منكم عشرون.. شق ذلك على المسلمين إذ فرض عليهم أن لا يفر واحد من عشرة فجاء التخفيف وهل يعد ذلك نسخا أولا؟ قولان: اختار بعضهم الثاني منهما وقال: إن الآية مخففة، ونظير ذلك التخفيف على المسافر بالفطر.وذهب الجمهور إلى الأول، وقالوا: إن الآية الثانية ناسخة للأولى «١» . وقال بعض العلماء:فرض الله على المؤمنين أول الأمر ألا يفر الواحد من المؤمنين من العشرة من الكفار، وكان ذلك في وسعهم، فأعز الله بهم الدين على قلتهم، وخذل بأيديهم المشركين على كثرتهم، وكانت السرايا تهزم من المشركين أكثر من عشر أمثالها تأييدا من الله لدينه.ولما شق على المؤمنين الاستمرار على ذلك، وضعفوا عن تحمله، ولم تبق ضرورة لدوام هذا الحكم لكثرة عدد المسلمين ممن دخلوا في دين الله أفواجا نزل التخفيف، ففرض على الواحد الثبات للاثنين من الكفار، ورخص له في الفرار إذا كان العدو أكثر من اثنين.وهو رخصة كالفطر للمسافر، وذهب الجمهور إلى أنه نسخ» «٢» .وقال الشيخ القاسمى: إن قيل: إن كفاية عشرين لمائتين تغنى عن كفاية مائة لألف.وكفاية مائة لمائتين تغنى عن كفاية ألف لألفين، لما تقرر من وجوب ثبات الواحد للعشرة في الأولى، وثبات الواحد للاثنين في الثانية فما سر هذا التكرير؟أجيب: بأن سره كون كل عدة بتأييد القليل على الكثير لزيادة التقرير المفيد لزيادة______________(١) تفسير الآلوسى ج ١٠ ص ٣١ بتصريف وتلخيص.(٢) صفوة البيان لمعانى القرآن ص ٣٠٧ لفضيلة الأستاذ الشيخ حسنين مخلوف.." (٢)

"قال العباس: فأعطانى الله مكان العشرين الأوقية في الإسلام، عشرين عبدا كلهم في يده مال يضرب به. مع ما أرجو من مغفرة الله- تعالى- «١» .وفي صحيح البخاري عن أنس: أن رجالا من الأنصار قالوا: يا رسول الله ائذن لنا فلنترك لابن أختنا عباس فداءه.فقال صلى الله عليه وسلم: «لا والله! لا تذرون منه درهما» . هذا، والآية الكريمة وإن كانت قد نزلت في العباس إلا أنها عامة في جميع الأسرى إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ولأن الخطاب فيها موجه إلى

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ١٣٤/٦

(٢) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ١٥٣/٦

سائر الأسرى لا إلى فرد منهم دون آخر.والمعنى: يا أيها النبي قل لمن في أيديكم أى: قل للذين تحت تصرف أيديكم من الأسرى أى: من أسرى المشركين في بدر الذين أخذتم منهم الفداء لتطلقوا سراحهم.قل لهم- أيها النبي الكريم- إن يعلم الله في قلوبكم خيرا أى: إيمانا وتصديقا وعزما على اتباع الحق ونبذ الكفر والعناد.. إن يعلم الله- تعالى- منكم ذلك يؤتكم خيرا مما أخذ منكم من فداء، بأن يخلفه عليكم في الدنيا، ويمنحكم الثواب الجزيل في الآخرة.ولقد صدق الله- تعالى- وعده مع من آمن وعمل صالحا من هؤلاء الأسرى، فأعطاهم الكثير من نعمه كما قال العباس- رضى الله عنه- وقوله: ويغفر لكم زيادة في حضهم على الدخول في الإيمان.وقوله: والله غفور رحيم **تذييل** قصد به تأكيد ما قبله من الوعد بالخير والمغفرة.أى: والله- تعالى- واسع المغفرة، والرحمة لمن استجاب للحق، وقدم العمل الصالح.والتعبير، بقوله: لمن في أيديكم للإشعار بأن هؤلاء الأسرى المشركين قد صاروا في قبضة المؤمنين وتحت تصرفهم، حتى لكأن أيديهم قابضة عليهم.وأسند وجود الخير في قلوبهم إلى علم الله- تعالى- للإشارة إلى أن ادعاء الإيمان باللسان فقط لا يكفل لهم الحصول على الخير الذي فقدوه ولا يوصلهم إلى مغفرة الله- تعالى- فعليهم أن يخلصوا لله في إيمانهم حتى ينالوا فضله وثوابه، فهو- سبحانه- عليم بذات الصدور.وقوله: وإن يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم. إنذار لهم بسوء المصير إذا ما لجوا في عنادهم وغدرهم، وبشارة من الله- تعالى- لرسوله والمؤمنين بأن العاقبة ستكون لهم.________(١) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٣٢٨.." (١)

"بسبب إقامتهم في أرض الشرك وتحت سلطانه- أصبحوا لا يملكون وسائل المناصرة لكم.ثم قال- تعالى: وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق.أى: وإن طلب منكم هؤلاء المؤمنون الذين لم يهاجروا النصرة على أعدائكم في الدين، فيجب عليكم أن تنصروهم، لأنهم إخوانكم في العقيدة، بشرط ألا يكون بينكم وبين هؤلاء الأعداء عهد ومهادنة، فإنكم في هذه الحالة يحظر عليكم نصرة هؤلاء المؤمنين الذين لم يهاجروا، لأن في نصرتهم- على من بينكم وبينهم عهد- نقضا لهذا العهد.أى: إن نصرتكم لهم إنما تكون على الكفار الحربيين لا على الكفار المعاهدين وهذا يدل على رعاية الإسلام للعهود، واحترامه للشروط والعقود.قال الجمل: أثبت الله- تعالى- للقسمين الأولين النصرة والإرث، ونفى عن هذا القسم الإرث وأثبت له النصرة «١» .وقوله: والله بما تعملون بصير **تذييل** قصد به الترغيب في طاعة الله، والتحذير من معصيته.أى: والله- تعالى- مطلع على كل أعمالكم فأطيعوه، ولا تخالفوا أمره.قبل أن تذكر السورة القسم الرابع من أقسام المؤمنين، تتحدث عن ولاية الكفار بعضهم لبعض فتقول: والذين كفروا بعضهم أولياء بعض، إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير.أى: والذين كفروا بعضهم أولياء بعض في النصرة والتعاون على قتالكم وإيذائكم- أيها المؤمنون- فهم وإن اختلفوا فيما بينهم إلا أنهم يتفقون على عداوتكم وإنزال الاضرار بكم.وقوله: إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير تحذير شديد للمؤمنين عن مخالفة أمره- سبحانه-.أى: إلا تفعلوا- أيها المؤمنون- ما أمرتكم به من التناصر والتواصل وتولى بعضكم بعضا، ومن قطع العلائق بينكم وبين الكفار، تحصل فتنة كبيرة في الأرض، ومفسدة شديدة فيها، لأنكم إذا لم تصيروا يدا واحدة على الشرك، يضعف شأنكم، وتذهب ريحكم، وتسفك دماؤكم ويتطاول أعداؤكم

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ١٦٢/٦

عليكم، وتصيرون عاجزين عن الدفاع عن دينكم وعرضكم..وبذلك تعم الفتنة، وينتشر الفساد.ـــــــــــــــــ(١)
حاشية الجمل على الجلالين ج ٢ ص ٢٥٩.." (١)

"الهجرة الأولى، وقيل المراد بهذا القسم المهاجرون بعد صلح الحديبية، أو بعد غزوة بدر، أو بعد نزول هذه الآية، فيكون الفعل الماضي آمنوا وما بعده بمعنى المستقبل.وقوله: وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله.. بيان لحقوق الأقارب بالنسب والأرحام جمع رحم، وأصله رحم المرأة الذي هو موضع تكوين الولد في بطنها، وسمى به الأقارب، لأنهم في الغالب من رحم واحدة وأولو الأرحام في اصطلاح علماء الفرائض: هم الذين لا يرثون بفرض ولا تعصيب.أى: وذوو القرابة بعضهم أولى في التوارث وفي غير ذلك مما تقتضيه مطالب الحياة من التكافل والتراحم.وقوله: في كتاب الله أى: في حكمه الذي كتبه على عباده المؤمنين، وأوجب به عليهم صلة الأرحام في هذه الآية وغيرها.قال الآلوسى: «أخرج الطيالسي والطبراني وغيرهما عن ابن عباس قال: آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه، وورث بعضهم من بعض حتى نزلت هذه الآية فتركوا ذلك وتوارثوا بالنسب» «١» .أى أن هذه الآية الكريمة نسخت ما كان بين المهاجرين والأنصار من التوارث بسبب الهجرة والمؤاخاة.وقوله: إن الله بكل شيء عليم تذييل ختمت به السورة الكريمة لحض المؤمنين على التمسك بما اشتملت عليه من آداب وتشريعات وأحكام لينالوا رضاه وثوابه.أى: إن الله- تعالى- مطلع على كل شيء مما يدور ويجرى في هذا الكون، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وسيجازى الذين أساؤوا بما عملوا، ويجازى الذين أحسنوا بالحسنى.وبذلك نرى الآيات الكريمة قد مدحت المهاجرين والأنصار مدحا عظيما، كما مدحت المؤمنين من بعدهم، وحضت على الجهاد في سبيل الله، وأمرت بالوفاء بالعهود، وبالوقوف صفا واحدا في وجه الكفار حتى تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى.وبعد: فهذا ما وفق الله إليه في تفسير سورة الأنفال، أو سورة بدر- كما سماها ابن عباس- لأنها تحدثت باستفاضة عن أحداث هذه الغزوة وعن أحوال المشتركين فيها، وعنـــــــــــــــــ(١)
تفسير الآلوسى ج ١٠ ص ٣٩.." (٢)

"وجوه: أحدها أنه مبتدأ والخبر محذوف أى: ورسوله برىء منهم، وإنما حذف للدلالة عليه.والثاني أنه معطوف على الضمير المستتر في الخبر ... والثالث: أنه معطوف على محل اسم أن «١» ... » .ثم أردف- سبحانه- هذا الإعلام بالبراءة من عهود المشركين بترغيبهم في الإيمان وتحذيرهم من الكفر والعصيان فقال: فإن تبتم فهو خير لكم، وإن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزي الله، وبشر الذين كفروا بعذاب أليم.أى: فإن تبتم أيها المشركون من كفركم، ورجعتم إلى الإيمان بالله وحده واتبعتم ما جاءكم به محمد صلى الله عليه وسلم فهو أى المتاب والرجوع إلى الحق خير لكم من التمادي في الكفر والضلال: وإن توليتم وأعرضتم عن الإيمان، وأبيتم إلا الإقامة على باطلكم فاعلموا أنكم غير معجزي الله أى: فأيقنوا أنكم لا مهرب لكم من عقاب الله، ولا إفلات لكم من أخذه وبطشه، لأنكم أينما كنتم فأنتم في قبضته وتحت قدرته.وقوله: وبشر الذين كفروا بعذاب أليم تذييل قصد به تأكيد زجرهم عن التولي والإعراض عن الحق.أى: وبشر- يا محمد- هؤلاء الذين كفروا

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٦/١٦٨

(٢) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٦/١٧٠

بالحق لما جاءهم بالعذاب الأليم في الآخرة بعد إنزال الخزي والمذلة بهم في الدنيا.ولفظ البشارة ورد هنا على سبيل الاستهزاء بهم، كما يقال: تحيتهم الضرب، وإكرامهم الشتم.وقوله- تعالى- بعد ذلك: إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم استثناء من المشركين في قوله:براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين.والمعنى: اعلموا. أيها المؤمنون أن الله ورسوله بريئان من عهود المشركين بسبب نقضهم لها، لكن الذين عاهدتموهم منهم ولم ينقضوا عهودهم، ولم ينقصوكم شيئا من شروط العهد، ولم يعاونوا عليكم أحدا من الأعداء، فهؤلاء أتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم ولا تعاملوهم معاملة الناكثين.فالآية الكريمة تدل على أن المراد بالمشركين الذين تبرأ الله ورسوله منهم وأعطوا مهلة الأربعة الأشهر، هم أولئك الذين عرفوا بنقض العهود.______________(١) حاشية الجمل على الجلالين ج ٢ ص ٢٦٤.." (١)

"أما الذين عاهدوا ووفوا بعهودهم، فإن هؤلاء يجب إتمام عهدهم إلى مدتهم وفاء بوفاء، وكرامة بكرامة.وعبر- سبحانه- بثم في قوله: ثم لم ينقصوكم شيئا للدلالة على ثباتهم على عهدهم مع تمادى المدة وتطاولها.وقراءة الجمهور ينقصوكم بالصاد المهملة، وعليها يجوز أن يتعدى لواحد فيكون شيئا منصوبا على المصدرية أى: لم ينقصوكم شيئا من النقصان لا قليلا ولا كثيرا، ويجوز أن يتعدى لاثنين فيكون شيئا مفعوله الثاني، أى: لم ينقصوكم شيئا من شروط العهد بل أدوها بتمامها.وقرأ عطاء بن السائب الكوفي وعكرمة وأبو زيد ثم لم ينقضوكم بالضاد المعجمة وهي على حذف مضاف أى: ثم لم ينقضوا عهدكم فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه.وفي تنكير كلمة «شيئا» وكلمة «أحدا» دلالة على أن انتقاص المعاهدة ولو شيئا يسيرا، وأن معاونة الأعداء بأى وسيلة مهما قلت ... كل ذلك مبيح لنبذ العهد، لأن الخيانة الصغيرة كثيرا ما تؤدى إلى الخيانة الكبيرة.قالوا: والمراد بهؤلاء الذين أمر المسلمون بإتمام عهدهم معهم: بنو ضمرة وبنو مدلج وهم من قبائل بنى بكر وكان قد بقي من عهدهم تسعة أشهر، ولم ينقضوا مواثيقهم.وقوله إن الله يحب المتقين **تذييل** قصد به التعليل لوجوب الامتثال، والتنبيه على أن الوفاء بالعهد إلى نهايته مع الموفين بعهدهم من تقوى الله التي يحبها لعباده ويحبهم بسببها.قال صاحب المنار: والآية تدل على أن الوفاء بالعهد من فرائض الإسلام مادام العهد معقودا، وعلى أن العهد المؤقت لا يجوز نقضه إلا بانتهاء وقته وأن شرط وجوب الوفاء به علينا محافظة العدو المعاهد لنا عليه بحذافيره.فإن نقص شيئا ما من شروط العهد، وأخل بغرض ما من أغراضه عد ناقضا، لقوله- تعالى- ثم لم ينقصوكم شيئا، ولفظ شيء أعم الألفاظ وهو نكرة في سياق النفي فيصدق بأدنى إخلال بالعهد.ومن الضروري أن من شروطه التي ينتقض بالإخلال بها، عدم مظاهرة أحد من أعدائنا وخصومنا علينا، وقد صرح بهذا للاهتمام به، وإلا فهو يدخل في عموم ما قبله، وذلك أن الغرض الأول من المعاهدات ترك قتال كل من الفريقين المتعاهدين للآخر، فمظاهرة أحدهما لعدو الآخر، أى معاونته ومساعدته على قتاله وما يتعلق به، كمباشرته للقتال بنفسه.." (٢)

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٢٠٣/٦

(٢) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٢٠٤/٦

"وخذوهم وهو كناية عن الأسر، وكانت العرب تعبر عن الأسير بالأخيذ، واحصروهم أى: وامنعوهم من الخروج إذا كانت مصلحتكم في ذلك واقعدوا لهم كل مرصد والمرصد الموضع الذي يقعد فيه للعدو لمراقبته، يقال: رصدت الشيء أرصده رصدا ورصدا إذا ترقبته.والمعنى: واقعدوا لهم في كل موضع يجتازون منه في أسفارهم، حتى تسد السبل في وجوههم، وتضعف شوكتهم، وتذهب ريحهم، فيستسلموا لكم.والمتدبر لهذه الآية الكريمة يرى أن هذه الوسائل الأربع- القتل والأسر والمحاصرة والمراقبة- هي الوسائل الكفيلة بالقضاء على الأعداء، ولا يخلو عصر من العصور من استعمال بعضها أو كلها عند المهاجمة.وهكذا نرى تعاليم الإسلام تحض المسلمين على استعمال كل الوسائل المشروعة لكيد أعدائهم، والعمل على هزيمتهم..، ما دام هؤلاء الأعداء مستمرين في طغيانهم وعدوانهم وانتهاكهم لحدود الله- تعالى-.أما إذا فتحوا قلوبهم للحق واستجابوا له، فإن الآية الكريمة ترفع عنهم السيف، وتأمر المؤمنين بإخلاء سبيلهم.استمع إلى بقيتها حيث تقول: فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم، إن الله غفور رحيم.أى: عليكم- أيها المؤمنون- إذا ما انتهت أشهر الأمان الأربعة أن تقتلوا المشركين الناكثين لعهودهم أينما وجدتموهم وأن تأسروهم وتحبسوهم وتراقبوهم على كل طريق حتى تضعف شوكتهم فينقادوا لكم.. فإن تابوا عن الشرك بأن دخلوا في الإسلام فاتركوا التعرض لهم، وكفوا عن قتالهم، وافتحوا المسالك والطرق في وجوههم.واكتفى- سبحانه- بذكر الصلاة والزكاة عن ذكر بقية العبادات، لكونهما الأساسين للعبادات البدنية والمالية.وقوله: إن الله غفور رحيم **تذييل** قصد به التعليل لوجوب إخلاء سبيلهم أى، إن فعلوا ذلك فخلوا سبيلهم، ولا تعاملوهم بما كان منهم من شرك، فإن الإسلام يجب ما قبله، وإن الله قد غفر لهم ما سلف من الكفر والغدر بفضله ورحمته.قال الإمام ابن كثير: وقد اعتمد الصديق- رضى الله عنه- في قتال ما نعى الزكاة على هذه الآية وأمثالها، حيث حرمت قتالهم بشرط هذه الأفعال وهي الدخول في الإسلام والقيام بأداء واجباته، ونبه بأعلاها على أدناها فإن أشرف أركان الإسلام بعد الشهادتين الصلاة التي." (١)

"والمراد بالمشركين الذين استثنوا هنا: أولئك الذين سبق الحديث عنهم في قوله- تعالى- قبل ذلك إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم ...وهم- كما رجحه ابن جرير والخازن- بنو خزيمة وبنو مدلج وبنو ضمرة من قبائل بنى بكر، وكانوا قد وفوا بعهودهم مع المسلمين «١» .وأعيد ذكر استثنائهم هنا، لتأكيد هذا الحكم وتقريره.والمراد بالمسجد الحرام: جميع الحرم، فيكون الكلام على حذف مضاف.أى: عند قرب المسجد الحرام.والتعرض لكون المعاهدة عند المسجد الحرام، لزيادة بيان أصحابها، وللإشعار بسبب وجوب الوفاء بها.والمعنى: لا ينبغي ولا يصح أن يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله، لكن الذين عاهدتموهم- أيها المؤمنون- عند المسجد الحرام من المشركين ولم ينقضوا عهودهم فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم.أى: فاستقيموا لهم مدة استقامتهم لكم، فتكون ما مصدرية منصوبة المحل على الظرفية.ويصح أن تكون شرطية وعائدها محذوف فيكون المعنى: فأى زمان استقاموا لكم فيه فاستقيموا لهم، إذ لا يجوز أن يكون نقض العهد من جهتكم.وقوله: إن الله يحب المتقين **تذييل** قصد به التعليل لوجوب الامتثال، وتبيين أن الوفاء بالعهد إلى مدته مع الموفين بعهدهم من تقوى الله التي يحبها لعباده، ويحبهم بسبب

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٢٠٧/٦

تمسكهم بها.هذا، وقد أخذ العلماء من هذه الآية: ان العهد المعتد به في شريعة الإسلام، هو عهد الأوفياء غير الناكثين، وأن من استقام على عهده عاملناه بمقتضى استقامته، وأن الالتزام بالعهود من تقوى الله التي يحبها لعباده.وقوله- سبحانه- كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة ...لاستبعاد ثبات المشركين على العهد، ولاستنكار ان يكون لهم عهد حقيق بالمراعاة، وبيان لما يكون عليه أمرهم عند ظهورهم على المؤمنين.______________(١) راجع تفسير ابن جرير ج ١٠ ص ٨٢- وحاشية الجمل على الجلالين ج ٢ ص ٢٦٦.." (١)

"وفي حالة ضعفهم يخادعون ويداهنون حتى تحين لهم الفرصة للانقضاض على المؤمنين.ثم بين- سبحانه- بعد ذلك السبب الأصيل الذي جعل الغدر ديدنهم، والحقد على المؤمنين دأبهم فقال: اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله، إنهم ساء ما كانوا يعملون.والمراد بالاشتراء هنا الاستبدال والاستيعاض.والمراد بآيات الله: كل ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من آيات قرآنية، ومن تعاليم سامية تهدى إلى الخير والفلاح.والمعنى إن السبب الأصيل الذي حمل هؤلاء المشركين على الغدر، وعلى الفجور والطغيان عند القوة وعلى المداهنة والمخادعة عند الضعف. هو أنهم استبدلوا بآيات الله المتضمنة لكل خير وفلاح ... ثمنا قليلا. أى: عرضا حقيرا من أعراض الدنيا وزخارفها.وليس وصف الثمن بالقلة هنا من الأوصاف المخصصة للنكرات. بل هو من الأوصاف اللازمة للثمن المحصل بالآيات. لأن كل ثمن يؤخذ في مقابل آيات الله فهو قليل وإن بلغ ما بلغ من أعراض الدنيا وزينتها.وقوله: فصدوا عن سبيله بيان لما ترتب على استبدالهم بآيات الله ثمنا قليلا.والصد: المنع والحيلولة بين الشيء وغيره، ويستعمل لازما فيقال: صد فلان عن الشيء صدودا بمعنى أعرض عنه. ويستعمل متعديا فيقال: صده عنه إذا صرفه عن الشيء.وهنا تصح إرادة المعنيين فيكون التقدير: أن هؤلاء المشركين قد اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا، يترتب على ذلك أن أعرضوا عن طريق الله الواضحة المستقيمة التي جاء بها نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، ولم يكتفوا بهذا بل صرفوا غيرهم عنها، ومنعوه من الدخول فيها.وقوله: إنهم ساء ما كانوا يعملون **تذييل** قصد به بيان سوء عاقبتهم، وقبح أعمالهم.أى: إنهم ساء وقبح عملهم الذي كانوا يعملونه من اشترائهم بآيات الله ثمنا قليلا، ومن صدودهم عن الحق وصدهم لغيرهم عنه.. وسيجازيهم الله على ذلك بما يستحقونه عن عقاب شديد.ثم بين- سبحانه- أن عداوة هؤلاء المشركين ليست خاصة بالمؤمنين الذين يقيمون معهم، وإنما هي عداوة عامة شاملة لكل مؤمن مهما تباعد عنهم فقال- تعالى-:لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة وأولئك هم المعتدون.." (٢)

"أى: أن هؤلاء المشركين لا يراعون في أمر مؤمن يقدرون على الفتك به عهدا يحرم الغدر، ولا قرابة تقتضي الود، ولا ذمة توجب الوفاء خشية الذم ... وإنما يبيتون الحقد والغدر والأذى لكل مؤمن، من غير أن يقيموا للعهود أو للفضائل وزنا.وهذه الآية الكريمة أعم من قوله- تعالى: قبل ذلك: كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة لأن هذه بينت أن عدوانهم على المؤمنين مقيد بظهورهم عليهم، أما التي معنا فقد بينت أن عدوانهم ليس مقيدا بشيء، فهم متى وجدوا الفرصة اهتبلوها في الاعتداء على المؤمنين ولأن التي معنا بينت أن عداوتهم قد شملت كل مؤمن مهما كان موضعه.أما الآية

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٢١٤/٦

(٢) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٢١٧/٦

السابقة فهي تخاطب المؤمنين الذين كان بينهم وبين المشركين الكثير من الحروب والدماء.وقوله وأولئك هم المعتدون **تذييل** قصد به ذمهم والتحقير من شأنهم.أى: وأولئك المشركون الموصوفون بتلك الصفات السيئة هم المتجاوزون لحدود الله والخارجون على كل فضيلة ومكرمة.وبعد أن وضحت السورة الكريمة طبيعة هؤلاء المشركين بالنسبة لكل مؤمن، وبينت الأسباب التي جعلتهم بمعزل عن الحق والخير.. شرعت في بيان ما يجب أن يفعله المؤمنون معهم في حالتي إيمانهم وكفرهم فقال تعالى.فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين، ونفصل الآيات لقوم يعلمون. وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون.أى: فإن تابوا عن شركهم وما يتبعه من رذائل ومنكرات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة، على الوجه الذي أمر الله به فهم في هذه الحالة فإخوانكم في الدين لهم ما لكم وعليهم ما عليكم وهذه الأخوة تجب ما قبلها من عداوات.وقوله: ونفصل الآيات لقوم يعلمون جملة معترضة، جيء بها للحث والتحري على ما فصله- سبحانه- من أحكام المشركين، وعلى الالتزام بها.هذا ما يجب على المؤمنين نحو هؤلاء المشركين إن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة..أما إن كانت الأخرى، أى إذا لم يتوبوا وأصروا على عداوتهم، فقد بين سبحانه. ما يجب على المؤمنين نحوهم في هذه الحالة فقال: وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم.أى: وإن نقضوا عهودهم من بعد أن تعاقدوا معكم على الوفاء بها.وقوله: نكثوا من النكث بمعنى النقض والحل. يقال نكث فلان الحبل إذا نقض فتله." (١)

"ولا يقصرون في العمل بموجب أوامر الله ونواهيه.قال صاحب الكشاف: فإن قلت: هلا ذكر الإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم قلت: لما علم وشهر أن الإيمان بالله قرينته الإيمان بالرسول. عليه الصلاة والسلام. لاشتمال كلمة الشهادة والأذان والإقامة وغيرها عليهما مقترنين كأنهما شيء واحد.. انطوى تحت ذكر الإيمان بالله.تعالى. الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم فإن قلت: كيف قال: ولم يخش إلا الله والمؤمن يخشى المحاذير ولا يتمالك أن لا يخشاها.قلت: هي الخشية والتقوى في أبواب الدين، وأن لا يختار على رضا الله رضا غيره لتوقع مخوف: وإذا اعترض أمران: أحدهما حق الله والآخر حق نفسه، آثر حق الله على حق نفسه «١» .وقوله- تعالى- فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين **تذييل** قصد به حسن عاقبة المؤمنين الصادقين.أى: فعسى أولئك المتصفون بتلك الصفات الجليلة من الإيمان بالله واليوم الآخر.. أن يكونوا من المهتدين إلى الجنة وما أعد فيها من خير عميم، ورزق كبير.قال الآلوسى: وإبراز اهتدائهم لذلك- مع ما بهم من تلك الصفات الجليلة- في معرض التوقع، لحسم أطماع الكافرين عن الوصول إلى مواقف الاهتداء لأن هؤلاء المؤمنين. وهم من هم. إذا كان أمرهم دائرا بين لعل وعسى فكيف يقطع المشركون. وهم بيت المخازي والقبائح. أنهم مهتدون؟!.وفيه قطع اتكال المؤمنين على أعمالهم، وإرشادهم إلى ترجيح جانب الخوف على جانب الرجاء «٢» .هذا، ومن الأحكام والآداب التي أخذها العلماء من هاتين الآيتين ما يأتى:١- أن أعمال البر الصادرة عن المشركين. كإطعام الطعام، وإكرام الضيف.. إلخ.لا وزن لها عند الله، لاقترانها بالكفر والإشراك به- سبحانه-.قال. تعالى.: وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا «٣» .٢- أن عمارة مساجد الله من حق المؤمنين وحدهم، أما المشركون فإنهم لا يصح منهم ذلك بسبب كفرهم

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٢١٨/٦

ونجاستهم.ـــــــــــــــ(١) تفسير الكشاف ج ٢ ص ٢٥٥- بتصريف يسير.(٢) تفسير الآلوسي ج ١٠ ص ٥٩- بتصريف وتلخيص.(٣) سورة الفرقان الآية ٢٣.." (١)

"قال القرطبي: وخص- سبحانه- الآباء والإخوة إذ لا قرابة أقرب منها. فنفى الموالاة بينهم ليبين أن القرب قرب الأديان لا قرب الأبدان.ولم يذكر الأبناء في هذه الآية، إذ الأغلب من البشر أن الأبناء هم التبع للآباء. والإحسان والهبة مستثناة من الولاية. قالت أسماء: يا رسول الله إن أمي قدمت على راغبة وهي مشركة أفأصلها؟ قال نعم. «صلى أمك» «١» .وقوله- سبحانه-: إن استحبوا الكفر على الإيمان قيد في النهى عن اتخاذهم أولياء. والاستحباب: طلب المحبة: يقال: استحب له بمعنى أحبه كأنه طلب محبته.أى: لا تتخذوهم أولياء إن اختاروا الكفر على الإيمان وأصروا على شركهم وباطلهم..أما إذا أقلعوا عن ذلك ودخلوا في دينكم، فلا حرج عليكم من اتخاذهم أولياء وأصفياء.وقوله: ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون **تذييل** قصد به الوعيد والتهديد لمن يفعل ذلك.أى: ومن يتولهم منكم في حال استحبابهم الكفر على الإيمان، فأولئك الموالون لهم هم الظالمون لأنفسهم، لأنهم وضعوا الموالاة في غير موضعها، وتجاوزوا حدود الله التي نهاهم عن تجاوزها، وسيجازيهم- سبحانه- على ذلك بما يستحقونه من عقاب.ثم أمر- سبحانه- رسوله صلى الله عليه وسلم أن يعلن للناس هذه الحقيقة: وهي أن محبة الله ورسوله يجب أن تفوق كل محبة لغيرهما فقال- تعالى-: قل يا محمد لمن اتبعك من المؤمنين: إن كان آباؤكم الذين أنتم بضعة منهم، وأبناؤكم الذين هم قطعة منكم وإخوانكم الذين تربطكم بهم وشيجة الرحم وأزواجكم اللائي جعل الله بينكم وبينهن مودة ورحمة وعشيرتكم أى: أقاربكم الأدنون الذين تربطكم بهم رابطة المعاشرة والعصبة وأموال اقترفتموها أى: اكتسبتموها فهي عزيزة عليكم.وأصل القرف والاقتراف قشر اللحاء عن الشجر، والجلدة عن الجرح ثم استعير الاقتراف للاكتساب مطلقا:وتجارة تخشون كسادها أى: تخافون بوارها وعدم رواجها بسبب اشتغالكم بغيرها من متطلبات الإيمان.يقال: كسد الشيء من باب نصر وكرم. كسادا وكسودا، إذا قل رواجه وربحه.ومساكن ترضونها أى: ومنازل تعجبكم الإقامة فيها.ــــــــــــــــ(١) تفسير القرطبي ج ٨ الآية ٩٤.." (٢)

"قل لهم يا محمد: إن كان كل ذلك- من الآباء والأبناء والإخوان والأزواج والعشيرة، والأموال، والتجارة، والمساكن- أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره.أى: إن كانت هذه الأشياء أحسن في نفوسكم وأقرب إلى قلوبكم من طاعة الله وطاعة رسوله ومن الجهاد في سبيل إعلاء كلمة الحق، فانتظروا حتى يحكم الله فيكم، وهو العذاب العاجل أو العقاب الآجل.فالجملة الكريمة تهديد وتخويف لمن آثر محبة الآباء والأبناء ... على محبة الله ورسوله، وعلى الجهاد من أجل إعلاء كلمة الدين.وقوله: والله لا يهدي القوم الفاسقين **تذييل** قصد به تأكيد التهديد السابق أى:والله- تعالى- قد اقتضت حكمته أن لا يوفق القوم الخارجين عن حدود دينه وشريعته إلى ما فيه مثوبته ورضاه.هذا، ومن الأحكام والآداب التي أخذها العلماء من هاتين الآيتين ما يأتى:(١) تحريم موالاة الكافرين مهما بلغت درجة قرابتهم، واعتبار هذه الموالاة من الكبائر، لوصف فاعلها بالظلم: قال- تعالى-: ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون.(٢) قوة

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٦/٢٢٩

(٢) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٦/٢٣٦

إيمان الصحابة، وسرعة امتثالهم لأوامر الله، فإنهم في سبيل عقيدتهم قاطعوا أقرب الناس إليهم ممن خالفوهم في الدين، بل وحاربوهم وقتلوهم.قال ابن كثير: روى الحافظ البيهقي من حديث عبد الله بن شوذب قال: جعل أبو أبي عبيدة بن الجراح ينعت له الآلهة يوم بدر وجعل أبو عبيدة يحيد عنه. فلما أكثر الجراح، قصده ابنه أبو عبيدة فقتله، فأنزل الله فيه هذه الآية- التي بآخر سورة المجادلة- لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله، ولو كانوا آباءهم، أو أبناءهم، أو إخوانهم، أو عشيرتهم، أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه، ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها، رضي الله عنهم ورضوا عنه، أولئك حزب الله، ألا إن حزب الله هم المفلحون «١» .(٣) إن المؤمن لا يتم إيمانه إلا إذا كانت محبته لله ورسوله مقدمة على كل محبوب، وقد وردت عدة أحاديث في هذه المعنى، ومن ذلك ما أخرجه البخاري والإمام أحمد عن أبي عقيل______________(١) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٣٤٢.." [١]

"وأعجبتكم: من الإعجاب بمعنى السرور بما يتعجب منه. وسبب هذا الإعجاب أن عدد المسلمين كان اثنا عشر ألفا، وعدد أعدائهم كان أربعة آلاف.وقوله: فلم تغن عنكم شيئا بيان للأثر السيئ الذي أعقب الإعجاب بالكثرة، وأن سرورهم بهذه الكثرة لم يدم طويلا، بل تبعه الحزن والهزيمة.وقوله: تغن من الغناء بمعنى النفع. تقول: ما يغنى عنك هذا الشيء، أى:ما يجزئ عنك وما ينفعك وقوله: وضاقت عليكم الأرض بما رحبت بيان لشدة خوفهم وفزعهم.قال القرطبي: والرحب- بضم الراء- السعة. تقول منه: فلان رحب الصدر.والرحب- بالفتح- الواسع. تقول منه: بلد رحب وأرض رحبة.وقيل: الباء بمعنى مع، أى: وضاقت عليكم الأرض مع رحبها. وقيل بمعنى على. أى:على رحبها. وقيل المعنى برحبها فتكون «ما» مصدرية «١» .والمعنى: اذكروا- أيها المؤمنون- نعم الله عليكم، وحافظوا عليها بالشكر وحسن الطاعة، ومن مظاهر هذه النعم أنه- سبحانه- قد نصركم على أعدائكم مع قلتكم. في مواقف حروب كثيرة كغزوة بدر، وغزوة بنى قينقاع والنضير ... كما نصركم. أيضا. في يوم غزوة حنين، وهو اليوم الذي راقتكم فيه كثرتكم فاعتمدتم عليها حتى قال بعضكم: لن نغلب اليوم من قلة ...ولكن هذه الكثرة التي أعجبتم بها لم تنفعكم شيئا من النفع في أمر العدو بل انهزمتم أمامه في أول الأمر، وضاقت في وجوهكم الأرض مع رحابتها وسعتها بسبب شدة خوفكم، فكنتم كما قال الشاعر:كأن بلاد الله وهي عريضة ... على الخائف المطلوب كفة حابل «٢»وقوله: ثم وليتم مدبرين **تذييل** مؤكد لما قبله وهو شدة خوفهم.ووليتم: من التولي بمعنى الإعراض. ومدبرين: من الإدبار بمعنى الذهاب إلى الخلف.أى: ثم وليتم الكفار ظهوركم منهزمين لا تلوون على شيء.وهكذا، نرى الآية الكريمة تصور ما حدث من المؤمنين في غزوة حنين تصويرا بديعا______________(١) تفسير القرطبي ج ٨ ص ١٠١.(٢) الكفة. بالكسر. حبالة الصائد. والحابل: الذي ينصب الحبالة. [.....]."[٢]

"قيل: ليس ذلك كذلك، بل ذلك حرام علينا في كل وقت ولكن الله عظم حرمة هؤلاء الأشهر وشرفهن على سائر شهور السنة: فخص الذنب فيهن، بالتعظيم كما خصهن بالتشريف، وذلك نظير قوله- تعالى- حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى، ولكنه تعالى- زادها تعظيما، وعلى المحافظة عليها توكيدا، وفي تضييعها تشديدا، فكذلك في قوله منها

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٢٣٧/٦

(٢) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٢٤١/٦

أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم.وقد كانت الجاهلية تعظم هذه الأشهر الحرم وتحرم القتال فيهن، حتى لو لقى الرجل منهم فيهن قاتل أبيه لم يهجه «١» .وقال القرطبي: لا يقال كيف جعلت بعض الأزمنة أعظم حرمة من بعض فإنا نقول:للباري- تعالى- أن يفعل ما شاء، ويخص بالفضيلة ما يشاء ليس لعمله علة، ولا عليه حجر، بل يفعل ما يريد بحكمته، وقد تظهر فيه الحكمة وقد تخفى «٢» .وقوله: وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة تحريض للمؤمنين على قتال المشركين بقلوب مجتمعة، وعزيمة صادقة.وكلمة كافة مصدر في موضع الحال من ضمير الفاعل في قاتلوا أو من المفعول وهو لفظ المشركين، ومعناها: جميعا.وقالوا: وهذه الكلمة من الكلمات التي لا تثنى ولا تجمع ولا تدخلها أل ولا تعرب إلا حالا فهي ملتزمة للإفراد والتأنيث مثل: عامة وخاصة «٣» .أى: قاتلوا- أيها المؤمنون- المشركين جميعا، كما يقاتلونكم هم جميعا، بأن تكونوا في قتالكم لهم مجتمعين متعاونين متناصرين، لا مختلفين ولا متخاذلين.وقوله: واعلموا أن الله مع المتقين **تذييل** قصد به إرشادهم إلى ما ينفعهم في قتالهم لأعدائهم بعد أمرهم به.أى: واعلموا- أيها المؤمنون أن الله تعالى- مع عباده المتقين بالعون والنصر والتأييد، ومن كان الله معه فلن يغلبه شيء فكونوا- أيها المؤمنون من عباد الله المتقين الذين صانوا أنفسهم عن كل ما نهى عنه لتنالوا عونه وتأييده.______________(١) تفسير ابن جرير ج ١٠ ص ١٢٧.(٢) تفسير القرطبي ج ٨ ص ١٣٦.(٣) راجع تفسير الآلوسى ج ١٠ ص ٨٢. وتفسير المنار ج ١٠ ص ٤٨٤.." (١)

"ويصح أن يكون الفاعل هو الذين كفروا أى يضل الذين كفروا عن الحق بسبب استعمالهم للنسيء الذي هو لون من ألوان استحلال محارم الله.وقوله: يحلونه عاما ويحرمونه عاما بيان وتفسير لكيفية ضلالهم.والضمير المنصوب في يحلونه ويحرمونه يعود إلى النسيء، أى الشهر المؤخر عن موعده.والمعنى أن هؤلاء الكافرين من مظاهر ضلالهم، أنهم يحلون الشهر المؤخر عن وقته عاما من الأعوام، ويحرمون مكانه شهرا آخر ليس من الأشهر الحرم، وأنهم يحرمونه أى: يحافظون على حرمة الشهر الحرام عاما آخر، إذا كانت مصلحتهم في ذلك.والمواطأة: الموافقة. يقال: واطأت فلانا على كذا إذا وافقته عليه بدون مخالفته.والمعنى: فعل المشركون ما فعلوه من التحليل والتحريم للأشهر على حسب أهوائهم، ليوافقوا بما فعلوه عدة الأشهر الحرم، بحيث تكون أربعة في العدد وإن لم تكن عين الأشهر المحرمة في شريعة الله.قال ابن عباس: ما أحل المشركون شهرا من الأشهر الحرم إلا حرموا مكانه شهرا من الأشهر الحلال. وما حرموا شهرا من الحلال إلا أحلوا مكانه شهرا من الأشهر الحرام، لكي يكون عدد الأشهر الحرم أربعة. «١» .وقوله: فيحلوا ما حرم الله تفريع على ما تقدم.أى: فيحلوا بتغييرهم الشهور المحرمة، ما حرمه الله في شرعه. فهم وإن كانوا وافقوا شريعة الله في عدد الشهور المحرمة، إلا أنهم خالفوه في تخصيصها فقد كانوا- مثلا- يستحلون شهر المحرم ويحرمون بدله شهر صفر.وقوله: زين لهم سوء أعمالهم ذم لهم على انتكاس بصائرهم، وسوء تفكيرهم.أى: زين لهم الشيطان سوء أعمالهم، فجعلهم يرون العمل القبيح عملا حسنا. وقوله:والله لا يهدي القوم الكافرين **تذييل** قصد به التنفير والتوبيخ للكافرين.أى: والله تعالى. اقتضت حكمته أن لا يهدى القوم الكافرين إلى طريقه القويم، لأنهم بسبب سوء اختيارهم استحبوا العمى على الهدى، وآثروا طريق الغي على طريق

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٦/٢٨٠

الرشاد..فكان أمرهم فرطا.هذا، ومن الأحكام والآداب التي أخذها العلماء من هاتين الآيتين ما يأتي.______________(١) تفسير الفخر الرازي ج ١٦ ص ٥٨- بتصرف يسير.." [١]

"وقوله: والله على كل شيء قدير **تذييل** مؤكد لما قبله.أى: والله، تعالى: على كل شيء من الأشياء قدير، ولا يعجزه أمر، ولا يحول دون نفاذ مشيئته حائل، فامتثلوا أمره لتفوزوا برضوانه.فأنت ترى أن هذه الآية وسابقتها قد اشتملت على أقوى الأساليب التي ترغب في الجهاد، وترهب من النكوص عنه، وتبعث على الطاعة لله ولرسوله.ثم ذكرهم، سبحانه، بما يعرفونه من حال الرسول صلى الله عليه وسلم حيث نصره الله. تعالى، على أعدائه بدون عون منهم، وأيده بجنود لم يروها فقال، إلا تنصروه فقد نصره الله.قال ابن جرير. هذا إعلام من الله لأصحاب رسوله صلى الله عليه وسلم أنه المتوكل بنصر رسوله على أعداء دينه، وإظهاره عليهم دونهم، أعانوه أو لم يعينوه، وتذكير منه لهم بأنه فعل ذلك به، وهو من العدد في قلة، والعدو في كثرة فكيف به وهو من العدد في كثرة والعدو في قلة «١» .والمعنى: إنكم، أيها المؤمنون، إن آثرتم القعود والراحة على الجهاد وشدائده، ولم تنصروا رسولكم الذي استنفركم للخروج معه. فاعلموا أن الله سينصره بقدرته النافذة، كما نصره، وأنتم تعلمون ذلك، وقت أن أخرجه الذين كفروا من مكة ثاني اثنين أى: أحد اثنين.والثاني: أبو بكر الصديق، رضى الله عنه.يقال. فلان ثالث ثلاثة، أو رابع أربعة.. أى: هو واحد من الثلاثة أو من الأربعة.فإذا قيل: فلان رابع ثلاثة أو خامس أربعة، فمعناه أنه صير الثلاثة أربعة بإضافة ذاته إليهم، أو صير الأربعة خمسة.وأسند سبحانه الإخراج إلى المشركين مع أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد خرج بنفسه بإذن من الله، تعالى، لأنهم السبب في هذا الخروج حيث اضطروه إلى ذلك، بعد أن تآمروا على قتله.قيل: وجواب الشرط في قوله، إلا تنصروه محذوف وقوله فقد نصره الله تعليل لهذا المحذوف.والتقدير: إلا تنصروه ينصره الله في كل حال. فقد نصره سبحانه وقت أن أخرجه الكافرون من بلده ولم يكن معه سوى رجل واحد.وقال صاحب الكشاف: فإن قلت. كيف يكون قوله فقد نصره الله جوابا للشرط؟.قلت «فيه وجهان» أحدهما: إلا تنصروه فسينصره من نصره حين لم يكن معه إلا رجل______________(١) تفسير ابن جرير ج ١٠ ص ١٣٥.." [٢]

"وقراءة الجمهور برفع. كلمة على الابتداء. وقوله هي مبتدأ ثان: وقوله:العليا خبرها، والجملة خبر المبتدأ الأول.ويجوز أن يكون الضمير هي ضمير فصل، وقوله العليا هو الخبر وقرأ الأعمش ويعقوب وكلمة الله بالنصب عطفا على مفعول جعل وهو كلمة الذين كفروا.أى: وجعل كلمة الذين كفروا السفلى، وجعل كلمة الله هي العليا.قالوا: وقراءة الرفع أبلغ وأوجه، لأن الجملة الاسمية تدل على الدوام والثبوت، ولأن الجعل لم يتطرق إلى الجملة الثانية وهي قوله: وكلمة الله هي العليا لأنها في ذاتها عالية ثابتة، بدون جعلها كذلك في حادثة معينة. بخلاف علو غيرها فهو غير ذاتى، وإنما هو علو مؤقت في حالة معينة، ثم مصيرها إلى الزوال والخذلان بعد ذلك.وقوله: والله عزيز حكيم **تذييل** مقرر لمضمون ما قبله.أى: والله- تعالى- عزيز لا يغلبه غالب، ولا يقهره قاهر، ولا ينصر من عاقبه ناصر، حكيم في تصريفه شأن خلقه، لا قصور في تدبيره،

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٢٨٢/٦

(٢) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٢٩١/٦

ولا نقص في أفعاله.هذا، ومن الأحكام التي أخذها العلماء من هذه الآية: الدلالة على فضل أبى بكر الصديق- رضى الله عنه- وعلى علو منزلته، وقوة إيمانه، وشدة إخلاصه لله- تعالى- ولرسوله صلى الله عليه وسلم.ومما يشهد لذلك، أن الرسول صلى الله عليه وسلم عند ما أذن الله له بالهجرة، لم يخبر أحدا غيره لصحبته في طريق هجرته إلى المدينة.ولقد أظهر الصديق- رضى الله عنه- خلال مصاحبته للرسول صلى الله عليه وسلم الكثير من ألوان الوفاء والإخلاص وصدق العقيدة «١» .قال الآلوسى ما ملخصه: واستدل بالآية على فضل أبي بكر.. فإنها خرجت مخرج العتاب للمؤمنين ما عدا أبا بكر.. فعن الحسن قال: عاتب الله جميع أهل الأرض غير أبي بكر فقال:إلا تنصروه فقد نصره الله الآية.______________(١) راجع قصة الهجرة في كتاب «السيرة النبوية» لابن هشام ج ٢ ص ٤٨٠ طبعة مصطفى الحلبي سنة ١٩٥٥.." [١]

"أن يكون فيه مصلحة أو مفسدة، فإن كان فيه مصلحة فلم قال: ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وإن كان فيه مفسدة فلماذا عاتب نبيه صلى الله عليه وسلم في إذنه لهم في القعود؟والجواب عن هذا السؤال: أن خروجهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيه مفسدة عظيمة: بدليل أنه- سبحانه- أخبر بتلك المفسدة بقوله لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا.بقي أن يقال. فلم عاتب الله نبيه بقوله: لم أذنت لهم فنقول: إنه صلى الله عليه وسلم أذن لهم قبل إتمام الفحص، وإكمال التدبير والتأمل في حالهم، فلهذا السبب قال- تعالى- لم أذنت لهم وقيل إنما عاتبه لأجل أنه أذن لهم قبل أن يوحى إليه في أمرهم بالقعود «١» .وقوله. وقيل اقعدوا مع القاعدين تذييل المقصود منه ذمهم ووصفهم بالجبن الخالع، والهمة الساقطة، لأنهم بقعودهم هذا سيكونون مع النساء والصبيان والمرضى والمستضعفين الذين لا قدرة لهم على خوض المعارك والحروب.قال الآلوسى. وقوله: وقيل اقعدوا مع القاعدين: تمثيل لخلق الله داعية القعود فيهم، وإلقائه كراهة الخروج في قلوبهم بالأمر بالقعود أو تمثيل لوسوسة الشيطان بذلك فليس هناك قول حقيقة. ويجوز أن يكون حكاية قول بعضهم لبعض أو حكاية لإذن الرسول صلى الله عليه وسلم لهم في القعود، فيكون القول على حقيقته «٢» .هذا، ومن الأحكام التي أخذها العلماء من هذه الآية. أن الفعل يحسن بالنية ويقبح بها.أيضا.، وإن استويا في الصورة، لأن النفير واجب مع نية النصر. وقبيح مع إرادة تحصيل القبيح، وذلك لأنه. تعالى. أخبر أنه كره انبعاثهم لما يحصل من إرادة المكر بالمسلمين.ومنها: أن للإمام أن يمنع من يتهم بمضرة المسلمين من الخروج للجهاد حماية لهم من شروره ومفاسده.ومنها: أن إعداد العدة للجهاد أمر واجب، وقد قال- تعالى- في آية أخرى:وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة «٣» .ثم بين- سبحانه- المفاسد المترتبة على خروج المنافقين في جيش المؤمنين فقال: لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا، وأصل الخبال. الاضطراب والمرض الذي يؤثر في العقل كالجنون ونحوه. أو هو الاضطراب في الرأى.______________(١) حاشية الجمل على الجلالين ج ٢ ص ٢٨٧.(٢) تفسير الآلوسى ج ١٠ ص ١١١. بتصرف يسير.(٣) تفسير القاسمى ج ٨ ص ٣١٦٧.." [٢]

"لحديثهم وكلامهم، يستنصحونهم وإن كانوا لا يعلمون حالهم، فيؤدى إلى وقوع شر بين المؤمنين وفساد كبير.وقال مجاهد وزيد بن أسلم وابن جرير، (وفيكم سماعون لهم) أى: عيون يسمعون لهم الأخبار وينقلونها إليهم.وهذا لا يبقى له

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٢٩٤/٦

(٢) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٣٠٨/٦

اختصاص بخروجهم معهم، بل هذا عام في جمع الأحوال.والمعنى الأول أظهر في المناسبة بالسياق. وإليه ذهب قتادة وغيره من المفسرين.وقال محمد بن إسحاق: كان الذين استأذنوا، فيما بلغني، من ذوى الشرف، منهم عبد الله بن أبى بن سلول، والجد بن قيس، وكانوا أشرافا في قومهم، فثبطهم الله لعلمه بهم أن يخرجوا فيفسدوا عليه جنده. وكان في جنده قوم أهل محبة لهم، وطاعة فيما يدعونهم إليه لشرفهم فقال: وفيكم سماعون لهم «١» .وقوله: والله عليم بالظالمين **تذييل** المقصود منه وعيد هؤلاء المنافقين وتهديدهم بسبب ما قدمت أيديهم من مفاسد.أى: والله- تعالى- لا تخفى عليه خافية من أحوال هؤلاء الظالمين، وسيعاقبهم بالعقاب المناسب لجرائمهم ورذائلهم.وبذلك نرى أن الآية الكريمة قد وضحت أن هناك ثلاث مفاسد كانت ستترتب على خروج هؤلاء المنافقين مع المؤمنين إلى تبوك.أما المفسدة الأولى: فهي زيادة الاضطراب والفوضى في صفوف المجاهدين.وأما المفسدة الثانية: فهي الإسراع بينهم بالوشايات والنمائم والإشاعات الكاذبة.وأما المفسدة الثالثة: فهي الحرص على تفريق كلمتهم، وتشكيكهم في عقيدتهم.وهذه المفاسد الثلاث ما وجدت في جيش إلا وأدت إلى انهزامه وفشله.ومن هنا كان تثبيط الله- تعالى- لهؤلاء المنافقين، نعمة كبرى للمؤمنين.ومن هنا- أيضا- كانت الكثرة العددية في الجيوش لا تؤتى ثمارها المرجوة منها، إلا إذا كانت متحدة في عقيدتها، وأهدافها، واتجاهاتها.. أما إذا كانت هذه الكثرة مشتملة على عدد كبير من ضعاف الإيمان، فإنها في هذه الحالة يكون ضررها أكبر من نفعها.ثم ذكر الله تعالى- نبيه صلى الله عليه وسلم بطرف من الماضي المظلم لهؤلاء المنافقين فقال:ــــــــــــــــ(١) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٣٦١.." (١)

"الله. فإن كان في معصية لم يعط: لأن إعطاءه يعتبر إعانة له على المعصية، وهذا لا يجوز.وقد ألحقوا بابن السبيل، كل من غاب عن ماله، ولو كان في بلده.وقوله. فريضة من الله، منصوب بفعل مقدر أى: فرض الله لهم هذه الصدقات فريضة، فلا يصح لكم أن تبخلوا بها عنهم، أو تتكاسلوا في إعطائها لمستحقيها.فالجملة الكريمة زجر للمخاطبين عن مخالفة أحكامه. سبحانه.وقوله: والله عليم حكيم **تذييل** قصد به بيان الحكمة من فرضية الزكاة.أى: والله- تعالى- عليم بأحوال عباده، ولا تخفى عليه خافية من تصرفاتهم، حكيم في كل أوامره ونواهيه، فعليكم. أيها المؤمنون. أن تأتمروا بأوامره، وأن تنتهوا عن نواهيه لتنالوا رضاه.هذا، ومن الأحكام والآداب التي أخذها العلماء من هذه الآية ما يأتى:١- أن المراد بالصدقات هنا ما يتناول الزكاة المفروضة وغيرها من الصدقات المندوبة، وذلك لأن اللفظ عام فيشمل كل صدقة سواء أكانت واجبة أم مندوبة، ولأن لفظ الصدقة في عرف الشرع وفي صدر الإسلام، كان يشمل الزكاة المفروضة، والصدقة المندوبة، ويؤيده قوله- تعالى-: خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها.ومن العلماء من يرى أن المراد بالصدقات في الآية: الزكاة المفروضة، لأن (أل) في الصدقات للعهد الذكرى والمعهود هو الصدقات الواجبة التي أشار إليها القرآن. بقوله قبيل هذه الآية. ومنهم من يلمزك في الصدقات ولأن الصدقات المندوبة يجوز صرفها في غير الأصناف الثمانية كبناء المساجد والمدارس.ويبدو لنا أن لفظ الصدقات في الآية عام بحيث يتناول كل صدقة، إلا أن الزكاة المفروضة تدخل فيه دخولا أوليا.٢- قال بعض العلماء: ظاهر الآية يقضى بالقسمة بين الثمانية الأصناف، ويؤيد هذا وجهان.الأول. ما يقتضيه

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٣١٠/٦

اللفظ اللغوي، إن قلنا. الواو للجمع والتشريك.والثاني. ما رواه أبو داود في سننه من قوله صلى الله عليه وسلم «إن الله لم يرض بحكم نبي ولا غيره في الصدقات، حتى حكم فيها، فجزأها ثمانية أجزاء» .وقد ذهب إلى هذا الشافعى وعكرمة والزهري، إلا إن استغنى أحدهما فتدفع إلى الآخرين بلا خلاف.." (١)

"الإيمان- أيها المنافقون-، حيث يسمع منكم، ويقبل إيمانكم الظاهر، ولا يكشف أسراركم، ولا يفضحكم، ولا يفعل بكم ما يفعل بالمشركين، مراعاة لما رأى الله من المصلحة في الإبقاء عليكم ... «١» .وقوله: والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم **تذييل** قصد به تهديدهم وزجرهم عن التعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأية إساءة.أى: والذين يؤذون رسول الله بأى لون من ألوان الأذى، لهم عذاب أليم في دنياهم وآخرتهم لأنهم بإيذائهم له يكونون قد استهانوا بمن أرسله الله رحمة للعالمين.ثم حكى القرآن بعد ذلك لونا من جبنهم وعجزهم عن مصارحة المؤمنين بالحقائق، فقال- سبحانه- :[سورة التوبة (٩) : الآيات ٦٢ الى ٦٣]يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين (٦٢) ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فأن له نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزي العظيم (٦٣)قال القرطبي: روى أن قوما من المنافقين اجتمعوا، وفيهم غلام من الأنصار يدعى عامر بن قيس، فحقروه وتكلموا فقالوا: إن كان ما يقوله محمد حقا لنحن شر من الحمير. فغضب الغلام وقال: والله إن ما يقوله محمد صلى الله عليه وسلم لحق، ولأنتم شر من الحمير. ثم أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بقولهم فحلفوا إن عامرا كاذب.فقال عامر: هم الكذبة، وحلف على ذلك وقال: اللهم لا تفرق بيننا حتى يتبين صدق الصادق وكذب الكاذب. فأنزل الله هذه الآية «٢» .فقوله- سبحانه-: يحلفون بالله لكم ليرضوكم خطاب للمؤمنين الذين كان المنافقون يذكرونهم بالسوء، ثم يأتون إليهم بعد ذلك معتذرين.______________(١) تفسير الكشاف ج ٢ ص ١٩٩.(٢) تفسير القرطبي ج ٨ ص ١٩٣- بتصرف يسير-." (٢)

"أى: إن هؤلاء المنافقين يحلفون بالله لكم- أيها المؤمنون- ليرضوكم، فتطمئنوا إليهم، وتقبلوا معاذيرهم.قال أبو السعود: وإفراد إرضائهم بالتعليل مع أن عمدة أغراضهم إرضاء الرسول صلى الله عليه وسلم للإيذان بأن ذلك بمعزل عن أن يكون وسيلة لإرضائه، وأنه- عليه الصلاة والسلام- إنما لم يكذبهم رفقا بهم، وسترا لعيوبهم، لا عن رضا بما فعلوا، وقبول قلبي لما قالوا.. «١» .وقوله: والله ورسوله أحق أن يرضوه جملة حالية في محل نصب من ضمير «يحلفون» جيء بها لتوبيخهم على إيثارهم رضا الناس على رضا الله ورسوله.أى: هم يحلفون لكم. والحال أن الله ورسوله أحق بالإرضاء منكم لأن الله- تعالى- هو خالقهم ورازقهم ومالك أمرهم، وهو العليم بما ظهر وبطن من أحوالهم. ولأن رسوله صلى الله عليه وسلم هو المبلغ لوحيه- عز وجل- قال صاحب المنار ما ملخصه: وكان الظاهر أن يقال: «يرضوهما» ونكتة العدول عنه إلى «يرضوه» : الإعلام بأن إرضاء رسوله عين إرضائه سبحانه ... وهذا من بلاغة القرآن في نفس الإيجاز. ولو قال «يرضوهما» لما أفاد هذا المعنى إذ يجوز في نفس العبارة أن يكون إرضاء كل منهما في غير ما يكون به إرضاء الآخر، وهو خلاف المراد هنا، وكذلك لو قيل:«والله أحق أن يرضوه، ورسوله أحق أن يرضوه» لا يفيد هذا المعنى أيضا وفيه ما فيه من الركاكة والتطويل

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٣٢٨/٦

(٢) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٣٣٥/٦

...وقد خرجه علماء النحو على قواعدهم ... وأقرب الأقوال إلى قواعدهم قول سيبويه: إن الكلام جملتان حذف خبر إحداهما لدلالة خبر الأخرى عليه، كقول الشاعر: نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض والرأى مختلف. فهذا لا تكلف فيه من ناحية التركيب العربي، ولكن تفوت به النكتة التي ذكرناها ... «٢» .وقوله: إن كانوا مؤمنين **تذييل** قصد به بيان أن الإيمان الحق لا يتم إلا بإرضاء الله ورسوله عن طريق طاعتهما والانقياد لأوامرهما. أى: إن كانوا مؤمنين حقا، فليعملوا على إرضاء الله ورسوله، بأن يطيعوا أوامرهما، ________(١) تفسير أبى السعود ج ٢ ص ٢٧٩.(٢) تفسير الكشاف ج ٢ ص ٢٧٩.." [١]

"أى: تركوا طاعة الله وخشيته ومراقبته، فتركهم- سبحانه- وحرمهم من هدايته ورحمته وفضله. وقوله: إن المنافقين هم الفاسقون **تذييل** قصد به المبالغة في ذمهم. أى: إن المنافقين هم الكاملون في الخروج عن طاعة الله، وفي الانسلاخ عن فضائل الإيمان، ومكارم الأخلاق. وقوله- سبحانه-: وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم ... بيان لسوء مصيرهم، بعد بيان جانب من صفاتهم الذميمة. أى: وعد الله- تعالى- المنافقين والمنافقات والكفار المجاهرين بكفرهم «نار جهنم خالدين فيها» خلودا أبديا. وقوله: هي حسبهم أى: إن تلك العقوبة الشديدة كافية لإهانتهم وإذلالهم بسبب فسوقهم عن أمر ربهم. وقوله: ولعنهم الله أى: طردهم وأبعدهم من رحمته ولطفه. وقوله: ولهم عذاب مقيم أى: ولهم عذاب دائم لا ينقطع فهم في الدنيا يعيشون في عذاب القلق والحذر من أن يطلع المسلمون على نفاقهم، وفي الآخرة يذوقون العذاب الذي هو أشد وأبقى، بسبب إصرارهم على الكفر والفسوق والعصيان. وبذلك نرى الآيتين الكريمتين قد بينتا جانبا من قبائح المنافقين، ومن سوء مصيرهم في عاجلتهم وآجلتهم. ثم ساقت السورة الكريمة- لهؤلاء المنافقين- نماذج لمن حبطت أعمالهم بسبب غرورهم، وضربت لهم الأمثال بمن هلك من الطغاة السابقين بسبب تكذيبهم لأنبيائهم، فقال- تعالى-:." [٢]

"لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب ...وسيف للمنافقين جاهد الكفار والمنافقين وسيف للبغاة فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله وهذا يقتضى أنهم يجاهدون بالسيوف إذا أظهروا النفاق، وهو اختيار ابن جرير. وقال ابن مسعود في قوله: جاهد الكفار والمنافقين قال: بيده، فإن لم يستطع فليكشر في وجهه- أى فليلق المنافق بوجه عابس لا طلاقة فيه ولا انبساط. وقال ابن عباس: أمره الله- تعالى- بجهاد المنافقين باللسان وأذهب الرفق عنهم. وقد يقال أنه لا منافاة بين هذه الأقوال، لأنه تارة يؤاخذهم بهذا، وتارة بهذا على حسب الأحوال ... «١» .والضمير المجرور في قوله: واغلظ عليهم يعود على الفريقين: الكفار والمنافقين أى: جاهدهم بكل ما تستطيع مجاهدتهم به، مما يقتضيه الحال، واشدد عليهم في هذه المجاهدة بحيث لا تدع مجالا معهم للترفق واللين، فإنهم ليسوا أهلا لذلك، بعد أن عموا وصموا عن النصيحة، وبعد أن لجوا في طغيانهم. وقوله: ومأواهم جهنم وبئس المصير **تذييل** قصد به بيان سوء مصيرهم في الآخرة بعد بيان ما يجب على المؤمنين نحوهم في الدنيا. أى: عليك- أيها النبي- أن تجاهدهم وأن تغلظ عليهم في الدنيا، أما في الآخرة فإن جهنم هي دارهم وقرارهم. والمخصوص بالذم محذوف

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٣٣٦/٦

(٢) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٣٤٤/٦

والتقدير: وبئس المصير مصيرهم، فانه لا مصير أسوأ من الخلود في جهنم.ومن هذه الآية الكريمة نرى أن على المؤمنين- في كل زمان ومكان- أن يجاهدوا أعداءهم من الكفار والمنافقين بالسلاح الذي يرونه كفيلا بأن يجعل كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى.ثم بين- سبحانه- ما كان عليه المنافقون من كذب وفجور، ومن خيانة وغدر، وفتح أمامهم باب التوبة، وأنذرهم بالعذاب الأليم إذا ما استمروا في نفاقهم فقال- سبحانه-:______________(١) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٣٨١.." (١)

"وقوله: وما لهم في الأرض من ولي ولا نصير **تذييل** قصد به تيئيسهم من كل معين أو ناصر.أى: أن هؤلاء المنافقين ليس لهم أحد في الأرض يدفع عنهم عذاب الله، أو يحميهم من عقابه، لأن عقاب الله لن يدفعه دافع إلا هو، فعليهم أن يثوبوا إلى رشدهم، وأن يتوبوا إلى ربهم قبل أن يحل بهم عذابه.ثم حكى- سبحانه- بعد ذلك نماذج أخرى من جحودهم، ونقضهم لعهودهم، وبخلهم بما آتاهم الله من فضله فقال- سبحانه-.[سورة التوبة (٩) : الآيات ٧٥ الى ٧٨]ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين (٧٥) فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون (٧٦) فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون (٧٧) ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب (٧٨)قال الإمام ابن كثير ما ملخصه: وقد ذكر كثير من المفسرين منهم ابن عباس والحسن البصري، أن سبب نزول هذه الآيات أن ثعلبة بن حاطب الأنصارى قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله، ادع الله أن يرزقني مالا. فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم: «ويحك يا ثعلبة، قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه. ثم قال له مرة أخرى: «أما ترضى أن تكون مثل نبي الله؟ فو الذي نفسي بيده لو شئت أن تصير الجبال معى ذهبا وفضة لصارت» .فقال ثعلبة، والذي بعثك بالحق لئن دعوت الله فرزقني مالا لأعطين كل ذي حق حقه.فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللهم ارزق ثعلبة مالا» .." (٢)

"واسم الإشارة «ذلك» يعود إلى امتناع المغفرة لهم، المفهوم من قوله: فلن يغفر الله لهم.أى: ذلك الحكم الذي أصدرناه عليهم بعدم مغفرة ذنوبهم مهما كثر استغفارك لهم، سببه:أنهم قوم «كفروا بالله ورسوله» ومن كفر بالله ورسوله، فلن يغفر الله له، مهما استغفر له المستغفرون، وشفع له الشافعون.وقوله: والله لا يهدي القوم الفاسقين **تذييل** مؤكد لما قبله، أى والله- تعالى- لا يهدى إلى طريق الخير أولئك الذين فسقوا عن أمره، وخرجوا عن طاعته، ولم يستمعوا إلى نصح الناصحين، وإرشاد المرشدين، وإنما آثروا الغواية على الهداية.هذا، ويؤخذ من هذه الآية الكريمة، شدة شفقته صلى الله عليه وسلم بأمته، وحرصه على هدايتها، وكثرة دعائه لها بالرحمة والمغفرة، وأنه مع إيذاء المنافقين له كان يستغفر لهم- أملا في توبتهم- إلى أن نهاه الله عن ذلك.روى ابن جرير عن ابن عباس أنه لما نزلت هذه الآية، قال الرسول صلى الله عليه وسلم أسمع ربي قد رخص لي فيهم، فو الله لأستغفرن أكثر من سبعين مرة، فلعل الله أن يغفر لهم، فقال الله- تعالى- من شدة غضبه عليهم سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم، لن يغفر الله لهم ... «١» .وعن قتادة لما نزلت هذه الآية قال

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٣٥٢/٦

(٢) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٣٥٦/٦

النبي صلى الله عليه وسلم: «وقد خيرني ربي فلأزيدنهم على السبعين» فقال الله- تعالى-: سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم، لن يغفر الله لهم ... «٢» .وهكذا أصدر الله حكمه العادل في هؤلاء المنافقين، بعدم المغفرة لهم، بسبب كفرهم به وبرسوله ...وبعد هذا الحديث الطويل المتنوع عن أحوال المنافقين ومسالكهم الخبيثة، أخذت السورة الكريمة في الحديث عن حال المنافقين الذين تخلفوا في المدينة، وأبوا أن يخرجوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم إلى تبوك، فقال- تعالى-:__________(١، ٢) تفسير ابن جرير ج ١٤ ص ٣٩٧. [.....]."[1]

"أى: أن حزن يوم واحد يجعل المسرات الطويلة قبله تتحول إلى ما يشبه الصاب مرارة، فكيف يكون الحال إذا كانت المسرات ساعة واحدة تعقبها أحقاب طويلة من المساءات؟!!.وقوله: لو كانوا يفقهون **تذييل** قصد به الزيادة في توبيخهم وتحقيرهم.أى: لو كانوا يفقهون أن نار جهنم أشد حرا ويعتبرون بذلك، لما فرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله، ولما كرهوا الجهاد، ولما قالوا ما قالوا، بل لحزنوا واكتأبوا على ما صدر منهم، ولبادروا بالتوبة والاستغفار، كما فعل أصحاب القلوب والنفوس النقية من النفاق والشقاق.وقوله: فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا.. وعيد لهم بسوء مصيرهم، وإخبار عن عاجل أمرهم وآجله، من الضحك القليل في الدنيا والبكاء الكثير في الآخرة.والمعنى: إنهم وإن فرحوا وضحكوا طوال أعمارهم في الدنيا، فهو قليل بالنسبة إلى بكائهم في الآخرة، لأن الدنيا فانية والآخرة باقية، والمنقطع الفاني قليل بالنسبة إلى الدائم الباقي.قال صاحب المنار: وفي معنى الآية قوله صلى الله عليه وسلم «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا» متفق عليه، بل رواه الجماعة إلا أبا داود من حديث أنس، ورواه الحاكم من حديث أبى هريرة بلفظ «لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا» .ثم قال: وإنما كان الأمر في الآية بمعنى الخبر، لأنه إنذار بالجزاء لا تكليف وقد قيل في فائدة هذا التعبير عن الخبر بالإنشاء، إنه يدل على أنه حتم لا يحتمل الصدق والكذب كما هو شأن الخبر لذاته في احتمالها، لأن الأصل في الأمر أن يكون للإيجاب وهو حتم..» «١» .وقوله: جزاء بما كانوا يكسبون **تذييل** قصد به بيان عدالته، سبحانه، في معاملة عباده.أى: أننا ما ظلمناهم بتوعدنا لهم بالضحك القليل وبالبكاء الكثير، وإنما هذا الوعيد جزاء لهم على ما اكتسبوه من فنون المعاصي، وما اجترحوه من محاربة دائمة لدعوة الحق.وقوله: جزاء مفعول للفعل الثاني. أى: ليبكوا جزاء، ويجوز أن يكون مصدرا حذف ناصبه. أى: يجزون بما ذكر من البكاء الكثير جزاء.وجمع- سبحانه- في قوله بما كانوا يكسبون بين صيغتي الماضي والمستقبل، للدلالة على الاستمرار التجددي ماداموا في الدنيا.ثم بين- سبحانه- ما يجب على الرسول نحو هؤلاء المخلفين الكارهين للجهاد، فقال:__________(١) تفسير المنار ج ١٠ ص ٦٦٠.." [2]

"وقوله: ويتربص بكم الدوائر معطوف على ما قبله، والتربص: الانتظار والترقب والدوائر: جمع دائرة. وهو ما يحيط بالإنسان من مصائب ونكبات، كما تحيط الدائرة بالشيء الذي بداخلها.أى: أنهم بجانب اعتبارهم ما ينفقونه غرامة وخسارة، ينتظرون بكم- أيها المؤمنون- صروف الدهر ونوائبه التي تبدل حالكم من الخير إلى الشر ومن النصر إلى الهزيمة، ومن الصحة إلى المرض والأسقام، ومن الأمان والاطمئنان إلى القلق والاضطراب..وقوله: عليهم دائرة السوء جملة معترضة،

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٦/٣٦٤

(٢) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٦/٣٦٧

جيء بها للدعاء عليهم.أى: عليهم لا عليكم- أيها المؤمنون- تدور دائرة السوء، التي يتبدل بها حالهم إلى الهلاك والفساد.والسوء- بفتح السين- مصدر ساءه يسوءه سوءا، إذا فعل به ما يكره، والسوء- بالضم- اسم منه. وقيل المفتوح بمعنى الذم، والمضموم بمعنى العذاب والضرر.وإضافة الدائرة إلى السوء من إضافة الموصوف إلى صفته للمبالغة، كما في قولهم: رجل صدق.وفي هذا التعبير ما فيه من الذم لهؤلاء المنافقين، لأنه- سبحانه- جعل السوء كأنه دائرة تطبق عليهم فلا تفلتهم، وتدور بهم فلا تدع لهم مهربا أو منجاة من عذابها وضررها.وقوله: والله سميع عليم **تذييل** قصد به تهديدهم وتحذيرهم بما ارتكسوا فيه من نفاق وكفر وشقاق.والله تعالى- «سميع» لكل ما يتفوهون به من أقوال، «عليم» بكل ما يظهرونه وما يبطنونه من أحوال، وسيحاسبهم على ما صدر منهم حسابا عسيرا يوم القيامة: وينزل بهم العقاب الذي يناسب جرائمهم..وبعد أن ذكر- سبحانه- حال هؤلاء الأعراب المنافقين، أتبعه ببيان حال المؤمنين الصادقين منهم فقال: ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر.أى: ومن الأعراب قوم آخرون من صفاتهم أنهم يؤمنون بالله إيمانا صادقا، ويؤمنون باليوم الآخر وما فيه من ثواب وعقاب.وقوله: ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول مدح لهم على إخلاصهم وسخائهم وطاعتهم ...والقربات: جمع قربة وهي ما يتقرب به الإنسان إلى خالقه من أعمال الخير، والمراد." (١)

"بصلوات الرسول: دعواته للمتقربين إلى الله بالطاعة.أى: ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر إيمانا حقا، ويعتبر كل ما ينفقه في سبيل الله وسيلة للتقرب إليه- سبحانه- وتعالى بالطاعة، ووسيلة للحصول على دعوات الرسول صلى الله عليه وسلم له بالرحمة والمغفرة، وبحسنات الدنيا والآخرة.ولقد كان من عادة النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعو للمتصدقين بالخير والبركة، فقد ورد في الحديث الشريف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا لآل أبى أوفى عند ما تقدموا إليه بصدقاتهم فقال: «اللهم صل على آل أبى أوفى» أى: ارحمهم وبارك لهم في أموالهم..وقوله: ألا إنها قربة لهم شهادة لهم منه سبحانه- بصدق إيمانهم، وخلوص نياتهم، وقبول صدقاتهم.والضمير في قوله إنها يعود على النفقة التي أنفقوها في سبيل الله وألا أداة استفتاح جيء بها لتأكيد الخبر والاهتمام به. أى: ألا إن هذه النفقات التي تقربوا بها إلى الله، مقبولة عنده- سبحانه- قبولا مؤكدا، وسيجازيهم عليها بما يستحقون من أجر جزيل ...وقوله سيدخلهم الله في رحمته وعد لهم بإحاطة رحمته بهم. والسين للتحقيق والتأكيد.أى: أن هؤلاء المؤمنين بالله واليوم الآخر، والمتقربين إليه سبحانه بالطاعات، سيغمرهم الله تعالى برحمته التي لا شقاء معها.قال صاحب الكشاف: وقوله: ألا إنها قربة لهم سيدخلهم الله في رحمته شهادة من الله للمتصدق بصحة ما اعتقد من كون نفقته قربات وصلوات، وتصديق لرجائه على طريق الاستئناف مع حرفى التنبيه والتحقيق المؤذنتين بثبات الأمر وتمكنه، وكذلك قوله:سيدخلهم وما في السين من تحقيق الوعد. وما أدل هذا الكلام على رضا الله تعالى عن المتصدقين، وأن الصدقة منه بمكان، إذا خلصت النية من صاحبها «١» .وقوله: «إن الله غفور رحيم» **تذييل** مقرر لما قبله على سبيل التعليل.أى: إن الله تعالى- واسع المغفرة، كثير الرحمة للمخلصين الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم.وبذلك نرى أن هذه الآيات الكريمة قد ذمت من يستحق الذم من الأعراب ومدحت من يستحق المدح منهم،

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٣٨٨/٦

وبينت مصير كل فريق ليكون عبرة للمعتبرين وذكرى للمتذكرين.ــــــــــــــــــ(١) تفسير الكشاف ج ٢ ص ٣١٤. [.....]."[1]

"ومن هنا قال الحنابلة وداود وأهل الظاهر لا مانع من أن يقول آخذ الزكاة: اللهم صل على آل فلان.وقال باقى الأئمة لا يجوز أن يقال: اللهم صل على آل فلان، وإن ورد في الحديث، لأن الصلاة صارت مخصوصة في لسان السلف بالأنبياء- صلوات الله عليهم-، كما أن قولنا:- عز وجل- صار مخصوصا بالله- تعالى-.قالوا: وإنما أحدث الصلاة على غير الأنبياء مبتدعو الرافضة في بعض الأئمة، والتشبه بأهل البدع منهى عنه.ولا خلاف في أنه يجوز أن يجعل غير الأنبياء تبعا لهم فيقال: اللهم صل على محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته.. لأن السلف استعملوا ذلك، وأمرنا به في التشهد، ولأن الصلاة على التابع تعظيم للمتبوع..» «١» .وقوله: والله سميع عليم أى: سميع لاعترافهم بذنوبهم وسميع لدعائك سماع قبول وإجابة، وعليم بندمهم وتوبتهم، وبكل شيء في هذا الكون، وسيجازى كل إنسان بما يستحقه من ثواب أو عقاب.ثم حرضهم- سبحانه- على التوبة النصوح، وحثهم على بذل الصدقات فقال: ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات....أى: ألم يعلم هؤلاء التائبون من ذنوبهم، أن الله- تعالى- وحده، هو الذي يقبل التوبة الصادقة من عباده المخلصين، وأنه- سبحانه- هو الذي «يأخذ الصدقات» .أى: يتقبلها من أصحابها قبول من يأخذ شيئا ليؤدى بدله: فالتعبير بالأخذ للترغيب في بذل الصدقات، ودفعها للفقراء. والاستفهام للتقرير والتحضيض على تجديد التوبة وبذل الصدقة.وقوله: وأن الله هو التواب الرحيم **تذييل** قصد به تقرير ما قبله وتأكيده.أى: وأن الله وحده هو الذي يقبل توبة عباده المرة بعد الأخرى، وأنه هو الواسع الرحمة بهم، الكثير المغفرة لهم:قال ابن كثير: قوله: ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات.. هذا تهييج إلى التوبة والصدقة اللتين كل منهما يحط الذنوب ويمحقها، وأخبر- تعالى- أن كل من تاب إليه تاب عليه، ومن تصدق بصدقة من كسب حلال فإن اللهــــــــــــــــ(١) تفسير آيات الأحكام- بتصرف وتلخيص ج ٣ ص ٤٨. [.....]."[2]

"أنفسهم بوضعهم الأمور في غير مواضعها.ثم بين- سبحانه- الآثار التي ترتبت على هدم مسجد الضرار، في نفوس هؤلاء المنافقين الأشرار فقال- تعالى- لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم، إلا أن تقطع قلوبهم، والله عليم حكيم.الريبة: اسم من الريب بمعنى الشك والقلق والحيرة، وتقطع- بفتح التاء- أصلها تتقطع فحذفت إحدى التاءين، من التقطع بمعنى التمزق. وقرأ بعضهم. «تقطع» - بضم التاء- من التقطيع بمعنى التفريق والتمزيق.والاستثناء مفرغ من أعم الأوقات والأحوال، والمستثنى منه محذوف، والتقدير: لا يزال ما بناه هؤلاء المنافقون موضع ريبة وقلق في نفوسهم في كل وقت وحال إلا في وقت واحد وهو وقت أن تتمزق قلوبهم بالموت والهلاك أى: أنهم لا يزالون في قلق وحيرة ما داموا أحياء، أما بعد موتهم فستتكشف لهم الحقائق، ويجدون مصيرهم الأليم.والسبب في أن هذا البناء كان مثار ريبتهم وقلقهم حتى بعد هدمه، أنهم بنوه بنية سيئة، ولتلك المقاصد الأربعة الخبيثة التي بينتها الآية الأولى ... فكانوا يخشون أن يطلع الله نبيهم على مقاصدهم

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٣٨٩/٦

(٢) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٣٩٨/٦

الذميمة، فهذه الخشية أورثتهم القلق والريبة، فلما أطلع الله- تعالى- نبيه على أغراضهم، وتم هدم مسجد الضرار، وانهار الجرف المتداعي المتساقط، استمر قلقهم وريبهم لأنهم لا يدرون بعد ذلك ماذا سيفعل المؤمنون بهم.وهكذا شأن الماكرين في كل زمان ومكان، إنهم يعيشون طول حياتهم في فزع وقلق وخوف من أن ينكشف مكرهم، ويظهر خداعهم.وقوله: والله عليم حكيم تذييل قصد به تهديدهم وزجرهم.أى: والله- تعالى- عليم بكل شيء في هذا الكون، وبكل ما يقوله ويفعله هؤلاء المنافقون سرا وجهرا: حكيم في كل تصرفاته وأفعاله وفي صنعه بهم، وسيجازيهم يوم القيام بما يستحقونه من عقاب.هذا، ومن الأحكام والآداب التي أخذها العلماء من هذه الآيات ما يأتى:١- وجوب بناء المساجد على تقوى من الله ورضوان، لأنها إذا بنيت على هذا الأساس، كانت محل القبول والثواب من الله، أما إذا بنيت لأى مقصد يتنافى مع آداب الإسلام وأحكامه وتشريعاته، فإنها تكون بعيدة عن رضا الله- تعالى- وقبوله.قال بعض العلماء، دلت الآيات على أن كل مسجد بنى على ما بنى عليه مسجد الضرار، أنه لا حكم له ولا حركة، ولا يصح الوقف عليه. وقد حرق الراضي بالله- الخليفة." (١)

"الجهد، أصابهم فيها تعب شديد، حتى لقد ذكر لنا أن الرجلين كانا يشقان التمرة بينهما «١» .وقال الحسن: كان العشرة منهم يعتقبون بعيرا واحدا، يركب الرجل منهم ساعة ثم ينزل فيركب صاحبه كذلك، وكان النفر منهم يخرجون وليس معهم إلا التمرات اليسيرة فإذا بلغ الجوع من أحدهم أخذ التمرة فلاكها حتى يجد طعمها، ثم يشرب عليها جرعة من الماء..ومضوا مع النبي صلى الله عليه وسلم على صدقهم ويقينهم- رضى الله عنهم «٢» .وقوله: من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم بيان لتناهى الشدة، وبلوغها الغاية القصوى.أى: تاب- سبحانه- على الذين اتبعوا رسوله من المهاجرين والأنصار، من بعد أن أشرف فريق منهم على الميل عن التخلف عن الخروج إلى غزوة تبوك، لما لابسها وصاحبها من عسر وشدة وتعب.وفي ذكر «فريق منهم» إشارة إلى أن معظم المهاجرين والأنصار، مضوا معه صلى الله عليه وسلم إلى تبوك دون أن تؤثر هذه الشدائد في قوة إيمانهم وصدق يقينهم، ومضاء عزيمتهم، وشدة إخلاصهم.قال الآلوسى ما ملخصه: وفي «كاد» ضمير الشأن و «قلوب» فاعل «يزيغ» والجملة في موضع الخبر لكاد.. وهذا على قراءة «يزيع» بالياء، وهي قراءة حمزة، وحفص، والأعمش. وأما على قراءة «تزيغ» بالتاء، وهي قراءة الباقين. فيحتمل أن يكون «قلوب» اسم كاد «وتزيغ» خبرها، وفيه ضمير يعود على اسمها» «٣» .وقوله: ثم تاب عليهم إنه بهم رؤف رحيم تذييل مؤكد لقبول التوبة ولعظيم فضل الله عليهم. ولطفه بهم.أى: ثم تاب عليهم- سبحانه- بعد أن كابدوا ما كابدوا من العسر والمشقة ومجاهدة النفس. إنه بهم رءوف رحيم.قال بعضهم: فإن قلت: قد ذكر التوبة أولا ثم ذكرها ثانيا فما فائدة التكرار؟قلت: إنه- سبحانه- ذكر التوبة أولا قبل ذكر الذنب تفضلا منه وتطييبا لقلوبهم، ثم ذكر الذنب بعد ذلك وأردفه بذكر التوبة مرة أخرى، تعظيما لشأنهم، وليعلموا أنه- تعالى- قد قبل توبتهم، وعفا عنهم، ثم أتبعه بقوله- سبحانه- إنه بهم رؤف رحيم

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٤٠٦/٦

تأكيدا_____________(١) راجع تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٣٩٦.(٢) حاشية الجمل على الجلالين ج ٢ ص ٣٢٤.(٣) راجع تفسير الآلوسى ج ١١ ص ٤٠. [.....]."(١)

"وقوله: يلونكم من الولي بمعنى القرب، تقول جلست مما يلي فلان أى: يقاربه.قال ابن كثير: أمر الله المؤمنين أن يقاتلوا الكفار أولا فأولا، الأقرب فالأقرب، إلى حوزة الإسلام، ولهذا بدأ الرسول صلى الله عليه وسلم بقتال المشركين في جزيرة العرب، فلما فرغ منهم وفتح الله عليه مكة والمدينة واليمن.. وغير ذلك من أقاليم العرب، دخل الناس من سائر أحياء العرب في دين الله أفواجا، شرع في قتال أهل الكتاب، فتجهز لغزو الروم الذين هم أقرب الناس إلى جزيرة العرب، وأولى الناس بالدعوة إلى الإسلام لأنهم أهل كتاب، فبلغ تبوك ثم رجع لأجل جهد الناس، وجدب البلاد، وضيق الحال، ذلك سنة تسع من الهجرة، ثم اشتغل في السنة العاشرة بحجة الوداع، ثم عاجلته المنية- صلوات الله وسلامه عليه- بعد حجة الوداع بأحد وثمانين يوما وسار خلفاؤه الراشدون من بعده على نهجه.وقوله وليجدوا فيكم غلظة أى: وليجد الكفار منكم غلظة عليهم في قتالكم، فإن المؤمن الكامل هو الذي يكون رفيقا بأخيه المؤمن، غليظا على عدوه الكافر. قال- تعالى-: محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم.وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أنا الضحوك القتال» يعنى: أنه ضحوك في وجه وليه المؤمن، قتال لهامة عدوه الكافر» «١» .وقوله: واعلموا أن الله مع المتقين **تذييل** قصد به حض المؤمنين على التسلح بسلاح الإيمان والتقوى حتى ينالوا نصر الله وعونه.أى: واعلموا أن الله- تعالى- مع المتقين بنصره ومعونته، فاحرصوا على هذه الصفة ليستمر معكم نصره- سبحانه- وعونه.وإنما أمر الله- تعالى- المؤمنين أن يبدءوا قتالهم مع الأقرب فالأقرب من ديارهم، لأن القتال شرع لتأمين الدعوة الإسلامية، وقد كانت دعوة الإسلام موجهة إلى الأقرب فالأقرب، فكان من الحكمة أن يبدءوا قتالهم مع المجاورين لهم حتى يأمنوا شرهم، ولأنه من المعلوم أنه ليس في طاقة المسلمين قتال جميع الكفار، وغزو جميع البلاد في زمان واحد، فكان من قرب أولى ممن بعد.ثم ختمت السورة- أيضا- حديثها الطويل المتنوع عن المنافقين ببيان موقفهم من نزول الآيات القرآنية على الرسول صلى الله عليه وسلم_____________(١) تفسير ابن كثير- بتصرف وتلخيص- ج ٢ ص ٤٠١.." (٢)

"وسمى- سبحانه- الكفر رجسا، لأنه أقبح الأشياء وأسوؤها.وقوله: وماتوا وهم كافرون **تذييل** قصد به بيان سوء عاقبتهم في الآخرة بعد بيان سوء أعمالهم في الدنيا.أى: لقد قضى هؤلاء المنافقون حياتهم في الكفر والفسوق والعصيان، ثم لم يتوبوا عن ذلك ولم يرجعوا عنه، بل ماتوا على الكفر والنفاق.وقوله: أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين.. توبيخ لهم على قسوة قلوبهم، وانطماس بصيرتهم، وغفلتهم عما يدعو إلى الاعتبار والاتعاظ.أى: أبلغ الجهل والسفه وعمى البصيرة بهؤلاء، أنهم صاروا لا يعتبرون ولا يتعظون بما حاق من فتن واختبارات وابتلاءات، تنزل بهم في كل عام مرة أو مرتين؟ومن هذه الفتن والامتحانات: كشف مكرهم عن طريق اطلاع رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما يضمرونه من سوء، وما يقولونه من منكر، وما يفعلونه من أفعال خبيثة، وحلول المصائب والأمراض بهم، ومشاهدتهم لانتصار المؤمنين

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٤٢٠/٦

(٢) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٤٢٩/٦

وخذلان الكافرين.قال الآلوسى: والمراد من المرة والمرتين- على ما صرح به بعضهم- مجرد التكثير، لا بيان الوقوع على حسب العدد المذكور.وقوله: ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون بيان لرسوخهم في الجهل والجحود.أى: ثم بعد كل هذه الفتن النازلة بهم، لا يتوبون من نفاقهم «ولا هم يذكرون» ويتعظون، بل يصرون على مسالكهم الخبيثة، وأعمالهم القبيحة، مع أن من شأن الفتن والمصائب والمحن، أنها تحمل على الاعتبار والاتعاظ، والرجوع عن طريق الشر إلى طريق الخير.ثم تصور السورة الكريمة تصويرا معجزا، مشهدهم عند ما تنزل السورة القرآنية على الرسول صلى الله عليه وسلم وهم حاضرون في مجلسه فتقول: وإذا ما أنزلت سورة أو آيات منها، على الرسول صلى الله عليه وسلم وهم موجودون في مجلسه نظر بعضهم إلى بعض في ريبة ومكر، وتغامزوا بعيونهم وجوارحهم في لؤم وخسة ثم تساءلوا: هل يراكم من أحد أى:هل يراكم من أحد من المسلمين إذا ما قمتم من هذا المجلس، قبل أن يتلو الرسول صلى الله عليه وسلم هذه السورة أو الآيات التي قد تفضحكم وتكشف عما أسررتموه فيما بينكم.ثم انصرفوا من مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم متسللين في حذر حتى لا يراهم أحد من المسلمين.." (١)

"وبلوغهم فيه أقصى الغايات، لأنهم مع وضوح الشواهد على صدق الرسل، استمروا في جحودهم وظلمهم.وقوله: وما كانوا ليؤمنوا معطوف على ظلموا. أى: أهلكنا أهل القرون السابقين عليكم حين استمروا على ظلمهم، وحين علم الله- تعالى- منهم الإصرار على الكفر، فإهلاكهم كان بسبب مجموع هذين الأمرين.وقوله: كذلك نجزي القوم المجرمين تذييل قصد به التهديد والوعيد.أى: مثل ذلك الجزاء الأليم وهو إهلاك الظالمين، نجزى القوم المجرمين في كل زمان ومكان.وقوله- سبحانه-: ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون معطوف على قوله أهلكنا.والخلائف جمع خليفة. وهو كل من يخلف غيره ويأتى من بعده.أى: ثم جعلناكم أيها المكلفون باتباع النبي صلى الله عليه وسلم خلفاء في الأرض من بعد أولئك الأقوام المهلكين لنرى ونشاهد ونعلم أى عمل تعملون في خلافتكم فنجازيكم على ذلك بالجزاء المناسب الذي تقتضيه حكمتنا وإرادتنا، وكيف مفعول مطلق ل تعملون لا لننظر لأن الاستفهام له الصدارة، فلا يعمل فيه ما قبله.قال الآلوسى: واستعمال النظر بمعنى العلم مجاز، حيث شبه بنظر الناظر. وعيان المعاين في تحققه. والمراد نعاملكم معاملة من يطلب العلم بأعمالكم ليجازيكم بحسبها، كقوله- تعالى- ليبلوكم أيكم أحسن عملا «١» .قال قتادة: صدق الله ربنا، ما جعلنا خلفاء إلا لينظر إلى أعمالنا، فأروا الله من أعمالكم خيرا، بالليل والنهار.ثم حكى- سبحانه- بعض المقترحات الفاسدة التي اقترحها المشركون على النبي صلى الله عليه وسلم ورد عليها بما يبطلها فقال- تعالى-:__________(١) تفسير الآلوسى ج ١١ ص ٨٣.." (٢)

"لا يحصل إلا بالوحي والإلهام من الله- تعالى- «١» .ثم ختم- سبحانه- الرد على هؤلاء الذين لا يرجون لقاءه، بالحكم عليهم بعدم الفلاح فقال- تعالى- فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته، إنه لا يفلح المجرمون والاستفهام في قوله: فمن أظلم للإنكار والنفي.أى: لا أحد أشد ظلما عند الله، وأجدر بعقابه وغضبه، ممن افترى عليه

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٤٣١/٦

(٢) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٣٨/٧

الكذب، بأن نسب إليه- سبحانه- ما هو برىء منه، أو كذب بآياته وحججه التي أنزلها لتأييد رسله.وقوله: إنه لا يفلح المجرمون **تذييل** قصد به التهديد والوعيد.أى: إن حال وشأن هؤلاء المجرمين، أنهم لا يفلحون. ولا يصلون إلى ما يبغون ويريدون.هذا، وقد ساق الإمام ابن كثير عند تفسيره لهذه الآيات بعض الشواهد الدالة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغه عن ربه فقال عند تفسيره لهذه الآية: «لا أحد أشد ظلما ممن افترى على الله كذبا، وتقول على الله، وزعم أن الله أرسله ولم يكن كذلك.. ومثل هذا لا يخفى أمره على الأغبياء فكيف يشتبه حال هذا بالأنبياء. فإن من قال هذه المقالة صادقا أو كاذبا. فلا بد أن الله ينصب من الأدلة على بره أو فجوره ما هو أظهر من الشمس. فإن الفرق بين محمد صلى الله عليه وسلم وبين مسيلمة الكذاب لمن شاهدهما أظهر من الفرق بين وقت الضحى وبين نصف الليل في حندس الظلماء. فمن شيم كل منهما وأفعاله وكلامه يستدل من له بصيرة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم وكذب مسيلمة..» «٢» .ثم حكى- سبحانه- أقبح رذائلهم، وهي عبادتهم لغير الله، ودعواهم أن أصنامهم ستشفع لهم فقال- تعالى-:[سورة يونس (١٠) : آية ١٨]ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون (١٨)______________(١) تفسير الفخر الرازي ج ١٧ ص ٥٧.(٢) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٤١.." (١)

"واعلموا أن هذا البغي إنما تتمتعون به متاع الحياة الدنيا التي لا بقاء لها، وإنما هي إلى زوال وفناء.واعلموا كذلك أن مردكم إلينا بعد هذا التمتع الفاني. فنخبركم يوم الدين بكل أعمالكم، وسنجازيكم عليها بالجزاء الذي تستحقونه.وقوله: إنما بغيكم مبتدأ وخبره على أنفسكم أى هو عليكم في الحقيقة لا على الذين تبغون عليهم.وقوله: متاع الحياة الدنيا: قرأ حفص عن عاصم متاع بفتح العين على أنه مصدر مؤكد لفعل مقدر. أى: تتمتعون به متاع الحياة الدنيا الزائلة الفانية.وقرأ الجمهور بالرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف والتقدير: هو متاع الحياة الدنيا. وقوله:ثم إلينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون **تذييل** قصد به تهديدهم على بغيهم، ووعيدهم عليه بسوء المصير حتى يرتدعوا وينزجروا.هذا، ومن الأحكام والآداب التي أخذها العلماء من هذه الآيات ما يأتى:١- أن من الواجب على العاقل أن يكثر من ذكر الله في حالتي الشدة والرخاء، وأن لا يكون ممن يدعون الله عند الضر وينسونه عند العافية، ففي الحديث الشريف: «تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة» .٢- ان الناس جبلوا على الرجوع إل الله وحده عند المصائب والمحن، وفي ذلك يقول الآلوسى: «روى أبو داود والنسائي وغيرهما عن سعد بن أبي وقاص قال: لما كان يوم الفتح فر عكرمة بن أبي جهل فركب البحر فأصابتهم ريح عاصف، فقال أصحاب السفينة لركابها: أخلصوا فإن آلهتكم لا تغنى عنكم شيئا. فقال عكرمة: لئن لم ينجني في البحر إلا الإخلاص، ما ينجيني في البر غيره. اللهم إن لك عهدا إن أنت عافيتني مما أنا فيه أن آتى محمدا حتى أضع يدي في يده، فلأجدنه عفوا كريما. قال: فجاء فأسلم.وفي رواية ابن سعد عن أبي مليكه: أن عكرمة لما ركب السفينة وأخذتهم الريح فجعلوا يدعون الله- تعالى- ويوحدونه فقال: ما هذا؟ فقالوا: هذا مكان لا ينفع فيه إلا الله- تعالى-. قال: «فهذا ما

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٤٢/٧

يدعونا إليه محمد صلى الله عليه وسلم فارجعوا بنا» . فرجع وأسلم ... » «١» .وقال الفخر الرازي: «يحكى أن واحدا قال لجعفر الصادق: اذكر لي دليلا على إثبات_______________(١) تفسير الآلوسى ج ١١ ص ٩٧.." (١)

"النافذ، وأمرنا المقدر لإهلاكها بالليل وأصحابها نائمون، أو بالنهار وهم لا هون، فجعلناها بما عليها كالأرض المحصودة، التي استؤصل زرعها.وقوله: كأن لم تغن بالأمس تأكيد لهلاكها واستئصال ما عليها من نبات بصورة سريعة حاسمة.أى: جعلناها كالأرض المحصودة التي قطع زرعها، حتى لكأنها لم يكن بها منذ وقت قريب: الزرع النضير، والنبات البهيج، والنخل الباسق، والطلع النضيد.قال القرطبي قوله: كأن لم تغن بالأمس أى: لم تكن عامرة. من غنى بالمكان إذا أقام فيه وعمره، والمغاني في اللغة: المنازل التي يعمرها الناس» «١» .وقال ابن كثير: قوله: كأن لم تغن بالأمس أى كأنها ما كانت حينا قبل ذلك، وهكذا الأمور بعد زوالها كأنها لم تكن، ولهذا جاء في الحديث الشريف: «يؤتى بأنعم أهل الدنيا فيغمس في النار غمسة فيقال له: هل رأيت خيرا قط؟ هل مر بك نعيم قط؟ فيقول لا.ويؤتى بأشد الناس عذابا في الدنيا فيغمس في النعيم غمسة ثم يقال له: هل رأيت بؤسا قط فيقول لا» «٢» .والمراد بالأمس هنا: الوقت الماضي القريب: لا خصوص اليوم الذي قبل يومك.وقوله: كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون **تذييل** قصد به الحض على التفكير والاعتبار.أى: كهذا المثل في وضوحه وبيانه لحال الحياة الدنيا، وقصر مدة التمتع بها نفصل الآيات ونضرب الأمثال الدالة على وحدانيتنا وقدرتنا لقوم يحسنون التفكير والتدبر في ملكوت السموات والأرض.قال الجمل ما ملخصه: «وهذه الآية مثل ضربه الله- تعالى- للمتشبث في الدنيا الراغب في زهرتها وحسنها.. ووجه التمثيل أن غاية هذه الدنيا التي ينتفع بها المرء، كناية عن هذا النبات الذي لما عظم الرجاء في الانتفاع به، وقع اليأس منه، ولأن المتمسك بالدنيا إذا نال منها بغيته أتاه الموت بغتة فسلبه ما هو فيه من نعيم الدنيا ولذتها» «٣» ._______________(١) تفسير القرطبي ج ٨ ص ٣٢٨. [.....](٢) تفسير أبن كثير ج ٢ ص ٤١٣.(٣) حاشية الجمل على الجلالين ج ٢ ص ٣٤٢.." (٢)

"أحسنوا الحسنى وزيادة قال: «الحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه الله- تعالى-» «١» .والمقصود بقوله: ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة الإخبار عن خلوص نعيمهم من كل ما يكدر الصفو، إثر بيان ما أعطاهم من رضوان.وقوله: يرهق من الرهق بمعنى الغشيان والتغطية. يقال: رهقه يرهقه رهقا- من باب طرب- أى غشيه وغطاه بسرعة.والقتر والقترة: الغبار والدخان الذي فيه سواد والذلة: الهوان والصغار. يقال: ذل فلان يذل ذلة وذلا، إذا أصابه الصغار والحقارة.أى: ولا يغطى وجوههم يوم القيامة شيء مما يغطى وجوه الكفار، من السواد والهوان والصغار.وهذه الجملة بما اشتملت عليه من المعاني، توحى بأن في يوم القيامة من الزحام والأهوال والكروب. ما يجعل آثار الحزن أو الفرح ظاهرة على الوجوه والمشاعر، فهناك وجوه عليها غبرة. ترهقها قترة وهناك وجوه ناضرة. إلى ربها ناظرة.وقوله: أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون **تذييل** قصد به تأكيد مدحهم ومسرتهم.أى: أولئك المتصفون بتلك الصفات الكريمة هم أصحاب دار السلام، وهم خالدون فيها خلودا أبديا، لا خوف معه ولا زوال.ثم بين- سبحانه- مصير الظالمين، بعد أن بين حسن عاقبة المحسنين، ليهلك من هلك

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٥٢/٧

(٢) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٥٦/٧

عن بينة، ويحيى من حي عن بينة فقال- تعالى-: والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها، وترهقهم ذلة، ما لهم من الله من عاصم، كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما.أى: إذا كان جزاء الذين أحسنوا الحسنى وزيادة، فإن جزاء الذين اجترحوا السيئات، واقترفوا الموبقات، سيئات مثل السيئات التي ارتكبوها كما قال- تعالى- وجزاء سيئة سيئة مثلها.والمقصود أنهم كما كسبوا السيئات في الدنيا، فإن الله- تعالى- يجازيهم عليها في الآخرة بما يستحقون من عذاب ومصير سيئ.______________(١) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٤١٤.." (١)

"وقوله: نحشرهم أى نجمعهم يوم القيامة للحساب، يقال: حشر القائد جنده، إذا جمعهم للحرب أو لأمر من الأمور.ويوم ظرف زمان منصوب بفعل مقدر.والمعنى: واذكر أيها الرسول الكريم أو أيها الإنسان العاقل، يوم نجمع الناس كافة، لنحاسبهم على أعمالهم في الدنيا.ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم أى: ثم نقول للمشركين منهم في هذا اليوم العصيب، الزموا مكانكم أنتم وشركاؤكم فلا تبرحوه حتى يقضى الله قضاءه فيكم، فقوله: مكانكم ظرف مكان منصوب بفعل مقدر، وقوله وشركاؤكم معطوف على ضمير الفعل المقدر، وقوله أنتم تأكيد له. أى قفوا مكانكم أنتم وشركاؤكم.وجاء العطف بثم، للإشارة إلى أن بين حشرهم وبين ما يقال لهم، مواقف أخرى فيها من الأهوال ما فيها، فثم هنا للتراخي النسبي.وقال- سبحانه- مكانكم أنتم وشركاؤكم مع أن المشركين كانوا يعتبرون معبوداتهم شركاء الله- من باب التهكم بهم. وللإشارة إلى أن ما عبدوهم لم يكونوا في يوم من الأيام شركاء لله، وإنما المشركون هم الذين وصفوهم بذلك افتراء وكذبا.وجاء وصفهم بالشرك في حيز الصلة، للإيذان بأنه أكبر جناياتهم وأن شركهم بالله- تعالى- هو الذي أدى بهم إلى هذا المصير المؤلم.وقوله: فزيلنا بينهم أى: ففرقنا بينهم، وقطعنا ما بينهم من صلات، وميزنا بعضهم عن بعض كما يميز بين الخصوم عند التقاضي والمساءلة.وزيلنا: من التزييل بمعنى التمييز والتفريق، يقال: زيلت الشيء أزيله إذا نحيته وأبعدته، ومنه قوله- تعالى- : لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما «١» أى:لو تميزوا وتفرقوا.وعبر بالفاء للدلالة على أن هذا التفريق والتمييز قد حدث عقب الخطاب من غير مهلة وجاء الأسلوب بصيغة الماضي مع أن هذا **التذييل** سيكون في الآخرة، للإيذان بتحقيق الوقوع، وإلى زيادة التوبيخ والتحسير لهم.وقوله: وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون معطوف على ما قبله.______________(١) سورة الفتح الآية ٢٥.." (٢)

"والتنكير في قوله ظنا للتنويع. أى لا يتبع أكثرهم إلا نوعا من الظن الواهي الذي لا يستند إلى دليل أو برهان.وقوله: إن الظن لا يغني من الحق شيئا استئناف مسوق لبيان شأن الظن وبطلانه.والمراد بالظن هنا: ما يخالف العلم واليقين، والمراد بالحق: العلم والاعتقاد الصحيح المطابق للواقع.أى: إن الظن الفاسد المبنى على الأوهام لا يغنى صاحبه شيئا من الإغناء، عن الحق الثابت الذي لا ريب في ثبوته وصحته.وقوله شيئا مفعول مطلق أى: لا يغنى شيئا من الإغناء، ويجوز أن يكون مفعولا به على جعل يغنى بمعنى يدفع.وقوله: إن الله عليم بما يفعلون **تذييل** قصد به التهديد والوعيد.أى: إن الله- تعالى- عليم بأقوالهم وأفعالهم، وسيحاسبهم عليها يوم القيامة، وسينالون ما يستحقونه من عقاب بسبب أقوالهم الباطلة. وأفعالهم

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٧/٥٩

(٢) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٧/٦١

الفاسدة.قال صاحب المنار ما ملخصه: «استدل العلماء بهذه الآية على أن العلم اليقيني واجب في الاعتقاديات، ويدخل في الاعتقاديات الإيمان بأركان الإسلام وغيرها من الفرائض والواجبات القطعية، والإيمان بتحريم المحظورات القطعية كذلك ...أما ما دون العلم اليقيني مما لا يفيد إلا الظن فلا يؤخذ به في الاعتقاد وهو متروك للاجتهاد في الأعمال، كاجتهاد الأفراد في الأعمال الشخصية، واجتهاد أولى الأمر في الإدارة والسياسة، مع التقيد بالشورى وتحرى العدل..» «١» .وبعد أن ساقت السورة الكريمة ألوانا من البراهين الدالة على وحدانية الله- تعالى-، وعلى صدق الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يبلغه عن ربه، وعلى أن هذا القرآن من عند الله تعالى، عادت السورة الكريمة إلى الحديث عن القرآن الكريم، فتحدت أعداءه أن يأتوا بسورة مثله، ووصفتهم بالجهالة وسفاهة الرأى، وصورت أحوالهم ومواقفهم من دعوة الحق تصويرا بليغا. استمع إلى السورة الكريمة وهي تتحدث عن كل ذلك فتقول:__________(١) تفسير المنار ج ١١ ص ٣٦٤.." (١)

"المال. من الإبل والرقيق والخيل والغنم. فقال: إذا آتاك الله مالا فلير عليك ثم قال: هل تنتج إبلك صحاحا آذانها، فتعمد إلى موسى فتقطع آذانها فتقول: هذه بحر. وتشق جلودها وتقول هذه صرم وتحرمها عليك وعلى أهلك. قال: نعم. قال: فإن ما آتاك الله لك حل.ساعد الله أشد من ساعدك. وموسى الله أحد من موساك» «١» .وقوله: قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون استفهام قصد به التوبيخ والزجر أى:قل لهم يا محمد على سبيل التوبيخ والزجر: إن الله وحده هو الذي يملك التحليل والتحريم، فهل هو- سبحانه- أذن لكم في ذلك، أو إنما أنتم الذين حللتم وحرمتم على حسب أهوائكم. لأنه لو أذن لكم في ذلك لبينه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم.قال صاحب الكشاف: «وقوله: آلله أذن لكم متعلق بأرأيتم، وقل تكرير للتوكيد. والمعنى أخبرونى آلله أذن لكم في التحليل والتحريم، فأنتم تفعلون ذلك بإذنه، أم تكذبون على الله في نسبة ذلك إليه. ويجوز أن تكون الهمزة للإنكار وأم منقطعة، بمعنى: بل أتفترون على الله، تقريرا للافتراء.ثم قال: وكفى بهذه الآية زاجرا بليغا عن التجوز فيما يسأل عنه من الأحكام، وباعثة على وجوب الاحتياط فيه، وأن لا يقول أحد في شيء جائز أو غير جائز إلا بعد إيقان وإتقان، ومن لم يوقن فليتق الله وليصمت وإلا فهو مفتر على الله» «٢» .ثم توعدهم- سبحانه- بسوء المصير على جرأتهم وكذبهم فقال وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة....أى: هؤلاء الذين أحلوا وحرموا افتراء على الله ماذا يظنون أن الله سيفعل بهم يوم القيامة؟ أيظنون أن الله سيتركهم بدون عقاب؟ كلا إن عقابهم لشديد بسبب افترائهم عليه الكذب.وأبهم- سبحانه- هذا العقاب للتهويل والتعظيم، حيث أباحوا لأنفسهم ما لم يأذن به الله- تعالى-:وقال- سبحانه- وما ظن ... بصيغة الماضي لتحقيق الوقوع، وأكثر أحوال القيامة يعبر عنها بهذه الصيغة لهذا الغرض.وقوله: إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون **تذييل** قصد به حض الناس على شكر خالقهم، واتباع شريعته فيما أحل وحرم.__________(١) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٤٢٣.(٢) تفسير الكشاف ج ٢ ص ٢٤٢.." (٢)

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٦٩/٧

(٢) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٩١/٧

"هذا الموضع، أريد بها ذرية من أرسل إليه موسى من بنى إسرائيل، وإنما قلت هذا القول أولى بالصواب، لأنه لم يجر في هذه الآية ذكر لغير موسى، فلأن تكون الهاء في قوله من قومه من ذكر موسى لقربها من ذكره أولى من أن تكون من ذكر فرعون، لبعد ذكره منها.ولأن في قوله على خوف من فرعون وملائهم الدليل الواضح على أن الهاء في قوله إلا ذرية من قومه من ذكر موسى لا من ذكر فرعون، لأنها لو كانت من ذكر فرعون لكان الكلام على خوف منه، ولم يكن على خوف من فرعون..» «١» .وقوله: على خوف من فرعون وملائهم أن يفتنهم ... حال من كلمة ذرية، وعلى هنا بمعنى مع. والضمير في قوله ملائهم يعود إلى ملأ الذرية، وهم كبار بنى إسرائيل الذين لاذوا بفرعون طمعا في عطائه أو خوفا من عقابه ولم يتبعوا موسى- عليه السلام-.والمعنى: فما آمن لموسى الا عدد قليل من شباب قومه، والحال أن إيمانهم كان مع خوف من فرعون ومن أشراف قومهم أن يفتنوهم عن دينهم، أى: أن يعذبوهم ليحملوهم على ترك اتباع موسى- عليه السلام.والضمير في يفتنهم يعود إلى فرعون خاصة، لأنه هو الآمر بالتعذيب ولأن الملأ إنما كانوا يأتمرون بأمره، وينتهون عن نهيه، فهم كالآلة في يده يصرفها كيف يشاء.وجملة أن يفتنهم في تأويل مصدر، بدل اشتمال من فرعون، أى: على خوف من فرعون فتنته.وقوله: وإن فرعون لعال في الأرض وإنه لمن المسرفين اعتراض **تذييلى** مؤكد لمضمون ما قبله، ومقرر لطغيان فرعون وعتوه.أى: وإن فرعون المتكبر متجبر في أرض مصر كلها، وإنه لمن المسرفين المتجاوزين لكل حد في الظلم والبغي وادعاء ما ليس له.والمتجبرون والمسرفون يحتاجون في مقاومتهم إلى إيمان عميق، واعتماد على الله وثيق، وثبات يزيل المخاوف ويطمئن القلوب إلى حسن العاقبة، ولذا قال موسى لأتباعه المؤمنين:يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين.أى: قال موسى لقومه تطمينا لقلوبهم، وقد رأى الخوف من فرعون يعلو وجوه بعضهم:يا قوم إن كنتم آمنتم بالله حق الإيمان، وأسلمتم وجوهكم له حق الإسلام فعليه وحده________________(١) تفسير أبن جرير ج ٧ ص ١٠٤ طبعة دار المعرفة- بيروت.." (١)

"قال القرطبي: «المراد صلوا في بيوتكم سرا لتأمنوا، وذلك حين أخافهم فرعون، فأمروا بالصبر واتخاذ المساجد في البيوت، والإقدام على الصلاة، والدعاء، إلى أن ينجز الله وعده، وهو المراد بقوله قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا وكان من دينهم أنهم لا يصلون إلا في البيع والكنائس ماداموا على أمن، فإذا خافوا فقد أذن لهم أن يصلوا في بيوتهم ... » «١» .وقوله: وأقيموا الصلاة أى: داوموا عليها، وأدوها في أوقاتها بخشوع وإخلاص، فإن في أدائها بهذه الصورة. وسيلة إلى تفريج الكروب، وفي الحديث الشريف: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر صلى» .وقوله وبشر المؤمنين **تذييل** قصد به بعث الأمل في نفوسهم متى أدوا ما كلفوا به.أى: وبشر المؤمنين بالنصر والفلاح في الدنيا، وبالثواب الجزيل في الآخرة.قال صاحب الكشاف: «فإن قلت: كيف نوع الخطاب فثنى أولا، ثم جمع، ثم وحد آخرا؟قلت: خوطب موسى وهارون- عليه السلام- أن يتبوآ لقومهما بيوتا ويختاراها للعبادة، وذلك مما يفوض إلى الأنبياء. ثم سيق الخطاب عاما لهما ولقومهما باتخاذ المساجد والصلاة فيها، لأن ذلك واجب على الجمهور. ثم خص موسى- عليه السلام- بالبشارة التي هي الغرض تعظيما لها، وللمبشر بها» «٢» .ولأن بشارة الأمة- كما يقول الآلوسى- وظيفة صاحب الشريعة، وهي من الأعظم

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ١١٩/٧

أسر وأوقع في النفس «٣» .هذا، ومن التوجيهات الحكيمة التي نأخذها من هذه الآية الكريمة، أن مما يعين المؤمنين على النصر والفلاح، أن يعتزلوا أهل الكفر والفسوق والعصيان، إذا لم تنفع معهم النصيحة، وأن يستعينوا على بلوغ غايتهم بالصبر والصلاة، وأن يقيموا حياتهم فيما بينهم على المحبة الصادقة، وعلى الأخوة الخالصة، وأن يجعلوا توكلهم على الله وحده ومن يتوكل على الله فهو حسبه، إن الله بالغ أمره، قد جعل الله لكل شيء قدرا.ثم حكى القرآن الكريم بعد ذلك، ما تضرع به موسى- عليه السلام- إلى الله- تعالى- من دعوات خاشعات، بعد أن يئس من إيمان فرعون وملئه فقال- سبحانه-:__________(١) تفسير القرطبي ج ٨ ص ٢٧١.(٢) تفسير الكشاف ج ٢ ص ٢٤٩.(٣) تفسير الآلوسى ج ١١ ص ١٥٢.." (١)

"أراد بالأبدان الدروع «١» - وباليلب- بفتح الياء واللام- الدروع اليمانية كانت تتخذ من الجلود.وقوله: وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون **تذييل** قصد به دعوة الناس جميعا إلى التأمل والتدبر، والاعتبار بآيات الله، وبمظاهر قدرته.أى: وإن كثيرا من الناس لغافلون عن آياتنا الدالة على وحدانيتنا وقدرتنا على إهلاك كل ظالم جبار.قال ابن كثير: وكان هلاك فرعون يوم عاشوراء. كما قال البخاري: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا غندر، حدثنا شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة واليهود تصوم يوم عاشوراء فقالوا: هذا يوم ظهر فيه موسى على فرعون. فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه: أنتم أحق بموسى منهم فصوموه» «٢» .ثم بين- سبحانه- بعد ذلك بعض مظاهر نعمه على بنى إسرائيل بعد أن أهلك عدوهم فرعون فقال- تعالى-: ولقد بوأنا بني إسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات.وقوله: بوأنا أى: أنزلنا وأسكنا، من التبوء، وهو اتخاذ المباءة أى: المنزل والمسكن.وفي إضافة المبوأ إلى الصدق مدح له، فقد جرت عادة العرب على أنهم إذا مدحوا شيئا أضافوه إلى الصدق فقالوا: رجل صدق إذا كان متحليا بمكارم الأخلاق.قال الآلوسى: «والمراد بهذا المبوأ، كما رواه ابن المنذر وغيره عن الضحاك: الشام ومصر، فإن بنى إسرائيل الذين كانوا في زمان موسى- عليه السلام- وهم المرادون هنا، ملكوا ذلك حسبما ذهب إليه جمع من الفضلاء «٣» .وأخرج أبو الشيخ وغيره عن قتادة أن المراد به الشام وبيت المقدس، واختاره بعضهم، بناء على أن أولئك لم يعودوا إلى مصر بعد ذلك.وينبغي أن يراد ببني إسرائيل على القولين، ما يشمل ذريتهم بناء على أنهم ما دخلوا الشام في حياة موسى- عليه السلام- إنما دخلها أبناؤهم- بقيادة يوشع بن نون.وقيل المراد به أطراف المدينة إلى جهة الشام، وببني إسرائيل الذين كانوا على عهد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.__________(١) تفسير فتح القدير ج ٢ ص ٤٧٠.(٢) تفسير أبن كثير ج ٤ ص ٢٢٩.(٣) تفسير الآلوسى ج ١١ ص ١٦٧.." (٢)

"والمعنى: ولقد أنزلنا بنى إسرائيل بعد هلاك عدوهم فرعون منزلا صالحا مرضيا، فيه الأمان، والاطمئنان لهم، وأعطيناهم فوق ذلك الكثير من ألوان المأكولات والمشروبات الطيبات التي أحللناها لهم.وقوله: فما اختلفوا حتى جاءهم العلم.... توبيخ لهم على موقفهم الجحودى من هذه النعم التي أنعم الله بها عليهم.أى: أنهم ما تفرقوا في أمور دينهم ودنياهم على

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ١٢١/٧

(٢) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ١٢٩/٧

مذاهب شتى، إلا من بعد ما جاءهم العلم الحاسم لكل شبهة، وهو ما بين أيديهم من الوحى الذي أمرهم الله- تعالى- أن يتلوه حق تلاوته، وان لا يستخدموه في التأويلات الباطلة.فالجملة الكريمة توبخهم على جعلهم العلم الذي كان من الواجب عليهم أن يستعملوه- في الحق والخير- وسيلة للاختلاف والابتعاد عن الطريق المستقيم.وقوله: إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون **تذييل** قصد به الزجر عن الاختلاف واتباع الباطل.أى: إن ربك يفصل بين هؤلاء المختلفين، فيجازى أهل الحق بما يستحقونه من ثواب، ويجازى أهل الباطل بما يستحقونه من عقاب.وبعد هذا الحديث المتنوع عن قصة موسى- عليه السلام- مع فرعون وملئه، ومع قومه بنى إسرائيل، وجه القرآن خطابا إلى النبي صلى الله عليه وسلم تثبيتا لقلبه، وتسلية له عما أصابه من أذى، فقال- تعالى-:[سورة يونس (١٠) : الآيات ٩٤ الى ٩٧]فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين (٩٤) ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين (٩٥) إن الذين حقت عليهم كلمت ربك لا يؤمنون (٩٦) ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم (٩٧)." (١)

"والمستقر والمستودع: اسما مكان لمحل الاستقرار والإيداع للدابة في هذا الكون، سواء أكان ذلك في الأصلاب أم في الأرحام أم في القبور أم في غيرها.قال الشوكاني: أخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وأبو الشيخ، عن ابن عباس في قوله ويعلم مستقرها قال: حيث تأوى. ومستودعها قال: حيث تموت.وأخرج ابن أبى شيبة وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه عن ابن مسعود قال:مستقرها في الأرحام ومستودعها حيث تموت.قال: ويؤيد هذا التفسير الذي ذهب اليه ابن مسعود ما أخرجه الترمذي الحكيم في نوادر الأصول والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الشعب عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إذا كان أجل أحدكم بأرض، أتيحت له إليها حاجة، حتى إذا بلغ أقصى أثره منها فيقبض، فتقول الأرض يوم القيامة: هذا ما استودعتني» «١» .وقوله: كل في كتاب مبين **تذييل** قصد به بيان دقة علمه- سبحانه- بعد بيان شمول هذا العلم وإحاطته بكل شيء.والتنوين في كل هو تنوين العوض، أى: كل ما يتعلق برزق هذه الدواب ومستقرها ومستودعها مسجل في كتاب مبين، أى: في كتاب واضح جلى ظاهر في علم الله- سبحانه- ، بحيث لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، وهذا الكتاب هو اللوح المحفوظ.ثم ساق- سبحانه- ما يشهد بعظيم قدرته فقال- تعالى-: وهو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام....والأيام جمع يوم، والمراد به هنا مطلق الوقت الذي لا يعلم مقداره إلا الله- تعالى-.أى: وهو- سبحانه- الذي أنشأ السموات والأرض وما بينهما، على غير مثال سابق، في ستة أيام من أيامه- تعالى-، التي لا يعلم مقدار زمانها إلا هو.وقيل: أنشأهن في مقدار ستة أيام من أيام الدنيا.قال سعيد بن جبير- رضى الله عنه-: كان الله قادرا على خلق السموات والأرض وما بينهما في لمحة ولحظة، فخلقهن في ستة أيام، تعليما لعباده التثبت والتأني في الأمور.______________(١) تفسير فتح القدير للشوكاني ج ٢ ص ٤٨٤.." (٢)

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ١٣٠/٧

(٢) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ١٦٤/٧

"والمراد ببعض ما يوحى إليه صلى الله عليه وسلم في قوله- سبحانه- فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك: ما نزل عليه: من قرآن فيه استهزاء بآلهتهم، وتسفيه لعقولهم التي استساغت أن تشرك مع الله- تعالى- في عبادتها آلهة أخرى» .والضمير المجرور في قوله- سبحانه- وضائق به صدرك يعود الى البعض الموحى به، وقيل يعود للتبليغ، وقيل للتكذيب.وجملة أن يقولوا في محل نصب على أنها مفعول لأجله، أى: كراهة أو خشية أن يقولوا.والكنز: يطلق على المال الكثير المجموع بعضه إلى بعض سواء أكان في بطن الأرض أم في ظهرها، ومرادهم بإنزاله هنا: أن ينزل على الرسول صلى الله عليه وسلم من السماء مال كثير يغنيه هو وأصحابه، ويجعلهم في رغد من العيش، بدل ما يبدو على بعضهم من فقر وفاقة..والمعنى: ليس خافيا علينا- أيها الرسول الكريم- ما يفعله المشركون معك، من تكذيب لدعوتك، ومن جحود لرسالتك، ومن مطالب متعنتة يطلبونها منك ...ليس خافيا علينا شيئا من ذلك، ولعلك إزاء مسالكهم القبيحة هذه، تارك تبليغ بعض ما يوحى إليك، وهو ما يثير غضبهم، وضائق صدرك بهذا التبليغ، كراهة تكذيبهم لوحى الله، واستهزائهم بدعوتك، وقولهم لك على سبيل التعنت: هلا أنزل إليك من السماء مال كثير تستغني به وتغنى أتباعك، وهلا كان معك ملك يصاحبك في دعوتك، ويشهد أمامنا بصدقك.ويؤيدك في تحصيل مقصودك..لا- أيها الرسول الكريم- لا تترك شيئا من تبليغ ما أمرك الله بتبليغه لهؤلاء المشركين، ولا يضيق صدرك بأفعالهم الذميمة، وبأقوالهم الباطلة، بل واصل دعوتك لهم إلى طريق الحق، فما عليك إلا الإنذار، أما نحن فإلينا إيابهم، وعلينا حسابهم.وعبر- سبحانه- عن تأثر الرسول صلى الله عليه وسلم من مواقفهم المتعنتة باسم الفاعل ضائق لا بالصفة المشبهة «ضيق» لمراعاة المقابل وهو قوله تارك، وللإشارة إلى أن هذا الضيق مما يعرض له صلى الله عليه وسلم أحيانا، وليس صفة ملازمة له، لأن اسم الفاعل يقتضى الحدوث والانقطاع، بخلاف الصفة المشبهة فتقتضى الثبات والدوام.وأبرز- سبحانه- هنا صفة الإنذار للرسول صلى الله عليه وسلم مع أن وظيفته الإنذار والتبشير، لأن المقام هنا يستوجب ذلك، إذ أن هؤلاء المشركين قد تجاوزوا كل حد في الإساءة إليه صلى الله عليه وسلم.وقوله- سبحانه- والله على كل شيء وكيل **تذييل** قصد به زيادة تثبيته وتحريضه." (١)

"بأن الخطاب للمشركين، لأن سياق الآيات السابقة في شأنهم فلأن يكون الخطاب لهم هنا أولى.ثم بين- سبحانه- سوء مصير الذين لا يريدون بأقوالهم وأعمالهم وجه الله- تعالى- فقال:[سورة هود (١١) : الآيات ١٥ الى ١٦]من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون (١٥) أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون (١٦)أى: من كان يريد بأقواله الحسنة وبأعماله الطيبة على حسب الظاهر، الحصول على (الحياة الدنيا وزينتها) من مال وجاه ومنصب وغير ذلك من المتع الدنيوية، بدون التفات إلى ما يقربه من ثواب الآخرة.من كانوا يريدون ذلك نوف إليهم أعمالهم فيها أى: نوصل إليهم- بإرادتنا ومشيئتنا- ثمار جهودهم وأعمالهم في هذه الدنيا.والتعبير بكان في قوله من كان يريد ... يفيد أنهم مستمرون على إرادة الدنيا بأعمالهم، بدون تطلع إلى خير الآخرة.وعدى الفعل نوف بإلى، مع أنه يتعدى بنفسه، لتضمينه معنى نوصل.وقوله- سبحانه- وهم فيها لا يبخسون **تذييل** قصد به تأكيد ما سبقه، وتبيين مظهر من مظاهر عدل الله- تعالى- مع عباده في دنياهم.والبخس: نقص الحق ظلما.

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ١٧٢/٧

يقال: بخس فلان فلانا حقه إذا ظلمه ونقصه.أى: وهم في هذه الدنيا لا ينقصون شيئا من نتائج جهودهم وأعمالهم، حتى ولو كانت جهودا لا إخلاص معها ولا إيمان.ثم بين- سبحانه- سوء مصيرهم في الآخرة فقال: أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون.أى: أولئك الذين أرادوا بأقوالهم وأعمالهم الحياة الدنيا وزينتها، ليس لهم في الآخرة إلا النار، لأنهم استوفوا ما تقتضيه صور أعمالهم الحسنة في الدنيا وبقيت عليهم أوزار نياتهم السيئة في الآخرة.." (١)

"وقوله: رحمت الله وبركاته عليكم أهل البيت حكاية لما قالته الملائكة لها، زيادة في سرورها وفي إدخال الطمأنينة على قلبها.أى رحمة الله الواسعة، وبركاته وخيراته النامية عليكم أهل البيت الكريم وهو بيت إبراهيم- عليه السلام-.قال صاحب الكشاف: وإنما أنكرت عليها الملائكة تعجبها، لأنها كانت في بيت الآيات، ومهبط المعجزات، والأمور الخارقة للعادات، فكان عليها أن تتوقر، ولا يزدهيها ما يزدهى سائر النساء الناشئات في غير بيت النبوة وأن تسبح الله وتمجده، مكان التعجب.وإلى ذلك أشارت الملائكة في قولهم رحمت الله وبركاته عليكم أهل البيت.أرادوا أن هذه وأمثالها مما يكرمكم به رب العزة، ويخصكم بالإنعام به يا أهل بيت النبوة، فليس بمكان عجب. والكلام مستأنف علل به إنكار التعجب.كأنه قيل: «إياك والتعجب، فإن أمثال هذه الرحمة والبركة متكاثرة من الله عليكم» «١» .وقوله- سبحانه- إنه حميد مجيد **تذييل** بديع قصد به وجوب مداومتها على حمد الله وتمجيده على أن وهبها الولد بعد أن بلغت سن اليأس من الحمل.أى إنه- سبحانه- حميد أى: مستحق للحمد لكثرة نعمه على عباده مجيد أى: كريم واسع الإحسان، فليس بعيدا منه أن يعطى الولد للآباء بعد الكبر.قال صاحب المنار ما ملخصه: وأصل المجد في اللغة أن تقع الإبل في أرض واسعة المرعى، كثيرة الخصب، يقال: مجدت الإبل تمجد من باب نصر- مجدا ومجادة، وأمجدها الراعي.والمجد في البيوت والأنساب ما يعده الرجل من سعة كرم آبائه وكثرة نوالهم.ووصف الله كتابه بالمجيد، كما وصف نفسه بذلك، لسعة هداية كتابه، وسعة كرمه وفضله على عباده ... » «٢» .ثم حكى- سبحانه- ما كان من إبراهيم بعد أن سكن خوفه، واطمأن إلى ضيوفه فقال: فلما ذهب عن إبراهيم الروع أى: الخوف والفزع، بسبب اطمئنانه إلى ضيوفه، وعلمه أنهم ليسوا من البشر.وجاءته البشرى منهم بالولد، واتصال النسل، فازداد سرورا بهم.______________(١) تفسير الكشاف ج ٢ ص ٢٨١.(٢) تفسير المنار ج ١٢ ص ١٣٠.." (٢)

"لأصنامهم إنما هي تقليد لما كان يعبده آباؤهم من قبل، وهذه العبادة لغير الله- تعالى- ستؤدى بالجميع إلى سوء العاقبة وإلى العذاب الأليم.والخطاب وإن كان للرسول صلى الله عليه وسلم على سبيل التسلية والتثبيت، إلا أن التحذير فيه يندرج تحته كل من يصلح للخطاب.وهذا الأسلوب كثيرا ما يكون أوقع في النفس، وأشد تأثيرا في القلب، لأنه يشعر المخاطب بأن ما بينه الله- تعالى- لرسوله صلى الله عليه وسلم إنما هو من قبيل القضايا الموضوعية التي لا تحتاج إلى جدال مع أحد، ومن جادل فيها فإنما يجادل في الحق الواضح بدافع الحسد والعناد، لأن الواقع يشهد بصحة ما بينه الله- تعالى-

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ١٧٦/٧

(٢) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٢٤٢/٧

لرسوله صلى الله عليه وسلم.وجملة ما يعبدون إلا كما يعبد آباؤهم من قبل مستأنفة، لبيان أن الخلف قد ساروا في الجهالة والجحود على طريقة السلف.وعبر عن عبادة الآباء بالمضارع، مع أنها كانت في الماضي بقرينة من قبل. للدلالة على استمرارهم على هذه العبادة الباطلة حتى موتهم، وأن أبناءهم لم ينقطعوا عنها، بل واصلوا السير على طريق آبائهم الضالين بدون تفكر أو تدبر.والمضاف إليه في قوله من قبل محذوف، والتقدير: من قبلهم.وقوله وإنا لموفوهم نصيبهم غير منقوص **تذييل** قصد به تأكيد العقاب الذي ينزل بهم في الآخرة بسبب عبادتهم لغير الله.وموفوهم من التوفية، وهي إعطاء الشيء كاملا بدون نقص.والمراد بالنصيب هنا: المقدار المعد لهم من العذاب، وسماه نصيبا على سبيل التهكم بهم.أى: وإنا لمعطو هؤلاء الذين نهجوا منهج آبائهم في عبادة غير الله، نصيبهم وحظهم من عذاب الآخرة كاملا بدون إنقاص شيء منه، كما ساروا هم على طريقة سلفهم في الضلال دون أن يغيروا شيئا منها ...ومنهم من جعل المراد بالنصيب هنا: ما يشمل الجزاء على الأعمال الدنيوية والأخروية.قال صاحب المنار: أى، وإنا لمعطوهم نصيبهم من جزاء أعمالهم في الدنيا والآخرة وافيا تاما لا ينقص منه شيء، كما وفينا آباءهم الأولين من قبل، فإنه ما من خير يعمله أحد منهم كبر الوالدين وصلة الأرحام ... إلا ويوفيهم الله جزاءهم عليه في الدنيا بسعة الرزق، وكشف الضر جزاء تاما، لا ينقصه شيء يجزون عليه في الآخرة ... » «١» .______________(١) تفسير المنار ج ١٢ ص ١٦٢. [.....]."(١)

"أبينا منا، مع أننا نحن جماعة من الرجال الأقوياء الذين عندهم القدرة على خدمته ومنفعته والدفاع عنه دون يوسف وأخيه.وقولهم- كما حكى القرآن عنهم-: إن أبانا لفي ضلال مبين **تذييل** قصدوا به درء الخطأ عن أنفسهم فيما يفعلونه بيوسف وإلقائه على أبيه الذي فرق بينهم- في زعمهم- في المعاملة.والمراد بالضلال هنا: عدم وضع الأمور المتعلقة بالأبناء في موضعها الصحيح، وليس المراد به الضلال في العقيدة والدين.أى: إن أبانا لفي خطأ ظاهر، حيث فضل في المحبة صبيين صغيرين على مجموعة من الرجال الأشداء النافعين له القادرين على خدمته.قال القرطبي: لم يريدوا بقولهم إن أبانا لفي ضلال مبين الضلال في الدين إذ لو أرادوه لكانوا كفارا، بل أرادوا: إن أبانا لفي ذهاب عن وجه التدبير في إيثاره اثنين على عشرة، مع استوائهم في الانتساب إليه» «١» .وهذا الحكم منهم على أبيهم ليس في محله، لأن يعقوب- عليه السلام- كان عنده من أسباب التفضيل ليوسف عليهم ما ليس عندهم.قال الآلوسى ما ملخصه: يروى أن يعقوب- عليه السلام- كان يوسف أحب إليه لما يرى فيه من المناقب الحميدة، فلما رأى الرؤيا تضاعفت له المحبة.وقال بعضهم: إن زيادة حبه ليوسف وأخيه، صغرهما، وموت أمهما، وقد قيل لإحدى الأمهات: أى بنيك أحب إليك؟ قالت: الصغير حتى يكبر، والغائب حتى يقدم، والمريض حتى يشفى.ولا لوم على الوالد في تفضيله بعض ولده على بعض في المحبة لمثل ذلك وقد صرح غير واحد أن المحبة ليست مما يدخل تحت وسع البشر ... » «٢» .ثم أخبر- سبحانه- عما اقترحوه للقضاء على يوسف فقال- تعالى-: اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم، وتكونوا من بعده قوما صالحين.ولفظ «اطرحوه» مأخوذ من الطرح،

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٢٨١/٧

ومعناه رمى الشيء وإلقاؤه بعيدا، ولفظ «أرضا» منصوب على نزع الخافض، والتنوين فيه للإبهام. أى: أرضا مجهولة.__________(١) تفسير القرطبي ج ٩ ص ١٣١.(٢) تفسير الآلوسى ج ١٢ ص ١٧١. [.....]."[١]

"و «مكنا» من التمكين بمعنى التثبيت، والمراد بالأرض: أرض مصر التي نزل فيها.أى: ومثل ذلك التمكين البديع الدال على رعايتنا له، مكنا ليوسف في أرض مصر، حتى صار أهلا للأمر والنهى فيها.وقوله- سبحانه- ولنعلمه من تأويل الأحاديث علة لمعلل محذوف، فكأنه قيل:وفعلنا ذلك التمكين له، لنعلمه من تأويل الأحاديث، بأن نهبه من صدق اليقين، واستنارة العقل، ما يجعله يدرك معنى الكلام إدراكا سليما، ويفسر الرؤى تفسيرا صحيحا صادقا.وقوله: والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون **تذييل** قصد به بيان قدرة الله- تعالى- ونفاذ مشيئته.فأمر الله هنا: هو ما قدره وأراده.أى: والله- تعالى- متمم ما قدره وأراده، لا يمنعه من ذلك مانع، ولا ينازعه منازع، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ذلك حق العلم، فيما يأتون ويذرون من أقوال وأفعال.والتعبير بقوله: ولكن أكثر الناس لا يعلمون احتراس لإنصاف ومدح القلة من الناس الذين يعطيهم الله- تعالى- من فضله ما يجعلهم لا يندرجون في الكثرة التي لا تعلم، بل هو- سبحانه- يعطيهم من فضله ما يجعلهم يعلمون ما لا يعلمه غيرهم.ثم بين- سبحانه- مظهرا آخر من مظاهر إنعامه على يوسف فقال: ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين.والأشد: قوة الإنسان، وبلوغه النهاية في ذلك، مأخوذ من الشدة بمعنى القوة والارتفاع، يقال: شد النهار إذا ارتفع.ويرى بعضهم أنه مفرد جاء بصيغة الجمع ويرى آخرون أنه جمع لا واحد له من لفظه وقيل هو جمع شدة كأنعم ونعمة.والمعنى: وحين بلغ يوسف- عليه السلام- منتهى شدته وقوته، وهي السن التي كان فيها- على ما قيل- ما بين الثلاثين والأربعين.آتيناه أى: أعطيناه بفضلنا وإحساننا.حكما أى: حكمة، وهي الإصابة في القول والعمل أو هي النبوة.وعلما أى فقها في الدين. وفهما سليما لتفسير الرؤى، وإدراكا واسعا لشئون الدين والدنيا.وقوله: وكذلك نجزي المحسنين أى: ومثل هذا الجزاء الحسن والعطاء الكريم،." [٢]

"وأصل نزغ من النزغ بمعنى النخس والدفع. يقال: نزغ الراكب دابته إذا نخسها ودفعها لتسرع في سيرها.وأسند النزغ إلى الشيطان، لأنه هو الموسوس به، والدافع إليه، ولأن في ذلك سترا على إخوته وتأدبا معهم.وقوله إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم **تذييل** قصد به الثناء على الله- تعالى- بما هو أهله.أى: إن ربي وخالقي، لطيف التدبير لما يشاء تدبيره من أمور عباده، رفيق بهم في جميع شئونهم من حيث لا يعلمون.إنه- سبحانه- هو العليم بأحوال خلقه علما تاما، الحكيم في جميع أقواله وأفعاله.ثم ختم يوسف- عليه السلام- ثناءه على الله- تعالى- بهذا الدعاء الذي حكاه القرآن عنه في قوله: رب قد آتيتني من الملك أى: يا رب قد أعطيتنى شيئا عظيما من الملك والسلطان بفضلك وكرمك.وعلمتني- أيضا- شيئا كثيرا من تأويل الأحاديث أى: من تفسيرها وتعبيرها تعبيرا صادقا بتوفيقك وإحسانك.فاطر السماوات والأرض أى: خالقهما على غير مثال سابق، وهو منصوب على النداء بحرف مقدر أى: يا فاطر السموات والأرض.أنت وليي وناصري ومعيني في الدنيا والآخرة.توفني عند ما يدركني أجلى على الإسلام، وأبقنى مسلما مدة حياتي.وألحقني في قبري

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٣٢٣/٧

(٢) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٣٣٦/٧

ويوم الحساب بالصالحين من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.وبهذا الدعاء الجامع الذي توجه به يوسف إلى ربه- تعالى- يختتم القرآن الكريم قصة يوسف مع أبيه ومع إخوته ومع غيرهم ممن عاشرهم والتقى بهم وهو دعاء يدل على أن يوسف- عليه السلام- لم يشغله الجاه والسلطان ولم يشغله لقاؤه عن طاعة ربه، وعن تذكر الآخرة وما فيها من حساب..وهذا هو شأن المصطفين الأخيار الذين نسأل الله- تعالى- أن يحشرنا معهم، ويلحقنا بهم، ويوفقنا للسير على نهجهم ...." (١)

"وخص- سبحانه- النخيل بوصفه بصنوان، لأن العبرة به أقوى، إذ المشاهدة له أكثر من غيره.ووجه زيادة غير صنوان تجديد العبرة باختلاف الأحوال، واقتصر- سبحانه- في التفاضل على الأكل، لأنه أعظم المنافع.وقوله- سبحانه- إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون **تذييل** قصد به الحض على التعقل والتدبر.أى: إن في ذلك الذي فصل الله- تعالى- أحواله من اختلاف أجناس الثمرات والزروع في أشكالها وألوانها وطعومها وأوراقها ... مع أنها تسقى بماء واحد. وتنبت في أرض متجاورة، إن في ذلك كله لدلائل باهرة، على قدرة الله- تعالى- واختصاصه بالعبادة، لقوم يستعملون عقولهم في التفكير السليم، والتأمل النافع.أما الذين يستعملون عقولهم فيما لا ينفع، فإنهم يمرون بالعبر والعظات وهم عنها معرضون.وبذلك نرى أن الله- تعالى- قد ساق في هذه الآيات أدلة متعددة ومتنوعة من العالم العلوي والسفلى، وكلها تدل على عظيم قدرته، وجليل حكمته.وهذه الأدلة منها:١- خلقه السموات مرتفعة بغير عمد.٢- تسخيره الشمس والقمر لمنافع الناس.٣- خلقه الأرض بتلك الصورة الصالحة للاستقرار عليها.٤- خلقه الجبال فيها لتثبيتها.٥- خلقه الأنهار فيها لمنفعة الإنسان والحيوان والنبات.٦- خلقه زوجين اثنين من كل نوع من أنواع الثمار.٧- معاقبته بين الليل والنهار.٨- خلقه بقاعا في الأرض متجاورة مع اختلافها في الطبيعة والخواص.٩- خلقه أنواعا من الزروع المختلفة في ثمارها وأشكالها.١٠- خلقه النخيل صنوانا وغير صنوان، وجميعها تسقى بماء واحد.ومع كل ذلك فضل- سبحانه- بعضها على بعض في الأكل.." (٢)

"في السماوات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون. وما يؤمن أكثرهم بالله، إلا وهم مشركون «١» .والضمير في قوله- سبحانه- وإنها لبسبيل مقيم يعود إلى المدينة أو القرى التي كان يسكنها قوم لوط- عليه السلام-.أى: وإن هذه المساكن التي كان يسكنها هؤلاء المجرمون، لبطريق ثابت واضح يسلكه الناس، ويراه كل مجتاز له وهو في سفره من الحجاز إلى الشام، كما قال- تعالى- وإنكم لتمرون عليهم مصبحين. وبالليل أفلا تعقلون«٢» .والمقصود تذكير كفار قريش وغيرهم بعاقبة الظالمين، حتى يقلعوا عن كفرهم وجحودهم، وحتى يعتبروا ويتعظوا، ويدخلوا مع الداخلين في دين الإسلام.وقوله- سبحانه-: إن في ذلك لآية للمؤمنين **تذييل** قصد به التعميم بعد التخصيص، لأن اسم الإشارة هنا يعود إلى جميع ما تقدم من قصتي إبراهيم ولوط- عليهما السلام- وإلى ما انضم إليهما من التذكير بآثار الأقوام المهلكين.أى: إن فيما ذكرناه فيما سبق من أدلة واضحة على حسن عاقبة المتقين، وسوء نهاية الظالمين، لعبرة واضحة، وحكمة بالغة، للمؤمنين

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٧/٤١٨

(٢) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٧/٤٤٤

الصادقين.وخصهم بالذكر لأنهم هم المنتفعون بالأدلة والعظات، وللتنبيه على أن التفرس في الأمور لمعرفة أسبابها ونتائجها من صفاتهم وحدهم.وجمع الآيات قبل ذلك في قوله إن في ذلك لآيات للمتوسمين وأفردها هنا فقال:إن في ذلك لآية للمؤمنين للأشعار بأن المؤمنين الصادقين تكفى لهدايتهم، ولزيادة إيمانهم، آية واحدة من الآيات. الدالة على أن دين الإسلام هو الدين الحق، وفي ذلك ما فيه من الثناء عليهم، والمدح لهم، بصدق الإيمان، وسلامة اليقين ...ثم ساق- سبحانه- بعد ذلك جانبا من قصة أصحاب الأيكة لزيادة العظات والعبر، فقال- تعالى-: وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين. فانتقمنا منهم وإنهما لبإمام مبين وإن هي المخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن المحذوف.وأصحاب الأيكة، هم قوم شعيب- عليه السلام-، والأيك الشجر الكثير الملتف واحدته أيكة- كتمر وتمره-.______________(١) سورة يوسف الآيتان ١٠٥، ١٠٦. [.....](٢) سورة الصافات الآيتان ١٣٧، ١٣٨.." (١)

"والفعل المضارع «تحرص» بكسر الراء، ماضيه «حرص» بفتحها كضرب يضرب.والحرص: شدة الرغبة في الحصول على الشيء، والاستئثار به.وقوله: فإن الله لا يهدي من يضل تعليل لجواب الشرط المحذوف، والتقدير:إن تحرص- أيها الرسول الكريم- على هداية هؤلاء المصرين على كفرهم لن ينفعهم حرصك. فإن الله- تعالى- قد اقتضت حكمته أن لا يهدى من يخلق فيه الضلالة بسبب سوء اختياره، وفساد استعداده.وفي الجملة الكريمة إشارة إلى ما جبل عليه النبي صلى الله عليه وسلم من مكارم الأخلاق، فإنه مع ما لقيه من مشركي قومه من أذى وعناد وتكذيب ... كان حريصا على ما ينفعهم ويسعدهم.قال الآلوسى ما ملخصه: وقوله فإن الله لا يهدي من يضل جواب الشرط على معنى فاعلم ذلك، أو علة للجواب المحذوف، أى: إن تحرص على هداهم لن ينفع حرصك شيئا، فإن الله لا يهدى من يضل.والمراد بالموصول: كفار قريش المعبر عنهم قبل ذلك بالذين أشركوا، ووضع الموصول موضع ضميرهم للتنصيص على أنهم ممن حقت عليهم الضلالة وللإشعار بعلة الحكم.ومعنى الآية: أنه- سبحانه- لا يخلق الهداية جبرا وقسرا فيمن يخلق فيه الضلالة بسوء اختياره. و «من» على هذا. مفعول «يهدى» وضمير الفاعل في «يضل» لله- تعالى- والعائد محذوف، أى من يضله.وقرأ غير واحد من السبعة «فإن الله لا يهدى..» بضم الياء وفتح الدال- على البناء للمفعول.و «من» على هذا نائب فاعل، والعائد وضمير الفاعل كما مر..» «١» .والمعنى على هذه القراءة: إن تحرص على هداهم- يا محمد- لن ينفعهم حرصك، فإن من أضله الله- تعالى- لا يهديه أحد.وقوله: وما لهم من ناصرين **تذييل** مؤكد لما قبله.أى: وليس لهؤلاء الضالين من ناصر يدفع عنهم عذاب الله- تعالى- إن نزل بهم.______________(١) تفسير الآلوسي ج ١٤ ص ٣٩.." (٢)

"وآتينا موسى الكتاب من أجل أن يكون هداية لبنى إسرائيل إلى الصراط المستقيم.وقلنا لهم: لا تتخذوا غير الله- تعالى- وكيلا، أى: معبودا، تفوضون إليه أموركم، وتكلون إليه شئونكم، فهو- سبحانه-: رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا.قال الإمام الرازي ما ملخصه: قرأ أبو عمرو «ألا يتخذوا» بالياء خبرا عن بنى إسرائيل: وقرأ الباقون بالتاء على الخطاب، أى: قلنا لهم لا تتخذوا. ويصح أن تكون ناصبة للفعل فيكون المعنى: وجعلناه هدى لئلا تتخذوا ...

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٧٠/٨

(٢) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ١٤٨/٨

وأن تكون أن بمعنى أى التي للتفسير- أى هي مفسرة لما تضمنه الكتاب من النهى عن اتخاذ وكيل سوى الله- تعالى- «١» .وقوله: ذرية من حملنا مع نوح ... منصوب على الاختصاص، أو على النداء والمقصود بهذه الجملة الكريمة إثارة عزائمهم نحو الإيمان والعمل الصالح، وتنبيههم إلى نعمه- سبحانه- عليهم، حيث جعلهم من ذرية أولئك الصالحين الذين آمنوا بنوح- عليه السلام- وحضهم على السير على منهاجهم في الإيمان والعمل الصالح، فإن شأن الأبناء أن يقتدوا بالآباء في التقوى والصلاح.والمعنى: لا تتخذوا يا بنى إسرائيل معبودا غير الله- تعالى-، فأنتم أبناء أولئك القوم الصالحين، الذين آمنوا بنوح- عليه السلام- فأنجاهم الله- تعالى- مع نبيهم من الغرق.قال الآلوسى: وفي التعبير بما ذكر إيماء إلى علة النهى من أوجه: أحدها تذكيرهم بالنعمة في إنجاء آبائهم. والثاني: تذكيرهم بضعفهم وحالهم المحوج إلى الحمل والثالث: أنهم أضعف منهم- أى من آبائهم- لأنهم متولدون عنهم وفي إيثار لفظ الذرية الواقعة على الأطفال والنساء في العرف الغالب مناسبة تامة لما ذكر «٢» .وقوله: إنه كان عبدا شكورا **تذييل** قصد به الثناء على نوح- عليه السلام- أى:إن نوحا- عليه السلام- كان من عبادنا الشاكرين لنعمنا، المستعملين لها فيما خلقت له، المتوجهين إلينا بالتضرع والدعاء في السراء والضراء.______________(١) تفسير الفخر الرازي ج ٢٠ ص ١٥٣ طبعة دار الكتاب العالمية.(٢) تفسير الآلوسى ج ١٥ ص ١٥.." [1]

"التصرف في القاتل، حتى لكأنه مملوك له.وما دامت شريعة الله- تعالى- قد أعطت الولي هذا السلطان على القاتل، فعليه أن لا يسرف في القتل، وأن لا يتجاوز ما شرعه الله- تعالى-.ومن مظاهر هذا التجاوز: أن يقتل اثنين- مثلا- في مقابل قتيل واحد أو أن يقتل غير القاتل، أو أن يمثل بالقاتل بعد قتله.قال الآلوسى ما ملخصه: كان من عادتهم في الجاهلية، أنهم إذا قتل منهم واحد، قتلوا قاتله، وقتلوا معه غيره ...وأخرج البيهقي في سننه عن زيد بن أسلم أنه قال: إن الناس في الجاهلية كانوا إذا قتل من ليس شريفا شريفا، لم يقتلوه به، وقتلوا شريفا من قومه، فنهوا عن ذلك، كما نهوا عن المثلة بالقاتل.وقرأ حمزة والكسائي: «فلا تسرف» بالخطاب للولي على سبيل الالتفات «١» .وقوله: إنه كان منصورا **تذييل** المقصود به تعليل النهى عن الإسراف في القتل.والضمير يعود إلى الولي- أيضا-.أى: فلا يسرف هذا الولي في القتل، لأن الله- تعالى- قد نصره عن طريق ما شرعه له من سلطان عظيم، من مظاهره: المطالبة بالقصاص من القاتل، أو بأخذ الدية، ومن مظاهره- أيضا- وقوف الحاكم وغيره إلى جانبه حتى يستوفى حقه من القاتل، دون أن ينازعه منازع في هذا الحق.ومنهم من يرى أن الضمير في قوله إنه يعود إلى المقتول ظلما، على معنى: أن الله- تعالى- قد نصره في الدنيا بمشروعية القصاص والدية حتى لا يضيع دمه، ونصره في الآخرة بالثواب الذي يستحقه، وما دام الأمر كذلك فعلى وليه أن لا يسرف في القتل.ويبدو لنا أن الرأى الأول أقرب إلى الصواب. لأنه هو الظاهر من معنى الآية الكريمة.قال ابن جرير بعد أن ساق الأقوال في ذلك: وأشبه ذلك بالصواب عندي، قول من قال: عنى بها- أى بالهاء في إنه- الولي، وعليه عادت، لأنه هو المظلوم ووليه المقتول، وهي إلى ذكره أقرب من ذكر المقتول، وهو المنصور- أيضا- لأن الله- جل ثناؤه- قضى في كتابه

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٨/٢٨٨

المنزل، أن سلطه على قاتل وليه، وحكمه فيه، بأن جعل إليه قتله إن شاء،____________(١) تفسير الآلوسى ج ١٥ ص ٧٠.." (١)

"بل كل كائن في هذا الوجود يسبح بحمده- تعالى-.وهذا التصريح يحمل كل إنسان عاقل على طاعة الله، وإخلاص العبادة له، ومداومة ذكره ... حتى لا يكون- وهو الذي كرمه ربه وفضله- أقل من غيره طاعة لله- تعالى-.وقوله: إنه كان حليما غفورا **تذييل** قصد به بيان فضل الله- تعالى- ورحمته بعباده مع تقصيرهم في تسبيحه وذكره.أى: إنه كان حليما لا يعاجل المقصر بالعقوبة، بل يمهله لعله يرعوى وينزجر عن تقصيره ومعصيته، غفورا لمن تاب وآمن وعمل صالحا واهتدى إلى صراطه المستقيم.هذا، ومن العلماء من يرى أن تسبيح هذه الكائنات بلسان الحال.قال بعض العلماء تسبيح هذه الكائنات لله- تعالى- هو دلالتها- بإمكانها وحدوثها، وتغير شئونها، وبديع صنعها- على وجود مبدعها، ووحدته وقدرته، وتنزهه عن لوازم الإمكان والحدوث، كما يدل الأثر على المؤثر.فهي دلالة بلسان الحال، لا يفقهها إلا ذوو البصائر. أما الكافرون فلا يفقهون هذا التسبيح، لفرط جهلهم وانطماس بصيرتهم.. «١» .ومنهم من يرى أن تسبيحها بلسان المقال، أى أن التسبيح بمعناه الحقيقي، فالكل يسبح بحمد الله، ولكن بلغته الخاصة التي لا يفهمها الناس.قال الإمام ابن كثير ما ملخصه: وقوله: وإن من شيء إلا يسبح بحمده أى: وما من شيء من المخلوقات إلا يسبح بحمد الله ولكن لا تفقهون تسبيحهم أى: لا تفقهون تسبيحهم- أيها الناس- لأنها بخلاف لغتكم وهذا عام في الحيوانات والنبات والجماد.وهذا أشهر القولين كما ثبت في صحيح البخاري وغيره، عن ابن مسعود أنه قال: كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل.وفي حديث أبى ذر: أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ في يده حصيات، فسمع لهن تسبيح كحنين النحل. وكذا في يد أبى بكر وعمر وعثمان- رضى الله عنهم- وهو حديث مشهور في المسانيد ...ثم قال ويشهد لهذا القول آية السجدة في أول سورة الحج- وهو قوله- تعالى-:____________(١) صفوة البيان لمعانى القرآن ج ١ ص ٤٥٧ لفضيلة الشيخ حسنين مخلوف.." (٢)

"أى: فسيحركون إليك رءوسهم عند ما يسمعون ردك عليهم، ويقولون على سبيل الاستهزاء والسخرية والتكذيب: متى هو؟ أى ما ذكرته من الإعادة بعد الموت، أو متى هو ذلك اليوم الذي سنعود فيه إلى الحياة بعد أن نصير عظاما ورفاتا.فالجملة الكريمة تصور تصويرا بليغا ما جبلوا عليه من تكذيب بيوم القيامة ومن استهزاء بمن يذكرهم بأحوال ذلك اليوم العصيب. ومن استبعاد لحصوله كما قال- تعالى-: حكاية عنهم في آية أخرى: ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين.وقوله- تعالى-: قل عسى أن يكون قريبا **تذييل** قصد به التهديد والوعيد لهم.أى: قل لهم- أيها الرسول الكريم- على سبيل التأنيب والوعيد: عسى هذا اليوم الذي تستبعدون حصوله، يكون قريبا جدا وقوعه.ولا شك في أنه قريب، لأن عسى في كلام الله- تعالى- لما هو محقق الوقوع، وكل ما هو محقق الوقوع فهو قريب، ولأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: «بعثت أنا والساعة كهاتين» - وأشار بالسبابة والوسطى.ثم بين- سبحانه- أحوالهم عند ما يدعون في هذا اليوم

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٨/٣٤٤

(٢) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٨/٣٦٠

الهائل الشديد فقال: يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده....والظرف يوم منصوب بفعل مضمر أى: اذكروا يوم يدعوكم.. ويجوز أن يكون منصوبا على البدلية من قريبا.والداعي لهم هو «إسرافيل» - عليه السلام- عند ما يأذن الله- تعالى- له بالنفخ في الصور، كما قال- تعالى-: ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله، ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون «١» .وكما قال- سبحانه-: فتول عنهم يوم يدع الداع إلى شيء نكر. خشعا أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر. مهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر «٢» .وقوله بحمده حال من ضمير المخاطبين وهم الكفار، والباء للملابسة.أى: اذكروا- أيها المكذبون- يوم يدعوكم الداعي إلى البعث والنشور فتلبون نداءه______________(١) سورة الزمر الآية ٦٨.(٢) سورة القمر. الآيات ٦، ٧، ٨.." (١)

"المصائب، أكثر من تطلعها إلى جلب النفع، إذ عند نزول الضر، لا تشتغل الألسنة والقلوب إلا برجاء كشفه.ثم بين- سبحانه- أن كل معبود- سوى الله- عز وجل- يفتقر إلى عونه- سبحانه-، وإلى رجاء الثواب منه، وإلى دفع العذاب عنه، فقال- تعالى- أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب، ويرجون رحمته ويخافون عذابه..واسم الإشارة أولئك يعود على المعبودين من دون الله، وهو مبتدأ، وخبره. قوله:يبتغون وما عطف عليه من قوله: ويرجون رحمته ويخافون عذابه.والضمير في يدعون يعود إلى المشركين، وفي يبتغون يعود إلى المعبودين وأيهم بدل من واو الفاعل في يبتغون، وأقرب خبر لمبتدأ محذوف، تقديره: هو، أى:يبتغيها الذي هو أقرب، والجملة صلة أى.والوسيلة: ما يتقرب به الإنسان إلى خالقه من الأعمال الصالحة.والمعنى: أولئك المعبودون الذين يزعم المشركون أنهم آلهة. ويسمونهم أربابا، وينادونهم لكشف الضر عنهم، هؤلاء المعبودون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب.أى: يتقربون إلى خالقهم ومالك أمرهم بصالح الأعمال، ويبتغى أكثرهم صلاحا وطاعة لله- تعالى- الرضا منه- عز وجل-.وإذا كان هذا شأن أكثرهم قربا فكيف يكون حال من هو أقل منه؟ لا شك أنه يكون أشد طلبا لرضا الله- تعالى- وعفوه، وأشد حرصا على طاعته.وقوله- تعالى- ويرجون رحمته ويخافون عذابه زيادة بيان لشدة حرص هؤلاء المعبودين على طاعة الله- تعالى- أى: وهم فوق ذلك يرجون رحمة الله- تعالى- وفضله، بأن يحشرهم مع الأبرار، ويخشون عذابه ونقمته، ويتضرعون إليه أن يجنبهم عذاب النار، وبالرجاء والخشية يحيا الصالحون الأخيار، إذ الرجاء يدفع المؤمن إلى الإكثار من العمل الصالح، والخشية تمنعه من الوقوع في المعاصي.وقوله- تعالى-: إن عذاب ربك كان محذورا تذييل قصد به التعليل لما قبله وهو خوف العذاب.." (٢)

"وقوله مبصرة أى: معجزة واضحة، يراها الناس بأعينهم بدون خفاء أو لبس..قال الجمل: مبصرة بكسر الصاد- باتفاق السبعة، والإسناد مجازى. أى:يبصرونها خارجة من الصخرة. وقرئ شاذا بفتح الصاد. ثم قال: وفي السمين: مبصرة حال. وهو إسناد مجازى، إذ المراد إبصار أهلها، ولكنها لما كانت سببا في الإبصار نسب إليها، والظاهر أن المراد الإبصار المعنوي، وهو الاهتداء بها، والتوصل بها، إلى تصديق نبيهم، وعلى هذا تظهر السببية، فإن وجودها سبب في هذا المعنى ... » «١» .وقال الآلوسى: وقوله: مبصرة على صيغة اسم الفاعل حال من الناقة، والمراد:ذات إبصار، أو ذات بصيرة

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٣٧٠/٨

(٢) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٣٧٧/٨

يبصرها الغير ويتبصر بها، فالصيغة للنسب....» «٢» .والمعنى: لقد تركنا إجابة المطالب التي اقترحها قومك- يا محمد-، رحمة بهم، لأننا لو أعطيناهم إياهم ثم استمروا في تكذيبهم لك لأهلكناهم كما أهلكنا السابقين. فقد أجبنا قوم صالح- عليه السلام- إلى ما طلبوه من نبيهم، بأن أخرجنا لهم الناقة، وجعلناها معجزة واضحة نيرة في الدلالة على صدقه، فقابلوها بالتكذيب والجحود، وظلموا أنفسهم وعرضوها للهلاك بسبب عقرها.قال- تعالى-: فعقروا الناقة، وعتوا عن أمر ربهم، وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين. فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين «٣» .وقال- سبحانه-: كذبت ثمود بطغواها. إذ انبعث أشقاها. فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها. فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها. ولا يخاف عقباها «٤» .وقوله- سبحانه-: وما نرسل بالآيات إلا تخويفا **تذييل** قصد به الزجر عن تكذيب ما يأتى به الأنبياء من هدايات ومعجزات تدل على صدقهم.والباء في قوله بالآيات للملابسة، ومفعول، نرسل، محذوف، وتخويفا مفعول لأجله.______________(١) حاشية الجمل على الجلالين ج ٢ ص ٦٣٢.(٢) تفسير الآلوسى ج ١٥ ص ١٠٤.(٣) سورة الأعراف الآيتان ٧٧، ٧٨. [.....](٤) سورة الشمس الآيات ١١- ١٥.." (١)

"وقوله- سبحانه-: والشجرة الملعونة في القرآن معطوف على الرؤيا.أى: وما جعلنا الرؤيا التي أريناك والشجرة الملعونة في القرآن إلا فتنة للناس.والمراد بالشجرة الملعونة هنا: شجرة الزقوم، المذكورة في قوله- تعالى-: أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم. إنا جعلناها فتنة للظالمين. إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم، طلعها كأنه رؤس الشياطين «١» .والمراد بلعنها: لعن الآكلين منها وهم المشركون، أو هي ملعونة لأنها تخرج في أصل الجحيم. أو هي ملعونة لأن طعامها مؤذ وضار، والعرب تقول لكل طعام ضار: إنه ملعون.قال الآلوسى: وروى في جعلها فتنة لهم: أنه لما نزل في شأنها في سورة الصافات وغيرها ما نزل، قال أبو جهل وغيره: هذا محمد يتوعدكم بنار تحرق الحجارة، ثم يقول ينبت فيها الشجر. وما نعرف الزقوم إلا بالتمر والزبد، ثم أمر جارية له فأحضرت تمرا وزبدا، وقال لأصحابه: تزقموا.وافتتن بهذه الآية أيضا بعض الضعفاء، ولقد ضلوا في ذلك ضلالا بعيدا ... «٢» .وقوله- تعالى-: ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغيانا كبيرا **تذييل** قصد به بيان ما جبل عليه هؤلاء المشركون من جحود، وقسوة قلب ...أى: ونخوف هؤلاء المشركين بعذاب الدنيا، وبعذاب الآخرة وبشجرة الزقوم التي طلعها كأنه رءوس الشياطين ... فما يزيدهم هذا التخويف والتهديد إلا طغيانا متجاوزا في ضخامته وكبره كل حد، وكل عقل سليم.وعبر- سبحانه- بصيغة المضارع الدالة على الاستقبال، مع أن تخويفهم وازدياد طغيانهم قد وقعا، للإشعار بالتجدد والاستمرار.وبذلك نرى الآيات الكريمة قد ساقت من سنن الله- تعالى- في خلقه، ومن فضله على هذه الأمة، ومن تبشيره وإنذاره، ووعده ووعيده، ما يزيد المؤمنين إيمانا على إيمانهم، وما يصرف الطاغين عن طغيانهم لو كانوا يعقلون.______________(١) سورة الصافات الآيات ٦١- ٦٥.(٢) تفسير الآلوسى ج ١٥ ص ١٠٦.." (٢)

"وقال- سبحانه- إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون «١» .فالجملة الكريمة وهي قوله- سبحانه- لا مبدل لكلماته نفت قدرة أحد على تبديل كلمات الله، لأن أخبارها صدق، وأحكامها عدل، وإنما الذي يقدر على التغيير والتبديل هو

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٣٨٢/٨

(٢) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٣٨٥/٨

الله- تعالى- وحده.والضمير في «كلماته» يعود على الله- تعالى-، أو على الكتاب.ثم ختم- سبحانه- الآية الكريمة بقوله: ولن تجد من دونه ملتحدا.وأصل الملتحد: مكان الالتحاد وهو افتعال من اللحد بمعنى الميل. ومنه اللحد في القبر، لأنه ميل في الحفر. ومنه قوله- تعالى-: إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا.. أى: يميلون في آياتنا.فالمراد بالملتحد: المكان الذي يميل فيه إلى ملجأ للنجاة.والمعنى: وداوم أيها الرسول الكريم على تلاوة ما أوحيناه إليك من كتابنا الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، واعلم أنك إن خالفت ذلك لن تجد غير الله- تعالى- ملجأ تلجأ إليه، أو مأوى تأوى إليه، لكي تنجو مما يريده بك.فالجملة الكريمة **تذييل** قصد به التحذير الشديد- في شخص الرسول صلى الله عليه وسلم لكل من يقصر في تلاوة كتاب الله، أو يحاول التبديل في ألفاظه ومعانيه.ثم ساقت السورة الكريمة لونا من الأدب السامي، والتوجيه العالي، حيث بينت أن أولى الناس بالرعاية والمجالسة هم المؤمنون الصادقون، وأمرت النبي صلى الله عليه وسلم بأن يصبر نفسه معهم، فقال- تعالى-: واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه، ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ...وقد ذكر المفسرون في سبب نزول هذه الآية روايات منها: أنها نزلت في أشراف قريش، حين طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم أن يجلس معهم وحده، ولا يجالسهم مع ضعفاء أصحابه كبلال وعمار وابن مسعود. وليفرد أولئك بمجلس على حدة، فنهاه الله- تعالى- عن ذلك.. وأمره أن يصبر نفسه في الجلوس مع هؤلاء الفقراء فقال: واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه. «٢» .______________(١) سورة الحجر الآية ٩.(٢) تفسير ابن كثير ج ٥ ص ١٤٨.." (١)

"القيامة.. لأن المراد بيومئذ في قوله وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض أنه يوم مجيء وعد ربي بخروجهم وانتشارهم في الأرض.وآية الأنبياء تدل في الجملة على ما ذكرنا هنا. وذلك يدل على بطلان قول من قال: إنهم «روسيا» وأن السد فتح منذ زمن طويل.والاقتراب الذي جاء في قوله- تعالى- اقتربت الساعة وفي الحديث: «ويل للعرب من شر قد اقترب» لا يستلزم اقترانه من دك السد، بل يصح اقترابه مع مهلة.وهذه الآيات لا يتم الاستدلال بها على أن يأجوج ومأجوج لم يخرجوا بعد- إلا بضميمة الأحاديث النبوية لها.ومن ذلك ما رواه الإمام مسلم في صحيحه في ذلك، وفيه: خروج الدجال وبعث عيسى، وقتله للدجال.. ثم يبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون.فينحاز عيسى ومن معه من المؤمنين إلى الطور.. ثم يرسل الله على يأجوج ومأجوج النغف في رقابهم فيموتون.وهذا الحديث الصحيح قد رأيت فيه تصريح النبي صلى الله عليه وسلم بأن الله يوحى إلى عيسى ابن مريم بخروج يأجوج ومأجوج بعد قتله الدجال فمن يدعى أنهم «روسيا» وأن السد قد اندك منذ زمان، فهو مخالف لما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم مخالفة صريحة لا وجه لها، ولا شك أن كل خبر يخالف الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم فهو باطل، لأن نقيض الخبر الصادق. كاذب ضرورة كما هو معلوم.ولم يثبت في كتاب الله ولا في سنة نبيه صلى الله عليه وسلم شيء يعارض هذا الحديث الذي رأيت صحة سنده، ووضوح دلالته على المقصود..» «١» .والذي يبدو لنا أن ما ذهب إليه صاحب أضواء البيان، أقرب إلى الحق والصواب للأسباب التي ذكرها، ولقرينة **تذييل** الآيات التي تحدثت عن يأجوج ومأجوج عن أهوال يوم القيامة.ففي سورة

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٨/٥٠٧

الكهف يقول الله- تعالى- في أعقاب الحديث عنهم وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض، ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا.وفي سورة الأنبياء يقول الله- تعالى-: حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون. واقترب الوعد الحق ...______________(١) راجع تفسير أضواء البيان ج ٤ ص ١٨١ وما بعدها للشيخ محمد الأمين الشنقيطى.." (١)

"وقرأ المدنيون والكوفيون: إن هذان بتشديد إن لساحران فوافقوا المصحف وخالفوا الإعراب.فهذه ثلاث قراءات قد رواها الجماعة من الأئمة..والعلماء في قراءة أهل المدينة والكوفة ستة أقوال: الأول أنها لغة بنى الحارث بن كعب وزبيد وخثعم..، يجعلون رفع المثنى ونصبه وخفضه بالألف.. وهذا القول من أحسن ما حملت عليه الآية «١» .والفاء في قوله- تعالى-: فأجمعوا كيدكم ... فصيحة، أى: إذا كان الأمر كذلك من أن موسى وهارون قد حضرا ليخرجاكم من أرضكم بسحرهما.. فأجمعوا كيدكم أى: فأحكموا سحركم واعزموا عليه ولا تجعلوه متفرقا.يقال: أجمع فلان رأيه وأزمعه، إذا عزم عليه وأحكمه واستعد لتنفيذه وقوله ثم ائتوا صفا أى: ثم ائتوا جميعا مصطفين، حتى يكون أمركم أكثر هيبة في النفوس، وأعظم وقعا على القلوب، وأدعى إلى الترابط والثبات وقوله وقد أفلح اليوم من استعلى **تذييل** مؤكد لما قبله.أى: وقد أفلح وفاز بالمطلوب في يوم النزال من طلب العلو، وسعى من أجله، واستطاع أن يتغلب على خصمه، لأننا إذا تغلبنا على موسى كانت لنا الجوائز العظمى، وإذا تغلب علينا خسرنا خسارة ليس هناك ما هو أشد منها.وحانت ساعة المبارزة والمنازلة. فتقدم السحرة نحو موسى- عليه السلام- وقالوا له- كما حكى القرآن عنهم-:.. يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى.والإلقاء في الأصل: طرح الشيء، ومفعول «تلقى» محذوف للعلم به، والمراد به العصا.أى قال السحرة لموسى على سبيل التخيير الذي يبدو فيه التحدي والتلويح بالقوة:يا موسى إما أن تلقى أنت عصاك قبلنا، وإما أن تتركنا لنلقى حبالنا وعصينا قبلك.قال الآلوسى: خيروه- عليه السلام- وقدموه على أنفسهم إظهارا للثقة بأمرهم.وقيل. مراعاة للأدب معه- عليه السلام-. و «أن» مع ما في حيزها منصوب بفعل مضمر. أى، إما تختار إلقاءك أو تختار كوننا أول من ألقى. أو مرفوع على أنه خبر لمبتدأ محذوف.أى: «الأمر إما إلقاؤك أو كوننا أول من ألقى..» «٢» .______________(١) راجع تفسير القرطبي ج ١١ ص ٢١٦.(٢) تفسير الآلوسى ج ١٦ ص ٢٢٦.." (٢)

"السلام- معارضة من هو على الباطل لمن هو على الحق، وقد كنا لا نملك أن نعصيك.وخصوا السحر بالذكر مع دخوله في خطاياهم، للإشعار بشدة نفورهم منه، وبكثرة كراهيتهم له بعد أن هداهم الله إلى الإيمان.وقوله: والله خير وأبقى **تذييل** قصدوا به الرد على قول فرعون لهم: ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى.أى: والله- تعالى- خير ثوابا منك يا فرعون، وأبقى جزاء وعطاء، فإن ثوابه- سبحانه- لا نقص معه، وعطاءه أبقى من كل عطاء.وقوله- عز وجل-: إنه من يأت ربه مجرما ... يصح أن يكون كلاما مستأنفا ساقه الله- تعالى- لبيان سوء عاقبة المجرمين، وحسن عاقبة المؤمنين.ويصح أن يكون من بقية كلام السحرة في ردهم على فرعون.والمعنى: إنه أى الحال والشأن من يأت ربه يوم القيامة في حال كونه

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٥٨٠/٨

(٢) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ١٢٣/٩

مجرما.أى: مرتكبا لجريمة الكفر والشرك بالله- تعالى- فإن له أى: لهذا المجرم جهنم يعذب فيها عذابا شديدا من مظاهره أنه لا يموت فيها فيستريح ولا يحيى حياة فيها راحة.كما قال- تعالى-: والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا، ولا يخفف عنهم من عذابها، كذلك نجزي كل كفور «١» .ثم بين- سبحانه- حسن عاقبة المؤمنين فقال: ومن يأته مؤمنا به إيمانا حقا، وقد عمل الأعمال الصالحات بجانب إيمانه. فأولئك الموصوفون بتلك الصفات لهم بسبب إيمانهم وعملهم الصالح الدرجات العلى أى: المنازل الرفيعة، والمكانة السامية.وقوله: جنات عدن تجري من تحتها الأنهار يدل على الدرجات العلى.أى: لهم جنات باقية دائمة تجرى من تحت أشجارها وثمارها الأنهار خالدين فيها خلودا أبديا.وذلك العطاء الجزيل الباقي جزاء من تزكى، أى من تطهر وتجرد من دنس الكفر والمعاصي.______________(١) سورة فاطر الآية ٣٦.." [1]

"أى: فاجعل لهم طريقا في البحر يابسا، فالضرب هنا بمعنى الجعل كما في قولهم: ضرب له في ماله سهما. إذا جعل له سهما.والمراد بالطريق جنسه فإن الطرق التي حدثت بعد أن ضرب موسى بعصاه البحر. كانت اثنى عشر طريقا بعدد أسباط بنى إسرائيل.وعبر- سبحانه- عن بنى إسرائيل الذين خرجوا مع موسى بعنوان العبودية لله- تعالى- للإشعار بعطفه- عز وجل- عليهم ورحمته بهم، وللتنبيه على طغيان فرعون حيث استعبد واستذل عبادا للخالق- سبحانه- وجعلهم عبيدا له..قال الجمل: «وقوله يبسا صفة لقوله طريقا وصف به لما يؤول إليه، لأنه لم يكن يبسا بعد. وإنما مرت عليه الصبا فجففته. وقيل: هو في الأصل مصدر وصف به للمبالغة، أو على حذف مضاف، أو جمع يابس كخادم وخدم وصف به الواحد مبالغة» «١» .وقوله- سبحانه-: لا تخاف دركا ولا تخشى **تذييل** قصد به تثبيت فؤاد موسى- عليه السلام- وإدخال الطمأنينة على قلبه.والدرك: اسم مصدر بمعنى الإدراك. والجملة في محل نصب على الحال من فاعل «اضرب» .أى: اضرب لهم طريقا في البحر يابسا، حالة كونك غير خائف من أن يدركك فرعون وجنوده من الخلف، وغير وجل من أن يغرقكم البحر من أمامكم.فالآية الكريمة قد اشتملت على كل ما من شأنه أن يغرس الأمان والاطمئنان في قلب موسى ومن معه.ثم بين- سبحانه- موقف فرعون بعد أن علم بأن موسى قد خرج بقومه من مصر فقال- تعالى-: فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم.أى: وبعد أن علم فرعون بخروج موسى وبنى إسرائيل من مصر، جمع جنوده وأسرع في طلب موسى ومن معه، فكانت نتيجة ذلك، أن أغرق الله- تعالى- فرعون وجنوده في البحر. وأهلكهم عن آخرهم ...والتعبير بالاسم المبهم الذي هو الموصول في قوله فغشيهم من اليم ما غشيهم يدل على تعظيم ما غشيهم وتهويله، أى: فعلاهم وغمرهم من ماء البحر ما لا يعلم كنهه إلا الله- تعالى- بحيث صاروا جميعا في طيات أمواجه.______________(١) حاشية الجمل على الجلالين ج ٣ ص ١٠٣.." [2]

"وقوله- سبحانه-: إن في ذلك لآيات لأولي النهى **تذييل** قصد به تعليل الإنكار، أى: إن في ذلك الذي أخبرناهم به، وأطلعناهم عليه من إهلاك المكذبين السابقين، لآيات عظيمة، وعبر كثيرة، ودلائل واضحة لأصحاب العقول السليمة، التي تنهى أصحابها عن القبائح والآثام.والنهى: جمع نهية- بضم النون وإسكان الهاء- سمى العقل بها لنهيه عن القبائح.ثم

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ١٣٠/٩

(٢) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ١٣٢/٩

بين- سبحانه- بعض مظاهر فضله على هؤلاء المشركين الذين أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم لإنقاذهم من الكفر والضلالة فقال- تعالى-: ولولا كلمة سبقت من ربك، لكان لزاما وأجل مسمى.والمراد بالكلمة السابقة، ما تفضل الله- تعالى- به من تأخير عذاب الاستئصال عن هذه الأمة التي بعث فيها الرسول صلى الله عليه وسلم تكريما له كما قال- تعالى- وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ... أو لأن من نسلهم من يؤمن بالله حق الإيمان، أو لحكم أخرى يعلمها- سبحانه- ولزاما: مصدر بمعنى اسم الفاعل، وفعله لازم كقاتل.وقوله: وأجل مسمى معطوف على كلمة.والمعنى: ولولا الوعد السابق منا بتأخير العذاب عن هؤلاء المشركين إلى يوم القيامة.ولولا الأجل المسمى المحدد في علمنا لانتهاء أعمارهم، لما تأخر عذابهم أصلا، بل لكان العذاب لازما لهم في الدنيا، ونازلا بهم كما نزل بالسابقين من أمثالهم في الكفر والضلال.ثم أمر الله- تعالى- رسوله صلى الله عليه وسلم بالمداومة على الصبر، وعلى الإكثار من ذكره- تعالى- ونهاه عن التطلع إلى زينة الحياة الدنيا.فقال- تعالى-:[سورة طه (٢٠) : الآيات ١٣٠ الى ١٣٢]فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى (١٣٠) ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى (١٣١) وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسئلك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى (١٣٢)." (١)

"أى: إلى ما متعنا به أصنافا من هؤلاء المشركين، بأن منحناهم الجاه والمال والولد.وما جعلناه لهم في هذه الدنيا بمثابة الزهرة التي سرعان ما تلمع ثم تذبل وتزول.قال الآلوسى ما ملخصه: قوله أزواجا منهم أى: أصنافا من الكفرة، وهو مفعول متعنا قدم عليه الجار والمجرور للاعتناء به.. وقيل الخطاب له صلى الله عليه وسلم والمراد أمته، لأنه كان أبعد الناس عن إطالة النظر إليها، وهو القائل: «الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها، إلا ما أريد به وجه الله- تعالى-» وكان صلى الله عليه وسلم شديد النهى عن الاغترار بها.ويؤخذ من الآية أن النظر غير الممدود معفو منه، وكأن المنهي عنه في الحقيقة هو الإعجاب بذلك، والرغبة فيه، والميل إليه.وقوله: زهرة الحياة الدنيا أى: زينتها وبهجتها. وهو منصوب بمحذوف يدل عليه متعنا.أى: جعلنا لهم زهرة، أو على أنه مفعول ثان، بتضمين متعنا معنى أعطينا، فأزواجا مفعول أول، وزهرة هو المفعول الثاني.. «١» .وقوله: لنفتنهم فيه بيان للحكمة من هذا التمتيع والعطاء أى متعنا هؤلاء الكافرين بالأموال والأولاد.. لنعاملهم معاملة من يبتليهم ويختبرهم بهذا المتاع، فإذا آمنوا وشكروا زدناهم من خيرنا، وإذا استمروا في طغيانهم وجحودهم وكفرهم، أخذناهم أخذ عزيز مقتدر.فالجملة الكريمة تنفر العقلاء من التطلع إلى ما بين أيدى الكفار من متاع، لأن هذا المتاع سيئ العاقبة، إذا لم يستعمل في طاعة الله- تعالى-.وقوله- سبحانه-: ورزق ربك خير وأبقى **تذييل** قصد به الترغيب فيما عند الله- تعالى- من طيبات.أى: وما رزقك الله إياه- أيها الرسول الكريم- في هذه الدنيا من طيبات. وما ادخره لك في الآخرة من حسنات، خير وأبقى مما متع به هؤلاء الكافرين من متاع زائل سيحاسبهم الله- تعالى- عليه يوم القيامة حسابا عسيرا، لأنهم لم يقابلوا نعم الله عليهم بالشكر، بل قابلوها بالجحود والكفران.والمتأمل في هذه الآية الكريمة يراها قد رسمت للمؤمن

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ١٦٧/٩

أفضل الطرق وأحكمها، لكي يحيا حياة فاضلة طيبة، حياة يعتز فيها صاحبها بالمعاني الشريفة الباقية، ويعرض عن المظاهر والزخارف الزائلة.______________(١) تفسير الآلوسى ج ١٦ ص ٢٨٣.." [(١)]

"به، أهو جد وحق أم لعب وهزل «١» .وقد رد عليهم إبراهيم- عليه السلام- ردا حاسما يدل على قوة يقينه فقال: بل ربكم رب السماوات والأرض الذي فطرهن..» .أى: قال لهم إبراهيم بلغة الواثق بأنه على الحق: أنا لست هازلا فيما أقوله لكم، وإنما أنا جاد كل الجد في إخباركم أن الله- تعالى- وحده هو ربكم ورب آبائكم، ورب السموات والأرض، فهو الذي خلقهن وأنشأهن بما فيهن من مخلوقات بقدرته التي لا يعجزها شيء.وقوله: وأنا على ذلكم من الشاهدين **تذييل** المقصود به تأكيد ما أخبرهم به، وما دعاهم إليه. أى: وأنا على أن الله- تعالى- هو ربكم ورب كل شيء من الشاهدين، الذين يثقون في صدق ما يقولون ثقة الشاهد على شيء لا يشك في صحته.ثم أضاف إلى هذا التأكيد القولى، تأكيدا آخر فعليا، فقال لهم: وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين.أى: وحق الله الذي فطركم وفطر كل شيء، لأجتهدن في تحطيم أصنامكم، بعد أن تنصرفوا بعيدا عنها. وتولوها أدباركم.وأصل الكيد: الاحتيال في إيجاد ما يضر مع إظهار خلافه. وقد عبر به إبراهيم عن تكسير الأصنام وتحطيمها، لأن ذلك يحتاج إلى احتيال وحسن تدبير.وقد نفذ إبراهيم ما توعد به الأصنام، فقد انتهز فرصة ذهاب قومه بعيدا عنها فحطمها، قال تعالى- فجعلهم جذاذا إلا كبيرا لهم لعلهم إليه يرجعون.والفاء في قوله: «فجعلهم» فصيحة. والجذاذ القطع الصغيرة جمع جذاذة من الجذ بمعنى القطع والكسر.أى: فولوا مدبرين عن الأصنام فجعلها بفأسه قطعا صغيرة، بأن حطمها عن آخرها- سوى الصنم الأكبر لم يحطمه بل تركه من غير تكسير. لعلهم إليه يرجعون فيسألونه كيف وقعت هذه الواقعة وهو حاضر، ولم يستطع الدفاع عن إخوته الصغار؟!!.ولعل إبراهيم- عليه السلام- قد فعل ذلك ليقيم لهم أوضح الأدلة على أن هذه الأصنام لا تصلح أن تكون آلهة، لأنها لم تستطع الدفاع عن نفسها، وليحملهم على التفكير في أن الذي يجب أن يكون معبودا، إنما هو الله الخالق لكل شيء، والقادر على كل شيء.______________(١) تفسير الكشاف ج ٣ ص ١٢٢.." [(٢)]

"والاستفهام للتوبيخ والإنكار، والفاء للعطف على مقدر يستدعيه المقام.والمعنى: إن مصارع الغابرين وديارهم، يمر بها كفار قريش، ويعرفونها، فهم يرون في طريقهم إلى الشام قرى صالح وقرى قوم لوط.. قال- تعالى-: وإنكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون«١» .والشأن في هذه الرؤية أن تجعل صاحبها يعتبر ويتعظ، متى كان عنده قلب يعقل ما يجب فهمه، أو أذن تسمع ما يجب سماعه وتنفيذه، ولكن هؤلاء الجاهلين يرون مصارع الغابرين فلا يعقلون، ولا يعتبرون، ويسمعون الأحاديث عن تلك الآبار المعطلة، والقصور الخالية من سكانها، والمنازل المهدمة، فلا يتعظون.وقوله- تعالى-: فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور بيان لسبب انطماس بصائرهم، وقسوة قلوبهم.والضمير في قوله فإنها للقصة. أى: فإن الحال أنه لا يعتد بعمى الأبصار، ولكن الذي يعتد به هو عمى القلوب التي في الصدور، وهؤلاء المشركون قد أصيبوا بالعمى الذي هو أشنع عمى وأقبحه. وهو عمى القلوب عن الفهم وقبول الحق.وذكر- سبحانه- أن

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ١٦٩/٩

(٢) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٢٢٣/٩

مواضع القلوب في الصدور، لزيادة التأكيد، ولزيادة إثبات العمى لتلك القلوب التي حدد- سبحانه- موضعها تحديدا دقيقا.قال الآلوسى: فالكلام **تذييل** لتهويل ما نزل بهم من عدم فقه القلب، وأنه العمى الذي لا عمى بعده، بل لا عمى إلا هو، أو المعنى: إن أبصارهم صحيحة سالمة لا عمى بها. وإن العمى بقلوبهم، فكأنه قيل: أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب ذات بصائر، فإن الآفة ببصائر قلوبهم لا بأبصار عيونهم، وهي الآفة التي كل آفة دونها. كأنه يحثهم على إزالة المرض وينعى عليهم تقاعدهم عنها «٢» .ثم أكد- سبحانه- انطماس بصائرهم، حيث بين أنهم بدل أن يتوبوا إلى الله ويستغفروه، استعجلوا العذاب فقال: ويستعجلونك بالعذاب، ولن يخلف الله وعده. وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون.أى: أن هؤلاء الطغاة بدل أن يسيروا في الأرض فيعتبروا ويتعظوا، أخذوا يطلبون منك- أيها الرسول الكريم- نزول العذاب عاجلا، على سبيل الاستهزاء بك والاستخفاف بما هددناهم به، ويقولون لك: متى هو؟.______________(١) سورة الصافات الآيتان ١٣٧، ١٣٨.(٢) تفسير الآلوسى ج ١٧ ص ١٦٧.." (١)

"وكذا قال عكرمة وسعيد بن جبير وقتادة وغير واحد واختاره ابن جرير.وفي رواية عن عكرمة ومجاهد هو يوم القيامة لا ليلة له، وكذا قال الضحاك والحسن.وهذا القول هو الصحيح، وإن كان يوم بدر من جملة ما أو عدوا به، لكن هذا هو المراد، ولهذا قال: الملك يومئذ لله يحكم بينهم كقوله: مالك يوم الدين «١» .ثم بين- سبحانه- مظاهر قدرته، وشمول قهره لغيره فقال: الملك يومئذ لله يحكم بينهم.. والتنوين في قوله يومئذ عوض عن جملة.أى: السلطان القاهر، والتصرف الكامل، يوم تأتيهم الساعة بغتة، أو يوم يأتيهم عذابها يكون لله- تعالى- وحده، كما أن الحكم بين الناس جميعا يكون له وحده- سبحانه- فالذين آمنوا وعملوا الأعمال الصالحات يكونون في هذا اليوم في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا التي جاءتهم بها رسلنا فأولئك لهم عذاب مهين أى: لهم عذاب ينالون بسببه ما ينالون من هوان وذل.والذين هاجروا من ديارهم في سبيل إعلاء كلمة الله ونصرة دينه ثم قتلوا أى: قتلهم الكفار في الجهاد أو ماتوا أى: على فراشهم.هؤلاء وهؤلاء ليرزقنهم الله- تعالى- بفضله وكرمه رزقا حسنا يرضيهم ويسرهم يوم يلقونه. حيث يبوئهم جنته.قال- تعالى-: ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون.. «٢» .وقال- سبحانه- ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله «٣» .وقوله- عز وجل-: وإن الله لهو خير الرازقين **تذييل** قصد به بيان أن عطاءه- سبحانه- فوق كل عطاء، لأنه يرزق من يشاء بغير حساب، ويعطى من يشاء دون أن ينازعه منازع، أو يعارضه معارض، أو ينقص مما عنده شيء.وقوله- تعالى-: ليدخلنهم مدخلا يرضونه.. استئناف مقرر لما قبله.______________(١) تفسير ابن كثير ج ٥ ص ٤٤٢.(٢) سورة آل عمران الآية ١٦٩.(٣) سورة النساء آية ١٠٠.." (٢)

"وقوله- تعالى-: واعبدوا ربكم أى: واعبدوا ربكم الذي تولاكم برعايته وتربيته في كل مراحل حياتكم، عبادة خالصة لوجهه الكريم.

وقوله: وافعلوا الخير تعميم بعد التخصيص، إذ فعل الخير يشمل كل قول وعمل يرضى الله- تعالى-: كإنفاق المال في وجوه

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٣٢٣/٩

(٢) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٣٣٢/٩

البر، وكصلة الرحم وكالإحسان إلى الجار وكغير ذلك من الأفعال التي حضت عليها تعاليم الإسلام.

وقوله- تعالى-: لعلكم تفلحون **تذييل** قصد به التحريض على امتثال ما أمرهم الله- تعالى- به، والفلاح: الظفر بالمطلوب.

أى: أدوا الصلاة بخشوع ومواظبة، واعبدوا ربكم عبادة خالصة، وافعلوا الخير الذي يقربكم من خالقكم، لكي تنالوا رضاه وثوابه- عز وجل-.

فكلمة «لعل» للتعليل، ويصح أن تكون على معناها الحقيقي وهو الرجاء، ولكن على تقدير صدوره من العباد، فيكون المعنى: وافعلوا الخير حالة كونكم راجين الفلاح، ومتوقعين الفوز والنجاح.

والمتأمل في هذه الآية الكريمة يراها أنها قد جمعت أنواع التكاليف الشرعية، وأحاطت بها من كل جوانبها.

قال الآلوسى ما ملخصه: وهذه الآية آية سجدة عند الشافعى وأحمد، لظاهر ما فيها من الأمر بالسجود، ولحديث عقبة بن عامر قال: قلت يا رسول الله أفضلت سورة الحج على سائر القرآن بسجدتين؟ قال: نعم فمن لم يسجدهما فلا يقرأهما. وذهب أبو حنيفة ومالك إلى أنها ليست آية سجدة، لأنها مقرونة بالأمر بالركوع، والمعهود في مثله من القرآن، كونه أمرا بما هو ركن للصلاة، كما في قوله- تعالى-: يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين وما روى من حديث عقبة إسناده ليس بالقوى «١» .

وبعد أن أمر- سبحانه- بالصلاة وبالعبادة وبفعل الخير، أتبع ذلك بالأمر بالجهاد فقال- تعالى-: وجاهدوا في الله حق جهاده.

والجهاد مأخوذ من الجهد، وهو بذل أقصى الطاقة في مدافعة العدو.

وهي أنواع، أعظمها: جهاد أعداء الله- تعالى- من الكفار والمنافقين والظالمين والمبتدعين في دين الله- تعالى- ما ليس منه. كذلك من أنواع الجهاد: جهاد النفس الأمارة بالسوء، وجهاد الشيطان.

---

(١) تفسير الآلوسى ج ١٧ ص ٢٠٨.." [١]

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاويمحمد سيد طنطاوي ٣٤٦/٩